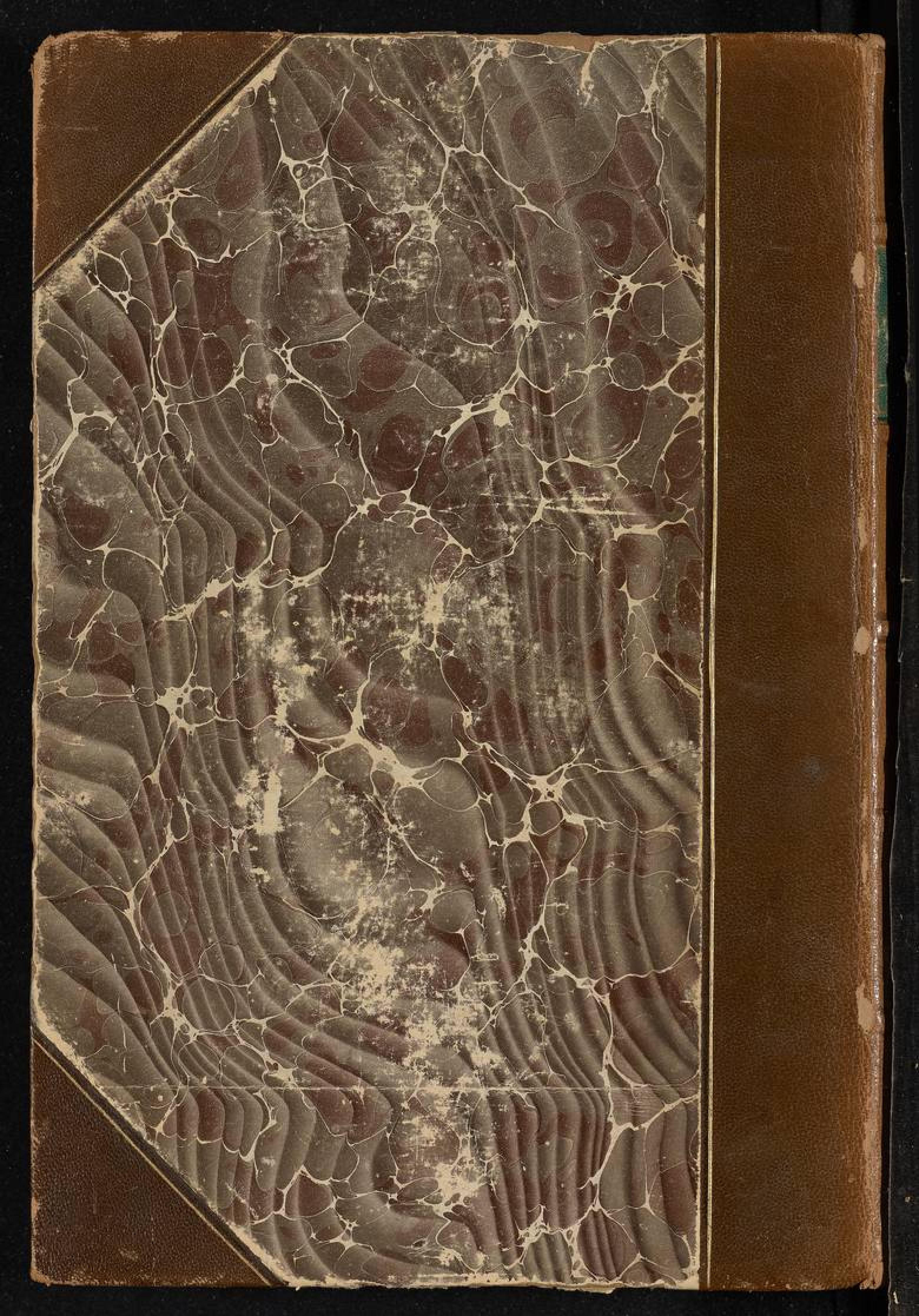
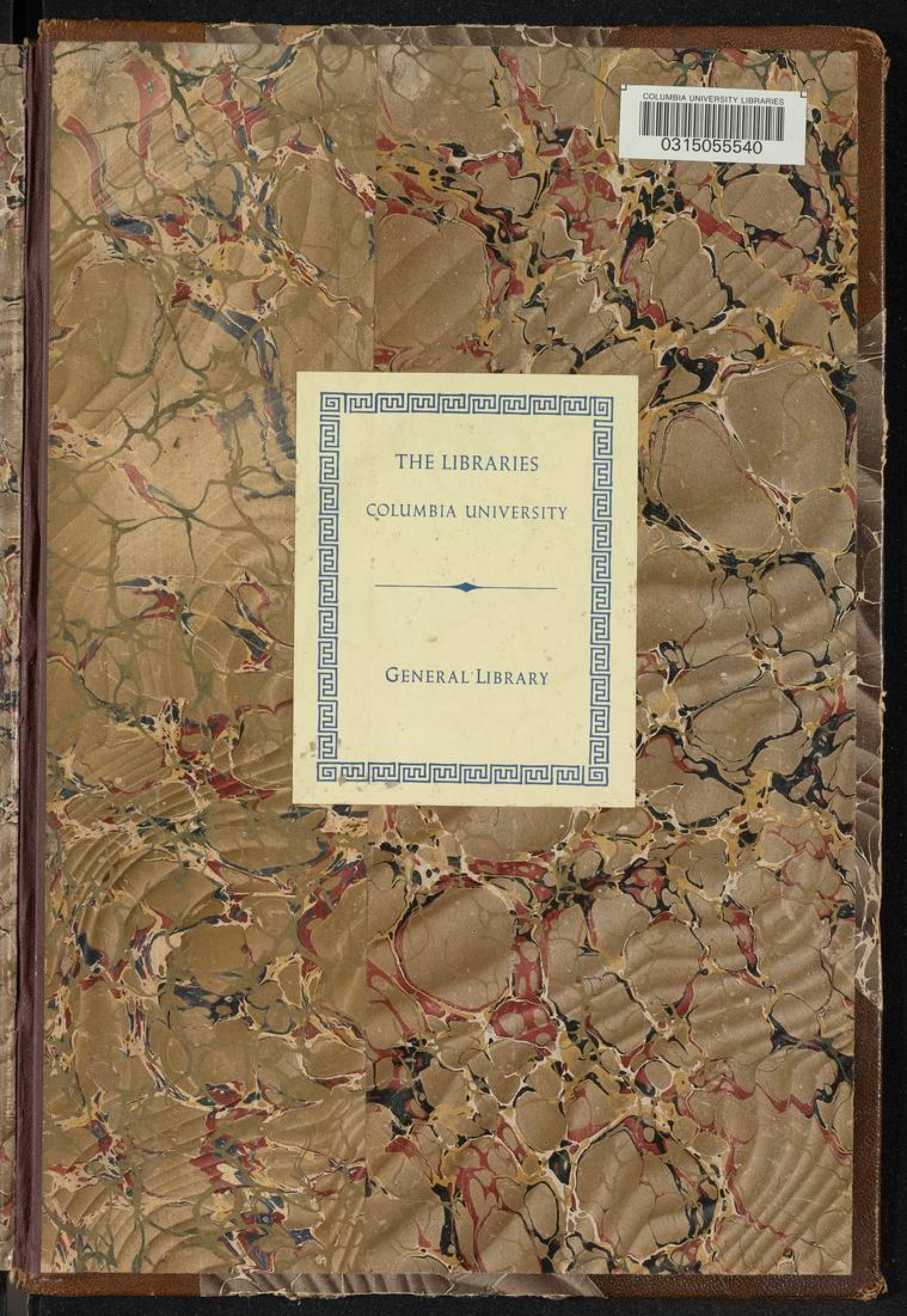
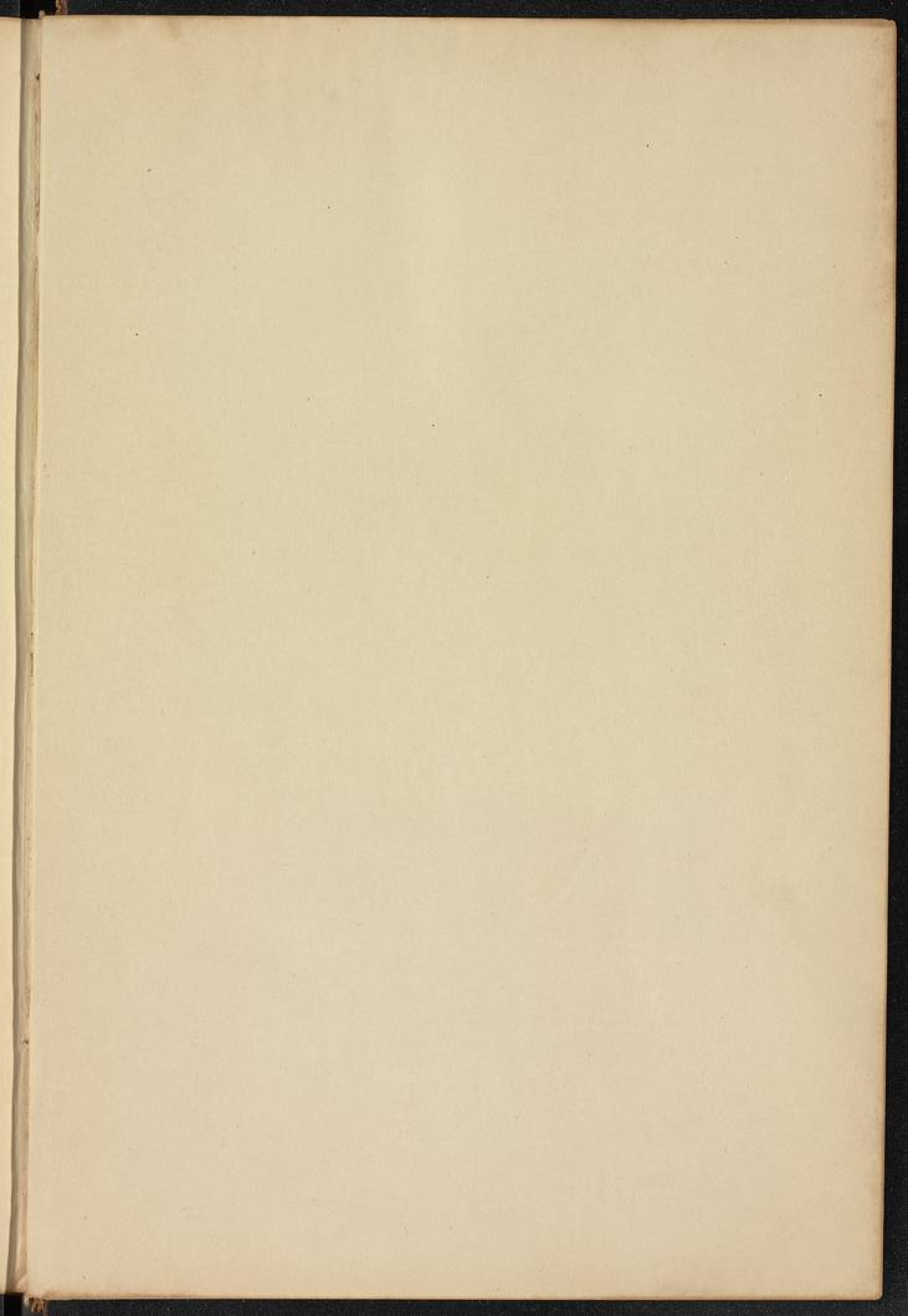
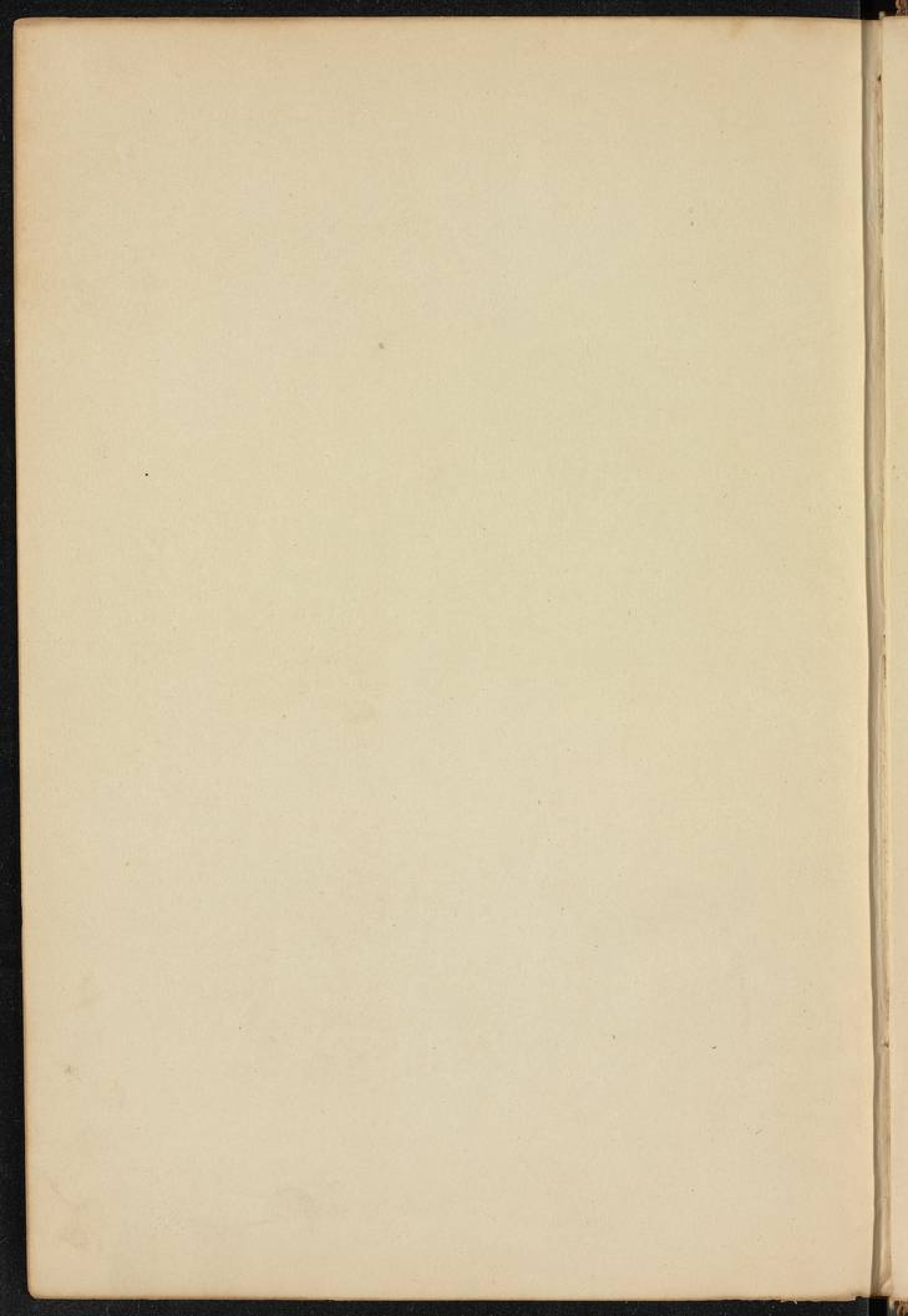
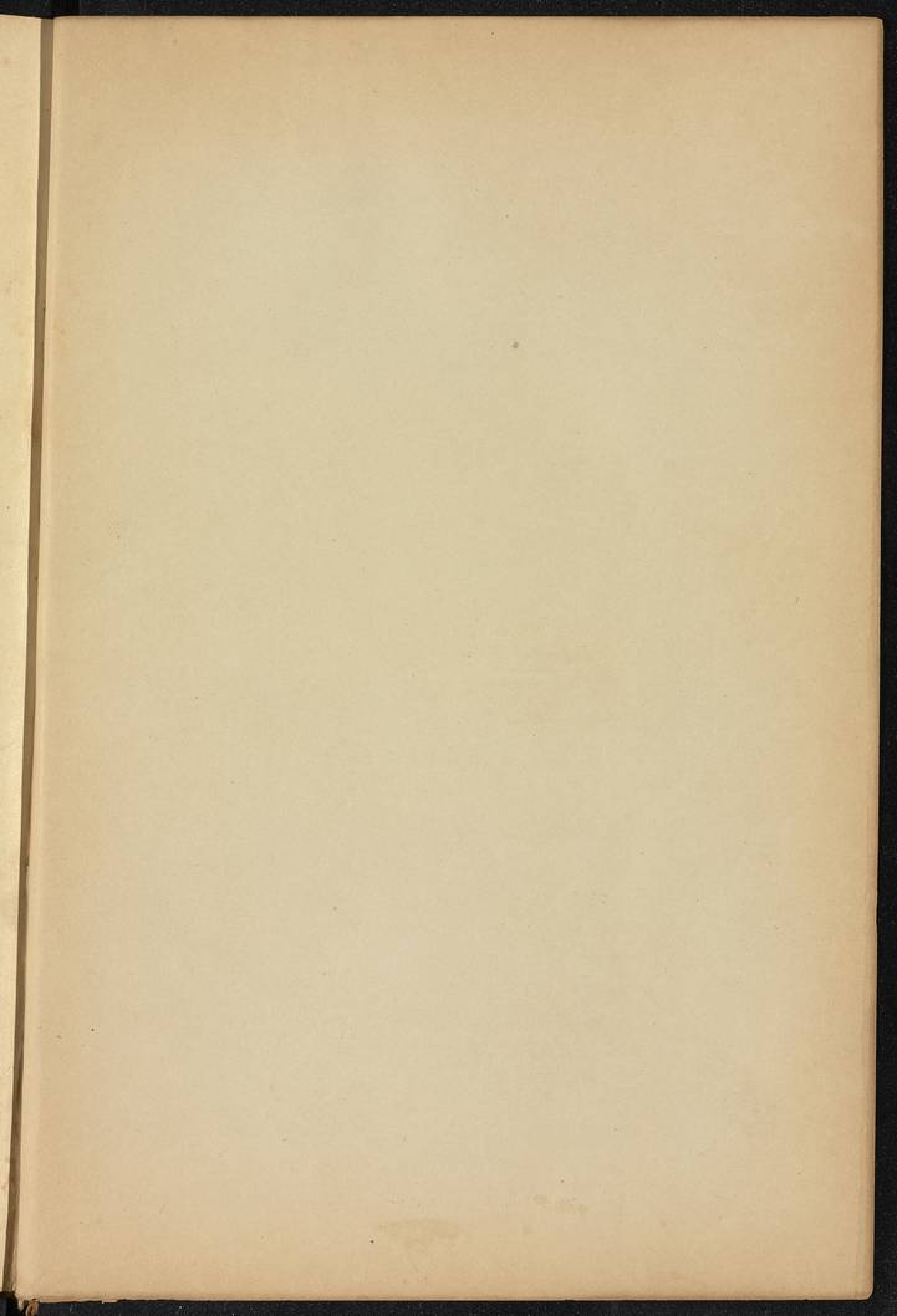












(فهرست)

الجـــزء الثانى

(من حقائق الاخبار عن دول البحار)

فهرست الجزء الثانى من حقائق الاخبار عن دول البحار

صحيفة

٢ الباب الاول (الفصل الاول) الملاحة والبحرية عند المصريين القدماء - (الفصل الثانى) الملاحة والبحرية فى عهد البطالسة ١١ (الفصل الثالث) البحرية عند الرومان ١٨ (الفصل الرابع) الملاحة والبحرية المصرية فى دول الاسلام الاولى ٢١ (الفصل الخامس) البحرية بمصر فى عهد ولاة الدولة العثمانية

٣٧ (الفصل السادس) البحرية المصرية فى عهد العائلة المحمدية العلوية ٤٤

٦٩ الباب الثانى تاريخ مصر (الفصل الاول) جغرافية مصر الطبيعية ونهر النيل والملاحة فيه ٦٩ - النيل والملاحة فيه ٧٢ (الفصل الثانى) الثغور البحرية بمصر ٧٥ (الفصل الثالث) تاريخ مصر القديم ٩٠ الطبقة الاولى أو عصر الجاهلية الاولى ٩١ (الفصل الرابع) الطبقة الثانية أو عصر الجاهلية الوسطى ٩٤ (الفصل الخامس) الطبقة الثالثة عصر الجاهلية الاخيرة ٩٧ - حضارة المصريين ١٠٨ (الفصل السادس) الطبقة الرابعة عصر اليونان ومدة البطالسة ١١١ - مدة البطالسة ١١٢ (الفصل السابع) الطبقة الخامسة أو عصر الرومان ١١٧ (الفصل الثامن) تاريخ مصر الحديث

١١٩ (أشهر أخبار الديار المصرية مدة عمال الخلفاء الامويين والعباسيين) عمال خلفاء بنى أمية ١٢١ - عمال خلفاء العباسيين ١٢٣ (الفصل التاسع) الدول التى استقلت ببلاد مصر (الدولة الطولونية) ١٢٧ - عمال الدولة العباسية ١٣٢ - استطرادهم ١٣٣ (الفصل العاشر) الدولة الاخشيدية ١٣٥ (الفصل الحادى عشر) بنى عبيد المعروفين بالدولة الفاطمية ١٣٨ - الحروب الصليبية ١٤٤ (الفصل الثانى عشر) الدولة الايوبية ١٥١ (الفصل الثالث عشر) دولة المماليك الترك الاولى المعروفة بالبحرية ١٦٤ (الخلافة العباسية بمصر) ١٦٦ (الفصل الرابع عشر) دولة المماليك الثانية المعروفة بالجراكسة ١٧٨ (الفصل الخامس عشر) أشهر حوادث الديار المصرية مدة ولاة الدولة العلية العثمانية ١٩٢ (الفصل السادس عشر) استيلاء الفرنساويين على الديار المصرية ٢٠٩ - (الفصل السابع عشر) العائلة المحمدية العلوية الحالية

٢٢٠ محمد على باشا الكبير - حملة انكلترة على الديار المصرية ٢٢٢ - إعداد الاساطيل بالبحر الاحمر لحملة الوهابية وقتل عسكر الكولهمان ٢٢٥ حرب الوهابية ٢٢٧ الاصلاحات والترقيات ٢٢٨ فتح سيوه ٢٣٠ انشاء المدارس ٢٣٠ فتح بلاد السودان ٢٣١

نظامات

صحيفة

نظامات الجيوش والمدارس العسكرية ٢٣٥ – حرب موره ٢٣٧ – احراق الدونمانبناوارين ٢٤٠ – تجديد الدونما المصرية وانشاء دار صناعة الاسكندرية ٢٤١ – الحروب الشامية ٢٤٤ – قوة محمد على باشا العسكرية فى العهد المذكور ٢٥١ – القوة البحرية فى عهد محمد على باشا ٢٥٢ – سفر ابراهيم باشا الاوروبا ٢٥٧

٢٥٨ ابراهيم باشا ابن محمد على باشا

٢٦٠ عباس حلمى باشا الاول – وفاة المرحوم محمد على باشا ٢٦٠ – الاعمال العسكرية فى زمن المرحوم عباس باشا ٢٦٠ – السودان المصرى فى العهد المذكور ٢٦١ – المدارس والمعارف فى عهد عباس باشا ٢٦٢ – الطرق الحديدية بالديار المصرية ٢٦٢ – حالة البحرية فى زمن عباس باشا الاول ٢٦٣ – مساعدة مصر للدولة فى حرب القريم ٢٦٣ – حركات الاساطيل المصرية أثناء الحرب المذكور ٢٦٤ – قتل عباس باشا الاول وسببه ٢٦٤

٢٦٦ محمد سعيد باشا ٢٦٦ – ثورة العربان بالفيوم ٢٦٧ – الاصلاحات فى العهد المذكور ٢٦٧ – غرق الامير أحمد ابراهيم باشا ٢٦٨ – السودان المصرى فى العهد المذكور ٢٦٨ – المدارس فى عهد سعيد باشا ٢٧٠ – البحرية فى عهد سعيد باشا ٢٧٠ – النظامات العسكرية فى عهد سعيد باشا ٢٧٣ – مساعدة سعيد باشا النابليون الثالث فى حربه مع المكسيك ٢٧٦ – الشروع فى فتح ترعة السويس ٢٧٧ – وفاة سعيد باشا ٢٧٨

٢٧٨ اسمعيل باشا – ٢٧٨ – زيارة السلطان عبد العزيز خان لمصر ٢٧٩ – المعارف فى عهده ٢٧٩ – ثورة أحمد الطيب فى قاو ٢٨١ – البحرية فى عهد الخديو اسمعيل باشا ٢٨١ – المجلس العسكرى البحرى ٢٨٨ – ايجاد ادارة البوسطة الخديوية ٢٩٠ – مصلحة البريد ٢٩٢ – بناء ميناء السويس واصلاح ميناء الاسكندرية ٢٩٢ – اصلاح الشرطة ٢٩٤ – مساعدة الخديو للدولة فى اطفاء ثورة العسير ٢٩٤ – مساعدة الخديو للدولة فى حرب الجبل الاسود وكريد ٢٩٥ – مساعدة اسمعيل باشا للانجليز فى حرب الحبشة ٢٩٨ – الاحتفال بفتح ترعة السويس ٣٠٠ – المحاكم المختلطة بالديار المصرية ٣٠٢ – تأسيس مجلس الشورى ٣٠٤ – الجيش فى عهد الخديو اسمعيل باشا ٣٠٧ – المصانع والمعامل الحربية وغير الحربية فى عهد الخديو اسمعيل باشا ٣١٣ – السودان فى عهد الخديو اسمعيل باشا ٣١٤ – فتح دارفور ٣٢٠ – فتح مدينة هرر ٣٢٣ – تجريدة نهر جوبا وجهات قسمايو ٣٢٦ – المشاكل مع الحبشة ٣٢٧ – حرب الحبشة ٣٢٩ – غوردون والسودان المصرى ٣٣٣ – الاكتشافات التى صنعها الضباط المصريون فى العهد المذكور ٣٣٨

صحيفة

- الامتيازات الخديوية وأميال اسمعيل باشا السياسية والمعاهدات التى عقدها مع الدول ٣٣٩ - مساعدة اسمعيل باشا للدولة فى حرب الصرب ٣٤٩ - مساعدة الخديو للدولة فى حرب الروسيا ٣٥١ - تنازل اسمعيل باشا عن الاريكة الخديوية ٣٥٤

٣٦٦ محمد توفيق باشا (الفصل التاسع عشر) أسباب ومقدمات الثورة العرابية والاحتلال البريطانى ٣٦٦ - قانون التصفية ٣٧١ - الحوادث العرابية ٣٧٤ - حادثة ١١ يونيه ٣٩٠ - الحرب والاحتلال ٣٩٧ - الاصلاحات فى عهد المرحوم توفيق باشا بعد الاحتلال ٤١٨ - المعارف فى عهد الخديو توفيق باشا ٤٤٠ - البحرية فى عهد الخديو محمد توفيق باشا ٤٤٥ - الجيش الجديد ٤٥٤ المدارس الحربية ٤٦٠ - السودان المصرى وحروب المتمهدى ٤٦٢ - ولاية عبد القادر حلمى باشا ٤٦٧ - حملة هكس باشا وهزيمته ٤٧٢ - واقعة سنكات ٤٧٧ - حملة بيكر باشا ٤٧٩ - عودة غوردون باشا الى السودان ٤٨١ - حملة الجنرال جراهم و واقعة الطيب وطماى ٤٨٥ - تشديد الحصار على غوردون باشا فى الخرطوم ٤٨٩ - حملة الانكليز على الخرطوم لتخليص غوردون باشا ٤٩١ واقعة جنس ٤٩٨ - احتلال ايطاليا المصوع ٤٩٩ - خلاص أمين باشا واخلاء مديريات خط الاستواء ٥٠٥ - باقى حوادث السودان ٥١٠ - واقعة سرس وحوادث سواكن ٥١٢ - حوادث ولد النجومى و واقعة طوشكى ٥١٤ - وفاة الخديو محمد توفيق باشا ٥١٨

٥١٩ خديوينا الحالى عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه - الفرمان الشاهانى ٥٢٢ - وزارة رياض باشا ٥٢٤ - زيارة الجناب العالى لدار الخلافة ٥٢٤ - زيارة الخديو المعظم بلاد الحدود ٥٢٨ - وزارة نوبار باشا ٥٣١ - وفاة الخديو الاسبق اسمعيل باشا ٥٣٣ - وزارة مصطفى باشا فهمى الثانية ٥٣٤ - اعادة فتح السودان ٥٣٧ - واقعة عطبرة ٥٤٠ - هزيمة التعايشى ودخول الجيش أم درمان ٥٤٣ - الكوليرا فى القطر المصرى ٥٥٥ - الاعانة العسكرية العثمانية ٥٥٦ - ردم خليج القاهرة ٥٥٧ - بيع بواخر البوستة الخديوية ٥٥٨ - الخزان ٥٥٩ - بيع أطيان الدائرة السنية ٥٦٣ - البنك الوطنى ٥٦٦ - (الفصل العشرون) البواخر المصرية والملاحة فى الوقت الحاضر ٥٦٦ - (الفصل الحادى والعشرون) القوة البرية بالديار المصرية ٥٧٢ طريقة الدفاع عن القطر المصرى ٥٧٢ - الطرق الحديدية ٥٧٧ القوة العسكرية المصرية ٥٧٨ نظام الجيش المصرى ٥٧٩ - طريقة جمع العساكر ٥٨١ - ترتيب الجيش ٥٨٢

(فهرست الفوائد والمطالعات الموجودة بأسفل الصحائف)

صحيفة

(حرف الالف)

٤٩٨ أبوك
١٥٨ أتابك
٤٢٧ الاتفاقية المنعقدة بين انجلترا والدولة بخصوص ارسال مندوبين عاليين لمصر
٥٦٤ اتفاقية بيع الدائرة السنية
٢٥٨ الاحكام الصادرة فى حق ضباط مدفعية سمندجهاد
٤١٣ الاحكام الصادرة فى حق عرابى ورفقائه
٤٤٩ أحمد حسين باشا
٣٧٤ أحمد عرابى باشا
٩١ اختلاف سنى التاريخ
٤٠٢ ارادة سنية الى أهالى القطر المصرى
٤٣٣ ارادة سنية الى رياض باشا
٣٨٨ ارادة سنية باعادة عرابى باشا الى نظارة الجهادية والبحرية
٥٢٠ ارادة سنية صادرة الى رئيس النظار باقرار النظار فى مراكزهم
٥١٩ ارادة سنية صادرة بجعل الاوقاف ادارة خاصة بذاتها
٥٣١ ارادة مولانا الخديو الصادرة للسردار يشكر فيها الجيش عقب عودة سموه من الحدود
٤٢١ استعفاء شريف باشا من الوزاره
٩٢ اسفنكس
٣٩٧ أسماء البوارج التى ضربت طوابى الاسكندريه
٢٤٣ أسماء قبودانات أسطول محمد على باشا
٢٣٨ أسماء قبودانات سفن الاسطول المصرى المرسل لحرب اليونان وعوده
٥٠٣ اسوبخابير
٥٠١ اعتراف ايتاليا بسيادة الباب العالى على سواحل البحر الاحمر
٣٧٧ أعضاء القومسيون المشكل لتنقيح القوانين العسكرية
٤٠٢ اعلان الموردوالسلى الى أهالى القطر
١٣٢ آمد
٣٥٢ أمر الامير حسن باشا الى راشد حسنى باشا بالعودة الحوارنه
٣٥٨ أمر الخديو الاسبق الى نوبار باشا بجعل الوزراء مسؤلة

صحيفة

٤٨١ أمر الخديو الى غردون باشا
٤٧٩ أمر الخديو لبيكر باشا
٣٩٤ أمر دولة انكلترا الى أميرال أسطولها بعياء الاسكندرية
٤٦٧ أمر عال بتشكيل نظارة للسودان
٣٦٤ أمر عال بقبول اللائحة الوطنية
٤٨١ أمر لوردغرنفيل الى غردون باشا
٢٣٨ أمر محمد على باشا الى محرم بك
٤٨٩ أمر نوبار باشا الامين باشا مدير خط الاستواء
٢٦٥ الامير الهامى باشا
٤٩٥ الامير حسن باشا
٤٣٢ انذار فرنسا والروسيا بالوعيد للدولة اذا صدقت على الوفاق الذى عقدته مع انجلترا
٣٥٥ أنواع الضرائب فى عهد الخديو اسمعيل باشا
٩٢ الاهرام
١٨ أوروزو

(حرف الباء)

٥٩ بارومتر
٣٩٣ البروتوقول الموقع عليه من معتمدى دول أوروبا فى الجلسة الاولى لمؤتمر الاستانة
٥٢٠ بلاغ نظارة الخارجية لعموم القناصل الجنرالية بتبوء مولانا الخديو الحالى مسند الاريكة الخديوية
٣ بلوتارك
١٩١ البنادق
٥٥٩ بواخر البوسته الخديوية
٤٥ البوصلة البحرية
٣٦ البوكرك
٣٧١ بونات عبد الحليم باشا
٤٠٤ بيانامة الباب العالى بعصيان عرابى واعوانه
٤١ بيرى ريس

(حرف التاء)

١٣٠ ترعة الاسكندرية
٥٩ ترمومتر
١٢٣ تروجه
٣٦٠ تصديق الخديو على لائحة التفتيش الاعلى
٣٧١ التصفيه

فهرست الفوائد والمطالعات الموجودة بأسفل الصحائف

صحيفة

٥٥٨ تعداد الانفس بالقطر

٢٨٥ تعريفات من الحوض العوام

٤٦٢ التعليمات لحكمدار السودان

٤٤٧ تقرير أحد محبي البحرية عن البحرية المصرية وقتها

٣٢٤ تقرير رؤف باشا عن فتح هرر

٢٨٩ تقرير محرر عن غرق قرويت الصاعقة

٣٤٦ تلغراف الباب العالى المعلن جلوس السلطان مرادخان الخامس

٣٥٠ تلغراف الباب العالى المعلن جلوس مولانا السلطان عبد الحميدخان على كرسى الخلافة

٥١٩ تلغراف الصدر الاعظم جواد باشا الوارد على رئيس النظار بمصر

٣٨٧ تلغراف فرنسا لوكيلها فى مصر

٥٣٨ تلغراف مولانا الخديو لسعادة السردار

٥١٨ تلغراف مولانا الخديو الوارد الى رئيس مجلس النظار بانه على اهبة الحضور لمصر

٥١٧ تهنئة الخديو للجنرال جرنفل والجيش عن واقعة توشكى

١٠٦ توسيديد

(حرف الجيم)

١٢٩ جامع طولون

٤١٤ جوابات عرابى باشا لمستر بلنت

١٨٩ جواب الاشرف قانصوه الغورى الى السلطان بايزيد خان

٥٢٥ جواب الحكومة على اعتراض مجلس شورى القوانين

٣٩٩ جواب عرابى باشا الى الخديو

٤١٨ جواب اللورد ولسلى بشكر سلطان باشا

٤٨٥ جواب المهدى الى غوردون باشا

٣٠٦ جواب النواب على نطق الخديو

١٤٨ جوسلين

٢٥١ جيوش محمد على باشا فى سنة ١٨٤١

(حرف الحاء)

٢٦٦ حسن باشا الاسكندرانى

١٤١ حمزة وزير الحاكم

٤٦ الحوض

صحيفة

١٢٣ الحوف الشرقى

٤٥٠ حسين شرين باشا

٤٥٤ حسين فهمى باشا

(حرف الخاء)

٥٠ خريطة

٣٠٤ خطاب اسمعيل باشا عند فتح مجلس النواب

٢٩٧ خطاب الخديو الاسبق اسمعيل باشا للعساكر المصرية فى حرب كريد

٣٥٣ خطاب الخديو الاسبق اسمعيل باشا لمجلس النواب

٤٣٥ خطبة رياض باشا فى مجلس شورى القوانين

٢٤٩ الخط الشريف الهمايونى المانح محمد على باشا ولاية مصر بطريق التوارث

٤٦١ خوجات المدارس الحربية

(حرف الدال)

٣١ الدبابات

١٥٥ دوج

٧٨ دينوكراتس

٩٠ ديودور الصقلى

(حرف الراء)

٣٢٣ رضوان باشا البحرى

(حرف السين)

٥٥ الساعات

٤٥٢ سرهنك بك البحرى

٤٥١ سفن الانجرارية

٥٣٣ سلاتين باشا

٢٨٤ سليمان حلاوة قبودان

٤٦٦ السنوسى

١٤ سقيوم

(حرف الشين)

٣١٦ المشارع فى السودان

٢٩٣ شروط اصلاح ميناء الاسكندرية

٤٥٧ شروط دخول الضباط الانكليز فى الجيش المصرى

(حرف الصاد)

٣٠٥ صورة امر اسمعيل باشا الى أعضاء مجلس الشورى

فهرست الفوائد والمطالبات الموجودة بأسفل الصحائف

صحيفة

(حرف الضاد)

٣٣٣ ضباط أركان حرب المعينين لرسم خريطة الحبشة

(حرف الطاء)

١٣٤ الطوفان

(حرف العين)

٤٧٧ عثمان دقنه

٢٤٦ عثمان نور الدين باشا أميرال الاسطول المصري

٢٤٨ عدن

٢١٥ عقد زواج عبد الله منو

٤٤٦ على بك شكري القبودان

(حرف الغين)

٣١٧ غوردون باشا

(حرف الفاء)

٣٦٨ الفرمان الطلطاني بتولية المرحوم توفيق باشا

٣٤٠ الفرمان السلطاني لاسمعيل باشا بتوارث الحكومة المصرية

٣٤٢ الفرمان الشامل لسائر الفرمانات الصادرة للخديو الاسبق اسمعيل باشا

٥٢٢ الفرمان والتلغراف المعلنين تبوأ مولانا العباس الاريكة الخديوية

(حرف القاف)

٤٤٩ قاسم باشا البحري

٦ القانجه

٣٧٢ قانون التصفية

٤٦١ قانون المدارس الحربية في عهد العرابيين

٤٩٤ قائمة غوردون باشا التعامل بها عوضا عن النقود

٣٩٣ قرار مندوبي الدول للباب العالي

٣٩ القلاوز

١٥٢ قلعة الجبل

٤٠٧ قول الجنرال ولسلي عن واقعة القصاصين

٥٥٢ قول ليوتار عن حملة مرشان

(حرف اللام)

٣٩٦ لائحة الاميرال سيمور للقناصل

٤١٨ لائحة انكلترا عن سياستها الجديدة بمصر

٣٩٢ لائحة الروسيا الى سفرائها لدى دول أوروبا بشأن المسئلة المصرية

صحيفة

٣٩٦ لائحة قناصل الدول الى الاميرال سيمور

٣٥٩ لائحة مجلس التفتيش الاعلى

٣٨٣ لائحة مصطفى عاصم باشا الى سفراء الدولة

٣٨٢ لائحة من قنصلي فرنسا وانجلترا الى توفيق باشا

٣٦١ اللائحة الوطنية بخصوص المالية المصرية

٤١١ لجنة التحقيق التي شكلت لمحاكمة العرابيين

٢٨٦ لطيف باشا البحري

(حرف الميم)

٤٢٩ محرر الدولة الانكليزية وصورة الاتفاق الذي جعل أساسا للمخابرات لحل المسئلة المصرية

٥٠٢ محرر اكرسبي بخصوص مصوع

٥٥٥ محرر ناظر الخارجية الى اللورد كروم

٢٤١ محرم بك البحري

٤٩٦ محمد احمد المتمهدي

٤٥٣ محمد أبن توفيق باشا

٢٨٦ محمد باشا الرودسلي البحري

٣٠٨ المدارس الحربية في عهد الخديو اسمعيل باشا

٢٧٩ مدارس الخديو الاسبق اسمعيل باشا

٢٣٠ المدارس في عهد محمد على باشا الكبير

٤٤١ المدارس في القطر المصري

٤٤٤ المدارس المستجدة في عهد الخديو محمد توفيق باشا

٤٤ المدافع

٦ المدرجات

٤١ مرادريس

٥٠٦ مستر ستنلي

٣٣٧ مصطفى باشا الطوسيه لى البحري

٤٥٠ مصطفى باشا العرب البحري

٢٥٢ مصطفى مطوش باشا

٢١٨ المعاهدة بين الفرنساويين والانكليز والعثمانيين باخلاء مصر

٤٠٧ المعاهدة بين الدولة العثمانية وانكلتره بخصوص عرابي

٥٣٤ معاهدة الرقيق المنعقدة الاخيرة

٣٤٧ معاهدة الرقيق مع دولة بريطانيا العظمى

٢٤٠ معاهدة محمد على باشا مع الدول لاخلاء مصر

٣٤٩ المعاهدة مع بريطانيا العظمى بخصوص سواحل الصومال

فهرست الفوائد والمطالعات الموجودة بأسفل الصحائف

صحيفة

٣١٩ المعاهدة المنعقدة مع سلطان زنجبار
٤٨٧ المعاهدة المنعقدة مع ملك الحبشة
١٣٠ مقياس النيل
١٨٤ مكتوب الاشرف اينال الى السلطان محمد الفاتح
٣٤٥ مكتوب الجنرال اغناتيف للخديو اسمعيل باشا
٢٩٨ مكتوب اسمعيل باشا الى تيودوروس ملك الحبشة
٢٩٥ مكتوب الخديو اسمعيل باشا الى أمير العسير
٣١٣ مكتوب الخديو اسمعيل باشا الى سلطان مراكش
٢٨٢ مكتوب الخديو اسمعيل باشا الملك زنجبار
٣٩٩ مكتوب الخديو الى عرابي باشا
١٥٥ مكتوب السباكيوس لصلاح الدين
٥٠٧ مكتوب ستانلي للمستر روس
٥٠٧ مكتوب ستانلي للسير وليم ماكنن
١٨١ مكتوب السلطان محمد خان الى المؤيد أبي النصر
٣٢٨ مكتوب ملك الحبشة للعساكر المصريه
٤٩٣ مكتوب المهدى الى عامل بحر الغزال بفتح الخرطوم
٣٢٠ مكتوب نابليون بونابرت لسلطان دارفور
٤٣٩ ملاحات القطر المصري
٣٦٦ منشور الخديو السابق محمد توفيق باشا للوزاره
١٥٠ منشور العاضد
٣٨١ منشور عرابي باشا للجيش والبحرية
٤٦٧ منشور المهدى

صحيفة

٤٨٤ منشور المهدى في حق عبد الله التعايشى
(حرف النون)
٤١٦ نشرة جمعية السلام الانكليزية عن المسئلة المصرية
٢١٠ نشرة نابليون على أهالى مصر
٩٤ نصيحة أحد الفراعنة لولده
٢٣٩ نطق محمد على باشا القبودان باشا
٥٢١ نطق مولانا الخديو عند افتتاحه الجمعية العمومية
٤٦ النظارة
١٣١ نهر ابي فطرس
(حرف الواو)
٢٤٢ ورش دار صناعة الاسكندرية
٣١١ ورقة التأمين التى كان يعطيها نابليون لاهالى مصر
٤٣٠ الوفاق بين انكلترا والدولة
٦٦ وفاق قنال السويس
٢٤٩ وفاق الاميرال نابير مع محمد على باشا باخلاء الشام
٢٢٥ الوهابيين
(حرف الهاء)
٤٧٢ هكس باشا
٩٠ هيرودوت
حرف الياء
٥٢١ يمين الطاعة الذى اقسم به الجيش
١٠٤ يوسيفوس المؤرخ

(بيان الخطا والصواب الواقع بهذا الجزء)

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٤٤٦	٢٢	محمد على	شيرجهاد
٥١٠	١	استانلى	أمين باشا
٥٧٢	١٢	فاضلع	فاضع

حقائق الأخبار عن دول البحار

الجـــزء الثانى

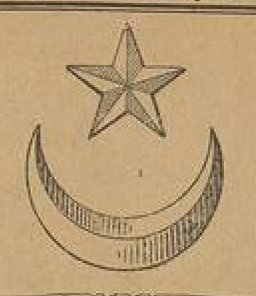
تأليف

(الميرالاى اسمعيل سرهنك ناظر المدارس الحربية)

(الطبعة الاولى)

بالمطبعة الميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣١٤ هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الاول)

(مقدمة فى الملاحة والبحرية فى الديار المصرية)

الفصل الاول

(الملاحة والبحرية عند المصريين القدماء)

اعلم أن ابتداء الملاحة عند المصريين يكاد يكون من الامور المجهولة بالكلية ومع ذلك فقد روى كثير من المؤرخين أن أول من صنع السفن بعد الطوفان هو منا أى مصرايم فى نحو ٥٠٠٠ ق م (٥٦٢٦ ق ﻫ) عندما دخل الديار المصرية وعمرت به وبعائلته ويؤيد هذا القول ان صح ماروا تقى الدين أحمد المعروف بالمقريزى فى تأليفه الشهير بالخطط (ص ١٩ ج أول) حيث قال ان قليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلامذته وركب معه فى السفينة وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض بين أولاده وكانت ابنة قليمون قد ولدت لبنصر ولدا اسماه مصرايم فقال قليمون لنوح ابعث معى يانبى الله ابنى حتى أمضى به الى بلدى وأظهره على كنوزى وأوقفه على علومه ورموزه فأنفذه معه فى جماعة من أهل بيته وكان غلاما مراهقا فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع مدينة وسماها درسان أى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان الى البحر فصارت هنالك زروع وأجنة وعمارة وكان الذى مع مصرايم جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا فى أرغد عيش ويقال ان أهل مصر أقاموا عليهم مصرايم بن بنصر ملكا فى أيام تالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح فملك مصر وهى مدينة منيعة على النيل وسماها باسمه ويقال إن مصرايم غرس الاشجار بيده وكانت ثمارها عظيمة بحيث تشق الاترجة نصفين فيحمل على البعير نصفها وكان القثاء فى طول أربعة عشر شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثلثمائة ذراع

طولا

طولا فى عرض مائة ذراع اهـ وقال غيره ان المصريين كانوا واقفين على أحوال السفن قبل أن ظهر فى اليونان أخبار سفينة الارغونوط التى كان المصريون يدعونها بسفينة ايسيس والارغونوط المذكورة مشهورة أيضا باسم ارغو ويقال عنها فى الميتولوجية ان مينرفة هى التى رسمتها وعلمتها لتسهل على الناس ركوب البحر وفى رواية أخرى ان هذه السفينة عبارة عن السفينة التى بناها ازاناوس ليهرب بها مع بناته من أخيه ايجبتوس وهى لدى الرومان عبارة عن سفينة بانوس ونقشوا صورتها على مسكوكاتهم وذكر بلوترخوس (بلوتارك) (١) أنها سفينة أوزيريس وقد شوهدت على بعض الكرات القديمة دالة على سفينة نوح عليه السلام فان صح ذلك كان مصرايم صنع السفينة الاولى على شكلها لانه فى مبدإ دخوله مع عائلته الى الديار المصرية لم يكونوا يعرفون ما فى صنع السفن من الأهمية الى أن ارتفعت مياه النيل فصاروا يبحثون على طريقة ينتقلون بها من مكان الى آخر فجمعوا بعض الاخشاب وربطوها ببعضها وصاروا يعبرون بها فوق نهر النيل وهى المسماة عند العامة بالرواميس (الرمث) ثم بعد ذلك أخذت صناعة السفائن تتقدم بين المصريين حتى أتقنوها خصوصا بعد اختلاطهم بقبائل وأقوام الكنعانيين والعبرانيين الذين كانوا قد خاطروا بالجولان بسفنهم داخل البحر المتوسط الابيض وباشروا الاسفار الطويلة فيه وهم المعروفون أيضا بالفينيقيين الذين امتازوا على سائر شعوب العصر القديم فى سلوك البحار واتقان صناعة السفن واتخذوا لهم على كثير من سواحل البحر المذكور نزلات تجارية وقال بعض المؤرخين ان الملاحة بديار مصر زادت أهمية من بعد ما أخضعت فراعنة مصر بلاد فينيقية التى كانت أساطيلها أشهر أساطيل العصر القديم تتجول فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر حتى ان سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام لما شرع فى اتمام بناء الهيكل المشهور بمدينة أورشليم فى حوالى سنة (١٠١٥ ق م) اهتم بزيادة أساطيله بميناء اسيونجابير (٢) (Asion - Gaber) الواقعة على ساحل البحر الاحمر وصار يسيرها من تلك الميناء بواسطة ملاحين من فينيقية لجلب الاخشاب والذهب والحجارة الثمينة من البلدان البعيدة حتى قيل انها أرسلت الى أرض أوفير وجلبت منها الذهب وان حيرام ملك صور ساعده فى بناء الهيكل المذكور وكانت أساطيله تنقل خشب الارز والصنوبر من السواحل القريبة من غابات لبنان الى فرضة يافا التى كان يسميها العبرانيون وقتئذ (جوبا) (zoppé) أى الظريفة وقال آخرون ان السفينة الأولى التى صنعها مصرايم بعد توطنه بديار مصر كانت على شكل سفينة نوح عليه السلام التى صنعها من خشب الساج وقيل من خشب الشمشاد وقيل أيضا انها كانت من خشب الصنوبر كما قاله المرحوم الشيخ الالوسى فى تفسيره الكبير المسمى روح المعانى وقال المشار اليه أيضا كان رأس

(١) بلوتارك Plutarque مؤرخ يونانى شهير ولد فى خيرونيا Chéronée من بيوتيا سنة ٥٠ ميلادية ودرس علومه بمدينة أثينا وساح ببلاد آسيا ومصر وكان معلما لادريانوس بمدينة رومية ولما عاد الى وطنه انتخبوه أمير المدينة أثينا وهو مؤلف كتاب شهير يسمى حياة عظماء الرجال يذكر فيه ترجمة كل واحد من اليونان بازاء آخر من الرومان ويقابل بينهما وقصده من ذلك أن يظهر ان اغريقية ليست أقل درجة من رومية ومات وله من العمر سبعون سنة

(٢) اسيونجابير سميت هذه المدينة فيما بعد برينيس وهى مدينة قديمة من بلاد العرب لا تزال اطلالها باقية للآن بين العقبة وقصر البدوى

الفلك كرأس الديك وجؤجؤها كجؤجؤ الطير وذنبها كذنب الديك ولها أبواب فى جنبها ومشدودة بدسر ومطلية بالقار وطولها كان ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وارتفاعها فى السماء ثلاثون وأخرج ابن جرير وغيره عن الحسن قال كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وصنع لها بابا فى وسطها واختلف فى المدة التى تم صنعها فيها ما بين ثلاث سنين وأربعين سنة وستين وكذا الموضع الذى صنعت فيه فقيل فى الكوفة وقيل فى الهند وقيل فى أرض الجزيرة وفى أرض الشام اﻫ

وقال بعض المؤرخين أيضا انه بعد ما انتشرت صناعة السفن فى الديار المصرية كثرت الملاحة بها فى داخل النيل ثم صاروا يخرجون بها الى البحر الملح وينقلون تجارتهم من مكان الى آخر فأخذت عند ذلك أهمية وصناعة السفن والملاحة تتزايد بين المصريين منذ نحو سنة ٤٥٠٠ قبل المسيح وقد أيد ذلك ماريت باشا مدير دار التحف المصرية فى تأليفه الذى ترجمه المرحوم أبو السعود أفندى المسمى فرجة المتفرج وقال أيضا حضرة الفاضل أحمد كمال بك فى تاريخه الشهير وغيره من المؤلفين أقوالا عن الملاحة والاساطيل عند المصريين نلخص منها ما يأتى

من تأمل الى النقوش البارزة الموجودة على جدران القبور والآثار القديمة الكائنة فى بربة ابيس المصور عليها صورة القوارب والزوارق المصرية التى كانت تستعملها القدماء يتضح له أن فن الملاحة فى نهر النيل كان معلوما من قبل ٧٠٠٠ سنة وقد قال المؤرخون ان خانوفرع (رعنوسر) الذى يسميه مانيتون رتورس سادس ملوك الدولة الخامسة التى كانت قاعدتها جزيرة أسوان (٣٤٣٣ ق م) هو أول ملك أتقن صناعة المراكب والفلك التى كان المصريون يستعملونها فى تلك الحقبة العصرية فلهذا ظهر أن المصريين كانوا من قبل ذلك بعدة عالمين طرق الاسفار فى البحار بطريقة تشبه الطريقة الجارى عليها العمل بديار مصر لغاية هذا العصر تقريبا وكانوا يستعملون الشراع والمجاديف فى سفرهم واذا صعدوا النيل كانوا ينصبون العمود المعروف عند الملاحين بالصارى ويشدون عليه قلعا عريضا مربعا لا على هيئة المثلث كالجارى فى عصرنا هذا نقول فيكون المصريون عرفوا استعمال الشراع فى سير السفائن بالالهام الالهى قبل باقى الامم البحرية القديمة ولعل أولئك الامم أخذوه عن المصريين أو عرفوه بعد ذلك من نقوش المصريين واذا انحدروا من أعلى النيل أنزلوا القلع ونكسوا الصارى واستعملوا المجاديف ويظهر أن الشراع المثلث اخترع فى مصر ليتلقف الريح من العلو وذلك بعد ما عمل حول شواطئ نهر النيل الجروف المرتفعة التى صنعتها القدماء لمنع طغيان مياهه عند الفيضان على الاراضى الزراعية المنخفضة فصارت تلك الجروف تمنع تأثير الريح على الشراع المربع المنخفض فالتزموا بالبحث عن شكل آخر فاخترعوا الشراع المثلث ويعلم من صور وأشكال السفن الصغيرة المصرية التى وجدت فى النواويس والقبور ضمن الآثار العتيقة أن مقاعد السفن التى كانوا يتخذونها على ظهر (كوكرته) السفائن فى ذلك العهد كانت مصنوعة فى وسطها لا فى مؤخرها وانها كانت ضيقة مستعرضة كما أن السفن كانت كذلك ومع هذا فقد كانت المسافة المتروكة فيما بين المقعد وما يسمى بجنب السفينة (الالابانده) متسعة اتساعا كافيا يسع الجذافين يعملون بمجاذيفهم ولم يكن المصريون فى ذلك الوقت يعرفون الدفة على الحالة المستعملة بالسفائن فى هذا العصر وانما كانوا يستعملون بدلا عنها مجدافا أو مجدافين أو ثلاثة مجاذيف ذات ألواح عريضة يربطونها فى السفينة بحبال لهدايتها الى حيث شاؤا هذه كانت

الحالة فى السفن المستعملة فى النيل أما السفائن المعدة للاسفار البحرية فقد كانت أكبر وأكثر صلابة من سفن النيل غير أن شكلها كان واحدا وكيفية استعمالها واحدة أيضا وأول سفينة حربية صنعت بالديار المصرية على ما نعرف هى السفينة التى استصحبها معه الوزير أونا الشهير عند ما أرسله الملك (مرنرع) الاول رابع ملوك الدولة السادسة الاسوانية (٣١٩٥ ق م) مع أسطول جسيم من مراكب وصنادل عادية الى بلاد آبيها والى جزيرة اسوان لجلب الاحجار اللازمة لبناء هرمه وناووسه ومن هناك أقلع الى بلاد حانوب الشهيرة بجودة الاحجار لاحضار سفرة حجرية كبيرة للمشروبات

وأمر الملك سعنخ كارع تاسع ملوك العائلة الحادية عشرة الطيبية (٢٥٠٠ ق م تقريبا) أحد كبار رجال دولته المدعو حنو بأن يبنى سفائن على البحر الاحمر ويتوجه بها الى بلاد العرب لاحضار الصمغ العطرى أى البخور الذى جمعه رؤساء الصحراء للملك نحو فامتثل فتوجه الامير المذكور من قفط براو معه ثلاثة آلاف رجل وصنع فى أثناء سيره محطات وآبارا ولما وصل الى الساحل أنشأ سفنا لنقل تلك المحصولات وكانت أشكال تلك السفن كأشكال سفن بحر النيل فلما تمت أقلع بها وقصد بلاد والك ومنها توجه الى رهان لجلب الاحجار النفيسة ولذا قال المؤرخون ان حنو هذا هو أول فاتح للطريق الموصل من قفط الى بلاد العرب وأول منشئ للسفائن المصرية فى البحر الاحمر ولما دعا الملك تحوتمس الاول الملقب رعاخبرن ثالث ملوك العائلة الثامنة عشرة الطيبية فى آخر مدته ابنته حع تاسو لتشاركه فى الحكم (١٦٩٠ ق م) وكانت حكومة مصر تحكم على بلاد الشام لان تحوتمس الثانى كان قد فتحها بغير حرب وصارت فينيقية تحت حكم مصر وازدادت الفوائد البحرية بالديار المصرية بعد أن كانت قليلة الاهمية للأوهام الدينية المانعة من السفر فى البحار وعزمت تلك الملكة بعد انفرادها بالحكم على الاستيلاء على بلاد بون وبلاد تونوتر لتوسيع ملكها بضم هذه البلاد الشهيرة بالاخشاب النفيسة والصمغ والعطريات والذهب والفضة واللازورد والحجارة النفيسة والمتاجر الاخرى فصنعت فى البحر الاحمر مراكب حربية وشحنتها بالجيوش وقادتها بنفسها ثم أقلعت بهم للقتال ببلاد بون المذكورة ويروى أنها استصحبت معها كثيرا من ملاحى الفينيقيين ولما وصلت الى تلك البلاد حاربت أهلها وانتصرت عليهم فكانت هى أول ملوك مصر الذين قادوا الاساطيل فى البحر الملح

وصورة هذه الغزوة البحرية منقوشة على جدران مبانى جهة القرنة بالمحل الذى يقال له الدير البحرى ومن نظر الى تلك الجدران يرى صورة كل سفينة بدقائق هيئتها وحقائق شكلها وكيفيتها بغاية الاتقان الظاهر للعيان فترى السفينة المصرية سائرة فى بحر ذى أمواج خضر وتشاهد فيه من أصناف الاسماك العجيبة وأنواع الحيوانات المائية الغريبة ما يخترق البحار من كل جانب ويقاوم قوة التيار وتشاهد السفن ذات الشراع وعليها جذافين منحنين على مجاذيفهم يساعدون سيرها وضباط جنود واقفين على أقدامهم هاجرين لذة منامهم فى حجرات منظمة على أطراف ظهر السفينة ولا يخفى خصوصا على الناظر فى ذلك المنظر الرائق حسن ترتيب كل سفينة ويرى أن مقدم السفن المصرية فى ذلك العهد كان مقطوعا على شكل قرمة قائمة كما فى النوع المسمى

بالقنجة (١) وهو مصبوغ بالازرق بحيث يتخيل للناظر اليه كأنه متخذ من حديد وانه قرن للسفينة معد للطعن به في جنب سفائن الاعداء (٢) ويرى في الرسم المذكور أن مؤخر سفائن المصريين كان ملتويا في غاية الظرف على شكل زهر السدر الذابل والسوارى كانت غليظة الجرم مركبة من قطعتين من الخشب متحدتين مجموعتين احداهما مع الاخرى بأربطة من الحبال وثيقة ويرى الناظر في أطرافها العليا بكرات لتسهيل ما يحصل فيهما من الحركات وعلى أحد جانبيها في الرسم خمسة عشر جذافا بمجاذيفهم يعملون ويجتهدون فيما هم به يشتغلون وبذلك يعلم أن بالجانب الآخر خمسة عشر مثلهم يعملون عملهم فيكون لكل سفينة ثلاثون جذافا ولا حاجة للكلام على ما يظهر للعيون من تلك الاشرعة العظيمة والقلوع الرائعة الجسيمة

واذا ساغ لنا أن نعتمد على ما يوجد من النسبة الصحيحة بين جرم الآدميين وأبعاد السفن المصرية المصورة على الجدران المذكورة صح لنا أن نقول بأن السفن المصرية كان لها من الطول بقدر قامة الرجل من البحارة المرسومة صورهم فيها ثلاث عشرة مرة أعني نحو ٢٢ مترا وتكون هذه السفن هي عين البوارج الحربية الكبيرة والسفائن العسكرية الشهيرة التي نقلت منذ أكثر من ٣٥٠٠ عام مضت جنود الدولة المصرية لشن الغارة على بلاد اليمن وقد علم كما لا يخفى من التأمل في هذه الواقعة البحرية أن سفن أسلاف المصريين في ذلك العصر لم تكن جسيمة القدر هذا وقد دلت صور مناظر أخرى كالرسم الذي نحن بصدد وصفه هنا كذلك موجودة على بعض أطلال ناحية القرنة على أن اسلاف المصريين كانوا ينشؤن من السفن الحربية ما هو أعظم والحاصل أن من تأمل في آثار أبنية جهة القرنة المذكورة يظهر له نموذجات كبيرة من سفائن قدماء المصريين ذات الشراع المنقوشة بجميع أنواع النقش المتنوعة ملونة بسائر ألوان الصبغ عليها من ستين الى سبعين جذافا وبها عدد كثير من الدواب كالبقر والحمير والقرود والاحمال المربوطة من أصناف البضائع وغيرها وعلى ذلك يقتضى أن تكون الدرجة التي بلغتها الصناعة البحرية عند الامة المصرية في ذلك العهد من أعلى الدرجات ولذلك مدح اليونان قوتها وبالغوا في الثناء عليها وقد ذكر المؤرخ اليوناني الشهير ديودور الصقلي أن فرعون مصر سيزوستريس (رمسيس الثاني) كان اهتم بأمر البحرية المصرية فشيد جملة سفن في البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط وبعث من البحر الاحمر من مينا القصير التي كانت تسمى قديما (فيلوتيراس أوأمان Philoteras ou Œman) اسطولا جسيما يزيد عن ثلثمائة سفينة حربية واستولى على سواحل هذا البحر وعلى جزائره ومدنه وثغوره وعلى جزائر بحر الهند وأرسل أيضا اسطولا مثله الى سواحل فينيقية فاستولى عليها وعلى كثير من جزائر بحر الارخبيل بعد أن هزم اليونان في عدة وقائع بحرية بينما كان يفتح الفتوحات الكثيرة في أواسط آسيا كما فتح في افريقية وكانت فتوحاته كما روى البعض أكثر مما فتحه اسكندر المقدوني الشهير

(١) وقد استعمل البنادقة هذا الشكل في سفنهم واستعمله أيضا العثمانيون في أوائل بحريتهم وكانوا يسمون السفينة التي على الشكل المذكور غاغجه باش

(٢) لا يبعد ان شكل مقدم المدرعات التي صنعت أخيرا أخذ من هذا النوع وجعل قرن المصادمة من أسفل خط الماء لان الرومان كانوا يصنعون سفنهم على ذلك الشكل ويجعلون القرن المذكور من أسفل ويرى على خط سطح الماء

وفى

وفى ابتداء عهد رمسيس الثالث أول ملوك الدولة الطيبية المتممة للعشرين قامت عليه البدو وهددوا شرقى الدلتا وخرجت عن طاعته ولايات الشام وأغار الليبيون على غربى المملكة فاستعد لحربهم فلما علم أهل آسيا الصغرى والجزائر اليونانية بهذه الثورات والحروب أرادوا الخروج عن طاعته فشنوا الغارة أيضا واندفعوا بجيوشهم وأساطيلهم على سواحل مصر فقابلتهم جيوش الملك وسفنه الحربية وحصلت واقعة هائلة بقرب مصب النيل الذى كانت فيه الاساطيل كحائط قد بنى بالسفن والمراكب الحربية والزوارق الغاصة من مقدمها الى مؤخرها بشجعان المقاتلين وانتهت بانتصار المصريين بعد أن أوقعوا باعدائهم وغرقت سفنهم وأموالهم وبعد هذا الانتصار وانقياد الثوار للطاعة أرسل الملك رمسيس فى البحر الاحمر سفنا الى بلاد العرب لجلب الخيرات منها الى مصر قال الفاضل أحمد بك كمال فى كتابه العقد الثمين نقلا عن ورقة هريس عن لسان هذا الفرعون انى أرسلت سفنا وأغربة فيها ملاحون عديدة وعمال كثيرة ورؤساء من الملاحين للمدد وكشافون وحساب لصرف ما يلزم لهؤلاء الخدمة من المؤنة وشحنت فيها أيضا كثيرا من الاشياء النفيسة وسارت السفن فى البحر الاحمر الى أن وصلت بلاد بون من غير أن يصيبها ضرر فشحنت الخدمة الاغربة والسفن من خيرات تونوتر (أى البقيع) ومن تحفها الى أن قال حتى ملؤا السفن بالاشياء التى لا تحصى عددا وأتى معهم أبناء رؤساء تونوتر بالجزية ووصلوا الى قفط سالمين ورست هنالك السفن بتلك الخيرات ثم حملتها الرجال والحمير الى مراكب النيل الراسية بميناء قفط اهـ وبعد ذلك أرسل هذا الملك تجريدات أخرى فى البحر الاحمر الى شبه جزيرة الطور فاخضعتها وأدخلتها ضمن أملاك مصر

وقال ديودور الصقلى أيضا ان شيزوستريس أنشأ على النيل سفينة كبيرة يبلغ طولها ما يعادل ١٤٠ مترا قال بلين أو بلينوس (١) أيضا ان أحد الملوك المعروفين بالبطالسة ولعله بطليموس الثانى أنشأ سفينة فى الطول كالقدر المذكور ومع كون مساحتها من الخشبة السفلى المركبة عليها المعروفة عند الملاحين بالقرينة حتى ظهرها الظاهر من أعلاها (الكورزيطه) يبلغ ٢٤ مترا وعليها أربعمائة بحار وأربعة آلاف جذاف ونحو ثلاثة آلاف جندى نعم ان هذه الارقام ربما كان فيها مبالغة غير أنها لا تزال تدل على أن الامم المعاصرين لاسلاف المصريين كانوا يحترمون البحرية المصرية وينظرون اليها بعين الاعتبار ولا يبعد ذلك لأن القوة البحرية المصرية فى عهد بطليموس الاول كانت أكبر وأعظم قوة فى العالم البحرى (٢٩٣ قم) لأن السفن التى كانت بدور صناعته كانت نحو ٣٥٠٠ سفينة بين كبيرة وصغيرة حربية وتجارية وكان له مزيد العناية بالفنون البحرية وعمارات السفن حتى كان عنوانه فى ديوان مقدونيا قبطان الاساطيل وقد ارتقت فى أيامه الملاحة المصرية وكثرت التجارة العمومية البحرية كما سنفصله فى محله

ومما يؤيد اهتمام الدول التى حكمت مصر بأمر الملاحة والبحرية أن فرعون مصر نيخاوس الثانى (٦١٢ قم) الملقب نخاو ابرع أحد ملوك الدولة السادسة والعشرين الصاوية اعتنى بأمر الاساطيل اعتناء زائدا عندما قصد أن يسترجع لحكمه بلاد الشام كأسلافه ليأمن غائلة

(١) كايوس بلين pline هو عالم من علماء الطبيعيات رومانى ولد بمدينة كوم سنة ٢٣ للميلاد وله تاريخ طبيعى مشهور ولا يزال العلماء يقدرونه حق قدره ومات فى قرب بركان وزوف سنة ٩٧

الاشوريين فانتدب لذلك كثيرا من المهندسين اليونانيين لبراعتهم اذذاك فى فن سلوك البحار وصناعة السفن وأوعز اليهم بانشاء المعامل البحرية لصناعة السفن وتغيير شكل المراكب المصرية القديمة الى مراكب حربية جديدة تسير بالمجاذيف والشراع على هيئة سفن اليونانيين المسماة بالاغربة فقاموا بتنفيذ أمره وشيدوا له الاساطيل القوية وبها تمكن من الانتصار على أعدائه واسترجع جميع الديار الشامية فاصبحت سواحل فينيقية خاضعة لامره وازدادت الاعمال البحرية فى الديار المصرية ثم تشبث بمشروع مهم لفائدة التجارة وهو معرفة محيط قارة افريقية والوقوف على مسالكها البحرية على وجه الحقيقة ولاشك أن هذا المشروع كان من أجسم المشروعات لأن رحلته البحرية أكبر رحلة عملت فى تلك الاعصار الجاهلية فاستخدم فى سفنه المصرية جماعة من الفينيقيين وأمرهم بأن يسافروا فى البحر الملح من عند خليج السويس ويتوجهوا نحو الجنوب فسافروا كما أمرهم ومكثوا فى سفرهم هذا نحوا من ثلاث سنين تتبعوا فيها السواحل وقطعوا بسفنهم تلك المجاهل حتى وصلوا الى رأس الرجاء الصالح ثم صعدوا الى الشمال حتى بلغوا بحر الزقاق أو أعمدة هرقل أو هرقول المسمى الآن بمضيق جبل طارق ومنه دخلوا الى البحر الابيض المتوسط حتى وصلوا الى بلاد مصر ورووا ما شاهدوه أثناء سفرهم وما ظهر لهم من الاماكن والمسافات وبذلك عملت سواحل افريقية وما حولها من البحار على وجه يقرب من الصحة مع ما كانت عليه الملاحة من الصعوبات فى ذلك العصر وزيادة على ذلك فان هؤلاء الملاحين كانوا يضطرون للاقامة بالسواحل مدة فصل الشتاء والزوابع ولما كانت سفنهم لاتحتوى على كمية الزاد الذى يلزمهم مدة سفرهم كانوا يبذرون بالاماكن الخصبة الحبوب التى يقتاتون منها وينتظرون نضجها وحصدها ثم يقلعون كما كانت هذه عادة الملاحين القدماء فى أسفارهم الطويلة وهذا لاشك يجعل الاسفار البعيدة محفوفة بالاخطار سيما وان القدماء كانوا يعتقدون أن الاقيانوس هو الحد الفاصل بين العالم المعروف وتقذف به حيوانات هائلة مع ضعف سفنهم ومعرفتهم القليلة بالاسفار البحرية وقلة تمرنهم على إدارة سفنهم الغير المحكمة البناء فلذلك لم يجسر أحد أن يبتعد عن طرف البر كثيرا واذا نظرنا الى ما كان عليه علم الجغرافيا وفن سلوك البحر فى ذلك العصر من الطفولية فلابد أننا نعجب غاية العجب من أن ملكا من ملوك مصر فى ذلك العصر أى قبل نحو ٢٥٠٠ عام من الدهر أمكنه أن يقوم بعمل جليل مثل هذه الرحلة التى لم يتيسر للامم المتأخرة أن تقوم بها الامنذ نحو ٣٨٥ سنة أى عندما قامت ملوك البرتغال وأرسلوا أساطيلهم تحت قيادة ماجلان وفاسكودوغاما لارتياد تلك الاطراف ومع ذلك يمكننا القول بأن البحرية المصرية إذا كانت نالت فى خلال تلك الحقبة العصرية قوة حركة ونشاط واهتمام كان أكثره فى البحر الاحمر لان قوتها فيه كانت أزيد بكثير من قوتها بالبحر المتوسط الابيض ولهذا اهتم أولا سيزوستريس ثم الملك نيخاوس بعمل ترعة توصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط الابيض لجمع أساطيلهما فى الجهة التى كانا يرغبان جعلها فيها لغزواتهم البحرية من جهة ولتسهيل التجارة من جهة أخرى وهى عين الفكرة التى قصدها بعدهما بطليموس الثانى الملقب فيلادلف الأأن الكل لم يتمكنوا من اتمام هذا المشروع العظيم بالطريقة التى قصدوها وهى توصيل البحرين ببعضهما مباشرة ولكنهم تمكنوا من اتمام عملهم الى الدرجة التى سنذكرها فى محلها وهى توصيل البحرين المذكورين ببعض ترع النيل وكان مشروعهم هذا من أعظم المشروعات

تسهيلا للتجارة والمنافع الحربية وهو الذى نفذه فرديننددولسبس فى عصرنا الحاضر وفتح ترعة السويس المالحة

والحاصل أن اهتمام الدول المصرية القديمة بأمر القوة البحرية والملاحة جعلتهم يقهرون أكثر الممالك المعاصرة لهم وتمكنوا بها من توسيع ممالكهم ومد نفوذهم على أكثر جزائر وبلاد آسيا والبحر الاحمر وافريقية وجزائر اليونان وسوريا ولما استولت الفرس على الديار المصرية انحطت قوة مصر البحرية واستبد عمالهم فيها بأنواع المظالم فكانت نيران الثورات مغطاة بستار الاستبداد ولما عين الملك ارطخشيارش من قبله أخاه اخيمينس والياً على مصر خلع المصريون طاعة حكومة الفرس قال تى سيديد المؤرخ ما معناه انه فى أيام هذا الوالى ظهرت الثورات (٤٧٨ ق م) فى أكثر جهات المملكة الفارسية فقام المصريون للتخلص من عبودية الفرس وانتخبوا ايناروس ابن بسامتيك ملكا عليهم وكان أميرا على مدينة ماريا وتعاهد مع اليونان وطلب منهم المساعدة بالاساطيل وكان لليونان فى وقتها جملة سفن حربية صنعوها فى جزيرة قبرص فأرسلوا له أسطولا مركبا من مائتى سفينة فدخلت النيل وحاربت الفرس فى عدة وقائع ولما وصلت مصر واقتتل الطرفان تمكن ايناروس من قتل اخيمينس نائب الفرس وفى أثناء ذلك هجمت السفن الاثينية التى كانت تحت قيادة الاميرال خاريتيميدس على السفن الفينيقية التابعة للعجم فاغرقت منها ثلاثين سفينة وأسرت منها عشرين ثم هاجم اليونان والمصريون منفيس وخلصوها من يد الفرس واجتهد ارطخشيارش فى التحيل على فصل جنود اليونان عن جنود مصر بمساعيه لدى مدينة اسبارطه فتمكن من مرغوبه وأعاد مصر الى قبضة الفرس ثانية وجعل سرطاماس الفارسى والياً عليها الا أن ملوك الدولة الصاوية لم تخمد همتهم فى طلب الاستقلال فكانت الحروب مستمرة مع الفرس ثم تعاهد الملك نفريتس الاول مع اسبارطه (٤٠٣ ق م) واستمر كل من الملك اخوريس ومن خلفه من ملوك الدولة المذكورة يحارب الفرس بمساعدة أساطيل اسبارطه الى أن انقرضت وقامت الدولة المتممة الثلاثين المعروفة بالسمنودية التى فى عهد ملوكها نقطانب الاول وطاخوس ونقطانب الثانى كانت مصر مركز حروب مع الفرس وأساطيل اليونان واسبارطه تمخر فى سواحل مصر ونيلها مشحونة بالجيوش لمساعدة المصريين على الفرس الى أن أفل نجم الفرس من مصر بظهور اسكندر المقدونى

وكان قدماء المصريين يصنعون سفنهم على أجناس مختلفة فسفن الاهالى تصنع بأقل كلفة عن سفن الملوك والأمراء والأعيان ووجوه الناس حتى ان الاهالى كان يمكنهم ان يميزها من بعد وتعرفها من شكلها ولمن هى السفينة بمجرد رؤيتهم لها قال العالم المصرى المرحوم على باشا مبارك فى صحيفة ٣٠ من الجزء الثانى عشر من الخطط التوفيقية ان سفن الملك وعائلته كانت مميزة عن باقى السفن بل ما هو خاص بالملك مميز عما هو خاص بعائلته وكانت سفن الامراء مميزة على حسب درجاتهم بحيث لا تشتبه بسفن العائلة الملوكية أو غيرها وكذلك سفن الاعيان وغيرهم وذلك لان سفن الملك كانت مركبة من أربع طبقات بعضها فوق بعض ارتفاع كل طبقة عشرة أقدام وكانت مذهبة من داخلها وخارجها ومزينة بجميع الصور والنقوش التى كانت فى المعابد وكان يشاهد بها التماثيل والهيا كل وصور الكواكب والبروج وكانت سفن الامراء ورؤس الجيوش وحكام المديريات

مركبة من ثلاث طبقات ارتفاع كل طبقة تسعة أقدام وكانت غير مذهبة جميعها بل كانت الالوان تتناوب مع الذهب فى الزينة لأجل أن تتميز عن سفن الملوك وكانت صورة المقدس ايريس ممنوعة منها لانها منقبة مختصة بالملك وسفن القسس وضباط العسكر والاعيان مركبة من طبقتين ارتفاع كل طبقة منها ثمانية أقدام وهى مزينة بأنواع الالوان وكان ممنوعا منها ادخال صورة المقدس ايريس والمقدس أوروس والسفن المستعملة فى نقل الاشياء التجارية وسفن عامة الناس مركبة من طبقة واحدة لجلوس المسافرين وليس فيها نقوش بل هى مصبوغة بلون بسيط لاغير والطبقة المذكورة هى عدة أو بعضها داخل بعض كأود السفن المسماة فى زماننا بالذهبيات وكان الموجود من أنواع السفن المذكورة كثيرا جدا حتى قال بعضهم انها تبلغ ثمانين ألف سفينة وكان جميعها يرى فوق النيل فى مدة زيادته وهذا فضلا عما كان يوجد من غيرها وكان أيضا كثيرا جدا وهو مخصص بباقى طوائف الاهالى اه

وقد يعلم شكل الزوارق التى كانت تستعملها قدماء المصريين فى النيل من الزورق الذى وجدته دار التحف المصرية فى تابوت والدة الملك أموزيس أول ملوك الدولة الثامنة عشرة وهو الآن من محفوظات دار التحف بالجيزة وهذا الزورق من الذهب الابريز تحمله عربة ذات عجلات من التوج وهو أشبه بالقوارب المعروفة فى الاستانة بالقايق أو بالقنجات المستعملة بمدينة البندقية والقذافون به من الفضة الخالصة وفى وسطه صورة شخص صغير الجسم بيده بلطة وعصا معوجة وفى مؤخر الزورق المذكور صورة ملاح يقبض على يدفة هى عبارة عن مقذاف ذى لوحة عريضة يدبر بها سير السفينة حسبما كان معروفا فى ذلك العصر وفى مقدمه صورة منشد قائم على قدميه ينظم عملية القذافين على توقيع المغانى وعلى القرب منه صورة طغراء الملك احيس او اموزيس داخل الخانة الملوكية كما هو المعروف

قالوا والسفن المصرية أنواع كثيرة ترى أشكالها من المرسوم منها على جدر الهياكل والمعابد كالمصور منها على حيطان معبد الكرنك ويرى من بينها سفينة لا ينقص طولها عن أربعين قدما ولما كانت السفن لدى المصريين يرمز بها البعض معتقداتهم الدينية كان منها نوع مقدس يخرجونه أيام المهرجانات والاعياد ويطوفون به فى موكب حافل وكان لكل معبد جملة منها ويصنع أغلبها من الخشب النفيس وأحيانا تكون من الذهب أو الفضة الخالصة وكانوا يجعلون فى وسط السفينة المقدسة مقعدا أو ناووسا يضعون فيه تمثال معبودهم ويسترونه بغطاء كبير وفى الاعياد العمومية كانت الكهنة تخرج من المعابد تحمل على أكتافها الواحا من الخشب عليها سفينة من تلك السفن المقدسة وورد فى الكتابات التى بالقاعة الكبرى ذات العمد بمعبد الكرنك ان الملك سيتى الاول و والد رمسيس الثانى أهدى للمعبود آمون رع سفينة مموهة بالذهب ومرصعة بالاحجار الكريمة ومصبوغة بالالوان الزاهية وكان فى مقدمها تمثال المعبود رع فكانت لجمالها تضىء كالشمس المشرقة واذا أتت مدينة طيبة هلل لها العالم استحسانا واكبارا

ومن السفن المصرية المحفوظة بدار التحف السفينتان اللتان وجدتا أخيرا بدهشور سنة (١٨٩٤ م) بجوار الهرم البحرى وكانتا مدفونتين فى الرمال ويظن أن دفنهما فى تلك البقعة كان بعد استعمالهما فى نقل جثة الملك أوسرتسن الثالث أحد ملوك العائلة الثانية عشرة (٢٤٥٠ ق م)

وهما من خشب السنط ويشبهان صنادل السفن الحربية الموجودة الآن وهما بغاية الاتقان وألواحهما مركبة على بعضها متقاطعة متخالفة فوق عيدانهما بمعنى ان الالواح الداخلية متجهة من قرينة السفينة الى حافتها والخارجية ممتدة فى اتجاه المقدم والمؤخر ويظن أن ذلك بقصد المتانة من جهة ومنع تحلب الماء من جهة أخرى وليس بداخلهما قاعدة لا فى وسطهما ولا فى غيره من فراغ الداخل وطول احداهما ١٢ مترا وعرضها متران وطول الاخرى عشرة أمتار وعرضها متر وأحد وثمانون سنتيمترا وليس بهما مسامير من الحديد أصلا لان المصريين لم يكونوا عرفوا الحديد فى ذلك العصر

﴿ الفصل الثانى ﴾

(الملاحة والبحرية فى عهد البطالسة)

كانت الملاحة والبحرية فى مدة دولة البطالسة التى قامت بعد اسكندر الاكبر (٣٢٣ ق م) أعظم وأشهر وأزهى أدوار البحرية فى مصر لانه بعد أن استقل بطليموس الاول الملقب سوطير باحكام مصر التى كانت وقتئذ من أعظم ممالك الدنيا اتخذ مدينة الاسكندرية قاعدة له وكانت هذه المدينة أصبحت مركزا لتجارة أوروبا وآسيا وافريقية تتردد عليها السفائن من أغلب ثغور البلاد المذكورة فاهتم بطليموس المذكور بأمر القوة البحرية كما اهتم بالقوة العسكرية البرية فشيد دور الصناعة فى كثير من ثغور مملكته حتى انه بعد قليل من الزمن صارت له قوة بحرية عظيمة بلغت أساطيلها أكثر من ٣٥٠٠ سفينة بين كبيرة وصغيرة فتمكن بها من حماية تجارته الواسعة وانتشرت أعلامه باطراف البحار وأضحت محترمة عند جميع الملل والدول وبقوته البحرية هذه تمكن من الاستيلاء على بلاد القيروان وجزيرة قبرص وازدادت بعد ذلك سفنه التجارية حتى بلغت نحو ثلاثة آلاف سفينة ولما وقع الخلاف بينه وبين دمتريوس ملك مقدونيه بخصوص السواحل الشرقية عندما هاجم دمتريوس المذكور بأساطيله سواحل آسيا يريد الاستيلاء على جميع البلاد الشرقية باتحاده مع أبيه انطيغونيوس (Antigones) اضطره الى التنحى عنها وحافظ على جزيرة قبرص بهمة أخيه منيلاس (Ménelas) وعلى أرض البقاع وفينيقية اللتين كانتا قد خضعتا له منذ مدة وجيزة وبواسطة انتصاره فى غزة على دمتريوس استرجع صور وصيدا بقوة أساطيله المصرية الا أنه فقدهما بعد ذلك عند انكسار كيلس أحد قواد عسكره فى ميونيا وليديا وبعد أن ساد السلام مدة وجيزة انتشبت نار الحرب ثانية (٣١١ ق م) وبقيت مدة طويلة بدون أن ترجح كفة النصر لاحد الفريقين وأخيرا لما قصد دمتريوس استخلاص جزيرة قبرص من يد البطالسة ساق اليها أساطيله المؤلفة من ١١٨ سفينة حربية وبعض سفن أخرى من أساطيل محالفيه فاسرع بطليموس لمساعدة أخيه حاكم قبرص وساق عمارة مشكلة من ١٤٠ سفينة حربية ومائتى سفينة مسطحة بها من الجنود اثنا عشر ألف مقاتل فتقابل الخصمان فى مياه قبرص وبعد حروب يطول شرحها تقابلت الاساطيل بجوار سلاميس وحصلت بينهما واقعة بحرية هائلة انتصر فيها دمتريوس وأفضت الى أن بطليموس فقد جزيرة قبرص ثم تبعه دمتريوس باساطيله الى مملكته الاصلية فقاومه ودفعه عن بلاده بعد أن أتلف أكثر سفنه ثم

بالنجدات القوية التى أرسلها بطليموس الى قبرص مع الاساطيل استحق أن يلقب بسوتير أى المخلص وهو اللقب الذى عرف به فى التواريخ وبعد ئذلما قام دمتريوس يريد الهجوم على آسيا ثانية بقصد الاستيلاء على جميع البلاد التى كان يحكمها أبوه ساق بطليموس أساطيله لمحاربة دمتريوس وأخذ سفنه الحربية ولما دخل باساطيله المصرية بحر اليونان وجد أن معاهديه من ملوك الطوائف كفوه مؤنة الحرب حيث كسروا دمتريوس فى معركة ابسوس التى قتل فيها انطيغوس وأسروا دمتريوس وسلبوا منه ولاية مقدونيه ثم مات فى أسره واكتفى بطليموس سوتير باسترجاع القيروان وجزيرة قبرص وقد وصف القبس أميرال الفرنسوى جوريان دولاغرافيير (Jurien de la Gravière) واقعة سلاميس هذه فى الجزء الاول من تأليفه عن بحرية البطالسة والرومان وصفا مطولا فقال ما ملخصه ان البحرية المصرية التى ابتلع خليجا كسيوم سفنها الاخيرة أخذت مدة البطالسة تتقدما وانتشارا كالظن عدم صحته اذا لم تكن قوة انكلتره البحرية فى الايام الحاضرة تؤيد ما يمكن أن ينتظر من أمة جعلتها تجارة الهند فى مقدمة الامم ثروة وقد ذكر كل من المؤرخين ايبان (Appien) وأتينيه (Athénée) الاساطيل البحرية التى كانت لبطليموس فيلادلف قال ايبان المذكور ان بطليموس المذكور كان لديه ألفا سفينة من النوع المعروف بالغالى وألف وخمسمائة طويلة من ذوات الثلاثة صفوف من المقاذيف وثمانمائة سفينة من النوع الكبير المسمى غانجه باش وأما اتينيه ان بطليموس المذكور كان يملك سفينتين بكل واحدة منهما ٣٠ صفا من المجاذيف وواحدة بها ٢٠ صفا وأربعة بكل واحدة ١٣ صفا واثنتين بكل واحدة ١٢ صفا وأربع عشرة سفينة بكل واحدة ١١ صفا وثلاثين سفينة بكل واحدة تسعة صفوف وسبعا وثلاثين سفينة كل واحدة بها سبعة صفوف وخمس سفائن بكل واحدة ستة صفوف وسبعة عشر على رواية وفى أخرى ٤١٧ سفينة بكل واحدة منها أربعة صفوف من المجاذيف و ٣٤ فى رواية وفى أخرى ٨٣٤ سفينة ببعضها ثلاثة صفوف وبعضها صفان وبعضها صف واحد وكان عند بطليموس هذا زيادة عن ذلك فى دور صناعته نحو أربعة آلاف سفينة تجارية كان يرسلها الى الجزائر حتى الى السواحل البعيدة من بلاد ليبيا وقال آخرانه كان يرسلها الى سواحل بلاد ليسيا (Lycie) وهى اقليم بآسيا كان اذذاك لملوك مصر

ومؤسس هذه القوة البحرية هو بطليموس لاغوس وقد كان يميل ميلا زائدا من صغر سنه للبحر وما يختص به حتى ان أخصامه كانوا يلقبونه بضربة بقبودان البحر وقد هزمت أساطيل هذا القائد الذى كان يحبه اسكندر ويوصف بمعرفته جيدا طرق الانتصار مع ذلك فى أول حرب بحرى لان سوء حظه أوقعه مع خصم عنيد كان قهره بمدينة غزة الا أنه انتقم لهزيمته فى مياه قبرص وهذا الخصم الحديث السن هو دمتريوس بن انطيغون أمير بلاد فريجيا وقد اشتهر دمتريوس هذا بمهارته فى حصار المدن بحيث انه لقب فيما بعد بآخذ المدن وقد ظن المؤرخ بلوتارك ان فى امكانه عمل مقارنة بين دمتريوس بوليوكريت وانطونيوس الرومانى الا انه مع ذلك يوجد بين هذين الشخصين الشهيرين فرق واضح فأولهما رجل بحر حنكته الوقائع وأما ثانيهما فكان لا يحسن الادارة كثير الاغلاط حينما يترك الارض وينزل فى سفينة وقد اجتهد انطيغون والد دمتريوس فى توسيع الولاية التى خصته عند تقسيم ممالك اسكندر حتى صار بعد زمن ملكا على آسيا وقد كانت جنوده كثيرة

متعودة على الطعن والنزال صادقة فى خدمته ولم يكن ينقصه غير السفائن ولقد كانت الاساطيل فى القرن الرابع قبل الميلاد تبنى بسرعة كأنها كانت تمحى وتزول كذلك وان الاساطيل التى كان جمعها اسكندر سابقا لم تكن الا أخشابا بالية بعد موته بقليل من السنوات

ولما عزم انطيغون على تشييد السفن أمر بقطع الاخشاب من غابات لبنان وطوروس وأمر بها فنقلت الى الشاطئ وأخذ صناع رودس وصيدا وبيبلوس وطرابلس فى العمل حتى انه بعد قليل ظهرت فى مياه كيليكيا عمارة مؤلفة من ٢٤٠ سفينة مقذافية ممتدة من خليج ابسوس الى الرأس المقدس ليست أساطيل أثينا فى جانبها الا عبارة عن زوارق وكان يوجد بين هذه السفن سفن ذات أربعة صفوف وخمسة صفوف وتسعة صفوف بل وعشرة صفوف من المقاذيف خلاف ١٣٠ سفينة ليس لها أسطحة (كوكرته) وقد أخذ انطيغون من أول الامر كقائد حقيقى من قواد اسكندر فى عمل الاعمال العظيمة ولما تم له بناء هذه الاساطيل جعلها تحت قيادة ولده دمتريوس وأرسلها لتحرير الاثينيين وفك رقبتهم من الخضوع الى كسندر وقد ساعدت المقادير دمتريوس لانه أراد اجراء عمل خيرى فتمكن فى بضعة أيام بمساعدة الرياح له من قطع المسافة البحرية التى تفصله عن بلاد أتيكه ولم يكن أحد لغاية هذا الوقت يفتكر فى وجود عمارة لانطيغون لهذا ظنت حامية بلدة مونيشى (Munychie) احدى ثغور أثينا قديما أن هذه الاساطيل هى لبطليموس ففتحت لها مدينة بيره فرضتها بلا تخوف وفى سنة ٣٠٦ قبل الميلاد تمكنت أثينا بمساعدة هذا المخلص من القاء نير عبودية كساندر ولفرحها بنوال حريتها أقامت تمثالين من الذهب لانطيغون ودمتريوس ولقبتهما بالقاب المعبودات المخلصة

ولما كان من يمتلك آسيا الصغرى أو مصر لا يمكنه أن يستغنى عن جزيرة قبرص كانت هذه الجزيرة من الملحقات التى يتنازعها على الدوام ملوك سوريا وملوك مصر ولذلك قامت الحرب بين دمتريوس و بطليموس وتلاقيا على الشاطئ الشرقى من هذه الجزيرة حذاء سلاميس وبالقرب من المكان المشيدة عليه الآن بلدة فاماغوسطه وقد كان منيلاس أخا بطليموس يحتل سلاميس وهى مدينة ذات فرضة عظيمة الاهمية وبهذه المدينة حكم سابقا ايفاغوراس (Evagoras) والتجأ اليها كانون بعد هزيمة اغوس بوتاموس ولما حاصر دمتريوس منيلاس أسرع ملك مصر وأتى بنفسه لمساعدة أخيه المحاصر وكان بمعيته عمارة مؤلفة من ١٤٠ سفينة حربية و ٢٠٠ سفينة مسطحة أنزل بها ١٢٠٠٠ من الرجالة وكان دمتريوس يمكنه أن يوجه على خصمه ١١٨ سفينة وما خلا الثلاثين شانية الاثينية التى لم يكن بها غير أربعة صفوف من المجاذيف كانت جميع سفن دمتريوس الاخرى تحمل على الاقل خمسة صفوف من المجاذيف وكان غالب سفائن الفينيقيين ذات سبعة صفوف من المجاذيف

وأخذ ضباط العمارتين فى تصفيف سفنهم للقتال وأخذ الكهنة فى العمارتين يتضرعون الى المعبودات بنوال النصر وكان الجنود يؤمنون على دعواتهم باصوات عالية فعند ذلك أدرك كل من دمتريوس و بطليموس أن الحرب ستكون هائلة دموية وروى ديودور الصقلى أن قلبيهما كانا يخفقان بشدة ولم يكن يفصل العمارتين عن بعضهما الا مسافة قليلة تبلغ خمسمائة متر وعلى هذا البعد كانت الاساطيل تنقض على بعضها عادة ولما استعدت العمارتان أمر دمتريوس رئيس

اشاراته برفع الترس المذهب فوق رأسه ولما رأى جنود العمارة ذلك ضجوا وهللوا وفرحوا وأخذت الابواق في سفن بطليموس تصفر للحرب وصرخت الابطال تطلب النزال بحيث اهتزت جوانب الكون الاربعة ولقد كانت الحرب في الشواني بذلك الوقت متشابهة ولم يعد في الامكان استعمال قرون السفن بالمهارة والرشاقة التي كان يستعملها بها الاثينيون وسواء كان المتحاربون هم من أمثال دوريا أو بارباروس أو داندالو أو بيزان أو روجيردولوريا أو برنس سالبرن أوخلفاء اسكندر الاكبر فالحرب أحوالها واحدة فيبتدأ أولا بالترامي بالنبال والسهام والاحجار أو بالمقذوفات بعد اختراع الآلات الناريه ويعقب ذلك سريعا وبلا تعبية تصادم أجسام الرجال والالتحام وتلاصق السفن واستعمال الاسلحة البيضاء في مدة الاختلاط الدموي وكان المتقاتلون كصارعين اشتدت بهم الحمية وشرهت نفوسهم الى شرب الدماء فلم يكونوا كبحارة اليوم يجتهدون في استعمال كل أنواع التعبيات الدقيقة العلمية الممكنة كما يشاهد في الحروب البحرية الآن وكيف كان يتأتى لهم ذلك وهم على تلك السفن الضخمة الغير المنتظمة التركيب وكان دمتريوس واقفا على مؤخر سفينته ولما أحاطت به الاعداء أخذ يطعن بعضهم برمحه ويضرب الآخر بسيفه وكان يتقي النبال التي تقذف عليه اما بأن يحيد عنها يمنة أو يسرة أو يتلقاها على درقته وقد قتل ثلاثة من مقدميه كانوا بجانبه وكسرت المقاذيف وسحبت السفن يتبع بعضها بعضا مربوطة بالمخاطيف الحديدية وفي تلك الاثناء غرق كثيرون وسقط كثيرون في قاع السفن واحمرت ساحة القتال بامواج الدماء وتغطت بالانقاض والاعضاء بحيث أصبحت تشبه مجزرة

واعلم انه بزوال الشواني من بين الاساطيل في هذه الايام انعدمت المحاربات الدموية التي ليست واقعتا أبوقير والطرف الاغر الا كناوشات لها ثم ان دمتريوس نجح في تشتيت شمل الجناح الايمن من العمارة المصرية ثم صار هذا النجاح الاولى نجاحا نهائيا ولما كانت النصرة لبطليموس في جناحه الايسر سعى على غير فائدة في ارجاع القتال الى حالته الاولى الا أنه رأى بعد ذلك بقليل سفنه منهزمة تبحث عن سلامتها في الهرب وتقع الواحدة بعد الاخرى في قبضة عدوه فعند ذلك لم يبق له الا طريقة واحدة يستعملها النجاته فابتعد عن سفن الاعداء بكل قوة مجاذيفه حتى تمكن من الوصول الى فرضة سيتيوم (Citium) [1] ولم يتعطل من سفن دمتريوس الا نحو العشرين واستولى من خصمه على أربعين سفينة طويلة ومائة سفينة نقلية عليها نحو ثمانية آلاف من الجنود المصرية وسحبت سفنه ثمانين سفينة متخربة تركها بحارتها وقادتها الى الشاطئ حيث معسكره ولما رأت سلاميس ما فعله هذا القائد قدمت له طاعتها ويظهر أن الطبيعة أوجدت أهل مقدونيه لكي يقيسوا قوتهم مع جنود دو يليوس عند محاربته لقرطاجنة وقد وجدوا من جنود أوكتافيوس أخصاما أشداء أقوياء ولما خضع العالم لرومية أتى وقت أمكنها فيه أن تعرض للفرق العسكرية الموجودة بهذه السفن الضخمة التي خلدت ذكر انتصار سلاميس فرقا أخرى على سفن أكثر سرعة وخفة بحيث كان يمكن الظن بان سفن الاثينيين ربما تعود الى الوجود ثانية وكان يمكننا أن نشاهد على البحار تقدما جديدا في البحرية اذا لم يصر أوكتافيوس امبراطورا ويغلق مدة عدة قرون ولاول مرة أبواب هيكل جانوس اهـ

(١) سيتيوم مدينة وثغر قديم بجزيرة قبرص على الشاطئ الجنوبي الشرقي منها وكانت للفينيقيين وتسمى الآن شيتي

وكان

وكان لبطليموس الاول المذكور شغف واهتمام زائد بأمر التجارة البحرية فانشأ للسفن منارة الاسكندرية بجوار الميناء البحرية لتهتدى بها عند قدومها على السواحل المصرية فزاد بها فوائد السياحات والملاحة ولزيادة عنايته بالفنون البحرية وعمارات السفن لقبه دبوان مقدونيه بقبودان الاسطول كما تقدم وقدا كتسبت مدينة الاسكندرية فى عهده ثروة وافرة من المعاملات البحرية وبقوة أساطيله وسع بنوه أملاك مصر فصار لها مملكة القيروان وسواحل الشام وبلاد العرب المجاورة لمصر وجزيرة قبرص وجزائر بحر الروم وأغلب سواحل الاناضول الجنوبية وبعض سواحل الروم ايلى وذكر بعض المؤرخين أن مصر فى أيامه كان فى وسعها الحصول على مائتى ألف من العساكر المشاة وأربعين ألفا من الفرسان وثلثمائة من الافيال الحربية وعلى ألفى عربة مسلحة بالمناشير والمناجل وكان بمخازن مملكته ٣٠٠٫٠٠٠ طقم مجهزة من الزرد خلاف قوته البحرية السابق ذكرها ومع الصرف على هذه القوة الجسيمة كان يبقى فى خزينته كل سنة من الايراد السنوى ماقيمته ٥٠٠٫٠٠٠ من الدنانير المصرية ولما أراد اعتزال الاحكام فى آخر أيامه أجلس ابنه فيلادلفوس على التخت (٢٨٥ ق م) وكان صبيا ولقبه ببطليموس الثانى وصار برشده وبدربه على الاحكام ثم مات بعد سنتين من ذلك ولما استقل بطليموس الثانى بالمملكة سار على سياسة والده من تقوية البلاد وتوسيع التجارة وتوطيد العلاقات مع الدول المعاصرة له فوسع نطاق العلوم والمعارف والتجارة والملاحة ومد الاسفار البحرية الى كثير من الجهات وأوجد أساطيل عظيمة فى البحر الاحمر أرسلها لاكتشاف طرق البحار فاكتشفت البلاد التى على سواحل بحر فارس وسواحل الحبشة وجزيرة العرب وبحر الهند وغيرها كما سيأتى مفصلا فى تاريخه وأرسل جملة سفائن الى الممالك الهندية والمشرقية وكانت سفائنه تقلع من ميناء القصير التى كانت مورد تجارة بلاد النوبة والعرب والعجم والهند وغيرها واستمرت القوة البحرية فى زهوتها مدة دولة البطالسة تقريبا ففى زمن بطليموس الثالث الملقب وبرجيطه أوافرجيت كان ملك الشام انطيوخوس متزوجا ببرنيقة أخت بطليموس المذكور فلما هربت قبض عليها سيلوقوس الثانى ملك الشام وقتلها وقتل ابنها فقامت بذلك حرب بين مصر والشام وقاد بطليموس المذكور الجيوش بنفسه وتقدم بها الى الشام وسير الاساطيل الحربية فاستولت على سواحل الشام والاناضول وحازت شهرة عظيمة وفى عهد بطليموس الرابع المعروف بفيلابوطور اشتعلت الحرب ثانية بين مصر والشام (٢٢٢ ق م) وكان لملك مصر وملك الشام سفن حربية تساعد الجنود البرية فتلاقيا فى جهة صيدا ولما كانت القوة البحرية متكافئة لدى الطرفين لم تستظهر احداهما على الاخرى الا أن الجنود المصرية انتصرت فى واقعة رفح (رافيا) واستولت على كثير من المدن وتم الامر بعد ذلك بعقد هدنة لسنة واحدة وفى عهد بطليموس الخامس الملقب ابيفانوس (١٩٧ ق م) ضعفت المملكة المصرية لسوء تصرفه فلاحت لملك الشام فرصة الانتقام من واقعة رفح السابقة الذكر وعقد معاهدة مع فيلبش ملك مقدونيا وهجم فيلبش باساطيله وجيوشه على جنق قلعة وبوغاز كليبولى وعلى بلاد الروم ايلى وكان فيهما من عهد فيلادلفس حاميات مصرية وربا طات عسكرية وهجم ملك الشام على أملاك مصر بالديار الشامية وجهات الاناضول فساقت مصر الاساطيل وانتصرت على ملك الشام نصرة عجيبة على سواحل الشام ثم انهزمت الجيوش المصرية فضاعت بذلك جميع البلاد التى كانت لمصر فى الاناضول وبعد ذلك بزغ

نجم الدولة الرومانية فى تلك الاطراف وتعاهد الرومان مع مصر ولما صعد بطليموس السادس (١٧٥ ق م) الملقب فيلو باطور أعاد ملك الشام انطونيوس الخصام مع مصر ولم يمكن للرومان مساعدة بطليموس المذكور فانهزمت جيوش وأساطيل مصر هزيمة منكرة وبعد أن استولى ملك الشام على أكثر ما كان لمصر بسواحل الشام وجزيرة قبرص دخل انطونيوس مصر وأسر بطليموس ثم قامت بعد ذلك الفتن بين العائلة البطليموسية الى أن استتب الامر لبطليموس الثامن وأخذ يسلك مسلك أسلافه فى احياء شأن الدولة فقوى الاساطيل واهتم بأمر زيادة التجارة وسير بعثة علمية على اسطول مصرى من البحر الاحمر للاستطلاع على أحوال البحر المحيط الهندى تحت رياسة القائد هودوشيش القوزيقى وكان هذا الرئيس جسورا على اقتحام أسفار البحار يحسن الارصاد الفلكية فطاف حول افريقية فى هذه السياحة ووقف على ما فى البحر الهندى من الجزائر والبلاد وكانت هذه أول سفرة سافر فيها المصريون لمثل هذا العمل الجليل الذى كان المرشد الاول للبرنس هنرى ولى عهد يوحنا الاول ملك البرتقال فى مشروعاته البحرية التى شاد من أجلها أول مدرسة بحرية فى بلاده ولكن هذا البرنس لم يعش حتى يحصد أثمار مطالعاته التى قام بها مشاهير ملاحى البرتقال فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى كما ذكر

أما من تولى بعد ذلك من ملوك البطالسة مثل بطليموس التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر فانهم كانوا قد تولوا جميعا فى حداثة سنهم فتركوا أمور المملكة فى يد أوصيائهم يديرونها حسب أغراضهم ولم يلتفتوا الا الى اللذات والشهوات فابتدأ حينئذ الاختلال فى المملكة وسقطت شوكتها البحرية وصارت الاساطيل لا تأتى من الاعمال ما يستحق الذكر فطمع فى الديار المصرية جيرانها من دول البحار واستمرت الحروب مع ملوك الشام بدون انقطاع تقريبا فالتزموا بأن يوسطوا دولة الرومان فى الخلاف بينهم وبين أعدائهم من هؤلاء الملوك لان دولة الرومان كانت هى الدولة صاحبة السطوة فى الوقت المذكور لها الكلمة النافذة على جميع ممالك البحر المتوسط الابيض وبذلك زادت مداخلة الدولة الرومانية فى الاحوال المصرية سيما بعد أن ملكت كليوبطره ابنة أوليتس وكانت آخر البطالسة وفى أول أمرها نازعها أحد إخوتها الملك وتحزب معه الاهلون فاستنجدت بالرومان فساعدها يوليوس قيصر وأعاد لها الملك الى أن خلا لها الجو واتفق فى سنة (٣٦ ق م) أن انطونيوس واكتافيوس القائدين الرومانيين كانا فى حرب مع ماركوس بروتس فأمدت كليوبطره بروتس المذكور بعمارة بحرية مصرية فبلغ انطونيوس ذلك وهو فى طرسوس ولما كان فعلها مخالفا للمعاهدات استدعاها انطونيوس الى طرسوس للمحاكمة فركبت نهر قرهصو على سفينة جميلة مزخرفة بالذهب ومجاذيفها من الفضة يخرج منها عند التجذيف أصوات موسيقية مطربة وكانت كليوبطره من أجمل النساء فلبست أفخر ما لديها من اللباس الثمين وجعلت حولها الجوارى فى أحسن ما يكون من الزى والترتيب ونشرت الاعطار النفيسة بالسفينة ولما بلغت طرسوس وشاهدها انطونيوس شغف بها ولم يعد يخالف أمرها فأصدر الحكم كما شاءت وعادت الى مصر منصورة وبعد قليل لحقها انطونيوس فاكرمت مثواه ولقبها بملكة الملوك ودعا ابنها قيصرون بذلك أيضا وشرع فى تنفيذ مقاصد كليوبطره حيث كانت التمست منه أن يضيف الى المملكة المصرية جميع مدن السواحل الشرقية الواقعة على

بحر

بحر سفيد لتوسيع ملك مصر وان يضيف الى مصر أيضا جزيرة قبرص وقسما من الاناضول وبلاد يهوذا الموصوفة بالبلسم فى تلك الازمان وكذا بلاد العرب والحجاز الموصلة الى بحر الهند لتعيد بذلك مجد التجارة الى الاسكندرية التى كانت تجارتها أخذت تتلاشى ولقد أخذ الغرام بقلب انطونيوس مأخذا أنساه واجباته نحو وطنه ولم يعد يفتكر بأن عمله هذا مضعف لمصالح الجمهورية الرومانية

ولما عرض أوكتافيوس الرئيس الثانى ملحوظاته عن أعمال انطونيوس على مجلس الجمهورية الذى كان بمنزلة محكمة عليا حكم المجلس بعزل انطونيوس من رياسة الجمهورية واشهار الحرب على ملكة مصر (٣٢ ق م) وقاد أوكتافيوس الجيوش والاساطيل الرومانية البالغ عدد سفنها ٢٥٠ سفينة ولما استعد انطونيوس لملاقاة خصمه أقلع بخمسمائة سفينة من أساطيل آسيا وأساطيل البطالسة التى أمدته بها كليوباتره وكان القائد عليها من طرفها دمتريوس بوليوكريت (Démétrius Poliorcète) قال العلامة المرحوم رفاعه بك فى الجزء الاول من كتابه أنوار توفيق الجليل صحيفة ٢١٨ ما يأتى ملخصا انه استعد كل من الفريقين للحرب وخرجت كليوباتره للغزو وصحبت معها انطونيوس الى محل الواقعة البحرية وهو مدينة أكسيوم التى هى مدينة أزبو (ارطه) بساحل الروم ايلى وأمدت كليوباتره أنطونيوس وحزبه بمائتى سفينة بحرية واجتهدت فى احياء همة الجنود ونشاطهم لكى تنتصر على أوكتافيوس ويكون انتصار السفن المصرية عائدا عليها بالمجد والفخار فجعلت مدار الحرب على جنودها البحرية لتغلب خصمها بجنودها فحصل القتال بين سفن الرومانيين والسفن المصرية وكانت الحرب بينهما سجالا فلم ينتصر أحد الفريقين على الآخر انتصارا قطعيا حاسما للنزاع فبينما الامر كذلك اذ سارت ستون سفينة من سفن كليوباتره بقوة المجاذيف وانفصلت من بين سفن أنطونيوس وهربت صوب جزيرة مورة وفيها الملكة كليوباتره هاربة من القتال فارة من مضمار النزال إما لان الحرب أفزعها والطعن والضرب روعها فخافت على نفسها من الهزيمة التى عاقبتها ذميمة أو أنه حصل بينها وبين أوكتافيوس اتفاق سرى ودسائس مكتومة ومواعدة بينه وبينها فغدرت بقرينها حيث وجدته قرين سوء فلما رآها انطونيوس قد أدبرت ولى مدبرا وراءها إما جبنا منه أو اقتفاء أثرها لتعلقه بها وعدم قدرته على فراقها وبالجملة فقد هرب كل منهما الى مصر فاقتفى أثرهما أوكتافيوس وسلمت اليه كليوباتره مدينة فرما التى هى مفتاح الديار المصرية وأرادت بهذه الخيانة أن تتحبب اليه حتى ينتهى الحال بها أن تنتصل من انطونيوس وكان انطونيوس لسوء حظه يعتمد على أمانتها ولا يخطر له ببال أنها سلمت مدينة فرما قصدا ولو قيل له ذلك لا يصدقه لاسيما وأنه فى يوم وصول أوكتافيوس أمام مدينة فرما كان انطونيوس دخل الاسكندرية وأطلع الملكة على دفتر العساكر الذين حاربوا معه وامتازوا فى الواقعة وفى اليوم الثانى من دخوله الاسكندرية خانته العربان وتحزبوا عليه مع خصمه وانفصلت عنه العساكر المشاة وانضمت السفن المصرية الى سفن قيصر ون ولاشك أن هذه فعلة كليوباتره لانها جردت أنطونيوس من جميع الجنود حتى من السفن البحرية اه ثم عمدت كليوباتره بعد ذلك الى الحيلة فاختفت نفسها وكل أمتعتها وأشاعت أنها ماتت ولما علم انطونيوس بذلك لم يعد يهوى الحياة بعدها وأمر أحد عبيده بأن يقتله الا أن العبد لما رفع السيف

وهم يطعن سيده لم تسمح نفسه بذلك بل طعن به ذاته فخر قتيلا ويقال ان انطونيوس لما رأى ذلك خجل وتناول خنجراً وطعن به نفسه فمات وبعد ذلك استولى أوكتافيوس على مدينة الاسكندرية ولم تنل كليوباتره ما كانت تظنه وقتلت نفسها كما سيأتي مفصلا في بابه وانقرضت دولة البطالسة واستولى الرومان على مصر وأساطيلها

قال الويس أميرال جوريان دولاغرافيير بعد أن شرح واقعة أكسيوم شرحاً عسكرياً بحريا ان واقعة أكسيوم مكثت أربع ساعات قتل فيها كما رواه بلوتارك نحو خمسة آلاف رجل وتلك خسارة ضعيفة بالنسبة لاساطيل عديدة كالتي كانت بأكسيوم وبالنسبة ليوم حاز هذه الشهرة وروى آخرون ان مدة القتال استمرت ١٤ ساعة قال من روى هذا الخبر ان القتال ابتدأ الساعة الخامسة صباحاً وانتهى في الساعة السابعة مساء ولم تحدث واقعة بحرية طال زمنها كهذه الواقعة الا القليل وقد قدر المؤرخ أوروزو (Oroso) (١) ما فقدته أساطيل انطوان فقط باثنى عشر ألف قتيل وستة آلاف جريح ومن المحقق أن ثلاثمائة سفينة سلمت الى أوكتافيوس في اليوم الثاني من سبتمبر (٣١ ق م) وبعد ذلك بسبعة أيام سلمت أيضاً جنود كانيديوس الى أوكتافيوس وبينما كانت بلاد اليونان التي تخلصت من ثقل نير العبودية تصفق استحساناً لانتصارات أوكتافيوس ذهب انطونيوس ونزل ببلاد ليبيا أما كليوباتره فانها استمرت سائرة نحو مصر ولسوء حظ انطونيوس تخلى عنه جميع أتباعه من قواد وحكام وجنود وأخذوا ينفصلون عنه الواحد بعد الآخر ويتركون دعوته وفي تلك الاثناء كان أوكتافيوس وصل الى سوريا ثم توجه انطونيوس الى مصر اهـ

(الفصل الثالث)

البحرية عند الرومان

سبق ذكر البحرية عند الرومان بالجزء الاول ومع ذلك فقد رأينا من المفيد والمهم أن نذكر هنا ملخص ما قاله الاميرال (١) جوريان دولاغرافيير في الفصل الثالث والسادس من الجزء الاول من تأليفه عن بحرية البطالسة والرومان لاشتماله على بعض معلومات لم نذكرها فيما تقدم قال اعلم أن الرومان لم يكن لهم ذكر في البحار قبل الحروب البونيقية الا أنهم لما اضطروا للبناء الاساطيل أخذت قوتهم تترقى في البحار شيأ فشيأ عندما شرعوا في حروبهم الاولى مع قرطاجنه خصوصاً في زمن القناصل ماركوس (Marcus) واتيليوس (Attilius) وريكلوس (Regulus) ولوسيوس (Lucius) ومانيلوس (Manlius) وصار لهم الشأن الاول بعد الواقعتين البحريتين اللتين حصلتا في اكنوم (Ecnom) (٢٥٦ ق م) وفي جزيرة اجادس (Œgades) (٢٤٢ ق م) حيث انتصرت فيهما أساطيلهم على أساطيل قرطاجنه وكانت التجريدة الاولى تحت قيادة ريكلوس ومانليوس والثانية تحت قيادة القنصل لوتانيوس ولما قوي أمر الرومان في البحار تمكنوا بأساطيلهم العديدة من مد فتوحاتهم بآسيا وافريقية وأكثر جهات أوروبا وغيرها وصار أكثر ثغور البحر المتوسط الابيض يخفق عليه علمهم وبعد انتصار أوكتافيوس على أنطونيوس وكليوباتره في واقعة اكسيوم كما سبق استولى الرومان على أساطيل البطالسة والقطر المصري وصار أوكتافيوس رئيساً لمجلس الجمهورية ثم تلقب بلقب امبراطور وأخيراً دعي اغسطس

(١) مؤرخ وكهنوتي كان بالقرن الخامس من الميلاد ولد بمدينة طركونه من اسبانيا وله تاريخ ضد عباد الاوثان

وتحولت

وتحولت الجمهورية الرومانيــة من جمهورية الى ملوكية واتسع نطاق الرومان فى زمنه وقد رأى هذا الامبراطور لزوم اتخاذ محطات بحرية فى أكثر جهات المملكة لحماية أملاكها الشاسعة بالاساطيل ولذلك أخذ يبتنى سفناعديدة فى فرضتى اكيلى (Aquilée) وفريجوس (Frejus) وغيرهما وخصص لجون نابولى أسطولاعظيماووضع أقوى أساطيـله فى رأس مسينى وجعل لبحر الادرياتيك أسطولاوللبحر الاسود أسطولاآخر وجعل لنهر الدانوب أسطولامن سفائن خفيفة يمكن جعلها جسرا عندالمزوم ومدّمنهاجسر كوكسين (Cuxin) وخصص لسواحل الشام أسطولا كماخصص للقطر المصرى أسطولاآخرواتخذ كارباثوس (Carpathos) بجزيرة رودس محطة عمومية كماجعل فى مياه بريطانيا أسطولافى سوم (Somme) وجعل لنهر الرين أساطيل مخصوصة وبذلك بلغت قوة الرومان البحرية فى أيامه درجة عظيمة قبض بها على صولجان البحر الابيض المتوسـط والبحر الاسود وبحر الادرياتيك والمحيط الاطلنطيقى وتمكن من مدّ أسـفاره البحرية بالبحر الاحمر والمحيط الهندى والى كثيرمن السواحل الشرقية اﻫ

ويفهم من هـذه الرواية وروايات كثيرة أخرى أن ابتداء البحرية لدى الرومان كان وقت حروبهم مع قرطاجنه ولكن خالفهم فى هـذه الرواية كثيرون أيضا وقالوا ان الرومان كان لهم قبـل هذا الوقت أساطيل حربية وممن أثبت هذا القول المؤرخ الانكليزى جون كرنولك الذى قال انه بعدأن تغلب الرومان على تاركان سكستوس (Sextus Tarquin) وانتخبوا بروتس للقنصلية عقـدمع قرطاجنه معاهدة وردفى أحد بنودها أن لايتجاوزأحد المتعاهدين أوالمتفقين معه نقطة صار تعيينهافى المعاهدة وبذلك يثبت جليا أن الرومان كانت لهـم قوة بحرية فى زمن بروتس وقال هـذا المؤرخ أيضاانه قبل فتوحات دوويليوس بنحومائتى سنة أى فى سـنة ٢٨٠ من بناء رومة هاجم الرومان فرضة انتيوم (Antium) واستولوامنها على عشرين سفينة حربية من نوع الغالى ونقلوها الى نهر التبر وأوقفوهافيه أمام دار الصناعة وروى أيضا أنه فى سنة ٤٥٠ من بناء رومية عندماانتخب الاهالى اثنين من التريبون فى السيناتو أقاموا أحدهما المدعو دسيوس موس (Mus Decius) مأمورا لنظارة البحرية الرومانية فاذالم يكن للرومانيين سفن وقتهافلا يعقل تعيين مأمور لهاولايصح أن ينسب الى أمة اشتهرت بالعقل أن تعينه على لاشئ وروى غيره من المؤرخين مثل فاليريوس (Valerius) أنه فى نحو سنة ٤٧٥ من بناء رومية ظهرت أمام تارنتوم (Tarentum) دونمارومانية مشـكلة من عشر سفن من نوع الغالى تحت قيادة أحد التريبونيـين المسمى كورنيليوس (Cornelius) ولما كان أهل تارنتوم يفوقون الرومان فى البحرية ساقوا عليهم أساطيلهم وتمكنوا من اغراق سفينة رومانيــة وأسروا أربع سفن أخرى ومن كل ذلك يتضح أن رومية كانت تملك أساطيل حربية قبـل الحرب البونيقية الاولى الاانها كانت ضعيفة

ولما قامت الحروب الداخلية فى مملكة الرومان فى أوائل القرن الرابع للميلاد وتصادمت القوتان البحريتان الرومانيتان ببعضهما حـدث من ذلك انقراض بحرية دولة الرومان العظيمة قال المؤرخ روزيموس انه فى سـنة ٣٢٣ م جهز قسطنطين لاخيه لوسينيوس أسـطولا يدافع به يتكون من مائتى سفينة حربية بكل سفينة ثلاثون مقـذافاونحو ألفى سفينة للنقـل غيرمعينـة القدر وتمكن لوسينيوس من الحصول على ثمانين سـفينة مصرية ومثلها فينيقية وسـتين سفينة من بلاد يونية

ودوريه وثلاثين من قبرص وعشرين من قوريه وثلاثين من بثنيه وجهزله الافريقيون خمسين سفينة وبذلك بلغت عمارته ٣٥٠ سفينة ومما يدل على تقدم الرومانيين فى انشاء السفن أن قسطنطين أمر بنقل احدى المسلات المصرية من مدينة الاسكندرية الى رومية وكانت هذه المسلة تامة لم يعتد عليها أحد الى ذلك الوقت وكان طولها ١١٥ قدما وثقلها ١٥٠٠ طونيلاطه وقد أنشأ لها الرومان سفينة لنقلها الا يمكن أن يكون طولها أقل من ١٥٠ قدما وحمولتها لا تنقص عن ألف طن وناهيك ما يلزم لذلك من آلات جر الاثقال التى استعملت فى رفع تلك المسلة ووضعها بالسفينة

ولما مات تيودوسيوس سنة ٣٩٥ م واقتسم ولداه هونوريوس وار كاديوس المملكة الرومانية بينهما وجعلاها مملكتين شرقية وغربية كما مر بك فى الجزء الاول من هذا الكتاب وصارت مصر من أقسام المملكة الشرقية التى تعرف بالبوزنطية وبدولة الروم السفلى اعتنق المصريون الديانة المسيحية وأخذت الدولة البوزنطية تشيد الاساطيل وتهتم بأمر القوة البحرية وترسل سفنها فى البحر الاسود لتوسع نطاق التجارة مع معظم البلاد الساحلية فمن وقتئذ صارت سفنها الحربية والتجارية تجول فى سواحل سوريا والديار المصرية وصارت تنقل الغلال من مصر الى القسطنطينية واستمرت السفن التجارية المصرية على نشاطها القديم فى البحر الاحمر وغيره تتردد على ثغور بلاد العرب والحبشة والسواحل الهندية وتنقل منها التجارة الى الاسكندرية التى كانت لم تزل مركز التجارة المشرقية والمغربية وفى عهد جوستانيان امتنعت من الجولان عند مصاب أنهر الهند وخليج كامباى وبقيت تسافر الى سيلان فقط وان أمعنت فى السفر زيادة عن ذلك فلا تتعدى مدينة كوسماس (Cosmas) ولما كانت مملكة الحبشة قد ارتبطت بالكنيسة المصرية من سنة ٣٢٠ م وأقام بطريرك الاسكندرية فرومنتيوس أسقفا للحبشة زادت العلاقات التجارية بين الطرفين وروى بعض المؤرخين انه عندما جهز كالب ملك اكسوم حملة للاغارة على بلاد العرب لفتح مملكة اليمن (٥٧٠ م) ورأى أن السفن التى كانت مستعملة بتلك السواحل صغيرة الحجم استعان بالسفن المصرية التى كانت تمخر بالبحر الاحمر على نقل جيوشه وأفياله من السواحل الحبشية الى ساحل العرب فساعدته على مرغوبه وكانت الاساطيل البوزنطية وقتئذ تتركب من أنواع مختلفة من السفن الحربية فكان يتألف من السفن الجسيمة بها الاسطول المرابط فى الثغور المهمة ولا يتحرك من مكانه الا للتعليم أو لعمل مهم وأما باقى السفن الخفيفة التى من نوع الاغربة والشوانى فكانت مجهزة بالشراع والمجاذيف وهى التى جعلت مستعدة لكل الاعمال الحربية البحرية حتى فى الانهر لخفتها وسرعة حركاتها وكانت أغلب الاساطيل التى تعين لمصر مشكلة من هذا النوع لتتمكن من الصعود فى النيل بغاية السهولة وبقيت التجارة البحرية فى الديار المصرية على زهوها الى أن أخذت الدولة الشرقية فى الانحطاط والتقهقر من زمن هرقل (٦١٠ ق م) وكان الاقباط يشاهدون قرب سقوطها تهديد الفرس لها من الحدود الشرقية والمغاربة ينتظرون الفرص ليستقلوا فى بلادهم الافريقية وبقيت على ذلك الى أن استولى العرب على الديار المصرية تحت قيادة عمرو بن العاص رضى الله عنه (٦٤٠ م - ١٨ هـ) ومات هرقل وولداه فجهز نائب السلطنة البوزنطية عمارتين من السفن وقصد أن يسترد كرسى مصر أى الاسكندرية من المسلمين فرست سفن الروم على مين فاروس مرتين فدافعها عمرو بن العاص عن مدينة الاسكندرية وثبت قدم الاسلام فيها وأخذ يهتم باصلاح شؤن مصر وتوطيد الملك فيها كما سبق شرح

ذلك

ذلك فى الجزء الاول ولم يكن بالسواحل المصرية وقتئذ الا بعض سفائن للتجار وما غنمه المسلمون منها من الروم وقت الفتح والمراكب التى تمخر بالنيل

﴿ الفصل الرابع ﴾

الملاحة والبحرية المصرية فى دول الاسلام الاولى

قال العلامة المقريزى فى صحيفة ١٨٩ من الجزء الثانى من خططه ولما جاء الله تعالى بالاسلام لم يكن البحر يركب للغزو فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأول من ركب البحر فى الاسلام للغزو العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه وكان على البحرين من قبل أبى بكر رضى الله عنه فأحب أن يؤثر فى الاعاجم أثرا يعز الله به الاسلام على يديه فندب أهل البحرين الى فارس فبادروا الى ذلك وفرقهم أجنادا على أحدها الجارود بن المعلى رضى الله عنه وعلى الثانى سوار بن همام رضى الله عنه وعلى الثالث خليد بن المنذر بن سارى رضى الله عنه وجعل خليدا على عامة الناس فحملهم فى البحر الى فارس بغير اذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه لا يأذن لاحد فى ركوب البحر غازيا كراهة التغرير بجنده اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبى بكر رضى الله عنه فعبرت تلك الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا فى اصطخر وبازائهم أهل فارس عليهم الهربذ فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم فقام خليد فى الناس فقال أما بعد فان الله تعالى اذا قضى أمرا جرت المقادير على مطيته وان هؤلاء القوم لم يزيدوا بما صنعوا على أن دعوكم الى حربهم وانما جئتم لمحاربتهم والسفن والارض بعد الآن لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فأجابوه الى القتال وصلوا الظهر ثم ناهزوهم فاقتتلوا قتالا شديدا فى موضع يدعى طاوس فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قبلها وخرج المسلمون يريدون البصرة اذ غرقت سفنهم ولم يجدوا فى الرجوع الى البحر سبيلا فاذا بهم وقد أخذت عليهم الطرق فعسكروا وامتنعوا وبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاشتد غضبه على العلاء رضى الله عنه وكتب اليه بعزله وتوعده وأمره بأثقل الاشياء عليه وأبغض الوجوه اليه بتأمير سعد بن أبى وقاص عليه وقال الحق بسعد بن أبى وقاص بمن معك فخرج رضى الله عنه من البحرين بمن معه نحو سعد رضى الله عنه وهو يومئذ على الكوفة وكان بينهما تباين وتباعد وكتب عمر رضى الله عنه الى عتبة ابن غزوان بأن العلاء بن الحضرمى حمل جندا من المسلمين فى البحر فأقطعهم الى فارس وعصانى وأظنه لم يرد الله عز وجل بذلك فخشيت عليهم أن لا ينصروا وأن يغلبوا فاندب لهم الناس وضمهم اليك من قبل أن يجتاحوا فندب عتبة رضى الله عنه الناس وأخبرهم بكتاب عمر رضى الله عنه فانتدب عاصم بن عمرو وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن ومجزاة بن ثور ونهار بن الحارث والترجمان ابن فلان والحصين بن أبى الحر والاحنف بن قيس وسعد بن العرجاء وعبد الرحمن بن سهل وصعصعة ابن معوية رضى الله تعالى عنهم فساروا من البصرة فى اثنى عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبى رهم رضى الله عنه فساحل بهم حتى التقى أبو سبرة وخليد حيث أخذت عليهم الطرق وقد استصرخ أهل اصطخر أهل فارس كلهم فأتوهم من كل وجه وكورة فالتقوا هم وأبو سبرة فاقتتلوا ففتح الله على المسلمين وقتل المشركون وعاد المسلمون بالغنائم الى البصرة ورجع أهل البحرين الى منازلهم فلما فتح الله تعالى الشأم ألح معوية بن أبى سفيان وهو يومئذ على جند دمشق

والاردن على عمر رضى الله عنه فى غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال ان قرية من قرى حمص ليسمع
أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى اذا كاد ذلك يأخذ بقلب عمر رضى الله عنه اتهم معوية لانه
المشير فأحب عمر رضى الله عنه أن يردعه فكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر أن صف لى البحر
وراكبه فان نفسى تنازعنى اليه وأنا أشتهى خلافها فكتب اليه يا أمير المؤمنين انى رأيت البحر خلقا
كبيرا يركبه خلق صغير ليس الا السماء والماء ان ركد أحزن القلوب وان زل أزاغ العقول يزداد فيه
اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود ان مال غرق وان نجا برق فلما جاءه كتاب عمرو كتب
رضى الله عنه الى معوية لا والذى بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا انا قد سمعنا أن بحر الشام
يشرف على أطول شئ فى الارض يستأذن الله تعالى فى كل يوم وليلة أن يفيض على الارض فيغرقها
فكيف أحمل الجنود فى هذا البحر الكافر المستصعب وتالله لمسلم واحد أحب الىّ مما حوته الروم
فاياك أن تعرض لى وقد تقدمت اليك وقد علمت مالقى العلاء منى ولم أتقدم اليه فى مثل ذلك وعن
عمر رضى الله عنه أنه قال لا يسألنى الله عز وجل عن ركوب المسلمين البحر أبدا وروى عنه ابنه عبد الله
رضى الله عنهما أنه قال لولا آية فى كتاب الله تعالى لعلوت راكب البحر بالدرة

ثم لما كانت خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه غزا المسلمون فى البحر وكان أول من غزا فيه
معوية بن أبى سفيان وذلك أنه لم يزل بعثمان رضى الله عنه حتى عزم على ذلك وقال لا تنتخب الناس
ولا تقرع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس
الحاسى حليف بنى فزارة فغزا خمسين غزوة من بين شاتية وصائفة فى البر والبحر ولم يغرق فيه أحد ولم
ينكب وكان يدعو الله تعالى أن يرزقه العافية فى جنده ولا يبتليه بمصاب أحد منهم حتى اذا أراد الله
عز وجل أن يصيبه فى جنده خرج فى قارب طليعته فانتهى الى المرفا من أرض الروم فثار به الروم وهجموا
عليه فقاتلهم فأصيب وحده ثم قاتل الروم أصحابه فأصيبوا اه

ولما صدر أمر الخليفة بالتصريح بركوب البحر أخذت العمال تصنع السفن فصنع فى مصر جملة
سفائن أخذت أشكالها من سفن الروم التى استولى عليها عمرو بن العاص فى واقعتى الاسكندرية وأول
من خرج قائدا على أسطول مصر المركب من مائتى سفينة لغزو قبرص عبد الله بن سعد بن أبى سرح
سنة (٢٨ ﻫ) ثم فى سنة (٣٤ ﻫ) قاد أسطولا آخر بألف من مائتى سفينة وغزا فى البحر قال
المقريزى لما أتاه قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب يريد الاسكندرية سار عبد الله فى مائتى مركب
أو تزيد شيأ وحاربه فكانت واقعة ذات الصوارى التى نصر الله تعالى فيها جنده وهزم قسطنطين وقتل
جنده ومن حديث هذه الغزوة كما قاله المقريزى أن عبد الله بن سعد لما نزل ذو الصوارى أنزل نصف
الناس مع بسر بن أرطاة فى البر فلما مضوا أتى آت الى عبد الله بن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك
ابن هرقل فى ألف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب المسلمين مائتى مركب ونيفا فقام عبد الله
ابن سعد بين ظهرانى الناس فقال بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل اليكم فى ألف مركب فأشيروا على فما كلمه
رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع اليهم أفئدتهم ثم قام الثانية فكلمهم فما كلمه أحد فجلس ثم قام
الثالثة فقال انه لم يبق شئ فأشيروا علىّ فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد
فقال أيها الامير ان الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما فى كل مركب نصف شحنته لانه قد خرج النصف الآخر الى البر مع

بسر

بمرفلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار فقال مافعلوا قالوا قد اقتتلوا بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال مافعلوا قالوا قد نفد النبل والنشاب فهم يرمون بالحجارة فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال مافعلوا قالوا قد نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال قال فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد القطيفي وكان مع عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسيسة ابنة حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسيسة الى أبيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله علي فيها رأي فان تركها أفعل فكلم عبد الله علقمة فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فتزوجها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فتزوجها بعده كريب بن أبرهة وماتت تحته وقيل مشت الروم الى قسطنطين بن هرقل في سنة ٣٥ فقالوا أتترك الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى فقال ما أصنع بكم ما تقدرون أن تتمالكوا ساعة اذا لقيتم العرب قالوا اخرج على أننا نموت فتبايعوا على ذلك فخرج في ألف مركب يريد الاسكندرية فسار في أيام غالبة الرياح فبعث الله عليهم ريحا فغرقتهم الا قسطنطين فانه نجا مركبه فألقته الريح بصقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا شتت النصرانية وأفنيت رجالها لو دخلت العرب علينا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كأنه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من كان معه في المركب قال أبو عمر والكندي وانما سميت غزوة ذي الصواري (زيواره) لكثرة صواري المراكب واجتماعها اه وهذه الواقعة تسمى في كتب الفرنج بواقعة فونيكه (Phœniconte) البحرية لوقوعها بالقرب من فونيكه وبعد هذه الواقعة ازدادت أساطيل الاسلام بسرعة حتى ان أساطيل معوية تمكنت من فتح بوغاز كليبولي سنة ٦٥٥ م وأخذ معوية يهتم بتجهيز الاساطيل ثم قصد في سنة ٦٦٨ م فتح القسطنطينية الا أنه لم يوفق لذلك وأصاب أساطيله من الحريق بالنار الاغريقية ما تقدم لك ذكره مما كان سببا في رجوع المسلمين عنها

قال المقريزي ان أول ما أنشئ الاسطول بمصر في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم عندما نزل الروم دمياط في يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأمير مصر يومئذ عنبسة بن اسحق فملكوها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال ومضوا الى تنيس فأقاموا باشتومها فوقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشواني برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر وانتدب الامراء الى الرماة فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو وكان لا ينزل في رجال الاسطول جبان ولا جاهل بأمور الحرب هذا وللناس اذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله واقامة دينه لاجرم أنه كان لخدام الاسطول حرمة ومكانة ولكل أحد من الناس رغبة في أن يعد من جملتهم فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه وكان من غزو الاسطول بلاد العدو ما قد شحنت به كتب التواريخ فكانت الحرب بين المسلمين والروم سجالا ينال المسلمون من العدو كما ينال منهم ويأسر

بعضهم بعضا لكثرة هجوم أساطيل الاسلام على بلاد العدو فانها كانت تسير من مصر والشام وافريقية فلذلك احتاج خلفاء الاسلام الى الفداء وكان أول فداء وقع بمال فى الاسلام أيام بنى العباس ولم يقع فى أيام بنى أمية فداء مشهور وانما كان يفادى بالنفر بعد النفر فى سواحل الشام ومصر والاسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الجزرية الى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هرون الرشيد فكان الفداء الاول باللامس من سواحل البحر الرومى قريبا من طرسوس سنة ١٨٩ هـ وملك الروم يومئذ نقفور بن أشبراق وكان ذلك على يد القاسم بن الرشيد وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين فى أعمال حلب ففودى بكل أسير كان ببلاد الروم من ذكر وأنثى وحضر هذا الفداء من أهل الثغور نحو خمسمائة ألف انسان بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى معهم أسارى المسلمين فكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير وأقام ابن الرشيد باللامس أربعين يوما قبل الايام التى وقع فيها الفداء والثانى كان فى خلافة الرشيد أيضا باللامس فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وكان ملك الروم نقفور وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعى أمير الثغور الشامية حضره ألوف من الناس وكان عدة من فودى به من المسلمين فى سبعة أيام ألفين وخمسمائة من ذكر وأنثى اهـ

وبعد أن استبد أحمد بن طولون بالديار المصرية وتقلد خراجها مع المعونة والثغور الشامية اهتم بأمر الاساطيل اهتماما لا مثيل له فزاد فى بناء السفن وتجهيزها بالآلات والرجال ليتمكن بها من المحافظة على الثغور وكانت دار صناعة جزيرة الروضة فى أيامه عامرة وهى أول صناعة عملت بفسطاط مصر بنيت فى سنة أربع وخمسين من الهجرة وكان ينشئ بها الحربيات والشلنديات وغيرها من أنواع السفن وصار له بها الهيبة فى قلوب أعدائه ونفذ بها جميع مقاصده فى السواحل الشامية وغيرها وقد بلغت أساطيله الدرجة العليا من القوة العظيمة ولما قام الخلاف بينه و بين الموفق وعزم الموفق على الايقاع بابن طولون و بلغه ذلك أخذ يهيئ أسباب الدفاع فتأمل الى مدينة الفسطاط فوجدها لا تؤخذ الا من جهة النيل فأمر ببناء حصن على الجزيرة ليكون معقلا لحرمه وذخائره واتخذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العلابيات والحمائم والعشاريات والسنابيك وقوارب الخدمة وعمد الى سد وجه البحر الكبير وأن يمنع ما يجىء اليه من مراكب طرسوس وغيرها من البحر المالح الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية فى وجه البحر الكبير خوفا مما سيجىء من مراكب طرسوس وذلك فى سنة (٢٦٣ هـ) واجتهد أحمد بن طولون فى بناء المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة وأظهر الامتناع من موسى بن بغا قائد الموفق بكل ما قدر عليه وقبل أن يقع قتال بين الطرفين مات موسى ابن بغا (٢٦٤ هـ) واطمأن ابن طولون قال ابن اياس فى تاريخه انه لما مات أحمد بن طولون (٢٧٠ هـ) كان من مخلفاته من المراكب الحربية والشوانى ألف مركب ثم اعتنى بنوه من بعده بانشاء المراكب الحربية فى هذه الصناعة وبقيت القوة البحرية فى أيامهم حافظة لشأنها وفى أول حكم ابنه أبو الجيش خمارويه بعث بمراكب حربية فى البحر لتقيم على السواحل الشامية (٢٧١ هـ) ولما ولى أبو موسى هرون بن خمارويه يوم خلع أبو الجيش قامت طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن أحمد بن طولون ودعوه للقيام فاشتعلت نار الفتن و بعث المكتفى محمد بن سليمان الكاتب للحملة على بنى

طولون

طولون ونزل حمص وبعث المراكب الحربية من الثغر الى سواحل مصر وسير هرون سنة ٢٩١ هـ المراكب الحربية فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان فى تنيس وبعد حروب استظهرت مراكب محمد بن سليمان عليها وملك أصحابه تنيس ودمياط ومن وقتئذ أخذت بحرية بنى طولون فى الانحطاط الى أن انقرضت

أما فى عهد الدولة الاخشيدية فقد انحطت القوة البحرية المصرية لاسباب الفتن التى كانت قائمة فى عهدهم قال المقريزى لما قدم الامير أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد أميرا على مصر من قبل الخليفة الراضى عوضا عن أحمد بن كيغلغ فى سنة ٣٢٣ هـ وقد كثرت الفتن فلم يدخل عيسى بن أحمد السلمى أبو مالك كبير المغاربة فى طاعته ومضى ومعه بجكم وعلى بن بدر ونظيف النوشرى وعلى المغربى الى الفيوم فبعث اليهم الاخشيد صاعد بن الكلكم بمراكبه فقاتلوه وقتلوه وأخذوا مراكبه وركبوا فيها على بن بدر و بجكم وقدموا مدينة مصر أول يوم من ذى القعدة فأرسوا بجزيرة الصناعة وركب الاخشيد فى جيشه ووقف حيالهم والنيل بينهم و بينه فكره ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشئ فأقام بجكم وعلى بن بدر الى اخر النهار ومضوا الى جهة الاسكندرية وعاد الاخشيد الى داره فأخذ فى تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الى دار خديجة بساحل مصر القديم فى شعبان سنة ٣٢٥ هـ وابتدأ فى انشاء المراكب بها اهـ وقال أيضا لما كانت الفتن بعد موت كافور الاخشيدى طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة ٣٥٧ هـ فى بضع وعشرين مركبا فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من المسلمين اهـ ولو كانت أساطيل الاخشيد فى وقتها قوية لم تجسر الروم على مهاجمة السواحل المصرية وفى خلال ذلك كانت دولة العبيديين بافريقية طامعة فى الاستيلاء على مصر ففى سنة ٣٠٧ هـ أقبلت مراكب صاحب افريقية الى الاسكندرية عليها سليمان الخادم فقدم ثمل الخادم صاحب مراكب طرسوس فالتقيا برشيد فى شوّال فاقتتلا فبعث الله ريحا على مراكب سليمان ألقتها الى البر فتكسر أكثرها وأخذ من فيها باليد وقتل أكثرهم وأسر من بقى وسيقوا الى الفسطاط فقتل منهم نحو سبعمائة رجل وبعد ذلك مضى ثمل الخادم فى مراكبه الى الاسكندرية فقاتل من بها من أهل افريقية فظفر بهم ونقل أهل الاسكندرية الى رشيد وعاد الى الفسطاط ومضى فى مراكبه الى اللاهون ومازالت الاسكندرية وأعمالها والاخشيديون فى اضطراب الى أن قدمت جيوش المعز لدين الله مع القائد جوهر فى سنة ٣٥٨ هـ وملكتها وانقرضت بعد ذلك الدولة الاخشيدية وقامت فى مصر دولة الفواطم

قال المقريزى وقويت العناية بالاسطول فى مصر منذ قدم المعز لدين الله وأنشأ المراكب واقتدى به بنوه وكان لهم اهتمام بامور الجهاد واعتناء بالاسطول وواصلوا انشاء المراكب بمدينة مصر والاسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات وتسييرها الى بلاد الساحل مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قوّاد الاسطول فى آخر أمرهم تزيد عن خمسة آلاف مدوّنة منهم عشرة أعيان يقال لهم القوّاد وتصل جامكية كل واحد منهم الى عشرين دينارا ثم الى خمسة عشر دينارا ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى أقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة الى أن قال وكان يعين من القوّاد العشرة واحد فيصير رئيس الاسطول ويكون معه المقدم والقاوش فاذا ساروا الى الغزو كان هو الذى يقلع بهم و به يقتدى الجميع فيرسون بارسائه ويقلعون باقلاعه ولابدّ أن

يقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان أمراء الدولة وأقواهم نفسا ويتولى النفقة فى غزاة الاسطول الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة وكانت فى أيام المعز لدين الله تزيد عن ستمائة قطعة وآخر ماصارت اليه فى آخر الدولة الفاطمية نحو الثمانين شونة وعشر مسطحات وعشر حمالات فما نقص عن مائة قطعة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال وفيهم من كان يتمعش بمصر والقاهرة وفيهم من هو خارج عنهما فيجتمعون وكانت لهم المشاهرة والجرايات فى مدة أيام سفرهم وهم معروفون عند عشرين عريفا يقال لهم النقباء ولا يكره أحد على السفر الى أن قال فاذا تهيأ الانفاق أدخل الغزاة مائة مائة فيقفون فى أخريات من هو واقف فى الخدمة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة الى أن قال وكانت مقررة لكل واحد خمسة دنانير صرف ستة وثلاثين درهما بدينار فيسلمها اليه النقيب وتكتب باسمه وبيده فاذا تم ذلك ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانقضى ذلك الجمع فاذا تكاملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل النيل بالمقس خارج القاهرة وكان هناك على شاطئ النيل بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداع الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة باسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر وتقلع بالجاذيف كما يفعل فى لقاء العدو بالبحر المالح ويحضر بين يدى الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو للجماعة بالنصر والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين دينارا وتنحدر الى دمياط وتخرج الى البحر المالح فيكون لها ببلاد العدو صيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لا يسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وما عدا ذلك للاسطول والعادة أنه اذا غنم الاسطول ماعسى أن يغنم لا يتعرض السلطان منه الى شئ البتة الا ماكان من الاسرى والسلاح فانه للسلطان وما عداهما من المال والثياب ونحوهما فانه لغزاة الاسطول لا يشاركهم فيه أحد فاذا قدم الاسطول خرج الخليفة أيضا الى منظرة المقس وجلس فيها للقائه وقدم الاسطول مرة بألف وخمسمائة أسير وكانت العادة أن الاسرى ينزل بهم فى المناخ وتضاف الرجال الى من فيه من الاسرى ويمضى بالنساء والاطفال الى القصر بعد ما يعطى منهم الوزير طائفة ويفرق ما بقى من النساء على الجهات والاقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصنائع ويدفع الصغار من الاسرى الى الاستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ويقال لهم الترابى وفيهم من صار أميرا من صبيان خاص الخليفة ومن الاسرى من كان يسترابه فيقتل ولم يعرف قط عن الدولة الفاطمية أنها فادت أسيرا من الفرنج بمال ولا بأسير مثله وقال المقريزى آخر ماصارت اليه الاساطيل فى آخر الدولة الفاطمية نحو ٨٠ شونة وعشر مسطحات وعشر حمالات فما نقص عن مائة قطعة قال المقريزى أيضا ورأيت بخط الاسعد بن مماتى أن عدة الجيوش بمصر فى مدة أيام رزيك بن الصالح طلائع كانت ٤٠،٠٠٠ فارس و ٣٦،٠٠٠ راجل وزاد غيره وعشرة شوانى بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية وقال أيضا انه لم يزل الاسطول معتنى به فى دولة الفواطم الى أن كانت وزارة شاور ونزل مرى ملك الفرنج على بركة الحبش فأمر شاور بتحريق مصر وتحريق مراكب الاسطول فحرقت ونهبها العبيد فيما نهبوا اه

وكانت السفن الحربية فى زمن الفواطم تصنع فى جملة جهات لتعدد دور الصناعات المصرية

فى

في أيامهم منها صناعة المقس وصناعة الجزيرة وصناعة مصر والاسكندرية ودمياط قال ابن أبي طي
في تاريخه عند ذكر وفاة المعز لدين الله انه انشأ دار الصناعة التي بالمقس وأنشأ بها ستمائة مركب
لم ير مثلها في البحر على مينا وقال المسبحي ان العزيز بالله بن المعز هو الذي بنى دار الصناعة التي بالمقس
وعمل المراكب التي لم ير مثلها فيما تقدم كبرا وثاقة وحسنا قال المقريزي وكانت جميع مراكب
الاساطيل لا تنشأ الا بالصناعة التي بالجزيرة فانكر الوزير المأمون ذلك وأمر بان يكون انشاء
الشواني وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ
المنظرة بها واسمه باق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمة الاساطيل
ورميها بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الحراني والشلنديات في الصناعة بالجزيرة قال ولما
وفي النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما
ثم عديا في احداها الى المقياس وقال ابن الطوير الخدمة في ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر
وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للاسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها
وكانت تزيد على خمسين عشاريا ويليها عشرون دعماسا منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج
وغيرها ولكل منها رئيس ونواتي لا يبرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات
الدواميس برسم ولاة الاعمال المميزة فهي تجرلهم وينفق في رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال
هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فاذا صرف عادفيه وخرج المتولي الجديد في العشاري
المرتبي بالصناعة ولا يخرج الا بتوقيع باطلاقه والانفاق فيه وللمشارفين بالاعمال عشاريات دون
هذه وفي هذا الديوان برسم خدمة ما يجري في الاسطول نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من
الحواصل لعمارة المراكب شيء كثير واذا لم يف ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعي له من بيت المال
ما يستدخله قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب
بمصر والاسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشلنديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين
كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان اه

وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب للعاضد وصل الفرنج الى دمياط سنة
٥٦٥ وهم فيما يزيد على ألف ومائتي مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت النفقة
عليهم زيادة على ٥٥٠,٠٠٠ دينار فأقامت الحرب مدة ٥٥ يوما وكانت صعبة شديدة واتهم
في هذه النوبة عدة من أعيان المصريين بمعالاة الفرنج ومكاتبتهم وقبض عليهم الملك الناصر
وقتلهم وكان سبب هذه النوبة أن الغز لما قدموا الى مصر من الشام صحبة أسد الدين شيركوه تحركت
الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغز بها فاستمدوا اخوانهم أهل صقلية فأمدوهم بالاموال
والسلاح وبعثوا اليهم بعدة وافرة فساروا بالدبابات والمجانيق ونزلوا على دمياط في الاساطيل التي
ذكرناها وأحاطوا بها بحرا وبرا واشتد الامر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير
صلاح الدين الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستنجده ويعلمه بأنه لا يمكنه الخروج من
القاهرة الى لقاء الفرنج خوفا من قيام المصريين عليه فجهز اليه العساكر شيأ بعد شيء وخرج
نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج التي بالساحل وأغار عليها واستباحها فبلغ ذلك الفرنج
وهم على دمياط فخافوا على بلادهم من نور الدين أن يتمكن منها فرحلوا عن دمياط بعد ما غرق

لهم نحو الثلثمائة مركب ومن وقتئذ رتبت المقاتلة على البرجين وشدت مراكب الى السلسلة ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين اه من المقريزى والذى جعل الفرنج يستطيلون على أرض مصر بهذه الصفة أن العناية لم تكن موجهة بمصر اذذاك لامر الاساطيل عقب سقوط دولة الفواطم قال الفاضل محمد شكرى أفندى فى تاريخه المسمى بالاسفار البحرية العثمانية ما ملخصه

قد تكلم كثير من مؤرخى أوروبا عن أساطيل العرب ومدحوا تقدمهم فى سلوك البحار وفن صناعة السفن لكن صاحب التاريخ العمومى الانكليزى جون كارنوك (John Charnoch) خالفهم فى ذلك حيث قال عند كلامه على وقوعات بحرية عموم الملل ان العرب توفقوا فى كثير من الاسفار البحرية الا انهم لم يعدوا فيها كخادمين لترقيات الفنون والصنائع البحرية حيث كانت أسفارهم المذكورة لغرض مخصوص يقصدون منه تنفيذ آمالهم فقط وغير ذلك من الاقوال التى أظهر فيها التعصب على العرب ونسبهم الى الجهل فى الاعمال والفنون البحرية وهو يقصد من ذلك اسقاط منزلتهم فى تاريخه بعبارات سقيمة فرارا من الاقرار لهم بالفضل المتقدم ولا يذكر أن دول أوروبا أخذت فى القرون الوسطى عن العرب التمدن وآثار العمران وأكثر العلوم والمعارف لاننا لو نظرنا الى الزمن الذى ظهر فيه الاسلام وتقدم جيوشه العربية بالفتوحات حتى فازت بالاستيلاء على الاندلس وصار العرب متاخمين لامم الفرنج نجد أن ذلك الزمن كان عقب انقراض دولة الرومان الغربية وقيام أقوام الجرمانيين وقبائل الشمال الوحشيين واستيلائهم على أكثر بلاد أوروبا واطفائهم نور العلم منها حتى لم يبقوا فيها من آثار مدينة الرومان شيأ يذكر فأخذت العرب من وقتئذ تهتم بنشاطهم المشهور فى تحسين وترقية أمور دولتهم فتقدموا فى كثير من المعارف والعلوم حتى أتقنوا صناعة السفن وصاروا مهرة فى سلوك البحار ويمكن أن نعدهم أول الاقوام الذين قاموا بالاكتشافات فى البحر المحيط الاطلنطيقى ويؤيد ذلك رواية الجغرافى العربى الشهير العلامة الادريسى عند كلامه على الملاحين المعروفين بالمغرورين الذين قاموا فى الوقت المذكور بكل نشاط لهذا العمل المفيد لفن الجغرافيا فأقلعوا بسفنهم من اشبونة (ليسبون) عاصمة البرتقال الآن بقصد البحث عن أراض جديدة فى المحيط الاطلسى فاكتشفوا جزائر قناريه وقال انه عند عودتهم الى الساحل الافريقى رسوا بسفنهم أمام قرية من أعمال مراكش عرفت الآن بآسفى ويقال ان هذا الاسم اشتق من أن أولئك الملاحين لما وصلوها وعرفوا بعدهم عن بلادهم الاندلسية قالوا وا أسفى تأثرا فاطلق هذا اللفظ على الثغر المذكور وصار يعرف بذلك وروى غيره أنه بعد هذا الاكتشاف اتخذ العرب جزائر الخالدات (قناريه) المذكورة مبدأ للاطوال ورسموا خرطهم على حسابها واعتبرها كذلك فيما بعد كثير من علماء أوروبا والحاصل أن المعارف كانت عند العرب فى ارتقاء دائم باجتهاد علمائهم الافاضل الذين ملؤا الارض بعلمهم وترجموا كتب العلوم العديدة من اللغة اليونانية وشرحوها وصنفوا عنها عدة مؤلفات ارتقت بها العلوم الرياضية والفلكية وعلم الهيئة والنجوم وكانت هذه العلوم الواسطة الكبرى فى تقدم فن الملاحة عندهم وهم أول من استعمل الابرة المغناطيسية (البوصلة) فى أسفارهم البحرية وتمكن ملاحوهم بواسطتها من معرفة الشمال والجنوب بالضبط بعد أن كانوا لا يهتدون الى الطريق فى البحار الا بضوء النجوم ومواقعها

وبالسواحل

وبالسواحل البحرية التى كانوا لايفتؤن يراقبونها مدة سفرهم وبعد ذلك تمكنوا من الامعان فى أسفارهم والابعاد عن البر فامتازوا بذلك عن باقى ملاحى الامم المعاصرة لهم

وكانت سفنهم فى العهد المذكور تعد من أشهر السفن لاتقانهم فن انشائها وصناعتها فكان يوجد بدور صناعاتهم من العمال المهرة عدد لايحصى كانوا فى الصناعة كأساتذة ذلك العصر وكان ملاحو العرب يسافرون بتلك السفن الاسفار الشاسعة لجلب التجارة وينقلون كثيرا من البضائع من ثغور الهند والصين الى جميع البلاد التى كانت تحت حكمهم ولما اخترع العرب الساعات التى هى أساس ساعات الكر ونومتر عند أوروبا استفادت العلوم البحرية كثيرا وزادت بحريتهم تقدما وأكثروا من التوغل بين غمار البحور المجهولة وسكن كثير من شعوبهم وقبائلهم عدة جزائر من البحر المحيط الهندى فعمرت بهم منها جاوه وسوماتره وجزائر القمر وأكثر سواحل افريقية الجنوبية وغيرها ويحق أن تعد العرب من أولى العزائم والهمم فى الاعمال البحرية وأول الخادمين لترقية فنونها وصنائعها فى الوقت الذى لم يكن لدولة من دول أوروبا فيه اسم يذكر وقد أجمع المؤرخون على أن دول أوروبا أخذت عنهم فى القرون الوسطى صناعة الآلات الحربية والادوات البيتية والفنون الزراعية وكثيرا من العلوم ووسائط العمران ونقلت اليهم من الاندلس أكثر الحرف والصنائع والحبوب والاشجار المثمرة ثم لما أخذ الانحطاط فى دول الاسلام بالمغرب وقامت دول الافرنج باطماعهم للاستيلاء على ثغور تلك البلاد وكانت ممالك جنوه والبنادقة وساردينيا وصقلية وغيرها من دول ايطاليا أخذت ترتقى فى سلوك البحار حتى نالت الشهرة والامتياز فيه دون سائر الممالك الاوروباوية بما أخذوه عن العرب من الفنون والصناعة وصارت سفنهم تتردد الى جميع فرض البحر المتوسط الابيض خصوصا بعد أن تعلموا وتلقوا من البلاد الاسلامية كثيرا من العلوم والفوائد النافعة مدة الحروب الصليبية فنقلوها معهم عند عودتهم الى بلادهم وصارت بعدئذ أساطيل دول ايطاليا تتقدم فى سلوك البحار حتى اجتازت بوغاز جبل طارق وزارت اسبانيا وسواحل فرانسا الغربية بل وانكلترة كما أنها كانت تمخر فى سواحل الشرق فى مياه الاستانة والبحر الاسود فى أواخر الدولة البوزنطية

وقد روى بعض المؤرخين أنه لما قامت بعد ذلك حكومة البرتقال واسبانيا بالاكتشافات فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادى استعمل خريستوف كولمبوس مكتشف أمريقا وفاسكودوغاما مكتشف طريق الهند فى أسفارهما الخرائط التى وجدوها عند العرب وكان لتلك الخرائط فى الوقت المذكور قيمة ممتازة لاشتهار أصحابها بالمعلومات البحرية حتى ان فاسكودوغاما استخدم فى أثناء سفره رجالا من العرب يدلونه على الطريق الذاهب من رأس غشم الخير الى الهند وباشاراتهم فاز ونجح فى أسفاره واكتشافاته التى وصل بها الى الساحل الهندى الجنوبى وبذلك علا ذكره وطار أمره وجذب اليه أبصار أوروبا وحمل أهلها على الاقتداء به ولما ترددت أساطيل البرتقال على السواحل الهندية وأحست بذلك أساطيل العرب التى كانت تربح المكاسب العظيمة من نقل التجارة الهندية الى الثغور العربية اضطرت لمدافعة أهل البرتقال لمنعهم عن هذا الطريق قال المؤرخ البرتقالى القس جيروم أوزاريو (Jérôme Osario) فى تاريخه ما ملخصه أنه لما وصلت أساطيل البرتقال الى البلاد الهندية بعد مرورها من سواحل

جزيرة العرب أخذت سفنهم تحارب أساطيل البرتقال وفى احدى الوقائع استظهر الاسطول البرتقالى على سفن العرب وكان من بين سفنهم سفينة جسيمة قاومت البرتقال مقاومة تذكر لانها أضرت كثيرا باسطولهم وكانت سفينة العرب المذكورة مع متانتها وجودة صناعتها مسلحة تسليحا متقنا وكان سطحها الخارجى مكسوا بالجلود وكان هذا الكساء يعد اذ ذاك من أعظم الترقيات المهمة فى فن صناعة السفن وقال ان طائفتها كانوا على جانب عظيم من الدراية والمهارة فى فن الملاحة وقد ظهرت فى وقت القتال منفعة هذا الجلد لانه كان كحائل منيع ودرع قوى يصد هجمات سفن البرتقال حتى انها قاومت مقذوفات المدافع البرتقالية وحراقاتهم وكانت تلك الجلود تعد وقتئذ من أهم آلات وسلاح الحرب وقد أطنب المؤرخ المذكور فى شجاعة العرب وسرعة حركاتهم الحربية ومهارتهم فى ادارة السفينة وقال انهم تمكنوا من مقاومة المقذوفات التى أطلقتها عليهم سفن البرتقال مدة ساعات حتى لم تصب سفنهم بمقذوف منها ثم لما اجتمعت سفن البرتقال أخيرا وسلطوا مدافعهم على تلك السفينة تمكنوا بعد محاربة عدة ساعات من إصابتها بمقذوف واحد خرقها ولما أحس رجالها الابطال بالهلاك لاشراف سفينتهم على الغرق وكانوا يعلمون أن العدو لا يقبل منهم الامان ألقوا بأنفسهم جميعا فى البحر وصاروا يسبحون بكل قوتهم ليخرجوا الى الساحل الذى كان على بعد بعض أميال من محل الواقعة ولكن قساوة البرتقاليين ساقتهم الى أن أطلقوا على أولئك المساكين القنابل حتى أغرقوا معظمهم وهذا لا شك أمر مغاير للانسانية يعد من الاعمال الوحشية اه

قال المقريزى فلما كان زوال الدولة الفاطمية (٥٦٧ هـ) على يد السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب اعتنى بأمر الاسطول وأفرد له ديوانا عرف بديوان الاسطول وعين لهذا الديوان الفيوم بأعمالها والحبس الجيوشى فى البرين الشرقى والغربى وهو من البر الشرقى بهتين والاميرية والمنية ومن البر الغربى ناحية سفط ونهيا ووسيم والبساتين خارج القاهرة وعين له أيضا الخراج وهى أشجار من سنط لا تحصى كثرة فى البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية لم تزل بهذه النواحى لا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار وعين له أيضا النطرون وكان قد بلغ ضمانه ثمانية آلاف دينار ثم أفرد لديوان الاسطول مع ما ذكر الزكاة التى كانت تجبى بمصر وبلغت فى سنة زيادة عن خمسين ألف دينار وأفرد له المراكب الديوانية وناحية اشناى وطنبدى وسلم هذا الديوان لاخيه الملك العادل أبى بكر محمد ابن أيوب فأقام فى مباشرته وعمالته صفى الدين عبد الله بن على بن شكر وتقرر ديوان الاسطول الذى ينفق فى رجاله نصف وربع دينار بعدما كان نصف وثمن دينار اه وقبل هذا الوقت كانت قامت دول أوروبا باطماعها وقصدت الاستيلاء على الشرق فاشتعلت نيران الحروب الصليبية وامتلكوا أكثر السواحل الشامية وأخذت أطماعهم وتعصباتهم تتزايد حتى انهم قصدوا الاستيلاء على كعبة الاسلام فلما بلغ صلاح الدين الايوبى خبر تقدمهم على الحدود الحجازية عاد الى مصر مسرعا وأنشأ مراكب فى دور صناعتها وحملها مفصلة على الجمال (٥٦٨ هـ) الى ساحل أيلة (بحر العقبة) فألفها وألقاها فى البحر وشحنها بالجنود وبعد تجهيزها أقلع ذلك الاسطول وحاصر به مدينة ايلة برا وبحرا فافتتحها عنوة وأخذ بعد ذلك يقوى أساطيله فى البحر الاحمر وفى خلال ذلك قام البرنس

ارناط صاحب الكرك وعزم نهائيا على محاربة المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام قال ابن خلدون ما ملخصه فانشأ أسطولا مفصلا وحمل أجزاءه الى صاحب أيلة وركبه على ما تقتضيه صناعة انشاء السفائن وقذفه فى بحر السويس وشحنه بالمقاتلة وأقلعوا به وأرسل فرقة منه أقامت على حصن أيلة تحاصره وفرقة سارت نحو عيذاب وأغاروا على سواحل الحجاز وأخذوا ما وجدوا بها من مراكب التجار وطرق الناس منهم بلية لم يعرفوها لانه لم يعهد ببحر السويس افرنجى محارب ولا تاجر وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن أخيه صلاح الدين فعمر وجهز أسطول مصر وشحنه بالمقاتلة وقالع به حسام الدين لؤلؤ الحاجب قائد الاساطيل بديار مصر فبدأ باسطول الفرنج الذى يحاصر أيلة فمزقهم كل ممزق وبعد الظفر بهم أقلع فى طلب الفرقة الثانية من أسطولهم الذى قصد عيذاب فلم يجدهم فرجع الى رابغ فأدركهم بساحل الحوراء وكانوا عازمين على طروق الحرمين واليمن والاغارة على الحاج فلما أطل عليهم لؤلؤ بالاسطول أيقنوا بالتغلب وتراموا على الحوراء وأسموا اليها واعتصموا بشعاب ساحلها فنزل لؤلؤ من مراكبه وجمع خيل الاعراب هنالك وقاتلهم فظفر بهم وقتل أكثرهم وأسر الباقين فأرسل بعضهم الى منى فقتلوا بها أيام النحر وعاد بالباقى وبما غنمه من سفنهم الى مصر والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء ثم بعد ذلك حاصر صلاح الدين قلعة الكرك الى أن فتحها عنوة وقتل البرنس ارناط بيده حرصا على الوفاء بنذره بعد أن عرفه بقدرته وبما كان رومه من الحرمين اه

وفى خلال ذلك قصد الفرنج الاسكندرية من صقلية (٥٦٩ هـ) بأسطول مؤلف من مائتى سفينة تحمل الرجالة و٣٦ طريدة تحمل الخيل وست مراكب كبار تحمل آلة الحرب وأربعين مركبا تحمل الازواد وكانت عدة الرجال خمسين ألفا والفرسان ١٥٠٠ فوصلوها على حين غفلة من أهلها فى ٢٦ الحجة فخرج أهل الاسكندرية بالسلاح ليمنعوهم من النزول وأبعدوا عن البلد فأمرهم الوالى بملازمة السور ونزل الفرنج الى البر وتقدموا الى المدينة ونصبوا عليها الدبابات والمنجنيقات وقاتلوا أشد قتال وصبر لهم أهل البلد وكان العسكر عندهم قلائل ورأى الافرنج من شجاعة أهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ماراعهم وسيرت الكتب فى الحال الى صلاح الدين ودام القتال ووصل من العساكر الاسلامية كل من كان قريبا من الاسكندرية فقويت بهم نفوس أهلها وأحسنوا القتال والصبر وهاجموا الفرنج ببسالة حتى وصل المسلمون الى الدبابات (١) فأحرقوها وصبروا للقتال فدام القتال الى آخر النهار فانجلى عن نصر المسلمين فعادوا الى المدينة مستبشرين بفتوح حرب الافرنج وكثرة القتل والجراح فيهم فأتى البشير بقدوم صلاح الدين فعاود المسلمون القتال واشتد خوف الافرنج فهاجمهم المسلمون عند اختلاط الظلام ووصلوا الى خيامهم فغنموا ما فيها من الاسلحة وغيرها وأكثروا القتل فى رجالتهم فهرب كثير منهم الى البحر وقربوا شوانيهم ليركبوا فغرق البعض ونجا البعض وغاص بعض المسلمين فى الماء وخرقوا بعض الشوانى فغرقت فهرب الباقون وهذه الحادثة من أهم الحوادث التى جرت على الاسكندرية فى الحروب الصليبية ثم سار صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فيها وكانت حروبه مع الفرنج متواصلة وكان الفرنج ضيقوا على جيوشه بعكا وجاء الخبر بوصول الاسطول من مصر

(١) قال فى القاموس الدبابة مشددة آلة تتخذ للحروب فتدفع فى أصل الحصن فينقبون وهم فى جوفها

فجهز الافرنج أسطولا لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الاسطول من دخول عكا فلم يشغلوا عنه وقاتلوا الفريقين برا وبحرا ودخل الاسطول الى مرسى عكا سالما والله تعالى أعلم بغيبه ثم اشتد الحصار على عكا حتى قلت الميرة فأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية ليبعث الاقوات فى المراكب الى عكا وبعث الى بيروت بمثل ذلك فبعث بمراكب بامنها ونصبوا فيها الصلبان يوهمون أنه للافرنج حتى دخلوا المرسى وجاءت بعد ذلك الميرة من الاسكندرية (٥٨٦ ه) ثم تتابعت امدادات الافرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكا وحضر لهم ستة مراكب عظيمة مشحونة بالمقاتلة والسلاح فقوى الافرنج فى عكا وكان صلاح الدين يصابحهم كل يوم عن مراجعة البلد وتقدم الى أسامة فى بيروت بتجهيز ما عنده من المراكب والشوانى الى مرسى عكا ليشغل الافرنج أيضا فبعثها ولقيت خمس مراكب انكليزية فى البحر وكان ريكاردوس ملك انكلترة أرسلها أمام ريكاردوس فكان على جزيرة قبرص طامعا فى ملكها فغنم أسطول المسلمين المراكب المذكورة بما فيها ونفذت كلمة صلاح الدين الى سائر النواب باعمال مثل ذلك فجهزوا الشوانى وملؤا بها مرسى عكا حتى ان صلاح الدين استنجد الموحدين ليرسلوا له الاساطيل فلم يجيبوه الى طلبه ولم يكن فى الاسلام وقتئذ قوة بحرية غير قوة الموحدين قال ابن خلدون لما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهده باسترجاع ثغور الشام من يد أمم النصرانية وتطهير بيت المقدس منهم تتابعت أساطيلهم بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذى كانوا قد استولوا عليه فأمدوهم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم فى ذلك الجانب الشرقى من البحر وتعدد أساطيلهم فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هنالك كما أشرنا اليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبى يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ طالبا مدد الاساطيل لتحول فى البحر بين أساطيل الفرنج وبين مرامهم من امداد النصرانية بثغور الشام وأصحبه كتابه اليه فى ذلك من انشاء الفاضل البيسانى يقول فى افتتاحه فتح الله لسيدنا أبواب المناجح والميامن حسبما نقله العماد الاصفهانى فى كتاب الفتح القسى فنقم عليهم المنصور تجافيهم عن خطابه بأمير المؤمنين وأسرّها فى نفسه وحملهم على مناهج البرّ والكرامة وردّهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك اه وفى رواية أخرى أنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا ومنع النصارى من سواحل الشام ولكن لم يرد فى التواريخ التى وقفنا عليها شىء عن حركة تلك الاساطيل وقد نجم عن هذا التهاون الطفيف أن خسر صلاح الدين الذى كان يدافع عن بيضة الاسلام ع وما خسائر وافرة فلا حول ولا قوة الا بالله لانه فى تلك الاثناء انتهى ملك انكلترة من امر جزيرة قبرص وملكها وعزل صاحبها وبلغ عكا فى خمس وعشرين مركبا مشحونة بالرجال والاموال والتى فى طريقه مركبا للمسلمين جهز من بيروت الى عكا وفيه ٧٠٠ مقاتل فقاتله للقبض عليه فامتنع أهله ودافعوا عن أنفسهم ولما علموا أنهم مأخوذون لا محالة ويئسوا من الخلاص نزل مقدمهم يعقوب الحلبى أو الحلى غلام ابن شقتين وخرق المركب فأغرقها ولم يمكن الفرنج من أن يظفروا بها وبرجاله وذخائره هذه كانت حالة القوم مدة عز الاسلام ووقت أن كان رجاله لا يرون الفخر الا فى المدافعة عن أوطانهم وروى هذه الحادثة الفاضل محمد شكرى أفندى صاحب كتاب الاسفار البحرية العثمانية بما يخالف رواية ابن خلدون وقد رأينا من المفيد ذكرها هنا ليقف عليها المطالع قال الفاضل المذكور نقلا عن

المؤرخ

المؤرخ الانكليزى جون كارنوك (John Charnoch) انه فى الحملة الصليبية الثالثة لما قصد كوردوليون ملك انكلتره الذهاب الى بلاد الشام خرج بأساطيل كثيرة وبعد أن استولى على قبرص وغادرها قاصدا سواحل الشام فى مائتى سفينة لاقى فى طريقه سفينة جسيمة من أساطيل صلاح الدين وكان يقودها قائد يدعى الامير يعقوب وبعد ان هاجمها بسفنه ودارت رحى الحرب بينه وبين من فى الاسطول الاسلامى عدة ساعات ومات من رجالها نحو المائتين تمكنت سفن كوردوليون من القبض على تلك السفينة التى كانت له غنيمة غالية القيمة لانها لم تقع فى قبضة الانكليز الا بعد أن قاومتهم مقاومة عنيفة وقتلت من رجالهم عشرة أمثال من قتل منها وفى رواية جون كارنوك هذا أن السفينة المذكورة كانت كبيرة الحجم جدا فكان بها ألف وخمسمائة نفر وهذا يدل على أن فن انشاء السفائن كان فى ارتقاء عند الاسلام وقال المؤرخ المذكور أيضا انه بعد ذلك أمر ريكاردوس بقتل من بقى من رجال السفينة المذكورة وعددهم ١٣٠٠ نفس ولم يرثوا لحالتهم بل ألقوهم قطعا فى البحر ولم يكن ينتظر هذا الامر من هذا الملك الذى اشتهر بالفروسية والاقدام حتى ان جون كارنوك لم يظهر أسفا واستنكارا لهذا الامر الفظيع بل مدح فعل ريكاردوس اه ملخصا هذا ولما مات صلاح الدين وانتشرت الفتن بين أولاده فى البلاد وأهمل القوم حراسة ممالكهم أهملوا أمر القوة البرية والبحرية الا عند مسيس الحاجة قال المقريزى ولما مات السلطان صلاح الدين بن أيوب استمر الحال فى الاسطول قليلا ثم قل الاهتمام به وصار لا يفكر فى أمره الا عند الحاجة اليه فاذا دعت الضرورة الى تجهيزه طلب له الرجال وقبض عليهم من الطرقات وقيدوا فى السلاسل نهارا وسجنوا فى الليل حتى لا يهربوا ولا يصرف لهم الا شئ قليل من الخبز ونحوه وربما أقاموا الايام بغير شئ كما يفعل بالاسرى من العدو فصارت خدمة الاسطول عارا يسب به الرجال واذا قيل لرجل فى مصر يا أسطولى غضب غضبا شديدا بعدما كان خدام الاسطول يقال لهم المجاهدون فى سبيل الله والغزاة فى أعداء الله ويتبرك بدعائهم الناس اه ولما علم الفرنج بضعف بحرية الدولة الايوبية أكثروا من الهجوم بسفنهم على بلادها وكثيرا ما نالوا منها ما قصدوه

قال المقريزى أيضا ثم لما انقرضت دولة بنى أيوب وتملك الاتراك المماليك مصر أهملوا أمر الاسطول الى أن كانت أيام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى (٦٥٨ هـ) فنظر فى أمر الشوانى الحربية واستدعى برجال الاسطول وكان الامراء قد استعملوهم فى الحراريق وغيرها وندبهم للسفر وأمر بعد الشوانى وقطع الاخشاب لعمارتها واقامتها على ما كانت عليه فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب واحترز على الحراج ومنع الناس من التصرف فى أعواد العمل وتقدم بعمارة الشوانى فى ثغرى الاسكندرية ودمياط وصار ينزل بنفسه الى الصناعة بمصر ورتب ما يجب ترتيبه من عمل الشوانى ومصالحها واستدعى بشوانى الثغور الى مصر فبلغت زيادة عن أربعين قطعة سوى الحراريق والطرائد فانها كانت عدة كثيرة وذلك فى شوال سنة ٦٦٩ هـ ثم سارت تريد قبرص وقد عمل ابن حسون رئيس الشوانى فى أعلامها الصلبان يريد بذلك أنها تخفى اذا عبرت البحر على الفرنج حتى تطرقهم على غفلة فكره الناس منه ذلك فلما قاربت قبرص تقدم ابن حسون فى الليل ليهجم المينا فصدم الشونة المقدمة شعب فانكسرت وتبعتها بقية الشوانى فتكسرت الشوانى كلها وعلم بذلك متملك قبرص فأسر كل من فيها وأحاط بما معهم وكتب الى السلطان يقرعه ويوبخه وان شوانيه

قد تكسرت وأخذ ما فيها وعدتها احدى عشرة شونة وأسر رجالها فحمد السلطان الله تعالى وقال الحمد لله منذ ملكنى الله تعالى ما خذل لى عسكر ولا زلت لى راية الى أن قال وأمر بانشاء عشرين شونة وأحضر خمس شوانى كانت على مدينة قوص من صعيد مصر ولازم الركوب الى صناعة العمارة بمصر كل يوم فى مدة شهر المحرم سنة سبعين وستمائة الى أن تنجزت فلما كان المحرم سنة ٦٧١ زاد النيل ولعبت الشوانى بين يديه فكان يوما مشهودا اهـ باختصار وقال أيضا وفى سنة ٦٩٢ تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن سلعوس بتجهيز الشوانى فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ما يحتاج اليه الشوانى حتى كملت عدتها نحو ستين شونة وشحنها بالعدة وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح فأقبل الناس لمشاهدتهم ثم ركب السلطان من قلعة الجبل واستعرض أسطوله وكانت جموع المتفرجين لا تحصى وبرزت الشوانى واحدة بعد واحدة وقد عمل فى كل شونة برج وقلعة تحاصر والقتال عليها والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين فى أعمال الحيلة فى النقب ومامنهم الامن أظهر فى شونته عملا معجبا وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه وتقدم ابن موسى الرايس وهو فى مركب نيلية فقرأ قوله تعالى بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم ثم تلاها بقراءة قوله تعالى قل اللهم مالك الملك الآية هذا والشوانى تتواصل بمحاربة بعضها بعضا الى أن أذن بصلاة الظهر فمضى السلطان بعسكره عائدا الى القلعة اهـ باختصار وبقى الاهتمام بأمر الاساطيل يتزايد ونخرجها للغزو فى البحار سنويا متواصل حتى صارت لهم فى قلوب الاعداء هيبة تذكر ففى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون جهز الشوانى بالعدد والسلاح والنفطية والازودة (٧٠٢ هـ) وعين لها جماعة من أجناد الحلقة وألزم كل أمير مائة بارسال رجلين من عدته وألزم أمراء الطبلخاناه والعشروات باخراج كل أمير من عدته رجلا وندب الامير سيف الدين كهرداش المنصورى الزراقة الى السفر بهم ومعه جماعة من مماليك السلطان الزراقين وزينت الشوانى أحسن زينة واستعرضها السلطان كالعادة ثم سارت الى مينا طرابلس ثم ساروا ومعهم عدة من طرابلس وهاجموا جزيرة أرواد من أعمال قبرص واستولوا على ما فيها وهدموا أسوارها وعادوا الى طرابلس وأخرجوا من الغنائم الخمس للسلطان واقتسموا ما بقى منها بينهم ووصل خبر لمصر أن صاحب قبرص أرسل الى ملوك الفرنج يستصرخهم ليساعدوه على محاربة المصريين وانهم أرسلوا عدة مراكب لمساعدته وكان ذلك أيام سلطنة الملك الاشرف أبى المعالى زين الدين وبعد قليل أتت مراكب قبرص ورودس وأخذت تهاجم السواحل المصرية ولكن فم بحر دمياط وقتئذ كان مسدودا أمامهم لانه فى مدة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى كان أخرج من مصر عدة من الحجارين فى سنة ٦٥٩ فقطعوا كثيرا من القرابيص وألقوها فى بحر النيل الذى ينصب من شمالى دمياط فى البحر الملح حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه الى دمياط ولذلك أخذت مراكب الفرنج تسطو على كل مركب تجارى لمصر فتعطلت التجارة من ذلك

وفى سنة ٨٦٧ هاجم صاحب قبرص ثغر الاسكندرية باسطول جسيم عدده ٧٠ مركبا فقتل ونهب وأسر وهرب الناس فلما بلغ السلطان خبر ذلك أمر بتجهيز المراكب الحربية وعهد الى

الاتابكى

الاتابكى يلبغا بمباشرة هذه المهنة فشيد فى زمن قليل نحو مائة غراب وجهزها لمحاربة أولئك القرصان الذين قطعوا الطريق على سفن تجار مصر فانكمشت بعد ذلك سفن قرصان الروم مدة خصوصا لما أخذت القوة البحرية فى الترقى وصارت الملوك تخرج بنفسها فى الاساطيل لزيارة السواحل والثغور المصرية وتقصد بهذه الزيارة إرهاب سفن قرصان الروم التى كانت تسطو على كل سفينة تجارية وغير تجارية فأرسل الاشرف قايتباى سنة ٨٧٨ أسطولا مشكلا من جملة أغربة حربية تحت إمرة الامير محمد بن قجماس (قاجمز) لتعقيب أسطول الروم الذى كان حضر الى فم ثغر دمياط وتعدى على أهاليه بالنهب والسلب وقبل عهد قنصوه الغورى بسنتين كانت سفن البرتقال اكتشفت طريق الهند من جهة رأس الرجاء الصالح بمعرفة فاسكو دوغاما (٩٠٤ هـ - ١٤٩٨ م) ثم أرسلوا فرانسوا دالميدا (François d'Almeida) بالاساطيل والرجال وأخضعوا بلاد كجرات وسواحل دكن وجزيرة هرمز الواقعة فى فم خليج العجم وأخذت سفنهم تمخر فيما بين البصرة وعدن وتتعدى على كل سفائن مصر والعرب التجارية وتنهبها وتستولى عليها وبذلك انقطع طريق التجارة بين الهند ومصر خصوصا بعد بنائهم قلعة فونا فى ساحل دكن قال الحاج احمد راشد بك فى تاريخ اليمن وصنعاء ما ملخصه ان السلطان مظفر شاه ملك كجرات والسلطان عامر ملك اليمن أرسلا الى قانصوه الغورى يطلبان منه المساعدة فارسل الغورى سنة ٩١٣ هـ خمسين سفينة حربية وجيوشا وافرة تحت قيادة الامير حسين الكردى أحد أمراء مصر لمطاردة سفن البرتقال التى كان يقودها فرانسوا الميدا وبعد وقائع عادت سفن مصر بعد أن فقدت جملة سفائن ثم التزم الامير حسين بالعودة مارا على جدة وصادر عدة من تجارها وأظهر لاهلها القسوة والظلم وأخذ منهم أموالا طائلة ليعوض بها على نفسه ما أضاعه أمام سفن البرتقال عامله الله بما يستحقه وفى سنة ٩١٧ هـ أقلع بالاسطول يقصد كجرات ثانية بعد أن شيد بجدة قلعة أنزل بها حامية اهـ وروى بعض المؤرخين أن البنادقة كانوا يساعدون بسفنهم السفن المصرية فى هذه الغزوة البحرية لان تحويل البرتقال لتجارة الهند عن طريق رأس غشم الخير أضر بهم ضررا بليغا لاشتغال مراكبهم التجارية بنقل تجارة الهند الى ثغر السويس وبعد أن تحمل الى الاسكندرية تحملها سفنهم أيضا الى أوروبا ولهذا فانهم أعدوا أسطولا عظيما فى السويس واتحدوا مع أساطيل قنصوه فى تلك الحروب وحفروا عند المكان المسمى عيون موسى مجارى لتوصيل المياه العذبة الى حوض بنوه هناك على ساحل البحر الاحمر لتتزود الماء منه سفنهم ولا تزال آثار تلك الاعمال باقية فى تلك الجهة للآن وكانت العلوم البحرية ترقت فى ذلك الوقت بازدياد التجارة والتمدن فأصبح القوم أشد مقاومة وإقداما وكان لممالك ايطاليا حينئذ الشهرة والامتياز فى التمدن وفى الاسفار البحرية وكانت سفنهم تتردد على جميع فرض البحر المتوسط الابيض خصوصا الاستانة وسوريا ومصر

وكان للغورى خلاف أساطيل السويس جملة أساطيل بالبحر الابيض المتوسط حتى انه فى سنة ٩١٨ هـ عندما التجأ اليه الامير كركود أخو السلطان سليم الاول ابن السلطان بايزيد خان طالبا مساعدته على أخيه أمده الغورى باسطول مركب من عشرين سفينة حربية تساعده على نزع السلطنة من يد أخيه وقد تلاقى هذا الاسطول مع أساطيل العثمانيين بسواحل سوريا وبعد واقعة

بحرية انهزمت السفن المصرية ووقع غالبها فى قبضة المراكب العثمانية وفى رواية أخرى أنه أصاب سفن الغورى زوبعة شديدة بددت معظمها فاستولى الاسطول العثمانى على ما بقى منها وفى سنة ٩١٩ ﻫ وصل خبر الى السلطان عامر سلطان اليمن ان ١٨ سفينة برتقالية أقبلت الى عدن واستولت عليها ثم تحقق أنهم ارتدوا عنها خائبين لتيقظ أميرها ولكنهم قصدوا مخاوا الحديدة وفتكوا بأهلها ثم احتلوا جزيرة قمران وقتلوا جميع حاميتها وأهالى البلد ثم أقلعوا منها وقصدوا زيلع فأحرقوا مدينتها وعادوا ثانية الى عدن وحاربوها الا أنهم لم ينالوا منها وكان السلطان عامر استنجد بالغورى فارسل الغورى أسطولا الى تلك المياه تحت قيادة الامير حسين الكردى المار الذكر وتلاقى مع أسطول البرتقال الذى كان يحاصر عدن وكان تحت قيادة الفونسوا البوكرك (١) (Albuquerque) فحاربه وأجلاه عنها وكان البوكرك المذكور قبل ذلك هاجم كالكوتا من أعمال الهند واستولى عليها وعلى غوا وملقا ولما انتصر عليه المصريون أمعن فى عرض البحر الا أنه انتهز فرصة عودة الاسطول المصرى الى مياه اليمن وعرج بسفنه على سواحل الحبشة يحاول الاستعانة بالنجاشى على المصريين وخابره فى أمر تحويل مصب النيل الى البحر الاحمر ليميت بلاد مصر لشدة كراهته للمصريين وكان يظن ذلك من الامور السهلة ولكنه لم ينجح وضايقته الاساطيل المصرية واحتلت جزيرة قمران ثم أخذت الاساطيل المذكورة تحارب الدولة العامرية واستولت منها على كثير من بلاد اليمن ثم أقلع الامير حسين الى عدن وهاجمها واستولى على زيلع وغيرها ثم أتاه الامير سلمان أحد أمراء مصر فى مدد فأرسله بسفن بها الجنود لمرافقة سفن تجار عدن التى أقلعت قاصدة بلاد الهند وكان سلمان هذا من طائفة لوندات جزائر الغرب له إلمام بالحروب البحرية ولما التحق بالغورى عينه قائدا عاما على أساطيله التى بالبحر الاحمر ورأسه على خمسين غرابا وأرسله لمرافقة الامير حسين الكردى كما ذكر لانه كان بلغه أن دولة البرتقال عينت فى سنة ١٥١٧ م - ٩٢٢ ﻫ الاميرال ديغو (Diego) باسطول جسيم لمطاردة سفن ملوك مصر بمياه بلاد العرب ومنعهم من ارسال الجيوش الى بلاد الهند فمر بسواحل عادل وزيلع وبربرة (وكانت علاقة البرتقال مع الحبشة متصلة من سنة ١٤٩٢ عندما أرسل يوحنا الثانى ملك البرتقال بدر ودوكوفلهام الى بلاط النجاشى اسكندر للتفتيش على برستر جون أحد رجال البرتقال الذى انقطع خبره فى الوقت المذكور ولما مات اسكندر وخلفه على تخت الحبشة النجاشى داود وكان صغير السن قامت جدته هيلانه مدة بوكالة الملك فارسلت وفدا الى البرتقال فأتتها سفارة من لسبون فى نحو سنة ١٥٢٠ فكان ذلك باعثا على دخول البرتقاليين كثيرا فى مصالح البلاد المذكورة وكانت أساطيلهم لا تنقطع عن سواحل الحبشة وقد صدرت أوامر الى اسطفان داغاما نائب ملك البرتقال فى الهند أن يساعد الحبش بجيش قليل فى حربهم مع مسلمى عادل وهى الحرب التى انتشبت نيرانها فى نحو سنة ١٥٢٨ وكان قد مضى عليها اثنتا عشرة سنة وبناء على ذلك نزل الى البر فى مصوع تحت قيادة خرستوفورس داغاما أخى نائب الملك أول جيش أوروبى ودخل الحبشة سنة

(١) هو ملاح بورتقالى كبير يلقب بالكبير وبالمريخ البرتقالى أصله من عائلة ملوك البرتقال وسيأتى ذكره مفصلا فى تاريخ دولة البرتقال

١٥٤١ وكان عدده ٤٥٠ جنديا ومعه ستة مدافع وقد استظهر على عساكر المسلمين فى معارك كثيرة الا أن عساكره انكسرت أخيرا وقتل هو فى معركة مهمة سنة ١٥٤٢ م وفى خلال ذلك كانت الاساطيل البرتقالية لم تزل تمخر فى بحار الهند وتتردد كثيرا على ثغور البحر الاحمر وخصوصا سواحل الحبشة تعاكس التجارة وتتعدى على سفائن المسلمين فى تلك المياه الى أن استولى العثمانيون على الديار المصرية وصارت أساطيلهم تحارب البرتقاليين فى المياه المذكورة حتى منعت تعدياتهم واطمأنت ثغور بلاد العرب من شرهم)

﴿ الفصل الخامس ﴾

(البحرية بمصر فى عهد ولاة الدولة العثمانية)

اعلم أنه بعد أن دخلت مصر تحت حكم الدولة العلية العثمانية على الصورة المشروحة فى هذا التاريخ ورتب بها السلطان سليم القوة اللازمة لحراستها كانت الاساطيل العثمانية تتردد كثيرا على السواحل المصرية وبعد عودة السلطان الى القسطنطينية أخذ خير الدين بك الوالى بمساعدة خيرى بك أمير الامراء فى اصلاح المراكب الموجودة بالنيل ولم يكن لمصر وقتها بالبحر الاحمر أغربة لان الاغربة التى كانت لقنصوه الغورى انقرضت وضاع معظمها ومابقى منها حجزته الامراء المصرية بجهات اليمن تحت قيادة سلمان رئيس السابق ذكره حتى انه فى عام ٩٢٥ هـ لما أتت الاخبار من مكة بأن فى البحر المالح قبالة جدة نحو أربعين مركبا من مراكب الفرنج يعيثون فى البحر ويقطعون على التجارة الطرقات لم يجد والى مصر لديه قوة بحرية يرسلها لذلك فأرسل جماعة من المماليك الجراكسة وغيرهم يبلغ عددهم ثلثمائة برا صحبة الحجاج يقيمون بجدة خوفا من أن يطرقها بعض الفرنج على حين غفلة ثم اهتم خير الدين بك بأمر تشييد السفن فى دار صناعة بولاق قال ابن اياس فى تاريخه بصحيفة ٢١٤ من الجزء الاخير ان ملك الامراء عرض المراكب الاغربة التى أنشأها ولعبت قدامه فى البحر وانشرح من ذلك سنة ٩٢٦ هـ اهـ

ولما جلس السلطان سليمان القانونى بعد وفاة السلطان سليم (١٩ القعدة ٩٢٦ هـ) اهتم بأمر الثغور البحرية فرتب نظامات مخصوصة لادارة السواحل المصرية والامور البحرية فيها وعين ثلاثة قبودانات لمصر أحدهم لثغر دمياط والثانى لثغر السويس والثالث لثغر الاسكندرية سمى كل منهم قبودان بك وجعل تعيينهم وتغييرهم يتعلق رأسا بارادته السلطانية لان أحوال البحار وعبث أساطيل الفرنج فيها جعل الدولة تهتم فى ذلك الوقت اهتماما زائدا بأمر الثلاثة ثغور المذكورة لاعتبارها وقتئذ أبواب القطر المصرى فكانت الدولة ترسل حاميتها رأسا من الاستانة تحت قيادة القبودانات المذكورين وتمدها كل سنة بما يلزمها من الذخائر الحربية ولم يكن هؤلاء القبودانات يعتبرون أنهم من جيوش مصر الا باعتبار اقامتهم فى تلك الثغور المصرية وبما يستولونه من المرتبات من الخزينة المصرية ولم يكونوا تحت أوامر البلاد فى شىء مافأوامرهم كانت ترد اليهم رأسا من دار الخلافة وكثيرا ما كان يوجد تحت قيادة هؤلاء القبودانات أغربة حربية ماعدا قبودان السويس وقد اهتم أمير الامراء بمصر بأمر القوة البحرية حتى انه فى سنة ٩٢٧ توجه بنفسه الى بولاق وكشف

على المراكب التى عمرها هناك فأنزلوها الى البحر قدامه ثم عاد الى القلعة وصار يتردد على دار الصناعة حتى اطمأن باله وورد فى صحيفة ٢٧٤ من الجزء الاخير من تاريخ ابن اياس أنه حضرت مراكب من الاغربة التى كان عمرها ملك الامراء وأرسلها صحبة الاروام والمغاربة البحارة فلما دخلوا الى البحر المالح وجدوا جماعة من الفرنج يعيشون فى سواحل البحر المالح يعنى السواحل المصرية فأوقعوا بهم وقاتلوهم فانكسر الفرنج وقبضوا عليهم وأسروهم واحتووا على مراكبهم فوجدوا فيها بضائع وجوخا وأصنافا فاخرة فأخذوا جميع ما كان فيها وقبضوا على من كان فيها من الفرنج ووضعوهم فى الحديد وأرسلوهم الى ملك الامراء الى أن قال فى صحيفة ٢٧٧ فى أواخر هذه السنة ان ملك الامراء جهز مراكب أغربة وفيها جماعة من المقاتلين فتوجهوا الى البحر المالح وقد بلغه أن جماعة من الفرنج يعيشون فى السواحل على المسافرين فلما توجهوا الى البحر المالح وجدوا مراكب فيها تجار من الفرنج ومعهم بضائع بنحو خمسين ألف دينار فتقاتلوا معهم فكسروا الفرنج وقبضوا عليهم وأحاطوا بما معهم من البضائع اهـ

وفى عام ٩٢٨ هـ تزايد شر الفرنج على سواحل البحر الهندى حتى بطلت التجارة تقريبا فأخبر الوالى بالحاصل دار الخلافة وكان اهتمام خير الدين باشا الوالى بأمر البحرية المصرية يفوق الوصف لانه كان لا يفتر عن التوجه فى أغلب الاوقات الى بولاق للتفتيش على المراكب الاغربة التى كان يبنيها ويعمرها هناك ويستعرضها قدامه فى البحر ذهابا وايابا وهو ينظر اليها والنفوط تشتعل فأحبته الامة لاهتمامه بشؤنها أيضا وبقى خير الدين باشا فى نشاطه هذا الى أن أدركته الوفاة بمرض جلدى سنة ٩٢٨ هـ وفى سنة ٩٤٤ هـ استغاث بهادر شاه حاكم كجرات من بلاد الهند بالسلطان سليمان القانونى لتعديات أساطيل البرتقال على بلاده قائلا انها مستمرة على العيث فى السواحل الهندية دائبة السطو على كل سفينة لمنع المواصلات التجارية التى كانت بينها وبين الديار المصرية فأصدر السلطان أوامره الى الخادم سليمان باشا والى مصر وكان السلطان يثق به كثيرا بتجهيز دونانمة فى البحر الاحمر لتسير صحبة الجنود العثمانية الى بحر الهند فشيد ستين غرابا وثلاثين سفينة وجهزها بالمدافع والادوات الحربية فى زمن وجيز وأقلع بها من ثغر السويس ومر فى ذهابه بعدن وقتل أميرها عامر بن داود وستة نفر من أصحابه ونصب عليها أحد ضباطه المسمى بهرام بك وترك معه بعض الجنود والمدافع ثم أقلع الى الهند ومع ما بذله من الجهود بجهات ديو لم يتمكن من طرد البرتقال عن تلك الاطراف فعاد الى عدن ومنها الى مخا وخلع والى اليمن ونصب مكانه مصطفى بك نائب غزة سابقا ثم عاد الى مصر

وقد ذكر هذه التجريدة الاميرال الفرنسوى جوريان دولاغرافية فى صحيفة ٢٥٢ من كتابه فى البحرية المسمى دورياو باربروس قال اعلم ان جمهورية البنادقة والدولة العثمانية كانا لا يحسنان انتخاب الوقت لاصلاء نيران القتال وتجديد ما كمن بينهما من العداوة بالحروب بأوروبا ولم يكونا يفطنان لما هنالك من المنفعة العظيمة لان يجمعا فى بحار الهند سفنهما و يتحدا سياسيا ضد العدو العام الذى كان يهدد دول البحر المتوسط الابيض بنزع التجارة من أيديها أى تجارة الشرق الاقصى التى كانت تعود على الدولتين المذكورتين بالمكاسب العظيمة وانه قبل سنة ١٥٢٥ م لم يكن ظهر العلم العثمانى فى الجهات التى كانت تجلب منها سفن العرب متاجر الهندستان وفى هذا الزمن أرسل

السلطان

السلطان سليمان فى البحر الاحمر الملاح سلمان رئيس ومعه عشرون شانية للاغارة على سواحل بلاد اليمن وادخال قبائلها تحت طاعة العثمانيين وكانوا يخضعون لملوك مصر الى وقت استيلاء السلطان سليم عليها وبعد ذلك بنحو عشرين سنة اشتبك القتال بين أمير بلاد كجرات والبرتقال ولما تضايق الامير المذكور التمس المساعدة من السلطنة العثمانية فأمر السلطان الخادم سليمان باشا أمير أمراء مصر بأن يبنى دونمة بمدينة السويس ويترأس عليها وكانت الاخشاب اللازمة لذلك تأتى بحرا من أضاليا ثم تنقل على النيل الى مدينة القاهرة ومن هناك تحملها الجمال الى السويس ولما تمت المعدات شيدوا دونمة قوية فى مدة بعض شهور عدد سفنها ٧٦ سفينة من كل الانواع والاشكال وقد كان السفر الى بلاد الهند فى القرن السادس عشر الميلادى يحتاج لنوعين من الادلاء (قلاووز) (١) نوع يراقب السفر من السويس الى غوا وكالكوتا ويتبع فى البحر الاحمر الطريق المسمى عند البحارة طريق الوسط (المجره) والآخر يراقب السفر عند العودة متجنبا الرياح التى تهب عادة من الشمال فيمر بالسفن من بين الصخور القريبة من شواطئ بلاد العرب وكان قيام الخادم سليمان باشا من ثغر السويس فى ٢٢ يونيه سنة ١٥٣٨ م ووصوله الى عدن فى ٥ أغسطس من السنة المذكورة ثم أقلع من عدن فى التاسع عشر من الشهر المذكور وقطع المحيط الهندى بسرعة حتى رسا فى اليوم الثانى من سبتمبر أعنى بعد مضى ٧٢ يوما من خروجه من مصر على بعد بعض أميال من الشاطئ الذى احتله البرتقال من جزيرة ديو منذ سنة ١٥٣٥ م وكان أمير كجرات يحاصر حصن ديو منذ ٢٦ يوما وكان يساعده فى هذا الحصار رجل يدعى

---

(١) القلاووز المعروف عند الفرنج بيلوت (Pilote) هو الدليل الذى تأخذه السفن عند دخول المينات أو عند مرورها على السواحل الخطرة أو المضايق الصعبة وأرباب هذه الوظائف يكونون فى العادة عارفين بفنون الملاحة لتسيير السفن وواقفين على تأثير الارياح ومجارى المياه والتيارات مطلعين على الحسابات الفلكية وغيرها عالمين بطرق سير المراكب واقفين على أحوال السواحل والثغور ومسالك المينات ومواقع الصخور المائية والمحال الغير العميقة والمواقع الخطرة فى المسالك والمرافئ وعند السواحل لهم المام بالتخطيط ورسم البحار وكانت السفن فى الاعصر القديمة لا تسير بدونهم لانهم كانوا هم الملاحين الخبيرين المجربين العارفين بأحوال المد والجزر والهواء وغير ذلك مما يعين السفن على المسير ولذلك كان لا ينتظر من رئيس السفينة مهما كان حاذقا عارفا أن يكون عالما بأحوال الامكنة كلها كملاح خبير خصوصا وانه فى العصر السابقة كثيرا ما كان يعهد لقواد البر الرياسة على المراكب الحربية فكانت القوانين تقضى باستخدام القلاوزة وفرضت لهم مرتبات مخصوصة وقضت بأنه عندما يكون القلاووز مشتغلا بتسيير السفينة يكون رؤساء السفن عبارة من قواد أو مديرين تتعلق بهم ادارة السفن فقط وروى المؤرخون أن جمهورية البنادقة عندما قصدت انماء قوتها البحرية استعانت بقلاوزة من اليونان ثم نبغ فيها كثيرون منهم كابوت (Gean Cabot) الذى صار القلاووز الاول لدى حكومة الانجليز ولما ارتقت الفنون البحرية وأنشئت لها المدارس وعلم فيها فن تخطيط البحار وفن سلوكها قل احتياج المراكب الحربية اليهم قبل التجارية بزمن ثم انقطع استخدامهم فى السفن تقريبا فى الاسفار الطويلة وبقيت وظائفهم محصورة عند السواحل والدخول الى المين وفى البحر الاحمر خصوصا لكثرة شعوبه وقد سنت الدول نظامات مخصوصة للقلاوزة سواحلها وفرضها جعلوهم تحت نظر مديرى ادارات المين والفنارات وقيدت أسماؤهم فى دفاترها وجعلت لهم مرتبات مخصوصة على تلك الاعمال ومن النظامات التى وضعت لهم أيضا أن يكتبوا على شراعات قواربهم ومراكبهم ومؤخرها اسم صنعتهم بالحرف الكبير واسم الثغر التابعين له وفرضت على من يطلب القلاووز رفع علم مخصوص عرفى عند جميع الملاحين

ظافر أصله نصرانى من مدينة أوترنت اعتنق الاسلام ثم فى اليوم الثامن من شهر سبتمبر اقترب سليمان باشا من الشاطئ وأنزل من معه من جنود اليكجرية والمدافع وفى أول اكتوبر استولى على حصون البرتقال الامامية بعد عدة مناوشات وفى آخر هذا الشهر أمر بالهجوم العام على الحصن المذكور فردته البرتقال بقوة وفقد فى ذلك من رجاله نحو أربعمائة نفر وبينما كان يدبر لأمر هجوم آخر بلغه قرب مجىء الدونما البرتقالية فأنزل جنوده الى السفن فى الحال وترك للاعداء مدافعه وفى اليوم الخامس من شهر نوفمبر تقدم نحو سواحل كجرات وكانت الرياح تعاكسه الى أن وصل الى مدخل خليج كوتش ومن هناك أقلع نحو بلاد مصر وفى اليوم الخامس من شهر ديسمبر استقبل أمام مدينة عدن وكان فى الثالث والعشرين من الشهر المذكور أمام مدينة مخا ولم يصل الى مدينة السويس الا فى منتصف شهر يونيه من السنة المذكورة وقد مضت هذه الاربعة شهور ونصف وهو يجول بين الصخور طورا بالشراع وطورا بالجذاف وقد روى أسير بندقى رافق الخادم سليمان باشا فى هذا السفر أن الصخور فى هذا الممر كثيرة (أى الممر الكائن بين شواطئ بلاد العرب وسلسلة الصخور المذكورة) بحيث انه يستحيل على أى ملاح مهما كان عليه من الدربة أن يعرفها جميعها ولذلك كان القلاووز يجلس عند مقدم السفينة (البروة) يصيح على الدوام قائلا أورسه و بوجى (ومعناهما جلب السفينة فوق الريح أو تحته) واعلم أن قلاوزة الطريق الداخلى بالبحر الاحمر هم على معرفة تامة بالسباحة حتى انك تراهم فى أمكنة كثيرة حيث لا يمكن القاء المرسى لعدم موافقة قاع البحر يذهبون سباحة و يغوصون ليتجسسوا الصخور والشعاب لشبك الخاطيف فيها وقد عادت تجريدة سليمان باشا البحرية بنتائج مهمة فى البحر الاحمر وان كانت لم تأت بالفائدة المطلوبة فى بلاد الهند وذلك لانه استولى على عدن وطرد أميرها ابن داود لاتهامه بموالاة البرتقال وأسس أيضا بما اتخذه من أنواع الحيل و بقوة السلاح حكومة جديدة ببلاد اليمن وجلب معه من بلاد الهند ١٤٦ أسيرا بعضهم هنود والبعض الآخر من البرتقال وقد قتلهم جميعا قبل أن يصل الى السويس وأرسل رؤسهم الى القسطنطينية وكلف بهذه المأمورية وكيله (خسرو باشا وكان نائبا عنه فى مصر مدة غيابه فى التجريدة) قال الويس أميرال الذى عربنا عنه هذه الرواية ان تجريدة سليمان باشا هذه عادت علينا معاشر الاوروباويين بفائدة بحرية عظيمة لانها علمتنا ان طرق الملاحة بالبحر الاحمر و بالمحيط الهندى فى القرن السادس عشر من التاريخ الميلادى لا تختلف أصلا عن الطرق التى وصفها لنا مؤلف السياحة المسماة جولان فى بحر أريتريه (Erythrée) ومن المعلوم ان البهارات والحرير المجلوبة الى أوروبا اذ ذاك زادت أثمانها من زمن كلوديوس و يوستانيانوس وان الانقلاب التجارى الذى أحدثه البرتقاليون نتج من تغيير فى الاقتصاد المالى المتبع قبل ذلك و بسببه فقد التوازن تماما بين القوى فى ممالك الجنوب وممالك الشمال اهـ

وفى سنة ٩٥٨ هـ صدرت أوامر الى على باشا الذى ولى مصر سنة ٩٥٦ هـ بتسيير أسطول السويس ثانية الى مياه الهند واستخلاص عدن وكان أهلها خلعوا رداء الطاعة واتفقوا مع البرتقال وسلموهم قلعتها وهزموا الحامية المصرية التى كان سليمان باشا الخادم تركها هناك فبعد أن

تجهزت

تجهزت السفائن وشحنت بالمهمات والادوات الحربية عينت الدولة پيری رئیس [1] وهو من مشاهير الملاحين قائدا عاما عليها وأقلع بها من السويس واستخلص مدينة وقلعة عدن من يد الاعداء بعد عدة وقائع وعاد ظافرا وفي سنة ٩٥٩ أقلع ثانيا باسطول مركب من ثلاثين سفينة بين غراب وشانية وقصد السواحل اليمنية وبعد أن ساعد نشار مصطفى بك على اخضاع الثائرين في بلاد اليمن أقلع منها وخرج الى المحيط الهندى واستولى على قلعة مسقاط وأغار على جزيرة هرمز ودوخ البرتقال في تلك الاطراف ثم وصل الى البصرة ولما بلغه أن أسطول البرتقال صار على وشك الحضور الى مياه تلك الاطراف رأى انه اذا بقي في البصرة تعسر عليه المرور من بوغاز هرمز لاستيلاء البرتقال على جزيرته سيما وان أدوات والات السفن الباقية تحت قيادته قد فنى معظمها فاقلع من مينا البصرة بعد أن ترك فيها كثيرا من سفنه الواهية وعاد الى فرضة السويس ولما قدم للدولة تقريرا بأعماله عينت بدله مراد رئيس [2] لقيادة أسطول السويس وأرسلته برا ومعه ما يلزم من الادوات للسفن الراسية بالبصرة وبعد أن نظم سفن الاسطول بها ترك لمحافظتها سفينتين حربيتين وخمسة أغربة وأقلع بالباقي يقصد السويس وكان أسطوله يتركب من ١٧ سفينة فلم يصادفه في طريقه موانع حتى وصل معبر هرمز وهناك قابل أسطولا جسيما للبرتقال كان يمخر في تلك المياه كأنه ينتظر الدونانمة العثمانية فالتزم مراد رئيس أن ينازله ودارت رحى الحرب بين الطرفين من الصباح الى المساء وأصيب الطرفان بخسائر وافرة واستشهد من الدونانمة العثمانية سليمان رئيس قبودان سفينة القائد مراد رئيس ورجب رئيس قبودان احدى السفن الاخرى وخلق كثير من رجال المراكب ولكون بعض السفن أصابتها تلافات عظيمة التزم مراد رئيس أن يعود ثانية الى مينا

(١) پيری رئيس هو من أشهر قبودانات العثمانيين الذين اكتسبوا الشهرة في عصر السلطان سليمان القانوني وكان حفيد الكمال رئيس المشهور السابق الكلام عليه في تاريخ الدولة ورافق وهو صبي كمال رئيس في كل أسفاره التي أجراها بالبحر المتوسط الابيض واكتسب المهارة والشهرة في فن سير السفائن والمحاربات البحرية ثم عين في سنة ٩٥٩ هـ قبودانا بالبحرية الايالة المصرية وقاد أسطول السويس المركب من ٣١ سفينة ومخر به في البحر الاحمر وبحر عمان ودخل خليج البصرة المعروف ببحر فارس واستولى في أثناء سفره على عدة ثغور كمسقط وهرمز وغيرهما وغنم منها غنائم وافرة جدا ولما وصل الى البصرة وبلغه خبر قدوم الدونانمة البرتقالية لتعقيبه ترك جميع سفن الاسطول بالبصرة كاذكر حرصا على تخليص غنائمه وعاد بثلاثة منها تحمل الغنائم المذكورة وفي عودته غرقت منه احدى السفن الثلاث المذكورة أمام بلاد البحرين من ساحل العرب ثم عاد الى السويس بسفينتين فقط ولما بلغ مسامع الحضرة الشاهانية خبر هذه الخسائر أمرت باعدام القبودان المذكور فنفذ الامر عليه بالقاهرة وأرسلت الغنائم التي جلبها الى دار السعادة ولصاحب الترجمة مؤلف وأطلس في جغرافية البحر الابيض المتوسط وبحر الارخبيل بكتبخانة جامع نور عثمانية باستانبول مقيد بنمرة ٣٠٠٤ وهما يشهدان لصاحبهما بسعة الاطلاع والتدقيق والمعرفة ويظهر منهما ما كانت عليه البحرية العثمانية في الوقت المذكور من المعلومات الكاملة والدقة التامة في فن سير السفائن والجغرافية (قاموس الاعلام)

(٢) مراد رئيس هذا أصله من أهالي فاس ولحق بالبحرية العثمانية وكان معدودا في زمن السلطان سليمان القانوني من مشاهير أمراء البحرية العثمانية اشتهر في كثير من المحاربات البحرية والفتوحات العثمانية وكانت وفاته سنة ١٠١٢ هـ (١٦٠٢ م) بجزيرة رودس ودفن فيها خارج القلعة وبني بجانب ضريحه جامع صغير وصارت خواص المسلمين وعوامهم يترددون على ضريحه للتبرك والزيارة وكان رحمه الله مستخدما زمنا متصرفا بسنجقية القطيف اهـ من الاسفار البحرية العثمانية

البصرة ولما كتب للدولة بما حصل عينت بدله سيدعلى قبودان وهو من علماء البحرية والفلك وله معرفة تامة بمسالك بحار الهند حتى انه ألف عنها كتابا نفيسا وصف به تلك البحار وكيفية السير فيها وقد وجد هذا القبودان أيضا فى أكثر الغزوات البحرية مع خير الدين باشا باربار وس ولذا كانت البحرية العثمانية تعتمد عليه ولما تعين رئيسا للبحرية العثمانية بالبحر الاحمر سنة ٩٦٠ هـ أمرته الدولة بارسال السفن الباقية عينا البصرة الى ثغر السويس لتقوية الاسطول العثمانى هناك وبعد أن جهز سفنه بما يلزم أقلع بها من البصرة وتقابل فى طريقه باسطول البرتقال فحاربه بجوار مسقاط وكانت سفن البرتقال ثلاثة أمثال سفنه ومع ذلك انتصر عليها انتصارا عظيما ثم تقدم بقصد السويس وفى أثناء سيره هبت عليه زوبعة شديدة اضطرته لان يتبع مجرى الريح لعدم قدرته على مقاومتها بتلك السفن التى تخرب معظمها من كثرة الحروب الى أن ألقته الرياح أخيرا على سواحل الهند فغرق منه بعض السفن ولما خافت طوائف السفن الباقية من شدة الارياح والامواج التزم بالوقوف على سواحل كجرات وأخرج منها الطوائف الباقية وجرد السفن من آلاتها وسلمها هى والسفن الى محافظ قلعتها ثم عاد براهو ومن بقى معه من الملاحين وعددهم خمسون مارا ببلاد بلوجستان والعجم حتى وصل الى الاستانة بعد أن تكبد من المشقات مالا يوصف وقد ألف القبودان المذكور فى ذلك رحلة مفيدة

هذا وقد استمرت ولاة الدولة فى مصر يشيدون الشوانى والاغربة والاساطيل فى بعض الثغور المصرية حتى صار لها قوة بحرية مخصوصة طوائفها من رجال اللوندات كالذين كانوا بأساطيل أوجاقات بلاد المغرب كان لهم ذكر فى أكثر الحروب البحرية لمشاركتهم أساطيل الدولة فى معظم الوقائع البحرية هذا خلاف السفائن التى كانت للديار المصرية فى البحر الاحمر لتأمين طرق المواصلات بينها وبين البلاد الحجازية والسواحل اليمنية وثغور الدولة بالبحر الاحمر

وفى النصف الاخير من القرن الثانى عشر الهجرى أخذت القوة البحرية فى مصر فى الانحطاط لضعف حالة اللوندات من جهة واشتغال ولاة الدولة فى الارتباكات والاضطرابات الداخلية التى أوجدتها طوائف الجنود من الجهة الاخرى وذلك لان الجنود صاروا يحمون بعض التجار والمزارعين والملاحين ليقاسموهم الارباح ويمنعوهم من أداء حقوق الحكومة التى كانت تمكن الولاة بها من تعزيز القوة البحرية وبعد تمكنهم من ابطال هذه الحماية المضرة ظهرت بمصر أحزاب أخرى تدعى بالقاسمية والفقارية اضطربت الامور فى أيامهم اضطرابا وظهرت منازعات عديدة ثم أخذت أمراء المماليك تستبد بالامور ووقع بينهم خصام أشغل البلاد مدة وكانوا حزبين أيضا محمدية نسبة الى محمد بك أبى الذهب وعلوية نسبة الى على بك الكبير ونشأ عن ذلك أن أهمل الولاة صناعة اللوندات فسقطت القوة البحرية التى كانت لهم بمصر وأخذت الدولة ترسل من طرفها السفائن تارة لنقل مال خراج القطر المصرى الى الاستانة وتارة لخفارة المراكب التجارية الحاملة للارزاق والذخائر واستمر الحال على ذلك الى عهد السلطان الغازى عبد الحميد خان الاول وفى أيامه تمرد كل من مراد بك وابراهيم بك وأظهرا العصيان للاوامر السلطانية ومنعا الخراج جملة سنين وأكثرا من ظلم العباد فأرسل السلطان القبودان حسن باشا الجزائرى ببعض سفائن حربية ونقلية وبها قدر كاف من الجيوش العثمانية (١٢٠٠ هـ) فلما وصل الى ثغر الاسكندرية وقع الرعب فى قلوب الامراء المذكورين وأرادوا

التخلص مما وقع وافيه فارسلوا جملة هدايا الى القبودان باشا المذكور مع جماعة من العلماء منهم الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الحريرى وغيرهما ولما قابلوه عرضوا عليه امتثال الامراء للاوامر وطاعتهم للخليفة وكان ذلك حيلة من الامراء المصريين حتى يتأهبوا فلم تنطل هذه الحيلة على القبودان وانتقل بالمراكب والجيوش الى رشيد ودخل النيل وتقابل مع جموع الامراء بجوار قرية تدعى محلة العلويين بمركز فوة من مديرية الغربية فحاربهم وبدد شملهم وهم ابراهيم بك بامتلاك أبواب القلعة بمصر لما بلغه الخبر فمنعه محمد باشا والى مصر وشرع جماعة الاميرين العاصيين فى عمل المتاريس جهة السبتية ببولاق للتحصين وأخذوا يسلحونها بالمدافع وقبل أن يتموا التحصين وصل القبودان المذكور بسفنه وعساكره الى مصر فهرب العصاة الى الصعيد وبعد حروب يطول شرحها طلبوا الصلح من القبودان فاجابهم وبعد أن أقام الغازى حسن باشا بجهات الصعيد أربع سنوات وعاد الى مصر وكانت الاحوال بها هادئة والاعمال جارية شرع فى تشييد ترسانة بالجيزة وأنشأ بها سفائن أميرية وانتخب لها قليونجيه من النصارى الاروام وجعل عليهم رئيسا منهم يدعى نيقولا وجعل له نفوذا عظيما وحيثية وافرة حتى انه فيما بعد أكثر من التعدى على سفن الاسلام والفرنج معا وكان من أسباب حملة الفرنساويين على مصر ما أتاه هذا الرئيس من المظالم فى حق تجار الفرنساويين كما قاله العلامة المرحوم جودت باشا فى تاريخه ثم عينت الدولة عبدى باشا واليا على مصر وعاد الوالى المنفصل والقبودان باشا بالدونتما الى استانبول وفى عهد السلطان سليم خان الثالث ازدادت أهمية البحرية العثمانية بما أدخل فيها من الاصلاحات وكانت عنايته السلطانية موجهة لازدياد قوة الدونتما فعززها بالسفن الجسيمة التى أمر بتشييدها كالغلايين والفراقيط والشهدية وغير ذلك وخصص بعضها لحماية الثغور وأرسل بعضها للمياه المصرية فكان فى ثغر الاسكندرية منها ثلاث سفن حربية تحت قيادة ادريس بك قبودان السفينة المسماة عقاب بحرى عندما فاجأ نابليون بونابارت الديار المصرية بجيوشه وأساطيله سنة (١٢١٣ هـ ١٧٩٧ م) ولما طلب بونابارت من ادريس بك أن يرفع العلم الفرنساوى بدلا من العلم العثمانى توقف عن اجابة هذا الطلب وطلب الاقلاع من المينا فصرح له نابليون بذلك فأقلع الى الاستانة وأخبر بما حصل كما سبق ذكره وكان أبو بكر باشا والى مصر وقتئذ هرب الى غزة ولم يمض زمن طويل على استيلاء نابليون على ثغر الاسكندرية حتى اشتعلت نار واقعة أبوقير الشهيرة التى أباد فيها الاميرال نيلسون قائد الاسطول الانكليزى الدونتما الفرنساوية الراسية أمام ساحل أبوقير تحت قيادة الويس أميرال برويس وقتل فى الواقعة قبل احتراق سفينته الكبيرة أوريان كما أتى ويأتى فى هذا الجزء ان شاء الله وفى مدة السنوات الثلاث التى تملكت فيها فرانسا الديار المصرية كانت بالسواحل المصرية والشامية الاساطيل الانكليزية التى تحت قيادة الاميرال رالفابركرومبى والاميرال سدنى سميث والاميرال اللورد كيث (Keith) وكانت الدونتما العثمانية التى يقودها مرابط زاده حسين باشا الردوسلى تمخر على الدوام عند السواحل المصرية لمنع السفن الفرنساوية من التقرب اليها وبقيت على ذلك حتى انجلت الجنود الفرنساوية من الديار المصرية (١٨٠١ م) ولما عقدت الدولة الصلح مع فرانسا بمعاهدة باريس أخذت سفائن الدولة تتردد على الثغور المصرية كما كانت ثم طرقت الدونتما الانكليزية ثغر الاسكندرية مع الجيوش البريتانية وكانت تحت قيادة الاميرال السير جون دوكورث والجنود تحت قيادة الجنرال فريزر

ولما استولوا على ثغر الاسكندرية (١٨٠٧ م) وتقدموا الى رشيد قهرهم محافظها وقتل وأسر منهم عددا وافرا ثم عقدوا شروط الصلح مع محمد على باشا والى الديار المصرية وأخلوا الاسكندرية سنة ١٢٢٢ ﻫ (١٨٠٧ م) وكان ذلك بعد سبعة شهور من أخذهم لها كما سيأتى فى بابه

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ البحرية المصرية فى عهد العائلة المحمدية العلوية ﴾

لما استقر محمد على باشا فى الولاية المصرية سنة ١٢٢٠ ﻫ اهتم باصلاح شؤون الحكومة بأجمعها فسلم المصالح لمن يثق بهم من رجاله فتقدمت البلاد بسرعة ولما عهد اليه السلطان محمود كما سيجىء أمر اخضاع الوهابيين لما استفحل أمرهم لم يكن له مراكب بالبحر الاحمر فقطع الاخشاب وفصلها فى دار صناعة بولاق ونقلها برا الى السويس وشيد هناك ثمانية عشر مركبا (١٢٢٢ ﻫ) من أنواع مختلفة ونقل بها جيوشه الى ينبع وقد كانت هذه الحملة سببا لاهتمام محمد على باشا بأمر الاساطيل حيث وجه همته للحصول على أساطيل فى البحر المتوسط الابيض وأوصى التجار بأن يبتاعوا له سفائن حربية من البلاد الاجنبية فابتاعوا له منها قدرا وافرا وجعل بها ملاحين من الاجانب أولا ثم استخدم كثيرا من قبودانات سفن التجار بالاسكندرية وبذلك أصبح له فى زمن قريب أساطيل قوية مسلحة بالمدافع (١) على الطراز الذى كان يستعمل فى ذلك الوقت وتمكن بها من ارهاب سفن قرصان الروم الذين كانوا لا ينفكون عن التعرض للسفن المصرية بين قياسات ونقار وهى التى كانت تشتغل على الدوام بنقل البضائع من الثغور الى داخل نهر النيل وقد ساعد بهذه الاساطيل أيضا الدولة العثمانية فى كثير من حروبها كاعانته وسنعلمه ولما احترقت أساطيله مع أساطيل الدولة فى واقعة ناوارين كما ذكر فى تاريخ الدولة العثمانية ورأى انه لم يبق لديه الا القليل من المراكب شرع فى تكوين دونمة أخرى من السفن الحربية التى كان أوصى عليها فى بلاد أوروبا ثم اهتم كثيرا بانشاء دار صناعة بثغر الاسكندرية فجلب من أوروبا عدة آلات لتعميق الميناء واشترى جملة أماكن من خط الصيادين أدخلها فى دار الصناعة الموجودة آثارها الآن وتم العمل منها سنة ١٨٣١ م وجرى العمل بانشاء السفن الحربية فيها بنشاط واجتهاد بحيث لم يمض شهر يونيه من السنة المذكورة حتى أنزلوا أول سفينة حربية

---

(١) المدافع هى أهم آلات الحروب وتصنع عادة من الحديد لقذف الكرات الحديدية فتهدم أو تهشم ما أصابته وقد ورد فى تواريخ الصينيين أن المدافع كانت معروفة عندهم منذ سنة ٦١٨ ق م وأيد هذا القول العلامة بارى (Barye) فى تقرير قدمه الى الاكاديمية الفرنساوية سنة ١٨٥٠ م وقد استعمل العرب المدافع فى عدة حروب وكانوا يصنعونها من الخشب ويحزمونها بالحبال ويطلونها بالطلاء المتانة ثم أخذها عنهم الطليان فاستعملوها فى حصار مدينة فلورانس سنة ١٣٢٥ م واستعملها ادوارد الثالث ملك انكلترة فى حربه ضد فرانسا سنة ١٣٤٦ فى موقعة كرسى وكان فم المدفع وقتئذ أوسع من أسفله وقد تفننت المعامل بأوروبا فى صناعة المدافع واستعملت الدول البحرية فى أساطيلها أضخم المدافع فاشتهرت فى أساطيل المانيا مدافع كروب (Krupp) وفى انكلترة اشتهرت مدافع معمل ارمسترونغ (Armstrong) وفى فرانسا اشتهرت مدافع كانت (Canet) وفى أساطيل اسبانيا اشتهرت مدافع هونتوريا (Hontoria) وفى أساطيل الروسيا اشتهرت مدافع اختراع أوبوكهوف (Oboukhoff) وبلغت أكبر المدافع الآن ١٢٤ طونيلاته

حربية من نوع القباق تحمل مائة مدفع وكانت عناية المرحوم محمد على باشا بأمر البحرية شديدة حتى انه وسع المينا وصرح لسفن الفرنج التجارية والحربية بالدخول فى المينا الغربية ولم يكن يصرح لها بذلك من عهد الدول القديمة الى زمن احتلال نابليون بونابرت الديار المصرية فانه استعمل هذه المينا لمرسى المراكب التجارية الكبيرة الاوروباوية وكانت سفن الفرنج ترسو قبل ذلك بالمينا الشرقية لاغير وهى مينا كثيرة الاخطار لكثرة الصخور بها وتسلط الرياح الشرقية والشمالية عليها خصوصا وان عمق مياه البحر فيها غير كاف فكان يحصل لكثير من السفن التى تقصدها فى زمن الارياح أضرار بل قد تلف بعضها ومن وقت صدور هذا التصريح أخذت السفن الاجنبية تتوارد بالتجارة فاتسع نطاق الاخذ والعطاء والمبادلة بالقطر المصرى ولما كان مدخل هذه المينا صعبا وضعوا جملة علامات بالبر والبحر تهتدى بها رؤساء البوغاز وقبودانات السفن عند دخولهم وخروجهم قال العالم الفاضل المرحوم على باشا مبارك فى صحيفة ٥٢ من الجزء السابع من الخطط ما ملخصه ان الترسانة كانت تشتمل على جميع ما يلزم لانشاء وترميم المراكب الحربية وغيرها وقد أحضر لها محمد على باشا سنة ١٨٢٩ م من مدينة طولون من مملكة فرانسا المهندس الحاذق موسيو سيريزى وجعله باشمهندسا للترسانة ورقاه الى رتبة البكوية فصار يعرف بسيريزى بك ثم وصل الى درجة لواء وكان الرئيس على انشاء وعمارة السفن بتلك المينا رجل من الوطنيين يسمى الحاج عمر وكان صاحب ادارة ومعرفة غريزية واقدام على مثل هذه الاعمال مع الاصابة فلما حضر مسيو سيريزى اتحد معه وساعده فى جميع أعماله وفى ظرف خمس سنين من ابتداء سنة ١٨٢٩ تم جميع مواضع الترسانة مثل ورشة الحبال المعروفة بالتيالة وورشة الحدادين وورشة القلوع والسوارى والبصل[1]

(١) البوصلة البحرية أو الابرة المغناطيسية هى آلة مركبة من ابرة مغناطيسية وضعت لمعرفة النقط الاصلية فالابرة المغناطيسية متصلة بأسفل دائرة من الورق السميك أو من الرق قائمة على ابرة المحور وعلى الدائرة المذكورة أسماء الجهات الاربعة وتقاسيمها الثانوية ودرجات المحيط و يوجد جهة القطب الشمالى للابرة علامة أمامها علامة للقطب الجنوبى وقد صنع من البوصلات أنواع وأشكال نوع لتبيين اتجاه المراكب ونوع لتعيين اتجاه الكواكب وهذه تسمى ببوصلة الانحراف أو (كرزيز) و بها قائمان يسميان بالهدفين موضوعين على اطار من النحاس لسهولة تعيين اتجاه الكواكب وببعض بصل هذا النوع نظارة صغيرة قائمة فى أحد الهدفين لينظر منها الراصد واهلة مربعات من زجاج ملون لمنع تأثير شعاع الشمس وفى الغالب توضع هذه البصل فى صندوق من النحاس الاحمر أو الاصفر وتجعل على قائم من النحاس أو الخشب و يربط هذا القائم بمسامير من النحاس على سطح السفينة فى خط المنتصف قريبا من دولاب الدفة بشرط أن يكون الخط الاسود المرسوم فى ظرف البوصلة على سمت اعتدال منتصف السفينة من جهة الطول وهى معلقة فى داخل صندوقها على اطارين لتكون أفقية الوضع على الدوام مهما تحركت المركب وتكون الابرة مغطاة بغطاء زجاجى لمنع دخول الهواء والغبار اليها قال المؤرخون ان أول من عرف البوصلة الصينيون واستعملوها فى البر منذ نحو أربعين جيلا ولا يوجد دليل على استعمالها فى البحار الا فى القرن التاسع الميلادى فى أسفارهم الى خليج الفرس والبحر الاحمر وعن الصينيين أخذها الهنود وعن هؤلاء أخذها العرب وقال قوم ان القدماء لم يستخدموا الا الحديد المغناطيسى بتعويمه على قطعة من خشب الفلين وقال غيرهم ان فلافيو جيوجا من نابولى (Flavio Gioja) هو مخترع الابرة المغناطيسية سنة ١٣٠٠ ميلادية وخالفهم فى ذلك الدكتور جلابرت (Jallabert) الذى قال انه أتى بابرة القبلة من الصين الى ايطاليا نحو سنة ١٢٩٥ بواسطة مركو بولو البندقى (Marco Polo) وقد ثبت بالبراهين أنها استخدمت فى فرانسا نحو سنة ١١٥٠ م وكذلك فى سفن دول الاسلام بسوريا وفى سفن النرويج قبل سنة ١٢٦٦ وقد ورد فى مؤلفات كثيرة ان العرب هم الذين اخترعوها وأخذها منهم الفرنج مدة الحروب الصليبية

والنظارات [١] والمخازن وأمر أيضاً فانتخبوا من شبان الاهالى من جميع المديريات العدد اللازم للقيام باحتياجات المراكب وعلموهم جميع ماتحتاج اليه السفن على أيدى معلمين من البلاد الخارجية فاختص كل جماعة منهم بفرع من فروع انشاء المراكب حتى أتقنوها وشيدوا فى زمن قليل سفنا كثيرة حربية فى غاية الاتقان لاتنقص عن سفن الاوروباويين فى شئ وبذلك استغنت الحكومة المصرية نوعا عن شراء السفن من البلاد الاجنبية الا أن جميع مايلزم لانشاء المراكب وعمارتها مثل الحديد والنحاس والخشب كان يجلب من البلاد الاجنبية ولاحتياج الامر اليها كان أربابها يتغالون فى أثمانها جدا وليتها كانت من الانواع الجيدة بل كانت رديئة فان الخشب كان يأتى من جهات القرمان وبلاد ايطاليا غير مستوف لشروط الانتفاع به ولهذا كانت المراكب التى تصنع منه يسرع اليها العطب وتحتاج للاصلاح بعد زمن قليل ومع كل ذلك لم تضعف همة العزيز فى انشاء المراكب وكثيراً ما كان تجار المراكب يثبطون عزيمته ويبدون له ما لا مزيد عليه من الصعوبات وكثرة المصاريف ويدخلون عليه بكل حيلة ليصرفوه عن هذا العزم كل ذلك لانهم كانوا يربحون أرباحا كثيرة من بيعهم المراكب للحكومة المصرية مع أن المراكب التى كانت تشترى منهم مع ارتفاع أثمانها جدا كانت إما قديمة أو غير جيدة الصنعة فلم يلتفت الى تثبيطهم ولم تقعد همته بل ازدادت رغبة فى تلك الاعمال ورتب لها مجلسا أناط به جميع لوازم المراكب وجعل رئيسه مسيو سيريزى المذكور وأنشأ مدرسة لتعليم صنعة السفن وما يتعلق بها وكان المشتغلون بانشاء المراكب وتعميرها اذ ذاك نحو ٨٠٠٠ نفس من الاهليين الذين تربوا على أيدى المعلمين من الافرنج وغيرهم وقد أتقن الصنعة منهم نحو ١٦٠٠ نفس فاستغنت بذلك الحكومة المصرية عن شراء المراكب من الخارج وكان المعين لها على هذا العزم موسيو سيريزى فكان دائما يبدى له من محاسن تلك الاعمال ونتائجها ما يحمله على تنجيزها فلهذا تعصب الافرنج على موسيو سيريزى المذكور وضيقوا عليه حتى ألجؤه الى الاستعفاء من تلك الوظيفة وبلغ ما بنى وعمر فى مدته وعلى يديه من السفن الحربية ٤٥ سفينة تحمل ١٢٣٤ مدفعا وخصص لها من الجنود ١٠,٠٠٠ نفس وجعل رئيسها موسيو بسيون بك وبعد موته تولاها موسيو هسار وبهما حصلت الكفاية فى انشاء الدونما ثم لتتميم جميع منافع الترسانة وزيادة الامن على السفن الصادرة والواردة بنى الفنار الموجود الآن برأس التين ولما كانت سفن الدونما وغيرها من المراكب لاتستغنى عن حوض [٢] فى المينا

(١) النظارة آلة فى طرفيها زجاجات من الزجاج التى تشاهد بها الاجسام البعيدة ويستعملها الملاحون كثيرا لكشف السفن والسواحل وغيرهما وكذا تستعمل لكشف الاجرام السماوية ويسميها الافرنج بالتلسكوب والنظارة الكبيرة التى تدعى دوربين وكذا النظارة المقربة استنبطها جميعا فينوس وهو هولاندى ويقال ان أولاده هم الذين اكتشفوها بينما كانوا يلعبون بان وضعوا زجاجة مجوفة أمام زجاجة محدبة وذلك سنة ١٦٠٩ م وكذلك قيل ان أول نظارة فلكية اخترعها يوحنا ليبرسهى من ميدلبورغ فى هولاندا سنة ١٦٠٨ م ثم تفنن فيها الفيلسوف اسحق نيوتون والبارون هرشل وروس وغيرهم وقال آخرون ان اختراع النظارة كان فى سنة ١٦٤٦ ميلادية واشتغل بهذا العمل كثيرون فاخترع واتستون الانكليزى النظارة ذات العينين سنة ١٨٣٨ م

(٢) الحوض عبارة عن محل فى البحر متصل بالبر يختار لذلك بحيث يكون عميقا أو يعمق بالكرا كات حتى يصلح لدخول المراكب الكبيرة فيه ويحاط ببناء متين من الاحجار أو يجعل من حديد أو من الخشب ويكون طوله عادة يسع أكبر سفينة فى البحر أو يسع جملة سفائن خلف بعضها ويكون عرضه بنسبة ذلك ويجعل له فم من جهة الماء يسد بباب وفى هذا الباب منافذ تفتح وتغلق حسب الارادة فاذا أريد ادخال سفينة به للعمارة مثلا يفتح الباب فيدخل =

لاصلاح

لاصلاح ما يحتاج منها للاصلاح أمر المرحوم أيضا فشيدوا بالمينا حوضا أتى على وفق المرام وانتفع به الخاص والعام فجميع تلك الاعمال كانت سببا لقوة السفن الحربية وكثرتها ولم تزل السفن تكثر ويجلب لها من البلاد الخارجية ما يلزم من الاسلحة والآلات حتى قويت الدونمة المصرية وأحرزت ما كانت فاقتها به دونمة الدولة العلية من العدد والعدد والتعليمات النافعة التى لم تسمح الديار المصرية بمثلها فى الاعصر الخالية وجعل موسيو بسيون ويس أمير الاعليها جميعها وأعطاه العزيز رتبة الميرالاى وكان قبل ذلك من ضباط الدونمة الفرنساوية وحاصل أمره أنه كان سنة ١٨١٥ ميلادية فى مينا رشفور بسفينة حين كان نابليون بونابرت يريد الهرب من بلاد فرانسا فتعهد له أن يوصله الى بلاد أمريكا وقبل منه نابليون ذلك فاستعد بسيون لهذا الامر ووضع فى سفينته جملة براميل فارغة مصفوفة بعضها بجوار بعض ليخفيه فيها فهيأ نابليون جميع ما يلزم لسفره وتواعد مع بسيون على أن ينتظره بجزيرة اكس فلما اجتمع معه فى الميعاد وجده قد رجع عن العزم على السفر معه وأخبره أنه كتب الى أميرال الدولة الانكليزية أن يأخذه عنده ثم شاع خبر توافقه معه على اخفائه فخاف بسيون عاقبة ذلك وقد حصل بالفعل رفته لهذا السبب فصار يشتغل بالتجارات والاسفار فى سفينة لزوجته الى أن حضر سنة ١٨٢٠ م بمدينة الاسكندرية وكان العزيز اذ ذاك مهتما بانشاء السفن فعرض له بطلب الخدمة والمعيشة تحت ظله فجعله ملاحظا للسفن الجارى انشاؤها فى بلاد أوروبا ثم جعله قبطانا للفرقطون المسمى بالبحيرة الذى أنشئ بمرسيليا وكان به ٦٤ مدفعا ولم يزل يترقى الى أن أخذ رتبة البكوية ثم صار ميرالايا على الدونمة المصرية بتمامها كما قلنا وكان وقتئذ قد بلغ عددها وعدد رجالها على ما ذكره كلوت بك فى تأليفه ٣٤ سفينة حربية مجموع عساكرها البحرية ١٥,٦٤٣ وشغالة الترسانة بالاسكندرية ٤٠٧٦ المجموع ١٩,٧١٩ والمدافع التى كانت بها وقتئذ ١٣٦٤ ومصروفات العساكر والرجال البحرية تبلغ ٧,٥٠٠,٠٠٠ والمنصرف على المبانى العسكرية ١,٨٧٥,٠٠٠ والمنصرف على ترسانة بولاق ٤١٢,٥٠٠ يكون المنصرف على القوة الحربية جميعه ٩,٧٨٧,٥٠٠ فرنك اهـ وسيأتى كل ذلك مفصلا فى أبوابه من هذا التاريخ

ولما كانت عناية العزيز بأمر البحرية وتقدمها فى ازدياد انتخب كثيرا من ضباطها الذين نبغوا فى مدارسها البحرية التى أسسها على نسق بحرية فرانسا وأرسل منهم جملة ارساليات الى فرانسا وانكلترة لاتمام تعليمهم الفنون البحرية والحربية وفن صناعة السفن وغيرها وبعد أن أتموا ذلك عادوا الى الاوطان وخدموا الدونمة المصرية بعلومهم وفنونهم فتعين منهم كل من محمد بك الاستانبولى الذى تلقى فن انشاء السفن بانكلترة وحسن بك السعران الذى تلقى هذا الفن فى فرانسا رئيسين لقسم

= الماء ويمتلئ الحوض حتى يوازى سطح البحر فتدخل السفينة من غير مشقة ثم يسد الباب وينزح الماء منه بواسطة وابور يحرك طلومبات تأخذ الماء من الحوض من مجار مجعولة لذلك فى جدرانه وعادة تتم هذه العملية بعد ساعات بحسب كبر الحوض وصغره حتى تستقر السفينة على مراكز من أخشاب مجعولة فيه تسمى اسقرين قائمة فوق أرضية الحوض وتكون فى هذه الحالة مستندة على أخشاب أخرى تسمى المناطيل تحفظها من الميل وتستمر واقفة كذلك مدة عمارتها طالت أو قصرت وبعد انتهاء العمارة تفتح منافذ الباب فيدخل الماء حتى يملأ الحوض فترتفع السفينة مع الماء ولا شئ يمنعها من الخروج من الحوض سوى فتح الباب أما الاحواض الطويلة التى تسع عدة سفن فانهم متى أرادوا أن يدخلوا فيها سفينة محتاجة لاصلاح مدة زمن طويل جعلوا لها قسما خاصا بها من الحوض وفصلوه عن بقية الحوض لمنع دخول الماء الى هذا القسم فكأن الحوض حوضان ومتى انتهى اصلاحها أطلقوا الماء كالعادة

ادارة الصناعة الهندسية وانشاء السفن بدار صناعة الاسكندرية فكانت لهما اليد البيضاء فى انشاء السفن الحربية وتعميرها وتعين الباقون بصفة قبودانات بالسفن لتدريب طوائفها على الاعمال البحرية وترجم بعضهم عن كتب الاوروباويين عدة مؤلفات مفيدة فترجم جركس محمود قبودان كتابا فى فن الحرب البحرى وترجم عبد الحميد بك الديار بكرلى مؤلفا فى مقياس السفائن وترجم محمد شنان أفندى قانون البحرية وترجم عثمان نور الدين باشا كتاب القواعد البحرية وآخر فى السياسة البحرية أى قانون العقابات وترجم أحمد خليل أفندى المهندس قانون نامه من بحريه وكتابا فى فن الطوبجية البحرية وترجم هؤلاء أيضا وغيرهم كثيرا من القوانين واللوائح والنظامات البحرية المستعملة فى سفن أساطيل فرانسا وانكلتره ونشرت على ضباط البحرية واتبعت أحكامها بالدونمة المصرية فازدادت بها انتظاما وقوة وصارت فى زمن قليل تحاكى أعظم بحريات أوروبا ونشأ بها قواد مهرة من الوطنيين كانت لهم الشهرة فى ذلك العصر فعين عثمان نور الدين باشا سر عسكر على الدونمة ثم خلفه موطش باشا وتعين حسن باشا الاسكندرانى مدير العموم دار صناعة الاسكندرية ومصطفى بك الرياله المعروف بيشكاكى مفتشا بالدونمة ومحمد راشد بك ناظر الترسانه ومخازنها وأمين بك الاستانبولى وكيلا لديوان عموم الدونمة وقد أظهر الجميع كفاءة ونشاطا واهتماما عظيما اخلد والهم به ذكرا حسنا

ولما كان محمد على باشا ميال الى الاطلاع على دقائق التاريخ كان يبحث عن الطريق الذى قدم دول أوروبا فظهر له أن سبب ارتقاء شأنها وزيادة ثروتها واتساع تجارتها آتى معظمه من اهتمام ملوكها بأمر الاساطيل والتجول بها فى البحار المفتوحة الابواب لاكتساب الثروة من اتساع الصلات التجارية مع البلدان الاخرى وبذلك تمكنوا من امتلاك كثير من المستعمرات فى أغلب سواحل المسكونة ولهذا كانت ملوكهم تتسابق الى ازدياد قواتهم البحرية حتى انهم أدرجوا فى سلكها كثيرا من أمراء العائلة الملوكية فشرف شأنها ومال الناس للدخول تحت رايتها واهتم كثير منهم بانشاء الشركات البحرية التى عادت على بلادهم بالمنافع الجمة لذلك اعتنى المرحوم محمد على باشا بأمر الاساطيل وزيادة عدد سفنها وعلم ولده المرحوم محمد سعيد باشا الفنون البحرية ولما حصل منها على القدر اللازم جعله سوارى باحدى سفن العمارة المسماة دمنهور ومازال يترقى فى البحرية الى أن صار سر عسكر الدونمة وهذه الوظيفة توازى وظيفة الاميرال الاول فى البحرية وقد ترقت البحرية فى أيامه حتى وصلت الى درجة فاقت بها قوة بحرية معظم الدول التى حكمت بلاد مصر لان قوة بحرية دولة البطالسة التى أطنب بها جميع مؤرخى البحار وان كانت بلغت فى القدر والعدد درجة عظيمة الا أن الترقى الذى حصل فى فن انشاء السفن وفى المعلومات الجغرافية والفلكية وفى علوم البحرية وفى صناعة السفن فى هذا الوقت جعل العزيز يصنع مراكبه الحربية على القدر الذى لا ينقص عن سفن أعظم دول البحار وقد كان بدونانمته من صنف القليون فقط أحد عشر قليونا يحمل كل واحد منها مائة مدفع به من الجنود ١٠٤٥ نفرا فهذه الاساطيل التى كانت حصونا سابحة فوق البحر والتى يدفع بها كل من قصد البلاد بالشر نالت مصر هيبة قوية بحيث كانت تعد بين دول البحار كما شهد لها بذلك كثير من مؤرخى البحار

ولم تقتصر أعماله البحرية على البحار المالحة فقط بل أرسل عدة ارساليات فى نهر النيل لاكتشافه ومد نفوذه وتجارته الى أقصى جهاته كما سيأتى فى تاريخه وقد عادت هذه الارساليات على علم الجغرافيا بالتقدم العظيم وقد كتب البكباشى البحرى سليم قبودان وكان رئيس الارسالية الاولى رحلة ذكر فيها تفاصيل السياحة بالنيل الاعلى وقد رافقه فى رحلته الثانية التى ابتدأت فى ٢٣

نوفبر

نوفمبر سنة ١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ الموسيو درنوبك وكل من ساباتيي الفرنساوى وفرنه الالمانى فسارت هذه الارسالية فى النهر الابيض من الخرطوم مسافة خمسمائة فرسخ ولم تجد من الانهر المهمة التى تصب فيه الا نهرين عظيمين يجتمعان به فى شماله و يختلطان به أحدهما نهر سوباط و يقال له نهر جوجب يخرج من شرقى بلاد دساقاو برسم حول بلاد كفا انعطافات شبيهة بانعطافات النهر الازرق وثانيهما بحر الغزال وهو يصب فى بحيرة نو المسماة كو ير ولما وصلت تلك الارسالية الى جزيرة جانكير وجدت بالقرب منها كثبانا من الرمال والصخور بالنيل تمنع سير السفن منعا كليا ولما رست سفن الارسالية على هذه الجهات ووجدت هذه الموانع اقتصرت على أخذ الاستعلامات اللازمة والاستفهامات النافعة فيما يختص بمنابع النيل ثم قفلت راجعة ووصلت الى الخرطوم فى ١٨ مايو من سنة ١٨٤١ م ١٢٥٧ هـ وقدم أعضاؤها خريطة وتقريرا عن اكتشافاتهم أما التجريدة الثالثة فسافرت حينما كان أحمد باشا المنيكلى حكمدار العموم السودان خرجت فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤١ م وبرفقتها عشرة مراكب مسلحة بالمدافع فلم يأت عملها بشئ جديد سوى اتمام الناقص من الاكتشافات الأصلية واكمال نواقص خريطتها ولما عاد الموسيو درنوبك الى مصر أمره العزيز برسم خريطة عمومية من منبع النيل الى الخرطوم ومنها الى أبى حمد

ولما ارتقى المرحوم ابراهيم باشا على الاريكة المصرية كانت البحرية آخذة فى السير بطريق التقدم على النظام الذى سنه لها والده محمد على باشا وقد سر رجال البحرية لما يؤملونه فيه من ابلاغها على يديه أوج الارتقاء لما اشتهر به من الاعمال التى عادت على هذا القطر السعيد بالهيبة لدى جميع الممالك فهو فى الحقيقة يعد مشاركا للمؤسس الاصلى فى تقدم البحرية المصرية كما تقدمت العسكرية وباقى فروع الادارة المصرية وان كانت مدة حكمه قصيرة لا تزيد عن السبعة شهور لانه رحمه الله قد تولى ولاية مصر بطريق الوكالة عن والده فى ربيع سنة ١٢٦٤ هـ وفى شهر رمضان من السنة المذكورة سافر الى دار الخلافة لتقديم فروض الشكر لجلالة السلطان على قليون بنى سويف قبودانه حسين شرين بك ترافقه فرقة من الاسطول المصرى كما سيأتى ذكره ولما وصل الى مياه الارخبيل انتقل من القليون الى الباخرة العثمانية التى أرسلت له ولما نال فرمان الولاية وعاد الى مصر اشتغل أولا بأهم الامور فأتم حصون واستحكامات ثغر الاسكندرية على الطريقة التى رسمها رئيس هندسة الاستحكامات اذ ذاك المدعو جليس بك كرغبة العزيز والده وشحنها بالاسلحة والمدافع والجنود وأصدر أمره الى رئيس البحرية بانشاء مائتين وخمسين سفينة مدفعية من نوع الشلوبات تحمل كل واحدة منها مدفعين لحفظ البوغازات والاشاتيم والملاحات وبهذه القوة الجديدة زادت البحرية متانة واستعدادا ولذلك قال بعض المؤرخين ان ولاية ابراهيم باشا على مصر وان كانت قصيرة فى الحس لكنها طويلة فى المعنى بما نالته البحرية وغيرها من التقدم ولو مد الله فى عمره لنالت البحرية المصرية على يديه أسمى درجة وأكمل غاية

ولما تولى المغفور له عباس باشا الاول (١٢٦٥ هـ) وجه أفكاره وعنايته للاعمال المفيدة المهمة كانشاء الخطوط الحديدية ومد السلوك التلغرافية فاستخدم أكثر ضباط وملاحى السفن الحربية فى اقامة الجسور للخطوط المذكورة وغيرها وبقيت الاساطيل مهملة خالية من الملاحين

وقد نسب بعض كبراء البحرية تحويل أنظار العزيز عن الاساطيل الى النفور والاغبرار الحاصل بينه وبين المرحوم سعيد باشا الذى كان وقتئذ سرعسكر الدونمنا وقد قام فى خلالها ذوو الغايات من رجال كبار البحرية بأحوال مضرة فاسدة ليناولوا من جانبها نفوذ أغراضهم وفى مقدمتهم محمد خسرو بك الذى كان ناظر الترسانة حيث أساء معاملة العمال حتى ألجأ كلا من محمد بك الاستانبولى مدير أعمال هندسة البحرية والانشا آت وأمين بك وكيل ديوان الدونمنا الترك الخدمة بل والمهاجرة من البلاد خوفا على أنفسهما لانهما كانا من المنسوبين الى سعيد باشا وغير ذلك من الاعمال وقد تسبب من ذلك تعطيل أمور دار الصناعة والاساطيل وانحطت درجتها وبقيت السفن الحربية فى أماكنها لا تتحرك الى أن قامت الحروب المعروفة بحرب القريم بين الروسيا والدولة العلية العثمانية سنة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣ م) وطلبت الدولة من الحكومة المصرية النجدات كما تقتضيه الفرمانات فاصدر المرحوم عباس باشا عند ذلك الاوامر الى دار الصناعة بتجهيز الاساطيل وقام كل من أحمد بك الجوخدار وكيل ديوان الدونمنا وكان محبوبا لدى العموم ومحمد خسرو بك ناظر الترسانة المبغوض من عموم أفرادها بما يجب عليهما وأخذا بتجهيز السفائن وبعمرانها لنقل الجيوش المصرية المراد ارسالها لدار الحرب وصدر أمر آخر فى أواخر رمضان سنة ١٢٦٩ هـ باستدعاء كثير من الضباط والعساكر البحرية المشتغلين بانشاء الطرق الحديدية والتلغرافات ليعودوا الى سفنهم ولم يمض زمن قليل حتى تجهزت عمارة مركبة من ١٢ سفينة حربية بها ستمائة وثلاثون مدفعا عقد لواؤها المرحوم حسن باشا الاسكندرانى سافر عليها من الجنود البرية عشرون ألف جندى جعلت قيادتها لسليم باشا الشهير بابى طربوش وأحمد باشا المنكلى وخرجت هذه القوة فى شوال من سنة ١٢٦٩ ومن هذا الوقت عادت الاعمال نوعا الى دار الصناعة التى أخذت تجهز المعدات اللازمة الى ذلك الاسطول الذى بقى بمياه الحرب وكان هذا آخر الاساطيل الحربية التى جهزتها الحكومة المصرية من سفن عمارة محمد على الكبير وقد اشتهر رجال هذه القوة فى تلك الحروب كما سيأتى فى بابه من هذا الكتاب ولما كان عباس باشا رحمه الله يميل الى الاقتصاد ألغى فى أول حكمه الجيش ولم يبق منه الا القليل وأبطل جميع المعامل التى كان جده أنشأها فى كثير من بلاد القطر حتى أصبحت خالية خاوية بعد أن كانت تقدمت وراجت مصنوعاتها بين عموم المصريين لجودتها وقلة أثمانها هذا فضلا عن التقدم الذى حصل لابناء البلاد فى فنون الصنائع المختلفة وفى أثناء حروب القريم السابق ذكرها أرسل المرحوم عباس باشا الاول ارساليتين علميتين خلف بعضهما الاولى للكشف على المواقع التى يمكن للجيوش الاقامة فيها بالحدود المصرية غربى الاسكندرية ومعرفة الاماكن التى يمكن للسفن الاجنبية أن تقترب منها وترسو عليها فى تلك السواحل والثانية للكشف على جميع فرض ومينات السواحل المصرية الغربية الواقعة على بحر الروم وكان مع الارساليتين المذكورتين من قبل البحرية العلامة البحرى سليمان قبودان حلاوه وقد أنجزت هاتان الارساليتان ما أمرتا به ورسمت خريطتين (١) مفصلتين

(١) الخريطة قطعة من القماش أو الورق مرسوم عليها قارة أو بعض قارة وعند الملاحين قطعة من الورق أو القماش مرسوم عليها قسم من بحر أو بحر بتمامه مع السواحل والجزر القريبة منه بحيث تكون شاملة لما فى تلك السواحل والجزائر من تعاريج وأنهار ورؤس وجبال وما أشبه ومرسوم عليها أيضا خطوط الاطوال والعروض وما هو ضرورى لاهتداء الملاحين والخرائط على نوعين خرائط مسطحة وخرائط كروية فالخرائط المسطحة هى التى يستعملها

وفى مدة حروب القريم المذكورة كانت المواصلات والاخبار لا تنقطع بين الاستانة والديار المصرية بواسطة وابورى النيل وأسيوط وهما الباخرتان اللتان اشتهرتا بسرعة السير فى الدونما المصرية وقتئذ لأن أغلب سفنها الحربية كانت شراعية فلهذا استعملت الترسانة الباخرتين المذكورتين فى نقل المهمات والذخائر ونقل رسائل البريد ما بين ثغر الاسكندرية وميدان الحرب حيث كانت الجيوش المصرية وكان عبد الحميد بك الديار بكرلى قومندانا للباخرة النيل وخليل شفتر قبودان قومندانا للاسيوط

ولما ارتقى محمد سعيد باشا على كرسى الولاية المصرية بعد قتل عباس باشا (١٢٧٠ ﻫ ١٣ أغسطس ١٨٥٤) اهتم بأمر الوقوف على حقيقة منابع النيل فبعث بالامير عبد الحليم باشا الى السودان وجعل تحت أمره عدة سفائن نيلية وأحال عليه أمر تفتيش ادارات السودان

الملاحون فى الاسفار القريبة أما الخرائط الكروية فيرسم عليها كل البحار والاوقيانوسات وما على سواحلها من البلدان والفرض وتكون عليها خطوط الاطوال والعروض وغيرهما وقد أجمع المؤرخون على ان المصريين كانوا يعرفون رسم الخرط من قديم وكذلك كانت الخرط معروفة عند الاسرائيليين قال المؤرخ الشهير هيرودوت ان الفرس فى عهد دارا كانوا واقفين على رسم الخرط وقال غيره ان رسم الخرط انتظم بعد انتشار علم الجغرافيا وقد كان الفينيقيون أول من نجح فى توسيع المعارف الجغرافية حيث طافوا جميع السواحل بالبحر المتوسط الابيض وعبروا بوغاز جبل طارق وطافوا على سواحل الاطلنطيق فى أوروبا وافريقية ثم اتسع نطاق الجغرافيا أيضا بالرحلة البحرية التى أرسلها نخاو ملك مصر سنة (٦٠٠ ق م) للطواف حول سواحل افريقية واتسعت أيضا باسفار هنون (Hannon) الملاح القرطاجنى فى القرن الخامس قبل الميلاد لانه بعد أن عبر بوغاز جبل طارق بستين سفينة تتبع ساحل افريقية حتى وصل الى جون بنين وذهب آخرون الى انه لم يتجاوز نهر نون ويقال ان يونيالى أناكسمندر (Anaximandre) هو الذى كشف كروية الارض ونظم عليها أصول رسم الخرائط وممن أفاد هذا الفن بثياس البحار من مسيلياسنة ٣٢٠ ق م حيث دخل الاطلنطيق ومر بسواحل اسبانيا وبلاد الغاله ودخل بريطانيا واكتشف جزيرة ظنها البعض جزيرة ايسلانده وحسبها البعض شتلانده وفى رحلته الثانية دخل بحر البالطيق وقد حاول ايراتوستين (Eratosthène) الجغرافى الشهير الذى نبغ من مدرسة الاسكندرية (٢٧٦ ق م) تخطيط خرائط من بحر سفيدو وضع عليها العروض والاطوال ويقال ان مدرسة الاسكندرية كانت تعرف شكل الارض الكروى وخطوط الاطوال والعروض وكانت البلدان الواقعة على بحر الروم معروفة عندهم معرفة تكاد تكون صحيحة وقد أتى استرابون الجغرافى الشهير فى كتبه بجملة تصحيحات بعد رحلته الشهيرة وذلك فى نحو سنة ٣٠ ق م وكذا الجغرافى الرومانى هو بمبونيوس ميلا فى عهد الامبراطور كلوديوس ثم اشتغلت علماء العرب بهذا الفن فألف ابن أبى شيبة عبيد الله بن عبد الله كتاب المسالك والممالك وابن حوقل فى القرن الرابع الهجرى وألف ابن الوردى خريدة العجائب وكتب ابن فضل الله العمرى فى القرن الثامن مسالك الابصار فى ممالك الامصار وهو ٢٠ مجلدا وألف ياقوت الحموى معجم البلدان فأفاد به الملاحين وعلم الجغرافيا وألف سليمان ابن أحمد المهرى عن اسفاره فى البحر المحيط الشرقى كتابا مهما يدعى عمدة المهرية وآخر يدعى تحفة الفحول وثالثا يدعى المنهاج الفاخر فى علم البحر الزاخر وألف أبو حنيفة الدينورى كتاب الانواء فأفاد بذلك علماء الملاحة وقد رسم العرب الخرائط العظيمة التى كانت أول مساعد للاكتشافات التى قام بها ملاحو اسبانيا والبرتغال فى القرن الخامس عشر والسادس عشر للميلاد فكانت لهم من أكبر الوسائل حيث هدتهم الى ما قصدوه من البلاد والاماكن ولما رأت دول أوروبا أن فى رسم الخرائط البحرية فائدة عظمى للبحرية خصصت لها ادارات مخصوصة للقيام بهذا الامر المهم ورتبت كل من انكلترة وفرانسا ادارات لذلك وهى المسماة بالهيدروغراف (Hydrographe) أى الطبوغرافية الملاحية

وفحص أحواله ثم بعد عودة العزيز من دار الخلافة على الباخرة المصرية النيل ورجوع الاساطيل والعساكر من حرب القريم الى ثغر الاسكندرية توجه بنفسه الى الخرطوم سنة ١٨٥٧ م ١٢٧٤ هـ وبعد أن اطلع على أحوال السودان أصدر الاوامر باجراء ما يلزم لاصلاح أحواله واتخاذ دار صناعة فى مدينة الخرطوم وقسم البلاد السودانية الى خمس مديريات جعلها سنار وكردفان والتاكه وبربر ودنقله ولما عاد الى القاهرة توجه عنايته للاساطيل وأصدر الاوامر الى ناظر الترسانة فأعاد العمال اليها ولما قصد أن يصلح ما تخرب من سفن الدونتما المصرية أتت أوامر سلطانية تأمره بالمنع بدعوى أنه لا حاجة لها فى الوقت المذكور وقد شاع وقتئذ بين بعض رجال البحرية أن السبب فى اصدار الدولة هذا الامر سعى سفير أحدى الدول البحرية التى ساعدت الدولة فى حرب القريم وصار لها بعد ئذ النفوذ الكبير فى الاستانة لان ارتقاء الحكومة المصرية فى البحار ينافى مصالحها وقد كان هذا المنع سببا لأن فقدت مصر جميع أساطيلها فان سفائنها التى كانت تخربت بقيت على حالها حتى وصلت مع الزمن لدرجة الاضمحلال ولما نظر العزيز أن السفن صارت غير صالحة بالمرة واذا أريد اعادة اصلاحها تكلفت مصاريف توازى أثمانها أمر بتكسيرها ومع كل ذلك لم تفتر همة محمد سعيد باشا عن الاهتمام بأمر البحرية فانه أمر بابتياع جملة بواخر حديدية منها قرويت حربى يسمى سياح البحر وهو الذى صار تكبيره وتحويله فيما بعد بانكلترة الى فرقاطة سميت محمد على ثم أصلح اثنتين من الفرقاطات الباقية من سفن الدونتما القديمة وكذا أصلح وابورى النيل وأسيوط وابتاع فى سنة ١٢٧٨ هـ وابور رفيض جهاد وجعل لركوبته وعين على قيادته مصطفى ددش قبودان وآخر يدعى حسين قبودان الردوسلى وعين سليمان قبودان حلاوة مأمور الحساب سفرية الوابور المذكور وأحيل عليه تصحيح ساعات الكرونومترفيه وكان من البواخر التى ابتاعها المرحوم سعيد باشا من أوروبا باخرتان مدرعتان من نوع الدوبة المدرعة عرفا بزرخ نمرة واحد وزرخ نمرة اثنين وكان ابتاعهما لاستعمالهما داخل نهر النيل عند الحاجة وفى هذا الوقت كانت أكثر دول أوروبا آخذة فى صناعة المدرعات وتغيير أكثر أساطيلها الخشبية الى مدرعات حيث ظهرت منفعتها ومتانتها فى الحروب وكانت دولة فرانسا أول من أحدثت السفن المدرعة سنة ١٢٦٨ م وقد نفى بعضهم هذه الرواية مدعيا أن المدرعات كانت معلومة من القديم لان كثيرا من الامم كانت تكسو سفنها من الخارج بألواح معدنية فقد وجد ضمن أساطيل قرطاجنة فى الحرب البونيقية سنة ١٤٦ ق م نحو ١٢٠ سفينة قرطاجنية مدرعة بالحديد وفى سنة ١٣٥٤ م استعمل الملك بطرس المخيف (Pierre le Cruel) ملك قسطيله فى أساطيله من الخارج ألواح النحاس لوقايتها من الحريق وكذا كسى النورماندبون فى القرن الثانى عشر سفنهم من الخارج بالواح الحديد لوقايتها من المواد المحرقة وصنعوا فى جانبيها حواجز لوقاية الجدافين والجنود المقاتلة من مقذوفات العدو وكانت أيضا سفن شارلكان (Charles V) التى أرسلها الى تونس سنة ١٥٣٠ م مصفحة من الخارج بالرصاص وكانت بين أساطيل جنوة التى قادها اندريا دوريا فى محاربته خير الدين باشا بارباروس كثير من السفن المصفحة من الخارج بالرصاص وقالوا أيضا ان أول سفينة صنعت من الحديد كانت بانكلترة فى الجهة التى تدعى برادلى (Bradley) (١٧٨٧ م) وأول سفينة بخارية سارت فى البحار

كانت

كانت فى سنة ١٨٠٧ م وشرح ذلك البعض حيث قالوا ان أول من شرع فى عمل الآلة البخارية هو دينيس باپين وكان طبيبا بروتستانتيا فرنساوى الاصل سنة ١٦٩٠ م ثم ركب تلك الآلة على سفينة صغيرة فى وادى فولدا فى كاسل سنة ١٧٠٧ م ولكن لسوء حظه قام على سفينته بعض الرعاع فى وادى الويزر وكسروها ولم يعد فى وسعه تجديدها ثم اعتنى فى هذه الاعمال النافعة جس واط المشهور وحسن الاختراع وكاد ينجح نجاحا تاما فى صناعة السفينة البخارية لتسير بواسطة دواليب من الجانبين (طارات) ولم تساعده المقادير على اتمامها ثم تداول هذا العمل أياد كثيرة ولكن لم تنجح تماما حتى سنة ١٨٠٣ م حيث أنزل روبرت فلطن الاميركانى أول سفينة بخارية تامة بدواليب فى نهر السين بباريس مذ كان فى فرانسا وصادفته عراقيل منعته من تتميم عمله فذهب فلطن المذكور الى امريكا وطنه وهناك تمكن من صنعها سنة ١٨٠٧ م كما سبق وكانت تسمى كلارمون وسافرت من نيويورك الى فيلادلفيا أما آلة الذنب المسماة بالرفاس فالمخترع لها هو المهندس اريكسون من أهل أسوج فى البلاد المتحدة الاميركانية أيضا سنة ١٨٤٤ واستعملت من وقتئذ فى السفن

ثم وجه محمد سعيد باشا عنايته للملاحة فى بحر النيل فأوجد له مصلحة خاصة سميت بالانجرارية وأصلح دار صناعة بولاق وابتاع جملة بواخر وصنادل ولم يمض زمن طويل حتى بلغ عدد بواخر هذه المصلحة خمسين باخرة غير المراكب الشراعية تختلف قوة الواحدة منها بين ٤٠ و ١٤٠ حصانا وكان بهذه المصلحة أيضا واحد وستين صندلا حمولة أصغرها ١٥٠ اردب وحمولة أكبرها ١٦٥٠ اردب وعين لادارتها عدة ضباط وملاحين من رجال الدونمة المصرية ولما بطل العمل بدار صناعة الاسكندرية تشتت صناعها فى أنحاء القطر للسعى وراء قوتهم وابتاع العزيز أيضا أربعة بواخر للبحر الاحمر وهى الحجاز ونجد والقبارى وجدة وكانت مكسوة بألواح الحديد ليست معدودة من سفن الحرب وبها سافر الى الحجاز لاداء الفريضة وقد دخلت هذه السفن فيما بعد ضمن سفن الشركة المجيدية التى تشكلت بالديار المصرية بمقتضى الفرمان السلطانى الصادر فى أول فبراير من سنة ١٨٥٧ م ١٢٧٣ ﻫ ولما صار لمصر عدة بواخر فى البحر الاحمر رأى المشار اليه من اللزوم ايجاد بعض الورش فأمر بها فشيدت وشيد أيضا حوضا من الحجر بالسويس لاصلاح تلك البواخر عند الحاجة عهد ببنائه لشركة أجنبية فرنساوية تعرف بشركة دوسو (١٨٦٢ م) ١٢٧٨ ﻫ بلغت تكاليفه ٨٫٨٠٠٫٠٠٠ فرنك ومع ذلك فانه لم يتم الا فى زمن المرحوم اسماعيل باشا وأعاد فتح المدرسة البحرية وانتخب لها من تلامذة المدارس الحربية العدد الكافى ونبغ بهذه المدرسة كثير من الضباط الذين سيأتى ذكرهم فى هذا التاريخ ويروى أن أحد أمراء البحرية قال فى حضرة المرحوم سعيد باشا لقد كثر عدد الضباط المتخرجين من المدارس البحرية الا أنه ليس لمصر من السفن ما يكفى لتوظيف هؤلاء الضباط فأجابه سعيد باشا ان المدرسة البحرية لابد من وجودها وتخريج ضباط أكفاء منها لان ذلك يحتاج لزمن بخلاف الحصول على السفن فانه أمر سهل لانه متى مكنتنا الفرص اشترينا منها ما يلزمنا الا اننا لا نجد من يديرها من القواد المهرة المتدربين فى مدة لاتنقص عن العشرين سنة وهو قول صواب ورأى جيد وكان رحمه الله لما زاد فى عدد البواخر الحديدية وشكل منها القومبانية المجيدية

ورأى أن الحوض الحجرى الذى شيده المرحوم والده محمد على باشا صغير الحجم لا يسع البواخر المذكورة لكبر حجمها وان اشتغالها فى أعمال البريد والتجارة وخلافهما يجعلها فى أغلب الاوقات عرضة لغوائل كثيرة مثل ملاطمتها للصخور أو الرمال أو بعضها بعضا وكذا قد يزول طلاؤها من قاعها المغمور فى الماء من طول اقامتها فى البحر ويلتصق باسفلها المحار ويتراكم على بعضه فيقلل سيرها المعتاد فلذلك لا تستغنى ولو مرة فى كل سنة عن الاصلاح والمسح والطلاء بالدهان فى داخل الاحواض أمر بتشييد حوض كبير بجانب الحوض الصغير السابق ذكره وأن يشيدوا فى رأسه أيضا قزاقا من الحجر على شكل مزلقان لتسحب فوقه السفن الى البر فتكون الفائدة مزدوجة حيث يمكن بوجودهما اصلاح جملة بواخر فوق القزاق المذكور وبداخل الحوض وقد أنيط هذا العمل ببعض مهندسى الاوروباويين وبعد أن تم القزاق وجعلوا فى نهايته آلة بخارية لسحب السفن وشرعوا فى تشييد الحوض أمام القزاق المذكور تعطلت الاعمال مرة واحدة وكان ذلك فى عهد نظارة حافظ خليل باشا للبحرية ويروى أنه كان أول الساعين فى ذلك لانه أخذ الاخشاب والخوازيق التى كانوا غرسوها لهذا العمل بثمن بخس واستخدمها فى الفرضة الكائنة أمام شوادر الحطب باسكندرية وكان المرحوم سعيد باشا أنعم عليه بها لياخذ ايرادها لنفسه

وفى أيام المرحوم سعيد باشا سعى الموسيو فرديناند دولسبس وقدم طلبا بفتح قنال السويس وذكر فيه المنافع التى تعود على الديار المصرية من فتحه لانه الطريق الاقرب بين ثغور جميع بلاد أوروبا وثغور البلاد الهندية الغنية والشرق الاقصى وبذلك يتحول طريق السفائن التجارية الاوروباوية التى كانت تقطع الطريق الطويل حول افريقية مارة برأس عشم الخير الى القطر المصرى فتسهل المواصلات ويعود على مصر خصوصا فوائد جمة وبعد أن تقابل دولسبس المذكور مع العزيز عدة مرار وسعى بكل الوسائط الممكنة وأفهم بعض حاشيته أهمية ذلك سمح محمد سعيد باشا بمنح الشركة الغير المعلومة الاعضاء التى قال عنها الموسيو دولسبس المذكور فى تقريره امتياز انشاء القنال المذكور وكان ذلك فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ م ١٢٧١ هـ وقد ساعد سعيد باشا الشركة بكل ما أمكنه كما سيأتى فى تاريخه

ولما قبض اسمعيل باشا على الاريكة المصرية (١٢٧٩ هـ) وكان يريد ترقية أحوال البلاد أعاد للبحرية المصرية حياة جديدة وأنشأ شركة البواخر المعروفة بالقومبانية العزيزية بعد أن أبطل القومبانية المجيدية السابقة فكانت من أعظم الاسباب فى جلب المنافع للبلاد واتساع تجارة مصر وبعد أن كانت الديار المصرية تحت تحكم السفن الاجنبية تخلصت من تلك السيطرة وترقت حالة سفنها حتى زاحمت سفن جميع الدول فى مزاياها وصارت تمخر فى كل البحار المجاورة لمصر وشاركت غيرها من الشركات الاجنبية فى جر المنفعة فكانت تتردد فى أوقات معينة على بلاد اليونان وبلاد سوريا وثغور الاناضول الواقعة على البحر الرومى والدردنيل وغاليبولى والاستانة وغيرها وتمر فى البحر الاحمر على ثغور مصوع وسواكن وينبع وجدة والحديدة وعدن وغيرها من ثغور بلاد العرب وتصل أيضا الى زيلع وبربرة وغيرها وفتح المدارس البحرية بعد اندراسها وأحضر لها مهرة المعلمين والاساتذة من انكلترة وغيرها وأعاد دار الصناعة عمالها وأمر المرحوم عبد اللطيف باشا ناظر

البحرية

البحرية وقتئذ بمباشرة انشاء السفن الحربية الجديدة التى أمر عدهافأنشأ سفينة بخارية حربية من نوع الفرويت دعيت لطيف ثم أنشأ فرويت آخر سمى الصاعقة انتهى العمل فيه أيام نظارة المرحوم شاهين باشا للبحرية وسلحهما بالمدافع الجديدة من نوع الارمسترونغ وأهدى الخديو المشار اليه للسلطان عبد العزيز وابوراحربيا يدعى فيض جهاد كانلركوبته الخاصة وسمى فيما بعد بالسلطانية وكان سلفه المرحوم سعيد باشا أهدى للسلطان أيضا فرقاطة حربية وهى المعروفة الآن بأسم مخبر سرور ولما تم للقومبانية العزيزية مايلزمها من السفن وكان تعين لادارتها حسين شرين باشا أحضروا اليها من أنحاء القطر ضباط البحرية الخالين من الخدمة وطلبوا اليها أيضا كثيرا من عساكر البحرية خصوصا الخدمتها وبذلك صارت أكثر الشركات الاجنبية نظاما وقد بلغ عدد سفنها بالبحر الابيض المتوسط ١٩ باخرة وبالبحر الاحمر عشر سفائن أخرى وحصلت مصر بذلك زيادة عن توارد محصولات الاقطار المختلفة على انتظام ادارة البريد وزيادة العمارية فى سائر الثغور المصرية وترقى البحرية وبلغ عدد سفن الاسطول الحربى المصرى ١٨ سفينة قوة آلاتها معا ٤٥٨٠ حصانا بخاريا تستهلك من الفحم الحجرى كل سنة ١١،٠٠٠ طونيلاته منها فى البحر الرومى سفن المحروسة ومصر والغربية ومحمد على ولطيف والصاعقة وأسيوط ومخبر ونور الهدى ويتبع ذلك سبع سفن شراعية ووابور يدعى النجمى وزرخان نمرة واحد ونمرة اثنين وسفن البحر الاحمر هى شبرجهاد ودنقله والطور وسنار والخرطوم وشندى وممنود واسوان والجعفرية ثم لما عزم المرحوم اسمعيل باشا على ابطال الشركة العزيزية ابتاع جميع أسهمها وحولها الى شركة جعلها خاصة بالحكومة المصرية وسماها بالبوستة الخديوية ولازالت موجودة للآن وسفنها تمخر فى البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر بين ثغور الدولة العثمانية والحكومة المصرية

ومن الاصلاحات البحرية التى تمت فى عهد الخديو المشار اليه أن نظارة البحرية وقتئذ رأت ان ساعات (١) الكرونومتر الموجودة بكافة بواخرها تحتاج الى التصحيح فى أغلب الاوقات لضبط

(١) تطلق الساعة على الآلة المعروفة لقياس الزمن فالساعات عند الفلكيين على ثلاثة أنواع الساعة النجمية وهى المعول عليها عندهم والساعة الشمسية الوسطى والساعة الشمسية الحقيقية ويساوى كل منها $\frac{1}{24}$ من النهار فالساعة الشمسية الوسطى تعين بالساعات المتقنة الضبط والساعة الشمسية الحقيقية تعين بحركة الشمس والساعة النجمية المستعملة فى المراصد تضبط للوقت النجمى وتعرف بالساعة الفلكية وتصنع بطريقة مخصوصة وتقابل كل يوم مرارا على الفلك ليتحقق ضبطها ويجعل اليوم فيها ٣٦٠ درجة فتكون الساعة ١٥ درجة ومن هذه الساعة ساعات الكرونومترا المستعملة عند الملاحين وفى كافة السفائن الحربية والتجارية وهى ساعة محكمة الصناعة مضبوطة الحركة وهى مركبة على بندول معتدل يصنع من معدنين مختلفين النحاس الاحمر والصلب ولما كان النحاس يقبل التمدد والانكماش أكثر من الصلب اتخذوا فى المعامل طريقة وهى انه قبل وضع هذا البندول فى الساعة يضعونه فى درجة عظيمة من الحرارة مدة من الزمن ثم يضعونه فى درجة مثلها من البرودة مدة أخرى وذلك لعدم تأثير البرودة أو الحرارة على حركة الساعة عند انتقال السفن مدة الاسفار من المنطقة الباردة الى المنطقة الحارة أو بالعكس والملاحون يستعملون هذه الساعة لاستخراج طول الامكنة المراد معرفتها لان سيرها يكون عادة على وقت نصف نهار يوم متوسط المكان المعتبر وحدة الاطوال وتوضع عادة فى جهات المركب الخالية من الاهتزاز والحركة وقبل اختراع الساعات كان الملاحون يستعينون فى قياس أوقاتهم بمراقبة سير الشمس من الشروق الى الغروب هذا بالنهار أما فى الليل فيعرفون الساعات بمراقبة حركات النجوم السيارة وحركة القمر واستمروا على ذلك الى أن وصلوا الى اختراع آلة أسهل من تلك المراقبات وأول آلة وضعت لمعرفة الوقت كانت الساعة الشمسية أو المزولة وهى قطعة من الحجر بها خطوط على

ارصادها وحسابها فى مدة أسفارها فقررت انتخاب أحد ضباطها الشهيرين فى فن الارصاد الفلكية للقيام بهذه المأمورية المهمة فانتخبت الصاغقول أغاسى مصطفى قبودان شاهين وسلمته جميع ساعات الكرونومتر فى نحو سنة ١٨٦٩ م (١٢٨٦ هـ) وأصدرت منشورا لعموم السفائن تعلنهم بذلك فصارت تلك السفائن عند عودتها من الاسفار الى المينا ترسل له جميع ساعاتها لتصحيحها ثم رأى المرحوم عبد اللطيف باشا لزوم تعميم الفائدة بالميناء فأصدر أمرا باقامة عمود فوق سطح المدرسة البحرية التى كانت فى الطبقة العليا من ورشة التيالة وان توضع عليه كرة وأمر مأمور اصلاح الساعات المذكورة أنه متى عين زمن الزوال أعلم ذلك بجعل الكرة المذكورة تسقط الى أسفل العمود ومتى حصل ذلك أطلق فى الحال مدفع من احدى البواخر الحربية المصرية وكل ذلك فى وقت الزوال تماما لتصلح بموجبه السفن المصرية والسفائن الاجنبية الراسية فى الميناء ساعاتها فكان ذلك من أحسن الاعمال ومازال ذلك متبعا حتى سنة ١٨٨٢ م حيث أحيل العمل المذكور على مصلحة اللمانات والفنارات ولما كثرت السفن بمصر ورأى الخديو المشار اليه أن ارسالها الى الخارج لاصلاحها وطليها بالاصباغ يكلف الحكومة أموالا كثيرة سيما وانه نقص عمكنه مداركته أوجد بثغر الاسكندرية حوضا عائما من الحديد لاصلاح السفن صنعه أحد معامل فرانسا سنة ١٢٨٥ هـ طوله مائة وأربعون مترا وعرضه ٣٣ مترا وعمقه ١١ مترا وزنته ٣٫٨٠٠٫٠٠٠ كيلوغرام وبداخله آلتان بخاريتان لتفريغ مياهه قوتهما ٢٥ حصانا بخاريا بلغت قيمة انشائه ١٢٦٫٣٣٦ جنيها مصريا وله بابان يستعملان متى كانت السفن التى تدخل فيه

حد ساعات النهار توضع مستقبلة للشمس وفى وسطها قضيب من الحديد يلقى ظله على تلك الخطوط فيعرف من ذلك الظل الوقت ويروى أن اختراعها كان فى نحو سنة ٨٠٠ ق م ونسب بعض المؤرخين اختراعها الى لانكسيمندروس الايونى سنة ٦٠٠ ق م ولكن استعمالها فى رومة كان فى نحو سنة ٢٩٢ ق م فقط ولما اخترعت الساعة الرملية المستعملة لهذا اليوم أخذ الملاحون عموما يستعملونها فى سفنهم ولا يعرف أصل منشئها وذكرها المؤرخ بيروس الكلدانى (Berose) فى سنة ٥٤٠ ق م ولما كانت الساعتان المذكورتان لاتفيان بالمطلوب لتغير مجرى الظل فى الاولى بحركة الارض وتأثير الرطوبة على الرمل فى الثانية أخذ العلماء يبحثون على أحسن آلة لقياس الزمن حتى ظهرت الساعة المائية واستعملت فيها قوى الصناعة ويقال انها كانت مستعملة فى الصين وفى بلاد اشور وبين المصريين قبل الساعة الشمسية حقيقة منشئها مجهولة وقد نسب البعض اختراعها اليونان قالوا ان كتيسيبوس أحد علماء الاسكندرية أدخل عليها اصلاحا جليلا سنة ٢٣٥ ق م ولم يستعملها الرومان فى رومية الا فى سنة ١٥٨ ق م وقد أخذها العرب عن اليونان أيضا وتفننوا فى صناعتها وان الخليفة هرون الرشيد أهدى الامبراطور شارلمان فى أواخر القرن الثامن الميلادى ساعة مائية ذات ثقل لم يكن لها مثيل فى أوروبا وقت ذوا ما مبدأ اختراع الساعات المستعملة الآن فمجهول أيضا قال بعض المؤرخين ان كثيرا من العلماء يتنازعون شرف هذا الاختراع ولكن أشهر من عرف به بوليتيانوس سنة ٥١٠ م وأحسن اصلاح أدخل فى صناعة الساعات كان لجربرت الراهب الذى رقى فى مراتب الكهنوت حتى جلس على كرسى البابوية سنة ٩٩٩ م باسم سلفستروس الثانى وكان من أعلم أهل زمانه وأكثر من الاشتغال فى الآليات حتى اتصل سنة ٩٩٦ م وهو أسقف مقدبرغ الى عمل ساعة ذات ثقل ذكرها أكثر المؤرخين ولم يزل القوم يتدرجون فى تحسين الساعات الى أن حسنوا اصناعتها وتنوعوا فى عملها على أشكال حتى توصلوا لعمل الساعة الدقاقة فى القرن الحادى عشر الميلادى وقد اشتهرت الساعة التى صنعها هنرى روفيك أو ويك سنة ١٣٧٠ م وأهداها الى شارلس الخامس ملك فرانسا ويقال انها كانت قريبة الشبه بالساعات المستعملة فى الوقت الحاضر ثم تتابع التحسين حتى بلغ من الاتقان درجة رفيعة واشتهرت معامل بلاد السويسرة خصوصا مدينة جنيفه بها وفرانسا وليفربول من انكلترة وبعض معامل المانيا والولايات المتحدة وأوجدوا كثيرا من الساعات الفلكية

للاصلاح

للاصلاح جسيمة وثقلها أزيد من المقرر له فتقفل الابواب المذكورة و ينزح الماء من داخله وتصلح فيه وهو غاطس فى البحر أما السفن الخفيفة فيسحب بها وتتم عمارتها وهو سابح وبهذا الحوض سهل العمل بدار الصناعة وتوفرت لها مبالغ من الاموال ويمتاز هذا الحوض على الحوض المبنى بانه ينقل الى أى مكان أريد وأعماله أسهل من أعمال حوض البناء بكثير سيما وان الحوض الاول الذى كان من البناء فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا لم يكن يسع كل السفن الجديدة لعظم أبعادها ولما وجد هذا الحوض الجديد بثغر الاسكندرية كثر تردد السفن الاجنبية على ميناها للاصلاح وقد ترتب على ذلك زيادة عن الايراد المتحصل للحكومة استمرار توارد البواخر الاجنبية الى ذلك الثغر وتمكن الحكومة من صيانة سفنها الحربية والتجارية مما يصيبها من الاضرار وصار بالمينا حوضان عم نفعهما المراكب الاهلية أيضا لانه قبل انشاء الحوض العوام كانت المراكب الاميرية ربما شغلت الحوض البناء المذكور مدة طويلة فتتعطل مراكب الاهالى المحتاجة الى الاصلاح مدة فتتوقف بسبب ذلك تجاراتهم ومما لاريب فيه أن حكم المرحوم اسمعيل باشا امتاز بتقدم جليل فى الاعمال الحربية لما وجهه نحوها من العناية كما وجه عنايته لكثير من المنافع التى عادت على القطر بالفوائد كما سيجىء ولما صدر فرمان المرحوم السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) باحالة قائمقاميتى سواكن ومصوع على الحكومة المصرية اتسعت دائرة البحرية وصارت سفن مصر تتردد على فرضتهما ولما تم فتح قنال السويس فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ (١١ شعبان سنة ١٢٨٦) وأقيم له الاحتفال العظيم الذى لم يرمثله ورأى المرحوم اسمعيل باشا بثاقب فكره أن متاجر الدول الشرقية والغربية لابد أن تتحول اليه وخاف من أن التجار ينتقلون الى المدينة الحديثة العهد التى شيدت عند طرفه الشمالى المسماة بورت سعيد و يجعلونها مركزا لتجارتهم سيما وانهم أخذوا فى ذلك بالفعل اهتم بتحسين فرضة الاسكندرية وتنظيمها وجعلها فى مأمن من فعل الرياح المختلفة فأنشأ جسرا عظيما من الاحجار الصناعية يقى الفرضة من الامواج وهذا الجسر ممتد بين رأس التين وجهة العجمى وجعل به طريقا كالباب لسلوك السفن الواردة الى الميناو الخارجة منها وأنشأ رصيفا لتسهيل الشحن والتفريغ وأرصفة أخرى ممتدة فى المينا وغير ذلك مما سيأتى الكلام عليه وكان المتعهد بهذا العمل شركة انكليزية تدعى شركة جرنفلد (١٨٦٨ م)

وقد اهتم أيضا ببناء مينا ثغر السويس بجانب الحوض الذى شرعوا فى انشائه من زمن المرحوم سعيد باشا وأعطى مقاولة اتمام الحوض واعمال مينا السويس (١٨٦٧) الى شركة اخوان روسو وقد تمت هذه الاعمال سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤) وبذلك كثر سير سفن التجارة فى البحر الاحمر حتى كادت تضارع تجارة البحر الابيض المتوسط وعادت اليها شهرتها القديمة نوعا ومن أعماله التى أعانت كثيرا على تقدم الملاحة أن شيد عدة فنارات فى جملة نقط بين الاسكندرية و بورت سعيد على البحر المتوسط الابيض وفى كثير من جهات البحر الاحمر لاهتداء السفن ليلا وقد عادت هذه الفنارات بالفوائد الكثيرة على الملاحة من جهة وبايرادات ذات شأن على المالية المصرية من الجهة الاخرى وزاد الخديو عدد بواخر بحر النيل ونظمت مصلحة الانجرارية تنظيما جديدا وبلغ عدد السفن التجارية بها ٥٨ سفينة منها ٢٨ خاصة بمصالح الدائرة السنية والباقى للمصالح العمومية ومقدار قوة تلك السفن ١٤٠٠ حصان تستهلك فى السنة ٢٦٢٥ طنا من الفحم الحجرى ووسع دار صناعة

الخرطوم وأوجد فيها كثيرا من الصناع ونقل اليها نحو ١٨ وابورا بحاريا وصنع فيها كثيرا من المراكب الشراعية فأفادت هذه السفن والبواخر فى الاكتشافات والتجريدات والحملات التى ساقها الى أكثر جهات السودان لتوسيع أملاكه خصوصا عندما أرسل السير صموئيل بيكر (Sir Samuel Baker) الانكليزى لاكتشاف منابع النيل (١٨٧٠ - ١٨٧٣ م) وساعدت أيضا الجنود التى أرسلها الى قلب افريقية حتى بلغت البلاد الواقعة عند الدرجة الاولى من شمالى خط الاستواء فاتسعت أملاك مصر بالسودان حتى بلغت أطرافها تلك الحدود وظنوا أن ذلك أقرب الوسائط لمنع النخاسة وابطال التجارة بالرقيق وتعين السير صموئيل بيكر حاكما عاما على المقاطعات الاستوائية وبقى فيها الى أن استعفى سنة ١٨٧٣ وعادت أعماله بفائدة مهمة حيث أنشأ محطة بحرية عند ملتقى نهر صوبات بالنيل للقبض على المراكب التى تسرق العبيد سماها بالتوفيقية ولما كان الجنرال غوردون باشا (Gordon) حاكما على مديرية خط الاستواء (١٨٧٣م - ١٨٧٦م) اهتم بأمر المحطة المذكورة وشدد فى ضبط الارقاء وقلت أهمية بلدة شكا أشهر مراكز النخاسين عند بحر الغزال وكانت الرياسة فيها للزبير باشا حيث كان له فيها قصر وجيش منظم بالسلاح لاقتناص الرقيق ولما تعين غوردون باشا حكمدار العموم السودان سنة ١٨٧٩ م عين انكليزيا يدعى جسى مديرا لمديرية بحر الغزال فقام هذا المدير بعدة أعمال نافعة فى مديريته وبنى القناطر على الانهار ومجارى المياه وساعد الاهالى على مد المراكب وأنشأ السفائن واجتهد فى منع النخاسة فقام عليه النخاسون تحت رياسة سليمان بن الزبير فحاربهم وكان غوردون وقتئذ فى الخرطوم يصلح دوائر الحكومة فقاد جيشا حتى وصل محلة العصاة ودخل على القوم وحده فوجد نحو ثلاثة آلاف عبد وعدة أمراء كلهم شاكى السلاح فخاطب رؤساهم وطلب منهم التسليم فسلموا وأطاعوا وفى مقدمتهم سليمان بن الزبير باشا ومن هذا الوقت جعله غوردون حاكما على بحر الغزال ثم اهتم غوردون بعد ذلك أيضا بتحسين طرق المواصلات وسير المراكب فى البحر حتى لا تكون شلالات النيل عقبة قائمة فى طريق الملاحة به وبينما كان غوردون مشتغلا بالاعمال المفيدة اذ خلع سليمان ابن الزبير عصا الطاعة فوجه عليه جيشا وكسره وقتله وأعاد السكينة الى ربوعها والمعاملات الى أصلها وبذلك حافظ على المواصلات البحرية بالنيل وقد نالت البحرية المصرية فى عهد الخديو اسماعيل باشا فخرا عما أجرته من الاسفار البعيدة فسافر مصطفى بك العرب فى أول حكمه بالفرقاطة المسماة بالابراهيمية سنة ١٢٨٠ ﻫ من ثغر الاسكندرية الى بلاد الانكليز ثم سافر من هناك وطاف حول افريقية على طريق رأس عشم الخير الى أن دخل البحر الاحمر ورسا على السويس وذلك قبل فتح القنال وهناك غيرت نظارة البحرية اسم الفرقاطة وسمتها شيرجهاد وسافر بعد ذلك أيضا سليمان قبودان حلاوه بوابور سمنود وطاف حول افريقية سنة ١٢٨١ ﻫ ثم عاد سالما الى السويس بعد أن تكبد جملة مشقات فى توصيل حجاج المغاربة الى بلادهم وهم الذين نقلهم من الاسكندرية عند سفره وكان كلما مر بهم على ثغر ردوه ولم يصرح واله بدخوله خوفا من الوباء المنتشر بين أولئك الحجاج ثم ذهب الى بلاد الانجليز لاصلاح السفينة وبعد ذلك سار للسياحة حول افريقية فكانت مدة سفره من لوندره الى السويس نحو ثلاثة شهور وستة أيام عما فيها الايام التى رسا فيها بجزيرة ماديرا وجزيرة القديسة هيلانه ورأس عشم الخير وعدن لاخذ الفحم وغيره من اللازم للباخرة

ولما

ولما كانت الاسفار بالسفن القديمة بالبحر المحيط الاطلنطيق والمحيط الهندى المحيطين بقارة افريقية محفوفة بالاخطار أمرت نظارة البحرية ضباط السفينتين المذكورتين بمراقبة البارومتر (١) والترمومتر (٢) للوقوف على التغيرات الجوية وحركاتها وأن يسجلوا مايشاهدونه من التغيرات فى دفاتر مخصوصة تعرف عند الملاحين بالجرنال كل ذلك ليمكنهم اتقاء أخطار التغيرات الجوية فيبادروا الى الالتجاء الى أقرب فرضة

وأرسل الخديو اسماعيل باشا رحمه الله فى سنة ١٢٨٣ ﻫ عدة سفائن مع الجيوش التى بعثها لمساعدة الدولة فى ثورة الاروام بجزيرة كريد وقد أتت هذه السفائن بأعمال عظيمة فى سواحل الجزيرة المذكورة كما سيأتى ذلك وأرسل أيضا فى ١٧ فبراير من سنة ١٨٧٥ م (١٠ محرم سنة ١٢٩٢ ﻫ) تجريدة بحرية مركبة من باخرتين حربيتين وهما فرقاطة محمد على وقرويت لطيف ووابورين نقالين وهما طنطا

(١) البارومتر هو آلة معدة لقياس ضغط الهواء والمستعمل منه فى السفن الحربية والتجارية على أشكال متعددة منها مايسمى بالبارومتر ذى الطشت وهو عبارة عن أنبوبة زجاجية مملوءة بالزئبق مركبة على لوح من الخشب مقسم الى أقسام ميليمترية أوسنتيمترية وبارومتر فورتين وهو كالسابق ولكنه سهل النقل وزجاجته مثبتة بين قطع معدنية وله عضادة تتحرك بمسمار يعلم منها ارتفاع أو انخفاض الزئبق عند حدوث تغير فى الهواء ومنها البارومتر ذو الممص وهو يتركب من انبوبة منحنية ذات فرعين فرع طويل مغلق يقوم مقام أنبوبة البارومتر الاول والثانى مفتوح ويقوم مقام الطشت ويعرف فيه ضغط الهواء بقياس الفرق بين سطحى الزئبق فى الانبوبتين من الارقام المرقومة فوق الخشبة المثبت عليها والبارومتر الساعى وهو ذو ممص يسبح فوق سطح الزئبق ولكن حركة الضغط تعلم من تحرك العقرب من اليمين الى اليسار أو بالعكس على الاقسام المرقومة على دائرته والبارومتر المعدنى وهو مؤسس على مرونة المعادن وله عقرب يتحرك على دائرته وطرفه من المعدن ويعلم به ضغط الهواء من الانخفاض الذى يحصل على الانابيب المعدنية بزيادة الضغط أو بقلته وبذلك يتحرك العقرب أمام وجه ساعة المدرج وقد أجمع المؤرخون على ان أول من اهتدى الى معرفة ثقل الجو هو توريشلى (Torricelli) التليانى تلميذ غليلى (Galilée) واستمر على التجارب حتى اكتشف التموجات التى تحدث فى أعلى عمود الزئبق بسبب تغيرات الهواء وفى سنة ١٦٤٥ م نشر ملاحظاته على ذلك الا أنه مات بعد ذلك بقليل قبل أن يتمكن تماما من اكتشافه العظيم الا أن بسكال (Pascal) الفرنسوى اشتغل بعده بذلك وأتم امتحاناته فى ١٩ سبتمبر سنة ١٦٤٨ م وفى تلك السنة استعمل أول بارومتر منتظم وأخذ العلماء فى اتمام ما ينقصه وانتشر استعماله فى البحر والبر وقد استمر العلامة نويس بلوت من أترخت فى ملاحظاته هو وعلماء آخرون وقرروا له نسباعدديه وتمكن من اكتشاف النواميس التى تجرى عليها حركة مركز الهبوط البارومترى للعواصف وحمل حكومة هولاندا سنة ١٨٦٠ م على انشاء لجنة لمراقبة الهواء ووضع علامات العواصف فاقتدت بها انكلترة سنة ١٨٦١ وفرانسا سنة ١٨٦٣ وأمريكا المتحدة سنة ١٨٧٠ وقد بلغ الآن الكمال وتمكن العلماء من اتقان البارومتر حتى حققوا به اختلافات الارتفاعات بضبط لا يعادله ضبط حساب المثلثات

(٢) الترمومتر آلة تقاس بها درجات الحرارة وتستعملها المراكب الحربية والتجارية كميزان تعرف به تقلبات الحرارة وهى مؤسسة على الخاصية التى بها تتمدد السائلات بالحرارة وتتقلص بالبرودة والمفضل من السوائل الزئبق والكحول وقد آثروا الزئبق لانه لا يغلى الا على درجة حرارة مرتفعة جدا واختاروا الكحول لانه لا يتجمد باعظم درجات البرودة المعروفة وكان أول استعمال الترمومتر فى جرمانيا سنة ١٦٢١ م ومخترعه كرنيليوس دربيل الهولاندى ونسبه البعض الى سنكتوريوس الايطاليانى وسمى أولا بزجاجة الهواء وكان فى مبدئه آلة خشنة غير مضبوطة ثم أصلحها بويل والاكاديميون الفلورنسيون ثم انرنيومور استعمل الزئبق للترمومتر وهو الذى اخترع الآلة والسلم المنسوبين الى فارنهيت من امستردام سنة ١٧٢٠ م وأما فارنهيت فهو الذى ركب الآلة وشهرها فشاع أمرها بأوروبا فى النصف الاول من القرن الثانى عشر الميلادى

ودسوقى بهما أورطة من المشاة وبلوك من الخيالة وبطارية مدافع جعلها تحت قيادة الاميرال مكيلوب باشا والكولونيل لونج والميرالاى عبد الرزاق بك وكيل المدرسة البحرية وقتئذ الى جهات مصب نهر جوبا أو الجب من بلاد الصومال لاكتشافه وفتح البلاد الواقعة عليه وتوصيلها بالاملاك المصرية التى فتحها الكولونيل غوردون باشا باسم مصر فى جهات خط الاستواء الا أن انكلترة اعترضت على ذلك على لسان اللورد دربى سنة ١٨٧٦ م وكانت القوة المصرية تقدمت مع الكولونيل لونج واليوزباشى حسن أفندى واصف أركان حرب التجريدة (الآن بك ومدير الجيزة) نحو ١٥٠ ميلا فى النهر المذكور فالتزم الخديو بأن يوقف هذه التجريدة وأمر قائدها بالعودة الى ثغر السويس وكانت وقتئذ أكثر السفن المصرية مشتغلة بنقل الجيوش الى حرب الحبشة وفتح هرر وبعد انتهاء ذلك أرسل عدة سفن عليها قوة عسكرية مصرية لمساعدة الدولة فى حرب الصرب والجبل الاسود (١٨٧٦ م) ثم لما اشتعلت نيران حروب الروسية سنة ١٨٧٧ أرسل جيشا آخر على كثير من السفائن المصرية ورافق تلك السفن أسطول حربى عثمانى حتى أوصلها الى الدردنيل وبقى بعض تلك السفن تساعد الدولة هناك كما سيأتى وكان الخديو المشار اليه من أول ولايته يميل جدا الا أن يرى له من الاساطيل المدرعة قوة عظيمة يحافظ بها على سواحل مصر البحرية ولذلك كان أوصى على ثلاث مدرعات بفرنسا وأوصى على اثنتين بتريستة ولما تمت أرسل اليها من مصر طوائفها سنة ١٨٦٨ م لاحضارها الا أن الدولة العثمانية اعترضت على ذلك ومنعت من أن يكون لمصر قوة بحرية كهذه لان الفرمانات لا تبيح لها ذلك وابتاعت الدولة منها تلك السفن وتصرح للخديوية المصرية بانشاء سفائن حربية بسيطة ويروى أن هذا المنع أتى عن ايعاز احدى الدول التى حذرت المرحوم السلطان عبد العزيز من عاقبة التساهل مع مصر فى ذلك وهو قول مقبول تؤيده خطة دول أوروبا نحو ممالك الشرق عموما الا أن الرسميات لم تثبت هذه الرواية والحاصل أن هذا المنع أضعف القوة البحرية فى الديار المصرية فاقتصرت مصر على استعمال ما أوجده الخديو من البواخر العادية والسفن الاميرية السابق ذكرها

ولما تبوأ كرسى الخديوية المصرية المرحوم محمد باشا توفيق سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) كانت البلاد المصرية محاطة بالمصائب السياسية والمشاغل الدولية على حالة لم يسبق لها مثال فى الاعصر الخالية وكان أهم أسباب تلك المشاكل العسر المالى ولما تعين المستر بارنج والمسيو دى بلنيار مفتشين عالين للمالية أخذا فى اجراء الاقتصاد بكثير من فروع الحكومة لتسوية الاحوال المالية ولما اقتصدا من ميزانية الجيش والبحرية مبلغا وافرا وكان الوكيل فى البحرية قاسم باشا اضطر هذا الاقالة كثير من ضباطها وملاحيها فتعطلت بذلك عدة بواخر ومنع أيضا ما كان يصرف سنويا للسفائن الحربية من الأدوات والآلات وربط عدة منها داخل رصيف الترسانة وباعت البحرية فرقاطة شير جهاد وابو رشندى اشتراهما تاجر انجليزى بمبلغ ٥٢٠٠ جنيه مصرى (١٨٨٠ م) فكسرهما وباع أنقاضهما ومهماتهما بمبلغ وافر وفى خلال ذلك انتهزت دولة ايتاليا فرصة الارتباك المالى الواقعة فيه الحكومة المصرية خصوصا بعد صدور قانون التصفية (١٢٩٧ هـ - ١٨٨٠ م) الذى تقرر فيه خفض ميزانية البحرية وابقاء سبعة مراكب فقط بطواقمها وهى المحروسة ومحمد على بثغر الاسكندرية والصاعقة وجعلت لتمرين تلامذة المدرسة

البحرية وأوقفوها بمدينة بورت سعيد والجعفرية والطور ومخبر بالبحر الاحمر أما ما بقى من السفن فعطلوها عن الحركة وأخذت تسعى فى الحصول على مستعمرة بساحل الدناقيل من البحر الاحمر فاحتلت احدى الجزائر القريبة من تلك السواحل بتداخلها مع مشايخ العربان القاطنين هناك ولما تحققت من ثبات مركزها وتغاضى الحكومة المصرية صاحبة البلاد عن الاحتجاج على عملها هذا خطت خطوة ثانية واحتلت جهة اصاب المقابلة للجزيرة المذكورة وكان امتلاك الحكومة الخديوية لهذه البلاد بمقتضى الفرمان السلطانى الصادر فى ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠هـ (٨ يوليو سنة ١٨٧٣ م) وهو الذى منحت فيه مصر قائمقامية سواكن ومصوع وتوابعهما فى مقابلة مبلغ من المال تؤديه للدولة سنويا وأظهرت حكومة ايطاليا اذذاك أن الغرض من احتلالها هذه النقط جعلها مخازن فحم لوابوراتها المتجولة بتلك الجهات والضعف الذى أصاب بحرية مصر صارت غير قادرة على اجراء أى عمل تحفظ به باقى سواحلها فى البحر الاحمر وأخيرا قررت تعين محافظ عام لتلك السواحل وهو على رضا باشا وأصحبته ببعض المأمورين وخصصت له وابور الجعفرية سوارية على بك شكرى وعينت معه من قبل البحرية القائمقام محمد أمين توفيق بك (الآن باشا) فأخذ يتجول فى تلك الاطراف وفى خلالها قتل الاهالى ضابطين وعشرة عساكر طليانية فى جهة بيلول وكأن ايطاليا كانت عرضتهم للخطر قصد التجنى من وراء ذلك ثمرة كما تفعل دول أوروبا متى أرادت اختلاق أسباب تمكنها من نوال مقاصدها واحتجت على الحكومة المصرية فالتزمت الحكومة بتحقيق ذلك وأمرت على رضا باشا المذكور بالذهاب الى تلك الجهة وبعد أن أجرى التحقيق مع مشايخ الاهالى بحضور مندوب من ايطاليا فرض عليهم عقابات متنوعة كما سيأتى مفصلا فى بابه وقد عد أرباب السياسة عمل الحكومة المصرية هذا كاعتراف منها بوجود جنود طليانية فى سواحلها بجهات الدناقيل وبعد ذلك تعين أمين توفيق بك المتقدم الذكر ناظر الدار الصناعة مكان موسى بك الذى أحيل على المعاش وكانت البحرية أرسلت تلامذة المدرسة للتمرين فى قرويت الصاعقة على السواحل المصرية (١٨٨١ م) وفى تلك الاثناء ارتبكت أحوال مصر لقيام المهدى وأشياعه بالثورة فى السودان المصرى لضعف القوة العسكرية هناك الناشئ عن الاقتصادات التى حصلت بميزانية العسكرية وكان اشتداد ثورة المهدى فى آخر ولاية المرحوم محمد رؤف باشا حتى كادت الملاحة فى النيل الاعلى تتعطل بالمرة وشكلت الحكومة بعدئذ نظارة جديدة للسودان تحت رياسة عبد القادر حلمى باشا وأحالت عليه أيضا حكمدارية عموم السودان فتوجه الى الخرطوم بعد عودة رؤف باشا وأخذ يهتم فى تسكين الثورات واصلاح الاحوال وكاد يصل الى المطلوب ولكن تغيرت الظروف واستدعته الحكومة الى مصر فبقيت الاحوال والاهوال تزداد رداءة وفى هذا الوقت تظلم بعض ضباط البحرية من معاملة وكيل البحرية لهم فى مسائل الترقيات وغيرها فتشكل مجلس حربى بأمر نظارة الحربية والبحرية للتحقيق وفى خلال التحقيق صدرت الاوامر باحالة قاسم باشا المذكور على المعاش وعين بدله محمد كامل باشا قومندانا للمحروسة ووكيلا للبحرية معا وبينما كانت الحكومة المصرية مشتغلة باطفاء ثورة المهدى فى السودان اشتعلت نيران الفتنة بمصر وهى الفتنة التى قام بها رجال الجهادية تحت رياسة زعيمهم عرابى فنشأ عنها اختلال نظام

المملكة وتداخلت الدولتان فرانسا وانكلتره وأرسلتا أساطيلهما الى ثغر الاسكندرية ١٣ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ هـ (٢ مايو ١٨٨٢ م) فكانت أساطيل الاولى تحت قيادة الكونتراميرال كونراد (Conrad) والثانية تحت قيادة الويس أميرال السر بوشمب سيمور (Beauchamp Seymour) واشتدت الارتباكات بتصميم عرابى وحزبه على مطالبهم وزادت الدولتان عدد سفنهما الحربية فى مياه مصر ثم قدم المعتمد السلطانى المشير ابراهيم درويش باشا على وابو رعز الدين وقدمت سفن أخرى لبعض الدول الاوروباوية فوقفت حركة التجارة وفى أوائل شهر يونيو زاد الخوف وأخذت الاجانب تتوارد من داخلية القطر الى ثغر الاسكندرية هربا من الاضطراب واستشار واأميرالى الاسطولين والقناصل فوافق الاميرالان على وجوب تسليح الافرنج استعدادا للدفاع واستنكر القناصل الجنرالية هذه الطريقة لأن الاجانب رأوا أن يعتمدوا على استعدادهم الخصوصى مع أنه صدر الامر لاميرالى الاسطولين بحمايتهم عند الاقتضاء فكان هذا التسليح سببا لزيادة الاضطرابات لانه بمجرد ظهور مشاجرة بسيطة بين مالطى وحمار مصرى فى الشارع الابراهيمى قرب مخفر اللبان قامت الفرنج تطلق الغدارات من منافذ المنازل وسلت الخناجر وكثر الزحام واستفحل الخصام بين الرعاع والفرنج وسالت الدماء وحطم بعض الاهالى أبواب بعض المخازن ونهبوها وكان محافظ الثغر وقتئذ عمر لطفى باشا فنتج من ذلك مهاجرة جميع الاوروباويين وبينما كانت الدول تتذاكر فى المؤتمر الذى عقدوه فى الاستانة لمقاومة العرابيين كان رجال الجهادية يحصنون القلاع ويجهزون الجنود ويدخرون الازواد والمهمات وقد قدرت قوة العرابيين وقتئذ بنحو ١٣٠٠٠ من الجنود معهم ٤٩٧ مدفعا من مدافع الجبال والصحراء لكل مدفع ٥٠٠ حشوة من البارود ولهم ١٥٠,٠٠٠ بندقية ونحو ٢٧,٠٠٠,٠٠٠ من الفشنك وكان بقلعة الجبل بالقاهرة ٤٢ مدفعا من المدافع القديمة التى كانت فى السفن المصرية على عهد محمد على باشا ولها ٢١٠٠٠ حشوة وكان فى طوابى الاسكندرية أكثر من ٣٢٥ مدفعا بينها عدد قليل من مدافع ارمسترونغ التى تصلح لخرق المدرعات أما باقى المدافع الجديدة التى من النوع المذكور فكانت وضعت من عهد الخديو اسمعيل باشا فى استحكامات أبوقير وغيرها من السواحل المصرية وكان بالاسكندرية والسواحل الاخرى من الطوبجية نحو ١٢٠٠٠ جندى وبينما كانت الدول تلح على الباب العالى بارسال جيش عثمانى الى مصر بادرت دولة انكلتره وأرسلت أمرا الى الاميرال سيمور قائد أسطولها تعلمه بأنها عزمت على التداخل بالقوة فلهذا استعد وأخذ يرسل يوميا بعض سفنه الصغيرة لسبر عمق المياه حول استحكامات الاسكندرية ومراقبة حركات الجنود المصرية ولما كان يبحث عن طريقة يستحل بها انفاذ مرغوبه أنذر الحكومة المصرية بانها اذا لم تكف عن تعزيز الاستحكامات وتنزيل المدافع التى ركبتها حديثا فوق تلك الحصون اضطر الى اطلاق مدافعه على المدينة وبينما كانت المخابرات جارية بينه وبين الحكومة فى هذا الخصوص خرجت جميع سفائن الدول الاخرى خارج الميناء ولما امتنع عرابى وأعوانه عن اجابة مطلوب الاميرال طلب الاميرال من المرحوم الخديو توفيق باشا على يد المستر كولفن المراقب الانكليزى النزول الى احدى السفن منعا لما عسى أن يصيبه من الخطر فلم يقبل وفى صباح ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ (١١ يوليو سنة ١٨٨٢ م) أطلقت السفن الانكليزية مدافعها على حصون المدينة وأجابتها الحصون المصرية ولكنها لم تؤثر فى

الدوارع

الدوارع الانكليزية لعدم تمرن طوبجيتها على اطلاق تلك المدافع من عهد وضعها وغير ذلك من الاسباب التى سيأتى ذكرها وظلت المقذوفات تخرج من السفن والقلاع الى ما بعد ظهر ذلك اليوم وقال قومندان احدى سفن الولايات المتحدة الاميريكانية المدعو غودريش (Caspar F. Goodrich) فى تقريره الرسمى الذى قدمه لاميرالية الولايات المتحدة المطبوع فى واشنطون سنة ١٨٨٥ بعد أن وصف القلاع والحصون وأنها قديمة العهد وأنها من زمن محمد على باشا لم يتجدد فيها شئ سوى وضع بعض مدافع من عمل ارمسترونغ فى عهد الخديو المرحوم اسمعيل باشا ان قواد القلاع المصرية غلطوا فى ترك قوائم مانعة الصواعق فى مراكزها فوق جبخانات قلاع الاسكندرية يوم الضرب لان تلك القوائم كانت كاشارات ساعدت طوبجية المدرعات الانكليزية على تحرير الاطلاق عليها حتى تمكنوا من احراق الجبخانات وبذلك تدمرت القلاع بسرعة اه وقد أبت فرانسا الاشتراك فى هذا العمل ولذا أمرت أميرالها بعدم الضرب وانتهت هذه المسائل باحتلال القطر المصرى بالجيوش التى ساقتها انكلتره بعد ئذ وذلك بعد واقعة التل الكبير التى حصلت يوم ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ كما سيأتى مفصلا فى هذا التاريخ وعقب هذا الاحتلال حرر اللورد غرنفيل ناظر خارجيتها (١٨٨٢) لائحة مشهورة بشأن مصر أرسلها الى سفراء الحكومة البريطانية لدى الباب العالى والدول الاوروباوية ومن نصوصها بخصوص قنال السويس أن يكون فى جميع الازمنة والاوقات حرا مباحا المرور جميع السفن من أى جنس وراية كانت وأن يعين فى زمن الحرب المدة التى تضطر سفن الدول المتحاربة الى قضائها فى الترعة المذكورة ولكن لا يسمح لها بانزال معدات وذخائر حربية على ضفاف الترعة وأن لا يرخص لدولة ما أية كانت فى القيام بأمور عدوانية فى الترعة وفيما جاورها أو فى المياه المصرية حتى لو كانت تلك الدولة هى الدولة العثمانية ولا تجرى هذه الاحكام على الوسائل اللازمة للدفاع عن مصر وانه يجب على كل دولة نشأ عن سفنها ضرر ما فى الترعة أن تتحمل نفقات تعويض الضرر وأن تتخذ مصر ما يمكنها من الوسائل لمراقبة الشرط المتعلق بعدم نقل شئ من ضفاف الترعة الى سفن الدول المتحاربة أو انزال شئ اليها من محمولها وأنه لا يجوز انشاء حصون واستحكامات على خط الترعة أو فى جوارها وأن لا يكون لاحد حق استعادة النظر فى هذه المواد بدعوى أنها مجحفة بما للحكومة المصرية من حقوق التملك وكان لهذه اللائحة شأن عظيم بين دول البحار وخصوصا عند شركات الملاحة فى عموم الدول وهذه اللائحة هى التى وردفيها أن يكون لجناب خديو مصر مستشار مالى بدل المراقبة الثنائية التى تم الامر بالغائها بالدكريتو الصادر فى ١٨ ينايرسنة ١٨٨٣ عقب مجئ اللورد دفرين الى مصر وانتخب المستشار المالى السير ادغار ونسنت بعد ذلك ولما شكل الجناب الخديوى وزارة المرحوم شريف باشا كان عمر لطفى باشا للنظارة الحربية والبحرية وتعين المرحوم حسين شيرين باشا وكيلا للبحرية فأخذ يرتب بعض الضباط والعساكر البحرية فى وابورات المحروسة ومحمد على والصاعقة وأرسل الصاعقة الى بورت سعيد وكانت تحت قيادة بروفوليجو بك النمساوى الذى رقى فيما بعد الى رتبة لواء وبقيت باقى المراكب الاميرية الاخرى مربوطة داخل الميناء ولمرض وكيل البحرية المومى اليه قام مقامه باعماله معاون أول البحرية المرحوم ابراهيم بك عربكيرلى ثم سافر الوكيل المومى اليه لاوروبا للتبديل الهوا سنة ١٨٨٣ فتوفى هناك وخلفه فى وكالة البحرية مصطفى باشا العرب وأحيل ابراهيم بك المذكور على المعاش وتعين اسمعيل بك ابراهيم مهندسا أولا للترسانة بطلب الوكيل الذى

لما كان يميل الى الوفر أخذ يسعى فى ايجاد الطرق اللازمة لذلك فصدرت للبحرية أوامر بتشكيل لجنة للنظر فى أمر المراكب المربوطة فشكلت اللجنة سنة ١٨٨٤ تحت رياسة الفريق البحرى فريدريكو باشا النمساوى مدير مصلحة وابورات البوسته الخديوية واعضاؤها موريس باشا مدير الليمانات والفنارات وحسين فهمى باشا قومندان وابور المحروسة واسمعيل بك ابراهيم باشمهندس الترسانة وآخرون فنظرت فى حالة جميع الوابورات البحرية ومعداتها ورأت مايصلح منها ومالا يصلح وبعد المداولة أقروا على أن مايصلح منها فى البحر الابيض هو وابور المحروسة وفرقاطة محمد على وقرويت الصاعقة أما فى البحر الاحمر فوابور الجعفرية ومخبر والطور وأن تباع وابورات مصر والغربية وسنار والخرطوم وكذا باقى المراكب الصغيرة ولما صادقت الحكومة على ذلك اشترى وكيل البحرية المذكور هو وبعض شركائه فى ذلك وهم اسمعيل بك ابراهيم ورستم بك العلايلى وسعد الله بك حلابه وناضورى بك وابورى الغربية ومصر بمبلغ ١٤٫٠٠٠ جنيه مصرى وكان مصر مشترى بمائة وستين ألف ليره فرنسوية والغربية بمائة وست وثلاثين ألف ليره فرنسوية واشترى الموسيو أرشل سفينتى الخرطوم وسنار بمبلغ زهيد أما مابقى فقد كسرت وبيعت قطعا وأخذ مصطفى باشا العرب مع صنيعته اسمعيل بك المهندس المذكور فى بيع جميع أدوات وآلات دار الصناعة فباعا مابها من الادوات والمعدات الحربية والغير الحربية التى كانت مخازنها ملأى بها منذ عهد ساكن الجنان محمد على باشا الكبير

هذا ولما حضر اللورد نورثبروك الذى انتدبته حكومة الانكليز للنظر فى مقتضيات الديار المصرية سنة ١٨٨٤ م وتقديم تقرير مفصل بذلك كان مما أشار به إلغاء البحرية المصرية لتمام الاقتصاد فأحيل وكيلها مصطفى باشا العرب ومن معه من المأمورين على المعاش (١٨٨٥ م) وتعين حسين فهمى باشا قومندان المحروسة مأمور الاشغال البحرية ريثما يتم بيع مابقى من أنقاض وآثار البحرية المصرية وأغلقت معاملها التى تقاسمتها مصالح خفر السواحل ومصالح أخرى كالفنارات والليمانات وغيرها وألحقت باخرة المحروسة بميزانية المعية السنية اتباعا لما قال به اللورد المشار اليه وأضيفت مصاريف فرقاطة محمد على وقرويت الصاعقة والجعفرية ومخبر الى ميزانية مصلحة الليمانات والفنارات التى يرأسها الاميرال موريس باشا (١٨٨٥ م) وتقرر أيضا عدم استعمال الحوض الخيرى الحجرى الذى بناه المرحوم محمد على باشا بدعوى انه لايفى بحاجات السفن الكبيرة لصغره وعدم التمكن من صرف المياه منه تماما عند الحاجة وبيعت الآلة المعدة لاخراج مائه وألحقت ادارة الحوض العوام الذى بميناء الاسكندرية بمصلحة وابورات البوسته الخديوية وكذا حوض السويس الحجرى مع المعامل التى كانت بجانبه فى ميناء ابراهيم التابعة لقومندانيتها الملغاة أيضا عند الغاء البحرية كما تقدم

هذا ولما تعاظمت الثورة بالسودان وتداخلت انكلترة عسكريا لاخمادها وتخليص الجنرال غوردون باشا الذى كانت أرسلته الحكومة المصرية لاخلاء السودان وحاصره الثوار فى الخرطوم وسيرت لخلاصه حملة فى سنتى ١٨٨٤ و ١٨٨٥ وأرسلت مع جنودها عساكر مصرية من طريق النيل جهزت مصر فى ذلك الوقت عدة سفن من بواخر الانجرارية النيلية وسلحتها بالمدافع وقد تمكنت بها من نقل الذخائر والجنود الى بعض جهات النوبة وجلب الانكليز أيضا معهم عدة سفن أخرى

وفى

وفى خلال تلك الوقائع غرقت بعض البواخر المصرية التى كان أرسلها الجنرال غوردون مع خشم الموس باشا الضرب بربر بالقنابل ثم انكسرت الباخرتان اللتان أرسلهما ثانيا مع الباشا المذكور لتوصيل كتابه الى قائد جيش الحملة المذكورة ثم لما أشار الانكليز على الحكومة المصرية بترك السودان (١٨٨٣ م) وحصل ما حصل الى ان سقطت عاصمة الخرطوم فى يد المتمهدى وخرجت من تلك البلاد العساكر المصرية تعطلت الملاحة فى جميع القسم الاوسط من النيل وفقدت مصر (١٨٨٥ م) أيضا دار صناعة الخرطوم وما كان بها من البواخر والسفن والآلات والادوات التى أوجدتها بها منذ فتحها لهذه البلاد كما أنها فقدت من ثغورها على البحر الاحمر والمحيط الهندى فى ذلك الوقت بربرة وزيلع وتاجوره ومصوع بعد أن صرفت على اصلاحها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة

وفى خلال سنة ١٨٨٥ المذكورة أظهرت انكلتره رغبة الاتفاق مع الدولة العلية على تسوية المسئلة المصرية وعينت من قبلها مندوبا عاليا هو السير درموند وولف وأرسلته الى الاستانة للمداولة والمذاكرة مع رجال الدولة فصادف سقوط سعيد باشا من الصدارة وخلفه فيها كامل باشا وقرر الباب العالى ارسال معتمد عال من طرف الدولة وعينت لذلك دولة الغازى أحمد مختار باشا رئيس قومسيون التفتيش العسكرى ثم حضر السير درموند وولف الى مصر فى أواخر اكتوبر وحضر بعده الغازى المشار اليه فى شهر نوفمبر وعقب وصوله أخذ يجتمع بالمعتمد الانكليزى ويتبادل النظر فى المسئلة وكانت الجلسات تعقد برياسة الخديو المرحوم توفيق باشا ثم وضع الغازى لائحته المشهورة بخصوص تنظيم الجيش المصرى وغير ذلك مما يختص بالمسئلة المصرية فاعترضت الحكومة الانكليزية على لائحته وكانت وزارة المحافظين فى انكلتره قد سقطت فى أثنائها وقام مقامها وزارة الاحرار فبقيت المسئلة المصرية معلقة كما كانت الى الآن وسيأتى ذكر ذلك بأوفى بيان

ولما رأت الدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر الاتفاق مع انكلتره على شروط لاخلاء القطر المصرى من الجنود الانكليزية وتحررت الشروط اللازمة وأراد الجناب السلطانى التصديق عليها سنة ١٨٨٧ م اعترضت كل من فرانسا والروسيا على هذا الاتفاق لكونه تم بدون استشارتهما ولذلك رجع الباب العالى عن التصديق على هذا الوفاق الذى كانت صادقت عليه ملكة الانكليز وكل ذلك حدث بعد عودة المندوب الانكليزى العالى و بعد حصول مخابرات بين الدولتين المذكورتين وقد ظهر فى تلك السنة محرر للسير درموند وولف المندوب العالى الانكليزى بمصر كتبه الى المركيز سالسبورى ذكر فيه بما لفرانسا من الحقوق فى المسئلة المصرية ولتعلقه بحق الملاحة فى قنال السويس أوردنا منه القسم المختص بذلك وهو ان حقوق فرانسا تنقسم الى قسمين وهما أولا الاعتراف لها بخدمها العظيمة فى فتح ترعة السويس وثانيا مراعاة الفوائد التى اعترفنا بها عند اشتراكها معنا فى ادارة مصر ثم ان فرانسا انفصلت عنا بعا أتته فى سنة ١٨٨٢ وبنى عليه فسخ الاشتراك المذكور أى المراقبة الثنائية غير أن ذلك لا يمحو تاريخ الاعوام الغابرة وعلى كل حال فترعة السويس هى أول وجه يلزم مراعاته فى هذا المقام وقيل ان ترعة السويس فى زمن الحرب ربما تخربها أو تسدها الدول ثم ان الانكليزية على أنه لا يجوز لدولة محاربة أن تتلف لغايات عملا كهذا ينتفع منه سائر العالم على أن هذه الترعة هى قطعة من البحر الاحمر تمخر فيها سفن التجارة على اختلاف أعلامها

ولانكلترة بها ثلاثة أرباع التجارة فوجودها ضرورى لاملاك انكلترة فى الهند ومستعمراتها فاذا أبرم اتفاق دولى لحفظ حرية القنال لتجارة سائر الدول فيكون ذلك مفيداً لنا جداً ولما كانت هذه مقاصدنا وجب علينا ايجاد وفاق سياسى نحمى به القنال من كل أخطار وتنقذ مصر من كل هجوم واعتداء ومن المعلوم أن حيادة القنال لا تتم الا اذا تمتعت البلاد المحيطة به وكذا الترعة الحلوة بمثل هذه المزايا و يوجد شرطان ضروريان للوفاق المستقبل وهما (أولا) حيادة القنال لحفظه على الدوام مفتوحا بصفة قطعة من البحر حائزة مزايا خصوصية (ثانيا) تأسيس هيئة لحماية القطر المصرى نفسه تضمنه من التعدى وتسمح بتخفيض عدد القوة العسكرية الى ما يناسب حالة سلم دائم ولكن بالنظر لموقع مصر الجغرافى أرى من اللازم أن الحيادة تضمن حقوق حرية السفر فى القنال لجميع الأمم وأن لا يكون الغرض منها منع السفر فيه كما فى باقى الاحوال اهـ وقد جرت المخابرة فى هذا الخصوص زمنا بين حكومة انكلترة والموسيو وادنكتون سفير فرانسا فى لوندره والموسيو فلوران وزير خارجية فرانسا فى باريس على قواعد منها أنه بمقتضى هذه الحيادة تكون عمارات الدول على الدوام حرة فى اجتياز الترعة التى لا يمكن أن تحصن ضفافها وأن يعهد الى لجنة دولية مراقبة تنفيذ هذه التسوية واستمرت المخابرات بين الدول مدة وأخيرا تقررت شروطها وصادقت الدول عليها وفى ٢ نوفمبر سنة ١٨٨٧ ظهرت فى الجرائد الفرنساوية بباريس ولاهمية هذا الوفاق فى الملاحة داخل قنال السويس المعتبر جزأ من أجزاء مصر المهمة أدرجناه فى ذيل هذه الصحيفة ليكون تذكاراً مهماً فى مقدمة الملاحة المصرية (١)

(١) (البند ١) تكون الملاحة حرة فى قنال السويس بازمنة الحرب والسلم على حد سواء وتباح الملاحة فيه الى كل باخرة حربية أو تجارية بدون أدنى استثناء وتتعهد الدولتان المتعاقدتان بان لا تلقيا أقل عثرة فى سبيل الملاحة سواء كان ذلك فى وقت الحرب أو فى وقت السلم ولا يجوز لاى دولة أن تحاصر القنال (البند ٢) تعترف الدول المتعاقدة بضرورة لزوم ترعة المياه الحلوة الى قنال السويس ومن ثم يتعين عليهن مراعاة مواثيق حكومة الجناب الخديوى مع الشركة العمومية المتعلقة بترعة المياه العذبة و يتعهدن برعاية الترعة والمساقى المتفرعة عنها (البند ٣) تتعهد الدول المتعاقدة أيضا بعدم الحاق الضرر فى مهمات و بنايات وأشغال قنال السويس وترعة المياه الحلوة (البند ٤) لا تقام على ضفاف القنال معاقل أو حصون يمكن استخدامها للتهديد بسلامة القنال ولا يجوز احتلال عساكر فى أية نقطة كانت سواء كانت عند مدخل القنال أو على عرضه (البند ٥) تباح الملاحة فى القنال للبواخر الحربية فى زمن الحرب ولا يجوز اجراء تظاهرات عدوانية أو أعمال حربية عند حدود القنال أو عند مدخله أو على ضفافه وانما تباح الاعمال الحربية خارجا عن المناطق التى تحددها القنال اللجنة المختلطة المكلفة بالملاحظة (البند ٦) لا يباح فى زمن الحرب للدول المتحاربة أن تنزل على شاطئ القنال أو على مدخله عساكر ولا أن تأخذ منها ذخيرة أو مؤونات حربية (البند ٧) يجرى مفعول منطوق البند السادس على جميع السفن الحربية (البند ٨) لا يجوز للدول ان تشيد أبنية حربية فى مياه القنال ولا فى بحيرة التمساح أو فى البحيرات المرة و يباح للبواخر الحربية أن ترسو فى زمن الحرب عند مدخل القنال فى بورت سعيد والسويس بشرط أن لا يتجاوز عددها باخرتين لكل دولة (البند ٩) على قناصل الدول الموقعة على هذا الوفاق ان يسهروا على تنفيذ شروطه ومتى تراءى لهم أن حالة القنال أو المرور فيه تهدد بخطر عليهم ان يعقدوا جلسة لاتخاذ الاحتياطات اللازمة ويخبروا الحكومة المصرية بالخطر الذى يهدد القنال حتى تتخذ أفضل الوسائل لتأمين حالة القنال والمرور فيه وعلى القناصل المتقدمى الذكر أن يعقدوا جلسة واحدة فى كل عام تأكيدا لتنفيذ بنود هذا الوفاق و يحق لهم عند اللزوم أن يطلبوا توقيف أى عمل وازالة كل ما من شأنه أن يلقى العثرات فى سبيل حرية الملاحة (البند ١٠) يتعين على الحكومة المصرية بمقتضى الحقوق المخولة لها بفرمانات الباب العالى أن تتخذ الوسائل اللازمة لاحترام تنفيذ بنود الوفاق ومتى عجزت الحكومة المصرية عن القيام بهذه المهمة عليها أن تخبر الباب العالى حتى يتداول فى شأن ذلك

وكانت

وكانت مصلحة الانجرارية بنهر النيل فى أول عهد الخديو المرحوم توفيق باشا باقية على حالتها التى كانت عليها مدة والده وبعد قمع الثورة انفصلت عنها ادارة وابورات الركائب الخديوية ببحر النيل واتبعت بالمعية السنية وأحيل قومندانها المرحوم أحمد باشا حسنين على المعاش وتعين مكانه على بك عبادى وبقيت مصلحة الانجرارية تابعة لنظارة الاشغال العمومية وكانت الحكومة عقدت شروطا مع شركة كوك أجازتها فيه بتشغيل بعض البواخر المذكورة فى نقل السوّاح وذلك من عهد الخديو الاسبق اسماعيل باشا (١٢٩٠ هـ) فى مقابلة مبلغ تدفعه للحكومة كالاتفاق بينهما واستمر ذلك حتى استعملت شركة كوك المذكورة هذه السفن لنقل الجيوش الانكليزية فى حملة سنتى ١٨٨٤ و ١٨٨٥ حينما تقدمت لرفع الحصار عن الخرطوم كما سبق ثم بعد ذلك اقتصدت نظارة الاشغال فى هذه المصلحة وأوقفت سير بعض تلك البواخر وأحالت ناظرها اسرهنك بك على المعاش ثم باعت الى شركة كوك المذكورة كثيرا من بواخرها وكسرت ما لا ينفعها منها وأبقت بعضها لاشغالها الضرورية وللاعمال اللازمة لادارة التحف المصرية وفى خلال ذلك زادت مصلحة خفر السواحل بعض بواخرها وابتاعت بعض مراكب شراعية من انكلتره واستخدمت فيها بعض وطنيين وصارت تستعمل هذه البواخر والمراكب فى أمر مراقبة السواحل المصرية لمنع تهريب الاشياء الممنوع دخولها من جمارك الحكومة بمقتضى نظاماتها وفى سنة ١٨٨٧ م وضعت مصلحة الليمانات علامات عوّامة كبيرة على طرفى مدخل بوغاز الاسكندرية ووضعت على طابية كوم الناضورة بعض آلات للارصاد الجوية وأقامت هناك سارية ارتفاعها ١٤٠ قدما ووضعت فيها كرة تسقط كل يوم بانتظام وقت الزوال بدل التى كانت فوق مدرسة البحرية بالترسانة كما سبق وعينت هناك مراقبين من الملاحين للاخبار بقدوم المراكب القادمة على الثغر لتقوم مصلحة الليمانات بواجباتها ثم تقرر تعميق بوغاز مينا الاسكندرية حتى تدخله المراكب من تلقاء أنفسها بدون عائق أو واسطة وعهد هذا العمل الى احدى الشركات الانجليزية وباشرت عملها وهو كسر الصخور الموجودة به تحت مراقبة مصلحة الليمانات فتظلم من هذا الامر رؤساء البوغاز الذين يتعيشون من هذه المهنة التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم فنظرت الحكومة فى شكواهم وأحالت أمرهم على مصلحة الليمانات فسنت لهم نظاما حفظت لهم به بعض تلك الحقوق وفى أول سنة ١٨٨٧ قررت نظارة الحربية

مع الدول الموقعة لاتخاذ الوسائل فى سبيل وقاية القنال (البند ١١) الاقتراحات المدوّنة فى البنود ٤ و ٥ و ٦ و ٨ لا تجعل أدنى عائق لجلالة السلطان الاعظم وسمو الخديو أن يتخذا جل الوسائل فى سبيل حماية القطر المصرى واعادة الامن فيه فى حالة انعدامه ومتى أراد جلالة السلطان أو سمو الخديو أن يجريا أعمالا حربية فى القنال انقيادا لاحكام الضرورة واعادة للراحة والامن فى القطر المصرى اذا حدثت فيه ثورة فعليهما أن يشعرا الدول بذلك (البند ١٢) اجراء الاحتياطات المخولة للباب العالى فى البند العاشر والحادى عشر من هذا الوفاق لا يمنع حرية الملاحة فى القنال ولا يجوز اقامة الحصون دائما على القنال (البند ١٣) تعترف الدول المتعاقدة بحق المساواة فى التمتع بحرية الملاحة وأن لا يجوز لواحد منهن أن تسعى بالنسبة للقنال لتوسيع نطاق أراضيها أو تجارتها أو لتنوال امتيازات فى النظامات الدولية التى يمكن ادخالها بعد هذا الوفاق والدولة العلية هى الدولة المالكة لاراضى القنال (البند ١٤) هذا الوفاق وجميع ما انطوت عليه بنوده لا يعبث قط بحقوق العظمة السلطانية ولا بحقوق الجناب الخديوى المخولة لسموه بالفرمانات (البند ١٥) هذه الشروط لا ينقضى أجلها بانقضاء الاجل المعين لشركة قنال السويس (البند ١٦) هذه الشروط أيضا لا تمس الشروط المقررة للقرنتينات المصرية (البند ١٧) يتعين على الدول المتعاقدة ان تطلع بقية الدول التى لم تمض على الوفاق بقصد التوقيع عليه اهـ

والبحرية أن لا يطلق مدفع الزوال فى ثغر الاسكندرية من كوم الناضورة وأن يحال أمر اطلاقه على فرقاطة محمد على التى كانت تحت قيادة محمد أمين توفيق باشا وأن يطلق الحصن المذكور سهما ناريا فى الفضاء عند شبوب حريق فى المدينة وأن يطلق سهمين اذا كان الحريق فى السفائن داخل الميناء ويطلق من تلك الفرقاطة مدفع واحد بعد خروج كل سهم وذلك لاخذ الاحتياطات اللازمة وفى هذه السنة صدر الامر بتوقيف سير باخرتى الجعفرية والطور بالبحر الاحمر وأحيلت بعض رجالهما على البوستة الخديوية وبعضهم على المعاشات ثم بيعا بعد كسرهما وكسر وأيضا وابور القصير بالبحر الاحمر

ولما تبوأ خديوينا الحالى عباس حلمى باشا الثانى ادام الله ايامه الاريكة الخديوية بمقتضى الفرمانات المؤيدة لحقوق الوراثة الخديوية (١٣٠٩ هـ ١٨٩١ م) وجد البلاد المصرية مشتغلة برد هجمات الدراويش عن حدودها القبلية وعن جهات طوكر وسواكن ورجال الانكليز آخذين فى تنفيذ الاصلاحات التى رسمها لهم اللورد دوفرن فى لائحته الشهيرة صرف العناية فى التوفيق بين المصلحتين لامكان السير فى جادة السلام والامان وأخذ يستطلع المقاصد والرجال للوصول الى أحسن الطرق التى يأمل أن تعود على القطر السعيد بالفوائد والارتقاء ومن أعماله التى عادت على البحرية ببعض الترقى اصلاحه باخرة المحروسة المخصصة لركوب الحضرة الخديوية فأصلح مراجلها سنة ١٨٩٤ بعد أن قررت الحكومة بيع فرقاطة محمد على وقرويت الصاعقة لعدم صلاحيتهما للعمل (١٨٩٣ م) وأحالت طوائفهما على المعاش وأخذت نظارة الحربية احدى بواخر البوسطة وهى باخرة البحيرة وخصصتها لاعمالها بالبحر الاحمر وكانت الحكومة قررت الغاء المدرسة البحرية الا أن العزيز حفظه الله أمر بابقائها فشكلت ثانية بوابور المحروسة الا أنهم اختصروها وجعلوا بها خمسة تلامذة فقط ورتبوا لهم ما يلزم من المعلمين وخصصوها لتخريج الضباط الذين يلزمون فى المستقبل لبواخر الحكومة ببحر النيل وللبوستة الخديوية ومراكب خفر السواحل فكان فى ذلك بعض مداركة الضرر ولميله حفظه الله الى الاسفار البحرية أوصى باحد معامل مدينة غلاسكو على يخت خصوصى نفيس جدا سمى بصفاء البحر طوله مائتا قدم وعرضه ٢٧ قدما ومحموله ٧٠٠ طن وقوة آلاته ألف ومائتا حصان بخارى ولما تم بناؤه أرسل من مصر الميرالاى البحرى على بك عبادى قومندان الركائب الخديوية ببحر النيل مع ثلاثة ضباط آخرين من وابور المحروسة فاحضروه الى ثغر الاسكندرية فى شهر سبتمبر سنة ١٨٩٤ وفى سنة ١٨٩٥ قررت الحكومة بناء على ما رآه المستر روف الانكليزى مدير مصلحة البوستة الخديوية اجراء بعض اقتصادات فى المصلحة وصارت سفنها لا تقف على كافة الثغور التى كانت تمر عليها قبلا فجعلوا فى البحر المتوسط الابيض سفريات أسبوعية مستعجلة بين الاسكندرية والاستانة رأسا تقطعها السفينة فى ٥٦ ساعة فقط وخصصوا لها ثلاث بواخر وهى توفيق ربانى والقاهرة والبرنس عباس أما الثغور التى صارت لا تقف عليها السفن فهى بهذا الخط بيرية واندروس وتينوس وسيرا وساقز وازمير وكليبولى ومديللى والقلعة السلطانية والغوا بذلك ما كان لهذه المصلحة من العمال والوكلاء بتلك الثغور هذا أما خط سوريا فابقوه على ما كان عليه أى مرة أسبوعيا على يافا وبيروت وطرابلس ومرسين انما منعوا السفن من الوقوف بمدينة بورت سعيد وخصصوا

لهذا

لهذا الخط بواخر الشرقية والدقهلية وجعلوا باخرة الفيوم كاحتياطى له أما بالبحر الاحمر فجعلوا ميعاد السفريات به فى كل خمسة عشر يوما فتخرج السفن من السويس وتمر بعدن جدة وسواكن والغوامنة وكيل ينبع ومصوع والحديدة وخصصوا له بواخر الرحمانية والمحلة ومسير وشبين والنجيلة يشتغل منها اثنتان والثلاثة الباقية تكون سفنا احتياطية وجعلوا وابور ينبع لتكرير المياه فى زمن الحج وقرروا تكسير وابورات المنصورة والزقازيق والحديدة ودمنهور وباعت المصلحة أنقاضها بألف جنيه مصرى ويقال انه عندما أشيع ذلك طلب أحد تجار عدن المدعو قهوجى الهندى مشترى باخرة المنصورة بثلاثة آلاف جنيه وطلب الناضورى بك والحدينى وغيرهما من التجار المصريين ابتياع بعض البواخر ولكن صادف أن طلبهم علم يوم أن ابتدأت المصلحة فى تكسيرها وبيع أنقاضها ولم يبق للحكومة الآن من كل بواخرها المذكورة الاحدى عشرة باخرة فقط وهى السابق الكلام عليها وللقسم البحرى من مصلحة خفر السواحل الآن سبعة وابورات وهى نور البحر وعباس وظريف ووردة وسريع والنيل ومخبر سرور وزورقان بخاريان وسبع سفن شراعية صغيرة وهى نسيم وطير البحر والنمر وغزالة ومبروكة وبسيل وزولا وبعض زوارق أخرى بجميعها من الطوائف بحسب المرتب الذى اعتمدته المصلحة المذكورة من أول أغسطس سنة ١٨٩٦ تسع وعشرون ضابطا وتسعة عشر مهندسا ميكانيكيا وثمان وثلاثون وقادا و ٤٢٧ ملاحا فيكون الجميع ٥١٣ ولم يبق للآن من سفن نظارة البحرية المصرية الملغاة سوى وابور المحروسة الذى نسأل الله حفظه حتى يبقى لمصر الأسيفة تذكارا من مجدها البحرى القديم وبقى ببحر النيل خمس بواخر مخصصة للحضرة الفخيمة الخديوية وهى فيض ربانى وفيض ظفر وفيروز وزينة البحرين وهيهيه ومن أعمال مولانا الخديو أيضا التى عادت على البحرية المصرية بالفوائد ايجاده لميناء قصر المنتزه العامر جعلها خاصة بسموه بحيث يمكن للسفن الصغيرة الخديوية أن ترسو وتقلع منها عند الحاجة وقد بلغت تكاليفها نحو ثمانية عشر ألف ليرة مصرية ومن أميال مولانا الخديو الى اصلاح وتعزيز أمر البحرية المصرية يتضح أن سموه يسعى فى أن يكون لمصر بحرية وأساطيل تحافظ بها على سواحلها وقت الحاجة مثل كل الممالك الواقعة على البحار نسأل الله تحقيق ذلك قريبا

الباب الثانى

(تاريخ مصر)

﴿ الفصل الاول ﴾

﴿ جغرافية مصر الطبيعية ونهر النيل والملاحة فيه ﴾

مصر بلاد عظيمة واقعة فى الشمال الشرقى من افريقية بين الدرجة ٣١ والدقيقة ٣٠ والدرجة ٢٤ والدقيقة ٥ من العرض الشمالى وحدودها الطبيعية من جهة الشمال بحر الروم أو البحر الابيض المتوسط ومن الشرق خليج السويس وقنال السويس والبحر الاحمر ومن الغرب صحارى ليبيا ومن الجنوب بلاد النوبة المبتدئة فى الحقيقة من شلال اسوان هذا أما حدها السياسى من

جهة الشرق بخط مفروض مار بمدينة العقبة بحيث يجعلها شرقا ومدينة العريش بحيث يجعلها غربا
وكان قدماء المصريين يدعونها باسم كيم أى السوداء نسبة الى تربتها الشديدة السواد أو بالنسبة للون
سكانها القدماء على قول وكان قدماء اليونان واللاطين يدعونها باسم ايجبتيوس (Ægyptius)
ومعناه بالعربية القبط نسبة الى الطائفة التى هى بقية قدماء أهل مصر وأما اسمها باللغة القبطية
فهو كيمى ومعناه أرض حام بن نوح وذكرت فى التوراة باسم مصرايم نسبة الى مصرايم بن حام بن نوح
وأرض مصر عبارة عن وادى يكتنفه جبلان من الشرق والغرب وهما جبال ليبيا وجبال العرب وهذا
الوادى تارة يضيق وتارة يتسع وأضيق مكان فيه عند جبل السلسلة القريب من ادفو ثم يتسعان
قليلا قليلا حتى اذا حاذيا مصر العتيقة أى الفسطاط تباعدا كثيرا وامتد شرقيهما الى الاسكندرية
وغربيهما الى بحر القلزم ويبلغ مسطح مصر بما يشتمل عليه من الجبال والصحارى والارض الزراعية
نحو ٢٤٠،٠٠٠،٠٠٠ هيكتار ومحيطها ٨٠٠٠ كيلومتر وطولها ٢٦٠٠ كيلومتر
ومتوسط عرضها يبلغ ٧٦٥ كيلومترا تقريبا ويختلف ارتفاع قمم هاتين السلسلتين فلا يزيد
أعلاها عن ٣٥٠ مترا ولا ينقص أخفضها عن ٥٠ مترا ولما كانت سلسلة الجبال العربية
مكونة من جبال منفصلة عن بعضها تعددت أسماؤها لدى السكان فمن أشهرها جبل البرمات عند
اسوان وجبل السلسلة بين اسوان واسنا وجبل الطوق بمدينة قنا وجبل الشيخ الهريدى بمديرية جرجا
وجبل أبو فودة بمديرية أسيوط وجبل الطير بمديرية المنيا وجبل الحامور بمديرية بنى سويف والجبل
المقطم بالقرب من القاهرة أما سلسلة جبال ليبيا فلما كانت قممها أكثر انخفاضا كانت جبالها غير
مشهورة واعلم أن سلسلة الجبال العربية يقطعها عدة وديان تصل بين النيل والبحر الاحمر أعظمها
وادى القصير وبه عدة مقالع استخرج منها القدماء الاحجار ولا يزال يشاهد هنالك للآن أطلال مدن
وقرى كانت تسكنها العمال

وبالصحراء العربية التى بين النيل والبحر الاحمر سلسلة أخرى تمتد عرضا من رأس بناس الى اسوان
وهى الحد الفاصل بين بلاد النوبة ومصر وتسمى بسلسلة الشلالات وعلى سواحل البحر الاحمر سلسلة
ثالثة موازية لساحله مكونة من عدة جبال أشهرها جبل زبارى بمحاذاة مدينة ادفو والى الشمال
منه أمام أسيوط تقريبا جبلان آخران هما جبل القطيرة وجبل الدخان وعلى ساحل خليج السويس
جبل يسمى بجبل الغريب وغربى مدينة السويس جبل عتاقه وبالقرب من بحيرة التمساح جبل
جنيفه وأحجاره جيرية بخلاف أحجار الجبال السابقة الذكر فكلها صوانية بين حبوبية وتارية
وسماقية وقد استخرج قدماء المصريين والرومان من هذه الجبال الاحجار النفيسة خصوصا السماق
المختلف الالوان الذى استخرجوه من جبل الدخان وأخذ المصريون من هنالك المسلات والاحجار
الصلبة الجسيمة التى صنعوا منها تماثيلهم وتماثيل معبوداتهم وبجميع المدن العظيمة التى على ساحل
البحر الابيض المتوسط أحجار نفيسة بين حمراء وزرقاء وخضراء جلبها الرومان وملوك القسطنطينية
من مصر وشيدوا بها معابدهم ومبانيهم وقد أهملت الآن كل هذه المقالع الا مقالع الجبل المقطم
ومن معادن مصر أيضا زيت الفحم الحجرى وله ينابيع كثيرة بالقرب من خليج السويس واستخرج
القدماء أيضا الزمرد من جبال الصحراء العربية كما هو مشهور ومعلوم وبشبه جزيرة الطور التابعة
لمصر كثير من الجبال الشامخة أشهرها جبل سينا وجبل كترينا وجبل سربال وجبل التيه ومن

جبالها

جبالها استخرج القدماء الحديد والنحاس والفيروزج ولا يزال بدو تلك البلاد يلتقطونه للآن ويبيعونه ويوجد الذهب أيضا جنوبي اسوان وكان قدماء المصريين يستخرجونه هناك بكمية وافرة وعربان العبابدة يلتقطونه الآن من مجاري السيول ويبيعونه للتجار والرخام الاصفر الكهرماني اللطيف وجبله يبعد ثمان ساعات عن بني سويف شرقا ومنه جلب المرحوم محمد علي باشا رخام جامعه الذي بقلعة الجبل ومن المعادن بمصر أيضا الملح وهو جيد مشهور والنطرون وغيرهما ولولا عدم وجود المواد الاولية الضرورية لاستخراج المعادن ونقص المواصلات لامكن استغلال هذه المعادن وكان يعود منها على الامة والاهالي ربح وافر

أما صحراء ليبيا فهي عبارة عن نجد رملي خال من السكان به عدة واحات مسكونة تمتد من الجنوب الى الشمال موازية لمجرى النيل وأشهرها واحة بريس والواحة الخارجة والواحة الداخلة وواحة فرافرة والواحة البحرية ثم واحة سيوه وهي بالشمال الغربي بالقرب من بلاد برقة وبكل هذه الواحات ينابيع طبيعية وآبار صناعية يستقي منها السكان ويروون مزارعهم

وبالقسم الشمالي من الدلتا أو مصر السفلى عدة بحيرات أكبرها بحيرة المنزلة وهي شرقي الفرع الشرقي بين مدينتي دمياط وبورسعيد ويبلغ مسطحها ١٧٠,٠٠٠ فدان وتتصل بالبحر الملح وقد تحول قسم عظيم منها الى أرض وهو القسم الذي فصله قنال السويس جهة الشرق وهذه البحيرة كثيرة الاسماك جدا يعود منها على الحكومة سنويا دخل وافر وبالقرب منها يستخرج الملح وبحيرة البرلس وهي بين فرعي النيل أصغر من المنزلة وتتصل بالبحر الملح من مكان واحد وتتسع زمن الفيضان حتى تبلغ ثلاثة أمثالها زمن التحاريق وبحيرة ادكو وبحيرة أبوقير وهما غربي فرع رشيد ولقلة مياههما وعدم اتصالهما بالبحر ستتحولان عما قليل الى أرض زراعية سيما وان احدى الشركات تشتغل الآن في تجفيفهما وبحيرة مريوط وهي أكبر من البحيرتين السابقتين واقعة جنوبي الاسكندرية وكل هذه البحيرات آخذة في الجفاف تدريجيا بما يجلبه النيل معه سنويا من الطمي والمواد الاخرى وكلها قليلة العمق وببلاد مصر خلاف هذه البحيرات بحيرات أخرى أقل أهمية وهي بحيرة قارون بمديرية الفيوم واليها ينصرف ما زاد من مياه ذلك الاقليم بعد سقيه والبحيرات التي يخترقها قنال السويس وهي بحيرة البلح وبحيرة التمساح والبحيرة المرة وفي غربي الدلتا تسع مستنقعات قليلة العمق تسمى بحيرات النطرون تستخرج الحكومة منها كل سنة ما يزيد عن أربعين ألف قنطار من النطرون

واعلم أن مصر واقعة على بحرين عظيمين وهما بحر الروم وبحر القلزم كما تقدم وطول سواحلها على بحر الروم ٨٧٠ كيلومتر وذلك من خليج سلوم آخر نقطة في حدودها الشمالية الغربية الى العريش شرقا وأرض هذا القسم الواقع بين ولاية طرابلس والدلتا قفر قليل السكان والنبات تكثر به الكثبان أما سواحلها الممتدة على البحر الاحمر فطولها ١٣٠٠ كيلومتر منها ٥٠٠ كيلومتر من العقبة الى السويس و ٥٠٠ كيلومتر أخرى من السويس الى القصير وثلثمائة كيلومتر من القصير الى رأس بناس وهذه السواحل صخرية مرتفعة قليلة أكثر تلسنا وتعرجا من ساحل البحر الرومي

أما نباتات مصر فكثيرة مختلفة وكلها مما ينبت في المنطقة المعتدلة أو الحارة ومنها ما يزرع

فى الاراضى التى يسقيها النيل مباشرة عند فيضانه ومنها ما يزرع فى الاراضى الاخرى ويساق اليها الماء بالترع أو المساقى وهى جميع أنواع الحبوب والجوارش والبذور والكوامخ كالخردل والانيسون والسمسم والقرطم والحلبة والزعفران والبرسيم والسلجم والقثاء والبطيخ والقاوون بأنواعه والقطن وهو من أهم محصولاتها والكتان والذرة والتبغ وقصب السكر والنيلة والارز وهو من أجود أنواعه والورد وهو يزرع فى جهات الفيوم والقليوبية لاستخراج مائه وفى ديار مصر من الاشجار الكمثرى والتفاح والخوخ والليمون والعنب والنارنج والمشمش والرمان والموز والجميز والخرنوب والتمرهندى والحناء والاقاقيا وخيار الشمبر والدفلى والصفصاف واللبخ والاثل والسنط وغيرها كثير والنخل وهو أكثر أشجارها وقد استنبتوا بها الآن عدة أشجار أخرى جلبت من البلاد الاجنبية أما الماشية فى مصر فقليلة لقلة المراعى الطبيعية ومن حيواناتها الداجنة الخيل والجمال والبغال والحمير والجواميس والضأن والبقر والمعز والدجاج والحمام وحيواناتها البرية قليلة لعدم المأوى لها ففيها الضباع والغزلان وابن آوى وفرس البحر والتمساح وغيرها وفيها من أنواع الطيور الاليفة والبرية عدد عظيم

وهواء اقليم مصر مختلف باختلاف الفصول ففى أيام الفيضان يكون رطبا حارا ومن شهر دسمبر الى مارث يكون باردا وفى هذه المدة تكون أرض مصر كبستان موشى بمروج خضراء منثور بها النخيل ومن مارث الى وقت فيضان النيل يشتد الحر وتكثر الامراض الوبائية وأمراض العينين ووقوع الامطار فى مصر نادر جدا الا على الشواطئ البحرية وذلك لان الرياح الشمالية الغالبة هناك تطرد الابخرة الصاعدة من البحر الى الجنوب وبين الاعتدال الربيعى والمدار الصيفى تهب ريح الجنوب وهى حارة يابسة وتسمى بريح الخماسين

النيل والملاحة فيه — نهر النيل هو أكبر أنهار الدنيا القديمة وأطول أنهار العالم ويتكون من نهرين أصليين يسمى الاول بالبحر الابيض والآخر بالبحر الازرق الذى ينبع من بحيرة دمبعه ببلاد الحبشة على ارتفاع ١٨٠٠ متر عن سطح البحر ويصب فيه عدة نهيرات تأتى من جبال بلاد الحبشة ويجرى الى الشمال الغربى ويلتقى بالبحر الابيض عند مدينة الخرطوم ثم يصب فيه نهير عطبرة المسمى قديما استابوراس من الجنوب الشرقى عند بلدة الدامر أما البحر الابيض فقد تمكن العلماء من اكتشاف منابعه والوقوف على مخارجه حتى وصلوا الى الدرجة الثالثة من العرض الجنوبى وهناك وجدوه يخرج من بحيرتى فكتوريا نيانزا العظيمة والبرت نيانزا المنصبة اليهما مياه الجبال المجاورة على ارتفاع يبلغ ألف ومائتى متر عن سطح البحر الرومى ويخرج من الاولى نهر يصب فى الثانية من طرفها الشمالى الشرقى ثم يخرج من الثانية نهر النيل الابيض المذكور ويجرى الى الشمال ويلتقى بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم كما تقدم ثم يتجه شمالا مارا من وسط بلاد النوبة ويدخل أرض مصر عند مدينة اسوان وهناك الشلال الاول أو الآخر للنيل والشلال صخور كثيرة تظهر رؤسها فوق سطح الماء عند انحطاط مياهه ويسير النيل نحو الشمال حتى يصل الى مدينة القاهرة وبعد أن يبارحها بما يزيد عن عشرين كيلومترا يصل الى المكان المعروف ببطن البقرة حيث القلعة السعيدية والقناطر الخيرية يتفرع الى فرعين يصل الشرقى منهما الى دمياط والغربى الى رشيد ويصبان فى البحر المتوسط الابيض ولما كانت الارض المحصورة فى هذه المسافة

بين

بين فرعي النيل تشبه مثلثا رأسه القناطر الخيرية وقاعدته البحر سماه اليونان بالدلتا لمشابهته حرف
الدال عندهم وسميت هذه الدلتا في عهد الخديو الاسبق اسمعيل باشا بروضة البحرين وهي الآن
عبارة عن مديريتي المنوفية والغربية وفي الدلتا يتشعب النيل الى شعوب وفروع عديدة تصب جميعها
في البحر الابيض المتوسط أو في البحيرات القريبة منه بعد أن تروي أراضي وقرى ومدن الوجه
البحري أما ما عدا ذلك من الاراضي فانها براري وصحاري قاحلة قليلة السكان على العموم

وكان للنيل في الزمن السابق سبعة فروع كلها تصب في البحر الملح وهي أولا الفرع البوبسطي
أو البيلوزي (Pélusiaque ou Bubastique) ويعرف الآن بترعة أبو المنجا وكان
يصب في البحر بالقرب من قرية الطينة أو الفرما ومكانه ظاهر الى الآن والثاني الفرع الطانيتيكي
(Tanitique) ويعرف الآن ببحر مويس والثالث الفرع المنديسي (Mendesien)
ويعرف الآن ببحر أشمون الرمان ويصب في بحيرة المنزلة الرابع الفرع الفاطميتيكي
ويعرف الآن بفرع دمياط (Phatmétique) الخامس الفرع السبنيتي (Sebennyte)
ويعرف الآن بترعة مليج السادس الفرع البولبيتيني (Bolbitine) وكان جزأ من فرع
رشيد ويخرج من الفرع الكانوبي (Canopique) الآتي ذكره بالقرب من بلدة الرحمانية
السابع الفرع الكانوبي (Canope) ويسمى أيضا الهرقليوتيكي أو النقراتيكي وهو عبارة
عن فرع رشيد قال المؤرخون انه من يوم أن عرف سكان الديار المصرية الملاحة في نهر النيل صاروا
يسيرون بسفنهم فيه وفي كافة فروعه بلا عوائق حتى قالوا ان صخور الشلالات الموجودة جنوبي
اسوان ليست مخوفة بالنسبة لسير السفائن وان كانت تعطل السفر الى البلاد القبلية نوعا وكان
هذه الشلالات وجدت لتكون حدا فاصلا لسير السفن بين البلاد المصرية والبلاد التابعة لها على
ساحلي النيل بالنوبة والسودان المصري وان التيارات المائية الجارية بين تلك الصخور لا تكون
مانعة من السير فيه بالكلية وقد اتخذ الاهالي لمرور السفن بين تلك الشلالات طرقا مخصوصة
يعرفونها كربطها بأحبال وجرها من الساحل بين تلك الصخور حتى تمر منها بسلام ويقال ان جبل
السلسلة الكائن بين ادفو واسوان في جانبي النيل من الشرق والغرب كان في الاصل جبلا واحدا
وكان معترضا أمام النيل كالشلالات المذكورة فقطعه القدماء ومر النيل منه وبذلك صار جبلين
يكتنفانه وسمي بجبل السلسلة لانه كانت تمدها القدماء معترضة بين الجبلين لمنع مرور سفن
النوبة مدة الحروب التي كانت بين شعوبها وبين دول الفراعنة وكانت تؤخذ عندها الرسوم
المقررة على السفن وكان أغلب سفن السودان التي تقصد مصر بالبضائع وغيرها ترسو في موردة
وادي حلفا حيث كانت من القديم أشهر الموارد لاتساعها وتجتمع فيها السفائن الصاعدة أو المنحدرة
بالمتاجر المصرية والسودانية على البرين وكان شلال حلفا المعروف أيضا بشلال عبكه يعد أعظم
شلال بعد شلال اسوان لان طوله يبلغ ١٢،٠٠٠ مترو ويبلغ أعلى ارتفاع صخوره عن سطح الماء
٤٠ مترا وينحدر الماء من فوق تلك الصخور على مدرجات كانت تعطل السفن في الازمان السالفة
عن العبور فيه خصوصا أيام احتراق النيل ثم أصلح في أيام الخديو المرحوم محمد علي باشا الكبير
اصلاحا سهل سير السفن فيه أكثر أيام السنة ولكون مجرى النيل في جهات كروسكو ينعطف
الى الشمال الغربي بصورة قوس كبير فهناك الرياح الشمالية والشمالية الغربية لا تساعد سير

السفن الصاعدة فيسحبها الملاحون بالحبال المسماة باللبان ويوجد بجهات ابريم صخور فى النهر تعطل سير السفن قليلا أما المسافة الواقعة بين شلال عكه وشلال حنك الكائن عند أبو فاطمة البالغة ٢٣٢ ميلا فانه يوجد بها أحد عشر شلالا وهى شلال كتنجره وشلال سمنه وشلال ميد وشلال أمبجول وشلال طنجور وشلال اللامولية وشلال عكاشه وشلال دال وشلال عماره وشلال بجبار وشلال شعبان ومعظم هذه الشلالات غير مخيف وتمر بينها المراكب بلا عوائق كبيرة ماعدا شلالات دال وبجبار وحنك فان المرور منها به بعض الصعوبة الا أنه فى زمن الفيضان تمر منها السفن بسهولة وهناك شلالات أخرى بين دنقله وأبوحمد أشهرها شلال أدرمى الذى هو الرابع فى الدرجة وشلال أوسى وبين أبوحمد وبربر شلال فوجرات وشلال أبوهشيم وشلال البقاره وشلال الامور وهو الخامس فى الدرجة ولا يصعب المرور بأغلب هذه الشلالات زمن النيل خصوصا أما فى زمن التحاريق فتتعطل الملاحة فى تلك الجهات تقريبا الا بالمراكب الصغيرة التى لا تحتاج الى مياه عميقة وترى فى أغلب الاوقات السفن مجتمعة فى أكثر الموارد وأشهر هذه الموارد موردة حلة مديرية دنقلة وعليها تمثالان قديمان أصلهما من الحجر أتى بهما اليها من ناحية البرقل فى سنة ١٢٧٦ هـ وموردة الدبة وموردة امبجول وهى على رأس العطمور المنسوب اليها وموردة مراوى وهناك أثر هيكل من البرابى القديمة وموردة أبوحمد وهى فى أول العطمور المعروف بها الواصل الى كروسكو وكانت العادة قديما أن السفن تشحن البضائع من موردة كروسكو الى الشلال الاول فان كان وقت فيضان النيل أمكن السفن أن تستمر فى السفر لحد اسوان والا نقلت من السفن عند ناحية الشلال وحملت على الجمال الى اسوان ثم تنقل ثانية الى سفن تنحدر بها الى الجهات البحرية ويوجد فى أكثر الموارد المذكورة الصناع والنجارون فتصنع فيها السفن العظيمة والمراكب الخفيفة والزوارق وغير ذلك من أدوات المراكب أما الملاحة بين بربر والخرطوم فلا يعيقها الا الشلال السادس المعروف بشلال سبلوكا وهو واقع فى جنوبى المتمه ولكنه سهل العبور

أما الملاحة فى جهات البحر الابيض وغيره من بلاد السودان الواقعة على ساحلى النيل ومنابعه فسهلة جدا الان السفن لا تقابل فيها موانع كبيرة وتسمى السفينة التى تجرى فى النهر بتلك الجهات بالنقيرة وتصنع عادة من خشب السنط بهيئة بسيطة توافق السفر هناك خصوصا بين الشلالات بحيث اذا حصل لها خلل أمكن تعميرها فى بضع ساعات وحمولة الواحدة فى الاكثر نحو ٣٠٠ اردب وان السفر بالسفن فى النيل بتلك الجهات لا يعتريه عطل الا فى نحو شهرين من السنة وذلك عند اقتراب فيضان النيل بسبب شدة التيار الواقع من التقاء البحر الابيض والازرق ببعضهما ووجود بعض صخور حجرية بالقرب من ملتقى الانهر وكانت أزيلت بمعرفة الحكومة المصرية فى عهد المرحوم الخديو الاسبق اسماعيل باشا مدة اصلاح دار صناعة الخرطوم عندما أوجد البواخر فيها لاشغال حكمدارية السودان فسهل بذلك السفر بتلك الاطراف والحاصل أن صعوبة الملاحة فى هذا النهر لا تكون الا وقت ما يكون على حالته الاعتيادية بحيث لا يصلح لسير السفائن الكبيرة التى يزيد وسقها عن ١٣٠٠ قنطار ولكن عند فيضانه تجرى فيه السفن الكبيرة باعظم شحن ويكون عمقه حينئذ نحو أربعين قدما انكليزيا ويقال ان مياهه فى وقت التحريق لا تزيد فى بوغاز دمياط عن ثمانية أقدام وفى بوغاز رشيد عن خمسة أقدام أما فى زمن فيضان النيل فيزيد عمق الماء بهما عن ٤٣ قدما بحيث

يمكن أن تسير فيه اكبر السفن الحربية التي تحمل ٢٤ مدفعا وتصل الى القاهرة وقد ثبت عند أرباب المعارف الباحثين عن أحوال النيل أن علة فيضانه هي وقوع الامطار الغزيرة في الجبال المجاورة لمنبعه فتنحدر اليه مخلوطة بالطفل والطين الموجودة بتلك الجبال فتستقى منه أراضى مصر وغيرها ويرسب هذا الطين فوق الاراضى الزراعية فيكسبها مادة تقوى بها على تغذية النباتات ولذلك كلما زاد فيضان النيل زاد الخصب في بلاد مصر والزيادة تبتدئ في أواخر سبتمبر (١٥ توت) وتأخذ في التناقص في شهر دسمبر (أواخر هاتور) من كل سنة

واعلم أن شاطئ الدلتا يتقدم تدريجيا داخل البحر لاسيما عند مصبيه وقد حسبوا ما يوجده النيل من الاراضى بهذه الكيفية فكان متوسطه سنويا عبارة عن مترين ونصف وعما يجلبه النيل من الطمى والمواد الاخرى التي ترسب على الارض الزراعية حدث في أرض وادى النيل ارتفاع بلغ بحسب تقدير أهل الفن نحو متر وربع في كل قرن وكان البحر الملح في الازمنة الغابرة يغمر بلاد الدلتا باجمعها وبما يجلبه من الطمى سنويا انحسرت مياه البحر عنها بالتدريج ونشأ منها هذه الارض الزراعية حتى ان هيرودوت المؤرخ الشهير قال ان مصر هبة من هبات النيل

الفصل الثاني

(الثغور البحرية بمصر)

من تأمل في السواحل المصرية الواقعة على ريف البحر المتوسط الابيض والبحر الاحمر يرى أن الطبيعة أوجدت فيهما جملة أجوان ورؤس اتخذها القدماء مينا وثغورا صارت مع الزمن من أعظم الفرص التجارية خصوصا لما اعتنت باصلاحها الدول التي حكمت الديار المصرية وهذه الثغور منها قديم ومنها حديث فالقديمة هي مدينة الطينة أو الفرما المعروفة قديما بمدينة أواريس (Avaris) أو بيلوز (Peluse) وكانت تبعد عن البحر الابيض بقدر ميلين وكانت فرضتها لا تخلو من السفن الواردة والصادرة بأنواع السلع ومحل هذه المدينة بقرب الآن من مدينة بورت سعيد على الضفة الشرقية من القنال وفي زمن الفراعنة كانت حصن القطر من جهة الشرق وكان يقيم بها الحراس لحفظ البلاد من الطوارئ وذكر المؤرخون أهمية هذه المدينة والوقائع الحربية التي حصلت فيها في المدة القديمة حيث هاجمها العدو ثلاث عشرة مرة تقريبا فأول من هجم عليها الهكسوس أي الرعاة المشهورون بالعمالقة سنة (٢٨٥٠ ق م) ثم هجم عليها الفرس أربع مرات هجم عليها قبيز عند اغارته على مصر (٥٢٥ ق م) وفي زمن كسرى ارتخشيارش الاول (٤٠٠ ق م) وفي زمن كسرى ارتخشيارش الثاني (٣٧٧ ق م) وفي زمن دارا ملك الفرس (٣٤٤ ق م) ثم هجم عليها اسكندر المقدوني (٣٣١ ق م) ومن فرع النيل المضاف الى هذه المدينة دخلت أساطيل اسكندر حين استيلائه على مصر وفي مدة البطالسة هجم عليها برديكاس حاكم الشام فلم ينجح (٣٢١ ق م) وهجم عليها انتيغون (٣٠٠ ق م) وانتيفوس ملك الشام (٢٧٠ ق م) وانطيونوس فلم يتمكن من دخول الديار المصرية وفي زمن القيصر مارك أوريل الروماني هجم عليها اجانيوس رئيس الجيوش الرومانية فارتد خائبا (٥٥ ق م)

وهجم عليها أوكتافيوس رئيس الجيوش الرومانية (٣٠ ق م) - وقانوب (Canope) وهى من المدن القديمة فى مصر السفلى وكانت واقعة عند مصب النيل المضاف اليها ويقال انها سميت كذلك باسم دليل بحرى كان لمنيلاس مات فيها من لدغة ثعبان واشتهر سكانها بفساد أخلاقهم ومحلها الآن بلدة أبوقير - راقوده (Rakotis) بلدة شيدها الفراعنة على ساحل البحر الرومى فى غربى قانوب لتكون معقلا وكانت تعد قديما حصنا للديار مصر من جهة الغرب وقد شيد اسكندر المقدونى بالقرب منها أوعلى أطلالها مدينة الاسكندرية هذا خلاف مصبات النيل السبعة التى كانت تعد قديما كفرض أيضا لان السفن كانت تصعد منها الى أعلى النيل وكانت الفراعنة يسدون هذه المصبات بالاحجار و يحصنونها لمنع أساطيل العدو من دخول البلاد ولمنع مياه البحر الملح من أن تهجم على الارض الزراعية فتفسدها وكانت هذه الثغور أول باعث للدول القديمة على اتخاذ الاساطيل وكان البطالسة اتخذوا فى معظمها دور صناعات جعلتهم فى مقدمة دول البحار

وكان للديار المصرية على سواحل البحر الاحمر جملة ثغور أيضا ذكرها ديودور الصقلى ومن أقواله يظهر أن البحر الاحمر كان آخره بحيرة التمساح وكان به فرضة لمدينة ارسينوى (Arsinoë) ويستفاد من قول استرابون أيضا و بلين وغيرهما أن فرضة هذه المدينة كانت بقرب بلدة سيرا بيوم أنشأها أحد البطالسة وسماها باسم أخته وجعلها فى آخر البحر الاحمر ولعلها فرضة بطولماييس (Ptolémaïs) القديمة التى عدها المؤرخون من الفرض الشهيرة بمصر وكانت فى ولاية ارسينوئيتس وذهب بطليموس الى أنها كانت فرضة لمدينة ارسينوى وكانت قصبة مقاطعة هيروپوليتس وسميت أيضا كليوبتريس (Cleopatris) ويقال انها كانت من أحسن الفرض وكان بطليموس فيلادلف قد وسعها وحسنها ووصل بينها و بين النيل بقناة صناعية وبقيت زمنا طويلا من أهم المراكز التجارية الشرقية فى مصر وكانت مداخيلها للملكة ارسينوى و يظهر من هذه الاقوال أن البحر الاحمر كان قد تأخر عن بركة التمساح بتغلب الرمال على ذلك المضيق الواقع بين البحيرة المرة و بركة التمساح المذكورة وصار آخره سيرا پيوم عند البحيرة المرة المذكورة وكان لمدينة القلزم (Clysmos) خلاف الفرضة المذكورة فرضة عظيمة ينسب اليها بحر القلزم و يقال انه بالقرب منها أغرق فرعون سيدنا موسى عليه السلام ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع وانما يحمل الماء اليها من آبار بعيدة وكانت فرضتها من أشهر الفرض التجارية أيضا منها تحمل المتاجر الى الحجاز واليمن وقال المسبحى فى حوادث سنة ٣٨٧ فى شهر رمضان سامح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أهل مدينة القلزم مما كان يؤخذ من مكوس المراكب اه وقد خربت هذه المدينة الآن و يعرف اليوم موضعها بالسويس وكان لمصر فى العهد القديم أيضا على البحر الاحمر فرضة ايلة (Alama ou Ailath) الواقعة على خليج العقبة فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وأيلة حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة وأهلها أخلاط من الناس وكانت كثيرة النخل والزروع و يقال ان بجانبها جرت الواقعة بين الحبش وعرب اليمن وألقى ملكهم ذو نواس الحميرى نفسه فى البحر أنفة من

وقوعه

وقوعه فى أسر الحبشة وقد شيد أحمد بن طولون بأيلة قلعة موجودة أطلالها للآن وفى مدة صلاح الدين الايوبى حصلت فيها واقعة بحرية بين أساطيله وأساطيل ارناط أمير الكرك كما مر فى المقدمة ثم حاصرها الايوبيون براو بحرا حتى فتحوها أما الآن فهى خربة لا اعتبار لها سوى أنها من منازل الحج المصرى ويقال لها عقبة ايلة وعيذاب وكانت على ساحل بحر القلزم قبالة قوص أكثر بيوتها أخصاص وكانت من أعظم مراسى الدنيا لان مراكب الهند واليمن كانت تحط فيها البضائع ولما اتسع نطاق التجارة فى زمن البطالسة أمر بطليموس الاول بعمل طريق فى صحراء عيذاب أولها من مدينة قفط بالصعيد الاعلى وبنى بها المحطات وصهاريج لخزن الماء ورتب فيها العساكر لخفارة المحطات وأمن التجارة فتبعها الناس وسارت فيها أغلب تجارة البحر الاحمر فكانت المراكب تأتى من جميع مينى الشرق الاقصى وبحار الهند وغيرها الى عيذاب بالمتاجر وتحملها الجمال من عيذاب الى بحر النيل عند مدينة قفط وهناك تنزل فى مراكب النيل فتسيرها اما الى مصر واما الى بحر الروم فتدخل البلاد الافرنجية وغيرها قال أبو الفداء فى تقويم البلدان وابن خلكان وغيرهما ما ملخصه ان ميناء عيذاب من أجل مراسى الدنيا بسبب ان مراكب اليمن والهند تحط فيها وتقلع منها زيادة على مراكب الحجاج الصادرين والواردين وليس من أهلها ذو يسار الا من له الجلبة (السفينة) والجلبتان تحمل الحجاج ذهابا وايابا فهى تعود عليهم برزق واسع وفى بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ فى جزائر قريبة منها ويستخرج منه جوهر نفيس له قيمة فالناس يذهبون الى تلك الجزائر فى الزوارق ويقيمون فيها فيعودون بما قسم لهم وقال أيضا وجلاب هذا البحر لا يستعمل بها مسمار البتة انما هى مخيطة بأمراس من قشر جوز الهند المسمى بالنارجيل ويخللونها بدسر من عود النخل فاذا فرغوا من انشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش وهو أحسنها والقرش حوت عظيم فى البحر يبتلع الغرقى وانما يدهنون الجلاب لتليين عودها وترطيبها لكثرة الشعاب المعترضة فى هذا البحر وأخشاب هذه الجلاب مجلوبة من الهند واليمن وشراعها حصر منسوجة من خوص شجر المقل فجميعها مناسبة فى اختلاف البنية ووهنها فسبحان مسخرها على تلك الحال ولاهل عيذاب فى الحجيج أحكام الطواغيت لانهم يشحنون المراكب بهم حتى يجلس بعضهم على بعض كأنها أقفاص الدجاج المملوأة حرصا على الكراء حتى يستوفى صاحب الجلبة ثمنها فى مرة واحدة ولا يبالى بصنع البحر فيها ويذكر أن سليمان بن داود عليهما السلام كان اتخذها سجنا للفراعنة ويقال ان مدينة عيذاب كانت قريبة من مدينة برنيس القديمة التى بناها بطليموس فيلادلف على البحر الاحمر بينها وبين القصير القديمة ١٨٠٠ غلوة قال ابن سعيد وعرض البحر بين عيذاب وجدة درجتان وهى أشبه بالضيعة منها بالمدن اه

برنيس مدينة تجارية كانت بمصر العليا قديما واقعة على الخليج العربى فى نهاية خليج صغير ولم يكن لها مينا الا أن أهميتها كانت بالنسبة لتجارة بلاد العرب والهند وللطريق الذى بينها وبين مدينة قفط وهى الطريق التى أنشأها بطليموس فيلادلف وسماها باسم أمه ولم تزل بعض أطلالها موجودة للآن قرب رأس بناس ومع وجود هذه الفرض والثغور القديمة لمصر كانت أكثر

الدول التي حكمت مصر في الاعصر الخالية لا تصنع أساطيلها الا في داخل النيل ثم تسوقها من الجداول والمصاب الى البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط عند الحاجة فلذلك كانت مراكز الاساطيل المصرية في أغلب أدوار الدول القديمة داخل نهر النيل كما تقدم ذكر ذلك في مقدمة هذا الكتاب وقد اشتهرت ثغور البحر المتوسط الابيض والبحر الاحمر في عهد البطالسة والرومان بما أدخل فيهما من الاصلاحات العظيمة هذا

أما الفرض المصرية الموجودة الآن فهي الآتية الاسكندرية - هي أكبر ثغور مصر بل وافريقية جميعها وأشهرها وبها دار الصناعة المصرية وتبعد عن القاهرة بنحو ١١٢ ميلا الى الشمالي الغربي في عرض ٥ ً ١١ َ ٣١ ْ شمالا و ٥ ً ٥١ َ ٢٩ ْ طولا لخط نصف نهار غرنويج وهي قائمة على لسان بين البحر الرومي وبحيرة مريوط وقد صارت ثغرا تجاريا بعد أن اختطها اسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق م على أطلال قرية راقوده (Rakotis) السابقة الذكر وكان اسكندر عهد أمر بنائها الى دينوكراتس [1] او دينوخارس فأحسن عمارتها ولما كملت انتقل تخت الملك من مدينة منف اليها فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى فتحها الاسلام سنة ٢٠ هـ بعد أن حاصرها أربعة عشر شهرا وأزال من مصر حكم دولة الروم السفلى كما أزالهم من سوريا فانتقل تخت الملك الى الفسطاط ولما ظهرت هذه المدينة قصدها التجار وأخذت السفن التجارية والحربية تتردد عليها وكانت في أيام البطالسة محطا كبيرا للتجارة أوروبا وممالك البحر المتوسط والشرق الاقصى ومركزا للعلوم والمعارف تأسست بها مدارس طار صيتها فقصدها العلماء والفلاسفة من كل مكان ونبغ بها عدة من فحول الرجال وكان بها أكبر دور صناعات البطالسة الذين اشتهروا بالقوة البحرية والحربية والتجارية وبعد أن خضعت للرومانيين وصارت القسطنطينية عاصمة للامبراطورية الشرقية لم تفقد الاسكندرية أهميتها التجارية بل كانت فرضتها باقية مركزا لعموم السفائن التجارية الاوروباوية وغيرها وكان بها المنارة الشهيرة التي تعد من عجائب الدنيا وسبق الكلام عليها بالجزء الاول وهي التي بناها أحد ملوك البطالسة فوق جزيرة فاروس وجعل في أعلاها مرآة من نوع الاحجار الشفافة ليشاهد منها مراكب البحر اذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها وقد هدمت هذه المنارة سنة ٣٤٤ هـ وشيد فوقها بعد ذلك بمدة البرج المعروف الآن بقلعة قايتباي وكانت على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبيه عند مدخل مينا الاسكندرية الشرقي لان المينا القديمة التي كانت أمام المدينة العتيقة لم تكن ترسو فيها المراكب لبعدها وقتئذ عن العمران وكان البحر يفصل قديما جزيرة فاروس عن المدينة فغلبت عليه الرمال فالتصق البر بالجزيرة وصار لها بذلك فرضتان الفرضة الشرقية المذكورة والفرضة الغربية التي اعتنى باصلاحها وتعميقها ساكن الجنان محمد علي باشا الكبير رأس العائلة المحمدية العلوية سنة ١٨٣٠ م كما تقدم وصارت من وقتئذ أشهر ثغر بالديار المصرية ثم صرح لمراكب الفرنج بالدخول فيها وكانت قبل ذلك لا يصرح لهم بل كانوا لا يرسون الا في

(١) دينوكراتس (Dinocrate) مهندس مقدوني وهو الذي أصلح هيكل مدينة افسوس الذي أحرقه أروستراث (Erostrate) في القرن الرابع قبل الميلاد وعهد اليه اسكندر تشييد مدينة الاسكندرية

المينا

المينا الشرقية مع أخطارها كما سبق وبهذا التصريح كثر تردد المراكب على هذا الثغر فجلبت اليه الخيرات من جميع فرض البحر المتوسط الابيض وغيره وزاد اقبال التجار وأهل الاسفار عليها وكثرت بذلك أسباب الاخذ والعطاء خصوصا بعد أن شيد فيها المرحوم المشار اليه دار الصناعة والحوض الخيرى الجرى وجميع ماتحتاجه السفن خصوصا الحوض الذى لا تستغنى عنه المراكب لعمارتها فازداد توارد المراكب عليها وسهل نقل بضائع القطر الى البلاد الاجنبية من هذه المينا بترعة المحمودية التى تخترقها وصارت المراكب الآتية من داخل القطر تسير فيها حتى تدخل الميناء وتوصل محمولها الى السفن الكبيرة فلذلك كانت المراكب النيلية الذاهبة الى ذلك الثغر كثيرة جدا وقد جلب الماء العذب الى المينا بواسطة أنابيب لتأخذ المراكب التجارية والحربية مايلزمها منه بسهولة ثم انه بعد أن أتم المرحوم سعيد باشا السكك الحديدية سهلت النقليات التجارية وأخذت أهمية فرضة الاسكندرية تتزايد الا أنه لم يعمل بها أعمال مهمة الى زمن الخديو اسماعيل باشا الذى لما رأى أن كثيرا من التجارة تحوّل الى طريق القنال بعد فتحه وخشى من أن هذا التحويل يقلل من أهمية ثغر الاسكندرية وجه عنايته لاصلاح حالة المينا وعمل بها حوضا من الحديد لعمارة السفن فحصل من ذلك منافع عامة وسهولة تامة فزادت الرغبة وأمنت السفن بها من فعل الرياح المختلطة أيضا بسد المينا بالجسر الذى أقاموه هنالك بالصخور الصناعية التى ألقوها بالبحر من رأس التين الى البوغاز ولتسهيل الشحن والتفريغ جعل فى دائرها من ابتداء المرسى المعروف بمرسى الانكليز جهة القبارى الى الحوض المبنى فى الترسانة أرصفة جيدة البناء ولوقاية السفن التى ترسو على الارصفة من الاهوية عمل جسر من الحجر فى داخل المينا ممتد من الجنوب الى الشمال فكانت هذه الاعمال سببا لزيادة الرغبة فى المينا وزاد تردد السفن العظيمة المختلفة الاوروباوية والامريكانية عليها وجعل لوقوف السفن الحربية مكان مخصوص وقد تردد عليها فى سنة ١٨٧٢ م ٢٩٥٣ سفينة مع أنه فى سنة ١٨٣٧ لم يرد عليها سوى ١١٦١ ومن هذا يعلم أن مقدار المراكب الواردة عليها أخذ دائما فى الزيادة وأشهر الحوادث التى حصلت بالاسكندرية من يوم وجودها الثورة التى قامت فى عهد البطالسة والرومان سنة ٤٧ ق م فأخمد قيصر العصيان ويقال ان المكتبة المشهورة التى كانت بهذه المدينة احترقت فى ذلك الوقت وفى سنة ٦١١ م أرسل كسرى أبرويز ملك العجم قائده شاهين ففتحها وأرسل مفاتيحها الى ابرويز ثم ان ابرويز ردها الى القياصرة وفى سنة (٦٤٠ م - ٢٠ هـ) فتحها المسلمون على يد عمرو ابن العاص كما مر فى الجزء الثانى ثم هاجمها أساطيل الروم عدة مرات فردوا خائبين وفى سنة ٢١٠ هـ أقبل عليها طائفة من أهل الاندلس وكان الوالى على مصر عبد الله بن طاهر والناس فى فتنة ابن السرى ونصر بن شبث وغيرهما فارسوا بأساطيلهم فى الاسكندرية ورئيسهم يدعى أبا حفص وتغلبوا عليها وكان ذلك قبل قدوم ابن طاهر فلما قدم أرسل يطلبهم الى الحرب ان لم يدخلوا فى الطاعة فأجابوه وسألوه الامان على أن يرتحلوا عنها الى بلاد الروم فأعطاهم الامان فرحلوا الى اقريطش (كريد) ثم هاجمها العلويون كما مر بك فى أوائل القرن الرابع الهجرى وفى سنة ٥٦٢ هـ ملك الاسكندرية أسد الدين شيركوه كما تقدم وفى سنة ٥٦٩ هـ قصدها الفرنج من صقلية بأسطول جسيم كما مر فى المقدمة فعادوا مقهورين وكانت واقعة من أهم وقائع الحروب الصليبية وفى سنة ١٧٩٨ م

استولى عليها الفرنساويون واستمرت فى حوزتهم الى سنة ١٨٠١ فأخذها الانكليز وأقاموا فيها الى سنة ١٨٠٣ م ثم لما ارتقى المرحوم محمد على باشا على الديار المصرية أصلح شأنها كما ذكرناه واعتنى بأمرها خلفاؤه من بعده الى يومنا هذا وهى الآن من أجل الثغور والمدن بالديار المصرية وبها من السكان أكثر من ثلثمائة ألف نفس ولها مجلس بلدى لادارة أحوالها أعضاؤه من الوطنيين والاجانب وتعتبر العاصمة الثانية بمصر وترتبط مع أكبر مدن الديار المصرية وأشهرها بطريق حديدى ولم يبق من آثار هذه المدينة الشهيرة القديمة للآن سوى عمود السوارى وبعض آثار أخرى لا أهمية لها ثم انه فى سنة ١٨٨٢ م أطلقت عليها المدرعات الانجليزية قنابلها فأخربت حصونها وسيأتى ذكر ذلك

مطروح — وهى مرسى للمراكب على البحر الملح واقعة غربى الاسكندرية على بعد ٢٠ ميلا ما بين الاقطار المصرية وايالة طرابلس الغرب جميمة — وهى مرسى للمراكب الصغيرة واقعة أيضا غربى الاسكندرية بينها وبين مطروح ورأس الكنائس — وهى فرضة ترسو بها المراكب الكبيرة على بعد ستة أميال من رأس العقيلى واقعة أيضا غربى الاسكندرية وتبعد عن مطروح السابقة ٣٥ ميلا تقريبا الى الشرق وقد اتخذت مصلحة خفر السواحل فى تلك المراسى رباطات من عمالها لمنع دخول الاشياء المهربة أو التى لا يصرح بدخولها أرض مصر

أبوقير — فرضة تبعد ١٢ ميلا من شرقى الاسكندرية واقعة بالقرب من مكان بلدة قانوب أو كانوبوس القديمة التى لا يعرف مكانها الآن بالتحقيق لان تراكم الرمال والتغير الذى حصل فى الساحل على ممر الزمن قد أضاعه ويقول بعضهم انها فى موقع تابوسيريس (Thaposiris) القديمة (أبوصير) أو بوتيس ولما كانت من الفرض التى يمكن الدخول منها الى البلاد المصرية اعتنى بتحصينها ساكن الجنان محمد على باشا الكبير ولقلة عمق الماء بمينائها تلتزم المراكب الكبيرة أن تقف خارجها ومدخل فرضتها ضيق جدا ولهذه البلدة وفرضتها شهرة تاريخية وفيها آثار كثيرة وأطلال قديمة ومساكن منحوتة بالصخور وفى ميناء هذه المدينة حدثت الواقعة البحرية المشهورة بين الدونانما الانكليزية التى كانت تحت قيادة الاميرال نلسون وبين الدونانما الفرنساوية التى كانت تحت امرة الاميرال برويس سنة ١٧٩٨ م وهى التى مر ذكرها فى تاريخ الدولة العلية وربما تعرضنا لذكرها بتاريخ مصر وفى سنة ١٧٩٩ حدثت فيها وقائع برية ذات شأن عظيم بين العثمانيين والروسيين والانكليز من جهة وبين نابليون بونابارت من الجهة الاخرى وفى سنة ١٨٠١ استولى الانكليز على أبى قير من يد الفرنساويين ثم تركوها وتتصل مع رشيد والاسكندرية بطريق حديدى

رشيد — واقعة عند مصب الفرع الغربى المسمى أيضا بفرع رشيد على الضفة اليسرى منه قال بعض المؤرخين ان رشيد هى المدينة اليونانية القديمة المدعوة ميتيليس وذكر غيرهم أنها فى موقع مدينة كانوب الشهيرة وهذا الثغر يبعد عن الاسكندرية بنحو ٣٦ ميلا الى الشمال الشرقى والمدينة تبعد عن البحر الرمى بنحو ستة كيلومترات وهى من أشهر ثغور الديار المصرية وقد اشتهرت باللطافة والعمارة والبهجة والازهار بناها العرب سنة (٢٥٦ هـ ٨٧٠ م) وكانت فى القرن التاسع الميلادى ذات أهمية قليلة ثم حازت مركز مهما بما كان يرد اليها من المتاجر التى كانت تنقل اليها بالنيل وذلك بسبب انسداد الترعة التى كانت تصل مصر بالاسكندرية قديما وبعد فتح ترعة المحمودية أخذت أهميتها تتناقص أماميناؤها فأمين لكنه صعب المدخل لتراكم الرمال

فيه

فيه وقد حصل بقرب رشيد سنة ٣٠٦ هـ واقعة بحرية بين اسطول المقتدر بالله العباسى وبين اسطول القائم العلوى فظفرت مراكب المقتدر وأحرقوا كثيرا من مراكب القائم العلوى وهلك أكثر جنودها وأسروا منهم كثيرا وقال المؤرخون انه فى القديم كان مرسى جميع المراكب مدينة فوه فلما تراكمت الرمال فى بوغاز هذا الفرع تعسر وصول المراكب الواردة من الخارج اليها فشيدوا مدينة رشيد وكانت قبل ذلك قرية صغيرة ولما زار بلون الديار المصرية سنة ١٥٣٠ م قال ان رشيد أصغر من فوه ولما استولت الدولة العلية على القطر المصرى أهمل أمر الخلجان فبطل رسو المراكب على مدينة فوه بالكلية وقامت مقامها رشيد وأخذت من حينئذ فى التقدم والاهمية والعمارية لكثرة توارد البضائع الاجنبية والمصرية عليها حتى بلغت سنة ١٧٧٧ م أعظم درجة وفى شهر يوليو من سنة ١٧٩٨ استولى عليها الفرنساويون مدة احتلالهم مصر بلا قتال وبينما كانت الجنود الفرنساوية الذين تحت قيادة القائد بوسرد تحفر أساس بيت عند قلعة سان جوليانس وجدوا حجرا كبيرا من الصخر عليه كتابة بثلاث لغات اليونانية والهيروغليفية والديموتيقية ولما استولى الانكليز على الاسكندرية حين اخراجهم الفرنساويين من مصر أخذوا الحجر المذكور الى بلادهم كما أخذوا أشياء كثيرة أخرى من آثار المصريين القدماء ثم ان الملك جورج الثالث أهدى الحجر المذكور الى المتحف البريطانى ولا يزال به للآن ويعرف بحجر رشيد ومن الكتابات التى على هذا الحجر تمكن العلماء من حل رموز الخط المصرى القديم وكان أول من نجح فى ذلك تماما الموسيو شمبليون الفرنساوى كما هو معلوم وبعد خروج الفرنساويين من مصر حاول الانكليز سنة ١٨٠٧ م الاستيلاء على رشيد فأخفق سعيهم كما مر ويأتى أيضا بتاريخ مصر الحديث وهى الآن ليست محافظة من محافظات مصر بل جعلت مركزا لبلاد الارز الشرقية منذ قليل وذلك مما خفض من شأنها كثيرا حتى أصبح قسم كبير منها بلا سكان وسكانها الآن لا يتجاوزون ١٥ ألف نسمة

البرلس — ثغر عظيم من ثغور مصر واقع على ساحل البحر الرومى بين فرعى النيل عند البحيرة المضافة اليه المسماة قديما بوتيكوس لاكوس (Buticus Lacus) وكان على الساحل الجنوبى من هذه البحيرة بلدة قديمة تدعى بوتو أطلالها ظاهرة للآن وعلى ساحلها الغربى بلدة صغيرة الآن تدعى البرلس تابعة لمديرية الغربية وفيها قلاعة على شاطئ البحر وبشرقيها أشتوم البرلس وفى غربيها اشتوم برج المعدّية قال بلين فى بعض مؤلفاته ان هذا القسم كان يسمى بتينو وجعله بطليموس بين فرع النيل الغربى وفرع فرموطان ويؤخذ من كلامه أن البرلس مدينة كانت قاعدة هذا القسم وكانت تسمى بوطو وعلى شاطئ هذه البحيرة جملة قباب لجماعة من الصالحين يقال لهم الشرفاء العامرية وجميع بلاد البرلس لا يصل اليها ماء النيل الا قليلا وأكثر شربهم من الحفائر ولها ملاحة تنسب اليها وهى من أعظم ملاحات مصر لجودة ملحها قال ياقوت وينسب الى البرلس جماعة من أهل العلم منهم أبو اسحق البرلسى وكان حافظا ثقة مات بمصر سنة ٢٧٢ هـ وكان سكن البرلس فقط ومولده بصور من بلاد السواحل وأبوه من أهل الكوفة وينسب الى البرلس من المتأخرين عبد الجواد بن نور الدين البرلسى المصرى خطيب جامع الازهر وكان فاضلا عالما شاعرا مات فى رمضان سنة ١٠٣٤ هـ والمراكب الشراعية التى تقصد البرلس أكثر ترددها يكون فى فصل البطيخ لجودة زراعته فيها

دمياط - هي من أشهر الثغور المصرية واقعة على رأس الفرع الشرقي للنيل عند مصبه في نقطة عرضها ٥٥َ ٣١ْ شمالي خط الاستواء وطولها ٤٧َ ٣١ْ شرقي غرنويج قال المقريزي دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت بدمياط من ولد أشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وقيل انها كلمة سريانية أصلها دمط أي القدرة وذكر في سائر تواريخ العرب أن دمياط مدينة قديمة بنيت في زمن قليمون بن اتريب بن قبطيم ابن مصرايم على اسم غلام كانت أمه ساحرة قليمون وهي مشهورة بطيب هوائها وبشماليها بحر فرع النيل المضاف اليها وعرض النيل هناك نحو مائة ذراع وعليه من جانبيه برجان وكان قديما يوضع بينهما سلسلة حديد عليها حرس لا يخرج مركب الى البحر ولا يدخل الا باذن وكانت تعد من ثغور الاسلام العظمى اهـ وفي زمننا هذا تعد من المدن العظيمة في مصر السفلى تبعد عن مصب النيل تسعة كيلومترات تقريبا وعن القاهرة بنحو ١٦٠ كيلومترا الى الشمال الشرقي ولها تجارة واسعة في الارز وغيره وكان بينها وبين البحر خليج عظيم تمر منه السفائن الكبيرة فردم في أيام بيبرس البندقداري سنة ٦٥٩ هـ لمنع سفن العدو من الدنو اليها للحروب التي كانت قائمة في ذلك الوقت وكانت سفن قرصان الفرنج تسطو دائما على سواحل مصر للغنائم فأصبحت بهذا الردم بعيدة عن البحر لا يمكن للسفن الكبيرة الدنو منها فصارت من وقتئذ ترسو على مسافة فرسخين من الساحل ومن أشهر حوادثها أنه في سنة ٩٠ هـ في أيام الوليد بن عبد الملك نزل عليها الروم وأيضا في سنة ١٢١ هـ مدة خلافة هشام بن عبد الملك نازلوها في ٣٦٠ مركبا وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا النساء وفي خلافة المتوكل على الله وولاية عنبسة بن اسحق الضبي على مصر نزل عليها الروم يوم عرفة سنة ٢٣٨ فملكوها وغنموا ما بها وقتلوا أهلها وسبوا النساء فأمر المتوكل باقامة حصن يقيها من ذلك فشرعوا في بنائه في رمضان سنة ٢٣٩ هـ وأنشئ من ذلك الوقت الاسطول بمصر ثم طرقها الروم باسطول مركب من مائتي سفينة فأقاموا يعيثون في السواحل شهرا ولما كانت الفتنة بعد موت كافور الاخشيدي طرقها الروم في رجب سنة ٣٥٧ هـ في أكثر من عشرين مركبا فقتلوا وأسروا وفي أيام الخليفة الفائز بنصر الله الفاطمي ووزيره طلائع بن رزيك نزل عليها الروم أيضا في ستين مركبا (٥٥٠ هـ) فعاثوا وقتلوا كثيرين وفي أيام العاضد لدين الله نزلوا عليها في أكثر من ١٢٠ مركبا (٥٦٥ هـ) فخرجت الجيوش من القاهرة وحاربتهم ٥٥ يوما حتى التزموا أن رحلوا عنها وفي سنة ٥٧٧ هـ رتبت المقاتلة على البرجين وشدت مراكب الى السلسلة التي بينهما ورم شعث السور وأتقنت السلسلة وفي سنة ٥٨٨ أمر السلطان صلاح الدين بقطع أشجار البساتين بدمياط وحفر خندقها وعمل جسر اعند السلسلة وفي سنة ٦١٥ هـ هاجمها الفرنج وكان صاحبها الملك الكامل بن الملك العادل وملكوا البرج بعد قتال أربعة شهور وقطعوا السلاسل ونصب الملك الكامل جسرا عظيما فقطعوه بعد قتال شديد متتابع فأمر بتغريق مراكب النيل لتمنع الفرنج عن العبور فعمدوا الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه قديما فحفروه وعمقوه وأجروا فيه الماء وأصعدوا مراكبهم واستفحل أمر الفرنج وبعث الكامل الرسل الى البلاد يستنجدهم فأتته النجدات من كل النواحي واتفق موت أبيه الملك العادل بالشام فضعف عزم المسلمين وخاف الكامل من الفشل وحصلت أمور يأتي ذكرها نجم عنها استيلاء الفرنج على دمياط ولما دخل الفرنج مدينة دمياط

بعد

بعد حصارها ١٩ شهرا (٦١٦ هـ) وضعوا السيف فى الناس وكان يوما يشيب له الولدان وبنى السلطان الكامل المنصورة وتجهز فيها لصد الفرنج وتقدم المسلمون بشوانيهم أمام المنصورة وعدتها مائة قطعة وحالت العرب بين الفرنج ودمياط حتى سار الملك الاشرف أخو الكامل وأخوه الملك المعظم وغيرهم بالنجدات وانتشب القتال وأسر المسلمون عدة مراكب من الفرنج وتم الامر بتسليم الفرنج دمياط الى الكامل (٦١٨ هـ) وفى سنة ٦٤٧ هـ عاد الفرنج بمراكبهم الى دمياط وكان الملك الصالح بن الكامل حصنها وكان مريضا فات بالمنصورة وقام بالامر الامير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ وكتم موت السلطان خوفا من الفشل ثم انتشب القتال وأخذ المسلمون كثيرا من سفن الفرنج (٦٤٨ هـ) وأسروا ملك الفرنسيس لويز التاسع وأخاه وكثيرا من أمراء الفرنسويين وجنودهم وذلك مدة الحملة الصليبية الثامنة وسجنوهم بالمنصورة بمكان معروف عند أهل تلك المدينة للآن ولما كانت ولاية الملك الاشرف موسى أرسل المماليك الى دمياط لتخريبها خوفا من عودة الفرنج اليها فوقع الهدم فى أسوارها (٦٤٨ هـ) وأتموا تخريبها حتى محيت آثارها فلما ملك بيبرس البندقدارى أرسل الحجارين سنة ٦٥٩ هـ لردم فم بحر دمياط فردم كما هو وصارت المراكب غير قادرة على الوصول اليها ومن وقتئذ انحطت أهمية دمياط الحربية وهذه المدينة الآن من أعظم ثغور مصر يقيم بها محافظ وسكانها يبلغون ٣٥,٠٠٠ نسمة وبها مسجد قديم أسس زمن الفتح وتتصل مع غيرها من مدن مصر بطريق حديدى

بورت سعيد - فرضة شهيرة حديثة من فرض الديار المصرية واقعة فى أول الخليج المالح المسمى قنال السويس غربى مكان مدينة الطينة القديمة بثمانية وعشرين ألف متر على ساحل البحر أسست سنة ١٨٥٩م - ١٢٧٧ هـ أى حينما شرعوا فى حفر قنال السويس وهى واقعة على ٤٥َ ١٥َ ٣١ْ من العرض الشمالى و١٥َ ١٨َ ٣٢ من الطول الشرقى لخط نصف نهار غرنويج وكيفية بنائها أنه عندما أخذ العمال يتواردون من فرانسا وغيرها للعمل فى القنال نزلوا على ساحل البحر عند مبدا الترعة فى أكواخ من القصب اتخذوها ليأووا اليها ثم بنيت دور ومساكن فى محل اقامتهم وأخذت تلك المساكن فى الكثرة وأقيمت بها الاسواق حتى صارت من أشهر مدن مصر الساحلية كما هى الآن قال المرحوم على مبارك باشا فى خططه وسميت بورت سعيد باسم المرحوم سعيد باشا أيضا الذكره ولسهولة تفريغ مهمات العمل الواردة فى السفن عمل جسر من الخشب ممتد فى البحر الى قدر كاف لمرسى المراكب وتفريغها وعمل عند نهاية ذلك الجسر فى داخل البحر برج من خشب ارتفاعه عشرون مترا وجعل بأعلاه منارة تهتدى بنورها المراكب التى تقصد هذه الجهة الى أن قال ثم شيدت ببورت سعيد مخازن كبيرة ومصانع لعمل الآلات والكراكات ومستشفى لمعالجة المرضى وكنيستان احداهما للروم والاخرى للكاتوليك وجامع للمسلمين وكذلك حصلت عمارات ومنازل عظيمة وشيدت بها فرضة بأرصفة من الحجر وجرك وركبت آلتان بخاريتان على ترعة الاسماعيلية لايصال الماء الحلو الى مدينة بورت سعيد بواسطة أنابيب من الحديد وفى أثناء ذلك ظهرت شركة دسو اخوان فى عمل الاحجار الصناعية وهى التى بنت ميناء بورت سعيد وصيرتها على هيئتها الحاضرة وكثر تردد المراكب اليها من جميع بلاد أوروبا حاملة للمواد اللازمة للاعمال من حديد ونحاس ومأكولات وخلافها على طرف القومبانية وبعض

السفن يأتي اليها مشحونا من أوروبا أيضا بالبضائع التجارية للبيع على الشغالة وغيرهم وتأتى اليها مراكب ببضائع القطر المصرى من نحو المنزلة والمطرية ودمياط ورشيد لما وجدوا من الارباح ورواج السلع وفى سنة ١٨٦٧ م جرت مراكب البوسطة ونحوها فى الخليج بين هذه المدينة ومدينة الاسماعيلية ووردت عليها البضائع الشامية وأقيمت وابورات تجارية من طرف وكلاء مجس قومبانيات وفى سنة ١٨٦٨ م كان انتهاء أعمال المواصين أى الرصيفين ولما تم فتح القنال سنة ١٨٦٩ م أخذت ميناء بورتسعيد المستجدة تزهو وتتزايد عمارتها يوما فيوما حتى صارت من أعظم الثغور ولما رغبت الحكومة بعدئذ أن تستولى من القومبانية على كرك البضاعة الواردة الى ميناء بورت سعيد والصادرة عنه مثل الجارى فى باقى ثغور القطر طبق نص الشروط عارضتها الشركة بدون وجه حق وتداخل فى ذلك قنصل دولة فرانسا ثم بعد مداولات اتفقت معها على أن تعطى الحكومة للشركة ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك فى مقابلة التنازل عن المعارضة الواقعة من الشركة فى كرك بورتسعيد ولما صدر أمر المرحوم اسماعيل باشا الى القومبانية باقامة فنارات على ساحل البحر لهداية السفن شيدت أربعة فنارات على ساحل رشيد والبراس وعلى مصب فرع دمياط والرابع فى مدينة بورتسعيد بقرب مبدا المولص الغربى ونوره كهربائى يضطرب ويرتعش وله بعد كل ثلاث ثوان غمضة وهى الآن من أعظم ثغور مصر وبها يقيم محافظ عموم قنال السويس وقد وصلوا اليها الماء العذب بترعة تخرج من الاسماعيلية واتصلت أيضا مع مدن القطر بطريق حديدى بنته شركة القنال وسكانها نحو ٢٠٫٠٠٠ نسمه

الاسماعيلية — لما وصل العمل فى القنال الى بحيرة التمساح شيدوا على ساحلها عند ترعة الماء العذب مدينة عرفت أولا بمدينة التمساح ثم سميت الاسماعيلية باسم المرحوم اسمعيل باشا الخديو الاسبق تذكارا لبقاء اسمه وقد كثرت العمارة بهذه المدينة فيما بعد وكانت هذه البحيرة قديما آخر البحر الاحمر كما ذكرناه ثم اندرس أمرها وبعد أن عاد العمار اليها بعد فتح القنال اتخذت مرسى للسفن المارة من القنال وهى مرسى حسن جدا يسع كثيرا من السفن قال المؤرخون انه فى عهد رمسيس الكبير كان ينصب ما يفيض من ماء النيل الى هذه البحيرة وان ماء البحر الاحمر كان يصل اليها فى الازمنة السابقة لوجود الآثار الدالة على ذلك وسميت بحيرة التمساح لكثرته فيها قديما وبعد أن سميت بالاسماعيلية افتكر المرحوم الخديو الاسبق أن يتخذها فرضة حربية ويشيد فيها دارا للصناعة العسكرية ويبنى بها السفن الحربية التى كان ينوى ايجادها ولولا الموانع السياسية التى منعته من اتمام هذا المشروع خصوصا بعد تسوية الخلاف الذى قام بين الشركة والحكومة المصرية وأجازت الشركة للحكومة بعمل استحكامات ومبان أخرى لمستخدمى الادارة كالبوستة والكرك وتسكنات العساكر على نفس الاراضى المخصصة للشركة وعارضت الدول فى اقامة الاستحكامات حول القنال ويقيم بها الآن وكيل محافظة تابع لحافظ عموم القنال وهواؤها ردىء تفشو بها الحمى وفى سنة ١٨٨٢ م اتخذها الانجليز قاعدة أعمالهم العسكرية لما أرادوا مهاجمة جيش عرابى المتحصن جهة التل الكبير كما سيأتى

والى الجنوب من الاسماعيلية بحيرة تدعى البحيرة المرة كانت قديما فرضة للديار المصرية

مدة البطالسة وشيدوا عليها مدينة تدعى ابطولومايس وهذه البحيرة من أشهر البحيرات المصرية واقعة بين السويس وبحيرة التمساح ومیناها عميقة جدا تسع كثيرا من الاساطيل والسفن وكانت ترسو بها السفن التي تمر من القنال مساقبل ايجاد الضوء الكهربائي الذي ينيرله الشاطئ القنال الآن ويساعد السفن على المرور في أي وقت ولاتساعها تتسابق فيها البواخر ليتقدم بعضها على بعض في عبور القنال وهي زيادة على ذلك أمينة جدا يصلح اعتبارها من أعظم الفرض المصرية الانها ليست ذات فائدة تجارية الآن

السويس - ثغر من أشهر ثغور مصر واقع على الجانب الغربي من خليج السويس وفرضة لتجارات جزيرة العرب والهند والسودان وكل ثغور الشرق الاقصى تبعد عن القاهرة بنحو ١٣٥،٠٠٠ مترالى الشرق وقد خلفت مدينة القلزم القديمة السابق الكلام عليها قال المقريزي ان مدينة القلزم قد خربت ويعرف الآن موضعها بالسويس اه ولم نقف على تاريخ تجددها ولامتى سميت باسم السويس ولاسبب تسميتها بذلك قال المرحوم علي باشا مبارك في الخطط ما ملخصه ولاهمية موقعها من الديار المصرية من حيث تحصينها وسد عورتها من هذه الجهة ومرور الحجاج عليها صادرا وواردا وكثرة المتاجر الواردة على میناها كان لها أهمية في جميع الاعصر وفيها دائما من طرف حاكم مصر رباط من العساكر المحافظين ولها حاكم يقيم بها ومحل للجمرك تؤخذ فيه عوائد البضائع الواردة الى مصر ولوقوعها في النهاية الشرقية من مصر كان ينقل اليها من مصر على الحيوانات ما يلزم ايصاله اليها حتى المراكب التي يقتضى الحال انشاءها بمیناها وقد حصل ذلك غير مرة فمن ذلك ما في حوادث سنة ٩٢٧ من ابن اياس ان الامير تنم الناظر من طرف ملك الامراء على وقف الدشيشة كان قد صنع مركبا عظيمة في الجزيرة الوسطى لينقلها الى هناك لحمل مغل الدشيشة وكان طولها ١٢٠ ذراعا وبها فرن وطاحون وصهريج للماء الحلو ومقعد واصطبل للخيل فلما أتمها ركب اليها ملك الامراء في سادس عشر رجب فتفرج عليها ثم فك أخشابها الامير تنم وأرسلها على ظهور الابل الى الطور وقد حصل مثل ذلك زمن العزيز محمد علي باشا حين أراد بناء القصر أرسل الى السويس أخشابا وأدوات عمارة وبنى بها قصرا لنفسه وكذلك حمل اليها على ظهور الابل عدة سفن حين عزمه على حرب الوهابية وكثر تردد مراكب الانكليز في البحر الاحمر لقرب هذا الطريق عن طريق عشم الخير (١٨٤٥ م) وفي زمن المرحوم سعيد باشا أنشئت السكة الحديد من القاهرة الى السويس فازداد ورود المراكب التجارية على ميناء السويس وكثر التردد عليها والى ذلك الوقت كانت المراكب تقف في ماء بعيد العمق على مسافة كبيرة من البر وتنقل بضائعها الى البر في زوارق صغيرة ولما كانت المصاريف اللازمة لذلك جسيمة عين لجنة لنظر ساحل البحر وتعيين المحل اللائق لرسيان مراكب الحكومة ومراكب الشركات فاختاروا بقوة في البحر تحت جبل عتاقه لانهم وجدوها تفي بالمقصود من الامن على المراكب وسهولة نقل البضائع وقدموا له تقريرا بعمل مواص هنالك طوله أربعمائة متر تشحن المراكب وتفرغ عليه (١٨٥٨ م) ولما كان لابد في مثل هذه الميناء من وجود حوض لترميم المراكب وعمارتها عند الاقتضاء شرعوا في انشاء حوض (١٨٦٠ م) ولما قبض المرحوم الخديو اسماعيل باشا على زمام الاحكام زاد الاهتمام بانشاء الحوض المذكور حتى

ثم بنوا هنالك مبانى أخرى أفادت السفن كثيرا كالارصفة والمنارات والمواصل وأنشؤا لمراكب الحكومة ميناء واسعة تبلغ مساحتها ١٦٠,٠٠٠ متر مربع محاطة بجسور وأرصفة متينة للشحن والتفريغ سميت بميناء ابراهيم وبنوا بجانبها الى الغرب ميناء أخرى مسطحها ٢٣٠,٠٠٠ متر مربع لمراكب التجارة وأقاموا أمام المينتين من جهة البحر جسرا من الدبش والاحجار لوقاية المراكب بعد دخولها الميناء جعلوا به فتحة لدخول المراكب وخروجها وهذه الميناء الجديدة واقعة فى جنوبى المدينة على نحو ميل داخل البحر من البحر الاحمر وتتصل بالمدينة بجسر من الدبش والتراب ومدوا عليه أشرطة حديدية لنقل البضائع وفى شرقى ميناء الحكومة المذكورة ميناء أخرى صغيرة لقومبانية القنال يسكن حولها عمال القومبانية وترسو عليها سفنهم الصغيرة وشيدوا بجانب الحوض بعض المعامل لاصلاح السفن وبجانبها ميناء صغيرة للصنادل والفلايك

وبخليج السويس أيضا عدة أماكن تصلح لرسيان السفن أشهرها المكان الكائن جنوبى رأس ملعب عمقه اثنتاعشرة قامة والمكان الذى بجوار رأس أبو باقا على بعد ١٥ ميلا الى الشمالى الغربى من رأس غريب عمق مائه ثمان قامات وأكثر السفن تقصد هذا المكان لتحتمى فيه من الرياح الجنوبية وكذا من الجنوب الشرقى الجون الكائن فى رأس شوقير ببعد ميل منه تقريبا وعمق الماء فيه لا يزيد عن أربع قامات

الطور — فرضة من أشهر الفرض القديمة وهى على ساحل خليج السويس على مقربة من جبل الطور المعروف أيضا بجبل سينا ترد عليها متاجر الشام ومصر والهند والمواصلات بينها وبين السويس لا تنقطع بواسطة القوافل وفى زمن الحج تقصدها البواخر من مصر وغيرها وترسل اليها الدولة العلية والحكومة المصرية الاطباء والخيام والمأكولات والادوية لاجراء الحجر الصحى الذى يقام عادة على جميع حجاج الجهات الشمالية عند عودتهم الى بلادهم سواء كان طريقهم قنال السويس أو المرور من الديار المصرية ولهذا يتعين على جميع البواخر التى تشتغل بنقل الحجاج من أى ملة كانت الذهاب بهم الى فرضة الطور حتى تمضى أيام الحجر الصحى هنالك وهذه الفرضة كثيرة الصخور وعمق المياه فيها لا يتجاوز تسع قامات وهى تابعة لمحافظة السويس وبها من السكان نحو ثلاثة آلاف نسمة

ومن المراسى الشهيرة بهذا الخليج أيضا مرسى الشيخ رياح وهو فرضة واقعة على بعد خمسة أميال الى الجنوب الشرقى من الطور تقصدها المراكب الصغيرة وقت العواصف وعمق الماء فى داخلها لا يزيد عن ثلاث قامات وتكثر بها الصخور ومتى اضطرت البواخر الكبيرة وقصدتها فانها ترسو فى داخل جون الفرضة المذكورة وعمق الماء به سبع قامات وهنالك مراس أخرى بجانب هذه الفرضة ضربنا عن ذكرها صفحا لعدم أهميتها

القصير — هى من الفرض القديمة المصرية واقعة على ساحل البحر الأحمر الافريقى فى نقطة عرضها ٦ ٢٦ شمالى خط الاستواء وفيها قلعة قديمة تظهر للآتى اليها من بعد اثنى عشر ميلا تقريبا والطريق الواصل منها الى قنا مطروق بالقوافل ويسمى طريق الرصفة به جملة محطات فيها آبار عذبة الماء بعضها من عمل المرحوم الخديو محمد على باشا الكبير والبعض قديم جعلت لاستقاء المسافرين

فى

فى هذا الطريق وتقصدها على الدوام السفن الشراعية والبواخر التجارية وتكثر فيها التجارة فى زمن الحج عدد أهله نحو ٢٢٤٥ نفسا وتجارتهم فى الغلال والبن والصابون والفلفل والسجاجيد والكوفيات والمربى وغير ذلك وبها ديوان محافظة ومحل للصحة وميناء للسفن وكانت الرغبة فى القصير لقصر مسافة البحر الى الحجاز فلما كثرت السفن التجارية بهذا البحر وصارت تنقل الحجاج الى ينبع وجدة من ميناء السويس واتصلت سكة الحديد بالسويس تحولت الرغبة الى السويس بسبب السهولة وقال المرحوم على مبارك باشا فى الخطط القصير ميناء على بحر القلزم تبعد ثلاثة أيام الى الغرب من قوص فى مفازة وهى فرضة قوص وقال أيضا القصير هى بيرنيس المدينة القديمة التى كانت على البحر الاحمر بينها وبين القصير القديم المسمى ميوهورموس ألف وثمانمائة غلوة كما فى البيريل وفى بعض العبارات أن بينهما خمسين فرسخا وهو غير القصير الجديد المسمى عند العرب الجديدة وهو فى جنوب القديم بقليل وبين بيرنيس ومدينة قفط التى على الجانب الشرقى للنيل ٢٥٨ ميلا رومانيا وهى ٥٩ فرسخا وقال بلين ان بين قفط وبيرنيس مسافة اثنى عشر يوما وقال ايبفان ان بيرنيس فى محاذاة جزيرة اسوان والذى وضع هذه المدينة هو بطلموس فيلودولفوس وسماها باسم والدته ورتب فيها محافظة بقيت الى زمن الرومانيين ولم تزل آخذة فى العظم وكثرت فيها المتاجر الى زمن مديد اه من كتاب استرابون وقال هو وبلين أيضا انها لم تكن ميناء للسفن بل كانت فى آخر خليج أطلق عليه الرومانيون اسم طارنوس تدخل فيه السفن وبعد تفريغها ترجع الى ميناء بعيدة عنها تسمى عند الرومانيين ميناء فيوسهرموس باسم مدينة كانت هناك وكان عندها مدينة أخرى تعرف بالمدينة البحرية وكانت تلك الميناء أقرب الى مدينة قفط من بيرنيس وهذا هو السبب فى عدم جعل الميناء عليها وسمى ديودورا صقلى هذه الميناء بميناء الزهرة وذكر هو واسترابون وغيرهما أن الميناء كانت بقرب الجبل الاحمر الذى هو على مسافة ١٦ فرسخا من القصير فكانت الميناء فى جنوبه على نحو فرسخ ونصف وكان فى الميناء عمارة متسعة بعيدة عن البحر بنحو فرسخين بينها وبين البحر ثلاث جزائر الى أن قال وظن بعضهم أن مدينة بيرنيس هى القصير القديمة وان اسم القصير مأخوذ من اسم قوص لانها من أول طريقها وترد اليها بضائعها ثم تنتشر فى الجهات لكن قد علمت أن بين بيرنيس والقصير مسافة وفى خطط انطونان ان مدينة بيرنيس فى موازاة اسوان وذكر بعضهم أقرب بعد بين قوص والبحر الاحمر ٤٠ ساعة بسير الجمل وقدر الساعة ٢٠٤٠ تواره عبارة عن ٢٥٠٠ استادة مقدونية فاستنتج من ذلك أن مدينة بيرنيس هى مدينة القصير اه

سواكن – هى فرضة عظيمة ومركز حكمدارية السودان الشرقى المصرى الآن يقيم بها محافظ عموم سواحل البحر الاحمر واقعة على ساحل البحر الاحمر فى عرض الدرجة ١٩ والدقيقة ٩ شمالى خط الاستواء والدرجة ٣٧ والدقيقة ٣ من الطول الشرقى لخط نصف نهار غرنويج وبينها وبين بربر طريق مطروق وفرضتها من أشهر فرض السودان التجارية يوجد فيها مخزن لحفظ الفحم الحجرى مبنى بجزيرة الشيخ عبد الله قبالة مركز المحافظة بقرب الميناء التى ترسو بها الوابورات وميناء سواكن عميقة حصينة محفوظة من تسلط الارياح مدخلها صعب العبور لما به من الشعوب ويرد اليها كما يصدر منها عموم التجارة السودانية ولهذا كانت تمر عليها أكثر البواخر التجارية ويتردد

عليها كثير من السفن الشراعية وترسو عادة البواخر الكبيرة بالجهة الشمالية من المكان المعروف بالشيخ عبد الله على عمق يختلف بين ٦ و ٨ قامات وقسم من هذه المدينة واقع على جزيرة صغيرة والقسم الآخر فوق القارة والمدينة محاطة بيعض طوابى لحمايتها من الطوارئ وهى تبعد عن جدة بنحو ٣١٠ كيلومترات الى الغرب وعدد نفوسها ١٠,٠٠٠ ولها تجارة متسعة فى الصمغ والسمسم والجلود وسن الفيل وريش النعام والقطن والبن الحبشى وشمع العسل والزباد والسمن والبرش والمواشى وشرب أهاليها من الآبار وفيها الآن آلة استكرير الماء ولكثرة تجارتها وأهمية موقعها امتد منها خط تلغرافى تحت البحر ويتصل بعدن ويكثر فى سواحلها صيد اللؤلؤ

مصوع - فرضة مصرية أضيفت الى الخديوية المصرية بفرمان صدر من المرحوم السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٣ مدة المرحوم الخديو اسماعيل باشا وهى واقعة بالشمال الشرقى من بلاد الحبشة على بحر القلزم مشيدة فى جزيرة تتصل بالبر بجسر طوله ١٨٠٠ متر أنشئ فى زمن الخديو المذكور (١٢٩٠ ﻫ) وعرضه عشرة أمتار وهى ميناء أمينة عامرة بها جملة أسواق ويقيم بها كثير من تجار الهنود والعرب وتجارتها تنحصر فى الجلود والصمغ والسمن والعسل والشمع وغيرها ومن مصنوعاتها الحلى المستعمل عندهم والاسلحة المعروفة لهم كالسيوف والحراب والنبل وأنواع من منسوجات الصوف وأشرطة من الجلد تشد على الاسرة والحصر والمشنات والفخار وقد كانت سابقا صغيرة فاتسعت وزاد عدد سكانها حتى بلغوا نحو ٤٠٠٠ نفس وبها جامعان بمنارتين أحدهما يعرف بجامع الشافعى والآخر بجامع المالكى وبها قلعة قديمة على رأس الجزيرة من جهة الشرق وبداخلها عدة صهاريج قديمة تملأ وقت الامطار وكان فى نية الخديو المذكور مد طريق حديدى منها الى الخرطوم مارا بأعمر البلاد الموجودة جنوبى السودان الشرقى مثل كسلة التى كانت قاعدة الحكمدارية وقتئذ لاسيما وأراضى سنهيت والغضارف والقلابات الواقعة فى شمالى الحبشة موافقة جدا لمد الطرق الحديدية فلم تساعده المقادير ومصوع أشهر وأقدم الفرض فى ساحل الحبشة ومركز عمومى لتجارة الهند واليمن ومينا ها حصينة تسع كثيرا من السفن ولا تخلو فرضتها يوما ما من السفن الشراعية الاهلية لكثرة ترددها عليها فلذلك كانت المواصلات بينها وبين باقى ثغور البحر الاحمر والهند متصلة على الدوام ولما أشارت الدولة الانكليزية على الحكومة المصرية بترك السودان وجعل الحدود عند وادى حلفاء وصدر أمر الخديوى بذلك سنة ١٨٨٣ سمحت انكلترة بعد سقوط الخرطوم لايطاليا باحتلال زيلع أو مصوع أو بيلول فاحتلت مصوع فى ١٩ ربيع الثانى سنة (١٣٠٢ ﻫ ٨ نوفمبر ١٨٨٤ م) ولما احتلها الطليانيون اتسعت بها العمارة وقصدها التجار وبنت حكومة ايطاليا فيها ثكنات ومبانى لجنودها وعمالها فصارت الآن فى هيئة تعادل بعض مدن أوروبا

زولا - هى بلدة جنوبى مصوع تبعد عنها ثمان ساعات بسير الجمل يقال انها اتخذت ميناء من مدة اليونان وانهم شيدوا بها هيكلا جسيما وكانت ميناء شهيرة زمن البطالسة على شاطئ البحر الاحمر وفرضتها تسع عدة سفن ولما حاربت الحكومة الانكليزية الحبشة سنة ١٨٦٨ اتخذتها مركزا لسفنها وكانت أيضا تابعة للخديوية المصرية بالفرمان السلطانى الذى أخذت فيه مدينة مصوع كما سبق

الطور

تاجوره - فرضة على خليج عدن وهى على ساحل بلاد شوا وجنوبى الحبشة بالقرب من الجون المسمى قبة الخراب ومن هذه الفرضة خرج مونسنجر باشا بالجنود المصرية الذين دخل بهم الحبشة من بلاد شوا سنة ١٨٨٥ م وقتل هو وجيشه على مقربة منها كما سنفصله فى محله

زيلع - فرضة عظيمة واقعة على خليج عدن وهى ميناء مدينة هرر قاعدة بلاد السومال وكانت تابعة لمصر من القديم وسميت زمن البطالسة موسيلون (Mosyllon) موقعها فى ٢٢ ١١ عرض شمال خط الاستواء ٢٠ ٢٧ - ٤٣ شرقى خط نصف نهار غرنويج سكانها لا يزيدون عن ٥٠٠٠ نسمة أضيفت هى وتوابعها الى الاملاك الخديوية بالفرمان السلطانى الصادر فى جمادى الثانية سنة ١٢٩٢ ه وعقب ذلك أرسل المرحوم الخديو اسماعيل باشا تجريدة تحت قيادة رؤف باشا وفتح مدينة هرر وتجر هذه المدينة فى البن والجلود والماشية وقد ذكرت فى كتب العرب قال ابن بطوطه وهى مدينة البربر وأهلها سودان شافعية وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أو أكثر أما زيلع نفسها فهى مدينة كبيرة الا انها أقذر مدينة فى المعمورة وأنتنها لكثرة سمكها ودماء ما ينحر بها من الجمال وقال ياقوت زيلع جيل من السودان فى طرف أرض الحبشة وأرضهم تعرف بالزيلع فيها سوق يجلب اليها المعزى من بلاد الحبشة فتشترى جلودها وترمى أكثر مسالخها فى البحر وزيلع بالعين المهملة قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش حدثنى الشيخ وليد البصرى وكان ممن جال فى البلدان قال وأكثر معيشة أهلها من الصيد وعندهم نوع من الخشب يطبخونه ويستخرجون منه ماء ثم يعقدونه كانه الزفت فان أكل منه الرجل لا يضره فان جرح موضع بعقدار غرز الابرة وترك فيه أهلك صاحبه وذلك أن الدم يهرب من ذلك الجسم حتى يصل الى القلب ويجمع فيه فيفجره فاذا أراد أحد اختباره جرح برأس الابرة ساقه فاذا سال منه الدم قرب ذلك السم منه فانه يعود طالبا لموضعه فان لم يبادره بقطعه من أوله قتله وهو من العجائب وهم يجعلون منه قليلا فى رأس السهم ويتوارون فى بعض الاشجار فاذا مرت بهم سباع الوحوش كالفيل والكركدن والزراف والنمر يرشقونه بذلك السهم فاذا خالط دمه مات لوقته فيأخذون جلودها وما منها ذو قيمة فى التجارة اه ولما صدر الدكريتو الخديوى فى سنة ١٣٠١ ه ١٨٨٣ م بترك السودان انسحبت العساكر المصرية من هرر وزيلع واستولى الحبش على هرر وقتلوا كثيرا من سكانها وكانت قبل استيلاء مصر عليها مملكة اسلامية مستقلة واستولى الانكليز على زيلع (١٨٨٥ م) وفى مرفأ زيلع صخور كثيرة ولكنها أمينة ويتردد عليها كثير من السفن الشراعية التجارية وبعض البواخر ولها مواصلات مستمرة مع مدينة عدن وباقى سواحل العرب فيناؤها لا تخلو من المراكب فى جميع فصول السنة

بربرة - هى فرضة تجارية شهيرة فى شرقى افريقية مقابل عدن واقعة الى الجنوب من زيلع وكانت تسمى قديما مالى سكانها ١٢,٠٠٠ نسمة ويقام بهذه المدينة وبزيلع أسواق موسمية تجارية فى فصل الشتاء تقصدها التجار من بلاد عديدة وتقصد هذه المدينة القوافل من جميع بلاد السومال والسودان القريبة منها بجميع السلع وتصدر منها الماشية والجلود والبن والمر وريش النعام والعاج والصمغ العربى وغير ذلك قال أحمد رفعت أفندى فى كتابه اللغات التاريخية

والجغرافية ما ملخصه ان بربرة مدينة مركزية للصومال فرضتها شهيرة قبالة عدن وكانت قديما ذات تجارة واسعة فى الرقيق والبن وغيرهما ويقام بها أسواق موسمية وأخيرا تركتها الدولة العلية هى وأراضى عادل وزيلع للادارة المصرية وبذلك تمكنت مصر من ادخال هرر تحت طاعتها طوعا اه وبهذا الاستيلاء اتسعت أملاك مصر فى تلك الجهات حتى اتصلت ببحر الغزال وقد اهتم الخديو الاسبق اسماعيل باشا بهذه المدينة لكثرة تجارتها ونصب عليها أول محافظ مصرى وهو رضوان باشا البحرى فأخذ فى بناء جملة مبان للحكومة منها الجرك والجامع والمحافظة والشكنات العسكرية وأجرى اليها الماء العذب فى أنابيب من مسافة بعيدة فكثرت فيها العمارية ولما صدر الدكريتو باخلاء السودان سنة ١٨٨٣ م احتلتها الجيوش الانكليزية التى حضرت اليها من عدن بعد عودة حاميتها المصرية كما احتلت غورى وزيلع وغيرها من الاملاك المصرية هنالك

الفصل الثالث

(تاريخ مصر القديم)

تمهيد - لا يخفى أن أكثر المؤرخين الذين كتبوا فى تاريخ مصر استمدوا أخبارهم عنها من الآثار المصرية كالكتابات البربائية أو الهيروغليفية والمبانى المختلفة ومما وصلهم من الاقوال المنقولة عن تاريخ مصر الذى ألفه باللغة اليونانية القسيس المصرى مانيتون فى حوالى سنة ٢٥٠ ق م لان نسخته الاصلية قد صالت عليها يد الدهر فاخفتها ضمن ما خفى من كتب الاولين ومما وصفه المؤرخ هيرودوت (١) اليونانى فى كتابه الذى كتبه بعد أن وفد على مصر سنة ٤٥٠ ق م ومما قاله المؤرخ الشهير ديودور الصقلى (٢) اليونانى فى كتابه الذى كتبه بعد سياحته فى مصر سنة ٨ ق م وقد شرح فيه جغرافية مصر بطريقة أفادت أرباب الفن ومما قاله المؤلف بلوتارك الذى كتب باللغة اليونانية عن ديانة المصريين القدماء وآلهتهم سنة ٩٠ بعد الميلاد أما ما يخص تاريخها الحديث فقد ورد فى كتب العرب والعثمانيين والاوروباويين أقوال كثيرة اقتطفنا منها أصحها رواية وأقواها سندا وقد قسمنا تاريخها القديم الى خمس طبقات والحديث الى دول أما طبقات القديم فهى الطبقة الاولى أو عصر الجاهلية الاولى ويمتد من العائلة الملوكية الاولى الى الحادية عشرة من سنة ٥٦٢٦ الى سنة ٣٥٢١ قبل الهجرة والطبقة الثانية أو عصر الجاهلية الوسطى ويمتد من العائلة الملوكية الحادية عشرة الى الثامنة عشرة من سنة ٣٥٢١ الى سنة ٢١٦٠ قبل الهجرة والطبقة الثالثة أو عصر الجاهلية الاخيرة ويمتد من العائلة الملوكية الثامنة عشرة الى الحادية والثلاثين من سنة ٢١٦٠ الى سنة ٩٥٤ ق ه والطبقة الرابعة عصر اليونانيين ومدة البطالسة من سنة ٩٥٤ الى سنة ٦٥٢ ق ه والطبقة الخامسة عصر الرومان من سنة ٦٥٢ ق ه الى سنة ١٨ هجرية ومن وقتئذ ابتداء حكم الاسلام وأوله دولة الخلفاء ثم الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية والدولة الفاطمية

(١) هيرودوت مؤرخ شهير اغريقى ولد بمدينة هاليكارناس من آسيا الصغرى ولقب بابى التاريخ ويعتبر المؤرخون كتابه على ما فيه من الغلطات أحسن وأنفس وأصدق ما ألف فى الازمنة القديمة عاش من سنة ٤٨٤ الى ٤٠٦ ق م

(٢) مؤرخ اغريقى عاصر الامبراطور أغسطس وله مؤلف شهير فى التاريخ العام

والدولة

والدولة الايوبيـة ودولة المماليك والدولة العثمانية الى عصرنا الحاضر وقد جرت عادة المؤرخين أن ينسبوا كل عائلة للمدينة التى اتخذتها قاعدة لها هذا ان كانت وطنية أما ان كانت أجنبية فتنسب الى البلاد التى خرجت منها أو الى جنسها

﴿ الطبقة الاولى أو عصر الجاهلية الاولى ﴾

٥٦٢٦ - ٣٥٢١ ق ه

ورد فى الآثار المصرية القديمة أن المصريين كانوا يعتقدون ان أول من حكمهم ثلاث دول من المعبودات حكموا على التوالى مـدة تبلغ ١٢٣٠٠ (١) عام وأن مدينة طينة أو تينى التى بالوجـه القبلى كانت دار ملكهم ومركز الحكم والعلم والديانة عندهـم وقال بعض المؤرخين ان هؤلاء المعبودات حكموا مصر نحو ٥٧٣٠ عاما قبل الملك منا أى مصرايم وكانوا يدعون حورشسو وهـم الكهنـة خـدمة المعبود حور والى الآن لم يتحقـق أمر هؤلاء الملوك وكذا لم يمكن تعيين زمنهـم الا بالتقريب المشكوك فى صحته جدا والمعول عليه فى تاريخ مصر هو الدول التى تشكلت بعد نزول المصريين وسكناهـم حول النيل بعـد الطوفان أما أسماء الملوك وعدد سنى تسـلطنهم على رواية المؤرخ المصرى مانيتون فلم تكن جميعـها متتابعـة ملكا بعد آخر بل كان هناك ملوك كثيرون متعاصرون منهم من كان مستقلا باقليم ومنهـم من كان منفـردا بمقاطعـة أخرى وسموا جميعا بالفراعنة جمع فرعون وهى كلمة مصرية أصلها (فارع) ومعناها نور الشمس كما رواه بعضهم وقد عد المؤرخون العائلات الملوكية التى حكمتها قبل فتوح الاسلام فكانت ثلاثين عائلة

العائلة الاولى - ومدتها ٣٠٥ سنوات وتسمى بالعائلة الطينية نسبة الى مدينة قديمة قرب ابيدوس المعروفة الآن بالعرابة المـدفونة وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ ابتـداء حكمها وأول ملوكها بالاتفاق هو منا أو منيس أو مصرايم وأصـله من مدينـة الطينة المذكورة وهو الذى أسس مدينة منف وأحاطها بجسر يعرف الآن بجسر قشيشة وجعلها دار ملكه وكان مصرايم هذا معتبرا بين شـعبه ومهيبا عندهم حتى انهم عبدوه كاله وقال هيرودوت انه بنى هيكل مفتاح و وضع للعبادة نظاما مخصوصا وكان بطلا فى الوغى حارب الليبيين وقال غيـره انه حول النيل عن مجراه الاصلى وأصلح أحوال الرعية بتحسـين الزراعة ونظم القوانين والاحكام وكانت مـدة حكمه نحو ٦٢ سنة ومن أنبا مونه انه ابتلعه تمساح وخلفه ابنه اتوثيس و يقال انه تولى على مصر العليا فى أيام أبيه مدة ٣٠ سنة وحكم بعده ٢٧ سنة وهو الذى شرع فى تحسين مدينة منفيس و بنى فيها الهياكل والقصور وأسس القصر الملوكى وألف عـدة كتب فى التشريح و يقال ان فى أيامـه كان ملوك الدولة الثانية والثالثة متسلطين على بعض أطراف المملكة ومن أشهر ملوك هذه العائلة ونفس الاول و ينسب اليه بناء هرم كوخوم أو كوكمه القريب من سقاره وهو أول هرم بنى بمصر

(١) غير خاف انه لم يكن للمصريين مبدأ يؤرخون به وكذا جميع الامم البائدة ولهذا اختلف المؤرخون اختلافا بينا فى سنى العائلات والدول أو ردوها على سبيل التقريب حتى انك ترى الفرق عند البعض يبلغ الالف سـنة بالزيادة أو بالنقص وقد تبعنا فى هذا المؤلف طريقا وسطا ولم نرتكب شططا واعتمدنا على كتاب حضرة الفاضل أحمد كمال بك فى تاريخ مصر وعنه خصوصا لخصنا بعض الاقوال المختصة بتاريخ مصر القديم

العائلة الثانية الطيبية — ومدة حكمها ٣٠٢ من السنين وكان بين ملوك هذه العائلة و بين الملك مناقرابة ولم يعثر الباحثون على آثارها للآن وقال مانيثون انه لما استولى الملك بوتوس نزل على مدينة بو بست (تل بسطه) سخط من السماء خسف به الارض ومات فيها خلق كثير وذكر هذه الحادثة أيضا مؤرخو العرب وفى مدتها أخذ المصريون يعبدون الحيوانات المقدسة كالثور أبيس بمنفيس ومن أحد ملوكها قانونا جوّز فيه للنساء الجلوس على سرير الملك لحصر الملوكية فى العائلة المالكة و يقال ان ثالث ملوك هذه العائلة المدعو بوسيريس أو بتيوتريس هو الذى بنى مدينة طيبة وجعلها التخت الثانى بمصر و يسمى آخر ملوك هذه العائلة خينمرس او حوتفا وهو آخر نسل منا

العائلة الثالثة المنفيسية — ومدتها ٢١٤ سنة وقد تقدمت العلوم والصنائع والفنون فى مدة هذه العائلة وأتقنت الكتابة واتسعت الثروة ومن آثارها الباقية التمثال العجيب المسمى بابى الهول و يسميه المصريون حورمخى (١) أى شمس الافق وتسميه الفرنج اسفنكس وهو عبارة عن صخرة هائلة نحتت على شكل حيوان برأس آدمى وجثة سبع وكان على رأسه كتابة محيت بتقادم الاعصار ولم يزل تاريخ هذا التمثال مجهولا الى الآن رغما عن شدة البحث والتنقيب وآخر ملوك هذه الدولة يدعى سنفرو (كرفريس) وفى مدته ثار عليه سكان جبل الطور وتعدوا على حدود مصر فقاد جيشا وحاربهم وقهرهم واستولى على أرضهم وشيد فيها قلاعا وحصونا و بنى أبوابا وعين من قبله رجالا يستخرجون له منها النحاس والفيروزج وقد رسم نفسه هناك فى صخرة بوادى مغارة ولما عاد الى مصر من هذه الغزوة شيد فى حدود مصر البحرية حصونا وقلاعا بقيت الى زمن العائلة الثانية عشرة

العائلة الرابعة المنفيسية — ومدتها ٢٨٤ سنة اشتهرت مصر أيام ملوكها بما شيدوه من المبانى العجيبة التى لا مثيل لها منها اهرام الجيزة ومن مشاهير فراعنتها الملك سوريس وسوفيس الاول (خوفو) وهو بانى الهرم الاكبر (٢) وخفرع وهو صاحب الهرم الثانى ومنقورع (رتوئيسس) وهو صاحب الهرم الثالث والاهرام قبور لملوك مصر وعظمائها قال المرحوم على مبارك باشا فى الخطط الجديدة الاهرام بفتح الهمزة جمع هرم مثل سبب وأسباب وأصل الهرم أقصى الكبر كما فى القاموس ومنه اشتق الهرم للطاعن فى السن وقال وقد انفردت مصر بهذه الاشكال فليس لها فى غيرها مثال اهـ وقال ماريت باشا أما الاهرام فتبعد عن النيل بقدر ثمانية كيلومترات وثلثمائة متر و بناؤها من أغرب الاشياء حتى ان قدماء اليونان وغيرهم جعلوها أول

(١) الاسفنكس أو أبو الهول هو صورة على شكل سبع له رأس آدمى اشارة الى القوة والعقل وجعل المصريون رمز الكثير من الملوك المصورة أجسامهم على شكل سبع و يبلغ طول هذا التمثال تسعة عشر مترا وثمانين سنتيمترا وطول أذنه متر واحد و٩٧ سنتيمترا وطول أنفه متر واحد و٧٩ سنتيمترا واتساع فمه متران و٣٢ سنتيمترا وعرض وجهه من نتو الخد الى مثله أربعة أمتار و١٥ سنتيمترا وهو على ما به من العظم الجسيم كما عملته كانت صورته فى غاية التناسب والاحكام فهو من أبدع ما صوره المصريون ومن أعظم الادلة على تقدمهم فى العلوم والصنائع

(٢) ارتفاع الهرم الاكبر ١٤٦ مترا ونصف وطول كل ضلع من قاعدته ٢٢٧ مترا ونصف متر أما زاوية الميل فى جميع الاهرام فهى ٤٥ و٥١ وارتفاع الهرم الثانى ٤٤٧ قدما انكليزيا وعرض قاعدته ٦٩٠ قدما وعلو الثالث ٢٠٣ أقدام وعرضه عند قاعدته ٥٣٢ قدما

العجائب السبعة اه قال لبسيوس كان الملك عند المصريين متى تبوأ تخت الملك أخذ يبنى هرما فيختار المكان وتمهد الارض بصخر صلد ويثقب على طريق مائل ويصنع على طرف ذلك الثقب مخدع مستطيل السطوح بقصد أن يكون مدفنا لجسد الملك بعد موته ووضعه فى تابوت ويقيمون فى الموضع الممهد بناء صغيرا مدرج الظاهر فان اتفق أن مات الملك عند ذلك وضعوا التابوت الذى فيه جثته فى ذلك البناء وملؤا ما بين الدرجات فى ظاهره بحجارة هرمية حتى تستوى جدرانه فيصير البناء هرما صغيرا وان بقى الملك حيا الى السنة الثانية بنيت طبقة ثانية من الحجارة على جوانب ذلك الهرم الاربعة ويبنون طبقة ثالثة كذلك فى السنة التالية وهكذا ما دام الملك حيا لكن الطبقات تصغر سنة فسنة ومتى مات الملك كفوا عن بناء طبقة أخرى كما ذكر ويكملون الهرم اما بدرجات تملأ بقطع مناسبة من الحجر أو بأن يزيدوا طبقة أخرى من الحجارة ويهذبوا ما نتأ منها حتى تستوى جوانب الهرم ومن البديهيات أن مثل تلك القبور بنيت لتبقى الى الابد وتقوى على التغيرات الجوية والحوادث الطبيعية اه وكان الملك خوفو المذكور من رجال الحرب حيث وجد مصورا فى وادى مغارة وهو يقاتل طائفة بنى عون وهم قبيلة من عرب البوادى كثيرا ما كانوا يتعدون على حدود مصر الشرقية ومن آثار هذه العائلة أيضا الايوان الغربى الموجود بمعبد فتاح بمنفيس وهو أعظم ايوان مزين بالصور والنقوش الغريبة والاشكال العجيبة

العائلة الخامسة — ومدتها ٢١٨ سنة وهى اسوانية وكانت قاعدة ملكها جزيرة أسوان وعدد ملوكها تسعة وأشهرهم أسركاف وسفرس (سحورع) ونفرا كريس (نفرفرع) ولم تعلم لها آثار الا الهرم الذى بسقارة المنسوب الى آخر ملوكها المسمى أوناس أو أنوس ولما فتح وسنة ١٨٨١ م لم يجدوا فيه سوى تابوت الملك وهو من المرمر الاسود وغطاؤه ملقى بعيدا عنه وكذا بعض أعضاء الملك وعظامه مع قطع من أكفانه ووجد فى وسط الحجرة حفرة حفرت للبحث عن الدفائن قال أحمد بك كمال فى العقد الثمين قد وجد فى الصحيفة المصرية القديمة المحفوظة فى انتيقة خانة تورينو بايطاليا ان الملك أوناس كان هو المتمم للقسم الاول من طائفة الفراعنة اه

العائلة السادسة — ومدتها ٢٠٣ سنوات وهى أسوانية أيضا وفى مدتها انحطت مصر عن درجتها وضعف أمر منفيس وثارت بلاد النوبة وكذا بعض قبائل سوريا ولما تولى أحد ملوكها المدعو مرنرع الاول (مثه سوفيس الاول) أمر وزيره أونا بان يبنى له هرما وأرسله فى سفن لجلب الاحجار فذهب ومعه سفينة حربية وهى أول سفينة حربية صنعت بمصر على ما نعلم ومن ملوك هذه العائلة نيتوكريس (نيتاقرت) وكانت من أجمل نساء عصرها وأفضلهن قيل كان لها أخ قتله بعض رجال دولتها بغضا وحسدا فانتقمت منهم بان أقامت لهم وليمة فى محل بنته تحت الارض وكان له وصلة الى النيل فلما تكاملوا فيه وانهمكوا فى الاكل والشرب أمرت بان ينساب عليهم ماء النيل ففتحت الوصلة المذكورة فماتوا عن آخرهم ثم قتلت نفسها مخافة أن يبطش بها من تحزب للمقتولين ويقال انها هى التى أتمت الهرم الثالث الذى تركه منكورع ناقص البناء واتخذت لها فيه محلا دفنت فيه

أما العائلات التى أتت بعد هذه العائلة الى العائلة الثانية عشرة فامرهم مجهول بالمرة وربما

كان لهم آثار مدفونة تحت الارض لم يقف عليها الباحثون للآن ويعلم من الآثار وأقوال المؤرخين أن مصر فى تلك المدة كانت فى حالة ضعف واضطراب واختلال وتفرقة وأشهر عمل حدث فى تلك الحقبة العصرية اهتمام الملك سعنخ كارع آخر ملوك الدولة الحادية عشر الطيبية فى ترتيب المواصلات بين مصر وبلاد العرب ونقش ذلك على حجر فى دارى مغاره فترجم شاباس ذلك فكان ان حنو هو أول من فتح الطريق الموصل من قفط الى بلاد العرب بأمر الملك سعنخ كارع وجعل فيها خمس محطات وعيونا للماء فكانت سببا الترتيب المواصلات فيها وسلوكها القوافل التى كانت تأتى بالبضائع والسلع من بلاد الهند والعرب الى مصر واستمر هذا الطريق كذلك الى عصر اليونان والرومان اه

الفصل الرابع

(الطبقة الثانية أو عصر الجاهلية الوسطى)

٣٥٢١ — ٢١٦٠ ق ه

العائلة الثانية عشرة — ومدتها ٢١٣ سنة وتعرف هذه العائلة بالطيبية وملوكها ثمانية أولهم امنمعت الاول وتسميه اليونان أمنمس وكانت مصر فى مدته فى راحة وسلام واعتنى بأمر سكانها وحاول بعضهم قتله فى سنيه الاخيرة ولكن لحسن حظه نجا من الهلاك وقد أشرك هذا الملك ابنه اوسرتسن الاول معه فى الملك ولما رآه متكبرا كتب له كتابا ينصحه وينهاه فيه عن هذا الخلق الذميم وغيره [1] وبعد موته خلفه ابنه أوسرتسن الاول وهو صاحب المسلة القائمة للآن بالمطرية وطولها عشرون مترا و٢٨ سنتيمترا قال الفاضل أحمد أفندى نجيب فى كتابه الاثر الجليل رأى عبد اللطيف البغدادى فى سياحته بمصر سنة ١١٩٠ ميلادية جملة آثار بالمطرية منها مسلتان متوجتان من نحاس كالقمع تنجرا وسالا على بسيطهما وقال محمد بن ابراهيم الجزرى فى تاريخه وفى رابع شهر رمضان سنة ٦٥٦ ه وقعت احدى مسلتى فرعون التى بارض المطرية فوجد داخلها مائتى قنطار من نحاس وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار وقال فى موضع آخر ويستفاد من دقة صنعتها ووضعها على نصابها أنهم كانوا يستعملون وسائط ميكانيكية ولهم أعظم يد فى الهندسة وصبر على مباشرة الاعمال الجسيمة اه وشيد أحد أمراء هذا الملك المقبرة العجيبة التى فى بنى حسان بمديرية المنيا وبين الصور والنقوش التى عليها مشهد يشبه دخول سيدنا يعقوب مصر حتى ظن بعض المؤرخين ان أوسرتسن الاول هو فرعون يوسف عليه السلام ولكن المدة التى وجد فيها سيدنا يوسف لاتوافق عصر هذا الملك وسيأتى التنبيه عليها ولا يستبعد أن يكون ذلك مشهد دخول سيدنا ابراهيم الخليل بن تارح عليه السلام لانه بعد أن خرج ابراهيم من النار وآمنت به زوجته سارة وهى ابنة عمه هاران فارق ابراهيم ومن آمن معه قومهم وهاجروا الى حران وأقاموا بها مدة ثم سار ابراهيم الى مصر وصاحبها

(١) اسمع قولى يابنى حيث أصبحت حاكما على الاقاليم الثلاثة وهى الوجه البحرى والقبلى والنوبة فيلزمك أن تقتدى بأحسن ما كانت تفعل أسلافك وأن تحافظ على حسن النظام بين رعيتك حتى لاترجف منك قلوبهم ولاتكن فى معزل عنهم ولاتعجب بنفسك ولاتقتصر فى المصاحبة على الغنى والشهير دون المسكين والفقير ولاتبادر بتقريب الوافد اليك لان ضمائره غير مختبرة لك اه ورقة سالير

فرعون

فرعون قال أبو الفداء وكان اسمه سنان بن علوان وقيل طوليس فذكر جمال سارة لفرعون المذكور فأحضر سارة اليه وسأل ابراهيم عنها فقال هذه أختي يعني في الاسلام فهم فرعون المذكور بها فأيبس الله يديه ورجليه فلما تخلى عنها أطلقه الله تعالى ثم هم بها فجرى له كذلك فاطلق سارة وقال لا ينبغي لهذه أن تخدم نفسها ووهبها هاجر جارية لها فأخذتها وجاءت الى ابراهيم ثم سار ابراهيم من مصر الى الشام وأقام بين الرملة وايليا اه وهذا التاريخ يقرب من زمن مجيء ابراهيم الى مصر ويطابق ما أورده مؤرخو الفرنج الذين يرتكنون على ما جاء في التوراة وهو أن اليهود من نسل ابراهيم الذي دعي سنة ١٩٢١ ق م لان يترك قبيلته وأرض ميلاده وبيت أبيه ووعد بأن المسيح يأتي من نسله وتسمى اليهود عبرانيين من عابر والاسرائيليين من يعقوب الذي دعي اسرائيل أيضا ويهودا من يهودا بن يعقوب وهو جد يهوذا الذي كان له التقدم بين الاسباط الاثنى عشر ثم ان يعقوب وبنيه وعيالهم وهم سبعون نفسا انحدروا من أرض كنعان الى مصر سنة ١٧٠٦ ق م واستعبد المصريون نسلهم مدة ٢١٥ سنة وقد أشرك أوسرتسن الاول ولده امنمعت الثاني معه في الملك ولما مات واستقل ابنه بالحكم كانت أيامه كلها حروبا مع الايتيوبين ثم مات وخلفه أوسرتسن الثاني وهو الذي شيد عند الشلال الثاني قلعة سمنة الباقية آثارها للآن وعندها كتابة معناها منع السودان من تعدي هذا المكان مالم يأتوا في مراكب المعز والثيران وغيرها من الماشية ويظن أن السفينتين اللتين وجدتا في دهشور ونقلتا الى متحف الجيزة وتقدم الكلام عليهما في مقدمة هذا الجزء صنعتا في أيامه وخلفه في الملك امنمعت الثالث وقد اهتم هذا الملك أكثر من سلفائه ملوك هذه العائلة بالاعمال النافعة العائدة على مصر والمصريين بالسعادة والثروة ولما كان من المحقق أن سعادة مصر وشقاءها متوقفان على النيل بحيث ان فيضانه لا يكون زائدا عن حده فيغرق البلاد ولا ناقصا عنه فتجدب الارض اهتم هذا الملك في عمل ما يدفع به هذين الخطرين الشديدين عن ديار مصر فأنشأ لذلك بحيرة عظيمة بوادي الفيوم ليخزن فيها ماء النيل الى وقت الحاجة وأقام حولها الجسور والسدود وجعل لها ترعتين احداهما لتجلب اليها ماء النيل وهي بحر يوسف والثانية لتصرف منها ما زاد متى كان الفيضان قليلا وتعرف هذه البحيرة عند اليونان ببحيرة موريس ومكانها الآن وادي الريان ومن أعظم أعماله أيضا قصر اللابيرنت البديع الصنعة وكان بالفيوم أيضا قرب البحيرة المذكورة زاره هيرودوت وأعجب به جدا وينسب الى اوسرتس الثالث تأسيس مدينة الكرنك في بلاد الصعيد وافتتاح بلاد الحبشة وآخر ملوك هذه العائلة يسمى امنمعت الرابع وقيل سبك نفرورع

العائلة الثالثة عشرة الطيبية والعائلة الرابعة عشرة السخاوية – ومدة الاولى ٤٥٣ سنة والثانية ١٨٤ سنة تقريبا – لم يذكر مانيثون هاتين العائلتين في جدوله فلهذا تعسر الوقوف على تاريخهما حتى عثر الباحثون على بعض آثارهما محفوظة بدار التحف المصرية بالجيزة وذكر ماريت باشا أن لهاتين العائلتين جملة آثار بالانتيقة خانة المصرية وبخزائن التحف باوروبا ولها تماثيل هائلة بجهة سان ونقوش ببعض النواويس القديمة باسيوط التي كانت تعرف في كتب اليونان باسم ليكوبوليس (Lycopolis) أي مدينة الذئب لانهم كانوا يعبدونه بها وانقراض العائلة الاخيرة منهما نشأ عن عصيان الرعية على آخر ملوكها وفي مدتها كانت الاحوال مختلفة بمصر حتى أدى ذلك لتغلب العمالقة عليها

استيلاء العمالقة او الرعاة على مصر ومدته ٥١١ سنة — لايخفى أن افتتاح الرعاة بلاد مصر كان من الحوادث الكثيرة الاهمية فى تاريخ مصر وقد اختلف المؤرخون فى أصل هؤلاء القوم فبعضهم يجعلهم من الامة العبرانية وبعضهم يقول انهم من أهل فينيقية ولكن هذه الاقوال لاتنطبق على هيئة أشكالهم المرسومة على الآثار المصرية لانهم كانوا يصورون على الاعمدة والصخور كشعب موسومة أجسادهم بالوسم الازرق متشحين بجلود غنم فهذه الاشارات تدل على أمة عربية لاعلى شعوب عبرانية أوفينيقية وقال عنهم ماريت باشا ان قبائل الهكسوس يعنى العمالقة كانوا أخلاطا من العرب وأهل الشام وأكثرهم من الكنعانين كما ذكره مانيثون وكانت أكبر قبيلة حاكمة عليهم تسمى بالقلم الهرمسى خيتا وفى التوراة حيثين وفى تواريخ العرب عمالقة وقد دخلوا مصر من آسيا أتوا من جهة الشمال الشرقى واستولوا على الوجه البحرى تحت راية الوليد بن دومع وهو الذى يسمى عند اليونان سلاطيس فحارب مصر السفلى والوسطى وتغلب عليهما ولما استقر فى الملك أحرق المعابد وخرب الهياكل وبنى القلاع والحصون وشحنها بالمقاتلة ومهمات الحرب خوفا من هجوم المصريين وغيرهم من الطوائف الاجنبية على البلاد واتخذ مدينة منفيس تختا المملكته واضطر ملوك مصر أن يهاجروا مع جماعة من رعيتهم الى الصعيد وحكموا هناك بمدينة طيبة مقر الفراعنة وفى ذلك الوقت صار بديار مصر مملكتان وهما مملكة الفراعنة ومملكة الرعاة المتغلبين فى منفيس ثم انتهى الامر بفراعنة طيبة الى الخضوع الى العمالقة وكانوا يدفعون لهم خراجا ويأتمرون بأوامرهم وكان المصريون يكرهونهم وينفرون منهم لقساوتهم وكثرة جورهم وفى عصر هؤلاء الاقوام تكاثر ورود أهل آسيا الى مصر فاتخذ العمالقة منهم جنودا ليكونوا لهم أعوانا عند اللزوم ولم يمض على هؤلاء العرب زمن طويل حتى تدينوا بدين المصريين وتركوا ماهم عليه من الخشونة والغلظة وشرعوا فى احياء التمدن ونشر العلوم وتعلموا لغة المصريين وعلومهم وفى عهد الريان ابن الوليد المسمى عند اليونان أبوفيس وباللسان الهرمسى رعاكن أحد ملوك الدولة السادسة عشرة وفدت السيارة التى اشترت يوسف من اخوته بعد اخراجه من الجب فباعه رئيسها الملك الى قطفير (بدوفر) وزير مصر ودخل بعد ذلك فى خدمة الدولة المصرية بعد القصة المشهورة الواردة فى القرآن الشريف ومازال يوسف عليه السلام يترقى الى أن صار عزيز مصر ثم جاء يعقوب عليه السلام وأولاده الاحد عشر فانزلهم يوسف عليه السلام جهة الشرقية وأقطعهم أرض جاشان المعروفة الآن برأس الوادى قال أبو الفداء وعاش يعقوب معهم مجتمعين سبع عشرة سنة ومات يعقوب وأوصى الى يوسف أن يدفنه مع أبيه اسحق ففعل يوسف ذلك وسار به الى الشام ودفنه عند أبيه ثم عاد الى مصر وكانت وفاة يوسف بمصر ودفن بها اه وورد فى التاريخ المسمى قطف الزهور أن دخول يوسف الى مصر كان بعد انقراض دولة الرعاة ويؤيد ذلك كلام مانيثون المؤرخ اذ يتكلم عن مدينة منف فيقول وعاش بها يوسف وتسلط على البلاد وفى زمن أقدر وأعظم فراعنة المملكة الجديدة بعد نفى الرعاة وخروجهم من البلاد اه ثم قامت حروب بين المصريين والهيكسوس بسبب مناقشات حصلت فى شأن الديانة وغيرها واستمرت أحكام البلاد فى أيديهم نحو ٢٦٠ سنة وقال بعضهم ٥١١ سنة ويصعب تعيين تاريخ مدقق لتلك الاعصار الاولية لعدم اتفاق المؤرخين

فى

فى ذلك ومازالت البلاد تحت تسلطهم ولم يتمكن المصريون من اجلائهم عنها الافى مبدإ ظهور الدولة الثامنة عشرة وتغلب احمس (اموزيس) الاول عليهم وقد أثبت المؤرخون لملوك الرعاة أعمالا حسنة فى عمارة البلاد المصرية وزيادة ثروتها فاذا قال عنهم البعض بانهم خربوا البلاد ودمروها فذلك فى أول أمرهم ومدتهم عبارة عن العائلات الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة

(الفصل الخامس)

(الطبقة الثالثة عصر الجاهلية الاخيرة)

٢١٦٠ - ٩٥٤ ق ه

العائلة الثامنة عشرة الطيبية ومدة حكمها ٢٤١ سنة وأول ملوكها يدعى احمس أو احعمس ومعناه ابن القمر وأصله من سلالة أحد ملوك العائلة السابعة عشرة وهو الذى حارب العمالقة ولما هزموه فى أول الحرب فرهاربا الى بلاد السودان وتزوج بابنة ملكها ليستعين به على طرد العمالقة ثم عاد بجيش عظيم وانضم اليه أقوام من المصريين ومازال يقاتل الهكسوس حتى هزمهم وألجأهم الى الاعتصام بقلعتهم المسماة أواريس فحاصرهم بها وورد فى بعض صحف البردى التى بالمتحف البريطانى ان أحمس هذا كان وقت حصار قلعة أواريس عند سكنترا أى رئيس الملاحين فى سفينة اسمها العجل وامتاز بالشجاعة فى عدة وقائع انتصر فيها ثم انتهت الحرب بفتح قلعة أواريس التى كانت تحت الحصار برا وبحرا فخرج منها الرعاة بشرط أن يأخذوا جميع منقولاتهم من مصر ومع ذلك فان احمس اقتفى أثرهم حتى أدخلهم قلعة شاروهن فى حدود أرض كنعان ولما هزم المصريون ملوك الرعاة استولى احمس على كل أرض مصر وقبض على أزمة الاحكام منفردا والتفت الى اصلاح مادمره الرعاة وقت الحرب فأصلح هيكل فتاح فى ممفيس وهيكل أمون رع فى طيبة ولم يبق فى مصر من عرب الرعاة الا طائفة مكثت بين الصحراء وفرع النيل الشرقى وأعقابهم القاطنون الآن حول بركة المنزلة وحرفتهم صيد الاسماك وقنص الطيور وملك احمس اثنتين وعشرين سنة وفى تلك الايام وجد كثير من صور الخيول منقوشة ومرسومة على الحجارة والصخور والمظنون أن هذه الحيوانات لم يكن لها وجود قبل دخول الرعاة الى مصر ويقال انهم هم الذين أدخلوها وملكت بعده زوجته المسماة احعمس نفرت ارى السودانية بالنيابة عن ابنها امنوفيس أو أمنحتب لصغر سنه ولما كبر وجلس على سرير الملك حصن مصر من الجانب القبلى ثم انتقل الى الوجه القبلى وعمل أعمالا تعلم من نقوش على أحجار قريبة الكاب منسوبة الى أحعمس رئيس الملاحين القائل فيها انى أحضرت سفينة الملك أمنحتب حين جهز تجريدة لقتال الاتيوبيا لتوسيع حدود مصر اه ومكث ملكه احدى عشرة سنة وملك بعده تحوتمس الاول ومن عظيم أعماله انه زحف على بلاد الجزيرة (بين النهرين) وحارب الاشوريين وفى أيامه كانت بلاد اتيوبيا منبع الثروة المصرية فتأتى منها البضائع مشحونة فى مراكب تمر بالنيل الى مصر وله عمارات عظيمة منها جزء من معبد أمون بالكرنك ومسلتان احداهما موجودة للآن فى باب المعبد المذكور ثم خلفه تحوتمس الثانى بالاشتراك مع الملكة حاتازو بنت المتوفى ولكنه مات وبقيت الملكة منفردة بالحكم وهى التى قامت بتوسيع ملكها فصنعت فى

البحر الاحمر مراكب حربية وقادتها بنفسها الى بلاد پون كاذكرناه فى المقدمة وخلفها تحوتمس الثالث وفى أيامه هجمت الجيوش المصرية على أهل الشام فأوقعت الرعب فى قلوبهم وانتصرت جنوده فى كل الحروب فاغتنت الامة المصرية بالجزية الوافرة التى أخذها من الاجانب ومن البلاد التى حلت له الجزية الحبش وسوريا وفينيقيه ومحا اسم أخته من الآثار ومن جملة آثاره المسلة التى نقلت الى الاسكندرية والمسلة الموجودة الآن فى القسطنطينية وأخرى فى رومية مكتوب عليها اسمه وله أيضا آثار أخرى عظيمة منها الرواق الملكى الموجود فى الكرنك وخلفه امنحتب الثانى فملك وقتا قصيرا وخلفه امنوفيس الثانى وكانت مملكة مصر وقتئذ فى حالة العظمة والسطوة وقد حارب الاشوريين وانتصر عليهم وفتح نينوى وفى السنة الثالثة من حكمه عاد فى البحر غانما الى مصر ووضع فى مقدم سفينته رؤس الذين قتلهم بنفسه وتولى بعده تحوتمس الرابع المذكور اسمه على اللوح الذى بين برائن أبى الهول وقام بعده أمنوفيس الثالث وبلغت صناعة النحت والبناء والتصوير فى أيامه أوج الكمال وكان من رجال الحرب العظام فاخضع كثيرا من البلاد وأخذ الجزية من أهل بلاد مابين النهرين وحكم ٥٤ سنة وخلفه امنوفيس الرابع وله محاربات مع أمم آسيا منقوشة على جدران معبد الشمس التى محلها الآن تل العمارنة القريب من منية ابن خصيب وخلفه الملك آبى وكان من عبدة الشمس أيضا وملك بعده توت عنخ آمن وله مقبرة بطيبة عليها نقوش تشخص السفن القادمة من السودان حاملة الجزية من غلال وثيران وخيول وغيرها وملكة السودانيين ورسولها قد خرجا من تلك السفن وركبت الملكة عربة جميلة تسحبها ثيران ومعها أمراؤها متواضعين أمام ملك مصر

العائلة التاسعة عشرة — أول ملوك هذه العائلة هو رمسيس الاول وكانت أحوال الامة المصرية قد ضعفت بسبب الثورات الحاصلة من تغيير ديانة المصريين الى عبادة الشمس التى دخلت مصر فى عهد الدولة الثامنة عشرة وينسب الى هذا الملك محاربة ملك الخيتا أو الحيثين وغيرهم من الامم ومات وخلفه ابنه سيتى الاول فحارب الآسيين والشاسو والعرب وهو الذى ينسب اليه توصيل النيل بالبحر الاحمر بواسطة ترعة احتفرها وكان فمها عند تل بسطه وشيد خط استحكامات شرق مصر وملك بعده رمسيس الثانى الشهير بسيزوستريس وطال ملكه زمنا طويلا وكان ملكا عظيما ظافرا كثير المغازى والغارات قد ملأ مشارق الارض بصيت فتوحاته وأرهب مغاربها بهيبة بأسه وسطواته كثرت فى زمانه الحروب وعظمت علوم مصر وتقدمت صنائعها تقدما حسنا ولم تشتهر حروب رمسيس الاكبر هذا بالكتابة فقط بل صورها مهرة المصورين فى تلك الايام بأبى سمبل وفى أماكن أخرى خصوصا صورة الواقعة الكبيرة التى حصلت فى قادش وحارب الخصمان فيها بشجاعة غريبة فترى فيها مركبات الخيتا وأحلافهم مصورة تنقلب على النهر وقد قتل فيها خلق كثير من كبار رجالهم منهم أخو ملك الخيتا وسائق مركبة ملكهم وقائد الجيش وقائد الفوارس ورسم فى احدى الصور ملك الخيليو أو الخيربيو حليف ملك الخيتا ينقذ رجاله من الغرق فى النهر وحاصل ذلك ان رمسيس توغل بالدخول بين جنود الاعداء حتى أحاطوا به من كل جانب وفى تلك الحال أخذ يدعو معبوده أمن رع فظهر له وشجعه بالكلام وأخذ بيده ونصره على العدو كما ورد عنه فى الآثار ثم

انتهت

انتهت تلك الحروب بدون أن يكون الظفر تماما لاحد المتحاربين ثم حصل الصلح والتحالف بين المصريين والخيتا وتزوج رعمسيس ابنة ملك الخيتا ثم قهر رعمسيس بعد ذلك الكنعانيين والاموريين وأهل سوريا وغيرهم وشيد جلالتها هياكل ثم أخذ فى توسيع ممالكه بالفتوحات العظيمة فجند الجنود وشرع فى التغلب على الاقطار السودانية فاستولى عليها وضرب على أهلها خراجا يدفعونه كل سنة من الابنوس وسن الفيل والذهب وكان يرسل السفن لاستحضاره ثم بعث فى البحر الاحمر عمارة بحرية مركبة من أربعمائة سفينة حربية فاستولت على سواحل هذا البحر وجزائره ومدنه وثغوره وعلى جزائر بحر الهند وجهز نظير ذلك جيشا بريا وقاده بنفسه الى بلاد آسيا ودخل به بلاد الهند ثم دخل بلاد التتار ووصل الى نهر الطونه واجتازه واستولى على جزائر بحر الروم بالاسطول الجسيم الذى ساقه فى البحر المتوسط الابيض وقال بعض المؤرخين ان رمسيس الثانى امتد ملكه من نهر الكنج فى آسيا الى نهر الدانوب أى الطونه فى أوروبا وكان كلما فتح قطرا واستولى على مملكة شيد فيها هياكل وآثارا تدل على نصراته وفتوحاته وأبقى فيها فرقة من الجنود المصرية ليستوطنوا فيها وينشروا بها ديانتهم وعوائدهم وحكم هذا الملك ٦٧ سنة وورد عن كثير من المؤرخين المعتبرين تكذيب لاغلب هذه الفتوحات بالمرة وان ما وقع منها مبالغ فيه لاسباب ذكروها وهو الذى ضيق بحيرة التمساح ومهد الطريق الموصل لاستخراج المعادن من بلاد النوبة وطهر الترع وحصن حدود الصحراء لمنع اغارة العرب على مصر وكان محبوبا لدى أمته معظم الاسم وملك بعده ولده منفتاح الاول وكان طاعنا فى السن فشرع فى تشييد المبانى العظيمة فى طيبة ولما علم أهل آسيا بصعود منفتاح على التخت ظنوا فيه الضعف لتقدمه فى السن فأرسلوا مراكبهم الحربية الى سواحل ليبيا من البحر الابيض من جهة الغرب مشحونة بالرجال من قبائل متعددة من يونان وصقليين وغيرهم وانضم اليهم مرمايو بن ريد ملك الليبيين وخرجوا من السفن وهجموا على مصر ومع ذلك فقد دلت النقوش الموجودة على الآثار أن مصر لم يدخلها عدو أجنبى منذ خروج العمالقة منها ولما أغار هؤلاء الاعداء على مصر بادر منفتاح باقامة الاستحكامات على ضفة فرع رشيد وتجنيد الجنود ولما تقدم العدو تقدم هو أيضا بجيوشه الكثيرة وهزمه واستولى المصريون على جميع آلاته ومؤناته وما كان معه وهذه هى أول واقعة حربية حصلت بين المصريين وأمم أوروبا

والذى عليه غالب المؤرخين أنه فى عصر هذا الملك خرج بنو اسرائيل من مصر مع سيدنا موسى عليه السلام بعد معجزات كثيرة وذلك للمعاملة التى كان المصريون يعاملون بها بنى اسرائيل فكانت الفراعنة يستعملونهم فى تشييد المبانى والعمارات وغيرها من الاعمال الشاقة وفى عهد رمسيس الثانى أمر بتشديد العذاب عليهم وسخرهم فى نقل الاحجار وتشييد مدينة رمسيس وغيرها مما شيده ويقال ان ولادة موسى عليه السلام كانت وقت صدور هذا الامر وقال أبو الفداء لما ولدته أمه كان قد أمر فرعون مصر واسمه الوليد بقتل الاطفال فخافت عليه أمه وألقى الله تعالى فى قلبها أن تلقيه فى النيل فجعلته فى تابوت وألقته والتقطته آسية امرأة فرعون وربته اه ولما شب أخذ يرأف بحالة الاسرائيليين وكان من أمره ما كان من الحوادث التى آل الحال فيها أن فرعون صرح لبنى اسرائيل أن يسيروا مع موسى ثم ندم فرعون وسار بعسكره حتى لحقهم عند بحر القلزم وعند ذلك أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فانشق ودخل فيه هو وبنو اسرائيل وتبعهم فرعون

وجنوده فانطبق البحر على فرعون وجنوده وغرقوا عن آخرهم وقال بعض المؤرخين ان ذلك حصل مدة منفتاح الثانى والبعض قال انه فى مدة سيتوس الثانى ومن العجب أن قدماء المصريين يكتمون حادثة غرق فرعون وينكرونها بالكلية خوفا من الفضيحة والعار فى الاجيال المستقبلة ولا عجب من كتمان المصريين هذه الحادثة لاننا نجد فى هذه الايام المتنورة من ينكرها أيضا اذ ينسبون انفلاق البحر الى حادثة طبيعية كالمد والجزر والدوربين وغير ذلك من التصورات التى لا تنطبق على ما ورد فى الكتب المنزلة وشرحه وفسره علماء الاديان

وبعد موت منفتاح الاول حصلت حروب أهلية مدة منفتاح الثانى لم يستدل على تفاصيلها للآن ولما مات منفتاح الثانى خلفه فى الملك ولده سيتوس الثانى الملقب منفتاح الثالث وكانت فى أيامه ارتباكات وقبل وفاته بنى له مقبرة عظيمة الصناعة فى بيبان الملوك وملك بعده امنمس وحدث فى أيامه اختلالات داخلية أدت الى ورود الاجانب الى مصر بكثرة وتمكنوا فيها حتى اغتاظ المصريون من ذلك ثم ملك بعده سبتاح باتفاق الوزير بابى مع زوجة سبتاح المسماة توسرت ولذا قال هذا الوزير رفعها وردعنه انى أزلت الباطل وأظهرت الحق لكونى أجلست الملك سبتاح على تخت والده ولكن استمر الخلل والاضطراب فى داخلية مصر واستقل ارزوا الفنديقى بالملك مدة طويلة وأساء معاملة أهلها ولما طرد تولى بعده سيتخت مررع فشرع فى ردع أبناء وطنه الذين حاولوا نزع الملك منه وقاتل الاجانب

العائلة المتممة للعشرين وتدعى بالرميسية ومدتها ١٧٨ سنة - وتدعى بالطيبية أيضا

وأول ملوكها رمسيس الثالث وهو آخر مشاهير ملوك مصر وفى أول حكمه خرج عليه البدو وأهالى الشام والليبيون وعدة قبائل أخرى وهم الخيتا والتروين والعموريون والتكاريون والشرتنه والسازو وغيرهم فحاربهم وانتصر عليهم ولما علم أهل آسيا الصغرى والجزائر اليونانية بهذا الحرب أرادوا الخروج عن طاعته فشحنوا أساطيلهم بالجيوش واندفعوا على مصر من جهة الدلتا وتقابلت جيوشهم وسفنهم الحربية بجيوش وسفن المصريين وحصلت واقعة هائلة انتهت بنصرة المصريين على هؤلاء الاقوام كما ذكرناه فى المقدمة وأرسل رمسيس هذا فى البحر الاحمر سفنا الى بلاد العرب لجلب خيراتها ثم أرسل تجريدة حربية الى شبه جزيرة الطور وأخضع أهلها وقبل موته أشرك معه ابنه رمسيس الرابع فى الحكم ودفن فى بيبان الملوك بمقبرة كبيرة صنعها لنفسه هناك فى مدة حياته وخلفه فى الملك ولده رمسيس الرابع فقام عليه أهل آسيا فحاربهم وانتصر عليهم وبعد ذلك فتح طريق قفط لتسهيل التجارة بين مصر و بلاد العرب وفى آخر مدة هذا الملك حصل اختلاف فى داخلية مصر فانتهز رمسيس الخامس فرصة ذلك واغتصب الملك لنفسه وكتب اسمه على الآثار بعد اسم سلفه قاصدا بذلك الانتساب الى العائلة الملوكية ولما كان يميل الى اعلاء شأن مصر والمصريين انشرحت الامة بولايته واستبشرت بطلعته حيث زادت الثروة فى مدته وأصلح المعابد ورتب بها القربان وعمرها بالعطايا وخلفه رمسيس السادس وله مقبرة عظيمة النقش والرسوم فى بيبان الملوك منقوش عليها وقائع فلكية ورموز دينية وجداول مقسمة الى ساعات وعليها مطالع الكواكب وغير ذلك من الغوامض الفلكية وقد تغلب على عدة أقاليم من بلاد السودان وخلفه رمسيس السابع ثم بعده رمسيس الثامن وليس لهما آثار ثم ملك رمسيس التاسع وله بعض أحجار فى معبد خونسو بطيبة ثم خلفه رمسيس العاشر وله جملة آثار بمتحف انكلتره ومقبرته بطيبة

وفى

وفى أيامه ضبط بعض لصوص كانوا تعدوا على كسر ونهب مقابر بعض ملوك العائلات الحادية عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة ولكن لما أمر بالتحقيق اتضح براءة المتهمين وخلفه رمسيس الحادى عشر ومد سلطته على بلاد الاتيوبيا وسوريا وخلفه رمسيس الثانى عشر وقد بنى كثيرا من الآثار وفى آخر حكمه ضعف أمره واستفحل أمر حورحور رئيس كهنة أمون حتى صار صاحب الحل والعقد فى أحكام وسياسة الدولة ومازالت سلطته تنمو حتى انتزع ملك مصر من رمسيس الثالث عشر آخر ملوكها

العائلة الحادية والعشرون الطيبية — وأول ملوكها حرحور الكاهن السابق الذكر وله بعض كتابات على هيكل خونسو مدح فيها نفسه ونفى فى مدته من بقى من العائلة الرمسيسية الى الواحات الكبرى وتولى بعده الكاهن بعنخى ولضعفه قامت الفتن فى مصر من العائلة الرمسيسية وخلفه ولده الكاهن بينوزم وفى أيامه ثارت فتنة بين أهالى الوجه القبلى والبحرى بسبب نفى العائلة الرمسيسية فى الواحات فلم يتمكن هذا الملك من اطفاء تلك الثورة وبعث ابنه منخبررع بقوة لذلك فاطفأ الفتنة ودعا نفسه برئيس كهنة أمون بدل أبيه المذكور وأحضر الرمسيسيين من منفاهم وفى آخر عهد هذه العائلة ضعف أمرها وخرج عن طاعتها كثير من البلاد وتولى ششنق بعد موت ميامون آخر ملوك الدولة التنيسية

العائلة الثانية والعشرون ومدتها ١٧٠ سنة — كان تخت هذه الدولة مدينة بسطة بالشرقية وأول ملوكها ششنق الاول وله أخبار منها أنه حارب رحعبم ملك فلسطين بجيش مؤلف من ١٢٠٠ عربة حربية و ٦٠,٠٠٠ فارس وكثير من المشاة فاستولى على فلسطين وسلب أموال هيكل سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وله آثار عديدة وملك بعده أوسوركون الاول ثم ملك بعده ناكلوت الاول وخلفه أوسوركون الثانى وخلفه ششنق الثانى وليس له آثار وخلفه ناكلوت الثانى وله بعض الآثار وخرج عليه الاتيوبيون جنوبا والاشوريون شمالا واستقلوا فضعفت مصر بخروج بعض ملحقاتها منها وفى عهد ششنق الثانى وبيمانى وششنق الرابع ميامون آخر ملوك هذه الدولة تجزأت مصر الى ولايات صغيرة وانتزع الملك عائلة أخرى من التنيسيين

العائلة الثالثة والعشرون ومدتها ٨٩ سنة — وكانت قاعدة ملكها مدينة بسطه وأول ملوكها بدوسابست وهو المؤسس لهذه العائلة وأخذ يقوى مملكته فانتزع طيبة من أيدى الاتيوبيين وفى مدة أوسوركون الثالث وبساموس وذت من ملوك هذه العائلة انقسمت مصر الى عشرين ولاية فكان لكل ولاية أمير مخصوص واستمرت مصر على ذلك الى أن ظهرت عائلة من صا الحجر بالوجه البحرى ونزعوها من أيدى هؤلاء الامراء الذين أضعفوا قوتها بسوء تدبيرهم ولكن بقيت المنازعات بينهم وبين الاتيوبيين الى أن ظهر تفنخت الآتى وبعد حروب اتفق مع الاتيوبيين فجعلوه ملكا عليهم

العائلة الرابعة والعشرون الصاوية — عدد ملوك هذه الدولة خمسة أولهم تفنخت المذكور وكان يحكم احدى الولايات العشرين المتقدمة وكان حصن مدينته حصينا قويا ولما قصد التغلب على مصر تماما شرع فى اخضاع الملوك المجاورين له واستمر يحاربهم الى أن قويت شوكته وانقادت مصر اليه أولا فاستعان أخصامه بالملك بعنخى ملك اتيوبيا فبادر الى معونتهم ولكنه بعد أن

اخضع تفنخت المذكور جعله ملكا على كل الرؤساء الممتازين ثم توفى تفنخت المذكور وخلفه باكوريس وكان ضعيف البنية فسلك مسالك والده حيث شرع فى نزع مصر الوسطى والوجه البحرى من يد الامراء لعدم وجود من يعارضه من الايتيوبيين فنجح فى عمله وجعل مصر مستقلة تحت حكمه ثم لما نازع الايتيوبيين وقع فى قبضتهم وآل ملك مصر اليهم

العائلة الخامسة والعشرون الايتيوبية ومدتها ٥٣ سنة — وعدد ملوكها أربعة أولهم شاباكا أوسباكون ولما جلس شرع فى اصلاح نظام مصر وتدبيرها وقوى الجسور ثم طمعت فى مصر مملكة أشور وكانت قبل ذلك استظهرت على الفينيقيين والاسرائيليين وأهل فلسطين فرأى هؤلاء أن من الصواب أن يتحالفوا مع ملك مصر فهاداه هوشع ملك الاسرائيليين ثم عقد معه تحالفا ولكن محالفتهم لم تجد نفعا لان سلمناصر ملك اشور احتال على هوشع وأسره وحاصر مدينة السامرة قاعدته ولكنه مات فى خلال ذلك وتولى بعده سرجون على مملكة أشور ففتح السامرة ثم قاتل المتعاهدين وهزم جيوشهم وهرب شاباكا وكانت هزيمة الجنود المصرية سببا لقيام الامراء بالثورة فى مصر فطردوا السودانيين من أرضهم الى طيبة وشكلوا حكومة بالوجه البحرى وقام عليها استيفانتس ملكا ولما مات سباكون قام ابنه سيخون وأخذ يستعد لمحاربة ملوك الوجه البحرى وانتهز فرصة تفرق الكلمة بين المصريين فهاجمهم واستظهر عليهم وحكم جميع مصر ولكن بعد قليل قتله طهراقه وحكم بعده واستولى على منف وطيبة وأبطل عبادة ايدس منها ولما ظهر اشور بانيبال ملك أشور جعل يقرب اليه رؤساء الاقاليم المصرية المأسورين عنده لينال رضاهم ومساعدتهم وأعادهم الى مصر فاستولوا على الوجه البحرى ثم القبلى ولكن تم الامر أخيرا بدخول مصر تحت سلطة كوات ميامون الايتيوبى وكان من أشهر الملوك محبا للسياحة البحرية وكان يسعى فى أن يسود على كل الاراضى المحيطة بمملكته وقد توصل الى بعض المراد وكانت مدة حكمه ثلاثين سنة

وقد اتفق فى خلال الفترة التى كانت بين آخر ملوك العائلة الخامسة والعشرين وأول العائلة السادسة والعشرين أن أحد أمراء مصر المتعاهدين وهو المدعو بسامتيك قام واستعان بعساكر يونانية محكمة واستخلص مصر من أيدى الامراء وكان أحد الكهان أخبر الامراء قبل ذلك أن من قدم منهم للمعبود فتاح شرابا فى اناء من المعدن صار ملكا على الاقاليم المصرية وكانوا مرة يشربون شرابهم بالهيكل فى أقداح من الذهب ولم تكن أقداح الذهب الموضوعة بينهم الأأحد عشر قدحا لسهو حصل من كاهن المعبد فبقى بسامتيك وهو أحدهم بلا قدح فنزع خوذته وكانت من الحديد أو البرونز فشرب فيها الشراب فتذكر رفقاؤه عند ذلك قول الكاهن فتعصبوا على بسامتيك ونفوه الى بعض مستنقعات الوجه البحرى خيفة أن يستبد بالملك وبعد وصوله اليها أحضر كاهنا وسأله عما يقع له فأخبره أنه لابد وأن يستبد وحده بملك مصر وأن ينصره على أقرانه الامراء رجال من حديد يقدمون عليه من جهة البحر فاتفق أن رست سفن بتلك الجهة بها لصوص من اليونان عليهم دروع من الحديد ولما تذكر بسامتيك قول الكاهن بادر الى هؤلاء الملاحين الوافدين وأكرم نزلهم ووعدهم بالانعام ان هم نصروه فانضموا الى حزبه من المصريين وبذلك تمكن من خلع الامراء واستبد بالملك وهو أول العائلة الصاوية

العائلة

العائلة السادسة والعشرون الصاوية ومدتها ١٣٨ سنة — عدد ملوك هذه العائلة ستة

أولهم بسامتيك السابق ذكره الذى بعد أن استبد بالملك كما تقدم شرع فى احيا مصر واعادة رونقها القديم فاصلح المعابد وشيد الحصون والقلاع فى مضايق طرق الشام من الشرق وفى ضواحى بركة المنزلة من الغرب وفى الشلال الاول من الجنوب كل ذلك لصد هجمات الاشوريين والايتيوبيين والليبيين وأكرم نزلاء اليونان وأقطعهم أرضا على ساحل فرع الطينة وفى خلال ذلك وفد قوم من المليزيين سكان بعض جزر اليونان فى ثلاثين سفينة ورسوا على ساحل بحر رشيد ونزلوا هنالك وأسسوا محلة عظيمة بامر الملك دعيت فيما بعد بالمعسكر الميليزى كما قاله استرابون وانضم الى هؤلاء الاقوام أقوام آخرون فكثروا وكان بسامتيك يجند منهم جنودا واستمر بسامتيك ينظم الجيوش الجديدة ويشيد السفن الحربية العديدة الى أن مات سنة ٦١١ ق م وخلفه ابنه نخاو الثانى فسلك مسلك مشاهير الفراعنة حتى ألبس الديار المصرية كساء الفخار وقصد توسيع مملكته فبعد أن أتم تنظيم الجيش الذى جيشه والده وجه همته لانشاء الاساطيل البحرية وأعد لذلك دار صناعة بقيت آثارها الى زمن هيرودوت وقد سبق وصفها فى مقدمة هذا الكتاب وتمكن من اخضاع فونيقية وأكثر بلاد سوريا وقتئذ شرع فى مشروع جسيم وهو اتصال بحر القلزم بالبحر الابيض بقطع برزخ السويس فحفر ترعة كان طولها أربع مراحل بحرية وعرضها يسع سفينتين ومبدؤها من مدينة بسطة وآخرها بركة التمساح حيث يبتدئ البحر الاحمر اذ ذاك ويروى أنه بينما كان العمل جاريا أخبره الكهان بأن حظ الانتفاع بها يكون لدولة أجنبية فأمر فى الحال بالكف عن العمل وبعد ذلك شرع فى عمل آخر عظيم وهو أن بعض الملاحين من أهل صور وقرطاجنه كانوا قد اكتشفوا فى سواحل افريقية بلادا بها كثير من الذهب والعاج وغير ذلك من الاخشاب والخيرات النفيسة ولكنهم لم يستغلوها للعداوة التى كانت قائمة بينهم ومنعوا أيضا سفن الاقوام الآخرين من الذهاب اليها فلما بلغ خبرها الملك نخاو أمر ملاحى الفينيقيين بأن يذهبوا بسفنهم لاكتشاف تلك البلاد فساحوا حول افريقية كما سبق فى المقدمة ثم عادت تلك السفن ولم تحقق من مواقع تلك البلاد وكانت وقتئذ مملكة أشور انحطت بسبب حروبها مع المديين فانتهز نخاو تلك الفرصة وسار بجيش عظيم وافتتح فلسطين وأكثر البلاد التى فى طريقه وكافأ عساكره الجحكة من اليونان لما عاد منصورا الى مصر ولكن ملك بابل نبوخذ نصر سير ابنه بختنصر بعد ذلك على رأس جيش لاسترجاع فلسطين والشام من يد المصريين وقبل أن يبلغ مقصوده بلغه موت أبيه فعاد الى بابل مسرعا بعد ان كان فتح الشام ثم بعد ذلك حاول نخاو الثانى الاستيلاء على الشام ثانية ليأمن غائلة البابليين فجمع الجيوش والاساطيل بدون أن يشعر به أحد ثم شرع فى اثارة الحروب على دولة بابل ومع ذلك فانه لم يبلغ مقصده لان بختنصر قاوم جميع الثائرين وكسرهم وانتهك حرمة بيت المقدس وسلب جميع خزائن ملوك اليهود وبعد ذلك بسنتين مات نخاو المذكور وخلفه ابنه بسامتيك الثانى فقامت عليه أهل ايتيوبيا فتوجه لقتالهم وبعد انتصاره عاد سنة ٥٩١ ق م ومات بعد ذلك بقليل وخلفه ابنه وح ابرع (ابريس) وقد استنجد به صدقيا ملك اليهود على بختنصر ملك بابل وانضم اليهما أيضا ملوك المدن الفينيقية وقامت الحروب بين الطرفين فانتصر أيضا بختنصر على الملوك

المذكورين والتجأ اليهود الى مصر فاقطعهم ملكها أرضا بقرب دفنه فانتشروا في كثير من البلاد وسكن بعضهم الصعيد ولم يعول المؤرخون على ما قاله المؤرخ يوسيفوس العبراني (١) في ذلك لمخالفته لاقوال هيرودوت حيث قال ان المصريين هزموا عساكر بابل وان سفن الملك وح أبرع كان بها ملاحون من اليونان فضربت السفن الفينيقية التي كانت في خدمة البابليين ورفعت العساكر المصرية الحصار عن مدينة صيدا وبعد ذلك دخلت سواحل الشام تحت سلطة مصر رغما عن أنف بختنصر هذا ثم ثار أحمس أحد القواد المصريين على الملك وح أبرع وتمكن من القبض عليه وخلعه وسجنه ثم قتله الاهالي وكانوا يكرهونه لتفضيله الاجانب على المصريين وخلفه احمس الثاني المذكور المسمى أيضا أموزيس فحافظ على نفوذ مصر في فينيقية وفتح جزيرة قبرص وضمها الى أملاكه وكان يخاف على ملكه من مملكة الفرس التي قوى أمرها في ذلك الوقت فالتزم الحيادة وقت حروبهم مع الميديين ومع ذلك فانه لم يسلم من شرهم حيث أخذوا منه فينيقية وبحسن سياسته وتدبيره أمن من اغارتهم على بلاده فارتاحت مصر في أيامه واعتنى باصلاح داخليتها فاتسعت التجارة ولاسيما مع اليونان فزاد عددهم في مصر حتى أناف على ما يقال عن مائتي ألف فاقطعهم أموزيس أرضا وشيدوا فيها مدينة أصبحت من أجل مدن مصر وحصنوها وسنوا لانفسهم نظامات صرح لهم أموزيس بالسير على مقتضاها ثم رأى أموزيس أن التحالف مع جمهورية أثينا يفيده لصد مطامع الفرس فعقد معها معاهدة وكان ملك الفرس وقتئذ هو كيروش واستمر أموزيس يشتغل بالتجهيزات والاستعدادات الحربية خوفا مما عساه أن يحدث ولما مات كيروش خلفه ابنه قمبيز وكان قمبيز يتربص الفرص لمحاربة المصريين وقد أكثر المؤرخون من روايات تعللاته لمحاربة مصر فقال هيرودوت ان قمبيز طلب أن يتزوج بابنة احمس ظنا منه أن أباها لا يقبل فيحاربه ولكنه قبل فتزوج بها فلما ناداها بابنة قمبيز قالت انها ليست بابنته فعلم أن ذلك مكيدة من احمس المذكور فحنق عليه وغزا مصر لذلك وقال غيره غير ذلك والحقيقة أن سبب طموح انظار الفرس لمصر هو كثرة ثروتها وخيراتها وموقعها المهم وكان بين حدود الشام وبين خان يونس وبحيرة سربونيس النازلة فيها مقدمات الجيوش المصرية مسافة تقرب من ٩٠ كيلومترا وكان قمبيز يخاف على عساكره من أن تضل فيها فتحير في أمره ولكن قيض الله اليه رجلا يونانيا يدعى فانيس وفد عليه من الديار المصرية وكان قائد جيش فيها فاطلعه هذا اليوناني على حقيقة تلك البلاد ودله على الطريق الموصل اليها فكان في ذلك اتمام مقاصد قمبيز على فتح مصر وباشارة هذا اليوناني أيضا عقد قمبيز شروطا مع مشايخ قبائل العرب الذين كانت لهم اليد على ذلك الطريق ليرخصوا له في المرور منها ويأتوه بالماء الجيشه فوق جمالهم وعلى ذلك تقدمت جيوش الفرس وانتشب الحرب بينهم وبين المصريين

(١) يوسيفوس أو يوسف مؤرخ عبراني ولد باورشليم سنة ٣٧ م من عائلات المكابيين ومات سنة ٩٥ م وقد اشتهر بعفته واجتهد كثيرا في اطفاء الثورة التي أحدثها اليهود على رومية فلم ينجح ثم ان اليهود ولوه على بلاد الجليل وقد قاوم كلا من فيسباسيان وطيطوس ثم خضع أخيرا وبشر فيسباسيان بصعوده على تخت الدولة الرومانية فاحبه لذلك وساعد طيطوس في حصار أورشليم وبعد ان استولى هذا القائد على المدينة المذكورة سار معه الى رومية وكافأه الرومان بالانعام عليه برتبة ورتبوا له وظيفة وهو صاحب كتاب تاريخ حروب اليهود ضد الرومان وخراب أورشليم وينقسم الى سبعة كتب وقد ترجم الى عدة لغات وله كتب أخرى معتبرة لدى المؤرخين

عند الطينة وكان بين الجيوش المصرية سرايا من اليونان والكاريين محكين والتحم الجيشان ودام القتال أياما ويقال ان فانيس أشار على قبيز فوضع أمام جنوده كثيرا من الحيوانات المعظمة لدى المصريين كالقطط والثيران وبعض الطيور وغيرها فلم يتجاسروا على رمى السهام على عدوهم خوفا من أن تصيب تلك الحيوانات المقدسة عندهم فرجعوا القهقرى بمجرد هجوم العجم عليهم ولم يثبت منهم في صف القتال سوى عساكر اليونان والكاريين الذين لا يصدقون بهذه الاعتقادات واشتد القتال بينهم مدة مديدة انتهى فيها بأن تمت الغلبة للعجم واحتلوا مدينة الطينة ثم أرسل قبيز رسلا من قومه لمدينة منف يطلب منها التسليم فركب الرسل سفينة يونانية ولما وصلوا الى منف ورآهم أهلها خرجوا من قلاعهم زمرا وقبضوا على السفينة وكسروها وقطعوا وذبحوا من كان فيها فغضب الفارسيون من فعلهم هذا لما علموا به وتقدموا نحو منف وأحاطوا بها وحاصروها الى أن استولوا عليها عنوة وقتلوا أولاد الملك بسامتيك الثالث وكثيرا من أعيان المصريين المأسورين عندهم وبذلك خضعت مصر الى قبيز سنة ٥٢٧ ق م وقبض قبيز على بسامتيك وألزمه أن يشرب مقدارا كثيرا من دم الثيران فمات

العائلة السابعة والعشرون وهي الدولة الفارسية ومدتها ١٢١ سنة — لما فتح قبيز ديار مصر لم ينتهك لها حرمة بل كان يحترم أميال أهاليها وأبقاهم على عباداتهم وأعاد الى أعيانهم امتيازاتهم واتخذ لنفسه ألقابا فرعونية قاصدا بذلك أن يوهم الناس أنه من نسل العائلات المصرية ونبش قبر اموزيس وأخرج جثته ومثل بها ثم أحرقها وكان يقصد أن يظهر للناس انه ينتقم من أموزيس لاغتصابه ملك مصر وكان لفتح مصر تأثير عظيم على جميع الامم المجاورة حتى انهم بادروا جميعا الى قبيز بتقديم الهدايا والجزية واتخذ قبيز مصر حصنا يستعين به على فتح بلاد افريقية فشرع في تجهيز ثلاثة جيوش كان يريد ارسال أحدها على مدينة قرطاجنة وخصص معه أسطولا عليه عسكر بحرية من الفينيقيين وأمرهم باخضاعها فامتنعوا للعلاقة الجنس التي تربطهم بسكانها وأرسل جيشا آخر من جنوده الفارسية به ٥٠،٠٠٠ مقاتل لمحاربة الاموسين سكان واحات سيوه فضلوا الطريق وثارت عليهم رياح أهلكتهم وقاد هو بنفسه الجيش الثالث لفتح بلاد ايتيوبيا ولم يتبع في سيره الطريق المسلوك القريب من شاطئ النيل بل انحرف عنه طلبا لتقريب المسافة فضل وخلص زاده ولحق جيشه الجوع حتى أكل الجنود بعضهم بعضا بعد ما أكلوا ما معهم من الحيوانات والجلود وغيرها ثم عاد مع من بقي ولما علم بما أصاب جيشه الذي كان أرسله لواحة أمون اعتراه شبه جنون وصار يرتكب أشنع الافعال والاقوال حتى انه لما وصل الى منف وجد أهلها يحتفلون بمهرجان لهم ديني فظنهم فرحين لخيبته فامر بقتل الكهنة وطعن العجل ابيس بخنجره وألقاه للكلاب تأكله وسخر بمعبوداتهم ونبش القبور ونهب جميع ما كان في المدافن القديمة من الجواهر وزاد في جوره حتى قتل أخته وغيرها بلا ذنب ثم خرج من مصر بعد أن جعل أحد الاعاجم المدعو اريانديس نائبا عنه فيها وقصد بلاد فارس لاطفاء الفتنة التي أثارها غومات المجوسي الذي ادعى انه أخو قبيز وكان لقبيز أخ يدعى سمرديس كان قتله سرا قبل خروجه لحرب مصر خوفا من عصيانه في غيابه وبينما كان قبيز يركب جواده وهو متوجه الى بلاده اندلق سيفه من غمده فجرحه فمات من ذلك وقيل مات غما وقيل قتل نفسه وانفرد غومات بملك فارس ثلاث سنوات

حتى اتضح لاهل فارس كذبه واغتصابه الملك فقتلوه وانتخب الاعيان أحدهم وهو دارا الاول ونصبوه ملكا فأخذ ينظم أمور المملكة ويخمد الثورات كما ذكر في الجزء الاول وأخذ دارا يبحث عن الوسائل التي يستجلب بها رضا المصريين فمن ذلك انه اتفق موت العجل أبيس في أول حكمه فجاء بنفسه الى المعبد وأظهر تأسفه الشديد ووعد بمبلغ وافر لمن يأتي بعجل آخر مثله فاحبه المصريون وقبل أن يبارح مصر زار معبد فتاح بمنف وأراد أن يضع تمثاله بجانب تمثال رعمسيس الثاني فمنعه الكهنة قائلين له انك لم تأت من الاعمال ما أتاه رمسيس الاكبر ملك مصر لانه فتح بلاد التتار فقال لهم دارا أؤمل أن أكون رمسيس ان طال عمري ثم امتثل لقول الكهنة ومن أعماله أنه مهد طرق التجارة القديمة فوصل البحر الابيض بالبحر الاحمر بترعة احتفرها ولذلك يوجد في كثير من المواضع ببرزخ السويس جملة أحجار قديمة مكتوب عليها اسم دارا ولما اتصل البحران بعضهما وردت السفن بالتجارة من الهند الى الثغور المصرية وفتح طريق قفط الموصل الى البحر الاحمر وطريق أسيوط الى العرابة المدفونة وأسوان فعادت بذلك لمصر ثروتها القديمة ثم سار اليونان بآسيا فسار بجيشه الكبير لقمعهم كما تقدم فاغتنم المصريون فرصة غيابه وقاموا على ولاة دارا وانتخبوا رجلا يدعى خبيش وعهدوا اليه بالحكم فاخذ يحصن مصر بالقلاع ليدفع هجوم الفرس وكان يهتم بتحصين الاباطح والاشاتيم ظنا منه أن الفرس ستهاجمه بحرا ولكن لما فاجأه شيارش الفارسي برا لم يثبت المصريون أمامه وانهزموا وأعاد الفرس ملكهم على مصر وعاملوا أهلها بالقسوة وعين أخاه اخيمنس واليا على مصر وفي خلال ذلك جاهر الميديون بالعصيان فتوجه لاخضاعهم وفي أثنائها عصت اليونان ودمرت سفنه في واقعة بحرية كما سبق فعاد الى آسيا وخرجت أوروبا من يده وبقيت لهم بعض حاميات بالبوسفور (٤٧٨ ق م) ثم استعمل شيارش المخادعة واللين مع أهل أوروبا (٤٦٦ ق م) وهاجت أساطيل أثينا القيروان وليكيا وطردوا الفرس منهما ثم قتل شيارش على يد من تآمر عليه وخلفه ابنه ارتخشارشا قال (١) توسيديد (Thucidide) وفي خلال ذلك استقل المصريون وأقاموا عليهم ايناروس بن بسامتيك ملكا ولما عجز عن مقاومة الفرس طلب من اليونان المساعدة وكان عند اليونان وقتئذ سفن حربية صنعوها في جزيرة قبرص فارسلوا له منها مائتي سفينة فلما وصلت الى مصر كان وصولها مقرونا بانتصار المصريين على الفرس في مبدا الامر وقتلوا في الواقعة اخيمنس نائب مملكة العجم بمصر وأرسلوا اشلاؤه الى ارتخشيارش ملك العجم وفي أثناء الحرب هجمت السفن الاثينية التي كانت تحت قيادة الاميرال خاريميدس على السفن الفينيقية التابعة للعجم فاغرقت منها ثلاثين سفينة وأسرت عشرين ثم ركب المصريون واليونان النيل حتى وصلوا منفيس وخلصوها من يد العجم ولكن تمكنت العجم من القاء الشقاق بين أهل اسبارطه والاثينيين ثم أرسلوا القائد مجابيسوس على رأس جيش فارسي وقاتل المصريين حتى ألجأهم الى الاحتماء بجزيرة بروسوبيتس الحصينة ثم سد العجم فرع النيل الذي به سفن اليونان وكان ذلك الفرع يحيط بالجزيرة المذكورة وبعد ئذ هجموا على الجزيرة وأسروا ايناروس وقتلوه وهلك غالب اليونان وفي تلك الاثناء أتت نحو خمسين سفينة يونانية جديدة لامداد المصريين ورست في المصب المنديسي فهجمت عليها السفن

(١) توسيديد مؤرخ يوناني شهير له تاريخ في حروب موره وكانت ولادته سنة ٤٧١ وموته سنة ٤٠١ ق م واشهر التأليف المذكور بالضبط وطلاوة العبارة والتحقيق

الفينيقية

الفينيقيـة ودمرت معظمها ودخل ثانيراس بن ايناروس تحت طاعة العجم فقلدوه ملك مصر مكان أبيه وبقيت مصر بعد ذلك خاضعة لارتخشيارش الى أن مات سنة ٤٢٥ ق م ثم خلفه ارتخشارشا وبعده شيارش الثانى ثم سوغديانوس ثم دارا الثانى وفى أيامه استدعى المصريون أميرتيس من الاباطح وكان فيها يحارب العجم وأقاموه رئيساً عليهم فهجم بمن معه من الجوع وأخذ يطارد الاعجام المحتلة بالديار المصرية ومات دارا فى أثناء ذلك وملك المصريون وطنهم واستقل أميرتيس بالملك

العائلة الثامنة والعشرون الصاوية والتاسعة والعشرون الاشمونية — ومدة الاولى سبع سنين ومدة الثانية ٢١ سنة — كان أميرتيس مدة الفرس حاكما بعد أبيه على بعض الاقاليم المصرية وبعد أن دعاه المصريون وطرد العجم كما مر أسس العائلة الثامنة والعشرين وبعد ذلك اشتدت بمصر الفتن فسعى فى اطفائها وبعد أن تمكن من ذلك أخذ يصلح ما دمره الفرس ولكن عاجلته الوفاة وانتقل الملك بعده الى العائلة التاسعة والعشرين وأول ملوكها نفرتيس الاول فتحالف مع جمهورية اسبارطه وفى وقتها أعلنت اسبارطه الحرب على الفرس فأمدها نفرتيس بمراكب مصرية ملئت بالسلاح والذخائر الحربية ولكن اجيلاس قائد اسبارطه انهزم أمام الفرس فخاف ملك مصر سوء العاقبة فأخذ يستعد للدفاع ولكن ساعدته المقادير بحدوث بعض حروب أخرى أشغلت الفرس عن مصر ولما مات نفرتيس خلفه أخوريس وتعاهد مع قبرص وأثينة والقيروان وهاجم الفرس فردهم على أعقابهم بالخيبة ومات سنة ٣٨٢ ق م وخلفه بساموتيس وفى أيامه قدم أفلاطون وغيره من حكماء اليونان مصر وبعده حكم نفرتيس الثانى وهو آخر العائلة التاسعة والعشرين

العائلة المتممة للثلاثين وتدعى بالسمنودية ومدتها ٣٨ سنة — وأول ملوكها نقطانب الاول وكانت الاحوال فى زمنه مضطربة لان دولة الفرس كانت ميالة الى استرجاع مصر تنتهز الفرص للحملة عليها ولما استعدت لذلك وجهت جيشا قويا من طريق الشام يبلغ ٢٠٠,٠٠٠ تحت قيادة فرناباز وبصحبته رجل من أثينا يسمى افيكراتيس وكانت جيوش مصر تحت قيادة خابرياس اليونانى وبعد أن وصل الفرس الى أشتوم أم فرج بالفرع المنديسى تقابلوا مع طلائع الجنود المصرية وحصلت بينهما مناوشة انهزم فيها المصريون ثم اختلف القائد الفارسى مع رفيقه اليونانى ونشأ عن ذلك انهزام جيش الفرس بجوار منديس وبذلك تخلصت مصر من الفرس ثم مات نقطانب المذكور سنة ٣٦٤ ق م وخلفه تيوس أو تاخو وتحالف مع جمهورية اسبارطه وقلد خبرياس رياسة العساكر الحربية والبرية وكان الجيش المصرى يتألف اذ ذاك من ١٨٠٠٠ من الوطنيين و ١٠,٠٠٠ من اليونان المحنكة ومن مائة سفينة حربية وأراد هذا الملك محاربة الفرس فى فينيقية فثار عليه الجنود وعزلوه ونصبوا عليهم نقطانب الثانى ملكا والتجأ تاخو الى ملك الفرس واستعد نقطانب لمحاربة العجم وكان ارتخشارشا الثانى ملك العجم مات وخلفه ابنه اخوس أودارا اخوس فتقدم نحو صور وهزم حاميتها وكان المصريون مهتمين فى تحصين الحدود وأقاموا على أشاتيم النيل القلاع والحصون والسفن الحربية الكافية للدفاع ومع كل ذلك كسرهم الاعجام وانهزم نقطانب الى بلاد النوبة ودخلت مصر تحت حكم الفرس ثانية ومن ذلك الوقت بقيت مصر تحت سلطة الغرباء ولم يملك عليها ملك من أهلها

العائلة الحادية والثلاثون وهي دولة الفرس الثانية ومدتها ٨ سنوات — لما أخضع اخوس الملقب بارتخشارشا الثالث ديار مصر كانت دولة مقدونيا آخذة في الظهور والارتقاء فوجهت أطماعها الفتح بلاد آسيا من يد الفرس وفي ذلك الوقت مات ارتخشارشا الثالث وخلفه ابنه أرسيس وحكم سنتين ومات وقام بعده دارا الثالث وكان اسكندر المقدوني معاصراً له وفي أيامه تقهقرت دولة الفرس وبدا نجم اليونان بالاشراق كما شرحناه في الجزء الاول من هذا الكتاب فأخذ الاسكندر في الفتوحات وتوسيع مملكة أبيه فيلبش فدخل آسيا وفتح فيها الفتوحات العظيمة ولما تغلب على العجم استولى على مصر بعد موقعة انتهت بانهزام الفرس ويقال ان مصر سلمت له بدون حرب لشدة كرهها للاعجام فعامل الاسكندر أهلها بالعدل والاحسان وأبقاهم على ما هم عليه من عوائدهم الاصلية (٣٣٢ ق م)

﴿ حضارة المصريين ﴾

العلوم والصنائع والاختراعات — من تأمل في النقوش الموجودة على الآثار المصرية القديمة وفي أقوال المؤرخين يتضح له جلياً أن قدماء المصريين كانوا قد تقدموا في تلك الحقبة العصرية الى درجة عظيمة في التمدن والعمران وأتقنوا المعارف والفنون العقلية والفلسفة والكيمياء اتقاناً عجيباً وبرعوا في العلوم الرياضية والهيئة والنجوم والهندسة براعة غريبة لاسيما في فن الطب فانهم كانوا أتقنوه اتقاناً جيداً وكان الطبيب عندهم لا يتفرغ الا لمعالجة مرض واحد من الامراض فلهذا نجحوا فيه وبرعوا وكان علماؤهم لا ينفكون عن الاختراعات لتوسيع نطاق الصنائع فهم الذين اخترعوا آلة الحراثة وصبغوا الزجاج بألوان متنوعة وأوجدوا ورق البردي وكانوا يصنعونه من النبات المعروف بهذا الاسم وكانت لهم اليد الطولى في صياغة الذهب والفضة والاواني المختلفة فكان صياغهم يصيغون خواتم نفيسة وقلائد ثمينة يبيعون ويشترون بها وكانوا تقدموا في فن العمارة فشيدوا أفخر المباني وهاهي آثارهم وأبنيتهم العظيمة المدهشة دلائل ظاهرة على براعتهم في تلك الاجيال المظلمة وكانت تجارتهم منحصرة في غلالهم ومحصولاتهم وكان لهم اتصال مع الهند وغيرها من بلاد المشرق الاقصى بواسطة بلاد العرب فكانوا يرسلون الى تلك النواحي ما راج عندهم من الحبوب والمواشي والفخار والزجاج ويستبدلون بها منهم العطر والبهار والياقوت وغيره وكانوا قد برعوا في استخراج المعادن من ذهب وفضة وفير وزج وغيرها فكانوا علماء في فن الجيولوجيه وفن قطع الاحجار والصخور وأما صناعة تحنيط الاجسام وبراعتهم فيها فقل عنها ما شئت من المدح فهي كافية لاظهار درجة تقدمهم وقد تكلم كثير من المؤرخين على طرق التحنيط وما كانوا يستعملونه فيها من العقاقير وغيرها ووصفوها بكلام مشبع يقرب من الحقيقة ولكننا لم نر الى عصرنا الحاضر من أمكنه اجراء هذا العمل ولا ما يماثله مع اعتناء أكثر دول أوروبا بحفظ الآثار والحاصل أن قدماء المصريين لم يتركوا علماً ولا فناً الا واشتغلوا به وبرعوا فيه

النظامات العسكرية والتربية الحربية — قد أورد الفاضل أحمد نجيب أفندي في تأليفه الاثر الجليل لقدماء وادي النيل فصولا كثيرة عن ذلك نلخص منها ما يأتي ان الجند كانت أعظم

طائفة بعد الطائفة الكهنوتية وتقسم الى جملة فرق تسمى بأسماء مختلفة كاسماء المعبودات منها فرقة (رع) وفرقة (آمون) وفرقة (فتاح) وغير ذلك وكان الملك هو الرئيس الاعظم وهو الذى يعين الرؤساء لجميع الفرق من أولاده وأقاربه أو من أولاد أعظم العائلات المصرية مع مراعاة الكفاءة والاهلية والدرجة وكانت الملوك أرباب الغز وتقود الجيوش بنفسها الى البلاد البعيدة وتدير جميع حركة الاعمال وتقف فى ساحة الحرب على عرباتهم كبباقى العسكر وهم شاكوا السلاح ومحاطون بخفرهم الملوكى ورؤساء ضباطهم ويقذفون على العدو نبالهم ويضربونهم بالبلط وغير ذلك والغرض من هذا تشجيع عساكرهم وتثبيت أقدامهم فى مواقف القتال ومشاركتهم فى النصر أما جيش مصر فلم يعهد أنه كان به عساكر من الفرسان لان جميع الآثار واللوحات الحربية خالية عن ذلك ولكن كان المصريون يعرفون ركوب الخيل وأنواع الفروسية لكنهم لم يدخلوا هذا النظام فى جيشهم والدليل على ذلك أنه وجد فى كثير من النصوص صورة فارس يركض جواده

أما ماذكرته التوراة من أن فرعون غرق فى البحر مع خيله وفرسانه وعرباته فهذا لا ينافى عدم وجود جيش من الفوارس لان الخيالة التى كانت معه كانت من الاهالى المتطوعة لا من الجيش وقال شمبليون فيجاك ما علمنا أنه كان لمصر عساكر خيالة وان الغرض من الفرسان المذكورة فى التوراة هم راكبوا العربات لا راكبوا الخيل وان التوراة ذكرت فى موضع آخر أن فرعون غرق فى البحر بخيله وعرباته وفوارسها أى المقاتلة الذين كانوا عليها الى أن قال ويؤيد صحة ماقلناه وهو خلو الجيش المصرى من جند الخيالة كيفية تربية العساكر وتمريناتها المختلفة المنقوشة على الآثار جميعها مشاة ولم نر للخيالة عليها أدنى ذكر وسكوتها دليل كاف على عدم وجودها به

الاسلحة وتربية الجنود — كانت تربية الجنود عبارة عن مصارعة ومنازلة مختلفة النوع والشكل فتارة ترى المتصارعين فى هيئة الهجوم أو الدفاع وتارة فى هيئة الكر والفر يتناوبان ذلك بالدور والترتيب فتراهما ينخفضان ويرتفعان وتارة يقعان ويقومان ويشتبكان ويفترقان ويغلب أحدهما الآخر فينهزم المغلوب ثم يعود غالبا ويستعمل كل واحد منهما ضروب المخاتلة والمراوغة والحيل والقوة وهما عاريين ليس عليهما غير منطقة عريضة تستر سوأتهما وكانت تربية العساكر وتمريناتهم تستغرق المدد الطويلة يدخل فيها جميع القواد والرؤساء كما يدخل فيها جميع العسكر على اختلاف طبقاتهم وكانوا يعودونهم من حين شبيبتهم على المكافحة والمقارعة ومنازلة بعضهم بعضا ويعلمونهم قواعد الحرب وأركانه حتى يشبوا على حب القتال واقتحام المعارك وكانت الاسلحة عندهم هى الحراب والمزاريق والرماح والقسى والنشاب والسيف والخنجر والدبوس والنصل والبلطة والشاطور والسكين والدرق والدروع والزرد والمغفر أو الخوذة

المعسكرات ونظامها — يرى على بعض الآثار كيفية المعسكر المصرى وهو مكان من الارض مربع محاط بأخشاب وأوتاد من كل جهاته وعلى بابه الديدبان (خفير النوبة) وفى الجهة المقابلة له خيمة الملك أو القائد العام وبجوارها الاسد المستأنس رابض ويداه مغلولتان وبجواره خفير من العسكر قائم وبيده عصا طويلة ثم مضارب الضباط وخيامهم وعلى جانبى باب المعسكر صفوف من الحمير والخيل بلا سروج وأمامها العلف والعليق ثم صفوف من العربات

الحربية مرتبة من الجهة المقابلة لصفوف الحيوانات أما الجهة الخالية ففيها السروج وأطقم العربات ومهمات الحملة وعلى يمين المعسكر بعض الجند يجرى الحركات العسكرية والتمرينات الحربية وفى جهة أخرى عساكر الرديف تمارس التعليمات وترى الاوامر العسكرية جارية على محور الطاعة والامتثال وفى جهة أخرى صورة تنفيذ العقاب على المجرمين من العساكر وبعض الضباط فوق عرباتها يطوف على الجند للتفتيش وصدور الاوامر أو مباشرة تنفيذها وعلى الجهة اليسرى من المعسكر بيمارستان الجند (المستشفى) والنقالات مرتكزة بجوارها ثم المرضى من الخيل والحمير والاطباء والبياطرة قائمون فى خدمتهم والطومارجية واقفة تركب الادوية والجرع وتسقيها لمرضى العسكر

تعبية الجيش للحرب — أما ترتيب سير الجيوش للغزو فتكون المشاة الثقيلة فى القلب وهى مثقلة بالسلاح وتكون العربات الحربية من أمامها ومن خلفها وعلى جوانبها وتكون المشاة الخفيفة فى المقدمة وعلى النقط المخيفة ومتى دنوا من العدو عقد الملك حفلة جامعة يحضرها جميع رؤساء الجيش وضباطه ويتفقون على الحركة ثم يضجون جميعهم بالدعاء والابتهال الى معبوداتهم ويطلبون منهم النصر والفوز على أعداهم ثم يستلم الملك قيادة الجند ويزحف بهم على العدو ومتى تم له النصر عليهم يقوم خطيبا بين ضباطه وهم يقدمون له الاسارى من الاعداء ويبادر كل فريق الى قطع اليد اليمنى من كل ميت من الاعداء ثم يحصونها ويقدمونها الى الملك ليعلم عدد الاسرى والاموات

التجارة البحرية — قد سبق الكلام فى المقدمة على ما وصل اليه قدماء المصريين من الاعمال البحرية واتقان بناء السفن وفن الملاحة بالنيل وبالبحر الابيض والاحمر واجتهادهم فى توسيع نطاق التجارة بارسال ما راج عندهم من أجناس المحصولات المصرية ومصنوعات البلاد النفيسة كالحلى من مصاغات الذهب والفضة المنقوشة بالمينا والمعادن المشغولة وأوانى الفخار الجميلة وغيرها المتخذة من الزجاج فى معامل مدينتى طيبة وقفط فى داخل السفن بالبحر الاحمر الى بلاد العرب وبلاد افريقية والهند وغيرها من بلاد آسيا وكانت تجارتهم المذكورة رائجة فى جميع الاسواق الخارجية والذى سهل لمصر ذلك وقوعها بين بحرين عظيمين وهما البحر الابيض والاحمر واعتناء أهلها بتشييد السفائن وتسييرها الى البلاد البعيدة وبواسطة تلك السفائن التى كانت تتردد دائما بين السواحل المصرية وثغور تلك البلاد قديما كتسبت فى خلال ذلك معرفة واستعدادا فى فن الملاحة وتمكنت من اكتشاف أقرب الطرق للبلاد الاجنبية وكانت تجلب منها مصنوعاتها الفاخرة كالاقمشة المتخذة من الخز والابسطة والفراء والطيوب والبخور وسن الفيل والاخشاب النفيسة واللؤلؤ والبهارات وغير ذلك وترى منقوشا على الالواح فى الدير البحرى صورة شاطئ البحر الاحمر وأهالى بون تركت منازلها ذوات القباب البيضاء وأتت بمحصول أرضها وصنائعها فترى بعضهم يكوم البخور ويجعله أكمات كصبرة الحنطة والاسطول المصرى راس على تلك السواحل ثم ترى كيفية شحن السفن وترتيب طرود البضائع والخوابى والجرار والحيوانات كل نوع فى مكانه ثم سير السفن مع بعضها بالاشرعة والمجاذيف ثم تراها كانها وصلت الى مدينة طيبة وصار احصاء جميع

مابها وغير ذلك من الصور التى تدل على تقدم المصريين فى أمر الملاحة وكانت بلاد الشام تبعث لها بالاخشاب اللازمة لعمل السفن لتوفر الغابات فى جبالها وكانت السفن المصرية التجارية تجول على الدوام فى البحار المجاورة لها وكان أكثر ملاحيها من أهالى فينيقيا المشهورة بالملاحة وقد وصلت تلك السفن حتى بلاد الهند

الحروب البحرية — كانت الاساطيل المصرية فى عهد دول الفراعنة الذين اهتموا بأمر البحار تساق فرقا الى مياه الحرب كما تساق الجيوش فتصطف المراكب الحربية أمام سفن العدو بقرب الساحل ثم تسير وتتحرك بالشراع والمذارى والمجاذيف لمقاتلة العدو وهى على أشكال حربية وأوضاع عسكرية وتصطف جنود الرماة على الساحل المقابل لها التساعد من بالسفن من المصريين ويرمى الجميع بالنبل والنشاب على سفن العدو ويكون الملك قائما على قدميه وسط الجيش البرى يدير حركة القتال ومتى فاز بالنصر على العدو اتبعه عند الانهزام براو بحرا ونصب القناطر على الانهار وعبر فوقها مع جنوده ودخل بلاد العدو واستولى عليها وأبادت عساكره القلاع والحصون أو أحرقتها وغير ذلك من الاعمال التى تقرب من الاحوال الجارية فى زماننا الحاضر وانما تختلف عنها فى الوضع فقط

أما أحكام قدماء المصريين فكانت مقيدة بالمجالس الملكية وكانت سطوة الفراعنة نافذة فى جميع الامة أما الكهنة فكانوا أصحاب الشرائع والعلوم ومن وظائفهم مسح الاراضى وتقسيط الخراج على الناس ولم يكونوا يدفعون مالا عن أملاكهم وكان لكل منهم كل يوم قسم من اللحوم المقدسة ومن لحم البقر والاوز ولم يكن يسمح لهم بأكل السمك وكانوا يحافظون جدا على نظافة أجسادهم وملابسهم أما الاراضى فكانت كلها للملك والكهنة والمحاربين ومن أشهر صنائع المصريين التحنيط فكانوا يأتون بالجسد الى المحنطين فيخرجون دماغ القحف من المنخرين ويخرجون الامعاء الا القلب والكليتين من ثقب فى الخاصرة ثم يغسلونها بخمر النخل ويردونها الى أجوافها ويملؤن الرأس وأجواف الامعاء بالمر والقرفة وكل أنواع العطور ويدهنون الجسد بالزيوت العطرية مدة ثلاثين يوما ثم يوضع فى ماء النطرون أربعين يوما ثم يلف بلفائف مغموسة بالمر وتدهن اللفائف من خارج بماء الصمغ للوقاية من الهواء ثم يوضع فى تابوت من خشب أو من حجر ويدفن ومن هذه الاجساد ما هو باق الى يومنا هذا أما لغة المصريين فلم تكن تكتب بأحرف هجائية بل باشارات مستعارة من الاشباح الطبيعية وهى على نوعين الاول يشير الى أصوات نطقية والثانى يدل على جمل مختصرة وبقيت مجهولة الى أن وجد حجر رشيد واهتدى شمبليون الشهير لفك رموزها سنة ١٨٢٢ م

الفصل السادس

(الطبقة الرابعة عصر اليونان ومدة البطالسة)

٩٥٤ - ٦٥٢ ق ه أو ٣٣٢ - ٣٠ ق م

عصر اليونان — قد أجمع المؤرخون على ان الاسكندر بعد أن تغلب على جيوش دارا عند

ايسوس من أعمال كيليكيا وأسر زوجته وأمه وابنتيه فتح سوريا ومدينة صور وتقدم منها الى مصر بجيوشه برا وأساطيله بحرا ودخلها من جهة مدينة الطينة وبعد معاركة انهزم الفرس وفتحت له مصر أبوابها فامتلكها هذا أما رواية اليونان فتختلف عن ذلك كما ستراه قالوا ما ملخصه انه بعد أن أخضع الاسكندر مدينة رومية وكثيرا من سلاطين وملوك وقبائل أوروبا رجع الى جزيرة الاندلس ثم عزم على فتح الديار المصرية فأمر الملوك المتقدمين الذين فى تلك النواحى أن يصنعوا له اثنتى عشرة ألف سفينة كبيرة وأن يركب فى كل سفينة ألف مقاتل وأرسل فيلوبيوس وبطلوماوس وزيريه فى البر لاخضاع المغاربة وأوصاهم بقوله اذا دخلتم أرض مصر فاجمعوا خراجها ولا تظلموا أحدا فيها ثم أمر بانزال السفن الى البحر وجعل انتياخوس على ثلاثة آلاف سفينة وفيربندوس وزيره الآخر على ثلاثة آلاف أخرى وسلفكيرس على ثلاثة آلاف سفينة أخرى وجعل له الرئيس الاعظم ونزل هو بذاته فى الثلاثة آلاف سفينة الباقية ثم وجه كلا منهم الى جهة أما هو فلم يزل يسير الى المشرق وبعد أربعين يوما قطعوا البحر المتوسط فوصل الاسكندر أولا فى سفنه كلها الى نهر النيل وفتح مصر وأمر أن تبنى هناك مدينة وسماها الاسكندرية نسبة الى اسمه وجعلها على نسق المبانى المقدونية وأذن لكثير من أهل بلاد اليونان وأهالى المشرق أن يستوطنوا بها وفتح أبوابها لجميع الناس وأعدها مركزا جديدا لتجارة العالم فصارت كذلك وأتى هيكل جو بيتر أمون الكائن فى الصحراء فهلك كثيرون من جيوشه فى تلك الرمال وبعد أن قدم الذبائح فيه طلب من الكهنة أن يلقبوه بابن جو بيتر بعد أن أعطاهم هدايا وافرة فتلقب بابن جو بيتر ثم عاد الى مصر وكان وزيره سفليلوس وصل الى أرض كليكا وهى قرمان وابتنى مدينة حصينة دعاها سلوقية ووصل الى أنطاكيه ووصل أيضا فيربندوس بسفنه الى بحر اسكندر وابتنى هناك مدينة سماها بوزنطيه وكان الاسكندر مغتما بسبب السفن المذكورة والوزراء لانه لم يقف لهم على خبر وبعد أيام قلائل وفد عليه ثلاثة رسل من قبل وزرائه الثلاثة المذكورين فلما قرأ رسائلهم فرح جدا وبعد مدة قليلة وفدوا عليه جميعا وسار بهم الى اسيا وبدد شمل فارس وورث ملكهم ثم دخل بلاد الهند وانتصر على ملكها المسمى بوروس اه

وكان الاسكندر لما اختط مدينة الاسكندرية عين بنفسه محل المبانى والهياكل ما بين مصرية ومقدونية وهو دليل على أنه أباح الديانة المصرية وكان المهندس الذى باشر العمل يدعى بنوكراتس أو دنياركس اليونانى (٣٣٢ ق م) وبعد قليل أصبحت المدينة المذكورة مركزا لتجارة العالم ولما قصد الاسكندر العود الى آسيا لاتمام فتوحاته قلد ولاية مصر للامير اقليومنوس وبعد موت الاسكندر (٢٤ مايو سنة ٣٢٣ ق م) جاء بطليموس الاول من بابل ووضع يده على مصر

مدة البطالسة - بطليموس الاول (٣٢٣ - ٢٨٥ ق م) لما انقسمت مملكة الاسكندر الاكبر بين قواده وقعت مصر فى نصيب بطليموس هذا الملقب سوطير أى المخلص ولما كان يعرف مقام مصر واعتبارها وامتيازها بين الممالك أحسن التدبير والسياسة فى حكمها واستمال عقول الاهالى وانتهز فرصة قيام أهالى المغرب على جمهورية القيروان فانطلق اليها بجنود كافية وأساطيل حربية وافية وهزم جمهوريتها واستولى عليها وضمها الى مصر ثم بلغه أن الامراء صمموا

على نقل جثة الاسكندر الى مقدونيا فسار بجنوده الى الشام واستولى على تابوت الاسكندر ودفنه في الاسكندرية كما حققه المؤرخون وبنى له فيها هيكلا عظيما يظن كثير من أرباب البحث أنه هو القبر المعروف بقبر نبي الله دانيال فمالت اليه القلوب ولما كان ملوك مصر من القديم يميلون الى ضم الشام الى مصر جهز لذلك الجيوش وتغلب على مدن السواحل الشامية ولكن بعد قليل أخذها منه انطيغونس بالقوة فاعتاض عنها باستيلائه على جزيرة قبرص ثم ان ديمتريوس بن انطيغونس قصد مصر فصده بطليموس بجيشه المؤلف من ٨٠,٠٠٠ من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان وهزمه قرب غزة ولكن بعد ذلك بقليل جهز انطيغونس عمارة قوية وساقها تحت قيادة ولده على قبرص وانتصر هناك على أساطيل بطليموس في واقعة سلاميس كما سبق في المقدمة ولما رأى بطليموس أن حروبه الخارجية لم يعد عليه منها كبير فائدة اختار السلم وشرع في تشييد الهيا كل واصلاح المملكة فوجه مزيد عنايته لزيادة القوة البحرية فاكثر من السفن ووسع نطاق التجارة والمخالطات مع البلاد البعيدة وذكر بعض المؤرخين أنه كان لمصر في أيامه ما يزيد عن ٣٥٠٠ سفينة حربية بين كبيرة وصغيرة خلاف سفنه التجارية المنشورة الاعلام باكثر ثغور البحار وهو الذي شيد منارة الاسكندرية بجوار الميناء البحرية لمنافع التجارة وفوائد الملاحة كما بسطناه في المقدمة ورقى المعارف والعلوم بمدرسته التي شيدها بثغر الاسكندرية وكانت تدرس بها علوم ذلك الوقت من فلسفيات ورياضيات وطبيعيات وحكم وآداب وكانت المدرسة المذكورة تتصل بقصره الذي شيده بقرب عمود السواري المشهور وجلب كثيرا من علماء اليونان وغيرهم من سائر البلدان وغمرهم بالاحسان وبينما كان بطليموس مشتغلا بتقدم بلاده طمع دمتريوس في البلاد المشرقية وقصد أن يعيد الى مملكته ما كان يحكمه أبوه أنطيغونس منها فقاومه بطليموس وأخذ سفنه الحربية ودخلت الاساطيل المصرية تحت قيادة ولده فيلادلف الى بحر الارخبيل فوجد معاهديه من ملوك الطوائف كفوه مؤنة الحرب اذ قد غلبوا دمتريوس وأسروه ثم مات في أسره كما ذكرناه في المقدمة ومما حبب المصريين في بطليموس الاول اعتناؤه بالقوة العسكرية المصرية حيث بلغت في أيام ١٠٠,٠٠٠ من العساكر المشاة و ٤٠,٠٠٠ من الفرسان وثلاثمائة من الافيال الحربية وألفي عربة مسلحة بالمناشير والمناجل وكان في مخازن المملكة ٣٠٠,٠٠٠ طقم مجهزة من الزرد وكان يبقى في الخزينة في كل سنة من الايراد السنوي بعد الصرف نحو مائة ألف كيس ولما مات سنة ٢٨٥ ق م خلفه ولده الاكبر

بطليموس الثاني (٢٨٥ – ٢٤٧ ق م) وكان يلقب بفيلادلف أي محب أخيه من باب التهكم لانه كان يبغض اخوته وكان سنه وقت جلوسه ٢٤ سنة ولم تقع مدة أيام ملكه الطويل حروب تستحق الذكر وقد سار سيرة أبيه وساعد اليونان على انطيغونس غوناتاس وبقيت قبرص والقيروان خاضعتين له وقد اعتنى بالوقوف على حقائق البلاد فاستكشف داخل بلاد افريقية وأرسل الاساطيل من البحر الاحمر فاكتشف سواحل بحر فارس وسعى أيضا في معرفة حقيقة منابع النيل فارسل عدة ارساليات لذلك وبهذا صار له وقوف على أحوال السودان وقد وصل البحر الاحمر بالبحر الابيض كما وصلهما نيخاوس ودارا الاول من قبل ففتح خليجا من فرع الطينة بالقرب من تل

بسطه وأوصله الى البحر الاحمر وأرسل السفائن لاكتشاف سواحل الحبشة وجزيرة العرب وبحر الهند وكان ينشط العلوم والمعارف وزاد غنى مكتبة الاسكندرية الشهيرة التى أسسها أبوه بما أمر بترجمته من الكتب منها ترجمة التوراة من العبرانى الى اليونانى وسميت الترجمة المذكورة بالترجمة السبعينية لان مترجميها كانوا سبعين نفرا من علماء اليهود وأمر الكاهن مانيتون المصرى بتأليف تاريخ لمصر باللغة اليونانية فجمعه من الدفاتر الرسمية والاوراق القديمة التى كانت بالمعابد والهيا كل وكانت اللغة اليونانية فى أيامه قد امتدت الى أقاصى ممالك الارض وكانت مملكة مصر وقتئذ تحكم القيروان وسواحل الشام وبعض بلاد العرب وجزيرة قبرص وجزائر بحر الروم ودفع فيلادلف مهاجمات انطيوخوس تيوس وأخرب مملكته وعقد محالفة مع الرومان بعد انتصارهم على ابيروس وشرع فى بناء هيكل عظيم لزوجته التى هى أخته فلم يتمه ثم مات سنة ٢٤٧ ق م وحكم من بعده

بطليموس الثالث (٢٤٧ - ٢٢٢ ق م) وكان يلقب بافرجيتس أى المحسن وبعد زمن غير طويل قام الخلاف بينه وبين سيلوقوس الثانى ملك الشام وسبب ذلك أن ملك الشام المذكور قتل برنيقة أخت بطليموس عندما تغلب على زوجها انطيوخوس الثانى ولما انهزم سيلوقوس بعدو قائع تقدم بطليموس بجسارة الى آسيا العليا وطاف جهات بابل وسيدس وفارس وبلوخستان ورد الى مصر تماثيل الآلهة التى كان قمبيز قد أخذها من مصر قديما وقد بذل ما فى وسعه من المساعدات لاراتوس الشاعر الفلكى اليونانى الشهير ودعا نفسه محاميا للاتحاد الاخائى ولما اضطر كليومن الثالث (Cléomène) الاسبرطى الى الهرب من بيلوبونيزه بعد انكساره فى حربه مع المقدونيين أنزله بطليموس عنده على الرحب والسعة ثم حارب بطليموس بلاد اثيوبيا واستولى عليها وبذلك امتد نطاق مملكته من ينابيع النيل الازرق الى مضيق باب المندب وأخضع جزيرة قبرص وبلاد برقة وليبيا وكان الفلكى الشهير اراتوستين موجودا فى مدته ومات سنة ٢٢٢ وقيل سمه ابنه الآتى طمعا فى الملك

بطليموس الرابع (٢٢٢ - ٢٠٥ ق م) وكان يلقب فيلوباتر أى المحب لابيه وكان قاسيا جدا واتهم بقتل أبيه بالسم كما تقدم ولم تأخذه الشفقة فى قتل امرأة كليومن وأولاده ثم ألزمه وهو منفى أن يقتل نفسه وكان محاطا باتباع وحواش خداعين مملقين ولما أقبل انطيوخوس ملك سوريا بجيشه للاستيلاء على الولايات التى بيد المصريين صادف أولا نجاحا عظيما حتى خيل له أن ممالك عدوه صارت فى قبضة يده ولكن عند حلول الخطر استفاق بطليموس من رقاده فنهض وحاربه بمدينة رفح واستظهر عليه وكان لكل من ملكى مصر والشام عدة سفن حربية تساعد جنوده البرية فى هذه الواقعة فتلاقت السفن فى جهة صيدا وكانت القوة البحرية من الطرفين متكافئة ومع ذلك فان السفن المصرية استولت على كل السواحل الشامية وكان بطليموس هذا ضعيف الرأى حيث كان وزيره سوسيبيوس يدخل عليه الاراجيف واستمال عقله حتى أغراه على قتل أخيه وأعيان دولته وزوجته الملكة ارسينوى وكانت أخته فاحتقره رعاياه لارتكابه هذه الفظائع ومات مرذولا ممقوتا سنة ٢٠٥ ق م وخلفه ابنه

بطليموس الخامس (٢٠٥ - ١٨١ ق م) وكان يلقب ابيفانيس أى الماجد ولما جلس كان لم يزل قاصرا فوقعت فى مملكته ارتباكات كان سببها وزيره الذى أقامه وكيلا عنه وهو

أغاسكليس لانه ظلم الرعية فأبغضوه فاقيم مكانه هيبومينوس وكان غير كفؤ لمنصبه فخلفه أكارتابان اريستومينوس فانتهز انطيوخوس فرصة صغر سن بطليموس ونهض لاسترجاع سوريا وفينيقية وتعاهد مع فيلبش ملك مقدونيا فهجم فيلبش على الدردنيل وكليبولى وعلى بلاد الروم ايلى التى كانت تابعة لمصر وهجم ملك الشام على سوريا فانتصرت أساطيل وجيوش مصر التى كانت تحت قيادة سكوپاس وبعد ذلك تصالح انطيوخوس مع بطليموس على شرط أن يزوج الاول ابنته كليوباتره لبطليموس ويهب لها أقاليم الشام التى كانت محل النزاع بين الطرفين وكان انطيوخوس أراد فسخ المعاهدة وأرسل أساطيله على جزيرة قبرص لاخذها من يد مصر فالقتها الرياح على سواحل الاناضول فلم ينجح واشتغل بعد ذلك بحرب الرومان ولبث متمسكا بولاة ملك مصر حسب العهود ثم قامت ثورات فى عدة أماكن من مملكته وأخيرا توفى بطليموس بسم دسه اليه بعض أعوانه سنة ١٨١ ق م

بطليموس السادس والسابع (١٨١ - ١١٧ ق م) السادس هو ابن المتقدم وكان يلقب فيلوماتر أى المحب لامه ولما خلف أباه كان ابن خمس سنوات وتولت أمه كليوبطره بالنيابة عنه ادارة المملكة وكانت على جانب عظيم من العقل والحكمة وسادت الراحة وعم الامن فى زمنها ولما ماتت اختلت الاحوال وقامت حروب بين بطليموس المذكور وبين ملك الشام انهزم فيها بطليموس وأخذ أسيرا ولما رأت أعيان البلاد ما حل بملكهم أقاموا أخاه بطليموس السابع مقامه (١٤٦ ق م) وبعد أربع سنوات من أسر بطليموس السادس رجع الى مملكته فاتخذ أخاه اڤرجيتس الذى تولى باسم بطليموس السابع شريكا له فى الملك ثم ان ملك الشام نهض لمحاربته ثانية وسار بجيشه الى ثغر الاسكندرية وحاصرها الا أن بوپيلوس سفير الرومانيين منعه عن قصده وفى رواية أن اليهود أشاعوا عنه أنه مات وهو يحاصر الاسكندرية فاضطربت أحوال الشام فالتزم أن يترك الحصار ويعود اليها ثم اختلف الاخوان فتوسط الرومانيون فى الامر وقسموا ملك مصر بين الاثنين فغضب بطليموس فيلوماتر وقامت الحرب بين الاخوين وتغلب بطليموس محب أمه على أخيه افرجيتس فى معركة وقعت بينهما على نهر العاصى ثم توفى بطليموس السادس ولما قصد أخوه بطليموس السابع اغتصاب الملك من كليوبطره امرأة أخيه وكانت تولت الحكم بالنيابة عن ابنها حتى يبلغ رشده وعدها بالزواج ويجعل ابنها ولى عهد للمملكة فقبلت على هذا الشرط الا أنه سعى حتى قتله بعد ذلك وارتكب فظائع شنيعة أخرى ومازالت الاحوال مضطربة الى أن أدركته المنية (١١٧ ق م) وخلفه

بطليموس الثامن (١١٧ - ١٠٧ ق م) ويلقب بسوتير الثانى ويسميه العرب شوطار ولما تولى كانت أحوال الاسكندرية فى اضطراب من المظالم التى ارتكبها سلفه وبقى مدة تحت سلطة أمه كليوبطره وكان لين العريكة جدا وسعت أمه فى ابعاده عن الملك لغرض فى نفسها فاشاعت أنه يسعى فى قتلها فثارت عليه الرعية فهرب الى قبرص ثم الى سوريا وبينما كان هناك يحارب الثوار القائمين عليه ولت أمه المملكة أخاه اسكندرا الا أنه خاف العواقب بعد قليل فاختار الاعتزال وفر الى قبرص وكان أخوه سوتير يستعد فى سوريا يريد الهجوم على مصر فلما رأت كليوبطره قرب وصول الجيوش لمحاربتها دعت ابنها اسكندر من قبرص فعاد ولكنه لما اطلع على نواياها قتلها فهاج الشعب لذلك وثاروا عليه فهرب خوفا منهم فاستدعى أهالى الاسكندرية سوتير

ولما قدم قابلوه بالترحاب وفرحوا به وأجلسوه على التخت وعاش بعد ذلك فى أمن تام الى أن حضرته الوفاة وقد سلك فى آخر أيامه مسلك أسلافه حيث اهتم بترقية العلوم والفنون وبعث بعثة علمية لاكتشاف بحر الهند وكانت هذه أول سفرة سافر فيها المصريون لاستطلاع أحوال البحر المحيط الهندى تحت رياسة القائد هودوشيش القوزيقى وكان ممن اشتهر بالاسفار البحرية عارفا بالارصاد الفلكية وتعيين المواقع الجغرافيه فطاف حول افريقية وعين مواقع الجزائر والبلاد التى بالبحر الهندى

بطليموس التاسع (١٠٧ - ٨١ ق م) ويسمى باسكندر الاول وله عدة ألقاب فيلقب سوطير الثانى وبوطونوس ولاطوروس وفى أيامه حصلت جملة حروب بين مصر وسوريا ثم قامت الحرب بينه وبين أخيه الذى خرج من مصر واستولى على بلاد برقة وقصد أن يستولى على قبرص فساق بطليموس أساطيله اليها ووقعت حروب بحرية بينها وبين أساطيل أخيه انتصر فيها على أخيه (٩٢ ق م) ثم وطد حكومته هناك وأعاد لمملكة مصر علوشأنها وشوكتها البحرية بتعمير السفن التجارية والحربية وترقية فن الملاحة وروى أنه لما طلب سولا رئيس جمهورية الرومان من مصر الاعانة للقائد بوقولوس الذى أرسلته لحرب مملكة كبادوكيا امتنع ملك مصر عن المساعدة وهذا يدل على شوكة مصر فى زمنه

بطليموس العاشر وبطليموس الحادى عشر (٨١ - ٥٢ ق م) والاول منهما يعرف باسكندر الثانى والثانى يلقب باوليتس أى الزامر وكان لاسكندر الاول ولد يسمى اسكندر الثانى أيضا وكان مقيما فى ديوان متريدات ولما جاء الامير سولا مع جيوش الرومان الى كبادوكيا لمحاربة متريدات انضم اليه اسكندر الثانى المذكور بأمل أن يعينه عند الفرصة على نوال ملك مصر وبعد انقضاء حرب متريدات أثار اسكندر هذا على بطليموس العاشر حربا جسيمة الى أن مات أخوه بطليموس العاشر سنة ٨٠ ق م ولما انفرد بطليموس الزامر تعاهد مع بومبيوس ويوليوس قيصر ملكى رومية وكان يهاديهما بالمبالغ الوافرة فأدى ذلك الى زيادة الضرائب فثار عليه رعاياه وطردوه ثم عاد بجيش جهزه له أغابينيوس حاكم سوريا وحكم ثلاث سنوات أخرى قتل فيها كثيرا من أمراء وأعيان مصر وصادر أموالهم

بطليموس الثانى عشر وبطليموس الثالث عشر (٥٢ - ٤٢ ق م) لما تولى بطليموس الثانى عشر الملك كان عمره ١٣ سنة وتزوج باخته كليوبطره وكان زمام الملك بيد أوصيائه ولكن الاهالى كانوا يبغضون كليوبطره ويريدون البطش بها فهربت الى الشام وفى هذه المدة قامت فتنة بين ملكى رومية يوليوس قيصر وبومبيوس قيصر ولما انهزم بومبيوس فر الى مصر محتميا ببطليموس الثانى عشر فما كان من هذا الا أنه قتله وبعث برأسه الى يوليوس قيصر فشق عليه ذلك وأمر باحضار بطليموس الثانى عشر وحبسه وأجلس أخته كليوبطره وطلب أهل الاسكندرية اعادة بطليموس عليهم انتقاما من كليوبطره فامتنع الرومان من ذلك وهربت كليوبطره الى سوريا مستنجدة بيوليوس قيصر ثم قامت حروب بين الرومان ومصر اشتركت فيها جملة أساطيل رومانية ولكن أهالى الاسكندرية غلبوا الرومان ولما هموا بالاستيلاء على سفنهم أغرقها يوليوس بيده وفى مدة

الحصار

الحصار أضرم الرومان النار بالمدينة حتى وصلت الى القصر الملوكى واتصلت بالكتبخانة الشهيرة فأبادت معظمها ثم أتى المدد ليوليوس من رومية فانتصر على المصريين وأطلق الرومان بطليموس الثانى عشر وبمجرد خروجه من السجن جهز عساكر مصر وهجم على الرومان فهزمه يوليوس وقبض عليه ثانية وأغرقه هو وكثيرا من عساكره فى النيل وعاد يوليوس الى بلاده (٤٨ ق م) بعد أن أجلس بطليموس الثالث عشر وكليوبطره على تخت مصر سوية فتزوجت كليوبطره أخاها المذكور ثم قتلته بالسم ليخلو لها الجو (٤٢ ق م)

كليوبطره وانقراض البطالسة (٤٢ - ٣٠ ق م) لما استتب الامر لكليوبطره بقيت تحت حماية رومية واتفق أن أنطونيوس واكتافيوس القائدين الرومانيين كانا يحاربان بروتس فامدت كليوبطره بروتس بعمارة بحرية وكانت قد ولدت ولدا دعته قيصرون (نسبة لقيصر والده) فكان هو الملك على مصر رسميا فلما بلغ انطونيوس أن ملكة مصر تساعد أعداءه وكان فى طرسوس استدعاها اليه للمحاكمة حيث خالفت العهود فركبت زورقا جميلا مموها بالذهب مجاذيفه من الفضة يخرج منه عند التجذيف أصوات موسيقية مطربة ولبست أنخر ما لديها من اللباس الثمين فزادها ذلك جمالا على جمالها ولما بلغت طرسوس وشاهدها انطونيوس وكان قلبه شغف بها حينما رآها فى رومية عندما التجأت الى مجلس الرومان بعد موت قيصر فازداد بها شغفا حتى أهمل أعمال الدولة ولم يخالف لها أمرا وبقيت معه على ذلك الى أن أشهرت المشيخة الرومانية الحرب عليها (٣٢ ق م) وحدثت واقعة اكسيوم البحرية السابق ذكرها فى مقدمة هذا الجزء ولما انتحر انطونيوس استولى أوكتافيوس على الاسكندرية وصمم على الايقاع بكليوبطره فاوجست خيفة منه وجعلت تستجلبه اليها وتخادعه بكل الطرق ولما لم تفز بمرامها قتلت نفسها بثعبان (١٥ أغسطس ٣٠ ق م - ٦٥٢ ق ه) بعد أن قبض عليها وقيل فى موتها غير ذلك والله أعلم بالحقائق ومن ذلك الوقت صارت مصر اقليما رومانيا وهذه الدولة هى آخر دول الدور الجاهلى

(الفصل السابع)

(الطبقة الخامسة أو عصر الرومان)

٦٥٢ ق ه - ١٨ ه - ٣٠ ق م - ٦٤٠ م

لما أضافت الدولة الرومانية اقليم مصر لحكمها صارت ترسل اليها عمالا من قبلها يعينهم مجلس رومية وكان العامل منهم بيده جميع السلطة الادارية والعسكرية يتلقى أوامره مباشرة من مجلس رومية وليس لاحد عليه كلمة سوى المجلس المذكور أو قيصر الرومان وأول وال تعين عليها قورنليوس غالوس فاجتهد فى اصلاح ما أفسدته الفتن والحروب الاخيرة وخلفه فى ولاية مصر بطرنيوس وثارت عليه أهل الاسكندرية فحاربهم حتى قهرهم وأدخلهم تحت الطاعة وغزا بأمر أغسطس عرب الحجاز ولكن انهزمت جيوشه وفى تلك المدة انتهز أهالى السودان فرصة غياب العساكر الرومانية فى بلاد العرب وأغاروا على الديار المصرية واكتسحوا بلاد الوجه القبلى

والحاصل انه أتى على مصر فى أوائل حكم الرومان بعض أيام سعيدة الا أن غالب أيامها كانت ثورات وحروب ليس فى ذكرها كبير أهمية وسبب هذه الفتن على العموم أن بعض أولئك الولاة كان يسىء السيرة مع الرعية فتارة كان اليهود يظهرون العداوة لهم و يقاتلونهم فيعزلون وتارة عندما يتظلم المصريون للقياصرة كانوا يقابلون شكواهم بالاستهزاء والسخرية وكل ذلك بسبب ما يقع بين الطرفين من المجادلات الدينية خصوصا بعد ظهور الديانة المسيحية فكانت الاضطهادات ضد النصارى آخذة حدها وأشهر تلك الاضطهادات الاضطهاد الذى حصل بمصر فى أيام دقلديانوس أو ديوقليطس لانه بالغ فى ذلك وقتل من المسيحيين جما غفيرا بين كهنة وعامة وقد أرخ الاقباط بهذه الحادثة ويسمونه تاريخ الشهداء وهو يبتدئ من ١٣ يونيو سنة ٢٨٤ م (٣٣٩ ق ه) وكان على مصر من طرف الرومان عامل يدعى اجيلوس استبد بأحكامها فقاتله دقلديانوس وانتزع مصر من يده فكان ذلك فتحا جديدا لمصر ومفتاح سعادة للمصريين لان هذا القيصر بعد ما صار منه ما صار من الظلم عاد الى طريق الاستقامة والانصاف وسن لمصر قوانين خاصة بها عادت عليها بالرفاهية ولما نقل قسطنطين امبراطور الرومان تخت مملكته الى مدينة بيزانس ودعيت بالقسطنطينية (٣٠٦ م) أخذت حالة مصر فى الانحطاط لانتقال الاهمية الى هذا التخت الجديد الذى صار أعظم مدينة فى الشرق ولما توفى تيودوسيوس (٣٩٥ م - ٢٢٧ ق ه) أعقب ولدين وهما آرقاديوس وهنوريوس فورثا الحكومة الرومانية بتمامها واقتسماها فجعلاها مملكتين شرقية وغربية وجعلا عاصمة الشرقية بوزنطية وعاصمة الغربية رومية وكانا كلاهما حاكمين فى زمن واحد كما سبق ذكر ذلك فى الجزء الاول من هذا الكتاب فكان هذا الانقسام من أسباب انحطاط وانقراض هذه الدولة العظيمة وقد صارت مصر بعد هذه القسمة من أقسام الدولة الشرقية ولما تبعت مصر لهذه الدولة أمر ارقاديوس أن تغلق هياكل المصريين وتكسر أصنامهم ويعلن فى مصر دين النصرانية دون غيره فطلب أهل مصر منه أن يسوس أمرهم بما فيه المصلحة وحسم الفتن فبعث اليهم قوانين مشتملة على التشديد والزجر وأجبر الاهالى على القيام بواجباتهم تحت نواب دونه وكان عين تيوفيلس بطريقا بالاسكندرية ووضع تحت أمره والى مصر وأمراءها فنال البطريق المنزلة العظمى وأخذت القساوسة تتداخل فى أمور الدولة حتى صار لهم الشأن الاول فلهذا كان الاضطراب مستمرا وكان بين الامة وأهل الدولة اختلاف دائم وكانت قياصرة القسطنطينية يسعون دائما فى تسكين الفتن الدينية فى أول ظهورها ومع كل ذلك لم تكن نيرانها تخمد الا بصورة وقتية وقد اجتهد يوسطنيانوس القيصر الاول فى تحسين أحوال مصر وتعاهد مع الحبشة لجلب التجارة الى الاسكندرية ولكن نائبه كلف أهل الاسكندرية فوق طاقتهم واستعمل الجند فى اذلالهم فكانت هذه الامور سببا لكراهة الاهالى للحكومة وكانت أساطيل الروم لا ينقطع ورودها عن سواحل وثغور مصر وقد تكلمنا عن أحوال البحرية فى العهد المذكور فى مقدمة هذا الجزء بما فيه الكفاية وهنا نقول ان أول تجريدة بحرية مهمة ساقتها الدولة الرومانية الشرقية على ساحل افريقية كانت من طرف الامبراطور ماجوريان سنة ٤٥٧ م وكان القصد من ارسالها دفع الوندال عن افريقية وقد ضاع أسطول التجريدة المذكورة فى جون قرطاجنه ولم يكن الاسطول الذى أرسله بعده الامبراطور البوزنطى لاون (٤٦٨ م)

(٤٦٨ م) أكثر بحاحا من أسطول ماجوريان وفي عهد الامبراطور يوستنيانوس (٥٣٣ م) أرسل أسطولا جسيما مؤلفا من ٦٠٠ سفينة وجيشا قويا تحت قيادة بيساريوس الشهير لطرد الوندال فاستولى على قرطاجنة وبدد شمل الوندال وكانت مينا قرطاجنة وقتئذ من أشهر المين وأوسعها خرج منها أميلافرس قبل ذلك الى حرب سرقوسه بالف سفينة حربية وثلاثة آلاف سفينة للوسق ولهذا كانت من القديم تعد أكبر فرضة في الساحل الافريقي والحاصل أنه بعد ما أسر الجنرال البوزنطى ملك الوندال أرسل فرقا من الاساطيل فاخضعوا سردانيا وكورسيكا وجزائر بالياره ثم أخذت بعد ذلك الدولة الشرقية في الانحطاط لمهاجمة البلغار بين لها من الشمال والفرس من الشرق والترك من الشمال الشرقي ولما ارتقى هرقل على تخت الامبراطورية الرومية الشرقية (٦٣٥ — ٦٤١ م) استنار الوجود بظهور كوكب الاسلام وتقدمت جيوشه في الفتوحات ففتحوا في عهد الخليفتين الاولين أكثر البلاد العراقية الواقعة على نهر الفرات واستولوا على الاقطار الشامية وكان أهالي القطر المصري الاقباط يئنون من جور حكومة الروم وكثرة ضرائبها واستبداد عمالها وكان عقلاؤهم يتوقعون قرب سقوط دولة الرومان لتقدم العرب بالفتوحات فلذا كانوا ينتظرون أول فرصة لشق عصا طاعتها الى أن تم لهم ذلك بدخول جيش الاسلام مصر واخضاعها عنوة على يد القائد الشهير والبطل الكبير عمرو بن العاص رضى الله عنه (١٨ ﻫ — ٦٤٠ م) كما ذكر في صحيفة ١٧٩ من الجزء الاول ومن ذلك الوقت انتهت المدة المسيحية وابتدأت المدة الاسلامية

﴿ الفصل الثامن ﴾

تاريخ مصر الحديث

﴿ أشهر أخبار الديار المصرية مدة عمال الخلفاء الامويين والعباسيين ﴾

٢٢ — ٢٥٥ ﻫ

لما أتم عمرو بن العاص فتح مصر واختط الفسطاط ولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الفسطاط وأسفل الارض وولى عبد الله بن أبي سرح على الصعيد فأجرى عمرو في مصر حكما عادلا محمودا كما يظهر مما كتبه للخليفة في بعض كتبه اذ عرض عليه ثلاثة أمور تعود بالنفع على مصر أولها عدم ازدياد الضرائب ثانيا حفظ جزء من الايراد العام لشق الجداول والترع واقامة الجسور والقناطر واصلاحها ثالثا تقسيم المال على الاراضى بحسب غلالها ولما أصيبت جزيرة العرب بالمجاعة عام الرمادة كانت غلال مصر هي السبب في خلاصها من القحط وكان أكبر مساعد لنقل الحبوب بالسهولة والسرعة الخليج الذى حفره عمرو بين النيل والبحر الاحمر وسماه خليج أمير المؤمنين قال ابن الحكم توفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى مصر أميران عمرو بن العاص بأسفل الارض وعبد الله بن سعد على الصعيد فلما استخلف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله ابن سعد أميرا على مصر كلها وفي السنة الاولى من امارته (٢٤ ﻫ) سار من قبل الروم منويل الخصى الى الاسكندرية فسأل أهل مصر عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربته فرده واليا على الاسكندرية فحارب الروم بها حتى افتتحها وجمع لاميره مصر هذا صلاتها وخراجها ومكث أميرا

مدة خلافة عثمان كلها وغزا في خلالها عدة غزوات غزا افريقية (٢٦ هـ) وقتل واليها البطريق غريغوريوس أو جرجير وأسرت ابنته وفتح سبيطله وكانت تبعد عن قرطاجنة نحو ١٥٠ ميلا وغزا السودان حتى بلغ دنقله (٣١ هـ) وغزا باسطول مصر اسطول قسطنطين واستظهر عليه استظهارا باهرا في واقعة الصواري بجوار فرضة (زيواره) وكان أسطول مصر يتألف من مائتي مركب وأسطول الروم من ألف مركب (٣٣ هـ) وقاد أيضا الاسطول المصري في فتح قبرص (٣٣ هـ) وكان عمرو بن العاص عاد الى المدينة سنة ٢٧ هـ وفي نفسه من عثمان أمر كبير وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بعد عمرو بن العاص قال الاسحاقي وكان ابن أبي سرح جبى خراج مصر فبلغ أربعة عشر ألف ألف دينار فنظر سيدنا عثمان الى عمرو وقال قد علمت أن اللقحة درت بعدك قال نعم ولكن أجاعت أولادها اهـ

وفي خلال اشتغال عبد الله بن سعد بالحروب نشأت بمصر طائفة يؤلبون الناس على حرب عثمان والانكار عليه في عزله عمرا وتوليته آخرين وكان معظم ذلك مسندا الى محمد بن أبي بكر ومحمد ابن أبي حذيفة حتى استنفرا نحوا من ستمائة راكب يذهبون الى المدينة لينكروا على عثمان فساروا اليها وسألوه أن يعزل عنهم ابن أبي سرح ويولي محمد بن أبي بكر أميرا فاجابهم الى ذلك فلما رجعوا اذا هم براكب فأخذوه وفتشوه فاذا في أداته كتاب الى ابن أبي سرح عن لسان عثمان بقتل محمد بن أبي بكر وجماعة معه فرجعوا وداروا بالكتاب على الصحابة فلام الناس عثمان على ذلك فحلف رضي الله عنه أن ماله علم بذلك وثبت أنه زوّره على لسانه مروان بن الحكم وزوّر خاتمه فكان ذلك سبب تحريض المصريين على قتل عثمان حتى حصروه وقتلوه وفعل المصريون في المدينة من الشر مالا يفعله فارس والروم ونهبوا دار عثمان وعدلوا الى بيت المال فأخذوا مافيه وكان فيه شيء كثير جدا (٣٥ هـ) وغير ذلك من الاقوال والافعال التي رواها المؤرخون وبعد موت عثمان تجدد النزاع على الخلافة وقامت الفتن وبقيت المدينة خمسة أيام بلا خليفة والمصريون يلحون على عليّ أن يبايعوه وهو يهرب منهم ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه والبصريون طلحة فلم يجبهم وبعد ذلك بايع القوم عليا رضي الله عنه وأشار عليه ابن عباس باستمرار نواب عثمان في البلاد الى حين آخر فأبى عليه وعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن مصر وولى عليها قيس بن سعد بن عبادة وكان محمد ابن أبي حذيفة لما بلغه حصر عثمان تغلب على الديار المصرية وأخرج منها ابن أبي سرح وصلى بالناس فيها فسار ابن أبي سرح فجاءه الخبر في الطريق بقتل عثمان فذهب الى الشام فأخبر معاوية بما كان من أمره بديار مصر وأن محمد بن أبي حذيفة قد استحوذ عليها فسار معاوية وعمرو بن العاص ليخرجاه منها فعالجا دخول مصر فلم يقدرا ولم يزالا به حتى خرج الى العريش في ألف رجل فتحصن بها وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا ثم سار الى مصر قيس بن سعد بن عبادة بولاية من علي فدخل مصر في سبعة نفر فرقي المنبر وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين علي ثم قام قيس فخطب الناس ودعاهم الى البيعة لعلي فبايعوا واستقامت له طاعة بلاد مصر (٣٦ هـ) وسار فيها سيرة حسنة ولكن كانت أحوال الخلافة في اضطراب لان معاوية بن أبي سفيان أخذ يحزب الناس على عليّ رضي الله عنه بأنه هو السبب في قتل عثمان حتى انه كتب الى

قيس

قيس يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده أن يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فلما بلغه الكتاب وكان قيس رجلا حازما فلم يخالفه ولم يوافقه بل بعث بلاطف معه الامر وذلك لبعده من على وقربه من بلاد الشام ومامع معاوية من الجنود الكثيرة فسالمه قيس وتاركه ومع كل ذلك لم يخل من التهمة وأخيرا كتب الى على رضى الله عنه يستعفى من ولاية مصر وقال له ابعث على عملك بمصر غيرى فولى على على مصر محمد بن أبي بكر وارتحل قيس الى المدينة ثم ركب الى على واعتذر اليه وشهد معه صفين ولما قدم محمد مصر قرأ كتاب على على الناس وخطبهم ثم بعث الى القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم يقول ادخلوا فى طاعتنا أو اخرجوا من بلادنا فقالوا دعنا حتى ننظر وأخذوا حذرهم ولما انقضت صفين وصار الامر الى التحكيم طمع أهل مصر فى محمد بن أبي بكر واجترؤا عليه وبارزوه بالعداوة وندم على بن أبي طالب على عزل قيس عن مصر لانه كان كفوأ لمعاوية وعمرو ابن العاص فلما فرغ على من صفين وبلغه أن أهل مصر استخفوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شابا ابن ست وعشرين سنة عزم على رد مصر الى قيس بن سعد ثم انه ولى عليها الاشتر النخعى فلما بلغ معاوية تولية الاشتر ديار مصر عظم ذلك عليه لانه كان طمع فى انتزاعها من يد محمد بن أبي بكر وعلم أن الاشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته وجاء الاشتر فنزل على صاحب الخراج بالقلزم فمات هناك وقيل ان معاوية بعث الى صاحب القلزم فسمه على أن يسقط عنه الخراج وبلغ موته عليا فاسترجع واسترحم وحصلت أمور أخرى يطول شرحها وبقى محمد بن أبي بكر الى أن كان من أمر الحكمين ما كان واختلف أهل العراق على على وبايع أهل الشام معاوية وقرر معاوية فتح مصر فجهز عمرو بن العاص فى ستة آلاف فسار اليها واجتمعت عليه العثمانية وأراد محمد بن أبي بكر المقاومة وأخيرا تفرقت جموعه وهرب هو واختفى فى خربة ودخل عمرو بن العاص فسطاط مصر ثم دل على محمد بن أبي بكر فجئ به وقد كاد يموت عطشا فقدمه معاوية بن حديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار وأحرقه بالنار (٣٨ ﻫ) وكان عمرو أرسل الى محمد بن أبي بكر يطلب منه عدم المقاومة وكتب اليه يقول تنح عنى بدمك فانى لا أحب أن يصيبك منى ظفر وان الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك فأغلظ محمد له فى الجواب ثم كان ما كان وكتب عمرو بن العاص الى معاوية يخبره بما كان من الامر وأن الله قد فتح عليه بلاد مصر فأقام عمرو أميرا بمصر الى أن مات بها (٤٣ ﻫ) ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس اذ ذاك للحج وهو أول أمير مات بمصر

عمال خلفاء بنى امية (٤٠ - ١٣٢ ﻫ) - لما قتل على رضى الله عنه غيلة فى الكوفة سنة أربعين من الهجرة ولى الخلافة ولده الحسن رضى الله عنه ولم يمكث الا ستة أشهر ثم بايع معاوية كما مر بالجزء الاول وكان عمرو بن العاص يدبر شؤن مصر بالصورة المذكورة وبعد موته ولى معاوية على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو وعمل له عليها سنتين وقيل بل أشهرا ثم عزله وولى عتبة بن أبي سفيان وجمع له معاوية الصلات والخراج وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية فى اثنى عشر ألفا من أهل الديوان تكون بها مرابطة ثم خرج اليها مرابطا (٤٤ ﻫ) فمات بها واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى وفى سنة ٤٦ ﻫ جهز عقبة بن عامر الجهنى الاساطيل بثغر الاسكندرية وغزا البحر بأهل مصر وأهل المدينة جزيرة رودس ولكن فتحها كان سنة ٥٣ ﻫ عند

ماغزاها جنادة بن أبي أمية الازدي بالاسطول ونزلها المسلمون على حذر من الروم لانهم كانوا
يعترضونهم في البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يجزل لهم العطاء حتى خافهم الروم وكان معاوية
ولى مسلمة بن محمد الانصاري على مصر وأمره أن يكتم ذلك على عقبة بن عامر حتى يقلع بالاسطول
لغزو رودس (٤٧ هـ) وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر ثم ولى معاوية على مصر وافريقية
مسلمة بن مخلد الانصارى وجمع له الصلات والخراج والغزو فانتظمت غزواته في البر والبحر
(٥٠ هـ) وفي إمارته نزلت الروم بأساطيلهم البرلس (٥٣ هـ) فاستشهد يومئذ وردان مولى
عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد وجدده ومن
وقتئذ اهتم بأمر الاساطيل وأمر ببناء صناعة في الجزيرة فبنيت سنة ٥٤ هـ وأخذ يصنع ويصلح
الاساطيل فيها وعامل الامة بالعدل وكان معاوية أراد أن يولى على مصر عبد الرحمن بن عبد الله بن
عثمان بن ربيعة الثقفي فلم تقبله الاهالى لشهرته بسوء السيرة فأقر مسلمة بن مخلد في الولاية واستمر على
إمرة مصر الى أن مات (٦٢ هـ) في خلافة يزيد فولى بعده سعيد بن يزيد بن علقمة الازدى
(٦٢ هـ) وأعرض عنه أهل مصر لاستخفافهم به لصغر سنه واعتزل سعيد بعد سنتين من ولايته
ثم وليها عبد الرحمن بن عتبة (٦٤ هـ) من قبل عبد الله بن الزبير عندما بويع بالخلافة بعد موت
يزيد وقامت فتن بين الامويين والهاشميين فقصد مروان مصر ومعه عمرو بن سعيد الاشدق فقاتل
عبد الرحمن فهزم عبد الرحمن وهرب ودخل مروان الى مصر فتملكها وجعل عليها ولده عبد العزيز
(٦٥ هـ) وجعله على الصلات والخراج ومات أبوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأقر أخاه
عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر (٧٠ هـ) فنزح عبد العزيز عنها ونزل حلوان فاتخذها داراله
وبنى بها الدور والمساجد وعمرت في أيامه حتى كان لها شأن عظيم وجهز الاساطيل والبعوث في البحر
لقتال ابن الزبير (٧٢ هـ) واستمر أميرا على مصر عشرين سنة ثم مات سنة ٨٦ فولى من بعده
عبد الله بن عبد الملك وكان حدثا وكان أهل مصر يسمونه الكيس وهو أول من نقل الدواوين الى
العربية وكانت لعهده بالعجمية وأول من نهى الناس عن لباس البرانيس فأقام الى سنة ٩٠ هـ
وعزله أخوه الوليد وولى قرة بن شريك العبسى وكانت الفتوحات الاسلامية اتسعت في زمن الوليد
ودخلت جيوش الاسلام في أوروبا وفي هذا الوقت أخذ المسلمون يبنون الاساطيل فصارت تصنع
السفائن في أكثر ثغور مصر وافريقية وكان قرة بن شريك المذكور ظلوما عسوفا وفي أيامه أمر الوليد
ببناء الجوامع لما امتلأت بيوت الاموال من مال الخمس فبنى مسجد العيلة وهو أول مسجد بنى بالفسطاط
وكان في أصل حصن الروم عند باب يعرف بباب الريحان ومات قرة سنة ٩٦ فولى بعده عبد الملك
ابن رفاعة فأقام ثلاث سنين وفي أيامه كانت ركبة القسطنطينية التى سيرها سليمان بن عبد الملك
تحت قيادة مسلمة فارسل أمير مصر عمارة عظيمة أقلعت مع العمارة العربية التى خرجت من بحر
الشام فكانت نحو ألف وثمانمائة سفينة أعظمها تحمل مائة رجل بجهازهم ولما وصلت الى
القسطنطينية ونظرها الروم أمروا برفع السلسلة القاطعة للميناء لكى تدخل السفن وتستأمن داخل
البوغاز واستعد مسلمة للهجوم برا وبحرا ولما وصلت المراكب الى حيث السلسلة وقفت متحيرة أن
تدخل أو ترسو في مكانها خوفا من حيلة ما واذا بالنار الاغريقية قد اشتعلت من كل جانب وأحرقت
أغلب الاساطيل (٩٩ هـ) وبعد موت سليمان خلفه عمر بن عبد العزيز فولى أيوب بن شرحبيل

(٩٩ هـ) على مصر وعطلت حانات الخمر فى أيامه وأرسل اليه الخليفة بارسال المدد للجيوش الشامية فى ضواحى القسطنطينية فجهز أيوب عمارة عظيمة مؤلفة من أربعمائة سفينة وشحنها قمحا وأقلعت من الاسكندرية ولحقت بالعمارة الافريقية التى كانت مركبة من ثلاثمائة وستين سفينة ولما أوصلت الزاد الى جنود مسلمة حدث لهما ما حدث للعمارة الاولى من التدمير ولم يخلص من سفنهما الا القليل ويقال انه لم ينج من كل ثلاث المراكب الا خمسة فقط جاءت بالاخبار الى الاسكندرية ومع كل ذلك استمر المسلمون على تجهيز المراكب فى مصر وأقاموا يغزون الصوائف كعادتهم ولما مات عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك أقر أيوب على مصر الى أن مات (١٠١ هـ) فولى بعده بشر بن صفوان الكلبى ولما ولاه افريقية استخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر فأقام بها الى سنة ١٠٥ هـ ثم ولى محمد بن عبد الملك بن مروان وفى أيامه وقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى الصعيد ثم عاد وخرج عن مصر وتولى الحر بن يوسف من قبل هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ) ثم ولى حفص بن الوليد فأقام الى سنة ١٠٨ هـ وولى بعده عبد الملك بن رفاعة (١٠٩ هـ) وصرف فى السنة نفسها وولى أخوه الوليد فأقام الى أن توفى سنة ١١٩ هـ وفى أيامه انتقلت قبيلة قيس الى مصر فأنزلوا فى الحوف الشرقى [1] وولى بعده عبد الرحمن بن خالد الفهمى من قبل هشام بن عبد الملك وفى امرته نزل الروم على تروجة [2] فحاصروها ثم اقتتلوا وأسروا فصرفه هشام وولى حنظلة بن صفوان ثانيا فانتقض عليه القبط وفى سنة ١٢٢ هـ ولاه افريقية وأعيد الى مصر حفص بن الوليد فأقام ثلاث سنين ثم صرف وولى بعده سنة ١٢٨ هـ حسان بن عتاهية التجيبى ثم أعيد حفص بن الوليد وعزل لظهور فتنة فى مصر سنة ١٢٨ وولى الحوثرة بن سهيل الباهلى من قبل مروان فسار اليها فى آلاف من الجند فخافه أرباب الثورة من الاهالى وسألوه الامان فأمنهم ونزل بظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهزم الجند وكان معه عيسى بن أبى عطاء على الخراج وبعث فى طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف مروان الحوثرة عن مصر (١٣١ هـ) وبعثه الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان ابن عتاهية وقيل أبا الجراح بشر بن أوس ثم صرفه عنها (١٣٢ هـ) وولى المغيرة بن عبد الله الفزارى وخرج الى الاسكندرية ومات (١٣٢ هـ) واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرفه الوليد بعد شهر وولى عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير على الصلات والخراج وكان واليا على الخراج قبل (١٣٢ هـ) وهو أول من أمر باتخاذ المنابر فى الكور ولم تكن قبله بل كانت ولاة الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وخرج القبط فحاربهم وقتل كثيرا منهم وفى خلال ذلك قامت الخلافة العباسية

عمال خلفاء العباسيين (١٣٢ – ٢٥٥ هـ) – لما ولى السفاح الخلافة وانهزم مروان الحمار وهرب الى الديار المصرية ولى السفاح نيابة الشام ومصر لصالح بن على بن عبد الله بن عباس فسار صالح

---

(١) قال ياقوت الحوف بالفتح وضبطه ابن خلكان بالضم وبمصر حوفان الشرقى والغربى وهما متصلان أول الشرقى من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط يشتملان على بلدان وقرى كثيرة

(٢) تروجة قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الاسكندرية أكثر ما يزرع بها الكمون وقيل اسمها ترنجه وكانت تروجة مدينة عظيمة متسعة ذات أسواق دائمة وقصور مشيدة ومساجد عامرة وبساتين وكانت تنزلها الملوك والامراء ثم أخنى عليها الزمان فخربت

حتى قتل مروان ببوصير السدر من أعمال مديرية الجيزة فى ذى الحجة سنة ١٣٢ ﻫ و بعث برأسه الى العراق وانقضت بذلك أيام بنى أمية ثم رجع صالح الى الشأم واستخلف على مصر أباعون عبد الملك بن أبى يزيد الازدى فاقام الى سنة ١٣٦ ﻫ ثم أعيد صالح بن على وخرج أبو عون بالجيوش الى افريقية بعد أن جهز المراكب من الاسكندرية الى برقة فمات السفاح واستخلف أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقر صالحا وكتب الى أبى عون بالرجوع ورد الدعاة ثم بعد ذلك أعيد أبو عون سنة ١٣٧ ﻫ فاقام الى سنة ١٤١ ﻫ ثم ولى بعده موسى بن كعب التميمى من قبل أبى جعفر المنصور ومات بعد سبعة أشهر و ولى محمد بن الاشعث الخزاعى ثم عزل (١٤٢ ﻫ) وولى نوفل بن الفرات ثم عزل و ولى حميد بن قحطبة الطائى ثم صرف سنة ١٤٤ وولى يزيد بن حاتم المهلبى فأقام الى سنة ١٥٢ ﻫ ثم عزل لهزيمته أمام القبط عند ثورتهم و ولى بعده عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج من قبل أبى جعفر المنصور العباسى وهو أول من خطب بالسواد ومات سنة ١٥٥ ﻫ واستخلف أخاه محمد ابن عبد الرحمن بن حديج فاقام سنة وشهرين ثم ولى بعده موسى بن على اللخمى (١٥٥ ﻫ) فثارت القبط فى أيامه فكسرهم ولما مات أبو جعفر (١٥٨ ﻫ) وبويع ابنه محمد المهدى أقر موسى بن على المذكور الى سنة ١٦١ ﻫ ثم ولى عيسى بن لقمان الجمحى و يعرف باللخمى من قبل المهدى على الصلات والخراج ثم ولى واضح مولى المنصور (١٦٢ ﻫ) ثم صرف من عامه وولى منصور بن يزيد الحيرى ثم ولى بعده يحيى بن داود أبو صالح الجرسى وكان أبوه تركيا ثم ولى سالم بن سوادة التميمى (١٦٤ ﻫ) ثم ولى على بن ابراهيم بن صالح العباسى (١٦٥ ﻫ) ثم ولى موسى بن مصعب مولى خثعم وكان ظالما فزاد الخراج والضرائب على أهل الاسواق فكرهه الناس وثاروا عليه فقاتلهم بالجند فانهزم وأسلمه أهل مصر للقائمين عليه فقتلوه (١٦٤ ﻫ) ثم ولى عامر بن عمرو ثم ولى الفضل بن صالح العباسى ثم عزل (١٦٦ ﻫ) ثم ولى على بن سليمان العباسى ولما مات الهادى (١٧٠ ﻫ) وبويع هرون بن محمد الرشيد أقر على بن سليمان فاظهر فى ولايته الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولما تطلع للخلافة وطمع فيها سخط عليه هرون الرشيد وعزله (١٧١ ﻫ) ثم ولى موسى بن عيسى من قبله على الصلات ثم صرف عنها (١٧٢ ﻫ) ثم ولى بعده مسلمة بن يحيى من قبل الرشيد على الصلات ثم صرف عنها (١٧٣ ﻫ) ثم ولى محمد بن زهير الازدى على الصلات والخراج وصرف بعد خمسة أشهر فولى داود بن يزيد الصلات و بعث بابراهيم بن صالح لاخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل سنة ١٧٤ ﻫ وأخرج الجند الكثيرين الى المشرق والمغرب فساروا فى البحر فأسرتهم الروم بمراكبهم فعزل عنها (١٧٥ ﻫ) ثم أعيد موسى بن عيسى على الصلات والخراج من قبل الرشيد وصرف عنها (١٧٦ ﻫ) وتولى جعفر بن يحيى البرمكى فاستناب عليها عمر بن مهران وكان شنيعا ردى. الشكل نكاية فى عيسى بن موسى لانه بلغه عنه انه عامل على خلعه ثم ولى ابراهيم بن صالح وتوفى فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولى عبد الله بن المسيب (١٧٦ ﻫ) وصرف سنة ١٧٧ ﻫ فولى اسحق بن سليمان بن عباس على الصلات والخراج فزاد على المزارعين الضرائب فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم وقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن أعين فى جيش عظيم و بعث به فنزل الحوف فتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج وصرف اسحق عن مصر (١٧٨ ﻫ) وتولى هرثمة بن أعين من قبل الرشيد على الصلات والخراج و بعد أن أقام بمصر شهرين سار الى افريقية

ثم ولى عبد الملك بن صالح على الصلات والخراج فلم يدخل مصر واستخلف الرشيد عبد الله بن المسيب ابن زهير الضبي وصرف عنها (١٧٨ هـ) فولى عبيد الله بن المهدى العباسى على الصلات والخراج (١٧٩ هـ) فاستخلف ابن المسيب ثم قدم بعدها وصرف عنها بعد تسعة أشهر وأعاد الرشيد موسى ابن عيسى وولاه مرة ثالثة على الصلات فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له ثم صرف (١٨٠ هـ) فولى الرشيد عبد الله بن المهدى ثانية على الصلات فقدم داود بن حباش خليفة له ثم صرف (١٨١ هـ) فولى اسماعيل بن صالح على الصلات فاستخلف عون بن وهب الخزاعى وكان اسماعيل هذا خطيبا مصقعا وصرف عن مصر سنة ١٨٢ هـ فولى اسماعيل بن عيسى وصرف بعد ثلاثة شهور فولى الليث بن الفضل البيروزى على الصلات والخراج وكان يخرج لتوصيل المال والهدايا الى الخليفة ويستخلف أخاه تارة وغيره أخرى وثار عليه أهل الحوف فحاربهم وأخيرا ولى محفوظ ابن سليمان الخراج وفى أيامه استعمل الرشيد حميد بن معيوب على الاساطيل التى بساحل الشأم ومصر وحارب قبرص فهزم أهلها وسبى وصرف الرشيد الليث عن الصلات والخراج (١٨٧ هـ) وبعث أحمد بن اسحق على الصلات مع محفوظ ثم ولى أحمد بن اسماعيل العباسى على الصلات والخراج (١٨٧ هـ) ثم صرف سنة ١٨٩ هـ ثم ولى عبد الله بن محمد العباسى وفى خلال ولايته نقض أهل قبرص العهد سنة ١٩٠ فغزاهم معتوق بن يحيى وكان عاملا على سواحل مصر والشام وتحت امرته الاساطيل فسبى أهل قبرص وردهم الى الطاعة وصرف الرشيد عبد الله ابن محمد عن مصر (١٩٠ هـ) وولى الحسين بن جميل الصلات (١٩١ هـ) فخرج عليه أهل الحوف وامتنعوا عن أداء الخراج وتمرد أيضا أبو النداء أيلة فى جموعه فبعث الرشيد جيشا وبعث الحسين بن جميل من مصر قائدا يدعى عبد العزيز فى عسكر فظفر عبد العزيز بأبى النداء ووصل جيش الرشيد الى بلبيس فأذعن أهل الحوف ودفعوا الخراج وصرف ابن جميل سنة ١٩٢ هـ فولى مالك ابن دلهم الكلبى على الصلات والخراج وصرف سنة ١٩٣ فولى الحسن بن التختاح فثار فى أيامه الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة فعزل (١٩٤ هـ) وولى بعده حاتم بن هرثمة على الصلات والخراج فاخضع أهل الاحواف وغيرهم من الثائرين ودخل الفسطاط ومعه الرهائن ثم صرف (١٩٥ هـ) فولى جابر بن الاشعث الطائى من قبل الامين على الصلات والخراج وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمأمون قام السرى بن الحكم يدعو الناس لمبايعة المأمون وخلع الامين فأجابوه (١٩٦ هـ) وأخرجوا جابر بن الاشعث فولى عباد بن محمد بن حيان من قبل المأمون على الصلات والخراج (١٩٦ هـ) وكانت الفتنة قائمة بين الامين والمأمون بشأن الخلافة ولما قتل الامين صرف عباد عن مصر سنة ١٩٨ وولى المطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المأمون على الصلات والخراج وصرف بعد سبعة أشهر فولى العباس بن موسى من قبل المأمون وفى أيامه ثارت الجند مرارا وكان الاضطراب زائدا وسجن المطلب ثم أخرج من الحبس وصرف سنة ١٩٩ هـ ونزل العباس بلبيس ودعا قيسا الى نصرته ثم مات فى بلبيس ويقال ان المطلب دس اليه السم فى الطعام فمات وكانت ولاية المطلب سنة وثمانية شهور ثم ولى السرى بن الحكم باجماع الجند وبعض الاهالى (٢٠٠ هـ) ثم ولى سليمان بن غالب على الصلات والخراج بمبايعة الجند (٢٠١ هـ) وقامت فتن داخلية ثم صرف وسجن وأعيد السرى بن الحكم ثانية من قبل المأمون فلم تقبل الاهالى ولايته وأخرج الجند سليمان

من الحبس وتتبع من حاربه وقوى أمره الى أن مات (٢٠٥ هـ) وتولى محمد بن السرى وكان الجردى أحد الخوارج قد غلب على أسفل الارض فجرت بينهما حروب ثم مات محمد (٢٠٦ هـ) وتولى عبيد الله ابن السرى بمبايعة الجند وكانت بينه وبين الجردى حروب الى أن قدم عبد الله بن طاهر من قبل المأمون فاستنقذ مصر من عبيد الله بن السرى بعد حروب يطول شرحها (٢١١ هـ) وكان قدم الاسكندرية مراكب للاندلسيين التجؤا اليها بعد واقعة الربض التى أوقع فيها الحكم بن هشام بكثير من أهل قرطبة سنة ١٨٢ هـ وكانوا زهاء عشرة آلاف وكانوا قد أكثروا من الشرور بالاسكندرية وثاروا على عاملها فزحف اليهم عبد الله بن طاهر والى مصر من قبل المأمون فحاربهم وغلبهم وأجازهم بمراكبهم الى اقريطش (كريد) وملكوها وكان الامير معهم أبو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها اولاده من بعده وعمرها الاندلسيون وشيدوا بها مدنا منها قندية وكانوا يسمونها بالخندق وبقيت بأيديهم الى أن غزاها الروم سنة ٣٤٥ هـ وملكوها بعد حصار طويل كما مر بالجزء الاول وكان عبد الله بن طاهر على الصلات والخراج فقام عليه الجند فتحصن فى بلبيس فالتفت عليه عصبة من أهلها وأنفذ المأمون اليه أن يقف عند حده ثم ولى بعده عيسى بن يزيد الجلوذى وفى سنة ٢١٣ ثار رجلان بمصر وهما عبد السلام وابن حليس فخلعا المأمون واستحوذا على الديار المصرية وتابعهما طائفة من القيسية واليمانية فولى المأمون أخاه أبا اسحق بن الرشيد نيابة مصر مضافة الى الشأم فقدمها بالجيوش وافتتحها وقتل عبد السلام وابن حليس وأقام بمصر ثم ولى عليها عمير بن الوليد التميمى ثم صرف وأعيد عيسى بن يزيد الجلوذى فحاربه أهل الحوف وهزموه وأقبل أبو اسحق الى مصر فى أربعة آلاف من أتراكه فهزم أهل الحوف وقتل أميرهم ثم خرج الى الشام (٢١٥ هـ) ومعه جمع من الاسارى وولى على مصر عبدويه بن جبلة فخرج أناس بالحوف فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر بهم ثم صرف عبدويه وخرج الى برقة (٢١٦ هـ) وولى عيسى بن منصور الرافقى من قبل ابن اسحق وفى أيامه انتقضت عرب وأقباط أسفل الارض وأخرجوا العمال لسوء سيرهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين نحو برقة ثم خرج هو وعيسى فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلا ورجع موسى وسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون مصر (٢١٧ هـ) فسخط على عيسى وحل لواءه ولامه على لباس البياض ونسب الحدث اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وبعد أن أصلح ما اختل من أحوال البلاد عاد بعد تسعة وأربعين يوما وولى كيدرا وهو نصر بن عبد الله أبو مالك (٢١٨ هـ) ومات المأمون (٢١٨ هـ) وبويع أبو اسحق المعتصم ومات كيدر (٢١٩ هـ) فولى ابنه المظفر بن كيدر باستخلاف أبيه وخرج الى يحيى بن الوزير الجروى وقاتله لخروجه عليه حتى أسره ثم توفى المظفر (٢٢٠ هـ) وتولى مصر أبو جعفر اشناس فدعى له بها وتولى موسى بن أبى العباس من قبل اشناس على الصلات (٢١٩ هـ) وصرف (٢٢٤ هـ) فولى مالك بن كيدر الصغدى من قبل اشناس على الصلات وصرف سنة ٢٢٦ هـ وتوفى سنة ٢٣٣ هـ وولى على بن يحيى الارمنى من قبل اشناس (٢٢٦ هـ) ومات المعتصم (٢٢٧ هـ) وبويع الواثق بالله فأقره (٢٢٨ هـ) ثم ولى عيسى بن منصور من قبل اشناس (٢٢٩ هـ) ومات اشناس وجعل مكانه ايتاخ فأقر عيسى ومات الواثق وبويع المتوكل فصرف عيسى (٢٣٣ هـ) ثم مات عيسى فى قبة الهواء بمصر بعد عزله وتولى هرثمة بن نصر فورد عليه كتاب

المتوكل

المتوكل بترك الجدال فى أمر القرآن (٢٣٤ هـ) ومات هرثمة واستخلف ابنه حاتم بن هرثمة بن النضر ثم ولى على بن يحيى بن الارمنى ثانية وصرف ايتاخ (٢٣٥ هـ) واستصفيت أمواله بمصر وترك الدعاء له ودعى للمنتصر مكانه وصرف على بن يحيى وولى اسحق بن يحيى الجبلى من قبل المنتصر الذى تولى عهداً بيه المتوكل على الله ثم ولى خوط عبد الواحد بن يحيى (٢٣٦ هـ) ثم صرف سنة ٢٣٨ وولى عنبسة بن اسحق من قبل المتوكل وفى مدته نزل الروم دمياط يوم عرفة سنة ٢٣٨ فملكوها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والاطفال فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر وكانت جميع السفن والاساطيل التابعة لمصر والشام تابعة لامير الاساطيل بالسواحل المذكورة ومن ذلك الوقت وقع الاهتمام بأمر الاسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر وأنشئت الشوانى برسم الاسطول وجعلت الارزاق لغزاة البحر كما هى لغزاة البر وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان (٢٤٢ هـ) فدعا له وعنبسة هذا هو آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد الجامع وصرف سنة ٢٤٤ هـ فولى يزيد بن عبد الله من قبل المستنصر على الصلات وهو الذى منع من النداء على الجنائز وعاقب عليه وخرج الى دمياط مرابطا (٢٤٥ هـ) ورجع بعد شهرين فبلغه نزول الروم بالفرما فرجع اليها فلم يلقهم وتتبع الروافض وحملهم الى العراق وبنى مقياس النيل وكان تهدم من زلزلة فصار يعرف من وقتها بالمقياس الجديد وهو الباقى الى يومنا هذا (٢٤٧ هـ) ومات المتوكل فى أيامه وبويع ابنه المنتصر ومات الفتح بن خاقان فأقر المنتصر يزيد على مصر ثم مات المنتصر (٢٤٨ هـ) فورد كتابه بالاستسقاء لقحط كان بالعراق وخلع المستعين (٢٥٢ هـ) فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هناك حروب وقدم مزاحم ابن خاقان من العراق معينا ليزيد فى جيش كثيف فواقعهم حتى ظفر بهم ثم صرف يزيد سنة ٢٥٣ هـ وولى مزاحم بن خاقان على الصلات من قبل المعتز وثارت الحوف وتروجة وبعض جهات من الفيوم فاوقع بالثائرين وولى الشرطة أرجوز فمنع النساء من الحمامات والمقابر ومنع الجهر بالبسملة فى الصلاة بالجامع (٢٥٣ هـ) ولم يزل أهل مصر على الجهر بها منذ الاسلام ولمامات مزاحم سنة ٢٥٤ هـ استخلف ابنه أحمد ولم تطل أيامه حيث مات فى سنته بعد شهرين فاستخلف أرجوز بن أولغ طرخان التركى على الصلات فولى الصلات خمسة أشهر ونصفا وصرف وبعده ظهر نجم الدولة الطولونية بمصر كما سيأتى

﴿ الفصل التاسع ﴾

الدول التى استقلت ببلاد مصر

﴿ الدولة الطولونية ﴾

٢٥٥ - ٢٩٢هـ

أصل هذه الدولة من عمال خلفاء العباسيين على مصر استقلت بها كما استقل غيرها فى أنحاء الدولة العباسية عندما ظهرت عليها علامات الضعف وتنتسب الى رجل تركى يدعى طولون أصله من تركستان أخذ أسيرا فى احدى الوقائع الحربية وجىء به الى ابن أسد الصمانى عامل المأمون على بخارى فبعثه ابن أسد الى الخليفة ضمن المماليك الذين أرسلهم اليه (٢٠٠ هـ) فاعجب المأمون

بتناسب أعضائه وقوة بنيته فألحقه بحاشيته وصار يرقيه الى أن جعله رئيس حرسه ونال وظيفة أمير الستر ومكث طولون المذكور فى هذا المنصب نحوا من عشرين سنة مدة المأمون والمعتصم فلما توفى فى أيام المتوكل على الله (٢٣٩ هـ) رأى الخليفة فى ابنه أحمد الذى كان عمره وقتئذ ١٩ سنة اللياقة للقيام بوظيفة أبيه فألحقه بها وكان أحمد بن طولون قد اشتهر بين أقرانه بالعلم وحسن التربية والتقوى والشجاعة فأحبه كثير من العلماء ومال اليه معظم الاتراك منهم باركوج أحد كبراء حرس الخليفة المتوكل على الله فزوجه بابنته وهى التى ولدت له ابنه عباس ومع كون أحمد ابن طولون نشأ بين دسائس وثورات الاتراك السابق الكلام عليها فى الجزء الاول الا أنه لم يتداخل فيها بل اشتغل بتوسيع معارفه وواظب على تلقى علومه حتى انه سافر الى طرسوس لاخذ العلوم من مدارسها وصادف أنه فى أثناء عودته منها الى سامرا هجم بعض قطاع الطرق على القافلة التى كان بها ليسلبوا ما معها من الاموال وكانت هذه الاموال محمولة الى الخليفة المستعين بالله فأنكر عليهم أحمد بن طولون ذلك وحمل عليهم حملة منكرة هزمهم فيها واستخلص أموال الخليفة وكان سنه وقتئذ ٢٩ سنة فلما وصل الركب الى سامرا وبلغ الخليفة ذلك أنعم عليه بألف دينار وقربه اليه ووهبه احدى جواريه المسماة مية وهى التى رزق منها بابنه الثانى خمارويه (٢٥٠ هـ) وكان هذا مبدأ ظهور أحمد بن طولون وشهرته وحافظ على الود حتى انه بعد خلع المستعين كتب المعتز الى أحمد بن طولون بقتل المستعين فامتنع عن قتله وأوصله الى القاطول على الدجلة وسلمه الى الحاجب سعيد بن صالح فضربه سعيد حتى مات ولم يقبل أحمد الدخول فى هذا الامر ولما وجهت ولاية مصر الى بابكيال أحد رؤساء الاتراك من قبل الخليفة المعتز بالله بن المتوكل (٢٥٤ هـ) لم يرغب هذا الرئيس أن يترك بغداد مركز نفوذه ويذهب الى مصر فاستخلف أحمد بن محمد بن المدبر أولا ثم أشرك معه أحمد بن طولون وقسم بينهما ادارة البلاد فوجه الى ابن المدبر جباية الاموال وجعل أحمد بن طولون على الادارة وباقى الوظائف العسكرية وكان ابن المدبر أحدث بمصر أنواعا من المظالم وأثقل الضرائب على الاهالى واضطرهم فنشأ عن ذلك الضرر والخراب وأخذت الامة تسعى للايقاع به ولما أحس بذلك اتخذ لحرسه مائة هندى من الاشداء المشهورين بالشجاعة يرافقونه فى كل جهة يتوجه اليها حفظا لحياته ولما وصل أحمد بن طولون بالجيش الذى ضم اليه فى رمضان سنة ٢٥٤ هـ خرج لملاقاته أحمد بن المدبر بحرسه وقدم له هدية ذات قيمة قدرت بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها ابن طولون وطلب منه عوضا عنها المائة غلام فالتزم أن يرسلهم اليه وبذلك تحولت هيبة ابن المدبر الى ابن طولون وصادف قتل المعتز وبويع المهتدى (٢٥٥ هـ) فقتل المهتدى بابكيال المذكور واستعمل على مصر باركوج التركى وهو حمو أحمد فاستعمل صهره على مصر كلها منفردا (٢٥٧ هـ) بتقليد من الخليفة فقوى أمر أحمد بن طولون وعلا شأنه بعد أن تقلد خراج مصر مع المعونة والثغور الشامية قال ابن وصيف شاه لما تولى الامير أحمد بن طولون على مصر أخذ فى أسباب عمارة قراها وجسورها وقناطرها وحفر خلجانها وسد ترعها فاستقامت أحوال الديار المصرية فى أيامه بعد ما كاد أن يتلاشى أمرها الى الخراب وانحط خراجها فى أيام من تقدمه من العمال الى أن قال فلما تم أمر الامير أحمد بن طولون فى ولايته على مصر واستقامت أحوالها استكثر من شراء المماليك الديالمة حتى بلغت عدتهم ٢٤٠٠٠ مملوك وبلغ ما اشتراه من العبيد الزنج ٤٠,٠٠٠ واستكثر من شناترة العرب حتى بلغت

عدتهم ٧٠٠٠ اهـ ولما كثرت جنوده عزم على الاستقلال فشرع فى تحصين البلاد وأ كثر من آلات الحرب وأسس مدينة جديدة سماها القطائع تمتد من جبل يشكر الى سفح المقطم وقسمها بين رؤساء جيشه وشيد بها المساجد والبساتين والاسواق والمعامل والبيوت والحمامات واتخذ بها ميدانا للعيش وفى أيامه عصى أهل برقة (٢٦١ هـ) فبعث اليهم غلامه لؤلؤا وأمره أن يتلطف بهم فان أطاعوا فبها والا جرد السيف فطمعوا أولا ثم أخذ لؤلؤ مدينتهم وقتل من كبرائهم وأسر وفى سنة ٢٦٢ هـ وقعت المنافرة بين أحمد بن طولون وبين الموفق العباسى فطلب الموفق من يتولى الديار المصرية فلم يجد أحدا الان خدم ابن طولون وهدا ياه كانت متصلة الى القواد بالعراق فكتب الموفق الى ابن طولون يتهدده بالعزل فأغلظ له ابن طولون الجواب فسير اليه الموفق جيشا كثيفا مع القائد موسى بن بغا فسار الى الرقة وخالف الامر فعاد الى العراق ومات (٢٦٤ هـ) وفى خلال ذلك كان ابن طولون يستعد للمدافعة وبنى الحصن بالجزيرة ليكون معقلا لماله وحرمه وذلك سنة ٢٦٣ هـ واجتهد فى عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فاتخذ مائة مركب حربية سوى ما ينضاف اليها من العلابيات والحمائم والعشاريات والسنابيك والزوارق وقوارب الخدمة وعمد الى سد فم البحر الكبير وأن يمنع ما يجىء اليه من مراكب طرسوس وغيرهامن البحر الملح الى النيل بأن توقف هذه المراكب الحربية فى وجه البحر الكبير خوفا من مراكب طرسوس ثم بعد ذلك مات أماجور التركى عامل دمشق وقام مقامه ابنه فتجهز ابن طولون للاغارة على الشام فكتب الى ابن اماجور يذكر له أن الخليفة قد أقطعه الشام والثغور فأجابه بالسمع والطاعة فسار أحمد واستخلف بمصر ابنه العباس فلقيه ابن اماجور بالرملة فأقره عليها وسار الى دمشق فملكها وأقر قواد اماجور على أقطاعهم وسار الى حمص فملكها وكذلك حماة وحلب وراسل سيما الطويل بانطاكيه يدعوه الى طاعته ليقره عليها فامتنع فعاوده فلم يطعه فسار اليه أحمد وحصره وكان سيئ السيرة مع أهل البلد فدلوا ابن طولون على عورة المدينة فنصب عليها المجانيق وملكها وقتل سيما بعد قتال شديد (٢٦٥ هـ) ثم مضى الى طرسوس فدخلها ثم خرج عنها واستخلف عليها ومضى الى الشام فبلغه أن ابنه العباس خالف عليه بمصر وأخذ الاموال وسار الى برقة فلم يكترث بذلك ولم ينزعج له وتثبت وبعد أن أتم أشغاله وحفظ أطراف البلاد وترك بحران عسكرا وبالرقة عسكرا مع غلامه لؤلؤ خرج من الشام وعقد على جيش وبعث به الى برقة فقاتل جيش العباس وهزمه (٢٦٧ هـ) وأسر العباس وأخذه الى والده فحبسه ثم خرج بنفسه فى عسكر عظيم قدر بمائتى ألف مقاتل (٢٦٧ هـ) فأقام بالاسكندرية واشتدت العداوة بينه وبين الموفق حتى أفضت الى أن الموفق أمر عماله بلعن ابن طولون على المنابر ففعلوا وفى سنة ٢٦٩ هـ حصلت بين عساكر ابن طولون وعساكر الموفق وقعة بمكة انهزم فيها جيش ابن طولون وثارت عليه عماله فى الشام فسار ثانية الى طرسوس فنازلها وكان البرد شديدا فسار عنها الى أذنة ثم الى المصيصة فنزلت به علة الموت فرجع الى مصر ولما وصلها (٢٧٠ هـ) تزايدت به العلة فمات وهو الذى بنى قلعة يافا وكانت المدينة بغير قلعة كما رواه ابن الاثير وأول جامع شاده بمصر جامع التنور رابتناه على قمة جبل المقطم وكذا شيد عدة مبان عظيمة أخرى فى مصر منها جامعه (١) الشهير فى جبل يشكر

(١) جامع ابن طولون هو من الجوامع العتيقة الانيقة الصنعة الواسعة البنيان ذكر المقريزى فى خططه ان موضع هذا الجامع يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل ان موسى عليه السلام ناجى

وأعاد حفر ترعة الاسكندرية (١) ورمم مقياس النيل (٢) فى الروضة وغير ذلك وكان أحمد بن طولون حازما سديد الرأى صحيح الظن صاحب تدبير وحسن سياسة قال ابن خلكان انه كان حسن الصوت فى القرآن حافظا له ومع ذلك كان طائش السيف سفاكا للدماء يقال انه أحصى من قتله ابن طولون صبرا ومن مات فى حبسه فبلغ ١٨٠٠٠ قال ابن وصيف شاه لما توفى الامير أحمد بن طولون خلف من الاولاد ٣٣ ولدا منهم ١٧ ذكورا والباقى ذلك اناث وخلف من الذهب العين عشرة آلاف ألف ألف دينار وخلف من المماليك المشتروات سبعة آلاف مملوك ومن العبيد السود أربعة وعشرين ألف عبد وخلف من الخيول سبعة آلاف فرس ومن البغال والحمير ستة آلاف رأس وخلف من الجمال عشرة الاف جمل ومن المراكب الحربية والشوانى ألف مركب وغير ذلك اهـ وولى بعده ابنه خمارويه

ربه عليه بكلمات وذكر المقريزى أيضا أن الامير أبا العباس أحمد بن طولون شرع فى بنائه سنة ٢٦٣ وفرغ منه فى رمضان سنة ٢٦٥ فجاء من أحسن الجوامع وأبهجها وعمل فى مؤخره ميضاة وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والادوية وبلغت نفقة بنائه مائة وعشرين ألف دينار وقد بقى هذا الجامع عامرا مع ما حوله الى زمن المستنصر الفاطمى ثم خربت القطائع والعسكر وفارق الناس هذه الجهة وخرب الجامع وما حوله وصارت المغاربة تنزل فيه بأباعرها عند مامقر بمصر أيام الحج ولا تزال منه بقية عظيمة للآن

(١) ذكر استرابون هذا الخليج وقال انه كان على يمين الخارج من باب قانوب وكان يتصل بالنهر الاكبر وقبل ان يصل الى مدينة قانوب يصل الى ناحية بيلوزه وهو محل قريب من الاسكندرية والى نيكوبوليس الواقعة على شاطئ الخليج المذكور وقال المرحوم على باشا مبارك فى الخطط ان خليج الاسكندرية كان محاذيا السور المدينة القبلى على بعد ٣٠٠ متر منه وفمه الآن بجرى شرقى فم المحمودية بقدر ١٠٠٠ متر وكان من داخل المدينة معقودا غير مكشوف وترعة المحمودية التى حفرها العزيز محمد على باشا سنة ١٨٢٠ م كلها محل الخليج ما عدا الفم فانه فى المينا هو وبعض تعديلات جليلة وكان على الخليج القديم ثلاث قناطر بين الحفرة والبلد وعند حفر المحمودية تهدمت وقال بعض المؤرخين انه فى سنة ٢٦٠ هـ أعاد أحمد بن طولون حفر خليج الاسكندرية وكان قد سدته الرمال المحمولة اليه وذكر المقريزى انه فى سنة ٧١٠ هـ فى زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اشتغل ٤٠٠٠٠ عامل فى تطهير خليج الاسكندرية وبعد تطهيره قيس فوجد ٨٠٠٠٠٠ قصبة حاكمية من ابتداء فم النيل الى منشيار ومن منشيار الى الاسكندرية كذلك وكانت قرية منشيار قد عامبدأ خروج الخليج من النيل

(٢) أجمع المؤرخون على ان قدماء المصريين كانوا يقيسون النيل عند فيضانه بمقياس غير ثابت لتقرير الخراج وكان هذا المقياس خشبة أو قصبة مقسومة الى أقسام معلومة فى طرفها حلقة وسمى المؤرخون هذا المقياس باسم نيلومتر أو نيلوأسكوب ولاعتنائهم بذلك كانت آلة المقياس تودع فى معبد له يسمونه سيرابيس ومعناه قياس النيل وذكر هيرودوت تلك المقاييس وأنها كانت متعددة منها فى منف ومنها فى طيبة وروى ان عمودا كان أقيم فى جهة جزيرة الدانا وهى روضة البحرين لقياس النيل عند الفيضان وذهب البعض الى انه هو المقياس الموجود الآن وبنى الفرس فى حكمهم مقاييس جديدة وعمروا بعض القديم منها واعتنى البطالسة بذلك أيضا وحافظوا على القديم منها وأنشؤا مقياسا جديدا فى أرمنت المسماة فى زمنهم هيرمونيس وآخر فى اسوان قرب معبد كنوفيس وفى زمن الرومان كانوا يقيسون فيضان النيل بمقياس منف ولما دخلت مصر فى قبضة الاسلام بنى عمرو بن العاص ثلاثة مقاييس الاول فى أسوان والثانى فى دندرة والثالث فى حلوان بأمر سيدنا عمر لترتيب الخراج وفى زمن المأمون أنشؤا مقياسين أحدهما بمحل يعرف باسم حورانت والثانى باخميم وبقى المقاس بهما الى ان عمل مقياس الروضة بأمر المتوكل على الله وذكر ابن خلكان أن الذى وضع مقياس الروضة هو أحمد بن محمد الحاسب القرصانى بأمر المتوكل وبقى هذا المقياس الى يومنا هذا وفى زمن المرحوم الخديو اسماعيل باشا جدد مقياس جزيرة أسوان بمعرفة المرحوم محمود باشا الفلكى وجعل طول الذراع فيه ٥٤ سنتيمترا كما فى مقياس الروضة والتحاريق فيه على ذراع منه وغاية الزيادة ١٧ ذراعا فالزيادة الحقيقية فيه ١٦ ذراعا وفى مقياس الروضة ١٤ ذراعا

ابو

ابو الجيش خمارويه (٢٧٠ - ٢٨٢) - بويع له بعد وفاة أبيه وامتنع أخوه العباس من مبايعته فقتله في السجن وبعث جيشا الى الشام تحت قيادة أبي عبد الله الواسطي وجيشا آخر تحت قيادة الايسر أو الاعسر وبعث مراكب حربية في البحر تقيم على السواحل الشامية وأرسل الخليفة الموفق العباسي ابنه أحمد في أربعة آلاف مقاتل ومعه اسحق بن كنداج ومحمد بن اسحق ابن أبي الساج فاستولى على قنسرين والعواصم وحارب أصحاب خمارويه فهزمهم فخرج خمارويه من مصر في ٧٠ ألف مقاتل (٢٧١ هـ) والتقى بأحمد عند نهر أبي فطرس [1] وحاربه فانهزم خمارويه واستولى على عسكره فأتى سعد الايسر وحارب أحمد فهزمه ومضى الى دمشق فلم تفتح له وكان قد طمع في البلاد الشامية واستخف بخمارويه ثم استولى على دمشق وكان خمارويه قد وصل الى مصر ولم يعلم بما فعل سعد فلما بلغه الخبر خرج ثانية الى الشام فلما كان بفلسطين عرضت له أمور اضطرته الى الرجوع فرجع الى مصر (٢٧٢ هـ) ثم خرج ثانية الى الشام وكان سعد قد خرج عن طاعته فقاتله وهزمه ثم ظفر به فقتله واستولى على دمشق (٢٧٣ هـ) ثم سار لقتال ابن كنداج فكانت الهزيمة أولا على خمارويه فانهزم جميع أصحابه وبقي هو ثابتا في نفر قليل وشدد في قتال ابن كنداج حتى هزمه واتبعه بأصحابه حتى وصلت عساكره الى سر من رأى بالعراق فعظم أمر خمارويه بهذه الواقعة وهابه الناس فكتب الى الموفق بالصلح فأجابه وكتب له بولايته على الشام ومصر والثغور ثلاثين سنة فسر بذلك وعاد الى مصر ودعا للموفق على المنابر بعد ان كان يدعو عليه وسكنت الفتن وأخذ في اصلاح شأن ممالكه وثار أبو الساج داود بن دوست أحد عمال بني الصفار فهزمه بعد حروب يطول شرحها وأسر من أتباعه وغنم (٢٧٦ هـ) وبعد سنة خرج الى الشام للنظر في أحوالها وبعد عودته الى مصر بلغه وفاة الموفق (٢٧٨ هـ) ثم موت أخيه المعتمد (٢٧٩ هـ) ومبايعة المعتضد وهو أحمد بن الموفق فبعث خمارويه اليه بهدايا نفيسة وسأله ان يزوج ابنته قطر الندى من ولده المكتفي فقال المعتضد بل أنا أتزوجها فزفت اليه (٢٨١ هـ) وضربت بجهازها الامثال وبني لها والدها على رأس كل منزلة تنزل فيها من مصر الى بغداد قصرا مفروشا بأفخر الرياش ووصلت بغداد في أول محرم سنة ٢٨٢ وهي السنة التي قتل فيها خمارويه لانه لما جهز ابنته الى الخليفة وسيرها خرج بعساكره الى الشام ودخل دمشق فقتل بها في ذي الحجة سنة ٢٨٢ وقيل في سبب قتله انه كان كثير الفساد بالغلمان حتى انه يوما ظهر منه ذلك علانية في الحمام فأنف الخدم من ذلك وكرهوه فاغتنموا الفرصة وذبحوه وقيل كان بعض خدمه يهوى جارية من جواريه فتهددها خمارويه بالقتل فاتفقت مع الخادم على ذبحه وقيل قتل على فراشه وغير ذلك فحمل في صندوق الى مصر وصلى عليه ابنه جيش وكان لدخول تابوته مصر يوم عظيم وهول جسيم استقبلته جواريه وجواري غلمانه ونساء قواده بالصياح وحل الغلمان أقبيتهم وسود بعضهم ثيابه وبعضهم شقها وكان منظرا يفتت الاكباد

جيش بن خمارويه (٢٨٢ - ٢٨٣ هـ) - لما قتل خمارويه اجتمع القواد صبيحة يوم قتله وأجلسوا جيشا على كرسي سلطانه فأفاض العطاء فيهم وسيق الخدم الذين تولوا قتل خمارويه

(١) نهر قرب الرملة مخرجه من جبل قرب نابلس

فقتل منهم نيفا وعشرين ولما ولى جيش كان صبيا غرا فعكف على لذاته وقرب الاحداث والسفلة وتنكر لكبار الدولة و بسط فيهم القول وصرح لهم بالوعيد فبسط القواد ألسنتهم فيه وشكا بعضهم الى بعض فعزموا على الفتك به و بلغه الخبر فلم يتلاف الامر ولا شاور من له اصابة رأى بل توعدهم جهارا فلما علموا ذلك اعتزل من عسكره أكابرهم وخرجوا فى خاصة غلمانهم وساروا الى المعتضد العباسى فأكرمهم أحسن اكرام وخلع عليهم ورحب بهم واستمر جيش على حاله مع بطانته وكان طغج ابن جف مولى خمارويه من كبار الدولة وكان عاملا لهم على دمشق فخرج عليه وخلع طاعته وخرج ابن طغان أمير الثغور أيضا وأسقطا اسمه من الدعوة والخطبة على منابر أعمالهم فلما رأى بقية غلمان أبيه هذا التغاضى والغفلة تشاوروا فيما بينهم على خلعه ثم وثبوا بجيش فقتلوه ونهبوا داره ونهبوا مصر وأحرقوها وبايعوا الاخيه هرون وذلك لتسعة أشهر من ولايته (٢٨٣ ﻫ)

هرون بن خمارويه (٢٨٣ - ٢٩٢ ﻫ) - بعد قتل جيش أقعدوا أخاه هرون وفى سنة ٢٨٢ ﻫ اختل حال هرون بن خمارويه بمصر واختلف القواد عليه وانحل نظام مملكته فقام المعتضد يريد الاستيلاء على مصر فسار الى آمد (١) (٢٨٥ ﻫ) فافتتحها بالامان وكان صاحبها محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ ثم سار المعتضد الى قنسرين فتسلمها وتسلم العواصم من نواب هرون بن خمارويه و يقال ان هرون قد كان سأل المعتضد أن يتسلم هذه البلاد منه وكانت وفاة المعتضد سنة ٢٨٩ ﻫ وخلفه المكتفى بالله الذى بعد أن هزم القرامطة (٢٩١ ﻫ) عزم على فتح مصر فبعث سنة ٢٩٢ ﻫ جيشا مع قائده محمد بن سليمان فاستولى على دمشق وسار حتى دنا من مصر فاستعد هارون لمدافعته الا أن غالب قواده غدروا به ولحقوا بعسكر الخليفة فخرج هرون فيمن بقى معه وجرى بينه وبين محمد بن سليمان وقعات ثم وقع فى عسكر هرون خصومة أدت الى القتال فركب هرون ليسكن الفتنة فطعنه جندى من المغاربة برمح فقتله ولما قتل قام عمه شيبان بالامر ثم طلب الامان من محمد بن سليمان فأمنه ثم هرب شيبان تحت الليل فلم يوجد واستولى محمد بن سليمان على مصر وأمسك بنى طولون وكانوا بضعة عشر رجلا واستصفى مالهم وقيدهم وحملهم الى بغداد وكتب الى المكتفى بالفتح وكان ذلك سنة ٢٥٢ ﻫ وهكذا انقرضت الدولة الطولونية بعد أن تملكت نحو ٣٨ سنة

عمال الدولة العباسية (٢٩٢ - ٣٢٣ ﻫ) - لما عزم محمد بن سليمان على الرجوع الى بغداد وكان المكتفى قد ولاه عليها ولى المكتفى مكانه عيسى بن محمد النوشرى وقدم فى منتصف سنة ٢٩٢ ﻫ وفى أول مدته خرج عليه أحد قواد بنى طولون و يدعى ابراهيم الخليجى وكثرت جموعه وزحف الى مصر فخرج النوشرى هاربا الى الاسكندرية وملك الخليجى مصر و بعث المكتفى العسكر مع فاتك مولى أبيه المعتضد وبدر الحمامى وعلى مقدمتهم أحمد بن كيغلغ فلقيهم الخليجى على العريش (٢٩٣ ﻫ) وهزمهم ثم تراجعوا وزحفوا اليه وكانت بينهم حروب تمت بظفر عسكر بغداد ودخلوا مصر وقبضوا على الخليجى وحبسوه و بعث الى بغداد حسب أمر الخليفة ورجع عيسى النوشرى الى مصر فى نصف سنة ٢٩٣ ﻫ وبقى بها الى أن توفى (٢٩٧ ﻫ) وقام بأمره ابنه محمد وولى

(١) مدينة قديمة بين النهرين يسميها الاتراك آميد وقرة آمد لسواد حجارتها وهى مدينة ديار بكر

المقتدر على مصر أبا منصور تكين الخزرى وفى خلالها استفحلت دولة العلويين بالمغرب وجهز عبيد الله المهدى العساكر مع ابنه أبى القاسم (٣٠١ هـ) فملك برقة ثم سار الى مصر وملك الاسكندرية والفيوم وبلغ الخبر الى المقتدر فقلد ابنه أبا العباس مصر والمغرب وعمره يومئذ أربع سنين وهو الذى ولى الخلافة بعد ذلك ولقب الراضى ولما قلده مصر استخلف له عليها مونسا الخادم وبعثه فى العساكر الى مصر وحارب جنود عبيد الله حتى أرجعهم الى المغرب ثم أرسل عبيد الله العساكر ثانية سنة ٣٠٢ هـ مع قائده حباسة وحباسة الكتامى وجاء فى أسطول فملك الاسكندرية وسار منها الى مصر وجاء مؤنس الخادم فى عساكر الخليفة فقاتله وهزمه فى أربع وقعات فاضطر حباسة أن يعود الى المغرب فقتله المهدى وعاد مؤنس الى بغداد وكان تكين الخزرى لم يزل واليا على مصر الى أن صرف عنها سنة ٣٠٣ هـ وولى مكانه ذكاء أبا الحسن الاعور ثم صرف المقتدر ذكاء سنة ٣٠٧ هـ وولى مكانه أبا منصور تكين الخزرى وكان عبيد الله المهدى قد جهز العساكر مع ابنه أبى القاسم بقصد الاستيلاء على بلاد مصر فملك الاسكندرية (٣٠٧ هـ) وسار الى مصر وملك الجزيرة والاشمونين من الصعيد وما اليه وكتب أهل مكة بطاعته فبعث المقتدر من بغداد مؤنسا الخادم بالجيش فحارب أبا القاسم فى عدة وقعات وجاء الاسطول من افريقية الى الاسكندرية فى ثمانين مركبا مددا لابى القاسم وعليه سليمان الخادم ويعقوب الكتامى فسار اليهم الاسطول من طرسوس فى خمسة وعشرين مركبا وفيها النفط والمدد وعليها أبو اليمين فالتقت العساكر فى الاساطيل بمرسى رشيد فظفر اسطول طرسوس باسطول افريقية وأسر كثيرا من جنوده منهم سليمان الخادم ويعقوب الكتامى أما سليمان فهلك فى محبسه بمصر وحمل يعقوب الكتامى الى بغداد فهرب منها الى افريقية واتصل الحرب بين أبى القاسم ومؤنس وكان الظفر لمؤنس ووقع الغلاء والوباء فى عسكر أبى القاسم ففنى كثير منهم بالموت فعاد الى المغرب بمن بقى من جيشه ورجع مؤنس الى بغداد ظافرا ثم صرف تكين عن مصر سنة ٣٠٩ هـ وولى المقتدر أحمد بن كيغلغ وصرف من عامه وأعيد تكين المرة الثالثة سنة ٣١٣ هـ وأقام واليا الى أن مات سنة ٣٢١ هـ وفى أيامه جدد المقتدر عهده لابنه أبى العباس على بلاد المغرب ومصر والشام واستخلف له مؤنسا (٣١٨ هـ) وولى مكان تكين ابنه محمد وبعث له القاهر بالخلع وثار به الجند فظفر بهم ثم صرف وولى أبو بكر محمد بن طغج الملقب بالاخشيد ثم صرف من عامه وأعيد أحمد بن كيغلغ ثم صرف سنة ٣٢٣ هـ وأعيد محمد بن طغج الاخشيد ثانية

استطرادهم — كان العرب فى الجيل الثالث الهجرى المذكور متقدمين فى الاسفار البحرية وكانت سفنهم تمخر الى أقصى بلاد الهند والصين وجزائرهما ومدوا تجارتهم الى معظم بلادها وصنف علماؤهم عنها المؤلفات العديدة شرحوا فيها ما اكتشفوه من البلدان والاصقاع وما شاهدوه ولاحظوهم من عجائب تلك الديار والبحار وروى أبو زيد الحسن وسليمان التاجر مصنفا سلسلة التواريخ المطبوع بباريس سنة ١٨١١ م كثيرا من أخبارهم اقتطفنا بعضها لتمام الفائدة ذكرا أنه فى سنة سبع وثلاثين ومائتين كانت أمور البحرية مستقيمة لكثرة اختلاف التجار اليها من العراق والبحرين وعمان وغيرها الى بلاد الصين يحملون منها على سفنهم الحرير والاقطان وغيرها الى

بلاد العرب وزار ابن وهب فى أحد أسفاره ملك تلك البلاد فأطلعه على كثير من عجائبها منها درج فيه صور الانبياء فلما رآها حرك شفتيه بالصلاة عليهم فسأله الملك عنهم فقال انهم الانبياء فقال من أين عرفتهم فقال مما صور فى أمرهم هذا نوح فى السفينة ينجو بمن معه لما أمر الله جل ذكره الماء فغمر الارض كلها بمن فيها وسلمه ومن معه فضحك الملك وقال أما نوح فقد صدقت فى تسميته وأما غرق الارض كلها فلا نعرفه وانما أخذ الطوفان قطعة من الارض (١) اهـ وورد فى الكتاب المذكور أيضا ان مما حدث فى زماننا هذا ولم يعرفه من تقدمنا أن البحر الذى عليه بحر الصين والهند يتصل ببحر الشام ولا يقوم فى أنفسهم ذلك حتى وجد فى بحر الروم خشب مراكب العرب المخرزة التى قد تكسرت بأهلها فقطعها الموج وساقتها الرياح بأمواج البحر فقذفت الى بحر الخزر ثم جرى فى خليج الروم ونفذ منه إلى بحر الشام وأن الخشب المخرز لا يكون الا لمراكب سيراف خاصة ومراكب الشام والروم مسمورة غير مخروزة وقال أيضا وكانت مراكب أهل سيراف اذا وصلت من بحر الهند الى جدة أقامت بها ونقل ما فيها من الامتعة التى تحمل الى مصر فى مراكب القلزم اذ كان لا يتهيأ لمراكب السيرافيين سلوك ذلك البحر لصعوبته وكثرة جباله النابتة فيه وأنه لا ملوك فى شىء من سواحله ولا عمارة وأن المركب اذا سلكه احتاج فى كل ليلة الى أن يطلب موضعا يستكن فيه خوفا من جباله فيسير النهار ويقيم الليل وهو بحر مظلم كريه الروائح لا خير فى بطنه ولا ظهره وليس كبحر الهند والصين الذى فى بطنه اللؤلؤ والعنبر وفى جباله الجوهر ومعادن الذهب وذكر فى كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزائره تأليف بزرك بن شهريار الناخذاه الهرمزى المطبوع فى أوروبا كثير من أخبار تلك الاسفار نلخص منها ما يأتى وهو أن أهالى سيراف والبحرين وعمان اشتهروا بأمر سلوك البحر ونبغ من بينهم جملة من الربابين مثل أبى الحسن محمد بن أحمد بن عمر السيرافى وأبى الزهر البرختى الناخذاه والحسن بن عمر واسماعيل بن ابراهيم بن حرواس الناخذاه الذى كان من بقية نواخذة بلاد الذهب وعرف باسمعيلويه وعبهرة الربان الكرمانى ومحمد بن بابشاد وعمران الاعرج الربان الشهير وغيرهم ممن سافروا الاسفار الطويلة فى بحر فارس والهند والصين والقلزم فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى وساحوا السياحات المشهورة وا كتشفوا كثيرا من البلاد المجهولة وشاهدوا كثيرا من عجائب وغرائب تلك البلاد وبحارها مثل حيتان وأسماك هائلة القدر غريبة الشكل نادرة الوجود وطيورا كبيرة الجسم تشبه الوحوش الضارية اذا حطت على بلاد أخربتها وقرودا تقرب فى خلقة وجوهها لبنى آدم وأفيالا مستأنسة تشترى وتبيع وغير ذلك مما يطول شرحه وحصره وورد فى هذا الكتاب أيضا أوصاف الزوابع والفراتين التى

(١) قد تضاربت أقوال العلماء فى أمر طوفان نوح عليه السلام فذهب علماء الاديان انه حصل فى سنة ٢٢٤٢ من خلقة آدم عليه السلام وانه كان عاما وأغرق كل الدنيا كما ذكرناه فى قصة الطوفان بالجزء الاول وأنكر ذلك الصينيون وتباينت فيه أقوال الهنود والفرس والعبرانيين وذهب آخرون الى انه موضعى وأنه أغرق البلاد والامم التى كان بها نوح عليه السلام فقط وأيدوا أقوالهم بروايات اعتمدوها وقال بيروز (Berose) المؤرخ الكلدانى فى تاريخه الذى ألفه فى القرن الرابع قبل الميلاد انه حصل قبل طوفان نوح عليه السلام طوفان فى عصر أنوش بن شيث وأتلف ثلث المعمورة وقال غيره ان اليونان يذكرون حدوث طوفانين فى بلادهم أحدهما يسمونه دوكاليون (Deucalion) أغرق تساليا سنة ١٦٢٠ ق م والثانى يسمونه بطوفان أوجيجس (Ogygès) أغرق بوسيه وأتيكه سنة ١٨٢٠ ق م وغير ذلك من الحوادث

صادفوها

صادفوها أثناء أسفارهم المذكورة ويسمونها الخب وكانت اذا وقعت عليهم يطرحون قسماً من حمولة سفنهم الى البحر منعاً للغرق وكان متوسط طول سفنهم خمسين ذراعاً بذراع العمل من شعر الابط الى طرف الاصبع الوسطى وكانوا يسمون مديري السفن بالربابين ورؤساءها نواخذة وهي كلمة فارسية مفردها ناخذاه أي قبودان المركب ويسمون الدلاء أو القلاوزة عرافين وكانوا يسمون الهلب أو الخطاف أنجراً وكان له عندهم أربعة قرون ويصنعونه من أوزان مختلفة متوسطها ٦٠٠ من والمن كما في القاموس رطلان ويربطونه بحبال ضخمة وكان العرافون هم الذين يشبكونه في الصخور المعروفة عندهم تحت الماء عند رسيان سفنهم التي كان لها أسماء مختلفة كالصندل والسنبوك والقطيرة وغيرها

﴿ الفصل العاشر ﴾

﴿ الدولة الاخشيدية ﴾

٣٢٣ - ٣٥٨ هـ

أصل هذه الدولة من أولاد ملوك فرغانة كان جدهم يدعى جف قدم بغداد في أيام المعتصم العباسي فأقطعه اقطاعاً بسر من رأى عرف به وتوفي ببغداد سنة ٢٤٧ هـ وخرج أولاده الى البلاد يتصرفون ويطلبون المعيشة فاتصل أحدهم ويسمى طغج بلؤلؤ غلام أحمد بن طولون بمصر فاستخدمه على ديار مصر ثم انحاز الى اسحق بن كنداج فلم يزل معه ثم أخذه خمارويه من اسحق وقدمه على جميع من معه وقلده دمشق وطبرية ولم يزل معه الى أن قتل خمارويه فرجع طغج الى الخليفة المكتفي فخلع عليه وكان الوزير حينئذ العباس بن الحسن فطلب من طغج أن يجري معه مجرى التذلل كغيره فكبرت نفسه عن ذلك فأغرى به المكتفي فحبسه هو وابنه محمداً فتوفي طغج في السجن وبقي محمد محبوساً ثم أطلق وخلع عليه ولم يزل يرصد العباس بن الحسن حتى أخذ بثأر أبيه وأخيه عبيد الله ثم خرج هارباً الى الشام سنة ٢٩٦ هـ وأقام متغرباً بالبادية سنة ثم اتصل بأبي منصور تكين الخزري فكان أكبر أركانه وبقي من ضمن قواده الى سنة ٣١٦ هـ ثم فارق تكين لسبب وسار الى الرملة فولاه اياها المقتدر فأقام فيها الى سنة ٣١٨ فكتب اليه المقتدر بولاية دمشق فسار اليها ولم يزل بها الى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر (٣٢١ هـ) بعد موت تكين ثم صرف عنها وعاد الى دمشق وولي بعده مصر أحمد بن كيغلغ كما تقدم ثم أعيد اليها محمد بن طغج الاخشيد ثانية كما تقدم وأما أمراء هذه الدولة فهم على الترتيب الآتي

محمد بن طغج بن جف (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ) - لما ولي مصر في المرة الثانية ضم اليه الخليفة البلاد الشامية والجزيرة والحرمين وغير ذلك وقيل كان على مصر فقط كل أيام الراضي والذي ضم اليه ما ذكر من البلاد المتقي أخو الراضي وأقر على شرطته بمصر سعيد بن عثمان ثم وردت عليه الخلع من الراضي فلبسها ورسم الراضي بأن يزاد في ألقابه الاخشيد (٣٢٧ هـ) وثار على الاخشيد في أول أمره عيسى بن أحمد السلمي أبو مالك كبير المغاربة وآخرون فبعث عليه الاخشيد صاعد ابن الكلكم في سفنه فقاتله الثوار وقتلوه وأخذوا سفنه وركب فيها منهم علي بن بدر ويحكم وقدموا

مدينة مصر فأرسوا بجزيرة الصناعة وركب الاخشيد فى جيشه ووقف حيالهم والنيل بينهم وبينه
فكره الاخشيد ذلك وقال صناعة يحول بينها وبين صاحبها الماء ليست بشىء ومن وقتئذ أخذ فى
تحويل الصناعة من موضعها بالجزيرة الى دار خديجة بنت الفتح (٣٢٥ هـ) بساحل مصر
القديمة وعندما ابتدأ فى انشاء المراكب الحربية بها صاحت به امرأة فأمر بأخذها اليه فسألته
أن يبعث معها من يحمل المال فسير معها طائفة فأتت بهم الى دار خديجة هذه ودلتهم على موضع
منها فأخرجوا منه عينا وورقا وحليا وغيره وطلبت المرأة فلم توجد ولا عرف لها خبر وبعد ذلك أبطل
الاخشيد صناعة الجزيرة وجعل موضعها بستانا يعرف بالمختار ثم وقع بين أصحاب أحمد بن كيغلغ
فتنة أدت الى القتال فتحاربوا وانكسر أصحاب ابن كيغلغ وخرجوا من مصر على أقبح وجه واتصلوا
بالقائم بأمر الله العلوى صاحب المغرب وحرضوه على أخذ مصر وهونوا عليه أمرها وكان فى نفسه
شىء من ذلك فجهز اليها الجيوش وبلغ الاخشيد ذلك فجمع العساكر وتهيأ للقتال وبينما هو كذلك اذ ورد
عليه كتاب بخروج محمد بن رائق وجيشه الى مكان يسمى الشامات فعرض عساكره وجهز جيشا
فى المراكب لقتال ابن رائق ثم خرج بنفسه (٣٢٨ هـ) واستخلف على مصر أخاه الحسين فوصل
الاخشيد الى الفرما وكان ابن رائق بالقرب منه فسعى بينهما الحسن بن طاهر العلوى فى الصلح فاصطلحا
وعاد الاخشيد الى مصر فنقض ابن رائق الصلح فجهز الاخشيد جيوشه وخرج فالتقيا بالعريش
فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميمنة الاخشيد وثبت هو فى القلب ثم حمل بنفسه على أصحاب
ابن رائق فأسر كثيرا منهم وأمعن فى قتالهم وقتل أخوه الحسين وافترق العسكران ومضى ابن رائق
نحو الشام وعاد الاخشيد الى الرملة بخمسمائة أسير وكان قتل أخى الاخشيد عز على محمد بن رائق
فحنط جثته وكفنها وأنفذها مع ابنه مزاحم الى الاخشيد وكتب معه كتابا يعزيه فيه ويعتذر اليه
ويحلف له انه ما أراد قتله وانه أرسل ابنه مزاحما اليه ليفتديه بالحسين ان أراد فاستعاذ الاخشيد بالله
من ذلك واستقبل مزاحما بالرحب والقبول وخلع عليه وعامله بكل جميل ورده الى والده فكان ذلك
سبب الصلح بينهما على أن يفرج ابن رائق عن الرملة ويحمل اليه الاخشيد عنها فى كل سنة
١٤٠،٠٠٠ دينار ويكون باقى الشام فى يد ابن رائق وان كلا منهما يطلق أسرى الآخر فتم ذلك
وعاد الاخشيد الى مصر (٣٢٩ هـ) وعاد ابن رائق الى دمشق وفيها مات الخليفة الراضى
وبويع أخوه المتقى فأقر الاخشيد على عمله بمصر فاستمر الاخشيد بمصر الى أن قتل ابن رائق فى واقعة
بينه وبين بنى حمدان بالموصل (٣٣٠ هـ) فجهز الاخشيد جيوشه الى الشام ثم سار بنفسه فى
السنة المذكورة فدخل دمشق وأصلح أمورها وعاد الى مصر (٣٣١ هـ) وأخذ البيعة على
المصريين لابنه أبى القاسم انوجور وحصلت فى سنة ٣٣٣ هـ محاربات بين سيف الدولة بن حمدان
وجيوش كافور قائد عسكر الاخشيد وانهزم كافور وملك سيف الدولة حمص وحاول الاستيلاء
على دمشق وفى خلالها خرج الاخشيد الى الشام وبعد وقائع عقد اتفاقا بينه وبين سيف الدولة
عينت فيها حدود المملكتين وتأيدت بزواج سيف الدولة بابنة الاخشيد وفى هذه السنة خلع الخليفة
المتقى العباسى وبويع المستكفى وفى سنة ٣٣٤ هـ خلع المستكفى وبويع المطيع لله وأقر
الاخشيد على أعماله بمصر والشام وفى هذه السنة أيضا مرض الاخشيد بدمشق ومات ودفن فى
القدس وكان رحمه الله ملكا حازما حسن التدبير عارفا بأساليب الحرب يقظا فى مصالح دولته مكرما

لجنده

لجنده بلغت عدة مماليكه ثمانية آلاف مملوك وعدة جيوشه ٤٠٠,٠٠٠ وكان حريصا على نفسه يحرسه كل ليلة ألف مملوك ويضع الخدم بجوانب خيمته وولى مكانه ابنه أبو القاسم أنوجور

ابو القاسم انوجور محمد (٣٣٤ - ٣٤٩ هـ) - قال الذهبى فى العبر أنوجور معناه بالعربية محمود مقامه ولى وهو صغير فأقيم كافور الاخشيد الخادم الاسود أتابكا له فكان يدبر المملكة نيابة عن ابن سيده ولما بلغ سيف الدولة خبر موت الاخشيد لم يعمل بالمعاهدة التى بينه وبين مصر وسار بجيوشه الى دمشق واستولى عليها فلما علم كافور بذلك سار بالجيش ومعه أنوجور وتحارب الجيشان فى الرملة فانهزم سيف الدولة الى الرقة وأعاد كافور دمشق الى مصر وفى سنة ٣٤٥ هـ أغار ملك النوبة على مصر العليا فبعث كافور جيشا مع القائد محمد بن عبد الله الخازن من طريق البر وأنفذ أسطولا فى بحر النيل وآخر فى البحر الاحمر فنزل على الساحل من وراء النوبة لقطع خط رجعتهم فتضايق النوبيون وهربوا فاستولى المصريون على حصن ابريم ثم علت سن أبى القاسم أنوجور ورام الاستبداد بأمره وازالة كافور فلما شعر كافور بذلك قتله فيما قيل مسموما (٣٤٩ هـ) بعد أن حكم ١٤ سنة وتولى مكانه أخوه أبو الحسن

ابو الحسن على (٣٤٩ - ٣٥٥ هـ) - بويع له وكان كافور يدبر كل أعمال المملكة كما كان قابضا عليها مدة أخيه أنوجور وفى سنة ٣٥١ حصل بمصر قحط لعدم وفاء النيل وتعاقب ذلك تسع سنوات واضطربت الاسكندرية وجهات البحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وفسد ما بين كافور وما بين على بن الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتل على وفى خلال ذلك الاضطراب الداخلى زحف الروم تحت قيادة الامبراطور نيسوفورس فوكاس المعروف بنقفور (Nicéphore II Phocas) (٣٥٤ هـ - ٩٦٥ م) واستولوا على مدينة حلب دون قلعتها وحاربوا سيف الدولة بن حمدان وهزموه وأسرع حاكم دمشق من قبل الاخشيديين لمساعدة ابن حمدان بعشرة آلاف مقاتل فرجع ملك الروم وكانت وفاة على بن الاخشيد سنة ٣٥٥ هـ فاستقرت المملكة باسم كافور وهو من موالى أبى بكر محمد بن طغج كما قلناه

كافور الاخشيد (٣٥٥ - ٣٥٧ هـ) - لما استبد كافور بالامر دون بنى الاخشيد طلب من الخليفة المطيع لله أن يقره على ما كان للاخشيديين فكتب له المطيع بعهده على مصر والشام والحرمين وكناه العالى بالله فلم يقبل الكنية تواضعا واستوزر أبا الفضل جعفر بن الفرات وهكذا عادت سلطة العباسيين الى مصر من وقتئذ وصار يدعى لكافور على المنابر وكان كافور من أعاظم الملوك جوادا ممدوحا كثير الخشية لله والخوف منه وكان يدارى المعز العبيدى صاحب المغرب ويهاديه كما يهادى صاحب بغداد وصاحب اليمن وكان يجلس للمظالم فى كل سبت الى أن هلك وكانت وفاته فى ١٠ جمادى الاولى سنة ٣٥٧ هـ

أبو الفوارس احمد بن على بن الاخشيد (٣٥٧ - ٣٦٢ هـ) - لما هلك كافور اجتمع أهل الدولة وولوا أبا الفوارس ولم يكن له من العمر أكثر من احدى عشرة سنة فلم يقره الخليفة العباسى فى الحكم وقام بتدبير أمره الحسن ابن عمه عبد الله بن طغج وتولى قيادة العساكر شمول مولى جده والاموال جعفر بن الفضل واستوزر كاتبه جابر الرياحى وفوض أمر مصر اليه وحصل

انقسام في العائلة الاخشيدية وارتبكت أحوال الدولة من الفتن التي كان يرى منها قرب انقراض الدولة الاخشيدية وصاروا يستنجدون بالعبيديين أصحاب المغرب فكان ذلك جل منيتهم وفي سنة ٣٥٨ هـ بعث المعز لدين الله قائده جوهر الصقلي الكاتب الى مصر لما علم حالتها وجهزه بمائة ألف مقاتل فسار بهم جوهر من القيروان الى مصر مارا ببرقة وملك الاسكندرية ثم الجيزة ثم جاز الى مصر وحاصرها وبها أبو الفوارس الاخشيدي وأهل دولته ثم فتحها بلا قتال ولا مشقة في السنة المذكورة وقتل أبا الفوارس وكل من خاف منه وبعث بالاموال والغنائم الى القيروان وأصحبها بوفد من علماء وقضاة مصر وانقرضت بذلك دولة بني طغج المعروفة بالاخشيدية

﴿الفصل الحادي عشر﴾

بني عبيد المعروفين بالدولة الفاطمية

(٣٦٢ — ٥٦٧ هـ)

قد سبق الكلام على أصل وابتداء هذه الدولة وكيفية تأسيسها بتاريخ تونس من بلاد المغرب في الجزء الاول من هذا الكتاب ولذلك نقول انه بعد أن توطدت أركانها وآل أمرها الى الخليفة معد أبي تميم الملقب بالمعز لدين الله ابن القائم بأمر الله ثالث خلفائها كان حكمها يمتد على كثير من ولايات افريقية والمغرب وجزائر مالطة وسردينيا وصقلية وغيرها من جزائر البحر المتوسط الابيض وكانت أنظارها ترنو من أول ظهورها للاستيلاء على القطر المصري مثل الدول الفاتحة فلهذا أرسلت عدة جيوش على مصر الا أنها لم تفز بمرامها كما مر بك وسبب ذلك قوة الدولة الاخشيدية الى أن أصاب هذه الدولة الضعف بتفرق كلمتها كما تقدم ولما علم المعز ذلك جرد جيشا وسيره مع القائد جوهر الصقلي من موالي أبيه فدخل مصر واستولى عليها كما تقدم بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة (٣٥٨ هـ) وخطب في جامع عمرو باسم المعز لدين الله وأزال الشعار الاسود العباسي وألبس الخطباء الثياب البيض فبايعه الناس وبعد قليل أصبحت جميع البلاد المصرية خاضعة للدولة الفاطمية ثم أمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذنوا بحي على خير العمل كأذان الشيعة فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له ردا وصبروا والحكم لله ثم شرع جوهر في بناء مدينة القاهرة ويقال انها سميت القاهرة لالقاء أحجار أسسها عند توسط المريخ المعروف عند علماء الفلك باسم القاهر ودعيت الفسطاط من وقتئذ بمصر القديمة وحول الى القاهرة كرسي المملكة بعد أن كان بالقطائع ثم أمر ببناء الجامع الازهر (٣٥٩ هـ) وكان تمامه سنة ٣٦١ هـ وجعل به دار كتب عظيمة جمع فيها أشهر المؤلفات وخصص له الفقهاء والعلماء في كل علم فكانت تدرس فيه جميع العلوم النقلية والعقلية وأخذت شهرته من أيام المعز تنتشر في آفاق المشرق والمغرب وقصده الطلاب من سائر الاقطار الاسلامية لطلب العلم وصارت بذلك القاهرة مقر العلوم والمعارف وبني أيضا قصرين جعلهما لاقامة المعز عند قدومه الى مصر وبني حول المدينة سورا فيه أبواب ولم يزل بعض هذه الآثار باقيا الى الآن ثم بعث جوهر الى مولاه يخبره بما تم وفي تلك الاثناء سير جوهر جيشا مع جعفر بن فلاح الى الشام فبلغ الرملة وبها الحسن بن عبد الله بن طغج وغيره من بواقي الاخشيديين فحاربهم ودخل الرملة عنوة فاستباحها ثم سار الى طبرية فوجد أهلها قد أقاموا الدعوة للمعز قبل وصوله فقصد دمشق

فافتتحها عنوة وأقام بها الخطبة للمعز وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمي وكان مطاعا فيهم فجمع الاوباش والزعار وثار بهم في الجمعة الثانية ولبس السواد وأعاد الخطبة للطيع العباسي فقاتلهم جعفر بن فلاح أياما ووالى عليهم الهزائم وعاثت جيوش المغاربة في أهل دمشق حتى أذعنوا للطاعة (٣٥٩ ﻫ) ثم قبض على الشريف أبي القاسم بن أبي يعلى المذكور أول سنة ٣٦٠ ﻫ وبعث به الى مصر واستقام ملك دمشق لجعفر بن فلاح ثم لما وصلت المعز هذه الاخبار اعتزم على المسير الى مصر وبعد أن مهد المغرب كما تقدم في الجزء الاول ارتحل عنه (٣٦١ ﻫ) وسار ومعه بلكين بن زيري خليفته على افريقية والمغرب قليلا ثم ودعه ورده الى عمله وسار هو الى طرابلس في عساكره وهرب بعضهم الى جبل نفوسه فامتنعوا به وسار الى برقة فقتل بها شاعره محمد بن هانئ الاندلسي ولم يعلم قاتله ثم وصل الاسكندرية في شعبان سنة ٣٦٢ ﻫ وتلقاه أعيان مصر بها فاكرمهم ووصلهم ثم سار الى مصر فدخلها في خامس رمضان فنزل بالقصرين ثم سار اليه الحسن ابن أحمد القرمطي في جيش كثيف وحصلت حروب هائلة بين القرامطة وجيش المعز بالقرب من عين شمس (المطرية) وضعف جيش المعز عن مقاومتهم فاستشار أهل الرأي من نصحائه فقالوا ليس حيلة غير السعي في تفريق كلمتهم فراسل حسان بن الجراح الطائي أحد رؤسائهم ووعده بمائة ألف دينار ان هو خذل بين الناس فأرسل اليه الدراهم في أكياس أكثرها زيف ضرب النحاس وألبسه الذهب وجعله من أسفل الاكياس ووضع في أعلى الاكياس الدنانير الخالصة وركب في أثرها بجيشه فالتقى الجيشان ونشبت الحرب وانهزم حسان بالعرب فضعف جانب القرمطي فكسره المعز وقبض على جماعة منهم يبلغ عددهم ١٥٠٠ وأمر بضرب أعناقهم واقتفوا أثرهم الى بلادهم الاحساء والقطيف ثم سير المعز الجيوش مع القائد ظالم بن موهوب العقيلي فاستولى على دمشق (٣٦٤ ﻫ) من أبي النجا وابنه صاحبي القرمطي وكان المعز من أول دخوله مصر مهتما بتنظيم أحوالها فاكثر من صناعة السفن الحربية فزادت قوته البحرية وحصن الثغور البحرية ثم عادت الفتنة في دمشق وأرسل المعز القائد ريان الخادم وكان بطرابلس الى دمشق للنظر في أحوالها وتعريفه بحقيقة أمرها وأمره أن يصرف القائد أبا محمود عنها ولما استفحل الامر بدمشق عزم على قتال الثوار بنفسه فعاجلته منيته في ربيع آخر سنة ٣٦٥ وكان عمره لما توفي ٤١ سنة وهو أول الفواطم بمصر وكان يحب العدل والانصاف بين الرعية غير أنه كان رافضيا يسب الصحابة قال المسبحي ان المعز كان يميل الى علم الفلك فأخبره جماعة من المنجمين بأن عليه قطعا شديدا في يوم كذا من شهر كذا وأشاروا عليه أن يختفي في سرداب تحت الارض فعمل سردابا واختفى فيه نحو أربعة أشهر وكان جنده المغاربة ظنوا أنه رفع الى السماء فكان الفارس منهم اذا نظر الى السحاب في السماء ينزل عن فرسه ويقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فلم يزالوا على ذلك حتى ظهر اﻫ وكان عزل جوهرا القائد عن دواوين مصر وجباية أموالها وعين بدله يعقوب بن كلس

العزيز بالله أبو منصور نزار (٣٦٥ - ٣٨٦ ﻫ) - لما توفي المعز ولي ابنه نزار هذا وتلقب بالعزيز وكتم موت أبيه الى عيد النحر فصلى بالناس وخطبهم ودعا لنفسه وعزى بأبيه وأقر يعقوب بن كلس على الوزارة وكان يهودي الاصل وأسلم وجهز القائد جوهر القتال افتكين الذي ترأس على الاتراك بعد سبكتكين وقصد الاستيلاء على دمشق واستنجد بالقرامطة فلما قربوا رحل جوهر

الى مصر فتبعه افتكين والقرامطة وأعلم جوهر العزيز بالحالة فسار العزيز بنفسه الى الشام وحارب افتكين والقرامطة واستظهر عليهم وقتل وأسر منهم خلقا كثيرا وقبض أخيرا على افتكين وعفا عنه وأنعم عليه وصحبه الى مصر وبقى بها معظما الى أن مات فيها (٣٧٢ ﻫ) وظن العزيز أن يعقوب بن كلس دس السم لافتكين لسبب المناظرة التى كانت بينهما للتقرب من الخليفة فاعتقله مدة ثم أخلى سبيله وفى سنة ٣٨١ ﻫ حضر باسيليوس الثانى ملك الروم (Basile II.) بالجيوش الى حلب ولقى أبا الفضائل بن سعد الدولة ومولاه لؤلؤا وكانا استنجداه على جيوش العزيز فسار معهم وافتتح حمص وشيروز ونهبهما ٩٩١ م وحاصر طرابلس أربعين يوما وبلغ الخبر الى العزيز فعظم عليه واستنفر الناس للجهاد وبرز من القاهرة لغزو الروم ونزل بلبيس فاعتورته الامراض وكان العزيز مغرما بالاكثار من الاساطيل قال المسبحى ان العزيز بالله بن المعز هو الذى بنى دار الصناعة التى بالمقس وعمل المراكب التى لم ير مثلها فيما تقدم كبرا ووثاقة وحسنا وقال فى حوادث سنة ٣٨٦ ووقعت نار فى الاسطول وقت صلاة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الآخر فاحرقت خمس عشاريات وأتت على جميع ما فى الاسطول من العدة والسلاح حتى لم يبق منه غير ست مراكب فارغة لاشئ فيها فحمل البحريون السلاح واتهموا الروم النصارى وكانوا مقيمين بدار مانك بجوار الصناعة التى بالمقس وحملوا على الروم هم وجموع من العامة معهم فنهبوا أمتعة الروم وقتلوا منهم مائة رجل وسبعة رجال وأخذ من بقى فحبس بصناعة المقس ثم حضر عيسى بن نسطورس خليفة أمير المؤمنين العزيز بالله ومعه يانس الصقلبى وهو يومئذ خليفة العزيز على القاهرة عند مسيره الى الشام ومعهما مسعود الصقلبى متولى الشرطة وأحضروا الروم من الصناعة فاعترفوا بانهم هم الذين أحرقوا الاسطول فكتب بذلك الى العزيز وضربت أعناقهم كلهم وكانت وفاة العزيز بالله فى بلبيس يوم ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ ﻫ بمرض القولنج المزمن والحصاة وسنه ٤٢ سنة

الحاكم بأمر الله بن العزيز (٣٨٦ - ٤١١ ﻫ) - لما ولى الاحكام جعل برجوان الخادم مدبر الدولة له كما كان لابيه العزيز وأعطى أبا محمد الحسن بن عمار لقب أمين الدولة وكان بين الموالى والكتاميين فى الدولة منافسة كانت كثيرا ما تفضى الى القتال من ذلك أنهم اقتتلوا سنة ٣٨٧ ﻫ فاركب المغاربة ابن عمار والموالى برجوان وكانت بينهم حروب شديدة ثم تحاجزوا واعتزل ابن عمار الامور وتخلى بداره عن رسومه وجراياته وتقدم برجوان بتدبير الدولة وكان كاتبه ينظر فى الظلامات ويطالعه بها وولى على برقة يانس صاحب الشرطة مكان صندل ثم قتل برجوان (٣٨٩ ﻫ) ورجع التدبير الى القائد أبى عبد الله الحسن بن جوهر وفى سنة ٣٩٠ ﻫ فصل الحاكم طرابلس عن المنصور بن بلكين بن زيرى صاحب افريقية وولى عليها يانس العزيزى من موالى العزيز وكثر عبث الحاكم فى أهل دولته وقتله إياهم وقطعه أيديهم حتى ان كثيرا منهم كانوا يهربون من سطوته وآخرون يطلبون الامان فيكتب لهم به السجلات وكان حاله مضطربا فى الجور والعدل والاخافة والامن والنسك والبدعة وأمر بسب الصحابة وكتب سبهم على أبواب المساجد ثم منع سبهم ومحا الكتابة ومنع صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها ومن غرائبه انه أمر بغلق الاسواق نهارا وفتحها ليلا فامتثلوا ومن النوادر فى ذلك انه رأى يوما نجارا يشتغل بعد العصر فوقف عليه وقال له ألم أنهكم عن هذا فقال ياسيدى أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار فهذا من جملة

السهر

السهر فتبسم وتركهم وأعاد الناس الى أمرهم الاول والحاصل أنه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا لم يل مصر بعد فرعون أشر منه رام أن يدعى الربوبية كما ادعاها فرعون فأمر الناس اذا ذكر الخطيب اسمه على المنبر أن يقوموا اجلالا واحتراما لاسمه وقال الشيخ شمس الدين الذهبي فى تاريخه كان جماعة من جهال العوام يسجدون له كلما رأوه وادعى أنه يعلم الغيب فكان يقول لامرائه ووزرائه ما كانوا يفعلونه فى بيوتهم بواسطة نساء جعلهم لذلك فكن يدخلن البيوت ويطالعنه بأحوالها سرا وأتى من فظيع الاعمال أشياء كثيرة مثل سد باب الحمام على النساء حتى متن فيه وأمر بحرق الكروم ومنع الناس من بيع العسل الاسود ومن أكل الملوخية والقرع وما أشبه ذلك قال ابن خلدون أما ما رمى به من الكفر وصدور السجلات باسقاط الصلوات فغير صحيح ولا يقوله ذو عقل ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته وأما مذهبه فى الرافضة فمعروف اهـ

وتوفى الحاكم بأمر الله قتيلا عند عين حلوان بمصر وكان يركب حمارا ويطوف بالليل ويخلو بدار فى جبل المقطم للعبادة يقال لاستنزال روحانية الكواكب فصعد ليلة من الليالى فى شوال سنة ٤١١ وركب على عادته ومشى معه خادمان فردهما واحدا بعد آخر فى تصاريف أموره ثم افتقد ولم يرجع وأقاموا أياما فى انتظاره ثم خرج مظفر الصقلى والقاضى وبعض الخواص الى الجبل فوجدوا حماره مقطوع اليدين واتبعوا أثره الى بركة الحبش فوجدوا ثيابه مزررة وفيها عدة ضربات بالسكاكين فأيقنوا بقتله ويقال ان أخته هى التى عملت على قتله لأمر يعلمه الله وينسب الى الحاكم هذا بناء بعض أماكن وتكميل بعض جوامع بالقاهرة فمن ذلك الجامع المنسوب اليه وهو الذى أسسه أبوه العزيز خارج باب الفتوح ثم أكمله الحاكم (٤٠٣ هـ) ولما تم سنة ٤٠٤ حبس عليه عدة قياسر وأملاك وفى أيامه توفى الامير جوهر الشهير فاتح مصر ووجدوا له من الاموال ما لا يحصى ولما اختفى الحاكم بأمر الله قام رجل يدعى حمزة (١) بن أحمد وكان وزير الحاكم وأخذ يبث تعاليم نسبها الى الحاكم ويقال انها انتشرت بين الطائفة المعروفة بالدروز

الظاهر بن الحاكم (٤١١ - ٤٢٧ هـ) — لما تحقق قتل الحاكم اجتمعوا الى أخته ست الملك فأحضرت على بن دواس وأجلس على بن الحاكم وكان صبيا لم يناهز الحلم وبايع له الناس ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله وكانت عمته ست النصر أخت الحاكم هى القائمة بأمور دولته هى والامير سيف الدين بن دواس وفى أيامه اضطربت أحوال الديار المصرية والبلاد الشامية وفى سنة ٤١٥ هـ توفيت ست النصر أخت الحاكم وتركت من الاموال والجواهر والامتعة شيأ كثيرا ووجد لها أربعة آلاف جارية ما بين بيض وسود ومولدات منهن ١٥٠٠ أبكار وفى أيام هذا الخليفة أذن للاقباط باجراء موسم الغطاس وكان فى هذا الموسم يغطى البحر بالمراكب والزوارق مشحونة بالجموع فاذا دخل الليل زينت المراكب بالقناديل والشموع ونزل رؤساء القبط فى المراكب

(١) وكان حمزة هذا من أعيان شيعته وكثيرا ما يكتب رسائل ويتلوها فى امامة الحاكم ثم فى لاهوته وجعل أساس تعليمه ان الله يتجسد فى الائمة السبعة الذين آخرهم الحاكم بامر الله وهو الذى يعرف بالقائم فى آخر الزمان وكان حمزة يعنى بهادى المستجيبين المنتقم من المشركين والمرتدين بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحده وزعم أهل بدعته انه لم يمت بل اختفى متواريا فى بستان داخل سرداب لما رأى من فساد الناس وانه حى وسوف يأتى فى آخر الزمان

وفى سنة ٤٢٢ توفى الخليفة القادر بالله العباسى وخلفه على بغداد القائم بامر الله وتوفى الظاهر فى شعبان سنة ٤٢٧ هـ فولى ابنه أبو تميم معد ولقب بالمستنصر بالله

المستنصر بأمر الله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) - لما بويع له بالخلافة بعد موت أبيه كان عمره سبع سنين فقام بأمره وزير أبيه أبو القاسم على بن أحمد الجرجراى ثم استوزر بعده الحسين بن على التازورى وفى سنة ٤٤٦ هـ قطع المعز بن باديس بالمهدية خطبة العلويين وخطب للقائم بامر الله العباسى فجرد عليه المستنصر الجيوش فلاقاهم المعز ومعه ثلاثون ألفا فهزم ودخل القيروان منهزما ثم استولت جيوش المستنصر على القيروان وهرب المعز الى المهدية للتحصن بها ثم كانت الخطبة للمستنصر ببغداد على يد البساسيرى من مماليك بنى بويه عند انقراض دولتهم واستيلاء السلجوقية عليهم وسبب ذلك أنه بينما كان مقدم الاتراك ببغداد اذ قام بينه وبين بعض رجال الدولة وحشة أدت الى أن حدثت بينه وبين مخالفيه حروب اضطر فيها القائم بامر الله العباسى أن يخرج من بغداد وينزل مع رئيس رؤسائه على علم الدين قريش بن بدران صاحب الموصل وقال له الرئيس ياعلم الدين أمير المؤمنين القائم يستذم بزمامك وزمام رسول الله وزمام العربية على نفسه وماله وأهله وأصحابه فأعطى قريش لحضرته زماما فنزل القائم والرئيس الى قريش وسار امعه باتفاق منه فأرسل البساسيرى يذكر قريشا بما عاهده عليه من المشاركة فى الأمر عقب حرب الموصل سنة ٤٤٨ ثم اتفقا على أن يتسلم البساسيرى رئيس الرؤساء لانه عدوه وبقى الخليفة عند قريش وحمل قريش الخليفة الى معسكره ببردته ونهبت دار الخلافة ثم سلم قريش الخليفة لابن عمه مهاوش بن المجلى أمير العرب فسار مهاوش والخليفة فى هودج الى حديثة عانة فنزل بها وسار أصحاب الخليفة الى طغرلبك وكان وقتئذ ملك العراق فأتى طغرلبك الهامع جيشه وأرجع الخليفة الى داره ثم سار لقتال البساسيرى فهزمه وأصحابه وقتله (٤٥١ هـ) وبعث برأسه الى الخليفة فصلبه ببغداد وفى سنة ٤٥١ وقع الغلاء العظيم بمصر فكان يعادل الغلاء الذى وقع فى زمن يوسف عليه السلام وقد أقام هذا الغلاء بمصر سبع سنين متوالية اشتد فيه الجوع فأرسل المستنصر الى امبراطور القسطنطينية قسطنطين دوكاس الحادى عشر (Constantin XI Ducas) يطلب منه ارسال الحبوب فقبل ولكنه مات قبل ارسالها (١٠٥٩ م) ولما تولت من بعده الامبراطورة ايدوكسى ماكريمبوليتيس (Macrembolitisse Eudoxie) أوقفت ارسالها حتى يعقد معها معاهدة هجومية ودفاعية فلم يقبل المستنصر وكانت أم المستنصر متغلبة على دولته وكانت تصطنع الوزراء وتوليهم وكانوا يتخذون الموالى من الاتراك للتغلب على الدولة وفى سنة ٤٥٤ هـ حصلت فتنة بين الاتراك والعبيد كانت سببا فى خراب الاقليم المصرى وسببها أن تركيا قتل عبدا وهو سكران فاجتمعت العبيد وقتلوه وبلغ ذلك الاتراك فاجتمعوا على مقاتلة العبيد وتقابل الفريقان فى بلدة كوم شريك وحصلت بينهما واقعة انهزم فيها العبيد فشق ذلك على والدة المستنصر لانها أمة ولانها كانت تساعدهم سرا وتجددت بينهما فتنة ثانية انهزم فيها العبيد أيضا وفروا الى الصعيد (٤٥٩ هـ) فازدادت قوة الاتراك بمصر واستخف رئيسهم ناصر الدولة حفيد ناصر الدولة بن حمدان بالخليفة وصار هو وبقية الامراء يطلبون منه أموالا حتى نفد جميع مافى الخزينة والتزم أن يبيع ماعنده ثم

بعد

بعد ذلك سار ناصر الدولة لقتال العبيد فى الصعيد لتجمهرهم فقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى القاهرة وأخذ يستبد بسلطنة مصر الى سنة ٤٦١ وحضر الاتراك مرة بدار المستنصر فأمرت والدته العبيد الذين بالدار أن يفتكوا بمقدمى الاتراك فلما هموا بذلك تمكن الاتراك من الهرب الى ظاهر البلد ومعهم ناصر الدولة الذى قاتل أولياء المستنصر فهزمهم وملك الاسكندرية ودمياط وقطع الخطبة منهما ومن سائر الريف للمستنصر وراسل الخليفة العباسى ببغداد وافترق الناس فى القاهرة فرقا ثم ان ناصر الدولة استعطف المستنصر فعفا عنه ظاهرا ودخل القاهرة وأخبر ادس المستنصر اليه من قواد الاتراك من قتله وقتل أخاه فخر العرب وأتوا برأسهما الى المستنصر (٤٦٥ هـ) وقتلوا أيضا جميع بنى حمدان بمصر وكان الخليفة استدعى أمير الجيوش محمود بدر الجمالى وهو أرمنى الاصل من صنائع الدولة بمصر فأتى من الشام بالسفائن الى دمياط ثم وصل الى قليوب وهناك أمر رؤساء الترك بالقبض على ايلدكوز فقتله وقتل الوزير ابن كرتية وبعض أمراء الاتراك واستقام له الامر (٤٦٧ هـ) وبعد ئذ صارت لبدر الجمالى الكلمة النافذة فقلده الخليفة المستنصر امرة الجيوش والوزارة وجد فى تسكين الاضطرابات الداخلية وفى احياء ما فقد من العمران فنشر العلوم والمعارف وسهل سبل التجارة وشيد جملة مبان نافعة وخفف الضرائب ولم يحصل فى مدته ما يكدر الراحة وعاد الى الخليفة ما كان له من السلطة والاحترام وفى خلال ذلك أغار اتسز أحد الامراء التركمان على سوريا أثناء غياب بدر الجمالى عنها واستولى على القدس الشريف وطبرية ودمشق ثم تقدم نحو مصر فى جيش مؤلف من عشرين ألف مقاتل وعسكر بجوار القاهرة وكانت الجيوش المصرية اذ ذاك مشتغلة باطفاء ثورة الصعيد فاضطربت أهالى القاهرة واضطر بدر الجمالى أن يصالح اتسز المذكور على مبلغ قدره ١٥٠,٠٠٠ دينار يدفعها له عند خروجه من مصر فقبل بذلك اتسز وكانت تلك حيلة من بدر الجمالى لانه تمكن من جمع الرجال وهجم بغتة على اتسز فهزمه بعد أن فتك بعسكره فتكا ذريعا وخسر التركمان جميع البلاد التى فتحوها فى الشام فأعيدت الى حكم المستنصر ومات اتسز فى دمشق موتة شنعاء ثم توفى أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٨٧ هـ بعد أن حكم فى مصر عشرين سنة أحسن فيها الادارة وعمرها وقوى أسوارها ونظم جيوشها وماليتها وكان مهيبا محترما وبعد وفاته ببضعة أيام مات الخليفة المستنصر وسنه ٦٧ سنة وخمسة أشهر حكم منها ستين سنة لم يحكم مثلها قبله خليفة ولا ملك فى الاسلام وكان ضعيف الرأى لقى أهوالا وشدائد فى مدته وان كانت مصر عادت فى آخر حكمه لرونقها القديم الا أن هذا لم يدم طويلا لان الدولة الفاطمية أخذت بعده فى الانحطاط وفى أيامه سنة ٤٥٣ هـ هاجم روجر الاول النورماندى جزيرة صقلية واستولى عليها فخرجت من قبضة الفواطم كما ذكرناه فى الجزء الاول من هذا الكتاب وخلفه ابنه الثانى المستعلى

المستعلى بالله بن المستنصر (٤٨٧ – ٤٩٥ هـ) – يقال ان المستنصر قبل وفاته كان عهد لولده نزار بالخلافة وكانت بينه وبين أبى القاسم الافضل عداوة فخشى بادرته وداخل عمته فى ولاية أبى القاسم على أن تكون لها كفالة الدولة فشهدت بأن المستنصر عهد له بحضر فبويع وهو ابن ست سنين ولقب المستعلى بالله وأكره أخوه الاكبر على بيعته ففر الى الاسكندرية وبايعه هناك افتكين مولى بدر الجمالى ولقبه المصطفى لدين الله (٤٨٨ هـ) فسار الافضل بالجيوش

وحاصر الاسكندرية فسلمت على الامان وأركب نزارا السفن الى القاهرة وقتل بالقصر وعاد الافضل ومعه افتكين أسيرا وقتله فعادت السكينة وكان الحكم وقتئذ للوزير الافضل المذكور وهو شاهنشاه ابن بدر الجمالى وعزم الافضل على استرجاع البلاد التى كانت خرجت عن الدولة الفاطمية ففتح القدس من يد ابنى أرتق بن أكسب وهما ايلغازى وسقمان بعد حصاره أربعين يوما (٤٩١ هـ) وكان تتش صاحب الشام مات واختلف بعده ابناه رضوان ودقاق وكان دقاق بدمشق ورضوان بحلب فخطب رضوان فى أعماله للمستعلى بالله أياما قلائل ثم عاود الخطبة للعباسيين وبينما كانت الاحوال فى هذا الارتباك اذ قامت الحروب الصليبية وكان مبدؤها سنة ٤٩٠ هـ

الحروب الصليبية — لقد يأسف التاريخ على ذكر التعصبات الدينية العمياء التى قامت بسببها الحروب الصليبية المذكورة التى كان من أسباب ظهورها الضعف الذى أصاب خلفاء بنى العباس فى بغداد وخلفاء العبيديين الفواطم بمصر وهما الدولتان الاسلاميتان اللتان كانتا يتنازعان الحكم فى المدة المذكورة فطمع الفرنج فى ممالك الشام وذلك سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٧ م) وأول من أثار هذه الحروب راهب فرنسوى يدعى بطرس الناسك (Pierre l'Ermite) وكان ترهب وانفرد عن أهله وساح متنسكا فزار بيت المقدس وأخذته الحمية والتعصب لاستخلاص تلك الاماكن من أيدى المسلمين بدعوى أن زوار بيت المقدس من النصارى مضطهدون فلما رجع الى بلاد ايطاليا اجتمع بالبابا أوربانوس الثانى (Urbain II) وخاطبه فى ذلك فوافقه البابا وأمره أن يطوف ببلاد الفرنج يدعوهم ويحرضهم لانقاذ الاراضى المقدسة فجال وحرك القلوب فى أوروبا على حرب الاسلام وفى خلالها كان الكسيس كومنينوس الاول (Alexis I^er Comnène) امبراطور القسطنطينية يحارب الاتراك بآسيا الصغرى وكان اليأس أخذ منه كل مأخذ خصوصا المبالغة أن الاتراك استخدموا بعض اليونانيين الذين أمروهم فى بناء أسطول قوى فأرسل وفدا الى البابا يسأله المساعدة على الترك فدعا البابا الملوك المسيحيين لنجدة اخوانهم فى الدين وذلك بعد أن عقد عدة مجامع فى ايطاليا وفرانسا وألقى على مسامع من حضرها أقوالا استنهض بها هممهم للمبادرة بالاستعداد وفى المجمع الاخير الذى عقد بمدينة كليرمنت من أعمال فرانسا (١٨ نوفمبر ١٠٩٥ م) نادى أوربانوس المذكور بالحرب الصليبية الأولى فنهض أحد الاساقفة وطلب من البابا أن يكون أول المجاهدين فى هذا السبيل فسلمه البابا راية الصليب وتبعه الجموع ورسموا جميعا على صدورهم صورة الصليب باللون الأحمر وجعلوا هذه العلامة على الاسلحة والالوية والرايات والبنود ومن وقتها سموا بالصليبيين وكانت الحملة الاولى الصليبية من سنة ١٠٩٧ الى ١٠٩٩ م وتجهز لها الفرنج وكان ملوكهم الحاضرون بقدوين أو بردويل (Baldwin-Boudouin) والقمص ريموند وغفريد وبوعمند وغيرهم من أمراء فرانسا وغيرها وطلبوا من صاحب صقلية المرور من بلاده فلم يمكنهم من ذلك على ما يقال فعزموا على التوجه الى الشام عن طريق القسطنطينية فمنعهم الامبراطور من الاجتياز ببلاده الا بشرط أنهم يحلفون له أنهم يسلمون له أنطاكية وغيرها من المدن التى كانت للروم متى امتلكوها وكان يخاف من الفرنج أن يستولوا على بلاده فلما قبلوا شرطه صرح لهم قال ابن خلدون ما ملخصه كان بيت المقدس قد أقطعه تاج الدولة تتش للامير سلمان ابن ارتق التركمانى وقارن ذلك استفحال الفرنج واستطالتهم على الشام وخروجهم سنة ٤٩٠ هـ

ومروا

ومرّوا بالقسطنطينية وعبروا الخليج فنازلوا أولا أنطاكية وأخذوها من يد باغيسيان من قوّاد السلجوقية وخرج منها هاربا فقتله بعض الارمن فى طريقه وجاء برأسه الى الفرنج بانطاكية وعظم الخطب على عساكر الشام وسار كربوغا صاحب الموصل فنزل مرج دابق واجتمع اليه دقاق بن تتش وسليمان بن أرتق وطغتكين أتابك صاحب حمص وصاحب سنجار وجمعوا من كان هنالك من الترك والعرب وبادروا الى أنطاكية لثلاثة عشر يوما من حلول الفرنج بها وخرج الفرنج وتصافوا مع المسلمين فانهزم المسلمون وقتل الفرنج منهم ألوفا واستولوا على معسكرهم وساروا الى معرة النعمان وحاصروها أياما وهربت حاميتها وقتلوا منها نحوا من مائة ألف وصالحهم ابن منقذ على بلدة شيزر وحاصروا حمص وصالحهم عليها جناح الدولة ثم حاصروا عكا فامتنعت عليهم وأدرك عساكر الغز من الوهن مالا يعبر عنه فطمع أهل مصر فيهم وسار الافضل بن بدر بالعساكر لاسترجاع بيت المقدس فحاصرها ثم ملكها بالامان (٤٩٠ هـ) وأحسن الافضل الى سقمان و يلغازى وخلى سبيلهما وولى على بيت المقدس من يثق به و رجع الى مصر ثم سار الفرنج الى بيت المقدس وحاصروه أربعين يوما (٢٢ شعبان ٤٩٢ هـ) ونصبوا عليه برجين ثم اقتحموه واستباحوه أسبوعا وقتلوا من أهله سبعين ألفا واغتنم الصليبيون غنائم كثيرة وجاء الصريخ الى بغداد صحبة القاضى أبى سعيد الهروى فكثر البكاء والأسف وتمكن الفرنج من البلاد وولوا على بيت المقدس غودفرى دو بويلون (Godefroy de Bouuillon) دوق دولورين وقام الدوج فيتال ميشيلى (Vital Michieli) رئيس جمهورية البنادقة بمساعدته بالاساطيل الكبيرة وكان ذلك سببا فى امتداد تجارة هذه الجمهورية فى الشرق وحصولها على امتيازات وافرة (١٠٩٨ م) ولما بلغ خبر سقوط بيت المقدس الى مصر جمع الافضل الجيوش والعسكر واحتشد وسار الى عسقلان وأرسل الى الفرنج بالتهديد فأعدوا الجواب و رحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم وعادوا الى القدس واستولى تنكريد (Tancrède) من أمراء صقلية على طبرية وتقلد عليها الامارة ثم افتتح حصن حيفا بمساعدة أساطيل جمهورية البنادقة الذى منع عنها كل مدد وفى خلال لهامات غودفرى (٤٩٣ هـ) وقام بالامر بعده أخوه بقدوين (Baudoin) صاحب الرها وسار فى ملكه الفرنج الى سروج وقيسارية فملكوها عنوة (١١٠٠ م) وملكوا ارسوف بالامان وفى سنة ٤٩٥ هـ سار صنجيل ريموند الى طرابلس و بعد حصار صالحوه على مال وخيل ثم ملك انطرسوس عنوة ثم ملك أعمال حمص و بعد ذلك استفحل أمر الفرنج بالشام وفى سنة ٤٩٥ مات المستعلى أبو القاسم أحمد فى منتصف صفر و بويع ابنه أبو على

الآمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) - ولى الخلافة وعمره خمس سنين ولم يل منهم أصغر منه وكان الفرنج الصليبيون فى نجاح لانقسام الممالك الاسلامية وقتئذ وفى سنة ٤٩١ هـ وصلت مراكب من بلاد الفرنج تحمل خلقا كثيرا من التجار والحجاج فاستعان بهم صنجيل على حصار طرابلس وكان معظم تلك المراكب للبنادقة أرسلها الدوج أورديلاف فاليورو (١١٠٤ م) (Ordelafe Faliero) الذى خلف فيتال ميشيلى السابق ذكره على رياسة جمهورية البنادقة مساعدة للصليبيين فحاصروها برا وبحرا ولما يئسوا منها ارتحلوا الى جبيل وكانت عكا تابعة لمصر وحاكمها

بدعى زاهر الدولة الجيوشى وكان يحاصرها الكونت صنجيل (Raymond de Saint-Gilles) وطال زمن الحصار وحضر بودوان الأول (Baudoin) الذى خلف غودفروا دوبو يلون فى ملك أورشليم (١١٠٣ م) وشدد الحصار عليها (١١٠٤ م) وبعد ثلاثة أسابيع دخلوها عنوة وفتكوا بمن فيها وهرب زاهر الى مصر ولما كانت سنة ٥٠٣ هـ وصل القمص ريموند بن صنجيل بمراكب عديدة من سفن البنادقة وجنوه وبيزا مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وحاصر طرابلس مع بغدوين ملك القدس المذكور وملكوها عنوة لتأخر الاسطول المصرى بالميرة ثم استولى الفرنج على بيروت أيضا ثم نازلوا صيدا برا وبحرا واسطول مصر يعجز عن انجادهم ثم زحفوا الى صور فى أبراج الخشب المصفحة فاستأمن أهلها وكانت سفن البنادقة وجنوه وبيزة تساعد الصليبيين فى تلك الوقائع حتى ان الصليبيين كافؤا أهالى جنوة على مساعدتهم لهم فى الحروب الصليبية الاولى المذكورة بأن تنازلوا لهم عن قطعة من الارض فى ساحل فلسطين كامثالهم ثم فى سنة ٥١١ قصد بغدوين الديار المصرية فانتهى الى الفرما وفيها أصيب بمرض خفات بالعريش فى مكان يعرف برمال بودوين (بردويل) فنقله أصحابه ودفنوه بكنيسة القيامة (١١١٨ م) وجلس مكانه ابن عمه بغدوين الثانى ملكا لاورشليم وكانت الحروب قائمة بين المسلمين والصليبيين على ساق وقدم وكانت أحوال مصر فى قلاقل واضطرابات مستمرة فلذلك لم تتمكن من المحافظة على أملاكها بسوريا والتزمت جانب المدافعة وبينما كان بغدوين الثانى يدافع عن انطاكية (٥١٠ هـ) لانقاذ جوسلين كونت الرها أسره المسلمون ولم يطلقوه الا بفدية عظيمة وبعد ذلك حاول الاستيلاء على حلب فصادف فشلا ومن حوادث مصر أن عرب لواتة أظهروا فيها الفساد (٥١٧ هـ) فجمع المأمون بن البطائحى الذى تولى الوزارة بعد قتل أمير الجيوش الافضل (٥١٥ هـ) الجنود وقاتلهم وهزمهم فعادوا الى المغرب وفى سنة ٥١٩ هـ قبض الخليفة على وزيره أبى عبد الله البطائحى وصلبه هو واخوته لتمردهم ثم اجتمع الفرنج سنة ٥٢٠ هـ وساروا الى دمشق ونزلوا على مرج الصفر واستنجد طغركين صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاؤا اليه وخرج الى الفرنج والتقى معهم فسقط طغركين فى المعترك فظن أصحابه انه قتل فانهزموا والفرنج فى اتباعهم وقد أثخنوا فى رجالة التركمان الا أن فرقة من جيش التركمان كانت عادت الى معسكر الفرنج بينما كانوا يتعقبون المسلمين ونهبوه وقتلوا من به ولما عاد الفرنج وجدوا خيامهم وأثقالهم منهوبة فانهزموا وفى خلال ذلك عظم أمر الاسماعلية المشهورين بالباطنية وبالحشاشين (وقد تقدم ذكرهم بالجزء الاول صحيفة ٢٣٥) وملكوا بانياس وفى سنة ٥٢٤ هـ سعى أمير الباطنية فى قتل الآمر بأحكام الله فانفذ اليه أحد رجاله فقتله فى ثانى يوم من شهر ذى القعدة وكان منهمكا فى اللذات والملاهى فخلفه ابن عمه الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد بن القاسم بن المستنصر بالله

الحافظ لدين الله (٥٢٤ - ٥٤٤ هـ) — وكان وزيره يدعى هزار الملوك فلم ترضه العساكر وثاروا وأقاموا أبا على بن الافضل وزيرا وقتلوا هزار الملوك وعاثوا فى القاهرة واستبد أبو على بالوزارة (٥٢٤ هـ) وقبض هذا الوزير على الخليفة وسجنه مقيدا فاستمر فى سجنه الى أن قتل أبو على (٢٦ محرم سنة ٥٢٦ هـ) فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على الامراء والقواد وقد

اتخذ

اتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا اسماه عيد النصر وصار يعمل كل سنة وقام يانس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك بعد تسعة أشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحدا وتولى الامور بنفسه الى سنة ٥٢٨ هـ حيث أقام ابنه سليمان ولى عهده مقام الوزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فعين مكانه ابن حيدرة فحنق ابنه حسن وسار بالفتنة ولما قتل حسن قام بهرام الارمنى وأخذ الوزارة وظاهره على ذلك بعض أمراء الدولة (٥٢٩ هـ) وكان مسيحيا فاشتد حذر المسلمين من المسيحيين وكثرت أذيتهم لهم فسار رضوان بن ولخشى وهو يومئذ متولى الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فانهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة (٥٣١ هـ) وأخذ فى اهانة حواشى الخليفة وهم بخلعه فتوحش الحافظ منه ومازال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان وخرج الى الشام فجمع وعاد (٥٣٤ هـ) فجهز له الحافظ العساكر لمحاربته فقاتله وأخيرا قبض عليه واعتقله ولم يستوزر الحافظ أحدا بعده ثم هرب من معقله (٥٤٢ هـ) وأثار فتنة آلت الى قتله وفى سنة ٥٤٣ هـ شاع خبر قدوم روجر الثانى (Roger) ملك صقلية بالاساطيل الى الاسكندرية فاضطربت الاحوال بمصر وكان هذا الملك لم يقنع بما ناله من أملاك الفواطم حتى طمع فى باقى ثغورهم فسار الى بلادهم قبل الآن بعمارة بحرية مؤلفة من ٢٥٠ سفينة وأغار على بلاد افريقية واستولى على جربه (٥٢٩ هـ) واستباح سكانها واستعبد نساءها ثم وضع يده على طرابلس الغرب (٥٤١ هـ) ثم على المهدية (٥٤٣ هـ) وهى مهدية العبيديين وكان قد هجرها أهلها بسبب القحط الذى استولى عليهم وقتئذ كما بسطناه فى الجزء الاول وفى خلال ذلك مات الحافظ فى منتصف سنة ٥٤٤ هـ وكانت الفتنة قائمة فاقيم مكانه ابنه الظاهر أبو منصور اسمعيل

الظاهر أو الظافر بأمر الله (٥٤٤ - ٥٤٩) - وكان هذا الخليفة كثير اللهو واللعب منهمكا فى اللذات يميل الى سماع الاغانى والتفرد بالجوارى وكانت فى أيامه حملة الصليبيين الثانية (١١٤٧ - ١١٤٩ م) وسببها الخوف الذى اعترى أهل أوروبا من فتوحات زنكى ونور الدين قال ابن الاثير ما ملخصه لما استولى المسلمون على الرها أخذ ظل الفرنج فى التقلص من المشرق فذهب القسوس والرهبان الى بلاد الفرنج يستنجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلاءهم على أنطاكية واستردادهم بيت المقدس فتألبت أمم الفرنج من كل ناحية وسافر فى سنة ٥٣٠ ملك الفرنج لويس السابع (Louis VII) ومعه ملك الالمان كونراد الثالث (Conrad III) (١١٤٢ م) فى جموع عظيمة قاصدين بلاد الاسلام فتجمعوا بالقسطنطينية أولا ثم سافروا الى الشام فهلك منهم جمع كثير بدسائس امبراطور القسطنطينية مانويل الاول كومنينوس (Manuel Ier Comnène) ولما وصلوا الى الشام اجتمع عليهم عساكر بقدوين ممتثلين أمرهم فساروا جميعا بسرعة الى دمشق فحاصروها ودافع عنها عاملها معين الدولة ولما اشتد الامر بالميدان الاخضر بعث معين الدولة الى سيف الدين غازى بن زنكى يدعوه الى نصرة المسلمين فجمع عساكره وسار الى الشام واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فبعث معين الدولة الى طائفتى الفرنج من سكان الشام والواردين مع ملك الالمان يتهددهم بتسليم البلد الى صاحب الموصل ان لم يرحلوا ومازال يضرب بينهم وجعل لهم حصن بانياس طعمة فاجتمعوا الى ملك الالمان خوفا من صاحب الموصل وقتلوا له فى الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده بطريق البحر (١١٤٩ م)

وفي سنة ٥٤٦ ﻫ جمع نور الدين محمود عساكره وسار الى بلاد جوسلين الثاني الفرنجي (١) وهي شمالي حلب وسار جوسلين فارس الفرنج في عسكره نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر جمع كثير ولكن بالحيلة التي عملها نور الدين ظفر التركمان بجوسلين وحملوه اليه أسيرا ثم سار نور الدين الى قلاع جوسلين فملكها وهي عين تاب والراوندان ودلوك ومرعش وغير ذلك وفي سنة ٥٤٨ ﻫ ملك الفرنج مدينة عسقلان من يد خلفاء مصر واستطالوا على دمشق ووضعوا عليها الجزية وكان صاحبها مجير الدين وبينما كانت الحروب الصليبية قائمة بالشام نزلت مراكب صقلية على السواحل المصرية ونهبت وأحرقت تنيس (٥٤٨ ﻫ) وفي سنة ٥٤٩ ﻫ مات الظافر قتيلا وسبب قتله أن وزيره العباس شق عليه اشتغال الخليفة بالشهوات واعراضه عن الملك فاوعز الى ابنه نصر وكان صديق الظافر وكان الظافر يهواه لفرط جماله وأدبه فقتله تخلصا مما كان يتهم به الناس وكتما الخبر ثم لما أشيع اتهم العباس أخوى الظافر وهما جبريل ويوسف بانهما قتلا الخليفة فقتلهما لذلك ومن مآثر الظافر الجامع الظافري داخل باب زويلة وخلفه الفائز أبو القاسم عيسى

الفائز بنصر الله (٥٤٩ - ٥٥٦ ﻫ) - هو ابن الظافر أقامه في الخلافة الوزير عباس المذكور وكان عمره خمس سنين ولما اطلع أهل القصر على حقيقة قتل الظافر أخذوا يعملون الحيلة لقتل عباس وابنه فكاتبوا الصالح طلائع بن رزيك وكان عامل الاشمونين فجمع طلائع الجموع وتقدم نحو القاهرة وفر عباس واستولى طلائع على الوزارة واستحضر الخادم الذي كان مع الظافر وسأله عن الموقع الذي دفن فيه سيده فدلهم عليه فاخرج الظافر وحمل مع ولديه المقتولين وانتشر البكاء والنوح في الطرق الى أن واروهم التراب وقام طلائع بتدبير أحوال الدولة وكاتبت أخت الظافر الفرنج في عسقلان بشأن عباس وشرطت لهم مالا ان قبضوا عليه فارسلوا الجنود فتلاقت معه في الطريق فقتل عباس وقبض على ولده نصر وأرسل في قفص من الحديد الى مصر مع من قبض المال وأخذ نصر وضرب ومثل به ثم صلبوه على باب زويلة (٥٥١ ﻫ) ومات الفائز سنة ٥٥٦ ﻫ وكانت دولة الفواطم قد ضعفت في أيامه وانحطت قوتها البرية والبحرية ففي أوائل خلافته نزل على دمياط نحو ستين مركبا في جمادى الآخرة سنة ٥٥٠ ﻫ بعث بها روجير صاحب صقلية نعاثوا وقتلوا ونزلوا على تنيس ورشيد والاسكندرية فأكثروا فيها الفساد ولما مات الفائز دخل الوزير الملك الصالح طلائع القصر وسأل عمن يصلح للخلافة فاحضر واله رجلا كبيرا فقال له بعض أصحابه سرا لا يكون عباس أحزم منك حيث اختار الصغير فاعاد الصالح الرجل الى موضعه وأمر باحضار العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن الامير يوسف بن الحافظ ولم يكن أبوه خليفة فبايع له بالخلافة وزوجه الصالح بابنته ونقل معها من الجهاز ما لا يسمع بمثله

(١) جوسلين هذا هو ابن جوسلين الاول المعروف بدوكورتناي (de Courtenay) أمير فرنساوي رافق بلدوين الثاني الى فلسطين وجعله بلدوين أميرا على طبرية سنة ١١١٥ م ثم خلف بلدوين في أميرية الرها سنة ١١١٨ م ولما مات وخلفه ابنه المذكور على الرها حاربته جيوش نور الدين وأسرته في وقعة حلب ومات بها (١١٤٩ م) ولما قام ابنه جوسلين الثالث من بعده أسر أيضا سنة ١١٦٥ م وفداه صهره بلدوين الرابع سنة ١١٧٥

العاضد

العاضد لدين الله (٥٥٦ - ٥٦٧ هـ) - بويع له بالخلافة وعمره لا يتجاوز الاحدى
عشرة سنة واستبد الصالح بالامور وازداد تمكنه من الدولة فثقل ذلك على أهل القصر لانه ضيق عليهم
فدست عليه عمة العاضد من وقف له بباب القصر عند دخوله فطعنه بخنجر الا أنه لم يمت وحمل الى بيته
وأرسل يعتب على العاضد فارسل العاضد الى الوزير يحلف له انه لا يرضى بذلك ولا علم له به وأمسك
العاضد عمته وأرسلها الى طلائع فقتلها ثم مات بعدها (٥٥٦ هـ) وكان طلائع بن رزيك أرمنيا
شجاعا جوادا فاضلا عاقلا سياسيا وولى العاضد بعده ابنه رزيك بن طلائع ولقب العادل وحسنت
سيرته فى الناس فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص وكان يخدم أباه الصالح طلائع فولاه
الصعيد وكانت ولاية الصعيد أكبر المناصب فى مصر بعد الوزارة فلم يقبل شاور العزل ونمت بينهما
العداوة فسار شاور بجموعه نحو العادل الى القاهرة فهرب العادل وتعقبه شاور وأمسكه وقتله
وانقرضت بقتله دولة بنى رزيك واستقر شاور فى الوزارة وتلقب بامير الجيوش وأخذ أموال بنى رزيك
وودائعهم ثم ان ضرغاما أحد الوزراء جمع جمعا ونازع شاورا فى الوزارة وقوى على شاور فانهزم شاور
الى الشام مستنجدا بنور الدين فوعده نور الدين بالمساعدة ولما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيرا
من الامراء المصريين (٥٥٨ هـ) لتخلو له البلاد فضعفت الدولة لهذا السبب واختلت الاحوال
وقدم الصليبيون فدعاهم ضرغام لمساعدته على خصمه ونازلوا بلبيس مدة ودافعهم المسلمون
حتى عادوا الى بلاد الساحل وفى خلال ذلك قدمت جيوش نور الدين وعليها أسد الدين شيركوه أحد
قواده وسار فى صحبتهم ووصل أسد الدين والعساكر الى مدينة بلبيس فخرج عليهم أخو ضرغام
بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم ثم تقدم أسد الدين حتى نزل على القاهرة وخرج ضرغام من القاهرة
فقتل وخلع العاضد على شاور وأعاده الى الوزارة وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة فغدر به شاور ولم
يقم له بما كان تعهد به لنور الدين وأرسل الى اموري الاول (Amaury Ier) ملك الفرنج الذى
خلف أباه بودوين الثالث (١١٦٥ م) فى بيت المقدس يستمده فسارع الى تلبية دعوته ونصرته
فلما قرب الفرنج من مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها ظهرا يتحصن به
وحاصره بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة أشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه
غرضا فراسله الفرنج فى الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك وسار الى الشام (٥٥٩ هـ) ورحل
الفرنج وعاد شاور الى القاهرة ثم فى سنة ٥٦٠ هـ عاد أسد الدين شيركوه من الشام بالعساكر مرة
ثانية فخرج شاور من القاهرة للقائه واستدعى أمورى لنجدته بجموع الفرنج وكانت له معه واقعة
البابين الشهيرة ثم انهزم شاور الى القاهرة وسار شيركوه بعد الواقعة الاخيرة من الاشمونين الى
الاسكندرية فخرج اليه أهلها وفيهم نجم الدين محمد بن مصال والى الثغر وقاضيه الاشرف بن الجناب
وغيرهم وسلموه المدينة ثم سار منها يريد الاستيلاء على بلاد الصعيد واستخلف ابن أخيه صلاح الدين
يوسف بن أيوب على الاسكندرية فى ألف فارس ثم حضر شاور ومعه أمورى ملك الفرنج وحصروا
صلاح الدين بالاسكندرية مدة ثلاثة أشهر فسار شيركوه اليهم فاتفقوا على الصلح على مال يحملونه الى
شيركوه ويسلم اليهم الاسكندرية ويعود الى الشام فتسلم المصريون الاسكندرية فى منتصف شوال
وسار شيركوه الى الشام واستقر الصلح بين الفرنج والمصريين على أن يكون للفرنج بالقاهرة شحنة
وتكون أبوابها بيد فرسانهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار ثم تمكن الفرنج

من البلاد المصرية وتحكموا على المسلمين بها وأخشوا في المظالم وملكوا بلبيس قهرا ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة (٥٦٤ هـ) وحاصروها فاحرق شاور مدينة مصر خوفا من أن يملكها الفرنج فتركها الناس بما خف من المتاع وبقيت النار بها أياما وأمر بحرق مراكب الاسطول المصرى فحرقت ونهبها العبيد فيما نهبوا وكان ذلك آخر العهد باساطيل الفواطم بالديار المصرية ولما تفاقت الخطوب واشتد الكرب على أهل مصر أرسل العاضد الى نور الدين يستغيث به وأرسل فى الكتب شعور النساء وصالح شاور الفرنج على ألف ألف دينار يحملها اليهم فحمل اليهم مائة ألف منها وسألهم أن يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال فرحلوا وكان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام جهز العساكر مع أسد الدين شيركوه وأرسل معه عدة أمراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب على كره منه وكان فى هذا السفر سعادته وملكه ولما قارب شيركوه مصر رحل الفرنج عنها الى الشام خوفا منه ودخل أسد الدين شيركوه مصر واجتمع بالعاضد وخلع العاضد عليه وعاد الى معسكره بالخلعة ثم أخذ شاور فى عمل الحيلة للايقاع بجيش نور الدين وخوفه ابنه الكامل من عاقبة الامر فلم يقبل ولما استشعر رؤساء عسكر نور الدين بما عزم عليه شاور أخذوا حذرهم وعزموا على الفتك بشاور واتفق أن شاور قصد معسكر شيركوه على عادته فقبض عليه الامراء وقتلوه (٥٦٤ هـ) وسمع العاضد الخبر ففرح وطلب من شيركوه انفاذ رأس شاور اليه حتى يراه فأرسلها ودخل شيركوه بعد ئذ القصر وخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه بالملك المنصور أمير الجيوش وكتب له منشورا بالانشاء الفاضلى [1] ولما قتل شاور دخل ابنه الكامل القصر فكان آخر العهد به ولكن لم تطل مدة وزارة شيركوه حيث عاجلته الوفاة بعد شهرين ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب ولقبه بالملك الناصر ولما تولى الوزارة أبت جيوش نور الدين اطاعته لصغر سنه فأخذهم باللين حتى استجلبهم لولائه فعظم نفوذه وتمكن من أمور الدولة بأجمعها وأحسن تدبير أحكامها بما كان له من السياسة والكياسة فحسده جوهر الخصى مؤتمن الخلافة وحدثته نفسه بخلع صلاح الدين واتفق مع الامراء على الاستنجاد بالصليبيين وكتبوا اليهم الكتب ولكن ضبطها أحد أصحاب صلاح الدين مع رجل بالبئر البيضاء قريبا من بلبيس وتتبع صلاح الدين أصحاب الدسائس والثوار فنكل بهم وقتل جوهر الخصى المذكور (٥٦٤ هـ) وثارت الجنود المصرية بدسيسة من العاضد وحمل شمس الدولة فخر الدين طوران شاه على الطوائف السودانية فبدد شملهم فى واقعة عظيمة حصلت بين القصرين قال بعض المؤرخين ان من غرائب الاتفاق أن الذى فتح مصر للدولة الفاطمية يدعى جوهرا والذى كان سببا فى زوالها يدعى جوهرا ثم أخذ صلاح الدين يرتب عمال

(١) بعد البسملة من عبد الله ووليه أبى محمد الامام العاضد لدين الله أمير المؤمنين الى السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولى الائمة مجير الامة أسد الدين أبى الحرث شيركوه العاضدى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته سلام عليك فانا نحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ونسأله أن يصلى على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين والائمة المهديين وسلم تسليما ثم ذكر تفويض أمور الخلافة اليه ووصايا أضربنا عنها للاختصار وكتب العاضد بخطه على طرة المنشور هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله فتقلد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلا لحملها فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة (الجزء الثالث لابى الفداء)

الدولة فعين أخاه توران شاه على ولاية الصعيد وأقام على القصر بهاء الدين قره قوش الاسدى وكان خصيا أبيض فصار لا يجرى فى القصر صغيرة ولا كبيرة الا بأمر صلاح الدين وفى سنة ٥٦٥ ﻫ سارت الفرنج الى دمياط على ألف ومائتى مركب وحصروها وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر ولما اشتد الحصار كتب صلاح الدين الى نور الدين يعلمه بالامر فخرج نور الدين وأغار على بلاد الفرنج بالساحل فرحلوا عن دمياط ناكصين على أعقابهم واهتم صلاح الدين من ذلك الوقت بتجهيز الاساطيل ولما تمت سار بها سنة ٥٦٦ ﻫ فغزا بلاد الفرنج قرب عسقلان والرملة وعاد الى مصر وفى سنة ٥٦٧ ﻫ قطع خطبة العاضد لدين الله آخر خلفاء العلويين بأمر نور الدين وأقام الخطبة العباسية وثقل مرض العاضد ومات يوم عاشوراء سنة ٥٦٧ ﻫ وعمره ٢١ سنة ومحا الله بموته دعوة العلويين وذهب بدولتهم فاستولى صلاح الدين على بلاد مصر عاملا لنور الدين وكان وقتئذ نور الدين يركب الاساطيل المصرية ويطوف البحر المتوسط على سواحل الشام ليمنع مرور الفرنج الوافدين الى أرض الشام وللقبض على ما يرد الى الصليبيين من المؤن والذخائر فاستنجد الصليبيون بملوك أوروبا فلم ينجدوهم غير أن امبراطور القسطنطينية مانويل كومنينوس أرسل أسطولا مؤلفا من ١٥٠ سفينة مشحونة بالذخائر والمؤن والرجال وبعد عدة وقائع مع المسلمين عاد مقهورا

الفصل الثانى عشر

الدولة الايوبية

٥٦٧ - ٦٤٨ ﻫ

قال ابن الاثير ما ملخصه ان شيركوه وأيوب هما ابنا شاذى من بلد دوين أصلهما من الاكراد الروادية قصدا العراق وخدما بهروز شحنة السلجوقية ببغداد وكان أيوب أكبر من شيركوه فجعله بهروز مستحفظ القلعة تكريت ولما قهرت عسكر الخليفة عماد الدين زنكى ومر على تكريت خدمه أيوب وشيركوه ثم ان شيركوه قتل انسانا بتكريت فأخرجهما بهروز من تكريت فلحقا بخدمة عماد الدين زنكى فأحسن اليهما وأقطعهما اقطاعات جليلة ولما ملك عماد الدين زنكى قلعة بعلبك جعل أيوب مستحفظا عليها ولما حاصرته عسكر دمشق بعد موت زنكى سلمها أيوب اليهم على اقطاع كبير شرطوه له وبقى أيوب من أكبر أمراء عسكر دمشق وبقى شيركوه مع نور الدين محمود بعد قتل أبيه زنكى وأقطعه نور الدين حمص والرحبة لما رأى من شجاعته وزاده عليهما وجعله مقدم عسكره ولما أراد نور الدين امتلاك دمشق أمر شيركوه فكاتب أخاه أيوب ليساعد نور الدين على قصده وأقاما مع نور الدين الى أن أرسل شيركوه الى مصر اﻫ

صلاح الدين يوسف (٥٦٧ - ٥٨٩ ﻫ) - لما استقر صلاح الدين عاملا لنور الدين على مصر أحضر أباه واخوته وأهله فقدموا عليه من الشام وأقطعهم الاقطاعات العظيمة وفى سنة ٥٦٧ ﻫ جرى بين نور الدين وصلاح الدين وحشة فى الباطن لان صلاح الدين كان يميل الى الاستقلال ولذلك أخذ فى اعداد القوات ولما أحس نور الدين بذلك كتب اليه يستقدمه مع فرقة من رجاله

مظهر اله الاستنجاد به فى حرب مع الصليبيين عند الكرك وكان فى الحقيقة يقصد ابعاده عن مصر ليأمن غائلته فأدرك صلاح الدين ذلك ولكنه رأى اجابة طلبه وخرج من مصر حتى وصل الكرك ولما لم يجد فيها أحدا كرّ راجعا الى مصر وكتب لنور الدين يعتذر له بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين بمصر أنهم معتزمون على الوثوب فلم يقبل نور الدين عذره فى ذلك واعتزم على عزله من مصر فاستشار صلاح الدين أباه نجم الدين وكان خبيرا عاقلا حسن السيرة ذا حزم ورأى فأشار عليه بملاطفة نور الدين ومراعاته ففعل وأظهر الطاعة وكان ملك نور الدين محمود استفحل وهابه الاعداء فدخل بلاد الفرنج وعاث فيها ودمر ما مر به من القلاع والحصون وبينما كان يستعد لنزع مصر من يد صلاح الدين أدركته منيته سنة ٥٦٩ ﻫ وكان أسمر طويل القامة ليس له لحية شجاعا باسلا حسن السيرة عادلا ولما توفى قام ابنه الملك الصالح اسماعيل بالملك بعده وعمره احدى عشرة سنة وحلف له العساكر بالطاعة فى دمشق وأطاعه أيضا صلاح الدين بمصر وفى سنة ٥٦٨ ﻫ قصد السودان امتلاك مصر وهاجموا الصعيد وحصلت جملة حروب وأخيرا أنفذ صلاح الدين أخاه شمس الدولة فى جيش كثيف وأصحبه بعدة مراكب تحمل المؤن والذخائر فدخلت هذه الجنود بلاد النوبة وفتحوا ابريم ودوّخوا السودان وعادوا وفى سنة ٥٧٠ ﻫ أى بعد وفاة نور الدين سار ابن أخيه سيف الدين غازى من الموصل وملك جميع البلاد الجزيرية واجتمع الفرنج وحاصروا قلعة بانياس من أعمال دمشق فراسلهم أهل دمشق وتهددوهم بسيف الدين صاحب الموصل ثم صالحوهم على مال يبعثونه اليهم فتقررت الهدنة وبلغ صلاح الدين ذلك فأنكره واستعظمه وكتب الى الصالح يقبح مرتكب أهل دمشق ويعدهم بغزوة الفرنج وفى هذه السنة مات اماريك (Amalric) ملك الفرنج صاحب القدس قال ابن خلدون فعقبه فى الملك ابنه بلدوين الرابع وكان مجذما ولما رأى أهل دمشق أن العدو قد استفحل وأن ولد نور الدين طفل لا ينهض بأعباء الملك كاتبوا صلاح الدين فطار اليهم فخرج اليه أهل الدولة بعقدهم وسلموا اليه المدينة فاستخلف عليها أخاه سيف الاسلام طغركين بن أيوب ثم سار الى محاربة سيف الدين غازى صاحب الموصل فاستولى منه على حمص وحماة ثم زحف الى حلب وأقام محاصرا لها وبها الملك الصالح بن نور الدين فاجتمع أهل حلب وقاتلوا صلاح الدين وصدوه عن حلب وأرسل كمشتكين الى سنان مقدم الاسماعيلية أموالا عظيمة ليقتلوا صلاح الدين فأرسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا غيره فرحل صلاح الدين عن حلب بسبب نزول الفرنج على حمص فاسترجعها وملك بعلبك ثم سار الى ملاقاة سيف الدين فصدق عليه الحملة فانهزم سيف الدين وغنم سواده ومخلفه واتبع عساكر حلب حتى أخرجهم منها وقطع صلاح الدين حينئذ الخطبة للملك الصالح وأزال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة ورحل عن حلب (٥٧٢ ﻫ) ثم سار الى بلاد الاسماعيلية فنهبه وخربه وأحرقه ثم أتم مسيره الى مصر فأمر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التى على جبل المقطم اﻫ (١) وقد ذكر العالم الفاضل المرحوم على مبارك باشا

(١) شيد القلعة على قطعة من جبل المقطم تشرف على مدينة القاهرة وأطرافها وكان فى ذلك المكان قديما قبة عرفت بقبة الهواء بنيت فى ولاية حاتم بن هرثمة على مصر وبها مات أمير مصر عيسى بن منصور بعد عزله سنة ٢٣٣ ﻫ ولما قدم المأمون الى مصر جلس بقبة الهواء المذكورة ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء هذه كان كثيرا ما يقيم بها واعتنى بنوه بها من بعده ثم خربت من بعدهم وتحول موضعها الى مقبرة وبعض مساجد ولما شيد صلاح

في

فى الخطط الجديدة أن صلاح الدين بنى قلعة الجبل لتكون له معقلا وحصنا يعتصم به من أعدائه
فانه كان يحذر من شيعة الفاطميين فاختار لها المحل الذى بنيت فيه وأقام على عمارتها الامير بهاء
الدين قره قوش الاسدى وهدم ما هنالك من المساجد وأزال القبور وهدم الاهرام الصغار التى كانت
بالجيزة وكانت كثيرة العدد ونقل أحجارها وبنى منها السور وقناطر الجيزة لسهولة نقل الاحجار اهـ
وفى سنة ٥٧٣ هـ سار السلطان صلاح الدين من مصر الى ساحل الشام لغزو الفرنج فوصل الى
عسقلان فاكتسح أعمالها ولم ير للفرنج خبرا فساح فى البلاد وانقلب الى الرملة فما راعه الا الفرنج
مقبلين فى جموعهم وحصل بين الطرفين واقعتان قتل فيهما خلق من الجانبين وتمت الهزيمة على
المسلمين ومضى السلطان منهزما الى مصر على البرية فى فل قليل وأسر الفرنج كثيرا من العسكر
(١١٦٩ م) ثم طمع الفرنج بسبب بعد السلطان بمصر وهزيمته وحاصروا بلاد حماة مدة الى
أن صانعهم المسلمون بالمال فرحلوا عنها وفى سنة ٥٧٦ هـ توفى سيف الدين غازى صاحب الموصل
والجزيرة وله من العمر ثلاثون سنة وكان مشهورا بالعدل والعقل ثم توفى بعده الملك الصالح بن نور الدين
صاحب حلب فسار صلاح الدين من مصر واستخلف فيها ابن أخيه ولما وصل الى الشام اجتمع الفرنج
قرب الكرك ليكونوا على طريقه فهزمهم ثم أغار على بيروت وسواحل الشام وانقلب الى الجزيرة وملك
الرها والرقة وماردين ونصيبين وحصر الموصل وأقام عليها منجنيقا ثم تركها واحتل مدينة حلب
وأقطعها أخاه الملك العادل ثم سار الى الكرك وضيق مخنقها ولم يتمكن من فتحها لكثرة جموع الفرنج
فيها فسار الى نابلس وأحرقها ونهب وقتل وأسر وسبى ثم عاد الى دمشق ثم حاصر الموصل وأخيرا استقر
الصلح بينه وبين صاحبها على شروط ثم مرض بحران مرضا شديدا حتى قطعوا الامل من شفائه ثم
عوفى وعاد الى دمشق وفى سنة ٥٧٨ هـ أنشأ البرنس ارناط (Irnat) صاحب الكرك وتسميه الفرنج
رينو وارنالد دوشاتيليون (Chatillon Renaud ou Arnold) أسطولا فى بحر أيلة وسيرفيه
فرقتين فرقة أقامت على حصن أيلة تحاصره وسارت الاخرى نحو عيذاب يفسدون فى السواحل
ويقتلون المسلمين فى تلك النواحى ولم يعهد المسلمون بهذا البحر فرنجيا قط وكان بمصر الملك العادل أبو
بكر نائبا عن أخيه السلطان صلاح الدين فأنشأ أسطولا فى بحر عيذاب وأرسله مع الحاجب حسام الدين
لؤلؤ وكان يتولى الاسطول بديار مصر وكان مظفرا فيه شجاعا فسار لؤلؤ مجدا فى طلبهم وأوقع بالذين
يحاصرون أيلة قتلا وأسرا ثم سار فى طلب الفرقة الثانية فبلغ رابغ فأدركهم بساحل الحوراء وتقاتلوا
أشد قتال فأظفره الله بهم وقتل أكثرهم وفى سنة ٥٧٩ هـ نازل السلطان الكرك بعد أن
حصن آمد وعبر نهر الاردن وأغار على بيسان وحرقها وأصاب بلدوين الرابع برص فى هذه السنة
(١١٨٣ م) فأقام ابن أخته سبيلا من زوجها الاول وهو الكونت وليم دومونفرات ملكا مكانه
باسم بلدوين الخامس وتوفى بلدوين الرابع وكان أرسل من قبله رسلا الى ملوك أوروبا يستنجدهم
على صلاح الدين ومات بلدوين الخامس بعد سبعة أشهر من جلوسه ويقال ان أمه دست اليه سما
لكى يكون الملك لزوجها الثانى المسمى لوسينيان فأنف أرناط وغضب وجاهر بالشقاق والانضمام

الدين القلعة ابتنى فى مكان القبة المحكى عنها قصره ولما أراد المرحوم محمد على باشا بناء مسجده الفاخر الذى بالقلعة أزال
بقية قصر صلاح الدين وشيد المسجد المذكور مكانه

الى صلاح الدين وراسله فعلا فسار صلاح الدين بفرقة من عسكره الى الكرك وحاصرها (٥٨٠ هـ - ١١٨٥ م) وأمر ابنه الافضل بارسال بعث الى عكا ليكتسحوا نواحيها فصبحوا صفورية وبها جماعة من الفداوية والاسبتارية فبرزوا اليهم وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين فانهزم الفرنج وقتل مقدمهم ثم سار صلاح الدين بنفسه ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوة بالسيف وكانت طبرية للقومص أرناط وكان قد هادن السلطان ودخل فى طاعته فارسل الفرنج الى القومص المذكور القسوس والبطرك ينهونه عن موافقته السلطان ويوبخونه على فعله ومازالوا به حتى سار معهم واجتمع الصليبيون للتقى السلطان وحصلت بعدئذ واقعة على سطح جبل طبرية قرب تل يقال له تل حطين كانت من أشهر الوقائع فى التاريخ انتصر فيها صلاح الدين انتصارا باهرا طارت بذكره الاخبار وأسر واملاك القدس والبرنس أرناط ومقدم الفداوية ثم استحضر صلاح الدين الاسرى وقتل ارناط بيده حرصا على الوفاء بنذره وقتل أسرى الفداوية والاسبتارية أجمعين لشدة أذاهم للمسلمين ثم استحضر الملك وأمنه وطيب قلبه ولما فرغ صلاح الدين نهض وفتح طبرية ثم سار الى عكا فنازلها ودخلها عنوة (٥٨٣ هـ) وأقطعها الابنه الافضل ثم فتح يافا وصيدا وجبيل وبيروت وحصون عكا وبعدها فتح عسقلان وما جاورها ثم بعث السرايا ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومدن الخليل وبيت لحم والبطرون وكل ما كان للفداوية وكان أرسل وهو على حصار عسقلان يطلب حضور أسطول مصر فجاء به حسام الدين لؤلؤ الحاجب وأغار به على عدة نواح ولما فتح صلاح الدين الفتوحات المذكورة سار الى بيت المقدس (رجب سنة ٥٨٣ هـ - ١١٨٨ م) ونزل عليه من الجانب الغربى وكان مشحونا بالمقاتلة والخيالة والرجالة ثم انتقل لمصلحة رآها الى الجانب الشمالى ونصب عليه المجانيق وضايقه بالزحف والقتال وكثرة الرماة وأخذ ينقب فى السور مما يلى وادى جهنم فلما رأى العدو ما نزل به وظهرت له أمارات نصرة السلطان طلب الامان فأبى السلطان فى أول الامر وقال لا أفعل بكم الا كما فعلتم بالمسلمين حين ملكتموه سنة ٤٩٢ هـ من القتل والسبى فقال له باليان قائد الصليبيين أن ذلك يضطرنا الى أن نقتل أولادنا ونساءنا ونحرق أموالنا ولا نترككم تغنمون ولا تسبون ونخرب الصخرة والمسجد الاقصى ثم نقتل من عندنا من أسارى المسلمين الى غير ذلك من الاقوال فاستشار السلطان كبار قومه فأشاروا عليه بقبول طلبهم وسلمت اليه المدينة فى ٢٧ رجب على شروط الصلح التى منها أن يؤدى الفرنج عن كل رجل عشرين دينارا فدية وربع هذه القيمة على كل امرأة وعن كل ذكر صغير أو أنثى دينارا واحدا فلما جمعت الاموال قسمها السلطان على جنده حسب القواعد المتبعة فى ذلك وبعد هذا الفتح المبين خلف السلطان أخاه الملك العادل فى بيت المقدس يقرر قواعدها وسار هو ففتح صور فجاء عكا ونظر فى اصلاحها ثم قصد صور وكان الفرنج احتشدوا اليها بجموعهم فأحضر السلطان آلات الحرب ونزل عليها وقاتلها برا واستقدم أسطول مصر ليقاتلها بحرا ثم أرسل من حاصر هونين فسلمت أما صليبيو صور فارسلوا أسطولهم لملاقاة أسطول مصر فحصل بين الاسطولين حرب أسر الفرنج فيها خمس سفن وكان الشتاء قد أقبل فرحل السلطان عن صور الى عكا وبقيت الهدنة الى أن دخلت سنة ٥٨٤ هـ وكان الصليبيون لما اشتد الخطب عليهم بفتح القدس بعثوا الى بلادهم بخبر بيت المقدس واستنصار الفرنج لها فقام ملك الفرنسيس فيليب اغوست (Philippe II)

ومللك

وملك انكلتره ريكارد الاول الملقب بقلب الاسد (Richard Cœur de Lion) وملك الالمان فردريك الاول بارباروس (Fréderic I[er] Barberousse) بحملتهم الصليبية الثالثة (١١٨٩ - ١١٩٢ م) وجمعوا عساكرهم فسار كل من فيليب ملك فرانسا على مراكب جنوه من عاصمتها وملك انكلتره باسطوله المركب من ١٥٠ سفينة شراعية بين حربية ونقالة وقصد ملك المانيا القسطنطينية فخاف اسحق انجلوس (Ishac-Angelus) امبراطور الروم من ازعاج مملكته من جيوش الصليبيين فمنع الاقوات عن عساكر فردريك الاول ولكنه عجز عن منعه من عبور البوسفور وكان امبراطور القسطنطينية عاهد صلاح الدين قبل ذلك على معرقلة مساعى الصليبيين فكتب الى السلطان يعلمه (١) ثم لما عبر ملك الألمان خليج القسطنطينية مر بمملكة قليج أرسلان السلجوقى وتبعهم التركمان يقاتلونهم وكان الفصل شتاء فهلك أكثرهم من البرد والجوع ولما وصلوا الى طرسوس وأرادوا عبور نهر هاعرض لملكهم فردريك بارباروس أن يسبح فيه فهلك غرقا فملك الجنود بعده ابنه هنرى السادس (١١٩٠ م) وكان رافقه وأتموا المسير الى الشام فبلغوا طرابلس وقد أفناهم الموت قال ابن خلدون فركبوا البحر الى عكا (أى بعد أن تركوا طرسوس) ثم رأوا ماهم فيه من الوهن والخلاف فركبوا البحر الى بلدهم وغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد اه

ومات ابن ملك الالمان فى عكا وحزن الفرنج عليه حزنا عظيما وفى تلك الاثناء أرسل زيانى (Ziani) دوج (٢) البنادقة أسطولا بقصد الاشتراك فى الحملة الصليبية الثالثة المذكورة طمعا فى المكاسب التجارية التى كانت أهالى بلاده تهتم بها كثيرا فاشترك الاسطول المذكور فى حرب عكا وغرق معظمه عند عوده بالجيوش الالمانية ثم وصل ملك الفرنسيس بحرا ثم وصل ملك الانكليز وكان شديد البأس عظيم الشجاعة وكان من خبره أنه وصل الى جزيرة قبرص ولم يرد أن يتجاوزها الا وأن تكون له وفى حكمه فاستولى عليها وزحف الى الشام ثم اتفق فرنج صور على الرحيل الى عكا ومحاصرتها فخرجوا فى ٨ رجب سنة ٥٨٥ وسلكوا طريق الساحل وأساطيلهم تحاذيهم فى البحر وفرق المسلمين تخطفهم من جوانبهم حتى وصلوا الى عكا وأحاطوا بها من البحر الى البحر حتى لم يبقوا للمسلمين اليها طريقا ونزل صلاح الدين قبالتهم وبعث الى الاطراف يستنفر الناس فجاءت عساكر الموصل وديار بكر وسنجار وسائر بلاد الجزيرة وغيرها وبقى المسلمون يغادون القتال ويراوحونه أشهرا فتتابعت أمداد الفرنج من وراء البحر لاخوانهم المحاصرين لعكا حتى جهد المسلمين بعكا الحصار وضاقت الاحوال وقلت الميرة وأرسل صلاح الدين الى الاسكندرية يطلب الاقوات فى المراكب الى عكا وبعث الى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مركبا ونصبوا فيها الصلبان يوهمون أنه للافرنج حتى دخلوا الى المرسى وجاءت بعده الميرة من الاسكندرية وحصلت بعد ذلك جملة وقائع

(١) الكتاب من ايسياكيوس انجلوس صاحب الروم الى النسيب سلطان مصر صلاح الدين المحبة والمودة قد وصل خط نسبتك الذى انفذته الى مملكتى فما أظن ان نسبتك تسمع أخبار اودية وانه قد سار فى بلادى الالمان ولا غرو فان الاعداء يرجفون باشياء كذب على قدر أغراضهم ولو تشتهى أن تسمع الحق فانهم قد تأذوا وتعبوا كثيرا وقد خسروا كثيرا من المال والدواب والرجال ومات منهم وقتلوا بالشدة وقد تخلصوا من أيدى أجناد بلادى وقد ضعفوا بحيث انهم لا يصلون الى بلادك فان وصلوا كانوا ضعافا بعد شدة كبيرة لا ينفعون جنسهم ولا يضرون نسبتك اه من ابن شادى

(٢) لقب لكل رئيس على جمهورية البنادقة وغيرها من جمهوريات بلاد ايطاليا

بحرية كما سبق فى المقدمة ولما اشتد حصار الفرنج لعكا وضعفت نفوس أهل البلد وهنوا بعثوا الى الفرنج فى تسليمها على أن يصالحوهم على الامان فيعطوهم مائتى ألف دينار و يطلقون لهم خمسمائة أسير و يعيدوا لهم صليب الصلبوت فأجابوا الى ذلك فدخل الفرنج عكا واستراحوا مما كانوا فيه ثم تخلف صلاح الدين عن وفاء الشروط فركب الفرنج وخرجوا الى ظاهر المدينة بالفارس والراجل وركب المسلمون اليهم وحملوا عليهم فانكشفوا عن موقفهم فوضع الفرنج السيف فى المسلمين الذين بالمدينة وقتلوا الاسرى وكانوا خلفهم فلما رأى صلاح الدين ذلك رحل الى ناحية عسقلان وأخربها ثم هم بترميم ماثلم من أسوار القدس وسد فروجه وأمر بحفر خندق عليه فنقلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الدين يركب الى الاماكن البعيدة و ينقلها على منكبيه فيقتدى به العسكر ثم سار ملك الانكليز مع بقية الفرنج وانهزموا الى يافا فأقاموا بها والمسلمون قبالتهم ثم ساروا الى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ثم رحلوا الى ارسوف فسبقهم المسلمون اليها فحملوا على المسلمين وهزموهم ثم ساروا الى الداروم ثم الى القدس فانتهوا الى بيت قوجة على فرسخين من القدس فاستعد صلاح الدين للحصار فوفد عليه رسول الفرنج وعقدت الهدنة معه وكان سبب ذلك كما رواه ابن شاذى أن ملك انكلترة قد طال مغيبه عن بلاده وطال عليه البكار فكاتب الملك العادل يسأله التوسط لدى السلطان فى الصلح فاجاب السلطان الى ذلك واتفق عليه رأى الامراء لما حدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات فتحالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكليز بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بأن الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وقيسارية وارسوف وحيفا وعكا مع أعمالها وأن تكون عسقلان خرابا وأذن للفرنج فى زيارة بيت المقدس وكان يوما مشهودا غشى الناس من الطائفتين من الفرح والسرور ما لا يعلمه الا الله وارتحل ملك انكلترة فى البحر عائدا الى بلده وأقام الكندهنرى (Henri de Champagne) صاحب صور بعد المركيس ملكا على الفرنج بسواحل الشام وتزوج بالملكة ايزابيله (Isabelle) أرملة المركيس كونراد (Conrad) صاحب صور وكانت تملكهم قبله وكر صلاح الدين راجعا الى دمشق ثم أصيب بعرض اشتد عليه مات به ليلة ٢٧ صفر سنة (٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م) وكان سنه عند وفاته ٥٧ سنة ومدة حكمه ٢٤ سنة فى مصر و ١٩ فى سوريا وترك من الاولاد ١٧ ذكرا وأنثى واحدة وكان رحمه الله حليما كريما حسن الاخلاق متواضعا كثير التغافل عن ذنوب أصحابه ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر شجاعا عظيم الجهاد غزواته كثيرة ومن شدة كرمه لم يركب فرسا الا وهو موهوب لانسان ودفن فى قلعة دمشق فى الدار التى كان مريضا فيها ثم ان ابنه الملك الافضل بنى له تربة قرب الجامع وكانت دارا لرجل صالح ونقل جثته اليها يوم عاشوراء سنة ٥٩٢ هـ بمشهد حافل و يقال ان السلطان صلاح الدين عند تمام الصلح السابق ذكره أباح للفرنج أن يستوطنوا مصر فجاء منهم بعض التجار وأقاموا بقنطرة الموسكى التى بناها عز الدين ولما توفى صلاح الدين تقاسمت أولاده الملك فاستقر العزيز عثمان فى مصر وولده الملك الافضل بدمشق

العزيز عماد الدين عثمان ٥٨٩ - ٥٩٥ هـ - لما بويع بملك مصر جدد الهدنة التى عقدها أبوه مع الكندهنرى ملك الفرنج ولم تمض سنة من حكمه حتى قام التحاسد بين الاخوة وتفرقت

كلمتهم

كلمتهم واستحكمت الوحشة بين العزيز وأخيه الافضل فسار العزيز فى عسكر مصر وحصر أخاه الافضل بدمشق وأرسل الافضل الى عمه العادل وأخيه الظاهر وابن عمه الملك المنصور صاحب حماة يستنجدهم فساروا الى دمشق وأصلحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى مصر ورجع الباقى الى بلادهم واشتغل الافضل باللهو وفوض أمر المملكة الى وزيره ضياء الدين بن الاثير فدبرها برأيه البعيد عن الصواب فعاد الملك العزيز عثمان وقصد الشام لحرب أخيه ولكن لم ينجح (٥٩١ هـ) فعاد الى مصر ليقرر أمورها ثم اتفق العزيز والملك العادل على الافضل وسارا بالجيوش الى دمشق ودخل العزيز من باب الفرج ودخل العادل من باب توما واضطر الملك الافضل على تسليم القلعة اليهما وانتقل بأهله وأخرج وزيره ضياء الدين مختفيا فى صندوق خوفا عليه من القتل وكانت مدة حكم الافضل على دمشق ثلاث سنوات وشهرا وسلم العزيز البلدة الى العادل عمه وسارت الخطبة والسكة فيها للعزيز حسبما اتفقا عليه قبلا وفى خلال ذلك كان أمير بيروت المدعو أسامة يبعث الشوانى للاغارة على الفرنج بالساحل فشكوا ذلك الى العادل فلم يكفهم فأرسلوا الى ملوكهم وراء البحر يستنجدونهم فأمدوهم بالعساكر وأكثرهم من الالمان أرسلهم هنرى السادس (Henri) امبراطور المانيا على أسطول عظيم أقلع بهم من فرضة مسينى من أعمال جزيرة صقلية وكانت الحملة الصليبية الرابعة (١١٩٦ - ١١٩٧ م) فوصل منهم جمع عظيم بالمراكب الى الساحل (٥٩٣ هـ) واستولوا على قلعة بيروت فسار الملك العادل صاحب الجزيرة الى يافا وأتته النجدة من مصر والجزيرة فملك المدينة وخربها وامتنع حاميتها بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوة واستباحوها فجاء الفرنج من عكا بصريخ اخوانهم فبلغهم وفاة الكونت هنرى (Henri Comte de Champagne) ملك القدس فرجعوا ثم اعتزموا ونازلوا تبنين (٥٩٤ هـ) فأرسل الملك العادل الى الملك العزيز صاحب مصر فسار العزيز بنفسه واجتمع بعمه على تبنين فرحل الفرنج على أعقابهم الى صور ثم اختاروا لهم ملكا صاحب قبرس اموري الثانى دولوسينيان (Amaury de Lusignan) فجاءهم وزوجوه بملكتهم ايزابيلا زوجة الكونت هنرى ثم تناوش المسلمون والفرنج القتال ثم تراسلوا مع الملك العادل فى الصلح وانعقد بينهم فى تلك السنة (١١٩٧ م) واتفق موت هنرى السادس امبراطور ألمانيا يوم ٢٨ سبتمبر ولما خلفه ابنه فردريك الثانى حاول أوتودوق صكصونيا وقتئذ الحصول على التخت فانتشبت بينهما فى المانيا حروب أهلية استمرت ثمانى سنوات أشغلتهما عن نجدة صليبي الشرق ثم رجع العادل الى دمشق وسار الفرنج الى بلادهم وكانت وفاة العزيز عماد الدين عثمان سنة ٥٩٥ هـ بعد أن حكم ست سنين وعمره ٢٧ سنة ويقال ان سبب وفاته أنه تقنطر به جواده أثناء صيده فى الفيوم فأصابته من ذلك حمى فحمل الى القاهرة ومات فيها وخلفه ولده ناصر الدين محمد ولقب بالمنصور وكان رحمه الله فى غاية الكرم والعدل والرفق بالرعية والاحسان اليهم وكان الغالب على دولة العزيز فخر الدين جهاركس وقد نسب اليه بعض المؤرخين اعادة المكوس التى كان والده أبطلها

المنصور بن العزيز ٥٩٥ - ٥٩٦ هـ لما خلف أباه كان عمره لا يتجاوز التسع سنوات فاتفق الامراء على احضار شخص من بنى أيوب يقوم بنيابة الملك فعملوا المشورة بحضور القاضى

الفاضل فأشار بالملك الافضل وهو حينئذ بصرخد فارسلوا اليه فسار سريعا الى مصر وقبل الوصية ونودى به أتابكا (١) أى وصيا على ابن أخيه الا أن ذلك لم يطل لانه اتفق مع أخيه الظاهر على محاصرة دمشق ثم فى أثناء الحصار وقع الخلاف بين الاخوين الافضل والظاهر حتى تغير خاطر الظاهر على أخيه الافضل وترك قتال العادل فظهر الفشل فى العسكر وسار الافضل الى مصر وتبعه العادل وبعد حروب سلم الافضل القاهرة الى العادل فدخلها فى ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ وسافر الافضل وأقام العادل بمصر على انه أتابك الملك المنصور محمد بن العزيز مدة يسيرة ثم خلع الملك المنصور المذكور واستقل هو بالسلطة فى مصر

العادل بن أيوب ٥٩٦-٦١٥ هـ - لما استقرت المملكة للملك العادل خضع له أكثر الامراء الايوبيين بسوريه ومن جملتهم ابن أخيه الظاهر ملك حلب فعادت المملكة المصرية الى ما كانت عليه من القوة فى مدة صلاح الدين بن أيوب واتحدت أجزاؤها وأرسل الجيوش وفتح كثيرا من البلاد مثل الرها وقلعة نجم وغيرها وفى خلالها أخذ البابا أنوسان الثالث (Innocent) يحرض الفرنج على الحرب الصليبية فقامت أمراء فرانسا وايطاليا بالحملة الخامسة المعروفة أيضا فى كتب الفرنج بالحملة الرابعة (١٢٠٢ م - ٥٩٩ هـ) وسار فى مقدمتهم بودوان كونت فلندر (Baudouin comte de Flandre) وبونيفاس ماركيز دومنفرات (Boniface, marquis de Monferrat) بالجيوش وكانت لا تنقص عن خمسة عشر ألف فارس وعشرين ألف راجل وطلبوا من الدوج هنرى داندولو (Enrico Dandolo) (٢) رئيس جمهورية البنادقة مساعدتهم بالاساطيل لانه لم يكن فى وسع أحد من أمراء أوروبا وقتئذ أن يقوم بذلك خلاف البنادقة لكثرة أساطيلهم وتقدمهم فى الملاحة فأظهر لهم فى أول الامر الصعوبات ثم تداول مجلس البنادقة فى ذلك وقبل نقل الجيوش المذكورة فى مقابلة مبلغ ثمانين الف بندقى (نحو ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ فرنك) وقاد الدوج المذكور الاسطول بنفسه وكانت سفنه خمسمائة سفينة شراعية ثم بدا له محاصرة مدينة زارا فاستعان عليها بالصليبيين ولما فتحت أضيفت الى أملاك

(١) أتابك لفظة تتارية مركبة من اتا ومعناها الاب وبك معناها الامير أو السيد وكانت تطلق فى الاصل على مربى أولاد الملوك ثم استعملت فى القرن الحادى عشر والثانى عشر لقبا لمن يتولى قيادة الجنود أو الصدارة العظمى بممالك العراق وايران وأول من تلقب بهذا اللقب عماد الدين زنكى بن آقسنقر وذلك لان السلطان محمود السلجوقى سلم اليه ولده فروخ شاه ليربيه واعلم ان هؤلاء القواد أو الرؤساء وان كان بعضهم استقل فى حكومته الا أنه لم ينل منهم أحد لقب سلطان والحكومات الاتابكية أربع وذلك ان الدولة الاتابكية التى حكمت بالموصل أيام الدولة السلجوقية التى رئيسها عماد الدين المذكور استقل أمراؤها فى ولاياتهم وبذلك انقسمت هذه الدولة الى أربعة أقسام أولهم أمراء سوريه والعراق وأولهم عماد الدين المذكور ومدة ولايتهم من سنة ٥٢١ - ٦٣١ هـ وهم الذين حدثت الحروب بينهم وبين الصليبيين فاستظهروا عليهم وثانيهم أمراء فارس بجهات شيراز وأولهم سنقر بن مودود وحكموا من سنة ٥٤٣ - ٦٦٣ هـ الى ان أخرجهم هولاكو وثالثهم أمراء أذربيجان ومملكتهم من سنة ٥٥٥ - ٦٢٢ هـ ورابعهم أمراء لارستان بخرم اباد وابتداء حكومتهم من أواسط القرن السادس الى أواسط القرن السابع

(٢) هنرى داندولو هذا ولد سنة ١١١٠ ومات ١٢٠٥ وكان سفير البنادقة فى القسطنطينية مدة ملكها مانويل كومنين ولخلاف وقع بين البنادقة وبين امبراطور القسطنطينية أمر الامبراطور بتسميل عينى هذا السفير ولما ارتقى داندولو دوجا على البنادقة وهو فى سن ٨٢ سنة حصلت الحملة الصليبية الرابعة فاشترك فيها كما ذكرنا

البنادقة ثم ذهبوا وحاصروا القسطنطينية مساعدة لامبراطورها الكسيس لانج (Alexis l'Ange) ابن اسحق لانج (Issaac l'Ange) الذى التجأ اليهم وبعد أن حاصروها فتحوها سنة ١٢٠٤ م قال ابن خلدون وكان هؤلاء الفرنج بعدما ملكوا الشام اختلفت أحوالهم فى الفتنة والمهادنة مع الروم التى كانت بايديهم من قبل وظاهرهم الروم على المسلمين فى بعض المرات فملكوا مدينة القسطنطينية (٦٠١ هـ) من الروم وكيفية الخبر عن ذلك أن ملوك الروم تصاهروا مع ملوك الفرنج وتزوجوا منهم بنتا الملك الروم فولدت ابنا ثم وثب على الملك أخوه فانتزع الملك من يده وحبسه فلحق الولد علك الفرنج مستصرخا به فوصل اليهم وقد تجهز الفرنج لاستنقاذ بيت المقدس من يد المسلمين وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الأسطول الذى ركبوا فيه وكان شيخا أعمى لا يركب ولا يمشى الا بقائد ومقدم الفرنسيس ويسمى المركيش والثالث يسمى كندفلندر وهو أكثرهم عددا فجعل الملك ابن أخته معهم وأوصاهم بمظاهرته على ملك القسطنطينية ولما وصلوا اليها خرج عم الصبى وقاتلهم وأضرم شيعة الصبى النار فى نواحى البلد فاضطربت العساكر ورجعوا وفتح شيعة الصبى باب المدينة وأدخلوا الفرنج وخرج عمه هاربا ونصب الفرنج الصبى وأطلقوا أباه من السجن واستبدوا بالحكم فعظم ذلك على الروم فوثبوا على الصبى وقتلوه وأخرجوا الفرنج من البلد فأقام الفرنج بظاهرها محاصرين لهم فاقتحموها وأفحشوا فى النهب ونجا كثير من الروم الى الكنائس وأعظمها كنيسة أياصوفيا فلم تغن عنهم ثم تنازع الملوك الثلاثة على الملك بها وتقارعوا فخرجت القرعة على الكندفلندر فملكها على أن يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش ورودس وغيرها ويكون للمركيش الفرنسيس الخليج مثل نيقة وفيلادلف ولم تدم له فانها تغلب عليها بطريق من بطارقة الروم اسمه لشكرى ولم تزل القسطنطينية بيد الفرنج الى سنة ٦٦٠ هـ فقصدها الروم واستعادوها من الفرنج اهـ وقال أيضا انه لما ملك الفرنج القسطنطينية من يد الروم تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم الى الشام وأرسوا بعكا عازمين على ارتجاع القدس من المسلمين ثم ساروا فى نواحى الاردن فاكتسحوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر وسار فنزل بالطور قريبا من عكا لمدافعتهم وهم قبالته وساروا الى كفر كنا فاستباحوه ثم تراسلوا فى المهادنة على أن ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرها ويعطيهم يافا ولما استقرت الهدنة أعطى العساكر دستورا وسار الى مصر وأقام فى دار الوزارة فقصد الفرنج حماة وقاتلهم صاحبها ناصر الدين فهزموه وفى سنة ٦٠٣ هـ أكثر الفرنج الغارات بالشام بعد أن ملكوا القسطنطينية فعجز المسلمون عن دفاعهم وأغار أهل قبرس فى البحر على أسطول مصر فظفر وا منه بعدة قطع وأسروا من وجدوا فيها فبعث العادل الى صاحب عكا يحتج عليه بالصلح فاعتذر بأن أهل قبرس فى طاعة افرنج القسطنطينية وأنه لا حكم له عليهم فخرج العادل فى عسكر الى عكا حتى صالحه صاحبها على اطلاق أسرى من المسلمين ثم نازل طرابلس ونصب عليها المجانيق وعاث العسكر فى بلادها وقطع قناتها ثم عاد عنها الى دمشق اهـ وفى سنة ٦٠٤ هـ أرسل الخليفة العباسى الناصر لدين الله الامام الناصر الشيخ شهاب الدين السهروردى وصحبته كسوة التشريف للملك العادل وأولاده وخوطب العادل بشاهنشاه فقدم مصر وخلعها على الملك الكامل باحتفال ثم عادوا ثم

الملك العادل بعمارة قلعة دمشق وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها وقال أبو الفداء دخلت سنة خمس وستمائة والملك العادل بدمشق وعنده ولداه الملك الاشرف والمعظم اه وأمر الملك الظاهر صاحب حلب باجراء قناة من حيلاق الى حلب فأجريت بأموال كثيرة وفى سنة ٦٠٦ هـ استولى العادل على نصيبين والخابور ثم عاد العادل من البلاد الشرقية الى دمشق (٦٠٧ هـ) وأعطى ولده الملك المظفر غازى الرها مع ميافارقين (٦٠٨ هـ) ثم عمر الملك العادل قلعة الطور وجمع لها الصناع من البلاد والعسكر حتى تمت (٦٠٩ هـ) وكان العادل فى الديار الشامية يصلح أمرها الى سنة ٦١١ هـ ثم عاد الى مصر ولما اجتمعت الفرنج فى داخل البحر ووصلوا الى عكا فى جمع عظيم وبلغ الخبر الملك العادل خرج بعساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس فسارت الفرنج اليه ولم يكن معه من العساكر ما يقدر به على مقاتلتهم فاندفع قدامهم الى عقبة أفيق فأغاروا على بلاد المسلمين ووصلت غاراتهم الى نوى من بلد السواد ونهبوا ما بين بيسان ونابلس وغيرها وعادوا الى مرج عكا (٦١٤ هـ)

ثم فى السنة التى بعدها قامت الفرنج بحملتهم السادسة التى تعرف فى كتبهم بالخامسة (١٢١٧ - ١٢٢١ م) وكانوا تحت قيادة جان دو بريان (Jean de Brienne) زوج مارى بنت ولى عهد كونراد دومونفرات ملك القدس والقس بلاج (Legat Pelage) واندريا الثانى (André II) ملك المجر الذى أضطر أن يعود الى بلاده من الطريق ونزل عسكر الصليبين على دمياط وحاصروها واستولوا عليها وزادت مياه النيل فاضطروا الى تركها للمسلمين بعد حروب طويلة قال أبو الفداء ثم دخلت سنة ٦١٥ هـ والملك العادل بمرج الصفر وجموع الفرنج بمرج عكا ثم ساروا منها الى الديار المصرية بحرا ونزلوا على دمياط وسار الملك الكامل ابن الملك العادل من مصر ونزل قبالتهم واستمر الحال كذلك أربعة أشهر وأرسل الملك العادل العساكر التى عنده الى ابنه الملك الكامل فوصلت اليه شيأ فشيأ ولما اجتمعت العساكر عند الملك الكامل أخذ فى قتال الفرنج ودفعهم عن دمياط اه ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر الى عالقين وهى عند عقبة أفيق فنزل بها ومرض واشتد مرضه ثم توفى هناك سابع جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ وكان عمره ٧٥ سنة ومدة ملكه على مصر ١٩ سنة وكان رحمه الله حازما متيقظا غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة صبورا حليما سعيدا اتسع ملكه وخلف ستة عشر ولدا غير البنات ودفن بالقلعة ثم نقل الى المدرسة العادلية بدمشق وخلفه ابنه الكامل

الكامل بن العادل ٦١٥ - ٦٣٥ هـ - وصل خبر موت العادل الى ابنه الكامل وهو فى قتال الفرنج فعظم عليه ذلك جدا حتى أصاب الجند بعض الاختلال وبلغ ذلك الملك المعظم عيسى بن العادل فرحل لوقته من الشام ووصل الى أخيه الملك الكامل ونفى عماد الدين بن المشطوب رأس الفتنة الى الشام وكان على النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن فى البحر الملح أن تصعد فى النيل الى مصر فلما نزل الفرنج بذلك الساحل كما تقدم خندقوا عليهم وبنوا سورا بينهم وبين الخندق وشرعوا فى حصار دمياط واستكثروا من الات الحصار قال أبو الفداء وألح الفرنج على قتال ذلك البرج أربعة أشهر حتى ملكوه فعبروا الى البر المتصل بدمياط واشتدوا فى قتالها وهى فى قلة من الحامية لاجفال المسلمين عنها بغتة ولما جهدهم الحصار وتعذر عليهم القوت

استأمنوا

استأمنوا الى الفرنج فلكوها سنة ٦١٦ هـ واخذوا فى عمارتها وتحصينها وأقام الكامل قريبا منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط الى أن قال وفى سنة ٦١٨ هـ كان اجتماع الملك المعظم والملك الاشرف مع نجدة صاحب ماردين وعسكر حلب والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص واتصال الجميع بالملك الكامل على عزم قصد الفرنج وردّ دمياط منهم فاحاطوا بهم وضيقوا السبيل عليهم فاجابوا الى الصلح على تسليم دمياط واطلاق ما بأيديهم من أسرى المسلمين واطلاق ما بأيدى المسلمين من أسراهم وقرر الصلح الذكار نائب البابا وملك عكا وملوك فرنجة ومقدموا الفداوية والاسبتارية وتسلم الكامل دمياط يوم الاربعاء تاسع عشر رجب ٦١٨ هـ اهـ ثم سار الملك الكامل الى مصر وأخذ فى تشييد العمارات والنظر فى أمور الدولة فأقام قبة عظيمة على ضريح الامام الشافعى وأنشأ المدرسة الكاملية المعروفة بدار الحديث وحبس لها الحبوس وفى خلال ذلك قامت الفتن بين أبناء العادل واختلفوا بين بعضهم وبين أقاربهم وحصلت أمور يطول شرحها وفى تلك الاثناء قام البابا غريغوريوس التاسع (Grégoire IX) يحرض الفرنج على الحروب الصليبية فلما رفض فردريك الثانى (Frédéric II) امبراطور المانيا السفر حرمه البابا فالتزم أخيرا بالسفر بحرا بجيوشه وسميت سفرته هذه بالحملة الصليبية السادسة كما فى كتب الفرنج (١٢٢٨ - ١٢٢٩ م) وكان الملك الكامل قد أرسل اليه فخر الدين يستدعيه الى قصد الشام يستعين به على أخيه المعظم فوصل الامبراطور سنة ٦٢٥ هـ وقد مات المعظم عيسى (٦٢٤ هـ) ولما وصل الامبراطور استولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج وسورها خراب فعمر الفرنج سورها ثم ترددت الرسل بين الكامل وبين الامبراطور ولما طال الامر ولم يجد الملك الكامل بدا من المهادنة أجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه على أن تستمر أسوارها خرابا ولا يعمرها الفرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الاقصى ويكون الحكم فى الرساتيق الى والى المسلمين ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الاتفاق على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الامبراطور القدس ورجع الى عكا وركب البحر الى بلده (٦٢٦ هـ) وفى سنة ٦٣٥ سار الكامل الى دمشق واستولى عليها وكانت وفاة الملك الكامل بها فى ٢٢ رجب من سنة ٦٣٥ المذكورة ودفن بقلعتها وكانت مدة حكمه ٢٠ سنة وكان رحمه الله ملكا جليلا مهيبا حازما حسن التدبير أمنت الطرق فى أيامه وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه واستوزر فى أول ملكه وزير أبيه صفى الدين بن شكر فلما مات ابن شكر لم يستوزر أحدا بعده وكان الكامل يخرج بنفسه ينظر فى أمور الجسور عند زيادة النيل واصلاحها فعمرت ديار مصر فى أيامه وكان محبا للعلماء ومجالستهم ولما مات الملك الكامل بدمشق كان معه الملك الناصر داود صاحب الكرك فاتفق رأى الامراء على تحليف العسكر للملك العادل أبى بكر بن الكامل وهو حينئذ نائب أبيه بمصر فحلف له جميع العسكر

العادل بن الكامل ٦٣٥ - ٦٣٧ هـ - لما وصل خبر وفاة الملك الكامل الى مصر بايع المصريون ابنه سيف الدين أبا بكر الملقب بالعادل وعين الامير يونس بن مودود بن العادل أميرا على سوريا ولكنه تبادل مع الملك الصالح نجم الدين أيوب أمير ما بين النهرين فأتى الاخير الى سوريا وذهب

الاول الى مابين النهرين وكان غرض الصالح بن الكامل اختلاس ملك مصر من أخيه العادل وفى خلال ذلك خرج صاحب الكرك الناصر داود الى القدس وكان الفرنج عمروا قلعتها فحاصرها وفتحها وخرب القلعة وخرب برج داود (٦٣٧ هـ) وفيها أفرج الناصر داود عن ابن عمه الملك الصالح أيوب من معقله وكان قاصداً الاستيلاء على ديار مصر فوقع بنابلس فى اعتقال الملك الناصر داود واعتقله فى الكرك ولما خرج منها سارا الى قبة الصخرة وتحالفا على أن تكون ديار مصر للصالح أيوب ودمشق والبلاد الشرقية للناصر وسارا لمحاربة الملك العادل بن الكامل فبرز العادل بعسكر مصر ونزل على بلبيس لردهجماتهم الا أن امراءه قبضوا عليه بدسيسة وقيدوه وخلعوه يوم الجمعة ٨ ذى الحجة سنة ٦٣٧ هـ وبايعوا أخاه الملك الصالح فسجنه بقلعة الجبل الى أن قتله الصالح بها (٦٤٠ هـ)

الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل ٦٣٧ - ٦٤٨ هـ - قال أبو الفداء لما استقر الملك الصالح أيوب فى ملك مصر وصحبته الناصر داود حصل عند كل واحد منهما استشعار من صاحبه وخاف الناصر داود أن يقبض عليه فطلب دستوراً وتوجه الى بلاده الكرك وغيرها وأمر بعد سنة بالقبض على أيبك الاسمر مقدم المماليك الاشرفية وعلى غيره من الامراء الذين قبضوا على أخيه وبايعوه مكانه وقتلهم ونصب مكانهم آخرين اهـ وشرع فى بناء قلعة فى جزيرة مصر المعروفة الآن بالمنيل والروضة واتخذها مسكناً لنفسه ويقال ان سبب بنائها أنه لما استكثر من مشترى المماليك ضاقت بهم القاهرة فصاروا يشوشون على الناس وينهبون البضائع من الدكاكين فضجت منهم الخلق فلما بلغه ذلك بنى لهم القلعة المذكورة بالروضة بالقرب من المقياس وأسكنهم فيها وجعل لهم حول تلك القلعة شوانى حربية مشحونة بالسلاح لتكون معدة لقتال الفرنج ومن وقتئذ سماهم المماليك البحرية ثم فى سنة ٦٤٢ وقع الخلاف بين الصالح بن الكامل وبين عمه الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق أدى الى القتال واستعان صاحب دمشق بالصليبيين الذين فى عكا ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج لمساعدته ولكنهم انهزموا بظاهر غزة واستولى الصالح أيوب على غزة والسواحل وبيت المقدس وعلى دمشق (٦٤٤ هـ) وهزم الخوارزمية شر هزيمة وأهم الحوادث التى حصلت فى أيام الصالح أيوب قيام لويس التاسع (Louis IX) ملك فرانسا المعروف بسنت لويس (Saint Louis) بحملته الصليبية السابعة (١٢٤٨ - ١٢٥٢ م) وذكر جان دوجوانفيل (Joinville) وكان رافق ملك فرانسا فى هذه الحملة أن اخوة الملك الثلاثة الفونس دوتولوز (Alphonse de Toulouse) وروبير دارتواز (Robert d'Artois) وشارل دانجو (Charles d'Anjou) والملكة مارغريت زوجته (Marguerite) وكثيرا من الامراء والاشراف اشتركوا مع الملك فى هذه الحملة وكانت القوة التى استصحبها معه مؤلفة من ٥٠,٠٠٠ مقاتل والاسطول يتركب من ١٢٠ سفينة كبيرة و ١٥٠٠ صغيرة وقصد أولا جزيرة قبرص وكان حاكمها وقتئذ هنرى أصغر أولاد أمورى دولوسينيان وذكر غيره أنه بعد وصوله اليها رتب جيشه ثم قصد ثغر دمياط (٦٤٧ هـ) وحاصرها ثم ملكها من يد بنى كنانة كان أنزلهم الصالح بها حامية فلما بلغ الخبر الى الصالح وهو بدمشق كر راجعاً الى مصر ونزل فى عصائب المسلمين اقتالهم وقد أصابه بالطريق وعك وأرسل الجنود لحصارهم واستمر محاصراً لهم الى أن توفى

فى شعبان سنة ٦٤٧ هـ وكان رحمه الله مهيبا عالى الهمة عفيفا طاهر اللسان والذيل وأخفت زوجته شجرة الدر موته حذرا من الفرنج وتفرق الجنود وقامت بالامر أحسن قيام وكانت تركية لا نظير لها فى النساء والرجال بعد أن أخبرت أهل الدولة بما فعلت فاستحسنوه وبقى الامر على ذلك والناس تعلم أن السلطان مريض ولا سبيل لاحد عليه الى أن حضر ابنه توران شاه وكان غائبا بحصن كيفا فبايعوه ثم تقدم الفرنج الى المنصورة وجرى بينهم وبين المسلمين واقعة عظيمة فى مستهل رمضان ولم ينل الفرنج من المنصورة شيأ لقوة المسلمين ثم جمع ملك فرانسا جيوشه وسار بهم طالبا القاهرة فصبر المصريون الى أن عبر الفرنج الخليج المتفرع من النيل المسمى أشموم فتقاتلوا هنالك قتالا شديدا وانجلت الحروب عن كسرة الفرنج برا وبحرا وأخذ المسلمون من مراكبهم اثنين وثلاثين مركبا منها تسع شوان فضعف الفرنج لذلك فارسلوا يطلبون أن يسلموا دمياط ويسلم السلطان لهم القدس وبعض السواحل الشامية وكان الصالح أراد أن يسلمها لهم أولا بشرط أن يرحلوا فطمعوا ولم يقبلوا فلم تقع الاجابة الى ذلك ثم أقام الفرنج قبالة المسلمين بالمنصورة وفنيت أزوادهم وانقطع عنهم المدد فى دمياط فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا متوجهين الى دمياط وركب المسلمون أكتافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفا وانحاز ملكهم لويز التاسع ومن معه من خواصه وأكابره الى بلد هنالك وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشى محسن الصالحى ثم أحضروا الى المنصورة وقيد ملكهم وحبس فى دار ابن لقمان ووكل به الطواشى صبيح ثم انعقد الصلح معه على تسليم دمياط وأن يطلق هو ومن معه من أمرائه ويدفع ٨٠٠,٠٠٠ دينار وقيل أكثر من ذلك فأطلق وأقلع مع أصحابه الى عكا سنة ٦٤٨ هـ وفى خلال ذلك قتل الملك المعظم يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم ٦٤٨ هـ قتله بعض مماليك والده البحرية بعد نزوله بفارسكور ويقال ان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذى صار سلطانا فيما بعد فهرب الملك المعظم منهم الى البرج الخشبى الذى نصب له بفارسكور فأطلقوا فى البرج النار فهرب المعظم منه طالبا البحر ليركب فى حراقته فحالوا بينه وبينها فطرح نفسه فى البحر فادركوه وقتلوه وكانت مدة حكمه شهرين وأياما وكان يعتمد على بطانته ويطرح جانب أمراء أبيه فلذا قتلوه

شجرة الدر (٦٤٨ هـ) — لما قتل الملك المعظم اجتمعت الامراء واتفقوا على أن يقيموا شجرة الدر زوجة الملك الصالح فى المملكة وأن يكون عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى المعروف بالتركمانى أتابك العسكر وحلفوا على ذلك وخطب لشجرة الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل وكانت شجرة الدر قد ولدت من الملك الصالح ولدا مات صغيرا وكان اسمه خليل فسميت والدة خليل وكانت توقع بذلك ثم نصبت الاعلام السلطانية على حصون دمياط يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر من هذه السنة ٦٤٨ وركب سان لويز البحر مع من سلم معه وأقلعوا الى عكا كما مر وانتشر خبر هذا النصر المبين فى سائر الاقطار ثم عادت العساكر الى القاهرة وبعد عودة ملك فرانسا الى بلاده جهز الجنود واستصحب معه أولاده الثلاثة واخوته وكثيرا من أقاربه وأعيان وأمراء بلاده وقصد تونس لأمر جرى بينه وبين ملكها وهى الحملة الصليبية الثامنة ويقال ان أخاه شارل دانجو ملك نابولى حرضه على ذلك لامر كان يضمره فى نفسه طمعا فى توال تخت فرانسا وكان جيش سانت لويس ستة ألف من ثلاثين ألف مقاتل

وعمارته مؤلفة من ثلاثمائة سفينة كبيرة وصغيرة وحاصر تونس سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) وكانت هذه الحملة هي آخر الحروب الصليبية التى قامت بها الفرنج على المسلمين وحصل لهذا الملك فيها ما حصل وأخيرا أصابه مرض الوباء ومات (١٢٧٠ م) كما ذكرناه فى تاريخ تونس واجتمع أمراء الفرنج على ابنه الاكبر فيليب (Philippe le Bel) فبايعوه ولم ينل شارل دانجو ما أضمره وقد أخذت شجرة الدر تتقرب من أرباب الدولة فخلعت عليهم الخلع الثمينة وأنعمت عليهم بالرتب والمناصب وأمالت القلوب بتخفيض الضرائب ومع كل ذلك لم تصل الى ما ترغب وأنفذ أهل الشام الى الخليفة العباسى فى بغداد يستفتونه فى الامر فكتب اليهم ما معناه (اذا لم يكن بينكم من يصلح للسلطنة أقدم اليكم فأقيم عليكم من يحكم فيكم) فاستمسك مماليك مصر بهذه الفتوى وثار رفقاؤهم فى دمشق وخلعوا طاعة شجرة الدر وقطعوا الدعاء اليها وقامت حروب بين أمراء سوريا ومماليك مصر وتمكن عز الدين أيبك فى هذه الثورات من الاستقلال بحكم مصر وألجأ شجرة الدر الى التنازل وانقرضت بها دولة بنى أيوب

(الفصل الثالث عشر)

(دولة المماليك الترك الاولى المعروفة بالبحرية)

(٦٤٨ - ٧٨٤ هـ)

قال ابن خلدون إن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل قد استكثر من المماليك الترك ومن فى معناهم من التركمان والارمن والروم وجركس وغيرهم الا أن اسم الترك غالب على جميعهم لكثرتهم ومزيتهم وكانوا طوائف متميزين بسمات من ينسبون اليه من نسب أو سلطان فمنهم العزيزية نسبة الى العزيز عثمان بن صلاح الدين ومنهم الصالحية نسبة الى الصالح أيوب ومنهم البحرية نسبة الى القلعة التى بناها الصالح بين شعبتى النيل ازاء المقياس بما أنهم كانوا حاميتها وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصابة سلطانه وخواص داره اهـ وأما تسميتهم بالبحرية فلأنه لما أسكنهم الصالح قلعة الروضة التى بناها بالقرب من المقياس جعل حول تلك القلعة شوانى حربية مشحونة بالسلاح وبأولئك المماليك فصاروا يتدربون على الاعمال البحرية وبذلك سموا البحرية كما تقدم وفى قول آخر ان نقطة اقامتهم يتفرع عندها النيل الى فرعين وكان يدعى عند نقطة تفرعه بالبحر لعظم اتساعه هناك فسمى هؤلاء المماليك بالمماليك البحرية ومنها اشتق اسم دولتهم

ايبك الجاشنكير (٦٤٨ هـ) - لما قامت المنازعات بخصوص ملك مصر اتفق كبراء الدولة على اقامة عز الدين أيبك الجاشنكير الصالحى فى السلطنة لعدم تعود الاسلام على حكومة النساء لاسباب لا تخفى قال أبو الفداء فأقاموا أيبك المذكور وركب بالصناجق السلطانية وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر من هذه السنة ولقب الملك المعز وأبطلت السكة والخطبة التى كانت باسم شجرة الدر اهـ وهو أول من تملك مصر من المماليك وتزوج بشجرة الدر فانضم حزبها الى حزبه ثم حصل انقسام بين حزبه وحزب الصالحية وفاز الاخير وألزموا أيبك الجاشنكير بمبايعة الاشرف فى ٥ جمادى الآخرة سنة ٦٤٨ هـ

الاشرف مظفر الدين موسى ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ - لما أقامه الامراء مشاركا للملك المعز عز الدين أيبك التركمانى بعد خلع الملكة شجرة الدر أم خليل وكان ذلك حين ورود الخبر باستيلاء الملك المغيث عمر بن العادل الصغير على الكرك والشوبك وأخذ الملك السعيد قلعة الصبيبة وكان عمره لما ملك ست سنين وصارت المراسيم تبرز عن الملكين لكن لم يكن للاشرف سوى الاسم وكانت الامور معلقة فى الحقيقة بالملك المعز ايبك وفى خلال ذلك قصد الملك الناصر يوسف صاحب الشام الديار المصرية فقام المعز أيبك التركمانى فى جماعة من البحرية وصد الناصر وبعد حروب انهزم الناصر الى الشام وتشتت جيشه وعاد أيبك الى القاهرة مع البحرية منصورين ثم عادت الحروب سنة ٦٤٩ هـ فى جهات غزة وأخيرا تمت باستقرار الصلح بين الطرفين على شرط أن يكون للمصريين الى نهر الاردن وللملك الناصر ما وراء ذلك ٦٥٠ هـ وأخذ المعز أيبك يسعى للاستقلال بالسلطة فقتل خوشداشه اقطاى الجدار ولما علمت البحرية بذلك هربوا من ديار مصر الى الشام فصفا له الجو فاستقل بالسلطة وأبطل اسم الاشرف موسى المذكور منها بالكلية (٦٥٢ هـ) ثم قامت حروب أخرى بين المعز ايبك وبين الناصر ومشى نجم الدين الباذرائى فى الصلح بين المصريين والشاميين واتفق الحال على أن يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون الحد بئر القاضى وهو بين الورادة والعريش وبيد المعز أيبك الديار المصرية وانفصل الحال على ذلك (٦٥٣ هـ) وفى ٢٣ ربيع الاول ٦٥٥ قتل الملك المعز ايبك قتلته امرأته شجرة الدر وسبب ذلك أنه بلغها انه خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكان رحمه الله شديد المعاملة شجاعا شيد فى خلال حكمه عمارات عظيمة منها مدرسة دعاها المدرسة المعزية بناها على ساحل النيل فى مصر العتيقة

المنصور نور الدين ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ - لما ظهر الخبر بقتل عز الدين أيبك أراد مماليكه قتل شجرة الدر فمانعت عنها المماليك الصالحية فاتفقت الكلمة على اقامة نور الدين على ابن الملك المعز ولقبوه الملك المنصور وعمره يومئذ خمس عشرة سنة ونقلت شجرة الدر من دار السلطنة الى البرج الاحمر وصلبوا الخدام الذين اتفقوا معها على قتل المعز ايبك وفى يوم ١٦ ربيع الآخر من السنة المذكورة قتلت شجرة الدر وألقيت خارج البرج وحملت الى تربة كانت عملتها لنفسها فدفنت فيها وكانت تركية الجنس وقيل أرمنية وحصلت حروب بين المصريين والمماليك البحرية وكان مع البحرية عسكر المغيث صاحب الكرك الذين التجؤا اليه بعد أن طردهم الملك الناصر يوسف صاحب الشام لما قاموا عليه يريدون أن يفتكوا به فهزمهم المصريون وكان مع البحرية بيبرس البندقدارى الذى صار ملكا بمصر كما سيأتى وأهم الحوادث التى حصلت فى عصر نور الدين استيلاء هلاكو ملك التتار على بغداد وانقراض الدولة العباسية كما بيناه فى الجزء الاول من هذا الكتاب قال ابن خلدون ان التتر من شعوب الترك وان الترك كلهم من ولد كومرت بن يافث بن نوح عليه السلام ومساكنهم بلاد الصين مما وراء نهر سيحون وهم أمم كثيرة وسيحون نهر مما وراء النهر قرب خجنده بعد سمرقند وهو فى حدود بلاد الترك ويطلق أيضا على نهر الهند وأما جيحون فهو نهر خوارزم وجيحان نهر بالشام وفى سنة ٦٥٦ هـ كان استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية اهـ ثم بعد ذلك سار التتار واستولوا على كثير من البلاد وفى خلال ذلك أقبل شرف الدين هبة الله من

الوصاية على نور الدين ونصب بدله سيف الدين قطوز ولقب باتابك ولما تمكن سيف الدين من المنصب استقدم اليه المماليك من الشام واتفق معهم على خلع نور الدين بدعوى صغر سنه وعدم لياقته للاحكام فانزلوه فى ٤ ذى القعدة سنة ٦٥٧ هـ وبايعوا سيف الدين قطوز

سيف الدين المظفر قطوز ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ - لما بويع له بملك مصر لقب بالملك المظفر وكان علم الدين الغتمى وسيف الدين بهادر وهما من كبار المعزية غائبين فى رمى البندق فانتهز قطوز الفرصة فى غيبتهما وفعل ذلك ولما قدم الغتمى وبهادر المذكوران قبض عليهما قطوز أيضا واستقر فى ملك مصر وفى خلالها سار هولاكو الى شرقى الفرات وفتح حوران واستولى على بلاد الجزيرة وأرسل ولده سموط بن هولاكو وفتح بلاد الشام جميعه وأخذ كل من الملك الناصر يوسف صاحب الشام والملك المنصور صاحب حماة بمحاربة التتار ثم ذهبا الى مصر بجيوشهما وقابلهما الملك المظفر قطوز بالصالحية وطيب قلوبهما ولما استفحل أمر التتار جهز الملك المظفر قطوز العساكر الاسلامية وخرج بهم الى الشام لقتال التتار فتقابل معهم وكانوا تحت قيادة كتبغا نائب هولاكو على الشام عند عين جالوت يوم ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ وبعد وقائع انهزم التتار هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واستؤسر ابنه وتعلق من سلم من التتار برؤس الجبال وتبعهم المسلمون فافنوهم وتعقبوا الفارين منهم وأعادت جيوش مصر فتح حماة ودمشق وباقى بلاد الشام وعادت منصورة ثم بعد ما قرر الملك المظفر قطوز أمر الشام سار من دمشق الى البلاد المصرية وكان اتفق البندقدارى الصالحى مع أنص مملوك نجم الدين الرومى الصالحى والهارونى وعلم الدين صوغان أوغلى على قتل المظفر قطوز وساروا معه يتوقعون الفرصة فلما وصل قطوز الى القصير بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة من القرين قتله هناك بيبرس البندقدارى بمساعدة حلفائه وكان ذلك يوم ١٧ ذى القعدة من سنة ٦٥٨ ويقال انه نقل من القرين ودفن فى مدرسة بالقرب من زاوية الشيخ خلف وخلفه على ملك مصر الامير البندقدارى

ركن الدين بيبرس البندقدارى ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ - ويعرف بالصالحى والنجمى لما قبض على الاحكام بمصر بعد قتله المظفر تلقب بالقاهر ثم تشاءم من ذلك وتلقب بالظاهر واستوزر بهاء الدين وجعل بيليك خازندارا له وكان من أكبر المتقربين اليه ثم أمن من بقى من عائلة قطوز وأبطل كثيرا من الضرائب وأعلنها على المنابر ولما قام أهل الشام بعصيانهم وبايعوا الامير سنقر حاكم حلب سار اليهم بجيشه وأخمد ثورتهم وعاد الى مصر وأخذ يصلح شؤنها الداخلية وفى خلال ذلك حضر من بغداد شخص من بنى العباس وبويع له بالخلافة فانتقلت الخلافة من وقتئذ الى مصر بعد انقراضها من بغداد كما مر

الخلافة العباسية بمصر - اعلم أنه فى شهر رجب من سنة ٦٦٠ هـ قدم شخص الى مصر من بنى العباس الذين سلموا من قتل التتار فى بغداد واسمه أحمد بن الظاهر بن الناصر فعقدوا له مجلسا بمصر حضره عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام وغيره من القضاة والعلماء ومشايخ الصوفية والطرق وسائر الامراء وأرباب الدولة والسلطان الظاهر بيبرس بنفسه وأثبتوا نسبه وعلى هذا يكون عم المستعصم وجاء بجماعة من العرب العارفين به فشهدوا بنسبه فبايعه السلطان الظاهر بيبرس

والقضاة

والقضاة والعلماء والناس بالخلافة ولقبوه بالمستنصر بالله وبايع الملك الظاهر بيبرس بالسلطنة وفوّض اليه أمر البلاد الاسلامية وما يضاف اليها واحتفل السلطان به وصلى الامام أحمد بالناس صلاة الجمعة بجامع القلعة وخطب فيهم خطبة بليغة أثنى فيها على فضل الملك الظاهر الذى ردّ الخلافة لبنى العباس ثم جهز السلطان مع الامام أحمد جيشا لقتال التتار واسترداد بغداد وقبل أن يصل الى بغداد هزمه التتار وقتلوه ونهبوا ما كان معه وكان التتار تحت قيادة قره بغا نائب هولاكو على بغداد ثم حضر شخص آخر من بنى العباس الذين سلموا من قتل التتار يدعى أحمد أيضا فعقد له الملك الظاهر مجلسا جمع فيه القضاة وفعل به كما فعل أولا وكان قد حضر معه الامير عيسى بن مهنا وجماعة كثيرة من العرب فشهدوا بين يدى قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز بان الامام أحمد هذا هو ابن حسن بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد ابن الخليفة المستظهر فثبت ذلك وحكم بصحته وبايعه الظاهر بيبرس والعلماء ولقبوه بالحاكم بأمر الله وتولى الخلافة وبايع الملك الظاهر بالسلطنة وأشركه السلطان فى الدعاء لا غير ومن وقتئذ صارت القاهرة مقر الخلفاء العباسيين يبايعهم سلاطينها وليس بيدهم من الملك والتصرف شئ بل الامر بيد السلاطين واستمر ذلك الى دخول السلطان سليم خان الاول مصر سنة ٩٢٢ ﻫ وانتقال الخلافة الاسلامية لبنى عثمان كما سيأتى

وفى سنة ٦٦١ ﻫ جهز الملك الظاهر جيشا وسار به من مصر الى الشام وأغار على عكا وأعمالها وهى بيد الفرنج فغنم وهاجمها ثانية وهدم برجا كان خارج البلد وهدم الكنيسة المسماة بالناصرة وبعث السرايا الى انطاكية وبلادها فغزوا وغنموا ثم فتح قيسارية من يد الفرنج وفتح طرابلس والقليعات وعرقا وفى خلالها قبض الظاهر على المغيث صاحب الكرك وأرسله معتقلا الى مصر وفى سنة ٦٦٤ ﻫ سار الظاهر بجيشه الى أرمينيا واستولى على عاصمتها سيس وعلى سائر بلادها وفيها فتح صفد وعاد الى مصر ثم توجه فى سنة ٦٦٦ ﻫ بجيش عظيم الى الشام وفتح يافا من يد الفرنج وملك انطاكية بالسيف وكذا بغراس (٦٦٩ ﻫ) ونازل حصن الاكراد وملكه ثم رحل الى حصن عكا ونازله الى أن ملكه وملك أيضا حصن القرين وفى سنة ٦٧٠ اقتحم الفرات وحارب التتار وهزمهم وعاد الى مصر وفى سنة ٦٧٣ توجه الى بلاد سيس ودخلها بجيشه وغنم ورجع الى دمشق وفى سنة ٦٧٥ غزا بلاد الروم بعساكره المتوافرة والتقى فى طريقه بجيش من التتار فقاتلهم وهزمهم وكان ملكهم يقال لهم بغا فهرب فتبعه السلطان الى نحو بلشين فكانت بينهما هناك واقعة عظيمة قتل فيها من الفريقين نحو مائة ألف فانكسر بغا ملك التتار وهرب وتبعه السلطان الى زبيد ثم رجع بعد أن قتل كثيرا منهم وفى سنة ٦٧٥ ﻫ كان ابتداء عمل المحمل بأمر السلطان الظاهر بيبرس وصاروا يطوفون به فى مصر قبل خروجه لترغيب الناس فى الحج وحثهم عليه ثم يسافرون به مع كثير من الحجاج من طريق البر وعند رجوعهم يزورون قبر فخر الكائنات عليه أفضل الصلاة والسلام وفى السنة المذكورة حج الملك الظاهر بنفسه وزار الحجرة النبوية وتصدق بصدقات كثيرة على أهل الحرمين وغسل الكعبة بيده بماء الورد ثم رجع وكانت وفاته فى دمشق يوم الخميس ١٨ محرم سنة ٦٧٦ ﻫ ومدة ملكه ١٧ عاما وكان رحمه الله ملكا عظيما جليلا مهيبا كثير الغزوات وكان المصريون يلقبونه بأبى الفتوحات لكثرة فتوحاته وخلف من الاولاد عشرة ثلاثة ذكور وسبع إناث ولما توفى الملك الظاهر كتم الامير بيليك نائب السلطنة خبر موته خوفا من التتار ثم احتاط على خزائن المال

وقصد مصر وهو يظهر مرض السلطان ورتب حضور الاطباء على العادة واستمر على ذلك حتى دخل مصر وطلع قلعة الجبل ثم أعلن موت السلطان وتسلطن ولده الملك السعيد وكان الظاهر رحمه الله محبا للعمار فجدد الحرم النبوى وجدد عمارة قبة الصخرة ببيت المقدس وأنشأ بمصر وأعمالها قناطر شبرامنت وعمر سور الاسكندرية وجدد بناء المنارة التى بها وردم فم بحر دمياط بالقراميص حتى لا تدخل اليه مراكب الفرنج كما مر وأعاد شأن البحرية فعمر الشوانى وشحنها بالرجال وشيد دار الصناعة وصار يصنع فيها كثيرا من السفن وجدد عمارة الجامع الازهر وأعاد الخطبة فيه وعمر الجامع الكبير وشيد المدرسة التى بين القصرين وحفر الخليج ومن آثاره قناطر السباع التى عملت لتوصيل الماء من النيل الى قلعة الجبل وجعل عليها سباعا من الحجارة وبها سميت وهى المعروفة الآن بالعيون وكان يحضر بنفسه التمرينات العسكرية وحركات رمى النشاب والالعاب بالرمح ورتب البريد فكان يصل الخبر من الشام الى مصر فى أربعة أيام وصار بذلك يحكم فى ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم فى القلعة وعين فى مراكز البريد الخيل المعدة للركوب وجعل لها سواسا يعرفون بالسواطين ولا يركب أحد خيل البريد الا بمراسيم سلطانية وكان بمراكز البريد كل ما يحتاجه المسافر ولذلك كانت الطرق فى أمن فكانت المرأة تسافر وحدها من غير أن يصيبها خوف ولا ضرر

السعيد بركة محمد ناصر الدين برقه خان ٦٧٦ – ٦٧٨ هـ – بويع له بعد وفاة أبيه باتفاق الامراء ولقبوه بالملك السعيد وأقاموا له الامير بيليك الخازندار اتابكا وكان من مماليك والده فقام بأعباء المملكة أحسن قيام ولكنه لم يلبث طويلا فمات واختار السعيد آق سنقر العزبانى فاتح النوبة نائبا للسلطنة وبعد قليل قبض عليه وسجنه بثغر الاسكندرية ثم خنقه بها فخاف الامراء وأضمروا للسلطان السوء وحركوا ثورة بدمشق اضطر الملك السعيد أن يسير اليها بالجيوش واستصحب معه الامير سيف الدين قلاوون الصالحى وكان القائم بها شرف الدين سنقر أمير دمشق مدعيا الملك لنفسه وتلقب بالكامل فلما وصل السعيد ونزل بالقصر الابلق الذى كان شيده أبوه أخذ يتحرى أسباب الثورة فعلم انها دسيسة من الامراء اتفقوا عليها لخلعه فتركهم وعاد مسرعا الى مصر ونزل بقلعة الجبل فحضرت العساكر التى خرجت عن الطاعة بعد سفره وحاصروه بالقلعة (٦٧٨ هـ) فاضطر الى تسليم نفسه اليهم فسقط بذلك اعتباره وهموا بقتله فمنعهم الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى من ذلك فخلعوه وأرسلوه الى قلعة الكرك (ربيع أول ٦٧٨ هـ) ومات فيها عقب سقوطه عن جواده وبايعوا أخاه سلامش بن بيبرس

سيف الدين سلامش ٦٧٨ هـ – لما بايعه الامراء بعد خلع أخيه لقبوه بالملك العادل وكان عمره سبع سنين ونصفا وأقاموا له الامير سيف الدين الالفى وصيا وكان يخطب له وللعادل على المنابر وكان الامر كله لوصيه المذكور ثم طمع فى الملك فقبض على جماعة من الامراء الظاهرية وأرسلهم لسجن الاسكندرية وأعقبها بخلع الملك العادل وأرسله مع أخيه سيدى حضر الى قلعة الكرك وطلب من الناس المبايعة لنفسه فبايعوه يوم الاحد ١٦ رجب من السنة المذكورة

سيف الدين قلاوون – ٦٧٨ – ٦٨٩ هـ – لما تمت له المبايعة بعد خلع العادل تلقب بالمنصور واستوزر فخر الدين وكان كاتب سره ثم جعل ابنه الملك الصالح ولى عهده (٦٧٩ هـ)

وفيها

وفيها قامت ثورة في الشام فبعث قوة تحت قيادة الامير طرطباى لاخمادها فحارب الملك الكامل صاحب دمشق حتى اضطره الى التسليم وقبض عليه وجاء به الى القاهرة وسجن فيها وولوا على دمشق وأتباعها الامير حسام الدين لاجين (٦٨٠ هـ) وفي السنة التي بعدها حارب المصريون جيشين للتتار الاول كان تحت قيادة أباكه خان والثاني تحت قيادة منجوتيمورخان وكانا أغارا على الشام وهزمهما المصريون وقتل منجوتيمورخان وولى الباقي منهم الادبار وفي سنة ٦٨٠ هـ تمرد المماليك ونبذوا الطاعة فغضب السلطان غضبا أعمى بصره حتى لم يعد يميز المجرم من البريء وأعمل فيهم السيف ثلاثة أيام وغصت الاسواق بجثثهم رجالا ونساء ثم توسط العلماء فمنع القتل وندم السلطان على مافرط منه كثيرا وبعد ذلك اهتم بتشييد المباني النافعة فبنى المستشفى الشهير المعروف بالبيمارستان وغيره من التكايا وفي سنة ٦٨٢ خرج السلطان بالعسكر لحفر خليج الاسكندرية وفي السنة التي بعدها أمر المنصور المماليك بتغيير ملابسهم ومنعهم من استعمال التحلي بالذهب والضفائر الطويلة وجعل ملابسهم على الزى العسكري وفيها فتح حصن مرقد بعد حصار ٣٣ يوما وفي سنة ٦٨٤ هـ نازل حصن المرقب وافتتحه وفي سنة ٦٨٦ أرسل جيشا مع علم الدين سنجر المسرورى الخياط متولى القاهرة الى بلاد النوبة فغزا وغنم وعاد منصورا ثم توفي ابنه وولى عهده الملك الصالح علاء الدين على بحمى محرقة (٦٨٧ هـ) فحزن عليه قلاوون حزنا شديدا ثم سار بجيشه الى الشام وفتح طرابلس عنوة وهدم كنيسة سان توماس ثم عاد الى مصر وبذا استخلص طرابلس من يد الفرنج بعد أن بقيت تحت سلطتهم ١٨٥ سنة وشهورا ولما دخل مصر حملت على رأسه القبة والطير وكان يوما مشهودا (٦٨٨ هـ) وفيها جاءت الاخبار بأن ملك النوبة هجم على مدينة أسوان ونهب أسواقها وأحرق أجرانها فجرد السلطان عليه الامير عز الدين أيبك الافرم فلما وصل الى هناك هرب ملك النوبة فتبعه القائد المذكور بعسكره الى آخر بلاد النوبة وغنم منها أشياء كثيرة وفي سنة ٦٨٩ هـ خرج السلطان الى الريدانية لغزو عكا فابتدأ مرضه ثم تزايد به المرض حتى توفي به يوم ٧ ذى القعدة من السنة المذكورة بعد أن حكم سبع سنوات وأشهرا وخلف ثلاثة أولاد من الذكور وكان رحمه الله ملكا شجاعا وبطلا مقداما في الحرب مغرما بمشترى المماليك حتى قيل انه تكامل عنده ١٢٫٠٠٠ مملوك وكان محبا للعمار ومن آثاره جامعه الشهير ومقامه وهما في البيمارستان الذى بين القصرين وقام بالامر بعده ابنه

الاشرف صلاح الدين خليل ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ - لما استقر السلطان الملك الاشرف في المملكة قبض على الامير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة وسجنه ثم قتله وذلك لما كان بينه وبين الامير طرنطاى المذكور من العداوة من أيام والده وفوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدار والوزارة الى شمس الدين محمد بن السلعوس وفي سنة ٦٩٠ سار الاشرف بالعساكر المصرية والشامية الى عكا وحاصرها وشدد عليها الحصار والقتال ولم يغلق الفرنج كل أبوابها بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها وذكر في دائرة المعارف الفرنساوية انه في سنة ١٢٩١ م حاصر الاشرف عكا بعدما استولى على طرابلس وكان بعكا وقتئذ نواب ملوك نابولى وقبرص وفرانسا وانكلترة والباباو بطريرك أورشليم وبرنس انطاكيا وجماعة من عسكرية سان جان وفرسان التوتون الالمانيين ونواب مستعمرات البنادقة وجنوه وبيزه فاستصرخوا دول الفرنج فلم ينجدوهم فدافعوا دفاع الابطال ثم

اضطروا أخيرا الى التسليم (١٦ يونيو سنة ١٢٩١) قال أبو الفداء وكان حاضرا وكانت منزلة الحمويين برأس الميمنة على عادتهم فكنا على جانب البحر والبحر عن يميننا اذا واجهنا عكا وكان يحضر الينا مراكب مقبية بالخشب الملبس جلود الجواميس وكانوا يرموننا بالنشاب والجروخ وكان القتال من قدامنا ومن جهة المدينة ومن جهة يميننا من البحر وأحضروا بطة فيها منجنيق يرمى علينا وعلى خيمنا من جهة البحر فكنا منه فى شدة حتى اتفق فى بعض الليالى هبوب رياح قوية فارتفع المركب وانحط بسبب الموج وانكسر المنجنيق الذى فيه بحيث انه انحطم ولم ينصب بعد ذلك اه وبعد حروب يطول شرحها اشتدت مضايقة العساكر الاسلامية لعكا حتى فتحها الله تعالى عليهم وهرب جماعة من الفرنج فى المراكب ولما فتحت عكا وقع الرعب فى قلوب الفرنج الذين بساحل الشام فاخلوا صيدا وبيروت وتسلمها الشجاعى وكذلك هرب أهل صور فارسل السلطان وتسلمها ثم تسلم انطرطوس واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال وخلصت الشام والسواحل من يد الفرنج بعد أن كانوا قد أشرفوا على أخذ الديار المصرية ثم عاد السلطان الى مصر وفى سنة ٦٩١ هـ سار الملك الاشرف بالجيوش الى قلعة الروم ونازلها وهى حصن على جانب الفرات فى غاية الحصانة ثم فتحت بالسيف (١١ رجب) ثم عاد السلطان الى مصر بعد أن أعطى الملك المظفر الدستور وفى سنة ٦٩٢ هـ أرسل الملك الاشرف وأحضر الملك المظفر محمودا صاحب حماة وعم الملك الافضل على خيل البريد وأنعم عليهما وخرج السلطان على الهجن الى الكرك وجيوشه على طريق دمشق ورافقه صاحب حماة وعمه الى الكرك ثم سار ودخل دمشق وغيرها من بلاد الشام ونظم أحوالها وعاد الى مصر وفى محرم سنة ٦٩٣ هـ مات مقتولا قتله مماليك والده وهم بيدرا نائب السلطنة ولاجين الذى كان عزله عن نيابة السلطنة واعتقله وغيره من المماليك ولما قتل السلطان اتفق الجماعة الذين قتلوه على سلطنة بيدرا وتلقب بالملك القاهر وسار نحو قلعة الجبل ليملكها فاجتمعت مماليك الملك الاشرف وانضموا الى زين الدين كتبغا المنصورى وساروا فى اثر بيدرا فلحقوه على الطرانة واقتتلوا وانهزم بيدرا وأصحابه وتبعوا بيدرا وقتلوه ورفعوا رأسه على رمح واستتر لاجين وكان الاشرف رحمه الله من أجل الملوك اشتهر بالفتوحات وبالعمارات فانشأ قاعة الاشرفية بقلعة الجبل ومدرسة بالقرب من مزار السيدة نفيسة واليه ينسب الخان المشهور بخان الخليلى وخلفه أخوه محمد بن قلاوون

الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٢ - ٦٩٤ هـ - بعد أن حصل ما حصل من قتل بيدرا وصل زين الدين كتبغا والمماليك السلطانية الى قلعة الجبل وبها علم الدين سنجر الشجاعى نائبا فاتفقوا على سلطنة الملك الناصر بن المنصور فاجلسوه على سرير السلطنة فى يوم مشهود وتقرر أن يكون الامير زين الدين كتبغا المنصورى نائب السلطنة وعلم الدين سنجر وزيرا وركن الدين بيبرس البرجى الجاشنكير أستاذ الدار ثم تتبعوا الامراء الذين تعصبوا على الاشرف وقبضوا عليهم وضربت رقابهم وأحرقت جثثهم ثم حصلت وحشة بين الامير زين الدين كتبغا وبين علم الدين سنجر الشجاعى تم الامر فيها بقتل الشجاعى (٦٩٤ هـ) ولما خلا الجو لكتبغا طمع فى الملك فجعل الملك الناصر فى قاعة بقلعة الجبل وحجب عنه الناس ثم خلعه وولى مكانه ونفاه الى الكرك ولقب نفسه بالملك العادل وخطب له بمصر والشام وضربت السكة باسمه

العادل

العادل كتبغا ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ - لما بويع الملك العادل فى محرم من سنة ٦٩٤ جعل نائبه فى السلطنة حسام الدين لاچين المنصورى ثم أرسل وقبض على خشداشه عز الدين أيبك الخازندار وعزله عن الحصون والسواحل بالشام ثم أفرج عنه واستناب موضعه عز الدين أيبك الموصلى وفى سنة ٦٩٥ قدم من التتار عشرة آلاف نفس وافدين على بلاد الاسلام خوفا من غازان ملك تبريز من العائلة الايلخانية وكان مقدمهم رجل له طرغيه من أكبر أمراء المغول وكان متزوجا بابنة منكوتمر بن هولاكو الذى انكسر جيشه على حمص قال أبو الفداء يقال لهذه الطائفة الوافدين العويرانية وكان سبب قدومهم أن مقدمهم طرغيه هو الذى اتفق مع بيدو على قتل كيخنو بن ابغا فلما ملك غازان قصد الامساك على طرغيه وقتله أخذا بثار عمه كيخنو فهرب طرغيه وجماعته المذكورون بسبب ذلك ولما قدموا الى الاسلام أرسل الملك العادل كتبغا أميرا التقاهم وأكرمهم وأنزلهم بالساحل قرب قاقون وأدر عليهم الارزاق وأحضر كبراءهم عنده الى الديار المصرية وأعطاهم الاقطاعات الجليلة وواصلهم بالخلع وقدمهم على غيرهم اهـ ويقال ان العادل أنزلهم بالحسينية ورتب لهم الرواتب فاشتد التحاسد والتشاجر بين أهل الدولة والملك العادل وكان العادل سار الى الشام وأقام بدمشق يقرر أمرها وفى أول سنة ٦٩٦ سار من دمشق بالعساكر يقصد مصر فلما وصل الى نهر العرجا واستقر بدهليزه واستراحت مماليكه فى خيامهم ركب حسام الدين لاچين المنصورى النائب بسنجق ونقاره وانضم الى لاچين بدر الدين البيسرى وقره سنقر المنصورى وسيف الدين قبجاق المنصورى والحاج بهادر الظاهرى وغيرهم من الامراء المتفقين وقصدوا الملك العادل وبغتوه عند الظهر فى دهليزه بالمنزلة المذكورة فلم يمكنه أن يجمع أصحابه وركب فى نفر قليل فحمل عليه نائبه لاچين المذكور وقتل بكتوت الازرق وبتخاص وكانا أكبر مماليك العادل فولى العادل كتبغا هاربا راجعا الى دمشق وكان به مملوكه غرلو فقام معه يتأهب لقتال لاچين فلم يوافقه عسكر دمشق ولما رأى منهم التخاذل خلع نفسه عن السلطنة وقعد بقلعة دمشق وأرسل الى حسام الدين لاچين يطلب منه الامان فأعطاه صرخد

المنصور حسام الدين لاچين ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ - لما هزم العادل كتبغا على ما ذكرناه نزل حسام الدين لاچين بدهليزه على نهر العرجا واجتمع معه الامراء الذين وافقوه على الامر وشرطوا عليه شروطا فالتزمها منهم على أن لا ينفرد عنهم برأى ولا يسلط مماليكه عليهم كما فعل بهم كتبغا فاجابهم لاچين الى ذلك وأقسم لهم عليه وبعدئذ حلفوا له وبايعوه بالسلطنة ولقب بالملك المنصور وذلك فى محرم من السنة المذكورة ثم عاد الى مصر بجيوشه واستقر بقلعة الجبل وجعل سيف الدين قبجق المنصورى نائب السلطنة بالشام وأفرج عن الامراء الذين حبسهم العادل ومنهم بيبرس الجاشنكير وأخذ يرتب رجاله فى الوظائف ورد اقطاعات الاجناد اليهم وأخرجها بأسرها من دواوين الامراء وجعل للامراء والاخيار ١١ قيراطا وللجنود ٩ قراريط ولما أمر بتخفيض مرتب الامراء والاجناد الى عشرة قراريط تنكرت قلوب الاهالى منه وفى سنة ٦٧٩ هـ جرد الملك المنصور لاچين جيشا كثيفا من الديار المصرية مع بدر الدين بكتاش الفخرى المعروف بامير السلاح ومعه كثير من الامراء فساروا الى الشام ورسم بمسير عساكر الشام وساروا الى بلاد سيس من دربند مرى ومن

جهة بغراس من باب اسكندرونة واجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الغارات على بلادسيس وكسبوا وغنموا وفتحوا حموص وتل حمدون وكوبراوا النقير وحجر شغلان وسرفند كار ومرعش وهذه جميعها حصون منيعة وأمر الملك المنصور لاچين باستمرار عمارة هذه البلاد وكان ذلك من الآراء الفاسدة على ماسيظهر من عودة هذه البلاد الى الارمن عند دخول غازان البلاد وفي ١١ ربيع الثاني من سنة ٦٩٨ ﻫ مات المنصور لاچين مقتولا قتله كرجي وتوغان الكرماني من المماليك وهو قائم يصلي العشاء فصاح عليهم القاضي حسام الدين الرازي وكان هو وجماعة من العلماء عند السلطان قائلا ويلكم كيف تقتلون أستاذكم فلم يلتفت اقوله أحد ومات وعمره ٦٣ سنة وكان رحمه الله موصوفا بالفروسية شجاعا بطلا دينا أبطل كثيرا من المكوس وبقي كرسي السلطنة خاليا ٤١ يوما تمكن في خلالها سيف الدين طغجي من القبض على زمام السلطنة وتلقب بالملك القاهر ولم يحكم الا يوما واحدا ثم ذبحه المماليك واجتمع الامراء في القلعة وتداولوا فيمن يولونه فوقع الاتفاق منهم على عودة الملك الناصر محمد بن قلاون من الكرك

الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٨ - ٧٠٨ ﻫ - لما حصل ماذكرناه من قتل لاچين وقتل طغجي وقرر الامراء مبايعة الناصر ثانية أرسلوا سيف الدين آل ملك وعلم الدين الجاولي الى الكرك فأحضراه الى مصر فصعد الى قلعة الجبل واستقر على كرسي ملكه يوم السبت ١٤ جمادى الاولى من السنة المذكورة وهي سلطنته الثانية وعين الامراء سيف الدين سلار نائب السلطنة و بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار وفوض نيابة السلطنة بالشام الى جمال الدين آقوش الافرم وفي سنة ٦٩٩ ﻫ قصد غازان خان ملك التتار افتتاح سوريا فجهز الملك المظفر صاحب حماة الجيوش ولكنه مرض بعد ذلك ومات فوجه السلطان الناصر نيابة حماة الى قرسنقر فاستقر بها ثم سار الملك بالعساكر المصرية الى بلاد غزة بسبب حركة التتار ولم يمض القليل حتى حصلت واقعة عظيمة بين التتار والمسلمين انهزم فيها عساكر مصر وتبعهم التتار واستولوا على دمشق والقدس والكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين شيأ عظيما ثم بعد مسير غازان عن الشام خرجت الجيوش من مصر وخرج السلطان الى الصالحية ثم تقرر مسير العساكر المصرية الى الشام تحت امرة سلار و بيبرس الجاشنكير فسار المذكوران وبلغ التتار بدمشق فخافوا وساروا ومن وقتهم الى البلاد الشرقية وكان قبجق وبكتمر السلحدار والالبكي هربوا من معهم من دمشق والتحقوا بالسلطان ووصل سلار و بيبرس الجاشنكير الى دمشق وقررا أمور الشام ورتب في نيابة السلطنة بدمشق الامير جمال الدين أقوش الافرم على عادته وجعل قطلوبك في نيابة السلطنة بالساحل والحصون عوض سيف الدين كرد لانه استشهد في الواقعة ثم عاد التتار الى الشام فأخذ السلطان من غالب الاغنياء بمصر والشام ثلث أموالهم لاستخدام المقاتلة وبعد تجرد جيشا جرار المقاتلة غازان فالتقى معه في حمص (٧٠٠ ﻫ) وفيها جرد السلطان تجريدة تحت قيادة بدر الدين بكتاش أمير السلاح وأيبك الخازندار وأرسل معهما قوة أخرى من الشام فأغارت هذه الجنود على بلادسيس (٧٠١ ﻫ) فأحرقت الزرع ونهبت ماوجدت وعادت وفي سنة ٧٠٢ ﻫ فتحت جزيرة أرواد من يد الفرنج الذين كانوا متحصنين فيها وكانوا يقطعون الطريق على المسلمين المترددين على ذلك الساحل فطلب سيف الدين استدمر الكرجي ارسال الاسطول اليها فعمرت الشواني وسارت اليها وملكها وأسر وغنم مابها وعاد الى الديار المصرية

وفيها عاد التتار الى الشام فأرسل زين الدين كتبغا عساكره وبعد حروب يطول شرحها انتصر السلطان الناصر عليهم في واقعة مرج الصفر وولى التتار منهزمين مع قطلوشاه نائب غازان وهلك معظمهم في الفرات وكان ذلك وقت زيادته وفيها مات زين الدين كتبغا وتولى بعده سيف الدين قبجق نيابة حماة وفي سنة ٧٠٣ هـ توفي غازان ملك التتار بنواحي الري وخلفه أخوه خربندا ابن ارغون بن بغا بن هولاكو بن طلو بن جنكيزخان وفي سنة ٧٠٤ هـ وصل الى مصر ركب كبير من المغرب وصحبتهم رسول من أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني ملك المغرب ومعه هدية عظيمة من الخيول والبغال عددها ٥٠٠ رأس من الخيل العربية بالسروج واللجم المذهبة ووصل الى مصر صاحب دنقلا وهو زنجي أسود اسمه اياي ومعه هدايا كثيرة من الرقيق والهجن والابقار والنمور والشب والسنباذج وطلب نجدة من السلطان فجرد معه جماعة من العسكر تحت امرة طقطباي نائب السلطنة بقوص وفي سنة ٧٠٥ أرسل قره سنقر نائب حلب مع مملوكه قشتمر جيشا للاغارة على بلاد سيس فلم ينجح بل فشلت جنوده وفي سنة ٧٠٨ هـ أظهر السلطان الناصر أنه يقصد الحجاز وسافر الى الكرك ولما وصلها بعث جمال الدين أقوش نائبه بالكرك الى مصر يعلم الناس أن السلطان كره الاقامة بمصر لتغلب بيبرس وسلار عليه وفي ٢٥ رمضان وصل كتاب الناصر الى المماليك بمصر حاملا بتنازله ومفوضا لهم الامر في مبايعة من أرادوا فبايعوا الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير

المظفر ركن الدين بيبرس ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ لما بايع الامراء بيبرس تلقب بالملك المظفر وأرسل الى نواب السلطنة بالشام فحلفوا له عن آخرهم وكتب تقليد السلطان بالكرك ومنشورا بما عينه له من الاقطاع وأرسلهما اليه وملك الفرنج الاسبتارية جزيرة رودس وأخذوها من صاحب القسطنطينية وشكلوا فيها حكومة تعرف بحكومة الشفاليه أي الفرسان وقد اشتهروا بعدئذ بالتلصص في البحار وصعب بسبب ذلك على التجار الوصول في البحر الى هذه الجزيرة لمنع الاسبتارية لهم من الوصول الى بلاد الاسلام وفي أواخر هذه السنة قدم الفرنج بموافقة صاحب قبرص لغزو دمياط بحرا فاتفق الامراء في القاهرة على اصلاح جسر النيل الممتد من القاهرة الى دمياط لئلا يتعذر على الجنود الذهاب من القاهرة الى دمياط أيام الفيضان وقد كان وضع في شهر واحد وفي سنة ٧٠٩ هـ سار جماعة من المماليك من مصر مفارقين طاعة بيبرس الجاشنكير ووصلوا الى الكرك وأعلموا السلطان الناصر بما الناس عليه من طاعته ومحبته فأعاد السلطان خطبته بالكرك ووصلت اليه مكاتبات عسكر دمشق يستدعونه وأنهم باقون على طاعته وجاءته النداآت من كل جانب فسار بمن معه من الكرك وقصد دمشق ونزل بالقصر الابلق وأعاد فيها الخطبة لنفسه وأمن الناس ولما تكاملت العساكر سار بهم تاسع رمضان يقصد ديار مصر ولما بلغ بيبرس الجاشنكير ذلك جرد عسكرا وقصد الصالحية لمقاومة السلطان ولكن لما وصل السلطان الى غزة قدم له الطاعة معظم عسكر مصر ولما تحقق بيبرس ذلك خلع نفسه من السلطنة وأرسل مع ركن الدين بيبرس الداوداري يطلب من السلطان الامان فأجابه وأعطاه صهيون الا أنه هرب الى الصعيد أولا

الناصر بن قلاوون ٧٠٩ - ٧٤١ هـ - لما وصل السلطان الى قلعة الجبل واستقر على سرير ملكه في أول يوم من شوال وبعث من قبض على الملك المظفر الجاشنكير بقرب غزة وكان

يقصد المسير الى صهيون فاحضر مقيدا بالحديد فاعتقله بقلعة الجبل ثم قتل ثم قبض على سلار واحتاط على غالب موجوده لبيت المال وكان شيأ كثيرا (٧١٠ ﻫ) وفيها قلد السلطان الملك المؤيد اسمعيل أبا الفداء نيابة حماة والمعرة وبارين وقد أبطل السلطان عيد الشهيد الذى كان يفعله الاقباط زعما منهم أن النيل لا يزيد الا به وأبطل كثيرا من الضرائب الظالمة وفى سنة ٧١٥ ﻫ أرسل عسكرا ضخما من مصر ومن الشام وفتح ملطية من يد الارمن وكانت قاعدة الثغور وفى سنة ٧٢٠ ﻫ سارت عساكر من مصر والشام وحماة وحلب ودخلوا بلاد سيس ونازلوا قلعتها حتى بلغوا السور فغنموا غنائم كثيرة وفى سنة ٧٢٢ ﻫ توجهت العساكر المصرية حتى نازلوا اياس من بلاد سيس وحاصروها وملكوها بالسيف وفى سنة ٧٣٥ ﻫ غزا عسكر حلب بلاد سيس وضرب بوافى جهات أذنة وطرسوس وأحرقوا الزرع واستاقوا المواشى وعادوا بمائتين وأربعين أسيرا وكانت العساكر عشرة آلاف سوى من تبعهم وكانت وفاة الناصر يوم ١٢ ذى الحجة من سنة ٧٤١ ومدته الاخيرة ٣٢ سنة وأشهر ومات وله من العمر ٥٨ سنة ودفن داخل القبة التى أنشأها قلاوون بين القصرين وكان رحمه الله محبا للعمارة أنشأ مرصدا فى الميدان (٧٢٩ ﻫ) وغير ذلك من القصور والجسور والجوامع وخلفه ابنه المنصور

المنصور سيف الدين ابو بكر ٧٤١ - ٧٤٢ ﻫ - بويع له بالسلطنة بعد وفاة أبيه وعين قوصون أتابك العسكر وجعل الامير طشتمر المعروف بحمص أخضر دوادارا ثم دبت عقارب الفتن بين الامراء ثم الامر فيها ان قوصون الاتابكى طلع القلعة وقبض على الملك المنصور وأرسله الى السجن بمديرية قوص مع أخويه وهما الامير يوسف والامير رمضان ثم أرسل قوصون خبرا الى متولى أعمال قوص بأن يقتل المنصور فى معتقله فقتله فكانت أيام ملكه ٤٠ يوما وخلفه فى ملكه أخوه

الاشرف علاء الدين كجك ٧٤٢ ﻫ - لما ولى الملك بعد قتل أخيه كان عمره سبع سنين واستقر طغردمر نائب السلطنة ثم تمكن قوصون من نفى النائب المذكور الى دمياط ثم أخذ يعلم السلطان كيفية التوقيع على المراسيم والتأشير عليها وصار الامر جميعه بيد قوصون ثم قامت عصبة ضده فى الشام تمت بأن الامير ايدغمش تمكن من القبض على قوصون وأرسله الى ثغر الاسكندرية مقيدا ثم خلع الاشرف بعد خمسة شهور وأيام واعتقل الى أن مات فى دولة أخيه الكامل شعبان وخلفه أخوه

الناصر شهاب الدين احمد ٧٤٢ - ٧٤٣ ﻫ - لما بويع له كان متغيبا فى الكرك فاستقدم وأجلس على سرير الملك وكان أكبر اخوته ثم أمر بقتل سبعة من الامراء الذين كانوا فى سجن الاسكندرية ولذلك نفرت منه النفوس ولما قصد التوجه للكرك لتمضية فصل الشتاء فيها اتفقت الامراء على خلعه فخلعوه وولوا أخاه اسمعيل

الصالح علاء الدين ابو الفداء اسماعيل ٧٤٣ - ٧٤٦ ﻫ - بعدما بويع بالسلطنة بعد خلع أخيه عزل بعض الامراء ونصب غيرهم وسار فى الناس سيرة حسنة وبسط العدل وأكثر فى الرعية العطاء وعامل خاصكية أبيه بالمعروف وأرسل سنة ٧٤٥ ﻫ تجريدة الى الكرك وحاصر

اخاه

أخاه الناصر واستمر برسل التجدات فنفد المال فضرب مابقى عنده من السروج الذهب والكبابيش نقودا ثم اشتد الامر على الناصر فطلب الامان وسلم نفسه الى الجند فقيدوه وأرسلوا يعلمون الصالح فأمر بقتله فقطعوا رأسه وأرسلت الى القاهرة وفى خلالها عقدت مصر معاهدة تجارية مع جمهورية البنادقة (١٣٤٦ م) وكان دوجها وقتئذ يدعى مارينوفاليورو (Marino Falioro) فتح بها الملك الصالح الموانى المصرية لسفن الجمهورية المذكورة وصار بوجه للبنادقة قنصل يقيم فى ثغر الاسكندرية لتمكين الروابط التجارية بين مصر وبلاده ثم مرض السلطان وكانت وفاته فى ١١ ربيع الاول من سنة ٧٤٦ هـ وفى أيامه أغارت التركمان مرات عديدة على بلادسيس (٧٤٤ هـ) وخلفه أخوه شعبان

الكامل شعبان ٧٤٦ - ٧٤٧ هـ - لما بويع له بعد موت أخيه أخذ يعزل و يولى وينفى ويقتل فى الامراء ويصادرهم فكانت أعماله تخالف لقبه حتى تعصب عليه الامراء ثم هم أن يقتل أخويه حاجى وحسين فلم يمكنه خدام باب الدهيشة من ذلك فعاد الى بيت أمه خائفا واختفى فيه ولكن الامراء جدوا فى طلبه ثم قبضوا عليه وسجنوه فى الدهيشة ثلاثة أيام ثم قتلوه يوم ٣ جمادى الثانية من سنة ٧٤٧ هـ ويقال ان أمه كانت رومية ثم بايعوا أخاه حاجى

المظفر حاجى ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ - لما تمت له البيعة بعد قتل أخيه الكامل قبض على كثير من الامراء وسجنهم بثغر الاسكندرية وقتل بعضهم ونصب غيرهم وأنعم عليهم وكان المظفر هذا مولعا بالطيور محبا لصنوفها حتى اشتغل بذلك عن تدبير الملك قال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى ترجمة الملك المظفر حاجى انه جعل السطح داره والشمس سراجه والبرج مناره وأطاع سلطان هواه وخالف من نهاه اه ولما استخف بالامراء تغيرت عليه خواطرهم وخرجوا عليه وقامت بينه وبينهم الحرب فانهزمت فيها مماليك السلطان وقبضوا عليه وخنقوه ثم اتفقوا على تولية أخيه حسن

الناصر أبى المحاسن حسن ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ بويع له بعد قتل أخيه حاجى وله من العمر ثلاث عشرة سنة وكان اسمه أولا سيدى قارى لحسنه ثم خلع الخلع على الامراء وفرق الاقطاعات على المماليك السلطانية ونصب البعض فى الوظائف الخالية وفى سنة ٧٤٩ هـ وقع الفناء بمصر وغلت الاسعار وذكر ذلك ابن حجر فى كتابه المسمى بذل الماعون فى أخبار الطاعون وفى سنة ٧٥١ هـ جرد السلطان تجريدة حاصر بها هندو التترى الذى أغار على سنجار فطلب هندو الامان فأمنه وأعيد اليها النائب السلطانى و بعد أيام قبض الناصر على جماعة من الامراء وسجنهم بثغر الاسكندرية فتعصب عليه الامراء باغراء الامير طاز وقبضوا عليه وسجنوه بالقلعة وخلعوه وولوا بعده أخاه صالحا

صلاح الدين صالح ٧٥٢ - ٧٥٥ هـ - بويع له بعد خلع أخيه الناصر ولما جلس على كرسى السلطنة استبد الامير طاز بالامر وصار صاحب الحل والعقد بالمملكة فاجتمعت فيه الكلمة حتى صار السلطان بالاسم فقط فتعصب الامراء عند ذلك على الامير طاز باغراء الامير بغا الفخرى وغيره وقامت نيران الفتن وحصلت حروب داخلية انهزم فيها الثوار وقبض السلطان على رؤساء الفتنة وسجنهم بالاسكندرية وأفرج عن الامير شيخو من سجنه وقربه اليه وفى سنة ٧٥٤ هـ مات الخليفة العباسى الحاكم بأمر الله وخلفه عمه المعتضد بالله وفى سنة ٧٥٥ تعصب الامير شيخو

عبد الهادى محمد احمد ضرابه

بكالوريوس تجارة

بنك مصر



العمرى مع جماعة من الامراء على السلطان وخلعوه وسجنوه وأزالوا ملكه بدسيسة أخيه الناصر وكان الصالح حسن السيرة عادلا ساس الرعية فى أيامه القصيرة أحسن سياسة وكان تقيا صالحا واتفق الامراء على اعادة الملك الناصر

الناصر حسن ٧٥٥ – ٧٦٢ هـ – لما خلع الصالح أخرجوا الناصر من سجنه وبايعوه مرة ثانية بحضور الشيخ جمال الدين بن نباتة ومن وقتئذ صار الامير شيخو والامير صرغتمش صاحبى الحل والعقد فى المملكة وفى سنة ٧٥٦ هـ أنشأ شيخو جامعا وخانقاه بالصليبة وغير ذلك من المبانى وحبس عليها الحبوس وفى سنة ٧٥٧ ابتدأ فى بناء مدرسته الشهيرة العجيبة قال ابن إياس فى تاريخه ان ايوانها بنى على قدر ايوان كسرى أنوشروان فى الطول والعرض اهـ ولما كملت نزل السلطان وصلى بها الجمعة وخلع على العمال الخلع السنية وبينما كانوا يحفرون أساسها اذ وجدوا مرساة مركب وهذا مما يثبت مرور النيل بتلك الجهة قديما وفى سنة ٧٥٨ هـ مات شيخو مقتولا ودفن فى خانقاه بالصليبة وكان أميرا دينا كثير العطايا والناصر حسن هو الذى أبطل عيد الشهيد الذى كان يفعله الأقباط وهدم كنيستهم التى بناحية شبرى الخيمة وحرق اصبع الشهيد الذى كان محفوظا بها فى صندوق وكانوا يعتقدون ويعتقد معهم جهلة المسلمين أن النيل لا يصعد الا اذا غسل فيه ذلك الاصبع وكان يحصل أيام ذلك العيد من المفاسد والفجور ما لا يجيزه شرع ولا يبيحه دين وتوفى السلطان الناصر قتيلا يوم ١٢ جمادى الاولى من سنة ٧٦٢ هـ ويقال ان قتله كان بمكيدة من الامير يلبغا وكان رحمه الله بطلا مقداما شجاعا محبا للرعية وخلف من الاولاد عشرة ذكور وخلفه فى الملك ابن أخيه المنصور محمد

المنصور محمد بن المظفر ٧٦٢ – ٧٦٤ هـ – تولى الملك وعمره أربع عشرة سنة وقام له الامير قشتمر المنصورى بنيابة السلطنة والامير يلبغا العمرى أتابك العسكر بتدبير أمور المملكة وأخرج السلطان من كان مسجونا من الامراء بالاسكندرية وأظهر الامير بيدمر الخوارزمى نائب الشام العصيان بعد عودته من غزو بلاد الارمن وفتح أذنة وطرسوس والمصيصة وغيرها فتوجه السلطان بالجيوش الى الشام ثم قبض على الخوارزمى وسجنه وعاد ظافرا وتوفى الخليفة المعتضد بالله واستقر مكانه ولده المتوكل على الله أبو عبد الله محمد وفى سنة ٧٦٤ هـ قبض الاتابكى يلبغا على السلطان المنصور وخلعه وولى مكانه ابن عمه شعبان بن حسن

الاشرف زين الدين شعبان ٧٦٤ – ٧٧٨ هـ – بويع له وسنه اثنتا عشرة سنة وأقر الامراء فى مناصبهم وفى سنة ٧٦٧ سطت مراكب صاحب قبرص على ثغر الاسكندرية وكانت سبعين سفينة حربية مشحونة بالمقاتلين فطرقوا المدينة وخرج نائب الاسكندرية مع جماعة من أهل البحيرة لمحاربتهم وبعد واقعة عظيمة بظاهر باب البحر انهزم النائب فدخل الفرنج المدينة ونهبوها ثم رحلوا عنها وعند ذلك صدرت المراسيم السلطانية بانشاء مائة غراب من المراكب الحربية وبعد اتمامها استعرضها السلطان فى يوم مشهود وعين للاسكندرية الامير بكتمر الشريف أحد مقدمى الالوف نائبا وتوجه اليها بمجموعه فزاد شأنها وكان الرئيس على الاساطيل شخص يدعى محمد لبطه وفى سنة ٧٦٩ هـ اتفق صاحب قبرص وصاحب رودس رئيس طائفة الاسبتارية على منازلة

طرابلس

طرابلس فجاؤا اليها في مائتي مركب حربية وبعد حروب تمكن الفرنج من المدينة ونهبوا أسواقها وقتلوا بها جماعة من المسلمين وحضرت عساكر البلاد وحاربوهم فانكسروا كسرة قوية حتى اضطروا لترك ساحل طرابلس وفي سنة ٧٧٥ ﻫ أصيبت مصر وسوريا بقحط شحت فيه الغلال وخرج السلطان والعلماء والصلحاء والخفراء الى راوقبة النصر وخطب هناك القاضي شمس الدين ابن القسطلاني خطبة الاستسقاء واستمر الامر على ذلك نحو سنة ثم قامت حروب داخلية قصد بها بعض الامراء الايقاع بالسلطان وبعد وقائع يطول شرحها قبضوا عليه وقتلوه خنقا في ٣ ذي القعدة من سنة ٧٧٨ ﻫ وخلفه علي بن شعبان

المنصور علي بن الاشرف شعبان ٧٧٨ - ٧٨٣ ﻫ - لما تولى الملك كان سنه سبع سنوات وأول من بايع له الخليفة المتوكل على الله ثم الامراء وبعد أن لبس الخلعة الملوكية في باب السر قصد الايوان وبين يديه القبة والطير على رأسه وجلس على سرير الملك ساعة ثم دخل القصر الكبير ومد السماط حسب العادة المتبعة وحينئذ أقر من أقره ونصب من نصبه من الامراء ثم حصلت أمور يطول شرحها بين الامراء اضطر فيها الامير اقتمر الحنبلي نائب السلطنة بالتخلي عن وظيفته وتوجه الى الشام واستقر فيها نائبا ونال الاتابكي أينبك البدري منزلة عظيمة لدى السلطان حتى صار يتصرف في أمور المملكة كما يشاء وبعد قليل هاجت العسكر عليه فهرب وحصلت فتنة بين الامراء فاز فيها الامير برقوق العثماني فأقره السلطان أتابكا للعساكر بمصر وكانت نيران الحروب الداخلية لا تنطفئ بمصر وعصت عربان البحيرة وهجموا على دمنهور ونهبوها وكان كبيرهم يسمى بدر بن سلام فأرسل الاتابكي برقوق عليهم قوة مع ثمانية من الامراء المقدمين فبددوا شمل العربان وهرب زعيمهم وعادوا منصورين (٧٨١ ﻫ) ولكن في السنة التي بعدها عادت العربان بجموعهم ونهبوا البلاد فخرج اليهم الشعباني أمير السلاح مع خمسمائة مملوك فكسروه ولما وصل نائب الاسكندرية بجيشه هزمهم وهربوا الى برقة وفي سنة ٧٨٣ ﻫ ظهر الوباء بمصر ووقع بسببه الغلاء وكانت وفاة الملك المنصور يوم ١٣ صفر (٧٨٣ ﻫ) وكان رحمه الله جميل الصورة حسن الشكل قليل الاذى مات وله من العمر اثنتا عشرة سنة وخلفه أخوه حاجي

الصالح حاجي بن الاشرف شعبان ٧٨٣ - ٧٨٤ ﻫ لما بويع له كان عمره لا يتجاوز الست سنوات وأجريت له الاحتفالات المعتادة وكان الاتابكي برقوق هو الذي يحمل أثناءها القبة والطير على رأس الملك وفي أول حكمه ثارت عربان بلاد البحيرة ونهبوا البلاد فجرد عليهم برقوق ستة أمراء وخمسمائة مملوك فحاربوهم حتى شتتوا شملهم وغنموا منهم غنائم وافرة ثم اتفق ان الشيخ الصفوي أبلغ الاتابكي برقوق خبر اتفاق بعض المماليك على قتله فعزم برقوق من وقتئذ على اظهار مقصده فجمع الخليفة المتوكل على الله والقضاة وأخبرهم بالحالة التعيسة التي وصلت اليها البلاد واختلال الامن ورحيل السكان من المظالم والتعديات وانه اذا لم تسلم البلاد لسلطان قوي ذي بطش ساءت الحالة أكثر مما هي وعم الاضطراب وبعد أن تداول المذكورون في الامر طويلا قرروا خلع الملك الصالح ومبايعة الاتابكي برقوق وتم الامر بادخال الصالح الى دور الحرم مع اخوته بعد أن حكم سنة وسبعة شهور ومن يومئذ قامت دولة المماليك الثانية

(الفصل الرابع عشر)

(دولة المماليك الثانية المعروفة بالجراكسة)

٧٨٤ - ٩٢٣ هـ

اختلف المؤرخون فى أصل الجراكسة فمنهم من قال انهم من شعوب أواسط آسيا زحفوا الى البقعة الشمالية الغربية من بحر قزوين واستوطنوا فيها وينسب اليهم كثير من شعوب أوروبا ومنهم من قال انهم من قبائل سيبريا ونواحى بحيرة بيكال هاجروا منها فى القرن السادس الميلادى واستوطنوا فى الجبال الكائنة غربى بحر قزوين ومنهم من قال انهم من أصل عربى جدهم جبلة ابن الايهم بن الحارث بن أبى شمر الغسانى الذى ارتد الى النصرانية وهرب من قصاص عمر بن الخطاب الى القسطنطينية وتزوج بها وكثر نسله وصار منهم قبائل استوطنوا فى البقعة الواقعة غربى بحر الخزر بجهات قبرطاى وفى الجبال الكائنة بجنوب نهر ترك وعلى ساحل بحيرة قوبان وفساد هذا القول الاخير ظاهر لكل من وقف على علم التاريخ وأما كون بعض العلماء ألف فى ذلك تأليف يقصد بها نسبتهم الى العرب فهو من باب المداهنة والتملق قصد نوال مطمع أو حاجة اذ لم يقل أحد من العلماء الذين يعتد بأقوالهم بهذا القول وقد اشتهرت هذه الامة بالشجاعة وجمال الصورة ومعاضدة بعضهم بعضا واشتهر كثير من أمرائهم بمحامد الاخلاق والصلاح والفروسية وقد اقتنى منهم سلاطين مصر عددا وافرا وكانوا يستخدمونهم فى مصالح الدولة فارتقوا فيها لذكائهم وشهامتهم وأمانتهم حتى صارت اليهم حماية البلاد وصاروا يسكنون الحصون والقلاع وما زالوا يزدادون عددا وقوة حتى تمكن برقوق المذكور بواسطتهم من خلع الملك الصالح واستلام مقاليد السلطنة كما تقدم وهو أول ملوك الجراكسة بمصر

الظاهر سيف الدين برقوق ٧٨٤ - ٧٩١ هـ — لما بويع له بالسلطنة باقرار الخليفة العباسى المتوكل على الله لقب بالملك الظاهر ثم أقر من أقره وقرب من أحبه من الامراء وفى سنة ٧٨٨ هـ بلغه أن الخليفة المتوكل يؤلب الناس على خلعه من السلطنة فجمع برقوق المشايخ والائمة والعلماء وقرر معهم خلع الخليفة فخلعه وحبسه فى القلعة ونصب بدله فى الخلافة عمرا ولقبه الواثق بالله ولكن لم تطل أيامه فمات سنة ٧٩١ هـ فنصب مكانه أخاه زكريا ابراهيم وظهرت الفتن وامتد الاضطراب حتى خاف السلطان على نفسه فأمر نائب القلعة بأن يضيق على الخليفة المتوكل ثم استفحلت الفتنة فى الشام فأرسل السلطان الامير تمربغا الفخارى ليستطلع أخبار يلبغا الناصرى ولما سار بجيشه قبض الامير حسام الدين بن باكيش نائب غزة على طوالع جيشه وسجنهم وفى خلال ذلك أساء الخليفة أبو زكريا ابراهيم السيرة فخلعه السلطان وأعاد المتوكل على الله وخلع عليه الخلع وكان يلبغا الناصرى وصل بجيوشه من الشام الى الصالحية فاضطربت الاحوال وانسحبت جيوش الملك الظاهر التى أرسلها الصده فاضطر السلطان أن يخرج بنفسه الى المطرية ولما وصل اليها بجموعه أخذ بعض المماليك يهرب ويلحق بيلبغا الناصرى فعاد السلطان الى القلعة ليحتمى بها وجهز الجنود وحصلت حروب طويلة بين الطرفين انتهت بانهزام الظاهر وفوز الامير يلبغا ثم أقر الخليفة

ويلبغا

ويلبغا ومعهما الامراء على خلع برقوق ومبايعة الملك الصالح حاجى آخر ملوك المماليك البحرية ونفى برقوق الى الكرك فتم لهم الامر وبايع الناس الملك الصالح

الصالح حاجى ٧٩١ - ٧٩٢ هـ - لما جلس الصالح ثانية على سرير الملك تلقب بالملك المنصور وكانت الفتن لم تخمد تماما لانه بعد جلوس هذا السلطان بقليل قامت الفتن بين الامراء وهرب جماعة منهم الى الكرك واتفقوا على الظاهر برقوق وحرضوه على نوال السلطنة فخرج بجموعه الى الشام والتف حوله خلق كثير ثم تقدم وحصلت بينه وبين عساكر الشام جملة حروب كان الفوز في جميعها لبرقوق ولم تمض سنة ٧٩١ حتى انضم معظم عساكر الملك المنصور الى الملك الظاهر برقوق فاضطربت الاحوال بمصر وأخيرا اجتمع المتوكل ومنطاش والامراء على خلع المنصور واعادة الملك الظاهر برقوق فدخل مصر يوم ٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ

الظاهر برقوق ٧٩٢ - ٨٠١ هـ - لما عاد الى السلطنة جدد له الخليفة المتوكل على الله المبايعة وتبعه الامراء والعلماء والاعيان وأخذ يدبر المملكة فأقر من أقره وعزل من عزله وسجن من سجنه ثم ختم ذلك بقتل الملك المنصور حاجى وبعض رجال حزبه منعا للدسائس فوطد بذلك الامن في أنحاء البلاد وفي خلال ذلك استفحل أمر تيمورلنك ونازل بغداد سنة ٧٩٥ هـ وامتلكها من نائبها السلطان أحمد بن أويس الذى قدم الى مصر مستنصرا بالظاهر برقوق فقابله الظاهر بالاكرام في ربيع أول سنة ٧٩٦ وأخذ يجهز الجيوش لمساعدته ثم خرج بها الى الشام واستصحب معه السلطان أحمد بن أويس ثم بعث جيشا مع السلطان أحمد يساعده على فتح بغداد فتم له ذلك وضرب السكة باسم السلطان برقوق وخطب له وبقى برقوق بجموعه في الشام مترقبا قتال تيمورلنك وفي أثناء ذلك ورد عليه مكتوب تيمورلنك يهدده فيه ويتوعده بالذل والهوان وكان تيمورلنك طلب من برقوق قبل ذلك أن يسلمه قره يوسف أمير الدولة المادية وكان هرب من وجه تيمورلنك والتجأ الى مصر فلما قرأ برقوق كتاب تيمورلنك غضب غضبا شديدا وجاوبه بجواب شديد العبارة من انشاء ابن فضل الله العمرى فلم يتجرأ تيمور على الاقدام لامتلاك مصر بل رجع الى بلاد خراسان لظهور فتنة هناك وكانت وفاة السلطان برقوق بداء الصرع ليلة الجمعة ١٥ شوال سنة ٨٠١ هـ وكان أوصى بالملك بعده الى أولاده بالتوالى ومات وله من العمر ٦٣ سنة وكان رحمه الله عادلا كريما أبطل كثيرا من المكوس محبا للعمارة شيد كثيرا من المبانى منها مدرسة سميت بالظاهرية وجامعه المعروف باسمه للآن في شارع النحاسين وجدد بناء خزائن السلاح بثغر الاسكندرية والجراة التى تجرى من النيل الى قلعة الجبل وهو أول من سعى في مهادنة العثمانيين فكتب الى السلطان يلدرم بايزيد المحررات الودية وبعثها مع أحد الامراء الى قونيه وخلفه في ملك مصر ابنه فرج

الناصر زين الدين فرج ٨٠١ - ٨٠٨ هـ - لما مات برقوق أجلسوا ابنه فرجا كما عهد اليه قبل موته وبايعه الخليفة المتوكل على الله والامراء كالعادة ثم خلع على الامراء وأقر منهم البعض وقبض على البعض وسجنهم بالاسكندرية بسبب الفتن التى قاموا بها وهرب بعضهم الى الشام منهم الاتابكى ايتمش وكان الامير تنم نائب الشام خرج عن الطاعة فقاد الناصر جيشا وحاربه وكسره وقبض على كثير من الامراء الذين اتفقوا عليه وحبسهم بقلعة دمشق منهم ايتمش البجاسى وتغرى بردى وقبغا اللكاشى ويبقجا طيفور وارغون شاه البيدمرى وغيرهم وفي سنة ٨٠٣ هـ أغار تيمورلنك

بجيوشه يقصد الشام ففتح فى طريقه سيواس من يد السلطان بايزيد خان العثمانى واستولى على ملطية وحلب وحمص من أملاك مصر فخرج الملك الناصر بالجيوش الى الشام ولما قصد تيمورلنك دمشق وكان الناصر فرج جاء لحمايتها ومعه الخليفة العباسى لم يقم بها لما قرب تيمور بل تركها وتوجه الى قبة يلبغا ثم خاف وارتحل منها أيضا الى مصر وأخذ يستعد للدفاع عنها ثم وردت الاخبار بانهزام جيوش بايزيد فى انقره وأسره (٨٠٤ هـ) فاضطربت أحوال الناصر ومال الى التزلف لتيمورلنك وعقد معه مصالحة وحصلت بينهما مودة ومهاداة فأرسل تيمور الى الناصر سلطان مصر هدية وفيلا وأمر الناصر فاعتقل كلا من السلطان أحمد بن أويس وقره يوسف حسب طلب تيمور بعد أن هربا من بغداد عندما أخذها تيمورلنك ثانى مرة (٨٠٦ هـ) وفى سنة ٨٠٧ هـ كان هلاك تيمورلنك بمدينة أُترار الواقعة على نهر سيحون وحملوه الى سمرقند ودفنوه بها وتملك بعده حفيده خليل بن أميرشاه بن تيمور ومكث قليلا وهلك وتفرق ملكهم بأيدى المتغلبين فتغلب على بغداد ملوك من التركمان الى أن انتزعها منهم الشاه اسماعيل الصفوى (٩٠٦ هـ) ولما مات تيمور اغتنم الناصر فرج الفرصة فأفرج عن السلطان أحمد بن أويس وقره يوسف وأخذ يتأهب لاسترجاع الشام وكانت النفوس متغيرة على الناصر من يوم خضوعه لتيمورلنك من غير قتال وفى سنة ٨٠٨ هـ أطلق الامير داش نائب حلب الامير جكم العوضى من السجن مع باقى الامراء وتعصب عليه الامراء بمصر فاضطربت أحوال الناصر ونزل من القلعة متنكرا ولما بلغ القائمين عليه ذلك خلعوه ونصبوا مكانه أخاه عبد العزيز (١٦ ربيع الاول ٨٠٨ هـ)

المنصور عز الدين عبد العزيز ٨٠٨ هـ – بويع له بعد خلع أخيه وصار الاتابكى بيبرس صاحب الحل والعقد بالمملكة فانخفض بذلك نفوذ المقر السيفى يشبك الشعبانى فتمنى عودة الملك الناصر فرج فشكا ذلك الى المقر السعدى ابن غراب فى خلوة فقال له ابن غراب لا تهتم فى هذا الامر لان الملك الناصر عندى مختف ففرح يشبك ثم أخذ الاثنان فى أسباب تمليك الناصر الى أن أظهروه فاضطربت الاحوال وقام حرب بين رجال الحزبين انتصر فيها حزب الناصر وخلع عبد العزيز بعد سلطنته بشهرين ونصف وعاد أخوه الناصر الى تخته ثانية

الناصر فرج ٨٠٨ – ٨١٥ هـ – لما عاد الى كرسى السلطنة قبض على الاتابكى بيبرس واعتقله بسجن الاسكندرية ثم أقر من أقر من الامراء وأنعم على بعضهم بالعطايا ولم تمض أيام حتى مات الخليفة محمد المتوكل على الله فخلفه ابنه العباس فى الخلافة ولقب بالمستعين بالله ثم جرد الناصر الجيوش وغزا دمشق وافتتحها وفتح كثيرا من بلاد الشام واعتنى بالاصلاحات الداخلية فساد الامن فى أطراف البلاد ووقع الطاعون بالقاهرة سنة ٨١٣ هـ وكانت الفتن بين الامراء لا تنقطع والناصر يقبض على مماليك أبيه وينفى منهم ويقتل بقصد اطفاء نار تلك الثورات فنفرت قلوبهم منه فتحصبوا الى الشام والتحقوا بنوروز الحافظى والشيخ محمود أميرى دمشق وأعمالها وكانا خلعا طاعة الناصر فخرج الناصر يقود جيشا بنفسه ودخل الشام وحاربهما فانهزما وكان بين الامراء العاصين وبين الخليفة المستعين بالله العباسى تواطؤ على خلع الناصر وجلوس الخليفة ليعيد للعباسيين السلطة السياسية وبمجرد انهزام الناصر قرر الخليفة بخلعه ونادى بنفسه سلطانا وخليفة لنسبه ومنزلته

٨١٥)

(٨١٥ هـ) ولما وصل الناصر مهزوما الى تربة تم قبض عليه وسجن بدمشق ثم أثبتوا عليه الكفر بحكم الخليفة وقتلوه داخل البرج ودفن بمقبرة باب الفراديس بدمشق وكان الناصر فرج شجاعا مقداما كريما غير أنه كان سفاكا للدماء وكان محبا لتشييد المبانى فأنشأ المدرسة التى بباب زويلة وعمر الجامع الذى بحوش القلعة الداخلى وجدد أشياء كثيرة غير ذلك

الخليفة العباسى المستعين بالله ٨١٥ هـ – لما قتل الناصر بويع المستعين بالله بالسلطنة ولم يتفق لخليفة قبله من بنى العباس من عهد قيام خلافتهم بمصر انه تسلطن فأقر نوروز الحافظى نائبا على الشام بأجمعها وجعل الشيخ محمودا أتابكا على العساكر المصرية وكان ذلك بدمشق ثم سافر الخليفة الى مصر ودخلها بموكب حافل وبعد أن استقر فى القلعة أياما قلائل أخذ يهتم باصلاح الاحوال وتنظيم أمور المملكة لينال ثقة الرعية ومحبتهم ولكن لما كان الشيخ محمود يقصد بثورته التى قام بها مع شركائه على الملك الناصر خدمة أغراضه الذاتية بدا له أن يتسلطن فأخذ من وقته يترقب الفرص لخلع الخليفة العباسى من كرسى السلطنة وصار يقرب الامراء ويظهر لهم ضعف الخليفة وأنه أجنبى عنهم ثم جعله الخليفة نائبا للملك لما أحس بذلك ومع ذلك لم يتحول عن مقصده بل بعد أيام قلائل اتفق مع القضاة وكتب محضرا بلزوم اقامة سلطان تركى له سطوة ليقمع أهل الفساد وكانت العرب ثائرة فى مديريتى الشرقية والغربية وقتئذ وكثر منهم الفساد فى البر والبحر فأجمعوا على خلع المستعين بالله من السلطنة وبقائه خليفة فقط وبايعوا الاتابكى الشيخ محمود وفى الحال سجن الخليفة فى بعض غرف القصر

المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى ٨١٥ – ٨٢٤ هـ – لما جلس على سرير السلطنة أجريت له الرسوم المعتادة ولقب بالملك المؤيد ثم خلع المستعين بالله من الخلافة وولى مكانه أخاه داود ولقب بالمعتضد بالله ثم قبض السلطان على بعض الامراء وسجنهم وأنعم على غيرهم ممن حضروا معه من الشام بالوظائف وأرضى الجند بالاقطاعات ولما بلغ نوروز الحافظى نائب الشام خبر خلع الخليفة حنق وأظهر العصيان بدعوى ان الشيخ خان الايمان والعهود فجرد شيخ الجيوش عليه سنة ٨١٦ هـ وحاصروه بدمشق حتى اضطروه الى التسليم وقطع رأسه وبعث بها الى القاهرة ثم عاد العسكر ظافرا بعد ان وطد أحوال الشام وفى أيام الملك المؤيد هذا وقع الطاعون بمصر سنتين اشتد فيهما الغلاء (٨٢١ هـ) وكان محبا للعمارة فشيد جامعه الشهير بالمؤيد بباب زويلة وأكمل عمارته سنة ٨٢٢ وأوقف عليه الحبوس وفى هذه السنة وردت عليه محررات من السلطان محمد خان بن يلدرم بايزيد تؤيد وتجدد الصلات القديمة والمحبة والارتباط الذى بين ملوك آل عثمان وبين سلاطين الدولة المصرية (١)

(١) من السلطان محمد خان غازى الى عزيز مصر أبو النصر الشيخ المحمودى تيمنا بذكر العزيز العلام الذى يبقى وجهه ذو الجلال والاكرام مد الله تعالى أطناب خيام دولة السلطانى الامامى الهمامى الاعظمى الاكرمى الاعلى الاعدلى الانجعى الكاملى الكافلى المكملى المشيدى المنعمى الارفعى الاوسعى الجليلى الجميلى المعظمى المخمى الزعيمى الكريمى المرابطى المثاغرى الاولوى الاعلوى سلك الملوك فى العالم أسوة الحكام بين الامم معين الاسلام والمسلمين غوث الملهوفين وغياث المظلومين ظهير الاقيال والخواقين قهرمان الماء والطين حامى سكان الحرمين الشريفين قائد حجاج الصفا والمروتين المخصوص بمحض اللطف الودودى عضد الملك والدين أبو النصر الشيخ المحمودى خلد الله تعالى أيام سلطنته واقباله وأدام أعوام عزه واجلاله ما دام الفلك وسبح السمك وبعد فلما كان مراسم المحبة بيننا مشيدة

ولما وصل جواب الملك المؤيد اتفق موت السلطان محمد وفى سنة ٨٢٤ اشتد المرض بالملك المؤيد حتى ألزمه الفراش فمات فى ٩ محرم ودفن فى جامعه المذكور وكان رحمه الله عاقلا عارفا بأحوال المملكة مقداما فى الحروب محبا للعلماء أبطل كثيرا من المكوس وكان كثير العطايا للفقراء والصلحاء ميالا الى الطرب والملاهى عالما بفن الموسيقى محبا للعمران وخلفه فى الملك ابنه أحمد

المظفر احمد والظاهر سيف الدين والصالح ناصر الدين ٨٢٤ - ٨٢٥ هـ - تسلطن أحمد بعد موت أبيه وله من العمر سنة وثمانية أشهر وأيام وذلك بتعصب مماليك أبيه ولكن بعد عودة التجريدة من الشام عارض الخليفة فى مبايعته لصغر سنه خوفا على البلاد ثم عظمت شوكة سيف الدين أبى سعيد ططر بعد ظفره على الاتابكى الطنبغا نائب الشام وغيره من الامراء وخلع الملك المظفر وتسلطن هو بالشام ولقب بالملك الظاهر وطلق خوند سعادات أم الملك المظفر وكانت دست اليه السم لما خلع ابنها فرض لوقته ودخل مصر وهو عليل فلم تطل أيامه فمات بعد ثلاثة أشهر وخلفه ابنه ناصر الدين محمد ططر وله من العمر احدى عشرة سنة تقريبا ولقب بالملك الصالح وتمكن الامير برسباى الدوادار من الامور وصار صاحب الحل والعقد وأخيرا تعصب له جماعة من الامراء وخلعوا الملك الصالح وبايعوا برسباى بعد ثلاثة أشهر ونصف وحبس الصالح فى دور الحرم وكان برسباى هذا جركسى الاصل

كبنيان مرصوص وثابتة بالآيات والنصوص لزم علينا تجديد المصادقة القديمة وتمهيد المخالصة المستقيمة فالمحب المخلص غب ابلاغ الدعوات الخالصات المستجابة واثر اهداء المدحات الوافيات المستطابة الصادرة عن خلوص الوداد وخصوص الاعتقاد يبدى الى علمه الكريم علم التكريم لازال محفوفا بما يسر من المطالب العالية البهية والمقاصد الرفيعة السنية ان هذا المحب المخلص منعه الاشتغال بدفع أعداء الله تعالى القاصدين لتخريب بلاد الاسلام وقتل المسلمين وقهرهم عن ارسال الرسل وابداء الاشواق ورفع الواقعات والآن لما وقع الفراغ بعون الله تعالى وفضله وبركات رسول الله صلى الله عليه وسلم من قهرهم واستئصالهم وتدميرهم وتخريب بلادهم وقتل أمرائهم وصناديدهم وأخذ حصونهم أراد تحريك سلسلة المحبة والاخلاص وابداء ما رسخ فى القلب من المودة والاختصاص ووقع ما وقع بفضل الله تعالى من الفتح وارتفاع اعلام الدين وتدمير أعداء رب العالمين الى العلم الكريم لينشرح به القلب الكريم الذى قصد مدى الايام اعلاء كلمة الله تعالى ونصر أوليائه وقهر أعدائه وكفى بذلك فخرا وذخرا جهز الامير الخطير افتخار الامراء العظام ينبوع الالطاف والمكارم معدن المآثر والمفاخر عين الملوك العظام افتخار الحجاج والمعتمرين الحاج خير الدين خليل بك أدام الله تعالى عزه لينوب عن هذا المحب فى اعلام ما فى ضميره من فرط المحبة وصدق النية وخلوص الاعتقاد وصدق الطوية ويبدى أن الاخلاص الموروث الذى لهذا المحب ارث من آبائه لخدمته الشريفة على الزائد بتعاقب الليالى والايام وتكرر الشهور والاعوام شامخة البنيان راسخة الاركان لا يمكن أن يستنشق مشام مهارائحة الزلل أو يخلط مباسمها شائبة الخلل وحملنا من المشافهات ليرفعها الى المسامع الكريمة لازالت محفوفة بالسلامة والكرامة فالمأمول من اللطف التام والكرم العام الاصغاء اليها على عادته الحسنة البهية وسيرته الكريمة المرضية والمسؤل من شيم الجناب المنيف أن يشرف هذا المحب المخلص أحيانا بشرفاته الكريمة المشرفة وكتبه المجللات المبجلة وينبه باخباره السارة الدالة على انتظام أمور الدولة المظفرية القاهرة لازالت منصورة الاعلام ناصرة لدين الاسلام ليكون سببا للبهجة وانشراح الخواطر وان يعلم بسوانح المهمات التى فى وسع هذا المحب اتمامها ليجد فيها مباهيا ويهتم بها كل الاهتمام ان شاء الله تعالى وأن يمكن التجار والقوافل القاصدين للبلاد من الورود حسبما يمكن لهم المنفعة ويسير بريح مبايعتهم موانعهم نفعا للعباد ليعينه الله الملك المتعال فى المهمات بفضله العظيم ويؤيده بملائكة السموات بلطفه العميم وكتب فى رابع شوال سنة ٨٢٢ بمقام بروسه اهـ صحيفة ١٥٦ ج أول منشآت فريدون

الاشرف أبو النصر برسباى ٨٢٥ - ٨٤١ ﻫ لما انتخبه القضاة والامراء وجلس على سرير الملك تلقب بالملك الاشرف وخلع على كثير من الامراء بالمناصب فاستقامت الاحوال وراق له الوقت وزادت الخيرات لوفاء النيل فى أول حكمه فشبع الفقراء ثم فى سنة ٨٢٩ ﻫ أرسل أسطولا وجيشا وغزا قبرص وفتح مدينتها وأسر ملكها جان لوسينيان (Jean Lusignan) وجىء به الى القاهرة قال ابن اياس فكان يوم دخوله الى القاهرة يوما مشهودا وزينت المدينة سبعة أيام ودخل عسكر الفرنج وهم فى زناجير وملكهم راكب وعليه آلة الحرب اﻫ واعترف ملك قبرص بسلطان مصر برسباى وقبل دفع الجزية وفى سنة ٨٣٣ ﻫ وقع الطاعون بالقطر المصرى وكان مخالفا لبقية الطواعين لوقوعه فى وسط الشتاء واستمر أربعة شهور وقد عقد الاشرف برسباى مع ملوك الفرنج والسلطان مراد خان العثمانى المعاهدات فبلغت مصر فى أيامه درجة وافية من الهيبة والوقار وكانت وفاة برسباى يوم ١٣ الحجة سنة ٨٤١ ﻫ بعد أن حكم ١٦ سنة وثمانية شهور وكان رحمه الله ملكا جليلا مبجلا منقادا الى الشريعة محبا لأهل العلم قال بعض من وصفه ان الاشرف برسباى أحد ملوك الجراكسة كان أرفعهم همة وأشدهم عزيمة وأكثرهم تدربا فى الاحكام محبا للعلماء رمم عدة مدن وشيد جملة مبان مفتخرة بالقاهرة منها جامعه المعروف بالاشرفية الكائن بسوق الوراقين ومدرسته التى فى خانقاه سرياقوس وزادت عظمته بقوة مماليكه الذين ابتاعهم فى أيامه وكانوا أكثر من خمسة آلاف وخلفه ولده جمال الدين

العزيز جمال الدين يوسف ٨٤١ - ٨٤٢ ﻫ لما بويع له بعد موت أبيه كان له من العمر ١٤ سنة فتلقب بالعزيز وأقر الاتابكى جقمق العلائى نائبا فصار الحل والعقد بيده ولم تمض أيام حتى دبت عقارب الفتن بين الاتابكى المذكور والامراء الاشرفية وصار العزيز سلطانا بالاسم فاشتدت الفتنة بين الاشرفية وبين المماليك السيفية والامراء المؤيدية والناصرية المتعصبين لجقمق فانتصر الآخرون على الاشرف وتم الامر بخلع العزيز وتولية الاتابكى جقمق بعد ثلاثة أشهر وخمسة أيام من حكمه فقبض عليه واعتقل بسجن الاسكندرية ولبث فيه مدة طويلة

الظاهر جقمق العلائى ٨٤٢ - ٨٥٨ ﻫ - بويع له بعد خلع العزيز بحضور الخليفة المعتضد بالله داود والقضاة الاربع وكان سنه يومئذ ٦٩ سنة فانفق على العسكر نفقة السلطنة وفرق على المماليك الاقطاعات كالجارى وقامت بعض ثورات فى أوائل حكمه بالشام وغيرها فأطفأها بحكمته ثم فى سنة ٨٤٥ ﻫ مات الخليفة داود وولوا مكانه أخاه سليمان بن المتوكل ولقب بالمستكفى بالله وفى سنة ٨٥٣ ﻫ توقف النيل عن الوفاء فرسم السلطان بأن تخرج الناس للاستسقاء فخرج الخليفة والعلماء والصلحاء نحو الصحراء عند الجبل الاحمر وبقى النقص مستمرا فشحت الحبوب وتزايد السعر وحصل من ذلك اضطراب ثم أعقب ذلك وقوع الطاعون ومات فيه خلق كثير وفى سنة ٨٥٥ توفى الخليفة المستكفى بالله سليمان وخلفه أخوه حمزة ولقب بالقائم بأمر الله وكانت سيرة هذا الخليفة مغايرة لسيرة سابقيه حيث ظهرت منه أمارات تدل على حبه للاستقلال بالسلطة فاحترس السلطان من دسائسه ولما رأى السلطان تقدمه فى السن وتوعكه خلع نفسه من السلطنة سنة ٨٥٧ وتنازل لابنه فخر الدين عثمان واستمر عليلا الى أن توفى يوم الثلاثاء ٤ صفر من السنة المذكورة وكان رحمه الله لين العريكة متواضعا محبا لفعل الخير يحب العلماء

المنصور عثمان ٨٥٧ هـ – لما تنازل له والده عن السلطنة وبايعه الخليفة والامراء جعل الامير تمر بغا دوادارا عوضا عن الامير دولانباى المؤيدى وأمر بالقبض على بعض الامراء وسجنهم وأنعم على غيرهم بالانعامات ولما كانت الخزينة فى عسر أخذ يبحث على طريقة ليصرف بها نفقة السلطنة على العسكر وفى خلالها قامت عليه المماليك الاشرفية والمؤيدية مع غيرهم بتحريض الخليفة حمزة القائم بأمر الله وكان يقصد خلع المنصور لينال ما يقصد وهو الاستقلال بالوظيفة نخاب فى مسعاه لانه بعد خلع المنصور بادر الامراء بمبايعة الاتابكى اينال بالسلطنة وبقيت نيران الحرب الداخلية مشتعلة بين اينال وحزبه والمنصور وحزبه مدة ثمانية أيام ثم انهزم المنصور عثمان وجوعه وقبضوا على المنصور وقيدوه وبعثوا به على حراقة الى ثغر الاسكندرية فسجن فيها بعد أن حكم ٤٣ يوما

الاشرف اينال العلائى ٨٥٧ – ٨٦٥ هـ – لما تم لاينال الامر وجلس على سرير الملك تلقب بالاشرف وأخذ بيده برأس المملكة وينظر فى اصلاح الاحوال فكان من أول أعماله ان قلد الامراء المقربين اليه الوظائف السامية وخلع عليهم وثار عربان البحيرة فجرد عليهم العساكر مرتين الاولى تحت قيادة طوخ بانى بازق أمير المجلس والثانية تحت قيادة الامير جانم الاشرفى وبرسباى البجاسى فادخلوهم تحت الطاعة وفى سنة ٨٥٨ هـ انتهت عمارة جامع برديك صهر السلطان وكان شيده بخط قناطر السباع بطل على الخليج فاحتفل بفتحه ثم فى سنة ٨٥٩ هـ أظهرت المماليك العصيان بتحريض الخليفة القائم بأمر الله أيضا فخاف الاشرف أن يناله من هذه الفتنة ما نال سلفه فطلب السلطان الخليفة والمحضر بين يديه وبخه بالكلام فلم ينطق بكلمة وأمسك لسانه عن الجواب ثم أمر به فسجن وأرسل فى حراقة الى سجن الاسكندرية فمات فيها ويقال انه بعد أن وبخه السلطان وقرعه أعلن بخلعه عن الخلافة فقال الخليفة من أين لك أن تخلع الخلفاء ولهم وحدهم أن يولوا ويعزلوا فلم يجبه الا بالنفى وقال ابن اياس لما أرادوا خلع الخليفة حمزة من الخلافة قال اشهدوا على أنى قد خلعت نفسى من الخلافة وخلعت السلطان اينال من السلطنة فاضطرب المجلس لذلك فقال قاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى ان خلعه للسلطان لا يصح وقد بدأ بخلع نفسه أولا ثم ثنى بخلع السلطان وهو غير مولى للخلافة فهدأت الافكار وبعد خلع الخليفة وقع الاتفاق على ولاية أخيه الجمالى يوسف بن محمد المتوكل ولقب بالمستنجد بالله ثم ان السلطان قبض على جماعة من المماليك الظاهرية ممن كانوا السبب فى الفتن ونفاهم الى الشام ولما وردت المكاتبات من السلطان العثمانى الغازى أبى الفتح محمد خان متضمنة أخبار فتحه القسطنطينية أرسل له الاشرف الهدايا والتهنئة (١) مع الخواجه ابن القابونى والامير قانى باى اليوسفى وفى سنة ٨٦١ هـ تعدى الأمير ابراهيم

(١) ضاعف الله تعالى نعم المقر الشريف العالى المولوى الاولوى الكبيرى العالمى العادلى المؤيدى العضدى الكهفى العونى الغوثى الغياثى الملكى السيدى الهمامى النظامى القوامى المظفرى الذخرى المهدى المشيدى المجاهدى المثاغرى المرابطى الظهيرى الناصرى معز الاسلام والمسلمين ناصر الغزاة والمجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين ممهد الدول مشيد الممالك عماد الملة حامى الثغور الاسلامية غياث الامة المحمدية ظهير الملوك والسلاطين عضد أمير المؤمنين ولا زالت أخبار فتوحاته متواترة وركائب نصره فى ساحة الوجود سائرة وعوصة الهيجاء قائمة فلا افلاك الدائرة تجرى بتأييده فيجعل لاوليائه العقبى وعلى أعدائه الدائرة أصدرناها هذه المفاوضة الى المقر

ابن

ابن قرمان أمير التركمان على الاملاك المصرية واستولى على طرسوس فجرد الاشرف عليه جيشا وأرسله تحت قيادة خشقدم أمير السلاح فانتصر عليه بعد وقائع واستولى على كثير من بلاده وفى سنة ٨٦٣ هـ حضر جاكم (Jacquin) ابن ملك قبرس وطلب من الاشرف نجدة فوعده بالنجدة وشرع من وقتئذ فى عمارة المراكب الحربية والاغربة بالجزيرة تحت ملاحظة الامير سنقر قرق شبق الزردكاش فظلم العباد بسبب الأخشاب فلما تجهزت الاغربة أرسلها مع جيشين تحت قيادة الامير يونس الدوادار الى بلاد الفرنج ولكن لم يحصل من سفرها فائدة وعادت بدون نتيجة وكانت وفاة الاشرف يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥ هـ وله من العمر ٨١ سنة وكان رحمه الله من خيار ملوك الجراكسة ينقاد الى الشرع قليل العزل للقضاة وأرباب الوظائف وخلفه ابنه أحمد وكان متولى الأحكام فى آخر مدة أبيه

المؤيد أحمد بن الاشرف اينال ٨٦٥ هـ – لما تم له الامر وبايعه الخليفة والقضاة ولبس شعار الملك وهو العمامة السوداء والجبة والسيف البداوى خلع الخلع وأخذ يدبر الاحكام بعزم وبعد

الكريم مهنئة له بهذا الفتح الذى ادخره الله لايام سعده وهذا النصر الذى منّ الله تعالى به على المسلمين وما النصر الا من عنده ونهدى اليه سلاما طاب نشره ووضح بشره وثناء يشنف الاسماع ذكره ونبدى لعلمه الكريم ان مكاتبيه الرفيعة التى جهزت الينا على يد رسول المجلس السامى الاميرى الكبيرى الذخرى العضدى المؤتمنى الجمالى يوسف القانونى الناصرى أحسن الله وفادته ويسر بالخير اعادته وقفنا عليها وصرفنا وجه الاقبال اليها وسرحنا النظر فى زهر الخمائل من سطورها وشرحنا الخاطر بديع منظومها ومنثورها ووجدناها محلا من البلاغة عاليا لا تدرك ثناءه الاوهام ومنهلا من الفصاحة عذبا ازدحمت فيه غرائب المعانى وانتهينا الى ما أشار اليه مما يسره الله تعالى له من فتح القسطنطينية العظمى وما خصه الله تعالى به من آيات النصر ومنحه به من ألطافه الخفيه وفهمنا ذلك مجملا ومفصلا ومفرعا وموصلا وكررنا حمدا لله عز وجل على ما من به من هذا الفتح المبين وهذه النعمة التى تتضمن تثبيت قلوب المتقين على اليقين واعلاء كلمة الموحدين على الملحدين وهذه النصرة التى أصبحت بها كلمة الايمان منتشرة ووجهة الصادقين مبيضة وشفاه المسلمين بها ضاحكة مستبشرة ووجوه المشركين عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة وقد أعددنا الجواب عن ذلك وعن جميع ما أشار اليه مفصلا على يد رسول المجلس الجمالى المشار اليه اعلاه كما سيحيط به علمه الكريم بعد أن عاملناه بمزيد الانعام ووافر الاحترام وأفضنا عليه وعلى من معه من خلع التشريف والاكرام وأنعمنا عليهم من مائدة الاحسان التام وأعدناهم الى خدمتهم الكريمة على أحسن الوجوه وأجمل الحالات وجهزنا صحبتهم الواصل بهذه المكاتبة وهو المجلس العالى الاميرى الكبيرى المؤيدى الذخرى الاعزى الاخصى المؤتمنى المقربى السيفى برسباى الاشرفى أحد أمرائنا وأوحد أخصائنا كتب الله تعالى سلامته وأدام سعادته وحملناه من السلام الوافى والاكرام الكافى ما هو أزكى من نشر الخزام ومن الحب الصافى والود الشافى ما لو تجسد لكان أصفى من ماء الغمام ومن الصداقة والاخلاص والموالاة والاختصاص ما هو على ذلك شهيد وله مبدئ ومعيد وجهزنا على يده من الهدية ما يؤكد أسباب الوداد والمحبة ويوثق عرى الاتحاد والصحبة كما هو دأب السالفين الاقدمين من الحكام والسلاطين (ثم ذكر أصناف الهدية وهى عبارة عن أقمشة وأسلحة وحيوانات غريبة وقد ضربنا عن ذكرها صفحا) ثم قال

فالمقر الكريم يأمل بتسلم ذلك وقبوله وان يشمل قاصدنا المشار اليه بحسن النظر ومنوله ويواصل باخبار المسرات وما يعن له من المهمات لتيسر الموالاة من الجهتين كما كان بين آبائه العظام وأجداده الكرام أنار الله براهينهم مع الاتحاف بالمودات والاهداء بالمصافات والله تعالى يمتع الاسلام ببقائه ويجعل قواضبه القاضية فى أعدائه محكمة حتى تصبح جنود الملة المحمدية بتوالى فتوحاته منصورة الاعلام وتصير البلاد كلها بعزماته المؤيدة دار السلام ان شاء الله الملك العلام كتب فى العشرين من شهر ذى القعدة الحرام سنة سبع وخمسين وثمانمائة من الهجرة النبوية اهـ منشآت فريدون بك جزء أول

قليل ثارت عربان لبيد ووصلوا الى البحيرة ونهبوا الغلال فجرد عليهم السلطان العسكر وفى خلالها ثارت عليه المماليك الاشرفية والظاهرية والاينالية فاضطر السلطان الى محاربتهم فكسروه واختفى منهم فخلعوه وبايعوا الاتابكى خشقدم الرومى وكانت مدة المؤيد أربعة أشهر وثلاثة أيام وكان عاقلا كاملا كفؤا للسلطنة

الظاهر خوشقدم الناصرى ٨٦٥ - ٨٧٢ هـ - وأصله مملوك اغريقى جلبه الخواجه ناصر الدين وبه يعرف بالناصرى فاشتراه منه الملك المؤيد شيخ ثم أعتقه ولما بويع له قبض على المؤيد وأرسله الى سجن ثغر الاسكندرية وقرب من قربه من الامراء وخلع عليهم الخلع وأنفق على العساكر نفقة كاملة فاستقامت أحواله أياما ثم قامت عليه المماليك وقصدوا عزله وتولية الأمير جرباش وبالفعل نادوا به سلطانا ولقبوه بالملك الناصر ولكن الظاهر تمكن من منع ثورتهم بحزمه كما أخمد ثورة الأمير جانم نائب الشام الذى قتله مماليكه فيما بعد (٨٦٧ هـ) ثم ان الظاهر لخوفه من ثورة المماليك جعل له مماليك كثيرة بلغ عددهم الاربعة آلاف فتقوى بهم على أعدائه ومازال مطاعا الى أن توفى يوم السبت ١٠ ربيع الأول من سنة ٨٧٢ هـ ودفن فى تربته التى أنشأها فى الصحراء وكان من أحسن السلاطين الذين حكموا مصر محبا للسلام فصيح اللسان

الظاهر بالباى المؤيدى ٨٧٢ هـ - لما توفى الظاهر خوشقدم اجتمع الامراء وبايعوا بالباى هذا ولقب بالظاهر وأصله جركسى من مماليك المؤيد شيخ أيضا وفى أول حكمه قامت فتنة بين الامراء وبينه فخاربهم ولكن جنده انهزم لسوء تصرفه فخلعه الامراء بعد شهرين الا أربعة أيام وقبضوا عليه وعلى كثير من رجاله وسجنوهم فى الاسكندرية وبه زالت الدولة المؤيدية وكان بالباى يعرف بالمجنون

الظاهر تمربغا الظاهرى ٨٧٢ هـ - كان تمربغا هذا رومى الجنس من مماليك الملك الظاهر جقمق تسلطن بعد خلع الظاهر بالباى باتفاق الامراء ولم تطل أيامه لان المماليك الخشقدمية والاينالية ثاروا عليه بتحريك الامير خيربك الذى كان يطمع فى الملك فقبضوا على الملك وظن خيربك انه نال مناه فجلس على سرير الملك وتلقب بالظاهر أيضا مثل أستاذه خشقدم وكان من جهة أخرى الاتابكى قايتباى رئيس الاينالية يطمع فى الملك أيضا فاتفق الاينالية على استمالة باقى الاحزاب اليهم وصرفهم عن خيربك وحصل الاتفاق بين الجميع على خلع تمربغا ومبايعة الاتابكى قايتباى فالتفوا حوله وصعد القلعة وقبض على المقر السيفى خيربك الذى كان رجع عن طمعه وقصد اعادة تمربغا الى كرسيه وعلى كثير من الأمراء وسجنهم وأرسل الظاهر تمربغا الى دمياط وكانت مدة سلطنته ٥٨ يوما

الاشرف قايتباى الظاهرى ٨٧٢ - ٩٠١ هـ - قايتباى هذا جركسى الجنس جلبه الخواجه محمود ثم اشتراه الملك الاشرف برسباى وبعد وفاته اشتراه الملك الظاهر جقمق وذكر القرطبى فى تاريخه أنه لما جلب قايتباى الى مصر للبيع كان معه رفيق آخر من المماليك فصادفا ثامع الجمال فى ليلة من ليالى رمضان فقالا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بما يحبه فقال قايتباى أما أنا فأطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال الثانى وأنا أطلب أن أكون أميرا كبيرا

والتفتا الى الجمال وقالا له أى شئ تطلبه أنت فقال أنا أطلب من الله تعالى خاتمة الخير فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا رحمهم الله تعالى اه ولما جلس (٢ رجب ٨٧٢ ه) كانت البلاد فى حالة اختلال واضطرابات فتمكن بحسن سجاياه وعلو همته من القبض على أزمة الاحزاب فساس الرعية أحسن سياسة وسلك السلوك الحسن و بسط يده بالعطايا والاعمال الخيرية وفى سنة ٨٨٤ ه توفى الخليفة المستنجد بالله الجمالى يوسف وخلفه ابن أخيه عبد العزيز ولقب بالمتوكل على الله وفيها جدد الأمير يشبك الدوادار سلسلة الحديد بفم البحر الملح فى دمياط عند برج الملك الظاهر بيبرس البندقدارى وكان زنتها نحو مائتين وخمسين قنطارا لحصل النفع منها لصدم مراكب الفرنج التى كانت تسطو على الثغر المذكور ولما وصلت اليه الاخبار بانتصار جيوش السلطان محمد خان الثانى على أوزون حسن وكان قبل ذلك استولى على العراق وآذربيجان و بلاد الملك أبى سعيد بن تيمور بخراسان بعد أن قتله (٨٧٣ ه) وان أوزون حسن المذكور لما قصد مهاجمة بلاد قرمان (٨٧٦ ه) فصده الأمير مصطفى ابن السلطان محمد خان الفاتح وأسره وأرسله الى أبيه بالقسطنطينية و بذلك اضطربت الأحوال بمصر لما كان بين أوزون حسن وملوك مصر من التحالف عند ذلك أسرع قايتباى بحشد الجيوش لتعزيز حامية الشام خوفا عليها من آل عثمان و بعد وفاة السلطان محمد الفاتح (٨٨٧ ه) قام من بعده السلطان بايزيد الثانى فاراد أخوه السلطان جم منازعته فى الملك لانه أكبر منه سنا وجمع الجموع ثم استولى على بروسه ونهض السلطان بايزيد لقتاله فانهزم جم فى الواقعة التى حصلت بينهما بالمكان المعروف بسلطان أوكى والتجأ الى مصر مستنصرا بالملك الاشرف قايتباى فأكرم الاشرف وفادته قال خير الله افندى فى تاريخه وكان السلطان بايزيد يؤمل ان قايتباى يقبض على جم ويرسله اليه معتقلا فلما لم يكن ذلك غضب من قايتباى وجرد عليه جيشا فى سنة ٨٩٠ ه وأرسله تحت قيادة قره كوز باشا أمير أمراء القرمان فالتزم قايتباى بأن يدافع عن بلاده و بعث جيشا من مصر مع الامير أوزبك وحصلت بين الطرفين وقائع هائلة بجوار حلب انكسر فيها العثمانيون وأسر المصريون منهم عدة قواد منهم هرسك زاده أحمد باشا ثم أرسل السلطان بايزيد خان جيشا آخر سنة ٨٩٢ ه وهاجم صحراء چقور فصده الامير أوزبك ثانية واستولى المصريون على مدينة أذنه (أطنه) ثم أرسل السلطان بايزيد جيشا ثالثا أواخر سنة ٨٩٥ ه مع السردار داود باشا واسترد أذنه ثم مال الطرفان الى الصلح وانقلبت العداوة الى محبة اه وتنازل قايتباى للسلطنة العثمانية عن اذنه وطرسوس (٨٩٦ ه) ويقال انه فى أثناء هذه الحروب جهز قايتباى عشرين سفينة حربية بقصد افتتاح القسطنطينية وأرسلها لهذا الغرض فلم ينجح وضاع معظمها فى سواحل سوريا ثم عاش قايتباى بعد ذلك خمس سنوات مشتغلا باتمام عماراته الكثيرة ومبانيه الفاخرة التى لا يزال بعضها للآن وكانت وفاته يوم الاحد ١٧ ذى القعدة من سنة ٩٠١ ه بعد ان حكم ٢٩ سنة وأربعة أشهر وأياما قال ابن اياس ولم يطل ملك أحد من أبناء جنسه نظير ملكه وكان رحمه الله من أشهر الملوك عدلا ما نفى قط ولا سجن أحدا وافر العقل متروياً فى الامور محبا للعمار شيد العمارات الكثيرة منها جامعه المعروف باسمه وشيد بجانب

المسجد الشريف الذى جدده (٨٨٦ ﻫ) بعد الحريق الذى أصابه المدرسة الشهيرة وأرسل اليها خزانة كتب وأوقف عدة قرى بمصر للمدينة المنورة وأنشأ برجا فى رشيد وآخر فى ثغر الاسكندرية فى مكان المنارة القديمة لحماية الميناء الشرقية وهو البرج المعروف الآن ببرج الظفر (٨٨٤ ﻫ) وخلفه فى الملك ابنه محمد

الناصر ناصر الدين محمد وقانصوه خمسمائة ٩٠١ - ٩٠٤ ﻫ - لما جلس محمد مكان أبيه كان شابا يغلب عليه الهوى والحماقة ومن أفعاله الجنونية البربرية أن والدته كانت أعدت له جارية فسلخها حية وحشى جلدها بالثياب وخرج يظهر أستاذيته فى السلخ فثار عليه المماليك وخلعوه ونصبوا قانصوه الشهير بخمسمائة مكانه ولقبوه بالملك الاشرف وسبب تسميته بخمسمائة أنه كان بيع بخمسمائة دينار ولم تطل أيامه لان ازدياد الارتباك والاضطراب فى أيامه وقيام المماليك على بعضهم أعجزه عن ضبط الامور حتى اضطر للتنازل عن الملك فالتزم الأمراء أن يعيدوا الملك الناصر محمدا ثانية وفى سنة ٩٠٣ ﻫ توفى الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز وخلفه ولده يعقوب وتلقب بالمستمسك بالله واستمر الملك الناصر محمد منغمسا فى لذاته ولهوه الى أن قتله المماليك فى جهة الجيزة بالقرب من قرية الطالبية وجاؤا به الى القاهرة على أسوإ حال ودفنوه فى تربة أبيه ١٦ ربيع أول سنة ٩٠٤ﻫ وبايعوا عمه قانصوه

الظاهر أبو النصر قانصوه والاشرف جانبلاط وطومان باى ٩٠٤ - ٩٠٦ ﻫ - يقال ان الملك الظاهر تردد فى قبول السلطنة أولا لانه لم يجد نفسه كفؤا لها ولانه لا يعرف الا لسان الجركس حيث جلب من بلده وهو كبير فى السن ثم قبل أخيرا لشدة الحاحهم ومع ذلك فلم تطل مدته لانهم خلعوه بعد سنة وسبعة أشهر وبايعوا الأمير الكبير جانبلاط ولقبوه بالملك الأشرف ولم يتهنأ طويلا لعدم اتفاقهم جميعا عليه فخلع نفسه بعد ستة أشهر وبايعوا طومان باى وتلقب بالملك العادل فلم تطل مدته أيضا بل هجم عليه العسكر وقتلوه ظلما فلذلك لم يقدم أحد على السلطنة فاجتمع الأمراء وأرباب الدولة وتداولوا فيمن يليق للمنصب فاتفقوا على أن يولوا قانصوه الغورى لأنهم وجدوه لين العريكة سهل الازالة فعرضوا عليه الامر فقال لا أقبل الا بشرط أن لا تقتلونى ومتى أردتم خلعى فأخبرونى وأنا أوافقكم وأنزل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك

الاشرف قانصوه الغورى ٩٠٧ - ٩٢٢ ﻫ - لما تمت له البيعة فرح العسكر بولايته وكان قانصوه كثير الدهاء ذا فطنة ورأى الا أنه كان شديد الطمع لكونه كان أقل الامراء مالا ولذلك كان كثير الظلم وكان محبا للعمارة فشيد عدة مبانى مفتخرة منها جامعه المعروف باسمه ومدرسة الغورية ومدفنه الشهير وفى مدته كان أهل البرتقال اكتشفوا طريق الهند من جهة رأس عشم الخير (١٤٩٨ م) واستولوا على عدة ثغور بحرية وقطعوا طريق تجارة الهند عن مصر فأرسل الغورى جيشا من المماليك فى أسطول الى الهند لطرد البرتقال وارجاع التجارة الى طريق مصر كما كانت فلم ينجح فيما أرادوا انهزم الجيش وضاع كثير من السفن قال خير الله أفندى فى تاريخه انه بينما كانت الاحوال المصرية مرتبكة بأعمال المماليك ظهرت تعديات البرتقال على طريق الهند واستولوا على بعض بلادها ودخلوا بأساطيلهم الى البحر الاحمر فخافت حكومة مصر على طريق مكة المكرمة

فشيد

فشيد الاشرف قلعة فى جدة لانها فرضة الكعبة المشرفة وشحنها بالعدد والعساكر ولم تمض أيام من اتمامها حتى وصلت أساطيل البرتقال أمام جدة وأطلقت عليها المدافع فقابلتها القلعة بالمثل فخاف البرتقال سوء المنقلب فاقلعوا بسفنهم عنها فرأى الأشرف قانصوه ضرورة المحافظة على جدة فاستخدم سلمان رئيسا وأنشأ خمسة وعشرين غرابا حربيا فى بحر السويس وجعله الامير عليها وشحن ذلك الاسطول بالجيوش وجعل قيادتها لحسين بك الكردى وأرسله لطرد أساطيل البرتقال عن طريق الهند فعرج سلمان رئيس الاسطول المذكور على سواحل اليمن واستولى على مدينتى صنعاء وزبيد تحت الدولة العامرية وضمها الى الاملاك المصرية ثم ترك حسين بك المذكور هناك حامية مع برسباى (بارس باى) أحد أمراء الجراكسة وجعله محافظا على تلك البلاد وأقلع بالاسطول الى عدن وغيرها من البلاد ثم عاد الى السويس وبعد أيام بعثه الاشرف ثانية لرد البرتقال ولكنه فى كل أسفاره لم يأت بفائدة تذكر فى هذا الخصوص بل لم ينجح فى أعماله بالكلية (٩١٥ هـ) اهـ وذكر غيره من المؤرخين أن مراكب البنادقة اشتركت مع الاسطول المصرى المذكور فى مطاردة البرتقال بالبحر الاحمر لاعادة التجارة الشرقية الى طريقها الاصلى لان انتقالها الى طريق عشم الخير أضر بالبنادقة جدا لما كانوا ينالونه من فائدة نقلها على سفنهم فى البحر الاحمر ونقلها ثانية من ثغور مصر الشمالية الى أوروبا وقد تكلم المقريزى على ذلك فقال وفعل البندقانيون عند عيون موسى مجارى من البناء لتوصيل مائها الى حوض عملوه على ساحل البحر الاحمر لتنتفع به مراكبهم وآثار المجرى والحوض باقية الى الآن اهـ وقال خير الله أفندى وفى خلال سنة ٩١٤ هـ حدث بين الامير قورقود ابن السلطان بايزيد خان وكان حاكما على مغنيسيا وبين الصدر الاعظم على باشا الخادم اغبرار فى الخواطر بخصوص ندماء الامير وهما بياله وغزالى حتى اضطر الامير أن يهاجر من البلاد فأظهر أنه يقصد أداء فريضة الحج وأنزل أمواله وأمتعته فى ثلاث سفن وسافر الى ثغر الاسكندرية ولما بلغ قانصوه الغورى قدومه قابله بالترحاب واحتفل به فى القاهرة ورتب له ثلاثة آلاف دينار مصرية لمصروفه اليومى وغير ذلك فلما بلغ السلطان بايزيد خان حنق على الوزير المذكور وكان قورقود سافر الى الحج فعلا وبعد عودته الى مصر كتب السلطان بايزيد خان الى عزيز مصر الغورى يشكره على عنايته بمخدومه ويطلب منه رده ليتولى أحكام لواء انطاليه الذى ولاه أمره فرده الغورى الى والده معززا مكرما وكتب كتابا الى السلطان بايزيد خان يستعطفه عليه ويشكره على رضاه عنه وعلى توجيه ذلك المنصب الجديد اليه (١) ثم لما تنازل السلطان بايزيد خان عن السلطنة لولده السلطان سليم خان كما تقدم ذكره فى تاريخ

(١) نحمدك يامن أوصل يوسف الى أبيه اسرائيل من مصر احسانه ونشكرك يامن جمع بين يعقوب وابنه الجميل بعد افتراقه وجرى بمشيئته نيل السعاده وفق المرام وأنبت حب المحب من زراعة الشوق والغرام وطير الى مقامه حمام العراق وأعاد الى محله لحوم العراق وتلألأ بحكمته نجم الموافقه وتضاضأ بقدرته بدر المرافقه وتبسم بلطفه صبح الهدايه فضحك وجه الدنيا من طلوع شمس العناية ان للهجر رجالا * ورجالا للوصال ونصلى على سيدنا محمد الافصح الاملح وعلى آله وصحبه الاصلح الذى يروى من حوض شفاعته ظمأ كل مريد الذنوب من الامة ونكون حمايته سبيلا للدخول فى بحبوحة الجنة صلاة تتفجر منها ينابيع رياض السالكين ويتبلج عنها غداة صباح الصالحين وبعد فلما انعكست أنوار المحبة وتشعشعت أشعة المودة وفاح نسيم المصادقة ولاح شميم الموافقة من الباب الرفيع والطود المنيع السلطانى الاعظمى الاكرمى الامجدى العونى الغوثى العثمانى المهدى المشيدى

الدولة العثمانية بالجزء الاول واستقر على تخت الملك نازعه أخوه أحمد وقصد كل منهما الآخر بجيش عظيم فتقاتلا أمام مدينة يكى شهر فانتصر السلطان سليم وأمر بأخيه أحمد فخنق (٩١٩ هـ) وقتل كثيرا من أمراء العائلة السلطانية تخلصا من شرورهم ومفاسدهم وكان الامير قورقود صغيرا غير مطالب بالملك فتعاهد مع أخيه على الطاعة له وأن يبقيه على سنجقية مغنيسيا وصار وخان ومع ذلك فلم يسلم من القتل بل قتله بعد أيام وكان الشاه اسمعيل الصفوى ملك العجم يتعصب للامير أحمد ويدافع عنه فلما قتل السلطان سليم الامير أحمد كما تقدم هرب ولداه وهما الامير مرادو الامير علاء الدين والتجأ الاول منهما الى الشاه اسمعيل والثانى الى الغورى فأرسل السلطان سليم يطلبهما منهما فامتنعا عن ابعائهما فكان ذلك من أسباب قيام الحرب والقتال بين السلطان سليم واسمعيل شاه من جهة وبينه وبين الغورى من جهة أخرى ثم زحف السلطان على الشاه اسمعيل الصفوى اولا (٩٢٠ هـ) وكان يقود الجيش بنفسه ثم التقى الجيشان فى مكان يقال له چالدران وبعد قتال عنيف انهزم العجم هزيمة منكرة واستولى السلطان سليم على خزائن الفرس وأموالهم وهرب الشاه اسمعيل متحصنا بشواخ الجبال ثم تقدم السلطان ودخل مدينة تبريز تخت العجم وصلى بها الجمعة وخطب

المظفرى المؤيدى الخاقانى المكرمى المعظمى المفخمى المنصورى المعينى الاقدمى الاعلى المولوى الاولوى الارفعى الانقى ناصب رايات المعدلة فى أوج النصفة ناشر رايات السلطنة من كتاب الخلافة ملك ملوك البر والبحر فاتح بلاد العداة بالعز والنصر ظل الله فى الارضين عون الاسلام والمسلمين قهرمان الماء والطين الغازى فى سبيل الله المجاهد لوجه الله الناصر لدين الله الناطق بما أنزل على الرسول من الله المؤيد من عند الله الملك المجيد الاخ الاعدل الانجع أبو النصر السلطان بايزيد لا زالت أغصان حدائق سلطنته العلية مزينة بأكمام الاولاد ومابرحت أشجار دوحة خلافته البهية مثمرة من أنوار الاحفاد تنور محفلنا من لمائع تلك الاعطاف وتعطر مجلسنا من روائح تلك الالطاف واطمأنت قلوبنا وقلوب الخاشعين من شر الوسواس لما عملتم بما قال عز من قائل (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) فى حق ولدنا المخدومى الاعقلى الارشدى عضد الدولة العثمانية كبد الفلذة الاورخانية المنظور بعناية الله الودود أبو الفتح سلطان قورقود أطال الله بقاءه وزاد ارتقاءه الذى هو شعبة طاهرة من دوحتكم الزاكية وثمرة طيبة من نخل رياضكم العالية وغرة السعادة على جبهته لائحة ونجوم الدولة من نواحيه طالعة وكان قصوى منيتى وقصارى بغيتى أن يكون هو كالدر النضيد منتظما فى عقد جواهر سريره الاعظم ومنخرطا فى سلك عبده المكرم والحمد لله الذى رفع العسرة ودفع الكلفة وألف بين قلوبهم بالرأفة ووصل موكبه الى مقامه الاصلى وحصل وصوله الى وطنه الجبلى وتيسرت البهجة لكم عن قدومه وازدادت شفقتكم عليه واحسانكم اليه وفق رجائنا من تفويض ايالة الانطاليه اليه التى هى معظم ولاية الاناطولية مضيفا اليها لواء العلائية والمنوغاد ومثلها من النواحى والبلاد حيث نال خواصها المعينة الى مقدار ثلاثين مائة ألف درهم عثمانى وصدور مزيد عنايتكم فى حق هذا المخدوم المؤدب طبق ماقالوا رضا الرب عند رضا الاب فالمرجو من ألطافكم أن تزيدوا الشفقة اليه والمرحمة عليه على رغم أنوف الحساد حسما لاناطة أهل العناد وتسلسلوا سلسلة المحبة والوداد وتشدوا روابط الاخوة والاتحاد احياء لدأب آبائكم العظام واقتداء برسم أجدادكم الكرام طيب الله ثراهم وجعل فى الفراديس مثواهم ويكون معلوما لديكم ان القلب واللسان متفقان فى نطق ألفاظ الوفاق والروح والجنان متوافقان فى عدم مطالعة معانى النفاق ولا يتغير بدخل الموسوسين ولا يتزلزل بتحريك المفسدين بعزة رب العالمين والملائكة والناس أجمعين وجهزناه عرافقة قاصدكم عمدة الاكابر والاعاظم نجم الدين قباد القائد زيد مجده وبالخير اعاده صحبة الاميرى الكبيرى الاشرفى الامجدى الاميرى بكتاى الخاصكى شرفه الله بحسن لقائكم واعاده بالخير من جنابكم بالهدايا والتحف المشروحة فى كتاب غير هذا فالمأمول القبول والانصراف بعد الوصول ان شاء الله تعالى الله يؤيدكم وينصركم ويبقيكم الى يوم التناد فهو المراد

(منشأة فريدون بك جزء أول)

هناك باسمه وكان يريد اتمام فتح بلاد ايران لولا غلاء الاقوات لان الغورى كان قطع الميرة ومنع السائرين بها اليه لما كان بينه وبين الشاه اسمعيل من الصداقة والارتباط حتى اتهم بعضهم السلطان الغورى بأنه كان على مذهب الشيعة ولما فرغ السلطان سليم من أمر الشاه اسمعيل عادلما أقبل فصل الشتاء الى اماسيه وشتى فيها وبقيت الحرب متواصلة بينه وبين عساكر ايران وافتتح قلعة كماخ ومدينة ابيورد وأرسل وزيره فرهاد باشا لفتح بلاد مرعش والبستان فانتصر على أميرها واستولى عليها وقدمت مدينة آمد ان الطاعة فعين لها بيقلو محمد بك الآمدى واليا وفتح كثيرا من البلاد وفى خلالها أخذ الغورى يجهز الجيوش ويعد المعدات ولما بلغه ان الدونما العثمانية تقصد السواحل المصرية وكانت تحت قيادة جعفر قبودان أرسل كثيرا من المدافع الى ثغر الاسكندرية وعزز حصونها ثم خرج السلطان بجيش جرار من القسطنطينية (٩٢٢ هـ) يبلغ ١٥٠٫٠٠٠ مقاتل وخرج الغورى أيضا من مصر بجيش كثيف وأخذ معه أمواله وخزائنه وقصد الشام والتقى الجيشان فى مرج دابق بقرب حلب ودارت بينهما رحى الحرب واشتد القتال ثم انجلت الواقعة بانكسار جيوش الغورى وفقد هو تحت سنابك الخيل وهربت بقية الجراكسة الى مصر كما ذكرناه فى صحيفة ٥٢٨ من الجزء الاول واستولى السلطان سليم على أموال وخزائن الغورى وأدواته وسلاحه وكان الغورى افتتح دولته بالمصادرات والمظالم واختتمها بالفتن وسفك الدماء ثم بالضياع ولله الدوام والبقاء ومما ساعد العثمانيين كثيرا على سرعة الانتصار مهارتهم فى اطلاق البنادق [1] والمدافع

الاشرف طومان باى ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ — كان الغورى لما خرج بالجيش لملاقاة العثمانيين كما تقدم ترك نيابة السلطنة لابن أخيه طومان باى الثانى فلما جاء الخبر بالهزيمة وقتل الغورى بايعه

(١) البنادق جمع بندقية وهى آلة من سلاح الحرب تعرف بالبارودة نسبة الى البارود الذى يقذف به الرصاص المسبوك كريا أومستطيلا وتنسب الى بلاد البندقية حيث يقال ان أول من اخترعها هم الطليان وكثر استعمالها فى سنة ١٤٣٠ م وذكر بعض المؤرخين ان هذا السلاح كان معروفا من القديم فكانوا يستعملون البندقية الهوائية وكانت على نوعين أخذ من شكل الاول منهما البنادق النارية الا أن الدفع بها كان يتم بضغط الهواء والثانى يقال له بالافرنجية سارباكان (Sarbacane) وهى أنبوبة طويلة خشبية أو معدنية يدخلون فيها سهما خفيفا أوحجرا أو رصاصة ثم ينفخون فيها من أحد طرفيها فيندفع مافيها الى مسافة بعيدة وكان بعض سكان الجزر الهندية يستعملونها سلاحا للمحاربة ويدفعون بها سهاما صغيرة مسمومة واستعملها الايوبيون لرمى سهام نارية على الجيش الفرنساوى فى حصار المنصورة (٦٤٧ هـ - ١٢٤٩ م) ولعل الطليان أخذوها عنهم ولما عرفت أهل أوروبا فوائدها اعتنت بأمرها وصارت تصنعها على أنواع مختلفة ثم تفننوا أشكالها وتفننوا فى آلاتها فبعد ان كانت تطلق بالشطفة والزناد اخترعوا لها الكبسول ثم اتقنوها واستبدلوها بالابرة وصار الكبسول من داخل ظرف البارود والرصاص وهذا النوع المستعمل فى عصرنا على أشكال متنوعة ففى المانيا المستعمل صنف ماوزر (Mawsor) وصنف مانليشر (Mannlicher) وفى انكلترة صنف مارتينى هنرى (Martini - Henry) وصنف لى ميدفورد (Lee Medford) وصنف انفلد سنايدر (Enfield - Snider) وفى فرانسا صنفى غراس (Gras) ولوبل (Lebel) وفى الروسيا صنفى بردان (Berdan) وموزين (Mosin) وفى ايطاليا صنفى فيترلى (Vetterli) وبرطولدو (Bertoldo) وفى النمسا صنفى ورند (Wernd) ومانليشر (Mennlicher) وفى الدانمارك صنفى رامنتون (Remington) وكراج جورغانسن (Krag-Jorgensen) وفى السويد والنرويج صنفى كراج بترسون (Krag-Peterson) وجارمان (Jarmann) وينسب كل نوع من هذه البنادق الى السنة التى عمل فيها

الامراء فأخذيهتم فى جمع الجنود وآلات القتال أما السلطان سليم خان فتعقب فل الجراكسة وأخذ يفتح البلاد فاستولى على البلاد الشامية ودخل مدينة حلب واستقبل أهلها وعلماؤها وصلحاؤها بالمصاحف وهنؤه بالفتح وسألوه الرفق والصفح فقابلهم بالجميل ولما دخل المدينة خطب له فيها ودعا له الخطيب بقوله خادم الحرمين الشريفين كما كانوا يصفون سلاطين مصر ففرح بذلك واستبشر وخلع على الخطيب حلته التى كانت عليه وكانت تساوى ٥٠,٠٠٠ غرش وبعد أن مكث بالشام ثلاثة أشهر ونصف سار يريد البلاد المصرية وافتتح فى مسيره مدينة بيت المقدس وغزة وطبرية وصفد واللعون والرملة وغير ذلك ثم وصل الى مصر (١٣ محرم ٩٢٣ ﻫ) فخرج طومان باى بجيشه الذى جمعه وكان يبلغ ٤٠,٠٠٠ من الجراكسة بقصد قتال السلطان سليم ومنعه من دخول مصر ووقع القتال بين الجيشين فى سهل بركة الحج ولم تثبت الجراكسة فى الواقعة الا ساعة واحدة وانكسروا وفشل ريحهم وهرب طومان باى وعسكره بعد أن قتل منهم خلق كثير ثم قبض عليه وجىء به الى السلطان سليم خان مقيدا عليه علائم الذل والقنوط فأمر السلطان سليم بحل قيوده وأذن له بالحضور فى الاجتماعات التى كان يعقدها السلطان للنظر فى أمر البلاد وكان يسأله فى كثير من المسائل المتعلقة بها وبخراجها وادارتها واستمر على ذلك عشرة أيام ثم رأى السلطان لزوم قتله فأمر بشنقه تحت رواق باب زويلة فصلب بكلاب من حديد كان باقيا هنالك الى عهد قريب وذلك يوم ٩ ربيع الاول من سنة ٩٢٣ ﻫ وبقتله انتهت دولة الجراكسة بعد أن حكموا الديار المصرية ١٤٠ سنة تقريبا ومن وقتئذ صارت البلاد المصرية وتوابعها ولاية من الولايات العثمانية الكبيرة وانتقلت من يومئذ الخلافة الى سلاطين آل عثمان كما مر فى تاريخ الدولة وفى خلال ذلك عاد حسين بك الكردى وسلمان رئيس اللذان كان بعثهما الغورى فى أواخر سلطنته لاعانة حاكم بكجرات بالاسطول المصرى بغنائم وافرة وكثير من أسرى البرتقال وتشرفا بالمثول أمام السلطان فنالا احسن الرعاية

﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

﴿ أشهر حوادث الديار المصرية مدة ولاة الدولة العلية العثمانية ﴾

(٩٢٣ - ١٢٠٣ ﻫ)

لما أتم السلطان سليم خان فتح ديار مصر ضبط خراجها ومتحصلاتها وكان مستقره مدة اقامته بمصر فى روضة البحرين فى كشك بناه فوق قاعات المقياس وكان يشرف على النيل والروضة والمقياس ثم أخذ فى تمهيد أمور المملكة وجعل خيربك أحد كبار قانصوه الغورى (وكان انضم مع الغزالى الى الجيش العثمانى قبل واقعة مرج دابق) واليا على مصر وجعل خيرالدين باشا أمير الدونما العثمانية محافظا للقلعة وحدد لكل منهما حدودا مخصوصة لا يتعديانها فجعل واجبات الوالى ابلاغ الأوامر السلطانية لهيئة الحكومة والشعب ومراقبة تنفيذها وجعل له مجلس شورى من قواد الجيش الذى أبقاه فى مصر وكان اثنى عشر ألف جندى منها ستة آلاف من الفرسان ومثلها من المشاة وقسمها الى ستة أوجاقات عهد قيادتها الى خيرالدين باشا محافظ القلعة وأمره بان لا يخرج منها الا

عند اللزوم ووضع على كل أوجاق ضباطا بلقب أغا وكخيا وباش اختيار ودفتردار او خزندارا ور وزنامجيا كانت لكل منهم اختصاصات معلومة وكان مجلس الشورى يتألف من كافة ضباط الاوجاقات المذكورة وصار الباشا لا يقضى أمرا الا بتصادقهم وكان لهم حق ايقاف الباشا عن العمل وتستأنف قراراتهم فى ديوان الاستانة عند الاقتضاء ولهم أن يطلبوا عزله عند الاشتباه فى مقاصده وكان خيره باى عرض على السلطان أن أبناء الجراكسة يريدون الدخول فى زمرة الاجناد فاجابه الى ذلك ولحفظ الموازنة بين الادارة والاوجاقات نصب اثنى عشر أميرا من أمراء المماليك الذين هم فى الاصل أعداء للفريقين على ادارة الاقاليم فكانت منفعتهم السياسية تحملهم على الانتصار للفريق الاضعف ليصدوا القوى عن الاستبداد وكان هؤلاء الامراء يعرفون بالصناجق وبهم صارت مصر منقسمة الى اثنى عشر قسما حربيا وكان الديوان الذى هو مجلس شورى الوالى يعينهم من أمراء المماليك الذين دخلوا تحت الطاعة العثمانية قال الشيخ عبد الله الشرقاوى فى كتابه تحفة الناظرين لما أراد السلطان التوجه الى الروم شاوره خيره باى على ابقاء أوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من أرض مصر فاجازه بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فنى مالنا وعساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بها فقال السلطان سليم أين الجلاد وكانت احدى رجليه فى الركاب فضرب عنق الوزير الى أن قال عاهدناهم على أنهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم فى جندنا فهم أولاد مسلمين ويغارون على دارهم فرحم الله هذا الملك المعظم اه وقال الفاضل محمد محسن بك الكاتب الثانى للمندوب العالى للحضرة السلطانية فى مصر فى تأليفه دليل افريقية فى صحيفة ٦٧٤ ما ملخصه انه فى ٦ رمضان من السنة المذكورة عندما كان الجيش السلطانى مارا بالصالحية اذ دخل الصدر الاعظم يونس باشا فى حضرة السلطان وأظهر انفعاله من توجيه ولاية مصر الى خيره باى فتسبب من ذلك أن أصدر السلطان أمرا بقتله ونصب بدله فى مسند الصدارة محافظ دار السلطنة بيرى باشا وكان أهلا لهذا المنصب وأرسل بطلبه فى الحال اه وفى خلالها قام خيره باى أمير الامراء وخير الدين باشا قائد العساكر ببناء الشوانى فى ساحل مصر لتكوين قوة بحرية ولما تمت جعلوا فيها ملاحين من الروم والمغاربة وصاروا يخرجونها الى البحر الملح لحفظ السواحل المصرية من سفن الفرنج الذين كانوا يعيثون فيها وبقى خيره باى واليا على مصر الى ان مات فى ١٤ القعدة سنة ٩٢٨

ولما جلس السلطان سليمان القانونى على تخت الخلافة العثمانية بعد وفاة والده وجه عنايته للديار المصرية فاصلح ادارتها ونظم داخليتها وماليتها وجعل الاموال أقساما منها ما يرسل الى دار الخلافة ومنها ما يصرف على ادارة البلاد وتنظيمها ومنها ما يصرف على طوائف الجنود ما بين أمرائهم العثمانية وطائفة السباهية وطائفة اليكجرية وطائفة الكملية وطائفة الامراء الجراكسة وطائفة المماليك الجراكسة وطائفة مماليك أمير الامراء وغير ذلك وجعل بدل ديوان شورى الوالى ديوانين أحدهما كبير والآخر صغير فكانت أعضاء الديوان الصغير من الرجال السابق الكلام عليهم والديوان الكبير أعضاؤه القاضى وأمير الحج ومشايخ المذاهب الاربعة والمفتون ورؤساء الاشراف والمشايخ وجعل جميع الاراضى المصرية لنفسه ملكا وفرقها الى اقطاعات عهد بها للملتزمين يحرثها الفلاحون

و يزرعونها ولهم نصيب فيها و يورثها أعقابهم من غير أن يكون لهم حق التصرف فيها وعليهم خراج يدفعونه للملتزمين واذا مات المزارع من غير وارث يأخذها الملتزم واذا مات الملتزم من غير وارث تعود للسلطان وجعل لثغور الاسكندرية ودمياط والسويس قوادا وقبودانات وجعل تنصيبهم وعزلهم لارادته السلطانية وجعل الولاة يجددون كل سنة بفرمانات سلطانية فلما مات خيره باى أمير الامراء اجتمع الامراء العثمانيون بالقلعة وتداولوا فى الامر لمنع حدوث اضطرابات فى الاوجاقات فتقرر بينهم بقاء الاحوال على ماهى عليه تحت رياسة خير الدين باشا محافظ القلعة و يعاونه كل من خضر باشا وسنان باشا من كبار رجال العسكرية حتى يحضر الوالى الجديد وعرضوا عن ذلك لدار الخلافة فوجه السلطان سليمان ولاية مصر الى زوج أخته الوزير الثانى مصطفى باشا فحضر الى مصر وصار يلقب بوزير الوزراء وعمم تنفيذ النظام الجديد الذى سنه السلطان لمصر فى جميع أنحائها وغير بعض المأمورين وأدار شؤن البلاد سنة واحدة كما هو القانون ثم فصل عنها فى شهر رجب ونصب بدله قاسم باشا المعروف بالكورجى ولما وصل مصر قوبل بالاحترام كالمعتاد و بعد قليل ظهر عصيان فى بعض الجهات بتحريض كل من جانم أغا كاشف الفيوم والبهنسا واينال الطويل كاشف النحلة وقتلوا ابن بركات و بعض الجنود الذين أرسلوا معه لتسكين ثورتهم فاضطر بعدئذ قاسم باشا أن يجرد عليهم بعض الفرق و بذلك شتت شملهم ثم فصل بعد تسعة شهور من ولايته وتولى بعده الوزير الثانى أحمد باشا (٩٢٩ هـ) وحضر الى مصر على غراب حربى وكان بين هذا الوزير و بين الصدر الاعظم ابراهيم باشا عداوة كبيرة فصمم أحمد باشا على العصيان فى مصر و بمجرد وصوله (شوال) قصد تنفيذ مقصده فانعه اليكجرية فأخذ يدبر لهم مكيدة يزيل بها وجودهم من مصر فاستمال بعض الامراء ولما كان الصدر الاعظم مطلعا على خبث هذا الوالى أصدر أوامر سرية الى أمراء مصر بقتل أحمد باشا المذكور وبعثها اليهم مع أحد القصاد وكان يدعى طاهر افأوصلها الى بعضهم ولكن وقع الامر الصادر لموسى بك أحد أمراء مصر المتقاعدين فى يد الوالى فأخذ حذره وأظهر العصيان والتمرد جهارا وأمر أن يخطب له على المنابر وأن تضرب النقود باسمه وصعد القلعة وأخذ يقتل كل من ظن فيه الشبهة و يصادر الامراء بلا سبب ولكن لم تطل أيامه حيث تآمر عليه الاميران محمد بك وجانم الحزاوى وقتلاه فى الحمام (٩٣٠ هـ) وقد كان لما وصل خبر عصيانه الى دار الخلافة صمم السلطان سليمان على السفر الى مصر بنفسه ولكن منعه الصدر الاعظم ابراهيم باشا الذى سافر فى الحال مع بعض المأمورين على عشرة أغربة فى أوائل ذى الحجة من السنة المذكورة ولكن بالنسبة لاشتداد الزوابع اضطر الى أن يخرج الى ساحل الاناطول أمام جزيرة رودس و يسافر برا فوصل القاهرة فى ٨ جمادى الآخرة سنة ٩٣١ هـ وأخذ يصلح شؤن الادارة المصرية ومع كبر سنه كان من أعظم الوزراء نشاطا و بعد قليل دعى الى الاستانة مع جانم الحزاوى المذكور ونصب على ولاية مصر سليمان باشا الخادم بك بكوات الشام وكان الوزير المذكور أخذه معه من الشام وكان سليمان باشا هذا من المقربين للسراى السلطانية والخليفة يثق به كثيرا ثم عاد ابراهيم باشا فى شوال من السنة المذكورة ولما وصل الاستانة وعرض تقرير مأموريته نال جانم الحزاوى المذكور تقريرا من الحضرة السلطانية وأعاده دفتردار المصر وقد أخذ سليمان باشا الخادم ينظر فى أحوال مصر و يصلح ما فسد منها فعين الامير كيوانى مأمورا لمسح الاراضى و رتب الضرائب على أحسن نظام وأوجد

دفاتر جديدة للحكومة وشيد كثيرا من المباني النافعة وفي مدة ولايته الطويلة كثر تعدي البرتقال بسفنهم على بلاد البحر الاحمر وجهات الهند وسواحل بحرات التي استغاث ملكها بالسلطان سليمان القانوني فأصدر السلطان فرمانا الى سليمان باشا الخادم والى مصر بانشاء دونمنا كافية في السويس وتجهيز جيش عظيم لقمع البرتقال فأخذ الوالي المذكور في انشاء السفن بالثغر المذكور وبعد أن جهزها شحنها بالجيوش وقادها بنفسه (٩٤٤ هـ) واستصحب معه سليمان رئيس المتقدم الذكر ومر أولا على قران ثم استولى على عدن وتوجه الى الهند وحارب البرتقال كما ذكر في مقدمة هذا الجزء وعاد منصورا الى السويس وكان خسرو باشا تعين والياعلى مصر سنة ٩٤١ هـ بالنيابة عن سليمان باشا الخادم مدة قيامه بحملة الهند المذكورة فأتم خسرو باشا جميع الاصلاحات التي وضع أساسها كل من الصدر الاعظم ابراهيم باشا وسليمان باشا الخادم وكان المال المقرر ارساله سنويا بالدار الخلافة من ايرادات مصر وقتئذ ثمانية أحمال ذهب فزاده خسرو باشا الى اثني عشر حملا وعند ذلك طلبوه الى القسطنطينية وسأله ديوانها الكبير عن سبب هذه الزيادة خوفا من أن يكون أحدث ضرائب جديدة تضر بالاهالي لارضاها السلطان فأثبت أن النظام القديم الذي كان معمولا به قبل كان مختلا فلما انتظمت الادارة المصرية ظهرت هذه الزيادة في الايرادات من غير أن يزاد شيء ما في الضرائب الاصلية وان عدم ارسالها في الثلاثة أعوام الماضية كان لصرف مبالغ وافرة في التجهيزات الحربية وفي بناء السفن التي أقلع بها سليمان باشا الخادم ولما عاد سليمان باشا الخادم الى مصر استلم مقاليد الولاية ثانية وبقي فيها سنة وخمسة أشهر ثم دعي الى الاستانة فأسند اليه مسند الصدارة العظمى فكانت ولايته على مصر احدى عشرة سنة وعهدت ولاية مصر الى داود باشا (٩٤٥ هـ) وكان رجلا مستقيما كريم الاخلاق محبا للعلماء جمع من المؤلفات العربية شيأ كثيرا ومات في مصر فحزن عليه الاهالي وله المآثر الخيرية مما خلد ذكره (٩٥٦ هـ) فمن مآثره المدرسة العظيمة التي بناها بسويقة اللالا بمصر وأوقف لها أوقافا باقية للآن ثم تولى بعده مصطفى باشا صقصغان ولكن لم تطل أيامه فصرف بعد أربعة شهور ونصف (٩٥٦ هـ) ثم تولى بعده علي باشا الملقب بسميز وصدر له فرمان من دار الخلافة بتسيير الدونمنا لمحاربة البرتقال في الهند فسار بها القائد البحري الشهير بيري رئيس من السويس مرتين (٩٥٨ هـ) ثم ترك الاساطيل بالبصرة وعاد الى السويس بمركبين فصدر الامر بقتله فقطعوا رأسه بالقاهرة كما سبق في المقدمة وتعين بدله لقيادة الاساطيل مراد رئيس ولما عاد هذا الوالي الى دار الخلافة (٩٦٠ هـ) تقلب في كثير من الوظائف الى أن ولي الصدارة العظمى (٩٦٨ هـ) فأحسن السلوك وتولى مصر بعده محمد باشا الشهير بدوقتراكين زاده في أول صفر (٩٦١ هـ) وكان سيء السيرة مبغضا عند الناس وفي أيامه سافرت الاساطيل العثمانية المصرية التي كانت ببحر البصرة والسويس تحت قيادة السيد علي قبودان لمحاربة البرتقال كما سبق وتصرف هذا الوالي الى سنة ٩٦٣ هـ ثم عزل ودعي الى الاستانة للمحاكمة وقتل فيها وتولى بعده مصطفى باشا النشار وفي أيامه أصدر السلطان فرمانا بتجهيز الجيوش الى اليمن فحصل منه تراخ في الامر فعزل بعد مدة قصيرة وتولى اسكندر باشا المعروف بالبستانجي (٩٦٣ هـ) ولما جاء سنان باشا لتجهيز الجيوش لليمن كانت الأوامر والنواهي بجميع ديار مصر بيده ولما توجه بالجيوش الى اليمن انفرد اسكندر باشا

البستانجى بالاحكام وفى ولايته عمر المدرسة البديعة العجيبة البنيان التى كانت بباب الخرق المطلة على الخليج وهدمت أثناء فتح شارع محمد على وله غير ذلك من الاعمال العظيمة وأوقف أوقافا كثيرة ثم صرف سنة ٩٦٦ ﻫ وتولى مصر بعده على باشا المعروف بالخادم وبقى حاكما الى سنة ٩٦٨ ﻫ ثم فصل ونصب بدله لالا شاهين مصطفى باشا وأقام ثلاث سنوات ثم عزل وتولى على باشا الصوفى سنة ٩٧١ ﻫ وبعد سنتين وثلاثة شهور فصل وتولى محمود باشا فى رمضان (٩٧٣ ﻫ) وكان ظلوما جائرا مرتشيا ولما وصل الى مصر أهداه شيخ مشايخ الصعيد محمد بن عمر بخمسين ألف دينار فقبلها ثم دعاه اليه بعد ذلك وقتله وقتل أيضا الشيخ يوسف العبادى من القضاة لكونه لم يحضر لزيارته ووضع يده على أموال الدفتردار ابراهيم چلبى يوم وفاته فأساءت هذه المعاملة أصحاب الحمية من الاهالى والجند وبينما كان مارا فى أول يوم من جمادى الاولى سنة ٩٧٥ ﻫ من بين بعض البساتين اذ أطلق عليه رجل عيارا ناريا فقتله ولم يقف أحد على القاتل ولما بلغ خبر قتله للاستانة كان السلطان سليم خان الثانى جلس على تخت الخلافة بعد أبيه فأمر بتعيين سنان باشا بكوات حلب واليا على مصر فوصلها فى ١٣ شعبان وأخذ ينظر فى أحوالها ويتصرف فى أمورها بحكمة وتدبر وبعد تسعة أشهر ونصف وردت عليه الاوامر السلطانية بان يستعد لفتح بلاد اليمن واسترجاعها من الزيديين القائمين فيها بالفتن فجهز فرقة من الجنود وقادها الى اليمن (٩٧٦ ﻫ) وأناب عنه فى ولاية مصر جركس اسكندر باشا وقد تمكن هذا الوالى من فتح بلاد اليمن ثم أخذ فى تمهيد أمورها واصلاح أحوالها وقد ألف القطبى تاريخا معتبرا عن هذه الفتوحات وسماه البرق اليمانى فى الفتح العثمانى لم ينسج على منواله تاريخ وسنان باشا هذا هو الذى فرش الحجر الاسود الذى بعد صحن المطاف بالمسجد الحرام ولما رجع سنة ٩٧٩ ﻫ استلم ولاية مصر ثانية من اسكندر باشا الفقيه الجركسى المذكور وأخذ يشيد المبانى فشيد فى بولاق تكية وجامعا لا يزال للآن ونظر فى كثير من الاصلاحات حتى أحبته الاهالى وبعد سنتين دعاه السلطان الى دار الخلافة ورقاه الى مسند الصدارة ثم بعثه لفتح تونس وتولى الصدارة بعد ذلك أربع مرات وكان من أعظم رجال الدولة له مآثر جمة وخيرات جسيمة لا تنقطع على توالى الايام فى بلاد الشام ومصر والثغور والبنادر ووجه السلطان سليم ولاية مصر بعده الى حسين باشا (١٦ محرم ٩٨١ ﻫ) وفى ولايته حصل فى مصر قحط وغلاء أعقبه وباء ولما جلس السلطان مراد خان الثالث على تخت الخلافة صرف حسين باشا (٩٨٢ ﻫ) عن مصر وولى مكانه خازنداره الخادم مسيح باشا ولما كان هذا الوالى يتصف بالعدل والعفة ويكره أهل الفساد قتل منهم نحو عشرة آلاف فخافه أصحاب المطامع من الحكام والكشاف فاستقام أمرهم وشيد فى حياته مدرسة ومدفنا له بالقرافة أوقف عليهما أوقافا باسم الشيخ نور الدين القرافى لا بأس بها واستمر واليا خمس سنوات ثم فصل فى ١٥ جمادى الاولى من سنة ٩٨٨ ﻫ وتولى بعده حسن باشا الخادم وكان يسمى بالنقيض لحصره الخدمة لمنفعته وكان محبا لجمع المال بأى وسيلة وعمر وكالة ببولاق تجاه دار الصناعة وصهريجا وكان ينوى ازالة دار الصناعة ليبنى مكانها جامعا فلم تمكنه مدته من ذلك حيث صدر الامر بعزله بعد سنتين وعشرة أشهر من ولايته ولما خاف من العقاب هرب ليلا من القاهرة ثم قبض عليه وسجن (٢٤ ربيع الآخر ٩٩١ ﻫ) وتولى بعده ابراهيم باشا الوزير وحضر بفرمان سلطانى يأذن له بالتفتيش على أعمال حسن باشا المذكور ففرح لقدومه الناس وأخذ يفتش على ما اغتصبه سلفه فوجده شيأ كثيرا وكان التحقيق علنا بجامع السلطان فرج بن برقوق وكان لكل الحق فى الادعاء على الوالى المذكور ولما تم

التحقيق

التحقيق وعرض ابراهيم باشا نتيجته أتى الامر اليه بقتل حسن باشا فقتله وتوجه بنفسه الى بئر الزمرذ فظفر منه بشئ نفيس ونظر فى كثير من الامور وأصلحها ثم استعفى ودعى الى القسطنطينية سنة ٩٩٢ ﻫ وتولى بعده سنان باشا الثانى المعروف بالدفتردار فأساء التصرف ولما بلغت الشكاوى فى حقه دار الخلافة عزل (٢٤ ربيع الآخر ٩٩٥ ﻫ) وولى السلطان مكانه أويس باشا ولما وصل الى شبرى قابل سنان باشا بوجه عبوس لخاف سنان باشا من ذلك ولما عاد الى مصر اختفى ليلا ولم يظهر له خبر ثم ظهر بعد مدة فى القسطنطينية ولما كانت ادارة البلاد مهملة فى زمن سنان باشا على الخصوص أثر ذلك فى الجنود ولم تمض أيام على ولايته أويس باشا حتى ظهر لهيب الفتنة بين العسكر وذلك لانه لما قصد ادخال أولاد العرب من المصريين فى الجيش تذمر الجنود ولم يقبلوا أن يتشبه غيرهم بهم فى لباسهم وهجموا على أويس باشا وأهانوه (٩٩٧ ﻫ) وقتلوا اثنين من القضاة فاضطر الى الاذعان لطلباتهم وفى هذه المدة حصلت زلزلة شديدة سقطت منها جملة منارات و بيوت وأعقبها ريح عاصف وتفرق جبل المقطم الى ثلاث فرق بالقرب من اطفيح وخرج منها ماء وفى شهر رجب سنة ٩٩٩ مات أويس باشا بداء السكتة ودفن بالقرافة وتولى بعده حافظ أحمد باشا الخادم وكان حاكما على قبرس وكان عالما حاذقا مدبرا محبا للعلماء والفقراء فأحبته الاهالى وعمر فى مدته وكالة كبرى وأخرى صغرى وسوقا وقهوة و بيوتا وطاحون و بيوتا وفرنا فى بولاق بجوار شون الحطب وغير ذلك من المبانى ولما جلس السلطان محمد خان الثالث سنة ١٠٠٣ ﻫ على تخت الخلافة استدعى حافظ أحمد باشا المذكور الى القسطنطينية وجعله وزيرا وولى مكانه فى مصر السيد محمد باشا الشريف فوصل مصر فى ١٣ شوال ١٠٠٤ ﻫ وكان عالما مهيبا ذا سطوة و بصيرة قامت فى أيامه ثورة كبيرة كاد يقتله فيها العسكر وطائفة السلطانية ولكنه تمكن بحذقه من ردعهم ورمم أروقة الجامع الازهر ورتب عدسا يطبخ للمجاورين به والفقراء ولما دعى الى الاستانة خرج من مصر بموكب عظيم وعلى رأسه عمامة خضراء (١٠٠٦ ﻫ) وتولى بعده خضر باشا ووصل الى مصر فى ذى الحجة من السنة المذكورة وكان سئ التصرف فأغضب الاهالى وكانت حركات العساكر غير مرضية و بعد ثلاث سنوات من حكمه عزل وتولى بعده السلحدار على باشا المعروف بياوز (٩ صفر ١٠١٠ ﻫ) ولما وصل الى مصر تقدمت اليه شكاوى كثيرة فى حق كاشف المنوفية وحاكم النحراوية فقتلهما فهابه الحكام وكان من رجال الحرب فلذلك كان يكرم الجند وكان قاسيا سفاكا للدماء حتى لقبه أهل مصر بالنمر وتظلم الاهالى من قساوته وفى مدته حصل الطاعون فى مصر ثم أزاله الله بعد أن فتك بالقرى والامصار وانتشر فى زمنه بمصر تدخين التبغ ثم دعى الى الاستانة بعد سنتين وستة أشهر وعشرين يوما من ولايته وأناب عنه بيرى بك أمير الحج (١٠١٢ ﻫ) واتفق فى هذا الوقت جلوس السلطان أحمد خان على كرسى الخلافة فوجه مسند الصدارة العظمى الى ياوز على باشا المذكور وجعل بيرى بك المذكور واليا على مصر ولكن عاجلته الوفاة قبل وصول الخبر اليه بذلك أى بعد أربعة أشهر من نيابته وانتخب السناجق أمير اللواء عثمان بك الى أن يرد الفرمان عن يتصرف فى الولاية وكان عثمان بك مشهورا بالعفة والاستقامة والعدل وكان له خط مليح فاق به مشاهير الخطاطين وكان أيضا من رجال الحرب المعدودين فتصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوما وولى السلطان أحمد خان بعد جلوسه على مصر حاجى ابراهيم باشا وكان مستقلا برأيه لا ينقاد الى النصح والشورى فثارت العساكر عليه واشتدت الفتنة

وصمم رؤساؤها على قتل الوالى المذكور عند عودته من قطع جسر أبى المنجا وكان ذهب اليه ومعه
محمد باشا خسرو ومصطفى أفندى عزمى قاضى مصر فتمكنوا من مرادهم وقتلوه بعد أن فتكوا
بمحمد خسرو باشا (١٠١٣ هـ) وفى ذلك اليوم أرادوا تولية عثمان بك فلم يقبل فأقاموا قاضى
العسكر مصطفى عزمى أفندى نائبا ولما علم ديوان الاستانة بقتل ابراهيم باشا ولى على مصر كورجى محمد
باشا الخادم فى ٦ رجب من السنة المذكورة فحضر على غراب حربى وألقته الرياح على ساحل دمياط
ولما قدم مصر أخذ يبحث عن قاتلى ابراهيم باشا ولما قبض عليهم قتلهم شر قتلة فهابته الناس ولكن
لم تطل مدته حيث صرف عن ولاية مصر بعد سبعة شهور و ١٧ يوما وتقلب فى خدمات عديدة الى
أن تولى الصدارة العظمى ثم فى مدة السلطان مصطفى خان عاد الى مصر وأقام بها وهو كفيف البصر
ولما انفصل كورجى محمد باشا تولى مصر بعده حسن باشا الدفتردار (ربيع أول ١٠١٤ هـ)
وكان على ولاية اليمن وكان حسن الاخلاق أنشأ رواقا لليمنية فى الازهر ولم يحصل منه بمصر لا نفع
ولا ضر وعزل فى ١٦ صفر ١٠١٦ هـ وولى بعده أوكوز محمد باشا ولما وصل الى القاهرة تقدمت له
جملة شكاوى فى حق كشاف المنوفية والغربية والبحيرة فعزلهم ونصب خلافهم وبذلك سكنت
اضطرابات الاهالى ويقال ان كاشف الغربية لما انفصل تعصبت عليه العساكر وأرادوا قتله فهرب فى
احدى السفن الراسية على ساحل البحر فسقط فى البحر وغرق (١٠١٧ هـ) ولما اشتدت الفتنة
ساق الباشا جيشا تحت قيادة الامير مصطفى بك سردار العسكر فبدد شمل الثائرين واستمر محمد باشا بعد
ذلك نافذ الكلمة الى أن عزل (١٠٢٠ هـ) وولى الصدارة بعدئذ وله عمارات برشيد وغيرها وتولى
بعده على مصر حاجى باشا وكانت مدته قصيرة ودعى الى دار الخلافة وولى مكانه محمد باشا الصوفى
(١٠٢١ هـ) ووصل الى مصر فى شهر شعبان وكان مستقيما ميالا الى العدل وفى السنة الثانية
من حكمه أتت بعض الفرق العسكرية من الاستانة للاقامة فى مصر ولما أمر بارسال الزائد من
الجنود الى اليمن بعد تجهيزهم صرف لهم استحقاقهم وأراد تسفيرهم لاخماد ثورة اليمن فثاروا
عليه وحصل منهم مقاومة وأخيرا تغلب عليهم وساقهم الى السويس ومنها الى اليمن ثم عزل
(١٠ ربيع الاول ١٠٢٤ هـ) وتولى بعده أحمد باشا الدفتردار وكان سياسيا صاحب تدبير سهل
الاخلاق ولما قامت الحرب بين الدولة والعجم جهز فرقة مؤلفة من ألف جندى وأرسلها امدادا
للدولة تحت قيادة صالح بك واستمر أحمد باشا نافذ الكلمة الى أن صرف فى صفر سنة ١٠٢٧ هـ
وكان السلطان مصطفى خان تربع على دست الخلافة فولى لفكه لى مصطفى باشا السلحدار على مصر
وثارت فى ولايته بعض الاوباش من الجنود فأعادهم الى السكينة ثم عزل (١٠٢٨ هـ) وصادف
خلع السلطان مصطفى خان وجلوس السلطان عثمان خان الثانى (١٠٢٧) فولى على مصر
جعفر باشا (١٠٢٨ هـ) وكان فى اليمن وحضر الى مصر وأقام فيها مدة فى ولاية أحمد باشا ولما
قامت الفتنة سافر الى دار الخلافة ثم عاد بفرمان الولاية وقوبل بالسرور وفى مدة ولايته تفشى فى
البلاد الطاعون حتى قفلت الاسواق وتعطلت الاعمال وعزل فى شهر رمضان وعاد الى الاستانة وتولى
بعده مصطفى باشا (١٠٢٨ هـ) وتضرر أصحاب الاملاك والاموال كثيرا من أعماله لانه اغتصب
منهم شيئا كثيرا وكثرت الجواسيس والوشاة ببابه وصاروا ينقلون اليه أخبار الناس ويزخرفون
له أقاويل كاذبة فاختلت الاحوال وكان مصطفى باشا هذا ذا شجاعة واقدام قتل بيده زعيم الفتنة

الماضية المدعو مصطفى بقچلى وظن الناس أن بقتله تقوم فتنة فلم يحصل شيء ثم عزل في رمضان سنة ١٠٢٩ هـ وتولى بعده مره حسين باشا الأرنؤد ولما حضر حبس مصطفى باشا المذكور ونظر في حسابه ثم لما سافر الى دار الخلافة تبعه المتظلمون وهناك أخذوا حقوقهم منه وبعد سنة من حكم حسين باشا حصل غلاء وارتفعت الاسعار وأعقبها وباء بقي ثلاثة شهور ثم عزل في ربيع الآخر سنة ١٠٣١ هـ وسافر الى دار السعادة وقبل وصوله خلع السلطان عثمان خان الثاني و جلس السلطان مصطفى خان مرة ثانية واتفقت الاحزاب فولوا مره حسين باشا والى مصر الصدارة العظمى (١٠٣١ هـ) وولى على مصر بوبر محمد باشا رئيس البستانجية ولكنه لم يصل الى مصر بل عزل بعد ٧٠ يوما وكان النائب عن الوالى بمصر حسن أفندى الدفتردار ثم ولى على مصر السلحدار ابراهيم باشا ودخل مصر من ثغر رشيد في شهر رمضان وأظهر في ادارته حسن الاقتدار ولكن لم تطل أيامه فعزل وتولى مكانه قره مصطفى باشا (في رمضان ١٠٣٢ هـ) ولما وصل قصد محاسبة ابراهيم باشا على مال الديوان فلم يستطع ذلك وقال ابراهيم باشا الصالح بك الذى أرسله الوالى الجديد اليه إنه يدفع ما عليه للسلطنة في الاستانة وأقلع من اسكندرية فأطلقت طابية الفنار على سفينته بعض طلقات الا أنها لم تحدث لها ضررا وكان قره مصطفى باشا هذا يتجول بنفسه في الاسواق وينظر في الشكاوى وفي الاسعار ويحكم في الجنايات بنفسه مخافته العسكر وحصل من أعماله هذه تأثير حسن في قلوب الخلق وعظم في أعينهم وله من العمارات والمدارس التى بناها شيء كثير ولما جلس السلطان مراد خان الرابع (١٠٣٢ هـ) عزل هذا الوالى عن مصر وولى مكانه على باشا الچشنهجى ولما حضر طلبت منه العساكر الأعطية المعتاد توزيعها عند تولية الوالى الجديد فتوقف القائممقام عيسى بك في الصرف فرفضت العساكر عزل قره مصطفى باشا وألزموا على باشا بالعودة من حيث أتى ولما ركب البحر ليساعد الريح سفينته على الاقلاع وأطلقوا عليها من قلعة فنار الاسكندرية بعض القنابل فاضطرت للهرب بعد كل صعوبة ثم أرسل الجنود من طرفهم مأمورا الى الاستانة فنال لهم فرمانا بابقاء قره مصطفى باشا في الولاية (١٠٣٥ هـ) وظهر وباء شديد صار في أثنائه الباشا يغتصب أموال المتوفين بغير حق كأنه الوارث العمومى لاهالى القطر فتقدمت في حقه الشكاوى لدار الخلافة فعزله السلطان مراد خان وولى مكانه بيرام باشا (في شعبان ١٠٣٧ هـ) وفي ولايته حصلت ثورات في اليمن وكلفته الدولة باخمادها فساق عليها الجنود وحصل بسبب ذلك أمور مكدرة يطول شرحها وكان بيرام باشا هذا محبا للعلم والعلماء ذا ادارة حسنة ولذلك ازدادت في زمنه التجارة والمكاسب فكثر بسببها الضرائب ثم دعى الى الاستانة وولى فيها الوزارة (١٠٣٨ هـ) وتولى على مصر مكانه طبان بصى محمد باشا وفي أوائل ولايته صدر له فرمان بارسال جيش لاطفاء ثورة اليمن فعين أمير الحج قانصو بك مأمورا لاصلاح مقاطعة اليمن و بعد ان تجهزت الجيوش أظهر قانصو بك المذكور بعض تعللات ولكنه اضطر أن يسافر بعد ذلك مع القوة التى كان عددها ٣٠,٠٠٠ مقاتل ومعها ٣٠ مدفعا (١٠٣٩ هـ) فأطفأ لهيب تلك الثورة وأصلح محمد باشا هذا ما هدمه السيل من الكعبة الشريفة بأمر السلطان ثم عزل عن مصر (١٠٤٠ هـ) و تولى بعده موسى باشا وكان سيء السيرة وفي أيامه سافر من مصر جيش لمساعدة الدولة في حرب الفرس وعين لقيادته قيطاس بك ونشأ من ذلك ضرورة زيادة الضرائب ونصح قيطاس بك الوالى بمنع هذه الزيادة فقتله فقامت السناجقة على موسى باشا ومنعوه عن النظر

فى الاعمال فاضطر أن يسافر بحرا الى دار السعادة (فى محرم ١٠٤١ هـ) وتقدمت جملة شكاوى فى حقه من العلماء والامراء فولت الدولة مكانه البستانجى خليل باشا فأتى مصر فى شهر ربيع الاول وفى أوائل ولايته قامت ثورة بالحجاز زعيمها يدعى نامى الاشرف وهجم رجالها على مكة ونهبوها فكلفت الدولة خليل باشا باطفاء هذه الفتنة فارسل تجريدة مع الامير قاسم بك فحارب أولئك الثوار وقتل زعيمهم وعاد سنة ١٠٤٢ وفى هذه السنة استقال هذا الوالى من ولاية مصر وقد أثنى عليه الاهالى لعدله وقناعته وولى مكانه الامير اخوركوربجى أحمد باشا ولما وصل طلبت منه الدولة ارسال الامداد والذخائر لمساعدة جيوشها التى أرسلتها لمعاقبة دروز لبنان وفتح بغداد فاعتذر بعدم امكان مصر القيام بذلك ثم طلبوا منه نقودا للاعانة العسكرية فاثقل الضرائب لذلك فشكته الاهالى فاستدعى الى الاستانة وهناك حكم عليه بالاعدام بعد اجراء التحقيق (١٠٤٥ هـ) وولى مكانه بك بكوات ديار بكر والى حسين باشا وكان سفاكا للدماء نهابا للاموال الايتام أبطل شرب الدخان وعاقب بقتل من استعمله وعزل بعد سنتين (١٠٤٧ هـ) وتولى مكانه قبوجى باشى جوان محمد باشا المعروف بسلطان زاده ولما وصل طلبت منه الدولة مساعدة حملة بغداد فارسل ١٥٠٠ جندى مع أمير الحج قانصوه بك (١٠٤٩ هـ) وعادوا بعد سنة وكان محمد باشا هذا طماعا جمع ثروة عظيمة وفى ولايته جلس السلطان ابراهيم خان على كرسى الخلافة فعزل محمد باشا وولى مكانه نقاش مصطفى باشا المعروف بالبستانجى (فى جمادى الآخرة ١٠٥٠ هـ) وكان نزيه النفس ولكن سوء أعمال حاشيته سلب الامان من البلاد فنصبوا من يدعى كنعان أفندى مأمور الضابطة فأعاد النظام وبعد قليل هاج العساكر لتأخير مرتباتهم وقد اتضح بعد النظر فى شكاويهم ان بعض ذوى الاطماع من المأمورين اختلس جانبا منها وكان قاضى مصر كلف بتحقيق ذلك ولما ظهرت الحقيقة أخذ الوالى المذكور بغير المأمورين الذين ظهرت ادانتهم ونصب بدلهم وقد اضطر بسبب ذلك الى الاستعفاء (١٠٥٢ هـ) وتولى مكانه بك بكوات ديار بكر مقصود باشا فلما حضر أجروا بعض التحقيقات فظهر له ان فى طرف كتخدا الوالى السابق وكاتبه مائتى كيسه ولذلك أخلى سبيل الذين كانت وقعت عليهم الشبهة من العمال وحصل فى مدة هذا الوالى وباء لم يسمع بمثله فكثرت الموتى حتى صاروا يدفنون بدون صلاة وخربت بسببه ٢٣٠ قرية من الوجه البحرى وأعقبه قحط وغلاء فى الاسعار وتآمر السناجق وفى مقدمتهم ماماى بك وعلى بك وشعبان بك ورضوان بك والدفتردار شعبان بك على الباشا لطلبه منهم تسديد رواتب الجيش وبقيت الاحوال مرتبكة والتجارة كاسدة فعزله السلطان (١٠٥٤ هـ) وتولى مكانه الدفتردار شعبان بك موقتا ثم حضر الوالى الجديد أيوب باشا الى القاهرة فى ربيع الاول وكان من مأمورى السراى الشاهانية وكان نحيف الجسم متمرضا ومع ذلك تمكن من اصلاح بعض الامور لاستقامته ونزاهته ولكن لم تطل أيامه فاستقال وتفرغ للعبادة (فى ربيع أول ١٠٥٥ هـ) وتولى بعده محمود باشا ابن حيدر اغا ولما لم يحسن الادارة زادت الامور ارتباكا بثورة اليكجرية التى قامت بدسيسة رضوان بك وعلى بك ورفع اليكجرية شكواهم الى السلطان فورد للوالى فرمان بقتل قانصوه بك وماماى بك فقتلهما ونفى غيرهما من الامراء وهرب البعض (١٠٥٧ هـ) ثم قام مصطفى كتخدا وغيره بفتنة أخرى فاستدعى الوالى محمود باشا الى الاستانة لان أرباب الثورة كانوا قبضوا عليه وحبسوه بالقاهرة وورد الخبر بولاية موستارى مصطفى باشا ١٠٥٧ هـ وفى تلك الاثناء انتقل السلطان

ابراهيم خان الى الدار الآخرة وجلس ابنه السلطان محمد خان على كرسى الخلافة (١٠٥٨ هـ)
وتعين شريف محمد باشا بدل مصطفى باشا المذكور ولما أتى حاسب الوالى المحبوس فوجد طرفه
٨١٠٠ دينار فحصلها منه ثم فصل مصطفى باشا الموستارى هذا (١٠٥٩ هـ) وتولى مكانه أحمد
باشا الطرخونجى وعقب وصوله مصر وصل خبر بعزل الامير قيطاس محافظ جدة وخلفه فيها حاكم
آخر يدعى حسن باشا وقد حصل بين حسن باشا وبين الشريف زيد شريف مكة منازعات أدت الى
حروب قهر فيها الشريف زيد وفى أيام هذا الوالى اضطربت الاحوال وغلت الاسعار حتى خيف
من المجاعة وأتاه أمر من دار الخلافة بنقل أمير الحاج رضوان بك لمتصرفية جرجا بدلا من على بك الذى
عين أمير الحاج ثم عزل أحمد باشا فى صفر سنة ١٠٦١ هـ وتولى مكانه عبد الرحمن باشا (١٠٦٢ هـ)
ولم يكن له من النفوذ شئ لتغلب الامراء عليه حتى اضطر لان يعيد قيطاس بك لمحافظة جدة ثم عزل
هذا الوالى وتعين مكانه خاصكى محمد باشا (فى شعبان ١٠٦٢ هـ) وفى أيامه أصلحت بعض الجوامع
والاضرحة ولما مات على بك حاكم جرجا عين مكانه أحد مماليكه المسمى محمد بك وثارت بعض
العساكر فقبض عليهم ونفى بعضهم وبذلك سكنت الفتنة ثم أرسل أحمد بك كبير بكوات الحبشة اليها
فأصلح المختل من أمورها بقدر الامكان وبعد عودته مات رضوان بك أمير الحاج فتعين أحمد بك مكانه
ثم حصلت بعض قلاقل واضطرابات تعصب فيها كتخدا الجاويشية ضد الباشا وكانت نهايتها ازال
الوالى من القلعة وحبسه فى بيته الى أن صدرت الاوامر من الاستانة بعزله (١٠٦٦ هـ) وولى
مكانه مصطفى باشا صهر ابن الخاليجى وفى مدته تحول النفوذ الى السناجق واعتصب اليكجرية
واجتمعوا بالسلاح أمام الديوان وطلبوا النظر فى أمر علوفاتهم فدعا الوالى أمراءهم ونصحهم
ووبخهم فلم يرتدعوا وحصل من ذلك عربدة كبيرة تمت بعزل الوالى (١٠٦٧ هـ) وولى مكانه الغازى
محمد باشا ابن شهسوار فلم يتمكن من رتق الفتق وازدادت الارتباكات لخروج بعض الامراء عن
حدودهم مما اضطره لان يعقد مجلسا مؤلفا من القاضى وشيخ الجامع الازهر والشيخ البكرى وغيرهم
فقرروا بلزوم محاربتهم لعدم امتثالهم الاوامر السلطانية فجرد عليهم وحاربهم وقتل قانصوه أحد
كبرائهم فى الواقعة وقدم محمد بك كاشف البهنسا الطاعة ومع كل ذلك قطع الوالى رأسه فى ملوى وعاد
الى مصر ثم عزل هذا الوالى وخلفه مصطفى باشا الكورجى (١٠٦٧ هـ) ولما حضر شرع فى
محاسبة سلفه عما لديه من الاموال ومطالبته بمتروكات محمد بك المقتول ثم حبسه فى قصر يوسف
صلاح الدين بالقلعة وكتب الى الاستانة بعدد سيئاته وما ارتكبه من المنكرات فصدر فرمان بقطع
رأسه فقطعت سنة ١٠٦٨ هـ وانطفأت بذلك فى الظاهر الفتنة التى قامت فى مصر وقتئذ ثم عزل
مصطفى باشا المذكور فى شهر رمضان من السنة المذكورة وولى مكانه الدفتردار ابراهيم باشا وحدثت
فى مدته قلاقل واضطرابات شديدة بين أمراء مصر فعزل وتولى وال آخر يدعى ابراهيم باشا الدفتردار
ولم يبق الا أياما ثم عزل ونصب بعده عمر باشا السلحدار وفى أيامه اشتد الهرج وانقسمت الامراء
أحزابا وحصلت واقعة الصناجق وكانت واقعة هائلة بقيت فيها نيران الحرب بينهم مشتعلة فى شوارع
القاهرة وضواحيها وامتد ذلك الى الاقاليم القبلية وجهز الوالى أثناءها عدة تجاريد ثم انتهت بقتل
معظم أمراء الفقارية وانتصرت أحزاب القاسمية (١٠٧١ هـ) وبقى عمر باشا فى الولاية الى سنة
١٠٧٧ هـ ثم عزل وتولى بعده أحمد باشا ولم تطل أيامه حيث فصل بعد سنة وتولى بعده ابراهيم باشا

المعروف بالصوفى (١٠٧٨ هـ) ثم عزل بعد سنة أيضا وتولى مكانه قره قاش على باشا ومات فى القاهرة فخلفه الكتخدا ابراهيم باشا وفى أيامه ارتفع ثمن الفضة جدا لسبب لم نقف عليه ثم عزل سنة ١٠٨٥ هـ وولى مكانه حسين باشا ابن جانبولاد وأمرته الدولة بارسال ثلثمائة كيس غروش كلاب على حساب الغرش الكلب ٣٠ نصف فضة وكان الغرش الكلب فى مصر بأربعين نصف فضة ثم فصل فى سنة ١٠٨٧ هـ وتولى بعده أحمد باشا الدفتردار وصرف بعد سنة وتولى بعده عبد الرحمن باشا وفى أيامه غلت الحبوب حتى بلغ ثمن إردب القمح ١٨٠ نصف فضة واردب الشعير ١٢٠ والفول كذلك مع ان النيل كان وافيا ثم عزل سنة ١٠٩١ هـ وتولى بعده عثمان باشا وفى أيامه زاد النيل كثيرا حتى غطى ما بين الجبلين من الاراضى ونادى المنادون بذلك فى مصر وفى ولايته شيد ذو الفقار بك أحد الامراء جامعه المعروف باسمه بدرب الجماميز ثم عزل هذا الوالى سنة ١٠٩٤ هـ وولى مكانه حمزة باشا ولما كانت الدولة فى العهد المذكور مشتغلة بالحروب المتواصلة مع النمسا وغيرها ومرتبكة بالثورات الداخلية كما بيناه فى تاريخ الدولة بالجزء الاول انتهز الامراء فى مصر هذه الفرصة وقاموا يريدون الاستقلال واعادة حكومة المماليك فكانوا يهددون الولاة تارة باشهار السلاح وتارة بعقد الاتفاق فيما بينهم حتى جعلوا الولاة ألعوبة فى أيديهم ولما عزل حمزة باشا المذكور سنة ١٠٩٧ هـ تولى بعده حسن باشا كتخدا وتخوفه من اتحاد الاحزاب عليه واستبدادهم اضطر لان يوقع بينهم الفتنة ويضرب بعضهم ببعض فنجح وقامت بينهم مجادلات وحروب يطول شرحها وأخيرا تعين الامير ابراهيم بك أبو شنب شيخا للبلد ونصب الامير اسمعيل بك دفتردارا فعاد النظام وهدأت الاحوال وغلت الاسعار سنة ١٠٩٨ فضج الناس وأظهروا التذمر من الوالى فعزل من الولاية سنة ١٠٩٩ هـ وولى مكانه حسن باشا الداماد بفرمان من السلطان سليمان خان الثانى ولم تطل مدته فعزل بعد سنة وولى بعده ابراهيم باشا الصوفى سنة ١١٠٠ هـ ثم أحمد باشا الكتخدا (١١٠١ هـ) فعاجلته الوفاة سنة ١١٠٢ هـ فتولى مكانه على باشا الملقب بقلنج ويلقبه حضرة صاحب دليل افريقية بالخزينه دار ولما حضر عين الامير اسمعيل بك دفتردارا بدلا عن الامير مراد بك واهتم بارسال فرقتين عسكريتين تتركب كل واحدة منهما من ألف نفر الى كريد امدادا للدولة وفى أيامه ثارت العساكر على الامراء فتمكن هذا الوالى من ردعهم وكان فساد العساكر فى أيامه قد بلغ منتهاه حتى عجز عن ردع المفسدين وتأمين الرعايا وانقطع ورود الغلال الى الشون السلطانية وخلت الخزينة من الاموال واشتدت الامور وكانت كل طائفة من العساكر تأخذ فى حمايتها جملة من التجار أو المزارعين أو الملاحين فى البحر فيقتسمون معهم الارباح ويمنعونهم من أداء حقوق الحكومة فبذل الوالى كل جهده فى إبطال هذه الحمايات حتى أبطلها وحارب العربان فقمعهم ثم سكنت الامور نوعا وصرف فى ذى القعدة سنة ١١٠٦ هـ وتولى بعده اسمعيل باشا ولما حضر الى مصر وجد الفقر اشتد بجانب كثير من الناس اختص باطعام قسم كبير منهم ووزع ما بقى على الامراء ولاشتداد الفقر ظهر الوباء فى أيامه فمات به خلق كثير وكان هذا الوالى شديد الوطأة على عمال الحكومة واتفق أن شخصا من عمال المحكمة الشرعية يدعى محمد الزرقانى زور حجة ولما تبين تزويره أمر به فحلقت لحيته وساروا به فى الحارات والازقة ثم نفى الى الصعيد وثارت بعض العساكر فى ربيع الاول من سنة ١١٠٩ فعزل ونقل واليا على بغداد وتولى بعده

صارى حسين باشا البوشناقى ولما وصل الى مصر أرسل فرقة من الجنود المصرية امدادا للجيش السلطانى سافرت مع الامير يوسف بك المسلمانى وفى أيامه أوقع المغاربة ببعض الاهالى فقبض على جملة منهم وحبسهم ثم صرف فى ربيع الآخر من سنة ١١١٠ هـ وتولى بعده قره محمد باشا كتخدا الوزير الاعظم المعروف بعوجه زاده وفى خلال ولايته وردت الاخبار بجلوس السلطان أحمد خان الثانى على سرير الخلافة فعملت الزينات وشيد هذا الوالى كثيرا من المبانى النافعة مدة ولايته ثم نقل فى شهر جمادى الآخرة من سنة ١١١٦ هـ الى الشام وتولى مكانه محمد باشا رامى وفى أيامه نقصت زيادة النيل عن العادة فارتفعت الاسعار واشتد الكرب بالناس وظهر الطاعون ومات به خلق كثير وتولى الامير أيوب أمير الحج بدلا عن قيطاس بك ثم فصل هذا الوالى فى جمادى الاولى سنة ١١١٨ هـ وولى مكانه على باشا كتخدا حسين باشا وحضر على النيل مع اتباع عديدين يزيدون عن ألفى نفس وفى مدته قامت فتنة بين فرقة المتفرقة وفرقة العزب فقبض على رؤسائهما ونفاهم فسكنت فتنتهم وصادر الوالى السابق فى أمواله وحبسه ثم نفاه الى رودس ولما مات اسمعيل بك الدفتردار نصب مكانه أيوب بك ثم عزله ونصب مكانه الامير ابراهيم بك وفى سنة ١١١٩ هـ حبس هذا الوالى بناء على ماورد من الاستانة لامور نسبت اليه وأخذ الدفتردار فى محاسبته وسؤاله عما فعله بأموال الحكومة وتولى بعده حسن باشا الداماد مرة ثانية ووصل من طريق النيل فى شهر شعبان وثار اليكجرية فى أيامه فتوسط العلماء والامراء فيما بينهم وبين الوالى فثابوا الى السكينة وأخذت عليهم المواثيق بأن لا يشقوا عصا الطاعة مرة أخرى وأعيد قيطاس بك لامارة الحج ثم ثار أهل الفساد ولم تنطفئ نورتهم الا بعد أن نصب ابراهيم بك أبو شنب لامارة الحج وأعيد قيطاس بك دفتردارا كما كان ثم فصل هذا الوالى سنة ١١٢١ هـ وولى مكانه القبودان ابراهيم باشا وسافر حسن باشا الى منصبه الجديد فى طرابلس وفى أوائل حكم هذا الوالى هطلت أمطار كثيرة لم ير مثلها حتى زاد النيل منها خمسة أذرع وتغير لونه وفصل ابراهيم باشا سنة ١١٢٢ هـ وتولى بعده كوسج خليل باشا وفى مدته ثارت العساكر وحاصروه بالقلعة وانقطع المرور من أكثر طرق القلعة نحو سبعين يوما وتخربت من ذلك جهات الدرب الاحمر والمحجر وقوصون وسوق السلاح والداودية والصليبة والسيوفية والخليفة ولما وضع الثوار المدافع على جبل المقطم وأطلقوها على القلعة وشددوا الحصار على الباشا خاف العاقبة فأرسل اليهم نقيب الاشراف فى الصلح وأجاب مطالبهم ونزل مع أعوانه وأمواله الى المدينة وبقى محبوسا فيها سنة كاملة ونصب الثوار الامير قانصو بك للولاية حتى ترسل الدولة واليا جديدا وولت الدولة مكانه شريف والى باشا (١١٢٣) وكان عربان الهوارة هاجموا مصر مع الامير محمد بك وقت الفتنة ونهبوها فأرسل الوالى عليهم جنودا تحت قيادة الامير محمد بك فتوسط ابراهيم بك أبو شنب فى الامر وعادت السكينة وأتت الهدايا للوالى من الاطراف كالعادة وفى أيامه قدم واعظ تركى وأخذ يعظ الناس فى جامع المؤيد وينهاهم عما جرت عادتهم بفعله مثل زيارة القبور وايقاد القناديل بالاضرحة وغير ذلك ويرمى فاعليها بالكفر فصدرت فتوى من الشيخ أحمد النفراوى أحد علماء الازهر بجواز ذلك فتعصب لهذا الواعظ خلق كثير وثاروا وحصلت أمور من ذلك يطول شرحها ثم عين الوالى من قبله ابراهيم بك وقيطاس بك لتأديب القائمين بالفتنة وقبض على البعض ونفى البعض وهرب الواعظ فعادت السكينة وفى تلك الاثناء عادت الجنود المصرية التى

كانت تحت قيادة بلطه جى محمد باشا بعد انتصاره الشهير على بطرس الاكبر فى واقعة نهر بروت وكانها تحمل مكافآت سلطانية ولما أخلت الروسيا بالعهود بعد ذلك ولم تراع ما اشترطته الدولة عليها صدرت الاوامر السلطانية لوالى مصر بتجهيز الجيوش اللازمة لإمداد الجيش السلطانى وبينما هو يهتم بذلك صدر الامر بعزله سنة ١١٢٦ هـ وولى بعده عبدى باشا وفى مدته حصلت واقعة القاسمية وكان الباشا يتحزب لهم وغرضه من ذلك قتل الامير قيطاس بك الذى كان رئيس الفقارية لان الحل والعقد كان بيده فقتله يوم العيد فانتقل النفوذ للقاسمية بعد ان كان للفقارية ثم عزل عبدى باشا عن مصر ونقل الى الروم ايلى وتولى بعده الكتخدا على باشا المعروف بالازميرلى وقبل وصوله مات ابراهيم بك أبوشنب فعين مكانه اسمعيل بك من أمراء الفقارية وصار الامير أحمد بك دفتردارا وفى سنة ١١٢٩ هـ طلبت فرقة عسكرية الى دار الخلافة فأرسلها الوالى صحبة أحمد كاشف وكانت الفتن قائمة بين الامراء وبين ابن ابرهيم بك أبوشنب طلبا للرياسة ثم أرسله الوالى لتوصيل الخزينة الى استانبول ليتخلص منه فقام عند ذلك أحد الامراء المدعو اسمعيل بك باطماعه بقصد الانفراد بالاحكام وفى خلالها عزل على باشا عن مصر (١١٣٢ هـ) وتولى مكانه أمير ج الشام رجب باشا فلما حضر سجن على باشا وشدد عليه فى الحساب وأخبر اقتله بغير ذنب وصادر أمواله وظهر الامراء المختفون وسعى الباشا سرا فى الايقاع بين محمد بك واسمعيل بك ليتخلص منهما أو من أحدهما على الاقل وثارت العسكر واتفق الامراء على عزل رجب باشا فأنزلوه من القلعة محقرا بعد مائة يوم من حكمه (١١٣٣ هـ) وتولى مكانه نشانجى محمد باشا المنفصل عن الصدارة ولما وصل أخذ يدقق فى الحساب وطالب رجب باشا بالباقى طرفه من حساب الضربخانه وحرض إسمعيل بك على القاسمية فشتت شملهم قتلا وتشريدا ونصب أمراء الفقارية على الأعمال ثم عزل سنة ١١٣٨ هـ وولى مكانه على باشا المورهلى ولما حضر وأعلنت ولايته أخذ سلفه يحرض الفقارية على القاسمية فقامت الفتنة بين الحزبين ولعب الوالى اللاحق والوالى السابق ادوارا فى الفتنة ثم انجلت بابقاء امارة الحج فى حزب الفقارية والدفتردارية فى القاسمية وانفصل بذلك الخصام وأعاد الفقارية محمد باشا النشانجى الى الولاية فاضطر على باشا الى السفر من مصر ولم تمض أيام بعد ذلك حتى انتصر حزب القاسمية وطالب محمد باشا بالحساب وألزمه بترك القلعة وفى خلال ذلك وجهت الدولة ولاية مصر الى بكر باشا (١١٤١ هـ) وفى ولايته قتل القاسمية ذو الفقار بك فقام مماليكه يقتلون كل من وجدوه فى طريقهم من القاسمية واشتدت الفتنة وظهرت بينهم أحزاب أخرى وفى خلالها جلس السلطان محمود خان الاول على دست الخلافة (١١٤٣ هـ) فعزل بكر باشا عن مصر وولى مكانه عبدالله باشا الكفورلى وكان لا بأس به مدحه الشعراء لحسن أعماله وفى أيامه قتل جركس بك وتولى عثمان بك مشيخة البلد وفصل بكر باشا عن مصر سنة ١١٤٤ هـ وولى مكانه والى البصرة محمد باشا السلحدار فوصل القاهرة سنة ١١٤٥ هـ ولم تطل أيامه حيث عزل سنة ١١٤٦ هـ وتولى مكانه عثمان باشا الحلبى فقدم من طرابلس ونصب على بك ذو الفقار شيخا للبلد وغيره فى مأمورى الحكومة بالوجه القبلى والبحرى وفى أيامه ادعى أحد السودانيين من مجاورى الأزهر النبوة فنصحه العلماء ولما لم يرتدع أمر به فقتل وحدث من ذلك تأويلات وأقاويل كثيرة أزعجت أصحاب العقول الضعيفة ثم عزل هذا الوالى سنة ١١٤٧ هـ وتولى

بعده محافظ جدة بكر باشا فتشبث هذا الوالى فى اصلاح عيار النقود على غير طائل وظهر وباء الطاعون فمات به خلق كثير وأعقب ذلك فتنة بين الاحزاب بسبب قتل محمد بك قيطاس قتل فيها خلق كثير وانتهت بازال بكر باشا من القلعة وعزله (١١٤٩ هـ) وحضر مكانه الأمير مصطفى أغا أمير اخور وبقى الى سنة ١١٥٢ هـ ثم نصب بدله سليمان باشا ابن عظم الشامى وكانت الفتن قائمة على قدم وساق بين الأمراء فقتل بها منهم كثير وحرض الامراء على الوالى طائفة اليكجرية فعزلوه سنة ١١٥٣ هـ وتولى بعده على باشا ابن الحكيم ولما حضر نصب ديوانا بميدان القلعة وبعد قراءة الفرمان خطب على الجميع خطبة وجيزة بليغة قال فيها انه حضر لانصاف المظلوم من الظالم وكانت مدته ذات أمن واطمئنان وعزل فى أواخر رجب من سنة ١١٥٤ هـ وتولى بعده يحيى باشا ولم يحصل فى مدته ما يستحق الذكر ثم فصل فى سنة ١١٥٦ هـ وتولى بعده محمد باشا اليدكجى ومنع الناس من تعاطى التبغ فثارت العساكر فجمع الامراء وأخذ بحسابهم وحصلت من ذلك أمور يطول شرحها جمع فيها كثيرا من الاموال المتأخرة وعزل سنة ١١٥٨ هـ وولى بعده محمد راغب باشا رئيس الكتاب وفى أيامه ثارت العساكر وقتل فى الثورة خليل بك أمير الحاج وعلى بك الدمياطى وهرب آخرون وانتصر الدمياطية وأنزل محمد راغب باشا بالقوة من القلعة وعزل فى أواخر سنة ١١٦١ هـ وسافر بحرا فى السفينة التى أحضرت خلفه كور أحمد باشا (١١٦٢ هـ) وكان عالما محبا للعلماء أزال كثيرا من المنكرات وشيد كثيرا من الاماكن الخيرية ثم فصل سنة ١١٦٤ هـ وتولى بعده شريف سيد عبد الله باشا وحكم سنتين ثم نقل الى ولاية حلب وتولى بعده محمد أمين باشا (١١٦٦ هـ) ولم تطل أيامه فمات بعد شهرين من ولايته وتولى بعده مصطفى باشا (١١٦٧ هـ) وفى مدة ولايته جلس السلطان عثمان خان الثالث على كرسى الخلافه (١١٦٨ هـ) وفى ولايته أراد الاقباط عمل احتفال كاحتفال المحمل لزيارة القدس فعارض بعض العلماء ذلك وحصلت أمور من الرعاع يطول شرحها انتهت بمنع الاحتفال المذكور وعزل مصطفى باشا وتولى على باشا ابن الحكيم ثانية (١١٦٩ هـ) فسار فى حكمه سيرا حسنا ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان ففرح الناس من ولايته وفى خلال ذلك توفى السلطان عثمان وجلس السلطان مصطفى خان الثالث (١١٧١ هـ) ففصل على باشا عن مصر وتولى بعده مصطفى باشا الصدر وصرف بعد سنتين وتولى بعده أحمد كامل باشا (١١٧٤ هـ) وكان غيورا عفيفا ضرب على أيدى أصحاب الاطماع ومنعهم من النهب فقاموا عليه لذلك وعزلوه وأجلسوا سلفه مصطفى باشا وكان لم يبارح مصر بعد (١١٧٥ هـ) الا ان الدولة لم تقبل ذلك فعينته لولاية حلب ووجهت ولاية مصر لبا كر باشا ولكن لم تطل أيامه فعاجلته الوفاة بعد شهرين وتولى مكانه حسن باشا ثم عزل بعد قليل وتولى مكانه حمزة باشا (١١٧٩ هـ) وفى مدته أخذ الامير بلوط قبان على بك مملوك وصهر ابرهيم بك كتخدا يتداخل فى الامور وصار ينفى وينصب من أراد فتعصب الامراء واتفقوا مع العربان وشيخهم همام وبعض مشايخ هوارة وهاجموا القلعة وحصلت منهم أمور كثيرة انتهت بعزلهم للوالى وحبسه فى قصر يوسف بالقلعة واستمرت المنازعات مع ذلك بينهم وأخذ على بك الكبير المذكور يستعمل دهاءه وشجاعته حتى قبض على مشيخة البلد بمصر وصارت له الرياسة العمومية على مصر والحجاز والشام فداخله الطمع وشمخ بانفه وتاقت نفسه الى قوال مركزا أعلى من ذلك وكانت الدولة ولت محمد

راقم باشا على مصر (١١٨١ هـ) ثم عزلته وولت مكانه محمد باشا الارفلى (١١٨٢ هـ) وفى خلال ذلك تمكن أعداء على بك الكبير المذكور من الوشاية عند جلالة السلطان وبينما كان على بك يجهز جيشا مؤلفا من ١٢,٠٠٠ مقاتل ليرسله مساعدة للدولة فى الحروب التى قامت وقتئذ بينها وبين الروسيا فى عهد الامبراطورة كترينة الثانية حسب الأوامر الواردة له من دار الخلافة قالوا عنه انه يرغب الانضمام الى الروسيا لتساعده على الاستقلال بمصر فأرسل السلطان أمرا الى محمد باشا الأرفلى والى مصر بقتل على بك الكبير وارسال رأسه الى القسطنطينية فلما علم على بك بالخبر تربص لحامل الفرمان وقتله عند وصوله واتفق مع باقى البكوات وأعلنوا جميعا استقلال مصر وأمروا الوالى بأن يخرج فى الحال وشرع على بك فى الاستعداد لمقاومة الدولة وأخذ ينظم الادارة ويقلل الضرائب عن الاهالى لاستمالتهم اليه وخطب له على المنابر وضربت النقود باسمه ثم عزم على افتتاح بلاد الشام بتحريضات الروسيا وعقد مع الأميرال الكسيس أورلوف (Alexis Orloff) قائد العمارة الروسية بالبحر الابيض المتوسط اتفاقا بذلك ومعاهدة هجومية ودفاعية ضد الدولة ثم سار الأميرال المذكور بالعمارة الروسية الى سواحل الشام لمساعدة على بك وكان على بك كتب الى صديقه الشيخ طاهر عمر أمير عكا بقصده وطلب منه المساعدة فبلغ الدولة ذلك فأصدرت أمرا الى والى دمشق بارسال جيش لمنع جنود عكا من معاضدة على بك الكبير فسار ذلك الجيش وقاتل جيش على بك والشيخ طاهر ما بين جبل لبنان وطبرية فأوقع بهما وردهما على أعقابهما الا أن جيش على بك استولى على غزة والرملة ونابلس وغيرها كما سيأتى (١١٨٤ هـ) وفى خلالها عزلت الدولة محمد باشا الأرفلى عن مصر وولت مكانه أحمد باشا والى الحجاز فحضر وسكن بدرب الجروميات بعد أشهر قلائل وتولى مكانه خليل باشا وغلت الاسعار فى تلك الأيام بسبب حروب على بك الكبير ومملوكه محمد بك أبو الذهب مع الشيخ هامان رئيس قبيلة الهوارة وفى جهات مكة عند ما جرد تجريدته التى أرسلها لمحاربة الشريف أحمد بن سعيد وانتصر عليه وولى مكانه الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات (١١٩٤ هـ) وقد صرف على بك على تلك التجريدات نحو مليون وربع من الجنيهات تقريبا ثم أرسل على بك مملوكه محمد بك أبو الذهب على رأس جيش مؤلف من ثلاثين ألف مقاتل فاستولى به على كثير من بلاد الشام فى مدة قليلة من يد أولاد ابن العظم ثم لما أمره أن يتعدى الحدود ويستولى على البلاد العثمانية وفهم أبو الذهب خبث منويات سيده وخاف سوء العاقبة اتحد سرا مع الدولة ضد على بك وتحالف مع الامراء المرافقين له وأقسموا على المصحف ثم جمع محمد بك أبو الذهب من الشام رجالا ضمهم الى جيشه وعاد الى مصر لمحاربة على بك من قبل السلطان ولما أراد على بك مقاومته عند المكان المعروف ببياضة انهزم والتجأ الى عكا واستولى محمد بك أبو الذهب على مصر ثم ان على بك الكبير المذكور عاد فى السنة الثانية بقوة مؤلفة من ثمانية آلاف مقاتل بقصد امتلاك مصر ارتكانا على بعض مكاتبات وصلته من بعض رجاله بها ولما وصل بجموعه الى الصالحية قابله محمد أبو الذهب بجيشه الجرار وحاربه وهزم جيشه وجرح على بك الكبير فى الواقعة جرحا بليغا فدخل عليه محمد بك أبو الذهب فى خيمته وقبل يده ونقله الى مصر وخصص له الاطباء لمداواة جراحه ولكن لم يفد ذلك شيأ فمات بها بعد أيام قلائل (١١٨٧ هـ) وبموت على بك انتهت الرياسة لمحمد بك أبو الذهب الا انه لم يفرح بها طويلا حيث عاجلته الوفاة بعد

بضعة أشهر نال فى خلالها من السلطان التقاليد وتنازع السلطة بعده ابراهيم بك ومراد بك وهما
من مماليكه واسمعيل بك الى أن نالها الاولان أخيرا فانفردا بالحل والعقد وفى خلالها توفى السلطان
مصطفى خان الثالث الى رحمة ربه وجلس مكانه السلطان عبد الحميد خان الأول فصرف خليل باشا
عن ولايته مصر لولاية جدة وولى مكانه مصطفى باشا النابلسى (١١٨٨ ﻫ) وكانت السلطة
فى ولايته لابراهيم بك ومراد بك وليس له من الولاية الا الاسم فقط ولذا لم يتمكن من اجراء عمل ما
ثم عزل سنة ١١٩٠ ﻫ وتولى بعده محمد عزت باشا الكبير وفى أيامه ثار المغاربة بالازهر وحصل
من ثورتهم مقتلة كبيرة واستبد ابراهيم بك ومراد بك بالاحكام تماما وأكثرا من الظلم وجباية
الاموال حتى أفقرا الأهالى وكانت الحروب بينهما وبين اسمعيل بك رئيس أمراء وجه قبلى
لاتنقطع فينتصر بعضهم تارة وينهزم أخرى وصارت القاهرة وقلعتها وضواحيها كميدان حرب دائم
وفى خلالها مات محمد عزت باشا الكبير وتولى بعده رائف اسمعيل باشا والى جدة (١١٩٣ ﻫ)
ووصل الى مصر والاحوال على ماهى عليه من الاضطراب واشتدت المنافسات بين الاحزاب وبعضها
ثم تعصب البكوات على الوالى المذكور وأنزلوه من القلعة معزولا (١١٩٤ ﻫ) فولت الدولة
بدله ملك محمد باشا المعروف بيكن الحاج وفى خلال ذلك تغلب ابراهيم بك على مصر وبعث شريكه
مراد بك بجيش لاذلال حسن بك ورضوان بك وغيرهما من أمراء الصعيد فحاربهم ثم صالحهم وأخذ
منهم الرهائن وعاد ودعت الدولة ملك محمد باشا للصدارة (١١٩٦ ﻫ) وولت مكانه الشريف
على باشا المعروف بالقصاب وبعد قليل عزلته وولت بدله الوزير محمد باشا السلحدار المعروف
بالصوغانجى فوصل الى ثغر الاسكندرية فى شهر شعبان (١١٩٧ ﻫ) وفى أيامه كانت
الحروب قائمة بين البكوات واقتتل ابراهيم بك مع مراد بك لاختلاف حصل بينهما وسببه مصالحة
الاول لامراء الوجه القبلى ثم تمرد مراد بك وعزل الوالى وولى نفسه سنة ١١٩٩ ﻫ بعد أن
تصالح مع ابراهيم بك وعمت البلوى مصر بسبب الطاعون الذى ظهر بها وكانت الدولة ولت بكن
محمد باشا الشريف وحضر مصر فى محرم سنة ١٢٠٠ ﻫ والاحوال فيها غير مرضية بسبب
المصادرات والمظالم والتعدى ولما بلغ الدولة تمرد البكوات عليها وطغيانهم أرسلت جيشا مع الدونما
العثمانية تحت قيادة القبودان حسن باشا الجزائرلى الى ثغر الاسكندرية لردعهم فلما وصلت
أخبارها خاف البكوات وطلبوا من الوالى التوسط بينهم وبين القبودان باشا فلم يقبل فارسلوا وفدا من
العلماء منهم شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد العروسى والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الحريرى
ومعهم غيرهم من الامراء المتوسط فى الأمر وأرسلوا معهم الهدايا الفاخرة الا أن ذلك لم يجد نفعا
وعند ذلك سار مراد بك بعسكره الى فوة لمصادمة القبودان باشا وكان انتقل ببعض المراكب الخفيفة
الى رشيد ودخل النيل ولما اقتتل الطرفان انهزم المصريون وعادوا على أعقابهم ثم وصل القبودان
باشا بجيشه وأسطوله الخفيف الى مصر كامر فى المقدمة واستولى على بيوت الامراء وأموالهم وساق
فرقة مع عبدى باشا أحد قواده لتعقب الامراء الذين فروا الى الصعيد مع ابراهيم بك ثم عزل محمد باشا
السلحدار وولى مكانه عبدى باشا المذكور ويسميه الجبرتى وغيره بعابدى باشا وكان القبودان باشا
يتعقب البكوات بالصعيد فأخذ عبدى باشا ينظر فى أحوال البلاد مدة سنتين ثم صرف وولى
مكانه اسمعيل باشا التونسى كتخدا حسن باشا القبودان ومنح رتبة الوزارة ثم عاد القبودان باشا

من الصعيد واهتم فى ايجاد بعض مراكب حربية لمصر ثم سافر الى القسطنطينية قال الجبرتى ما ملخصه
وفى أربع عشرة من شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢٠١ عمل حسين باشا ديوانا بالقصر وحضر
عنده عابدى باشا والمشايخ وسائر الامراء وقرأ عليهم المراسيم التى حضرت من الدولة وفيها طلب
حسن باشا الى الديار الرومية بسبب حركة السفر الى الجهاد وان الموسقو زحفوا على البلاد واستولوا
على القريم وغيرها والثانى فيه ذكر العفو عن ابراهيم بك ومراد بك من القتل وركب الامراء لوداعه
وفى يوم السبت ثالث عشريه سافر من مصر الى ان قال ورجع مراد بك بعد أربع سنين وجعل
اقامته بقصر الجيزة وعمل له ترسخانة عظيمة وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والقنابر والبنب
والجلل والمكاحل واتخذ بها أيضا معامل البارود خلاف المعامل التى فى البلد وأحضر أناسا من
القليونجية ونصارى الاروام وصناع المراكب فأنشؤا له عدة مراكب حربية وغلايين وجعلوا بها
مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم صرف عليها أموالا عظيمة ورتب بها عساكر وبحرية
وأدر عليهم الجماكى والارزاق الكثيرة وجعل عليهم رئيسا كبيرا رجلا نصرانيا وهو الذى يقال له
نقولا بنى له دارا عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر وله عزة وأتباع من نصارى الاروام المرتبين عسكرا
ولا يدرى أحد لأى شئ هذا الاهتمام ولاى حاجة انفاق هذا المال فى الخشب والحديد واعطائه
للاروام واختلفت آراء الناس فى ذلك فن قائل ان ذلك خوفا من خشداشينه وقائل مخافة من
العثمانية كما تقدم فى قضية حسن باشا والبعض يظن خلاف ذلك وليس غير الوهم والتخيل الفاسد
وبقيت الات الحرب جميعها والبارود بحواصله حتى أخذ جميعه الفرنسيس ويقال انه كان بحواصل
الترسخانه من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة اهـ ولما جلس السلطان سليم خان الثالث (١٢٠٣ﻫ)
أقر إسمعيل باشا التونسى على مصر وكانت أحوال البكوات باقية على حالتها يسيؤن المعاملة
ويظلمون الاهالى وسفنهم تسطو على مراكب الفرنج حتى تمادت الشكوى من دولهم للباب
العالى والارتباك الذى كانت فيه الدولة بمسائل البكيرية لم يمكنها أن تعمل شيأ فصرفت إسمعيل
باشا نقلا على ولاية موره وولت مكانه محمد عزت باشا (١٢٠٥ ﻫ) وفى أيامه اشتد الغلاء بمصر
ومات فيه خلق كثير ومات فى هذا الوقت الصدر الاعظم حسن باشا الجزائرلى ووجهت الصدارة
ثانية الى يوسف باشا (١٢٠٦ ﻫ) فاسرع أمراء مصر بتقديم الهدايا الى الصدر الجديد
وبعثوا بها مع كتخدا الجاويشية صالح أغا وكتب الوالى مكتوبا للدولة يلتمس لهم فيه العفو عن
جرائمهم السابقة ولما وصل المندوب المذكور صادف عزل يوسف باشا من الصدارة وتوجيهها
الى ملك محمد باشا فصدر فرمان العفو عنهم ثم صرف محمد عزت باشا عن مصر وتولى مكانه صالح باشا
القيصرلى (١٢٠٩ ﻫ) فوصل فى ٢٤ محرم من السنة المذكورة وأعقبه ورود خبر توجيه
مسند الصدارة الى محمد عزت باشا وكانت الاحوال بمصر مضطربة وحصل انه تعدى أحد البكوات
المدعو محمد بك الالفى على عائلة الشيخ الشرقاوى فاجتمع العلماء وقفلوا أبواب الازهر واشتد
الامر وزادت تشكيات الاهالى وعزل الوالى وتولى مكانه السيد أبو بكر باشا الطرابلسى (١٢١١ﻫ)
وكان السبب فى قصر مدة ولاية الوزراء بمصر تغلب الامراء والصناجق والعساكر على أمور
الحكومة حتى وصلت أعمالهم الى عزل من أرادوا عزله ممن لا يرضخ لافعالهم وأقوالهم وولاية
من أحبوه ولما وصل الوالى الجديد الى مصر وجد الخلل مستحكما فى كل اداراتها والبكوات

مستبدين

مستبدين بالامور مفرطين فى ظلم العباد ونهبهم فكثرت الشكوى ورفعت سفراء الدول مذكرتهم الى السلطان سليم خان الثالث كما سيأتى فى محله وكان ذلك من الاسباب التى أطمعت الحكومة الفرنساوية فى امتلاك البلاد فارسلت الجنرال نابليون بونابارت بجيوشها وأساطيلها الى ثغر الاسكندرية فتمكن لذلك من الاستيلاء على القطر المصرى واضطر السيد أبو بكر باشا الوالى المذكور الى الهرب الى غزة مع إبراهيم بك وكان ذلك فى يوم السبت ١٧ صفر من سنة ١٢١٣ هـ

﴿الفصل السادس عشر﴾

﴿استيلاء الفرنساويين على الديار المصرية﴾

(١٢١٣ - ١٢١٦ هـ ١٧٩٨ - ١٨٠١ م)

قد سبق الكلام على حوادث اغارة الجنرال نابليون بونابارت بجيوشه الفرنساوية على وادى النيل فى صحيفة ٦٤٦ من الجزء الاول من هذا الكتاب ولما كانت أقوال المؤرخين فى هذا الباب كثيرة متخالفة رأينا من المفيد أن نذكر لمعا من أقوالهم لتمام الفائدة فنقول اتفق أغلب المؤرخين على أن السبب الذى حمل دولة فرانسا على ارسال جيوشها الى مصر هو طمعها فى امتلاك هذه الديار لاهمية موقعها الجغرافى ووفرة حاصلاتها ولكونها أجود مركز تجارى وأهم نقطة للمواصلات بين آسيا وأوروبا وبامتلاكها تتمكن بكل سهولة من تهديد الدولة الانكليزية فى الهند الشرقية وكانت تنتهز كل الفرص لتنفيذ هذا المقصد حتى إنها أظهرته فى مدة محاربة الدولة العلية للروسيا زمن امبراطورتها كترينه الثانية فى الوقت الذى كان أظهر فيه على بك الكبير العصيان على السلطان ونادى باستقلال مصر عن الدولة كما تقدم وذلك ان الحكومة الفرنساوية تشبثت وقتئذ فى عقد اتحاد مع الروسيا تجيز لها فيه الاستيلاء على القسطنطينية نظير أن تستولى هى على الديار المصرية لان الدولة الانكليزية خصيمتها كانت فى ذلك الوقت مشتغلة بحروب استقلال أمريكا وأول من أشار بهذا المسيو دوسارتين (M. de Sartines) وزير لويز السادس عشر على الحكومة الفرنساوية بتجهيز أسطول قوى وجيش كبير للاستيلاء على وادى النيل الا أنه لما وجد أن أحوال المالية الفرنساوية وقتئذ لا تساعده على ذلك اضطر أن يعدل عن تلك السياسة ويسلك مسلكا آخر لما رأت فرانسا فيما بعد أن أحوال الديار المصرية صارت الى الارتباك والتعقيد والاضطراب الذى مر بك ذكره من حركات المماليك البكوات وكثرة مظالمهم وتعدياتهم ونهبهم الاموال هبت لاظهار نيتها الاولى واجتهدت فى اخراجها من القوة الى الفعل وبمجرد حصول التعدى من البكوات المصرية على بعض التجار الاوروباويين كما تقدم أخذت تحرك سفراء الدول فى الاستانة حتى ساقتهم لرفع شكوى من حوادث مصر للسلطان سليم خان الثالث وطلبوا فيها من جلالته منع هذا التعدى ولما كانت أحوال الدولة وقتئذ فى اضطراب زائد لقيام أوجاقات الينكجرية بالثورات فى داخل استانبول وفى خارجها واشتغال السلطان بوضع نظام جديد للجندية لم يمكنه أن يفعل شيأ ما رضى به السفراء وكتب المسيو شارل ماجالون Magellon قنصل فرانسا فى مصر تقريرا مشحونا بالشكوى الشديدة من أحوال مصر وأرسله لدولته وطلب منها فيه اتخاذ الطرق الفعالة وكان ذلك بلا شك بايعاز منها

فصادف تقريره هذا عضدا قويا فى باريس من الجنرال بونابارت وكان وقتئذ عاد من محارباته التى قام بها مع ممالك أوروبا وأزال فى أثنائها جمهورية البنادقة بمعاهدة كامبو فورميو التى عقدها مع دولة النمسا وضم بها أقسما عظيما من سواحل البحر المتوسط الابيض لبلاده فأخذ نابليون يحرض حكومته ويعدد لها الفوائد والمكاسب التى تنالها من الاستيلاء على وادى النيل حتى اجتذب بتحريضاته المذكورة معظم أعضاء الحكومة لرأيه فقرروا الحملة وجهزت فرانسا له جيشا مؤلفا من ٤٠,٠٠٠ مقاتل وضعته تحت قيادته وفوضت له أمر انتخاب القواد الذين يرغب أن يكونوا معه فانتخب بونابارت الجنرالات كليبر (Kléber) وديزكس (Desaix) ورونيير (Regnier) وداماس (Damas) واندريوسى (Andreossy) ومارمون (Marmont) وجونو (Junot) ومينو (Menou) لقيادة فرق البيادة والجنرال مورات (Murat) لقيادة السوارى وكافاربللى (Cafferalli) وبرتييه (Berthier) لقيادة فرق المهندسين والجنرال دومارتين (Daumartin) لقيادة الطوبجيه وأخذ معه أيضا كثيرا من العلماء والمهندسين والصناع ثم أقلع بهم من طولون على اسطول جسيم جهزله يتكون من ٤٠٠ سفينة بين حربية ونقالة وكانت الاساطيل تحت قيادة الويس أميرال فرانسوابول كونت دوبرويس (Brueys) ومعه أربعة أميرالات آخرين وكان خروجهم فى يوم ١٩ مايو من سنة ١٧٩٨ م وسارت تلك الاساطيل تخترق عباب البحر حتى وصلت الى مالطة واستولت عليها ثم قصدت ثغر الاسكندرية فوصلته فى أول يوم من شهر يوليو من السنة المذكورة وتملكته بلا قتال تقريبا (فى محرم ١٢١٣ هـ) ثم نشر نابليون على أهالى البلاد المصرية نشرة يدعوهم بها الى الاستسلام [1] من مطالعتها تعلم

(١) بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه من طرف الجمهور الفرانساوى المبنى على أساس الحرية والمساواة السرعسكر الكبير بونابارت أمير الجيوش الفرانساوية يعرف أهالى مصر جميعهم انه من زمان مديد والصناجق الذين تسلطنوا فى البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرانساوية ويظلمون تجارها بأنواع البلص والتعدى فحضرت الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة أن هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الاباز او الجرجستان يفسدون فى الاقليم الاحسن الذى لا يوجد فى كرة الارض كلها مثله فأما رب العالمين القادر على كل شئ فقد حتم على انقضاء دولتهم يا أيها المصريون قد يقولون لكم اننى مانزلت فى هذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح فلا تصدقوه وقولوا للمفترين اننى ماقدمت اليكم الا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين واننى اكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمدا والقرآن العظيم وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله وان الشئ الذى يميزهم عن بعضهم فهو العقل والفضائل والعلوم فقط وليس عند المماليك من العقل والفضل والمعرفة ما يميزهم من الآخرين ويستوجب انهم يتملكون وحدهم كل ما تحلو به حياة الدنيا فحيثما يوجد أرض مخصبة فهى مختصة بالمماليك وكذا الجوارى الاجمل والخيل الاحسن والمساكن الاشهى فهذا كله لهم خاصة ان كانت الارض المصرية التزام المماليك فليظهروا الحجة التى كتبها الله لهم ولكن رب العالمين هو رؤف وعادل على البشر بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء منهم سيدبرون الامور وبذلك يصلح حال الامة كلها وسابقا فى الاراضى المصرية كانت المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر وما أزال ذلك كله الا الطمع وظلم المماليك أيها القضاة والمشايخ والائمة ويا أيها الشربجية وأعيان البلد قولوا لامتكم ان الفرنساوية هم أيضا مسلمون خالصون واثباتا لذلك قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان يحث النصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواليرية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك فالفرنساوية فى كل

مقاصده

مقاصده الظاهرة وبعد ان استولى نابليون على الاسكندرية تقدم بجيشه الى القاهرة فقابله مراد بك بجموعه عند الرحمانية الا انه لم يثبت امام الجيوش الفرنساوية وتعقبه نابوليون حتى لحق به عند بشتيل بالقرب من أوسيم عركز امبابه من أعمال الجيزة وحدثت هنالك بينهما واقعة عظيمة انتهت بانهزام مراد بك مع جيشه وفر هاربا الى الصعيد ودخل الفرنساويون مصر وصاروا يعطون أوراقا بالامان لمن سالمهم [1] ثم خرج نابليون بتعقب جيش ابراهيم بك والوالى او قابجى أبو بكر باشا الذى أخذ بتقهقر الى طريق الصالحية فلحقه وهزمه وفر ابراهيم بك والوالى الى جهة الشام وعاد بونابارت الى مصر واستولت رجاله على أملاك البكوات وأموالهم وأغلظت المعاملة مع عائلاتهم حتى اضطروهم لان يفدوا أنفسهم بالأموال وكان ذلك كل مرغوب الفرنسويين فافتدت زوجة مراد بك نفسها بمائة وخمسة وعشرين ألف ريال ودفع غيرها من النساء مبالغ وافرة ليتخلصن من جورهم ولم يقف الفرنساويون عند ذلك الحد كما كانوا يدعون بل أكثروا من نهب الاهالى وقتلوا منهم خلقا كثيرا وغير ذلك من الاعمال الفظيعة وصارت جواسيسهم من الاخلاط يخبرونهم عن ودائع الامراء وخباياهم فكثر هجومهم على البيوت ونبشوا الاراضى وهدموا الحيطان واتسع نطاق الفتن وتحير الناس فى أمرهم وقد وصفهم المرحوم الشيخ عبد الله الشرقاوى فى كتابه تحفة الناظرين بقوله ان حقيقة حال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الفلاسفة اباحية

وقت من الاوقات صاروا المحبين الاخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء أعدائه أدام الله ملكه وبالعكس المماليك امتنعوا من طاعة السلطان غير ممتثلين لامره فما أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم طوبى ثم طوبى لاهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلو مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لاحد من الفريقين المتحاربين فاذا يعرفونا بالاكثر يتسارعوا الينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يتحدون مع المماليك ويساعدونهم فى الحرب علينا فما يجدون طريقا الخلاص ولا يبقى منهم أثر

(المادة الاولى) جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات من المواضع التى يمر بها العسكر الفرانسوى يجب عليها أن ترسل للسرعسكر بعض وكلاء من عندها لكيما يعرفوا المشار اليه انهم أطاعوا وانهم نصبوا السنجاق الفرنساوى الذى هو أبيض وكحلى وأحمر (المادة الثانية) كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار (المادة الثالثة) القرية التى تطيع العسكر الفرنساوى الواجب عليها نصب السنجاق الفرنساوى وأيضا نصب سنجاق السلطان العثمانى محبنا أدام الله بقاءه (المادة الرابعة) المشايخ فى كل بلد يختمون حالا جميع الارزاق والبيوت والاملاك متاع المماليك وعليهم الاجتهاد الزائد لكى لا يضيع أدنى شئ منها (المادة الخامسة) الواجب على المشايخ والقضاة والائمة انهم يلازمون وظائفهم وعلى كل واحد من أهالى البلد أن يبقى فى مسكنه مطمئنا وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة والمصريون بأجمعهم يشكرون فضل الله سبحانه وتعالى على انقراض دولة المماليك قائلين بصوت عال أدام الله اجلال السلطان العثمانى أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى لعن الله المماليك وأصلح حال الامة المصرية تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ١٣ من شهر مسيدور سنة ٦ من اقامة الجمهورية الفرنساوية أعنى أواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية صحيفة ٤١٢ جزء ٧ تاريخ جودت طبع سنة ٢٨٨

(١) صورة ورقة التأمين التى كان بونابارت يعطيها الى أهالى مصر

من معسكر الجيزة خطابا لاهل مصر انا أرسلنا لكم فى السابق كتابا فيه الكفاية وذكرنا لكم انما حضرنا الا بقصد ازالة المماليك الذين عاملوا الفرانساوية بالذل والاحتقار وأخذوا مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا الى البر الغربى خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقون وقتلنا بعضهم وأسرنا بعضهم عند نا وهرب بعضهم ونحن فى طلبهم حتى لا نبقى منهم أحدا بالقطر المصرى وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين وفى مساكنهم مرتاحين اهـ ص ٤١٦ جزء ٧ جودت

طبائعية يقال لهم نصارى قاتوليقية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا وينكرون البعث والدار الآخرة وبعثة الانبياء والمرسلين ويقولون ان الله واحد لكن بطريق التعليل ويحكمون العقل ويجعلون منهم مدبرين يدبرون الاحكام يضعونها بعقولهم ويسمونها شرائع ويزعمون أن الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولذا جعلوا في مصر وقراها الكبار دواوين يدبرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان في ذلك رحمة بأهل مصر فانهم جعلوا من جملة دواوينها جماعة من المشايخ وصاروا يراجعونهم في بعض أشياء لا تليق بالشرع والسبب الذي أوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم عجزهم عن مقاومتهم بسبب هرب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عند قدومهم كتبوا كتبا وفرقوها في البلاد وذكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم يعظمون محمدا ويحترمون القرآن وانهم يحبون العثماني ولم يأتوا الا لطرد المماليك الظلمة لانهم نهبوا أموالهم وأموال تجارهم ولا يتعرضون للرعايا في شيء لكن لما دخلوا لم يقتصروا على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من الناس لما قامت عليهم أهل مصر بسبب طلبهم تفريد غرامة على البيوت وقتل منهم ما يقرب من الالف وهتكوا بعض الاعراض في مصر وقراها فان كل قرية حاربتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما ودخلوا بخيولهم الجامع الازهر ومكثوا فيه يوما وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض علماء ونهبوا منه أموالا كثيرة وسبب وجودها فيه ان أهل البلد ظنوا ان العسكر لا يدخله فحولوا فيه أمتعة بيوتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التي حول الجامع ونشروا الكتب التي في الخزائن يعتقدون ان بها أموالا وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يترجمون لهم كتبا ومصاحف نفيسة اهـ

وذكر الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٣ المذكورة أن رجلا مغربيا يقال له الشيخ الكيلاني كان مجاورا بمكة والمدينة فلما شاعت الاخبار باستيلاء الفرنساوية على مصر صار يعظ الناس ويحرض على الجهاد فانضم اليه نحو ٦٠٠ رجل فلما وصلوا ينبع انضم اليه جماعة منها ثم ركبوا البحر الى القصير فانضم لهم جمع من الهوارة والمغاربة والترك وأهل القرى ثم انكفأ بهم الكيلاني الى جرجا وبقربها حصلت بينه وبين الجيوش الفرنساوية جملة مواقع ومناوشات غير انها انتهت بدون طائل اهـ ولما كانت العلاقات بين دولة انكلترة وفرانسا منقطعة من عهد قيام الامة الفرنساوية على ملكها لويز السادس عشر حتى حاكموه وأعدموه في سنة ١٧٩٢ م (١٢٠٧ هـ) وأعقبها المحاربات التي حصلت في طولون بين الطرفين صارت انكلترة من ذلك الوقت تنظر الى حركات فرانسا ومحاربات بونابارته في ايطاليا وأوستوريا وانتصاراته على الاخيرة في كاستليون وأركول وريفولي ومحوه لجمهورية البنادقة وضمه لكثير من أملاكها الساحلية الى بلاده كما مر بعين الاضطراب والبغضاء حتى انه بمجرد انتشار خبر التجهيزات الحربية التي قامت بها فرانسا من جمع الجيوش وتسليح الاساطيل أوجست من ذلك خيفة على هندها ومستعمراتها الشرقية فأسرعت باصدار الأوامر المشددة الى الأميرال جون جرفيس أرل سان ونسنت (John Jervis) القائد العام لاساطيلها في البحر المتوسط الابيض وكان راسيا يومئذ بالدونما في قادس وأمرته بمراقبة حركات

الدونما

الدونما الفرنساوية التى أقلعت من طولون فبعث فى الحال وكيله الاميرال هوراتيو نلسون لهذه المهمة على رأس أسطول مركب من ١٤ سفينة حربية يحمل بعضها ٧٢ مدفعا وبعضها ٨٢ عليها ٦٩٧٠ ملاحا لاقتفاء أثر الدونما الفرنساوية وفوض له أمر منعها من الاغارة على أى فرضة كانت فسار يخرق بها عباب البحر باحثا على الدونما الفرنساوية كما ذكرناه فى تاريخ الدولة العلية بالجزء الاول حتى وجدها راسية امام ساحل أبوقير كامن يقودها الاميرال برديس وكانت مركبة من ١٤ سفينة كبيرة يحمل بعضها ٧٦ مدفعا وبعضها ٨٦ عدا أكبرها المسماة أوريان فكان بها ١٢٤ مدفعا وأربع فرقاطات بكل واحدة ٤٠ مدفعا وبها جميعا ١٠,٠٠٠ ملاح فهجم عليها وحاربها حتى تدمرت كما تقدم (أول أغسطس ١٧٩٨ م - ١٩ صفر ١٢١٣ هـ) وسنزيد ذلك بيانا ان شاء الله فى تاريخ انكلترة بالجزء الثالث ولما بلغ بونابارت هذا الخبر عند عودته من الصالحية اضطرب له وتكدر ولكنه أظهر الجلد كعادته لأن انكسار الدونما صير الحملة الفرنساوية التى تحت قيادته فى مقام حرج ومع كل ذلك فانه أخذ يقوى مركزه فى الديار المصرية وهدم لذلك كثيرا من الابنية الفاخرة والآثار النفيسة التى كانت حول القلعة وزاد البناء على بدنات باب العزب بالرميلة وكان الفرنسويون غيروا فى اثناء ذلك كثيرا من معالم القلعة ومحوا ما كان بها من آثار الحكماء والعلماء ومعالم السلاطين وما كان معلقا على الابواب من الاسلحة والدرق والبلط والحراب الهندية وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ثم شددوا فى طلب النقود من أهالى البلاد وضربوا الضرائب الفاحشة فارتبكت أحوال الاهالى من شدة المعاملة وزاد كربهم ثم لما علم نابليون بونابارت ان الدولة العلية أخذت تسعى فى استرجاع مصر واخراجه منها بالقوة رغما عن المساعى التى أجراها الموسيو روفن (Ruffin) سفير فرانسا لدى الباب العالى لاقناع الدولة وجعلها تعتبر حركات بونابارته حبية لا عدوانية لان الدولة وقتئذ عدت ذلك بمثابة اعلان حرب من فرانسا عليها وحبست السفير روفن المذكور فى يدى قلله مع باقى الفرنساويين المقيمين فى القسطنطينية كالعادة فى ذلك ثم أخذت تجهز جيوشها وأساطيلها وعقدت لذلك معاهدات دفاعية مع دولتى الروسيا وانكلترة على يد مندوبها المسمى عصمت بك أحد الصدور العظام وعاطف أفندى رئيس الكتاب وعليه وصلت الدونما الروسية من البحر الاسود الى الاستانة وكانت مركبة من خمسة قباقات كبيرة وست فراقيط وعدة سفائن صغيرة وانضمت اليها الدونما العثمانية وكانت تحت قيادة قدرى بك وكانت مركبة من ثلاثين سفينة حربية ثم أقلع الاسطولان سوية من البوغاز وقصدا بحر الادرياتيك واستوليا على البلاد التى كانت فرانسا واضعة يدها عليها هناك بمساعدة تبه دلنلى على باشا وبعد أن تم لها ذلك شكلت الدولة والروسية هناك جمهورية مكونة من عدة جزائر يونانية عرفت بجمهورية الجزائر السبع وبعثت الدولة وقتئذ الى أحمد باشا الجزار والى عكا ان يبعث جيشا لاحتلال العريش وكان نابليون بونابارت صمم على افتتاح بلاد سوريا وزحف عليها بقسم عظيم من جيشه (أول فبراير ١٧٩٩ م) وافتتح غزة ويافا وأماكن أخرى وعامل رجالها الذين سلموا اليه معاملة وحشية تأباها المدنية التى تدعيها دول أوروبا حيث انه قتلهم بعد التسليم ومثل بهم ولما حاصر عكا حبطت مساعيه فيها وخابت آماله أمامها اذ صدته الجنود العثمانية بقوتها المشهورة وكانت العمارة الانكليزية والعثمانية تساعدان الجيش

العثمانى بحرا فكسر نابليون وارتد على أعقابه ولما سمعت بذلك باقى البلاد انقضت على جيشه من كل جانب فاضطر الى التقهقر وترك سوريا عائدا الى القاهرة وفى أثناء عودته قاسى هو وعسكره من العذاب ألوانا فكان العطش والوباء يحاربانه من جهة والعمارة الانكليزية والعرب والعثمانيون يتعقبانه برا وبحرا يفتكون بجيشه قتلا ونهبا ولم يصل الى مصر حتى كادت أرواحهم تفارق أبدانهم ولم يمكث بونابارت بعد ذلك كثيرا حتى جاءه خبر وصول البوارج العثمانية والانكليزية والروسية المتفقة على اخراجه من الديار المصرية الى مينا أبى قير لتعضيد الحملة العثمانية التى خرجت فيها تحت قيادة السرعسكر كوسه مصطفى باشا فانزعج لذلك وأسرع لملاقاتها بقوة مؤلفة من ستة آلاف مقاتل فالتقى بهم ودارت رحى الحرب بين الطرفين فتقهقر أولا عسكر بونابارت ثم اغتنم قائدهم اشتغال العساكر العثمانية بتحصين بعض المواقع وسار بفرقته من ورائهم واستولى على طابيتهم المسماة أبو خور فانذعر العثمانيون من ذلك واضطروا الى التقهقر وبذلك فاز الفرنساويون وقبضوا على المعسكر بما فيه ووجدوا السرعسكر كوسه مصطفى باشا مجروحا فأسروه هو وولده والتجأ الباقى الى السفن ورجع بونابارت الى مصر بالاسرى ثم بعد قليل وردت عليه رسائل من فرانسا تستدعيه اليها لتسكين الاضطرابات التى قامت بها الاحزاب ضد الموسيو باراس (Barras) أحد أعضاء الدركتوار لسوء تصرفه فى أمور الجمهورية فكتم الامر وكاشف عليه الكونترالاميرال غانتوم (Gantheaume) رئيس أركان حرب الاساطيل الفرنساوية لبعداه سفينتين تنقلانه مع حاشيته الى فرانسا وولى الجنرال كليبر منصبه ثم سافر خفية الى فرانسا على فرقاطة تدعى موبرون (Muiron) قبودانها لارو (Larue) تخفرها فرقاطة أخرى تدعى كوريز (Corrèze) فى ٢١ ربيع أول سنة ١٢١٤ هـ - (٨ اكتوبر ١٧٩٩ م) وكان الاميرال اسميث الانكليزى لما بلغه خبر سفر بونابارت اقتفى أثره بفرقة من أسطوله ولكنه لم يلحقه وأخذ الجنرال كليبر يهتم فى تنظيم الاحوال لاكتساب ثقة الاهلين وجمع الاموال للصرف منها على الجنود ثم أرسلت الدولة العثمانية جيشا آخر الى دمياط مؤلفا من ثمانية آلاف مقاتل على السفن الحربية العثمانية التى كانت عادت من مياه أبوقير عقب واقعة أبوخور يرافقهم بعض المراكب الانكليزية وبينما كانت السفن تخرج الجيش هاجمه الفرنساويون فاضطرت المراكب أن توقف انزال باقى العساكر ولما لم يتمكن العثمانيون من انزال جنودهم هناك أمرت الدولة الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا بالتقدم بجيشه من جهة الشام فتقدم واحتل العريش بعد أن كسر الفرنساويين هناك فارتاع الجنرال كليبر من ذلك وعينت الدولة صالح باشا لولاية مصر فى رجب (١٢١٤ هـ) وكان الجنرال بونابارت مال الى الصلح قبل فراره من مصر وأرسل رشيد أفندى أحد كتاب الديوان الهمايونى الذى كان أسر مع كوسه مصطفى باشا فى واقعة أبوخور للتوسط واشترط عليه ان يكون الصلح بين فرانسا والدولة رأسا وبذلك يخرج من مصر فى مدة أربعة شهور ولما كان طلبه هذا مغايرا لمنطوق المعاهدة الدفاعية التى عقدتها الدولة مع الروسيا وانكلترة أرسلت للسردار يوسف باشا ان يبلغ الفرنساويين عدم امكان المصالحة على ذلك الوجه الا بالاشتراك مع الدولتين المشار اليهما وأعاد الصدر الاعظم مصطفى رشيد أفندى المذكور بذلك فسلم المحررات الى الجنرال كليبر الذى بقى وكيلا لبونابارت كما مر ففرح كليبر لذلك وأسرع بتحرير جواب القبول على شرط أن

ينسحب

ينسحب بعساكره من مصر عن طريق رشيد والاسكندرية فى مدة ٤٥ يوما وأن يخرج بكافة مهماته وجنده وماقبضوه من الاموال وأن يدفع لهم قدر من المال يستعينون به على السفر وغير ذلك من الشروط وأرسلها مع رشيد أفندى المذكور وجماعة من الفرنساوية فقبل الصدر الاعظم ذلك بعد مراجعة الاميرال اسميث قائد الاساطيل الانكليزية وكان حضر وقابل الصدر الاعظم وفاوضه فى هذا الامر بحضور مصطفى أفندى رشيد دفتردار الصدر الاعظم وراسخ مصطفى أفندى ثم زحف الصدر بجيشه البالغ عدده أربعين ألف مقاتل الى مابين الخانقاه البمر باقوسية والمطرية وكان رافقه الميرالاى دوغلاس (Douglas) الانكليزى وبعض ضباط انكليز اخرين بصفة أركان حرب وبعض الفرنسويين الملتجئين اليه ثم ان الجنرال كليبر تعلل بعدم امكانه انفاذ شروط الصلح بدعوى ان الانكليز لا تمكنه من السلوك فى البحر ومكث مدة وهو يخادع الصدر وكان فى خلالها يتجهز لقتال الجيوش العثمانية والانكليزية ثم هاجم مقدمة الجيش العثمانى الذى بالمطرية بغتة وكان العثمانيون لا يتوجسون شرا لاعتمادهم على الصلح الذى عقدت مقدماته فى العريش فانكسر العثمانيون وانهزمت المقدمة واضطر الصدر الاعظم أن يعود الى بلبيس ومنها الى الصالحية وأخذ يجمع عساكره المنهزمة ولما تقدمت الفرنساويون الى الصالحية تقهقر الصدر بانتظام حتى وصل غزه ثم عاد الجنرال كليبر بعد ذلك وقصد الدخول الى مصر فمنعه رجال الالفى وحصلت بين الطرفين حروب يطول شرحها خرب فيها الفرنساويون كثيرا من مبانى مدينة القاهرة بالمدافع التى أطلقوها من القلعة وحصل للاهالى ضنك شديد وأخيرا حصل الصلح وعاد البكوات الى الصعيد بشروط معلومة وأخذ الفرنسيس يهتمون فى جمع الاموال بالقوة وفى يوم ٢١ محرم من سنة ١٢١٥ بينما كان الجنرال كليبر يمشى فى بستان المنزل الذى كان يسكنه فى الازبكية وثب عليه رجل حلبى وضربه بخنجر فقتله وكان هذا القاتل يدعى سليمان الحلبى فقتلوه بعد أن عذبوه عذابا أليما وذلك بعد أن حاكموه محاكمة دقيقة سعوا كثيرا فى أثنائها المعرفة المحرض له على ذلك وقال هذا القاتل انه أتى من الشام وأقام ثلاثين يوما فى رواق الشوام بالجامع الازهر عند جماعة سماهم فأحضرهم الفرنساويون وقتلوهم وأقيم بعد كليبر على قيادة الجيش الجنرال مينو الذى اجتهد فى بناء القلاع وتعمير السور من باب النصر الى باب الحديد وجعل الفرنسيس جامع الحاكم قلعة وهدموا قواصره وجعلوا منارته برجا وهدموا أكثر بيوت الحسينية وبولاق وتغيرت الاحوال وهاجر كثير من أهل البلد وفى تلك الاثناء أظهر الجنرال مينو الاسلام وسمى نفسه عبدالله وتزوج بنت أحد كبار المصريين قال الجبرتى واستقر عوضه فى السر عسكرية قائمقام عبدالله جاك منو وهو الذى كان متوليا على رشيد من قدومهم وقد كان أظهر انه أسلم وتسمى بعبدالله وتزوج بامرأة مسلمة وقلدوا عوضه فى قائمقامية بليار اه وقد وجد الفاضل على بك بهجت مترجم ديوان المعارف صورة عقد الزواج فى قيودات محكمة رشيد الشرعية فأدرجناه بحروفه لتمام الفائدة(١) وقد أخبرنى

(١) صورة العقد بحضر كل من مولانا العلامة السيد أحمد الخضرى المفتى الشافعى ومولانا الشيخ محمد صديق النائب والمفتى الحنبلى ومولانا السيد محمد فرا النائب والمفتى المالكى والسيد أحمد بدوى نقيب الاشراف حالا والامير محمد بدوى جوربجى سردار مستحفظان وأحمد آيق جاويش مستحفظان والحاج أحمد جاويش العسال والحاج

محمود اللومى المغربى وابراهيم الجمال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد الله بربير والحاج بدوى الشناوى وازون اسمعيل السلانكلى وعلى جاويش كتخدا البيك دام كمالهم

بعد ان أقر واعترف منو باشا صارى عسكر القطر المصرى حالا بصريح لفظه وفصيح نطقه بكلمتى الشهادتين وهما أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله عارفا معتقدا معناهما ومصدقا بمضمونهما تاركا الدين النصرانية والاديان الرديئة على الترتيب والولاء واعادة التشهد واستيفاء الشروط المعتبرة فيهما شرعا طائعا مختارا من غير اكراه ولا اجبار وبمقتضى ذلك صار له ما للمسلمين وعليه ما عليهم وظهر منه الرغبة والحب للمسلمين والميل اليهم وسمى نفسه عبد الله باشا وأشهد على نفسه الجماعة المذكورين بجميع ذلك اشهادا شرعيا ثم بعد ذلك رغب عبد الله باشا المذكور فى زوجه بامرأة مسلمة فخطبها خطبة شرعية وأجيب الى ذلك بعد ابراز الفتيا شريفة لفظ سؤالها ما قولكم دام فضلكم فى رجل أحب الاسلام وأهله ورغب فيهما تاركا الدين النصرانية ناطقا بكلمتى الشهادتين مصدقا على الوجه الاكمل ثم أراد أن يتزوج امرأة مسلمة على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم فهل يجوز له حينئذ التزوج بها والعقد عليها بشروطه الشرعية أفيدوا الجواب بأدناه. الحمد لله حيث كان الحال ما شرح فى السؤال فيجوز للرجل المسلم المذكور خطبة المرأة المسلمة والعقد عليها بشروطه الشرعية والله أعلم كتبه العبد الفقير أحمد الخضرى الشافعى لطف الله به وبأدناه. الحمد لله حيث أقر الرجل المذكور بالشهادتين بشروطهما الشرعية فيجوز له أن يعقد على المرأة المسلمة عقدا شرعيا مستوفيا لشرائطه الشرعية والله سبحانه وتعالى هو الموفق كتبه الفقير محمد صديق الحنبلى عفى عنه وبأدناه. الحمد لله حيث رغب الرجل المذكور فى الاسلام ونطق بكلمتى التوحيد جاز له أن يتزوج المرأة المسلمة وأن يعقد عليها العقد الشرعى بشروطه الشرعية والله أعلم كتبه الفقير محمد غرا المالكى غفر له وعفى عنه فبمحضر كل ممن ذكر أعلاه تزوج عبد الله باشا المذكور بمخطوبته زبيدة المرأة بنت محمد البواب التى كانت زوجا للسليم أغا نعمة الله وطلقها وانقضت عدتها منه شرعا على كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم وصداق جملته ألف ريال اثنان معاملة ومائة دينار ذهبا محبوبا فالحال لها من ذلك المائة دينار المذكورة أقبضها لوكيلها الحاج حسين ابن السيد محمد الموقت فقبض منه ذلك عددا بالمجلس بمعاينة من ذكر أعلاه وعليه الخروج من عهدة ذلك لها شرعا والباقى ألف ريال الاثنان يحلان لها عليه بموت أو فراق زوجها له بذلك وعقد نكاحها عليه وكيلها الحاج حسين الموقت المرقوم باذنها له فى ذلك بشهادة كل من أخيها لامها السيد على الحمامى بن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد ابراهيم المكلف كل منهما ابنى السيد سليمان النقرزان تزويجا شرعيا قبله للزوج المرقوم وكيله الحاج أحمد شهاب حسبما وكله صريحا بالمجلس بشهادة شهوده المذكورين وعلى عبد الله باشا الزوج المذكور القيام لزوجته المذكورة فى كل سنة تمضى من تاريخه أدناه بقضاء كسوة أقمشة شتاء وصيفا الاثنين بحالهما القيام الشرعى وثبت ذلك لدى مولانا أفندى بعد ان ثبت لديه معرفة زبيدة المذكورة المعرفة الشرعية التى لا جهالة معها شرعا بشهادة كل من شهوده وكيلها المذكورين ثبوتا شرعيا وحكم بموجبه حكما شرعيا فى الخامس والعشرين من رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف

(صورة الاتفاق) ولديه بمحضر كل من مولانا الشيخ أحمد الخضرى المفتى الشافعى ومولانا الشيخ محمد صديق النائب المفتى الحنبلى ومولانا السيد محمد غرا النائب والمفتى المالكى والسيد أحمد بدوى نقيب الاشراف والامير محمد بدوى جربجى سردار مستحفظان وأحمد آيق جاويش مستحفظان العال والحاج محمود اللومى المغربى وابراهيم الجمال الرزاز والحاج محمد ميتو وعبد الله بربير والحاج بدوى الشناوى وازون اسمعيل السلانكلى وعلى جاويش كتخدا البيك ولوى جوسف ويكتور جليان صارى عسكر حاكم ولاية الثغر ولوى اوجست دروى رئيس طائفة عسكرية وكتخدا صارى عسكر الآتى ذكره فيه وجان فرنسوا لوى لويكه مهندس وميقاتى الجيش الفرنساوى ولوبرى وانول باش حكيم القرنتينة دام كمالهم صدر التوافق والتراضى بين الحاج حسين ابن السيد محمد الميقاتى الوكيل الشرعى عن زبيدة المرأة بنت السيد محمد البواب الثابت معرفتهما وتوكيله عنها فيما يذكر فيه بشهادة كل من أخيها لامها السيد على الحمامى بن حسن البواب والسيد أحمد وشقيقه السيد ابراهيم ابنى السيد سليمان النقرزان الثبوت الشرعى وبين الحاج أحمد شهاب الحاضر معه بالمجلس القائم فى ذلك بوكالته الشرعية عن عبد الله باشا منو صارى عسكر القطر المصرى حالا الثابتة صريحا بالمجلس وبتصديقه على ذلك التصديق الشرعى وهو زوج زبيدة الموكلة بموجب كتاب الزوجية المسطر بمحكمة الثغر المؤرخ بخامس عشرى شهر تاريخه أدناه على شروط تكون وتوجد بين عبد الله باشا منو وبين زوجته زبيدة باقرار الوكيلين المذكورين

حضرته

حضرته انه وجد صورة العقد المذكورة مشطوبة شطبا يكاد يجعل قراءتها مستحيلة وانه قاسى فى قراءتها عناء شديدا

ولما كانت دولة انكلترة لا يهدأ لها حال بسبب احتلال الفرنسيس لمصر لما لها فى ذلك من الصوالح خصوصا الانها امفتاح طريق هندها وأملاكها الآسيوية أسرعت بارسال عمارة حربية مؤلفة من ١٧٠ مركب تحت قيادة الاميرال جورج الفانستون لورد كيث (George Elphinstone, Lord Keith) وانضم الى السير سيدنى اسمث وعلى العمارة المذكورة ١٥٠٠٠ مقاتل يقودها السير رولف ابركرومبى (Sir Rolph Abercromby) وبرفقته من القواد الجنرال جون مورى (John Moore) والجنرال هتشنسون (Hutchinson) وغيرهما وعرجت هذه القوة فى طريقها على ميناء مرمريس ليقرر رؤساؤها خطة الحملة مع الاوردى الهمايونى الذى تجهز مع الدونانما العثمانية المركبة من ٦٠ سفينة شراعية تحت قيادة القبودان حسين باشا ثم أقلعت العمارة الانكليزية ولم تقف امام الاسكندرية لمناعة حصونها فقصدت أبوقير وأخرجت الجيش هنالك على ٣٢٠ صندل (٢ مارس ١٨٠١ م) وبينما كان الفرنسويون والانجليز يتقاتلون وصل القبودان باشا بالمراكب

الشرط الاول منها أن زبيدة الزوجة أقامت وأذنت زوجها المذكور وكيلا عنها فى سائر ما تملكه يدها الآن وفيما يوجد لها من المال يتصرف لها فى ذلك بحسن نظره السعيد (الثانى) ان عبد الله باشا منو الزوج المذكور أقر بأن كامل ما هو تحت يدها من متاع ومصاغ وحلى فهو ملك لها تنفرد بها (الثالث) عبد الله باشا منو الزوج المرقوم أعطى لوكيلها الحاج أحمد شهاب المذكور مائة محبوب كل واحد منها بمائة وثمانين نصف فضة فى نظير صداق زوجته المذكورة وان الحاج أحمد شهاب سلم جميع ذلك ليد وكيلها الحاج حسين المذكور فسلمها ذلك عددا بالمجلس وذلك على حسب عادة عقودات المسلمين (الرابع) ان الزوج المذكور شرط على نفسه انه ان حصل بينه وبين زوجته فراق يدفع لها ألف ريال اثنان معاملة فى نظير فراقه لها وكل ما كان تحت يدها وقت ذلك يكون جميعه ملكا لها حسب عادة دفع مؤخر صداق المسلمين (الخامس) ان زبيدة الزوجة المذكورة ان كانت تطلب طلاقها من زوجها المذكور بحسب شرع المسلمين لم يكن لها من الالفين ريال المذكورة ولا نصف فضة ما عدا ما تحت يدها من مصاغ وغيره فهو لها (السادس) زبيدة لم تزل وارثة فى كل ما كانت ترثه شرعا (السابع) ان زبيدة أقرت بنفسها انه ان مات زوجها المذكور وهى فى عصمته تأخذ من ماله الالف ريال المذكورة وليس لها موارثة ولا طلب فى تركته وذلك فى نظير ارثها الشرعى حسب رضاها بذلك (الثامن) انه ان مات الزوج المذكور وخلف أولادا من زوجته المذكورة وهم قصر يقام عليهم رجلان ناظران ووصيان واحد فرنسوى والثانى ابن عرب يتصرفان فى أموالهم بحسب المصلحة فى طريقة الفرنساوية وطريقة المسلمين (التاسع) ان الزوجة المذكورة ان ماتت وخلفت أولادا من زوجها المذكور فى حياته يكون أبوهم هو الوكيل الشرعى على أولاده وعلى مالهم (العاشر) الناظر الوصى الفرنساوى المذكور فى الشرط الثامن يقام من طرف حكام الفرنساوية الموجودين فى بر مصر وقت ذلك والناظر الوصى الثانى يقام بحسب عادة المسلمين وان حصل نداع بسبب اختلاف تقام القضية على يد الحاكم الشرعى ان كان ببر مصر أو ببر الفرنسوية (الحادى عشر) عبد الله باشا منو وزجته ان ماتا جميعا وخلفا أولادا تكون أولادهما تحت حماية الجمهورية الفرنسوية والزوجين المذكورين يقصدان من فضل الحكام الخمسة التى ببلاد فرنسا أن يكونوا نظارا على أولادهما وان الزوج والزوجة أقرا واعترفا برضاهما على هذه الشروط المذكورة على يد وكيليهما الاقرار والاعتراف الشرعيين الصادرين منهما بالمجلس بحضرة من ذكر أعلاه وانهما التزما بهذه الشروط لفعلاها وقت الاحتياج اليها من غير اكراه ولا اجبار التزاما مرضيا وثبت ذلك لدى مولانا افندى ثبوتا شرعيا وحكم بموجبه فى سابع عشرى رمضان سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف م، نسختان متطابقتان

العثمانية الى أبوقير وأخرج فيها الجيش وكان عدده ٧٠٠٠ عسكرى فانضم الى جيش الانكليز وحاربوا الفرنساويين وهزموهم وانحاز الجنرال منو الى ثغر الاسكندرية بعد أن قتل من جيشه عدد عظيم وحاصره الانكليز والعثمانيون فيها وقطع الانكليز عليه المواصلات بداخل القطر وذلك بأن قطعوا الجسر الفاصل بين الملاحة وبحيرة مريوط فأصبح محاطا بالماء من كل جانب والجنود العثمانية والانكليزية حوله وانحاز جانب من الفرنسيس الى الرحمانية وتحصنوا بقلعة كانوا بنوها هناك فتوجه القبودان باشا مع القائد الانكليزى ببعض المراكب الخفيفة الى الرحمانية وكانت المدفعيات تحت قيادة القبودان ستيفنسون (Stevenson) وفتحوا فى طريقهما رشيد وفوة وهزموا الفرنسيس فى كل نقطة واستولوا على قلعتهم المذكورة وكانت تبعد ١٧٠ ميل عن البحر قال جودت باشا فى تاريخه وفى خلال ذلك تقدم جيش السردار يوسف ضيا باشا من العريش وقصد مصر وبعث قوتين فى مقدمته الاولى تحت قيادة جرخه جى طاهر باشا والثانية تحت قيادة السرعسكر محمد باشا وتلاقيا مع القوة التى كانت تحت قيادة الجنرال بليار (Bellierd) وهزموها فتقهقر بليار الى مصر وأخذ يحصن القلعة اه ثم حبس الفرنسيس فى القلعة كثيرا من العلماء من ضمنهم الشيخ السادات والشيخ الامير والشيخ محمد المهدى والشيخ خليل والشيخ عبد الله الشرقاوى صاحب تحفة الناظرين الذى قال فى كتابه المذكور ان سبب حبسهم خوف الفرنساويين من قيام أهل البلد عليهم كما وقع منهم سابقا فمكثنا فى القلعة مائة يوم من تسعة ذى القعدة الى أواخر صفر سنة ١٢١٦ ﻫ اه وكان الفرنسيس فى خلال تلك الحركات يجندون كثيرا من النصارى سكان مصر لاتمام النقص فى طوابيرهم لحفظ قوتهم التى كانت أخذت فى الانحطاط وكانوا فقدوا أكثر من نصفها ولما قربت جيوش السردار يوسف باشا أخذ يهاجمها الفرنساويون من يوم الى آخر بدون طائل ولما وصل القبودان باشا والأميرال الانكليزى بالجيوش وبالمراكب الحربية الخفيفة تضايق الفرنسيس وحصل لهم اليأس وكانوا ينتظرون وصول المدد من فرانسا بفروغ صبر وكانت الاخبار أتت اليهم تبشرهم بوصول المدد اليهم على أسطول عليه الأميرال غانطوم (Ganteaume) وكان ذلك الأسطول يتركب من سبعة قباقات حربية كبيرة مشحونة بالذخائر وعليه خمسة آلاف عسكرى بيد أن هذا الاسطول اضطر أن يعود ثانية الى طولون فرارا من عمارة المانش الانكليزى التى شاهدته من بعد وكانت تحت قيادة الأميرال السير هارفى (Sir Harvey) وكان ذلك فى شهر يناير من سنة ١٨٠١ م فلما يئس الجنرال بليار اضطر أن يطلب الصلح والانسحاب فأجيب طلبه وعين السردار يوسف باشا مندوبا يدعى عثمان بك وعين القبودان باشا آخر يدعى اسحق بك وأتى من طرف الانكليز السير سدنى أسمث (Sidny Smith) فاجتمعوا مع مندوبين من طرف الفرنسيس وبعد مداولات أظهر فيها الفرنساويون التجلد والقوة قبلوا باخلاء مصر فى مدة خمسة عشر يوما على شروط اتفق عليها ذكرها المؤرخون وهى مذكورة أيضا بالجزء الثالث من الجبرتى [1] ولما صدق عليها السردار والقبودان باشا والقائد الانكليزى والجنرال بليار

(١) ملخص المعاهدة التى أمضيت بين الفرنساويين من جهة وبين الانكليز والعثمانيين من جهة أخرى فى ١٦ صفر الخير سنة ١٢١٦ ﻫ (٢٥ يونيو ١٨٠١ م) وهى تتضمن احد عشر شرطا منها ان الجيش الفرنساوى يلزم

٢٥ يونيو (١٨٠١ م) خرج الفرنساويون من مصر وذهبوا الى الجيزة وكانوا زهاء ١٣٧٣٤ نفر ثم توجهوا منها يوم الاربعاء ٤ ربيع الاول من سنة ١٢١٦ هـ الى رشيد وأبي قير صحبة حسين باشا القبودان وعساكر كثيرة من العثمانيين والانكليز وأنزلوهم هناك في المراكب وامتلأت مصر بالعساكر العثمانية وبعض العساكر الانكليزية ودخل الصدر الاعظم مع أركان حربه وهم ابراهيم باشا والى حلب وابراهيم باشا والى ديار بكر ومحمد باشا أبو مرق وطاهر باشا الارنؤد وغيرهم ومن أمراء مصر ابراهيم بك الكبير والطنبورجي وعثمان بك البرديسي والالفي والمحروقي والسيد عمر مكرم وغيرهم وذلك يوم الخميس في موكب عظيم عليهم أبهة الجمال وهيبة الكمال وامتلأت قلوب أهل مصر فرحا لكثرة ماوقع لهم من طائفة الفرنسيس من أخذ أموالهم وقتل رجالهم وهدم بيوتهم وغير ذلك من المظالم وفي أثناء ذلك وصلت فرقة انكليزية الى القاهرة عددها ستة آلاف عسكرى تحت قيادة الجنرال بردان كانت أرسلتها انكلترة من جنودها بالهند على طريق البحر الأحمر مددا للجنرال ابركرومبي وكان وصولها من طريق القصير الا أنها أتت بعد انسحاب الجيوش الفرنساوية من القاهرة فسافرت الى اسكندرية وحضرت وقائع هناك لأن الجنرال مينو كان مصرا على الدفاع بمن معه من الجنود البالغ عددهم عشرة آلاف عسكرى فشدد الانكليز والعثمانيون عليه الحصار ودخلت مدفعيات صغيرة الى الميناء من خلف المدينة بواسطة البحيرة تحت قيادة القبودانين سدنى اسمث واستيفنسن وأطلق الجنرال هتشنسون المدافع والبنادق على الفرنساويين وحصلت واقعة هائلة قتل فيها كثير من الجنود العثمانية والانكليز واستعد السير سدنى اسمث لضرب المدينة بالمدافع من البحر فاضطر الجنرال مينو عند ذلك لقبول التسليم والسفر

أن يخلوا القلاع ومصر ويتوجهون على البر بمتاعهم الى رشيد وينزلون في مراكب ويتوجهون الى بلادهم وهذا الرحيل ينبغى أن يسرع به وأقل مايكون في خمسين يوما وأن يساق الجيش من طريق مختص ويلزم أن يقوم لهم سرعسكر الانكليز والمساعد بجميع مايحتاجونه من نفقة ومؤنة وجمال ومراكب والمحل الذى يبدأ منه السير يكون بالتراضى بين الجمهور والانكليز والمساعد وكامل الامتعة والاثقال تتوجه في البحر ومعهم جيش من الفرنساوى لاجل الحراسة ولابد من كون المؤنة التى تترتب لهم كالمؤنة التى كانوا يعطونها لجيش الانكليز ورؤسائهم وعلى رؤساء عساكر الانكليز وحضرة العثمنلى القيام بنفقة الجميع والحكام المتقيدون بذلك يحضرون لهم المراكب ليسفروهم الى فرانسا من جهة البحر المحيط وأن يقدم كل من حضرة العثمنلى والانكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيل التى يأخذونها في المراكب وأن يسير واعمهم مراكب للمحافظة عليهم الى أن يصلوا الى فرانسا وان الفرنساوية لابد يخلون مينا الاسكندرية والمدبرون والامناء والوكلاء يقدمون لهم مايحتاجون اليه نظرا لكفاية عساكرهم والمدبرون والامناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم مايحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ولو التى اشتروها من مصر وكل من أهل الاقليم المصرى اذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الامن على متاعه وعياله وكذلك من داخل الفرنساوية من أى ملة كانت فلا معارضة له الآن يجرى على أحواله السابقة وجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثمنلى واذا عوفوا توجهوا الى فرانسا بالشروط المتقدم ذكرها وحكام العثمنلى يتعهدون من بمصر منهم ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان مركبين الى طولون فيرسلون خبرا الى فرانسا ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنساوية فلابد أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلما في الصلح ولايقع في ذلك نقض عهد الصلح وعلى كل طائفة من العثمانى والفرنساوى أن تسلم ماعندها من الاسرى ولابد من رهائن من كل طائفة واحد كبير يكون عند الطائفة الاخرى حتى يتوصلوا الى فرانسا اهـ

ص ١٨٣ جزء ٣ جبرتى

بجنوده الى فرانسا وأرسل من طرفه مندوبا للمخابرة (٢ نوفبر ١٨٠١ م) فعقدت شروط الانسحاب كمنطوق شروط بليار ثم نزل بعسكره فى المراكب شيأ فشيأ وعادالى بلاده وخلت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد بعد أن تصرفوا فى مصر ثلاث سنين وشهرا ثم بعد ذلك بقليل أمضى على أسعد أفندى سفير الدولة فى باريس مقدمة الصلح الذى انعقد بين فرانسا والدولة ثم بعد أن قبض الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا على زمام الاحكام فى القاهرة أخذ يرتب نظام الادارة المصرية وفى خلالها كانت المماليك البكوات تحاول التسلط لاعادة نفوذهم وكان عثمان بك البرديسى ومحمد بك الالفى مقيمين بجنودهما بالجزيرة ومعسكر الانكليز بمصر العتيقة وأخذ القبودان حسين باشا يتباحث مع الصدر الاعظم يوسف باشا فى تدبير طريقة لردع المماليك ولما أحس المماليك بذلك التجأ كبراؤهم للانجليز فتوسطوا لهم عند الصدر ومنعوه من اجراء مقاصده ليكون لهم بذلك من يعتمدون عليه فى مصر عند الحاجة ولله فى خلقه شؤن وكان الامر صدر للجنود الانجليزية من الأميرال الأكبر اللورد كيث بالانسحاب من مصر ثم توسط القبودان باشا لدى الصدر الاعظم فطلب من السلطان تولية خسرو باشا كخيا القبودان باشا المذكور على مصر فصدر الفرمان بذلك وكانت توليته اياها فى يوم ١٢ جمادى الاولى من سنة ١٢١٦ ﻫ

الفصل السابع عشر

(العائلة المحمدية العلوية الحالية)

(أول أمرها من سنة ١٢٢٠ هجريه)

(محمد على باشا الكبير)

(١٢٢٠ - ١٢٦٤ ﻫ)

كانت ولادة هذا الرجل الكبير والبطل الشهير بمدينة قوله من أعمال مقدونية سنة ١١٨٢ ﻫ وكان والده يسمى إبراهيم أغا من ضباط تلك المدينة ولما توفى والده تركه فى سن لا يتجاوز الأربع سنوات فكفله عمه ثم مات عمه بعد ذلك بمدة يسيرة فتكفل به حاكم المدينة المذكورة ورباه عند أحد أصدقاء والده فشب على حب استعمال السلاح وزوجه وهو فى الثامنة عشرة من العمر باحدى قريباته وكانت ذات يسار فكان ذلك مبدأ ثروته واشتغل بالتجارة ونجح فيها خصوصا فى تجارة التبغ التى هى أعظم حاصلات بلدته ثم لما تعين القبودان كوجك حسين باشا بالدونمنا السلطانية لاخراج الفرنساويين من مصر كما سبق فى صحيفة ٦٥٧ من الجزء الاول من هذا الكتاب كتب الى جور باجى مدينة قوله حسين أغا بارسال عدة من العسكر فارسل مائتى جندى مع صهره محمد على أغا هذا صحبة الدونمنا التى أقلعت الى مصر سنة ١٢١٤ ﻫ وبعد اخراج الفرنساويين من الديار المصرية (١٢١٦ ﻫ) ترقى محمد على الى رتبة سرچشمه أى رتبة البكباشى وصار قائد فرقة ثم توظف فى معية محمد خسرو باشا عندما قلدته الدولة ولاية مصر كما مر ولم يزل محمد على يتقدم بكفاءة الى أن ارتقى الى رتبة أميرلوا فظهر حينئذ اقباله وعلا نجم سعده حتى خاف منه

خسرو

خسرو باشا وأراد الفتك به عقب انهزام تجريدة عثمان بك البرديسى ومحمد بك الألفى فى دمنهور وكانا
أرسلا لمحاربة العصاة من المماليك ولكن من حسن حظ محمد على باشا أن قامت العساكر على الوالى
المذكور لتأخير صرف مرتباتهم حتى ألجؤه الى الفرار وقلدوا طاهر باشا قائدهم ولاية مصر ولما
عجز عن أداء مطلوبهم قتلوه ورغبت اليكجرية تولية أحمد باشا والى جدة وكان أتى مصر ليسافر منها
الى محل مأموريته وكان ذلك على غير رضا محمد على وكان أحمد باشا المذكور تمكن من الاستيلاء
على قلعة الجبل الا أن محمد على تمكن بما اتصف به من المهارة وحسن السياسة بعد ان اتحد مع
الامراء والرؤساء من اخراج أحمد باشا من القلعة ثم حصلت بعض وقائع أخرى مع خسرو باشا
بجوار دمياط تمت بمحاصرة البرديسى له فيها وأسره (١٢١٨ هـ) وتسليمه بعد ذلك الى ابراهيم
بك الكبير ولما بلغ الدولة ما حصل أرسلت على باشا الجزائرلى (الطرابلسى) لولاية مصر مكان
خسرو باشا ولكنه بعد استلامه الاحكام أساء التدبير حتى وقع فى أيدى الكوللمان فقتلوه ثم ولت
الدولة خورشيد باشا واستمر الاضطراب سائدا مع ما بذله خورشيد باشا المذكور من المساعى
الى أن صدرت الاوامر السلطانية بعد حدوث أمور ووقائع يطول شرحها بتولية محمد على باشا
على الديار المصرية فى شهر صفر من سنة ١٢٢٠ هـ طبق المرغوب أعيان وأمراء البلاد الذين طلبوا
من الدولة ذلك بما أرسلوه من العرائض وأخذ محمد على بعد توليته يسعى بكل الطرق فى تسكين
الاضطرابات وقطع دابر الفتن واستمالة قلوب المشايخ والعلماء وأصحاب الكلمة ولما بلغ أمر
تولية محمد على باشا الى خورشيد باشا امتنع من الاعتراف به وتحصن بالقلعة فالتزم محمد على باشا
بمحاصرته فيها بجنود الارنؤد فازداد الارتباك وكانت الدولة ترى ان وجود هذه الفتن المستمرة بمصر
مخل بالامن لانها طريق الحرمين الواجب المحافظة عليه ومن الضرورى اعادة النظام الى مصر لتأمين
هذا الطريق فأرسلت فرمانا بعزل خورشيد باشا مع من يدعى صالح أغا القبوجى باشى ولما بلغه الى
خورشيد باشا لم يمتثل حتى حضر القبودان سيد عبد الله رامز باشا بالدونما العثمانية وبلغ الامر
لخورشيد باشا المذكور وبعد تردد خرج من القلعة وركب مركبا من بولاق وأقلع من هذا القطر
واستلم محمد على باشا الولاية بلا معارضة ثم انه فى سنة ١٢٢١ هـ أتى مرسوم سلطانى بعزل محمد على
باشا عن مصر وتوليته ولاية سلانيك وجعل موسى باشا واليا بدله على مصر وحضر موسى باشا
بالاسطول الى القطر فكتب العلماء والوجوه وأمراء الجند محضرا الى الدولة وأرسلوه صحبة ابراهيم
بك أكبر أنجال محمد على باشا يلتمسون فيه بالاجماع بقاء محمد على باشا واليا لما رأوا فيه من حسن
الادارة والطاعة للدولة وعليه أصدر السلطان سليم خان الثالث فرمانا بابقائه فى الولاية (شعبان
١٢٢١ هـ) وتعين ابنه ابرهيم بك دفتردارا وكان الذى حسن للدولة عزل محمد على باشا من مصر
هى دولة الانكليز ليتمهد الامر لحليفها محمد بك الالفى ويتسنى لها مساعدته وكان الالفى سافر
الى انكلتره قبل ذلك واتفق معها انها هى ساعدته على نوال مرغوبه الذى أخصه ازالة نفوذ البرديسى
خصمه وظهيره محمد على باشا ان يتنازل لها عن سواحل مصر الواقعة على البحر المتوسط الابيض
وعن ميناء الاسكندرية الا أنه بعد قليل من الزمن توفى محمد بك الالفى المذكور ولم يتمكن من
نوال شئ قال العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فى تاريخه عن رحلة الالفى الى بلاد الانكليز انه
غاب بها سنة وشهورا وقد تهذبت أخلاقه بما اطلع عليه من عملة بلادهم وحسن سياسة أحكامهم

وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم وعدلهم فى رعيتهم بحيث لا يوجد فيهم فقير ولا مستجد ولا ذو فاقة ولا محتاج وقد أهدوا له هدايا وجواهر وآلات فلكية الى أن قال ومن أنواع الاسلحة الحربية أشياء كثيرة وقال أيضا انه كان آخر من أدركنا من الامراء المصريين شهامة وصرامة ونظرا فى عواقب الامور اهـ وبعد موته بأيام قلائل توفى عثمان بك البرديسى رئيس الامراء المصريين قال الجبرتى سمى بالبرديسى لأنه تولى كشوفية برديس بقبلى فعرف بذلك الى أن قال فلما سافر الالفى الى بلاد الانكليز تعين رئيسا على خشداشينه مع مشاركة بشتك بك الذى عرف بالالفى الصغير وكان ظالما غشوما طائش التدبير وقد أوجده الله جل جلاله وجعله سببا لزوال عزهم ودولتهم واختلال أمرهم وخراب دورهم وتشتيت جمعهم ولم يزل على خبثه حتى مرض ومات بمنفلوط ودفن هناك اهـ وبموت هذين الاميرين استتب الامر لمحمد على باشا حتى أصبح بلا معارض تقريبا وفى خلال ذلك اتحدت الدولة العثمانية مع نابليون بونابارت بمهارة سفيرها الجنرال سباستيان ونشأ عن ذلك قيام دولة الروسيا واعلانها الحرب على الدولة العثمانية واتفقت انكلترة معها ودخلت دونمتها الدردنيل تحت قيادة السير جون دوكورث (Duckworth) وأخذت تهدد دار الخلافة أياما ورفضت الدولة جميع اقتراحاتها كما مر فى الجزء الاول من هذا الكتاب ولما خاف الاميرال المذكور سوء العاقبة خرج مسرعا بالدونمة الى البحر الابيض المتوسط ولحقه من قلاع الدردنيل وقت خروجه خسائر جمة وفى أثنائها أصدرت الدولة الاوامر الى محمد على باشا بأخذ الاحتياطات اللازمة والمحافظة على الثغور المصرية خوفا من أن تدهمه أساطيل دولة انكلترة وكان العزيز وقتئذ يسعى فى مسالمة الامراء والاتفاق مع ابراهيم بك الكبير وشاهين بك وغيرهما وكانت انكلترة لما لم تنل مقصدها من الاستانة عزمت على مهاجمة الديار المصرية لتنفيذ مقصدها فى مصر بالقوة وهو المقصد الذى كانت تسعى اليه من أمد مديد وتهيئ له الفرص والاسباب

حملة انكلترا على الديار المصرية — انه فى ١٧ مارث من سنة ١٨٠٧ (محرم سنة ١٢٢٢ هـ) ظهرت امام ثغر الاسكندرية دونمة انكليزية مركبة من ١٧ مركبا حربيا ومعها غيرها من السفن الحاملة للعساكر فحصل من ذلك دهشة عظيمة لسكان البلد قال الجبرتى وفى تاسع محرم وردت مكاتبات مع السعاة من ثغر الاسكندرية وذلك يوم الخميس وقت العصر وفيها الاخبار بورود مراكب الانكليز وعدتهم اثنان وأربعون مركبا فيهم عشرون قطعة كبارا والباقى صغارا فطلبوا الحاكم والقنصل وتكلموا معهما وطلبوا الطلوع الى الثغر فقالوا لهم لا نمكنكم من الطلوع الا بمرسوم سلطانى فقالوا لم يكن معنا مراسيم وانما مجيئنا لمحافظة الثغر من الفرنسيس فانهم ربما طرقوا البلاد على حين غفلة الى أن قال ولما انقضت الاربعة وعشرون ساعة التى جعلها الانكليز أجلا بينهم وبين أهل الاسكندرية وهم فى الممانعة ضربوا عليهم بالقنابر والمدافع الهائلة من البحر فهدموا جانبا من البرج الكبير وكذلك الابراج الصغار والسور فعند ذلك طلبوا الامان فرفعوا عنهم الضرب اهـ وعند ذلك خرج من الدونمة الى البر نحو سبعة آلاف عسكرى تحت قيادة الجنرال فريزر (Freser) ولم يكن بالاسكندرية فى ذلك الوقت غير بضع مئين من الجنود تحت قيادة أمين أغا من ضباط الاستانة ولم يتعرض الضابط المذكور لمنع خروج العسكر الى البر ولا لتقدمهم نحو المدينة بل قبل العار وسلم نفسه هو ومن معه من العساكر بلا مقاومة أصلا وبهذه الكيفية استولى الجنرال الانكليزى على هذه المدينة الشهيرة بدون أن يفقد أحدا

من

من عساكره وفى ذلك الوقت كان محمد على باشا فى الصعيد مشتغلا بمحاربة الكوملمان ولم يكن يخطر بباله أن دولة قوية مسالمة مثل الانكليز تهجم على بلاده بلا سبب فلذلك انزعج من هذا الامر جدا وأسرع بعقد الصلح مع الكوملمان وعاد فى الحال الى القاهرة للنظر فى أسباب الدفاع عن القطر المصرى أما الجنرال الانكليزى فانه بعدان استراح أياما واستطلع الاحوال واستعد بما يلزم سير بعض عساكره الى رشيد ليتحصل على موقع داخل القطر و يكون له بسببه المؤنة والخيول اللازمة لعساكره وكانت العساكر التى سارت الى رشيد ألفى جندى بينها كثير من مجكى الفرنسيس وبينهم مائتا بحرى وكان حرس رشيد يتركب من بضع مئين تحت قيادة رجل اتصف بالشجاعة والصداقة يسمى على بك وكان ذلك من حسن حظ محمد على باشا ولما علم هذا الضابط الغيور بقرب مجىء الانجليز استعد للمدافعة بجمعه القليل ولأجل قطع خط رجعة العدو بالمرة أمر بنقل جميع المراكب والصنادل التى كانت بقرب رشيد الى الشاطىء الآخر وأمر العساكر فاختفوا داخل المنازل وان لا يبدؤا بحركة أصلا حتى يأمرهم ولما رأى الانجليز ان ليس بالمدينة من يدافع عنها ظنوا ان السكان والجنود تركتها لعدم مقدرتها على المدافعة كما حصل بالاسكندرية وكان الانكليز اعتراهم التعب من السير فدخلوا البلدة مطمئنين بلا مبالاة وانتشروا فى الطرق يبحثون على محلات يلتجئون اليها للاستراحة وألقى كثير منهم السلاح ونام فى الاسواق فلما رأى ذلك على بك المذكور وتحقق من التمكن منهم خرج عليهم بقليل من العساكر وأطلق النار على كل من واجهه منهم فحصل لهم من ذلك دهشة وفشل واختباط عظيم وابتدأت العساكر الكامنة فى المنازل باطلاق البنادق أيضا على عساكر العدو وكانوا يطلقونها من الابواب والشبابيك والاسطحة وبعد قليل من الزمن فرت الفرقة العسكرية الانكليزية هاربة بلا نظام الى جهة الاسكندرية بعد ان قتل منها اللواء الحكمدار وكثير من الضباط ومائة جندى وأخذ منها ١٢٠ أسيرا ومدفعان أما الهاربون ففازوا يجدون فى السير لا يلوون على شئ حتى وصلوا الاسكندرية

وكان محمد على باشا وصل الى القاهرة اثناء ورود أخبار انتصار على بك فى واقعة رشيد المذكورة ولما بلغه خبر تجديد الاغارة من الانكليز على البندر المذكور أسرع فى ارسال الامدادا للازم اليه أما الجنرال فريزر فاعترته الدهشة والوجل مما حصل للفرقة الانكليزية فى رشيد ولذلك جهز سرية أخرى وأرسلها الى ذلك البندر وكانت مركبة من ٣٠٠٠ جندى معها ستة مدافع وأربع قطع من الهوان تحت قيادة الجنرال استوارت (Stewart) ولما وصلت الى رشيد فى ٨ ابريل من سنة ١٨٠٧ ألقت عليها الحصار ووضعت بطريتين على تل بناحية أبو مندور واستولت على قرية الحماد ووضع هذا القائد فيها خمسة بلوكات لوقاية الخلف ثم ابتدأ فى ضرب النار ومكث الضرب أسبوعين بلا ثمرة وفى نهايتها تعجب الفريقان من المدد الذى أتى على حين غفلة من طرف المرحوم محمد على باشا ففرح المحصورون وكان هذا المدد يتألف من ١٥٠٠ من السوارى ومن ٤٠٠٠ من البيادة وانقسمت هذه القوة الى فرقتين كانت الاولى وهى الصغيرة تحت قيادة حسن باشا واتخذت موقعها امام الحماد المتقدمة والفرقة الكبيرة تحت قيادة الكيخيا واتخذت موقعها فى برمبال وكان عساكر الفرقتين يشاهدون بعضهم بعضا وفى الصباح هجمت فرقة حسن باشا على موقع الانجليز الذى بالحماد ولكنها تقهقرت وتعقبتها فرقة من العدو ولكن السوارى المصريين

شتتوا شملها ثم اجتمعت فرقة الكيخيا بفرقة حسن باشا ليلا وكان الجنرال استوارت أخذ عساكر فرقة قول الجماد وخمسة بلوكات أخرى وجعلها قوة واحدة بلغ عددها ٨٥٠ جندى ووضعها تحت قيادة الميرالاى ماكلاود (Macloed) وكان هذا الميرالاى يظن انه ليس فى مواجهته الا فرقة حسن باشا ولكنه رأى فى الصباح عندما أراد الهجوم ان جميع الجيش المصرى اجتمع فى مواجهته فداخله الرعب وأمر عساكره بالقهقرى الا انه غلط فى تقهقره بتجزئته قوته الى سريات كانت أول سرية منها مركبة من ثلاثة بلوكات تحت قيادة البكباشى مور (Moore) والثانية تحت قيادته وكانت مؤلفة من بلوكين من ابقوسيا والثالثة من خمسة بلوكات ومدفعين تحت قيادة البكباشى وجلستر (Vaglester) ومن سوء ادارته أيضا لم يسير تلك السريات مع بعضها بل جعلها منفصلة عن بعضها بمسافات بعيدة لا يمكنها أن تنجد بعضها بعضا ولذلك انتظرت السوارى المصرية سرية البكباشى مور حتى انفصلت من السريتين الاخريين وأحاطت بها من كل جانب فأفنتها عن آخرها ولم ينج من القتل منها الا من أسر وهو البكباشى مور مع قليل من الانفار ولما صار الميرالاى مكليور (Maclear) على مسافة نحو نصف ميل أحس بغلطه فى التحرك فأراد أن يرجع ويجتمع مع سرية البكباشى وجلستر فأحاطت به السوارى المصرية من كل مكان حتى اضطر الى تشكيل قلعة من المائتى نفر الذين صدتهم السوارى المصرية الا أن عساكر البيادة المصرية أطلقت عليهم النار فدمرت صفوفهم وقتل الميرالاى مكليور المذكور فأخذ القيادة اليوزباشى ماكى (Mackay) وصمم على اقتحام وسط المصريين كى يلتحق باخوانه فوقع وسط النيران ولم يصل الى البكباشى وجلستر الا بنفر قليل أما البكباشى وجلستر فانه دافع بشجاعة مع الخمسة بلوكات التى كانت معه لكنه اضطر فى آخر الأمر الى أن يسلم نفسه مع من بقى معه بلا شرط هذا أما الجنرال استوارت فانه لما رأى ما حل بجيشه أخذ فى تسمير ثقوب (فليات) المدافع الكبيرة وحرق الجبه خانة التى كانت لجيشه وعاد مهزوما الى الاسكندرية مع من بقى معه من جنود التجريدة وعددهم ألفا نفس وبعد هذه الصدمة الثانية التى أصابت الانكليز امام رشيد صمم الجنرال فريزر على أن لا يهجم مرة ثانية حتى يأتيه الامداد من انكلترة وداخله الرعب من هجوم عساكر محمد على باشا على الاسكندرية فاشتغل لذلك بتحصينها وحله الخوف على نفسه وعلى من بقى معه فقطع سد أبوقير وبذلك أغرق جميع أطراف المدينة وانعدمت نحو ١٤٠ بلدة فأصبح الهجوم عليه من الصعب جدا

وكان محمد على باشا فى تلك الاثناء توجه الى الرحمانية ثم قصد دمنهور ليقف بنفسه على حركات الانجليز وهناك علم انهم أصبحوا فى موضع يصعب الوصول اليه فأخذ فى تقوية وتحصين الاماكن خصوصا مدينة القاهرة ولما مضى الصيف ولم يأت امدادا الى الجنرال فريزر كاتب محمد على باشا فى أمر الصلح وحصلت المداولة فى تخلية الاسكندرية ثم ان الجنرال فريزر سار وقابل محمد على باشا فأكرم وفادته ثم أرسل من طرفه الى دمنهور الجنرال شربلد (Charbold) نائبا عنه فاستقر الرأى على خروج عساكر الانكليز بشرط رد جميع اسراهم اليهم فقبل بذلك محمد على باشا وفى ١٤ سبتمبر ركبت العساكر الانكليزية المراكب وأقلعوا من الاسكندرية بعد ان تركوا الاربع فراقيط العثمانية التى كانت راسية بالاسكندرية وكانوا استولوا عليها حين مجيئهم

عند

عند مجيئهم فكانت مدة بقاء الانكليز بالقطر المصرى ستة أشهر الاثلاثة أيام ولما انقضى أمر الانكليز وارتحلوا بمراكبهم من الديار المصرية التفت محمد على باشا الى تنظيم الاحوال فكان من أول أعماله انه سلم المصالح المصرية للمترشحين ذوى الكفاءة من ذوى قرباه وكان ذلك من حسن تبصره وجودة معرفته لأن بهم قد اشتد ازره واستقام أمره ولما تحسنت الامور بحسن التدبير والسياسة مالت اليه قلوب الامة المصرية بتمامها ثم شرع فى تخليص القطر من الانحطاط الذى أصابه فسن للاصلاحات قوانين معتدلة وأوفد على مصر كثيرين من انحاء العالم لنشر لواء العمران وبث روح الحضارة ورتب الضرائب على أحسن نظام وأحدث نظام تمغة المنسوجات وغيرها من الضرائب الخفيفة ليمكنه الحصول على الاموال اللازمة لاتمام تلك الاصلاحات (١٢٢٣ هـ) ولما كان الجيش كثير التذمر كعادته ويريد ضباطه أن يكون لهم مشاركة فى الحكم وهى العادة القبيحة التى أودت بالديار ظهرت الاضطرابات بين الجنود فتمكن من اطفائها بنفى رجب أغا رأس الفساد فى الجيش وقطع دابر ثورة ياسين بك أحد أمراء الجيش ونفاه الى قبرس ثم أصدر أمرا باصلاح سد أبى قير الذى كسره الانكليز واصلاح الحصون والقلاع المتخربة الموجودة بثغر الاسكندرية وبالسواحل المصرية وتشييد أخرى حتى بلغ عددها بالسواحل ٢٦ حصنا وسلحها بنحو ٦٢٧ مدفعا و ٦٥ هوانا ثم جدد حصونا أخرى فى أبى قير للمحافظة على السد فأصبحت سبعة وسلحها بنحو ١٥٩ مدفعا وثمانية هوانات وأحدث غير ذلك من الاصلاحات والاستحكامات

اعداد الاساطيل بالبحر الاحمر لمحاربة الوهابية وقتل عسكر الكولمان — بينما كان محمد على باشا مهتما فى اصلاح شؤن البلاد المصرية استفحل أمر العرب الوهابية (١) بالاقطار الحجازية واستولوا على الحرمين الشريفين وقطعوا الطريق على الحجاج والقوافل وكان قيامهم بدعوى مناقضة السنة الاسلامية وبدعة مخالفة للآثار المحمدية كما سبق الكلام عليهم فى تاريخ الدولة العلية ولما جلس السلطان محمود خان العدلى على التخت أصدر فرمانا (١٢٢٤ هـ) بتأييد

(١) كان ظهور الوهابية فى سنة ١٢٠٤ هـ ومؤسس مذهبهم الخبيث يدعى محمد بن عبد الوهاب وأصله من المشرق من بنى تميم وكان من المعمرين لانه عاش قريبا من مائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم وكانت ولادته سنة ١١١١ هـ وهلك ١٢٠٦ هـ وكان أبوه رجلا صالحا من أهل العلم وكذا أخوه الشيخ سليمان وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرسون فيه أن سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزغاته فى كثير من المسائل وكانوا يوبخونه ويحذرون الناس منه فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذى أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين وتوصل بذلك الى تكفير المؤمنين فزعم ان زيارة النبى صلى الله عليه وسلم والتوسل به و بالانبياء والاولياء والصالحين وزيارة قبورهم شرك وأن من أسند شيأ لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلى يكون مشركا نحو نفعنى هذا الدواء وهذا الولى الفلانى عند التوسل به وغير ذلك وأتى بعبارات مزورة و زخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه وألف لهم فى ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد واتصل بأمراء المشرق أهل الدرعية ومكث عندهم حتى نصروه وقاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة الى تقوية ملكهم واتساعه وتسلطوا على الاعراب وأهل البوادى حتى تبعوهم وصاروا جندا لهم بلا عوض وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال وكان ابتداء ظهور أمره سنة ١١٤٣ هـ وابتداء انتشاره من بعد سنة ١١٥٠ هـ وألف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه الشيخ سليمان و بقية مشايخه وكان ممن قام بنصرته ونشر دعوته من أمراء المشرق محمد بن سعود أمير الدرعية ولما مات محمد بن سعود قام بها ولده عبد العزيز بن محمد بن سعود ثم ولده سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود اهـ ملخصا من الفتوحات الاسلامية لابن دحلان

محمد على باشا على ولاية مصر كما هي العادة عند جلوس سلطان جديد على التخت العثماني ولما كان اطفاء فتنة الوهابية من المسائل المهمة جدا أصدر أوامره الى محمد على باشا أيضا باعداد تجريدة لمحاربة الوهابيين وتخليص مكة والمدينة من أيديهم فصدع محمد على باشا بالأمر وأخذ يجهز القوات اللازمة لهذه الحملة ولما لم يكن له في ذلك الوقت عمارة بحرية بالبحر الاحمر وليس به سفن يمكن استئجارها غير بعض سفائن صغيرة لشريف مكة غالب بن مساعد وكان متحدا سرا مع الوهابيين فلهذا أصدر محمد على باشا أمره بانشاء ١٥ سفينة بالبحر المذكور وأمر بقطع ما يصلح لبنائها من أشجار التوت والنبق وغيرها من الوجه القبلي والبحرى وعين المأمورين لذلك ولما تم قطعها أحضرت بساحل بولاق وكان أنشأ هناك دار صناعة ومعامل مختلفة فهذا ابتداء إنشاء ترسخانة بولاق (١٢٢٤ هـ) ولما تم صنعها نقلوها قطعا منفصلة على الجمال الى السويس وهناك هيؤها تماما وشيد بالسويس مبانى لصناعة السفن أنشأ بها أربع سفن جسيمة من نوع الابريق (وهى سفن بساريتين وقلوع مربعة) واحدى عشرة سفينة أخرى من نوع السكونة (وهى سفينة بسارية واحدة لها قلوع مربعة ونصف سارية ذات قلوع مخروطية) ثم توجه العزيز بنفسه الى السويس لمشارفة ما بها من السفائن سنة ١٢٢٥ هـ وهناك أمر بضبط ما بها من المراكب وما بغيرها من سواحل البحر الاحمر لاستعمالها فى حملة الوهابية وكان بمصر وقتئذ جيش يبلغ ٢٥,٠٠٠ مقاتل جميعهم من الباشبوزوق الذين كانت الدولة جمعتهم تحت قيادة الصدر الاعظم يوسف ضياء باشا لما أرسلته لاخراج الفرنسويين من مصر فتمكن محمد على باشا من أن ينتخب من هذا الجيش قوة للمدافعة عن مصر تبلغ ٨٤٧٢ جنديا من المشاة و ١٧٠٧ من الطوبجية للقلاع والحصون وجعل منه أيضا قوة أخرى متحركة عددها ١٨٣٣٣ مقاتلا انتخب منها ٦٠٠٠ من المشاة وألفين من الطوبجية ومثلهم من السوارى للحملة الحجازية المذكورة وجعل لقيادة هذا الجيش البطل الشهير ولده طوسون باشا ثم خرج الجيش وعسكر بقرب قبة العزب وفى خلال ذلك نمى اليه ان جماعة من المماليك تواطؤا على الفتك به عند عودته من السويس فخرج منها ليلا على غير ميعاد وأسرع فى السير حتى دخل مصر ولما تحقق من انه لا يأمن من فتك المماليك به خصوصا اذا خلت البلاد من العسكر دبر مكيدة ليقطع بها دابرهم ويهلكهم عن آخرهم ولاجل تنفيذ هذا الغرض دعاهم (١٢٢٦ هـ) الى القلعة لحضور تقليد ولده طوسون باشا سر عسكرية جيش الحجاز وعقد موكبا لهذا القصد فلما اجتمعوا بالقلعة بدت منه اشارة اتفق عليها مع الذين وكلهم بالفتك بهم فأغلقت الابواب سريعا وأطلقت عليهم عساكر الارنؤد البنادق من أبراج القلعة وكانوا كامنين هناك ولما هم المماليك بالهرب لم يتمكنوا لضيق المكان وهول الموقف وصعوبة المرتقى على الاسوار فسلموا أنفسهم للقضاء حتى قتل أغلبهم حيث كانوا وتتبع العسكر من اختفى منهم بجهات القلعة فقتلوهم عن آخرهم واقتفوا كذلك آثار من بقى منهم بالقاهرة والارياف وفتكوا بهم ونهبت دورهم واستولى الارنؤد على أموالهم وأنعم العزيز ببيوتهم بما فيها على خواصه والمقربين اليه وأراح الله البلاد والعباد من شر هذه الطائفة الباغية وان كان يلام المرحوم محمد على باشا على عدم تفرقته بين المسىء والبرىء منهم ولكن لم تكن هناك وسيلة أخرى يمكن بها التخلص من هؤلاء الفسدة أحسن من ذلك

حرب

حرب الوهابية (١٢٢٦ - ١٢٣٤ هـ) تعرف هذه الحرب أيضا بحرب الست سنوات وحاصلها انه بعد أن اطمأن بال المرحوم محمد باشا من خوف حدوث ثورة بالبلاد أصدر الاوامر بقيام الجيوش لحرب الوهابية تنفيذا لاوامر الدولة العلية وعلى ذلك سافرت تلك الجيوش تحت قيادة نجله طوسون باشا الى ينبع (شعبان ١٢٢٦ هـ - ٣ سبتمبر ١٨١١ م) ولما تكامل عددها تقدمت لحرب الوهابيين فاستخلصت من أيديهم المدينة المنورة ومكة المشرفة ثم ان رئيسهم سعود استجاش وأتى في جمع كثير وتلاقى مع العسكر المصرى فى جهات الصفراء والجديدة ووقع بين الطرفين قتال شديد بحيث اضطر طوسون باشا الى الهزيمة ونهب العرب كل ما كان مع الجيش من المعدات والذخائر ولما عاد الجيش المصرى الى ينبع أرسل طوسون باشا الى أبيه وأعلمه بالخبر فجهز له جيشا آخر ولما وصل تقدم به على الوهابيين وكانوا تحت قيادة فيصل بن سعود فقهرهم فى عدة مواقع واستولت العساكر على ما كان بيدهم من الاماكن وملكوا الصفراء والجديدة وغيرهما بلا قتال (١٢٢٧ هـ) وارتحل سعود الى الطائف ثم الى الدرعية واستولى المصريون على المدينة المنورة وكان استردها سعود وأرسل محمد على باشا بخبر هذا الفتح الى دار الخلافة العثمانية وأرسل مع رسله مفاتيح مكة والمدينة وجدة فكان لذلك أحسن وقع وقد أراد محمد على باشا مشارفة القتال بنفسه تشجيعا للقائمين به فسار بنفسه الى الحجاز وقبل خروجه من مصر قبض الشريف غالب على عثمان المضايفى أمير الوهابية على الطائف وبعثه الى مصر مقيدا بالحديد فأرسله الباشا الى دار السلطنة فقتلوه هنالك ولما وصل محمد على باشا الى مكة صرف الشريف غالب بن مساعد عن ولاية الحرمين الشريفين لما تحقق فيه من الميل الى الفتنة ثم قبض عليه وعلى عائلته وأرسل الكل الى مصر ومنها نفته الدولة الى سلانيك فبقى فيها الى أن توفى (١٢٣١ هـ) وولى محمد على باشا مكانه ابن أخيه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد وفى محرم من سنة ١٢٢٩ هـ بعثوا الى القسطنطينية مبارك بن مضيان الذى كان أميرا على المدينة المنورة من طرف الوهابية فطافوا به فى شوارعها ليراه الناس ثم قتلوه وعلقوا رأسه أياما ثم ان محمد على باشا بث سراياه فى جهات تربة وبشة وبلاد غامد وزهران والعسير لقتال طوائف الوهابية وقطع دابرهم ثم تتبعهم بنفسه (شعبان ١٢٢٩ هـ) الى أن وصل الى تلك الديار وقتل كثيرا منهم وأسر وخرب ديارهم وفى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة مات سعود أمير الوهابية وقام بالامارة بعده ولده عبد الله ولم يكن فى الكفاءة كأبيه ثم عاد محمد على باشا الى مكة فأدى فريضة الحج الشريف وبينما هو يستعد لفتح ما بقى بيد الوهابية من الاقطار العربية اذ بلغه خبر مهم ألزمه العودة الى مصر مسرعا فعاد اليها فى رجب من سنة ١٢٣٠ وترك بمكة حسن باشا نائبا عنه أما الامر الذى اضطره للعودة فهو أنه لما فتحت جنوده المدينتين المشرفتين كان أرسل مفاتيحهما الى الاستانة مع خازنداره لطيف بك وقد سعى هذا الرجل عند أرباب الدولة للايقاع بسيده عله ينال حظا وتعهد لهم بخلعه من منصبه ان ساعدته الدولة وكان أرباب الدولة يتوجسون شرا من محمد على سيما وان أعداءه كان كثر عددهم خصوصا بعد قتله للمماليك كما سبق فلهذا صادفت أقواله آذانا صاغية وقلوبا بحب الانتقام طافحة وأنعم السلطان على هذا المفسد برتبة الباشا وأرسلوه الى مصر وبيده خط سلطانى بتقليده الولاية المصرية فلما وصل مصر أخذ يجتمع على بعض رجالها وأظهر لهم الفرمان وكان ذلك فى غياب محمد على باشا بالاقطار الحجازية

ولما اتضح أمره خاف رجال محمد علي باشا سوء العاقبة وعودة الفتن التي لم تلتئم جروحها بعد وأسرع محمد لاظ أوغلي كتخدا محمد علي باشا ونائبه بمصر مدة تغيبه بالقبض على لطيف باشا المذكور وقتله وكانت الدولة العلية أرسلت الى ثغر الاسكندرية في الوقت المذكور اسطولا عثمانيا كعادتها اذ ذاك ليؤيد الوالي الجديد ان احتاج لذلك هذا ولما حضر محمد علي باشا الى مصر أخذ يقوي الثغور ويجهز المعدات الحربية وأمر نجله طوسون باشا بان يعقد شروطا بينه وبين أمير الوهابية عبد الله بن سعود تقضي بان يرد الوهابيون جميع ما سلبوه من الحجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم مع بقائه أميرا ببلاده بشرط الطاعة لمحمد علي باشا ولما تعاهد الطرفان على ذلك وكانت قوة الوهابيين اضمحلت عاد طوسون باشا الى مصر فقوبل فيها باحتفال عظيم ثم توجه الى ثغر الاسكندرية لمقابلة والده هناك وبعد قليل من الزمن أصيب بمرض لم يمهله الا بضع ساعات ومات الى رحمة ربه ونقلت جثته الى القاهرة فدفنت قرب الامام الشافعي رضي الله عنه

ولما رأى الوهابيون في أنفسهم القدرة على القتال بعد ذلك نكثوا بالعهود واستعد محمد علي باشا لقتالهم وأعد السفن ببولاق مصر لحمل الجنود بالنيل الى مدينة قنا لتسير من هناك الى ثغر القصير وجعل على هذه القوة ولده إبراهيم باشا (١٢ شوال ١٢٣١ هـ - ٣ سبتمبر ١٨١٦ م) ثم ركبوا أسطول البحر الاحمر الى ينبع ولما اجتمعت الجيوش هناك تقدم بها إبراهيم باشا الى الدرعية (١٢٣٢ هـ) وبعد حصارها أياما سلمها عبد الله بن سعود زعيم الوهابيين على غير شرط ثم قبض عليه وعلى أتباعه وبعث به وبكثير من أمراء الوهابية الى مصر فاتى في ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ وصنعوا له موكبا حافلا ليراه الناس وأركبوه على هجين وازدحم الناس للتفرج عليه ولما دخل على محمد علي باشا قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه ومما قال له ماهذه المطاولة فقال الحرب سجال قال وكيف رأيت ابني إبراهيم باشا قال ماقصر في شيء وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ماقدره الله تعالى فقال له الباشا انا أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى بيت اسمعيل باشا ببولاق وكان بصحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ماهذا فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان فأمر الباشا بفتحه فوجدوا فيه ثلاثة مصاحف من خزائن الملوك لم يرالراؤن أحسن منها ومعها ٣٠٠ حبة من اللؤلؤ الكبار وحبة زمرد كبيرة وغير ذلك ثم أرسلوا عبد الله بن سعود الى دار السلطنة فقتلوه عند الباب الهمايوني وقتلوا أتباعه أيضا في نواح متفرقة وبموتهم انتهى أمر الوهابية ثم عاد إبراهيم باشا الى مصر بجميع عساكره وأنعم عليه السلطان بلقب والي مكة فعظم قدره وارتفعت منزلته (٢١ صفر ١٢٣٥ هـ)

الاصلاحات والترقيات - اعلم أنه بعد ان فرغ محمد علي باشا من طائفة الوهابية ببلاد الحجاز التفت الى تنظيم واصلاح القطر المصري فقطع دابر الاشقياء وأمن السبل وأخذ في تمهيد وتحسين سير التجارة برا وبحرا واهتم على الخصوص بأمر الزراعة اذ عليها مدار الثروة بمصر فأمر بحفر ترعة الاشرفية وهي التي سميت بالمحمودية فيما بعد وكان مكانها ترعة قديمة ولكنه لم يجعل فمها في مكان فم الترعة القديمة عند ناحية الرحمانية بسبب ماتراكم امامه من الاتربة والرمال بل جعله عند ناحية قرية العطف التي ترقت حالتها من ذلك الوقت وصارت مرسى للسفائن التجارية الآتية من داخل البلاد وخارجها وجعل مصب هذه الترعة بالمينا الغربية قريبا من مصب الخليج القديم الذي

كان

كان يأتيها من النيل زمن دولة البطالسة وأوصل مياه الترعة المذكورة الى ثغر الاسكندرية وكان غرضه من هذه الترعة سهولة نقل تجارة مصر الصادرة والواردة زيادة عن فائدتها لرى الاراضى فصارت المراكب تحمل المتاجر من مينا الاسكندرية واليها داخل هذه الترعة بدلا عن السير فى البحر الملح الكثير الخطرات خصوصا فى زمن الزوابع وكان يتعذر على القياسات والنقاير والمراكب النيلية السفر من الاسكندرية الى رشيد ودمياط أغلب السنة وكانت لا تخلو سنة من غرق بعضها وضياع البضائع والناس وكلف بهذا العمل مهندسين فرنسويين وهما كوستا (Costa) وماسى (Massé) ثم أخذ فى تطهير الترع وانشاء الجسور وترميم القناطر وشق الجداول فانصلح بذلك أمر الرى فى كثير من انحاء القطر وزادت فيه الزراعة ومن أشهر الاعمال التى عادت على الرى بالفوائد القناطر الخيرية التى قام العزيز بتشييدها على رأس الدلتا سنة ١٢٥١ هـ بعد أخذه رأى باشمهندسه الشهير لينان باشا (Linand de Bellefond) لان مياه النيل بعد وصولها الى رأس الدلتا المذكورة تجرى فى فرعى رشيد ودمياط وتذهب الى البحر الملح بدون أن يستفيد منها مقدار عظيم من أراضى القطر فى الوجه القبلى والبحرى خصوصا المرتفع منها حتى فى زمن الفيضان ولهذا رأى من الضرورى بناء تلك القناطر على عرض الفرعين المذكورين عند أول تكونهما جهة بطن البقرة وأن يجعل لها أبوابا من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء وبهذه الطريقة يمكن صرف المياه وتوزيعها الى حيث يشاء ومتى كان الفيضان قليلا تسد القناطر كلها فترتفع المياه الى الصعيد فتسقى أراضيه ثم لا يصرف منها الا ما يلزم لرى الوجه البحرى وقد عهد ببنائها الى المهندس الشهير موجيل بك الفرنساوى (Mougel) ولما صار الاحتفال ببنائها وضع العزيز الحجر الاول بنفسه كما هى العادة (١٨٣٥ م) وصار العمل فيها بجد ونشاط الى أن تمت على أحسن نظام سنة ١٨٤٧ وبلغت مصاريفها نحو مائة مليون من الفرنكات وقد عاد بناء هذه القناطر على القطر بالفوائد الكثيرة التى لا تقدر وصارت أراضى الوجه القبلى والبحرى تروى بانتظام ولاهتمام محمد على باشا بأمر الرى تفكر فى خزن مياه النيل لوقت الحاجة وأخذ يبحث عما يلزم لذلك وسأل عن حقيقة بحيرة موريس الموجودة بالفيوم التى استخدمها القدماء لهذا الامر ليتخذها خزانا وأمر لينان باشا بالبحث عن التدابير اللازمة لذلك وأرسله فاكتشف أمر هذه البحيرة الاكتشاف الاول وعين موقعها القديم وعمل حساب مقاييسها التقريبية الا أنه نظرا لكثرة ما تحتاجه من المصاريف عدل محمد على باشا عن هذه الفكرة مؤقتا واهتم بأمر فتح الترع الكثيرة التى جعل معظمها صالحا لسير السفن طول السنة فانتفعت بها الاهالى لرى أراضيهم ونقل محصولاتهم

ولما رأى ان انتظام الضرائب لا يكون الا بمعرفة مقدار الارض المزروعة من أراضى القطر ليربط على كل جهة ما يناسبها من الضرائب عين ولده ابراهيم باشا لهذا الامر الخطير (١٢٣٦ هـ) فأتمه وقرر على كل فدان مبلغا معينا فعرف الناس ما عليهم بعد ان كان مجهولا واستراح الفلاح من عناء ذلك نوعا وجعل لمشايخ البلاد على كل مائة فدان خمسة أفدنة سميت مسموح المشايخ لا يدفعون عليها ضريبة فى مقابلة ما يتبرعون به للاغراب وأبناء السبيل وبعض الحكام من المأكل وقسم القطر المصرى الى أقسام ادارية سميت مديريات وجعل على كل منها حاكما يعرف بالمدير وقسم المديريات الى أقسام وعين لكل منها مأمورا يعرف بناظر القسم ومما ساعد به الزراعة أيضا انه أدخل

عصر نباتات مختلفة منها نباتات النيل جلبها من جهات الهند وأحضر من يحسن زراعتها وصناعتها ومنها الافيون أتى به وبمن يزرعه من آسيا الصغرى ثم أكثر من غرس الاشجار الكبيرة الى مايشبه الاحراش تلطيفا لحرارة الهواء واكثار الاخشاب ومنها وهو أهمها القطن أتى به فى سنة ١٢٣٦ ﻫ من بلاد الهند على يد رجل أوروبى اسمه شوميل (Chomel) وأتى بالصنف المعروف بالسيلانى منه من جزيرة سيلان وببذور القطن الشجرى ولما علم نجاح هذه الاشياء حمل الناس على زرعها وأنشأ معامل كثيرة فى أكثر جهات القطر حتى فى مديرية دنقلة لانتشار الصناعة كمعامل الغزل والطرابيش التى كانت بفوة وغيرها ومعملا لصناعة الشمع ومذبحا عموميا فأبطل بذلك الذبح فى البيوت والاسواق وأوجد كثيرا من الحدائق وغرس فيها أشجار الرياحين والفواكه منها حديقة الازبكية وكان مكانها بركة مضرة بالصحة فجففها وغرس فيها صنوفا من الاشجار فأصبحت من أحسن المتنزهات وابتنى القصور والسرايات لاقامته فى مصر والاسكندرية وفى بعض عواصم المديريات ومن آثاره مطبعة بولاق الأميرية التى انتشرت بها المؤلفات العلمية ورخصت أثمانها وكان بها من العمال أربعمائة عامل وطبع بها باللغة العربية والتركية كثير من الكتب المصنفة فى السياسة والجغرافية والأدب وفن الحرب وغير ذلك ونظم التلغراف الهوائى بين مصر والاسكندرية لنقل الاخبار (١٨٢٦ م) وكان هذا التلغراف تحت ادارة الموسيو كوست وفى سنة ١٨٣٥ م أصدر أمرا بمنع خروج الانتيقات من مصر وبتأسيس دار للعاديات بمنزل الدفتردار وفى السنة التى بعدها طلبت انكلترة من محمد على باشا مد طريق حديدى من القاهرة الى السويس لنقل المتاجر وتسهيل المواصلات فأجاب الى ذلك وأخذت حكومته فى مداركة الادوات اللازمة لها

فتح سيوة (١٢٣٥ ﻫ) — لما عزم العزيز محمد على باشا على توسيع تخوم الديار المصرية جهز تجريدة مركبة من ١٣٠٠ جندى وجعلها تحت قيادة حسن بك الشماشرجى ووجهه لفتح واحة سيوه واخضاع سكانها فقصدها بهذه الجنود واجتمع سكانها لمقاومته فانتشب القتال بين الطرفين وبعد مضى ثلاث ساعات انهزموا وطلبوا الامان واعترفوا بالطاعة والانقياد والخضوع للحكومة المصرية (١٥ جمادى الاولى من سنة ١٢٣٥ ﻫ) فأصبحت تلك البلاد من ذلك الوقت تابعة لمصر وأظهر حسن بك الشماشرجى فى هذه الحملة الحزم والعزم وساعد الموظفين الاوروباويين الذين أرسلهم العزيز لاستكشاف تلك البلاد واستطلاع أحوالها وكان منهم الموسيو لينان دو بلفوند (Limant de Bellefond) والموسيو رتشى (Ricci) من أطباء فلورنسه ومن مهرة المصورين والموسيو دروفتى (Drowetti) والموسيو فردياني (Frediani) ورسموا خريطة هذه البلاد وصوروا ما شاهدوه فيها من الآثار وخرابات معبد أمون الشهير

انشاء المدارس — لما شعر محمد على باشا بحاجته الى رجال وموظفين للادارة وأن ليس بالبلاد من ذلك أحد لان أهل البلاد لم يكونوا يعتنون بتربية أولادهم تربية حقيقية وجه عنايته لرفع شأن بلاده معنويا وحسيا من جهة وللحصول على رجال يقومون له بالاعمال التى يريدها من جهة أخرى فأسس مدارس كثيرة ومكاتب عديدة فى أغلب انحاء القطر [1] وأدخل فيها أولاد

(١) منها مدرسة المهندسخانة ببولاق (مايو ١٨٣٤ م) ومكتب الزراعة بشبرى (أغسطس ١٨٣٦ م) ومدرسة الالسن بالازبكية (يونيو ١٨٣٦ م) ومدرسة الاجزاجية بالحكيمخانة بالقلعة (نوفمبر ١٨٢٩ م)

مماليكه وأبناء خدمة الحكومة ولما أراد إدخال أبناء الاهالى وجد منهم نفورا وعدم ارتياح لذلك فأمر بأخذهم قهرا وكان كل هؤلاء التلامذة يأكلون ويشربون ويأخذون ملابسهم وأدوات تعليمهم مجانا ويبيت غالبهم بالمدارس ولا يسمح لهم بالخروج الا فى أيام الجمع وكانت لهم مرتبات نقدية شهرية تختلف قلة وكثرة حسب المدارس وأنشأ ادارة عمومية للمعارف سنة ١٨٣٦ م جعل على نظارتها مصطفى مختار بك فكان أول مدير للمدارس بمصر ثم خلفه أدهم باشا (١٢٥٥ هـ) ونقل على الجهادية سنة ١٢٦٥ هـ وأعيد ثانية فى تلك السنة وبقى مدير المدارس الى سنة ١٢٦٦ هـ وبهذه الكيفية بث روح التربية بين الاهالى حاذيا حذو الممالك المتمدنة وبالجملة فقد أخذت مصر فى أيامه نشأة عظيمة وسارت فى زمن قليل الى طريق العمارية ودخلت فى عصر جديد من التمدن وكان أسس قبل ذلك دار رصد فى بولاق وكان بدء الرصد بها فى سنة ١٨٤٦ م وفى خلال ذلك عزم على توسيع بلاده من جهة الجنوب بافتتاح السودان وكان قصده على الخصوص ابعاد جنود الارنؤد عن القطر لما كان يعرفه فيهم من شراسة الاخلاق وعدم الطاعة فدس من أدخل فى ذهنهم ان بلاد السودان هى معدن الذهب ليرغبوا فيها وقد كان ذلك فانه بمجرد اصداره أمر التجهيزات لهذه الحملة لبوا دعوته بكل ارتياح

فتح بلاد السودان — لما عزم محمد على باشا على توسيع تخوم مملكته بضم ما جاورها من البلاد الجنوبية سيما وانها كانت تابعة لمصر منذ العائلة الثانية عشرة الفرعونية ادعى ان القبائل النازلة

ومدرسة المعادن بمصر القديمة (مايو ١٨٣٤ م) والمكتب العالى بالخانقاه (يوليو ١٨٣٦ م) ومدرسة الطب (١٨٢٥ م) ومدرسة المحاسبة بالسيدة زينب (فبراير ١٨٣٧ م) ومدرسة الصنائع (مارس ١٨٣٩ م) وغيرها من المدارس والمدرسة التجهيزية بأبى زعبل تأسست فى اكتوبر سنة ١٨٣٦ والغيت فى يناير سنة ١٨٤٢ ومدرسة المبتديان بالسيدة زينب تأسست فى يناير سنة ١٨٣٩ والغيت فى أغسطس سنة ١٨٥٠ ومدرسة المبتديان بأبى زعبل تأسست فى اكتوبر سنة ١٨٤٤ والغيت فى نوفمبر سنة ١٨٤٩ ومكتب أسيوط تأسس فى مايو سنة ١٨٣٢ وألغى فى سنة ١٨٤٩ ومكتب أبو تيج تأسس فى مايو سنة ١٨٣٣ وألغى فى سنة ١٨٤١ ومكتب صنبو تأسس فى مايو سنة ١٨٣٣ وألغى فى ابريل سنة ١٨٣٩ وتحول الى أسيوط ومكتب ملوى تأسس فى مايو سنة ١٨٣٣ وألغى فى ابريل ١٨٣٥ ومكتب منفلوط تأسس فى مايو ١٨٣٣ وألغى فى نوفمبر ١٨٤١ ومكتب اخميم تأسس فى مايو سنة ١٨٣٣ وألغى فى سنة ١٨٣٩ ومكتب جرجا تأسس فى مايو سنة ١٨٣٣ وألغى فى اكتوبر ١٨٤١ ومكتب سوهاج تأسس فى مايو سنة ١٨٣٣ وألغى فى اكتوبر ١٨٤١ ومكتب طهطا تأسس فى مايو ١٨٣٣ وألغى فى اكتوبر ١٨٤١ ومكتب الرحمانية تأسس فى يونيه ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر ١٨٤١ ومكتب النجيلة بشبراخيت تأسس فى فبراير ١٨٣٧ وألغى فى نوفمبر ١٨٤١ ومكتب دمنهور تأسس فى مايو سنة ١٨٣٧ وألغى فى مايو سنة ١٨٣٧ بالاحالة على مكتب الرحمانية ومكتب أبيار تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى نوفمبر سنة ١٨٤١ ومكتب المحلة الكبرى تأسس فى فبراير ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب زفتى تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب شربين تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى مايو سنة ١٨٣٨ ومكتب طنطا تأسس فى فبراير ١٨٣٧ وألغى فى نوفمبر ١٨٤١ ومكتب قوص تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر ١٨٤١ ومكتب الجعفرية تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر ١٨٤١ ومكتب نبروه تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب أشمون جريس تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر ١٨٤١ ومكتب شبين الكوم تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب منوف تأسس فى فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى فى اكتوبر من السنة المذكورة بالاحالة على مكتب اشمون جريس ومكتب ميت غمر فتح فى فبراير ١٨٣٧

جنوبي مصر دائبة على الاخلال بالنظام وتكدير كاس الراحة كما هي عادة الفاتحين وأظهر أيضا انه رغب توسيع أبواب الرزق والثروة لانصاره من الاتراك والارنؤد وغيرهم من الذين تغلب بهم على المماليك الكوله مان وان قصده استئصال بقية المماليك الذين كانت لهم سيادة على جهات دنقله وعلى بعض جهات السودان والاستيلاء على معادن سنار الذهبية التي طار ذكرها في جميع الاقطار وكثرت فيها الاقاويل والاخبار فجهز في سنة ١٢٣٤ هـ - ١٨١٩ م جيشا من الارنؤد يتألف من ٣٤٠٠ من المشاة و ١٥٠٠ من السواري وبطاريتين مركبتين من ٢٤ مدفعا ومن نحو خمسمائة نفر من قبيلة البقارة معهم شيخهم المدعو عابدين كاشف ويقال ان محمد على وعده بأن يوليه على دنقله وجعل ابنه إسمعيل باشا قائدا عاما على هذه القوة وأرفقه بصهره أحمد بك الدفتردار زوج نظلي هانم كريمته فتوجها بالجيوش المذكورة على المراكب النيلية الى الحدود ومن هناك تقدما نحو دنقله وهزم إسمعيل باشا المماليك في واقعة كورتي (نوفمبر ١٨٢٠) ثم امتلك في زمن قليل بلاد النوبه ثم استولى على بلاد سنار وكان لملكها السيادة على جميع بلاد السودان الشرقي وكانت تعرف وقتئذ بالسلطنة الزرقاء وتحصل إسمعيل باشا على مقدار عظيم من التبر والرقيق وكان محمد على باشا أرسل تجريدة أخرى الى السودان بعد خروج تجريدة إسمعيل باشا مع ولده ابراهيم باشا ولكنه لم يتيسر له الزحف على دارفور وبرقولانه بعد ان التحق بأخيه إسمعيل باشا في سنار وسار معه الى جبال القبح الواقعة جنوبي سنار لاخضاع جهاتها وكانت مستقلة يحكمها أمير يسمى المانجل ادريس بن عدلان يعترف لسلطان سنار بالطاعة الاسمية فقط اذ فاجأ ابراهيم باشا المرض فرجع الى القاهرة ثم وصلت جنود اسمعيل باشا

وألغى في ديسمبر سنة ١٨٤٦ بالانتقال على مكتب الزقازيق ومكتب المنصورة تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر ١٨٤١ ومكتب المنزلة فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ ونقل الى فارسكور في مارس ١٨٣٨ ومكتب صهرجت فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ ونقل في السنة بعينها الى مكتب ميت غمر ومكتب فارسكور تأسس في ابريل سنة ١٨٣٧ وألغى في يناير سنة ١٨٤٠ ومكتب محلة دمنه تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في السنة المذكورة لاحالته على مكتب المنصورة ومكتب العزيزية فتح في ابريل سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤٩ ومكتب الزقازيق فتح في ابريل سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤١ ثم أعيد في ديسمبر سنة ١٨٤٤ وألغى في ابريل سنة ١٨٤٩ ومكتب بلبيس تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب كفور نجم فتح في ابريل سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب بنها تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في يناير سنة ١٨٣٨ ومكتب قوله فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب قليوب فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب حلوان تأسس في ابريل سنة ١٨٣٧ وألغى في نوفمبر سنة ١٨٤٠ ومكتب الفيوم فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في ابريل سنة ١٨٣٨ ومكتب بوش تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤١ ثم أعيد في يناير سنة ١٨٤٢ والغى في ابريل سنة ١٨٤٩ ومكتب بني سويف فتح سنة ١٨٣٧ وألغى في سنة ١٨٤٠ ثم أعيد في سنة ١٨٤٢ وألغى في سنة ١٨٤٩ ومكتب الفشن فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في نوفمبر سنة ١٨٣٨ نقلا على مكتب المنية ومكتب المنية تأسس في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب بني مزار فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في سبتمبر سنة ١٨٣٧ ومكتب قنا فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في اكتوبر سنة ١٨٤١ ومكتب فرشوط فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى في مارس سنة ١٨٣٩ ومكتب اسنا فتح في فبراير سنة ١٨٣٧ وألغى سنة ١٨٤١ اهـ نقلا من كتاب الاحصاء الجاري تأليفه بمعرفة حضرة الفاضل أمين بك سامي ناظر مدرسة المبتديان ودار العلوم

الى جبال دنكار على البحر الازرق وكان مع هذه الجيوش أسطول صغير مركب من عدد عظيم من المراكب النيلية يحمل العدد والسلاح ومعه جملة زوارق صغيرة يسهل حملها اذا صادف الاسطول صخور أو شلالات تعوقه عن المسير وهو محذور ربما كان يترتب عليه عدم نجاح الحملة وبعد أن تمت هذه الفتوحات وجد اسمعيل باشا نقطة اتصال النيل الابيض بالنيل الازرق النازل من بلاد الحبشة أنها أعظم وأهم تلك البقاع وأحسنها أخذ فى تحصينها وأسس على رأسها مدينة الخرطوم وهى على مسافة ٣٠٠٠ كيلومتر من مصر وعلى ارتفاع ٣٩٠ مترا من سطح البحر المالح (١٢٢٨ هـ - ١٨٢٢ م) وكانت قبلا لا تحتوى الا على عشرة بيوت فقط وتابعة لبلاد سنار وفى خلال ذلك وقع الوباء فى عسكره حتى أفنى جملة منه فاستأذن إسمعيل باشا والده فى العودة الى مصر فاذن له فتوجه الى شندى وطلب من حاكمها المسمى ملك النمر بعض طلبات منها أن يدفع له مل سفينة صغيرة ذهبا ونحو ألف عبد وغير ذلك وأخذت العساكر المصرية ترتكب أقبح الافعال بتلك الجهة كما هى عادتهم فى تلك الازمنة فضجرت الاهالى ودبر النمر وقومه عليهم مكيدة للايقاع بهم وذلك بأن عرض على اسمعيل باشا أن أهل البلد يرغبون فى اقامة الافراح للباشا فرحا بقدومه ودعاه الى قصر كان قد أعده وجعلوا حوله قشا كثيرا قالوا انه للمواشى والحيوانات وبعد تناول الطعام واجراء الالعاب امام الباشا نام هو ومن معه فى ذلك المنزل وبينما هم نيام أضرم النمر النار فى ذلك الهشيم ومنه سرى الى المنزل فاحترق بمن فيه وظن النمر أنه بهذا الغدر السيئ والتدبير الوحشى قد تخلص من مخالب مصر وكان أحمد بك الدفتردار وقتئذ بجهات كردفان يحارب حاكمها المدعو المقدوم مسلم وهو من قبل سلطان دارفور فلما بلغه ذلك الخبر حضر فى الحال لأخذ الثار وانقض على بلاد شندى انقضاض الصاعقة وقتل من أهلها نحو خمسة عشر ألف نفس انتقاما لقتلهم اسمعيل باشا وأحرق مدينة شندى ثم تقدم وثبت سيادة الحكومة المصرية على بلاد سنار وكردفان وجعل لها ادارة منتظمة ولم يزل محمد على باشا يعده بالرجال والمال حتى اتسعت بذلك الفتوحات المصرية وجعل مدينة الخرطوم قاعدة لحكومة تلك البلاد وبنى فيها دار صناعة واسعة وعمل بها أماكن ومعامل للتجارة والحدادة والقلفطة وبنيت فيها المراكب من خشب السنط وكانت فى مبدا الأمر مخيمة كسائر تلك البلاد ومن وقتئذ صارت الخرطوم محطة لعموم التجارة السودانية وجعل للولاية بها عثمان بك ثم عزل وتعين بعده محو بك (١٢٢٩ هـ) فأحسن السيرة وأصلح من السناجق ثم عزل وتعين بعده خورشيد أغا ورقى الى رتبة الباشا وعرف باسم السنارى ١٢٤١ هـ (١٨٢٦ م) وكان مشهورا بحسن الادارة والاستقامة فأحبته الاهالى وتمكن من مد الفتوحات فاستولى على فاشوده وغيرها وهو الذى أدخل ببلاد السودان صناعة سقف البيوت من الآجر بدل الجلد والقش الذى كان يستعمله الاهالى هناك من القديم ثم فصل وخلفه فى الحكمدارية أحمد باشا المعروف بابى ودان سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) فأحسن معاملة الامراء السودانية وكانت معاملته هذه سببا لنفاذ مقاصده فى ادارة شؤن البلاد واصلاح أحوالها ونظم مدينة الخرطوم وقسم مقاطعات السودان الى أخطاط وجعل للاخطاط أقساما وقسم هذه الى مديريات وعين لكل مديرية منها حدودا وضم اليها العرب الرحالة القاطنين فى وديانها وبذلك انتظمت ادارتها ونقل اليها من مصر كثيرا من الحيوانات الانيسة والنباتات النافعة والبذور النادرة فتحسنت بذلك الزراعة فى هذه البلاد

ونشر فيها أيضا أصول الصناعة فتقدمت التجارة واستخدم معاتيقه فى دار الصناعة وجعل منهم ملاحين فى السفن الاميرية التى أخذ عددها يزداد يوما فيوما حتى نسبت اليه بحارة الخرطوم وقصد هذه المدينة فى أيامه بعض التجار الاوروباويين لتعاطى التجارة وفى زمن المرحوم محمد على باشا توافد العلماء من كل الجهات الى ديار مصر وانسال السياحون اليها تسوقهم الفائدة التى ينالونها من استقراء الآثار التاريخية ومشاهدة الأحوال الطبيعية وتقودهم سهولة البحث والنظر وتيسر الكد والدأب للاستطلاع على أحوال الأقاليم السودانية الجديدة واشتدت عزائمهم لما كانوا ينالونه من كامل الرعاية وحسن اللقاء من العزيز رحمه الله ومن علماء الفرنج الذين أرسلهم الى استطلاع أحوال الأقاليم جون رعوند باشو (Jean Raymond Pacho) ذهب الى الواحات وبرتى (Parthey) الى بلاد النوبة وأمعن ويلكنسن (Wilkinson) فى الصحراء الشرقية وذهب ارنبرج (Ehrenberg) مع همبريخ (Hemprich) الى سواحل البحر الأحمر وكونج (Koenig) الى بلاد كردفان وفى سنة ١٨٢٧ م سافر لينان بك الشهير لاكتشاف النيل الابيض والبحث على معادن الذهب وزادت تجارة السودان بالمواصلات التى حصلت مع بلاد أواسط افريقية فكثر فى الخرطوم توارد التبر وريش النعام والعاج والصمغ واستخدم العزيز أيضا كثيرا من علماء المعادن للبحث عن أجودها فى أراضى مصر والسودان منهم الموسيو بريانى (Boreani) بارح الخرطوم فى فبراير من سنة ١٨٣٨ ومعه ألف جندى واشتغل بالبحث عن الذهب واستخلاص شذراته فى مجارى السيول وكوستكى (Kostki) وتردد مرارا على الطريق التى بين الخرطوم والابيض وروسيجر (Russeger) سافر الى جهات البحر الازرق حتى بلغ بلدة فيض اوغلى للبحث عن معادن الذهب أيضا (١٨٣٨ م) وغيرهم من العلماء كثير ولما رأى العزيز تناقض الأقوال فى شأن هذه المعادن عزم على السفر بنفسه الى الاقطار السودانية فسافر (١٢٥٤ ه‍ - ١٨٣٨ م) اليها على طريق دنقله ثم قصد الخرطوم مارا بطريق صحراء بيوضه وهناك أمر بالغاء الاسترقاق لما رأى من فظاعته وقسوة الجلابة وأرسل رسلا تعلن ذلك رسميا فى جميع البلاد وبعد ان زار سنار قصد جبال فوزوغلى لمشارفة أعمال الارسالية التى بعثها لاكتشاف معادن الذهب هناك وكان يرافقه فى هذه الرحلة من العلماء والباحثين الموسيو لوفيفر (Lefèvre) والموسيو دارنو (D'Arnaud) والموسيو لمبير (Lambert) وقضى الاول نحبه إثر حمى أصابته أما دارنو فاهتم باكتشاف شواطئ نهر طومات الواقع فى جهات دار برطات وجبل دول وذهب لمبير الى كردفان للبحث والتنقيب أيضا ثم بعد أن نظم العزيز شؤون البلاد السودانية وشاهد أحوالها بنفسه عاد فى نهاية السنة المذكورة الى مصر ولم يجد فى سياحته هذه ما كان يتمناه من الظفر بمعادن الذهب ولكن عاد سفره هذا على علم الجغرافيا باجل الثمرات حيث أرسل بعد عودته عدة ارساليات لاكتشاف منابع النيل والوقوف على أصله لأن ذلك طالما أتعب العلماء فى سالف الايام كما هو معلوم فقصد العزيز أن يناله من ذلك شرف الذكر وعظيم الفخر فأرسل التجريدة الاولى من الخرطوم تحت قيادة البكباشى البحرى سليم افندى قبودان وبرفقته سليمان كاشف ورجل فرنسوى يدعى تيبو (Thibaut) وأربعمائة عسكرى من الالاى الاول والثانى البيادة وكانا يقيمان فى سنار فسافرت هذه التجريدة على خمس ذهبيات فى كل ذهبية منها

مدفعان

مدفعان ومعها ثلاث ذهبيات أخرى وزورقان و ١٥ سفينة تحمل الميرة والذخيرة اللازمة لمدة ثمانية شهور وكان سفر هذه التجريدة فى ١٦ نوفبر من سنة ١٨٣٩ م وعودتها فى ٣٠ مارس من سنة ١٨٤٠ بعد ان وصلت الى جزيرة شنبير الكائنة على بعد ٥٠٠ فرسخ جنوبى الخرطوم ولم يتأت لهم تجاوز هذا المحل بالسفن لموانع اعترضتها فى طريقها ولذلك اهتم رؤساؤها بالاستفهام والاستعلام من سكان تلك الاطراف عن أصل النيل الابيض فأخبروهم انه ينبع من بحيرة موجودة على بعد ٣٠ يوما وهى مسافة يبلغ طولها ١٥٠ فرسخا من جزيرة شنبير المذكورة ولما عادت التجريدة كتب سليم قبودان رحلة ضمنها تفاصيل هذه السياحة وألحق بها جداول تتعلق بالارصادات الجوية فكانت أول مؤلف معتبر حصل عليه العلماء فيما يختص بداخلية افريقية ثم سافر سليم قبودان المذكور رئيسا للتجريدة الثانية التى بعث بها العزيز لاتمام هذا الاكتشاف فى ٢٣ نوفبر من سنة ١٨٤٠ م ورافقه من علماء الفرنج درنو (D'Arnaud) وسباتير (Sabather) وفرن (F. Verne) وكان سفرها هذه المرة فى نهر صوبات وتقدمت حتى وصلت الى الدرجة الرابعة ونصف من العرض الشمالى ثم اضطرت الى العودة للخرطوم لهبوط المياه وعدم امكان التقدم الى الامام (٢٠ يناير ١٨٤١ م) ومع هذا فان همة العزيز لم تفتر عن الرغبة فى معرفة منابع النيل وجهاته فانه أرسل تجريدة ثالثة جعل عليها سليم قبودان المذكور فسافرت فى ٢٧ نوفبر سنة ١٨٤١ م على عشر سفن مسلحة بالمدافع الصغيرة ورافقه أيضا العلماء المذكورون وبصحبتهم أربعمائة عسكرى إلا أن أحمد باشا الشهير بابو ودان حكمدار السودان وقتئذ فعل مع هذه التجريدة ما يناقض اشارة الامير حيث قصر فى مساعدتها بكل ما تحتاجه فتسبب من ذلك عدم نجاحها ولم تصل الى أكثر مما وصلته فى المرة الثانية واضطرت الى العودة بأمر العزيز ورسم موسيو درنو خريطة مجرى النيل من الخرطوم الى أبى جد وكانت همة محمد على باشا موجهة على الخصوص لازدياد نفوذه وتوسيع أملاكه بالاقطار البعيدة ليعلو ذكره ويشتهر أمره وينال من الصيت والثروة ما رغب فيه كل فاتح أولا ثم توسيع دائرة المتاجر والمكاسب امام أهل بلاده ثانيا ولما كان مأمورو الحكومة أخذوا يسيؤن معاملة أهالى الجهات السودانية حدث من ذلك بعض ثورات بين قبائل الهدندوة فى جهات كسله ولما كان محمد على باشا يخشى أمر الاضطرابات جدا لانها تعوقه عن مرغوبه عزل أحمد باشا أبو ودان عن السودان (١٢٥٧ هـ ١٨٤٢ م) ونصب مكانه أحمد باشا المنيكلى الذى تمكن بحذقه من اطفاء نيران تلك الثورة واصلاح الاحوال ثم فصل سنة ١٢٦١ هـ وتعين مكانه خالد باشا واهتم هؤلاء الحكام مدة حكمهم بتنظيم أحوال السودان وتشييد دعائم الامن بها واعلاء كلمة الحكومة المصرية بين أهاليها وأكثروا من صناعة السفن والزوارق والصنادل النيلية لتسهيل النقل والمواصلات بين بلادها وكانت تلك السفن من أعظم الاسباب فى نجاح الاكتشافات العديدة التى تحصل عليها العزيز محمد على باشا فى تلك الديار وعادت على العلوم الجغرافية وغيرها بالفوائد التى لا تحصى والمزايا التى لا تستقصى

نظامات الجيوش والمدارس العسكرية — لما عزم محمد على باشا على ايجاد جنود على النظام الحديث المتبع بدول اوربا وكانت ظهرت له فوائده بعد أن تمهدت له السبل لذلك أمر

بتأسيس المدارس الحربية لتخريج الضباط فأسس مدرسة حربية بقصر العيني فتحت في يوليو من سنة ١٨٢٥ م وأخرى للسواري بالجيزة جعلها في سراي مرادبك فتحت في ابريل سنة ١٨٣١ م تحت نظارة الجنرال فارين بك (Varin) ومدرسة للطوبجية بطره فتحت في السنة المذكورة تحت نظارة الكولونيل الاسبانيولي المسمى سغيره (Seguera) ومدرسة للبياده بالخانقاه فتحت سنة ١٨٣٢ نقلت الى دمياط بعد سنتين من تأسيسها ثم نقلت الى أبي زعبل وفتح مدرسة أخرى للبيادة في بابا رعديرية جرجا سنة ١٨٣٢ لم تمكث الاسنتين وأسس أوجاقا لتعليم البروجية وضاربي الطبول العسكرية (ترمبيته) ١٨٢٤ م ثم ألغي بعد سنة ووزعت أنفاره على الاسلحة وفتح مدرسة للموسيقى بالخانقاه سنة ١٨٢٧ م واستحضر لهذه المدارس أساتذة من الاستانة وفرانسا بمعرفة قنصل فرانسا ومنهم المسيو ميمو (Mimaut) وكان تلامذة هذه المدارس من مماليكه وأبناء خدامه أولا وقد نبغ منهم جملة رجال خدموا البلاد أجل الخدم يذكرها لهم التاريخ على مدى الدهور سيما في المحاربات التي قام بها محمد علي باشا في كثير من الجهات ولم يمض على تأسيس هذه المدارس أربع سنوات حتى تمكن المشار إليه من تأسيس النظام العسكري الجديد سنة ١٨٣٧ وجعل عساكره من الاهالي المصريين وهي أول مرة قام فيها المصري بالمدافعة عن بلاده بهيئة عسكرية بعد ان دخلت هذه البلاد في حوزة الاجانب لانه في زمن حكم الفرس واليونان والرومان ودول العرب وبني أيوب والمماليك لم يحمل مصري قط سلاحا للمحاماة عن وطنه بل كانت جيوشهم من جنس الدولة الحاكمة واستحضر العزيز لتعليمهم وتدريبهم عدة ضباط بين فرنسويين وطليانيين وغمر الكل باحسانانه ومن ضمن هؤلاء الضباط الموسيو ماري (Marey) والمسيو براكس (Prax) والمسيو شيدوفو (Chedufeau) حكيمباشي الجيش الذي نظم الاسبتاليات العسكرية والجنرال بويه (Bouillet) أحد قواد نابليون بونابارت أحضره من فرانسا قنصلها بمصر المدعو دروفتي (Drovetti) سنة ١٢٤٠ ﻫ (١٨٢٤ م) وقد قام هؤلاء الضباط بانفاذ مقاصد العزيز في تعليم وتدريب الجند على الهيئة الحديثة حتى صاروا بعد زمن قليل يحاكون جيوش أوروبا انتظاما ومهارة وخلف الجنرال بويه هذا في وظيفته الكولونيل سيف (Selve) الذي عرف فيما بعد بسليمان باشا الشهير بالفرنساوي فكانت له في تعليم الجيش النظام الجديد اليد البيضاء

وقد تكلم كل من الدكتور كلوت بك (Clot) الطبيب الفرنسوي الشهير الذي خدم العزيز في تأسيس المدارس الطبية والمستشفيات في تاريخه الذي طبع في بروكسل سنة ١٨٤٠ وكذا المسيو فيلكس مانجان (F. Mangin) في تاريخه عن مصر المطبوع بباريس في سنة ١٨٣٩ عن عسكرية محمد علي باشا ومدارسه الحربية المذكورة وغيرها من التأسيسات الحديثة ويظهر من رواياتهما أن عدد تلامذة المدارس الحربية بلغ ١٦٧٠ تلميذا كان منهم بمدرسة البياده ٨٠٠ وبالطوبجية ٣٠٠ وبالسواري ٣٠٠ وبالموسيقى العسكرية ١٥٠ وبمدرسة الطب البيطري ١٢٠ وان مصروفات المدارس المذكورة بلغت وقتئذ ١٠,٠٠٠ ليرة هذا خلاف ما كان يصرف على تلامذة الرسالة المصرية باوروبا وهي التي كان يقصد بها تذليل صعاب الأمور بمن نبغ من تلامذتها وقد نجح في مشروعه لحسن قصده لانه قد أمكنه بعد عودة من تعلم

منهم

منهم أن يؤسس فى القاهرة معامل لصناعة الأسلحة وصب المدافع وصناعة جميع ما تحتاجه الجيوش من العدد والذخائر الحربية وكانت تلك المعامل تحت مناظرة عملة من مهرة الفرنج وأسس لمدارس الحربية مطبعتين فى طره والجيزه جعلهما لطبع الكتب والقوانين باللغة التركية والعربية لنشر المعارف على رجال عسكريته

ولما عزم المشار اليه فى تلك الاثناء على ايجاد سفن حربية بالبحر المتوسط الابيض وكان المرحوم السلطان محمود خان أهداه سفينتين حربيتين تعهد له بعض تجار الفرنج باحضار ما يلزم منها فاوصاه باحضار بعض سفن حربية من نوع الفرقاطة والقرويت والابريق تكون على شكل السفينتين اللتين أهديتا اليه من جانب الحضرة السلطانية وبعد قليل أتاه بعض تلك السفن وكانت صنعت بتريسته ومرسيليا وليفورن وجنوه فانتخب لها القبودانات من سفن التجار الاتراك والاسكندرانيين وجعل ملاحيها من المتطوعة كما أوجد بها بعض ضباط فرنسويين وطليانيين لتعليم البحارة وتدريبهم وأسس على الشاطئ الشرقى من الميناء الغربية جهة خط الصيادين بالاسكندرية معامل للحدادة والنجارة والقلفطة وغيرها للقيام بما تحتاجه السفن الحربية وكان رئيس المهندسين لهذه الاعمال يدعى شاكر افندى الاسكندرى وألحق بها رجلا آخر من الأهالى يدعى الحاج عمر وهو من مشاهير المعلمين جعله رئيسا للانشاء وعمارة السفن واتفق أن حضر الى مصر فى ذلك الوقت (١٢٣٦ هـ) رجل فرنسوى يدعى المسيو بسون (Besson) أصله من قبودانات المراكب الحربية الفرنساوية ولما وجد العزيز يهتم بانشاء السفن عرض له بطلب الخدامة والمعيشة تحت ظله فجعله ملاحظا للسفن الجارى انشاؤها لمصر ببلاد أوروبا ثم أوجد المشار اليه ادارة خاصة للاساطيل المصرية جعل لرئاستها صهره محرم بك مع بقائه محافظا للثغر الاسكندرية فكان أول باشبوغ تعين للعمارة المصرية وجعل لمناظرة بناء السفن متوظفا يدعى الحاج أحمد أغا وابتاع العزيز أيضا عدة سفن شراعية لنقل المهمات والذخائر خصصها فى مبدا الامر لجلب الاخشاب اللازمة لدار صناعته الجديدة من سواحل بلاد الاناضول ثم أسس بعد حرب مورة الآتى ذكرها مدرسة للبحرية فتحت فى شهر سبتمبر سنة ١٨٣١ وأدخل بها أولاد المماليك وأبناء خدامه كما عمل بهم المدارس الحربية وجلب لهم معلمين من أوروبا هما القبودان أنطون بنانسى (Antoine Banansy) والقبودان كاملو موسكانى (Camillo Moskani) وجعل معهما محمد بك الشهير بالترجمان والد ابراهيم باشا توفيق فكان لهذين المعلمين اليد البيضاء فى تعليم كثير من التلامذة الذين اشتهروا فيما بعد بالبسالة والاقدام والصدق فى خدمة حكومته وبينما كان العزيز يهتم بالاصلاحات الداخلية كعادته اذ صدر له فرمان من السلطان محمود خان بان يبعث فرقة من أساطيله وقدرا من العساكر المصرية لمساعدة الدولة فى اخضاع الثائرين من الروم ببلاد موره

حرب مورة — اعلم أنه بينما كان محمد على باشا مشتغلا بأمر الترقيات فى مصر كانت الدولة العلية العثمانية مشتغلة بمحاربة تبه دلنلى على باشا والى يانيا لخلعه رداء طاعتها كما مر بك فى تاريخ الدولة بالجزء الاول من هذا الكتاب ولم تمض على اخضاعه عدة أيام حتى اشتعلت نيران الثورة اليونانية ببلاد موره (فبراير سنة ١٨٢٢ م — ١٢٣٦ هـ) فاسرعت

الدولة الى سوق الجيوش والاساطيل لاخماد لهيبها فلم يزدها ذلك الا اشتعالا وسببه قيام أهل أوروبا عامة باسعاف الثوار بالمال والرجال ليتخلصوا من التابعية الاسلامية وكان هذا على غير رضاء دولهم فى ظاهر الأمر وكان المحرض الاكبر لهذه الثورة الجمعيات العديدة التى تشكلت بانحاء أوروبا وهى المسماة بجمعيات محبى اليونان وقد تطوع فيها كثير من المشاهير مثل وشنطون نجل محرر أمريكا واللورد بيرون الشاعر الانكليزى الشهير وغيرهما ولالاسباب المذكورة وغيرها تغلب الثائرون على الجيوش العثمانية فى عدة وقائع وأصاب الاساطيل السلطانية الخفيفة المعينة للمحافظة على جزائر الارخبيل خسائر جسيمة كما سبق فى تاريخ الدولة لهذا أرسل السلطان محمود خان أمرا الى محمد على باشا يطلب منه ارسال اسطوله للمساعدة على تأديب الثائرين وتخليص الاسطول العثمانى الذى أضحى كالاسير بمياه البانيا ولما ورد فرمان السلطان لم يسع محمد باشا الا الطاعة فكتب فى الحال أمرا الى صهره محرم بك محافظ الاسكندرية و باشبوغ الدونمنا المصرية بتجهيز الاسطول (١) فأعد محرم بك أربع عشرة سفينة حربية بما يلزمها من الجنود والقبودانات وأقلع بها الى دار الحرب (٢) وجعل شاكر افندى السابق الذكر مهندسا للاسطول المذكور كما جاء فى دفاتر قبودات الدونمنا القديمة المصرية ولم يبق بثغر الاسكندرية غير ثمان سفائن حربية فقط للمحافظة بها على السواحل المصرية وأخذ العزيز يهتم بتجهيز أسطول آخر من السفن الجديدة التى تأتى اليه تباعا من بلاد أوروبا ولما وصل محرم بك بالاسطول المذكور الى مياه كريد تلاقى فى الجهة الشمالية منها بسبع عشرة سفينة تجارية رومية تهاجم سفينة تجارية عثمانية فهجم على سفن الاروام واستولى على ثلاث منها وولى الباقى الادبار وتخلصت تلك السفينة العثمانية ثم تقدم الى بحر الارخبيل حسب الاوامر و بعد ذلك بشهر أرسل محمد على باشا اسطولا آخر يتركب من ١٨ سفينة تحت قيادة طبوز أوغلى قبوجى باشى محمد أغا للالتحاق بالدونمنا العثمانية التى كانت تحت قيادة البطرونه مختار بك وأمره انه متى انضمت كل هذه السفن الى بعضها ومعها اسطول محرم بك تذهب لتخليص الاسطول العثمانى المحصور بجهة پرويزه وكان يقوده القبودان نصوح زاده على بك وقد حصل ذلك و بعد اخراج الاسطول المذكور أخذت الدونمنا المصرية مع الاساطيل العثمانية تطارد مراكب الاشقياء من اليونانيين فأحرقت منها كثيرا ثم عادت أساطيل مصر الى الاسكندرية لاصلاح ما تلف

(١) وهذه صورة الامر المذكور قد علم لكم أنه أحيل تأديب وتربية الاروام الثائرين على الدولة العلية على عهدتى و بما أن السفن الحربية التى جرى استعدادها للغاية الآن قد بلغت أربع عشر سفينة ولو أن قيادتها عائدة على الآنه لكثرة أشغالى قد عينتكم بدلا عنى لقيادتها فتوكلوا على الله تعالى وأسرعوا بالاقلاع بها للجهة المقصودة وأدوا الخدمة اللازمة عليكم فى هذه المأمورية بحسب ما تقضى عليكم حقوقها المقدسة وقد تحرر صورة من هذا الامر الى مطوش قبودان الذى تعينت سفينته بمعيتكم فى ٢٤ رمضان سنة ١٢٣٦ مترجم من الامر التركى المقيد بقبودانات البحرية القديمة

(٢) وقبودانات السفن المذكورة هم فندقلى أحمد قبودان وقوله لى مطوش قبودان واستانه لى نورى قبودان وارنبوط خليل قبودان وكريدلى حسن قبودان و بدوملى السيد على قبودان وكريدلى اسمعيل قبودان وأورولى مصطفى قبودان المعروف ببشكاكى وچشمه لى مصطفى قبودان وبوزجه أطه لى حسين قبودان واسكندرانى على قبودان ولازلى عمر قبودان وازميرلى قره أوغلى قبودان و بدروملى على محمد قبودان

منها

منها (١٢٣٨ هـ) وفى سنة ١٢٣٩ (٦ مارس ١٨٢٤ م) أصدر السلطان فرمانا الى محمد على باشا بتعيين ولده إبراهيم باشا واليا على جزيرة كريد وموره ومنحه تمام الحرية فى الاعمال بهما لاعادة النظام وفرمانا آخر بارسال نجدة مصرية للمساعدة على حرب اليونان المذكورة قال الفاضل لطفى أفندى فى تاريخه لما وصل الخبر الى الاستانة بان محمد على باشا سيرسل بعض أورط من عساكره الجهادية الى موره صدر أمر الدولة الى خسرو باشا قبودان الدونمنا العثمانية بمياه اليونان وكان طلب العودة الى الاستانة لاصلاح ما تخرب من سفنه الحربية بالاقلاع الى مينا الاسكندرية لاصلاح سفنه فيها وأخذ ما يلزم من الذخائر الحربية والمؤنة منها ولمساعدة محمد على باشا على نقل الجيوش المصرية الى بلاد موره وكان وصوله الى مينا الاسكندرية فى ٢٨ الحجة وكان حضر قبله ببضعة أيام الى بوغاز الاسكندرية ثلاث سفن من حراقات اليونان دخلت منها واحدة المينا حتى وصلت امام طابية صالح وأشعلت نارها بقصد احراق الاسطول المصرى الراسى امامها ولما شاهدها حفظة القلعة المذكورة أطلقوا عليها المدافع وأرسلت المراكب المصرية بعض زوارقها بالمدافع فهجمت عليها وأطفأت نارها ولما رأت السفينتان اليونانيتان الباقيتان التيقظ الحاصل هربتا سريعا ولما علم محمد على باشا أمر أميرال عمارته محرم بك وكتخداه بلال أغا بان يخرجا بخمس سفائن حربية لاقتفاء أثر الحراقتين اليونانيتين المذكورتين وخرج بعدهما محمد باشا بنفسه فى قرويت يدعى جناح بحرى ومع هذا لم يمكن القبض على السفينتين المذكورتين ولما وصل خسرو باشا وبلغه الخبر تأسف لعدم مصادفته فى طريقه للسفن المصرية وخصوصا سفينة محمد على باشا وأراد الاقلاع بنفسه حالا للبحث على السفن المصرية فمنعه وكلاء الحكومة المصرية الذين أسرعوا فى اصلاح السفن ومداركة ما يلزم للدونمنا العثمانية من الادوات والذخائر الا ان القبودان المذكور أرسل القائد الثانى بعشرين سفينة حربية عثمانية فذهب بها حتى سواحل الاناضول ثم قفل راجعا فوجد العزيز قد عاد الى الاسكندرية ولما بلغ محمد على باشا ما أجراه القبودان باشا سر جدا منه وأكرم وفادته وأظهر تمام الرضوخ لما تأمر به الدولة مهما كان [1] فأبلغ القبودان باشا ذلك للباب العالى رسميا فورد له مكتوب الشكر والثناء على محمد على باشا لخدماته الجليلة التى أداها أولا وثانيا وقيامه باصلاح دونمتها وتجهيزه الجيوش لمساعدتها وأمره السلطان بتبليغ ذلك لمحمد على باشا بالنيابة عنه وفى ٣ ربيع الاول من سنة ١٢٣٩ (١٠ يوليه ١٨٢٤ م) أقلع الاسطول العثمانى المذكور ثم أقلع بعده الاسطول المصرى تحت قيادة محرم بك وكان مجموع السفن المذكورة ٩٩ سفينة منها ٦٣ بين حربية ونقلية و ٣٦ تجارية استؤجرت لنقل العدد والذخائر وكان عدد الجيش المصرى ١٧٠٠٠ جندى بيادة و ٧٠٠ سوارى وأربع بطاريات طوبجية ومدافع أخرى للقلاع والجبال وكان هذا الجيش تحت قيادة ولده البطل الشهير ابراهيم باشا الكبير وبعد ان مرت هذه الاساطيل على رودس أقلعت الى موره فوصلتها فى رجب من سنة ١٢٤٠ هـ

---

(١) قائلا انى بصفة كونى خادما لولى نعمتى صاحب الشوكة السلطان المعظم أعلمك يا أخى الباشا أنه ليس للدولة العلية فقط أن تطلب جبه خانه أو قومانيه (زاد) أو مهمات للدونمنا العثمانية بل يمكنها أن تطلب جميع ما تريد فانى مستعد للقيام به وفاء بحق الدين والملة وأن ذلك عندى من الامور المعتنى بها وانى لا أتأخر عن بذل نفسى فى سبيل تقوية شأنها وإعلاء كلمتها ورفع قدرها اهـ من تاريخ لطفى أفندى

ونزلت الجيوش منها قرب قلعة متون فهرب اليونانيون الذين كانوا يحاصرونها ثم انضم الجيش المصرى للجيش العثمانى وابتدأت الحركات العسكرية وأخذت الاساطيل تجول فى تلك المياه حتى دمرت كثيرا من سفن الثائرين وقلاعهم وفى شهر شعبان من سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٦) بينما كان الجيش يحاصر قلعة ميسولونكى تقدم سرچشمه حسين بك أحد رؤساء البحرية المصرية ببعض سفنه الخفيفة وهاجم الاستحكامات المشيدة على الجزيرة الصغيرة الواقعة امام المدينة المذكورة واستولى عليها فسهل بذلك على الجيش الهجوم على ميسولونكى التى فتحت عنوة (١٥ رمضان) وغنم منها العثمانيون غنائم لا تحصى ولم تنته سنة ١٢٤٢ حتى تمكن ابراهيم باشا بمهارته من اخضاع الثوار واسترداد جميع بلاد موره وقلاعها الا ان سفن اليونان كانت لاتزال تعيث فى جزائر الارخبيل وفى خلال ذلك عزل خسرو باشا من البحرية لخلاف وقع بينه وبين ابراهيم باشا وتعين عزت باشا قبودانا مكانه وجعل چنكل أوغلى طاهر باشا قائد الدونمة العثمانية التى تحت امرة ابراهيم باشا بمياه موره وكانت تتألف من ٣٧ سفينة وذهبت هذه الدونمة الى ميناء ناوارين فى ١٨ شوال من سنة ١٢٤٢ هـ ثم حضر محرم بك بالدونمة المصرية وكانت تتركب من ١٦ سفينة الى الميناء المذكورة أيضا وبذلك صارت السفن العثمانية والمصرية والتونسية والجزائرية البالغ عددها ٥٣ سفينة جميعها بميناء ناوارين تحت أمر ابراهيم باشا وعدد مدافعها ١٥٨٨ مدفعا وبعد ذلك حصلت واقعة ناوارين التى ألبست أوروبا ثوبا من العار لا يبلى

احراق الدونمة بناوارين — سبق الكلام فى تاريخ الدولة بالجزء الاول عن استنجاد اليونان بدول أوروبا وقيام انكلتره وفرانسا والروسيا بمساعدتهم لنوال استقلالهم وارسالهم الاساطيل لذلك فكانت أساطيل انكلتره تحت قيادة السر ادوارد كودرنجتون (Codrington) وأساطيل الثانية تحت قيادة الكونتر أميرال دربنى (Rigny) وأساطيل الثالثة تحت قيادة الكونتر أميرال هيدين (Heiden) عددها جميعا ٢٦ سفينة كبيرة تحمل ١٢٦٦ مدفعا وحاصرت هذه السفن أساطيل الدولة على غير عداوة سابقة وأخذت المخابرات بين قواد الأساطيل وابراهيم باشا دورا عظيما كما سبق شرح ذلك فى محله ولما لم تحصل نتيجة وكان القوم على اتفاق لتدمير الدونمة الاسلامية دخلت الدونمات المتحدة الميناء يوم ٢٧ صفر من سنة ١٢٤٣ هـ (٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م) ولم تعارضها الاساطيل العثمانية ولا منعتها القلاع لعدم وجود سبب ظاهر للعداء ولتمسك الدولة بالاعمال الودية وبعد ان أخذت تعبيتها أطلقت قنابلها فجأة على المراكب العثمانية بلا إعلان حرب كما جرت العادة بين الدول فأتلفت جميع السفن العثمانية والمصرية حرقا وتدميرا كاملا ولما لم تذعن الدولة لمطالب الدول الاوروباوية المذكورة اتفقت على انهاء هذه المسئلة بالقوة وتجهزت لذلك فتكفلت انجلتره بالاعمال البحرية وفرنسا بالاعمال البرية وعينت لذلك جيشا يتألف من ٢٤٠٠٠ مقاتل وتخابروا مع محمد على باشا بواسطة قناصلهم فى مصر بأن يسحب جيوشه وكتبوا معه اتفاقا فى ٣ أغسطس ١٨٢٨ م (غاية الحجة ١٢٤٣ هـ) على اخلاء شبه جزيرة موره [1] وأرسل محمد على باشا صورة هذه الشروط لولده ابراهيم باشا فلما قرأها

(١) أولا يتعهد والى مصر باعادة جميع الاسراء من يونان وغيرهم ثانيا ان يتعهد الاميرال الانكليزى باعادة جميع

اغتاظ

اغتاظ منها جداً لانه رأى ان ثمرة أتعابه قد ضاعت سدى ولم يمكنه الامتناع عن تنفيذ هذا التهديد
عمارات الدول له بحرا وجيش فرانسا برا فأصدر الاوامر لكافة الفرق التى كانت بداخل موره بالعودة
الى الثغور ليرحلوا الى القطر المصرى وأرسل لسليمان بك الفرنساوى الذى كان مع آلايه بمدينة
تريبولتسا بهدم قلاعها وأسوارها والعودة الى الساحل ثم عادت الجيوش المصرية مع ابراهيم باشا
الى مصر وعاد معه محرم بك باشبوغ الدونما أيضا (١) وأخليت بلاد اليونان من عسكر مصر تماما
واحتلها الفرنساويون ثم عقدت الدول المذكورة مؤتمرا فى لندره ١٦ نوفمبر من سنة ١٨٢٨ م
ودعت الدولة العلية للاشتراك فيه فلم تقبل لئلا يعد اشتراكها اقرارا منها على ما فعلته الدول
المذكورة التى أقرت فى المؤتمر المذكور على استقلال موره وجزائر سيكلاد وعلى ان يعين لها أمير
مسيحى تنتخبه الدول الثلاث يكون تحت حمايتها وضمانتها وان يدفع للباب العالى سنويا
خراجا قدره ٥٠٠٠٠٠٠ غرش فلم تقبل الدولة العثمانية بذلك واستمرت الحرب ثم أعلنت الروسيا
الحرب على الدولة وانتهت بانتصار الروسيا للضعف الذى أصاب الدولة من طول تلك الحروب
والثورات كما تقدم فى تاريخها وأخيرا اضطر الباب العالى الى طلب الصلح والتصديق على المعاهدة
التى عقدتها معه الروسيا المعروفة بمعاهدة ادرنة (١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩) واعترف فيها
باستقلال جميع بلاد اليونان استقلالا تاما

تجديد الدونما المصرية وانشاء ترسانة الاسكندرية — بعد ان بارحت الجنود
المصرية بلاد موره أخذ محمد على باشا يهتم فى اتمام ما كان شرع فيه من الاصلاحات وكان من أول
اعماله الشروع فى توسيع واصلاح ميناء الاسكندرية كما سبق فى المقدمة لقلة عمقها وعدم كفايتها
للسفن التى تضطر ان ترسو بعيدة عن الشاطئ مما يجعل شحن واخراج البضائع منها يتكلف مصاريف
كثيرة فأحضر الكراكات من أوروبا ولما أتت أخذوا فى تعميق الميناء فتم بعد قليل من الزمن
وجعل لها ادارة مخصوصة سميت بادارة ليمان رئيس وجعل نظارتها الضابط بدعى بوزجه أطه لى
مصطفى جاويش فكان أول رئيس ليمان لميناء الاسكندرية ولما كانت الدونما الاصلية أحرقت
فى واقعة موره كما مر اهتم العزيز بايجاد سفن جديدة أخرى لتعزز قوته البحرية فوجه عنايته أولا

الاسرى من مصريين وخلافهم مع السفن التى أخذها فى الحرب ثالثا ان تخلى الجيوش المصرية شبه جزيرة موره
فى أسرع وقت وينقلها الى مصر بسفنه الى الاسكندرية رابعا ان تكون السفن المصرية فى حالة ذهابها وايابها
مخفورة بسفن فرانسا وانكلتره خامسا ان لا يجبر اليونان المقيمون بمصر على تركها ما داموا غير مكرهين على البقاء فيها
وكذلك من يريد العودة مع المصريين باختياره لا يمنع من ذلك سادسا يجوز لابراهيم باشا أن يترك فى موره عددا من
العساكر لا يزيد عن ١٢٠٠ نفر للمحافظة على متون وقرون ونوارين وبتراس وكستيل أما باقى النقط الاخرى
فلابد من الجلاء عنها بدون امهال اه من مجموعة المعاهدات

(١) محرم بك هذا أصله من قوله ولما اتخذ الديار المصرية وطنا ثانيا له استخدمه محمد على باشا فى كثير من مهام
الحكومة ولجميل سيرته وحميد خصاله زوجه بكريمته تفيده هانم ولكن عاجلتها الوفاة بعد زمن قصير وكان العزيز
جعله محافظا لمدينة الاسكندرية فاحسن ادارتها ثم لما تشكل عمارته الاولى أحال عليه ادارتها فقادها بوظيفة باشبوغ
أول فى حرب اليونان من سنة ١٢٣٦ الى ١٢٤٣ ولما عاد مع ابراهيم باشا الى مصر بقى فى وظيفته محافظا
لثغر الاسكندرية حتى يوم وفاته (١٢ محرم سنة ١٢٦٤) فأسف عليه الناس وكان محبا لعمل الخير أعتق
الكثير من جواريه ومماليكه وأحسن عليهم بالاحسانات الجزيلة وشيد لهم المنازل العديدة لسكناهم

انشيد دار صناعة مهمة مع ما تحتاجه من المعامل والمصانع (١) لانشاء وترميم السفائن وكان الشروع في ذلك سنة ١٢٤٢ هـ وأشغل العساكر في بنائها وتمت سنة ١٢٤٥ وشحنها بالآلات والأدوات وأحضر لها في سنة ١٨٣١ م من مدينة طولون مهندسا ماهرا يدعى سيرزى (Cerisy) جعله باشمهندسا ورقاه الى رتبة البكوية وكان بدار الصناعة المذكورة خمسة قرناقات أى مزلقانات لصناعة السفن واهتم سرزى بك المذكور مع الحاج عمر مهندس الترسانة القديمة بتعميق البحر من ناحية الترسانة الجديدة حتى صيراه في عمق كاف لرسو أكبر السفن الحربية ورتبوا لها الصناع من كل نوع وكانوا تحت ملاحظة الحاج عمر المذكور وكان لهذا الرجل استعداد ومعرفة طبيعية غريبة في بناء السفن وقد تمكن في السنة الاولى من انشاء سفينة من نوع القباق وجلب العزيز كثيرا من شبان المصريين من جميع المديريات لتعليمهم صناعة عمل السفن وما يلزم لها من الآلات ووزعهم على المعامل فاختص كل جماعة منهم بفرع من فروع انشاء السفن ونبغ كثير منهم في هذه الأعمال حتى بلغوا درجة عظيمة وحصلت مصر بهم في زمن قليل على عدة سفن حربية عوضت بها أساطيلها التى فقدت في واقعة نوارين بل وزادت قوتها البحرية أضعاف ما كان لها وشيدت عدة من السفن المسماة نصف قرصان أو ميزه قرصان فتوفرت لديها أسباب النقل والحمل وخصصتها بنقل ما يلزمها من الاخشاب وغيرها وكان بعضها يشتغل بالتجارة والحاصل ان صناعة انشاء السفن بالاسكندرية وصلت لدرجة تضارع في الجودة والمتانة سفن أعظم البلاد الاروباوية وصار في امكان مصر صناعة كل ما تحتاجه سفن الدونما ولما تحصل العزيز على تصريح من الحضرة السلطانية بجبر قطع الاخشاب اللازمة من غابات الاناضول عين لذلك الصناع والعمال تحت امرة كل من الحاج حسن بك نجار باشى دار الصناعة والسيد أحمد أحد عمالها وبذلك صار بالاسكندرية القدر اللازم من الاخشاب وكان المشتغلون بانشاء المراكب واصلاحها يبلغ عددهم ٨٠٠٠ نفس من الاهالى الذين تخرجوا على أيدى مهرة المعلمين من الاوروباويين واتقن منهم نحو ١٦٠٠ صناعة انشاء السفن فاستغنت بذلك مصر عن ابتياع السفن من الخارج وفتح العزيز أيضا مدرسة لتعليم نحو اثنى عشر ألفا من الجنود الاعمال البحرية أخذهم من كل المديريات وكانوا يقيمون على الساحل بجوار طواحين الريح الموجودة للآن بالشمال الشرقى من رأس التين وجعلوا لهم فوق البرمر كبا بصواريها وشراعاتها لتعليمهم استعمال الشراعات وغيرها وكان ذلك تحت رياسة الموسيو بيسون بك (Besson) ولما تدربوا وزعوهم على السفائن الحربية فانتظمت طوائف السفائن وصارت نظاماتها تحاكى النظامات البحرية بالاساطيل الاوروباوية ونقل ما كان بتلك السفن من الملاحين الغير النظاميين الى سفنه المسماة ميزه قرصان التى جعل لها

(١) وهاك أسماء الورش والمصانع بدار الصناعة المذكورة

١ ورشة التيالة لعمل الحبال	٦ ورشة الدكمخانة لصب الآلات	١١ ورشة النجارين لصناعة النجارة اللازمة للسفن
٢ ورشة الحدادين لصناعة الحديد	٧ ورشة البويه لصناعة الدهانات	١٢ ورشة الطلومبات لصناعة الطلومبات
٣ ورشة القلوع لعمل الشراعات	٨ ورشة الخرطة لعمل البكرات وغيرها	١٣ ورشة القلافطية لقلفطة السفن
٤ ورشة السوارى لصناعة الساريات	٩ ورشة الترزية لعمل السناجق والاعلام	١٤ ورشة البورغوجية لثقب الاخشاب
٥ ورشة البصل والنظارات لعمل ذلك	١٠ ورشة القلائك لصناعة الزوارق	١٥ مخازن الذخائر والمهمات الحربية

ادارة

ادارة خاصة تحت رياسة محمد قراقيش قبودان ثم خلفه فيها محمد راشد بك ثم بوغجه أطه لى أوزون أحمد قبودان وأدخل جملة تحسينات فى المدرسة البحرية التى أنشأها سنة ١٢٤١ وجعلها تحت نظارة حسن بك القبرسلى وكانت المدرسة المذكورة بأحدى السفن الحربية ثم قسمت هذه المدرسة الى فرقتين جعلت كل واحدة منهما بسفينة وتعين لنظارتها كنج عثمان بك وسبب ذلك ان العداوة كانت استحكمت حلقاتها بين حسن بك السابق الذكر وبين عثمان باشا سرعسكر الدونمما فانتهز الناظر المذكور فرصة خروج التلامذة يوم الجمعة ومرور السرعسكر بزورقه فأحرق جبخانة المدرسة بقصد قتل السرعسكر فهلك هو ولم يصب السرعسكر بضرر ثم سافرت احدى الفرقتين بسفينة شيرجهاد ومعها قرويت عليه برغملى أحمد قبودان وابريق آخر قاصدة جزيرة كريد ولما كانت على مقربة من الجزيرة قابلها غليون روسى وكانت الحرب قائمة بين الدولة والروسيا فأطلق الغليون القنابل على السفن المذكورة بقصد أسرها فتمكنت شيرجهاد لسرعة سيرها من الهرب وأسر الروس القرويت المذكور (١٢٤٣ هـ) وقد نبغ من هذه المدرسة البحرية كثيرون اشتهروا فى الاعمال والحروب البحرية (١) كما اشتهر بعضهم فى حسن العمل عند ما نقلوا الى ادارات أخرى وفى تلك الاثناء انتخب العزيز بعض ضباط البحرية وأرسلهم الى فرانسا وانكلتره لاتمام علومهم بهما وممارسة الفنون الحربية على أساطيلهما وأصحبهم بكتب التوصية على يد قنصلى فرانسا وانكلتره وكان الذين أرسلوا الى فرانسا حسن افندى الاسكندرانى وشنان افندى ومحمود افندى نامى الملقب بجركس والى انكلتره عبد الحميد افندى ويوسف آكاه افندى وعبد الكريم افندى ولما أتموا علومهم عادوا الى مصر فوظفوهم بالسفن الحربية وكلفوهم بترجمة القوانين والنظامات المستعملة بعمارات الدولتين المذكورتين كما سبق فى مقدمة هذا الكتاب وكان العزيز أرسل أيضا الى أوروبا تلميذين آخرين لتعلم فن انشاء السفن وهما حسن افندى السعران سافر الى فرانسا ومحمد افندى الاستانبولى سافر الى انكلتره ولما أتقن هذان التلميذان ما أرسلا لاجله عادا الى الاوطان فوظفا فى دار صناعة الاسكندرية مكان سريزى بك الذى استقال لتعصب تجار الفرنج عليه وهم الذين كانوا تعهدوا بشراء السفن لمصر من معامل أوروبا بالاثمان الباهظة لانهم لما رأوا تقدم الوطنيين فى صناعة السفن نسبوا حرمانهم هذا لصداقة سريزى بك المذكور وقيامه بما عهد اليه ومع ذلك فان أولئك التجار لم ينجحوا فى تحويل نظر العزيز عن مقصده

(١) وممن عثرنا على أسمائهم منهم خير الدين قبودان وعبد اللطيف قبودان وأحمد نورى قبودان الملقب بالجوخدار وحسين شرين قبودان وجعفر مظهر قبودان وحافظ خليل قبودان وهؤلاء ترقوا فيما بعد الى الرتب الباشوية وحافظ قبودان مصطفى وبرغمه لى أحمد قبودان ومصطفى قبودان الكريدلى وحاجو قبودان وحافظ قبودان الشيرازى وبودرملى أحمد خوجه قبودان وعارف قبودان واسمعيل قبودان الكريدلى وأمين قبودان الملقب بالطويل وبوزجه اطه لى خليل قبودان وخورشيد قبودان وهدايت محمد قبودان وبابا سليم قبودان وأحمد شاهين قبودان وخورشيد قبودان الملقب بأبى قصاده ومحمد راشد قبودان وسليم قبودان ومرجان قبودان وويسل قبودان وابراهيم قبودان الملقب بقره كوز وعثمان قبودان الملقب بقباح وعثمان قبودان الملقب بالبوتى وسليمان قبودان الملقب بالبيرقدار ومصطفى قبودان الملقب بالبلاوجى وبوغجه اطه لى أمين قبودان وبوغجه اطه لى سليمان قبودان ومطوش قبودان وغيرهم ممن لم نعثر على أسمائهم

حيث صارت الترسانه بعد استقالة سر برى بك وسفره ناجحة فى أعمالها كما كانت بل ازدادت همة مهندسيها الوطنيين عن ذى قبل واجتهد حسن بك السعران ومحمد بك الاستانبولى فى العمل بجد ونشاط واتقان حتى بلغت العمارة المصرية درجة وأهمية عظيمتين جدا وكان المرحوم محمد على باشا جعل عثمان بك نور الدين سر عسكر اعلى الدونمة المصرية منذ سنة ١٢٤٣ هـ وقد بذل هذا الرئيس الماهر قصارى جهده وعنايته فى اكمال التعليمات وتنظيم قواعدها بما كان يصدره دائما من الاوامر على رجال البحرية لتطبيق القوانين على التعليمات واهتم قبودانات السفن بتنفيذ هذه الاوامر بالدقة حتى بلغ النظام بالاساطيل المصرية فوق ما كانت تتطلع اليه الآمال وكان يخرج بالسفن سنويا زمن الصيف لاجراء المناورات وتدريب الجنود على الحركات البحرية الحربية مدة ثلاثة شهور حتى وصلت العمارة المصرية درجة رفيعة جدا وأصبحت تماثل عمارة الدولة العلية فى العدد والعدد ولبس القطر المصرى بها حلة الفخر حيث لم ير مثلها جميع الدهر سيما عند ما بنى المنار الموجود الآن برأس التين وازداد به الامن على السفن الصادرة والواردة الى مينا الاسكندرية وكان المباشر لبنائه المهندس الشهير مظهر باشا وجعل ارتفاعه ستين مترا ونوره يشاهد من ١٦ ميلا بل أكثر من ذلك وبينما كان العزيز مشتغلا بهذه الاصلاحات قامت الحروب الشامية الآتى ذكرها

الحروب الشامية — قال بعض المؤرخين ان سبب هذه الحروب الدولة الفرنساوية لانها هى التى حرضت محمد على باشا على القيام بتوسيع مملكته من الجهة الآسيوية لينال بذلك الاستقلال وتشتغل الدولة العثمانية بما عنعها عن المداخلة فى مسئلة بلاد الجزائر التى احتلتها فرنسا سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠ م) وقال آخرون ان الدولة العلية لما وعدت محمد على باشا ولاية البلاد اليونانية وحالت الظروف دون تنفيذ وعدها وأعطته جزيرة كريد مكافأة له على صداقته ومساعدته تطلع المشار اليه لبلاد الشام بدلا عن موره والتمس من جلالة السلطان محمود خان ضم بلاد الشام الى مصر بدلا مما استرد منه من بلاد اليونان فرفضت الدولة ملتمسه ثم بعد قليل عن له أن يطالب عبد الله باشا والى عكاء بمال له فى ذمته بقى له من المبالغ التى كان أقرضه اياها عقب عصيانه على الدولة سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م) وكان السلطان محمود أرسل على هذا الوالى جيشا لتأديبه تحت قيادة درويش باشا والى دمشق وكان عبد الله باشا التمس من محمد على باشا أن يتوسط بينه وبين الدولة على يد الامير بشير حاكم لبنان فعفت عنه الدولة اكراما لمحمد على باشا واعادته الى ولاية عكا بشرط أن يدفع لها ٦٠,٠٠٠ كيسة مقدما ولما لم يكن مع الوالى المذكور كل هذا المبلغ اقترض نحو خمسه من محمد على باشا ولم يقم بسداده فى ميعاده فلما كانت حروب موره اضطر محمد على باشا الى المال ليصرفه فى التجهيزات العسكرية فطلب ذلك المبلغ من عبد الله باشا الذى جاوبه بجواب لم يرضه محمد على ومما زاد الخلاف أيضا بينهما مساعدة عبد الله باشا لمهربى البضائع من الجمارك المصرية الى حدود الشام واعانته للفارين من فلاحى مصر على ترك أوطانهم الاصلية والاقامة بالجهات الشامية ولما رفع محمد على باشا هذه القضية الى الباب العالى أجابه بأن الشام ومصر كلاهما من الولايات السلطانية بحيث يستوى لدى السلطان أن رعاياه يقيمون فى أيتهما شاؤا فكاتب محمد على باشا والى عكا مرة ثانية فى رد رعاياه الملتجئين اليه فأجابه بجواب شديد اللهجة فتغير خاطر محمد على باشا من ذلك جدا وشرع من وقتئذ

فى

فى عمل المعدات العسكرية (١٢٤٧ هـ) و بعد قليل سافرت القوة المصرية وكانت تتألف من ستة
آلايات من البياده ومثلها من السوارى و ٤٠ مدفعا صغيرا وعدة من مدافع الحصار وكل ما يلزم من
الذخائر والمأكولات والمياه العذبة لقلتها بين مصر والشام سائرة من طريق العريش وكان على هذا
الجيش أشهر قواده مثل أحمد باشا المنكلى وسليم بك الحجازى وسليم بك المنسطرلى وحسن بك
المناسترلى وغيرهم ثم جهز جيشا آخر وأرسله مع ولده ابراهيم باشا و جعله القائد العام وسافر بطريق
البحر مع ضباط أركان الحرب وهم عباس حلمى باشا وسليمان باشا الفرنساوى وابراهيم باشا يكن
المعروف بالصغير وبحرى بك رئيس الكتاب ومصطفى أغا بربر وابراهيم أغا الجوخدار وخرجوا على
أسطول مصرى مؤلف من ١٦ سفينة حربية و ١٧ سفينة نقلية وكان القائد لهذا الاسطول
عثمان نور الدين باشا وذلك فى غرة جمادى الاولى من سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) وبعد خمسة أيام
وصل الى حيفا ونزل بها ولما تكامل ورود العسكر تقدموا واستولوا فى زمن قليل على غزة و يافا ثم سار
الى عكا وحاصرها ثم حضر المستر بيزابوث قنصل انكلتره فى بيروت وتقابل مع ابراهيم باشا فى خيمته
ولامه كثيرا على هذا العمل وحضوره بهذا الجيش الى الشام بلا تصريح من الدولة العثمانية وقال له ان
هذه الاعمال لا توافق عليها دول أوروبا مطلقا وفى مقدمتهم انكلتره فاغتاظ ابراهيم باشا سرا وجاوبه
بقوله انى حضرت بهذا الجيش بامر والى مصر لاستخلاص هذه الديار انتقاما من واليها عبد الله باشا
الجزار فاذا كان هذا لا يوافق الدولة البريطانية فعليها بمخابرة والدى بمصر ثم قام وتركه وشدد
الحصار على عكاء وأمر سرعسكر الدونمنا المصرية بضرب القلاع بحرا فتقدم بالاسطول
(دسمبر ١٨٣١ م) وصف سفنه حول حصون عكاء تصفيفا عسكريا وكان الاسطول يتركب
من تسع سفن حربية وهى الفرقاطة كفر الشيخ وعليها القبودان برسيك الانكليزى والفرقاطة
الجعفرية وقبودانها ابن عمه لى أحمد قبودان وعليها علم السرعسكر والفرقاطة البحيرة وعليها
عبد اللطيف قبودان (وهو الذى تولى نظارة البحرية فيما بعد) وتحمل علم القائد الثانى للاسطول الريالة
مصطفى مطوش باشا والفرقاطة رشيد وعليها السيد على قبودان والفرقاطة شير جهاد وعليها نورى
قبودان والفرقاطة مفتاح جهاد وعليها مصطفى قبودان الجزائرى والفرقاطة دمياط وعليها هدايت
محمد قبودان والقرويت بومبه وعليه بيجان قبودان والقرويت رهبر جهاد وعليه على رشيد قبودان
الجزائرى وكان بهذه السفن ٣٨١٠ ملاحين و ٤٨٤ مدفعا وأخذت هذه السفن فى اطلاق
المدافع على حصون عكاء طول النهار فلم تصبها بضرر يذكر لمتانتها ثم رست مع باقى سفن الدونمنا
التى لم تشترك فى الحرب وفى خلال ذلك التقت فرقة من الاسطول المصرى وكانت تتجول فى
تلك المياه بالدونمنا العثمانية التى كانت تحت قيادة خليل باشا فرفعت بين جزيرة رودس وشواطئ
الاناضول ولما علم عثمان نور الدين باشا بذلك أقلع بباقى الدونمنا لمطاردة السفن العثمانية التى دخلت
ميناء مرمريس فاكتفى بمحاصرتها وبقى على ذلك حتى أمره ابراهيم باشا بالعودة الى اسكندرية فعاد
ووصل محمد على باشا ضباطها بما طيب خاطرهم وذلك فى ٨ شوال من سنة ١٢٤٨ وفى هذه السنة
احترقت الفرقاطة الجعفرية قضاء وقدرا وهى راسية امام هويس المحمودية وفيها استولى ابراهيم
باشا على عكاء بعد حصارها ستة شهور وقبض على واليها عبد الله باشا الجزار وأرسله الى ثغر الاسكندرية
فقابله محمد على باشا بالاكرام والاعزاز

ولما وصل خبر سقوط عكاء الى الدولة اندهش رجالها لظنهم متانة حصونها وانها لا تؤخذ ولذلك اهتمت الدولة باسباب صد ابراهيم باشا الذى أرسل فرقة عسكرية تحت إمرة حسن بك المناسترلى الى بلاد الساحل فاستولى على صيدا وصور وبيروت وطرابلس وباقى الثغور ثم بعد ان تمكن ابراهيم باشا من عكاء توغل بجيشه فكان كلما وصل بلدا أو نزل على قبيلة سلمت اليه بلا حرب وساقت الدولة عليه جيشا تحت قيادة السر عسكر حسين باشا فحصلت بينه وبين ابراهيم باشا وقعات شديدة بقرب حمص وبمضيق بيلان بالقرب من بعلبك ثم انهزم الجيش العثمانى ولما علم السلطان محمود خان بما حصل لجيشه مال الى المسالمة فراسل محمد على باشا فى ذلك فأجاب بالقبول بشرط ان الارض التى استولت عليها جنوده تبقى له فتوقف السلطان فى قبول هذا الشرط واستعان بدول أوروبا بعد ان رفض وساطتها فى مبدإ الامر وبدأ بمكاتبة الروسيا فى ذلك وكانت غاية ما تتمناه التداخل فى أعمال الدولة فتعرضت دولة فرانسا لمعاكستها وذلك مساعدة منها لمحمد على باشا وتشجيعا له فرجع السلطان لحل المشكلة بنفسه وجهز جيشا آخر تحت قيادة الصدر الاعظم محمد رشيد باشا فتلاقى مع جيش مصر عند قونيه ولما التقى الجمعان انهزم جيش محمد رشيد باشا بعد أسره واستولى ابراهيم باشا على عشرين مدفعا وكثير من الادوات والذخائر الحربية ثم تقدم ابراهيم باشا حتى وصل بجيشه الى كوتاهيه وعند ذلك طلب السلطان وساطة أوروبا وطلب المساعدة من الروسيا بالفعل وعقد معها اتفاقية هنكار اسكله سى المشهورة فأرسلت عشرين ألف عسكرى الى بيكوز بساحل البوسفور وأسطولا بالبحر الاسود ليكون تحت تصرف الدولة ولما أبلغ الجنرال موارفيف (Mouravieff) ذلك الى سفير فرانسا الموسيو دوفارين (Varennes) أظهر هو وسفير انكلتره للسلطان وخامة التصريح لعساكر الروسيا بوضع قدمها بأراضى الدولة وتداخلا فى الامر رسميا وبعد مخابرات عقدت الدولة مع ابراهيم باشا معاهدة كوتاهيه سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٣ م) وكان من شروطها أن يتقلد محمد على باشا ولاية الشام ومصر ويتقلد ولده ابراهيم باشا ولاية اطنه والحجاز وبذلك اجتمع لمحمد على باشا بلاد مصر والشام والسودان والحجاز وجزيرة كريد ثم أراد محمد على باشا ادخال أهل كريد تحت النظام العسكرى فلم يرضوا وخلعوا الطاعة فأرسل عليهم عثمان نور الدين باشا سر عسكر الدونما المصرية بقوة عسكرية لاخضاعهم فتمكن بعد ان تعهد لرؤسائهم بعدم وصول الاذى اليهم الأن محمد على باشا لم يرض بذلك ورأى ان لابد من قتل رؤساء الفتنة ولهذا بقى عثمان نور الدين باشا متحيرا بين أمرين صعبين الاول كونه تعهد للكريديين بعدم وصول الاذى اليهم والثانى تشديد العزيز فى اعدام رؤساء الفتنة أما عثمان باشا فانه آثر الاستقالة والهرب عن البقاء فى خدمة مصر (١)

(١) عثمان نور الدين باشا هذا أصله من جزيرة مديللى ولحق بالديار المصرية فادخله محمد على باشا فى مدارسه الحربية ثم بعد ان تمم الدراسة فيها بعثه الى بلاد فرانسا لاتمام التعليم فاتقن فيها الفنون الحربية البحرية وعاد الى اسكندرية فألحقه ببحريته ولما ظهر للعزيز اجتهاده ولياقته واستعداده عينه سر عسكر اعلى الدونما المصرية سنة ١٢٤٣ هـ بدلا عن صهره محرم بك الذى انفرد بعد ئذ باعمال محافظة الاسكندرية ولما كان صاحب الترجمة من أمهر رؤساء البحر لقبه العزيز برئيس رجال البر والبحر وكان لا يناديه الا بلفظة ولدى عثمان ولا يكتب له الا بها حتى انه بنى له منزلا خصوصيا فى غربى سراى رأس التين على ساحل الميناء لتكون اقامته به على مقربة من السراى الخديوية ومن سفن الدونما الموضوعة تحت إمرته الى أن حصلت الحوادث التى تسبب عنها هربه واختلف الرواة فى أسباب موته فقالوا انه مات مسموما

وركب سفينة مصرية صغيرة وأقلع من جزيرة كريد بدون أن يعلم أحد بقصده ولما وصل الى جزيرة مد الى رد السفينة ثم توجه الى الاستانه وتوفى بها وعين محمد على باشا بدله على رياسة الدونما مصطفى مطوش باشا (١٢٤٩ هـ ١٨٣٣ م) وجعل بيسون بك الفرنساوى وكيلا له عليها وعين مصطفى بك الكريدلى الملقب بيشا كاكى بوظيفة رياله (أى كونتر أميرال) ثم أرسل يأمر باعدام رؤساء الثورة فى كريد وبادخال شبان الجزيرة بالعسكرية قهرا فاشتعلت فيها نيران الفتنة ثانية وامتدت الى أكثر جهاتها وبقيت كذلك الى أن أعيدت الجزيرة للدولة هذا أما الدولة العثمانية فانها لما رأت انحطاط منزلتها امام الدول وانتصار جنود محمد على على جنودها شرعت فى تنظيم جيوشها وتجهيز أساطيلها فعززتها بالسفن الجسيمة التى شيدتها لذلك وأخذت تحث الشاميين على خلع طاعة محمد على باشا فساعدتها المقادير وذلك ان محمد على باشا لما قصد ادخال شبان أهل الشام فى عسكريته قامت عليه جميع أهالى البلاد واشتعلت نيران الفتن واتسع الخرق وأخذ محمد على باشا يمد ولده ابراهيم باشا بالجيوش والاموال ثم توجه هو بنفسه الى الامير شبل العريان أمير جبل لبنان واتحد معه فتيسر له اخماد الثورة والقبض على رؤسائها وجرد الاهالى من الاسلحة فهدأت الحال فى الظاهر وظن محمد على انه قد تمكن بذلك من الشام فما كان من شبل العريان شيخ الدروز المذكور الا أن خلع رداء الطاعة ونصب شباك الحيل لصيد عساكر مصر وتحصن بجباله وصار يقاتلهم حتى أفنى الكثير منهم فاضطر ابراهيم باشا الى استمالة طائفة الموارنة اليه فساعدوه حتى أطفأ نار الفتنة وأعاد الطمأنينة وكان محمد على باشا فى تلك المدة يكرر الطلب بعد الطلب من الدولة بأن تجعل ولايات مصر والشام والحجاز لاولاده من بعده فمال السلطان لاجابته فى مصر والحجاز وان تكون ولاية الشام له مدة حياته فقط الا أن محمد على باشا لما تم له تسكين الاضطرابات الشامية قام بخاطره الوصول الى غاية أرفع مما كان يطلبه فخاطب الدول رسميا بواسطة قناصلهم فى مصر طالبا الاستقلال وتحديد بلاده فعارضه القناصل فى ذلك بصورة ودية وأقنعوه حتى قبل بما كان طلبه أولا من أمر الوراثة وفى خلال ذلك سافر الى السودان لمشاهدة معدن الذهب كما تقدم ذكر ذلك فى أخبار السودان وترك الدول وشأنها فى المسئلة المصرية (١٢٥٤ هـ) وكانت الدولة العلية تمكنت من تنظيم جيوشها فجهزت جيشا عظيما تحت قيادة السر عسكر حافظ باشا وأرسلته الى الجهات الشامية فأخذ هذا الجيش فى بناء الاستحكامات تجاه معسكر الجنود المصرية فكتب ابراهيم باشا الى والده يعلمه بذلك ويستشيره فيما يصنع وكان الباشا قد عاد من الاقطار السودانية فكتب اليه يحذره من قتال العثمانيين الاعلى الارض التى يحتلها عسكره وبعد ذلك بقليل تقدمت العساكر السلطانية الى جهة نصيبين (نزيب) وهناك التحمت الحرب بين الطرفين واشتد القتال وانجلت بانهزام حافظ باشا وتقهقره بجيوشه الى مرعش (١٢٥٥ هـ) وفى ذلك الوقت توفى السلطان محمود خان وجلس السلطان عبد المجيد خان وفى تلك المدة استولت الدونما العثمانية التى كانت بمياه قبرس تحت قيادة خليل رفعت باشا على ثلاث سفن حربية مصرية منها الفرقاطة كفر الشيخ وقرويتان ولكن تمكن أحد القرويتين المدعو تمساح من الهرب والوصول الى ثغر الاسكندرية فأخبر بضياع المركبين ولما كانت المخابرات فى المسئلة المصرية جارية بين الدول تم الاتفاق بين الروسيا وبروسيا وانكلتره وفرانسا والنمسا على التداخل

الفعلى لحلها وأخبروا الباب العالى بأن لايعمل شيأ الا باطلاعهم وكانت فرانسا مساعدة لمحمد على باشا وانكلتره معاكسة له خوفا من اتساع ملكه وأن لاتضيع منها عدن (١) المتسلطة على مدخل البحر الاحمر وكانت اشترتها من مشايخها قبل ذلك بقليل بستة آلاف ليره (١٨٣٩ م ١٢٥٥ ﻫ) وفى أثناء ذلك أصدر السلطان عبد المجيد خان فرمانا لمحمد على باشا بالعفو عما سلف وجعل ولاية مصر وراثية فى عائلته وولاية عكا له مدة حياته وأرسله مع رفعت بك أحد رجال الدولة وبعد سفره أرسل خسرو باشا الصدر الاعظم أمرا الى دالى مصطفى باشا الاميرال الثانى للدونتما العثمانية الراسية فى جناق قلعة يأمره بالقبض على أحمد فوزى باشا القبودان العام وهو المشهور بفرارى أحمد فوزى باشا وقتله لعداوة بينهما وقد اتفق ان القاصد الحامل لهذا الامر لما وصل الى جنق قلعة قابل أحمد فوزى باشا المذكور فظن انه مصطفى باشا فسلمه الامر فلما قرأه وشاهد فيه حتفه أضمر السوء وطوى الخبر على عواهنه ونزل الى الدونتما واتفق أيضا مرور السفينة التى كان بها رفعت بك ولما تقابلا أخبر رفعت بك الباشا رسميا بجلوس السلطان عبد المجيد وتعيين خسرو باشا للصدارة العظمى فأرسل فوزى باشا من يحمل مبايعته ومبايعة أمراء الدونتما الى الخليفة ويهنئ الصدر الاعظم بالمنصب كما هى العادة وذلك ليصرف الانظار عما أضمر فعله ثم أقلع بالدونتما قاصدا تسليمها الى محمد على باشا والاشتراك معه فى العصيان وكانت الدونتما تتألف من ٩ غلايين كبيرة و ١١ فرقاطة و ٥ قراويت وأباديق بها ١٦١٠٧ من الملاحين وخمسة آلاف جندى برى ولما كان القبودان برودس أرسل كتخداه بمكتوب سرى الى محمد على باشا يخبره بما عزم عليه ولما وصل الكتخدا قابله محمد باشا بالترحيب وأرسل فى الحال أحد أخصائه على سفينة تدعى النيل الى رودس ليبلغ القبودان باشا سروره بما راسله بخصوصه كل ذلك حصل قبل وصول رفعت بك الى اسكندرية ولما تقابل رسول محمد على باشا مع فوزى باشا أقلعت الدونتما العثمانية من رودس ووصلت الى ثغر الاسكندرية وكانت الدونتما المصرية خارج البوغاز لاجراء التمرينات تحت قيادة السرعسكر مصطفى مطوش باشا ثم دخلت الدونتمتان الميناء معا ولما علم جنود الاساطيل العثمانية بالامر وكانوا يجهلونه حتى ذلك الوقت هرب بعضهم على الصنادل الى الاستانة ليلا وكان رفعت بك أتى قبل ذلك ببضع أيام وبدخول الدونتما العثمانية فى قبضة مصر تغير شكل المسئلة المصرية ودخلت فى دور أكثر أهمية من ذى قبل وكان ذلك من سوء تدبير رجال الدولة وفى مقدمتهم الصدر الأعظم وحسن حظ محمد على باشا الذى صمم على ابقاء بلاد الشام كلها له فعارضته انجلترة بدعوى ان أهاليها غير راضين بالبقاء تحت ادارة مصر واذا تقرر بقاؤها لمصر فيوشك ان يثوروا ويحدثوا من المشاغب والقلاقل ما لا ترضاه أوروبا وربما كان مانعا لها من انفاذ مقاصدها الخفية ووافقتها الدول الاخرى على ذلك وألحوا على محمد على باشا باجلاء عسكره عن بلاد الشام فأبى وأمر أسطوله بالاستعداد وأنزل بحريته بالسفن العثمانية فصارت عساكرها بذلك نصفهم من المصريين والنصف الآخر من عساكرها الأصليين وفى تلك الاثناء أرسل محمد على باشا قوريت دمنهور وعليه مرجان قبودان ببعض مكاتيب الى

(١) عدن هى من أشهر فرض جزيرة العرب كانت تابعة قديما للحكومة الامامية الزيدية وفى سنة ١٥٦٨ م (٩٧٦ ﻫ) حاصرها خير الدين قبودان مرارا ثم استولى عليها أخيرا باسم الدولة العلية وبعد ذلك بزمن استنجد أميرها المدعو قاسم بالبرتقاليين فانجدوه وبقيت على حالة الاستقلال الى أن ابتاعتها الانكليز من مشايخها

سلانيك

سلانيك لتحريك الارنؤد على الدولة ولما اطلع رجالها على الامر قبضوا على تلك الاوراق وعزموا أيضا على القبض على السفينة المذكورة وبينما كان بعض الاروام يتكلم فى ذلك سمعهم ضابط مصرى يقال له غضنفر قبودان وكان يعرف الرومية فعاد وأخبر قبودان السفينة المصرية بذلك فأقلعوا فى الحال وعادوا الى اسكندرية ولما رأت الدولة استعداد محمد على باشا للمقاومة بالصورة المذكورة صممت على ارجاعه بالقوة وأخذت تتداول مع الدول الاوروباوية فى هذا الخصوص وأرسل كل من انكلترة والنمسا أساطيلهما مع أسطول الدولة وكان الاول تحت قيادة السير روبرت (Stopford) استوبفرد والثانى تحت قيادة الارشيدوق شارلس فرديريق والثالث تحت قيادة بلداوين ولكر الانكليزى المستخدم بالبحرية العثمانية الى سواحل سوريا وسار بالبر جيش عثمانى ثم استولت الاساطيل المذكورة على بيروت وصيدا ويافا وعكا وأتى الاميرال نابير ببعض سفن انكليزية الى ثغر الاسكندرية واطلع محمد على باشا على ما صممت عليه الدول فرأى محمد على باشا بعد الامعان ان الاولى له الاذعان الى آرائهم فأمر بغوص يوسف بك ناظر خارجيته بعقد اتفاق مع الاميرال المذكور فعقد معه اتفاقا فى ٢٧ نوفمبر من سنة ١٨٤٠ م [١] مضمونه قبول اقتراحات الدول واخلاء بلاد الشام ورد أسطول الدولة اليها ثم أرسل مصطفى رشيد باشا الصدر الاعظم فرمانا سلطانيا الى محمد على باشا بولايته على البلاد المصرية وان تتوارثها ذريته من بعده وصدقت الدول على ذلك ومن شروط هذا الفرمان [٢] ان تدفع مصر الى الدولة سنويا ستين ألف كيسة وان لا يزيد عدد الجيش

---

(١) صورة الوفاق المنعقد بين الكومودور نابير قائد قوات جلالة ملكة بريتانيا البحرية الراسية سفنها قبالة الاسكندرية من جهة وسعادة بوغوص يوسف بك ناظر خارجية سمو نائب السلطان والى مصر المرضى من سموه من جهة أخرى ومحرر وممضى فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ (البند الاول) حيث ان الكومودور نابير بصفته المذكورة احاط علم سمو محمد على باشا بما أبدته الدول من التوصية به الى الباب العالى لأجل اعادته فى ولاية مصر بطريق التوارث ولما رأى سموه ان فى هذه المناسبة وسيلة تسمح بتوقيف مضار الحروب المنتشئة تعهد سموه باصدار أوامره الى ولده ابراهيم باشا بمباشرة الانجلاء عن سوريا بالحال وبتسليم الاسطول العثمانى حال وصول التحريرات الرسمية اليه من لدن الباب العالى مؤذنة بتوليته مصر بطريق التوارث على حين هى لم تزل ومازالت مكفولة له من قبل الدول (البند الثانى) يعين الكومودور نابير بارجة من بوارجه فتكون رهينة أوامر الحكومة المصرية لتقل الى سوريا المأمور الذى يعينه سمو محمد على باشا لاجل ايصال أوامره ويعين قائد القوات البريتانية سير ستوبفورد من قبله هو أيضا ضابطا يلاحظ تنفيذ هذه المهمة (البند الثالث) بالنسبة لما سبق ايراده يتعهد الكومودور نابير بتوقيف الاعمال العدوانية من قبل القوات البريطانية ضد الاسكندرية وباقى الممالك المصرية ويرخص فى الوقت نفسه للسفن الابحار قصد نقل الجرحى والمرضى وباقى العساكر المصرية التى تريد الحكومة المصرية ارجاعها الى بلادها بحرا (البند الرابع) من المعلوم أن العسكرية المصرية أن تتخلى عن سوريا بمدافعها وأسلحتها وخيولها وذخيرتها وأمتعتها وكل ما كانت تتألف منه المهمات العسكرية بوجه عمومى وتحرر من هذا الاتفاق صورتان أصليتان

الامضا آت نابير (Napior) بوغوص يوسف بك

اه قاموس القضاء والادارة

(٢) صورة الخط الشريف الهمايونى المانح محمد على ولاية مصر بطريق التوارث تحت شروط معلومة مؤرخ فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ الموافق ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٥٦

وأينا بسرور ما عرضتموه من البراهين على خضوعكم وتأكيدات أمانتكم وصدق عبوديتكم لذاتنا الشاهانية ولصلحة بابنا العالى فطول اختباركم وما لكم من الدراية بأحوال البلاد المسلمة ادارتها لكم من مدة مديدة لا يتركان لنا ريبا بأنكم قادرون بما تبدونه من الغيرة والحكمة فى ادارة شؤون ولايتكم على الحصول لمراد نا الشاهانى على حقوق جديدة

المصري عن ١٨٠٠٠ عسكري يكون زيهم ونظامهم كالمتبع في جيش الدولة وانه يجب على كل

في تعطفاتنا الملوكية وثقتنا بكم فتقدرون في الوقت نفسه احسانتنا اليكم قدرها وتجتهدون ببث هذه المزايا التي امتزتم بها في أولادكم وبمناسبة ذلك صممنا على تثبيتكم في الحكومة المصرية المبينة حدودها في الخريطة المرسومة لكم من لدن صدرنا الاعظم ومنحنا كم فضلا على ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتي بيانها متى خلا منصب الولاية المصرية تعهد الولاية الى من تنتخبه سدتنا الملوكية من أولادكم الذكور وتجرى هذه الطريقة نفسها بحق أولاده وهلم جرا واذا انقرضت ذريتكم الذكور لا يكون لاولاد نساء عائلتكم الذكور حق أيا كان في الولاية وارثها ومن وقع عليه من أولادكم الانتخاب لولاية مصر بالارث بعدكم يجب عليه الحضور الى الاستانة لتقليده الولاية المذكورة على ان حق التوارث الممنوح لوالي مصر لا يخصه رتبة ولا القابا أعلى من رتبة سائر الوزراء ولقبهم ولاحقا في التقدم عليهم بل يعامل بهذا معاملة زملائه وجميع احكام خطنا الشريف الهمايوني الصادر عن كلخانة وكافة القوانين الادارية الجاري العمل بها أو تلك التي سيجرى العمل بموجبها في ممالكنا العثمانية وجميع العهود المعقودة أو التي ستعقد في مستقبل الايام بين بابنا العالي والدول المتحابة يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها في ولاية مصر أيضا وكل ما هو مفروض على المصريين من الاموال والضرائب يجرى تحصيله باسمنا الملوكي ولكي لا يكون أهالي مصر وهم من بعض رعايا بابنا العالي معرضين للضرار والاموال والضرائب غير القانونية يجب أن تنتظم تلك الاموال والضرائب المذكورة بما يوافق حالة ترتيبها في سائر الممالك العثمانية وربع الايرادات الناتجة من الرسوم الجماركية ومن باقي الضرائب التي تحصل في الديار المصرية يحصل بتمامه ولا يخصم منه شيء ويؤدى الى خزينة بابنا العالي العامرة والثلاثة الارباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بمصاريف التحصيل والادارة المدنية والجهادية وبنفقات الوالي وبأثمان الغلال الملزومة مصر بتقديمها سنويا الى البلاد المقدسة مكة والمدينة ويبقى هذا الخراج مستمرا دفعه من الحكومة المصرية بطريقة تأديته المشروحة مدة خمس سنوات تبتدئ من عام ١٢٥٧ أي من يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٤١ ومن الممكن ترتيب حالة أخرى بشأنهم في مستقبل الايام تكون أكثر موافقة لحالة مصر المستقبلة ونوع الظروف التي ربما تجد عليها ولما كان من واجبات بابنا العالي الوقوف على مقدار الايرادات السنوية والطرق المستعملة في تحصيل العشور وباقي الضرائب وكان الوقوف على هذه الاحوال يستلزم تعيين لجنة مراقبة وملاحظة في تلك الولاية فينظر في ذلك فيما بعد ويجرى ما يوافق ارادتنا السلطانية ولما كان من اللزوم أن يعين بابنا العالي ترتيبا لسك النقود لما في ذلك من الاهمية بحيث لا يعود يحدث فيها خلاف لا من جهة العيار ولا من جهة القيمة اقتضت ارادتي السنية أن تكون النقود الذهبية والفضية الجائز لحكومة مصر ضربها باسمنا الشاهاني معادلة للنقود المضروبة في ضربخانتنا العامرة بالاستانة سواء كان من قبيل عيارها أو من قبيل هيئتها وطرزها ويكفي أن يكون لمصر في أوقات السلم ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة في داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدى ولا يتكم هذا العدد ولكن حيث ان قوات مصر العسكرية معدة لخدمة الباب العالي كاسوة قوات المملكة العثمانية الباقية فيسوغ أن يزاد هذا العدد في زمن الحرب بما يرى موافقا في ذلك الحين على انه بحسب القاعدة الجديدة المتبعة في كافة ممالكنا بشأن الخدمة العسكرية بعد ان تخدم الجند مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة فهذه القاعدة يجب اتباعها أيضا في مصر بحيث ينتخب من العساكر الجديدة الموجودة في الخدمة حالا عشرون ألف رجل ليبتدؤا الخدمة فيحفظ منهم ثمانية عشر ألف رجل في مصر وترسل الالفان لهنا الاداء مدة خدمتهم وحيث ان خمس العشرين ألف رجل واجب استبدالهم سنويا فيؤخذ سنويا من مصر أربعة آلاف رجل حسب القاعدة المقررة من نظام العسكرية حين ضرب القرعة بشرط أن تستعمل في ذلك مواجب الانسانية والنزاهة والسرعة اللازمة فيبقى في مصر ثلاثة آلاف وستمائة جندي من الجنود الجديدة والاربعمائة يرسلون الى هنا ومن أتم مدة خدمته من الجنود المرسلة الى هذا الطرف ومن الجنود الباقية في مصر يرجعون الى مساكنهم ولا يسوغ طلبهم للخدمة مرة ثانية ومع كون مناخ مصر ربما يستلزم أقمشة خلاف الاقمشة المستعملة للملبوسات العساكر فلا بأس في ذلك فقط يجب أن لا تختلف هيئة الملابس والعلائم التمييزية ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقي الجنود العثمانية وكذا ملابس الضابطان وعلائم امتيازهم وملابس الملاحين وعساكر البحرية المصرية ورايات سفنها يجب أن تكون مماثلة لملابس ورايات وعلائم رجالنا وسفننا وللحكومة المصرية أن تعين ضباطا برية وبحرية حتى رتبة الالاي أما ما كان أعلى من هذه الرتبة فالتعيين اليها راجع لارادتنا

من

من يتولى مصر الحضور الى الاستانة ليتقلد الولاية من يد الحضرة السلطانية وغير ذلك من القيود وتاريخ هذا الفرمان ٢١ ذى القعدة من سنة ١٢٥٦ هـ (١٣ فبراير ١٨٤١ م)

ولما عادت الدونمنا العثمانية هرب فيها بعض ضباط من بحرية مصر منهم سليمان قبودان الرودسلى وبصدور هذا الفرمان وتسليم الدونمنا انقشعت تلك الغيوم وخضعت الحكومة المصرية لمتبوعها الافخم وسلطانها الاعظم وعادت الروابط الى ما كانت عليها من قبل وانتهت المشكلة الشامية

قوة محمد على باشا العسكرية فى العهد المذكور - أجمع كل الذين تكلموا عن جنود مصر أثناء تلك الحوادث انها بلغت سنة ١٨٣٩ م ٢٧٦،٦١٦ جنديا [1] وبلغ ما كان يصرف عليهم ٣٣،٥١١،٥٠٠ من الفرنكات ومن الاعمال العسكرية التى أوجدها المرحوم محمد على باشا أيضا الاستحكامات العديدة التى شيدها بانحاء مصر تحت مراقبة المهندس الفرنسوى مسيو جليس بك ووضعت فيها المدافع والآلات الكافية ورتبت لها الجنود اللازمة وسنت لها القوانين والنظامات حتى أصبحت البلاد فى منعة كافية لمقاومة من يقصدها بسوء

الشاهانية ولا يسوغ لوالى مصر أن ينشئ من الآن فصاعدا سفنا حربية الا باذننا الخصوصى وحيث ان الامتياز المعطى بوراثة ولاية مصر خاضع للشروط الموضحة أعلاه فعدم تنفيذ أحد هذه الشروط موجب لابطال هذا الامتياز والغايه فى الحال وبناء على ذلك قد أصدرنا خطنا هذا الشريف الملوكى كى تقدروا أنتم وأولادكم قدر احساننا الشاهانى فتعتنون كل الاعتناء باتمام الشروط المقررة فيه وتحمون أهالى مصر من كل فعل اكراهى وتكفلون أمنيتهم وسعادتهم مع الحذر من مخالفة أوامرنا الملوكية واخبار بابنا العالى عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المعهودة لولايتها الكم اهـ قاموس القضاء والادارة

ثم صدر فرمان آخر فى التاريخ المذكور عهد به لمحمد على باشا والى مصر ولاية مقاطعات النوبة ودارفور وكردفان وسنار وجميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر ولكن بغير حق التوارث وبعض شروط أخرى

ثم صدر فرمان آخر بتاريخ غرة يونيو سنة ١٨٤١ يؤيد فرمان الامتياز والوراثة السابق ذكره ومنح والى مصر فيه أن يرقى الضابطان البرية والبحرية حتى رتبة أميرالاى أما الترقى لما فوق هذه الرتبة فيطلب من الذات الشاهانية لتصدر بذلك أوامرها الملوكية بمنح الرتب

(١) منها ألاى غارديا كان فى حمص رجاله ١٣٧٢ نفرا وألاى طوبجية بياده فى الاسكندرية كان به ٢٣٤٩ نفرا وألاى ثانى طوبجيه بياده به ١٩٤٦ نفرا وألاى طوبجية سوارى فى حمص ٩٢٢ نفرا وأربع بلوكات طوبجية متفرقة فى عكا ٣٣٧ نفرا وأورطة طوبجية فى الحجاز ٣٧٩ نفرا وألايات البياده الغارديا كان بها ٨١٢٨ نفرا وألاى غارديا سوارى به ٧٩٦ نفرا وألاى زرخ ٨٤٤ نفرا مجموعهم ١٧١٧٦ نفرا أما عساكر البيادة فكانت ٣٥ ألايا بها من العساكر ٩٠،٤٩٥ نفرا و ١٥ ألاى سوارى بها ١٠١١٤ نفرا وأربع أورط امدادية فى القاهرة بها ٣٩٨٠ نفرا وألايين بلطجيه فى عكا بهما ٨١٢ نفرا وأورطه مهندسون فى عدايب بها ٧٥٨ وأورطة بلطجية فى الاسكندرية بها ٨٠٨ أنفار وبلوك لغمجية فى القاهرة به ٩٤ نفرا و ١٦ بلكا موزعة فى الاقاليم بها ١٦٧١ نفرا وعساكر خفر القاهرة ٢٨٥ نفرا وعساكر جبجية بمصر القديمة ١٨٥ نفرا وألاى المدرسة العسكرية ١١٥٢ نفرا وأورطة امدادية بطرابلس بها ١٦٤١ نفرا وأورطة بدنقلة بها ٨٥٥ نفرا وبلوكين إمدادية بالحجاز بهما ٢٠٠ نفر وكذا بلوك من حاملى القرابانات به ١٠٦ أنفار فمجموع العساكر المنتظمة التى كانت تحت السلاح اذ ذاك خلاف الرديف على ما ذكره كلوت بك فى تاريخه ١٣٠،٣٠٢ ومجموع رجال الباشبوزق ٤١،٦٧٨ نفرا وعساكر الرديف والعربان الذين كانوا بمصر والاسكندرية ودمياط ورشيد وبولاق ٤٧،٨٠٠ نفر وكان بمدارس الطوبجية والسوارى والبيادة والبحرية ١٢٠٠ تلميذ وكان بالورش ١٥٠٠٠ عامل الجميع ٢٣٥،٩٨٠ نفرا واذا أضيف اليهم جنود الدونمنا المصرية البالغ عددهم ١٩،٥٣٩ نفرا وجنود الدونمنا العثمانية التى سلمت لمحمد على باشا البالغ افرادها ٢١،١٠٧ كان الجميع ٢٧٦،٦١٦ نفرا

ولما كان من الهبات الالهية التي وهبها الله لمحمد علي باشا معرفته قدر المعارف مع عدم ممارسته لها أرسل في سنة ١٢٦٠ ﻫ أنجاله الى باريس ومعهم سبعون طالبا وأنشأ لهم هناك مدرسة مستقلة ليتعلموا بعد اتمام دروس هذه المدرسة الفنون العسكرية وغيرها ولم تزل الارساليات تذهب الى فرانسا ثم تحضر الى مصر وينتظم طلابها في الادارات العسكرية والاعمال الهندسية كانشاء المباني والترع والقناطر والحصون وادارة المصانع والمعامل المختلفة مثل معامل الزيوت والصابون والشمع والعطريات وتكرير السكر والاسلحة النارية والبيضاء والحياكة والتجليد وصناعة الورق وغير ذلك مما يطول تعداده وقد شرح ذلك كله المسيو بريكالده الطلياني في تقرير حرره بهذا الخصوص

القوة البحرية في عهد محمد علي باشا — سبق القول في المقدمة وعند الكلام على تجديد الدونمنا المصرية وإنشاء دار صناعة الاسكندرية بما كان للمرحوم المشار اليه من العناية في ذلك حتى أصبحت أساطيل مصر كأعظم ما يكون ولما مات الاميرال الثاني بسيون بك الفرنسوي تولى بعده الموسيو هوسار بك (Haussar) وكان استقدمه محمد علي باشا لتعليم ولده الأمير محمد سعيد باشا الفنون البحرية ولما أحرز سعيد باشا من ذلك نصيبا تعين قبودانا على قرويت دمنهور برتبة صاغقول أغاسي وجعل في معيته الموسيو كنيك واليوزباشية عرفان قبودان (صار أخيرا باشا وتوفي) وذو الفقار قبودان (وهو ذو الفقار باشا ناظر الخارجية سابقا) والمرحوم والدي سرهنك قبودان بوظيفة مفردات (١٢٥٦ ﻫ) ولما توفي مصطفى مطوش باشا سر عسكر الدونمنا المصرية [1] بعد ذلك بسنتين نصب محمد علي باشا ولده محمد سعيد باشا مكانه سر عسكرا عاما على الدونمنا المصرية وسوار يا للغليون المسمى بني سويف وصار هوسار بك المذكور أميرالا ثانيا ومعه اليوزباشي منويلي (Manueli) مترجما له وكان أغلب رؤساء الدونمنا يوظفون في ذلك الوقت في مصالح دار الصناعة مدة اقامة الدونمنا في ميناء الاسكندرية وأمر محمد علي باشا اذ ذاك بعمل حوض في الترسانة وأحال هذا العمل على مظهر باشا وبهجت باشا وكانا قدماحد يثامن أوروبا وضم اليهما لينان بك ثم موجيل بك وهو الذي قام بانشاء الحوض المذكور وكان تمامه سنة ١٢٦٠ وعاد هذا العمل على سفن مصر والسفن الاجنبية بالفوائد العظيمة وفي هذا الوقت استعملت الجنازير والسلاسل في السفن المصرية بدل الاحبال (١٢٥٧ ﻫ) فترقت بذلك حالة السفن وقد عثرت على أسماء سفن مصر ومقاساتها وأبعادها في الوقت المذكور محررة بيد المرحوم حسن باشا الاسكندراني عند ولده صاحب السعادة محسن باشا فأوردتها هنا كالآتي اتماما للفائدة

(١) مصطفى مطوش باشا هذا أصله من قوله وكانت صناعته قبودانا بالمراكب الشراعية التجارية ولما قدم الى الديار المصرية استخدمه محمد علي باشا في دونمته وكان يثق به ويعلم مقدار معارفه البحرية فجعله كوكيل للدونمنا التي بعث بها لمساعدة الدولة في حرب مورة (١٢٣٦ ﻫ) وحضر واقعة ناوارين (١٢٤٣ ﻫ) ثم جعل رئيس اميرالا للدونمنا التي أرسلت لضرب عكا تحت قيادة عثمان نور الدين باشا (١٢٤٧ ﻫ) ثم جعله محمد علي باشا سر عسكرا على الدونمنا المصرية بدلا عن عثمان باشا (١٢٤٩ ﻫ) وكان لصاحب الترجمة ولدان أحدهما يسمى صفر بك والآخر صالح بك فألحقهما محمد علي باشا في المدارس الحربية واستخدمهما في الدونمنا وزوج صاحب الترجمة ولده صالح بك بابنة المرحوم حسين باشا والي الجزائر الذي اتخذ الاسكندرية دار اقامة بعد احتلال فرانسا البلاد وقد بقي صاحب الترجمة رئيسا على الدونمنا المصرية الى أن توفي سنة ١٢٥٦ ﻫ

سفن

(سفن الغليون المعروفة بالقباق)

أسماء قبودانها زمن سرعسكرية سعيد باشا	أسماء السفن	نمرتها	جهة انشائها	تاريخ نزولها البحر	الطول من القائم الى القائم	مقدار الجزء الداخل بالماء من المؤخر	مقدار الجزء الداخل بالماء من المقدم	ارتفاع مابين ٢ جى بطريه الى الكوكرته	ارتفاع مابين ١ جى بطريه الى ٢ جى بطريه	ارتفاع مابين القرينة الى ١ جى بطريه	عرض البطارية الاولى	طول القرينة	ارتفاع البوردو من الكوكرته	عدد وعيارات المدافع: الكوكرته		٢ جى بطريه		١ جى بطريه		جملة المدافع	الطائفة
				سنة	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	اقه	عدد	اقه	عدد	اقه	عدد	عدد	نفر
بوزجه اطه لى خليل بك	المحلة الكبرى	١	اسكندرية	١٢٤٦	٢٠٠٫٠	٢٣٫٠	٢٢٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٥٫٩	٤٨٫٦	١٧١٫٣	٤٫٦	١٢	٣٢	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٠٠	١٠٣٤
طاهر قبودان	المنصورة	٢	»	١٢٤٦	٢٠٠٫٠	٢٣٫٠	٢٢٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٥٫٩	٤٨٫٦	١٧١٫٣	٤٫٦	١٢	٣٢	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٠٠	١٠٣٤
جركس محمود قبودان	الاسكندرية	٣	»	١٢٤٧	٢٠٢٫٠	٢٣٫٠	٢٢٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٥٫٩	٤٨٫٦	١٧١٫٣	٤٫٦	١٢	٣٢	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٠٠	١٠٣٤
حافظ خليل قبودان	أبي قير	٤	»	١٢٤٧	١٨٦٫٠	٢١٫٠	٢٠٫٠	٧٫٠	٧٫٠	٢٣٫٠	٤٥٫٦	١٦١٫٠	٤٫٦	١٢	٣٤	١٢	٣٠	١٢	٣٠	٨٤	٧٢٦
شنان قبودان	مصر	٥	»	١٢٤٨	٢١٢٫٠	٢٤٫٦	٢٣٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٦٫٠	٥٠٫٠	١٧٧٫٦	٤٫٦	١٢	٣٤	١٢	٣٦	١٢	٣٦	١٠٦	١٠٩٧
عثمان بك قاح	عكاء	٦	»	١٢٤٨	٢١٢٫٠	٢٤٫٦	٢٣٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٦٫٠	٥٠٫٠	١٧٧٫٦	٤٫٦	١٢	٣٤	١٢	٣٦	١٢	٣٦	١٠٦	١١٤٨
عثمان نوتى بك	حمص	٧	»	١٢٤٩	٢٠٢٫٠	٢٣٫٠	٢٢٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٥٫٩	٤٨٫٦	١٧٧٫٣	٤٫٦	١٢	٣٢	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٠٠	١٠٣٤
حسين شيرين بك	بيلان	٨	»	١٢٥٠	١٩٥٫٠	٢١٫٦	٢٠٫٦	٧٫٠	٧٫١	٢٤٫٠	٤٧٫٠	١٦٧٫٠	٤٫٦	١٢	٢٦	١٢	٣٠	١٢	٣٠	٨٦	٩٠٠
ازميرلى محمد قبودان	حلب	٩	»	١٢٥٣	٢٠٣٫٠	٢٣٫٠	٢٢٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٥٫٩	٤٨٫٦	١٧١٫٣	٤٫٦	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٠٠	١٠٣٤
عبد اللطيف بك	الفيوم	١٠	»	١٢٥٤	٢٠٢٫٠	٢٣٫٠	٢٢٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٥٫٩	٤٨٫٦	١٧١٫٠	٤٫٦	١٢	٣٢	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٠٠	١٠٣٤
الامير محمد سعيد باشا	بنى سويف	١١	»	١٢٥٤	٢٠٠	٢٣٫٠	٢٢٫٠	٧٫٠	٧٫١	٢٥٫٩	٤٨٫٦	١٧١٫٠	٤٫٦	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٢	٣٤	١٠٢	١٠٣٤
حرق قبل اتمامه كما سيذكر	دمشق	١٢	»	....	....	....	....	....	....	....	....	....	..	..	..	..	..	..	..	..	....

الفرقاطـــة والقرويت

الطاقفة	جملة المدافع	عدد وعيار المدافع: الحي بطاريه		عدد وعيار المدافع: الكوكرته		طول القرينة	عرض الطارية	ارتفاع ما بين القرينة الى الطارية	ارتفاع ما بين الطارية الى الكوكرته	من الكوكرته الى أعلى البوردو	مقدار الجزء الداخل في الماء من القدم	مقدار الجزء الداخل في الماء من المؤخر	طول السفينة من القائم للقائم	تاريخ انزالها البحر	جهة انشائها	نوعها	أسماء السفن	أسماء القبودانات
نفر	عدد	عدد	اقه	عدد	اقه	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	سنة				
٥٥٨	٦٤	٣٢	١٢	٣٢	٩	١٥٨٫٦	٤٥٫٠	٢٢٫٥	٧٫٠	٤٫٦	١٥٫٠	٢٠٫٠	١٨٣٫٠	١٢٥٢	اسكندرية	فرقاطه	منوف	عثمان نوري قبودان
٤٧٠	٥٦	٢٨	١١	٢٨	٧	١٣٥٫٠	٣٦٫٦	٢١٫٠	٦٫٦	٤٫٦	١٨٫٠	١٩٫٣	١٥٠٫٠	١٢٤٥	اسكندرية	»	دمياط	محمد هدايت قبودان
٥١٠	٦٠	٣٠	١٤	٣٠	١٤	١٤٣٫٠	٤١٫٠	٢١٫٠	٦٫٩	٤٫٦	١٨٫٠	١٩٫٠	١٦٤٫٠	١٢٤٤	تريسته	»	رشيد	السيد علي قبودان
	٦٠	٣٠	١٢	٣٠	١٢	١٤٦٫٠	٤١٫٥	٢١٫٥	٦٫٨	٤٫٦	١٧٫٥	١٩٫٢	١٤٥٫٠	١٢٤٠	ليفورن	»	الجعفريه	رغمه لي أحمد قبودان
٥١٠	٦٠	٣٠	١١	٣٠	١١	١٤٠٫٠	٣٩٫٦	١٨٫٠	٦٫٩	٤٫٢	١٥٫٠	١٩٫٠	١٦٢٫٠	١٢٤٢	ليفورن	»	شيرجهاد	نوري قبودان بك
٥١٠	٦٠	٣٠	١١	٣٠	١١	١٤٤٫٠	٣٩	٢١٫٠	٦٫٧	٤٫٦	١٨٫٦	١٦٫٢	١٦٧٫٠	١٢٤٥	تريسته	»	البحيرة	كاور خو رشيد قبودان
							عرض الكوكرته	ارتفاع من القرينة الى الكوكرته										
١٨٦	٢٨			٢٨	١٢	١١٦٫٠	٣٢٫٠	١٧٫٠		٤٫٢	١٤٫٦	١٧٫٣	١٣٠٫٠	١٢٤٦	اسكندرية	قرويت	طنطا	دلي خسرو قبودان
١٨٦	٢٦			٢٦	١٢	١٢٩٫٠	٣٩٫٠	١٩٫٣		٥٫٧	١٦٫٣	١٦٫٥	١٤٨٫٠	١٢٥٤	اسكندرية	»	دمنهور	مرجان قبودان
	٢٨			٢٨	١٢	١١٨٫٠	٣٣٫٠	١٧٫٥		٤٫٥	١٥٫٠	١٣٫٦	١٣٠٫٠	١٢٣٦	جزائر الغرب	»	واسطة جهاد	دلي محمد خورشيد قبودان
١٨٥	٢٤			٢٤	٧	١٢٣	٣١٫٦	١٧٫٦		٤٫٦	١٣٫٦	١٣٫٦	١٣٠٫٠	١٢٣٨	جنوه	»	جناح بحري	زنبيل قبودان (وكانت معدة لتعليم التلامذة)
١٨٥	٢٤			٢٤	٧	١٠٣٫٤	٢٧٫٩	١٤٫٣		٥٫٠	١٣٫٦	١٣٫٦	١٠٩٫٠	١٢٤٣	مرسيليا	»	بلنك جهاد	
٢٠٠	٣٠			٣٠	٧	١٢٨٫٥	٣٢٫٠	١٨٫٥		٥٫٨	١٥٫٦	١٦٫٦	١٣٥٫٠	١٢٤٢	»	»	رهبر جهاد	علي رشيد قبودان
٣٠٠	٤٥			٤٥	١٢	١٣٠٫٠	٣٩	١٩٫٤		٥٫٧	١٦٫٥	١٧٫٥	١٤٠٫٠	١٢٤٠	تريسته	»	بومبه	بيجان قبودان

القراويت والاباريق والكواتر

الطائفة	جملة المدافع	عدد وعيار المدافع		طول القرينة	عرض الكوكرته	ارتفاع مابين القرينة والكوكرته	ارتفاع البوردو	مقدار الجزء الذى فى الماء من المقدم	مقدار الجزء الذى فى الماء من المؤخر	الطول من القائم للقائم	تاريخ انزالها البحر	جهة انشائها	أسماء السفن	نوعها	أسماء قبودانها
نفرات	عدد	عدد	أقه	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	سنة				
١٨٥	٢٤	٢٤	٧	١١٦٫٠	٣١٫٣	١٥٫٦	٤٫٦	١٤٫٠	١٣٫٠	١٢٤٫٠	١٢٤١	جنوه	جهاد بيكر	قرويت	حسن أباظه قبودان
٠٠٠	٢٤	٢٤	٧	١١٨٫٠	٣١٫٥	١٦٫٠	٤٫٦	١٤٫٥	١٤٫٠	١٢٥٫٠	١٢٣٨	اسكندرية	فوه	قرويت	مرجان قبودان
١٨١	٢٤	٢٤	٧	١١٧٫٠	٣٠٫٥	١٥٫٠	٤٫٦	١٤٫٠	١٣٫٠	١٢٤٫٠	١٢٤١	اسكندرية	شاهد جهاد	قرويت	ابرهيم قبودان
٨٩	٨١	١٨	٧	٩٥٫٥	٢٦٫٦	١٣٫٠	٤٫٦	١٠٫٠	١١٫٠	١٠٠٫٠	١٢٤١	مرسيليا	ممند جهاد	أبريق	أحمد شاهين قبودان
٨٩	٢٤	٢٤	٧	١١٠٫٠	٣١٫٠	١٥٫٥	٤٫٦	١٤٫٠	١٣٫٥	١٢٢٫٠	١٢٣٨	أمريكا	بادئ جهاد	أبريق	٠ ٠ ٠ ٠ ٠
٨٩	١٨	١٨	٧	١٠٩٫٥	٢٦٫٠	١٣	٤٫٦	١١٫٠	١١٫٠	١٢١	١٢٣٩	٠٠٠٠٠٠٠٠	غزة ٢	أبريق	الياس قبودان
٨٨	١٨	١٨	٧	٩٥٫٢	٢٦٫٠	١٣٫٠	٤٫٦	٨٫٠	١٠٫٠	٩٩٫٠	١٢٤١	مرسيليا	شهباز جهاد	أبريق	حسن الارنؤد قبودان
٠٠	٢٤	٢٤	٧	١٠٥٫٦	٢٦٫٠	١٢٫٦	٤٫٠	٨٫٠	١١٫٠	١١٠٫٠	١٢٤٤	ليفورن	صاعقة	غولت	طاهر قبودان
٨٨	١٦	١٦	٥	٩٨٫٠	٢٦٫٠	١٢٫١٠	٤٫٠	٨٫٠	١١٫٠	١٠٣٫٠	١٢٤٢	مرسيليا	تمساح	غولت	٠ ٠ ٠ ٠ ٠
٥٢	١٢	١٢	٢	٦٩٫٥	١٣٫٠	١٠٫٥	٢٫٦	٨٫٣	١٠٫٣	٧٨٫٠	١٢٥٤	اسكندرية	غولت جديد	كوترغرة ٢	مرهنك قبودان
٥٢	٠٦	٠٦	درهم ٣٠	٦٥٫٠	٠٧٫٠	٢٣٫٤	٤٫٠	١٠٫٣	١٢٫١	١٧٥٫٠	١٢٥٠	انكلتره	النيل	فرقاطة تجارية	٠٠ ٠ ٠ ٠ ٠

وتتبع هذه السفن ثلاث بواخر أخرى وهى وابور برواز بحرى صنع سنة ١٢٦٦ ووابور أسيوط سنة ١٢٦٢ ووابور جيلان بحرى سنة ١٢٦٥ ووابور الشرقية وهى فيما بعد بفرقتين مخبر سى ورصنع سنة ١٢٦٤ ثم ركبت آلاته بلندره ووابور رشيد وهو قرويت صنع سنة ١٢٦٢ وسفائن التجارة الاميرية وهى سفن المنقل وغيرها ولم تكن ضباط هذه السفن وقبودانها تبقى فى سفينة واحدة بل كانت تنتقل من سفينة الى أخرى بحسب الترقيات وظروف الاحوال وغير ذلك كما هو معلوم

ولما كان المرحوم محمد على باشا يهتم بمجاراة أروبا فى أعمالها الحربية والتجارية وظهر استعمال البخار فى سفنها أمر دار الصناعة بعمل بواخر حربية فشيدوا له فى زمن قليل بعض البواخر منها النيل وأسيوط ورشيد وجيلان خصصها للسفر على التوالى ما بين الاسكندرية والاستانة بريدا يمر على بعض الموانى العثمانية وجعل لها ادارة خاصة سماها بالقومبانية المصرية (١٢٦٤ هـ)

ولما انتظم سيرها عادت منها منافع ومكاسب كبيرة ثم لما أتمت دار الصناعة إنشاء فرقاطة الشرقية أمر فأرسلت الى انكلترة لتركيب آلاتها البخارية وكلف بذلك ناظر الترسانة وقتئذ محمد بك راغب المعروف بالاستانبولى وأرسل معه ٢١ نجارا من دار الصناعة ليتقنوا صناعتهم هناك مدة تركيب آلات الفرقاطة المذكورة وكانت قوة الآلات المذكورة تقدر بقوة ٥٥٠ حصانا ثم عادت فى السنة المذكورة وفى هذه السنة تعين خسرو بك الذى كان ناظرا لشون الغلال باسكندرية وكيلا لتفتيش الدونمنا وأعيد حسين شيرين بك لغليون بيلان وتعين القائمقام البحرى محمد رشيد بك متعهد السنبلاوين ناظرا لسفائن التجارة الاميرية بدلا عن محمد قراقيش قبودان الذى نقل الى الترسانة ثم جعل رشيد بك مفتشا للدونمنا والحاصل ان الاصلاحات التى أدخلها العزيز بدار الصناعة وكذا عنايته الموجهة لتقدم البحرية جعلاها فى درجة عظيمة جدا قال المرحوم الشيخ خليل بن أحمد الرجبى الشافعى الشاذلى فى تاريخه الذى ألفه عن أعمال الوزير محمد على باشا ما ملخصه ان السفن التى صنعها باسكندرية هى مراكب بكل غرض وافية منها مراكب الحرب الشهيرة وما بها من العساكر والميرة مشحونة بآلات الحرب والقتال مملوءة بالجبخانات وكل ما لزم لوقت النزال فله أيده الله من الغلايين العظام ما يسر الناظر ويشرح الصدور ويريح الخاطر والفرقطون الذى أنشأه باسكندرية قد احتوى على كل معنى رقيق فى الصناعة البهية كامل المعانى محكم المبانى متين الى الغاية جميل السير فى اللجج به من آلات الحرب وعدد الطعن والضرب من البارود والمكاحل والبنب والمدفع الذى هو اصد العدو كافل ثم انه بعد تمامه واحكامه وانتظامه أرسله الى جهة الانكليز فصفحوه من سائر جوانبه بالنحاس وحذوه بذلك استجلابا بالخاطر نحوهم وطلبا للتودد اليه دون الناس فأتموا صناعة ذلك الفرقطون الكبير وبقى كل قابودان اليه بالتعظيم والاجلال يشير وله غير ذلك من المراكب الجليلة المقدار التى بلغت غاية الاكثار والاشتهار ما يقارب الستين وأما النقائر والمعلى منها فشئ كثير والامر فيه بادشهير وحاصل الامر أن المراكب الحربية الكبار مع الاواسط والصغار بالسوية نحو مائة مستعدة كاملة الادوات والعدة فهى زينة للنظار وبهجة للابصار وصادة للاعداء من الفجار قولا معروفا بغير انكار وقد ظهر للعيان واشتهر عند جميع العامة والاعيان ما صنعه من الهمة الكبيرة والقوة والحماسة الشهيرة من ارساله تلك المراكب مشحونة بالابطال ملآنة بالذخائر من سائر المأكولات وأنواع الغلال والارز والاسمان والزيتون والزيت والاجبان والبن وجميع ما يلزم لطول الازمان مع البارود والجبخانات ما كثر جدا وازداد معناه وتوجيه ذلك كله الى مدائن اقليم كريد نحو كندياوخانيا وغيرها حرصا عليهم من كيد كل عنيد وذلك فى وقت هيجان الروم وخروجهم ونقضهم طاعة الخليفة وشقاق علوجهم فأرسل حضرة الصدر العلى صاحب العز والفخر الجلى أتباعه وامراءه بصحبهم إشراقه حسن باشا طاهر عليه الرحمة والرضوان وأفاض على برزخه محاسن

تلك

تلك المآثر ولم يزل حضرة الصدر العلى كل وقت يمدهم بالرجال والذخائر مالا يحصيه كتب ولا دفاتر ولولم يكن منه وفقه الله هذا الصنيع لتملكت الروم مدائن الجريد وحل بالمؤمنين هنالك الهول الشديد وكذلك فعل أيضا بناحية جزيرة قبرس المعلومة فأرسل هنالك عساكره مثل ماصنع بالجريد فهى من الروم مأمونة فلله در ذلك الصدر كامل المجد عالى القدر فقد صرف على هذه المآثر مالا يحصى من النقود الخارجة عن الحد لقمع كل عدو ثائر فأطال الله بقاءه عريق الفخار ولا برح محاطا بالعناية حامى الديار وقد خرجت عدة المراكب وآلات البحرية الحربية والنيلية عن الحسبان فانها جاوزت الالوف هذا كله مشاهد ومعروف اه وقد بلغ عدد تلامذة المدرسة البحرية فى سنة ١٢٦٣ هجرية ٢٣١ تلميذا

سفر المرحوم ابراهيم باشا لاوروبا — قد كان ألم بابراهيم باشا مرض باطنى فأشار عليه الاطباء بزيارة أوروبا تبديلا للهواء وترويحا للنفس فسافر فى شهر ستمبر سنة ١٨٤٥ م (القعدة ١٢٦٣ هـ) على باخرة فرنسويه تدعى كرو وكان يصحبه فى سفره هذا الجنرال سليمان باشا الفرنسوى ومحمد بك قفطان أغاسى والموسيو بونفور ترجمان محمد على باشا والموسيو فرنك حكيم باشى فقصد اولا حمامات بلدة سان جنايو من ايطاليا ثم سار منها الى فلورنسه وليفورن وجنوه وسافر من هنالك على احدى السفن الحربية الى طولون فقوبل هنالك بالاحترام وأطلقت له السفن الراسية هنالك المدافع وقابله المركيز دى لافاليت من قبل ملك فرانسا وكثير من قواد الاساطيل ومحافظ المدينة ثم قصد مرسيليا وبعد ان زار جميع معاملها واستعرضت امامه الجيوش الفرنسويه سافر الى بلدة فرنيه الواقعة على جبال البرانس الفاصلة لفرانسا عن اسبانيا للاستحمام بمياهها ثم قصد باريس فقوبل بها أحسن مقابلة وزار سراى الانفاليد وحيا فيها رجال الحرب والمتقاعدين ثم زار قبر نابليون الاول وبعد ان أقام بباريس أياما سافر الى انكلترة عن طريق ديب وبورتسموث فقابله الاميرال تشارلس أوجل من طرف الحكومة ثم سافر الى لندن (يونيه ١٨٤٦ م) فقابلته الملكة فكتوريا بالترحاب وشاهد كثيرا من جهات برطانية ودور صناعتها ومعاملها ثم عاد من فرضة جسيرت على باخرة انكليزية تسمى افنجر عن طريق جبل طارق وأحضر معه عدة مهندسين لاستخدامهم فى المعامل والفبريقات التى أنشئت فى الديار المصرية وعرج عند عودته على اشبونه وقادس ومالطة ثم وصل الى الاسكندرية يوم ١٣ جمادى الاولى سنة ١٢٦٤ هـ (٢٣ أغسطس ١٨٤٦ م) وقابله هنالك سر عسكر الدونما أخوه سعيد باشا وجميع قناصل الدول الاجنبية هذا أما المرحوم محمد على باشا فكان ذهب فى شهر يوليو من السنة المذكورة الى دار الخلافة لتقديم فرائض الطاعة للحضرة الشاهانية وليظهر لاوروبا حسن نيته واخلاص طويته لمجا الخلافة العظمى ويزيل من فكر رجال الدولة ما كان علق به من سوء الظن به فقوبل بمقابلة حسنة ثم عاد الى مصر فى يوم ٤ أغسطس من السنة المذكورة وبعد ذلك بسنة أى فى سنة ١٨٤٧ م ظهر الوباء فى القطر المصرى فأشار الاطباء على ابراهيم باشا بالسفر ثانية الى مالطة وايتاليا فأقلع فى ٩ اكتوبر ثم سافر محمد على باشا بعده أيضا الى مالطه ومنها الى نابلى لما أصابه من المرض ولمقابلة ولده ولما كان هنالك بلغه خبر قيام أهالى فرانسا بالثورة على ملكهم لويز فليب

(Louis-Philippe) وخلعهم اياه ومناداتهم بالجهورية فتكدر من ذلك لما كان بين الاثنين من تمام الارتباط والمودة ثم ازداد عليه المرض وتوالى الضعف على قواه العقلية حتى التزم الاطباء بارجاعه الى القطر المصرى فعاد الى الاسكندرية فى أواخر مارث من سنة ١٨٤٨ وحضر بعده نجله ابراهيم باشا وأقام محمد على باشا بسراى رأس التين ومعه أمهر الأطباء لتمريضه والقيام بأمره أما ابراهيم باشا فعاد الى القاهرة وعقد ديوانا تحت رئاسته لادارة أحوال الحكومة مدة مرض والده وأخبر بذلك الباب العالى الذى أرسل فى ١٥ يوليه من السنة المذكورة فرمانا مع أحد رجال الدولة المسمى مطلوب افندى بتولية ابراهيم باشا مكان والده الى أن يتم شفاؤه

﴿ ابراهيم باشا ابن محمد على باشا ﴾

(من ١٨ شعبان الى ١٣ الحجة من سنة ١٢٦٤)

لما ضعفت قوى محمد على باشا العقلية من الشيخوخة واعتزل الاعمال معتكفا بسراى رأس التين وتقلد ولده ابراهيم باشا أمر مصر بالنيابة عنه سافر مع المندوب السلطانى المذكور الى الاستانة فى ٧ رمضان من سنة ١٢٦٤ على غليون بنى سويف وكان قبودانه حسين بك شرين للمثول امام الحضرة السلطانية واستلام فرمان الولاية وكان يصحبه فى سفره هذا كامل باشا زوج أخته وأمير اللواء أدهم بك مدير ديوان المدارس وحسن بك حيدر وكان يخفره سفينتان حربيتان مصريتان هما غولت جديد وقبودانها المرحوم والدى وسمند جهاد قبودانه الياس قبودان [1] ولما وصل الى رودس حملته الى الاستانة سفينة حربية عثمانية تدعى المحمودية وبعد ان نال الفرمان السلطانى عاد الى مصر وقرئ الفرمان باحتفال فى ديوان الغورى بالقلعة (٢٧ شوال سنة ١٢٦٤ هـ) وقد فرح الناس بذلك خصوصا الجنود لما كانوا يأملونه فيه من الخير وقد اهتم المرحوم ابراهيم باشا من أول ولايته بالاصلاحات فأتم استحكامات السواحل على الصفة التى أسسها عليها والده وشحنها بالعساكر والاسلحة وآلات القتال وتفقد بنفسه السواحل المذكورة من اسكندرية الى دمياط ورتب أحوالها بمعرفة جليس بك (Galice) باشمهندس الاستحكامات وفتش وشيد أيضا استحكامات القناطر الخيرية والعطف وأبى حماد ورمبال والعريش والسويس والقصير وما يلزم لحفظ الآبار والعيون بها وورد فى كتاب المسيو جرجى الفرنسوى ان جليس بك وجد وقت اقامة الاستحكامات المذكورة بالاسكندرية وضواحيها ٨٩٦ صهريجا مبنية جميعها بالحجر متصلة كلها ببعضها يأتى اليها الماء من خليج كبير يشق ثغر الاسكندرية ويمتد الى بحيرة مريوط ووجد غير ذلك من الآثار وقد عثرت بين أوراق قديمة من أوراق المرحوم حسن باشا الاسكندرانى مدير

(١) غرقت هذه السفينة فى هذا السفر عند صادمتها الصخور فى مضيق جزيرة ساقز بجوار رأس عيانه يوم ١١ شوال من سنة ١٢٦٤ هـ ونجت طائفتها ومهماتها ومدافعها ثم حوكم ضباطها بالمجلس العسكرى البحرى فحكم على قبودانها بالعزل لمدة سنتين مع انزاله ثلاث درجات وعلى محمد قبودان والملازم محمد قبودان من ضباطها بالسجن فى الليمان لمدة ثلاث سنوات وصدق ابراهيم باشا على الحكم اهـ من جريدة الوقائع المصرية سنة ١٢٦٤

دار الصناعة فى سنة ١٢٦٤ على كشف مبين لتلك الاستحكامات ومابها من المدافع والذخائر ولفائدته أدرجته هنا كما ترى

مدافع	هوان	جبخانة	أسماء الطوابى	مدافع	هوان	جبخانة	أسماء الطوابى	مدافع	جبخانة	أسماء الطوابى
..	..	..	استحكامات الاسكندرية	٢٠	٢	١	طابية السلمية	..	..	استحكامات رشيد
٥٧	٠٦	٢	طابية الفنار	٤٠	٩	١	طابية المكس	٦	١	طابية التبى
١	..	١	« « الصغيرة	٩	١	١	طابية القمرية	٦	١	« العباسى
٦١	١٢	٣	« التراب	٥٦	٤	٢	طابية أم قبيبه	٥	١	« الطواجنية
١٣	١٠	١	طابية الاسبتالية الجديدة	١٤	١	١	طابية الملاحة القديمة	٣	..	« المزلاوى
٢٥	..	١	« الاسبتالية القديمة	٣٤	١	١	« الملاحة الجديدة	١	..	« محل الشركة
٥٧	٧	٢	« الأطه	١٣	..	٢	طابية صالح اغا	١٤	١	برج رشيد
١١٠	٦	١	قلعة برج الظفر	٨	..	١	طابية باب سدره	١٨	١	قلعة البوغاز
٦	٦	١	طابية ظهر برل الفرنسيس	٩	٢	١	« كوم الدماس	١٠	١	الطابية الشرقية
٨	..	١	طابية المفحمة	..	..	..	استحكامات أبوقير	١٠	١	« الغربية
٩	..	١	طابية مسلة فرعون	٤٨	٣	٢	قلعة أبوقير	..	..	استحكامات البرلس
١٠	..	١	طابية قبور اليهود القديمة	٤٧	٣	١	طابية كوم الشوشه	٦	١	قلعة البرلس
٢٠	..	١	« قبور اليهود الجديدة	٢٤	٢	١	طابية كوم العجوز	..	..	استحكامات دمياط
١٨	١	١	طابية برج السلسلة	١٠	..	١	طابية السدغرة ١	٢٠	١	القلعة القديمة
٦	..	..	طابية باب شرقى	١٠	..	١	« السدغرة ٢	١٠	١	الطابية الشرقية
١٠	١	١	طابية كوم الناظورة	١٠	..	١	« السدغرة ٣	١٠	١	الطابية الغربية
٣	..	١	طابية الدخيلة	١٠	..	١	« السدغرة ٤	..	..	....

وأمر المرحوم ابراهيم باشا أيضا دار صناعة الاسكندرية ببناء ٢٥٠ شالوبة (نوع مدفعية) تحمل كل واحدة منها مدفعين لحفظ البوغازات والاشاتيم وورد فى الوقائع المصرية سنة ١٢٦٤ ان طول الشالوبة الواحدة من الشالوبات المذكورة وهى التى تحمل مدفعا واحدا ٤٨ قدما وعرضها ١٣ قدما وارتفاعها خمسة أقدام وطول الواحدة من التى تحمل مدفعين ٥٨ قدما ونصف قدم وعرضها ١٤ قدما ونصف قدم وارتفاعها خمسة أقدام ونصف قدم وكان رحمه الله مصمما على تخطيط طريق عسكرى من الاسكندرية الى أبى قير ورشيد لسهولة نقل العساكر والآلات الحربية الى تلك الحصون عند الحاجة كما كان مصمما أيضا على ايجاد كثير مما يعود بالمنافع على البلاد وأهلها اذا لم تعاجله منيته (١٣ الحجة من سنة ١٢٦٤) وكان رحمه الله متوسط القامة ممتلئ البدن أشهل العينين مستطيل الوجه والانف حسن الصوت لايهاب الموت شجاعا مقداما اذا بطش واقتدار محبا لعسكره لايميز نفسه عنهم خصوصا فى الاسفار وخلفه بعد وفاته ابن أخيه الحاج عباس حلمى باشا الاول وكان جده يعزه ولذلك اعتنى بتربيته وولاه كثيرا من فروع الحكومة لتدريبه وترشيحه للاحكام

ولذا كان عارفا بالامور واقفا على دقائق أحوالها من قبل الولاية وكان بالاراضى الحجازية لما توفى عمه فجاء مسرعا لاستلام أحكام البلاد

(عباس حلمى باشا الاول ابن طوسون باشا ابن محمد على باشا)

١٢٦٤ - ١٢٧٠ هـ

لما قبض عباس باشا على زمام الولاية المصرية كمنطوق الفرمان السلطانى وجد الامور ممهدة والاحوال موطدة والنظام مستتبا والراحة متوفرة وذلك لحسن الخطة التى اختطها جده وعمه فسار على طريقهما فأحسن سياسته وحافظ على النظام واستتباب الامن والراحة فى البلاد بقطع دابر المفسدين وقطاع الطرقات حتى أمن الناس شرورهم ثم وجه عنايته لتسهيل طرق التجارة فمهد طريق السويس بالحجارة وبذلك سهل سفر العربات عليه كما سهل نقل الامتعة و بريد الهند والصين ثم أمر موجيل بك باشمهندس القناطر الخيرية التى كان انشاؤها وقتئذ قد قارب التمام بعمل ما يلزم لسهولة مرور المراكب التجارية النيلية فصدع بالامر وشكل لذلك لجنة من المهندسين منهم حماد بك وعلى مبارك بك وعلى بك ابراهيم وغيرهم فقر رأيهم على عمل الآلات المسماة بالارغاتات فسهل مرور المراكب من الاهوسة والقناطر وأتم أيضا الاستحكامات والطوابى والقلاع التى كان شرع فى بنائها من قبل رئيس هندسة الاستحكامات جليس بك المذكور وجعل لها الثكنات العسكرية والاسبتاليات وطواحين الهواء والمعامل والمخازن ثم ملأها بالآلات والصناع والمعلمين حتى أصبحت وافية وللمرام كافية وشيد أيضا كثيرا من المبانى والقصور الفاخرة مثل سراى العباسية التى كان يضرب بجمالها المثل وقصرا برأس التين جعله لمجلس التجارة وغير ذلك مما يطول شرحه واستخدم الموسيو ماريت (Auguste Mariette) وكلفه بالبحث عن الآثار القديمة فاكتشف مدافن العجول بسقاره (١٨٥٠ م) وغيرها بعد ذلك ومن هذا الوقت زادت أهمية دار التحف المصرية واشتهرت بين علماء الآثار وعمل فى عصره العالم الفاضل محمود باشا الفلكى أول تقويم أى نتيجة سنوية

وفاة المرحوم محمد على باشا - كانت وفاة المرحوم المشار اليه بسراى رأس التين باسكندرية فى يوم ١٣ رمضان من سنة ١٢٦٥ هـ (٢ أغسطس سنة ١٨٤٩) ونقلت جثته الى القاهرة ودفن بمسجده الذى شيده بالقلعة باحتفال لم يسبق له مثال وقد تكدرت الامة جدا لوفاته لانه هو الذى أنقذ مصر من أيدى الجهل ورفعها بقريحته المتوقدة الذكية وأفكاره العلية الى درجات المدنية وصيرها فى مكان عظيم من الأهمية وكان رحمه الله من أكبر رجال العصر فتاريخ عمله شاهد على درجته

الاعمال العسكرية فى زمن المرحوم عباس باشا - لما جلس عباس باشا على تخت مصر اهتم كثيرا باعلاء شأن القوة العسكرية وكان أول ما أمر به فى ذلك أن جعل أخذ الجنود من كل الطبقات بلا فرق فكل فتى بلغ سنه سن النظام المقرر يطلب للجندية بطريقة تشبه القرعة النظامية

ثم أدخل على نظام الالايات بعض التغييرات فجعل الألاى الواحد خمسة آلاف عسكرى أعنى قدر الاثنين مما كان قبل ثم أوجد فرقا للهجانة لم تكن من قبل بين الجيوش المصرية وجعل أورطتين للمهندسين والكوبريجية عليهم ضباط كان أحضرهم المرحوم عمه ابراهيم باشا من بلاد فرانسا بواسطة الموسيو ساباتيه (Sabatier) قنصل فرانسا بمصر وكان من هؤلاء الضباط الموسيو موتى بك (Motté) الذى صار فيما بعد رئيسا للاستحكامات (١٨٥٦ م) ودو برناردى بك (de Bernardi) وجاك بك (Jacques) الذى صار فيما بعد مأمورا لمعامل الحوض المرصود وغيرهم وقد اتقن هؤلاء الجنود كيفية مد الجسور لعبور الانهر والخلجان وعمل الالغام والحيل العسكرية وقد عاد ذلك على الجيش المصرى بالفوائد وكان عدد الجيوش المصرية فى زمنه كما يأتى ٩٨٫٤١٤ من الرجالة عليهم ٣٤٢٤ ضابطا و ٧٦٠٠ من السوارى عليهم ٤٠٠ ضابط و ٩١٤٩ من الطوبجية عليهم ١٥٤ ضابطا و ٦٧ من ضباط أركان الحرب ونحو ١٣٥ حكيما وجراحا معهم ٨٨ أجزاجيا وتمورجيا كل هذا خلاف عساكر الربمائة المعروفين بالباشبوزوق وكان يبلغ عددهم ٤٣٧٧ وكان يتبع هذا الجيش نحو ١٠٦ من الكتاب الملكيين وغير ذلك

السودان المصرى فى العهد المذكور — لم تمض على جلوس عباس باشا على الاريكة المصرية أيام طويلة حتى دبت عقارب الفتن بينه وبين الامراء من أقاربه وبعض كبار رجال الحكومة الذين خدموا المرحوم جده محمد على باشا الخدم الجليلة ولا يستغرب ذلك فى بلاد لم تألف جيدا بعد معنى الحكومة النظامية والادارات الترتيبية ولا يزال قسم عظيم من سكانها يشتهى عودة الايام الخالية ليسود أمره ويعلو قدمه غير حاسب للايام حسابا ثم ان عباس باشا لما خاف من معانديه ومبغضيه أبعد منهم عن مصر كل من اشتبه فى أمره وكان منهم يوسف كامل باشا صهر المرحوم محمد على باشا وكانى باشا وسامى باشا الكبير وصبحى بك وغيرهم سافروا الى دار الخلافة ونال أكثرهم هناك الوظائف ومنهم أيضا خالد باشا حكمدار السودان الذى انفصل سنة ١٢٦٥ وتعين بدله عبد اللطيف باشا البحرى وفى أيامه أنشئت مدرسة بالخرطوم وعين لها ناظرا رفاعة بك العالم الشهير وكان أبعد أيضا من مصر لاسباب لا نعرفها وقد أحسن عبد اللطيف باشا الادارة فى السودان وأنشأ ديوانا بالخرطوم للحكمدارية وبجانبه مسكنا له ثم فصل سنة ١٢٦٧ هـ ونصب مكانه رستم بك ورقى الى رتبة باشا وكان قبل ذلك رئيسا لمجلس أحكام السودان بالخرطوم ولكن لم تطل أيامه فى الحكمدارية فعاجلته الوفاة فى السنة المذكورة وتعين بعده اسمعيل حقى باشا المشهور بابو جبل وفى مدته هاجم الاحباش جهات القلابات فصدهم بالجيوش المصرية وشتت شملهم ثم فصل وتعين مكانه سليم باشا الخربوطلى وكان مديرا لسنار ولم يمكث طويلا وتعين مكانه على سرى باشا الارنؤدى (١٢٦٩ هـ) ولما لم يحسن التصرف عزل لسنة وتعين مكانه على باشا جركس (١٢٧٠ هـ) وكان لا بأس به فبقى حكمدارا الى أوائل حكم سعيد باشا ولم يلتفت عباس باشا الامر الاكتشافات بالجهات السودانية ولم يرسل لذلك الارساليات كما كان يفعل المرحوم محمد على باشا بل كان ما فعله من ذلك أنه أرسل المسيو دوجوتبرج (De Gottberg)

للنظر فيما به يسهل عبور الشلالات وأمره أيضا بانشاء طرق المواصلات فى الصحراء الشرقية والسبب فى امتناعه من ذلك تخوفه من وفود الاجانب بكثرة الى بلاد مصر

المدارس والمعارف فى عهد عباس باشا — كان من أول أعمال هذا الامير أن أمر باقفال غالب المدارس التى شيدها جده ولم يبق منها الا ١٤ مدرسة وهى مدرسة السوارى بالجيزة ومدرسة الطوبجية بطره ومدرسة البحرية باسكندرية ومدرسة المهندسخانه ببولاق والمكتب العالى بالخانقاه ومدرسة الالسن بالازبكية ومدرسة المبتديان بالسيدة زينب ومدرسة الطب البيطرى بالقاهرة ومدرسه الصنائع ببولاق ومدرسة المبتديان بابى زعبل ومدرسة أسيوط ومكتب الزقازيق ومكتب بوش ومكتب بنى سويف وجعل عبده شكرى باشا مديرا للمدارس بدلا عن أدهم باشا الذى نقل مفتشا للمهمات الحربية ثم لنظارة أوقاف الحرمين (٢٦ ج ١٢٦٦ ﻫ) وليته اكتفى بالغاء ما أقفله من المدارس بل انه بعد ذلك أبطل كثيرا منها وانتقى من بين طلبتها من اتصفوا بالنجاح واللياقة وأدخلهم مدرسة حربية وسماها بالمفروزة وجعلها بالعباسية وأحال على المرحوم على مبارك بك انتقاء المعلمين لها فرتب نظام الدروس فيها واختار ما يليق من كتب التدريس فنجحت نجاحا عظيما وكانت عنايته بهذه المدرسة تفوق الحصر فارتقت بها المعارف فى أول حكمه وكثرت بسببها المؤلفات فى كل فن وطبعت فى المطابع الحربية ونبغ منها رجال خدموا المصالح واشتهروا فى أعمالهم بحسن الادارة ومع ذلك لم يطل عمرها فأصابها الاهمال كما أصاب غيرها لانه رحمه الله أبطل كثيرا من صنوف الجيش فلم يبق منه الا القليل وأبطل أيضا الورش والمعامل للاقتصاد وبذلك أخلى سبيل كثير من معلمى الاوروباويين واجتهد فى اخراجهم جميعا من المملكة ورفض جميع الرخص والمنح التى كانت تعطى لهم ولهذا لم يثن عليه كتابهم فيما كتبوه عنه

الطرق الحديدية بالديار المصرية — سبق الكلام على المساعى التى بذلتها دولة انكلترة لدى جده محمد على باشا بخصوص مد سكة حديدية من القاهرة الى السويس (١٨٣٧ م) لتسهيل نقل بضائع الهند والشرق الاقصى والبريد وكان محمد على باشا أجاب الطلب لما يعود عليه من المنافع فعقد مع احدى الشركات الانكليزية شروطا وبعد ان أحضرت بعض القضبان والآلات تخوف من ذلك فصرف النظر عن هذا الامر بالكلية واستعملت تلك القضبان فى الطريق الذى أنشئ بناحية طره بين الجبل والنيل لنقل الاحجار اللازمة للقناطر الخيرية وبقيت التجارة والبريد الانكليزى يحمل على الجمال كما كان الى القاهرة ثم ينقل الى ثغر الاسكندرية فى سفن النيل ولما تولى عباس باشا سعت انجلترة كثيرا فى مد السكة الحديدية المذكورة وكان الباب العالى يعارض معارضة شديدة ويحدث صعوبات جمة بخصوص انشاء الطرق الحديدية بديار مصر لاسباب منها انه كان يخشى عواقب المداخلات الاوروباوية فى شؤن بلاد كبلاد مصر لا تقوى بعد على الوقوف فى سبيل تداخل أوروبا ومنها ان دولة فرنسا كانت تمانع فى ذلك لان القائم به شركة انجليزية ومع هذا فقد تمكنت انجلترة بما بذلته من المساعى من نوال تصريح الباب العالى فصدر الفرمان السلطانى مصرحا لوالى مصر بذلك وعليه أجاز عباس باشا الشركة الانجليزية مد الطريق الحديدى بين اسكندرية ومصر

وكان

وكان يباشر العمل مهندس انجليزى يدعى استيفنسون (Stephenson) وكان القائم باعمال الطريق المذكور هم العساكر البحرية المصرية

حالة البحرية فى زمن عباس باشا الاول — لما اشتغل عساكر البحرية فى اقامة جسور الطريق الحديدى المذكور حدث من ذلك ان أوقفت جميع السفن الحربية المصرية عن الحركة وربطت بجانب بعضها وتعطلت أيضا أعمال دار الصناعة وسبب ذلك كما يؤكده قوم نفور كان بين المرحوم عباس باشا وبين عمه سعيد باشا الذى كان سر عسكرا للاساطيل المصرية لسعاية الواشين أصحاب المقاصد السافلة الذين نجم عن سعايتهم تعطيل عضو من أهم الاعضاء التى لا تقوم مصر بدونها واستحكمت العداوة بين الاثنين حتى ان عباس باشا بث العيون على سعيد باشا الاخباره بحركاته وسكناته سواء كان بمصر أو فى أباعده وأمر أيضا بتكسير الغليون المسمى بالمنصورة بعد أن تم اصلاحه وتجهيزه (١٢٦٥ هـ) فزاد بعد ذلك الانحطاط فى البحرية وعلم الكل بكراهية الوالى لها ونفوره منها ووقعت العداوة أيضا بين رجالها وأخذوا يدسون الدسائس لبعضهم فخاف الكثيرون سوء المنقلب وارتحل بعضهم الى القسطنطينية مفضلين مهاجرة الاوطان كما سبق فى المقدمة ولما خرج السلطان عبد المجيد خان للسياحة فى جزائر الارخبيل (١٢٦٦ هـ) سافر عباس باشا على باخرة الشرقية الى جزيرة رودس لمقابلة جلالته وهناك قدم الفرقاطة المذكورة هدية فضمت الى العمارة العثمانية وسميت مخبر سرور وفى سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) نالت مسئلة انشاء قنال السويس أهمية عظمى وتحدث بشأنها أرباب السياسة وعين عباس باشا لينان بك ومعه كل من المهندسين سلامة افندى وابراهيم رمضان افندى ومسيو ارنود (Arnaud) لاخذ ميزانية الطريق التى سيفتح فيها القنال المذكور ولما سن السلطان عبد المجيد القانون المسمى بالتنظيمات الخيرية سنة ١٢٦٨ هـ وصار تعميمه بالممالك العثمانية أصدر أمره لوالى مصر بذلك فتوقف عن قبوله فى ابتداء الامر وحصلت أمور يطول شرحها وأخيرا اضطر لان يقبله وكان من نتائجه منع الحكم الاستبدادى فتقيدت الحكومة المصرية به زمنا وكان أمير تونس امتنع أيضا أولا عن قبول تلك التنظيمات ثم نصحه عباس باشا فقبلها كما سبق بالجزء الاول

مساعدة مصر للدولة فى حرب القريم — لما حدث الخلاف بين الدولة العلية العثمانية ودولة الروسيا بخصوص الاراضى المقدسة للاسباب التى سبق ذكرها فى الجزء الاول من هذا الكتاب أصدر السلطان عبد المجيد خان أمر الى عباس باشا الاول يطلب منه ارسال نجدة للجيوش العثمانية كما تقتضيه فرمانات الامتياز فأصدر عباس باشا أمره بذلك (٢٧ رمضان سنة ١٢٦٩ هـ) وبتجهيز الجيوش والاساطيل وكانت وقتئذ دار الصناعة لا عمل فيها فاسرعوا فى جمع العمال والصناع ولما استعدت الاساطيل جعلت تحت قيادة الامير ال حسن باشا الاسكندرانى وجعل مصطفى بك الذى تعين لاصلاح السراى الخديوية بالاستانة وكيلا له وجعل عليها سليم باشا سردارا وكانت النجدة المصرية تتألف من ١٢ بطارية من الطوبجية والاى من السوارى عليهم اللواء جعفر صادق باشا ومن سبعة الايات من المشاة عليهم اللواآت اسمعيل حقى باشا الكردى المعروف بأبى جبل وابراهيم باشا چركس وعلى شكرى باشا ومن ضباطهم

حسين بك جركس وسليمان بك الارنؤد وسليم بك طوپ صدالى وأحمد بك وكانت القوة المذكورة تبلغ ٢٠٠٠٠ مقاتل ولما استعرضهم عباس باشا خطب فيهم مشجعا منهضا الهممهم واعدا متوعدا ثم اقلعوا فى أول شوال من سنة ١٢٦٩ فى سفن العمارة المصرية وكانت تتألف من ثلاثة قباقات بكل واحد منها مائة مدفع ومن أربع فرقاطات بكل واحدة ٦٠ مدفعا ومن ثلاثة قراويت بكل واحد منها ٢٤ مدفعا ومن باخرتين بكل باخرة ١٢ مدفعا وكان من ضباط هذه السفن سنان بك وبوغجه اطه لى خليل بك وعثمان بك بوتى والمرحوم والدى سرهنك قبودان وخورشيد قبودان ومرجان قبودان وأحمد شاهين قبودان ومحمد خورشيد قبودان وزينل قبودان وحسن قبودان الارنؤد وطاهر قبودان وعبد الحميد بك الديار بكرلى وصالح قبودان ولما وصلت هذه القوة الى الاستانة فى منتصف القعدة حضر السر عسكر محمد على باشا والقبودان محمود باشا ومحمد باشا مشير الخاصة الهمايونية واستعرضوا الجيش وعملت لهم مادبة من قبل الحضرة السلطانية ثم سافروا الى حدود الروملى عن طريق وارنه وجعل معظم الجيش المصرى بسلستره وهناك شيد المصريون الحصن الشهير المسمى بطابية العرب وهى التى أمكن بها صد هجوم الروس سنة ١٢٧٠ عند هجومهم عليها تحت قيادة الجنرال مونجيقوف (Montschikoff)

حركات الاساطيل المصرية اثناء الحرب المذكور — لما وصلت الاساطيل المصرية الى دار الحرب قسمها القبودان باشا على فرق الدونما العثمانية فالحق فرقاطة دمياط ووابور بروز بأسطول عثمان باشا وأقلعت معه (١٢٧٠ هـ) قاصدة سينوب وهناك فاجأها الاسطول الروسى مع الاميرال ناشيموف (Nachimof) وهاجمها وأحرقها يوم ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٣ كما تقدم فى تاريخ الدولة واحترقت معه فرقاطة دمياط المذكورة وكانت باخرة بروز وهى عائدة من سينوب لا تعلم شيأ عن خبر دمار الاساطيل العثمانية وقابلتها باخرة حربية روسية فخادعتها برفع علم عثمانى وأخذت تشير اليها بالاشارات البحرية فلما قربت منها أبدلت العلم العثمانى بعلم روسى وأخذت تطلق عليها القنابل بشدة فقابلتها بالمثل الا أن قنبلة روسية أصابت آلتها فعطلتها عن الحركة فأسرها الروس وأخذت الى سواستبول هذا أما باقى السفن المصرية فانضم منها فرقاطتا رشيد وشير جهاد وقر و بتاجناح بحرى و جهاد بيكر وغوليت الصاعقة الى أسطول الدولة المعين للمحافظة على جزائر الارخبيل ثم انضمت الفرقاطتان المذكورتان الى أساطيل البحر الاسود وفى خلال ذلك تعين المرحوم والدى سرهنك بك قبودانا الشير جهاد ورقى الى رتبة البكباشى فاقلع بها الى باطوم ثم اشتركت دولتا انجلترة وفرانسا فى الحرب مساعدة للدولة على الروسيا ودخلت أساطيلهما البحر الاسود كما سبق ذكره بالجزء الاول واشتركت السفن المصرية التى بالبحر الاسود تحت قيادة حسن باشا الاسكندرانى مع سفائن الدول المتفقة فى نقل الجيوش من وارنه الى القريم التى صارت مركزا للاعمال الحربية وبقيت بعد ذلك تقاتل الاعداء مع الاسطول العثمانى الذى كان تحت قيادة الفريق أحمد باشا القيصرلى وفى تلك الاثناء توفى عباس باشا الاول مقتولا فى ١٨ شوال ١٢٧٠ (١٥ مايو ١٨٥٤ م)

قتل عباس باشا الاول وسببه — قال الرواة ان سبب هذه الحادثة هو ان المرحوم

عباس

عباس باشا كانت له حاشية لخدمته الخصوصية يقال لهم أيچ أغاسيه كان أكثرهم حائزا لرتبة قائمقام وكان جعل لرئاستهم أحد غلمانه الاخصاء المسمى خليل درويش بك وعرف فيما بعد بحسين بك الصغير وقد أساء هذا الرئيس معاملة الايچ أغاسيه المذكورين فأطالوا عليه ألسنتهم سيما وانه كان صغير السن وصاروا كلما مر عليهم يرمونه بأقوال قبيحة وألفاظ شائنة فشكاهم الى المرحوم عباس باشا فأمر بجمعهم داخل السراى وأمر حسين بك المذكور بجلدهم ثم جردهم من ثيابهم الرسمية وألبسهم لبدا وزعابيط وأرسلهم لخدمة الخيول بالاسطبلات فعز ذلك على مصطفى باشا خزنه دار عباس باشا لانهم من كبار خشداشينه فسعى بكل جهده لدى الامير ليعفو عنهم فلم يمكنه ولما توجه المرحوم عباس باشا الى قصره فى بنها وكان معه أحمد باشا يكن وابراهيم باشا الالفى ترجاهما الخزندار المذكور فى طلب العفو عن خشداشينه المذكورين فلما التمسا منه ذلك أصدر أمرا بالعفو عنهم وردهم الى مناصبهم كما كانوا ثم ذهبوا جميعا الى بنها ليرفعوا واجب شكرهم للامير ولكنهم أضمروا له السوء لما حصل لهم وأخذوا يدبرون مكيدتهم ثم تواطؤا مع غلام من خدمة السراى يدعى عمر وصفى وكان من عادة المرحوم عباس باشا عند نومه أن يقوم على حراسته اثنان من الغلمان وفى ليلة ١٨ شوال كان القائم بحراسته اثنين يدعى أحدهما شاكرا وكان المتآمرون اتفقوا معهما على الفتك بسيدهم ولما أقبلوا فتحا لهم الباب فدخل الايچ أغاسيه على الامير وهو مستغرق فى نومه ولما أرادوا الفتك به استيقظ وقصد الهرب ولكن الخائن عمر وصفى منعه وأعاده اليهم فتكاثروا عليه وقتلوه وأوعزوا الى الغلامين بالهرب لتتم الحيلة فهربا فى تلك الليلة وكتم الباقون الخبر الى اليوم الثانى ولما لم يستيقظ الامير فى ميعاده دخل عليه أحمد باشا يكن وابراهيم باشا الالفى فوجداه مقتولا فاخفيا الخبر ونقلوا جثته الى القاهرة على عربة هذه هى الرواية التى يتداولها الناس عن موت عباس باشا ويقول بعض الخاصة انه مات فجأة والله أعلم ثم اجتمع الذين يميلون الى عباس باشا تحت رئاسة الالفى ابراهيم باشا واتفقوا على استدعاء نجله ابراهيم الهامى باشا وكان بأوروبا ليولوه على مصر ويمنعوا عمه محمد سعيد باشا أكبر أولاد المرحوم محمد على باشا عن الولاية ولو بالقوة وكتبوا سرا الى اسمعيل سليم باشا محافظ الاسكندرية وقتئذ وأخبروه بما عزموا عليه وأوصوه بالتيقظ والسهر على الثغر حتى يحضر الهامى باشا ولما وصل المكتوب الى اسمعيل باشا خاف عاقبة الامر ولعلمه بنص الفرمانات قصد من ساعته محمد سعيد باشا صاحب الحق بالولاية لكونه أرشد العائلة وكان بسراى القبارى وأخذ معه أورطة من العساكر ولما أخبره شكره على صداقته وذهب معه الى سراى رأس التين وأعلن الامر رسميا وهناك أجريت حفلة الجلوس وأطلقت المدافع ثم سافر سعيد باشا الى القاهرة بصحبة أمراء عائلته وهو الامير اسمعيل باشا والامير عبد الحليم باشا والامير مصطفى فاضل باشا والامير أحمد ابراهيم باشا وغيرهم ولما وصلوا وقصدوا الذهاب الى القلعة بلغهم ان رنجى ألاى بياده الموجود فيها تحت قيادة محمد شكيب بك (الآن باشا وهو العضو الوطنى بمصلحة الدومين) مصمم على الممانعة حتى يحضر الهامى باشا (١) من أوروبا لاستلام الولاية كالاتفاق المعقود بين رجال

(١) كانت ولادة هذا الامير سنة ١٢٥٣ ورباه أبوه جميل التربية فشب على كرم الاخلاق ومحاسن الشيم ولما زار دار الخلافة سنة ١٢٦٩ أكرم السلطان الغازى عبد المجيد خان وفادته ومثواه وزوجه بابنته منير سلطان فنال بذلك شرف مصاهرة آل عثمان وفى خلال اقامته بدار السعادة تعين عضوا فى مجلس وكلاء الدولة ولكن لم تطل أيامه حيث عاجلته الوفاة بجهة أوسكدار فى نضرة شبابه وسنه ٢٥ سنة وذلك سنة ١٢٧٧ ونقل جسده الى القاهرة ودفن بها رحمه الله رحمة واسعة اه قاموس الاعلام بتصرف

حزبه فتوجه الامير أحمد ابراهيم باشا بنفسه وأقنع رجال الالاى المذكور بوخامة العاقبة اذا هم استمروا على عنادهم فسلموا وفتحوا الابواب وصعد سعيد باشا وتمت له رسوم التولية وانتهت الازمة ثم استعرض الجيوش وكان يقودها أحمد باشا الطوبجى ناظر الجهادية يومئذ ثم ان سعيد باشا طلب شكيب بك وطيب خاطره وشكره على صداقته لعائلة سيده وأراد ان يبقيه فى قيادة ألايه فأبى وقدم استعفاءه قائلا انى لا أخدم الا عائلة سيدى فزادت منزلته عند الامير ولم يصبه مكروه أما ابراهيم باشا الالفى محافظ مصر فانه عزل عن منصبه وأمر بأن لا يبارح منزله

﴿ محمد سعيد باشا بن محمد على باشا ﴾

١٢٧٠ - ١٢٧٩

لما استتب الامر وارتقى محمد سعيد باشا على الاريكة المصرية كانت حروب القريم قائمة على ساق وقدم والجيوش والاساطيل المصرية مشتركة فيها مع باقى أساطيل وجيوش الدول المتفقة كما سبق بيانه وأراد سعيد باشا اظهار ولائه للدولة فأرسل نجدة مصرية أخرى على البواخر العثمانية التى استقدمها لذلك وكانت أربعة ثم سافر محمد سعيد باشا الى دار الخلافة واستلم فرمان التولية من يد السلطان عبد المجيد خان وحضر الى الاستانة مدة وجوده بها سنان بك وكيل الاميرال المصرى حسن باشا ليقدم الى مولاه رسوم التبريك عن الجنود المصرية التى فى ساحة القتال وبينما كان سنان بك عائدا الى كوزلوه حيث بعسكر الجيش المصرى لتبليغه سلام سعيد باشا وامتنانه منه استشهد سليم فتحى باشا فى ميدان القتال وكان قائد الجيش المصرى فتعين بدله أحمد باشا المنكلى وانضم الى أركان حربه الميرألاى على مبارك بك فسافرا من مصر الى ميدان الحرب وبينما كان حسن باشا الاسكندرانى عائدا الى الاستانة لاصلاح بعض سفن العمارة المصرية هبت عليه ريح شديدة وانتشر ضباب كثيف منعهم من دخول البسفور رغم ألقتهم الامواج والارياح فى الجون الشرقى لمدخل البوسفور المعروف عند الملاحين بيلنجى بوغاز فاصطدمت سفينتاه وهما مفتاح جهاد والبحيرة وانكسرتا وغرق حسن باشا (١) وسنان بك وجميع ضباط السفينتين وعساكرهما البالغ عددهم جميعا ١٩٢٠ ولم ينج منهم سوى ١٣٠

وقد كابدت العساكر المصرية والجيوش المتحدة فى هذه الحروب الاهوال من شدة البرد الذى حصل فى شتاء عامى ١٨٥٤ و ١٨٥٥ م ومن تفشى الامراض التى أهلكت كثيرا منهم هذا فضلا عما أصابهم من الجوع والتعرض لثلوج تلك البلاد والابخرة المنتنة المتصاعدة من جثث القتلى والحيوانات وغير ذلك وفى خلالها توفى الامبراطور نيقولا الاول (١٨٥٥ م) وجلس مكانه

(١) حسن باشا الاسكندرانى هذا جركسى الاصل وهو من معاتيق المرحوم محمد على باشا الكبير أدخله فى المدارس الحربية ثم أرسل الى أوروبا ضمن التلامذة الذين أرسلوا لدراسة العلوم بفرنسا وبعد اتمام دروسه عينه محمد على باشا بسفن الدونمة فأظهر مهارة وهمة ومازال يترقى الى ان صار رئيسا للدار الصناعة باسكندرية ثم تعين باشبوغا للدونمة وأخيرا قاد الاسطول الذى تعين لحرب الروسيا سنة ١٢٦٩ ﻫ بوظيفة أميرال أول وحضر كثيرا من الوقائع أظهر فى خلالها الشجاعة والمعرفة الى أن توفى سنة ١٢٧١ ﻫ رحمه الله رحمة واسعة

ولده اسكندر الثانى ثم حصلت موقعة عظيمة بين الجيوش المتحدة والروس فى سيواستبول كانت الدائرة فيها على الروس واستولت جيوش فرانسا على قلعة ملاكوف فاضطر الروس الى ترك سيواستبول وفروا منهزمين ودخلت العساكر المتحدة المدينة واستولوا على حصونها وبعد ذلك تخابرت الدول فى الصلح وعقدت مؤتمرا فى باريس حضره مندوبان عن كل دولة من الدول المتحدة وهى انكلترة وفرانسا والدولة العثمانية والنمسا وروسيا وسردينيه ومندوبان عن الروسيا وبعد المداولة أياما أمضيت شروط الصلح متضمنة ٣٤ شرطا منها ان يكون للدولة العثمانية نفس الامتيازات التى لباقى دول أوروبا من جهة القوانين والنظامات السياسية وان تكون مستقلة تماما فى ممالكها كغيرها من دول أوروبا وأن لا يصرح للسفن الحربية بالجولان فى البحر الاسود ماعدا الروسيا والعثمانية فان لهما حقا فى أن يكون لهما به قليل من المراكب الصغيرة الحربية وان يكون للدول المتفقة حق مراقبة هذه الشروط كما سبق فى تاريخ الدولة وبذلك انتهت تلك الحروب التى لم يكن لافتتاحها داع سوى المطامع والغايات وعادت الدونمة المصرية بالعساكر الى اسكندرية بعد ان نال ضباطها وعساكرها النياشين من الدولة اعترافا بحسن خدمتهم ولما عادوا بعد هذه السفرة الطويلة أمر سعيد باشا فأخلى سبيلهم وتوجهوا الى بلادهم وأخلى سبيل أكثر الضباط أيضا

ثورة العربان بالفيوم — انه فى سنة ١٢٧٠ هـ ثارت العربان فى جهات الفيوم بزعامة عمر المصرى شيخ العربان فجرد عليهم سعيد باشا قوة مركبة من ثلاث فرق الاولى تحت قيادة حسين باشا المعروف بابو صباع والثانية تحت قيادة اسمعيل باشا الفريق والثالثة قادها سعيد باشا بنفسه وانضم الى الحكومة قبيلة أولاد على من عربان البحيرة وكان مع هذه التجريدة بطاريتان من المدافع ولما لم يقو العربان على الدفاع تشتت شملهم بعد أيام وعادت السكينة الى ربوعها وقبض على كثير من مشايخهم وسجنوا فى ليمان ترسانة الاسكندرية وكان سبب ذلك ان سعيد باشا أراد ادخال أولادهم ضمن الجنود المصرية كبقية السكان أما هم فانهم يأبون ذلك كل الاباء لامتيازات قديمة تحصلوا عليها وراعتها كل الدول التى حكمت مصر ولعدم حيازتهم لاراضى زراعية كبقية الاهالى وغير ذلك ولازالوا على هذا الامتياز الى الآن

الاصلاحات فى العهد المذكور — لما عاد سعيد باشا من دار الخلافة أخذ يدبر الامور بدراية تامة وعزيمة صادقة مجتهدا فى رفع منار الحضارة وشأن البلاد فسن كثيرا من النظامات المفيدة وعدل الضرائب وأخذ الاطيان من الملتزمين وردها الى أربابها وسن للاطيان لائحته المشهورة بالسعيدية (٢٤ ذى الحجة ١٢٧٤ هـ) وجعل للمعاشات نظاما بديعا لحفظ للمتوظفين بذلك حقوقهم وحثهم على النشاط والصدق فى العمل وأصلح ترعة المحمودية وأنشأ ميدان الاسكندرية وأتم الطريق الحديدى بين مصر والاسكندرية وهى التى كان شرع فى عملها المرحوم عباس باشا الاول وأنشأ خطا حديديا آخر بين القاهرة والسويس وأتم الموصلات التلغرافية فسهل بهذه الاعمال نقل التجارة والركاب (١٨٥٧ م) واعتنى بأمر بوغاز الاسكندرية فأمر بوضع العلامات الثابتة على صخرتيه المعروفة احداهما بالفارو والاخرى بالقطو ووضعت ثلاث علامات أخرى فى البحر احداها فى الجهة الغربية من المدخل عند طابية العجمى والاثنتان

الآخرتان على صخور بوغاز أبوعكر ووضع ثلاث علامات أخرى ثابتة فى البر بجهات أم قبيبة والسراديب والعمائر وعلى طابية المكس وبهذه العلامات سهل الدخول الى المينا والخروج منها ولما كان يهتم أيضا بأمر تحصين البلاد أمر ببناء القلعة السعيدية على رأس الدلتا عند مفترق النيل وكان ابتداء العمل فيها فى يوم الاحد الموافق ٢٣ من جمادى الثانية سنة ١٢٧١ وجعل لها حصونا واستحكامات عظيمة تمتد من شاطئ فرع دمياط الى شاطئ فرع رشيد وكانت هذه الحصون وأبراجها تعد وقتئذ من امتن وأشهر الاستحكامات وجعل فيها كثيرا من الثكنات العسكرية والمخازن الحربية وجعلها بحيث يصلها المدد والاقوات بسهولة من بلاد مصر كما يسهل عليها ارسال المدد الى كافة الثغور المصرية عند الحاجة ولما كانت هذه الديار محصنة طبعا فى أثناء زيادة النيل بالارادة الازلية ولا يمكن تعدى العدو عليها الا عند التحاريق لامكانه السير فى أى طريق استحسن المرحوم سعيد باشا أن يشغل هاتيك البقاع بالحصون الحصينة والقلاع المتينة بحيث لو طمع طامع فى الدنو من هذه المواضع صد عنها بواسطة اطلاق المياه من عيون تلك القناطر وبذلك يمكن منع العدو عن الحملة والهجوم وتصبح عاصمة البلاد آمنة من الحوادث والخطوب متباعدة عن الوقوع فى مهاوى المصائب والكروب ولما تمت عمارتها شحنها بالمدافع والاسلحة المختلفة والآلات الحربية ورتب لها الجنود والمقاتلة وكانت عنايته بها تفوق الوصف وكان موتى بك (Motté) الضابط الفرنسوى هو المباشر لهذه الاستحكامات ثم عينه سعيد باشا رئيسا لعموم الاستحكامات المصرية وجعل السيد بك مجدى مأمورا لاشغال القلعة السعيدية كما عين محمد بك المرعشلى باشمهندسا للقلاع السعيدية المذكورة

غرق الامير احمد ابراهيم باشا (١٢٧٤ هـ) — اختلفت أقوال الرواة فى أمر هذه الحادثة وقد اقتطفنا من أقوالهم ما يأتى وهو انه فى اليوم الاول من شوال من سنة ١٢٧٤ هـ (١٤ مايو ١٨٥٨م) بينما كان هذا الامير عائدا من اسكندرية الى مصر وكان ذهب اليها لتهنئة سعيد باشا بحلول عيد الفطر وكان هو والامير عبد الحليم باشا وخير الدين باشا محافظ القاهرة ورابع يدعى رأفت بك وحاشية الاميرين فى عربة من عربات السكة الحديدية وكانت قنطرة كفر الزيات لم تنته بعد فكانوا ينقلون عربات السكة الحديدية من شاطئ الى آخر بواسطة سفينة بخارية تحمل العربات ولما أنزلت العربة التى بها الامراء المشار اليهم سقطت فى البحر وقال بعض الرواة ان ذلك كان بايعاز من المرحوم سعيد باشا وقال آخرون بل حدث سهوا ولكل مرجحات لا فائدة من ذكرها وغرق بذلك أحمد باشا وآخرون معه وأما الامير عبد الحليم باشا فانه نجا بمساعدة مملوكه وبمعرفته بالسباحة

السودان المصرى فى العهد المذكور — اعلم ان سعيد باشا فى أول حكمه وجه أخاه الأمير عبد الحليم باشا للتفتيش على ادارات السودان وجعله حاكما لجميع تلك الاقاليم مع بقاء على باشا جركس حاكمه وكيلا له ولما وصل الى مركز الحكمدارية لفحص الشؤن والاحوال ونظر فى كافة الاعمال فأصلح المعوج منها بقدر الامكان وضم بعض المديريات الى بعضها لتقليل عددها حتى جعلها أربعة فقط فجعل دنقله وبربر مديرية واحدة وكردفان وجهاتها مديرية والخرطوم ونواحيها وسنار مديرية والتاكه وأطرافها مديرية وبعد ان نظم المديريات المذكورة عاد الى مصر

مبقيا

مبقياهنالك وكيله المذكور ثم أراد سعيد باشا ان يحذو حذو والده محمد على باشا الكبير و ينهج منهجه فتوجه لزيارة تلك البقاع بنفسه على طريق العطمور (١٢٧٣ هـ) وكان بمعيته راغب باشا ونوبار باشا وأخوه اركيل بك والموسيو دولسبس وغيره مثل الدكتور ابانه (O. Abbate) وهو أول من لاحظ اهتزاز البارومتر فى صحراء كروسكو وكتب كتابا عن هذه الرحلة سماه الكلام على افريقية الوسطى و رحلة صاحب الفخامة سعيد باشا الى السودان ولما وصل الامير المشار اليه الى الخرطوم (١٦ يناير سنة ١٨٥٧ م) قدمت اليه الاهالى عرائض التظلم من كثرة الضرائب فرثى لحالتهم ورفع عنهم المتأخر منها وخفض مقدار كثير من الضرائب حتى صيره الى ربع المقرر وسن لتلك البلاد نظاما مخصوصا لاصلاحها ولتنفيذ تلك الاصلاحات فى أوقاتها أبطل وظيفة الحاكم العام وقسم السودان الى خمس مديريات مستقلة الادارة عن بعضها وهى سنار وكردفان والتاكه وبربر ودنقله وجعل للبحر الابيض مديرا خاصا فكان مديرو تلك المديريات يخاطبون نظارة المالية والداخلية بمصر رأسا وجعل اركيل بك مديرا للخرطوم وسنار معا وأمر بانشاء محطة عسكرية على نهر صوبات لمنع الاتجار بالرقيق ومطاردة النخاسين وأنشأ أيضا محطات فى صحراء كروسكو لتوصيل الاخبار والبريد بسرعة ثم عاد الى مصر عن طريق دنقله وأمر الموسيو موجيل (Mougel) المهندس بالبحث عن الوسائل التى يترتب عليها تقريب المسافة وتقليل مشقة الاسفار فيما بين وادى حلفا والخرطوم اما بانشاء طريق حديدى واما بشق خليج للملاحة فرأى هذا المهندس ان أحسن الطرق لذلك هو انشاء طريق حديدى ولكنه لم ينفذ لكثرة النفقات التى كان يستلزمها انجازه ولما توفى اركيل بك مدير الخرطوم بالخرطوم سنة ١٢٧٤ هـ تعين مكانه الضابط حسن بك سلامه وأحيل عليه أيضا قيادة آلاى الخرطوم ثم صرف عن السودان وتعين بدله سنة ١٢٧٧ محمد بك راسخ الطوبجى وكان سئ التصرف والسيرة فكثرت الشكاوى من الاهالى فى حقه وحق غيره أيضا من حكام السودان ولهذا رأت الحكومة ان أحسن وسيلة لمنع الحيف عن الاهالى ابطال استقلال المديرين فى مديرياتهم وجعلهم تابعين لادارة واحدة وكان سعيد باشا فى ذلك الوقت (١٢٧٩) متغيبا بأوربا وكان اسمعيل باشا ابن أخيه نائبا عنه بمصر فشكلت الحكمدارية العمومية ثانية وجعل موسى حمدى باشا حكمدارا عاما للسودان وهو من رجال العسكرية وكانت له معرفة تامة بأحوال السودان لانه تقلد بها وظائف زمن أحمد باشا أبوودان ولما قبض على ادارتها سن نظاما جديدا للضرائب وعدل فى حكمه فاحبته الاهالى رغما عن ميله الشديد لجمع المال وفى أيامه ثارت بعض فرق عسكر الارنؤد التى بالسودان وكان غائبا بمصر فاقبل سريعا وقهرهم بجهات شلال عبكا وأعادهم الى الخرطوم فسكنت الفتنة ومن أعمال سعيد باشا التى عادت على العلم بالفوائد الجمة ان أرسل المرحوم محمود بك الفلكى الى دنقله لرصد كسوف يشاهد هنالك فاغتنم هذا العلامة تلك الفرصة وعين ٤٢ موقعا فلكيا فى المسافة الكائنة بين أسوان ودنقله ولما رأى العلماء اكرام سعيد باشا لهم أخذوا يفرون الى بلاد السودان وتوغل كثير منهم باقاصيها مكتشفين مرتادين حتى أصبحت مسئلة غموض منابع النيل قريبة الحل ومن تلك الرحلات الرحلة الالمانية وسافر فيها كثير من العلماء الى السودان الشرقى واقليم كردفان وكان من أعضائها منزنجر (Munzinger) واستيدنر (Steudner) وبايرمن (Beurmann) وكنزلباخ (Kinzelbach) وغيرهم

ومنهم أيضا انتينورى (Antinori) ولوجان (Lejean) والست تين (Tinne) والست تريمو (Tremaux) والبارون درنيم (Baron d'Arnim) وبياجيا (Piaggia) وهو أول من دخل بلاد نيام نيام من أهل أوربا وكان منهم رجل فرنسوى عرف بالكونت ولعله البارون المذكور وقد صدرت من هذا الرجل أعمال غير مرضية بجهات كوفيت وأم ديب فسعى موسى حمدى باشا حتى رده الى مصر وأشهر هذه الرحلات رحلة السير صموبل بيكر (Samuel Baker) (١٨٦١م) وكان معه كل من القبودان سبيك (Speke) وغرانت (Grant) وكانا سافرا من زنجبار فى ٢٨ يوليو سنة ١٨٦٢ تحت رعاية سعيد باشا أيضا وقصدا منابع النيل حتى وصلا الى بحيرة البرت وظهر من سياحتهما أن النيل الابيض هو النيل الحقيقى وانه يخرج من بحيرة أوكريوه التى سميت فيما بعد فيكتوريا نيانزا وان النهر الازرق الذى منبعه من بين الثلوج المحيطة بجبال القرايس الاعبارة عن نهر صغير بالنسبة للنيل الحقيقى المذكور ولما عاد هؤلاء السياحون الى مصر كان توفى سعيد باشا وجلس مكانه اسمعيل باشا فأكرم وفادتهم (١٨٦٣ م) ولما قصوا عليه نتيجة اكتشافاتهم أخبرهم بعزمه على قطع دابر تجارة الرقيق من أواسط السودان وبعزمه على متابعة الاكتشافات باواسط أفريقية خدمة للعلم

المدارس فى عهد سعيد باشا – لما ولى سعيد باشا كان بالقطر المصرى أربع مدارس كبيرة فقط ومع ذلك فانه لم يهتم بها بل زاد هذا النقص نقصا بابطاله ديوان المدارس وكان مديره وقتئذ عبدى باشا شكرى (٢٥ ربيع الاول ١٢٧١ ﻫ) وألغى أيضا مدرسة المهندسخانة التى كان يديرها المرحوم على مبارك باشا وأرسله بمعية أحمد باشا المنيكلى الى حرب القريم كامر ثم ألغى مدرسة المفروزة (١٢٧١ ﻫ) وفتح مدرسة للحربية بقلعة القاهرة (١٢٧٢ ﻫ) جعلها تحت نظارة رفاعه بك ثم ألهمه الله وحاسب نفسه على ذلك فأعاد فتح مدرسة المهندسخانة ثانية ببولاق (١٢٧٤) وسميت بالمهندسخانة السعيدية ثم نقلها الى القلعة السعيدية وسميت بعدئذ بالمدرسة الحربية ولما قصد السفر الى السودان صرف جميع عساكر الجيش (١٢٧٣ ﻫ) لخوفه من أن يثوروا عليه مدة غيابه وجمع عموم الضباط من أول رتبة البكباشى الى رتبة الاسبران وشكل منهم مدرسة بالقلعة السعيدية وجعل لها الاساتذة والمأمورين ولما عاد من السودان أعاد الجيش ثانية كما كان ولما كان متخرجا من مدرسة البحرية كان يميل بطبعه الى تعزيز القوة البحرية فأحيا مدرستها بعد الاندراس وانتخب لها جملة من نجباء التلامذة (١٢٧٦) وجعل لادارة هذه المدرسة أحمد مطوش قبودان أحد رجال البحرية وكان تلامذة هذه المدرسة يتمرنون يوميا فى فرقاطتى شير جهاد ورشيد ولما أريد اصلاح السفينتين المذكورتين سافر تلامذة البحرية بهما للفربول بانجلتره ومعهم القبودان فريدريك بك

البحرية فى عهد سعيد باشا – لما عادت الدونمنا المصرية من حرب القريم كامر أمر العزيز باصلاح سفنها وانشاء سفن أخرى جديدة حربية ولما كان تقوية البحرية المصرية لا يروق فى عين بعض الدول البحرية الاورباوية وربما أضر بنفوذها الذى اكتسبته بالاستانة بعد حرب القريم أشارت على السلطان بمنع مصر من تقوية أساطيلها وبالغت فى تخويفه من ذلك مظهرة أن والى

مصر كان رئيسا لاساطيل والده واذا تمكن من تقوية أساطيله أضر بصوالح الدولة ومن اهمها في البحار ولما كانت الدولة تخاف من عودة مثل ما حدث مدة المرحوم محمد باشا مالت الى هذه النصائح المزخرفة الظاهر المبنية على المنافع الذاتية في الباطن فمنع السلطان والى مصر المشار اليه من اصلاح السفن قائلا بعدم الحاجة الى ذلك اذ ذاك فكان في ذلك ضياع القوة الحربية المصرية بتمامها لان سعيد باشا المار رأى فيما بعد ان أغلب السفن الحربية التي كانت راسية امام دار الصناعة تحتاج الى اصلاح جسيم وانها اذا تركت تلفت تماما أمر بتكسيرها ومبيع أخشابها واحراق الغير الصالح منها وأخلى سبيل أكثر ضباطها وأدخل بعضهم في وظائف ملكية وعلى الخصوص في مطابخه الواسعة ثم لما جدد مصلحة الانجرارية في النيل ابتاع لها كثيرا من البواخر النهرية واستخدم فيها بعض أولئك الضباط والجنود وكان للمصلحة المذكورة نحو ٤٠ باخرة و ٨٢ صندلا وهي كما يأتي بيانها أدناه

عدد	قوتها كنية	مقدار انغمارها في الماء		ما تحرقه من الحطب في كل ساعة من الفحم	متوسط ما تحرقه من الفحم	مقدار ما تسع مخازنها من الفحم	البحارة	أسماء البواخر		النفرات	قلفاط خصوصية
	حصان	بوصة	قدم	قنطار	قنطار	قنطار	عدد			عدد	عدد
٠١	١٤٠	٠٢	٠٥	٨٧٫٠	٢٢	١٢٠٠	٦٣	وابور مصر الكبير	للخدمة والمأموريات الخصوصية	٤٩	٠٠
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠٠	١٣	٠٨٠٠	٥٥	» الصيرة		٣٧	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٦	٠٣	٨٧٫٠	٠٩	٠٤٥٠	٤٢	» المحلة غرة ١		٢٥	٠٢
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٠٠	٠٨	٠٤٠٠	٣٢	» السعيدية		٢٠	٠١
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٠٠	٠٨	٠٤٠٠	٣٢	» النيل		٢٠	٠١
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٢	٠٠٠	٠٨	٠٤٠٠	٢٠	» المحمودية		١٣	٠١
٠١	٥٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠٣٥٠	٢٧	» بني سويف		١٦	٠١
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٩	٠٨	٠٣٥٠	٢٩	» الجيزة		٢١	٠١
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠٠	١٣	٠٨٠٠	٠٠	» الشرقية	مستعمل للجر والاشغال الاخرى	٠٠	٠٠
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠٠	١٣	٠٨٠٠	٠٠	» الغربية	»	٠٠	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٤	٠٣	٠٢٥	١٢	٠٥٠٠	٠٠	» المنشية	»	٠٠	٠٠
٠١	٠٨٠	٠٥	٠٤	٠٠٠	١٣	٠٠٥٠	٠٠	» بشبيش	»	٠٠	٠٠
٠١	٠٣٠	٠٠	٠٣	٠٠٠	٠٦	٠٢٥٠	٠٠	» غرة ٤	»	٠٠	٠٠
٠١	١٤٠	٠٨	٠٢	٨٧٫٠	٢٢	١٥٠٠	٠٠	» قنا		٠٠	٠٠
٠١	١٤٠	٠٧	٠٢	٨٧٫٠	٢٢	٠٩٠٠	٠٠	» الروضه		٠٠	٠٠
٠١	١٤٠	٠٦	٠٤	٨٧٫٠	٢٢	١٢٠٠	٠٠	» المنيا		٠٠	٠٠
٠١	١٤٠	٠٣	٠٤	٧٧٫٠	٢٢	١٢٠٠	٠٠	» المسعودية الكبير		٠٠	٠٠
٠١	١٤٠	٠٦	٠٤	٨٧٫٠	٢٢	١٥٠٠	٠٠	» دمياط		٠٠	٠٠
٠١	١٤٠	٠٦	٠٤	٨٧٫٠	٢٢	١٥٠٠	٠٠	» رشيد		٠٠	٠٠
٠١	١٠٠	١١	٠٢	٨٧٫٠	١٩	٠٨٠٠	٠٠	» طهطا المستجد		٠٠	٠٠
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠٠	١٣	٠٨٠٠	٠٠	» الفيوم		٠٠	٠٠
٠١	٠٨٠	٠١	٠٣	٠٠٠	١٣	٠٢٥٠	٠٠	» طير سعيد الكبير		٠٠	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٣	٠٣	٠٠٠	١٢	٠٢٥٠	٠٠	» طهطا غرة ٧		٠٠	٠١
٠١	٠٦٠	٠٤	٠٣	٠٢٥	١٢	٠٢٥٠	٠٠	» السودان		٠٠	٠٠
٠١	٠٨٠	٠٥	٠٤	٠٠٠	١٣	٠٥٠٠	٠٠	» مسير		٠٠	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٢	٠٤	٠٢٥	١٢	٠٢٥٠	٠٠	» شبراخيت		٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٤	٠٣	٠٠٨	٠٥	٠٢٥٠	٠٠	» الرفاس غرة ١		٠٠	٠٠

تابع ما قبله

عدد	قوة الآلة	مقدار انغمارها في الماء		ما تحرقه من الحطب عوض كل ساعة من الفحم	متوسط ما تحرق في الساعة من الفحم	مقدار ما تسع مخازنها من الفحم	المدافع	أسماء البواخر		القمرات	قمرات خصوصية
	حصان	بوصه	قدم	قنطار	قنطار	قنطار	عدد	وابور مصر الكبير		عدد	عدد
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠٤٠٠	٠٠	« مدشرخير		٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠١٩٠	٠٠	« اسكندرية		٠٠	٠٠
٠١	٠٨٠	٠٣	٠٣	٠٠٠	١٣	٠٨٠٠	٠٠	« الدقهلية	تسلمت كلها في ما بعد لادارة البوسته لاستخدامها في نقل البريد	٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠٤٠٠	٠٠	« ساعي خير		٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠٣٥٠	٠٠	« بنها		٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠٣٥٠	٠٠	« فوه		٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠١٩٠	٠٠	« طلخا		٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠١٩٠	٠٠	« القمارى		٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠١٩٠	٠٠	« مصر الصغير		٠٠	٠٠
٠١	٠٤٠	٠٦	٠٣	٠٠٠	٠٨	٠١٩٠	٠٠	« بولاق		٠٠	٠٠
٠١	٠٢٠	٠٣	٠٣	٠٣٧	٠٥	٠٠٥٠	٠٠	« العطف		٠٠	٠٠
٠١	٠١٦	٠٨	٠١	٠٥٠	٠٣	٠٠٨٠	٠٠	« طير سعيد الصغير		٠٠	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٠	٠٠	٠٢٥	١١	٠٧٠٠	٠٠	« شبرى	صار تغريقهما بجهات أبو الغيط لسد قطع حصل بالنيل	٠٠	٠٠
٠١	٠٦٠	٠٠	٠٠	٠٢٥	١١	٠٧٠٠	٠٠	« فارسكور		٠٠	٠٠

جدول عدد الصنادل وحمولتها

عدد الصنادل	حمولة كل صندل بالاردب	طول كل صندل بالقدم	عرض كل صندل بالقدم	مقدار انغمار كل صندل		ملحوظات
				بوصه	قدم	
٣٥	١٦٥٠	١٢١	٢١	٤	٤	
٠٦	١٢٠٠	٠٩٤	٢٤	٤	٤	
٢٤	١٠٠٠	١٢٠	٢٠	٩	٣	
١٥	٠٧٠٠	٠٨٦	٢٤،٢	٥	٣	
٠٥	٠٦٥٠	٠٨٧	١٨	٠	٤	
٠٢	٠٥٥٠	٠٦٥	١٨	٦	٤	
٠٣	٠٥٣٠	٠٦٤	١٨	٦	٤	
٠١	٠٩٠٠	٠٩٤	٢٣	٧	٣	
٠١	٠٨٠٠	٠٨٩	٢٠	٦	٥	
٨٢						

صنادل حمولة ١٦٥٠ اردب	صنادل حمولة ١٠٠ اردب	صنادل حمولة ٧٠٠ اردب	صنادل حمولة ١٥٠ اردب
٥	٢٦	٢٨	٢

الواحد وستون صندلا المذكورة أعلاه تسلمت للبوسته لاستخدامها مع العشرة وابورات السابق ذكرها في أعمال البريد

ثم أصدر أمره الى حافظ خليل باشا ناظر البحرية وقتئذ بابتياع زرخين وأربع بواخر حديدية تكون كالتى لشركات الملاحة التجارية فلما اشتروها سميت بالحجاز ونجد والقبارى وجدة وجعلت للبحر الاحمر كما جعل بواخر الجعفرية والسعيدية والتمساح للبحر الابيض المتوسط وابتنوا له أيضا باخرة سميت فيض جهاد لركوبته خاصة ثم لما كثرت البواخر وكانت تحتاج للاصلاح والدهان من قاعها سنويا وان ارسالها الاوربا يتكلف مصاريف كثيرة أمر أحد مهندسى الفرنسويين ببناء حوض كبير ومزلقان جسيم بالاسكندرية فأخذ فى العمل بجانب جامع سيدى المجاهد الذى بناه لطيف باشا مذ كان ناظر الترسانة (١٢٥٥ هـ) وكان طول المزلقان المذكور ٤٥٠ قدما وعلى رأسه آلة بخارية تسحب السفن وهدموا أربعة مزلقانات من المزلقانات القديمة التى أنشئت فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا وأخذ أنقاضها المزلقان الجديد وفى أثناء العمل مات الفرنسوى المذكور فاستحضرت البحرية مهندسين من الانكليز ولكنهما لم يتما العمل لخلاف حصل بينهما وبين الادارة البحرية ولم يسع حافظ خليل باشا ناظر البحرية فى متابعة العمل الذى أهمل بالمرة بعد ان صرفت عليه المصاريف الكثيرة وفصل حافظ باشا من نظارة البحرية (١٢٧٣ هـ) وتعين مكانه حافظ مصطفى باشا وتعين حسين بك الرودسلى وكيلا للبحرية وخليل بك بوغجه اطه لى ناظر الترسانة (١٢٧٨ هـ) ولما صدر فرمان سلطانى فى أول فبراير من سنة ١٨٥٧ م بانشاء الشركة المجيدية استخدم سعيد باشا جميع بواخر البحر الابيض والبحر الاحمر فى نقل البضائع والبريد من الثغور المصرية الى أساكل الدولة ببحر الروم والبحر الاحمر فعادت من ذلك فائدة كبرى وكان أرسل فرقاطة رشيد الشراعية الى بلاد الانكليز لجعلها بخارية ولما وجدوها غير صالحة باعوها هناك وفى سنة ١٢٧٤ ابتاع من أمريقا سفينة حربية من نوع القرويت دعيت سواح البحر ثم أرسلها الى انكلتره فجعلوها فرقاطة سميت محمد على وكان سعيد باشا ركبها فى أكثر أسفاره قبل اتمام فيض جهاد ثم رأى من الواجب لترقى الملاحة والتجارة البحرية اصلاح فرضة السويس وبناء رصيف لها لسهولة الشحن والتفريغ فعين لجنة من المهندسين اختارت فجوة فى البحر هناك تحت جبل عتاقة وقالت بوجوب انشاء رصيف (مولص) طوله ٤٠٠ متر وقدرت نفقته بنحو ٢٠٠،٠٠٠ ليره مصرية وعهد أيضا الى شركة تسمى شركة دوسو (Dussaud) انشاء حوض كبير فى السويس لاصلاح ما به من السفن المصرية (١٨٦٢) وقدرت مصاريفه بنحو ٣٥٢٠٠٠ ليره انكليزية ولم يتم هذا الحوض الا فى زمن المرحوم اسمعيل باشا

النظامات العسكرية فى عهد سعيد باشا - من أظهر الصفات والاميال التى اتصف بها سعيد باشا ميله الشديد للعسكرية وترقيتها بجميع فروعها ومع ذلك لم تكن طريقة جمع الجنود على نظام وقوانين مرعية بل كانوا عند الحاجة لزيادة الجيوش أولا كمال نقصانها يستعملون طريقة وقتية كما يتراءى لهم ويخصصون على كل مديرية قدرا معلوما من الجنود وكان عمد ومشايخ البلاد يستعملون لذلك طرقا وأساليب يأباها العدل فمن ذلك انهم كانوا كثيرا ما يقبضون على المارة أو الزوار لادخالهم ضمن العدد المطلوب خلاف ما يستعملونه من الغش والاحتيال وأخذ أموال الناس والانتقام من أعدائهم حتى كانوا يؤجرون بعض النساء والرجال يكون خلف المقبوض عليهم ليوهموا الحكام انهم من أقاربهم وغير ذلك من الحيل الشيطانية التى كثيرا ما يستنبطها أهل مصر

فرارا من العسكرية لأنه من أصعب الامور وأكرهها اليهم الدخول بالجندية وأظن ذلك لاسباب منها بقاء الجندى فى الخدمة طول حياته تقريبا وكثرة ما يناله من المشاق والتسخير فى ذلك الوقت ومنها ان جميع الدول الاجنبية التى حكمت مصر لم تدخل أبناء مصر فى العسكرية بل كان القائم بها أفرادا من جنس الدولة الحاكمة كما مر بك فلهذا بعد عهدهم بالعسكرية وصاروا ينفرون منها سيما وان الدفاع عن أرض مصر ليس فى صالحهم بل هو فى صالح الدولة الحاكمة لانهم فقدوا استقلالهم من زمن طويل وغير ذلك مما لا يخفى على اللبيب ولما أراد المرحوم محمد على باشا أول موجد لجيش من المصريين أن يجند منهم جنودا كانوا ينفرون من ذلك ويحتالون بكل أنواع الحيل حتى لا يؤخذون للجندية فكان الكثير منهم يفقأ احدى عينيه أو يقطع بعض أعضائه للاعفاء من الجندية ولما جعل منهم رديفا سنة ١٢٥٥ اثناء حروبه فى بلاد الشام وعم ذلك الشريف والوضيع منهم قال بعضهم فى ذلك

عملوا بهوات علينا * وكلامهم مشوه   من اعترض عليهم * فوق الجسر مشوه
صاحب الذقن * من أعلى القصور قشوه   وأمرد الذقن * قدام الطابور مشوه

ولما رأى سعيد باشا ان الخدمة العسكرية قاصرة على الفقراء والضعفاء أصدر أمره بجمع أولاد العمد والمشايخ وأقاربهم (١٢٧٢ ﻫ) ليتساوى الكل فى الخدمة العسكرية والاحتياجات الوطنية وعرف هذا الامر بلمة أولاد العمد ثم أصدر أمرا آخر بجمع عساكر مستجدة أخرى وهو بالجيزة دعى بلمة الجيزة (١٢٧٤ ﻫ) وآخر وهو بالقبارى ودعى بلمة القبارى (١٢٧٥ ﻫ) وآخر وهو فى ميت بره ودعى بلمة ميت بره (١٢٧٦ ﻫ) وغير ذلك وبلغ عدد الجيش المصرى فى أول حكمه ٤٥٧٤٢ عسكريا معها من الخيول ٥٨٢٧ رأسا ومن البغال ١٨٣٠ رأسا ومن المدافع ١٢٠ مدفعا وكان هذا الجيش يتركب من ألاى من الطوبجية مكون من أربعة حذا آت ولكل حذاء أربع بطاريات ومن هذه الحذا آت أربع بطاريات طوبجية سوارى واثنتاعشرة بطارية طوبجية بياده ولكل حذاء بكباشى واحد ولكل حذاءين قائمقام وكان يقود هذه القوة أولا فاضل باشا الدرملى ثم لما انقل على البياده خلفه على حمدى باشا ومن ألاى من طوبجية السواحل كان موزعا على اسكندرية ورشيد ودمياط والقلعة السعيدية وكان يتألف من ٣٥٠٠ جندى تحت قيادة حسين باشا الطوبجى ومن ألاى لطوبجية الحصار وكان مخصصا للقلعة السعيدية ويتألف من ١٩٥٠ جنديا تحت قيادة الميرالاى كوله على بك وجعل الايات السوارى الاربعة على أصناف فكان نصف ألاى منها يلبس الزرد والنصف الآخر يلبس الدروع وألاى يحمل المزاريق يقوده سليم باشا الجزائرى وألاى ثالث يحمل القربينات والرابع يعرف بألاى الدال قلنج وكان تحت قيادة على باشا شكرى وكان كل ألاى من الايات السوارى المذكورة يتركب من ١٢٣٠ جنديا معه ١٢٠٠ حصان وكانت الايات البيادة ثمانية كل ألاى يتألف من ٦٦٤٠ جنديا وعلى كل الايين أميرلواء وكان للحرس أورطتان خصوصيتان تعرفان باورطتى المعية تتألفان من ١٦٤٠ جنديا وكان بالجيش أيضا أورطة للمهندسين تتألف من ٨٥٠ نفرا يقودها سليمان قبودان البحرى وأورطة للكوبرجية وتتألف من ٨٥٠ نفرا أيضا تحت قيادة محمد أفندى خير وتسعة ارادى من الباشبوزوق وأورديان من

العسكر الغير النظامية المعروفين بالعزب عددهم مع الباشبوزوق ٣٢٠٠ وكان كل اوردى منهم يعسكر في الغالب باحدى المديريات الآتية وهي قناوجرجا وأسيوط والفيوم وبني سويف والمنيا والبحيرة والجيزة وكان عليهم علي باشا القوله لي بوظيفة سرجشمه ثم خلفه اسمعيل باشا أبو جبل ثم بعد تقليل عددهم جعل عليهم ضابط يدعي بكتاش اغا وفي سنة ١٢٧٣ صرف سعيد باشا هذا الجيش باجمعه ولم يبق منه الا ثلاث بلوكات من السوارى وبلوكين من الطوبجية وست اورط من المشاة أخذ معه منها أو رطتين عند سفره الى السودان وأبقى الاربع أورط الاخرى بالقاهرة والاسكندرية وبني سويف ثم جمع عموم الضباط العسكريين وجعل منهم مدرسة بالقلعة السعيدية وسبب ذلك خوفه من حدوث ثورة بالبلاد يقوم بها الجيش مدة غيابه بالسودان كما مر وجعل لنظارة المدرسة المذكورة الميرالاى على بك المعروف بسيواستبول وبعد عودته من السودان أوجد خمسة الايات من المشاة والايا من طوبجية الميدان وآخر من طوبجية السواحل والايين من السوارى وفرق باقي الضباط على الضبطيات والمحافظات والمديريات وكان الامير حليم باشا ناظر الجهادية في أول حكم سعيد ثم خلفه مصطفى باشا الكريدلى ثم اسمعيل سليم باشا المعروف بالفريق وكان سليمان باشا الفرنسوى سردارا على الجيش ولما عاد الضباط الذين كانوا أرسلوا الى فرنسا لاتمام الفنون العسكرية جعل من بينهم شريف بك ومراد بك وعلى شريف بك وحنفي افندى العشماوى أركان حرب للسردار سليمان باشا وبعد وفاة هذا السردار (١٢٧٦) تعينوا القيادة الأورط والالايات بالجيش ويقال ان نابليون الثالث امبراطور فرانسا بعد ما فرغ من حروب ايطاليا كان يحسن لسعيد باشا اجراء بعض أمور تخالف رغبة متبوعه الافخم فنجم عن ذلك تعكير كأس السياسة بين التابع والمتبوع (١٢٧٧ هـ) ولذلك جمع سعيد باشا الجيوش ثانية وأعاد اليها الضباط وكان غالبهم خارج الخدمة وبعضهم بمصالح الحكومة ونظم ٤٥ اورطة من البيادة وعشرين بطرية من المدافع والايين من طوبجية السواحل وستة الايات من السوارى وخمسة عشر اورديا من الباشبوزوق واردين من الشايقية وثلاثة ارادى من العربان واردين من لابسى القاووق وكانوا يعرفون باسم دلاتيه ثم قاد هذا الجيش العرمرم وذهب فعسكر به بعربوطو وأقام هنالك نحو ثلاثة شهور أجرى أثناءها جملة مناورات حربية وكان عدد هذا الجيش ٦٤٠٠٠ جندى علم ذلك من عدد الارغفة التي كانت تصرف من مخبز القبارى يومئذ ثم لما انقشعت ظلمات النفور وعادت أحوال السياسة كما كانت صرف هذا الجيش باجمعه ورتب اورطتين جديدتين كانت عساكرهما من حديثي السن وعلمهم القراءة والكتابة ثم نظم سنة ١٢٧٨ أربع اورط امدادية ثم جعلها اثنتى عشرة اورطة ثم صرفهم مبقيا اربع أورط من البيادة وثلاثا من السوارى وبطرية واحدة من الطوبجية السوارى وأخرى من الطوبجية البياده وهي القوة التي بقيت الى آخر أيامه وكان رحمه الله لا يقر له قرار الا مع عساكره المذكورة قائما في وسطهم ملازما لهم في أكثر أوقاته ورقى منهم الكثير الى أعلى الرتب وكانت تعرض عليه القضايا والمهمات وأكثرها يتعلق بشؤن البلاد وهو بينهم لا يفارقونه أين حل أو ارتحل وكان كثير التنقل بهم من مصر الى الاسكندرية ثم الى مريوط وباب العرب وقصر النيل والقلعة السعيدية وكان دائما يغير أزياءهم الى أشكال مختلفة وقد ألبسهم أفخر الملابس من قطنية وصوفية ومخيش بالقصب ومحلى بالفضة والذهب وعلى طرابيشهم

الفرجيات وكانت مناظر فرسانه المدرعة والمزردة تشبه انفر جنود أوروبا التى كان يميل جدا الى جعل هيئة عساكره تشبه عساكرها ولذلك فانه ابتاع قدرا عظيما من البرانيط الفرنجية قصد الباسها للجنود فخاف سوء العاقبة من استعمالها وبقيت هذه البرانيط بمخازن القلعة حتى زمن المرحوم اسمعيل باشا ولكثرة ما كان يصرف على الجنود خصوصا اضطرت الحكومة فى آخر عهده الى الاستقراض فاستدانت نحو ثلاثة ملايين من الليرات ولما كانت فرمانات الامتياز وقتئذ لاتصرح لحكومة مصر بالاستدانة من الخارج خاف عاقبة الامر وأصدر الاوامر المشددة ببذل المجهود فى تسديد تلك الديون حتى انه صرح ببيع أثاث قصوره وسراياته وكثير من أملاكه وعقاراته الخصوصية ابتعادا عن مخالفة الدولة صاحبة السيادة وشماتة المراقبين له من العائلة الخديوية وغير ذلك مما ذكرناه ومع هذا فلم يتمكن من تسديد تلك الديون وترك معظمها بعد وفاته ولعله تذكر أيضا أن الديون مجلبة لدمار الممالك تجعل صاحبها سيدا عاما توجبه من مداخلته والكل يعلم أن معظم الضعف الذى أصاب ممالك الشرق فى الوقت الحاضر سببه ديون الاجانب فلا حول ولا قوة الا بالله

مساعدة سعيد باشا لنابليون الثالث فى حربه مع المكسيك — رأينا من المناسب قبل الكلام على هذه المساعدة الالمام ببعض أسباب تلك الحروب فنقول إنه فى سنة ١٨٦٠ ميلادية كان رئيس جمهورية المكسيك هو المسيو جوارز (Juarez) وفى مدته سعى بعض الاحزاب فى اقامة الحكومة الملوكية بدل الجمهورية فحدث من ذلك ثورات داخلية ولما كانت المكسيك مدونة لانكلترة وفرنسا واسبانيا فى مبالغ وافرة ورأت الدولة المذكورة أن قد أصاب ماليتها العسر لما هى فيه من الثورة أخذوا يطالبونها بديونهم ملحين وشددوا النكير فى ذلك فكتب جوارز للدول المذكورة يطلب منها مهلة فحسبوا أن هذا من باب المحاولة وطلبوا منه الكفالة على ذلك ولما كان لنابليون الثالث مقاصد سياسية فى محو الجمهورية من المكسيك وتقرير الملوكية بها اتفق مع انكلترة واسبانيا على ان يحاربوا المكسيك سوية لاطفاء الثورة بها واصلاح حالها ورد النظام اليها وكانت الولايات المتحدة مشتغلة اذ ذاك بحرب الغاء الرق فلم يمكنها المداخلة وبعد قليل انسحبت انكلترة من الاتفاق وتبعتها اسبانيا وأما نابليون فلم يرجع عن عزمه وأرسل سنة ١٨٦١ العمارة الفرنساوية تحمل الجيوش الى المكسيك تحت قيادة الجنرال بازين (Bazin) ولما ظهر الضعف على الجنود الفرنسوية طلب نابليون من المرحوم سعيد باشا أن يمده ببعض الجنود السودانية لما كان بينهما من المودة ولم يستأذن سعيد باشا الباب العالى فى ذلك وأرسل أورطة سودانية تتألف من ١٥٠٠ جندى عليها البكباشى جبرة الله محمد أفندى السودانى والصاغ ألماس أفندى محمد وأبحر هؤلاء الجنود على وابور حربى فرنسوى (١٨٦٢ م) ولما مات هناك البكباشى المذكور خلفه فى قيادة الاورطة المذكورة ألماس محمد أفندى ورقى الى رتبة البكباشى وبقيت هذه الاورطة هناك نحو أربع سنوات وقد فنيت كلها تقريبا بالامراض والحرب ولم يعد منها سوى ضباطها و ٣٠١ من أنفارها وقد أبلت فى الحرب المذكور بلاء حسنا هذا ولما بلغ الباب العالى الخبر اعترض على حكومة مصر لان اشتراكها فى حرب بين دولتين أجنبيتين بغير مصادقة الدولة العثمانية يعد من حكومة مصر المعتبرة جزأ من الدولة العثمانية اعلان حرب منها على المكسيك وهذا مخالف للعهود الدولية

وارسل

وأرسل الصدر الاعظم يوسف كامل باشا الى مصر مكاتيب شديدة اللهجة وقد أخذت المخابرات فى هذه المسئلة دورا عظيما الى آخر عهد محمد سعيد باشا

الشروع فى فتح ترعة السويس – قدسبق الكلام على هذه الترعة فى تاريخ الدولة بالجزء الاول ونذكر الآن الاسباب التى دعت سعيد باشا الى منح امتياز فتحها فنقول انه لما ولى سعيد باشا الاريكة الخديوية خاطبه الموسيو فردينند دولسبس قنصل فرنسا (Ferdinand de Lesseps) فى أمرها وكانت له به ألفة من قبل ثم ألح فى الطلب ذاكرا له منافعها الجمة وان مصر وحكومتها ينالان من ذلك من العز والسعادة مالا يقدر ومن كثرة الحاح دولسبس وترغيبه وبما أبداه نابليون الثالث امبراطور فرانسا من حث سعيد باشا أيضا على موافقة دولسبس مال سعيد باشا الى الايجاب سيما وانه كان يرى ان الترعة المذكورة تصبح حدا فاصلا بين مصر والدولة صاحبة السيادة التى يخشى بأسها فاصدر أمرا بمنح الشركة الغير المعلومة الاعضاء وهى التى ألفها دولسبس التزام فتح القنال المذكور (٣٠ نوفمبر ١٨٥٤ م) ثم اتفق الطرفان على تعيين لينان باشا وموجيل بك لرسم أراضى البرزخ وعمل الميزانيات اللازمة وتحديد محل الترعة وتعيين الاراضى التى تحتاجها وتقدير تكاليفها وغير ذلك واهتم سعيد باشا بكل مافى وسعه لانجاز الاعمال التمهيدية ثم اجتمعت اللجنة المختلطة ونظرت فى تلك الاعمال وعقدت شروطا لذلك (٥ يناير ١٨٥٦ م) ومما جاء فيها أن والى مصر لايصدر أمره بالشروع فى حفر الترعة المذكورة الابعد ترخيص الباب العالى وان الشركة تتعهد بعمل ترعتين احداهما بحرية لمرور السفن من البحر الابيض الى البحر الاحمر مارة فى برزخ السويس وتكون الثانية نيلية لمرور السفن من النيل الى الترعة المالحة المذكورة وان مايلزم للترعتين من الاراضى وكان ملكا للحكومة المصرية تتنازل عنه للشركة بلا مقابل وما كان مملوكا للاهالى فان الشركة تدفع ثمنه بمساعدة الحكومة المصرية وقبل سعيد باشا أيضا ان يساعد الشركة بعشرين ألف عامل تكون تحت يدها على الدوام حتى ينتهى فتح الترعة وغير ذلك من المساعدات ثم أصدرت الشركة أسهما قيمتها ٢٠٠ مليون فرنك فابتاع سعيد باشا من هذه الاسهم باسم الحكومة المصرية ١٧٦،٦٠٢ ثم ابتدأت الشركة فى العمل على ساحل البحر الابيض المتوسط (٣ ابريل سنة ١٨٥٩) كل ذلك وحكومة فرانسا لاتفتر طرفة عين بواسطة سفيرها فى الاستانة عن بذل المساعى الجمة لجعل الباب العالى يصادق على فتح الترعة المذكورة ولما نجحت مساعى دولسبس فى ذلك وفى بيع السهام وشرع فى الاعمال واشتهر هذا العمل وعلمت الدولة الانكليزية مال والى مصر وقتئذ من الميل لاتمام هذا المشروع وابرازه الى عالم الظهور بمال مصر ورجالها وكان هذا الامر ينافى نواياها السياسية التى من أهمها منع كل دولة أورباوية قوية من الاستئثار بعمل عظيم فى مصر أخذت فى المعاكسة واقامة العراقيل ونشرت جرائدها مقالات عديدة تطعن فيها على هذا المشروع وتعارض فى انجازه وتقول بعدم نجاحه وامكان عمله وغير ذلك وأخذت تخابر الباب العالى على يد سفيرها بالاستانة ليسعى جهده فى توقيف العمل وتغيظت من والى مصر حتى انها أعدت سفنها الحربية لتذهب الى الاسكندرية مهددة وحصلت المخابرات بين الباب العالى ومصر فى هذا الشأن وكثر الخوف فى الديار المصرية حتى ان قنصل فرانسا الموسيو سباتيه (Sabatier) كتب (٢٠ يوليو ١٨٥٩) الى الفرنسويين المقيمين فى برزخ السويس يشير عليهم بعبارة حتمية

وان كل من تأخر عن الرحيل لا يلوم الا نفسه وكثر اللغط فى شأن قدوم الأساطيل الانجليزية ومما زاد الخوف وأقلق الافكار ان الدولة العثمانية كانت غير راضية عن فتح القنال وليت الدولتين العثمانية والانجليزية نجحتا فى مساعيهما ومنعتا شق هذا القنال الذى شق المرائر وجلب المصائب والرزايا على هذه البلاد التعيسة ثم توسط نابليون الثالث فى الامر بالطرق السياسية وتخابر مع الدول فهدأت الاحوال وتذللت بعض المصاعب وكان العمل مع ذلك مستمرا ولم يأت يوم ١٨ نوفمبر من سنة ١٨٦٢ الا وقد شقت الشركة القنال المذكور حتى وصلت الى بحيرة التمساح كل هذا ولم تحصل الشركة على فرمان التصريح من الباب العالى اكتفاء بتصريح والى مصر وهو مما لا يسمح به القانون الدولى ولكن من يقرأ ومن يسمع ولهذا انتقد كثير من الكتاب بقولهم ولو أن فتح هذا القنال يعود على شركات الملاحة ودول البحار بالفوائد العظيمة لتقريبه الطريق بين أوروبا والممالك الشرقية وهو أمر يشكر عليه سعيد باشا ولكن كان الواجب عليه النظر مع حكومته فيما يعود على بلاده من المنافع والمكاسب التجارية والسياسية الحقيقية لان القنال فى أرض مصر وفتح بعمال مصر وأبنائها وكان لابد من ذكر ذلك فى عقد الشركة قبل أن يصدق ويصرح ولا يحق لاحد ما أن يمانعه فى ذلك

وفاة سعيد باشا — كانت وفاة محمد سعيد باشا بثغر الاسكندرية فى يوم ٢٧ رجب من سنة ١٢٧٩ هـ وعمره ٤٢ سنة ومدة حكمه ثمان سنوات وتسعة أشهر وكان رحمه الله جوادا كريما عادلا له فراسة ومعرفة بأمور كثيرة حاز نصيبا من المعارف عفيفا دينا زار قبر المصطفى سنة ١٢٧٧ واستصحب معه ١٢ بلوكا من البيادة و ٩٠ جنديا من السوارى ونصف بطارية من الطوبجية ورافقه كل من كامل باشا ومحمد راتب باشا وطلعت باشا وسليم باشا وابراهيم باشا وعبد الله باشا وعلى باشا أخو شريف مكة المكرمة وزكى باشا وكيل الشريف وغيرهم وعاد بعد شهر وستة أيام وخلفه فى الولاية ابن أخيه اسمعيل باشا

﴿اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد على باشا﴾

١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ

كان مولد اسمعيل باشا سنة ١٢٤٦ وتربى تربية علمية حسنة فى مدارس فرنسا مع اخوته أحمد باشا الاكبر ومصطفى باشا فاضل الاصغر وتقلب فى مدة سلفه سعيد باشا فى ادارات الحكومة المصرية فاختبر أحوالها بنفسه ولما انفرد بالحكومة بذل جهده فى تحسين البلاد فارتقت الى درجة لم يسبق لها مثيل فى هذه البلاد كما سنبينه فى مواضعه لانه صرف قصارى الهمة والعزيمة فى امتداد نطاق التجارة والزراعة والصناعة وملأ أراضى مصر بالترع والطرق الحديدية والخطوط التلغرافية حتى أوصلها الى بلاد السودان وأجرى المياه العذبة فى شوارع القاهرة وثغر الاسكندرية فى أنابيب حديدية على يد شركات أجنبية واضاء شوارع مصر واسكندرية بالأنوار الغازية ووسع معامل السكر التى كان سلفه أسسها بالوجه القبلى وأسس معامل الورق ببولاق بجانب المطبعة الأميرية التى أدخل فيها كثيرا من الاصلاحات وجلب لها أحسن الآلات حتى أضحت من

أحسن المطابع وترجمت في أيامه الكتب العديدة من اللغات الافرنجية الى اللغة العربية لالتفات الناس الى تحصيل العلوم وصرح في سنة ١٢٨٦ بتأسيس جمعية لنشر المعارف في البلاد بمساعي المرحوم عارف باشا جعلت تحت رعاية ولي عهد الحكومة توفيق باشا اعظاما لشأنها وقد أفادت هذه الجمعية فائدة جليلة بما طبعته من المؤلفات المهمة القديمة في كل العلوم العربية وأنشأ الكتبخانة الخديوية التي بدرب الجماميز وجمع فيها آخر المؤلفات بين عربية وتركية وفارسية وغيرها واعتنى بدار التحف المصرية اعتناء عظيما وعين لادارتها (١٨٦٣ م) ماريت بك (Mariette) المؤرخ الشهير والحاصل أن مصر دخلت في أيامه في دور التمدن الغربي الحديث واتسعت بها موارد الثروة واتفق أن قامت في أول أيامه الحروب الداخلية بممالك امريقا المتحدة وبذلك انقطع ما كان يرد منها من الاقطان الى انجلترة فتهافت طلابه على مصر فأثرى الناس من ذلك وأكثروا من زراعته

زيارة السلطان عبد العزيز خان لمصر — انه في السنة الاولى من تولية المرحوم اسمعيل باشا قدم مولانا السلطان عبد العزيز خان لمصر زائرا كما سبق في الجزء الاول فاحتفل به الخديو احتفالا لم يسبق له مثيل وفي مدة اقامته بثغر الاسكندرية صلى الجمعة بجامع سيدي الاباصيري في مقصورة خصوصية كما هي العادة وأقام بالقاهرة في سراي المرحوم محمد علي باشا التي بالقلعة وصلى الجمعة بجامع محمد علي باشا بالقلعة داخل مقصورة أيضا وضعت بجوار المنبر وخرج لصلاتها في موكب عظيم سار فيه بين يديه الامراء والذوات العظام على الاقدام وكانوا أعدوا لجلالته مقاصير أخرى بالمسجد الحسيني وبالمسجد الزينبي فلم يصل فيهما لانه لم يقم بالقاهرة الا سبعة أيام زار أثناءها أشهر الامكنة ثم عاد الى دار الخلافة وقدم له الخديو وابور فيض جهاد هدية ليكون له يختا خصوصيا فقبله وسمي من يومئذ بالسلطانية وأوصى الخديو بلونده على وابورا آخر لركوبه دعاه المحروسه كما أوصى بعض معامل فرنسا فبنوا له سفينتي مصر والغربية

المعارف في عهده — لما جلس المرحوم اسمعيل باشا لم يكن بمصر من المدارس الأميرية الا ثلاث فقط ولما كان يعرف قيمة العلوم لحسن تربيته كما سبق وأن سعادة الأمم مرتبطة بترقيها في المعارف وجه عنايته والحق يقال الى هذا الامر وأنشأ كثيرا من المدارس بمصر والاسكندرية ومدن الاقاليم حتى بلغ عدد ما أنشأه منها ٤٣ مدرسة [1] جمع فيها من شبان القطر عددا وافرا

---

(١) مدرسة الطب والولادة وكانتا مدرسة واحدة فوسع نطاقها وفصلهما من بعضهما سنة ١٨٦٤ والمدرسة التجهيزية تأسست ١٨٦٤ م ومدرسة اسكندرية تأسست سنة ١٨٦٤ ومدرسة المبتديان تأسست ١٨٦٣ والمهندسخانة تأسست ١٨٦٦ والطب البيطري تأسست ١٨٦٧ ثم ألغيت سنة ١٨٧٩ ومدرسة المحاسبة التابعة للحربية تأسست سنة ١٨٦٧ وألغيت سنة ١٨٧٣ ومدرسة الزراعة التابعة للحربية تأسست ١٨٦٧ وألغيت سنة ١٨٧٥ ومدرسة المساحة والمحاسبة تأسست ١٨٦٨ ومدرسة الحقوق تأسست ١٨٦٨ ومدرسة الفنون والصنائع تأسست ١٨٦٨ ومدرسة التلغراف العربي تأسست ١٨٦٨ وألغيت سنة ١٨٦٩ وعدة مكاتب متنوعة تأسست في سنة ١٨٦٨ وألغيت سنة ١٨٧٢ ومدرسة الفنون العسكرية تأسست سنة ١٨٦٨ وألغيت سنة ١٨٧٢ ومدرسة طنطا تأسست سنة ١٨٦٨ ومدرسة أسيوط تأسست ١٨٦٨ وفرقة الرسم بالمدارس الملكية تأسست سنة ١٨٦٩ وألغيت سنة ١٨٧٩ وفرقة النقاشين تأسست سنة ١٧٦٩ وألغيت سنة ١٨٧١ ومدرسة

هذا خلاف المدارس الحربية التي أنشأها ونظمها وجعلها كمدارس فرانسا في النظام وبذلك أعاد الى مصر التي كانت مركز العلوم والفنون كما يعلمه كل من له المام بالتاريخ أنفس ما كانت فقدته من أسباب السعادة ومدحه الكتاب على ذلك ولقبوه بمعيد مجد مصر ويعلم من الاسانيد الكتابية ان تلامذة المدارس المنتظمة بلغت زمن المرحوم محمد على باشا ٣٠٠٠ تلميذ فقط أما في زمن هذا العزيز فقد زاد عددهم عن ستين ألفا ما بين سنتي ١٨٦٣ و١٨٧٣ وبلغ في هذه السنة الاخيرة ٨٩٨٩٣ تلميذا واذا قابلنا هذا العدد على سكان القطر وقتئذ البالغ عددهم ٥٫٢٥٠٫٠٠٠ نفس بحسب الاحصاء الرسمي خص كل عشرة آلاف نفس ١٧٣ تلميذا وهذا وان قل بالنسبة لاكثر بلاد أوروبا لكنه يعد نجاحا عظيما بالنسبة لبلاد مصر وعين أدهم باشا مديرا للمدارس وناظر اللاوقاف (٥ ش ١٢٧٩) ثم فصل في ٩ صفر سنة ١٢٨٠ وأحال المدارس على شريف باشا الذي كان يومئذ رئيسا لمجلس الاحكام وفي ٢٢ الحجة سنة ١٢٨٤ عين علي مبارك باشا مديرا للمدارس والاشغال ثم فصل سنة ١٢٨٧ وعين مكانه بهجت باشا (٢٤ ج) وجعل علي مبارك باشا على نظارة الاوقاف وفي ٢٢ صفر من سنة ١٢٨٨ أعاد علي مبارك باشا مديرا للمدارس والمكاتب مع بقائه على الاوقاف ونصب بهجت باشا على الاشغال العمومية ثم في ٢١ ج سنة ١٢٨٩ جعل البرنس حسين باشا ناظر المدارس والاوقاف والاشغال والمكاتب الأهلية وعين علي مبارك باشا مستشارا له وفي ٢٠ جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ تعين مصطفى رياض باشا ناظر المدارس ثم فصل عنها في ١٠ محرم سنة ١٢٩٠ وتعين مكانه ثابت باشا (١٠ ربيع الثاني) ثم في ٢٤ رجب سنة ١٢٩١ فصل ووجهت نظارة المعارف والاوقاف الى البرنس طوسون باشا وتعين ثابت باشا مستشارا له وفصل في ٢٨ رجب سنة ١٢٩٢ ثم وجهت الى منصور باشا وفي ٢٧ جمادى الاولى من سنة ١٢٩٣ أعاد رياض باشا على نظارة المعارف ثم فصله في ١٢ شوال سنة ١٢٩٤ ونصب مكانه اسمعيل أيوب باشا ثم صرفه في ٢٨ شعبان سنة ١٢٩٥ وأعاد اليها علي مبارك باشا وفصل في ١٥ ربيع الثاني سنة ١٢٩٦ وأعاد اليها ثابت باشا فبقي وزيرا لها حتى تنازل اسمعيل باشا عن الاريكة الخديوية وكان في انشاء هذه المدارس فائدة كبرى لا تقدر حيث نبغ منها كثيرون أفادوا البلاد واستفادوا هذا خلاف ما كان بأوروبا من التلامذة المصريين الذين يرسلون

اللسان المصري القديم تأسست سنة ١٨٧٠ وألغيت سنة ١٨٧٥ وفرقة عمليات المرور تأسست سنة ١٨٧٠ وألغيت سنة ١٨٧٢ والمدرسة السنية للبنات تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة بني سويف تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة المنية تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة القربية تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة الجمالية تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة باب الشعرية تأسست سنة ١٨٧٤ ومدرسة السيدة زينب تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة شيخون تأسست سنة ١٨٧٤ ومدرسة بولاق تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة العقادين تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة النحاسين تأسست سنة ١٨٧٢ ومدرسة العميان والخرس تأسست سنة ١٨٧٥ ومكتب الحبانية تأسس سنة ١٨٧٢ ومدرسة رشيد تأسست سنة ١٨٧٦ ومكتب الامام الشافعي تأسس سنة ١٨٧٨ ومدرسة عابدين تأسست سنة ١٨٧٩ ومدرسة مصر القديمة تأسست سنة ١٨٧٩ ومدرسة الفشن تأسست سنة ١٨٧٩ ومدرسة قلم الترجمة تأسست في سنة ١٨٧٨ ومدرسة دار العلوم تأسست سنة ١٨٧٣ ومدرسة الحسينية تأسست في سنة ١٨٧٣ اهـ من كتاب الاحصاء للفاضل أمين بك سامي ناظر مدرسة المبتديان ودار العلوم

سنويا

سنويا على مصاريف الحكومة اما لاكمال معارفهم أو لتلقي العلوم بالمدارس المختلفة هناك فكانت فوائدها على الديار جمة ومنافعها مهمة اذ أوجدت لها من بنيها عددا كبيرا من الرجال أصحاب الاستعداد خدموها في اداراتها المختلفة ولا تزال أعمال خدماتهم تذكر وتشاهد للعموم الى الآن فتشكر

ثورة أحمد الطيب في قاو — ظهر في أول حكم الخديو اسمعيل باشا في بلدة قاو من أعمال مديرية جرجا رجل يدعى أحمد الطيب أصله من الصعيد الاعلى يزعم انه شريف جعفري ويدعي العلم والولاية والمكاشفات فالتف عليه كثيرون في زمن قليل وصار يطعن على الحكومة وأعمالها ويرمي الحكام بالمروق من الدين وحدث أن اشترى أحد الاقباط هناك جارية وحاول تنصيرها فأظهرت الامتناع فأغلظ عليها فلما علم أحمد الطيب بذلك قام لتخليص الجارية المذكورة وتبعه كثيرون من أخلاط مديريتي جرجا وأسيوط ولما خلص الجارية كما أراد لم يقف عند هذا الحد بل جاوزه وادعى المهدوية فاستفحل أمره وخافت الحكومة من ثورة شديدة تكون عليها وأمر الخديو بتوجيه قوة عسكرية عليه وهي أورطتان ومدفعان وكان على الاورطة الاولى البكباشي محمد بك شكري وعلى الثانية البكباشي فرج افندي الذكر وعلى الاورطتين القائمقام محمود بك طاهر (الآن باشا) وتعين جاهين باشا قائدا عاما على القوة المذكورة فسافرت الى قاو على بواخر النيل ولما وصلت انضم اليها فرقة من عساكر الباشبوزوق كانوا تحت قيادة رفاعة أغا ورافقها أيضا المرحوم محمد فاضل باشا مفتش وجه قبلي وقتئذ وهو المعروف بالدرملي وقصد الجميع الشيخ أحمد الطيب وجوعه واشتبكت المعركة بين الطرفين من الساعة العاشرة عربية نهارا وبعد ساعة انهزم الثائرون وقتل زعيمهم أحمد الطيب المذكور وقتل أحد عساكر الباشبوزوق وزال أثر الثورة بالمرة وبقيت العساكر هناك ثلاثة أيام حفظا للامن وقتل في هذه المعركة كثير من الثائرين وخربت بيوتهم وسلبت أموالهم ونفي عدد وافر منهم الى البحر الابيض مدة حياتهم ثم عفا الخديو عن باقيهم

البحرية في عهد الخديو اسمعيل باشا — سبق الكلام في مقدمة هذا الجزء عن الاصلاحات التي أدخلها اسمعيل باشا في الادارة البحرية من أول جلوسه واهتمامه باعلاء شأن دار صناعة الاسكندرية وذلك بأن أعاد ورشها ومعاملها وجمع لها الصناع من أطراف البلاد وجدد فيها كثيرا من الآلات والمسابك حتى أصبحت تكفي لاحتياجات البواخر المصرية واستغنت عن كثير مما كانت تحتاجه من البلاد الاجنبية وكان على البحرية يومئذ أحمد باشا الجوخدار ووكيله مصطفى بك التوصيلي ومدير دار الصناعة مصطفى بك جركس ثم عين أحمد باشا المذكور مديرا لقلم المشتروات الذي أنشئ حديثا فكانت جميع مصالح الحكومة تطلب منه ما يلزمها من البلاد الاجنبية فيشتريه لها بالمناقصة وبذلك توفر للحكومة مبالغ عظيمة ووجهت نظارة البحرية الى عبد اللطيف باشا (١٢٨٠ هـ) وجعل محمد رائف بك ناظرا للترسانة وأوصت الحكومة بعض معامل انكلترة وفرانسا بان تشيد لها سفنا حربية ولما وصلت تلك البواخر اختار لها عبد اللطيف باشا من رجال البحرية الملغاة من يرى فيهم الاهلية وصدر أمر الخديو أيضا بانشاء قرويت حربي بالاسكندرية ولما أتموه أنزل الى البحر باحتفال كما جرت العادة حضره الخديو بنفسه وسمي هذا

القرويت لطيف باسم ناظر البحرية وشرعوا في بناء قرويت آخر حربي وفي بناء منزل الديوان البحرية وعمروا مسجد سيدى المجاهد القريب من الميناء وأجريت اصلاحات أخرى مفيدة ونعين بعض ضباط البحرية في ادارات تابعة للبحرية مثل بحرى قبودان فانه تعين مأمور المشترَوات الوقتية وجعل مكانه بعد وفاته (١٢٨٤ هـ) اليوزباشي مصطفى قبودان عرفى ونصب شاهين قبودان مأمورا لفلائك وصنادل الديوان والبكباشي خلف الله قبودان مأمورا لورشة التبالة وما يتبعها من البراطيم والشمندورات والمخاطيف والجنازير والاحبال والمقص وغيرها من الاشياء الباقية من الدونمنا القديمة ثم لما أبدل المقص المذكور بآلة الونش الحديدى الكبير (١٢٨٨ هـ) الذى جعل لرفع الاثقال تعين له محمد الدكش قبودان الذى تعين فيما بعد بادارة الاسمانات والفنارات مع مديرها ميكلوب باشا وفى تلك الاثناء ابتاع لطيف باشا ناظر البحرية سبع سفائن شراعية جعل رباناتها من قبودانات المراكب الشراعية التجارية واستخدمها فى نقل الاخشاب والاحطاب اللازمة للبحرية والعسكرية من برالاناضول وكان ذلك من أحسن الاعمال وأفيدها لمصر ولما وصلت المراكب التى أوصت عليها الحكومة الخديوية من بلاد أوروبا أمر الخديو بنقل فرقاطة الابراهيمية ووابور سمنود من البحر الابيض الى البحر الاحمر عن طريق رأس عشم الخير وكان ذلك قبل فتح القنال فسافر الاول سنة ١٢٨١ هـ تحت قيادة مصطفى بك العرب وعرج فى طريقه على زنجبار فأكرم سلطانها السيد ماجد ابن السيد سعيد من بالسفينة المذكورة من المصريين وأهدى قبودانها سيفا مجوهرا وأشياء أخرى وأرسل معه مكتوبا وديا الى خديو مصر وكتب الخديو له يشكره على ذلك (١) وسافرت الثانية فى سنة ١٢٨٢ تحت قيادة سليمان قبودان حلاوة كما مر بالجزء الاول ثم لما وصل مصطفى بك الى السويس جعل باشبوغا لعموم السفائن فيها وكان على قبودان الديب مأمورا لادارة الحوض ولما رقى مصطفى بك العرب الى رتبة اللواء جعل

(١) الملك المعظم والسلطان المفخم سلطان زنجبار صانه الله تعالى من الاكدار سلام يسفر عن اخلاص المودة سناه وثناء يخبر عن صدق المحبة لفظه ومعناه وتحيات تتمسك بنفحاتها المحافل وتتمسك باذيالها نسمات الشمائل الى حضرة خلاصة الاماجد الاكارم وينبوع المحامد والمكارم مفخر الملك والعليا وانسان عين الدين والدنيا من أشرقت صفحات الايام بنور اقباله واتفقت كلمات الانام على شكر خلاله وقرت بسعوده النواظر وترنحت بوجوده أعواد المنابر فكأنها الغصون النواضر الاجل الاكرم الاسعد الامجد الافخم المشار اليه أعلاه حرس الله علاه ولازالت ثغور الملك بمعاليه باسمه ورياح السعد في نواديه ناسمه وعيون الخطوب عن سدته نائمه وغيوث السرور على ساحته دائمه آمين وبعد فقد وصل الى مشرفكم الكريم وتلقيته بما ينبغى له من التكريم فحصل لى مزيد المسرة بصحة مزاج تلك الحضرة وأخبرنى أيضا مصطفى بك قبودان سفينتنا الابراهيمية أنه لما وصل الى جهة مملكتكم المحمية حظى من جنابكم العالى بحسن التشريف وحصل له غاية المساعدة ونهاية التلطيف وشرح لدى ما ناله هناك من صنوف الالتفات والاسعاد وأوصل الى أيضا من طرفكم الشريف فرسين كريمتين من الصافنات الجياد فأحاط بى من السرور والابتهاج بما أبديتموه من معالى هممكم ولاسيما ما تكرمتم به من تشريف تلك السفينة بقدوم قدمكم ما يقصر فى وصفه اللسان ويقصر عن تعريفه بنان البيان ويضيق عنه نطاق التعبير ولا ينفسح له مجال التقرير والتحرير فشكر الله تلك الهمم العوالى وأبقاها مادامت الايام والليالى وهذا المحب بحمد الله فى صحة وعافية ونعمة من الله تعالى وافية ولازال مشمول القلب بالمودة اليكم مشغول اللسان بالثناء عليكم محافظا على صدق الموالاة والوداد مواظبا على حسن المصافاة ومزيد الاتحاد والمرجو أن يتصل ذلك بين الطرفين على الدوام وكل ما يلزم من هذا الجانب فهو رهين الاشارة والسلام ٤ حرر فى شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٢ هـ من المحب المخلص اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على اه من الآثار الفكرية

وكيلا

وكيلا للبحريه بدلا عن مصطفى بك التوصيلي الذى نقل الى مصلحة الانجراريه بدار صناعة بولاق بدلا من محمد بك مهدى البحرى (١٢٨٢ ﻫ) وتعين جمالى بك باشبوغ عابدله بالسويس وقبودانا لفرقاطة شيرجهاد وفى سنة ١٢٨١ ﻫ أمر الخديو بفتح مدرسة للبحريه وانتخب لها عبد اللطيف باشا من أولاد ضباط البحرية ٢٢ تلميذا وجعلها أولا فى ذرخ غمرة واحد ثم نقلت الى وابور النيل الذى سمى بعدئذ بالفيوم اسكون تحت نظارة قبودانه محمد بك الرودسلي وكان يعلمهم بعض العلوم البحرية ثم لما وصلت فرقاطة شيرجهاد الى السويس نقلت المدرسة المذكورة اليها وتعين للتدريس بها مصطفى قبودان شاهين ونبغ من المدرسة المذكورة طلبة استخدمتهم الحكومة فى بواخرها المستجدة ثم فصل لطيف باشا من البحرية وصار شاهين باشا ناظرا للجهاديه والبحريه معا وأوصى الخديو أحد معامل فرانسا على عمل ثلاث مدرعات حربية واحد معامل النمسا على مدرع رابع وأمر ناظر البحريه بفتح مدرسة بحريه يدرس بها مايدرس بالمدارس البحريه بأوروبا فصدع بالامر وانتخب لها من فيهم اللياقة من المدارس الملكية الاميريه وهم الحائزون على المعلومات الابتدائية وكنت من ضمنهم وجعلت تحت نظارة مكيلوب بك الانجليزى وكان استقدمه الخديو ليكون معلم فن الملاحة للامير ابراهيم باشا رابع أنجاله ولما أرسل الامير المذكور الى أوروبا جعل مكيلوب بك ناظر المدرسة البحريه المذكورة وكان يدرس فن الملاحة وسير السفائن وكان وكيله عبد الرزاق بك يدرس اللغة الانكليزيه وعلمى التاريخ والطبيعة وعلى سلامة أفندى يعلم علم الهيئة والجغرافيا و يعلم ابراهيم أفندى رسم خرط البحار ومصطفى بك صادق الرياضة والجبر وعلم المثلثات المستقيمة والكرويه واليوزباشى عثمان افندى طلعت استعمال السلاح والقوانين العسكريه والمسترجسون فن الطوبجية والسيف البحرى والارمه والمستر أوبرايم فن الطوربيد البحرى وسليمان أفندى زهدى اللغة التركية والخط وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات موزعة على الكيفية الآتية

ملحوظات	السنة الثالثة	السنة الثانية	السنة الأولى
	الآلات النجارية	جزء ثانى من فن الملاحة	جزء أول من فن الملاحة
	مناورة بحرية	الكائنات الجوية	استعمال الكرة الصناعية
	لغة انجليزية	فن الطوبجية البحرية	علم الطبيعة
	جغرافيا	لغة انكليزية	حساب المثلثات الكروية
	التاريخ البحرى	جغرافيا	جغرافيا
	القوانين البحرية	تعليم السلاح	خرط البحار
	خرط البحار	القوانين البحرية	تعليم السلاح
	مسائل بحرية	خرط البحار	فن المدافع
	تطبيقات	فن المدافع	فن الارمه
	تعليم السلاح	تعليم المجذاف	تعليم المجذاف
	فن المدافع	سير الفلائك بالشراع	تعليم سير الفلائك
	تعليم الارمه	تعليم الارمه	تعليم السباحة
	اللغة التركية	استعمال الكرة السماوية	اللغة التركية
	القوانين العسكرية	اللغة التركية	القوانين العسكرية
	فن الطوربيد	القوانين العسكرية	لغة انكليزية
	....	فن الطوربيد	....

واستمر التعليم بهذه المدرسة على هذا المنوال أربعة أعوام تقريبا وكانت نظارة البحرية تعتنى بها كثيرا وتهتم بشأنها وأمر رحمه الله أيضا فانتخبوا أربعة من التلامذة أرسلوا الى البلاد الانكليزية يتعلم اثنان منهم فن انشاء السفن وهما حسن فريد افندى وحشمت افندى ويتعلم الاثنان الآخران وهما محمد أنيس افندى ومحمد عارف افندى عمل الآلات البخارية كل ذلك بقصد توسيع نطاق البحرية المصرية ولما تعلم المذكورون ما أرسلوا لاجله عادوا الى بلادهم وألحقوا بدار الصناعة ثم انه فى أواخر سنة ١٨٦٨ لما قرب انتهاء فتح قنال السويس شيدت الحكومة أربعة فنارات على سواحل البحر الابيض عند رشيد ودمياط والبرلس وبورسعيد وشكلت للفنارات ادارة خاصة وأحالت رياستها على مكيلوب بك المذكور وجعلت سليمان حلاوة أفندى القبودان (١) مدرسا لفن الملاحة وحل المسائل الفلكية بالمثلثات الكروية بالمدرسة البحرية ثم ان مكيلوب بك اجتهد حتى تمكن من اضافة أعمال مينات مصر الى الفنارات وكانت ادارة ميناء الاسكندرية لغاية سنة ١٨٧٠ ميلادية خارجة عن الادارة المذكورة ورئيسها محمود قبودان كله يوسف وكان مكيلوب يسعى كثيرا فى ضمها الى بقية الموانى ويعارضه لطيف باشا الذى كان خلف جاهين باشا على البحرية ثم انتهى الامر بحصول مكيلوب على مرغوبه وأنعم عليه الخديو برتبة أمير اللواء وسن للفنارات والموانى نظاما خاصا هذا وكان بالبحر الاحمر أربع منارات أيضا بجهات زفو بيا والزعفران

(١) ولد سليمان حلاوة ببلدة قصر بغداد من أعمال المنوفية سنة ١٢٣٥ ﻫ ثم ألحق وهو فى العاشرة من عمره بمدرسة الاسكندرية الاميرية ولما تعلم بها القراءة والكتابة والمعلومات الابتدائية ألحق بمدرسة الطوبجية (١٢٤٧ ﻫ) فتلقى بها العلوم الرياضية ونال رتبة جاويش ثم باشجاويش ولبراعته جعلوه معلما الفرقة من التلامذة مع استمراره على تلقى العلوم وكان من معلميه وقتئذ المرحوم ان مظهر باشا وبهجت باشا وفى سنة ١٢٥٠ نال المترجم رتبة الملازم وفى سنة ١٢٥٣ عينوه بمدرسة البحرية مدرسا للهندسة والحساب وكان مع ذلك يتلقى العلوم البحرية وكان من معلميه اثنان من الاجانب أحدهما تليانى والآخر مالطى وقد ظهر عليه فى كل هذه الادوار استعداد غريب ومهارة فائقة ولما رأى ان علم الملاحة انما مبناه قوانين المثلثات المستقيمة الاضلاع والمثلثات الكروية أخذ يطبق علم الملاحة على هذه القوانين حتى برع فى فنون الملاحة وتقدم فيها جدا ثم لما مات المعلمان الاوروباويان المذكوران أحيل عليه تعليم فنون الملاحة وعلم الحساب أيضا ولحصافته ومهارته كان يلقى على التلامذة القضايا النظرية والعملية بطريقة بسيطة ويبرهن لهم عليها بكيفية سهلة مفهومة فاستفادوا وبرعوا ثم عينته الحكومة مع غيره لاكتشاف حدود مصر من جهة الغرب وتعيين الابعاد التى يمكن للسفن الاجنبية الدنو منها فعمل لذلك خريطة متقنة ثم عين مرة أخرى لاكتشاف المرافئ التى فى السواحل المذكورة فذهب ورسم لذلك خريطة أخرى ثم فى سنة ١٢٧١ لما ألغيت المدرسة البحرية جعل المترجم ضمن ضباط بخت فيض جهاد وأحالوا عليه تصحيح ساعات الكرنومتر ثم عينوه لتقدير حساب الاسفارية أيضا وفى تلك المدة نال رتبة اليوزباشى وفى سنة ١٢٨٢ نال رتبة الصاغقول اغاسى وجعل قبودانا بالباخرة ميمنود ثم رقى الى رتبة البكباشى وأمرته الحكومة بالذهاب الى بلاد الانكليز لاصلاح بعض آلات باخرته وان يأخذ معه حجاجا من فقراء المغاربة كانوا تخلفوا بمصر وتوصيلهم الى بلادهم وقد كابد فى هذه السفرية صعوبات شتى لانتشار الوباء بين أولئك الحجاج ورفض كل الموانى انزالهم بها ولما أخرجهم الى بلادهم وأصلح باخرته أمر بالدوران حول قارة افريقية لايصال الباخرة المذكورة لمدينة السويس فقام بذلك خير قيام ثم فى سنة ١٢٨٧ نقل الى المدرسة البحرية التى كان يديرها مكيلوب بك الذى نقل الى ادارة الفنارات أما المترجم فاحالوا عليه هناك تدريس الفنون البحرية والفلكية فأفاد التلامذة فائدة عظيمة وألف فى فن الملاحة كتابا يسمى الكوكب الزاهر فى فن البحر الزاخر ثم تقلب فى عدة وظائف الى أن أحيل على المعاش سنة ١٣٠٠ وكانت وفاته سنة ١٣٠٣ رحمه الله رحمة واسعة

والاشرفى

والاشرفى وأبى كيزان ولما كانت هذه الفنارات قليلة بالنسبة لكثرة صخور البحر المذكور وأخطاره أمر الخديو فشيد أخرى يهتدى بها الملاحة بالبحر المذكور وهى فنار رأس الغريب (١٨٧١ م) وفنار صخور الاخوين الشمالية (١٨٧٣ م) ثم فنار جزيرة شدوان (١٨٨٩ م) ولما مات مكيلوب باشا خلفه موريس بك ورقى الى رتبة باشا واستقل الاميرال بلوزنفلد بادارة ميناء الاسكندرية ثم جمعت المصلحتان فصارتا ادارة واحدة

ولما كان شاهين باشا ناظرا للبحرية أتى من فرنسا الحوض العوام الذى كان أوصى عليه الخديو (١٨٦٨ م) ويعرف هذا الحوض بالدولى وقد بلغت تكاليفه ١٢٦,٣٣٦ جنيها مصريا وطوله ٤٦٣ قدما وعرضه ٧٩ قدما وعمقه ١٧,٦ قدما وزنته ٣,٨٠٠,٠٠٠ من الكيلوغرامات وبه آلتان بخاريتان قوة كل منهما ٢٥ حصانا وله بابان يفتحان ويغلقان حسب الارادة وفتحات بالجوانب وغير ذلك وهو سهل الاستعمال كما يعلمه أرباب الملاحة (١) ولما تم بناء قرويت الصاعقة أنزل أيضا باحتفال ثم أرسل الى مدينة طولون تحت قيادة ابراهيم بك عربكرلى لتركيب آلاته البخارية وكان يصحبه باخرة الجعفرية وبها تلامذة المدرسة البحرية للتمرين وكان بها أيضا بعض طوائف المدرعات المصرية التى تم بناؤها بمدينة طولون المذكورة سنة (١٨٦٨ م) ولما اعيد لطيف باشا لنظارة البحرية بالسنة المذكورة باشر أعماله بما كان متصفا به من النشاط والصدق ثم أمره الخديو بالسفر الى سلانيك للوقوف على معدن الفحم الحجرى الذى أمر السلطان بان مصر تستغله فسافر على قرويت لطيف وكان قبودانه محمد بك الرودسلى ٢٠ ابريل ١٨٦٨ م ولما وصل الى سلانيك بحث فى أمر المعدن المذكور هو ومن معه من المأمورين وأخذوا منه كمية للتجربة وفى عودته عرج على قوله وطاشيوز والاستانة العلية ثم عاد الى ثغر الاسكندرية ولما اطلع المهندسون على الفحم المذكور وجدوه لا يصلح لعدم نضجه وكانت مصر قبل ذلك بحثت كثيرا على معادن الفحم بسواحل البحر الاحمر فلم تعثر على شئ منها وذلك لاشاعة القول بوجود هذا الفحم ببلاد اليمن على مقربة من ساحل البحر الاحمر جنوبى مخا ولكن يظهر أن مأمورى الاجانب الذين عينوا لهذا الامر كانت لهم مقاصد فى اخفاء ذلك لتتمتع بلادهم بالربح الوافر كما هو معلوم وأرسلت البحرية قرويت لطيف الى انكلترة لاصلاحه مع قبودانه سليمان بك أبى داود وعاد فى ٥ مايو سنة ١٨٦٩ وكانت أرسلت قبل ذلك فرقاطة محمد على لاصلاح مراجلها فى مالطه مع سواريها والذى المرحوم سرهنك بك ثم فى سنة ١٨٧٢ أرسلت الحكومة ستا من بواخرها وهى الشرقية والدقهلية والبحيرة والرحمانية والفيوم وشبين الى لوندرة لاصلاحها وتغيير آلاتها وجعلها من الطرز الحديث وأرسلت أيضا فى تلك السنة باخرة المحروسة لاصلاحها وزيادة طولها ٤٠ قدما وتغيير مراجلها

---

(١) متى أريد ادخال سفينة بهذا الحوض لاصلاحها تفتح الطاقات الجانبية المذكورة فيدخل الماء فى صناديق عظيمة متينة فى جوانب الحوض فيهبط الحوض الى قاع الماء فتدخل السفينة الحوض حينئذ وتثبت باخشاب تعرف بالمناطيل ثم ينزح الماء من الصناديق المذكورة بالآلتين البخاريتين المذكورتين فيخف ثقله فيطفو على وجه الماء بالسفينة وبذلك يتمكن الصناع من اصلاح ما فيها ومتى انتهى العمل منها تفتح الطاقات ثانية فيدخل الماء فى الصناديق فيهبط الحوض الى قاع البحر فيخرج السفينة ويمتاز الحوض العوام من الحوض الجرى بميزات منها امكان نقله من ميناء الى أخرى وسهولة هبوطه وصعوده وقلة مصاريفه وغير ذلك

وكان بها قاسم باشا ولما أصلحت عادت الى القسطنطينية وكنت يومئذ من ضباطها ولما عدنا ترقى قاسم باشا الى رتبة فريق وجعل وكيلا للبحرية (١٨٧٣ م) ورقى محمد كامل باشا الى رتبة اللواء وجعل قبودانا للمحروسة وفى هذه السنة احتفل الخديو بزواج أنجاله الامراء محمد توفيق باشا وحسين باشا وحسن باشا وكان احتفالا باهرا جدا دام نحو شهر من الزمان بحيث ضربت الامثال بفخامته وذكرنا باعراس بوران وبنت طيلون وغيرهما مما ورد ذكره فى التاريخ وأنعمت الحضرة السلطانية على كل منهم برتبة الوزارة ثم أدخل الخديو أنجاله المشار اليهم ضمن الوزراء ليتمرنوا على الاعمال فجعل ولده الاكبر محمد توفيق باشا رئيسا لمجلس النظار والداخلية والامير حسين باشا ناظرا للمدارس والاوقاف والاشغال العمومية والامير حسن باشا ناظرا للجهادية والامير طوسن باشا ناظرا للبحرية بدلا من لطيف باشا الذى اشتهر بالسعى فى ترقية البحرية المصرية (١) ومنصور باشا للمالية وجعل مصطفى باشا العرب مديرا لوابورات البوستة الخديوية وموسى بك ناظرا لدار الصناعة وتعين مكانه فى وابور المحروسة جمالى بك الذى كان سواريا لشيرجهاد بدلا عن مصطفى بك كچوك الذى كان خلف محمد رائف بك الذى ترقى الى رتبة اللواء وتعين باشبوغ السفائن الحربية بالبحر الاحمر وناظرا لدار صناعتها بدلا من محمد باشا الرودسلى (٢) الذى توفى (١٨٧٥ م) وفى سنة ١٨٧٤ انتقلت فرقاطة شيرجهاد من بورسعيد الى الاسكندرية وتركها المرحوم والدى وتعين باشمعاونا للبحرية

---

(١) لطيف باشا هو من معاتيق المرحوم محمد على باشا الكبير والى مصر ولما بلغ عمره ١٩ سنة أدخله المدارس الاميرية ثم نقل الى مدرسة البحرية التى كانت تحت ملاحظة القبودان كاملو (١٢٤١ هـ) وباتمام دروسه فيها عين قبودانا فى احدى البوارج الحربية التى كان الخديو جددها عقب ضياع سفنه فى نوارين وحضر صاحب الترجمة واقعة عكا (١٢٤٦ هـ) وكان وقتئذ سواريا على فرقاطة البحيرة ثم أخذ يترقى حتى صار مفتشا على دار صناعة الاسكندرية ثم عين ناظرا لدار صناعة بولاق وفى سنة ١٢٦٢ هـ نصبه محمد على باشا مفتشا على الاقاليم الوسطى وأمره بضبط رجل شقى كان زعيم العصابة من اللصوص كانوا ينهبون مشحونات المراكب التى تقف على السواحل ويفرون بها هربا الى الجبال فأخذ لطيف باشا يبحث عليه حتى وقف على أمره بأنه يأوى الى امرأة تسكن البرارى فأطمعها بالمال لتعلمه به بواسطة علامة وهى أن توقد نارا فيرى دخانها من بعد وقد كان وضبط الرجل بالقوة وحوكم فى ديوان الحقانية الذى أنشأه محمد على باشا وجعل لنفسه حق الحضور فيه عند الاقتضاء وفى سنة ١٢٦٥ عين المترجم حكمدارا للسودان ثم فصل منه وصار يتقلب فى كثير من الوظائف الملكية الى سنة ١٢٨٠ التى عين فيها ناظرا للبحرية ثم فصل سنة ١٢٨٤ وأعيد اليها ثانيا سنة ١٢٨٨ وبقى فيها الى سنة ١٢٩٠ ثم نقل منها عضوا فى المجلس الخصوصى حتى الغى فى سنة ١٢٩١ ثم اعتزل الاعمال طلبا للراحة وتوفى سنة ١٣٠٢ مأسوفا عليه

(٢) محمد باشا الرودسلى أصله من عائلة من جزيرة رودس وحضر منها مع أخيه سليمان الى الديار المصرية فادخلهما أحد معارفهما فى المدرسة الاميرية ثم تمما العلوم فى المدارس البحرية وذلك فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا ثم صارا من ضباط السفن الحربية ولما أعاد محمد على باشا أسطول الدولة العلية بعد انتهاء المسئلة الشامية هرب سليمان قبودان المذكور مع من هربوا فى الاسطول الى الاستانة وخدم فى بحريتها أما صاحب الترجمة فبقى مستخدما بسفن الدونما المصرية يتنقل من سفينة الى أخرى وفى سنة ١٨٥٤ سافر ضمن ضباط احدى البوارج الحربية التى أرسلها المرحوم عباس باشا الاول لمساعدة الدولة فى حرب القريم وبعد انتهائه وعودة الاساطيل صار المترجم يترقى الى أن جعله المرحوم سعيد باشا قبودان سفينته الخصوصية وبقى نائلا الرعاية الى أن جعل قبودانا للباخرة النيل ولما أنشئت المدرسة البحرية فى أوائل حكم الخديو اسمعيل باشا جعلها لطيف باشا ناظر البحرية فى وابور الفيوم تحت رئاسة المترجم وكان قائما بتعليم تلامذتها أحسن قيام ولما نقلت الى السويس فى وابور شيرجهاد صار المترجم يسافر بالبريد ضمن وابورات البوستة الخديوية ثم أحيل عليه نقل الجيوش الى جزيرة كريد فى ثورتها سنة ١٢٨٣ فقدمت فى حقه شكوى لعدم قيامه

وأرسل وابور رشندى تحت قيادة عبد اللطيف قبودان تركـ الى بورسعيد ليكون فيه قره قولا ثم لما نصب طوسون باشا ناظرا على المعارف والاوقاف فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٧٤ وجه الخديو نظارة الجهادية الى البرنس حسين باشا وأحال عليه نظارة البحرية وصارت من وقتئذ نظارة البحرية يتولاها ناظر الجهادية والحاصل ان القوة البحرية بلغت يومئذ درجة عظيمة وهاهى السفن التى كانت تتكون منها القوة المذكورة

السفن الحربية وغير الحربية التى كانت فى زمن المرحوم اسمعيل باشا

(ركائب خصوصية)

طول	عرض	عمق	الجزء الغاطس فى الماء من المقدم	الجزء الغاطس فى الماء من المؤخر	ما تحرقه من الفحم فى كل ٢٤ ساعة	حمولتها	مقدار ما تسع من الفحم	قوة آلاتها	سرعتها بالميل	نوع معدنها	مدافعها عدد	مدافعها عيار لبرة	جهة عملها	أسماء البواخر
قدم	قدم	قدم	قدم	قدم	طن	طن	طن	حصان	ميل		عدد	عيار لبرة		
٤٤٧	٠٤٣	٠٢٩	١٦	١٨	١٩٠	٣٥١٧	١٠٠٠	٨٠٠	١٦	حديد	٨	٢٤	لوندرة	المحروسة
٣٧٦	٣٩٫٦	٢٤٫٦	١٨	٢٠	٠٩٠	٣٩٢٤	٧٠٠	٦٠٠	١٢	«	٦	٢٤	تولون	مصر
٢٩٥	٠٣٧	٠٣٠	١٥	٢٠	٠٧٥	٣٦٠٠	٠٥٠٠	٥٠٠	١٠	«	٤	١٢	تولون	الغربية

البوارج الحربية

طول	عرض	عمق	الجزء الغاطس فى الماء من المقدم	الجزء الغاطس فى الماء من المؤخر	ما تحرقه من الفحم فى كل ٢٤ ساعة	حمولتها	مقدار ما تسع من الفحم	قوة آلاتها	سرعتها بالميل	نوع معدنها	مدافعها عدد	مدافعها عيار	جهة عملها	أسماء البوارج
قدم	قدم	قدم	قدم	قدم	طن	طن	طن	حصان	ميل		عدد	عيار		
٢٩١	٠٣٦	٢٩	١٣	٠١٦	٥٥	١٧٦٢	٣٤٠	٤٠٠	١١	حديد وخشب	٢٨	١٢	امريكا	فرقاطة محمد على
٢٥٧	٠٤٣	٣٠	١٨	٠٢٠	٧٠	٢٤٣٤	٥٠٠	٤٥٠	٠٨	خشب	٢٨	١٢	تريسته	فرقاطة شير جهاد
٢٢٠	٠٣٥	٢٢	١٦	٠١٨	٤٨	١٢٥٠	٣٠٠	٣٠٠	١٠	خشب	٠٦	٧٣	اسكندرية	قرويت لطيف
١٧٨	٢٥٫٦	١٤	٩٫٦	١١٫٦	٢٤	٠٤٠٠	١٧٠	١٥٠	١٠	خشب	٠٥	٤٠	انكلترة	مدفعية الخرطوم
١٤٩	٠٢٥	١٤	٠٩	٠٩٫٦	١٥	٠٣٠٠	١٠٠	٠٧٠	٠٤	مدرع ب ٤	٠٨	٢٤	انكلترة	دارعة دنقلة
٢٢٥	٠٣٤	٣٠	١٥	٠١٧	٤٦	١١٥٠	٣٠٠	٣٢٠	١١	خشب	٠٨	٢٤	اسكندرية	قرويت الصاعقة
١٦٣	٠١٧	١٥	٠٧	٠١٣	٢٢	٠٤٧٨	١٨٠	٠٨٠	٠٨	خشب	٠٧	٤٠	انكلترة	مدفعية سنار
١٤١	٠٢٤	٠٩	٠٥	٠٠٩	١٠	٠٠٨٨	٠٢٦	٠٦٠	٠٦	مدرع	٠٣	٧٠	فرانسا	زرخ غمرة ١
١٣٠	٠٢٤	٠٦	٠٣	٠٠٤	٠٦	٠١٧٧	٠٢٥	٠٥٢	٠٦	مدرع	٠٣	٧٠	فرانسا	زرخ غمرة ٢

بواجب الخدمة فيها وبقى قبودانا فى البوارج الخديوية الى ان صار قبودانا للوابور الغربية وسافر به فى أوائل سنة ١٨٧٤ بمعية العائلة الخديوية الى الاستانة وهناك نال رتبة اللواء وجعله الخديو قومندانا عاما على سفن البحر الاحمر فأقام فى سراى القومندانية يؤدى خدمتها الى أن توفى فى أوائل سنة ١٨٧٥ م

طرادات وسفن للنقل

طول	عرض	عمق	الغاطس في المقدم	الغاطس في المؤخر	ما تحرقه من الفحم في كل ٢٤ ساعة	حمولتها	مقدار ما تسع من الفحم	قوة آلاتها	سرعة سيرها	عدد المدافع	مادة السفينة	جهة عملها	أسماء البواخر المذكورة
قدم	قدم	قدم	قدم	قدم	طن	طن	طن	حصان	ميل	عدد قوة	معدن		
١٩٧	٢٧	١٢ر٦	٦ر٧	٠٦ر٩	٣٠	٠٣٥٢	١١٥	١٤٠	٠٩	٢ ٠٥	حديد	انكلترة	الطور رفاس
٢٤٥	٢٧	٠١٧	١٢	٠١٣	٣٨	٠٦١٤	٣٢٤	٢٦٠	١١	٤ ٢٥	خشب	«	أسوان دولاب
٢٤٥	٢٧	٠١٧	١٢	٠١٣	٣٨	٠٦١٤	٣٢٤	٢٦٠	١١	٤ ٢٥	«	«	شندى «
١٧٣	٢٥	٠١٦	١٢	٠١٣	٢٤	٠٤٠٠	١٣٠	٢٥٠	٠٦	٢ ر٠٥	«	اسكندرية	أسيوط «
٢٣٠	٣٠	٠٣٠	١١	٠١٣	٣٠	٠٦١٠	٣٢٠	٢٥٨	١٠	٢ ر٠٥	حديد	انكلترة	الجعفرية رفاس
٢٩٣	٧٧	٠٣٠	٣٠	٠٢٣	٢٤	١٣٧٦	٣٠٠	١٥٠	٠٩	٢ ١٠	خشب	«	سمنود «
١٥٥	٢٥	٠١٨	٨ر٩	١٢ر٩	١٢	٠٢٨٨	٠٩٥	٠٨٥	٠٨	٢ ٠٥	حديد	«	نور الهدى «
١٥٠	٢٥	٠١٧	٨ر٦	١٢ر٦	١٢	٠٢٨٨	٠٩٠	٠٨٠	٠٧	٢ ٠٥	«	«	مخبر
١٣٦	٢٢	٠٠٩	٧ر٥	٠٠٨	١٧	٠٣٠٩	٠٥٠	١٠٠	٠٧	٢ ٠٥	«	«	عجمى

ويتبع ذلك باخرتان للخدمة فى الترسانة تسمى الاولى برقة وقوتها ٣٢ حصانا والثانية حمدية وقوتها ٢٥ حصانا ورفاسان وبعض الكوائر والصنادل

سفن شراعية

طول	عرض	عمق	حمولة	أسماء السفائن	أسماء قبوداناتها
قدم	قدم	قدم	طونيلاطه		
١٠٧ر٠	٢٨ر٠	١٨ر٠	٠٥٠٠	بريك غـرة ١	مصطفى قبودان مرستاكى الكريدلى
١٢٥ر٠	٢٩ر٠	١٨ر٠	٠٦٥٠	« « ٢	حسن قبودان حسن الكريدلى
١٣٦ر٠	٢٩ر٠	٢٤ر٠	٠٩٥٠	« « ٣	محمد قبودان على الرودسلى
١١٥ر٠	٢٨ر٠	١٨ر٠	٠٦٥٠	« « ٤	محمد قبودان البدن الاسكندرانى
١١٠ر٠	٢٦ر٠	١٥ر٠	٠٦٤٠	« « ٥	محمد قبودان مصطفى القلاوظ الكريدلى
١٢٠ر٠	٢٨ر٠	١٨ر٠	٠٥٢٠	« « ٦	محمد قبودان صوان الاسكندرانى
١٨٩ر٠	٣٨ر٠	٢٧ر	٢٠٠٠	« « ٧	حسن قبودان عبادى

المجلس العسكرى البحرى — لما كانت السفن لاتخلو فى غالب الاوقات من حدوث بعض عوارض تصيبها امامن الزوابع أو المصادمات أو غير ذلك وكانت القوانين البحرية تقضى بتحقيق تلك الحوادث ومحاكمة كل من تقع عليه مسؤلية من جنود البحر وضباطه شكلت نظارة البحرية مجلسا بحريا مستدعيا للنظر فى ذلك ولم يكن هذا المجلس من قبل وكان رئيسه الميرالاى البحرى عبد الحميد بك (١٢٨٤ هـ) وأعضاؤه ينتخبون من قبودانات البوارج الأميرية التى تكون راسية بميناء الاسكندرية ومن كبار مأمورى دار الصناعة وكانت أول قضية نظرت فيه قضية ضياع باخرة السعيدية وحاصلها انه فى أول نظارة لطيف باشا على البحرية صدمت سفينة فرنسوية باخرة السعيدية صدمة قوية فأغرقتها داخل ميناء الاسكندرية بالمكان المعروف بميناء الانجليز ولم يتيسر

اخراج تلك الباخرة بعد ذلك وكان قبودانها يسمى على قبودان كوتره (١٢٨١ هـ) وفى سنة ١٢٨٢ هـ غرق وابور نجد سواريه سليمان قبودان الكريدلى بالبحر الأحمر من ملاطمته لشعب بجهة سواكن يعرف بساق عنب وغرق معه قبودانه المذكور واثنان من ضباطه هما سليمان قبودان وعمران قبودان وعدد كثير من ملاحيه وبينما كانت السفن المصرية بجزيرة كريد زمن المرحوم اسمعيل باشا أثناء ثورتها سنة ١٢٨٣ هـ غرقت باخرة نور الهدى سواريه حسن قبودان على ساحل اكروتير بينما كانت ذاهبة الى خانية وفى سنة ١٨٧٢ غرقت باخرة أسوان سواريه محمد سراج قبودان أثناء ذهابها من سواكن الى مصوع لصادمتها صخرا ونجت معظم طائفتها وفى السنة المذكورة أيضا غرق القرويت الشراعى نمرة ٢ وكان قبودانه يدعى حسنا كى الكريدلى امام مدينة اضاليه بزوبعة شديدة بينما كان يجلب أحطابا للجهادية وغرق معه أغلب طائفته واثنان من تلامذة المدرسة البحرية وفى سنة ١٢٨٥ بينما كانت باخرة الشرقية سواريه عبد اللطيف قبودان ترك مارة امام قره برون القريب من ازمير تصادمت مع باخرة قليوب المصرية سواريه محمد قبودان الجزائرى فغرقت وفى سنة ١٨٧٩ م بينما كانت الباخرة سمنود ذاهبة الى جزيرة سان موريس القريبة من مدغشقر تنقل آلات معمل للسكر كانت ابتاعتها احدى الشركات الانجليزية من الدائرة السنية هبت عليها زوبعة شديدة فأغرقتها وكان قبودانها الطبا يدعى لوسكو ومعه القبودان على بخيت أفندى وقد نجيا ونجا معهما كل الطائفة لوجود سفينة انجليزية كانت قريبة منهم وبينما كانت فرقاطة محمد على راسية امام صالى بازار بالبوسفور فى شهر محرم سنة ١٢٩٤ صادمتها باخرة انكليزية تحمل غلالا فغرقت الباخرة الانكليزية وأصاب الفرقاطة المذكورة بعض أضرار أصلحت بالاستانة ودفعت الشركة التابعة لها السفينة المذكورة قدرا من المال حسب القوانين البحرية وفى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة احترق قرويت لطيف بالبحر الأحمر وكتب مصطفى باشا العرب مدير وابورات البوستة الخديوية وكان قائما باعمال قاسم باشا وكيل البحرية الذى سافر مع السفن المصرية مدة حرب الدولة مع الروسيا تقريرا وافيا (١) أبان فيه سبب احتراق القرويت المذكور وقد أدرجناه أسفل الصحيفة لتمام الفائدة

(١) فى ١٧ مارث سنة ١٨٧٧ عرفت وكالة قومندانية السويس ان وابور لطيف حال حضوره من مصوع للسويس وهو بالبعد من فنار الزعفران بستة أميال و بالبعد عن ساحل أفريقية بسبعة أميال أحرق وأتلف بسبب النار التى ظهرت من قزاناته وان طاقه والنفوس التى كانت فيه حضرت مع وابور انكليزى الى السويس ولمعرفة حدوث هذه الحالة المحزنة كانت بأى كيفية وتحقيق ما اذا كان أحد مسؤلا فى هذا الخصوص من عدمه كنت استأذنت وسافرت الى السويس ولدى السؤال والاستفهام عن الكيفية من السيد قبودان شرف سوارى الوابور المذكور ومحمد عريف قبودان مفرداته وسائر ضباطه وطاقه قالوا انه فى حال ما كان قادما للسويس بالبعد عن فنار الزعفران بستة أميال وعن شاطئ أفريقيا الذى كان امامه بسبعة أميال وبمصادفته فى هذا الحال مرور وابورين انكليزيين واعماله المناورة اللازمة حال مرورهما ظهر بغتة من أحد قزاناته لهيب وشب فى قمرات الكويرتة وظهرت شعلة من جهة المدخنة بارتفاع باعين ومع بذل الجهد فى اخماده بواسطة الجرادل والطلومبه ما أمكن بل كان اللهيب يتزايد كلما صبت عليه المياه حتى التهب صارى الوسط وعربات الستة عشر مدفعا بالتى كانت بالكويرتة ولحقت النيران الجوانب العلوية منها والاربعة وعشرين صندوقا انتيقه جبخانه وأحاطت بكافة أطراف المراكب وصارت الطلومبة وغيرها عديمة التأثير وقد شوهد ان صناديق الانتيقة كانت تحترق فتفرقع وتنسف كالبارود فحولت الدفة على الاسكله لاجل الوصول الى البر قبل بوقت وبعد ان مشت المركب طول مركبين أو ثلاثة أطلق الباشمهندس البخار بدون اذن

ايجاد ادارة البوسطه الخديوية — كان الخديو اسمعيل باشا من يوم جلوسه موجها عنايته لانماء المواصلات البحرية ولذلك أمر بانشاء شركة بحرية كبيرة دعاها بالقومبانية العزيزية بعد ان أبطل الشركة التى كانت تأسست مدة سعيد باشا وتعرف بالمجيدية وجعل أموال هذه الشركة الحديثة مقسمة الى سهام كى يتمتع الكل بفوائدها فابتاع الاغنياء قدرا عظيما من أسهمها وخصص لها أولا سبع بواخر وهى الحجاز ونجد والقبارى وجدة بالبحر الأحمر والنيل والجعفرية وأسيوط بالبحر الابيض المتوسط وأوصى على انشاء بواخر جديدة ببلاد الانجليز وتعين مصطفى بك الطوسيلى وكيل البحرية مديرا لهذه الشركة وكانت السفن المذكورة تتردد على أهم ثغور الدولة بالبحرين الابيض والاحمر وعلى بلاد اليونان (١٢٨٠ ﻫ) ولما أتت السفن الجديدة الى ثغرى الاسكندرية والسويس جعل حسين شرين باشا مديرا عموميا للشركة المذكورة وعاد مصطفى بك الطوسيلى الى وكالة البحرية واستدعت الحكومة جميع ضباط البحرية الذين كانوا بالمصالح الاخرى أو فى المعاش واستخدمتهم بتلك البواخر وجعلت طوائفها من عساكر البحرية القديمة فانتظمت ادارتها وأحوالها وأسفارها انتظاما عظيما وأقبل عليها التجار والمسافرون اقبالا اغاظ الشركات الاجنبية الاخرى فنمى ايرادها وطارصيتها وكان المرحوم اسمعيل باشا لما رأى كثرة أرباحها أراد أن يكون ذلك لحكومته خاصة يتمتع به هو لا غير فابتاعت الحكومة أسهم الشركة من المساهمين ولو بقيت فى أيديهم لاعانت كثيرا على تعريف الناس فائدة الاشتراك فى العمل والسعى وراء المنفعة ثم جعلت لها الحكومة مصلحة أميرية سمتها بمصلحة وابورات البوستة الخديوية وتعين مصطفى باشا العرب مديرا لها وللانجرارية فى سنة ١٨٧٣ م واستخدم فى مدته كثيرا من القبودانات النمساويين والتليانيين والمالطيين وحرم أهل الاستحقاق والجدارة من خدمة بلادهم ومن المضحكات المبكيات ان يقال ان سبب ادخال الاجانب فى هذه المصلحة هى المنافسة التى كانت بين قاسم باشا ومصطفى باشا فلا حول ولا قوة إلا بالله ولما حل الاجانب محل الوطنيين نقل من بقى من الوطنيين الى السفن الحربية ولم يبق منهم فى مصلحة البوستة الا القليل وصار قدريقو باشا مفتشا عاما أو مشاركا له فى الاعمال لا يقطع فى أمر الا بعد أخذ رأيه ولما انتظم البريد وتزايدت

فبقيت المركب فى محلها وفى الحال سرت النيران فى أطرافها وصار يتعسر ذهاب أحد من المقدم الى المؤخر وبالعكس ولذا صار انزال طاقم المركب وعساكر السنة عشر مدفعا بر باوالار بعمائة وثمانين نفرا ركابا الذين كانوا موجودين بالفلائك وقد أخذت فلائك الوابورين الانكليزيين السابق ذكرهما بعض الركاب من سطح البحر والبعض من جهات المركب التى لم تصلها النيران وفى اخر الامر ألقى بنفسه الى البحر سوارى الوابور وضابطانه وصف ضابطانه المعبر عنهم عند البحرية بالكد كليان وبعد نقل الجميع بالفلائك الانكليزية الى مراكبهم احترقت كافة ارمة المركب المذكورة ووقفت والتهمت نكتنها النيران وبقيت مع المياه وتلفيات الانفس هى عشرون نسمة منهم تسعة بحرية وستة طوبجيه برية عدا فيهم البكباشى احمد افندى أسعد الطوبجى وواحد معاون وواحد يوزباشى وأسباب تلفهم ان الوابور رمذ كان فى الحركة قبل ان يقف قطع البكباشى المذكور بسيفه احبال احدى الفلائك التى كانت فى المؤخر ونزل هو والا نفار فيها فجاءت تحت الرفاس وتلفت وتلفوا هم أيضا وقد علم من اخبار وابور انكليزى لمحافظة السويس أنه فى الساعة السابعة من صباح اليوم الثانى فرقعت جبه خانة المركب المذكورة وأتلفت ما كان باقيا من الشكنة وفى أثناء ذلك صدر امر لسعادة مكيلوب باشا مدير الفنارات والمينا ات المصرية بتحقيق الكيفية وامر للمخلص بعودته الى اسكندرية فى ١٢ ربيع اول سنة ١٢٩٤ مصطفى العرب

علاقاته

علاقاته بمصلحة وابورات البوسته الخديويه ضمت مصلحة وابورات البوسته الخديويه للبوستة المصريه وفى ١٨٧٩ أضيف الحوض العوام الى مصلحة وابورات البوسته الخديويه وكانوا شيدوا لهذه المصلحة فوريقه عظيمة بدار صناعة الاسكندريه لعمل ما تحتاجه السفن من الاصلاح وكان حوض السويس وضع تحت ادارة مصلحة وابورات البوسته الخديويه أيضا من سنة ١٨٧٥ ميلاديه وقد بلغت عدد وابورات هذه المصلحة فى عهد الخديو اسمعيل باشا كما فى الجدول الآتى

وابورات القومبانية العزيزية التى سميت فيما بعد بالبوسته الخديويه التى كانت بالبحر المتوسط الابيض من ابتداء تشكيلها وأسماء القبودانات الذين تعينوا لها أولا

طول السفينة	عرض السفينة	عمق	مقدار جريانها فوق الماء من القدام	مقدار جريانها فوق الماء من الوراء	مقدار ما تحرقه من الفحم فى كل ٢٤ ساعة	حمولة	مقدار ما تسع خزانات فحمها	قوة ماكينتها	سرعتها بالميل	نوعها	أسماء البواخر	أسماء ورتب القبودانات الذين تعينوا لها فى أول تشكيلها
قدم	قدم	قدم	قدم	قدم	طن	طن	طن	حصان	ميل	المعدن		
٠٢٢٥	٠٣٥	٠٣٦	٠١٥	٠١٦	٠٠٢٤	١٠٢٣	٣٦٠	٢٥٠	١٢	حديد	البحيرة برفاس	قائمقام مصطفى بك لاغودا كى
٢٦٩٫٨	٠٣٥	٠٢٤	٠١٧	١٧٫٦	٠٠٣٨	١١٨٠	٢٤٠	٣٥٠	١١	«	الدقهلية «	قائمقام سرهنك بك
٠٢٦٩	٠٣٣	٠٢١	٠١٦	٠١٨	٠٠٣٦	٠٩٦٥	٤٤٧	٢٥٠	١١	«	طنطا «	بكباشى سليمان قبودان أبو داود
٠٢٧٠	٠٣٥	٠٢٥	٠١٥	٠١٧	٠٠٣٥	٠٩٩٠	٣٨٠	٣٠٠	١٠	«	قليوب «	بكباشى محمد قبودان الجزايرى
٢٦٨٫٦	٠٣٤	٠٢٨	٠٢١	٠٢٢	٠٠٣٢	١٠٣٣	٣٨٨	٣٠٠	١١	«	الرحمانية «	بكباشى محمد راشد قبودان
٢٧٦٫٧	٣٦٫٨	٢٤٫٢	٠١٩	٠٣٠	٠٠٣٤	١١٦٠	٢٤٠	٣٥٠	١١	«	الشرقيه «	قائمقام جمالى بك
٠٢٣٢	٠٣١	٢١٫٨	٠١٦	١٧٫٦	٠٠٣٠	٠٨٦٤	٢٥٥	٢٠٠	٠٩	«	المحلة «	بكباشى أحمد قبودان ترك
٢٣٥٫٧	٢٩٫٧	١٣٫٢	٠١٤	١٤٫٥	٠٠١٥	٠٦٧٦	١٨٢	١٦٠	١٠	«	شبين «	بكباشى ابراهيم قبودان واصل
٢٥١٫٢	٣٠٫٤	١٦٫٩	٠١٧	٠١٨	٠٠٢٢	٠٦٣٨	١٧٥	١٨٤	٠٦	«	الزقازيق «	بكباشى مصطفى قبودان سرعسكر
٠٢٨٨	٠٢٤	٠٢٣	٠١٥	٠١٣	٠٠٣٤	١٠٨٠	٤٥٠	٣٠٠	١١	«	الفيوم بدولاب	قائمقام محمد بك الرودسلى
					قنطار							
٢١٩٫٦	٠٣٠	٠١٧	٠١٥	٠١٦	٠٢١٫٦	٠٦٣٦	١٨٠	١٤٠	٠٧	«	دمنهور برفاس	بكباشى محمد كامل قبودان
٢٥٧٫٦	٣٠٫٨	١٦٫٩	١٥٫٦	٠١٧	٢٣٫١٣	٠٧٩٨	٢٢٠	٢٠٠	٠٧	«	المنيا «	بكباشى كل اسمعيل قبودان
٠٢٥٠	٠٣٢	٠٢٤	١٧٫٦	٠١٩	٣٠٠٠	١٠٦١	٣٣٥	٢٠٠	٠٩	«	دسوق	بكباشى عثمان قبودان بغماناكى
٠٢٢٦	٠٢٨	١٥٫٦	٠١١	٠١٢	٢٣٫١٠	٠٦٣٦	١٤٨	١٢٥	٠٩	«	مسير	بكباشى خورشيد قبودان
٢٢٦٫٨	٠٢٨	١٥٫٦	٠١١	٠١٢	٢٤٤	٠٦٣٦	١٦٠	١٢٢	٠٩	«	النحيلة	بكباشى مصطفى قبودان طوقاق
٢٢٥٫٣	٠٢٣	١٤٫٨	٠١١	٠١٢	٢٢٫١٣	٠٥٠٩	١٥٠	١٢٥	٠٩	«	المنصورة	بكباشى حسين رحمى قبودان

ثم نقل كثيرون من قبودانات هذه البواخر الى السفن الحربية من بعد سنة ١٢٨٣ ﻫ وترقى غيرهم لقيادة البواخر المذكورة

وابورات القومبانية العزيزية التى سميت بالبوستة الخديوية بالبحر الأحمر

طول السفينة	عرض السفينة	عمق	مقدار جزئها الغاطس من المقدم	مقدار جزئها الغاطس من المؤخر	مقدار ما تصرفه من الفحم فى كل ٢٤ ساعة	حمولتها	مقدار ما تسع مخازن فحمها	قوة آلتها	سرعتها بالميل	نوعها	أسماء البواخر	أسماء ورتب القبودانات الذين تعينوا لها فى أول الامر
قدم	قدم	قدم	قدم	قدم	طن	طن	طن	حصان	ميل	معدن		
٠٢١٩	٣٠٫٢	١٧	٠١٥	١٦	٢٠٫٦	٦٢٦	٢٥٠	١٤٠	٠٧	حديد	الحديدة	بكباشى عمر قبودان حجازى
٠٢٨٠	٢٨٫٦	١٦	٠١٤	١٥	٢١٫٤	٦٠٩	٢٠٥	١٢٠	٠٧	«	ينبع	بكباشى عمر قبودان الطويل
٠٢١٨	٠٢٨	١٦	١٥٫٦	١٧	٢٤٫٣	٩١٧	١٩٠	٠٩٠	٠٧	«	القصير	صاغقول اغاسى زغلل قبودان
١٩٧٫٦	٠٢٣	١٨	٠١٢	١٣	٠١٧٫	٤١٠	١٨٠	٠٩٠	٠٧	«	مصوع	صاغقول أغاسى قاسم قبودان العجوز
٠٢٤٥	٣٣٫٦	٢٣	١٧٫٦	١٩	٣٩٫٣	٧٥٠	٤١٠	٣٠٠	١٠	«	كفت	قائمقام على بك شكرى
٠٢٥٠	٠٢٩	١٦	٠١٤	١٥	٠٢٢	٦٠٩	٢٥٠	١٥٠	٠٨	«	الحجاز	بكباشى عبدالله قبودان
٠١٩٥	٠٢٢	١٧	٠١٣	١٥	٠٢٤	٩٠٠	١٨٥	٠٨٥	٠٦	«	سواكن	« حسن قبودان جركس
٠١٩٨	٠٢٣	١٦	٠١٥	١٦	٠٢٠	٦٠٠	٢٥٠	١٤٥	٠٧	«	نجد	« مصطفى قبودان العنتبلى الكبير
٠٢١٠	٠٢٣	١٦	٠١٤	١٦	٠٢١	٦٠٠	٢٤٥	١٥٠	٠٨	«	جدة	« محمود سلام قبودان

مصلحة البريد — لما تأسست ادارة البوستة بمصر سنة ١٨٦٥ م زادت أهمية بواخر البوسته الخديوية بحملها المراسلات من الديار المصرية الى الفرض التى تمر عليها وكانت أعمال البريد قبل سنة ١٨٦٥ موكولة الى عهدة رجل يدعى الموسيو ميراتى (Merati) وبعد وفاته عهدت الاعمال الى حفيده المدعو شينى (Chini) وكان لهذه الادارة امتيازات داخل القطر مثل نقل ما يتعلق بالسكة الحديدية بلا مقابل فكانت أعمالها مترقية منتظمة إزاء مكاتب البوسطات الاجنبية التى كانت بمدن مصر الان اجرة النقل بها كانت عالية فكان ما يؤخذ على الخطاب المرسل من القاهرة الى الخرطوم مثلا سبعة غروش ونصفا ولما كانت سنة ١٨٦٤ واتسع نطاق التراسل والتخاطب رأت الحكومة المصرية وجوب ابتياع ادارة البوسطة من شينى المذكور وكانت وكلتها اليه لمدة فى مقابلته قدر معلوم يدفع له سنويا فى أول سنة ١٨٦٥ ابتدأت أعمالها تحت مناظرة الحكومة ومباشرتها وجعلت لادارتها موزى بك (Muzzi) وفتحت لها مكاتب فى أكثر الجهات التى تمر عليها بواخر البوستة العزيزية ولما انعقد مؤتمر برن سنة ١٨٧٤ تقرر فيه جعل البلاد المصرية ضمن الاتحاد البريدى العام وأخذت الحكومة الخديوية تسعى فى اقفال مكاتب البوستة الاجنبية من بلادها بحيث لم تمض سنة ١٨٨٨ م حتى ألغيت المكاتب الاجنبية التى بمصر بعد مشارطات أبرمت مع الحكومات التابعة لها تلك المكاتب ولم يبق منها للآن سوى البوسطة الفرنسوية بالاسكندرية وبورسعيد وكان مدير البوسطة اذذاك الموسيو الفرد كليار (Alfred Caillard) ثم لما نقل الى الكمارك خلفه فيها هلتون باشا (F. Halton) الذى لما تعين لرياسة قومسيون السكة الحديدية خلفه فيها اسابا باشا

بناء مينا السويس واصلاح مينا الاسكندرية — سبق القول فى المقدمة بالجزء الاول الماعا الى هذه الاصلاحات ونريد الآن ذكرها بما يحتمله المقام من التفصيل فنقول انه فى السنة الاولى من حكم الخديو اسمعيل باشا انتهى بناء الحوض الجرى بميناء السويس وطول هذا الحوض ٤٠٣ أقدام انكليزية وعرضه ٩٨ قدما وعمقه ٢٦ قدما ومدوا عليه طريقا حديديا لسهولة الشحن والتفريغ وكان نقل البضائع من الاسكندرية الى السويس وبالعكس ترتب منذ سنة ١٨٤٢ م ومازال ينتظم وترتقى حالته بعد ذلك ويكثر الوارد اليه والصادر منه

حتى

حتى احتيج الامر لتوسيع نطاق المواصلات بين البلاد الآسيوية وبين مصر عند ذلك دعت الضرورة (١٨٥٦ م) لانشاء مرفأ كبير بالبحر الاحمر تحتمى فيه السفن عند الحاجة وتقام على جوانبه المبانى اللازمة لسهولة الشحن والتفريغ والتخزين فأمر المرحوم سعيد باشا لينان بك مدير الاشغال العمومية بالبحث عن مكان مناسب لذلك مابين السويس والقصير كما ذكرناه وبعد النظر فى ذلك تقرر انشاء مرفأ بالسويس وبناء الحوض الحجرى المذكور وشرعوا فى البناء سنة ١٨٦٦ وتم سنة ١٨٧٤ م وجعلوا المرفأ مرفأين سمى أحدهما بميناء ابراهيم وجعل للبواخر الحربية ومسطحه ١٦ هيكتار أى ١٦٠,٠٠٠ متر مربع وجعل الثانى للسفن التجارية ومساحته ٢٣٠,٠٠٠ متر مربع وجعلوا امام المرفأين من جهة البحر رصيفا من الأحجار جعلوا به فتحة عرضها مائة متر لدخول السفن وخروجها وبجانبيها فنارات وطول رصيف الميناء الحربى ٥٥٨ مترا وطول رصيف ميناء التجارة ١٥٢٨ مترا ويفصل الاثنين عن بعضهما رصيف عرضه ١٠٠ متر وطوله ٥٥٠ مترا جعل عموديا على الفتحة المذكورة هذا اما اصلاح ميناء الاسكندرية فهو أنه لما قرب فتح قناة السويس ورأت الحكومة انه ربما انتقلت أهمية اسكندرية التجارية الى بورسعيد بعد فتح القنال واتفق ان بعض الشركات الاجنبية كان طلب من الحكومة ان يتعهد باصلاح مدخل ميناء الاسكندرية وبناء مراس لوقاية السفن وأرصفة ترسو عندها للشحن والتفريغ على البر مباشرة ولما كان أحسن هذه الطلبات وأوفقها شروطا للحكومة شروط مسيو غرنفيلد (Greenfield) وشركائه من رعايا دولة بريتانيا العظمى أحالت عليه الحكومة انشاء ميناء الاسكندرية سنة ١٨٦٨ فى مقابلة مبلغ قدره ٢,٥٠٠,٠٠٠ ليرة مصرية (١) وفى أول مايو سنة ١٨٧١ شرعوا فى العمل وكان أوله بناء جسر كبير يعرف بكاسر الامواج طوله ٢٨٨٨ مترا منها ٥٧٣ من رأس التين الى الجنوب الغربى والغرب و ٢١٥ تمتد بانحناء و ١٧٠٠ متر تمتد الى الجنوب الغربى وجعلوا به فتحة للسفائن الشراعية بين طرف هذا الجسر ورأس التين وأتموه فى ديسمبر سنة ١٨٧٣ وأتموا انشاء المولص والارصفة فى أوائل سنة ١٨٨٠ م وطول هذا المولص أو الجسر ١١٤٠٠ متر من الجهة الجنوبية الغربية و ٩٧٠٠ من الجهة الشمالية الشرقية ومتوسط عرضه ١٣٠ قدما وطول المولص المتصل بالترسانة ٧٦٠ قدما وعرضه ٢٠٠ قدم ولا يخفى أن ترعة المحمودية تفصل أرصفة الميناء عن بعضها فجعلها قسمين تضمهما قنطرة متحركة قائمة على الترعة المذكورة وهذه القنطرة تفتح فى أوقات معينة ليتيسر لسفن النيل الذهاب الى البحر وطول الارصفة التى فى شمالى مدخل الترسانة ١٦٥٠ مترا وبهذه المبانى انتظمت الميناء وسهل على السفن نقل البضائع وتفريغها بالمخازن التى بنيت على الارصفة المذكورة ومن تمام النظام أيضا أن جعلوا فوق الارصفة

(١) كانت الشروط تشتمل على المواد الآتية (أولا) بناء جسر لكسر الامواج ومنع تأثيرها عن الميناء طوله ٢٣٤٠ مترا كله من الاحجار والصخور الصناعية الجسيمة ويبتدئ من رأس التين (ثانيا) بناء مولص أى رصيف من الاحجار الصلبة يبتدئ من رصيف محطة القبارى الى حوش الترسانة طوله ١٠٢٠ مترا (ثالثا) بناء أرصفة أخرى تبتدئ من رأس المولص المذكور وتنتهى عند الحوض المذكور (رابعا) تطهير الميناء بالكراكات ليسهل على المراكب التجارية الكبيرة الرسو على المولص مباشرة. اهـ من أعمال الجمعية الجغرافية الخديوية

نحو ١٥٠ شمعة أو عامودا من الحديد على شكل المدافع لتربط بها السفن أحبالها عند رسوها ثم أنشئت فوق الارصفة مبان عظيمة لمصلحة الكمارك ثم ديوان سنة ١٨٨٥ م وقد عادت كل هذه الاعمال على الحكومة والتجارة بالفوائد الجمة

اصلاح الشرطة — لما كان الخديو اسمعيل باشا يصرف همته فى التشبه بالممالك المنتظمة الاوروباوية رأى من الواجب أيضا تشكيل قوة من الشرطة يعهد اليها أمر حفظ الامن بداخل البلاد فألغى سنة ١٢٨٠ ﻫ طائفة القواسة من عموم الضبطيات والقره قولات والاقاليم وذلك بأن جمعهم وأرسلهم الى السودان ليكونوا بها جنودا والقواسة جنود بغير انتظام مجمكون كان جلهم من الاتراك الاشداء وجعلت الحكومة بين الشرطة الجديدة نفرا من أهل أوروبا غالبهم من ايتاليا لكثرة الاجانب بمصر وانتخبت الحكومة لتنظيم الشرطة ضابطين طليانيين هما الموسيو كارليسمو (Corlesimo) والمركيز نيجرى (Marquis Negri) وعهد اليهما تنظيم ادارتها أيضا وشكلوا كذلك أورطتين عرفتا بالمستحفظين للخفر بالقره قولات أورطة بمصر وضع عليها البكباشى يعقوب سامى أفندى وهو المنفى بسيلان الآن وأخرى بالاسكندرية وعليها البكباشى السيد أفندى قنديل وكانت الشرطة وأورطتا المستحفظين تابعة للضبطيات والمديريات

مساعدة الخديو فى اطفاء ثورة العسير — لما اشتدت الفتن ببلاد اليمن وتغلب الائمة عليها لاهمال الدولة العثمانية أمرها وعدم تيقظها عينت الوزير قانصوه باشا واليا عليها سنة ١٠٣٩ ﻫ ثم قدمها ومعه جيوش كثيرة ودخل مكة وقبض على أميرها الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبى نمى ثم قتله خنقا وولى امارة مكة للشريف مسعود بن ادريس بن الحسن ثم توجه الى اليمن ووقع بينه وبين الائمة حروب كثيرة وآخر الامر وقع بينه وبينهم صلح وهدنة ثم انقضى الامر باخراجه من اليمن كرها (١٠٤٥ ﻫ) فكان آخر الوزراء باليمن وصار أهل اليمن يخرجون الاتراك منها ويوقعون بهم (١٠٤٨ ﻫ) واستقر أمر اليمن لائمة صنعاء ثم ضعف أمرهم وكثرت الفتن بينهم حتى كان فى كل قطر من اليمن امام كل هذا ولم تلتفت الدولة العثمانية الى اليمن الا فى سنة ١٢٦٥ حينما علمت بتضعضع أحواله وتفرق كلمة سكانه فاستولت على تهامة فى دولة السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود ثم استولت على أعلاه تدريجيا وأخذت فى تنظيم ادارته ومد نفوذها فى انحائه وفى عهد السلطان عبد العزيز قام أمير العسير محمد بن عائض (١٢٧٩ ﻫ) بالثورة على الدولة وقصد الاستيلاء على تهامة اليمن فقاومه باور على باشا متصرف الحديدة وصد أعماله الا أن بعض البنادر بقيت فى قبضته فطلب السلطان من الخديو اسمعيل باشا ارسال بعض الجنود للتغلب على ذلك الثائر فصدع بالامر وأرسل ثلاث أورط من المشاة وبعض المدافع والخيالة وكانت هذه الجنود تحت قيادة المرحوم الميرالاى اسمعيل صادق بك ولما وصل الى جدة عقدوا اليها عزت حقى باشا مجلسا جمع فيه الشريف عبد الله باشا وبعض أمراء العسكرية واسمعيل صادق بك قائد الجنود المصرية المذكورة وبعد المداولة تقرر سوق الجنود المصرية والعثمانية من جهة قنفده وتمكن الجنود بعد قتال طويل من تسكين الفتنة وقدم محمد بن عائض الطاعة فتوسط له اسمعيل باشا وعفا السلطان عنه وجعله قائمقام سنجق العزيزية باليمن ثم عادت الفرقة المصرية ظافرة مشكورة

العمل

العمل وأنعم الخديو على قائدها برتبة اللواء مكافأة له على ما أظهر من الشجاعة وحسن التدبير وتوسط الخديو أيضا فأنعم السلطان على أمير العسير المذكور برتبة الميرميران ولما أجاب الباب العالى ملتمس اسمعيل باشا أرسل للامير المذكور يبشره بذلك ويظهر له التودد فى أواخر شعبان من سنة ١٢٨٢ فى مكتوب بليغ من انشاء المرحوم عبد الله فكرى باشا (١)

مساعدة الخديو للدولة فى حرب الجبل الاسود وكريد — انه فى أوائل جلوس اسمعيل باشا على الاريكة الخديوية قامت الثورة بالجبل الاسود وسببها ان البرنس ميركو والد امير الجبل الاسود نيقولا ساعد ثوار هرسك (١٨٦٢ م) وحرضهم على المقاومة فساقت الدولة الجيوش على الجبل الاسود لتمرد أميره المذكور ودخل السردار عمر باشا بقود جيشا قويا بلاد الجبل وعند ذلك اذعن أميره لطلبات الدولة (٣١ اغسطس سنة ١٨٦٢) كما تقدم ذلك فى تاريخ الدولة ولما سافر المرحوم اسمعيل باشا الى دار الخلافة لاستلام فرمان الولاية وتقديم واجب الشكر للخليفة طلبت الدولة منه ان يعزز جيوشها التى بالروملى بجنود من مصر خوفا من ازدياد الاضطراب عليها بتلك

---

(١) من خديوى الاقطار المصرية وما والاها من الاقاليم السودانية الى حضرة الامير الكبير ذى الحسب الشهير محمد باشا بن عائض قائمقام صنجق العزيزية اليمانية دامت معاليه وسعدت أيامه ولياليه غب سلام يفوح عرف الثناء فى أثنائه ويلوح لطف الولاء من أرجائه احمد اليكم الله سبحانه وتعالى على نعم تدوم بالشكر وتتوالى وأسأله لنا ولكم ولجميع المسلمين دوام السلامة وحسن الحال فى الدنيا والدين وأطالعكم بحسن مودة تألفت عليها الخواطر وصفت لديها السرائر فدلت عليها الظواهر وقد كنت طالعتكم أولا بما اقتضته اخوة الاسلام وأوجبته رغبتى فى اتحاد كلمة الموحدين على الدوام ومحبتى لبقاء البيوت القديمة مشيدة الاركان مصونة الجوانب من أن تطرق الى ساحة حماها صروف الزمان وعرفتكم أنكم اذا برئتم مما قيل فيكم من عدم المطاوعة وأثبتم ما توسمته فى حسن نيتكم من البقاء فى دائرة المتابعة فانى متعهد لكم بما هو أنفع وأحرى ومتكفل بأن توجه اليكم رتبة أمير الامرا فلما أظهرتم ما أعلم فيكم من الطاعة الحقيقية وأشهرتم خلوص الطوية لجانب الدولة العلية السلطانية ترتب على أن أفى بما وعدت وأفتق أزرما تعهدت ليتحقق لديكم من بعد أن اسمعيل كان صادق الوعد فكاتبت دار الخلافة العلية بما هو الواقع من عدم الخلاف واستملت لكم من جانب السلطنة السنية أعطاف الالطاف وحررت اليكم ثانيا بالبشارة بحصول ما سبقت اليه الاشارة والذى أوجب تأخر ماذكر للآن عن ناديكم انما هو تأثير ما قد قيل فيكم مما أوغر الصدور وأوعر سهل الامور فما زلت أكرر مراجعتى فى نفى شائبة الشبهة من جهتكم وأعيد المكاتبة فى اثبات حسن نياتكم وبراءة ساحتكم حتى تحقق لدى السلطنة ما انتم عليه من حسن الحال وزال من النفوس آثار ما سبق من القيل والقال فصفت الآن لكم القلوب وتم بحمد الله تعالى الامر المطلوب ووردت لنا من الباب العالى مكاتبة رسمية تعلن اتحافكم بتلك الرتبة البهية بعنوان الباشاوية وصدر فى ذلك فرمان سلطانى عزيز الاعزاز وقد بعث به على الفور الى حضرة الباشا والى الحجاز ليبادر بارساله اليكم وعن قريب يكون الفرمان بمشيئة الله لديكم فهنيئا بها رتبة بهر فضلها ورفعة فاخرة أنت أهلها ومحلها ومكرمة يتشرف ببهجتها النادى ونعمة تسر الاحبة وتسوء الاعادى وان لكم عندى محبة تقرب على بعد ديارها ومودة تدوم ان شاء الله على عهد استمرارها وصفاء لا يألف التكدر حماه ووفاء لا يعرف التغير مرماه فانى أحب ذوى المجد القديم وأراهم أهلا للوداد والتكريم وأنافس فى موالاتهم على تنائى جهاتهم وأرغب فى مصافاتهم على اختلاف حالاتهم وأتمنى دوام خيرهم ولا أقيسهم على غيرهم تلك سجية جبلت عليها ومزية وفقنى الله اليها وسنة ألفتها منذ عرفتها وشنشنة كلفت بها وما تكلفتها فكونوا واثقين بدوام مودتنا اليكم وليكن لنا أيضا مثل ذلك لديكم وقد بعثت اليكم ثانيا أحمد افندى اليمنى ليشافهكم بالسلام منا ويبلغكم بعض تفاصيل المودة الحقيقية عنا والله يوفقنا للخير والسداد ويدومنا على منهج الرشاد ويبقينا جميعا على أحسن حال بجاه شفيع الامة ونبى الكمال آخر شعبان سنة ١٢٨٢ الآثار الفكرية صحيفة ٦١

الارجاء فارسل الخديوى فى الحال فرقة مركبة من الاباين تحت قيادة اللواء المرحوم على غالب باشا بعد عودته من السودان وكان ذهب اليه صحبة القواسة الذين مر ذكرهم وكان على الالاى الاول حسين بك عاصم وعلى الثانى خورشيد بك عاكف ولما وصلت هذه العساكر الى الاستانة استعرضت امام الحضرة السلطانية بميدان بيقوز ثم سافرت الى جهات مناستير عن طريق سلانيك ولما كانت أحوال ولايات البلقان وقتئذ تزداد اضطرابا وقيام حكومة الصرب تعترض على اتفاقية مؤتمر الاستانة (١٨٦٢ م) الذى قرر بقاء العساكر العثمانية ببلادها فى بلغراد وسمندره وفتح الاسلام وشيانس والزمت الاهالى المسلمين من سكانها ببيع كافة املاكهم الى أهاليها ومهاجرة البلاد فى أقرب زمن وكانت الدولة رفضت اخراج جنودها من الصرب رفضا تاما الا ان اشتعال نار الثورة بكريد اضطرها لقبول مطالب الصرب أخيرا خوفا من ثورة عامة بالروملى ولما زاد لهيب الثورة فى كريد بالدسائس اليونانية والتحريضات الاجنبية وكانت جنود الدولة موزعة بالجهات التى يخشى من قيامها طلب المرحوم السلطان عبد العزيز من المرحوم اسمعيل باشا ارسال بعض الفرق المصرية للمساعدة فى تسكين فتنة كريد أيضا فلبى الطلب وأرسل أربعة الايات وهى الالاى الحادى عشر ويقوده خالد بك والالاى الثالث ويقوده اسمعيل كامل بك والالاى السابع ويقوده راشد حسنى بك والالاى السادس ويقوده راشد راقب بك وأربع بطاريات جبلية بذخائرها وكان يقود هذه القوة الفريق شاهين باشا ومعها اللواء اسمعيل صادق باشا وكان على فرقة أركان الحرب القائمقام على بك الجحرى والبكباشى عبد القادر افندى والملازمين عمر افندى رشدى وصالح طاهر افندى وسافرت هذه الجنود فى ربيع الاول من سنة ١٢٨٣ ه على عشر بواخر مصرية هى فرقاطة محمد على قومندانية قاسم بك والغربية قومندانية فوزان بك الفرنسوى (Voisin) والجعفرية قبودانية موسى قبودان والشرقية قبودانية جمالى بك وأسيوط وعليها نوفل قبودان والفيوم وعليها محمد بك الرودسلى والدقهلية وعليها المرحوم والدى سرهنك بك والمحروسة وعليها قدريقو بك ونور الهدى وعليها حسن قبودان وقليوب وعليها أحمد قبودان ترك وأبقى الخديو بعض هذه البواخر بكريد للمساعدة فى نقل الجيوش الى النقط العسكرية وكانت تلك البواخر تحت قومندانية قاسم بك ونقلت أيضا الى كريد العساكر المصرية التى كانت بمناستر ثم حدثت واقعة عظيمة بين الثوار والجنود المصرية فى جهة يقال لها أبوقرون جرح فيها اللواء اسمعيل صادق باشا جرحا بالغا فنقل الى مصر وعزل شاهين باشا عن قيادة الجند وتولاها مكانه الفريق اسمعيل سليم باشا ناظر الجهادية وأشيع بين ضباط الجيش المصرى ان سبب هذا التغيير شكوى القائد العام العثمانى من تداخل شاهين باشا مع العصاة فى أمور تمس حقوق الدولة كما سيأتى ولما حضر الفريق اسمعيل باشا اتفق مع قائد الجيش العثمانى على خطة ثم حدثت واقعة ارقاديا وكانت من أعظم الوقائع انهزم فيها الثوار هزيمة منكرة بخسائر جسيمة وقد أظهرت العساكر المصرية فى هذه الواقعة إقداما وشجاعة خلدت لهم ذكرا حسنا سيما الالاى السادس فأحسن الخديو على قائده راشد حسنى باشا برتبة اللواء وأرسل للجيش خطابا بليغا من انشاء العالم الفاضل المرحوم عبد الله فكرى باشا وكان مديرا لقلم التحريرات والعرضحالات بالمعية السنية يمدحهم فيه

ويظهر

ويظهر سروره من شجاعتهم (١) وفى تلك الاثناء ترقى قاسم باشا الى رتبة اللواء وجعل أمير الاعلى السفن المصريه ونصب مكانه المرحوم والدى سرهنك بك وأنعم عليه برتبة الميرالاى لما أبداه من الاعمال المفيدة لسهولة نقل الجيش وهى شق ترعة عند مكان يدعى سوية لتسهيل انزال الجنود فى الفلايك ومنها تصعد الى السفن فتنقلها الى مدينة أسفاكية وسبب ذلك انكسار مرسى الفلايك التى كانت هناك وكان بواسطتها تنزل الجنود الى السفن فلما كسرت أصبح انزال الجنود الى السفن متعذرا جدا الا بالترعة المذكورة وأرسل اليه الخديو مكتوبا يظهر له فيه امتنانه من أعماله (٢٤ رمضان ١٢٨٤ هـ) ثم عينت الدولة مصطفى نائلى باشا مأمورا فوق العادة للبحث عن أسهل الطرق والامور الموصلة لاخماد الثورة فى زمن قريب ولما وصل تقدمت الجيوش من كل جهة الى قلب الجزيرة تطارد الثوار فى كل مكان وكانت البواخر الحربية العثمانية والمصريه تحت قيادة الفريق ابراهيم باشا المورهلى تنقل الجيوش على سواحل الجزيرة للتضييق على الثوار فى كل جهة

(١) الى من باشروا وقعة ارفادى من الضباط الجهادية وأفراد العسكر المصرية سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لاولكم وآخركم ويسدى لأموركم وآمركم لازلتم محفوفين من الله بنصره محفوظين بأمره غالبين على عدوكم بقهره متقلبين فى نعمته وبره ولا انفكت عزائمكم فى كروب الحرب عزائم وصوارمكم فى قطوب الخطوب بواسم وأعلامكم للنجح والتمكين علائم وايامكم للفتح المبين مواسم ورياح القهر والدمار على عدوكم سمائم ونسمات النصر والفخار فى رواحكم وغدوكم نواسم وبعد فمازلت أتشوق من أخبار شجاعتكم مايسر الخواطر وأتشوف من آثار براعتكم مايقر النواظر واثقا بعزمكم وحزمكم فى المضايق مبتهجا بما أبديتموه من حسن السوابق حتى ورد قابور الشرقية من طرف حضرة الباشا ناظر الجهادية يوميات الوقائع العسكريه مشتملة على وقعة ارفادى وتفصيلاتها وما كان من رسوخ اقدامكم وثباتها واقدامكم فى جهاتها واقتحامكم مضايق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصماتها وتدمير اشقياء العصاة وكماتها حتى زلزلت صياصيها وذللت نواصيها ودنا لكم قاصيها ودان عاصيها فهكذا تكون رجال الجهاد وابطال الجدال والجلاد وهكذا تفتتح الحصون ويبرز سر النصر المصون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فقد اسفر لكم بحمد الله وجه التهانى واثمر فيكم بعون الله غرس الامانى وأبديتم ماثبت للعساكر المصرية من حسن الشهرة فى الامور العسكرية فحصل لى من الانس والسرور بهذه البشارة مالا تقدر الالسن ان تصف مقداره ولا يتسع له مجال الاشارة وتأيد فيكم حسن انظارى وظهرت ثمرات أفكارى وتحققت أنكم بعد الآن بعون الله الكريم لاتزالون عن هذا الطريق القويم ولا تزالون فى تأييد ما لكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصرتكم بين الاهل والديار وسارت الركبان بمحاسن هذه الاخبار كما نقلته صحائف الوقائع الى جميع الاقطار فانشرحت صدور أهلكم واخوانكم وفرحت بكم جميع أهل بلدانكم وابتسمت ثغور أوطانكم وافتخرت باحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أقرانكم والمأمول فى ألطاف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم فى حميتكم الملية وغيرتكم الوطنية ان يزول حال الاختلال عن قريب وينتهى أمر القتال والحرب ويطيع الجميع ويسهل كل صعب منيع وتعودوا لوطننا العزيز ظافرين بالنصر والتعزيز وقد قرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثر وبقى الاقل والحرب للرجل العسكرى والبطل الجرى سوق عظيم وموسم كريم تشترى فيه غوالى المعالى باغالى العوالى وتنال فيه منازل الاكارم فى ظلال السيوف الصوارم ويدرك الفخر الصادق بمرامى المدافع والبنادق وقد علمتم ان الشجاعة وان كانت تبلغ الآمال لاتقصر الآجال كما ان الجبن وان كان يورث العار لايؤخر الاعمار وانما هى آجال محدودة وأنفاس معدودة لاتقبل التغيير ولا التقديم ولا التأخير والشجاعة صبر ساعة ثم ينكشف الغبار وتسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد فى تواريخ الزمان فدوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا بأداء حقوق الجهاد واثبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والاقدام وانجزوا بعونه تعالى تمام هذا المرام وكما جودتم براعة المطلع فاحسنوا براعة الختام

ثم عينت الدولة المشير البحرى الحاج وسيم باشا قومندانا عاما على البوارج الحربية المعينة لحصر الجزيرة وأعلنت دول البحار بذلك (١٢٨٤ هـ) وبينما كانت السفن العثمانية تجول حول الجزيرة تلاقى وابور عزالدين سوارية حسن بك بباخرة للروم تدعى إركادى كانت تنقل الذخائر والاسلحة من بلاد اليونان لثوار الجزيرة خفية فأطلقت الباخرة العثمانية عليها النار بعد ان طلبت منها التسليم قرب ساحل قبوكريو وفرت الباخرة اليونانية المذكورة الى الساحل وخرجت منها طائفتها بعد أن القت بها النيران فأسرع البحارة العثمانيون وأطفؤا النار ثم أخذوها الى الاستانة وأصلحوها هنالك وأضيفت على الاساطيل العثمانية وبعد ذلك هدأت الفتنة بكريد نوعا (١٢٨٤ هـ) وبعد ذلك بقليل توفى الفريق المصرى اسمعيل سليم باشا عقب مغص اعتراه فى يوم واحد وأشيع بين الضباط المصريين انه مات مسموما لتناوله من حلواء أتت اليه من مصر ونقلت جثته الى مصر ودفن باحتفال وعين الخديو مكانه الفريق عبد القادر باشا الطوبجى الأأنه لم يمكث هنالك طويلا حيث تعين محافظا لمصوع التى أحيلت ادارتها وقتئذ الى الخديوية المصرية بفرمان سلطانى (١٢٨٣) وتعين مكانه بكريد محمد راتب باشا السردار ولما طال زمن الثورة أتى الى كريد الصدر الاعظم عالى باشا للنظر فى أسباب ذلك فعزل عمر باشا عن قيادة الجيش العثمانى لتراخيه فى الحركات العسكرية وسوء سلوكه ونصب بدله حسين عونى باشا فسكنت الثورة فى زمن قليل ثم عقدت دول أوربا فى باريس مؤتمرا لمسئلة كريد عينت الدولة فيه فؤاد باشا مأمورا من قبلها ولما أخمدت الفتنة عادت الجيوش العثمانية والمصرية الى الاوطان واحتفل الخديو اسمعيل باشا بقدومهم احتفالا شائقا وأقام لها الولائم بالعباسية بمصر

مساعدة اسمعيل باشا للانجليز فى حرب الحبشة — لما صعد تيودورس ملك ملوك الحبشة على تختها سنة ١٨٥٥ م كان المستر ولتر بلودن (Plowden) قنصلا للانكليز فى الحبشة وقد توصل هذا القنصل الى الاندماج ضمن خدمة هذا الملك الخصوصيين لما رب لدولته فى ذلك واستمر المستر المذكور فى الخدمة حتى قتل فى ثورة داخلية سنة ١٨٦٠ وفى سنة ١٨٦٢ أرسلت ملكة انكلترة القبطان كاميرون (D. Camecon) مكان المتوفى وأصحبته بجملة هدايا ولما وصل أراد تيودورس أن يرسل الى انكلترة سفارة وبعث بذلك مكتوبا فلم تلتفت نظارة خارجية انكلترة الى مكتوبه فاغتاظ من ذلك (١٨٦٣) واشتد غضبه لما لم تجاوبه حكومة فرانسا أيضا على مكتوب بعثه اليها وكان عين لها سفيرا ينوب عنه لدى الدولة الفرنسوية فلم تعترف به وعند ذلك قبض على من ببلاده من الاوربايين من تجار وقسوس وسجنهم وكان منهم مستر كاميرون قنصل الانجليز المذكور فاغتاظ كل من فرانسا وانجلترة وخاطبتاه فى ذلك فلم تفلحا وأخيرا أرسلت انجلترة مأمورا يدعى المستر فلود (Flod) سنة ١٨٦٦ لاطلاق سراح المسجونين فرفض تيودورس طلبها وعزمت الحكومة الانكليزية على تخليصهم بالقوة الا أنها استعانت قبل ذلك بالخديو اسمعيل باشا فكتب الى تيودورس كتابا من انشاء المرحوم عبد الله فكرى باشا [1] (اكتوبر ١٨٦٧)

(١) ما كتب من الخديو اسمعيل باشا الى الملك تيودورس سلطان الاقاليم الحبشية بعد الديباجة — بعد التحيات الزاهرة والتسليمات الباهرة والسؤال عن الخاطر الكريم والدعاء بدوام العز والتكريم أرى لما بيننا من

يتبعه

ينصحه فيه و يخوفه بأس انجلترة وان عناده وبال عليه فلم يلتفت الى ذلك فساقت انكلترة عليه جيشا عظيما تحت قيادة الجنرال روبرت نابير (Robert Napier) فى سبتمبر من سنة ١٨٦٧ م وكان هذا الجيش يتألف من ١٤٫٦٨٣ جنديا يتبعه ٢٨٫٠١٦ من الخدمة ومعه ٣٦٫٠٩٣ من حيوانات النقل والخيل و ٤٤ فيلا وسافرت هذه القوة على أسطول مركب من ٢٣٥ سفينة شراعية و ٩٤ باخرة حربية وغير حربية بقوده الاميرال ترين (Tryon) ثم نزل هذا الجيش بفرضة زولا وأمر الخديو عبد القادر باشا محافظ مصوع اذ ذاك بمساعدة الجيش البريتانى فى كل ما يحتاجه فارسل عبد القادر باشا بعض سناجق الباشبوزوق الى زولا وجعل جمالى بك قومندان فرقاطة شبرجهاد باشبوغا للبواخر المصرية الست التى خصصت لمساعدة الانجليز بالبحر الاحمر وهى كفيت والتاكه وشندى وأسوان والطور وشبرجهاد وأخذت السفن المذكورة تنقل له ما يلزمه من الاقوات من السويس وصرحت مصر أيضا لكثيرين من تجارها وأهاليها بمرافقة الحملة المذكورة فشرح ذلك صدر الحكومة الانجليزية وأعلنت شكرها للخديو ثم انتصرت الجيوش الانكليزية على الاحباش واحتلت مدينة مجدله ولما رأى تيودورس انه واقع فى يد أعدائه لا محالة أطلق على نفسه طبنجة فمات قتيلا أما الانجليز فانهم لم يقيموا بالحبشة طويلا فعادوا الى بلادهم سنة ١٨٦٨ وذلك خوفا من انتقاض البلاد عليهم باجمعها لانها كانت وقت دخولهم على خلاف فى الرأى مع تيودورس وأخذ الانجليز معهم عند خروجهم ابن النجاشى وكان حديث السن وأدخلوه مدارس بلادهم ليتربى على أخلاقهم ويكون فيما بعد عندهم كسلاح يقاتلون به الحبشة أو مسوغ يجيز لهم المداخلة فى أمورها ولكن قدر الله ومات ذلك الصبى بعد سنين قلائل

حقوق الجوار ولصوق الدار بالدار أن من الواجبات العينية واللازمات المرعية ابداء النصيحة كما اقتضى الحال والاشارة عليكم بما فيه الخير والسلامة فى الحال والمآل وقد تحقق الآن عندنا بوجه اليقين الخالى عن الظن والتخمين أنه لما طالت مدة الحبس بذاك الطرف على قنصل الانكليز و رفقائه المسجونين رأت حكومة الانكليز أن من الواجب عليها واللازم المهم لديها استعمال الحالة الجبرية فى استخلاصهم بالقوة العسكرية رعاية لمن فى حمايتها ووقاية لشرف دولتها ولذلك لزمها قطع روابط الحب مع حضرتكم والاعلان بالحرب على جهتكم وها هى جهزت عليكم من أجل ذلك جيشا كبيرا وعسكرا كثيرا وافر العدد مستكمل الآلات والعدد ولا يخفى على فطنتكم وحسن خبرتكم أن دولة الانكليز من قديم الزمان مشهورة بالشجاعة والقوة والبأس والسطوة وما كان سكوتها الى هذا الوقت كل هذه المدة المديدة والاعوام العديدة الا ابتعادا من الشر ورغبة فى بقاء الصلح والخير وأملا فى اطلاقهم بغير قتال والافراج عنهم بحسن الحال فاذا لم تحصل على هذا المرغوب فلا بد لها من إشعال نار الحروب واستعمال القوة الجبرية والحالة القهرية بما لا يخفى سوء عاقبته وشر نتيجته ولا بد أن يكون قد أحاط علمكم بما صنعته الدولة المذكورة فى بلاد الهند وفى بلاد الصين مع كثرة أهاليها وسعة أراضيها وبعد نواحيها ثم انا بيننا وبين هذه الدولة مودة قديمة وعلائق محكمة ومحبة قوية وهذه العساكر والجنود عند دخولها الى جهتكم يكون مرورها بالضرورة من أراضى الحكومة المصرية ولا سبيل لمنعها عن المرور وصدها عن القصد المذكور الا بالمبادرة من حضرتكم الى اطلاق المحبوسين المذكورين وتسريحهم الى بلادهم مسرورين قبل اشتعال نار القتال واشتداد الاهوال وتلف الرجال وضياع النفوس والاموال فلذلك دعتنى المحبة الوفيرة وصفاء السريرة وحقوق الجيرة ان أنصح لحضرتكم فى هذا الامر وأشير عليكم بالتباعد عن ذلك الشر فان أردتم الخير لكم ولبلادكم والسلامة وحسن العاقبة فاقبلوا هذه النصيحة الودادية والاشارة الحبية وأسرعوا باطلاق القنصل المومى اليه وباقى المحبوسين المذكورين وأرسلوهم الى جهة مصوع أو الى آخر حدود حضرتكم

الاحتفال بفتح ترعة السويس – سبق الكلام على هذا القنال الذى أوصل البحرين ببعضهما فى صحيفة ٧٦١ من الجزء الاول وكذا فى تاريخ المرحوم محمد سعيد باشا وماله من الاهمية وغير ذلك ونقول الآن ان كثيرين من ملوك مصر سعوا فى توصيل البحرين ببعضهما كما ورد فى التاريخ منهم سيتى الاول أحد ملوك العائلة التاسعة عشرة فانه سعى فى توصيل النيل بالبحيرة المرة التى كانت تتصل فى زمنه بالبحر الاحمر وقال استرابون (Estrabon) وغيره ان رمسيس الثانى هو أول من سعى فى هذا الامر وكان ذلك فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد تقريبا وقال غيره ان نيخاو الثانى أحد ملوك العائلة السادسة والعشرين احتفر فى سنة ٦١٠ ق م ترعة سبق الكلام عليها فى مقدمة هذا الجزء وكان امتدادها ٦٢ ميلا رومانيا أى ٥٧ ميلا انجليزيا ولما امتلك دارا الاول ملك الفرس الديار المصرية أمر سنة ٥٢٠ ق م بجرف الرواسب الرملية التى كادت تسد هذه الترعة وبتوسيعها ولا تزال آثارها باقية الى الآن بالقرب من الشلوفه وقال هيرودوت ان طول الخليج الموصل بين البحرين كان مسيرة أربعة أيام وعرضه كاف لمرور سفينتين من أكبر السفن فى آن واحد بكل سهولة وهو يتفرع عن فرع النيل الذى يصب عند مدينة بيلوزه ويتجه شرقا حتى يصل الى البحر الاحمر اه وروى ديسيلون ديودور الصقلى أن بطليموس الثانى لم يهمل أمر هذه الترعة وكذا حصل الاعتناء بالمواصلات المذكورة فى زمن الرومان ثم أهملت الى أن فتح العرب البلاد فحصل الاتصال بخليج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى زمن أبى جعفر المنصور أمر فردم هذا الخليج لقطع المواصلات عن المدينة عندما ثار أهلها وأراد هرون الرشيد توصيل البحرين المذكورين ببعضهما فنهاه جعفر وزيره عن ذلك وقال له يا أمير المؤمنين ان خرق السويس خرق فى الاسلام ثم فى عهد السلطان مصطفى خان الثالث العثمانى خطر بباله أن يعيد اتصال البحر الاحمر والابيض كما كانا قديما وكلف البارون دوطوت (Tott) الفرنسوى بدرس هذا المشروع ولم يتم لموت السلطان ولما احتل الفرنسويون الديار المصرية فى أواخر القرن

آمنين مطمئنين مع التكرم باخبارنا عن ذلك لنبادر باخبار الدولة الانكليزية رجاء أن تحجزعساكرها عن التقدم اليكم والسير عليكم فانهم اذا دخلوا حدودكم ونزلوا بلادكم بهذا الجيوش الكثيرة والجموع الغزيرة والادوات الكاملة والمدافع الهائلة والاسلحة النارية والعدد الحربية والآلات العسكرية يلحق جهة حضرتكم من ذلك الامر خطوب عظيمة وكروب جسيمة وأحوال ذميمة كما أنه من المعلوم بالضرورة أنه ان حصل تلف لهؤلاء المحبوسين فلا يكون ذلك موجبا لتأخير حركة الانكليز بل يكون موجبا لاشتداد غيظهم واحتداد غضبهم وتقوية عزيمتهم على السير عليكم لاجراء الانتقام الشديد والعقاب المزيد والامور الفظيعة والاهوال الشنيعة مما لا ينبغى تحريره ولا يحسن ذكره وتسطيره فان قبلتم النصح والوداد واخترتم مسالك الرشد والسداد صيانة للاموال والارواح ورعاية لبقاء الصلح والصلاح فذلك ظنى فى درايتكم وحسن سياستكم وأولى من خراب البلاد واتعاب العباد واشتداد الامور وامتداد الشرور والوقوع فى كل أمر محذور أما ان خالفتم وأخلفتم الظن وأردتم ابقاء المذكورين بعد هذا فى السجن فاعلموا أن لا بد للانكليز من أن يدوسوا أرضكم بهذه الجنود الحاضرة والقوة الوافرة والشدة الباهرة والصولة القاهرة فعند ذلك لا تنفع الندامة ولا تمكن السلامة وتكون الفرصة قد فات زمانها وانقضى أوانها وتعذر امكانها ونضطر نحن أيضا لان نزول ماعندنا من المودة اليكم وتكون حينئذ معهم عليكم لمخالفتكم نصيحتنا وعدم قبولكم اشارتنا والعاقل يختار خير الامور ولا يلقى نفسه فى الشرور وقد قمنا بواجب النصيحة وبقى القبول وذلك منكم غاية المأمول ونهاية المسئول ٦ جمادى الآخر سنة ١٢٨٤ من الآثار الفكرية

الثامن عشر الميلادى اهتم نابليون بونابارت بأمر اتصال البحرين ببرزخ السويس وجاب جهات البرزخ المذكور بنفسه وعين لذلك لجنة من المهندسين منها المهندس الشهير بطرس لابى (Pierre Lapie) فرأوا خطأ فى حسابهم أن البحر الاحمر يعلو عن البحر المتوسط الابيض بثلاثين قدما ولذلك أشاروا بعدم مناسبة فتح هذه الترعة فقال نابليون عند ذلك ان هذا العمل الخطير الذى لم يساعدنى الوقت على انفاذه سيأتى يوم ربما نالت فيه الدولة العثمانية فخر فتحه ومن وقتئذ بقى أمر هذا الاتصال موقوفا الى ان قدم الموسيو فردىنند دولسبس وتحصل على رضا محمد سعيد باشا بفتحه (٣٠ نوفبر ١٨٥٤ م) كما سبق وعينت الحكومة من قبلها لينان بك وموجيل بك لرسم أرض البرزخ المذكور وعمل الميزانيات اللازمة وتحديد محل الترعة والارض اللازمة لها وتقدير التكاليف وعدد العملة وغير ذلك فكلف المذكوران بكل عمل من ذلك طائفة من المهندسين المصريين ولما تمت الاعمال المذكورة تعينت لجنة أخرى مؤلفة من مهندسى دول أوروبا العظام وهى فرانسا وانكلترة والنمسا واسبانيا وايطاليا وهولانده وبروسيا وانضم الى هذه اللجنة اثنان من رؤساء البحرية احدهما من فرانسا والآخر من انكلترة لامتحان ما قرره المهندسون المصريون (٣٠ اكتوبر ١٨٥٥ م) وبعد ان نظرت هذه اللجنة فى المسئلة المذكورة بكل وجوهها عقدت مصر الشروط النهائية مع الشركة التى يرأسها المسيو دولسبس (٥ يناير ١٨٥٦ م) ومن شروط هذا الاتفاق أن يكون لمصر خمسة عشر فى المائة من صافى ربح القنال فى مقابلة الاراضى التى تنازلت عنها والمساعدات التى قامت بها وغير ذلك وتعهد سعيد باشا فى اتفاق آخر عقد فى ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٦ بتقديم العمال والفعلة اللازمين لحفر الترعة بشرط أن تدفع الشركة لهم أجورهم ولما نجح الموسيو دولسبس فى مشروعه وابتدأت الاعمال فى فتح القنال سعى الانكليز فى عرقلة مساعى دولسبس بتحريض الدولة العثمانية تارة وتارة باظهار عدم أهميته وفائدته كما سبق ولما كان للدولة الانكليزية النفوذ الاول بدار الخلافة اعترض الباب العالى على هذه الاعمال التى صرح بها والى مصر لشركة لا تعلم أعضاؤها على مباشرتها العمل قبل أن يقر عليه وهو صاحب السيادة وكان دولسبس تعهد بالحصول على تصديق الدولة وأنه ليس لسعيد باشا فى ذلك شأن وقد كادت مساعى الدولة تنجح فى ابطال هذا المشروع لولا تغلب سياسة فرانسا بالاستانة وبقيت المخابرات زمنا طويلا الى أن ارتقى الخديو اسمعيل باشا على الاريكة المصرية (١٨٦٣ م) وكان قد تم كثير من الاعمال التى كانت جارية فى حفر القنال ولما أظهر الخديو المشار اليه للشركة عدم استحسانه لتكليف أهالى مصر بحفر القنال لان ذلك معطل لاعمالهم الخصوصية وأعمال البلاد كما أشار لذلك الصدر الاعظم على باشا فى المكتوب المدرج بصحيفة ٧١٧ من الجزء الاول اضطرب سيرها ووقع النزاع بين الشركة والحكومة الخديوية ودارت المخابرات بسرعة بين الباب العالى ومصر ودولتى فرانسا وانكلترة سيما ولم يكن صدر الفرمان السلطانى بالتصريح للشركة بعمل القنال الى ذلك الوقت وقد قضت بعد ذلك سياسة الخديو اسمعيل باشا أن يتخذ الامبراطور نابليون الثالث حكما فى الموضوع ليفصل النزاع القائم بين مصر والشركة الفرنسوية قال العالم الفاضل المرحوم على مبارك باشا فى الخطط التوفيقية ان هذا التحكيم أوقع الحكومة المصرية فى بحور الدين وأهوال السياسة الدولية وألجأها الى أن تسير فى سياستها الداخلية والخارجية وفى ادارة

مصالحها الكلية والجزئية على سنن يخالف سننها القديم اهـ أما امبراطور فرانسا فانه حكم للشركة طبعا وأعطاها الحق فيما تدعيه فاصدر حكمه فى ٦ يوليو سنة ١٨٦٣ بعد ان استشار بعض أهل الدراية بالاحكام القانونية وانتدب خديو مصر نوبار باشا وأرسله الى باريس حتى يطلع الذين كانوا ينظرون فى هذه النازلة على اعتراض مصر ويوقفهم على دخائل المسئلة ولكن لم يفد ذلك وكان الحكم أن تدفع الحكومة المصرية الى الشركة على سبيل التعويض لعدم قيامها باحضار العمال ٣٨,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وفى مقابلة تركها للاراضى التى كانت رخصت لها الحكومة المصرية باحيائها وزراعتها ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وفى مقابلة تخلى الشركة عن الترعة الحلوة وفوائدها ١٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وغير ذلك بحيث دفعت مصر الى الشركة نحو ٨٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وذلك عبارة عن ٤,٤٦٤,٠٠٠ ليرة ولم ينظر نابليون ولا الذين استشارهم الى أن خديو مصر منح الشركة عمل القنال وتنازل لها عن مقدار عظيم من الاراضى بلا مقابل وجعل أهالى القطر كعبيد لها وغير ذلك ولكن والحق يقال إن هذه المساعدات التى منحها والى مصر عفوا أصبحت حقا للشركة وهى تعرف أن تحافظ عليه وتدافع عنه بكل الوسائل أما حقوق الشرق فهما كانت أسبابها وثيقة وشروطها متينة تصبح أثرا بعد عين لتفريطه وجهله والحاصل أنه بعد أن توفر المال لدى الشركة وتحصلت على الفرمان السلطانى بمساعى فرانسا كما تقدم اجتهدت فى فتح القنال ثم فى شهر مارث من سنة ١٨٦٩ م زار الخديو اسمعيل باشا القنال وركب باخرة مزينة بجميع أعلام الدول ومر فيه من طرف الى آخر فأعجبه ما رآه ثم سافر على باخرة المحروسة الى أوروبا وزار عواصمها ودعا ملوكها وأعاظم رجالها للحضور والاحتفال بفتح الترعة رسميا ولما عاد الى مصر أخذ فى الاستعداد لاستقبال مدعويه بكرم حاتمى وأمر فشيد والده تياترو بديعا وهو الاوبره الخديويه وأرسل فأحضر له مشهورى المشخصين والمشخصات من أوروبا وأقام كثيرا من القصور الفاخرة بمصر وجهات القنال وأصلح الطريق المؤدى الى الاهرام وغير ذلك مما يضيق عنه النطاق ثم أخذ المدعوون بالوفود على مصر وكان بعضهم يأتى فى بواخر يرسلها لهم الخديو أو الشركة وبعد قليل أصبحت فرضة بورسعيد مشحونة بأنواع وأجناس المراكب والبوارج والبواخر وأجرى الاحتفال رسميا فى ١٧ سبتمبر من سنة ١٨٦٩ م والذين شاهدوا ذلك الاحتفال من الملوك هم أوجين زوجة نابليون وامبراطورة فرانسا (Eugénee) والامبراطور فرانسوا جوزيف (François Joseph) ملك النمسا والبرنس فردريك (Frèderic) ولى عهد بروسيا وكثير من العظماء والامراء وكان الاحتفال فى غاية الابهة والجمال ما رأى الناس مثله فى حسن الاتقان وكمال المعدات الا ما سمعوا به فى القصص الموضوعة والروايات المخترعة وبلغ ما صرف عليه ١,٤١١,١٩٣ ليرة انكليزية وكانت مصر فى غنى عن صرف هذا المبلغ الجسيم ويا ليته صرف بالبلاد وبين أهلها بل دفع للاجانب لانه ثمن أشياء أتت من بلادهم ليتمتع بها أمراؤهم فى أرض الفراعنة ولكن الامر بيد الله فلا لوم ولا عتاب

المحاكم المختلطة بالديار المصرية — كانت جميع القضايا التى تحدث ما بين الأهالى والاجانب فى زمن ولاية المرحوم محمد على باشا تنظر ويحكم فيها بالمحاكم الشرعية والأهلية بهذه الديار طبقا للقواعد الامتيازات الاجنبية فى الممالك العثمانية ثم لما كثر التجار فى الممالك العثمانية

شكلت الدولة نظارة مخصوصة للتجارة (١٢٦٤ ﻫ ١٨٤٨ م) واضطرت أن تجعل مجلساً مختلطاً نصف أعضائه من العثمانيين والنصف الآخر من الاجانب ليحكم فى المسائل التجارية بين الرعايا والاجانب على اختلاف جنسياتهم أما الدعاوى الاخرى فكانت تحكم فيها المحاكم الاهلية وعلى ذلك كانت الاحكام سائرة فى الديار المصرية ولما كثر توارد الاجانب الى مصر أخذ القناصل يتداخلون فى القضايا التى تقع بين رعاياهم وبين الاهالى بغير أن يحصل اعتراض ما من أصحاب الشأن فى الحكومة المصرية وبذلك تمكن القناصل مع طول الايام واهمال مصر حقوقها وتفريطها فى أمر رعاياها من جعل دوائرهم كمحاكم تفصل فى كثير من القضايا التى تحدث بين رعاياهم وبين الاهالى واستمر الحال على ذلك الى ان ارتقى اسمعيل باشا الى مسند الخديوية فسعى فى أن يعيد الى المحاكم الاهلية ما كان لها من الامتياز السابق الذى تؤيده الاوامر السلطانية فوجد العراقيل والاعتراضات الشديدة من قناصل الدول ودعواهم فى ذلك سوء ادارة المحاكم الاهلية وعدم استقلالها وهو اعتراض وان كان فى غاية الحقانية والصدق الا انه اعتراض ظاهرى كما لا يخفى على اللبيب لانه لو فرض وكانت المحاكم المصرية بالغة حد الاتقان والاستقلال لاختلق القناصل المذكورون اعتراضات أخرى يتنصلون بها من جعل رعاياهم خاضعين لقوانين بلاد شرقية اسلامية ثم أمر الخديو نوبار باشا بالبحث عما به يمكن حل هذا المشكل الجسيم فاعمل الباشا المذكور فكرته أياما ثم قدم لسموه تقريرا وافيا فى سنة ١٨٦٧ م بين فيه جميع الامتيازات القنصلية وقال بعدم موافقة حالتها التى كانت عليها وقتئذ لأن تلك الامتيازات سنت لهم وقت ان كان عدد الاجانب فى البلاد قليلا وكانت الامتيازات المذكورة مختصة بأمر مبادلة التجارة فقط وان القناصل توسعوا فى معانيها حتى جعلوا أنفسهم محامين لرعاياهم ليخلصوهم من الجرائم التى يرتكبونها مع الاهالى وطلب فى تقريره اعادة الأمر الى ما كان عليه سابقا والا تتشكل محكمة مختلطة كالمحاكم التجارية المختلطة المذكورة التى فى الممالك العثمانية وان تكون الاغلبية فيها للمصريين واستحسن نوبار باشا وضع قانون لذلك على نسق قانون نابليون والقوانين الاوروباوية فقبل الخديو اسمعيل باشا ذلك التقرير بكل ارتياح وأخبر به القناصل رسميا وشرعت الحكومة المصرية تخابر فى شأنه مع الدول الاخرى زمنا طويلا وظهر من بعضها أثناء ذلك عدم ارتياح وامتنعت اليونان من قبوله بالكلية ثم ألح الخديو فى الامر وتشكلت فى باريس لجنة لنظره تحت رياسة الموسيو دوفرجى (E. Duvergier) رئيس قسم شورى الحكومة (١٨٦٧ م) وبعد المداولة رأت اللجنة المذكورة ضرورة إنشاء المحاكم المذكورة بلا توسع فى نطاقها ثم استمرت المداولة بين الحكومة الخديوية وبين الدول الاوروباوية حتى قامت حرب سنة ١٨٧٠ م بين فرانسا وبروسيا فتوقفت المخابرات زمنا طويلا ثم لما توجه الخديو اسمعيل باشا كعادته السنوية الى دار الخلافة تداول فى هذا الامر مع وزراء السلطنة وعقد هنالك مجلس (١٨٧٢ م) تحت رياسة الموسيو فيليب فرنسيس (Philip Francis) قنصل انكلترة العام فى مصر وقاضى المحكمة العليا البريتانية بها والموسيو تريكو (Tricou) قنصل فرانسا الجنرال وعينت ايطاليا مسيو جاكونى (Giaccone) وحضره نوبار باشا وبعد المداولة حرروا تقريرا (١٥ فبراير ١٨٧٣ م) بايجاد المحاكم المذكورة لمدة خمس سنوات على سبيل التجربة وقرروا أن تحكم تلك المحاكم فى المواد المدنية والجنائية ولكن اتفق عقب ذلك

سقوط وزارة نوبار باشا وتشكيل وزارة يرأسها المرحوم شريف باشا فكتب منشورا الى القناصل طلب فيه ان المحاكم المختلطة المذكورة تنظر فقط فى الاحكام المدنية حتى تحصل التجربة فى المدة التى تقررت وعند تجديد مدتها مرة أخرى ينظر فيما اذا كان من المناسب احالة مواد الجنايات عليها أم لا هذا وقد اتخذت فرانسا هذا البلاغ حجة لها ورفضت فيما بعد جعل الاحكام الجنائية من اختصاص تلك المحاكم وقانون هذه المحاكم مأخوذ من قانون نابليون مطبق على نوع ما على بعض قوانين البلاد والشريعة الاسلامية واعلم أن هذه المحاكم وان كانت سببت اضرارا جمة لبعض الاهالى لجهلهم بالاحوال القانونية فيما يتعلق بالمعاملات مع الاجانب وانتقلت بسبب ذلك وبسبب عدم وقوف قضاتها الاجانب على أحوال الاهالى والبلاد وقوفا تاما وعدم معرفتهم بأنواع الحيل التى يستعملها بعض الاجانب مع الفلاحين خصوصا للاستيلاء على ثروتهم بحكم هذه المحاكم وغير ذلك من الامور الا أنها على ما بها أحسن من محاكم القناصل بكثير ومن الغريب أن اللغة العربية التى هى لغة البلاد وان كانت احدى اللغات الرسمية التى يجوز الترافع بها أمام تلك المحاكم قد أهملت فيها بالكلية ولم نسمع بحصول الترافع بها امامها الا فيما ندر

تأسيس مجلس الشورى — لما كان اسمعيل باشا من عهد ماولى الخديوية المصرية دائبا فى ترقية أحوال البلاد لاح له أن من أهم الامور وأكثرها فائدة للبلاد هو تأسيس مجلس شورى يكون أعضاؤه من أهل البلاد وكان قبل ذلك شكل مجلسا خصوصيا وجعل أعضاءه من كبار رجال حكومته وأناط به النظر فى جميع المشروعات التى كان يرى لزوم ايجادها بمصر وكان يرأس جلساته بنفسه فى الغالب وأعضاء هذا المجلس هم الذين قرروا تأسيس مجلس الشورى المذكور حسب رغبته وكما يريد ووضعوا له لائحة أساسية لانتخاب أعضائه ولائحة نظامية فى بيان حدوده ووظائفه وأعماله وصدرت أوامره باعتماد ذلك وقد رأينا من الواجب أن نورد هنا نص الامر العالى الصادر بذلك لانه يعتبر أول خطوة خطتها البلاد فى طريق الشورى وهاهو بعد الديباجة

(قد تقدم عقد المجلس الخصوصى تحت رياستنا للنظر فى كيفية انتخاب الاعضاء التى يتركب منها مجلس شورى النواب الذى تقرر لدينا تأسيسه وافتتاحه فى ديارنا هذه المحروسة بعون الله وعنايته المحفوفة بألطافه ورعايته أملا فى حصول ما يترتب عليه من المزايا السنية والفوائد الوطنية والتوسع فى دوائر المعمورية والمدنية كما هو جلى للعيان غنى عن البيان وقد تم تنظيم اللائحة الاساسية على ما تقرر استنسابه وتحقق استصوابه وحيث كان من اللزوم بمقتضى البند الخامس عشر من اللائحة الاساسية المذكورة أن يكون لمجلس شورى النواب المشار اليه لائحة تحتوى على بيان حدوده ونظاماته وأعماله وكيفية ادارة أشغاله جرت المفاوضة فى ذلك بالمجلس الخصوصى تحت رياستنا أيضا وكمل تنظيم لائحة الحدود والنظامات المذكورة علاوة على ما لاح استحسانه وموافقته وهاهى صورة كل من اللائحتين المذكورتين وتحتوى الاولى على ثمانية عشر بندا والثانية تشتمل على واحد وستين بندا كما سيأتى بيانه وأصدرت أمرى هذا اليكم لاعتمادهما والعمل على موجبهما وبالله التوفيق والهداية الى أقوم طريق)

وافتتح الخديو المجلس المذكور بنفسه فى يوم ١٠ رجب من سنة ١٢٨٣ (١٩ نوفمبر ١٨٦٦) وألقى عند ذلك خطابا (١) كما هى العادة ذكر فيه ميله الى ترقى الامة والبلاد وغير ذلك وأصدر

(١) من المعلوم أن جدى المرحوم حين تولى مصر وجدها خالية من آثار العمار ووجد أهلها مسلوبى الامن والراحة فصرف الهمم العالية لتأمين الاهالى وتمدين البلاد بايجاد الاسباب والوسائل اللازمة الى ذلك حتى وفقه الله تعالى لما

ايضا

أيضا لكل عضو من أعضائه أمرا بتعيينه فى ذلك المجلس لمدة ثلاث سنين شمسية (٢) أشار فيه الى ماتؤمله البلاد من الاعضاء باجتماعهم وابداء آرائهم واجاب الاعضاء بخطاب حوى مختصر تاريخ البلاد ومانالته من السعادة والتقدم والارتقاء فى عهد العائلة المحمدية العلوية وشكروا فيه المآثر الخديوية الاسماعلية بمنح البلاد حقوق الشورى التى يبقى ذكرها على توالى الازمان

أراده من تأسيس عمارية الاقطار المصرية وكان والدى مواله ونصيرا فى حياته فلما آلت اليه الحكومة المصرية اقتفى أثر أبيه فى اتمام تلك المساعى الجليلة بكمال الجد والاجتهاد فلو ساعده عمره لكملها على أحسن نظام ثم انقلبت أحوال مصر بعدهما الى أن قدر الله تعالى تسليم زمام ادارة حكومتها الى يدى ومن حين تسلمته لهذا الآن رأيتم دوام سعيى واجتهادى فى اكمال ماشرعا من المقاصد الخيرية بتكثير أسباب العمارية والمدنية أعاننى الله على ذلك وكثيرا ما كان يخطر ببالى ايجاد مجلس شورى النواب لان من القضايا المسلمة التى لا ينكر نفعها ومزاياها أن يكون الامر شورى بين الراعى والرعية كما هو مرعى فى أكثر الجهات ويكفينا كون الشارع حث عليه بقوله تعالى وشاورهم فى الامر وبقوله تعالى وأمرهم شورى بينهم فلهذا استنسبت افتتاح ذلك المجلس بمصر تتذاكر فيه المنافع الداخلية وتبدى به الآراء المفيدة تكون أعضاؤه متركبة من منتخبى الاهالى ينعقد بمصر فى كل سنة مدة شهرين وهو هذا المجلس المقدر بعناية المولى فتحه فى هذا اليوم على يدنا الذى أنتم فيه أعضاء منتخبون من طرف الاهالى وانى أشكر الله على ماوفقنى لهذا الامر المبرور وواثق من فطانتكم بحصول النتيجة الحسنة من حسن المداولة فى المنافع الداخلية الوطنية وفقنا الله تعالى لما فيه منفعة الجمهور وعلى الله الاعتماد فى كل الامور ٦ اه من القانون المطبوع ببولاق آخر شعبان سنة ١٢٨٣

(٢) قدوة الوجوه المعتمدين والاعيان المنتخبين فلان الفلانى من البلد الفلانية بالقسم الفلانى بمديرية كذا زيد اقباله ودام كماله قد علم آل الوطن العزيز وفهم أهل الفطن والتمييز دوام شغف فؤادنا واشتغال أفكارنا بما فيه معمورية بلادنا هذه وسعة منفعة ديارنا ومايقدم أهلها فى مدارج التمدن ويصعد بهم فى معارج التمكن وقد علمت ان ترتيب مجالس الشورى الوطنية مما يعود على ديارنا هذه بمزيد المزية كما جرت فى سائر الدول المتمدنة وشوهد بين جميع الملل المتمكنة فان تلاحق الافكار وتصادق الآراء والانظار يستنتج ثمرات الالباب من أغصانها ويستخرج محسنات الصواب من أفنانها وقد رأيت فى أهل وطننا المبارك بحمد الله تعالى وتبارك من مزيد الاهلية والاستعداد مايكون عونا على حصول هذا المراد فلذا رسمت بترتيب المجلس المذكور وانشائه وأصدرت لائحة مخصوصة فى كيفية انتخاب أعضائه بحيث يكونون من وجوه أهل وطننا لينوبوا عن سائر أهالى مدائننا وبلداننا وقد كمل أمر الانتخاب الآن ممن يصلح لهذا الشان وأنت ممن انتخبوا لهذا الخصوص وصدق عليهم فى قرار القومسيون المخصوص وعرض ذلك بواسطة سعادة رئيس المجلس الينا فقوبل بقبوله واستحسانه لدينا فأصدرت هذا اليك اعلاما بأنك ممن حاز شرف الامتياز بالعضوية فى ذلك المجلس مجلس شورى النواب الوطنية وذلك بمدة ثلاث سنين شمسية حسبما تقرر فى اللائحة الانتخابية وكلكم صحاب روية وأهلية وأرباب فطنة جلية وكمال معرفة بالمصالح الداخلية والمنافع المحلية فاملى فى سمو أفكاركم وعلو أنظاركم أن يكون فى اجتماعكم هذا مايزيد أوطاننا به فلاحا وتقدما وتجارى به غيرها من الممالك المعمورة والمدائن المشهورة اصلاحا وتحسينا فتماونوا فى النظر الصائب وتبينوا الفكر الثاقب وتخذوا فيما يتعلق بهذا المجلس من المصالح الداخلية والمواد التى ترى الحكومة أنها من خصائص هذه الشورى الوطنية وأدوا وظائف هذه الجمعية على وفق حدودها وأبدوا من شرائف الآراء لبهية خير موجودها وتبصروا مافيه اعتلاء أقدار بأقطارنا واجتلاء أوطاننا بأوطارنا ومزيد الرفاهية لاهاليها وساكنيها على وفق المطلوب وانتظام حال الزراعة والتجارة والصناعة فيها على أحسن أسلوب نسأل الله دوام التوفيق وبلوغ الآمال وحسن الحال والمآل فهو مولى الخير ومولى الكمال فى رجب سنة ١٢٨٣ ٦ اه من صحيفة ١٠٠ ج ٥ منتخبات الجوائب

وقد أدرجناه أسفل الصحيفة لتمام الفائدة (١) ولما أراد المرحوم شريف باشا تعريف الاعضاء

(١) صورة جواب النواب — بعدما تشرفنا بالاصغاء للمقالة الجليلة الجامعة جوامع الكلم الجميلة . نبادر الى الاعتراف بما حوته بغاية الانشراح وكمال الارتياح ونقول ان الذى قطفناه من زواهر الاخبار التاريخية وعرفناه من سوافر آثار الديار المصرية انها كانت فى الاعصار الخالية رافلة فى حلل المفاخر الحالية وان بقية الاقطار كانت تستمد من نيل معارفها الوافر معترفة بأنها مغترفة فى الاصل من نيل عوارفها الزاخر لكن لتداول أيدى من لم يحسن تدبير ملكها من الملوك السالفين تناوبتها نوائب الزمن وتناولتها أيدى المحن حينا بعد حين فاندرست معالمها الباهرة وانطمست آثار مفاخرها الزاهرة ولعبت بها أيدى الدهور وتكاثرت فيها الحروب والشرور حتى رجعت القهقرى وأصبح غيرها من الممالك فى أنواع التمدن متقدما وملكها متأخرا وقاسى أهلها من الذلة والمسكنة ما صاروا به فى غاية الحقارة والمهنة البينة الى أن أراد الله أن يعيد شبابها بعد الهرم ويجدد ما كان من بنيان محاسنها قد انهدم وينقذ أهلها من هذه المهالك وينظمها فى سلك أحاسن الممالك فشرفها بمجدد العزيز جنتمكان محمد على باشا فأعاد لها من العمارية ومحاسن الآثار الاصلية ما كان تلاشى أفرغ قلبه وقالبه فى اصلاح حالها وأعمل سديد رأيه وشديد عزمه فى اعادة جمالها وكمالها حتى زاح عنها تلك الوخامة وألبسها حلل الشهامة والفخامة وأحكم فيها معالم التمدن غاية الاحكام وأقام بها دعائم العدل بين الانام ودون فيها دواوين المعارف المتسقة وجمع بها أصناف المآثر المفترقة وجدد فيها القوانين العسكرية وأنشأ بها دوارس المدارس العلمية والحكمية حتى ظهرت بعد الخفاء وأزهرت أفنانها بزهور الصفاء وعاد اليها من البهاء والبهجة ما كانت فقدته فى سالف الايام وانتظمت مصالحها الاهلية والملكية بحسن تدبيره أحسن نظام مع ما قارت به من غرائب الصنائع الفائقة وعجائب الآثار الرائقة مما شوهد لنا جميعا وتبوأت به بيتا من العز رفيعا فضلا عما أورثها به الغنى الاتم والفخار الاعم من الاستحكامات الملكية واحكام العمليات الوطنية العائدة بعظيم النفع الى عموم الرعية حتى بذلك حسدت مصرنا الامصار وصرنا بحمد الله متقدمين فى درجات العمارية والفخار الى أن خاننا فيه الدهر وسقانا بفراقه كأس القهر وانتقل الى دار النعيم فى جوار رحمة ربه الكريم ومن ألطاف الله الخفية وارادته الخير للديار المصرية أن ولى عليها بعده أكبر أولاده وأجلهم قدرا وأمضاهم عزما وأعظمهم فخرا الصدر الهمام والليث المقدام مولانا المرحوم جنتمكان ابراهيم باشا والد حضرة أفندينا فسلك سبيل أبيه وبنى على تأسيساته الباهرة ما حسنته مساعيه وأخذ ينشئ ما يكمل به رونق الوطن ويجدد من العمارية والآثار الجليلة ما يبقى على ممر الزمن من انشاء المجالس الحقانية وتكثير الرجال الحربية والاستحكامات الملكية وغير ذلك مما عقدت نيته وأضمرته طويته فخدتنا الايام عليه فلم تتمتع بعز حكومته الا قليلا حتى نقله الله اليه ثم تولى على الاقطار المصرية وولايتها من لم يراعوا تلك المآثر العظيمة حق رعايتها ففترت همة مصر السابقة وضعفت حركة تقدمها الفائقة الى أن نفحتنا النفحات الالهية وأسعفتنا العناية الربانية بالحضرة الاسماعيلية وأعطى القوس باريها لطفا من الله بهذه الديار ومن فيها وتولاها العزيز بن العزيز بن العزيز ذلك الجناب الافخم والداور الاكرم فقام فى تنظيم أمورها على ساق وقدم وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى تجديد ما انهدم واحياء ما انعدم وأخذ يداوى تلك العلل ويسد ما تخلل بعد أبيه من الخلل وسعى فى مقاصد أبيه وجده باذلا فى موجبات التقدم والتمدن الوطنى غاية جهده شاغلا باله بأقصى أنواع العمارية مديرا فكره فيما يستدعى لهذه الاقطار كل الرفاهية فأبدى من ذلك ما لم يكن فى الحساب وزادها من البهجة وأسباب الثروة ما لم تره فى سالف الاحقاب ورتب ملكها أحسن ترتيب ونظم عقده فى سلك غريب باسلوب عجيب ومن تمام عناية رب العالمين أن ألهم سلطاننا الاعظم ولا غرو بأن الملوك من الملهمين حصر وراثة الحكومة على التأبيد فى نسل اسمعيل بأن يتولاها أكبر أولاده بعد عمره المديد فيا لها من فكرة جليلة رائقة أسست فى هذه الديار من دواعى العمارية الاسباب الفائقة واستلزمت تحسينا لاحوالها وتأمينا لحالها واستقبالها أطال الله عمر سلطاننا المهاب وذلك دعاء ان شاء الله مستجاب ثم ازدادت الهمم الاسماعيلية بصرف أفكاره الخيرية العلية فيما يعلى قدر هذا الوطن ويرقى انتظام حاله على أسنى

ما يجب

مايجب عليهم عمله أثناء المجلس وكيفية المداولات والمناقشات ظهر من بعض الاعضاء ما يضحك ويبكى فى آن واحد وذلك لعدم معرفتهم ماهى المجالس الشورية ويظهر انه كان للخديو المشار اليه فى تشكيل هذا المجلس نوايا لم تظهرها الايام وقال بعض الكتاب الاوروباويين ان تشكيل مجلس الشورى فى الديار المصرية أتى قبل أوانه وانه عبارة عن أمور ظاهرية

الجيش فى عهد الخديو اسمعيل باشا — ان المرحوم الخديو اسمعيل باشا من أول حكمه وجه عنايته الزائدة الى ترقية شأن الجندية وترتيبها على الهيئة الفرنسوية ففى أوائل سنة ١٢٨٠ ﻫ رتب ثمانية آلايات من البيادة وألايين من السوارى وآلايا واحدا من الطوبجية البيادة والسوارى ثم أرسل الى فرنسا خمسة عشر ضابطا (١) من أمهر الضباط من كل الاسلحة بصحبة الجنرال برنسنو ومعهم أحمد بك عبيد بصفة مترجم لمشاهدة التعليمات العسكرية الفرنسوية والوقوف على استحكاماتها ومناوراتها العمومية التى أجراها الاوردى المقيم فى شالون تحت قيادة المارشال مكماهون وكان عدد ذلك الاوردى ٨٠٠٠٠ من الجنود وكان سفر الضباط المذكورين على فرقاطة شيرجهاد وقبودانها مصطفى بك العرب ولما رست بهم السفينة على مرسيليا احتفل بهم ضباط فرنسا واطلعوهم على كثير من الاعمال العسكرية ثم عادوا ومعهم جملة مؤلفات عسكرية من قوانين ونظامات وغيرها من أنواع الاسلحة والملابس وشرع الخديو فى تنظيم جيشه على نظام جيش فرنسا وأمر بترجمة قوانينها العسكرية ثم طلب منها ان ترسل له بعض الضباط لترتيب المدارس الحربية المصرية فأرسلت له سنة ١٨٦٤ م بعض ضباط تحت رياسة الكولونيل ميرشير (Mircher) ومعه ثلاثة ضباط آخرون هم رباتيل (Rebatel) ولارمى (Larmée) وبولاد (Polard) وألحق بهم دوبرناردى بك (DeBernardi) وكان مستخدما بمصر من عهد المرحوم سعيد باشا وأمر الخديو بنقل المدرسة الحربية التى كانت بقصر النيل الى العباسية وقسموها الى أقسام بياده وسوارى وطوبجية ومهندسين حربيين وأركان حرب وجعلوا لهذه المدارس ادارة خاصة بها لزيادة

سنين ومن كمال همته السنية وتمام رأفته ورحمته بالرعية وشفقته بدوام راحتهم وتمام رفاهيتهم اقتضت ارادته العلية انشاء مجلس شورى أهلية وطنية لما يعلم من أن جمع الآراء فى أمور العالمين والمداولة فى مصالح الرعية مع عقلاء الوطنيين من مقتضيات حسن النظام وموجبات كمال الالتئام وتمام راحة الانام ففوض انتخاب أعضاء ذلك المجلس لعموم الاهالى حتى يكون ما يحكم فيه من الامور بواقع مألوفهم وعرض جميع ذلك الى حضرة الوالى تبرئا من غوائل المغدورية وتوفيرا لدواعى العدالة العمومية فكنا نحن المنتخبين من سائر الجهات المصادفين عوسم مولد الحضرة الخديوية أسر الاوقات واذ كان انشاء هذا المجلس الانيق من أجل المساعى الحميدة وأتم نعمة أسداها ولى النعم الى عبيده فن الواجب الاهم الشكر لتلك الحضرة العلية والتباهى بتلك المنقبة البهية ورفع أكفنا آناء الليل وأطراف النهار بالدعوات فى أجل الاوقات وسائر الحالات أن يخلد على قطرنا هذا بدوام سعود أفندينا الافخم وولى عهده حضرة محمد توفيق باشا الاعز الاكرم وكذا بقية الانجال الفخام ولا يحرم جميعنا من حسن انظارهم ونفائس محاسن أفكارهم بجاه خاتم الرسل الكرام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

(١) وهم شاهين باشا وابراهيم باشا السوارى وعلى بك رضا الطوبجى وعلى بك وهبى ويوسف بك صديق ومحمد بك رضا ومحمود بك سامى واسمعيل بك أيوب وعبد القادر بك حلمى ومصطفى بك فهمى وعثمان بك غالب وأحمد أفندى حمدى وحسن أفندى مظهر ومحمد أفندى

الاعتناء وكان رأسها أولا الفريق سليم باشا الجزائرى ثم ميرشير بك المذكور (١٨٦٥ – ١٨٧١ م) ثم خلفه الجنرال كارولى نونسى برتبة لواء (١٨٧٢ – ١٨٧٣ م) وفى هذه الاثناء جعل سليمان بك نجاتى مأمورا لادارة المدارس المذكورة وعبد الرحمن ذهنى افندى وكيلا لها (١٨٦٦ – ١٨٦٧ م) ثم جعل الوكيل المذكور معاونا بالادارة المذكورة (١٨٦٨ – ١٨٧١ م) وخلف نجاتى بك باور بك (١٨٧٣ – ١٨٧٤ م) ثم أعيد نجاتى بك لادارتها مرة أخرى (١٨٧٤ – ١٨٧٦ م) وكان لكل مدرسة من تلك المدارس ناظر مستقل تابع لعموم ادارة المدارس الحربية وكان تلامذة هذه المدارس ينتخبون من بين تلامذة المدارس الملكية الثانوية والعالية وقد نبغ منهم كثيرون اشتهروا باعارفهم العسكرية والهندسية فكانوا أمهر ضباط خرجتهم مدارس مصر الحربية هذا وقد أدرجنا بذيل الصحيفة عدد تلامذة كل مدرسة من هذه المدارس وأسماء الذين تولوا نظارتها على التعاقب (١) وكان للحكومة فى العهد المذكور مدارس عسكرية أخرى أقل من هذه اهمية كان القصد من انشاء بعضها فى الظاهر جعل الاهالى عيلون من أنفسهم للانخراط فى سلك العسكرية مثل مدرسة الخطرية وكان لا يشترط فى قبول تلامذتها الا صحة الجسم وقوته ومعرفة القراءة والكتابة العربية وكانت بالقلعة ولم تمكث هذه المدرسة زمنا طويلا وكان بها من التلامذة ما يزيد عن الثلثمائة تلميذ وكان يقصد من بعضها تنوير عقول صف ضباط الجيش بالمعلومات الابتدائية مثل مدرسة صف الضباط التى تأسست سنة ١٢٩١ ﻫ وقد أفادت هاتان المدرستان وأمثالهما فائدة عسكرية عظيمة فى الفتوحات التى قام بها الخديو المشار اليه فى وسط افريقية وفى اكتشافاته الجغرافية المهمة التى سيأتى ذكرها ولما كان المرحوم قاسم باشا وزير الجهادية تقدمت الجندية المصرية على العموم تقدما عظيما فى المعارف عما أوجده من مدارس الالايات التى كان يدرس بها الضباط القوانين والتعليمات العسكرية وألزم كل من لم يكن منهم يعرف القراءة والكتابة بتعلمهما وجعل مكافأة لمن يتقدم منهم فى ذلك وكذا لكل من يؤلف أو يترجم كتبا

(١) كان عدد تلامذة مدرسة البياده فى أول تأسيسها ٤٩٠ تلميذا وجعل لنظارتها أولا محمد بك أمين (١٨٦٤ – ١٨٦٥ م) ثم خلفه دوبرناردى بك (١٨٦٥ – ١٨٦٨ م) ثم منصور افندى حسن (١٨٦٨ – ١٨٧٠ م) ثم محمد افندى رضا (١٨٧٠ – ١٨٧١ م) ثم جعل لها مديرو ادارة وهم على التعاقب محمد افندى كامل (١٨٧١ – ١٨٧٤ م) ثم ابراهيم أفندى عاصم (١٨٧٤ – ١٨٧٧ م) ثم محمد افندى صالح (١٨٧٧ – ١٨٧٩ م) وبلغ عدد تلامذة مدرسة الطوبجية فى أول تأسيسها ٢٨٠ تلميذا كانوا ينتخبون من تلامذة مدرسة المهندسخانة وتعين لها الموسيو لارى (١٨٦٤ – ١٨٧٨ م) ورقى فيها الرتبة الميرألاى وبلغ عدد تلامذة مدرسة السوارى فى أول تأسيسها ١٦١ تلميذا وتعين لنظارتها الموسيو بولار السابق الذكر (١٨٦٤ – ١٨٦٨ م) ثم خلفه باور بك وكان وكيلا له (١٨٦٨ – ١٨٧٦ م) ثم ألحقت بادارة عموم المدارس وبقيت بلا ناظر واستمرت كذلك حتى ألغيت سنة ١٨٧٩ م أما مدرسة أركان حرب فانها لما أنشئت سنة ١٢٨٢ ﻫ (١٨٦٥ م) وانتخبوا تلامذتها من أمهر تلامذة المدارس الحربية والمهندسخانة ومدارس الحكومة الاخرى فكان عددهم أولا ١٠٥ تلامذة جعلت تحت ادارة مرشير بك (١٨٦٤ – ١٨٦٥ م) ثم تعين لها شعانه بك عيسى (١٨٦٦ – ١٨٦٧ م) ثم خلفه فيها الموسيو ربانيل (١٨٦٧ – ١٨٦٨ م) ثم أعيد عليها مرشير بك ثانية (١٨٦٨ – ١٨٧٠ م) وبقى بها الى أن سافر الى بلاده أثناء حربها مع بروسيا فاحيلت على لارمى باشا وبقى عليها الى أن ألغيت فى سنة ١٨٧٩ م

عسكرية

عسكرية ولذلك أقدم الضباط على التأليف والترجمة وكانت العلوم التى تدرس بالمدارس العسكرية تتناول كل العلوم المهمة التى تدرس فى مدارس أوروبا يعلم ذلك من الجدول الآتى المشتمل أيضا على أسماء المعلمين

دروس ومدرسى المدارس الحربية سنة ١٢٩٢

مدرسة أركان حرب

علوم	أسماء الاساتذة
قوزموغرافيا	اسمعيل بك
كيميا	كستنيل بك
استحكامات، ابنية عسكرية، طبوغرافيا	خفاجى بك
فن طوبجية	عبد الرحمن بك على
ميكانيكا	عامر بك
فن عسكرية	سعيد أفندى نصر
طبيعه	مصطفى افندى نصر
تطبيق الجبر على الهندسة	اطيف أفندى سليم
جغرافيا	رمضان أفندى
قوانين عسكرية	خليل أفندى كامل
استحكامات خفيفة	أحمد أفندى زكى
هندسه وصفية	أحمد افندى نجيب
جبر، مثلثات مستقيمة	لطيف أفندى سليم
خط رقعة	حسن أفندى نجيب
فرنساوى	مسيو لويز
انكليزى	محمد أفندى سليمان، ومسيو بورك
نمساوى	موسيو إبليخ

مدرستى الطوبجية والمهندسين

علوم	أسماء الاساتذة
كيميا	كستنفيل بك
استحكامات نوبه، ابنيه عسكريه	خفاجى بك
فن طوبجيه، طبوغرافيا	عبد الرحمن بك
فن عسكريه	سعيد افندى نصر
ميكانيكا، مثلثات مستقيمة	على بك سعد
جغرافيا	رمضان أفندى
طبيعه	يوسف أفندى عباد
قوانين طوبجيه	حسن أفندى رأفت
قوانين بياده	على أفندى ذهنى
رسم طبوغرافيا، رسم عملى	على أفندى رسمى
رسم منظور	محمود أفندى زكى
استحكامات خفيفة	أحمد أفندى زكى
جبر	لطيف أفندى سليم
فرنساوى	موسيو لويز، سعيد أفندى نصر
انكليزى	الموسيو بورك
نمساوى	موسيو إبليخ

تابع دروس ومدرسي المدارس الحربية سنة ١٢٩٢

مدرسة البيادة

علوم	أسماء الاساتذة
هندسة وصفية مثلثات مستقيمة	سيد احمد أفندى
استحكامات خفيفة	محرم أفندى شوكت
تركى	عبد الله أفندى وطاهر أفندى
فن اشاره	محمد أفندى توفيق
قوانين عسكريه	ضباط المدرسه
طبوغرافيا	بكير أفندى شوقى
حساب جبر	عبد الرحيم أفندى
جغرافيا	أحمد أفندى حلمى
عربى	الشيخ محمد المنيلى الشيخ عبد الحافظ
رسم عملى	على أفندى رسمى
مبادى حساب	أحمد أفندى قدرى
هندسه عاديه	محمد أفندى ناصح
رسم نظرى	محمود افندى شوكت
خط رقعه	محمد أفندى حسن
غساوى	الموسيو ابلينخ
انكليزى	مستر بورك محمود أفندى سليمان وخليل أفندى زكى
فرنساوى	رمضان أفندى موسيو لوريز أحمد أفندى حلمى
حبشى	مخاييل أفندى

مدرسة السوارى

علوم	أسماء الاساتذة
حساب طبوغرافيا مثلثات مستقيمة مستويات رقمية	محمود أفندى فهمى
استحكامات خفيفة	محرم افندى شكرى
هيئة ظاهره	محمد أفندى سعيد
تركى	على أفندى حلمى
فن اشاره	محمد أفندى توفيق
قوانين سوارى	ضباط المدرسة
جبر هندسة وصفية هندسة عاديه	على أفندى رشدى
جغرافيا	محمود أفندى حسنى
عربى	الشيخ محمود العالم
رسم نظرى	محمود افندى شوكت
غساوى انكليزى فرنساوى حبشى	خوجات مدرسة البياده

ولما عاد الضباط الذين كانوا أرسلوا الى فرنسا تأسس فى الجيش المصرى قلم لاركان الحرب انتخبوا ضباطه من المعدودين العارفين باللغات الاجنبية وجعل لرئاسته الكلونيل تشارلس بومرى أستون (Stone) أحد ضباط الولايات المتحدة الامريقانية الذين استقدمهم الخديو من بلادهم وكان الغرض من انشاء هذا القلم تدريب الضباط المصريين على الاعمال الحربية من جهة ومن الاخرى القيام باعمال الارساليات والاكتشافات التى عقدت النية وقتئذ على اجرائها بأقاليم السودان وقد استفاد الجيش المصرى من تأسيس هذا القلم فائدة

كبيرة وترقت بها حالته وفى هذا الوقت حضر الى مصر بقية الاورطة السودانية المصرية التى كان أمد بها سعيد باشا نابليون فى حربه مع بلاد مكسيكا كما سبق وأنعم الخديو على ضباطها وجنودها بالرتب والنياشين ومدحهم على سيرتهم وشجاعتهم

ولما انتصرت ألمانيا على فرنسا وظهر للعيان براعة الالمان فى التعبية والنظامات العسكرية بما يفوق الفرنسويين بكثير وكانت العسكرية المصرية على مثال عسكرية فرنسا أمر الخديو بتعديل الجيش على النظام الالمانى الذى ذاع صيته فترجمت القوانين وتعدلت الملابس وغيرت الاسلحة وبقى الجيش على هذا النظام حتى وقت ثورته وكان الخديو اسمعيل باشا يهتم فى زيادة القوة العسكرية حتى انه فى سنة ١٨٧٣ جعلها تتألف من أربع فرق تتركب كل فرقة من أربعة ألايات من البيادة وألايين من السوارى وألاى من الطوبجية وجعل أورطتين من المهندسين وثلاثة ألايات من طوبجية السواحل وادارة خاصة لأركان الحرب والمهندسين الحربيين وعدة بلوكات للصنائعية وعمال المعامل والجبه خانات كل هذا خلاف العساكر المستحفظة التى بالمدن والاقاليم وعلى ذلك كان الجيش المصرى يتألف من الفرق التى بالجدول الآتى

قوة الجيش القديم أى قبل يوم ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٣

فرق	ألاى	ميرالاى	قائمقام	بكباشى	صاغ	يوزباشى	ملازم اول	ملازم ثانى	صف ضباط وعساكر	خيول	مدافع	تلامذة	الملحوظات
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٦٠٠٠	٠٠٦٠	٠٠٠	٠٠٠٠	فرقة حرس مركبة من ٤ ألايات بياده (الفريق راشد باشا حسنى)
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٦٠٠٠	٠٠٦٠	٠٠٠	٠٠٠٠	برنجى فرقة « « « (« عثمان باشا رفقى)
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٦٠٠٠	٠٠٦٠	٠٠٠	٠٠٠٠	٢ جى فرقه « « « (« اسمعيل باشا كامل)
١	٢	٤	٤	١٦	١٦	١٢٨	١٢٨	١٢٨	١٦٠٠٠	٠٠٦٠	٠٠٠	٠٠٠٠	٣ جى فرقة « « « (« محمد خسرو باشا)
١	٢	٤	٤	١٦	٠٨	٠٤٨	٠٤٨	٠٤٨	٠٤٠٠٠	٤٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠٠	٤ ألايات سوارى (« ابراهيم باشا الفريق)
٠	١	٤	٤	١٦	١٦	٠٦٤	٠٦٤	٠٦٤	٠٦٠٠٠	٣٢٠٠	١٦٠	٠٠٠٠	٤ « طوبجيه بريه (على باشا رضا)
٠	١	٣	٣	٠٦	٠٦	٠٤٠	٠٥٠	٠٥٠	٠٣٤٠٠	٠٠٣٦	٠٩٠	٠٠٠٠	٣ « « سواحل (خورشيد باشا)
٠	٠	٠	١	٠٢	٠٢	٠١٦	٠١٦	٠١٦	٠١٨٠٠	٠٠٠٥	٠٠٠	٠٠٠٠	أورطتين مهندسين ميرالاى أحمد بك ثابت
١	٣	٦	٥	١٠	٠٦	٠١٤	٠١٦	٠٠٨	٠٠٣٠٠	٠٠٣٠	٠٠٠	٠٠٠٠	قلم أركان حرب (الجنرال استون باشا)
٠	١	١	٤	٠٥	٠٣	٠٠٦	٠٠٩	٠١١	٠٠٠٨٠	٠٠١٨	٠٠٠	٠٠٠٠	« مهندسى الحربية (مرعشلى باشا)
٠	١	٠	٠	٠١	٠٢	٠٠٤	٠٠٦	٠٠١	٠٠٤٥٠	٠٠٠٥	٠٠٠	٠٠٠٠	بلوك الصنائعية (نينو باشا)
٠	٠	١	٠	٠٢	٠٢	٠٠٤	٠٠٨	٠١٢	٠٠٦٠٠	٠٠٠١	٠٠٠	٠٠٠	ورشة الترزيه (ابراهيم بك شوقى)
٠	١	٠	٠	٠٢	٠٤	٠٠٥	٠٠٦	٠٠٨	٠٠٣٥٠	٠٠٠٦	٠٠٠	٠٠٠٠	« الجبه خانات (حسين باشا الطوبجى)
٠	٠	٠	١	٠٢	٠٢	٠٢٤	٠٢٤	٠٢٤	٠٣٠٠٠	٠١٢٠	٠٠٠	٠٠٠٠	مستحفظين بياده وسوارى
٠	٠	٠	١	٠٠	٠١	٠٠٤	٠٠٦	٠٠٨	٠٠٥٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠٠	بوليس
٠	٠	٠	١	٠١	٠٠	٠٠٢	٠٠١	٠٠١	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠١٠٠	مدرسة أركان حرب
٠	٠	٠	٠	٠٠	٠٠	٠٠٠	٠٠١	٠٠١	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠٠٢٥	« المهندسين الطوبجية
٠	٠	٠	١	٠٠	٠١	٠٠٢	٠٠٠	٠٠١	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠١٢٥	« السوارى
٠	٠	٠	١	٠٠	٠٠	٠٠٢	٠٠٠	٠٠١	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠١٠٠	« الطوبجيه
٠	٠	٠	٠	٠١	٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠٠٤٠	« الطب البيطرى
٠	٠	٠	٠	٠١	٠١	٠٠٢	٠٠٢	٠٠٢	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠٤٠٠	« البياده
٠	٠	٠	٠	٠١	٠١	٠٠٤	٠٠٤	٠٠٤	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠٣٠٠	« الخطرية
٠	٠	٠	٠	٠١	٠١	٠٠٦	٠٠٦	٠٠٦	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠	٠٨٠٠	« الحربية أى مدرسة أولاد الجنود
٦	١٨	٣٥	٤٢	١٣١	١٢٠	٧٥٩	٧٧٩	٧٧٨	٨٤٥٣٠	٧٦٥١	٢٥٠	١٨٩٠	....

وليعلم أيضا ان هذا الجيش خلاف جيش السودان البالغ قدره ١٥ أورطة وكان موزعا فى جهات دارفور وسنار ومديريات خط الاستوا وكردفان والتاكه وهرر وبربرة ومصوع وسنهيت وسواكن وخلاف العساكر الغير النظامية التى كانت بانحاء

السودان وكانوا أربعة ألايات وخلاف الالاى الذى بهرر والاربع أورط المتفرقة بجهات سنهيت ومصوع وبربرة وسواكن وبخلاف أرادى الباشبوزوق الاتراك والسودانية المعروفين بالشايقية الذين كانوا بالسودان أيضا البالغ مقدارهم ١٨ أورديا تقريبا

وفى اثناء نظارة البرنس حسين باشا الجهادية والبحرية وضع لارمى بك تصميم انشاء البوليجون وشرعت أورطة المهندسين فى بنائه تحت مباشرة لارمى بك وخفاجى بك وبعد انتهائه أوجدوا فيه عدة مدارس أخرى للتمرين منها مدرسة لتعليم ضباط الطوبجية الرمى بالمدافع ومدرسة لتعليم ضباط البياده الرمى بالبنادق ومدرسة لصف ضباط ومدرسة لتعليم التلغرافات العسكرية ومدرسة للاشارة وجعلت فيه كتبخانة عسكرية جلب لها كثير من المؤلفات المتنوعة فى فنون الحرب ودار تحف للاسلحة المختلفة من قديمة وحديثة وأخذ الجيش المقيم بالقاهرة من يومئذ يتمرن على اطلاق النار فى البوليجون المذكور

ومن التأسيسات العسكرية المفيدة التى قام بها المرحوم اسمعيل باشا ايجاد المجلات العسكرية لتثقيف عقول الضباط ووقوفهم على المتجددات العصرية والاختراعات الحربية التى تظهر بانحاء العالم المتمدن ومن ذلك انه أمر فأوجدوا جريدتين عسكريتين مهمتين كانت احداهما تدعى بجريدة أركان حرب الجيش المصرى والأخرى بالجريدة العسكرية المصرية وكان يقوم بتحريرهما أصحاب الدراية والعلوم من ضباط المصريين وقد ورد فى العدد الثالث من هذه الجريدة الاخيرة الصادر فى غرة شعبان سنة ١٢٨٢ بيان الغرض من تأسيسها نقلناه عنها تبصرة للمطالع وتنبيها للقارئ وهو ان من جملة الترتيبات السديدة والتنظيمات المفيدة التى سمحت بها العواطف الرحيمة وجنحت اليها الطباع الكريمة من لدن حضرة اسمعيل باشا خديو مصر الأفخم من أول تقليده بالرتبة الخديوية فى الديار المصرية بقصد نشر المعارف والعلوم وتنوير الازهان والفهوم فى جيل الشبان الحادثين فى هذا العصر من أبناء مصر (أطال الله بقاه ورضى عنه وأرضاه) انه قد اقتضت مروأته وتعلقت عنايته باحداث هذه المجموعة العلمية الدورية المسماة بالجريدة العسكرية المصرية بحيث تنطبع وتنتشر بوجه الانتظام على طرف حكومته العلية اذ كان الغرض الاصلى منها أن تنتشر بالخصوص على سائر الضباط الجهادية وضباط الصفوف والعساكر بالجيوش المصرية وعلى تلامذة المدارس الحربية ولا تختص بالاشتمال على بنود تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية المتحصلة عند الملل المتأخرين والأمم المعاصرين فقط بل يندرج فيها أيضا فوائد جليلة وارشادات جميلة مما لابد منه لكل انسان متمدن ولا بأس به لكل حاذق متفنن من المعارف النافعة والفنون المتنوعة مع ما ينضم لذلك من تحلية هذه المجموعة بادراج يوميات محصل ما يحصل فى سائر أقطار الدنيا من الحوادث الكبيرة البوليتيقية أى السياسية والوقائع الشهيرة العسكرية وتظهر هذه الصحيفة المنتظمة فى كل شهر مرة فهى شهرية قرية فكل من أراد من المستخدمين الحربية وضباط الجيوش المصرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب العلمية أن يودع فيها فائدة مناسبة من معلوماته أو نادرة مقبولة من تأليفاته ليساعد المعتنين بها على دوام تحريرها ويجاهد مع الرفقاء فى سبيل العلم والمصلحة التامة على تمام تسطيرها فليوجه من فضله الى حضرة ناظر عموم المدارس المصرية ما تستنسب ادارجه فى ضمن سطورها أو استصوب استيداعه فى طى منشورها حيث كان المعول الاعلى على حضرته فى عموم ادارة أمورها اه

المصانع والمعامل الحربية وغير الحربية فى عهد الخديو اسمعيل باشا - بلغت العناية التى بذلها هذا الخديو فى ترقية وانتشار الصنائع والفنون بالديار المصريه مبلغا عظيما جدا وورد فى كتاب الكوكب الدرى فى الاستقراء المصرى المطبوع ببولاق سنة ١٢٩٠ المتضمن الاحصاء العام الذى عمل فى السنة المذكورة وصف تلك المعامل وعددها وما كانت تعمله وسنذكر هنا طرفا من ذلك لضيق المقام فنقول انه لما كثر الاختلاط مع الامم الاوروباويه زادت متاجر مصر وابتاع الاهالى والحكومة قدرا عظيما من الآلات البخاريه المختلفة مثل آلات النسيج وكبس القطن وحليجه وعمل السكر وشيد الخديو فى دوائره الخصوصية كثيرا من معامل السكر البخاريه بمديريات الوجه القبلى واستجلب الآلات الجديدة لمطبعة بولاق وأنشأ معملا بخاريا لصناعة الكاغد ببولاق ومعملين لعمل الجوخ أحدهما ببولاق والثانى بشبرى وبلغ عدد الصناع بهما يومئذ ١٦١٢ عاملا وكان يصرف منهما للعساكر البرية والبحريه وأنشأ أيضا معملا للطرابيش والبطانيات بفوة وأصلح أيضا معمل الغنداق الذى باسكندريه ووسع نطاقه حتى كان ما يستهلك فيه سنويا لعمل الاسلحة أكثر من ٤٣,٠٠٠ أقة من المعادن بين مسبوك ومطروق ونظم ورش الحوض المرصود حتى بلغت درجة وافية بالمراد فكانت تصب فيها المدافع وتصنع الادوات والآلات الحربية للجيش وشيد أيضا بطره معملا لعمل الاسلحة المسدسة أى الششخانة وخرط المدافع وأخرى لصب المدافع وأخرى للبنادق وغيرها مثل معامل الخرطوش ومقذوفات المدافع وأصلح مصانع البارود حتى اشتهر ذكر ذلك فى أطراف المسكونة ولما بلغ أمرها المولى محمد بن عبد الرحمن سلطان مراكش بعث لمصر بعض الصناع من بلاده ليتعلموا فى الطباعة وصناعة البارود ولما وصلت مكاتيب السلطان المشار اليه الى الخديو اسمعيل باشا أجابه بقبول طلبه فى كتاب لطيف حرره المرحوم عبد الله باشا فكرى (١)

---

(١) أعز الله أنصار الملك المعظم السلطان الجليل المفخم ذروة هامة المجد الشامخ وغرة جبهة الشرف الباذخ محيى مآثر المعالى وحسنة الايام والليالى وحلية العصر الحالى ومن به يفتخر على الزمن الخالى عز الاسلام وكنز الانام وزينة الايام وخلف السلف الكرام أمير المؤمنين بالديار المغربية لازالت محفوظة بالعناية الربانية أدام الله تعالى دولته وأمد بتأييده صولته ولازالت أعلامه منصورة بالله خافقة كقلوب عداه ولا برحت الدنيا ممتعة بدوام علاه آمين بعد سلام تترادف بركاته وتترى نفحاته وتتوالى على ذلك النادى الكريم غدواته وروحاته نحمد اليكم الله على نعمه الوافرة ومننه الباهرة وآلائه الزاهرة ونسأله لنا ولكم دوام التوفيق لما فيه رضاه بجاه سيدنا محمد حبيبه الاعظم ومجتباه صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه وجميع المنتمين اليه هذا وقد سررت بورود مشرفكم الكريم المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم وذلك لما فيهما من الاعانة على طلب العلم الشريف وتعليمه وتسهيل السبيل فى نشره بين البرايا وتعميمه وصيانة كتبه الشريفة من تحريف الكاتبين وتقريب تناولها الى أيدى الراغبين والطالبين وهذا دليل ظاهر وبرهان باهر على مزيد عنايتكم فيما فيه المصلحة العامة ورعايتكم لما يعود على الناس بالفائدة التامة واهتمامكم بأمر العلم الكريم وأهله وقيامكم بما يجب من حق فضله فتع الله ببقائكم الملة والعليا ونفع بوجودكم وسعودكم الدين والدنيا وقد أرسلنا الموما اليه الى دار الطباعة وأكدنا على مأمورها باراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة والاعتناء بتمرينه على استعمال أدواتها وتوقيفه على كيفية ادارة آلاتها واتخاذ كيفياتها ثم ورد مشرفكم الباهر على يد الثلاثة المعلمين فى صنعة البارود المراد تعليمهم صنعة التبريديج ورعايتهم حتى يتحصلوا على هذا الغرض المقصود فأرسلناهم الى الباشا وكيل ديوان الجهادية المصرية فى الحال ووصيناه برعايتهم والاعتناء بتعليمهم كل ما يلزم لتلك الصنعة من الاعمال والاشغال وأخذها من أهلها المتقنين وأربابها الماهرين

السودان فى عهد الخديو اسمعيل باشا – حصل ببلاد السودان المصرى مدة حكم المرحوم الخديو اسمعيل باشا جملة حوادث وأعمال مهمة كانت نتيجتها توسيع السودان المصرى بما انضاف اليه من الاقاليم والنواحى وكان حاكم السودان عندما ارتقى اسمعيل باشا على الاريكة المصرية هو موسى حمدى باشا وفى سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٥ م) حدث أن ثارت عساكر الآلاى الرابع من المشاة السودان وانضم اليهم بعض الجنود الذين كانوا معسكرين فى التاكا وذلك لسوء ادارة الحكام وعدم صرف الجوامك لاولئك الجنود مدة ثمانية عشر شهرا فنهبوا كثيرا من أموال الخلق وخربوا القرى واتفق وفاة موسى حمدى باشا بالخرطوم فى أوائل سنة ١٢٨٢ هـ فقام وكيله عمر فخرى بك بالنيابة عنه وأرسل جيشا تحت قيادة اللواء حسن باشا قائد عساكر السودان العام وسارت قوة أخرى مع الضابط آدم بك من مركز ولد مونى تقصد الثوار الذين تمكنوا من هزيمة الجيشين المذكورين وتمردوا على ضباطهم أيضا وقتلوا منهم نحو ٤٢ ضابطا وكثيرا من السكان وورد فى كتاب عن السودان طبع حديثا ان الذى حرض عساكر الآلاى المذكور رجل أمريكى يدعى اندروب بمساعدة رجل يدعى الشيخ الحسنى من أعوان السوء هناك وفى تلك الاثناء تعين جعفر صادق باشا حكمدارا لعموم السودان فقصدها من طريق العطمور وتعين جعفر مظهر باشا وكيلا له وسافر من سواكن بقوة عسكرية لاخماد الفتنة المذكورة وأرسل الخديو أيضا شاهين باشا نائبا عنه للنظر فى أحوال السودان بين ملكية وعسكرية اما جعفر صادق باشا فلم يبق فى السودان الاقليلا وتعين وكيله جعفر مظهر باشا حكمدارا عاما وبذل همته حتى أطفأ ثورة التاكا (١٢٨٢ هـ) ورد الى الاهالى ما أمكن رده من الاشياء التى كان نهبها منهم العسكر عند ثورتهم ثم التفت الى أحوال السودان بالتعديل والاصلاح ومن ذلك انه قسمه الى ثلاثة أقسام جعل الاول وكان يتركب من دنقلة وبربر تابعا للنظارة الداخلية بمصر مباشرة وجعل مديريات الخرطوم وكردفان وسنار وفيضوغلى والبحر الابيض ومديرية فاشودة تابعة لحكمدارية السودان التى مقرها الخرطوم والقسم الثالث وهو السودان الشرقى وكان يتركب من مديريات سواكن ومصوع والتاكا وما جاورها من الجهات تابعا للخرطوم أيضا وأنشأ بالمديريات المذكورة عدة مدارس لتهذيب الاهالى وأوجد بها محاكم للفصل فى القضايا التى تقع بين الاهالى وأصلح دار صناعة الخرطوم التى كان أنشأها أحمد باشا أبو ودان ومن الحوادث التى وقعت فى ولايته أيضا ان ظهر رجل يعرف بالشيخ الجعلى بجهات سنار اتصف بالصلاح فاعتقده الناس لسذاجتهم والتف حوله كثير من الدراويش للتبرك به كما هى عادة أهل السودان ولما خاف الوالى من عاقبة هذا التجمع ومن شأن هذا الشيخ أخذ يبحث عن طريقة يلافى بها أمره فقام بنفسه مستصحبا بعض المأمورين وبلوكا من العساكر ثم دخل على الشيخ المذكور وبعد ان حياه وكلمه فى شأن هذه الجموع تخلى عنهم بكمال الرضا فأخذه الباشا المذكور معه الى الخرطوم وأسكنه فى تكية هناك وأرسل على الدراويش فرقة من الجنود يقودها آدم باشا السودانى وكان تعين قائدا عاما لجيش السودان بدل حسين باشا المذكور فقبض على البعض منهم

المتفننين حتى يتحصلوا على البراعة فى أشغال تلك الصناعة هذا والمرجو مواصلة المراسلة على الدوام وكل ما يلزم من هذا الجانب فهو رهين الاعلام والمسؤل لنا ولكم من الله الكريم المتعال دوام حسن الحال وحسن المآل بجاه رسول الرحمة ونبى الكمال حرر فى شوال سنة ١٢٨٣ اهـ صحيفة ٥٥ من الآثار الفكرية

وبذلك

وبذلك انقض هذا الجمع الذى لو أهمل أمره لكان أضر بالحكومة هناك ولما كان المرحوم اسمعيل باشا يسعى جهده فى توسيع أملاكه بجهات السودان ومد نفوذه وسلطته بها كان التمس من الدولة العثمانية أن تحيل عليه ادارة قائمقاميتى مصوع وسواكن وكانتا من ملحقات ولايتى الحجاز واليمن من وقت ان فتحتا سنة ٩٦١ على يد أوزدمير باشا فقبلت الدولة ملتمسه وصدر بذلك فرمان سلطانى فى ١٢ محرم من سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦ م) وتقرر فيه أيضا مقدار ما تدفعه مصر للدولة فى مقابل ذلك سنويا وقد ساعد هذا التنازل مصر على مد سلطتها على سواحل الحبشة حيث استولت على جهات زولا واضافتها على حكمدارية شرقى السودان ثم استخدم الخديو بعض ضباط وعمال بين أمريقانيين وأوروباويين لاجراء الاكتشافات فى جهات السودان وسواحل البحر الاحمر وعزم قبل اتمام قنال السويس على مد حكمه الى الاقاليم الجنوبية وخطر بفكره سنة ١٨٦٥ م أن ينشئ خطا حديديا بالاقطار السودانية المذكورة تقريبا للمسافات وتسهيلا للتجارة والمواصلات وعهد الى المستر ووكر (Walker) والمستر برى (Brey) النظر فى ذلك وانشاء خط بين أسوان والخرطوم أولا ثم عين سنة ١٨٦٧ م اسمعيل مصطفى باشا الفلكى للنظر فى انشاء خط حديدى بين سواكن وشندى فرسم الطريق فقط وتعطل المشروع كما تعطل مشروع خط أسوان والخرطوم وعهد الى السير صموبل بيكر (Samuel Baker) سنة ١٨٦٩ م اكتشاف الجهات الكائنة قرب منابع النيل الابيض وضمها الى الحكومة المصرية فخرج مع قوة مصرية كانت ذاهبة الى جهة اقليم خط الاستواء ثم زحف بها هذا الرحالة حتى بلغ بلدة جوندكرو والبلاد الواقعة على بعد درجتين من العرض الشمالى وبذلك امتد نفوذ مصر الى تلك الاطراف وأعلن رسميا بالحاق المقاطعات الاستوائية بالحكومة المصرية (١٨٧١ م) وأسس الرحالة المذكور باسم مصر أيضا نقطا عسكرية لمنع تجارة الرقيق منها نقطة كبيرة سميت بالتوفيقية واستمال الى مصر أيضا متيزا ملك أوغنده وكان جعفر مظهر باشا حكمدار السودان يساعده ويمده بكل طلباته ولكن لذكائه وبعد نظره بالامور كان يرى أن فى تفويض أمر اكتشاف جهات السودان الى أجنبى خطرا على مصر حتى انه كتب بذلك تقريرا وأرسله الى الخديو يبين له مضار ذلك ويشير عليه بان يكون المكلف بامر اكتشاف الجهات المذكورة ضباطا مصريين من أركان حرب الجيش المصرى فلم يسمع الخديو لقوله ولهذا الرجل من جليل الاعمال وصائب الافكار ما يخلد له ذكرا حسنا فى التاريخ منها أن حسن باشا حلمى الملقب عند أهل السودان بالجويسر كتب له يستأذنه مذ كان مدير الكردفان فى غزو دارفور فرد عليه جعفر مظهر باشا يقول يا حسن باشا (قال صلى الله عليه وسلم الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) فاقتنع وامتنع وفى حكمدارية جعفر باشا مظهر هذا رغبت الحكومة المصرية ابطال تجارة الرقيق من الاقطار السودانية (١٢٨٣ هـ) وكانت تجارة السودان وتجارة مصر فى عهد محمد على باشا محتكرة ليد الحكومة وكان جعل لها الاشوان والمخازن تجمع فيها المحصولات بانواعها ثم تبيعها الحكومة بمعرفتها الى التجار ثم لما حصل الاتفاق بين دول أوروباو محمد على باشا ورفع يده عن الاختصاص بالتجارة (١٢٥٦ هـ) وأخذ تجار الاوروباويين من وقتئذ يعاملون الاهالى وأسا قام فى السودان عدة بيوت تجارية مثل بيت أحمد العقاد وأبى عمورى وفرج البصيلى والخواجه غطاس وبحولة على وخليل الشامى وجيليو وامبرواز وغيرهم وأخذوا فى توسيع

تجارتهم بأطراف البلاد فشكل كل منهم قوة مسلحة من الزنوج المعروفين بالبازنجر بعثوها الى بلاد الدنكه والشلك بجهات مديريه فاشوده واتخذوا لهم فيها مشارع (١) وشيد كل واحد منهم فى مشارعه مراكز مخصوصة تسمى بالديوم واحدها ديم يجمع فيها جنوده المسلحة وتجارته التى يجلبها من مشارعه وينقلها الى الخرطوم على سفنه وبذلك صار لهم نفوذ وسطوة عظيمة فى تلك الجهات ولما عاد السير صمويل بيكر من سياحته الاولى وانتشر خبر استفحال تجارة الرقيق بتلك المشارع صمم الخديو اسمعيل باشا على الاستيلاء على تلك الديوم والمشارع فى مقابلة تعويضات تدفع الى أصحابها لمنع تجارة الرقيق وأمر جعفر مظهر باشا بذلك فاتفق مع أصحابها على نيف ومائة ألف ليرة مصرية وكتب التجار المذكورون الى وكلائهم بتسليمها الى الحكومة وعين الحكمدار المذكور لاستلامها محمد أغا البلالى والسر بياده على كاشف المعروف بكجول على واليوزباشى محمد افندى لبيب وبعث معهم بعض الجنود لمساعدتهم فقبل بعض الوكلاء التسليم وامتنع البعض وكان من هؤلاء الزبير رحمت وكان وكيلا لبيت أبو عمورى وحرض غيره من وكلاء التجار على الامتناع عن التسليم للحكومة واتفق مع تابعه رابح وقاما على مندوبى الحكومة فقتلاهم وقتلا أيضا نحو ١٥٠٠ جندى من عساكرهم وكانت الحكومة وقتئذ شكلت مديريه بحر الغزال وسافر السير صمويل بيكر ثانية الى تلك الجهات ووصل فى سفره الى بحيرة فيكتوريا نيانزا قال بعض كتبة الفرنج لما انفرد الزبير اشتغل بالتجارة مع عمه بجهة شكا وبحر الغزال فاشتهر من يومئذ وصار رئيسا التجار الرقيق وبنى لنفسه فى شكا قصرا باذخا كقصور الملوك ورتب له حراسا وجعل على أبوابه الاسود المقيدة بالسلاسل ونظم له جيشا من البازنجر بالسلاح الكامل لمطاردة واقتناص الرقيق فصارت بلدة شكا من أشهر مراكز تجارة الرقيق يقصدها التجار من أطراف البلاد وقال سلاتين باشا فى كتابه المسمى لنار والسيف فى السودان ما ملخصه وفى تلك الاثناء خرج شاب اسمه الزبير من مدينة الخرطوم ومضى الى بلاد النيل الابيض وبحر الغزال فاتجر فى الرقيق والعاج حتى أثرى وتسلط على بلاد بحر الغزال بجده واقدامه وصار من أشهر رجال السودان وجعل يتقدم نحو بلاد دارفور وكتب الى سلطانها يقول ان الزنوج عبدة الصنم يحل للمسلمين استعبادهم فاجابه السلطان بقوله لقد أصبت ولذلك يحل لنا استعباد العبيد باعة الخيل مشيرا بذلك الى الزبير نفسه لانه من الجعليين الذين يقول أهالى دارفور انهم من باعة الخيل اه ولما أحست الحكومة الخديوية بتزايد نفوذ الزبير وتعاظم صولته رأت لزوم اخضاعه منعا للقلاقل التى ربما تحصل فى المستقبل منه فبعثت جيشا ظاهره الاستيلاء على دارفور وكانت مستقلة وقتئذ وباطنه اذلال الزبير فلما بلغ الزبير قدوم ذلك الجيش تجهز لقتاله وأوقع به وقتل قائده ثم خاف سوء العاقبة فارسل الى الخديو يعتذر عما حصل ويطلب العفو فقبل الخديو منه ملتمسه ملافاة للأمر وجعله مديرا لبحر الغزال فكان هذا مبدأ ظهور

(١) المشارع هى الاماكن التى كان يتخذها التجار ببلاد السودان لتجارتهم ويشيدون لهم فيها الديوم وهى كاستحكامات يصنعونها على شكل مربع من عروق أشجار السنط والكتر والحرازبارتفاع متر تقريبا فى سمك متر ونصف يقيم التاجر بداخلها مع حراسه الجمكيين المسلحين وكانت بنادقهم فى العادة من ذات الطلقتين ومعهم الذخائر الكافية ويرسلهم بالاموال مع من يأتمنه لمشترى السن والريش والرقيق من داخل السودان ومنها تتصدر تجارتهم الى الخرطوم والى الجهات التى يقصدونها

الزبير (١٨٧٠ م) وفى تلك الاثناء عين الخديو رجلا سويسريا يدعى منسنجر (Munzinger) محافظا لمصوع وكان هناك قنصلا لفرنسا من سنة ١٨٦٢ م وقد اهتم المذكور بتوسيع أملاك مصر فى أطراف السودان الشرقى تنفيذا لمقاصد الخديو فتم على يديه فى سنة ١٨٧٠ الحاق بلاد البوغاس وبركه والقضارف بمصر ثم رافقه فى تعيين الحدود بين الحبشة والجهات المذكورة أحمد حمدى افندى أحد ضباط أركان الحرب (الآن باشا) وبعد ذلك بقليل أدخل أيضا فى حوزة مصر الوديان الشرقية التى تنصب اليها مياه بلاد الحماسين ثم نقل أحمد حمدى افندى الى التاكة مع علاء الدين باشا لتعيين النقطة التى تقيم بها الحامية المصرية بام ديب وعين الخديو الميرآلاى يوسف بك سرور للتفتيش على تلك الجهات والنظر فى أحوالها العسكرية وعزل جعفر مظهر باشا عن السودان (١٢٨٨ هـ) وعين مكانه محمد ممتاز باشا وهو من ضباط السوارى المتخرجين من مدرسة المفروزة وعزل بعد سنة لسوء تصرفه وكان معنى بك الشامى مدير اعمال الخرطوم طعن فى سيرته وبأنه يأخذ الرشوة فلما وصل ممتاز باشا الى مصر أمر الخديو بتحقيق الشكوى وفتشوا منزله فلم يجدوا به أموالا ثم ردوه الى الخرطوم وهناك زجوه فى السجن فبقى فيه حتى مات بعد ان فقد بصره ويروى عنه انه لما كان وكيلا لحكمدار السودان وكان حسين باشا خليفة السودانى يسىء معاملة أهالى بربر حتى انهم كرهوه وفر كثير منهم الى مصر وقدموا فى حقه الشكاوى للحكومة كان ممتاز باشا المذكور كلما أتاه من يشتكى من حسين خليفه يقبض عليه ويرده اليه يفعل به كما يشاء وفى ولاية ممتاز باشا حصل ان طعن بعضهم فى الدين الاسلامى فى نشرة عربية وذيل النشرة بتوقيع رئيس قسس الكاثوليك بالخرطوم فغضب الاهالى وكادوا يبطشون بالقسس لولا تداخل الحكومة بعد ان علمت بأن ناشر تلك الورقة الذى حركتها يد الاغراض ولما مثل الفاعل امام ممتاز باشا أطلقه بلا محاكمة فزاد هذا فى سخط الاهالى على الحكومة وعدوه من الادلة على كفر جميع البيض وفى ولاية ممتاز باشا هذا أيضا تحارب السير صموبيل بيكر باشا مع قبيلة يقال لها باريا ليتيسر له اخضاع العشائر المجاورة لها لتظاهرهم بالتمرد والعصيان ثم رتب ببلادهم نقطا عسكرية واحتل بلاد أونيورو وخلع ملكها المدعو كاباريجا وولى بدله آخر يدعى ريونجا وأنشأ هناك محطة عسكرية بجهة يقال لها ماسندى ولما أخلص النصح فى خدمة مصر عينه الخديو حاكما عاما على المقاطعات الاستوائية فبقى عليها الى سنة ١٨٧٣ م ثم استعفى وعند عودته كتب كتابا يعلم منه انه ترك خلفه حكومة وضعت على أساس مكين وان الاهالى تدفع الضرائب على أكمل نظام وحمد الله على طرد صيادى الرقيق من تلك الجهات

وفى سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) تعين اسمعيل أيوب باشا حكمدارا للسودان ولما مر البرنس اف ولس ولى عهد انكلترة بالديار المصرية عند ذهابه الى الهند أثنى امام الخديو على الكولونيل (١) غردون ثناء جميلا وأشار عليه بمناسبة تعيينه مكان صموبيل بيكر باشا ولما كان

(١) ولد شارلس جورج غوردون Charles George Gordon فى مدينة ولويش من أعمال انكلترة سنة ١٨٣٣ م وانتظم فى سلك العسكرية بعد ان درس علومها فى المدارس الحربية (١٨٥٢ م) وكان من طبعه ميالا للقاء الاهوال والصبر على المكاره وقد اشتهر بالشجاعة فى حروب اسكوتلانده وكان جده شهد المواقع العظيمة وكان أبوه ضابطا فى الطوبجية البريتانية وارتقى فيها الى رتبة فريق وحضر غوردون حصار سباستبول

الخديو يسعى فى ان تكون علاقاته مع انجلترة ودية محضة لتساعده على ادراك أمانيه ولكى لاتقف له فى طريق فتوحاته بجهات أفريقية طلب غوردون من بلاده وعينه مدير المقاطعة خط الاستواء وعزم الخديو (١٨٧٤ م) على النظر فى أحوال السودان نظرا دقيقا وقسم بلاده الجنوبية الى قسمين أولهما السودان الحقيقى وآخر حدوده فاشوده جنوبا وجعله تحت ادارة حكمدار السودان والثانى أقاليم خط الاستواء وهو ما كان جنوبى فاشوده وجعل ادارتها فى يد الكولونيل غردون الذى مد سطوة الحكومة الخديوية باتجاه بحيرة أوكرنوه وأسس المحطات لضبط السفائن التى تتجر بالرقيق واشتغل من كان يؤخذ منها وبعتق بحراثة الاراضى والقيام بشؤون الفلاحة ثم ان غردون غير مقاصده دفعة واحدة بلا سبب معلوم وعدل عن الحاق أوغنده بمصر بل وأرسل الدكتور ادوارد شنيتزر (Schnitzer) الالمانى الذى عرف أخيرا بأمين باشا مندوبا[1] من طرفه الى السلطان امتيزا ليفهمه نوايا غوردون ورغباته وأنه يعترف له باستقلاله فى بلاده كطلبه والخضوع الاسمى لمصر فسار ادوارد المذكور وقابله فى مكان يدعى خوركفو وأدى مأموريته (١٨٧٥ م) وورد فى كتاب ألفه بعض كتاب الانكليز عن غوردون والمهدى طبع سنة ١٨٨٥ م أن غوردون باشا قال إن تجارة الرقيق فى السودان ضاربة أعراقها فى بدن الشعب حتى صارت منهم كالثنى من العظام وليس فى السودان أحد خالى الغرض منها وليس فيهم من يحب ابطالها وان حالة الرقيق هناك أحسن كثيرا من حالته فى الهند الغربية بامريقا ولذلك فان ابطال التجارة بالرقيق دفعة واحدة غير عادل لان كثيرين منهم يفضلون العبودية على الحرية كما علم بالتجربة فانه حرر كثيرين من رق العبودية فكانوا يرفضون الحرية من تلقاء أنفسهم اه ثم ان غوردون ترك السودان وعاد الى مصر وطلب من شريف باشا وكان رئيس النظار وقتئذ أن يخبر الخديو برغبته فى الاستقالة فقبل استعفاءه ثم عاد الى أوربا (١٨٧٦ م)

وقد اطلعنا فى كتاب طبع بمصر فى مطبعة جريدة الاهرام ليس عليه اسم مؤلف على رواية غريبة حدثت مدة ولاية غردون على مقاطعة خط الاستواء ولذلك أردنا اثباتها هنا افادة للقراء حتى لا يفوتهم أغرب ماقيل فى هذا الموضوع وهى ان الحملات العسكرية المصرية كانت تسافر اثر بعضها الى قلب افريقية لبث النفوذ المصرى بين قبائلها وسكانها وكانت تلك القبائل تقابلهم

(١٨٥٥ م) وأظهر فيه شهامة حتى شهد له بها كبراء ضباطه وفى سنة ١٨٦٠ م سافر الى حرب الصين وكانت له بها وقائع تشهد له بالبراعة والشجاعة والفنون الحربية وبقى فى الصين الى سنة ١٨٦٥ م ثم عاد الى انكلترة وقد ارتقى الى رتبة الكولونيل فى الجيش البريتانى وكان لقب من قبل سلطان الصين سر عسكر وفى سنة ١٨٧١ تعين قومسيرا من طرف دولته فى لجنة نهر الطونة المختلطة وفى سنة ١٨٧٤ م مدحه البرنس أوف واس ولى عهد انكلترة عند المرحوم اسمعيل باشا وأشار بتعيينه مكان السر صموئيل بيكر حكمدار المقاطعات خط الاستواء المصرية فصدرت أوامره العالية بتعيينه كما ذكر ثم استقال سنة ١٨٧٦

(١) ولد الدكتور ادوارد شنيتزر (أمين باشا) فى نيس Neisse من أعمال سيليسيا فى ٢٨ مارس سنة ١٨٤٠ ودرس فى مدارسها الى سنة ١٨٥٨ ثم درس الطب فى برسلو وبرلين سنة ١٨٦٤ ثم سافر الى تركيا وخدم بمعية حقى باشا الى سنة ١٨٧٣ بجهات أرمينيا والشام وبلاد العرب وأظهر اسلامه وتسمى من وقتئذ أمين افندى ثم توجه الى نيس سنة ١٨٧٥ للاشتغال بالتاريخ الطبيعى ثم دخل الخدمة الطبية فى مصر سنة ١٨٧٦ وبعثه الخديو اسمعيل باشا الى الخرطوم والتحق مع الكولونيل غوردون ضابطا طبيا لمقاطعة خط الاستواء وكان له المام باللغة الفرنساوية والانكليزية والتليانية والتركية والعربية

بالجفاوة والخضوع وفى سنة ١٨٧٢ شخصت احدى هذه الحملات المصرية عن طريق اوغنده الى زنجبار وهناك استقبلت بالايناس وأظهر لها السكان ميلهم الى الحكومة المصرية وقابل قائدها ملك زنجبار فاكرم مثواه وأظهر له شديد رغبته فى مصافاة الحكومة المصرية وانه يريد الاستظلال بالعلم العثمانى المصرى على شرط أن يكون صاحب امتياز يضمن له حقوقه وحقوق عائلته ورعاياه وأخبره انه يخطب باسم أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين فى كل بلاده ثم عقد مع القائد المصرى معاهدة [1] ليعرضها على حكومته متضمنة دخول مملكة زنجبار تحت حماية مصر بشرط ان يكون لها إزاء الدولة العثمانية نفس الحقوق التى لمصر ثم قفل القائد المذكور راجعا الى مديرية خط الاستواء بعد ان أناب عنه فى زنجبار أحد الضباط المصريين ولم تكن حكومة مصر تعلم بشئ من ذلك أصلا ولم توعز اليه بشئ من هذا القبيل ولما اطلع غوردون حاكم مقاطعة خط الاستواء على تلك المعاهدة اغتاظ جدا إلا أنه كتم غيظه خوفا من سقوط مملكة تطلع اليها عيون الانكليز فى يد مصر ومازال يضمر المكيدة لذلك القائد حتى أوقعه فى ورطة ثم دبر هو وقومه طريقة لافساد تلك المعاهدة فسنوا للخديو ان يهادى ملك زنجبار بهدية ثمينة وأخبره ان ملك زنجبار قام فى وجه النفوذ المصرى وأسر جماعة من التجار المصريين وانه أى غوردون أرسل جندا لاستطلاع أخبارهم فقابلهم ملك زنجبار بأشد ما يكون من العداء ثم حصرهم فى احدى النقط حتى اصبحوا على شفير الهلاك وان القصد من ارسال الهدية خلاص ذلك الجند فانطلت على المغفور له اسمعيل باشا هذه الحيلة وأرسل هدية ثمينة أصحبها بكتاب منه الى ملك زنجبار ثم ان غوردون أرسل الهدية مع سائح انكليزى يدعى مستر لوكس وحجز الكتاب والمعاهدة عنده وكتب للملك زنجبار كتابا يحذره فيه من وضع مملكته تحت الحماية المصرية وغير ذلك وبهذا اكتسبت انكلترة مودة ملك زنجبار باموال مصر وعدل هذا الملك عن محالفتها ثم انسحبت الجنود المصرية من تخوم زنجبار بدعوى انهم أطلقوا من الاسر اه ملخصا ومما يؤيد هذا القول ان صدق قائله أن غوردون باشا صار بعد ذلك لا يولى أعمال خط الاستواء الا لغير مصرى

---

(١) المادة الاولى تكون مملكة زنجبار تحت الحماية الاسلامية العثمانية المصرية ويكون الملك محصورا بالتوارث بين ذرية الملك الحالى أو بين أعضاء أسرته وبالجملة ان امتياز الملك فى مملكته يكون شبيها بامتياز سمو الخديوى اسمعيل باشا وأسرته فى مصر (المادة الثانية) ترسل الحكومة المصرية موظفين من قبلها ليقوموا بتأليف هيئة الحكومة فى زنجبار وبتنظيم المالية والجند طبقا للنظامات المتبعة فى الحكومة المصرية ولا يجوز تعيين مصرى لاية وظيفة كانت اذا وجد وطنى يقدر على القيام بها (المادة الثالثة) ترسل الحكومة المصرية مندوبين من أصدقائها ورجالها الخبيرين ليؤيدوا كل النظامات التى تسن فى مملكة زنجبار بشأن انشاء نظارات مالية وداخلية وحربية ونظارة معارف ونظارة أشغال ويكون التلامذة المتخرجون فى مدارس المملكة مقدمين على غيرهم فى الترشح للوظائف ولا يجوز لمصر ان تطلب عساكر من زنجبار الا اذا حدثت حرب دينية بين أمير المؤمنين وعدو آخر فيطلب هو نفسه حينئذ جنودا من زنجبار ثم ان علائق مملكة زنجبار وصلات شؤنها كلها مع الدول الاجنبية يكون عقدها وحلها على يد نظارة الخارجية المصرية (المادة الرابعة) لا يجوز للحكومة المصرية ان توظف فى مملكة زنجبار أحدا من الاجانب الغير المسلمين الا اذا كانوا من رعاياها فلا بأس حينئذ من منحهم وظائف (المادة الخامسة) ان جميع الاموال التى تجبى من مملكة زنجبار تنفق فى شؤنها وما بقى بعد ذلك يؤخذ الى الخزانة المصرية وتكون مصر ملزمة بصرف كل أزمة مالية أو حربية تصيب مملكة زنجبار (المادة السادسة) ينفذ مفعول هذه المعاهدة بعد اطلاع خديوى مصر عليها واصدار أمر بقبولها اه من صحيفة ٢٨ السودان المصرى والانكليز

فتح دارفور — قبل الكلام على هذا الفتح نريد الالمام بملخص تاريخ هذه البلاد اتماما للفائدة فنقول ان دارفور أى بلاد الفور هى بعض بلاد التكرور وأهاليها عرب و زنوج يتكلمون جميعهم بلغة محرفة عن العربية وديانتهم الاسلام وكانت هذه السلطنة تمتد بقارة أفريقية من شرقيها الى غربيها وكان حاكمها سلطانا مستبدا له من الاحتفالات والعوائد الغريبة ماليس فى بلاد غيره من ذلك انه لا يكلم أحدا مطلقا بدون ترجمان واذا بصق فيجمع حاشيته بصاقه بأيديهم واذا كبا به فرسه وهو راكب أو سقط عنه التزم كل فرد من حاشيته أن يفعل مثله واذا عطس تعاطس كل من كان فى حضرته وكان له حرس مؤلف من النساء العجائز ثم انه فى القرن الثامن عشر الميلادى تقلص ظل سلطنة دارفور عن مقاطعات النيل الابيض وخسرت بلاد كردفان وما يليها (١٧٧٠ م) ثم استردتها بعد ذلك بخمس سنوات وبقيت تابعة لها الى ان فتحها أحمد بك الدفتردار سنة ١٨٢٢ م كما تقدم ذكر ذلك فى تاريخ ساكن الجنان محمد على باشا ويقال ان أصل سلاطينها من الطنافرة عرب تونس هاجروا بلادهم فى القرن الرابع عشر الميلادى ونزلوا فى بلاد برنو و وداى وبلغ اثنان منهم السند الغربى من جبل مرة وهما اخوان يسميان عليا وأحمد ثم انتقل أحمد الى بلاد دارفور ولما بلغ ملكها خبر قدومه وكان من عبدة الاصنام قربه اليه وأحسن مثواه ثم جعله مدبرا لامورة فأحسن السياسة وأصلح البلاد فأحبه الاهالى وملكوه عليهم بعد موت ملكهم ولما بلغ ذلك الطنافرة الذين فى برنو و وداى تقاطروا الى بلاد دارفور وسكنوها وانقرض مع طول الزمن أهلها الاصليون حتى لم يبق منهم الا القليل فى غربى البلاد وكان يحكمهم أمير يدعى السلطان أباريشة و يلقب بالجاموس الاصفر وقد حكم أحمد المذكور عدة سنوات تقدمت فيها البلاد واعتنق أهاليها الدين الاسلامى ثم بعد موته خلفه ولده موسى وخلف موسى ابنه أحمد بكر وسمح هذا للاجانب بدخول بلاده ظنا منه انهم يساعدونه على اصلاحها وخلف أحمد بكر ابنه محمد دورا وكان له مائة أخ قتل خمسين منهم ثم قتل ابنه الاكبر لانه خاف أن يخرج عليه وخلفه ابنه عمر ليلى وقتل فى حرب مع وداى وخلفه عمه أبو القاسم فقتل فى الحرب أيضا وخلفه أخوه محمد تراب وكان شجاعا باسلا عزم فى أخريات أيامه على توسيع مملكة دارفور وارجاعها الى حدها الاول فقام بخيله ورجاله فاتحا الى ان بلغ أم درمان وحاول أن يعبر النيل فعجز عن ذلك ثم مات مسموما وخلفه أخوه عبد الرحمن ولما عاد الى دارفور وجد ابن أخيه اسحق تسلطن فثارت بينهما حروب قتل فيها إسحق واستتب الامر لعبد الرحمن وعبد الرحمن هذا هو الذى بعث سنة ١٧٩٩ يهنئ نابليون بونابارت بتغلبه على الديار المصرية وكتب له نابليون يطلب منه أن يرسل اليه ألفى عبد من الاقوياء يشتريهم بأمواله (١) وفى أيام عبد الرحمن هذا انتقل كرسى المملكة من بلدة القبة الى الفاشر ولما مات نصب مكانه ابنه

(١) الى سلطان دارفور فى ١٢ ميسيدور من سنة ٧ بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الى سلطان دارفور عبد الرحمن وصل الى كتابكم وفهمت معناه ولما وصلت قافلتكم كنت متغيبا ببلاد سوريا لمعاقبة أعدائنا ومحوهم وأرجو كم أن ترسلوا الىمع أول قافلة ألفى عبد من السود يكون عمر الواحد منهم ازيد من ١٦ سنة ويكونون أشداء أقوياء وانى أشتريهم بمالى وأطلب منكم أن تأمروا قافلتكم بالحضور اليناسريعا وان لا تتوقف بالطريق وسأنفذ أوامرى بحمايتها فى كل مكان (الجنرال العام بونابارت) معرب من صحيفة ١٦ من التقرير العام عن مديريات السودان المصرى والبحر الاحمر وخط الاستواء المطبوع بمعرفة قسم المخابرات بانكلترة سنة ١٨٨٤

محمد

محمد الفضل وكان طفلا فجعلوا رئيس الخصيان قيماله ثم استقل هذا الفتى بالملك لما كان له ثلاث عشرة سنة من العمر وأول شئ فعله انه حرر قبيلة أمه وحرم أخذ العبيد منها ثم أفسد المفسدون بينه وبين رئيس الخصيان فثارت بينهما حروب تمت بانتصاره والقبض على رئيس الخصيان وقتله ثم توفى السلطان محمد الفضل هذا (١٨٣٨ م) وخلفه ابنه حسين فبذل جهده فى اصلاح مملكته ولكن أصابه مرض كف به بصره (١٨٥٦) فاشركـ أخته زمزم فى الملك معه وكانت سيرتها غير جيدة لكثرة اسرافها وميلها الى الترف فأنفقت معظم دخل السلطنة فى قصرها وكانت ولايات بحر الغزال تابعة لدارفور وتؤدى اليها الجزية من العبيد والعاج واذا تأخرت عن أدائها زحف عليها سلاطين دارفور وتنهبها وتبيع المسلوب من العبيد والعاج للتجار المصريين وتأخذ بدلا عنها الاسلحة والامتعة الاخرى وكان بقصر السلطان حسين فقيه اسمه محمد البلال من البلالية سكان وداى وبرنو فقربه السلطان المذكور اليه واعتمد عليه فغاظ ذلك زمزم أخته ووزيره أحمدشتا واضطراه الى ابعاده فأتى الخرطوم وأغرى الحكومة بالاستيلاء على بحر الغزال وحفرة النحاس لانهما خرجتا من قبضة سلطان دارفور فأرسلته الحكومة مع الجنود المصرية للاستيلاء عليهما فنشبت الحرب بينه وبين الزبير رحمت ودارت الدائرة عليه الا أن الزبير خاف سوء المنقلب فأحسن الى رجاله وترضى الحكومة وأفهمها بان البلالى هو الذى اعتدى عليه فعفت الحكومة عن الزبير ملافاة للامر وجعلته مديرا لبحر الغزال فحسن الزبير لحكمدار السودان اسمعيل أيوب باشا وقتئذ الاستيلاء على سلطنة دارفور كلها وتطوع لذلك وابتدأ بالزحف فى أوائل سنة ١٨٧٣ هذا وقد ورد فى رواية أخرى انه لما كان اسمعيل أيوب باشا حاكما على السودان وقع خلاف بين الزبير وبين ملك دارفور السلطان حسين بخصوص عربان قبيلة الزيادية الذين كانوا خرجوا عن طاعة مملكة دارفور منذ سنة ١٢٨٠ هـ ثم التجأوا اليها ثانية فرارا من سطوة الزبير (١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م) الذى حسن للخديو فتح هذه البلاد لمصر وعضدته الحكومة الخديوية لاسباب اقتضتها سياستها ثم قامت الحروب بين الطرفين وتقدم الزبير بجنوده سنة ١٨٧٣ فتلاقى مع جيش دارفور المؤلف من ٢٠ ألف مقاتل وكان يقوده الوزير أحمدشتا فهزمه الزبير وقتل قائده المذكور ثم هزم لها جيشا آخر كان أرسله سلطانها تحت قيادة المقدوم سعد النور وقتل القائد المذكور أيضا ولحسن طالع الزبير كان الامير حسب الله يطمع فى مملكة دارفور بعد وفاة أخيه السلطان حسين الذى كان أوصى بالملك من بعده لولده السلطان ابراهيم ولهذا فان الامير حسب الله اغتنم فرصة وقوع الحرب بين الزبير وبين سلطان دارفور المذكور وأخذ يتخابر مع الزبير سرا كما يقال ووقع بينهما الاتفاق على أن الزبير يضمن للامير حسب الله ملك دارفور وهو فى نظير ذلك يساعده على قتل ابن أخيه السلطان ابراهيم المذكور وقال سلاتين باشا فى كتابه النار والسيف فى السودان أنه تلاقى برجل من علماء دارفور فأخبره أن السلطان حسين قال له فى آخريات أيامه ان الزبير ورجاله سيكونون آلة فى يد الحكومة المصرية لثل عرشه وكان يطلب من الله أن لا يحدث ذلك فى أيامه فكان كما قال اهـ هذا ولما بلغ السلطان ابراهيم خبر انكسار جيشه الثانى أخذ يجهز جيشا ثالثا وطلب الامير حسب الله من ابن أخيه السلطان ابراهيم أن يقود هو الجيش الثالث لحرب الزبير فاستكبر السلطان ابراهيم هذا الامر من عمه حتى يقال انه قال له من هو الزبير

حتى تذهب اليه ياعمى بنفسك فقال له الامير حسب الله بلسان التصنع والمداهنة اعلم أيها السلطان أن انهزامنا من تين امام الزبير قد أوقع فيه الغرور وجعله يطمع فى الاستيلاء على بلادنا واعلم أيضا اننا محصورون الآن بين عدوين فصر خلفنا وهذا الزبير امامنا فسمح السلطان لعمه بقيادة الجيش وبذلك تمت له الحيلة وعمل على هزيمة الجيش الذى يقوده فلما انهزم الى الفاشر وبلغ السلطان ابراهيم خبر انهزام الجيش أخذ يجهز جيشا آخر للدفاع عن بلاده ولم يكن يعلم بما هو حاصل بين عمه وبين الزبير وقاد هذا الجيش بنفسه باغراء حسب الله المذكور الذى كان يتوقع فى كل وقت الفرصة فى قتل السلطان ابراهيم ليخلو له الجو ويتولى الملك كما وعده الزبير

ولما تقدم السلطان ابراهيم بجيشه وصحبته أولاده والتحم الحرب بين الطرفين قتل السلطان ابراهيم وأولاده فانهزم الجيش (٢٥ رمضان سنة ١٢٩١) ثم اجتمع بعض الامراء على الامير حسب الله وقلدوه السلطنة عليهم فسار بهم وبمن تبعهم من الجند الى غربى دارفور وأقاموا فى جبل طره وهو على مسافة يومين الى الشمال الغربى من الفاشر فحاصره هناك الزبير مدة ثلاثة شهور ثم وقع الاتفاق بين حسب الله وبين الزبير على أن يدفع حسب الله الى الحكومة المصرية ١٠٠٫٠٠٠ ليرة خراجا سنويا وتكون مملكة دارفور تابعة لمصر بشرط أن يكون السلطان حسب الله هو الحاكم عليها وأولاده من بعده وعلى ذلك نزل السلطان حسب الله من الجبل وتقابل مع الزبير وكانت الجيوش المصرية احتلت الفاشر (تندلتى) ووصل اليها اسمعيل أيوب باشا حكمدار السودان بجيشه وكان يزحف على دارفور من الشمال (١٢٩١ هـ) ولما عرض الزبير عليه الاتفاقية المذكورة رفض قبولها وأخبره بأن خديو مصر يريد مقابلة السلطان حسب الله وتبرأ الزبير من تبعة نقض العهد وأخبر السلطان حسب الله بأنه لم يزل على عهده وبعد ذلك قابل السلطان حكمدار السودان فاقنعه بالذهاب الى مصر ولما وصلها لم يصرح له بالعودة الى بلاده وكانت تلك حيلة فلا حول ولا قوة الا بالله وبذلك زال استقلال دارفور وأسكنت الحكومة حسب الله وعائلته وأتباعه العديدين بمصر وأجرت عليهم المرتبات حتى انقرض غالبهم الآن ولما رأى الزبير رجحت أن النصر قد تم على يديه وأن الحكومة المصرية انتفعت بخدمته طلب منها أن توليه الحكم على دارفور مكافأة له فأبت قال صاحب كتاب الحديد والنار فى السودان انه بعد ان فتحت الجنود المصرية بلاد دارفور عهدت بحكومة وادارة الجهات الجنوبية منها أى دارا وشكا الى الزبير وذلك بناء على أمر المغفور له الخديو اسمعيل باشا الذى منحه فى آن واحد رتبة الباشاوية وقد كان من الزبير فى أيام ولايته أنه كان يشكو كثيرا من فداحة الضرائب على الاهالى ولذلك طلب من المغفور له اسمعيل باشا أن يأذن له بالتوجه الى القاهرة ليقدم له بذاته واجبات الانتماء وصدق العبودية فأذن له بذلك فسافر للحال وبعد ذلك بزمان قليل بارح اسمعيل باشا أيوب بلاد دارفور مستبقيا فيها حسن باشا حلمى بصفة مدير عام لها أما الزبير باشا فقد عين قبل سفره الى القاهرة ابنه سليمان نائبا عنه وأمره بالتوجه الى شكا وفى هذه الاثناء عين غوردون باشا حكمدارا عاما للسودان بدلا عن اسمعيل أيوب باشا فشرع فى التوغل بداخل البلاد لتفقد أحوالها ووصل فى رحلته الى بلاد دارفور التى كان ابتدأ أهلها بالنزوع للثورة ضد أسلوب القسوة التى كانت تعاملهم بمقتضاها الحكومة وكان قيامهم هذا باغراء وتحريض زعيم كرسى هذه البلاد السلطان هرون سيف الدين وقد أراد غوردون

باشا

باشا أن يظهر للناس فى ذلك الاقليم ليتمكن بظهوره وحسن تداخله من تسكين الخواطر المضطربة اه وروى صاحب كتاب السودان المصرى والانكليز ان هرون المذكور كان صنيعة للاوروباويين فكان المحرض له على ذلك رجل يدعى فريدريك روسى أصله قنصل لالمانية بالخرطوم ثم وظفه غوردون وكيلا عنه فى جهات النيل الابيض ثم مديرا لدارفور وقد تمكن حسن باشا حلمى من ردع هرون واعادة الامن الى دارفور ويقال أيضا ان الحكومة المصرية لما لم تنل الزبير مرغوبه صمم على المروق من طاعتها ثم جمع أعوانه ومحالفيه تحت شجرة بين شكا والابيض وتعاهدوا جميعا على أن يكونوا يدا واحدة ويلبوا طلبه عند الحاجة فجمع منهم حينئذ نحو مائة ألف ليرة وقصد مصر بعد ان أناب عنه ابنه سليمان طمعا فى نوال طلبه من الحكومة بمساعدة اسمعيل صديق باشا المفتش الذى انتشرت أخبار مكانته لدى الخديو فى انحاء السودان فلما وصل قابله أمراء وأعيان مصر بالاكرام والبشاشة ثم لما أراد العودة الى السودان لم يؤذن له فى ذلك وبقى فى القاهرة كمحجور عليه وعينت له الحكومة المصرية راتبا شهريا لا يقل عن مائة ليرة فبقى بها الى الآن وحصل له مدة الاحتلال الانكليزى ما سيأتى ذكره

وبينما كانت الجيوش المصرية توسع الاملاك الخديوية بالاقطار السودانية من جهة الجنوب الغربى تنازلت الدولة العلية للخديو عن مدينة زيلع وملحقاتها فضمت الى الخديوية المصرية فى مقابلة مبلغ تدفعه مصر سنويا قدره ١٣٣٦٥ ليرة مصرية وتاريخ هذا التنازل شهر جمادى الثانية من سنة ١٢٩٢ (١٨٧٥ م) وكانت زيلع قبلا تابعة للواء الحديدة ولما أتى الفرمان السلطانى بذلك أرسل الخديو اليها الجنود اللازمة تحت قيادة محمد رؤف باشا وأنعم على أمير زيلع أبو بكر باشا برتبة الميرميران وبعث أيضا الى بربره حامية أخرى على قرويت الصاعقة تحت إمرة اللواء البحرى رضوان باشا الذى عين محافظا لها (١) وعزم الخديو من وقتئذ على فتح هرر

فتح مدينة هرر — لما ذهبت الجنود المصرية الى زيلع واحتلتها كما سبق أخذت تستطلع أحوال هرر وتتعرف مسالكها ولما تمت لها المعدات سارت فرقة منها تحت قيادة رؤف باشا فى يوم ١٨ سبتمبر سنة ٧٥ وكانت مؤلفة من خمس أورط من المشاة ونحو ٢٣٦ من الباشبوزوق ومدفعين جبليين رافقها بعض ضباط أركان الحرب تحت رياسة البكباشى محمد أفندى مختار وهو الذى صار باشا فيما بعد فتقدمت هذه الحملة ووصلت بعد قليل الى مدينة هرر بحيث لم يأت اليوم الحادى عشر من شهر اكتوبر من السنة المذكورة حتى خفق العلم المصرى فوق قصر أمير هرر

(١) رضوان باشا هو كريدى الاصل نبغ بالمدرسة البحرية ثم ألحق بسفن الدونانمة ثم نقل الى سفن النيل فى عهد المرحوم سعيد باشا ثم تعين قبودانا ثانيا بباخرة أسيوط بالبحر المتوسط الابيض برتبة صاغقول أغاسى منذ كان عليها قائمقام باشا ثم لما نقل هذا الى فرقاطة محمد على نقل المترجم معه قبودانا ثانيا ورقى لرتبة البكباشى وكان بها فى حرب كريد (١٢٨٢) ثم نقل قبودانا الى وابور الجعفرية ثم ترقى الى رتبة قائمقام (١٢٨٤) ثم جعل مفردات لوابور المحروسة (١٢٨٥) ورقى لرتبة الميرالاى ثم عين قبودانا القرويت الصاعقة وسافر به الى البحر الاحمر ولما أعطى السلطان ادارة زيلع وبربره الى الحكومة المصرية تعين مأمورا لبربره فاعتنى باصلاح ادارتها وتنظيم شؤنها وشيد بها بعض المبانى ووضع قواعد لتعاطى التجارة فى مواسمها هناك فانسرت من ذلك القبائل لما كانوا يجدون فيها من التسهيلات ورافق مكيلوب فى سفرته الى نهرجوبا وبلدة كسمايو كلمو ثم رقى الى رتبة الفريق وأحيل على المعاش سنة ١٨٧٩ ثم احالت عليه الحكومة مأمورية اخلاء هرر لما تركتها مصر فى سنة ١٨٨٥ ثم توفى وترك له بين أقرانه ذكرا حسنا

السيد محمد عبد الشكور وأرسل المرحوم رؤف باشا تقريرا الى ناظر الجهادية بمصر بكيفية هذا الفتح أدرجناه بحروفه لما فيه من الفوائد (١) وكان رؤف باشا أمن ذلك الامير على حياته وطلب

---

(١) نعرض لسعادتكم انه بتاريخ ١٧ سبتمبر سنة ١٨٧٥ عرض منا للاعتاب عن قيامنا من زيلع بقصد فتح الدروب وتنفيذ أوامر ولي نعمتنا حسب التعليمات الجليلة الصادرة لنا فقمنا من زيلع في يوم السبت ١٨ سبتمبر سنة ٧٥ ويومها بتنا في محطة تختي وفي الاحد ١٩ منه قمنا من هناك وبتنا في محطة أوجاجره وفي يوم الاثنين ٢٠ منه بتنا في محطة ولع ولع وفي يوم الثلاث ٢١ منه قمنا من محطة ولع ولع ووصلنا الى محطة داداب وفي يوم الاربع ٢٢ منه قمنا من محطة داداب ووصلنا الى محطة ددب عسى وفي يوم الخميس ٢٣ منه قمنا من محطة ددب عسى ووصلنا الى محطة هدنسا وفي يومها حضر لنا الاوجاس رو بلي قارح شيخ مشايخ عربان عيسى وسومال وأبدى لنا دخوله تحت طاعة الحكومة الخديوية هو وكافة قبائل عيسى والسومال فشيدناه بهذا اليوم وخلعنا على الاوجاس المذكور وكبار قبائله الخلع السنية احسانا من لدن المكارم الخديوية وفي يوم الجمعة ٢٤ منه قمنا منها ووصلنا الى محطة أبي بكر على وفي يوم السبت ٢٥ منه قمنا من محطة أبي بكر على ووصلنا الى محطة علان بر وفي يوم الاحد ٢٦ منه قمنا من محطة علان بر ووصلنا الى محطة مبر كوهلي وفي يوم الاثنين ٢٧ منه قمنا من محطة مبر كوهلي ووصلنا الى محطة ججا وفي يوم الثلاء ٢٨ منه قمنا من محطة ججا ووصلنا الى محطة عرمالي مجن وفي يوم الاربعاء ٢٩ منه قمنا من محطة عرمالي مجن وسرنا مسافة ساعة ثم وقفنا لداعي المطر وفي يوم الخميس ٣٠ منه قمنا من محطة عرمالي مجن ووصلنا كونه وفي يوم الجمعة أول اكتوبر أقمنا بمحطة كونه لداعي انحراف مزاجي يومها وتعب الجمال وفي يومها ورد لنا جواب من أمير هرر بالطاعة فكتبنا له رده وفي يوم السبت ٢ منه قمنا من محطة كونه ووصلنا الى محطة بوصة وفي يوم الاحد ٣ منه قمنا من محطة بوصة ووصلنا الى محطة جلديسة وهي آخر حدود عيسى والسومال وفي جميع هذه المحطات لم يكن الدرب صعبا الا فيما بين محطة أبي بكر على ومحطة مبر كوهلي ومن بعدها قمنا من جلديسه في يوم الثلاثاء ٥ منه ووصلنا الى محطة جرجره وهي أول حدود الجالاتولي وفي يوم الاربعاء ٦ منه وصلنا الى محطة الشيخ شار بي وهناك حضر لنا الحاج يوسف نجل الامير محمد عبد الشكور أمير هرر والقاضي عبد الله بن عبد الرحمن قاضي ثاني مدينة هرر والحاج يوسف من أعيان البلدة والسيد أحمد نقيب الاشراف ومحمد عبد القادر ترجمان ديوان الامير ومعهم جواب بالطاعة فاستقبلناهم كما هو لازم وخلعت عليهم الملابس السنية من لدن المكارم الخديوية وفي يوم الخميس ٧ منه قمنا من محطة الشيخ شار بي ووصلنا الى بلدة بالاوه وفي يوم الجمعة ٨ منه قمنا من محطة بالاوه وعند وصولنا الى أفتوح وجدنا جما غفيرا مجتمعا من قبائل التولي والجالا الاوخلا فهم ومع كونهم بدوا وأعجاما لا يستهزئ بهم العاقل في الحروب لانهم أولو شيء يتملكون المضايق والدربندات ويبادرون بالحرب كأنهم منقادون لاصول عسكرية منتظمة فضلا عن كونهم خيالة وبيادة متسلحين بالقسي والنبال والمزاريق والدرق فعاملناهم بالحسنى ونصحناهم وفهمناهم ما ينبغي تفهيمه لهم حسب التعليمات الكريمة الصادرة لنا من الاعتاب فلم يثمر ذلك فيهم ولا عجب في ذلك اذ الجهل يؤدي الى الهلاك فبعدما كلت أفكارنا من نصحهم وتحقق لنا عدم اطاعتهم وتصميمهم على المحاربة حاربناهم يومها وكانت مقتلة صغيرة لم تمكث الا ساعتين وثلاثة وأربعين دقيقة ونعم ما حصل حيث انه بتسليط النيران الشديدة عليهم من كل جهة أمسوا ليلتها طائعين وأعطيت لهم بيارق الحكومة وفي يوم السبت ٩ منه قمنا من محطة أفتوح وعند وصولنا الى ايجو وجدنا أكثر من كان متحدا مع أمير هرر وهم نحو سبعة وثلاثين ألف نفر منهم خيالة وبيادة مسلحون بالمزاريق والقسي والنبال قاطعين الطريق شاهرين لنا علامة الحرب متملكين الدربندات فأرسلنا لهم ننهاهم عن بغيهم وطغيانهم فأبوا الا القتال وأرادوا أن يهجموا علينا بغتة فاجبرنا على قتالهم ولما سلطنا عليهم النيران هلك منهم كثير ولم تمس عليهم تلك الليلة حتى أرسلوا نساءهم طالبين للامان فأمرناهم باحضار رؤسائهم وهما البوكوروي والبوكو وابا أعني أكبر مشايخهم وزمن القتال كان سبع ساعات وعشر دقائق وفي يوم الاحد ١٠ منه قبل قيامنا حضر لطرفنا كل من عثمان بارو وعلي كارو رؤساء قبائل الجالاتولي وطلبوا الامان لانفسهم وقبائلهم فأعطينا لهم بيارق الحكومة ونصبت في حلالهم وبالها من محاربة حيث كان عليها قيام كل أمر فقد اعتبر بها من لم يعتبر ونفعتنا نفعا عظيما ولولاها لحصل لنا تعرضات كثيرة في الطريق

لما انخلع من مصر ثم ارتاب منه فقتله ولذلك هاجت القبائل وسدوا الطريق ما بين زيلع وهرر فاصبح الجيش المصرى وقائده رؤف باشا كالمحصور وعند ذلك سارت من مصر على وجه السرعة أورطتان معهما بطارية من المدافع على باخرة المحروسة تحت قيادة الميرالاى محمد بك النادى وعين الخديو عمر عزمى باشا مندوبا عاليا لتحقيق أسباب هذه الثورة وكنت وقتها من ضباط باخرة المحروسة ولما وصلت هذه الجنود الى زيلع وعلمت القبائل بها تشتتوا فعاد الامن الى ما كان عليه قبلا وتمكن

وفى يوم الاثنين ١١ منه قمنا من محطة سيبو وعند وصولنا الى محطة سكورجه أخبرنا بأن أمير هرر رغب مقابلتنا فى هذه النقطة فوقفنا هناك بقصد الاستراحة وانتظار الامير المذكور وفى الحال أرسلنا يارق الحكومة مع حسن افندى حلمى بكباشى معاون وعبد الله أفندى فوزى صاغقول أغاسى أركان حرب وصار نصبها بمعرفتهما على منزل الامير واحد أبواب المدينة حيث الساعة واحدة بعد الظهر من يوم الاثنين ١٢ رمضان المبارك سنة ٩٢ الموافق ١١ اكتوبر سنة ١٨٧٥ وبعدها ببعض دقائق حضر لنا الامير مع الضابطين المذكورين ومعه أعيان المدينة والقضاة فقوبل بغاية الرحب والسعة وشيدنا اليوم المذكور وأفيض على الامير والقاضى الاول المدعو عبد الله بن أحمد الخلع السنية احسانا من لدن المكارم الخديوية وبعد الاستراحة توجهنا معه ودخلنا مدينة هرر حيث الساعة ثلاثة وأربعون دقيقة بعد الظهر وصحبتنا العساكر الخديوية وهاك بيان القبائل الذين أطاعوا وطلبوا الدخول فى حماية الحكومة الخديوية

عدد القبائل ٤	الجالاقدلى	جميعهم	٣٠	ماقبله	
١٢	الجالالا	«	٣	الجالابورا	جميعهم
٣	الجالابارتى	«	٣	بمهوبه	«
٢	الجالابابلى	«	٦	الجالاجاربو	«
٧	الجالابيه	«	١٢	الجالازهومن	«
٢	جرى	«	٨	الجالابتو وهى باكملها	«
٣٠			٦٢	قبيلة	

وغير ذلك جميع المسلمين بابقات أرجو به سواء كانوا منها أو مهاجرين بها وقد أفضنا على الامير محمد ثمانمائة ريال ومائتى ريال لنجله ومائة ريال لقامليته وجريه كل ذلك احسان من لدن المراحم الخديوية وان كان يستغرب انه فى وقت قريب بهرر نا أطاع الحكومة الخديوية مقدار جسيم بدون محاربة فاعرض وأقول ان السبب فى ذلك أمران الاول هو حسن طالع ولى نعمتى الثانى هو ان أمراء هذه الجهة خاصة يحتكرون زراعة البن ولا يعطون رخصة لاحد أن يزرع هذا الصنف لئلا يفتن ويخرج عن حد طاعتهم ولما كان ذلك معلوما للناصر نا نخبر كل من حضر من المشايخ والاهالى ان الخديوى الاعظم دام عزه يريد عمارة بلادكم وتأمين الدربو يأمركم أن تكثروا من زراعة البن والموز والقمان وهو صنف نبات مخدر قليلا ومتى سمعوا منا هذا التنبيه يتوجهون يخبرون غيرهم من القبائل فلرغبتهم فى زراعة هذه الاصناف وبالاخص صنف البن كل من حضر وسمع منا ذلك يدعو بدوام العز والنصر للساحة الخديويه ثم أعرض وأقول على حسب ما رأى لى ان هذه البلاد بها خيرات كثيرة من صنف المأكول فان جميع ما زرع فى المحروسة من الحبوب موجود هنا وبهذه الرخصة وزراعة الاهالى للبن تكون بعد ثلاث سنوات ذات ايراد عظيم من صنف البن وانى اوافق على حسب ما هو مشاهد لى إما أن التجارة تكون من طرف الميرى والتجار يشترون بالعملة وإما أن تكون نصف الاثمان بضاعة والنصف الآخر عملة لاجل تداول العملة فى يد الاهالى لان وجود العملة فى يد الاهالى ومعرفتهم اياها هى السبب الموجب لميلهم للحكومة وحب وطنهم فان الغنى ثقيل عاله لا يتحرك ويمتثل لاوامر الحكومة بخلاف الفقير وعلى كل حال فالذى يستصوب تصدر لنا منه التعليمات

هذا وأرجو من مراحم ولى نعمتى ارسال سرجين فضة لاعطاء واحد منهما الامير هرر وجملة طاقات قصب على أحمر لتفصيلها جلاليب لمشايخ الجالا وخلانهم واعطاء جانب لحريم الامير ومن يستحق وكذا مقدار من الشيلان العادة

عمر عزمى باشا من اجراء مأموريته ثم اتفق مع أبى بكر باشا أمير زيلع على تنظيم أحوالها ثم عاد الى مصر ونقل محمد رؤف باشا الى السودان وعين بعده محمد نادى باشا محافظا على تلك البلاد ورقى الى رتبة لواء وفى مدته رسم ضباط أركان الحرب هناك خريطة مفصلة عن هذه البلاد أفادت كثيرا وان كان ينقصها كثير من الصحة والضبط فسببه نقص الاستعلامات الجغرافية وغيرها

تجريدة نهر جوبا وجهات قسمايو — لما أتم الخديو توسيع أملاكه السودانية من الجهة الجنوبية وأعلن رسميا بأن البلاد التى حول غندكرو دخلت فى حوزة مصر وان البلدة المذكورة دعيت بالاسماعيلية وان الكولونيل غوردون صار حاكم خط الاستواء (١٨٧٤ م) ليتم ما كان شرع فيه السير صمويل بيكر باشا من مد نفوذ مصر حوالى بحيرة فكتوريا نيانزا عزم على ارسال تجريدة الى بلاد الصومال الجنوبية لادخال البلاد الواقعة على نهر جوبا المذكور فى قبضة مصر حتى يتيسر له ايصال أملاكها هنا بما لها من جهات خط الاستواء فجهز لذلك تجريدة عسكرية مركبة من بطارية من الطوبجية وبلوك من السوارى وأورطة من البياده جعلها تحت قيادة الكونتر أميرال ماكيلوب باشا (Mac Killop) والكولونيل لونج بك (Chaille Long) ومعه من ضباط أركان حرب اليوزباشى حسن افندى واصف (الآن بك ومدير الجيزة) و رأس المشاة البكباشى حسين افندى فهمى والطوبجية السيد افندى عاكف والسوارى البكباشى فرحات افندى منيب وأقلعت هذه القوة من السويس فى يوم ١٧ فبراير من سنة ١٨٧٥ م ولما وصلت الى بلدة الدوبار القريبة من بربرة عسكرت هناك ريثما تأخذ أهبتها وتستكمل معداتها ثم انتقلت الى أربع بواخر وهى فرقاطة محمد على سوارية على بك شكرى ونزل بها مكيلوب باشا ووكيله عبد الرازق بك ولونج بك وقرويت لطيف سوارية أحمد أمين قبودان المعروف بالترك (مفتش وابورات البوسته الآن) ونزل معه رضوان باشا محافظ بربره وباخرة دسوق سوارية حسن قبودان الصغير وكان بها الفحم اللازم للبواخر الاخرى وطنطا سوارية محمد قبودان موسى وبها بقية العساكر ولما وصلت هذه التجريدة الى رأس حافون نزل القائد العام ومعه أركان حربه واستدعى جميع رؤساء القبائل ودعاهم للانتماء الى الحكومة المصرية فأجابوه الى ذلك طائعين فخلع عليهم وركز العلم العثمانى المصرى هناك ثم بارح ذلك المكان ولم يبق به حامية ومازال يتقدم ويركز الاعلام المصرية حتى وصل بلدة براوه شرقى نهر الجب وكانت تابعة لحكومة زنجبار فأرست البواخر المصرية هناك ثم نزلت نصف القوة المصرية الى البر ومعها مكيلوب باشا الذى طلب مشايخ القبائل فلما حضروا وعرض

الحمر وكذا أربع ساعات ذهب تكون واحدة منها مزينة بفص أو بفصين وحيث ان أمير هرر متضح يقينا انه طائع وصادق للحكومة الخديوية فان استصوب لدى الاعتاب يكون وكيلا لحكمدار يتنا وحيث ان أربعة عشر ضابطا حصل منهم غاية الصداقة والاجتهاد فى أثناء السفرية ومقابلة الاعداء مع انه لا يظن ان هناك مأمورية اصعب من هذه المأمورية لما شاهدناه من التعب أرجو أن يحسن لكل منهم برتبة احسانا من لدن المراحم الخديوية وقد وعدناهم فى أثناء الحركات بالعرض للاعتاب ونوالهم الشرف والامر مفوض هذا ومدينة هرر بها ثلاثون ألف نفس والعساكر التى معنا الآن ليست كافية لحفظ البلدة فى الضرورى حضور أورطتين من العساكر المنتظمة وبطارية طوبجية بدون متراليوز لوضعها بالمحطات والقبائل وان وافق أيضا يرسل للناموسيق وان كانت من السودان يكون أحسن تحريرا فى ١٨ رمضان سنة ١٢٩٢ التوقيع محمد رؤف باشا اهـ من جريدة أركان حرب سنة ثالثة

عليهم

عليهم أمر الانتماء الى مصر وأفهمهم ما فى ذلك من الفوائد لهم فأجابوا بالقبول لما رأوه من القوة المصرية التى هالتهم وأدهشتهم بحركاتها الحربية التى أجرتها امامهم ولم يكونوا شاهدوا ذلك قبلا وجعل لهم محافظا وحامية مركبة من بلوك من البيادة ثم تقدم هذا القائد حتى وصل الى فم نهر جوبا المذكور وأراد السير فيه بالفلائك الا أن الامواج صدته وغرق بعض الفلائك والعساكر ولما أخذ ما يلزمه من مياه الشرب عاد الى قسمايو التى اندهش أهلها لما رأوا هذه التجريدة وأقبلوا فى زوارقهم سائلين من اين أتت وما المقصود من حضورها فاخبرهم القائد بان القصد اكتشاف نهر الجب ليس الا وانه لا خوف عليهم فزال عنهم الوجل والخوف وبعد ثلاثة أيام نزلت العساكر الى البر فسارت نحو النهر وأخذ الكولونيل لونج بالاكتشاف فى النهر وحافتيه على زورق بخارى على مسافة ١٥٠ ميلا تقريبا ورسم اليوزباشى حسن افندى واصف مجرى النهر المذكور ثم ان بعض مشايخ البلاد المذكورة استصرخ بالسيد برغش سلطان زنجبار لان الحكومة المصرية تريد الاستيلاء على بلادهم وفى تلك الاثناء أتى مكتوب من محافظ بلدة براوه المصرى بانه هو ومن معه من الحامية حصرتهم القبائل ونكثوا العهود وخانوا المواثيق فأمده القائد بقوة على احدى البواخر ولما كان فحم الباخرة المذكورة قارب الفراغ سافرت أولا لمشترى الفحم من زنجبار ولما وصلت استدعى سلطانها قبودانها ولما قابله سأله السلطان عن سبب حضور جند المصريين فاجاب بأن حضورهم هو لاكتشاف تلك الجهات وأخبره بمسئلة الفحم فصرح له بمشتراه وأمره بسرعة القيام من الجزيرة وترك البلاد التى احتلوها قبل أن يتفاقم الامر لانه سيعلم دولة انكلتره بما حدث لانه هو وبلاده تحت حمايتها ولما وصلت الى براوه أخذت تطلق المدافع والبنادق تهديد المحاصرين الذين فروا فى الحال وعاد الامن الى ربوعه وأخبر السيد برغش سلطان زنجبار الدكتور جون كركالرس (Dot. John Kirkalors) قنصل جنرال برطانية هنالك بما كان فأرسل القنصل المذكور مدفعية انكليزية للوقوف على حقيقة الامر وتقابل قبودانها مع مكيلوب باشا فتحادثا سوية ثم عادت المدفعية الى زنجبار وأخبر القنصل حكومته رسميا بما كان وأرسل مكيلوب باشا من طرفه عبد الرزاق بك الى زنجبار فبعث خبرا بالتلغراف الى المعية السنية بمصر أعلمها فيه بما حصل وكان الخديو أرسل فدريقو باشا مفتش عموم وابورات البوسته الخديوية يومئذ للتفتيش على النقط التى احتلتها هذه الحملة ولما عاد قال بان المواصلات بين النقط العسكرية هنالك صعبة وكانت المخابرات جارية بين الخديو ودولة انكلترة ولما لم يقو على معارضتها واثبات حقوقه سيما وان مصر كانت فى حرب مع الحبشة أمر مكيلوب باشا بالعودة هو ومن معه من العساكر وكان اللورد دربى أرسل الى الخديو كتابا شديد العبارة بان فعل مصر هذا يعتبر تعديا على بلاد تحميها برطانية (١٨٧٦ م)

المشاكل مع الحبشة — لما ألحقت الحكومة الخديوية بأملاكها بلاد البوغوس وبركة والقضارف والوديان الشرقية التى تصب اليها مياه الحماسين على يد منزنجر باشا محافظ مصوع كما سبق ارادت تعيين حدود تلك البلاد بينها وبين الحبشة وقصدت الاستيلاء على بعض مقاطعات الحماسين ليسهل على الخديو تنفيذ غرضه بمد طريق حديدى بين مصوع والخرطوم على طريق كسله والتاكه فجرد لذلك تجريدة جعلها تحت قيادة ارندروب بك (Arendrup) وكان على البيادة منها رستم بك

ناجي وعلى الطوبجية اسمعيل افندي راجي البكباشي ورافقهما من مصوع بعض ضباط أركان الحرب تحت رياسة البكباشي دورهولس ومعه الملازم أحمد افندي رفعت ولما وصلت الى بلدة سعدزجه الواقعة على طريق اسمرة انضمت اليها أورطة سودانية أتت من سنهيت وكان الطريق بين سعدزجه ومصوع تشغله جنود مصرية أخرى وفي ٢ اكتوبر من سنة ١٨٧٥ م صدر الامر بسفر بعض ضباط من أركان الحرب بينهم البكباشي دنسن الاميريكاني والبكباشي عمر افندي رشدي (بك ومدير المنية الآن) والملازمين حسين افندي رفقي وأحمد افندي شريف وأحمد افندي نظمي وسافر هؤلاء الضباط من السويس على باخرة سنار قبودانية برفوليجو بك النمساوي ولما وصلت الى مصوع سافرت توا الى سعدزجه من طريق أسمرة ولما رأى نجاشي الحبشة تجول المصريين في بلاده للاغارة أمر ولدانكيل حاكم الحماسين بالرجوع الى دواريه وهي نقطة فيها جامع شيده العثمانيون كانت احتلها عساكر السلطان سليمان سنة ٩٦١ هـ ثم سافرت العساكر المصرية من سعدزجه الى دواريه ثم الى بلدة جودوفلاسي وكان كلما تقدمت العساكر المصرية تتقهقر الاحباش خديعة منهم ولما اجتمعت الجنود المصرية تقدم البكباشي دورهولس بفرقته الى سيجانيت للمحافظة على أهلها ومن فيها من قسيسي أوروبا ثم تقدمت فرقة جودوفلاسي تقصد عدوة بعد أن تركت بها بلوكين مع عمر افندي رشدي ثم نزلت ببلدة عدخاله وهناك انضم اليه بقية الجند المصري وسارت أربعة بلوكات مع الصاغ عطا افندي الى جونديت وأرسل أرندروب بك مكتوبا بالعربي الى ملك الحبشة يوحنا يطلب منه جعل خور الجاش وهو نهر المارب حدا فاصلا بين أملاك مصر والحبشة وأرسل المكتوب مع رجلين هما الشيخ حق الدين من أكابر مسلمي بلدة دواريه والنائب أحمد من أهالي مصوع وكانت له علاقات خصوصية مع ملك الحبشة فلما وصلا قيدهما الملك بالحديد وسجنهما ثم بلغ أرندروب بان الحبشة يستعدون للهجوم عليه من ثلاث جهات فصمم على أن يبدأهو بالهجوم قبل مهاجمتهم له وقسم قوته الى قسمين تقدم هو بالقسم الاول منهما وجعل القسم الآخر وقدره سبعة بلوكات تحت قيادة رستم بك ناجي ومعه البكباشي أحمد افندي فوزي وفرقة من الطوبجية عليها البكباشي اسمعيل افندي راجي وكان معهم أراكيل بك (Arakel) محافظ مصوع ولما وصل أرندروب الى جونديت أرسل بأمر رستم بك بالتقدم في الصباح للالتحاق به وترك بلوكين بنقطة عدخاله مع البكباشي دنسن والبكباشي عمر رشدي افندي وبعد أن سار رستم بك بثلاث ساعات ورد خبر الى عدخاله بأن قوتي رستم بك ناجي وأرندروب بك قتلتا الواحدة بعد الاخرى تماما لان قوة الحبشة التي هاجمتهم كان عددها نحو ٧٥,٠٠٠ مقاتل يقودها الملك يوحنا بنفسه وبعد هذه المذبحة أقام ملك الحبشة بجونديت وأرسل فرقة لمحاصرة عدخاله ثم بعث كتابا يدعو حامية عدخاله المصرية الى التسليم (١) فجاوبه البكباشيان دنسن وعمر افندي رشدي بانهما أرسلا كتابه الى القائد العام ببلدة سعدفلاى وهما في انتظار الجواب وكانا يقصدان بذلك اطالة الزمن ليتمكنا من الانسحاب خفية الى قياخور فتم لهما ذلك والتحقا بحاميتها الذين أصبح

(١) من المؤيد من الله يوحنا ملك ملوك الحبشة وما يليها الى ضباط العساكر المصرية بعدخاله بعد السلام يقول مخاطبا لكم انكم تعديتم على بلادنا واعلموا ان هذا لم يكن من أنفسكم فيقتضي تسليم السلاح وان شئتم الاقامة ببلادي فلكم ذلك على الرحب والسعة والا نردكم الى أوطانكم سالمين ٥

عددهم

عددهم ٦٠٠ عسكرى ولما تحقق ضباط مصر عدم امكان حفظ قياخور المذكورة تركوها وعادوا الى بعرزه التى كانت فيما سبق الحد الفاصل بين الحبشة ومصر أما دورهواس فانه لما بلغه خبر ملاشاة القوة المصرية رجع بمن معه بكل سرعة الى مصوع مخبرا بما حصل وكان الخديو فى أثناء ذلك أمر مونزنجر باشا حكمدار شرقى السودان والبحر الاحمر بان يجرد على بلاد الحبشة عسكرا آخر يذهب به من طريق تاجورة الى بلاد شووا ومنها الى غندار فأخذ أربعة بلوكات من البيادة وبطارية من الطوبجية وأبحر من مصوع فى باخرة الزقازيق وقبودانها البكباشى محمد أمين توفيق افندى ولما وصلت الباخرة المذكورة الى تاجورة وأخرجت بها العساكر أمرهم بالسير أماهو فانه خرج عند رأس جيلاجيفو القريب من جونة قبة الخراب الواقعة على بعد ١٥ ميلا غربى تاجورة (٢٧ اكتوبر سنة ١٨٧٥) وسار قاصدا بلدة أوسا الكائنة بجوار بحيرة أسال وهنالك تلاقى مع عسكره وقابله ابن الشيخ محمد الحدة أمير تلك البلاد وكان يظهر الموالاة للحكومة المصرية ويضمر السوء لمونزنجر باشا لانه بعد أن قدم له كل ما يلزم من المؤن والهدايا هجم ليلا بجنوده على العساكر المصرية فقتل أولا مونزنجر باشا وزوجته شر قتلة ثم أخذ يقتل فى العساكر التى دافعت عن نفسها دفاع الابطال ولما كانت قليلة بالنسبة للاعداء قتل منها عدد كبير وتمكن من بقى من الهرب والانسحاب الى تاجورة بعد ان لاقت من الصعوبات ما لا مزيد عليه ومع ذلك فقد تمكن الضابط محمد افندى عزت بشجاعته وإقدامه من ارجاع الجنود بنظام ورسم الطريق الذى عاد منه لامكان محاصرة المكان الذى حدثت فيه الواقعة المذكورة عند الاقتضاء ولما ذاعت أخبار هذه الهزيمة تعين عبد القادر حلمى باشا لتحقيق أمرها وأسبابها فتوجه الى تاجورة وزيلع وبعد ان درس حقائقها قدم تقريرا بما علمه ولما قرأه الخديو تأثر من ذلك تأثرا شديدا وعزم على محاربة الاحباش

حرب الحبشة — لما حصل ما تقدم رأى الخديو ان أحسن الطرق لرد شرف العسكرية المصرية الذى أهانه الاحباش والانتقام منهم على ما فعلوه مع مأمورى مصر وجنودها هى سوق الجند على الحبشة مع ان المصريين هم الذين تعدوا أولا على الاحباش بلا سبب شرعى ثم ان ملك الحبشة كثيرا ما أساء الى المسلمين المقيمين ببلاده وجرت عادة المسلمين التوسل بمصر من القديم لرفع الاذى عنهم الا أن ذلك كان يمكن حسمه بالطرق الودية أولى من حرب عادت على مصر بالوبال والاهوال وأفقدتها كثيرا من جنودها ونخبة رجالها لانها حصلت بلا تدبر ولا امعان فكر ولا يظن القارئ ان الحبشة كانت فى هذا الوقت كما كانت زمن ان حاربها الانجليز منحلة الروابط مشتتة الضوابط لان الاحباش بعد حرب الانجليز لهم كان انضم رؤسهم الى بعضهم واتحدوا نوعا وذلك بمساعى النجاشى حنا كاسا ملكهم فى ذلك الوقت ولكثرة معاركتهم لعساكر مصر تحزبوا وحصلوا على الكثير من الاسلحة النارية الجيدة وغير ذلك هذا ولما صمم الخديو على الحرب أمر نجله الامير حسين باشا وكان وزيرا للجهادية والبحرية اذ ذاك بتجهيز الجيش فصدع بالامر وتعين محمد راتب باشا سردار الجيش قائدا عاما للجيوش الحرب وجعل ضباط أركان الحرب من المصريين والامريكان الذين فى خدمة مصر وكانوا تحت رئاسة الجنرال لورنج باشا وكان فقد احدى يديه فى حرب امريقا ولذلك اشتهر بأبى ذراع وكان من هؤلاء الضباط القائمقام دولبابك والبكباشى ابراهيم افندى لطفى والبكباشى طورنابرن

والبكباشى عمر افندى رشدى ودو رهواس واليوز باشى صو رمانى والملازم عبد الرحمن افندى محمد ومحمد افندى عزمى وأحمد افندى رائف وجعل محمد بك رفعت رئيس قلم تركى ديوان الجهادية كاتبا خصوصيا للسردار ومحمد على باشا حكيم باشى القصر العينى رئيسا الاسبتاليات الميدان هذا وكان الجيش الذى جهز لهذه الحملة يتركب من ثلاثة لوا آت وقواده هم عثمان رفقى باشا وراشد راشد راقم باشا واسمعيل كامل باشا ومعهم أيضا خمسة الايات أخرى سميت بألايات السفرية الأول بقوده عثمان بك غالب والثانى محمد بك جبر والثالث زكريا بك والرابع راشد كامل بك والخامس عثمان نجيب بك ويتبعهم أيضا اورطتان من البيادة على الاولى البكباشى على افندى رأفت وعلى الثانية مصطفى أفندى مأمون والاى من السودانيين عليه خورشيد بك عاكف وثلاث أورط من السوارى على الأولى البكباشى أحمد أفندى عبد الغفار وعلى الثانية البكباشى مصطفى أغا وعلى الثالثة البكباشى راشد أفندى حلمى وسبع بطاريات من الطوبجية تحت قيادة اسمعيل بك صبرى على أربع منها البكباشى أحمد افندى سعيد ومن بطارية سارو خ حربى عليها عباس افندى وهبى وبطارية واحدة من مدافع كروب للميدان عليها محمد افندى نجاتى ومثلها للصحرا من عيار ١٢ سانتى وأروطة مهندسين عليها البكباشى على افندى السماع وفرقة للنزل عليها القائمقام مصطفى بك خلوصى وكان مركزها مصوع والقائمقام أحمد بك عرابى والبكباشى على افندى الروبى وجعلا على الحملة وكان مع هذا الجيش نحو ١٨٠٠٠ من الخيول والبغال والجمال وجعل المرحوم على غالب باشا مأمورا لتسهيل سوق الجيوش بميناء السويس وأمر المرحوم قاسم باشا وكيل البحرية بسوق كل السفن والبواخر الاميرية الموجودة بثغر الاسكندرية الى البحر الاحمر وجعل محمد كامل باشا قبودانا الباخرة الغربية وقاد قاسم باشا المحروسة بنفسه وكنت من ضباطها وأخذت السفن تنقل الجيوش من السويس الى مصوع وبعد ان أوصلت باخرة المحروسة أورطتين وبطارية من المدافع الجبلية امدادا لرؤف باشا عادت لنقل الجيوش كبقية السفن الاخرى ثم سافر محمد راتب باشا السردار مع أركان حربه الى مصوع على باخرة الدقهلية (٨ ذى القعدة ١٢٩٢ هـ) وكان صدر أمر الخديو بسفر ثالث أنجاله الامير حسن باشا لمرافقة الحملة تشجيعا للجنود وتدريباله على خوض معامع الحروب (١١ الحجة سنة ١٢٩٢ - ٢٩ دسمبر ١٨٧٥ م) وكان يصحبه الميرلاى يوسف شهدى بك (الفريق ناظر الحربية السابق) وزهراب بك (وكيل الحربية الحالى) والبكباشى محمد افندى نسيم وبدر بك الحكيم وغيرهم من ضباط أركان الحرب ثم سافر من مصوع هو والسردار القائد العام وضباط أركان الحرب (١٦ الحجة) ومعهم العساكر بين مشاة وخيالة وطوبجية يقصدون بلاد الحبشة مارين على جهات بانقص وبعرزه وعدرسه وقياخور حتى وصلوا قرع فى ٣ محرم سنة ١٢٩٣ بعد أن تركوا بعض الجند فى النقط المذكورة لحفظ خط المواصلات بين الجيش ومصوع وعسكر الجيش فى قرع المذكورة وأقام حوله الاستحكامات اللازمة وادخر الذخائر والمؤن اللازمة له وقد كان دخول العسكر المصرى بلاد الحبشة على ما كان عليه من القوة والاستعداد موجبا لمسارعة الكثيرين من الاحباش الى الدخول فى حماية الحكومة المصرية فدخل لج برو عمدة عدخاله ومعه نحو ستين من جنوده ثم عمدة جودفلاسى ثم دجاج ولد نكابيل حاكم الحماسين مع جيشه البالغ عدده نحو الالفى نفر فانعم على الجميع بالخلع المصرية

وقدم حاكم الحماسين المذكور للامير المرحوم حسن باشا والسردار ولبعض القواد جملة هدايا ثم قدم عدة من أعيان وأهالى جهات اكاو كزاى واكاه والحماسين وماجاورها من القرى والبلاد لطلب الدخول تحت حماية الحكومة الخديوية فقوبلوا بالاكرام وأنعم عليهم بالخلع ثم دخل حاكم عمامى ويدعى شوم عمامى سبحتو وآخرين منهم واطصفاى ولد ولدفراش وغيرهم وكانت الجواسيس توافى الجيش المصرى كل يوم باخبار جيش الاحباش ومن ذلك أخبارهم ان النجاشى ينوى مهاجمة المصريين يوم الثلاثاء الذى اعتاد المحاربة فيه تيمنا به وتبركا بطالعه وقد كانت محاربته لجيش ارندروب بك ورستم ناجى بك فى اليوم المذكور وأخبر السردار الخديو بذلك فصدر منه الامر تلغرافيا باتخاذ الطرق المؤدية الى منع وقوع المحاربة فى اليوم المذكور وان كان هذا الاعتقاد فاسدا ثم عادت الجواسيس وأخبرت بتحرك ملك الحبشة مع جيشه فى يوم الثلاثاء الموافق ١١ صفر من سنة ١٢٩٣ وعلى ذلك استعدت العساكر المصرية وأخرج السردار باشارة الجنرال لورنج الامريكانى رئيس أركان حربه سبع أورط من الرجالة وارطتين من الخيالة وثلاث بطاريات من المدافع الجبلية وأربع مدافع صغيرة وتسعة سواريخ حربية الى ميدان القتال البعيد عن الاستحكامات بمسافة ٣٥٠٠ متر تقريبا فجعلت القوة المذكورة خورا كان هناك خلفها وكان المصريون شيدوا فى قرع فى أول الامر استحكاما ثم تركوه وشيدوا آخر غيره لانه أكبر من الاول موافقة وبقى فى الاستحكام الجديد أى الثانى بعد خروج القوة المذكورة للقتال بطارية كروب وأرطتان من البيادة و بطارية أخرى أما الاستحكام القديم أى الأول فكان خاليا من الجند فلم يكن به سوى الخيام والحراس وقصد العدو فى أول الامر محاربة الفرقة التى بطابية قيا خور تحت قيادة عثمان رفقى باشا ولما لم يجد منها حركة وانها فى استحكام منيع وقادرة على اهلاكه بالمقذوفات عدل عن مهاجمتها وقصد قوة السردار وأخذ فى مهاجمتها وبعد معركة قصيرة شديدة اختل نظام الاورط المصرية لاحاطة الاحباش بها سريعا من الخلف من داخل الخور السابق ذكره ومن الجنبين والامام ولم تمكن سرعة الاحباش وجسارتهم السردار من تشكيل مربع يقاوم به هجومهم العنيف حتى يأتيه المدد فانهزم المصريون شر هزيمة تكون وأسر الاحباش كثيرا منهم وقتل فى الواقعة راشد راتب باشا ومحمد على باشا الطبيب ومحمد بك جبر وتسعة من ضباط الالوف وغيرهم من الضباط والعساكر واستولى الاحباش أيضا على ذخيرتهم وأسلحتهم ولم تمكن المرحوم حسن باشا والسردار وأركان حربهما والخيالة و بعض الجنود المشاة من الوصول الى القلعة الجديدة الا بعد ان رأوا الهلاك عيانا ولما التجؤا اليها أغلقوا بابها وأمروا الطوبجية باطلاق المقذوفات على الاحباش وكانوا يقتفون أثر الفارين وقد فتكت تلك المقذوفات بكثير من الجنود المصريين الذين تخلصوا من الواقعة وكانوا يقصدون القلعة المذكورة للالتجاء اليها كغيرهم وفى يوم الخميس ١٣ صفر سنة ١٢٩٣ هـ عاود الملك الهجوم بجيشه بقصد الاستيلاء على القلعة المذكورة فارتد خائبا وروى من شاهد ذلك من أسرى المصريين ان الاحباش لما عادوا من امام قلعة قرع الجديدة منهزمين كانت تلوح على وجوههم علامات الحزن وأخذ نساؤهم فى البكاء والنحيب على مافقدوه من الرجال فى هذه الحروب وكانوا أضعاف قتلى المصريين لان المقذوفات والمهلكات النارية قتلت منهم عددا كبيرا وقد عاب رجال الحرب قائد هذه الحملة

ورموه بالخطا في حركة الميدان التي قام بها ومقابلته جيوش الحبشة العديدين بالكيفية التي فعلها بقولهم ان تعبيته كانت مخالفة بالمرة لفن الحرب حيث لم يعمل اكتشافات دقيقة ولم يرتب الطلائع اللازمة للقوة الزاحفة بل تحرك كأنه في ميدان غير ميدان الحرب وعبر خوركان هنالك وجعله خلف جنوده حتى صار الخور حائلا دون خط رجعته الى القلعة وكان عليه لما رأى جيوش الحبشة أخذت تتحرك يمينا وشمالا الاسراع بتشكيل قوته على هيئة مربع اما راتب باشا فقد تنصل من مسؤلية هذه الهزيمة عند عودته لما مثل بين يدى الخديو وقال له انكم أخذتم على المواثيق والايمان بانني في جميع حركاتى أستشير الجنرال لورنج الامريكانى وقد قمت بما أمرتم فكانت النتيجة كما ترون فلم يتكلم الخديو بشئ وقال الفاضل محمد رفعت بك في كتابه جبر الكسر في الخلاص من الاسر وقد ظننت انه اذا حصلت هزيمة لعساكرنا المحاربة أدركهم عساكر الاحتياط بالمدد كما شاهدت ذلك في محاربة كريدفا كون ما بين ذلك قد تمكنت من العود الى القلعة غير ان الامر كان بخلاف ذلك اذ لم يكن لعساكرنا مدد ولا احتياط على حسب القواعد الحربية اه ولما انتشر خبر موقعة قرع وما أصاب الجنود المصرية بها وقع الرعب واستولى الخوف على الاورط والبلوكات التي كانت بالطريق والمعسكرة على الانفراد لحماية الطريق بين مصوع ومركز الجيش وعارض بعض الضباط ليتخلصوا من التقدم فلما علم السردار راتب باشا بذلك وان الخوف مثبط لهمة العساكر قاتل لاقدام الجنود سيما في ميدان القتال أمر بالقبض على أولئك الضباط وكان منهم البكباشي صالح افندى سرى وحاكمهم وقتل بعضهم رميا بالرصاص وذكر الفاضل محمد بك رفعت ان ملك الحبشة استدعاه وسأله بواسطة الترجمان عن أسباب حضور الجيش المصرى فقال له ان القصد هو تبادل التجارة بين الحبشة والمصريين وأخذ يسرد الاسباب فأظهر النجاشي يوحنا رغبته في الصلح وقال له هل عندك ختم فتكتب لنا جوابا بالصلح فقلت نعم ولكن أخذه الاسر فأمر الملك حينئذ باحضار الختم وقد حصل وكتبت مسودة خطاب عن لسان الملك الى جناب البرنس حسن باشا بعكس مرغوب الملك من جهة كونه طلب تحريره عن لسانى وذكرت فيه ما معناه

(انى كنت أود استمرار علاقات المودة بيني وبين والدكم الانفخم ولكن حال دون ذلك تمويهات منسجر باشا محافظ مصوع وبثه الاكاذيب حتى انبنى على ذلك حضور ارندروب بك وحضوركم وكان ما كان في وقعتى جندت وقرع من هدر الدماء بين الفريقين وهذا أمر لا يرضى الله ولا الناس ولم ندر ما هو المقصد والمرام من حضوركم بالجنود الى بلادنا فالاولى أن ترسلوا مندوبا من عندكم أو نرسل مندوبا من عندنا للمفاوضة في شأن الامر الذى نحن فيه)

وبعد ختامه أخبرت الكاتب بأن من الاوفق أن يكون الخطاب مرسلا من قبل الملك ومختوما بختمه اذ لا يجوز لى تحرير مثل هذا الكتاب بما انى أسير واذا أراد الملك كتابة منى علاوة على ذلك فلا مانع وألزمت الكاتب تفهيم الملك كل ذلك وقد عرض في الحقيقة كلامى على الملك فاستحسنه ووافق عليه ونقلت مسودة كتابى على قرطاس بخط كاتبهم بدون تغيير فيها ولا تبديل ولا محو ولا اثبات ثم عرض على الملك فختمه بختمه ومحل الختم عنده جبين القرطاس أما ختمه فمصنوع من فضة وهو كبير الدائرة ومنقوش فيه بالحبشية والعربية هذه العبارة وهى (يوحنا ملك ملوك الحبشة وما يليها) وحررت منى كتابا تركى العبارة الى جناب السردار بما شاهدته من حال جيوش الحبشة من حيث وفرتها وكثرتها وما لاح لى من هذا القبيل مع الاختصار وختمته باستلفات نظره الى ضرورة حسم

هذه

هذه المشكلة بالحسنى اه وقد فتح هذا الخطاب باب المداولات فى الصلح وعاد الملك الى غندار ثم تعين من قبل الجيش المصرى على افندى الروبى بكباشى السوارى ودارت المخابرات فى شأن الصلح بشرط ان الاحباش يردون الاسلحة المصرية التى وقعت فى يدهم وان تكون التجارة متبادلة بين الطرفين فامتنع ملك الحبشة عن رد الاسلحة قائلا ان جنوده ليست منتظمة حتى يتسنى له أن يسترد منهم ماسلبوه وان ما يمكنه رده هو خمسمائة بندقية على الاكثر و بعد ذلك بقليل تقرر الصلح وأذن الملك بعودة الاسرى (٢٧ ربيع الاول سنة ١٢٩٣) وتبادلت الهدايا بين الخديو وملك الحبشة وعاد البرنس والسردار وكثير من الجيوش الى مصر

غردون والسودان المصرى — وفى أثناء الحرب بين مصر والحبشة عينت الحكومة جملة من ضباط أركان الحرب جعلتهم تحت رياسة الميرآلاى لوكت بك (Lockett) (١) وأرسلتهم الى مصوع لرسم خرائط تلك الجهات فرسموا خريطة عمومية للبلاد الواقعة بين مصوع و بلاد الحبشة وكان ذلك من أهم وأفضل ما اشتغل به ضباط الجيش المصرى وكتب الجنرال استون عن هذا العمل رسالة علمية قرئت فى الجمعية الجغرافية المصرية وفى شهر فبراير من سنة ١٨٧٧ استدعى الخديو اسمعيل باشا الجنرال غوردون لخدمة الحكومة المصرية مرة ثانية فعلق الجنرال غوردون قبوله الخدمة على ان يكون حكمدارا لعموم الاملاك المصرية بالسودان فاجيب طلبه وكانت العساكر المصرية بالاقطار السودانية المذكورة قليلة وبعض نواحيها خالية منها لان مصر لما ساعدت الدولة فى حربها مع السرب والروسيا أرسلت قسما عظيما من جنودها امدادا فبقى السودان قليل الجنود ولذلك انتشبت نيران الثورة فى جهات دارفور قال صاحب الرسالة الانجليزية المسماة السودان والمهدى ان الذى كان يحرض أهالى دارفور على شق عصا الطاعة على الحكومة هو الزبير رحمت باشا برسائله التى كان يرسلها الى خلفائه هناك حتى بلغ عدد الثائرين أ كثر من عشرة آلاف ولم يكن عند غوردون باشا وقتئذ الا شرذمة صغيرة من العساكر المصرية وأقام فى الخرطوم شهرا أصلح فيه دوائر الحكومة كما يحب و يشتهى ثم سافر الى دارفور على ناقة مستصحبا معه ستمائة من الاتراك الباشبوزق ولما وصل الى الفاشر دخل محلة العصاة وحده وترك أتباعه وحراسه على مسافة منها وكان الجموع فيها ثلاثة آلاف عبد مسلحين فخاطب رؤساءهم وطلب منهم التسليم وهو يمزج الجد باللين و بذلك سلموا اليه وأطاعوه وفى مقدمتهم سليمان بن الزبير فنصبه غوردون باشا حاكما على بحر الغزال بأمر الحضرة الخديوية وقفل غوردون باشا راجعا الى الخرطوم اه وروى ميسيداليا بك (Messedaglia) فى خطابه الذى بعثه بتاريخ ١٥ دسمبر سنة ١٨٨٧ الى الجمعية الجغرافية الخديوية انه لما تعين الجنرال غوردون باشا حكمدارا عاما على السودان والبحر الأحمر ومديريات خط الاستواء (١٨٧٧) كانت نيران الفتنة مشتعلة بدارفور والذى قام بأمرها رجل يدعى محمد هرون من قبيلة تدعى فيلاتا مطالبا بالملك وسمى نفسه بالسلطان محمد هرون الرشيد الصادق السعيد المنصور بقوة الله المؤيد برسول الله و بعث من طرفه أناسا يحرقون أملاك

(١) وهم القائمقام لميغ بك والملازم أول مصطفى افندى رمزى (الآن قائمقام بالجيش) والملازمين ثوانى شقيق يوسف أفندى ضيا وحسين افندى رمزى (الآن الاول ميرالاى والثانى قائمقام ياوران للحضرة الفخيمة الخديوية) والملازم اسمعيل افندى صبرى

الأهالى الخاضعين للحكومة المصرية وكان مديردارفور وقتئذ محمدا امام الخبيرى وكان غوردون باشا رقاه الى رتبة باشا وكان له ثلاثة اخوة فى وظائف الحكومة معه وهم حمزة بك الخبيرى وكان مديرا للفاشر واحمد بك النور الخبيرى مديرا على الغرب ومحمود امام بك الخبيرى رئيس مجلس مديرية الفاشر المحلى وفى مدة هؤلاء الحكام لم تنصلح أحوال تلك الجهات وفقد منها الامن والنظام ولهذا عين غردون باشا عليها حسن حلمى باشا بدلا عن محمد امام الخبيرى المذكور وجعل ضابطا جركسيا يدعى زكريا بك حلمى مديرا للفاشر ورئيسا لعموم الجيش بها وأمرهما بمحاربة هرون فلم ينجحا فى أول الامر لأن هرون تمكن فى مدة قليلة من جمع عدة قبائل حول الفاشر وحاصر قلعتها واستولى فى ليلة ممطرة على كافة الابار التى حولها وفى أثناء ذلك صمم غوردون باشا على السفر الى دارفور بنفسه فوصل الى الفاشر فى ١٦ يونيو وكان معه حرس عدده ٣٥ نفرا ووجد القلعة محاصرة فدخلها على حين غفلة حتى بهت من كان فيها لما شاهده وبينهم وفى الحال تغيرت الاحوال وانسحب الثوار الى الجبل فسير عليهم غردون حملتين احداهما تحت قيادة زكريا بك المتقدم والاخرى تحت قيادة حسن حلمى باشا فلم يفلحا فى اخضاع الثوار ثم أذن لحسن حلمى باشا باجازة طويلة يقضيها بمصر وعين مكانه رجلا يدعى فردريك روسى (Frédéric Rosset) وكان تاجرا فى الخرطوم ووكيلا لقنصل المانيا بها وكان غردون بعث من الخرطوم رومولى جسى (R. Gessi) التليانى على رأس جيش صغير الى بحر الغزال وبعد ثلاثة أيام من وصول جسى الى الفاشر اتفق موت فردريك روسى المذكور فجأة ثم سكنت فتنة هرون وعاد الامن الى ربوعه وفى ٢٢ دسمبر من سنة ١٨٧٨ عين غردون باشا ميسيد اليابك مديرا لداره وقومندانا للجيش بها وكان يصحبه رجل يسمى شارل ريجولى (Charles Rigolet) تعين وكيلا لمديرية شاكا ولما وصل ميسيد اليابك الى داره وجد أهلها على طاعة الحكومة الخديوية وانما تغيظهم من معاملة جنود الباشبوزوق ومأمورى التحصيل والمشايخ لهم ولكى يقف على حقيقة أمرهم وطلباتهم أظهر لهم فى أول الامر انه سائح ثم علم انهم جميعا يشتكون من هرون وأعماله فاجتهد فى طرده وابعاد الباشبوزوق وفى تلك الاثناء ظهر سلطان آخر بكردفان يدعى محمد صباحى وحاول اخضاعها فقصده غردون باشا بنفسه وأمر ميسيد اليابك أن يسافر مع القوة العسكرية التى معه لمساعدة جسى فى بحر الغزال فسافر من بارا ولما وصل وجد جسى باشا تمكن من قهر سليمان بن الزبير فأمره غردون باشا بالعودة الى دارفور فعاد الى داره فى أواخر ابريل وكان غردون باشا قد تمكن أيضا من قهر الصباحى وأسره ثم ألغى مديرية شاكا وبعث بمن معه من الجنود الى داره ثم غير وبدل فى المأمورين فجعل (٨ مايو سنة ١٨٧٩) شارل ريجولى المتقدم الذكر مديرا لداره وسعيد بك مديرا للفاشر ونوربك عنقر مديرا لكلكل وأمر املياني (Emiliani) مأمور مركز الكولى بالتوجه الى دارفور ثم بعد ذلك بقليل عين سلاتين بك مديرا لداره بدلا من محمد بك خالد المشهور بزقل اه بتصرف وقال حضرة محمود افندى طلعت فى كتابه غرائب الزمان فى فتح السودان ما ملخصه انه فى أواخر شهر شعبان من سنة ١٢٩٥ (أغسطس ١٨٧٧ م) حضر محمد باشا امام الخبيرى (وهو من أعيان السودان الذين أنعم عليهم غوردون باشا بالرتب ورقاهم الى أعلى المناصب) وكان مديرا لعموم غرب دارفور الى كردفان ونزل ضيفا على من يقال له الياس باشا سر تجار كردفان وتكلم بمجلس كان به بعض أعيان تجار تلك الناحية وكان بينهم أحمد المتمهدى فقال الخبيرى ان الدولة

الانكليزية لما رأت ظلم الترك بالسودان أرسلت من طرفها غوردون باشا بصفته حكمدارا للسودان فى الظاهر ولكن فى الحقيقة لاجل أن يريح أهالى السودان من الترك وظلمهم وقد ابتدأ باخلاء دارفور منهم (مراده بالترك هنا كل مصرى سواء كان تركيا أو مصريا أو عربيا) ثم قال لهم وسيتبع ذلك فى عموم السودان فكونوا متيقظين فها قد ترك عموم دارفور وقائمة على قدم وساق تحارب من بقى منهم فلما سمعوا ذلك قابلوا قوله بالاستحسان واتفق ان الثورة حصلت على يد محمد أحمد المتمهدى فساعده من كان موجودا بذلك المجلس عن طيب خاطر حتى قويت شوكته وادعى المهدوية وكان من أمره ما سيأتى ذكره فى محله اه وذكر الفاضل محمد محسن بك الكاتب الثانى للمندوب العالى السلطانى بمصر فى كتابه دليل افريقية ما ترجمته ان الخديو اسمعيل باشا لما دعا غوردون باشا للخدمة ثانيا فى الحكومة المصرية سنة ١٨٧٧م نصبه حكمدارا عاما على ادارة عموم السودان وتوابعها فعاد الى الخرطوم ولكنه لم يسر فى ادارتها كما كان يفعل أولا فلم يفتح ويضم أوغنده والجهات الغربية للحكومة الخديوية بل ابتدأ فى هذه المرة بتضييق الادارة المصرية التى كان وسع نطاقها فى المرة الاولى فترك بلاد هرر وتخلى عن إقليم أونيوره وترك محطات أورندوجانى وأم رولى وماسندى وكورنته وفاويره واعتبر الحدود المصرية العثمانية جنوبا سواحل نهر سومرست وقسم الاقطار الاستوائية الى قسمين اه ومما يستدل به على ان نية غردون لم تكن فى الصفاء مثلها فى المرة الاولى ما رواه صاحب السودان المصرى والانكليز بعد ان ذكر مدارس الخرطوم الاميرية والاهلية ومساعى غردون فى انماء مصالح دولته هناك من انه أصدر أمرا بالغاء المدارس الاميرية بدعوى انها تكلف الحكومة المصرية نفقات طائلة لا وجوب لها وقال أيضا انه حاول اقفال مدارس الاهالى ومدارس الكاثوليك ولكنه لم يفلح وأمر أيضا فأبطل ارسال الطلبة الناجحين بمدارس الحكومة بالخرطوم الى مصر بعد ان عزل جميع الموظفين منهم اه وقال غيره انه بعد ان أقام غوردون باشا فى الخرطوم أياما سافر الى بربر ودنقله وهناك بلغه ان الحبشة سيهاجمون سنار فعاد الى الخرطوم مسرعا فاتضح له كذب الاشاعة ثم ذهب الى بوغوس ليصلح بين الاهالى ولما عاد الى الخرطوم أتاه أمر تلغرافى بحضوره الى مصر للمداولة معه فى أمر مالية السودان فسافر فى الحال وبقى فى القاهرة شهرا ثم عاد الى الخرطوم من طريق سواكن وبربر ولما تحقق عدم استطاعته الانفراد بادارة السودان كله لان بلاده بعيدة المدى شاسعة الاطراف وان وجوده فى كل مكان منها أمر شاق جدا قسم المديريات الاستوائية الى قسمين سمى الاول منهما مديرية خط الاستواء وجعل مركزها بلدة لادو وعهد بادارتها الى أمين باشا (الدكتور شنيتزر) وجعل الموسيو جسى (Jessi) التليانى الجنس مديرا على القسم الثانى الذى سماه مديرية بحر الغزال وتمكن جسى المذكور من اكتشاف جميع الاراضى الكائنة فى انحاء مديريته وأحسن معاملة الاهالى وعودهم على الاعمال العسكرية وساعدهم على مد المراكب وانشاء السفائن للاتجار فهال أمره الجلابين لان ذلك مذهب لنفوذهم مضيع لمكاسبهم وأرادوا أن ينزعوا سطوته ثم تجمعوا تحت رياسة سليمان بن الزبير لمقاتلته فكان هذا هو الداعى لقيام سليمان ومجاهرته بشق عصا طاعة الحكومة وقال سلاتين باشا فى كتابه النار والسيف فى السودان ان الزبير باشا كان عين ابنه سليمان نائبا عنه فى جهات بحر الغزال فلما رأى ان الحكومة المصرية أبقت اباه فى القاهرة اغتاظ

وجمع أربعة آلاف من رجاله وخيم بهم امام دارة وعزم على مناواة الحكومة وأشار عليه رجاله ان يقبض على غوردون باشا ويستقل به اباه ثم يستقل في البلاد وكان غوردون على أربع ساعات من دارة اه ووجه عليه غوردون بعض الجنود تحت قيادة جيسي المذكور فتقاتلا قتالا شديدا ثم انتصر عليه وقتله ووجدوا معه رسائل عديدة من الزبير باشا والده تدل على مداخلته معه واشتراكه في تلك الثورة قال صاحب كتاب غوردون والمهدي في السودان وبسبب ذلك حكم على الزبير باشا بالاعدام ولكن عفا الخديو عنه وأبقى مرتباته تجري عليه من الحكومة المصرية وقال محمود افندي طلعت في صحيفة ١٠٠ من كتابه غرائب الزمان في فتح السودان ما ملخصه لما عصى سليمان بن الزبير باشا على الحكومة وصارت ترسل اليه الجيوش وهو يكسرها ويبدد شملها وأخيرا أرسلت اليه جيشا تحت قيادة القائمقام مصطفى بك عبد الله فقاتله سليمان وشتت شمل جيشه واستولى على كثير من الاسلحة والجبه خانات والمهمات ولما أعيا الحكومة أمره أرسل غوردون للخديو تلغرافا يقال ان الخديو لما ورد اليه هذا التلغراف أمر الزبير باشا ان يكتب كتابا لولده بأن يقدم الطاعة للحكومة ولما وصل هذا المكتوب لغردون وأوصله لسليمان التزم بأن يمتثل أمر والده ويقدم الطاعة للحكومة فجمع رؤس عساكره ومن ضمنهم رابح وألزمهم بتقديم الطاعة فأجابوا جميعا الارابح المذكور فانه تخلف وسار سليمان ومن رافقه حتى وصلوا مركز المديرية وبوصولهم قبض عليهم جميعا بما فيهم سليمان ولد الزبير وقتلوهم صلبا ونهبت أموالهم وأمتعتهم وأسلحتهم وبقي رابح يحارب بجنوده الى ظهور المهدي وانتهى أمر رابح بأن ملك مملكة برنو وهو مقيم فيها للآن الى ان قال ولما قتل سليمان بن الزبير ومن معه قال الحكمدار بأن هذا الامر ورد من خديو مصر بالاعدام وهذا جميعه ناشئ من أعمال الحكمدار الذي يريد جعل النفرة عامة بين سكان السودان عموما والحكومة المصرية مع استمالة الاولين لجانبه ولو بارتكاب أفظع الاعمال اه وروى سلاتين باشا في كتابه النار والسيف في السودان رواية أخرى عن قتل سليمان المذكور ولما كانت تخالف ما ذكرناه أدرجناها لتمام الفائدة قال لما كان غوردون على أربع ساعات من بلدة دارة النازل فيها سليمان ورجاله تقدم مع رجلين من رجاله وأسرع اليها ومر بين جنود سليمان فجأة وكانوا مصطفين ثلاث صفوف وجعل يحييهم يمنا ويسارا ودخل الحصن بغتة فاطلقت المدافع ترحيبا به قبل ان ينتبه الضباط الى ما عولوا عليه ثم أرسل واستدعى قواد ذلك الجيش فجاءه نور عنقره وسعيد حسين وتبعهما سليمان بن الزبير فحيوا التحية المعتادة وأمر لهم بالسكائر والقهوة وسألهم عن أحوالهم ووعدهم خيرا ثم صرفهم وأبقى سليمان عنده فأخبره بما بلغه عنه ونصحه ان لا يصغي الى مشيري السوء الذين يسولون له الخروج على الحكومة وحذره عواقب ذلك وبعد حديث طويل سامحه عما فرط منه وسمح له بالرجوع الى رجاله ثم استدعى سعيد حسين وسأله عما يراه من أمر سليمان فقال له انه غير راض ولا يزال عازما على مناواة الحكومة فعينه مديرا على شكا وأمره ان يذهب اليها حالا بمن يشاء من الرجال ثم استدعى نور عنقره وسأله عما يراه من أمر سليمان فقال انه محاط برجال فاسدي الرأي فلا يصغي الى مشورة الصادقين فعينه مديرا في غربي دارفور وأطاقه ليذهب اليهما حالا بمن يشاء من الرجال وبلغ سليمان ان رئيسي جيشه أطاعا الحكومة وعينا مديرين فعنفهما على ذلك وذكرهما بما نالاه من فضل أبيه فقالا له لولا اننا ما نلنا أولى شيأ مما ناله من الاسم والمنزلة وافترقا عنه

على

على هذه الصورة من الجفاء فنجح غردون فى تفريق شمل سليمان ثم أرسل اليه ثانيــة وأبان له خطر الحالة التى هو فيها وحثه على الخضوع للحكومة ووعده خيرا وأمره ان يذهب الى شكا برجاله و ينتظره فيها فامتثل وذهب اليها وجاءها غوردون بعد ذلك ولما رآه خالدا الى السكينة عينه مديرا على مديرية بحر الغزال وأعطاه لقب بك ففرح بهــذا اللقب وعاد الى بلاده ولما وصل سليمان الى بحر الغزال نشر فى البلاد انه عين مديرا لها وأرسل يستدعى اليه ادريس بك الابتر وكان الزبير قد عينه وكيلا عنه فى بحر الغزال وهو دنقلاوى فأشار عليه أصحابه ان لا يلبى دعوة سليمان ثم خاف العاقبة فهرب الى الخرطوم ووشى بسليمان وقومه وصدقت وشايته فعين ادريس هذا مديرا لبحر الغزال بدلا من سليمان بن الزبير وأرسل اليها بالجنود فثارت الحرب بينهما ودارت الدائرة على سليمان أخيرا ووشى به أعداؤه الدناقلة وأوغروا صدر جسى باشا قائد الحملة عليه وأقنعوه انه لا يزال عاملا على الثورة فأمر بقتله وكان عبده رابح قد قدر له ذلك ونهاه عن التسليم وحضه على الابتعاد عن الحكومة والايغال فى البلاد بكلام يدل على شدة دهائه وحسن نظره فى العواقب قال انك ناوأت الحكومة بعد ان حذرتك العواقب فلا تتوقعن منها عفوا اذا صرت فى قبضتها اما أنا فيسوؤنى الانفصال عنكم بعد ان شاركتكم فى السراء والضراء هــذه السنين الطوال ولكننى لا أسلم نفسى لجسى وان كان أوربيا لان الدناقلة محيطون به وهو مطواع لهم ثم ذكرهم بالعداوة القديمة بين الجعليين والدناقلة وأشار عليهم بالذهاب غربا وفتح بلدان جديدة أو برفع شكواهم الى الحضرة الخديوية والى غوردون باشا وطلب العفو منهما وقال انهم ان لم يقبلوا رأيه الاول ولا الثانى اضطر الى الانفصال عنهم رغما عنه فانفصل وجرى لهم بعده ما جرى اه وقد كان المرحوم اسمعيل باشا كثير الاهتمام باصلاح ادارة السودان بالاصلاح ولذلك فانهم بذلك أقاموا الابنية الجسيمة بكثير من مديرياتها وصنعوا المعامل والمخازن والمدارس سيما فى مديرية الخرطوم فكانت بها مدرسة عظيمة نبغ منها كثير من الاهلين وعدة معامل وفوريقات ارتقت بها الصنائع فى تلك الجهات ومصانع لاصلاح الاسلحة والادوات الحربيــة وعمل البارود وتوفرت فيها معدات النقل بحرا بالبواخر العشر النيلية التى بعثها اليها قبل ذلك ومن هذه الاصلاحات أصدار أمره الى الجنرال غردون سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) بانشاء دار صناعة نيلية فاهتم هذا بذلك كثيرا وجاءت من أحسن المبانى ثم بينت فيها المعامل والورش المختلفة وبلغ عدد العمال بها ٤٥٠ نفرا خلاف الكتاب والملاحين والقبودانات وأمر فشيدوا بها ثمان بواخر وبذلك أصبح عدد البواخر ١٦ باخرة خلاف الصنادل والقياسات والسفائن وكانت لا تنقص عن ٣٠٠ مركب أكبرها يحمل ١٥٠٠ اردب وأصغرها يحمل ٥٠٠ اردب وعين مصطفى باشا الطوسيه لى أحد رجال البحرية ناظرا لها (١) ومازال غوردون باشا هو والى

---

(١) أصل هذا الاميرال من طوسيه بولاية قسطمونى بالاناضول ألحقه والده بمدارس الحكومة ثم نقل الى المدرسة البحرية التى كانت بغليون مكانغرة ٦ فتعلم علومها ثم رقى ضابطا فى سفن الدونمة ولما نال رتبة اليوزباشى جعل ياورا معية الامير محمد سعيد باشا منذ كان سرعسكرا على الدونمة ثم الحق بفرقاطة الشرقية سوارية حافظ خليل بك عندما أرسلت الى لندرة لتركيب آلاتها البخارية ولما عاد تعين قبودانا للوابور نمرة ١١ بالنيل ولما تولى محمد سعيد باشا رقى الى رتبة صاغقول اغاسى (١٢٧٠ هـ) وجعل معاونا أولا بنظارة البحرية و بعد ثلاثة شهور رقى الى رتبة بكباشى وعين فى الخدمات الملكية ثم فى سنة ١٢٧٧ أحيل على المعاش وفى سنة ١٢٧٩ اعيد الى الخدمة فى أول

السودان يواظب على عمل الاكتشافات الجغرافية كرغوب الخديو ومن ذلك انه أرسل الكولونيل ميسن (Mason) (١٨٧٧ م) لرسم بحيرة البرت نيانزا فرسمها وطبعت فى مكتبة أركان حرب ثم التفت الى انفاذ مشروعات من مقتضاها ترتيب سير السفن فى النيل والوابورات فى البر حتى لا تكون شلالات السودان عقبة فى طريق الملاحة والأسفار وليسهل قطع دابر النخاسة والرقيق الذى لبث غوردون يراقبه ويوقع بتجاره حتى ضجر أهالى السودان لضياع أرباحهم من تلك التجارة الرابحة وأصبحوا يبغضون مأمورى الحكومة ويكرهونهم كراهة شديدة قال من له اطلاع باحوال تلك البلاد انه مع ماصرفه غردون من الاجتهاد لاستتباب السلم والامان لانتظام أحوال البلاد فانه لم يصل الى مارغب بالتمام بل كانت الاعمال الظاهرة تخالف ماتكن البواطن فى ذلك وقال جبرائيل بك حداد فى صحيفة ١٦ من تاريخ الحرب السودانية ان سياسة غوردون فى السودان لاتخلو من محل للانتقاد والملام ولا يسع المنصف أن ينكر أنها آلت من قبيل منع النخاسة الى ابتعاد قلوب الاهالى عن الحكومة المصرية ونفورهم منها ووجدهم عليها اهـ ولما كان شهر يوليو من سنة ١٨٧٩ م حضر غوردون الى مصر وكان المرحوم توفيق باشا ارتقى على الاريكة الخديوية فقام غوردون بالسفر الى الحبشة لتسوية مسئلة الفرضة التى كان النجاشى يطالب مصر بها فسوى الخلاف تسوية مؤقتة وبعد عودته قدم استعفاءه منها نهائيا وذهب الى بلاد الانكليز

الاكتشافات التى صنعها الضباط المصريون فى العهد المذكور — لما تم فتح دارفور (١٨٧٤ م) أصدر الخديو أمرا الى الجنرال استون رئيس عموم أركان الحرب بتجهيز ارسالية عظيمة لاكتشاف أراضيها وأراضى كردفان فعين الجنرال المذكور فرقتين من الضباط جعل الاولى تحت رئاسة الكولونيل كولستون (Colston) ومعه الصاغ أحمد افندى حمدى والملازمين عمر افندى رشدى (عمر بك مدير المنيا الآن) ومحمد افندى ماهر (ماهر باشا محافظ مصر الآن) ويوسف افندى حلمى وخليل افندى فوزى والدكتور بفوند (Pfund) العالم الطبيعى وسافرت من القاهرة فى ديسمبر سنة ١٨٧٤ على النيل فوصلت الابيض فى ١٢ يونيه من سنة ١٨٧٥ وفى الطريق مرض الكولونيل كولستين مرضا شديدا فقاد الحملة الماجور بروت (Prout) ورقى الى رتبة كولونيل وبقيت هذه الفرقة فى الاكتشافات ورسم الخرائط مدة ثلاث سنوات فرسمت خريطة كردفان بالتفصيل وخريطة جبل مرة بدارفور والطرق الواصلة اليها وخريطة لجهات مكركة ونيام نيام وملحقاتها وجهات خط الاستواء ثم تعين الملازم محمد ماهر

حكم اسمعيل باشا وعين مديرا لقلم قضايا الترسانة ببولاق والفوريقات والعمليات وفى سنة ١٢٨٠ رقى لرتبة قائمقام وعين وكيلا للبحرية ثم فى سنة ١٢٨١ رقى لرتبة ميرالاى وجعل ناظرا الضمان الدائرة السنية أى مصلحة الوابورات والمراكب التابعة لها وفى سنة ١٢٨٢ عين ناظرا للانجرارية بدلا من محمد مهدى بك ثم فى سنة ١٢٨٤ عين مفتشا العموم وابورات القومبانية العزيزية وخلفه فى الانجرارية ابراهيم بك جركس ثم عين وكيلا للقومبانية المذكورة ثم نقل ثانية لنظارة الانجرارية ثم مأمورا لعمارات فوريقات أرمنت والمطاعنة وخلفه فى نظارة الانجرارية شعبان بك ثم نقل على فوريقات مطاى وابو قرقاص وفى سنة ١٢٨٩ عين مدير الاسنا وفى سنة ١٢٩٠ عين محافظ الدمياط ثم مفتشا المالية ثم مأمورا لعمارات الروضة وفى سنة ١٨٧٥ عين محافظ السواكن وفى سنة ١٨٧٦ جعل مدير التاكة وفى سنة ١٨٧٧ عين ناظر الدار صناعة الخرطوم وفيها رقى الى رتبة اللواء وفى سنة ١٨٧٩ أحيل على المعاش وبقى قليلا ثم توفى

افندى

افندى مديرا لبورو اللادوكه بخط الاستواء واستمر فيها الى سنة ١٨٧٨ ثم التحق باركان حرب الجيش وكانت هذه الفرقة أمرت بان تنضم الى الفرقة الثانية التى قامت معها من القاهرة فى يوم واحد تحت رياسة الميرالاى بوردى (Purdy) التى أمرت بالتجول ببلاد دارفور وكان يرافق الميرالاى المذكور القائممقام ميسن (Mason) والملازمين محمود افندى صبرى (محمود صبرى باشا مدير المنوفية الآن) ومحمد افندى سامى وسعيد افندى نصر وخليل افندى حلمى والدكتور محمد افندى أمين واثنى عشر نفرا بين صف ضباط وعساكر وتقدمت من دنقله جنوبا حتى وصلت الى تندلتى أى الفاشر ولها من الاعمال شئ كثير ولكن لم يظهر منها سوى خلاصة وجيزة نشرها ميسن بك وفى سنة ١٨٧٥ أرسل الخديو الموسيو متشل (Mitchell) الاميريكانى مع الموسيو أميليانى (Emiliany) التليانى لاكتشاف المعادن التى بجهات الحمامات الكائنة بين مدينتى قنا والقصير وفى سنة ١٨٧٧ م بعث الخديو المستر برتن (Burton) لاكتشاف المعادن التى بمدين فى خليج العقبة وقد رافق برتن فى سفرته الثانية كل من الموسيو مارى (Marie) المهندس والرسام لكاز (Lacaze) فجمع برتن مجموعة عظيمة تختص بعلم الآثار القديمة وارفقها بجملة صور ونقوش وأرسل غير ذلك من الرجال الى جهات أخرى فافادت أعمالهم هذه علماء الجغرافيا الا أن مصر التى صرفت عليهم الاموال الطائلة لم تستفد من أعمالهم ما يقوم برد تلك المصاريف

الامتيازات الخديوية واميال اسمعيل باشا السياسية والمعاهدات التى عقدها مع الدول

– لما زار السلطان عبد العزيز مصر فى أول ولاية اسمعيل باشا (١٢٧٩) ورأى هذا من مولاه ميلا الى جهته ورغبة فى ترقى شأن مصر سنحت له فكرة الحصول على امتيازات يعلو بها على من سبقه من ولاة مصر ويقرب بها من الاستقلال التام ويحصر ملك مصر فى ذريته من بعده وقد نجح فى كل ذلك كما سيأتى وأكبر شئ ساعده على نوال قصده مابذله من النقود الوافرة وقدمه من التحف والطرائف النفيسة لرجال الدولة وأصحاب الحل والعقد بأوروبا وقد كانت الامتيازات المذكورة سببا لزيادة نفوذ الاجانب بمصر ومنافعهم بقدر ماعادت على الدولة صاحبة السيادة بالخسارة وضعف النفوذ اذ بذلك خرجت مصر من قبضتها خروجا لا ترجو زواله الا كما يرجو العليل الذى أشرف على الموت عود الصحة اليه وكان من هذه الامتيازات الفرمان الذى صدر فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٨١ باضافة جهات مصوع وسواكن والتاكه الى حكومة مصر فى نظير مبلغ سبعة آلاف وخمسمائة كيسه تدفع سنويا الى الدولة العثمانية وقد كان الخديو يسعى أيضا كثيرا فى جعل الامبراطور نابوليون الثالث راضيا عنه ليساعده على ما يبتغى من الامتيازات وكان توسط فى ذلك أحد قواد نابوليون المدعو فلورى (Fleury) وكان مديرا لاصطبلاته ولذلك كانت الصلات متواردة من الخديو الى الجنرال المذكور بلا انقطاع ولما حدثت مسئلة الخلاف بين مصر وشركة فتح ترعة السويس رأى الخديو أن يجعل نابوليون حكما بينه وبين الشركة ظنا منه انه ينصف حكومة مصر فخاب ظنه كما سبق ومن الطرق التى استعملها الخديو لنوال قصده أيضا انه زاد من تلقاء نفسه مقدار الخراج الذى تدفعه مصر سنويا وفى تلك المدة كان مساعدو الخديو الذين غمرهم بانعاماته يسعون له فى الاستانة وأوروبا لينال قصده وقد نجحوا فى المهم من ذلك حيث صدر له فرمان فى ١٢

محرم سنة ١٢٨٣ بحصر حكومة مصر فى ذريته بعد ان كانت تقلد لاكبر أولاد محمد على باشا وآخر فى ١٢ صفر سنة ١٢٨٣ بخصوص توارث الحكومة الخديوية (١) فتذمر لهذا الامر الامير عبد الحليم باشا ابن محمد على الكبير ومصطفى فاضل باشا أخو الخديو ووقعت المنافسة بين الكل وذهب عبد الحليم باشا وفاضل باشا الى استامبول للاحتجاج على ضياع حقوقهما الثابتة فلم يفلحا واشترى الخديو جميع أملاكهما الموجودة فى مصر ليمنع بذلك علاقتهما من القطر وسافرت عائلاتهما الى دار الخلافة لتتوطن بها ثم ان مصطفى فاضل باشا اجتمع بمن فر من شبان العثمانيين الى أوربا فلم ينجح فى مطالبه وأخذ يطعن فى سياسة الحكومة العثمانية وفى أعمال عالى باشا وفؤاد باشا وكانا السبب فى حرمانه من حقوقه المصرية وكان هو وحزبه يطبعون فى لوندره وباريس نشرياتهم ضد الدولة ثم ان مصطفى باشا عاد الى القسطنطينية وجعل من أعضاء المجالس العالية (١٥ ربيع الآخر سنة ١٢٨٦) بعد ان عفا السلطان عنه ثم جعل وزير المعدلية فصار بذلك من الوكلاء وفى تلك الاثناء كان المرحوم اسمعيل باشا يسعى جهده فى نوال لقب أسمى من لقبه الذى كان لا يتعدى اذ ذاك غير والى مصر اذ لابد له بما ناله من الامتياز من عنوان أرقى يعرف به مشعرا بالاستقلال والسلطان ومما أطلق يد المرحوم اسمعيل باشا فى حكومة مصر تماما الفرمان الذى سعى جهده فى نواله وهو الصادر له فى ٥

(١) وهذه صورته بعد الديباجة أما بعد فانه لاجل كل تأمين لتوارث ولاية مصر الجديد الذى تعينت أصوله بفرمان آخر منا هذه المرة يلزم أن تكون كيفية تشكيل الوصاية اللازمة لادارة أمور الولاية متى انحلت وكان الولد الوارث صغيرا وصبيا على الوجه الآتى وهو انه اذا انحلت الولاية وكان الوارث الذى هو أكبر الاولاد الذكور غير بالغ سن الثمانى عشرة سنة فلا يؤخر اصدار فرمان احالة الولاية له انما اذا كان لحين بلوغه سن الثمانية عشر أقام له الوالى السالف من طرفه لاجل ادارة أمور الولاية وصيا ورتب له كيفية وصاية وحررت مختومة وصيته منه ومن اثنين من الامراء المصرية المستخدمين شهادة وظهر احراؤها فذلك الوصى وأعضاء الوصاية يباشرون ادارة أمور الولاية ويعرضون لبابنا العالى بيان الكيفية ليحصل الايفاء والتصديق على ذلك بفرمان عال من طرف دولتى العلية واذا انحلت الولاية وكان الوالى ما أقام هكذا وصيا ولا رتب أعضاء الوصاية فيقتضى اذ تركيب أعضاء الوصاية من الذوات الموجودين فى المأموريات التى هى الداخلية والجهادية والمالية والخارجيه ومجلس الاحكام المصرية وسردارية العساكر المصرية وتفتيش الاقاليم وحالا ينتخبون منهم وصيا على الوجه الآتى وهو على أن الذوات الموجودين فى المأموريات المذكورة يتداولون متذاكرين فيما بينهم بانتخاب الوصى فالذى منهم يقع عليه الانتخاب باتفاق الجميع أو باتفاق أكثر الآراء يقام وصيا لكن اذا كان نصف المأمورين المار ذكرهم بدأ تا والنصف الآخر بدغيره فحينئذ يقام من الاثنين المختلف عليهما وصيا من كانت مأموريته أهم بمقدمة على مأمورية الآخر كما فى ترتيب المأموريات المبتدا بها من الداخلية كما ذكر آنفا وحالا الوصى مع الذوات الباقين اعضاء الوصاية يباشرون ادارة أمور الولاية ويعرضون عن ترتيب الوصى وتركيب أعضاء الوصاية بمضبطة لطرف سلطنتى السنية لكى يصير التصديق بفرمانى الشريف ثم ان الوصى وأعضاء الوصاية المرتبين من طرف الوالى فبالطبع لا يجوز تبديلهم ولا تغييرهم قبل ختام مدة الوصاية كما أنه لا يجوز فى مدة الوصاية تبديل وتغيير الوصى المنتخب ولا الاعضاء انما اذا توفى أحد منهم بتلك المدة فباتفاق وانتخاب الباقين يرتب غيره واحدا من المأمورين المصرية وان توفى أيضا بتلك المدة الوصى الموجود على الوجه المحرر ينتخب واحدا غيره من أعضاء الوصاية وعوضا عن ذلك العضو يصير أيضا انتخاب واحد من المأمورين المصرية ويضم الى الاعضاء والوارث الصبى المذكور بعد بلوغه سن الثمانية عشر يكون قد صار رشيدا وفاعلا لاختيار فيباشر حينئذ بنفسه ادارة أمور الولاية كسلفه وعلى هذا صار القرار وصدرت أيضا ارادتى الملوكية فى هذا الخصوص سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف اهـ منقول بحروفه من منتخبات الجوائب صحيفة ٩٣ جزء خامس

صفر سنة ١٢٨٤ ومضمونه أن يكون لخديو مصر جميع الادارة الداخلية فيكون له النظر فى أمر اصلاحها بما يوافق حالتها بلا تقييد بمراجعة الدولة الا فى أحوال مخصوصة ثم صدر له فرمان فى ٥ ربيع أول سنة ١٢٨٤ (٨ يوليو ١٨٦٧ م) أنعم عليه فيه السلطان بلقب خديو ولم ينل ذلك أحد قبله من ولاة مصر قال المرحوم محمود فهمى باشا فى البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الاوائل والاواخر فى صحيفة ١٩٩ من الجزء الاول ثم طلب اسمعيل باشا من الباب العالى أن يكون لمصر سفراء ونواب فى جميع دواوين الممالك الاجنبية فرأى الباب العالى أن مقصده الاصلى هو الاستقلال من الممالك التركية العثمانية فرفض طلبه هذا ولم يقبله فاوغر اسمعيل باشا فى صدره الغضب وهدد ديوان الاستانة بأخذ عساكره من جزيرة كريد أو يستحوذ على تلك الجزيرة ان لم تمنح طلباته اه وقد شاع بين بعض رجال العسكرية المصرية الذين كانوا فى حملة كريد المذكورة انه لما حصل هذا الخلاف أوعز الخديو سرا الى شاهين باشا الذى كان قائد العساكر المصرية فى كريد أن يعمل فيها على ترغيب الاهالى الى الانضمام لمصر فأخذ شاهين باشا يزور رجال الاكليروس فى المعابد وينثر عليهم الذهب والعطايا المصرية سرا وغير ذلك من الاعمال ولما اطلع رجال الدولة هناك على ما يفعله شاهين باشا شددت على الخديو بتغيير ذلك القائد فاستدعاه الى مصر مضطرا ونصب مكانه ناظر الجهادية اسمعيل سليم باشا المشهور بالفريق كما تقدم ثم بعد انتهاء ثورة كريد وعودة الجيوش لمصر اشتدت الدسائس الاجنبية وزاد الخلاف بين الخديو والباب العالى حتى أوشكت الحرب أن تشتعل بينهما وانتشرت الاخبار بعزم الدولة على ارسال أساطيلها وجيوشها الى السواحل المصرية وشرع الخديو فى اجراء الاستعدادات الحربية فأنشأ على السواحل من اسكندرية الى بورسعيد عدة طوابى وقلاع ورمم القديم منها وابتاع نحو مائتى مدفع ضخمة من معمل ارمسترنغ وسلح بها تلك القلاع واستخدم عدة من الضباط الامريكانيين لقيادة الجيش المصرى عند اللزوم وابتاع أيضا نحو مائتى مدفع من معمل كروب كل ذلك كان يأتى مصر سرا وعين بعض الضباط لتعيين نقط حصون تقام على ساحل خليج السويس حتى ان الحكومة المصرية اتفقت مبدئيا مع بعض الاجانب على انشاء الحصون المذكورة كل هذا حصل بينما كان الخديو يستعد للاحتفال بفتح القنال وقال صاحب صفوة الاعتبار فى صحيفة ١١١ من الجزء الرابع ما ملخصه وقد شد داسمعيل باشا الالتحام بفرانسا وانكلترة بما جعله آخذا طريق الاستقلال بالمرة عن الدولة العثمانية ولما فتح خليج السويس ودعا له ملوك أوروبا من غير توسط الدولة العثمانية مما زاد الشبهة فى دعوى الاستقلال تحقق من زار به ان المقصد لايتم له فتغيرت سيرته من وقتئذ وعاد لمصافاة الدولة العثمانية اه ولما تحققت الدولة ان سير المرحوم اسمعيل باشا مخالف لما كانت ترجوه منه وانها خدعت لما منحته الامتيازات السابقة وان سعيه للحصول عليها ليس الا وسيلة يتمكن بها من خلع سلطتها أرادت معالجة هذا الامر بما يمكن من الحكمة والسداد لانه لم يعد فى امكانها سلخ الامتيازات التى أعطتها لاسمعيل باشا سيما وان أوروبا قد اعترفت بها وصادقت عليها فأصدرت له فرمانا فى ٢٤ شعبان سنة ١٢٨٦ (٣ نوفمبر سنة ١٨٦٩) جمعت فيه مآل الفرمانات السابقة وحتمت عليه تخفيض الجيش المصرى الى ٣٠،٠٠٠ عسكرى وأن يبطل التجهيزات الحربية والطوابى والاستحكامات ويكف عن مشترى الاسلحة ويلغى الشروط التى عقدها مع معامل انكلترة وأمريكا ويهمل صناعة المدرعات الحربية

التى كان أوصى عليها بدور صناعات أوروبا (وابتاعت الدولة بالفعل الاربع مدرعات التى كانت صنعت بطولون من أعمال فرانسا وتريستة من أعمال النمسا على ذمة مصر) وان لايتداخل بعد فى الامور السياسية الخارجية ولا يقترض أموالا من بنوك أوروبا وان يعرض ميزانية مصر وفائه السنوية على الباب العالى وغير ذلك فتوقف الخديو فى أول الامر عن قبول هذا الفرمان فألحت عليه الدول المتحابة مع الدولة العثمانية بقبوله وأتى الفرمان يحمله أحد عظماء الدولة وهو سرور افندى وقرئ امام الخديو بكيفية غريبة لم يحضرها أحد من ذوات وأعيان الحكومة كالعادة وأطلقت المدافع ولم يعلم أحد أسبابها الا بعد مدة (٩ نوفمبر ١٨٦٩) وكان الخديو يسعى بكل الطرق فى التخلص من القيود والشروط التى ذكرت فى الفرمان المذكور حتى تمكن بواسطة مساعديه من الحصول على فرمان آخر فى ٧ رجب سنة ١٢٨٩ يبطل ما كان من التقييدات المذكورة ذكر فيه ان تلك التقييدات أورثت بعض صعوبات ومشكلات فى اكمال وسائل عمارية مصر وان توقيف حركة تنظيمات وعمارية مصر بتنفيذ المساعدات والامتيازات الممنوحة لها مقدما لا يوافق أساس المقاصد الملوكية فلذا تعلقت الارادة السنية السلطانية بابقاء المساعدات والامتيازات المذكورة فى فرمان ٥ صفر سنة ١٢٨٤ كما كانت وفى ٢٢ رجب سنة ١٢٨٩ نال فرمانا آخر أذن له فيه باستقراض مبالغ من الخارج وذكر فيه انه اذا رأى فيما بعد لزوم استقراض من الخارج فى أى وقت ما لعمارية الولاية المصرية كان له ذلك بشرط أن يكون القرض على قدر اللزوم وباسم الحكومة المصرية من غير استئذان من الدولة وفى غرة جمادى الاولى من سنة ١٢٩٠ ﻫ (١٨٧٤) نال فرمانا شاملا ومؤكدا لسائر الفرمانات التى أعطيت سابقا الى من تولوا الخديوية المصرية ومنح فيه امتيازات أخرى جديدة (١) ولما كانت غاية المرحوم اسمعيل باشا من نوال كل هذه الامتيازات ايجاد دولة مصرية قوية واسعة الاطراف

---

(١) وهذه صورته بعد الديباجة .... فمن المعلوم لديكم أنكم استدعيتم منا جميع الخطوط الهمايونية والاوامر الشريفة السلطانية التى صدرت من منذ توجيه الخديوية الجليلة بطريق التوارث الى عهدة والى مصر الاسبق محمد على باشا المرحوم الى يومنا هذا سواء كانت بخصوص تعديل توارث الخديوية المصرية أو بخصوص اعطاء بعض امتيازات حسبما استوجبها موضع الخديوية وأمزجة الاهالى وطبائعها الخصوصية وجعلها فرمانا واحدا مع التعديلات اللازمة فى أحكامها والتفصيلات المقتضية فى عباراتها بشرط أن يكون هذا الفرمان الجديد قائما مقام الفرمانات السابقة وأن تكون الاحكام المندرجة فيها معمولا بها ومرعية الاجراء على الدوام والاستمرار فقد قورن استدعاؤكم هذا بمساعدتنا الجليلة الملوكية وها نحن نذكر ونبين لكم أحكامها على الوجه الآتى

لما تحقق لدينا أن تعديل أصول توارث الخديوية المصرية التى صار تعيينها بالفرمان العالى الصادر فى اليوم الثانى من شهر ربيع الاول من شهور سنة ١٢٥٧ الموشح أعلاه بالخط الهمايونى وتبديلها باصول حصر الوراثة الخديوية فى أكبر أولاد خديو مصر بطريق سلسلة النسب المستقيم بان يصير تخصيص مسند الخديوية الجليل وتوجيهه الى أكبر أولاد الخديو المذكور وبعده الى أكبر أولاد هذا الاكبر المذكور وهكذا على النسب المستقيم المذكور على الدوام يكون مستلزما لحسن ادارة الخديوية المصرية وجالبا لاستكمال سعادة أحوال أهاليها وسكانها هذا مع ما حصل لدينا من استحسان مساعيكم الجميلة المصروفة فى استحصال معمورية الاقطار المصرية المهمة الجسيمة ورفاهية أهاليها وحصول وثوقنا بكم واعتمادنا الكامل عليكم ولاجل أن يكون دليلا باهرا على ذلك قد أجرينا تعديل توارث الخديوية المصرية وتعيين وصايتها على الطريق الآتى بيانها وهى أن خديوية مصر الجليلة وملحقاتها وجهاتها المعلومة الجارية ادارتها بمعرفتها مع ما صار الحاقها بها أخيرا من قائمقاميتى سواكن ومصوع

مستقلة سيما وان نوال ذلك ليس بالامر المستحيل عليه بماله من الانصار الذين يسعون فى مقاصده آناء الليل وأطراف النهار بدار الخلافة فى مقابلة ما ينهال عليهم من الاموال الوافرة وقد نال بذلك جل ما يبتغى وهو الاستقلال الداخلى وحصر الوراثة فى أكبر أولاده أما أوربا فلتغريرها بالحكومات

وملحقاتهما يصير توجيهها بعد كم على الطريق المارذكرها الى أكبر أولادكم الذكور وبعده الى أكبر أولاد من يكون خديويا على الاقطار المصرية من أولادكم واذا انحلت الخديوية المصرية بأن لا يكون للخديو ولد ذكر يصير توجيهها الى أكبر اخوته الذكور واذا لم يوجد له أخ بقيد الحياة فالى أكبر أولاد الاخ الاكبر وهكذا تتخذ هذه الاصول قانونا مستمرا وقاعدة مرعية أبدية فى توارث الخديوية المصرية ولا يصير انتقال الوراثة الخديوية الى الاولاد الذكور المتولدة من أولادكم الاناث أصلا

ولاجل تأمين أصول توارث الخديوية المصرية سنذكر صورة تشكيل الوصاية المقتضية فى ادارة أمور الخديوية فيما اذا انحلت الخديوية وكان الوارث الذى هو أكبر أولادكم الذكور صغيرا وصبيا وهى ان الخديوية المصرية اذا انحلت وكان أكبر أولادكم الذكور أعنى الوارث صغيرا وصبيا بأن يكون عمره أقل من ثمانى عشرة سنة ولو انه يصير خديو بالفعل حسب استحقاق الوراثة فى الحال بصدر فرمان من طرف السلطنة السنية بتوليته على الخديوية لكن اذا كان الخديو السالف عين ونصب وصيا ورتب هيئة وصاية لاجل ادارة أمور الخديوية لحين بلوغ الخديو اللاحق الصبى الى سن الثمانى عشرة سنة وكتب منه وصاية بذلك وختم عليه هو وختم أيضا اثنان من الامراء المصرية المأمورين باحدى المأموريات المصرية على طريق الاشهاد وأجرى الوصاية فهكذا فالوصى مع هيئة الوصاية المذكورة يأخذ بزمام الادارة فى الحال وبعد ذلك تعرض الكيفية الى الباب العالى ويصير التصديق على ذلك الوصى وهيئة الوصاية من طرف الدولة العلية بفرمان عال ويبقى الوصى وهيئة الوصاية على ما هم عليه لحين البلوغ وأما اذا انحلت الخديوية ولم يعين الخديو السالف وصيا ولا رتب هيئة الوصاية على الوجه المذكور تتشكل هيئة الوصاية من الذوات المأمورين على الداخلية والجهادية والمالية والخارجية ومجلس الاحكام المصرية وسردارية العساكر المصرية وتفتيش الاقاليم ويصير انتخاب وصى فى الحال من هؤلاء المأمورين على الوجه الآتى ذكره وهو انه فى تلك الساعة تصير المذاكرة والمداولة ما بين هؤلاء الذوات فى حق انتخاب وصى منهم فاذا حصل اتفاقهم أو اتفاق أكثرية آرائهم على تسمية وجعل ذات منهم وصيا يتعين ذلك الذات وصيا على الخديوية واذا اختلفت الآراء بان رغب نصفهم فى تعيين ذات والنصف الآخر فى تعيين ذات آخر يكون إجراء وصاية الذات المأمور على المأمورية المهمة والمقدمة فى الذكر من تلك المأموريات أعنى المأمور على المأمورية المقدم ذكرها على الترتيب المحرر آنفا من الداخلية الى آخرها وتتشكل هيئة الوصاية من الذوات الباقية بعده ويباشرون ادارة الامور الخديوية مع الوصى وتعرض الكيفية بمضبطة من طرفهم الى طرف سلطنتنا السنية ويصير التصديق عليها بالفرمان الشريف وكما انه لا يجوز تبديل الوصى وتغيير هيئة الوصاية قبل ختام مدتها فى الصورة الاولى أعنى فيما اذا كان تعيين الوصى وترتيب الوصاية وتركيب أعضائها بمعرفة الخديو السالف فكذلك فى الصورة الثانية أعنى فيما اذا كان انتخاب الوصى بمعرفة المأمورين المذكورين لا يجوز تبديل الوصى ولا تغيير هيئة الوصاية ولا أعضائها فى تلك المدة واذا توفى أحد من أعضاء هيئة الوصاية فى ظرف تلك المدة يصير انتخاب واحد من المأمورين المصرية بمعرفة الباقين وتعيينه بدل المتوفى واذا توفى الوصى فى تلك المدة يصير انتخاب واحد من أعضاء هيئة الوصاية بمعرفتهم على الوجه السابق وجعله وصيا وانتخاب واحد من المأمورين المصرية والحاقه باعضاء هيئة الوصاية بدل الذى نصب وصيا وبمجرد بلوغ الخديو الصبى الى سن الثمانى عشرة سنة صار رشيدا أو فاعلا مختارا فيباشر هو بنفسه ادارة أمور الخديوية المصرية مثل سلفه وهذا حسب ما تقرر لدينا واقتضته ارادتنا الملوكية ولما كان تزايد عمارية الخديوية المصرية وسعادة حالها وتأمين رفاهية الاهالى والسكان وراحتهم من أهم المواد الملتزمة المرغوبة لدينا وادارة المملكة الملكية والمالية ومنافعها المادية وغيرها المتوقف عليها تأسيس واستكمال وسائل الرفاهية وأسبابها عائدة على الحكومة المصرية فنذكر بيان كيفية تعديل الامتيازات وتوضيحها بشرط بقاء كافة الامتيازات المعطاة قديما وحديثا من طرف الدولة العلية الى الحكومة المصرية واستمرار جريانها خلفا عن سلف وتلك الكيفية هى انه لما كان ادارة المملكة بكل الصور والحالات سواء

الاسلامية وسعيها فى تفريق كلمتها وتشتيت شملها فلم يتعذر عليه أصلا نوال تصديقها على ذلك لانه فى مصلحتها مكبر لنفوذها وبهذه الوسائل تحصل على فرمان بتاريخ جمادى الثانية من سنة ١٢٩٢ باضافة مدينة زيلع وملحقاتها على الاملاك المصرية فى مقابلة دفع ١٥,٠٠٠ ليرة عثمانية سنويا الى الخزينة السلطانية وكانت أضيفت اليها قبل ذلك مصوع وسواكن كما سبق وبذلك أصبح كل ماتدفعه مصر للدولة سنويا مبلغ ٧٥٠,٠٠٠ ليرة عثمانية بعد أن كان ٤٨٠٠٠٠ ليره ثم لما أخذ يعدد فتوحاته بافريقية الوسطى اجتهد فى امالة دولة الانكليز اليه لتساعده فى سياسته الاستعمارية فاظهرت له الود وحسن النية ولكن لما كانت دول أوروبا لاتساعد مملكة شرقية الا وتستفيد منها فائدة تربو بكثير على تلك المساعدة عقدت معه فى ١٨ مايو سنة ١٨٧٣ اتفاقية لتسهيل مراسلات البريد مابين البلاد المصرية والانجليزية ومستعمراتها وكان النائب عن حكومة الانجليز الكولونيل أدوردستانتون (E. Stanton) وعن الخديو المرحوم شريف باشا ناظر

كانت ادارتها الملكية أو المالية أو كافة منافعها المادية وغيرها هى من المواد العائدة على الحكومة المصرية والمتعلقة بها ومن المعلوم ان أمر ادارة أى مملكة كانت وحسن نظامها وزيادة معموريتها وثروة أهاليها وسكانها لايتيسر الا بتوفيق معاملاتها وتطبيق إجرا آتها العمومية بالاحوال والمواقع وأمزجة الاهالى وطبائعها فقد أعطينا لكم الرخصة الكاملة فى اعمال قوانين ونظامات داخلية على حسب لزوم المملكة وكذا لاجل تسهيل غشية وتسوية كافة المعاملات سواء كانت من طرف الحكومة أو من طرف الاهالى مع الاجانب وترقى وتوسع الصنائع والحرف وأمور التجارة وأمور الضبطية مع الاجانب قد أعطينا لكم الرخصة الكاملة فى عقد وتجديد المقاولات مع مأمورى الدول الاجنبية فى حق الكمرك وأمور التجارة وكافة المعاملات الجارية مع الاجانب فى أمور المملكة الداخلية وغيرها بصورة لاتستلزم اخلال معاهدات الدولة العلية البولتيقية وكذا لكون خديو مصر حائزا التصرفات الكاملة فى الامور المالية قد صار اعطاء المأذونية التامة له فى عقد استقراض من الخارج بلا استئذان من الدولة العلية فى أى وقت يرى فيه لزوما للاستقراض بشرط أن يكون باسم الحكومة المصرية وكذا لكون أمر المحافظة وصيانة المملكة الذى هو الامر المهم والمعتنى به زيادة عن كل شئ من أقدم الوظائف المختصة بخديو مصر فقد أعطيناه الرخصة الكاملة فى تدارك كافة أسباب المحافظة وتأسيسها وتنظيمها بنسبة الحاآت الزمن والموقع وكذا فى تكثير أو تقليل مقدار العساكر المصرية الشاهانية بلا تحديد على حسب الايجاب واللزوم وكذا أبقينا لخديو مصر الامتياز القديم فى حق اعطاء رتبة ميرالاى من الرتب العسكرية واعطاء رتبة ثانية من الرتب الديوانية بشرط ان المسكوكات الجارى ضربها بمصر تكون باسمنا الملوكى وأن تكون اعلام وصناجق العساكر البرية والبحرية الموجودة فى الخطة المصرية كاعلام وصناجق سائر عساكرنا الشاهانية بلافرق وبشرط عدم انشاء سفن زرخ أى مدرعة بالحديد فقط بدون استئذان لاغيرها من السفن الحربية فانها جائز انشاؤها بلا استئذان ولاجل اعلان المواد المشروحة أعلاه وتأييدها أصدرنا لكم أمرنا هذا الجليل القدر من ديواننا الهمايونى بمقتضى ارادتنا الملوكية وصار توشيح أعلاه بخطنا الهمايونى واعطاؤه لكم متمما ومكملا ومعدلا ومصرحا للخطوط الهمايونية والاوامر الشريفة الصادرة لحد هذا التاريخ سواء كان فى تأسيس وترتيب وراثة الحكومة المصرية أو فى تشكيل هيئة الوصاية أو فى ادارة الاوامر الملكية والعسكرية والمالية والمنافع المادية والمواد السائرة بشرط أن تكون الاحكام المندرجة بهذا الفرمان الجديد نافذة وباقية ومرعية الاجراء على ممر الزمان وقائمة مقام أحكام الفرمانات السالفة على ما اقتضته ارادتنا الملوكية فيلزم أن تعلموا قدر لطف عنايتنا الملوكية وأداء شكرها بصرف جل هممكم فى حسن ادارة أمور الخطة المصرية واستكمال أسباب وقاية امنية الاهالى المنوطة بها واستحصال راحتهم على حسب ماجبلتم عليه من الشيم المرغوبة والغيرة والاستقامة وما اكتسبتموه من الوقوف والمعلومات فى أحوال تلك الحوالى والاقطار وان تراعوا اجراء الشروط المقررة فى هذا الفرمان الجديد وأداء المائة وخمسين ألف كيسة التى هى ويركو مصر المقطوع سنويا بأوقاتها وزمانها الى خزينتنا الجليلة الشاهانية على الترتيب والقاعدة المرعية فى ذلك تحريرا فى سنة ١٢٩٠ اهـ من كنز الرغائب صحيفة ٢٠٣

الحقانية

الحقانية والخارجية وقد اشتملت هذه الاتفاقية على ثلاثة فصول بها ٢٨ بنداذكر في الفصل الاول منها البنود الخاصة بالمراسلات الخارجية وفي الفصل الثاني البنود الخاصة بمراسلات البوسطة الانكليزية بين الاسكندرية والاستانة وفي الفصل الثالث البنود الخاصة بمرور اكياس البوسطة الانكليزية بالقطر المصري ولما انعقد مؤتمر برن سنة ١٨٧٤ تقرر فيه ادخال مصر ضمن دائرة الاتحاد البريدي العام وقد ساعد ذلك الحكومة المصرية على الغاء مكاتب البوسطات الاجنبية من بلادها (١٨٧٥) بموجب اتفاقيات خصوصية عقدتها مع حكومات أوربا ولم يبق من هذه المكاتب العديدة سوى المكتب الفرنسوي بالاسكندرية و بورتسعيد وألغت الحكومة المصرية أيضا بوسطتها من الاستانة وكانت لها هناك بوسطة منذ سنة ١٨٦٩ ومن المنافع التي عادت على انجلترة أيضا في مقابلة ودادها المذكور لمصر ان ابتاعت من الخديو سنة ١٨٧٥ (١٢٩٢) ما كان لحكومته المصرية من أسهم قنال السويس وقدرها ١٧٦,٦٠٢ بسعر السهم الواحد ٥٦٢ فرنكا و٦٢ سنتيما فيكون ثمن الكل ٩٩,٧٩٧,٠٠٠,٤١٢ فرنكا و ٨٤ سنتيما أي أربعة ملايين ليرة انكليزية وكانت ارباح هذه الاسهم مرهونة لشركة القنال لمدة خمس عشرة سنة وظلت الحكومة المصرية تدفع فوائدها للحكومة الانكليزية من يومئذ الى غاية سنة ١٨٩٤ م ولما انتشر خبر هذا البيع امتعضت فرنسا وأظهرت جرائدها تغيظا وحنقا لان ذلك يزيد نفوذ انكلترة بمصر ولو وضعت هذه السهام في المزايدة العلنية لساوت أضعاف أضعاف ذلك ثم لما عارضه اللورددربي بلائحته الشديدة اللهجة التي بعثها اليه بخصوص مسئلة سواحل نهر الجب بزنجبار واضطران يرجع الحملة التي كان بعثها الى تلك الاطراف كما مر سعى في التقرب من دولة الروسيا فازداد علاقاته السياسية معها بواسطة قنصلها الجنرال في مصر الموسيو دولكس وصادف ذلك في الزمن الذي كانت دولة الروس قائمة فيه تطرق أبواب المسئلة الشرقية بجمعيات الصقالبة التي روجت بضاعتهم في أكثر ولايات الدولة العلية بشبه جزيرة البلقان وكان الخديو كلما وجد بالاستانة يزور سفير الروسيا هناك وبقي سر تلك الزيارات مكتوما حتى ان بعضهم اتهم الخديو بتهم لا نخالها صحيحة وقد ورد في رسالة طبعت باللغة الفرنسوية والتركية باستانبول اسمها مسئوليت تضمنت مافعلته قناصل الروسيا وعمالها من المكر والدسائس في الممالك العثمانية لتحريض الرعية على العصيان على الدولة وكانت هذه الرسائل تحوي كثيرا من المحررات السرية التي تبودلت بين بعض قناصل الروسيا وغيرهم أثناء الحرب وقبله وبها أيضا اثنان وعشرون تلغرافا سريا بالمحررة بالارقام صادرة من قناصل الروسيا بالاستانة واشقودره وراغوزة ومستار و بوسنه سراي و بلغراد وسلانيك وفيومي الى جمعية الصقالبة في ويانة وعدة رسائل أخرى تلغرافية من مركز الجمعية الاصلية في بطرسبورغ الى جمعية ويانة بمآل المذاكرات التي جرت في الجمعية الاصلية وفروعها وبيان وارداتها ومصاريفها وجواب أمير الجبل الاسود الى أحد أمراء الروسيا وصورة مكتوب من المسيو اغناتيف سفير الروسيا بالاستانة الى الخديو اسمعيل باشا (١) يحرضه

(١) ترجمة المكتوب المرسل من الموسيو اغناتيف بيك أوغلي بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٨٧٢ الى الخديو أعرض شكري من أجل التحريرات التي تعطفتم فخامتكم بارسالها من القاهرة بتاريخ ٨ مايو سنة ١٨٧١ وأبادر باخطاركم ان الملاقاة التي وقعت بين ذاتكم الفخيمة و بين قنصل حضرة الامبراطور المقيم بمصر بلغت

فيه على معاداة الدولة والانضمام سياسيا الى امارات البلقان حتى ينال مرغوبه وغير ذلك فان صدقت هذه الاقوال ولا نظنها صادقة أصلا كانت هذه من أكبر المضار التى قصدتها المرحوم اسمعيل باشا الاستقلال عن الدولة العثمانية مع ان المعروف عنه وسمعه جمع من الاعيان انه كان يحب ان يرى الدولة قوية عزيزة الجانب وان كان هو يسعى فى الاستقلال خفية سيما وان دولة الروسيا لا يمكنها مساعدته فى أمر الاستعمار بافريقية اما بقية ما ورد فى الرسالة المذكورة فنظن انه موضوع والواضع له جمعية الصقالبة نفسها قصدا ارهاب الدولة وتشويش أفكار رجالها وبث روح العصيان بين شعوبها ومما يثبت محبة اسمعيل باشا للدولة وان النفور كان بينه وبين السلطان عبد العزيز وبعض رجال الدولة فقط مبادرته بارسال الجيوش لمساعدة الدولة فى تسكين الثورات التى ظهرت بشبه جزيرة البلقان وذلك بعد ان جلس السلطان مراد على كرسى السلطنة وأعلن ذلك رسميا (١) وان كان يروى عن بعض رجال الدولة اذ ذاك انه قال ان الخديو اسمعيل وان كان أظهر الولاء بسرعة ارسال الجيوش لمساعدة الدولة الا انه يساعد سرا الولايات الثائرة بالنقود مرضاة للروسيا وهو قول لم يتحقق أصلا ويكفى لدحضه استمرار ارسال الجنود والمعدات الحربية من مصر الى جيشها هناك هذا وفى خلال الحرب العثمانية الروسية انتهزت انجلترا الفرصة وعقدت معاهدة مع اسمعيل باشا لمنع ابطال تجارة الرقيق بدون وساطة الباب العالى وتعين لوضع شروطها من قبل الحكومة الخديوية المرحوم شريف باشا ومن قبل دولة بريتانيا الموسيو ڤيڤيان (Vivian) وصار التوقيع عليها (٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ م) وقد كلفت هذه المعاهدة مصر أموالا طائلة وأوقعتها

محسوبكم وان المعلومات التى عرضتها بتاريخ ١٥ نيسان أعطيتم لها معنى ضد ملاحظة العاجز بالمرة فهذا استوجب تأسفى الوافر فاذا أمكن تذكر معلوماتى المذكورة فى الوقت الذى ذكرتها فيه بحضور فخامتكم يتضح مقصد الحقير وهو ان المصالح الشرقية قد ابتدأت تدور على محورها اللائق وعليه أعرض تبريكى لان أوروبا كانت فى غاية التعب من المحاربة الاخيرة والافكار العمومية فيها ميالة الى المسالمة والمصالحة فلهذا كان كل من تجارى على اخلال الصلح والمسالمة يجد عموم أوروبا عليه ففى هذه الحالة اذا وجدت الدولة العلية من كل جهة قوة تعاكسها فمن غير سبب معقول وصحيح اذا قامت بجنونها على مصر فهل لا يكون فى ذلك خير او منفعة لفخامتكم واذا وقعت حركة مثل هذه فى حكومة فخامتكم وأشيع بين العالم قيام الدولة العثمانية باطماعها عليكم فلا تكون محاربتها لكم الا مدة بعض أيام فقط وهل تظنون ان الدول الذين يعتقدون أننا نسعى فى ايجاد اختلالات فى الشرق لا يتداخلون فى هذه الحالة وعند ذلك نطلب مداخلتنا التى لا تصادف موانع بالكلية ومع ذكر بيان ذلك أبادر بتعريفكم بصراحة أفكار حكومة الامبراطور فى هذا الباب وهو انه لاجل الوصول الى اجراء تصوراتنا يلزمكم البقاء مدة أخرى فى حال سكون وان تتسلحوا وتتداركوا المعدات اللازمة لحرب بمطاولة وتعقدوا المعاهدات الدفاعية والهجومية مع اليونان والصرب والملكتين واعلموا أن معاونتنا لكم فى هذا الباب لا شبهة فيها او دوموا على منازعة ومعارضة حكومتكم المتبوعة رويدا رويدا وفى حال اصرار الباب العالى على الادعاء فى المناسبات التى تقع بينه وبين مصر يحصل زوال الموفقية ولما يرى وزراء السلطان ثباتكم تزداد حدتهم وغضبهم ويظهر بالطبع من ذلك حادث وعند ذلك تفهم مصر وتصدق صداقة الروسيا فصداقتنا ليست كصداقة فرانسا الان فرانسا ما جيبت لجدكم محاربة الدولة العثمانية اكتفت بمساعدته معنويا فقط وتركته فى مخالب انتقام العثمانيين اهـ صحيفة ١٢١ من مسؤليت

(١) (صورة تلغراف الباب العالى) من المقدرات الالهية قد وقع اليوم باتفاق عمومى خلع السلطان عبد العزيز وجلوس حضرة السلطان مراد خان الخامس الوارث الشرعى على تخت السلطنة العثمانية فنسأل جناب الحق تعالى أن يشملنا بيمنه واسعاده فى ٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ اهـ صحيفة ٢٨٩ جزء خامس من كنز الرغائب

فى مشاكل كانت فى غنى عنها هذا بصرف النظر عما فيها من المحاسن بابطال هذا الاسترقاق المنافى لاصول الشرع الشريف وقد أدرجنا صورتها هنا ليقف عليها المطالع (١) وكان من أول ما استلزمته

(١) لما كان من أقصى آمال كل من حكومتى جناب ملكة بريتانيا العظمى وايرلاندا المتحدة وحضرة خديو مصر التعاون فى ابطال ومنع بيع الرقيق بالكلية وكانا قد صمما على عقد معاهدة للوصول لهذا الغرض حصل الرضا والاتفاق بين الواضعين إمضاءهم أدناه المأذونين بهذا الشأن على تدوين البنود الآتية وهى (بند ١) حيث إنه سابق صدور لائحة من الحكومة الخديوية بمنع بيع الرقيق السودانى والحبشى فى الجهات التابعة لها فتتعهد الحكومة المشار اليها بأن تمنع منعا كليا من الآن فصاعدا ادخال العبيد السودانيين والحبشيين باراضى القطر المصرى وملحقاته سواء كان بطريق البر أو بالبحر والمارة من تلك الاراضى وبأن تعاقب باشد الجزاء على مقتضى القوانين المصرية الجارى العمل بها أو بموجب ماسيأتى بيانه بهذه المعاهدة كل من وجد متعاطيا بيع الرقيق السودانى أو الحبشى مباشرة أو بواسطة غيره وكذلك تتعهد بان تمنع اخراج الرقيق السودانى أو الحبشى خارج القطر المصرى وملحقاته منعا مطلقا مالم تحقق وتثبت صحة عتقه أو حريته ولا بد أن يذكر بورقة العتق أو بالباسبورالذى يعطى لاؤلئك السودانيين أو الحبشيين من طرف الحكومة المصرية قبل خروجهم بانهم أحرار ويمكنهم أن يتولوا أمر أنفسهم كيف شاؤا بلا قيد أو شرط ما (بند ٢) كل شخص يوجد بأرض مصر أو بحدودها أو بالجهات التابعة لها بوسط افريقيا متعاطيا بيع الرقيق السودانى أو الحبشى مباشرة أو بواسطة غيره تعتبره الحكومة المصرية هو ومن يكون مشتركا معه بمنزلة السارقين القاتلين فان كان من تبعتها تحاكم امام مجلس عسكرى والا تحال حالا محاكمته على المجالس المختصة بذلك وترسل لها المحاضر المحررة من الجهة العليا من جهات الحكومة المصرية فى المحل الذى ثبت فيه حصول التجارة وكافة الاوراق والمستندات الدالة على جنحته للحكم فيها بمقتضى قوانين الحكومة التى يكون تابعا لها مادامت هذه القوانين تجيز ذلك وما يوجد من الرقيق السودانى أو الحبشى بأيدى أى تاجر كان يصير اعطاؤه حريته ومعاملته بمقتضى المدون ببند ٣ الآتى والذيل المؤشر عليه بحرف (ا) المتمم لهذه المعاهدة (بند ٣) نظرا لكون اعادة الرقيق السودانيين أو الحبشيين لبلادهم بالثانى سواء كانوا منزوعين من أيدى المتجرين فيهم أو معتوقين يتعذر حصولها و ينشأ عنها اماهلاكهم من التعب أو من الفاقة أو وقوعهم فى ربقة الرق ثانيا تستمر الحكومة بأن تجرى معهم الاجراآت السابق اتخاذها عرفها فى حق الرقيق ومذكورة فى الذيل المؤشر عليه بحرف (ا) المحكى عنه (بند ٤) تستعمل الحكومة المصرية سطوتها على قدر الاستطاعة لمنع ما يجرى من المقاتلات بين قبائل افريقيا الوسطى بقصد الاستيلاء على الرقيق و بيعه وتتعهد بأن تعامل معاملة القاتلين كل من يوجد متعاطيا بيع الاولاد أو جلبها فان كان المرتكبون لذلك من تبعة الحكومة المصرية تصير محاكمتهم امام مجلس عسكرى والا تحال محاكمتهم على المجالس المختصة بالحكم وترسل لها المحاضر والاوراق والمستندات للفصل فى الدعوى بمقتضى قانون بلادهم كما هو مذكور ببند (٢) (بند ٥) تتعهد الحكومة المصرية بنشر أمر خصوصى يرفق بهذه المعاهدة و يكون من مقتضاه منع بيع الرقيق بالكلية فى أرض مصر من ابتداء تاريخ يتحدد بالامر المشار اليه وتخصيص نوع الجزاء الذى يترتب على من يخالف منطوقها (بند ٦) لاجل زيادة الوثوق من منع بيع الرقيق السودانى والحبشى بالبحر الاحمر ترتضى الحكومة المصرية بأن السفن الانجليزية تجرى التفتيش والبحث والقبض عند اللزوم على أى مركب تكون متعاطية تجارة الرقيق من السودان أو الحبش وتسليمها لاحد مراكز الحكومة المصرية القريب من محل الواقعة أو المركز الاوفق لاجل الحكم على تلك المركب بما يلزم وكذلك يصير ضبط أى مركب مصرية تحقق فيها شبهة وجود رقيق بها للبيع أو تكون تعاطت بيع الرقيق فى أثناء سفر بها واجراء التفتيش وضبط الرقيق يكونان بخليج عدن وفى ساحل بلاد العرب و بالجهة الشرقية من أفريقيا و بمياه سواحل مصر والجهات التابعة لها ما يوجد من الرقيق سودانى أو حبشى بأى مركب مصرية و يضبط بمعرفة المراكب الانجليزية لدى التفتيش يبقى تحت اذن الحكومة الانجليزية وهى تتعهد باجراء ما يقتضى لحصوله على تمام الحرية أما المركب وشحنتها وطقم بحريتها فيصير تسليمها لاقرب مركز من مراكز الحكومة المصرية لمحل الواقعة أو المركز اللائق لاجل توقيع الحكم عليها بما يلزم فاذا لم يتيسر لقبودان المركب الانجليزية تسليم ما يكون صار ضبطه من الرقيق لمحل تابع لحكومة الانجليز أو اذا دعت الضرورة فى مصلحة

هذه المعاهدة من النخاسة ثم ان الخديو استدعى الجنرال غوردون باشا (١٨٧٧م) ثانية وعينه حاكما عاما للسودان ودارفور والمقاطعات الاستوائية لينفذ شروط تلك المعاهدة ويقطع دابر النخاسة وتجارة الرقيق ويصلح شؤنها كما قدمناه وقد أتى غوردون لذلك مايشكر عليه من الاعمال وان كان مزجها بالسياسة ولما امتدت حكومة مصر على سواحل بلاد الصومال عقدت انجلتره معها معاهدة بتعيين قناصل لها بالجهات المذكورة وبأن لاتتنازل لدولة أخرى عن أرض أو حقوق هنالك وبان لاتحتكر شيأ من أنواع البضائع والسلع وبان تعامل رعايا انجلتره وسفنها هنالك معاملة دولة

الرقيق سوداني أو حبشي لتسليمهم للحكومة المصرية فالحكومة المشار اليها تتعهد بناء على طلب قبودان المركب الانجليزي أو الضابط الذي يستنيبه لذلك أن تقبل الرقيق سوداني أو حبشي وتعطيهم حريتهم وتمنحهم عين الامتيازات التي تمنحها للرقيق السوداني أو الحبشي المضبوط بمعرفة جهاتها كذلك تقبل الحكومة الانجليزية من جهتها بان أي مركب انجليزية سائرة ببندرة انجليزية في البحر الاحمر أو في خليج عدن أو في ساحل بلاد العرب أو في المياه الداخلة بالقطر المصري أو في الجهات التابعة لهم توجد متعاطية التجارة في الرقيق سوداني أو حبشي يصير تفتيشها وحجزها وضبطها بمعرفة الحكومة المصرية فاغا المركب شحنتها وطقم بحريتها يصير تسليمها لاقرب جهة من جهات الحكومة الانجليزية لاجل توقيع الحكم عليها وما يصير ضبطه من الرقيق سوداني أو حبشي تعطى لهم الحرية بمعرفة الحكومة المصرية وتبقى متولية أمره اذا حكم بعدم صحة الحجز أو الضبط أو اقامة الدعوى من المجلس المختص بالحكم فالحكومة التابعة لها المركب التي أجرت ذلك تكون ملزومة بان تعطى تعويضا لائقا بحسب الاحوال لحكومة المركب التي صار ضبطها أو اقامة الدعوى عليها (بند ٧) يكون اجراء العمل بمقتضى هذه المعاهدة في القطر المصري لحد اصوان من تاريخ توقيع الامضاء عليها وفي ملحقات الحكومة المصرية بافريقيا العليا وبسواحل البحر الاحمر من بعد مضى ثلاثة شهور من ذلك التاريخ بناء عليه فقد تحررت هذه المعاهدة بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ ووقعت عليها امضاء وأختام الواضعين أسماءهم فيه أدناه الامضاء شريف الامضا فيفيان

صورة نسخة ذيل المعاهدة التي عقدت بين حكومة بريتانيا العظمى وبين الحكومة المصرية في ٤ أغسطس سنة ٧٧ بشأن ابطال تجارة الرقيق

ان الجاري لحد الآن هو أن الضبطية هي المناطة بكل مايتعلق بالرقيق من نحو عتقهم وتربية الاطفال منهم وما يشابه ذلك فمن الآن يترتب بكل من محافظتي مصر واسكندرية قلم مخصوص لهذا الغرض وينا بكل مايتعلق بالرقيق في المدينتين المذكورتين من نحو عتقهم وغيره أما في الاقاليم فالقسم الذي يترتب لذلك يكون تحت ملاحظة مفتشي العموم ويكون للقلم المذكور دفتر يتقيد به بغاية التفصيل جميع الوقائع التي تختص بالرقيق المعتوق وفي حالة ما اذا تقدمت شكوى من بعض القنصلاتات أو من أفراد العامة فعلى القلم المذكور أخذ الاستعلامات اللازمة من تلك الشكوى فاذا ظهر من الاستعلام أحقيتها ترسل القضية لجهة اختصاصها لكي يجري فيها مقتضى الاصول المقررة للعتق أما ان كانت الشكوى مقدمة من نفس العبد فعلى القلم بعد ثبوت شكواه أن يعطيه ورقة عتق من دفتر قسيمة يكون مخصصا لهذا الشأن وكل من أخذ من معتوقه ورقة عتقه أو منعه أو اشترك في منعه من الحرية بوسائط اغتصابية أو غشية يعامل معاملة من اتجر في الرقيق على الحكومة أن تقوم بلوازمات العبيد والمعتوقين فالمذكورون منهم يستخدمون بحسب الاحوال أو بحسب اختيارهم اما في الزراعة أو في الخدامة المنزلية أو في العسكرية والاناث يستخدمن اما في محلات الحكومة أو في منازل معتبرة أما الاطفال منهم فيستمر ادخالهم ان كانوا ذكورا في مدارس أو في معامل الحكومة وان كانوا اناثا فيدخلن في المدارس المخصصة للاناث هذا وكل مايتعلق بتربية هؤلاء الاطفال يكون محولا لملاحظة والتفات محافظي مصر والاسكندرية الواجب على كل منهما المخابرة مع نظارة المعارف في شأن مايستحسن اجراؤه في حقهم من التربية الذكور الذين يوجدون بالارياف يصير وضعهم بمعرفة مفتشي الاقاليم في مكاتب البنادر أما الاناث فيصير ارسالهن لمصر والمعتوق من الرقيق الموجود بالسودان يصير استخدامهم برغبتهم اما بالزراعة أو بالخدامة المنزلية أو بالعسكرية تحرر هذا التذييل بالاسكندرية في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ للعمل بمقتضاه من تاريخ اجراء العمل بموجب المعاهدة الاصلية الامضاء شريف الامضا فيفيان

مشارة

ممتازة وفى مقابلة ذلك تعترف انجلترة لمصر باستملاكها تلك الاصقاع وغير ذلك من المنافع التى تعرف دولة كانجلترة الاستفادة منها وقد أدرجنا المعاهدة المذكورة بذيل الصحيفة كعادتنا اتماما للفائدة (١)

مساعدة اسمعيل باشا للدولة فى حرب الصرب — لما ظهرت الثورات بجهات شبه جزيرة البلقان التابعة للدولة بتحريضات الروسيا وطلبت الدولة المساعدة من مصر كما هى العادة أصدر المرحوم اسمعيل باشا أمره الى نجله الامير حسين باشا وكان ناظر الجهادية والبحرية بتجهيز اللازم لذلك وكانت الجيوش المصرية عائدة وقتئذ من مصوع عقب حرب الحبشة فجهز منها قوة جعلها تحت قيادة الفريق راشد حسنى باشا وجعل اللواء اسمعيل كامل باشا قائدا ثانيا لها وأرسل معهما بعض ضباط منهم القائمقام أحمد نير بك والقائمقام محمود فهمى بك والصاغ حسن افندى

(١) انه لما أراد كل من حكومة دولة الانكليز والحكومة الخديوية المصرية عقد اتفاق ما بينهما بخصوص اقرار دولة الانكليز على تسلط الحكومة الخديوية بالنسبة لتبعيتها الى الدولة العلية على سواحل بلاد السومال لغاية رأس حفون رخصت حكومة دولة الانكليز جناب الموسيو فيفيان قنصل جنرال الدولة المشار اليها بالقطر المصرى والحكومة الخديوية المصرية دولتلو شريف باشا ناظر خارجيتها بعقد الشروط الآتية وهى (بند ١) مع حفظ وابقاء الاشتراطات المنوه عنها بالبند الخامس من هذه المقاولة تتعهد الحكومة الخديوية بأنه من تاريخ تنفيذ هذه الشروط ومن تاريخ اقرار حكومة دولة الانكليز رسميا على تسلط الحكومة المصرية على أراضى سواحل السومال تبقى مينة بولهار ومينة بربره بصفة مينتين ممتازتين اذا لم يكن سبق اتخاذ التدابير اللازمة لغاية الآن لذلك وكذلك تتعهد الحكومة الخديوية بأن لا تعطى فى هاتين المينتين أى احتكار أو أى التزام كان لاحد ما ولا ترخص باجراء شئ مما يعطل حركة التجارة فيهما وان لا تأخذ عوائد كمرك على البضائع الواردة اليها زيادة عن خمسة فى المائة وعلى البضائع الصادرة الى جهتى تاجوره وزيلع وكذلك فى سائر مين سواحل بلاد السومال زيادة عما هو جارى أخذه فى مينتى بولهار وبربره بشرط أن يكون تبعة دولة الانكليز وتجارتها وسفنها معاملين كتبعة دولة ممتازة فى جميع جهات تلك البلاد التى تدخل تحت تسلط الحكومة المصرية (بند ٢) يتعهد حضرة خديو مصر الافخم عن نفسه وعمن يخلفه بان لا يرخص باعطاء أى قطعة كانت من هذه البلاد التى تدخل فى حوزة حكومته بطريق الوراثة الى أى دولة كانت من الدول الاجنبية (بند ٣) يكون لدولة الانكليز الحق فى تعيين مأمورى قنصليات فى جميع المين والجهات الموجودة على ساحل البلاد المذكورة ويكون مأمورو القنصليات السابق ذكرهم متمتعين بجميع الامتيازات والمعافاة وسائر المزايا المعطاة والتى يمكن اعطاؤها الى سائر مأمورى قنصليات أى دولة ممتازة ولا يسوغ تعيين مأمورى قنصليات من أهالى تلك البلاد أو من أهالى البلاد المجاورة لها (بند ٤) أما من خصوص تجارة الرقيق وأمور الضبط والربط فى بحرية تلك البلاد فالحكومة الخديوية تتعهد بمنع تصدير رقيق من الجهات المذكورة وتمنع تجارته كما فى سائر أقطارها وأن تلاحظ أمور الضبط والربط فيها لغاية بربره وكذلك ليس على الحكومة الخديوية من الآن لغاية ما تنتظم أمور ادارتها فى جميع الجهات من بربره الى رأس حفون سوى أن تلتزم باجراء جميع ما فى امكانها لمنع تجارة الرقيق وحفظ أمور الضبط والربط وقد قبلت الحكومة الخديوية أن تكون سفن الانكليز أيضا مأمورة بملاحظة منع تجارة الرقيق وان تضبط وترسل الى المجالس المختصة بهذا الامر جميع السفن التى تراها مشتغلة بهذه التجارة أو تكون مشبوهة بالاشتغال بهذه التجارة فى جميع السواحل الموجودة بالسومال التابعة للقطر المصرى (بند ٥) تعتبر هذه الشروط متممة وواجبة التنفيذ عندما تتعهد جلالة الحضرة الشاهانية الى حكومة دولة الانكليز تعهدا رسميا تاما بأن لا تعطى بأى وجه كان الى أى دولة كانت من الدول الاجنبية أدنى قطعة من سواحل بلاد السومال أو من سائر البلاد التى أدخلت فى حوزة الحكومة المصرية وصارت جزأ من ممالك الدولة العلية المعطاة الى الحكومة المصرية أو أى قطعة من القطر المصرى أو من البلاد التابعة له بطريق الوراثة الى أى دولة كانت أجنبية وعلى ذلك صار عقد هذه الشروط ووضع كل من الطرفين امضاه تحريرا باسكندرية فى ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ امضا امضا

فيفيان شريف

كامل واليوزباشي محمد افندي رجي وعبد المجيد افندي من ضباط أركان حرب وكانت القوة المذكورة تتركب من الالاى الثاني من الحرس البيادة يقوده الميرالاى يوسف شهدي بك ومن الالاى الثالث من الحرس البيادة يقوده زكريا بك ومن الالاى الرابع من الحرس أيضا يقوده الميرالاى عثمان بك نجيب ومن بطاريتين من مدافع كروب يقودهما القائممقام حسن بك همت وكان عدد رجال هذه القوة ٧٠٤٥ جنديا أقلع بعضهم أولا من الاسكندرية على بواخر المحروسة والشرقية والرحمانية في يوم ١٨ جمادى الثانية من سنة ١٢٩٣ هـ ولما وصلت قابلها أحمد طلعت باشا كاتب ديوان خديو وكان بالاستانة بعثه الخديو لتصفية تركة أخيه المرحوم البرنس مصطفى فاضل باشا المتوفى يوم ٤ القعدة سنة ١٢٩٢ ثم أبقاه وكيلا عنه هنالك ثم سافرت العساكر المذكورة الى حدود الصرب وبقي المرحوم قاسم باشا وكيل البحرية مأمورا لسرعة ارسال العساكر المصرية الى دار الحرب ولما عادت السفن المصرية الى الاسكندرية نقلت باقي القوة المصرية تحت ملاحظة اللواء محمد كامل باشا فوصلنا من دار المحروسة الى سلانيك وكنت من الضباط الذين رافقوه ولما وصلنا سلانيك وجدنا فرضتها ملأى بالاساطيل العثمانية والفرنسوية والالمانية والنمساوية والتليانية والانكليزية واليونانية وكان اجتماعها بسبب قتل الاهالي قنصلي فرانسا والمانيا في جامع هنالك يسمى جامع الساعتلى لتداخلهما في أمر فتاة نصرانية أظهرت الاسلام كما سبق في تاريخ الدولة وكان قاسم باشا وكيل البحرية حضر اليها على وابورشبين لمقابلة العساكر المصرية فأخذني بمعيته وبقيت أركان حرب له طول مدة حرب الصرب والروسيا ولما عادت البواخر المصرية عين الخديو فرقاطة محمد على يقودها القبودان ابراهيم بك عربكيرلى لتكون مع قاسم باشا فرفع عليها علمه وحيته جميع السفائن الحربية الراسية بسلانيك وزاره أمير الاتها كالعادة ولما التقت عسكر الطرفين انتصر العثمانيون في كل المواقع على الصربيين الذين كان يقودهم القائد الروسي جرنايف وأظهرت العساكر المصرية البسالة والشجاعة ولما بلغ الجناب الخديو ذلك أنعم على القواد والضباط بالرتب ورفع درجة المرحوم اسمعيل باشا كامل الى رتبة الفريق ورقى كل من يوسف شهدي باشا وزكريا باشا وعثمان نجيب باشا الى رتبة اللواء وجعل مكانهم لقيادة الالايات على بك فهمي وخورشيد بك نعمان وحسين بك مظهر

وفي خلال ذلك خلع السلطان مرادخان الخامس لاعتلال صحته وجلس مكانه مولانا السلطان الغازي عبد الحميد خان الحالي (١١ شعبان ١٢٩٣ هـ - ٣١ أغسطس ١٨٧٦ م) وأعلن الصدر الاعظم محمد رشدي باشا المشهور بالمترجم الولايات العثمانية بذلك وأرسل الى الخديو يعلمه بذلك تلغرافيا كما جرت العادة (١) وكانت الهدنة تقررت بين الدولة والصرب بتداخل

(١) حيث ان جناب السلطان مرادخان الخامس لم يفق من عارض المرض الذي ابتلي به من يوم جلوسه على سرير السلطنة السنية خلع خلعا شرعيا وحيث كان أخوه جناب السلطان عبد الحميد خان الثاني ولي العهد وقع بموجب القانون العثماني في هذا اليوم وهو يوم الخميس الموافق ١١ شعبان سنة ١٢٩٣ جلوس مولانا المشار اليه أعني السلطان عبد الحميد خان الثاني على سرير السلطنة السنية فنرجو من المولى سبحانه وتعالى أن يجعل جلوسه هذا سبب الخير والسعادة فيلزم اطلاق المدافع في الاوقات الخمسة وتنوير المنارات والدواوين الميرية على ما جرت به العادة اهـ من كنز الرغائب جزء خامس

الروسيا

الروسيا وبقية دول أوربا وكان ذلك عقب واقعة علكسناج الشهيرة كما سبق فى تاريخ الدولة العثمانية واعتزل رشدى باشا وخلفه فى الصدارة مدحت باشا (٤ ذى الحجة ١٢٩٣) ثم عادت العساكر المصرية الى دار الخلافة (١٦ دسمبر ١٨٧٦) وكانت دول أوروبا وقتئذ تداخلت كنصوح ترغب من الدولة اصلاح حال ولايات البلقان والروملى فقبلت الدولة منهم ذلك باخلاص وحسن طوية وأوقفت الحركات العسكرية فى كل الجهات ولكن لما كانت أسباب هذه الاختلالات بل المحرض الاكبر لقيام الثورات هى دولة الروسيا لما تضمره من النوايا العدائية والمقاصد الخفية ضد الدولة طلبت عقد مؤتمر أوروبى بالاستانة للنظر فى مسائل ولايات البلقان وكانت دول أوروبا تساعدها على أغراضها لتسكين الهياج الافكار العمومية ببلادها وكانت الدولة العلية ترغب حل تلك المسائل أى اصلاح الولايات المذكورة كما يقولون بالمسالمة والطرق الودية فعقد المؤتمر وعينت الدولة مندوبين من طرفها لحضوره وقبل أن يقرر شيأ ما تقرر بها حشدت دولة الروسيا جيوشها على حدود بلاد المملكتين والاناضول ولما أتم المؤتمر أعماله وعرض قراره رسميا للدولة شكل مولانا أمير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان مجلسا عاليا عاما من الوزراء والموظفين وغير الموظفين والعلماء ورؤساء الاديان المختلفة والاعيان فى شهر ربيع الثانى من سنة ١٢٩٤ ﻫ فأقر هذا المجلس على رفض القرار المذكور لان المدون فيه مذكور بتمامه فى القانون الاساسى الذى سنه مولانا السلطان لعموم الامة العثمانية (٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٣) بلا فرق ولا استثناء وأرادت الدول تسوية الخلاف بالطرق السلمية لكنها راعت مصلحة الروسيا أكثر لانها طلبت فى بلاغها الذى أرسلته الى الباب العالى أن تنزع الدولة السلاح فقط دون الروسيا فطلبت الدولة أن يكون نزع السلاح منها ومن الروسيا فى آن واحد ولما لم تقبل الروسيا انقطعت العلاقات السياسية بين الدولتين وأعلن الحرب رسميا فى يوم ١١ ربيع الآخر من سنة ١٢٩٤ ﻫ (٢٥ ابريل سنة ١٨٧٧) كما تقدم فى تاريخ الدولة وطلبت الدولة من الخديو المساعدة العسكرية كنص الفرمانات

مساعدة الخديو للدولة فى حرب الروسيا — لما أتى تلغراف الصدر الاعظم بطلب المساعدة أمر الخديو فأعدوا جيشا عظيما جعلت قيادته لثالث أنجاله الامراء وهو المرحوم حسن باشا وكان يرافقه اللواء على رضا باشا والزبير رحمت باشا وبلونس بك الالمانى وزهراب بك وتورنارين بك والكونت صورمانى وميكلين بك ويعقوب سامى بك ومحمد نسيم بك ومن الاطباء بدر بك وديرزاربلى بك وغيرهم من الكتاب والمأمورين وجعل له بلوك خفر من تلامذة المدرسة الحربية تحت قيادة الصاغ خليل افندى عفت (صار باشا وكان مديرا للدقهلية) وكان ضباط أركان الحرب تحت رياسة مورى بك وبينهم الصاغقول أغاسيه عبد الرزاق افندى نظمى ومصطفى افندى صدقى واليوزباشى خليل افندى كامل والملازمين روبى افندى فهمى ومحمد افندى زهرى (الآن لواء مساعد ادجوتانت جنرال قسم عربى السردارية) وأحمد فائق افندى (الآن بك مدير جرجا) وحسين افندى فوزى ومصطفى افندى رمزى (الآن قائمقام بالجيش) ومحمد افندى أمين ومصطفى افندى كامل وعبد الرحمن افندى رشدى ومحمد افندى رجمى ويوسف افندى ضيا وحسين افندى رمزى (الاول من الاخيرين الآن ميرالاى والثانى قائمقام من ياوران الحضرة الخديوية) وعلى افندى حيدر (الآن بك ووكيل مديرية الحدود) وحسن افندى حارث

(الآن بك ووكيل مديرية المنوفية) وكان من الاطباء أحمد حمدى بك وفوزى بك وأحمد افندى خلوصى ومحمد درى بك وأحمد افندى حافظ وغيرهم أما الجنود الذين أرسلوا فكانوا الالاى البياده قيادة طه بك لطفى والالاى الثالث من الحرس بقوده راشد بك كمال والالاى الاول من الحرس أيضا يقوده محمد شوقى بك وأربع بطاريات من المدافع يقودها حسن بك حسنى المعروف بالترك واسمعيل بك صبرى والايان من السوارى هما الالاى الاول من الحرس يقوده محمود بك سامى والالاى الثانى منه يقوده أحمد بك عبد الغفار وأرطه من المهندسين عليها البكباشى على أفندى السماع فكان الجميع ١١،٥٣٠ جنديا وأرسلت الدولة أسطولا عثمانيا مشكلا من دارعتى مسعودية وأورخانية وفرقاطتى السليمية وخداوند كار تحت قيادة الفريق حسين باشا الكريدى لمرافقة البواخر المصرية الحاملة للجنود خوفا عليها من تعدى سفن الروسيا المتجولة فى البحر المتوسط أما السفن المصرية فكانت محمد على ومصر والرحمانية والغربية والشرقية والبحيرة والدقهلية وكان سفر هذه القوة فى يوم ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ وكنت ياورا حربيا للقاسم باشا وكيل البحرية الذى قاد هذه البواخر ولما وصلت الجنود الى الاستانة أقلعت من هناك رأسا الى وارنه حيث انضمت الى الجنود المصرية التى كانت فى حرب الصرب وكان يقودها راشد حسنى باشا أما الامير المرحوم حسن باشا فانه بعد ان أقام باستانبول أياما سافر الى وارنه ثم سافر الى شمنى وقابل السردار عبد الكريم نادر باشا القائد العام ولما عادر تب خطوط الدفاع حول وارنه ولما عبرت جنود الروسيا نهر الطونة بلا مقاومة تذكر وعزل عبد الكريم باشا ونصب مكانه محمد على باشا وتقدم بالجيوش لصد الروس رافقته بعض الفرق المصرية والتقت مع الروس بجهات صارى نصوحلر (شعبان ١٢٩٤ هـ) وأظهر المصريون هناك البسالة والشجاعة حتى انطلقت الالسنة بالثناء عليهم ثم أمر محمد على باشا فعادت الجنود المصرية الى وارنه لسبب لا يزال مجهولا وأمرها فتقدمت من جهة بازارجق من أعمال دوبروبجه وبعث حسن باشا قوة مع راشد حسنى باشا واللواء زكريا باشا المدافعة عن بازارجق ولما وصلت تقدم منها الايان مع زكريا باشا وألاى من الطوبجية وآخر من السوارى وانضمت اليهم بعض الجنود الشاهانية وفرقة المعاونة واتخذوا الاماكن اللازمة امام قوة الروسيا التى كانت بتلك الجهات تحت قيادة الجنرال سيمرمان (Zimmemanr) وفى أواخر الحجة سنة ١٢٩٤ أمر البرنس حسن باشا قومندان الفرقة راشد حسنى باشا بأن يجرى كشفا عسكريا يتعرض فيه للعدو فرتب الهجوم من قولين جعل الايمن تحت قيادة طه باشا والايسر تحت قيادة زكريا باشا ثم تقدمت القوة على هذا الترتيب فقابلت مقدمة الجيش الروسى وابتدأ ضرب النار من الجهتين واستمر أكثر من نصف النهار ولما انكشفت قوة الروس اتضح انها تنوف عن ٢٠،٠٠٠ مقاتل وعلى ذلك رأت القوة المصرية عدم المقدرة على مقاومتها فرجعت بانتظام وفى أثناء ذلك استشهد اللواء زكريا باشا وأصيب البكباشى مصطفى أفندى صبرى بجرح مات منه واستشهد أيضا نحو ثمانية ضباط آخرين وبعض العساكر وجرح نحو ٢٠٠ عسكرى تقريبا ولما وصل خبر ذلك الى البرنس حسن باشا أصدر أمره الى راشد حسنى باشا بالعودة الى وارنه وقد استنبنا درج هذا الامر بذيل الصحيفة كما جرت عادتنا اتماما للفائدة (1) ولما عادت القوة المصرية

(1) ياور خديو وفريق ٢ جى فرقه — أحيط علم سعادتكم انه من قبل كم يوم حصلت مناوشات جزئية

وانم

الى وارنه أقامت بها حتى عقد الصلح بين الدولة العلية والروسيا وليس لها من الاعمال فى هذه الحرب الكبيرة الا ما تقدم ذكره ويقال ان الخديو كان يسعى فى ان لا يبارح جيشه وارنه لمقاصد لم تعلم جيدا ومن المساعدات التى قام بها الخديو أيضا أثناء هذا الحرب ان شكل لجنة بمصر لجمع ما يتبرع به أهل المروءة والحمية اسعافا للجيوش السلطانية ومساعدة للجمعية الخيرية العثمانية المسماة بجمعية الهلال الاحمر وقد جمع من ذلك أموال طائلة لم يصل منها الى الاستانة الا نحو النصف على ما يقال ومن مساعداته أيضا ان اتخذ بجوار قصره الذى بأميركون بالاستانة اسبتالية عظيمة لمعالجة جرحى الجيش ومرضاه وعهد بادارتها الاطباء مصريين وجعل أيضا بواخر محمد على والغربية والرحمانية وطنطا ودسوق والدقهلية والمحلة تحت إمرة نظارة بحرية الدولة لمساعدتها فى نقل الجيوش والمهاجرين وسلحتها الدولة بالمدافع ولما عقد الصلح (١٥ مارس سنة ١٨٧٨ م) عادت الجيوش المصرية الى بلادها على السفن المصرية وعاد أيضا البرنس حسن باشا على وابور المحروسة وأنعم مولانا السلطان على عموم الضباط والعساكر المصرية البرية والبحرية بعلامات الامتياز والنياشين ولما كان فيضان النيل فى السنة المذكورة غير واف وخيف من القحط ولم ترو أراضى الوجه القبلى دعا الخديو أعضاء مجلس شورى النواب لاتخاذ التدابير اللازمة والنظر فى حالة البلاد (٢٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٥) ولما اجتمعوا بشرهم فى مقالة الافتتاح بانتهاء الحرب وبقرب عودة الجيوش المصرية وقد ذكرنا فى ذيل الصحيفة هذه المقالة وجواب أعضاء المجلس عليها (١)

مع العدو الذى جاء وتجمع فى قره الياس وجاير أو رمان الكائنة على بعد ساعتين من بازارجق فلاجل استكشاف قوته أمس تاريخه صار اخراج قوة من العساكر المصرية الشاهانية مركبة من ثمانية طوابير ومقدار من السوارى وبطاريتين طوبجية وعندما تحركت أربعة طوابير من هذه القوة من يسار قره الياس والاربعة الباقين من بين جاير أو رمان على طريق كلنجاك هجم من عساكر العدو على جناحنا الايسر قدر عشرة طوابير وعشرة مدافع وعلى جناحنا الايمن ثمانية طوابير وثمانية مدافع وصار تقسيم الاربعة الايات سوارى التى كانت موجودة مع هذه الطوابير على الجناحين فولوانه صار امتداد المحاربة بشدة من الساعة الخامسة الى الساعة العاشرة لكن الثبات والشجاعة التى أظهرتها عساكرنا اضطر العدو للتقهقر بعد ما قتل من عساكره قدر أربعمائة نفر وجرح ثمانمائة وقد عادت عساكرنا الى مراكزها ولوانه حضر أثناء ذلك اثناعشر طابور بياده واثناعشر مدفعا لامداد العدو لكن لم تحصل محاربة نظرا لاقتراب وقت الغروب وبما أن أصل مقصدنا هو استكشاف قوة العدو ومعرفة مقدارها فلمناسبة اتساع موقع بازارجق وكون قوتنا هى الثلث بالنسبة لقوة العدو قد أصدرنا أمرنا بانحيازهم الى قرية دربند وأول ما أظهر البسالة فى هذه المحاربة هو سعادة اللواء زكى باشا وقد أصيب برصاصة فى ثديه الايمن اثناء اعطائه القومانده اللازمة للعساكر ونال شرف ارتشاف كوثر الشهادة هو وستة يوزباشية وملازمون ومائة وواحد وأربعون نفرا ولا غرو انهم خلدوا أسماءهم وشهرتهم بصفحات التواريخ وقد تزينت صدور كل من القائمقام خو رشيد بك بسمى واثنين يوزباشيه وثلاثة ملازمين وواحد وسبعين نفرا بنياشين الجراح وحق لهم الفخر والمباهاة بذلك وبما ان الاقدام والشجاعة التى اظهرتها عساكرنا المصرية الشاهانية فى هذه الواقعة من الامور التى تستحق الذكر صار اخطار سعادتكم لاعلان هذا النصر المبين على كافة الالايات والاورط مع كمال الشكر اه من قيودات القومندان راشد حسنى باشا

(١) نبدى لكم الممنونية من اجتماعنا بالمجلس فى هذا العام ونخبركم بأنه بالنظر للشراقى الذى حصل فى هذه السنة بسبب تقصير النيل أكثر من كل سنة من السنين التى وقع فيها شراقى نتجت اضرارات وخسائر كثيرة للاهالى حتى ان معظم مديريات الوجه القبلى ما زرعوا شيأ والا بعض الاهالى زرعوا جانبا قليلا من النبارى بالآلات والشواديف وهذا الابدء شيأ بالنسبة لاصل الزمام وبما ان حصول الشراقى انما هو من الامور القهرية ومن الضرورى أخذ

لتعلم منهما حالة البلاد وقتها سيما وان فى ذكر أمثال هذه الاشياء فوائد لاتخفى خصوصا على المشتغلين بفن التاريخ ثم بعد ذلك استعفى عبدالله عزت باشا من رئاسة شورى النواب وخلفه السيد أبو بكر راتب باشا الذى كان عضوا بالمجلس الخصوصى

تنازل اسمعيل باشا عن الاريكة الخديوية ـ ان المسلك الذى سلكه هذا الخديو فى ادخال مدنية أوروبا بمصر والنهج الذى نهجه للحصول على أسباب الترف العصرى والثروة وكذا الاعمال التى قام بها مثل بناء المعامل والمصانع المختلفة وتسيير التجريدات العسكرية الى الاقطار السودانية لتوسيع أملاكه ومد نفوذه كما سبق وبناء البساتين والحدائق الغناء والقصور الشاهقة والدور اللطيفة التى زينها وفرشها بابدع النقوش وأفخر الرياش والاثاث المجلوبة من أرض الافرنج بأعلى الاثمان واقامة الملاهى العديدة التى كان يستحضر اليها سنويا من أوربا أمهر المشخصين والمشخصات والترع التى شقها فى انحاء المديريات والطرق والشوارع والانوار التى أوجدها بمدينتى القاهرة والاسكندرية

الاحتياطات والتدابير اللازمة فيما يقتضى من العمليات التى باجرائها تتأتى فوائد بحيث اذا كان لاسمح الله يحصل شراقى مثل هذا العام يمكن تخفيف الضرر نوعا فيقتضى النظر والمذاكرة فى ذلك بالمجلس ونعلمكم بأن الحكومة متشكرة لكم للمساعدات التى حصلت منكم فى مسئلة مصاريف لوازم الحرب على انه وان كان لم يزل باق شئ من تلك المصاريف لكن الذى تحصل من المبالغ التى تقررت بالعام الماضى بمجلس الشورى لهذا القصد مع ماوقع بجمعية طنطا كل ذلك موجب للتشكر لكم وحيث بحمد الله قد انتهى الحرب فالمأمول حضور العساكر المصريين لهذا الطرف عن قريب وتقر أعيننا برؤية أولادنا جميعا وبكونهم أدوا ماوجب عليهم من الخدمة للدولة العلية وعلى أنه بالقرار الصادر من مجلس الشورى فى العام الماضى ذكر بأنه عند انعقاد المجلس فى هذه السنة يتقدم له حساب ايراد وصرف الاعانة فيطلب من قومسيون الاعانة بيان ذلك كما أنه يطلب من الجهادية والبحرية بيان صرف ما استولوا عليه من تلك النقود من القومسيون المذكور ولايخفاكم أنه بالعام الماضى كان حصل اتفاق يتعلق بمسئلة المالية لكن الايرادات ماتحصلت بأكملها بحسب ماتبين ولكون الحكومة كما يلزمها مراعاة الاهالى وتحصيل الايرادات بوجه الامكان وصرف ماهو مقتضى من المصاريف فهكذا يلزمها النظر فى تأدية حقوق الداينة حتى لايقال بأن قصدها عدم ايصال حقوقهم اليهم وبهذه المناسبة يكون حصل مراعاة استيفاء حقوق كل جهة فقد ترتب قومسيون مخصوص وسينظر فى هذه المسئلة وبالاقرار على مايتراءى موافقة اجرائه بالطبيعة تنتظم الاحوال بالنسبة للاستحصال على الايراد بحسب امكان البلاد وانتظام سير أمور الحكومة وتأدية حقوق أرباب الديون فى أوقاتها والله الموفق الى مافيه الخير والاصلاح

جواب أعضاء المجلس عن نطق الخديو المعظم

قد تشرفنا بافتتاح المجلس بحضور سعادة الخديو الاكرم وحظينا بالمثول بين يدى سيادته الكريمة وزاد ابتهاجنا بتوجيه انظاره العلية وحسن الالتفات الينا وأصغينا الى المقالة الجليلة وتشكر والاعتراف بالعجز عن الاتيان ببعض مايجب من التشكر لنعمه المترادفة على هذا القطر وأهله ونعرض بأنه فى الحقيقة حصل من شراقى هذه السنة ضرر كبير للاهالى والضرورة موجبة لرؤية الاعمال التى تلزم للتحفظ والاحتياط من مثل هذا الامر المهول مع دقة النظر أيضا فى حال الاهالى الذين مسهم هذا الضرر نظرا لاحتياجهم للمساعدة وسينظر فى كل ذلك والذى يرد بأفكارنا القاصرة يعرض للمسامع الزكية أما مصاريف لوازم الحرب فبالنظر لكون تلك الحرب ملية فالمساعدة بقدر الامكان فرض عين على جميعنا وحيث انتهى الحرب وأمضيت شروط الصلح فنرجو المولى جل شأنه ان تحصل الراحة وتنصلح الاحوال وتحضر العساكر المصرية عن قريب ونحظى برؤية أولادنا جميعا الذين أدوا ماوجب عليهم من الخدمة للدولة العلية وحفظوا شرفهم وناموسهم العسكرى وبحسب ماأشير بالمقالة الكريمة ننظر فى ايراد وصرف الاعانة وأما مسئلة المالية فالمأمول انه فى هذه الدفعة يحصل تسويتها بحالة مستحسنة للجميع حتى بذلك يستحصل على الايراد بحسب امكان البلاد وحسن سير أشغال الحكومة وتأدية حقوق جميع أرباب الديون وايصالها اليهم فى أوقاتها ونبتهل الى المولى عز وجل فى أن يديم لنا بقاء سعادة الخديو الاعظم ممتعا بأنجاله الكرام عمرا مديدا وأمدا بعيدا انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير اه

علی

على الخصوص حتى فاقتا كثيرا من مدن أوروبا والهبات والصلات والهدايا والانعامات المتنوعة التى كان يتحف بها الملوك والامراء وأهل السياسة والقلم ورجال الدولة باوروبا ومصر والاستانة وبالاختصار جميع الاسرافات والتبذيرات التى فعلها لحظوظه وشهواته أو التى صرفت فى سبيل الاصلاح المذكور سيما ما صرفه عند فتح قنال السويس وفى الاحتفال بتزويج أنجاله الامراء وغير ذلك مما لا يحصى ولا يحصر اضطره طبيعة الى الاستدانة والاستقراض من الخارج وليت أن استدانته كانت من ممالك ترجو خير مصر ومنفعتها أو ليتها كانت من رعاياه أو بفوائد قليلة على الاقل بل كانت لسوء الحظ بربا فاحش ومن دول لا ترغب الا فى عرقلة مساعيه وتثقيل مصر الاسيفة بالديون الفاحشة حتى يتسنى لتلك الدول فى يوم من الايام أن تتداخل فى أعمال مصر صيانة لحقوقها كما حصل وليت هذه المبالغ صرفت فى داخل البلاد أو على أهل البلاد بل استجلبت بها أشياء وأدوات ومحرمات من أوروبا ولم تستفد منها البلاد الا ما لا يذكر ومما ساعد الخديو على اجراء مشتهياته عدم وجود مجالس مستقلة بالبلاد تناقشه أو تراقب أعماله أو توقفها عند حد ومن الغريب أنه لم يتجاسر أحد من حاشيته أو من كبار رجاله أن ينصحه نصحا مؤثرا خوفا عليه وعلى البلاد من أن يحل بها ما تكره مع وجود كثيرين منهم اتصفوا بالعقل والنظر فى العواقب فلا حول ولا قوة إلا بالله وكان سير الخديو على ما ذكرنا بعضه حببه للاهالى تقليده لأن الناس كما يقال على دين ملوكهم فاستدان كثير من الاعيان والذوات الاموال بالفوائد الفاحشة ورهنوا عليها عقاراتهم ولما لم يمكنهم سدادها وقعت أملاكهم فى يد الاجانب كما وقعت البلاد وانكبوا على الشهوات والمظالم حتى خسروا الدارين وباؤا بغضبين غضب الخالق وغضب المخلوق ولما كثرت الديون وفوائدها وتعسر على حكومة الخديو أداؤها وامتنعت أوروبا عن تسليفه ابتكر له رجاله الذين غمرهم باحساناته وعمال السوء من حاشيته طرقا يتحصل بها على الاموال وهى أنهم فرضوا على الاهالى ضرائب متعددة تحت أسماء مختلفة لا تزال أنواعها وأسماؤها مسجلة فى دفاتر سيئات الوقت المذكور [1] وقد بلغت عشرات أمثال ما كان يؤخذ من الاهالى فى عهد سلفه وكانت الضرائب المذكورة قاصرة على الاهالى فقط لامتناع الاجانب من أدائها فلهذه الاسباب وما انضاف اليها من ظلم عماله وجبروته وبطشه بكثيرين على غير ذنب معروف وما علم عنه من السعى فى الانفصال عن الدولة العثمانية كرهته الخاصة والعامة بعد ان كانت القلوب مجمعة على ولائه فى أول حكمه هذا ولو أراد الله سبحانه وتعالى ورزق الخديو المشار اليه حاشية خالصة السريرة تحب البلاد حقيقة لامكنها على الاقل تخفيف ما أتاه من الويلات وربما قدرت على منعه تماما سيما وأنه كان سامحه الله من أحسن من تولوا مصر عقلا وسياسة وتهذيبا وقد كثر كرب الاهالى من معاملة المأمورين لهم جباة الاموال بالاقاليم حيث كانوا يستعملون فى جبايتها كل الوسائط القهرية حتى اضطر المزارعون للاقتراض من مرابى اليهود والاروام وغيرهم الذين كانوا يتجولون بينهم بفوائد باهظة وكانوا يرهنون مزروعاتهم قبل حصادها ويرهنون أو يبيعون ما يمتلكونه من حلى وأطيان وغيرها وبذلك أصبح

---

(١) وها هى أشهر الضرائب المذكورة السدس تذاكر شخصية عوائد أغنام عوائد ملح ويركو الصنائع عوائد قبانة مصاريف سهام عوائد عسكريه عوائد خفر ثم الاعانة مصاريف النيل العونة المقابلة عوائد تمغة عوائد ترعة الابراهيمية عوائد الورد عوائد الحملة والدلالة عوائد المواشى وغير ذلك

كثير من العائلات أسرى للمرابين الذين أصبحوا أغنياء عصرهم فكم سمعنا ورأينا من هؤلاء المرابين الفاسدى الذمة من أضحى بعد الفاقة المدقعة يملك القناطير المقنطرة من الاموال والآلاف من الافدنة وأصبحت حالة الفلاح شاقة تعيسة هذا أما ايرادات الحكومة فلم تكن تكفى لسد العوز مع أنها زادت عن الخمسة عشر مليونا من الليرات سنويا ولما رأى الخديو ماوصلت اليه الحالة من التأخر والارتباك وتأفف الاهالى استخدم اثنين من الانكليز هما المستر اكتون (Acton) والمستر بنيل (Pennel) فى نظارة التجارة والزراعة التى أحدثها فى ذلك الوقت وجعل لرئاستها المرحوم اسمعيل راغب باشا (١٨٧٥ م) ثم ألغيت هذه النظارة بعد قليل لانها لم تأت بالفائدة المطلوبة ثم شكل مجلسا عاليا لاصلاح حالة المالية بأمر أصدره فى ١١ مايو سنة ١٨٧٦ وجعل لرئاسته رجلا طليانيا يدعى سيالوجه (Scialoja) كان ناظر المالية بايطاليا فكان من أعمال هذا المجلس المهمة اصدار ميزانية عمومية للحكومة حصرت فيها ديون مصر فكانت ٩١،٠٠٠،٠٠٠ من الليرات المصرية فائدتها سبع فى المائة ثم أصدر عقب ذلك أمرا بتشكيل صندوق الدين العمومى (١٢ مايو ١٨٧٦) بناء على طلب الدول الاوروباوية حفظا لحقوق الدائنين من رعاياهم وجعل فيه لكل دولة من الدول المذكورة عضوا يعتبر من مالية مصر فكان للنمسا الموسيو دوكريمر (De Cremer) ولفرانسا الموسيو دو بلنير (De Bligniers) ولايتاليا الموسيو بارافيللى (Baravelli) ولانكلترة المستر كاب بارنج (Cap. Baring) وجعل لصندوق الدين المذكور سلطة تكاد تكون غير محدودة فى مراقبة المالية المصرية ثم عين الخديو المستر اكتون المذكور رئيسا لادارة صندوق الدين الذى تخصصت له ايرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة وأسيوط وكذا ايرادات دخولية مصر والاسكندرية وجمارك اسكندرية والسويس ودمياط ورشيد وبورتسعيد والعريش وكذا ايرادات السكك الحديدية والتبغ والملح ورسوم الترام المطرية والهويسات والسفن التى تسير بالنيل لغاية وادى حلفا وكذا ما يتحصل من كبرى قصر النيل وقد بلغ مجموع ذلك ٨٤٥ ر ٧٩٠ ر ٥ ليرة مصرية يضاف اليه ٤١١ ر ٦٨٤ وهو ما يتحصل من أراضى الدائرة السنية يدفع ذلك أجمعه عند تحصيله وبذلك أصبح المبلغ المخصص لسداد الديون المذكورة ٢٥٦ ر ٤٧٥ ر ٦ ليرة مصرية وكان ذلك بمقتضى أمر عال أصدره فى ٧ مايو من سنة ١٨٧٦ ثم صدر أمر عال (٢٥ مايو ١٨٧٦) بتوحيد كل الديون المصرية وتصرح فيه لاسمعيل صديق باشا ناظر المالية بان يفعل ذلك بمعرفة البنك الفرنسوى المسمى كنتوار ديسكونت وفروعه فاعترض الماليون عموما والانكليز منهم خصوصا على ذلك حتى اضطر الخديو لالغاء هذا الامر ثم طلب الخديو من انكلترة وفرنسا أن يعينا مندوبين لفحص المالية المصرية فعينت انكلترة المستر جورج غوشن (Goschen) وفرنسا الموسيو ارمون جوبرت (Joubert) ولما حضرا الى مصر فى ١٤ اكتوبر من السنة المذكورة أخذا ينظران فى دفاتر المالية ويدققان فى المصروفات والايرادات وعند ذلك وقع المرحوم اسمعيل صديق باشا ناظر المالية فى ارتباك وخاف المسؤلية وسوء العاقبة فصار يتفوه بما يمس بكرامة الخديو الذى لما علم بذلك أضمر الشر لناظر المالية عقابا له على ما صدر منه ثم زاره فى بعض الايام كعادته معه ولم يظهر له أدنى تكدر منه واستصحبه معه فى عربته الى سراى الجيزة وكان بها الامير حسن باشا الذى

أمر حرس السرايا من الجنود بالقبض على ناظر المالية كامر والده ثم أنزلوه الى باخرة كانت مستعدة في النيل لنفيه الى دنقله ثم ذهب الخديو الى سراى عابدين وجمع أعضاء المجلس الخصوصي وقال لهم إن سوء ادارة المفتش في الحكومة هي التى انتجت هذا الارتباك المالى وأنه لذلك استحسن ابعاده الى دنقله وبعث اليه بمحافظ القاهرة في ذلك الوقت فاخبره وهو في الباخرة بما أقر عليه المجلس الخصوصي وقال له أيضا إنه لو دفع قدرا من أمواله لتسوية المالية المصرية خففت عنه عقوبة النفي وجعلته باسيوط بدل دنقله فاجابه بانه لا يمتلك شيأ فاقلعت به الباخرة الى دنقله فات بها وقد اختلف في أمر موته فمن قائل انه مات حزنا بعد وصوله الى دنقله بايام ومن قائل انهم أماتوه خنقا والقوه في النيل أودفنوه على شواطئه وأن سفر الباخرة الى دنقله تعمية للافكار وهو رأى الجمهور ويستدلون على ذلك بان أحد ياوران الخديو المسمى اسحق بك وهو الذى وكل اليه أمر خنقه قطعت اصبعه عند قيامه بما أمر به ورآه الناس كذلك وقال المستر ماك كوان (J. Carbille Mc. Coan) أحد أعضاء البرلمان الانكليزى في الوقت المذكور وكان وكيلا للخديو بلندره في كتاب ألفه عن تاريخ الخديو اسمعيل باشا إن المفتش اسمعيل صديق باشا بعد وصوله الى سراى الجيزة أمر الخديو به فخنق بمعرفة ملاحى الباخرة التى أعدت له بمساعدة أحد البكوات الياوران بحضور البرنس حسين باشا ثم أقلعت الباخرة بجثته الى الوجه القبلى وألقيت في النيل على مسافة من القاهرة اه وبعد وفاة المفتش أمر الخديو فصودرت أمواله وعقاراته بدعوى انه جمعها بطريقة غير شرعية هذا والتفت الخديو في ذلك الوقت الى كبار عماله ورجال حكومته فغمرهم بالانعامات والرتب ليجذبهم اليه ويبعدهم عن السعاية والوقيعة في حقه وغير وبدل في الوظائف فجعل ثانى أنجاله الامير حسين كامل باشا ناظر المالية ومحمد ثابت باشا وكيلاله وكانت لجنة التحقيق المذكورة قد أتمت أعمالها وصرحت بأن مالية البلاد المصرية غنية وقادرة على دفع أرباح وديون مداثنيها ولكنها عاجزة عن القيام بما يطلب منها سداده من الديون وفوائدها الفادحة واقترحت توحيد الديون وجعلها دينا واحدا وان يخصص لها بعض الايرادات ويجعل لها مراقبين خصوصيين يلاحظون جباية الايرادات المذكورة وصرفها في سبيل تسديد الديون وقد تمكنت اللجنة المذكورة من انقاص قيمة ديون الحكومة وفوائدها فبعد ان كانت واحدا وتسعين مليونا من الليرات أصبحت ٥٩ مليونا فقط وبعد ان كان متوسط فائدة المائة بها ٧ أصبح ٦ ولما قبلت الدول بذلك صدر أمر عال في ١٨ نوفبر من سنة ١٨٧٦ م بتعيين مفتشين عموميين على المالية المصرية أحدهما انكليزى وهو الموسيو رومين (Romaine) والآخر فرنساوى وهو البارون دومالاريت (Baron de Malaret) فشرعا في تنظيم الديون واصلاح المالية ومراقبة حساباتها وفصلا من دين الحكومة دين الدائرة السنية التى كانت يومئذ تحت نظارة المرحوم حسن راسم باشا وكذا دين السكك الحديدية وميناء الاسكندرية وغيرها فأصبح مجموع دين الحكومة ٥٩,٠٠٠,٠٠٠ ليره كما سبق وأخذ كل من المستر غوشن والموسيو جوبرت ينظران في تحويل ديون الدائرة السنية بالنيابة عن موكليهما من حاملى سندات استقراض الدائرة المذكورة وعين الخديو أيضا الجنرال ماريوت (Mariott) مفتشا عموميا على السكك الحديدية وميناء الاسكندرية والمستر اسكريفنر (Scrivener) مديرا لعموم الجمارك وبذلك أمن أصحاب الديون على أموالهم

الان أوربا وجدت بابا واسعا لتجه عندما تريد المداخلة فى أعمال مصر والضغط عليها وسبب ذلك الديون كما قلناه فهى أصل المصائب وجرثومة الضياع ولما ظهر بعد قليل للعموم ان مصر يستحيل عليها القيام بما تعهدت به لان أوربا لم توافق على انقاص مقدار الفائدة بل أبقتها كما هى وسيلة لانفاذ مآربها فيها عند ذلك قامت الدول الاوروباوية وأكرهت الخديو على تعيين لجنة عالية مختلطة لتحقيق حالة المالية المصرية بجميع أجزائها ولم يسع الخديو الا القبول فتشكلت فى ٣٠ مارس من سنة ١٨٧٨ م تحت رئاسة الموسيو فرديناندولسبس ووكالة المستر رفرس ولسن (Rivers Wilsoon) ورياض باشا وكان أعضاؤها الموسيو بارافيللى الطليانى والمستر بارنج الانجليزى والميسو دو بلنير الفرنسوى والميسو دوكريمر النمسوى وظهر لها من الابحاث ان بعض المديريات أرسلت ايراداتها الى ديوان الخاصة الخديوية لا الى المالية وكان ذلك من أكبر الاسباب التى جعلت تلك اللجنة تشك فى اخلاص نوايا المرحوم اسمعيل باشا وميله لسداد الديون فأخذت تعرقل مساعيه وتوقف اطماعه كما أخذ هو بمهارته فى ملاطفة وملاينة أعضائها ولكنه لم ينجح هذه المرة لان الدول صاحبة الدين اضطرته لان يتنازل هو وعائلته للحكومة عن أملاكهم الخاصة لتسديد بعض تلك الديون فقبل وأصدر بذلك أمرا بتاريخ ٦ اكتوبر سنة ١٨٧٨ فصارت تلك الاملاك تعرف بالدومين أى أملاك الميرى ومع ذلك فانه لما تحقق ان أوربا لا تزال تحقد عليه أراد التقرب منها فشكل وزارة مختلطة تحت رئاسة نوبار باشا جعل فيها ناظرا انكليزيا للمالية وهو المستر ريفرس ويلسون وآخر فرنسويا للنظارة الاشغال العمومية وهو الموسيو دوبلنير وجعل رياض باشا ناظر الداخلية وراتب باشا الجهادية والبحرية وعلى مبارك باشا ناظر الاوقاف والمعارف العمومية ووكيلا لنظارة الاشغال العمومية (٢٨ أغسطس ١٨٧٨) وجعل تلك الوزارة مسؤلة عن أعمالها كما هى بالدول المنتظمة وأوجد الشورى فى البلاد وان رأى الاغلبية هو الذى يعمل به وغير ذلك من الاصلاحات التى لم تستفد منها البلاد لانها لم تكن فيما نظن يقصد بها الاصلاح الحقيقى ومع هذا فقد أفادت بعض الفائدة وقد أوردنا فى ذيل الصحيفة صورة ما كتبه الخديو فى ذلك الى نوبار باشا (١) الذى أعلم قناصل دول أوربا بذلك رسميا وأرسل لكل واحد منهم صورة من

(١) وزيرى العزيز — إنى أطلت الفكر وأمعنت النظر فى التغييرات التى حصلت فى أحوالنا الداخلية والخارجية الناشئة عن تقلبات الاحوال الاخيرة وأردت فى وقت مباشرتكم المأمورية تشكيل هيئة النظارة الجديدة التى فوضت أمرها اليكم أن أؤكد لكم ما توجه قصدى اليه وثبت عزمى عليه من اصلاح الادارة وتنظيمها على قواعد مماثلة للقواعد المرعية فى ادارات ممالك أوروبا * وأريد عوضا عن الانفراد بالامر المتخذ الآن قاعدة فى الحكومة المصرية سلطة يكون لها ادارة عامة على المصالح تعادلها قوة موازنة من مجلس النظار يعنى أنى أروم القيام بالامر من الآن فصاعدا باستعانة مجلس النظار والمشاركة معه * وعلى هذا الترتيب أرى أن اجراء الاصلاحات التى نبهت عليها يستلزم أن تكون أعضاء مجلس النظار بعضهم لبعض كفيلا فان ذلك أمر لازم لا بد منه * يجب على مجلس النظار أن يتفاوض فى جميع الامور المهمة المتعلقة بالقطر ويرجح رأى أغلبية أعضائه على رأى الاقل عددا فيكون حينئذ صدور قراراته على حسب الاغلبية وبتصديق عليها أقرر الرأى الذى تكون عليه الاغلبية * يتعين على كل ناظر من النظار أن يجرى قرارات المجلس المصدق عليها مما فى الادارة المنوطة به * تعيين المديرين والمحافظين ومأمورى الضبطيات يكون بالمداولة بين الناظر التابعين هم لادارته وبين رئيس المجلس وما يستقر عليه الرأى يعرض علينا بواسطة رئيس المجلس لاجل تصديقنا عليه * الناظر الذى يكون المأمورون وأرباب الوظائف السالف ذكرهم تحت ادارته مباشرته له الحق فى توقيفهم عند الاقتضاء عن اجراء وظائفهم وذلك بعد اتفاقه مع رئيس هيئة النظار

كتاب

كتاب الخديو ثم صادق الخديو على لائحة قدمها له مجلس التفتيش الاعلى (١) باجراء الاصلاحات

وأما انفصالهم عن وظائفهم فلا يكون الا بعد اتفاق الناظر التابعين له مع رئيس المجلس والتصديق عليه منا * للنظار أن ينتخبوا المأمورين ذوى المناصب العالية اللازمين لادارتهم وأن يعرضوا ذلك علينا للتصديق عليه وأما الوظائف الصغيرة فيكون تعيين المستخدمين اللازمين لها بخطاب أو قرار من ناظر الديوان * أعمال كل ناظر تجرى فى الامور التى تكون من خصائصه لا غير وأرباب الوظائف والمستخدمين فى كل فرع من فروع الادارة لا يتلقون الاوامر الا من رئيس المصلحة الذين هم مستخدمون بها وتابعون لها ولا تجب عليهم طاعة أمر غيره * ينعقد مجلس النظار تحت رياستكم لانى فوضت هذا التنظيم الجديد الى عهدتكم وجعلت مسؤليته عليكم * وانى أرى أن تشكيل هيئة نظارة حائزة لهذه الخصوصيات ليس مخالفا لعوائدنا وأخلاقنا ولا لآرائنا وأفكارنا بل موافقا لاحكام الشريعة الغراء وبتعميم ترتيب محاكم الحقانية يكون فيها الكفاية لحاجات هيئتنا الاجتماعية والمساعدة على تتميم مقاصدنا الحقيقية ونياتنا الخيرية * وانى معتمد عليك فى اجراء الاصلاحات التى صممت عليها مؤملا أن تتكفل للبلاد بجميع التأمينات التى لها الحق فى انتظارها او الحصول عليها من حكومتنا ٢٨ اغسطس ١٨٧٨ الموافق غرة رمضان سنة ١٢٩٥ اهـ من صحيفة ٥٢ القسم الاول ديكريتات سنة ١٨٧٨

(١) ان من واجبات ديوان التحقيق أن يبحث عن أسباب الاصلاح الذى تقتضيه الحال ويظهرها العيان ولكن لا بد لنا من الزمن الكافى لاستيعاب ما جمعناه من الايضاحات وبيان ما ينبغى من التفاصيل لاستكمال تنظيم المالية على اتفاق علمنا من الاسباب المانعة لتعميم الثروة وتوفر واردات الخزينة ومن الوسائل الموجبة لانتظام الادارة ما نستعين به الآن على بيان الاصول التى يترتب عليها اجراء الوظائف العمومية على محور الاستقامة بما يوافق منطوق الاوامر الخديوية الصادرة بتشكيل ديوان التحقيق وبناء على ذلك رأينا أنه ينبغى ان لا يؤخذ من الضرائب الا ما تعين بقانون منشور فى مجموعة رسمية وأن يكون اجراء الاحكام القضائية مرعيا بحيث تصير قوانين الرسوم والضرائب عمومية لا يعفى منها أحد من سكان الديار المصرية من أى جنس كان . وان يجعل جباة الاموال أى مأمورو التحصيل تحت ادارة نظارة المالية ويعين لهم فى أماكنهم مفتشون تناط أمورهم بالادارة الداخلية . وان يصلح شأن المحاسبة العمومية وقلم تنظيم البرنامج أى الموازنة وتتخذ الوسائل الاحتياطية لسد ما عكن أن ينشأ عن قلة فيض النيل من الخلل والنقص فى بعض السنين وينفذ قانون المالية على وفق البند العاشر من الامر الصادر فى ٢ مايو سنة ١٨٧٦ بحيث يتيسر للحكومة أن تجمع ضرائبها فى الاوقات الملائمة للطالبين غير مهتمة بآجال الاستحقاق ويشكل مجلس مستقل ترفع اليه الدعاوى المتعلقة بتحصيل الاموال ومجلس آخر لصيانة الوطنيين من اعتداء المأمورين وتلغى الرسوم اليسيرة التى يصعب جمعها أو تحذف له الوسائل الظلمية ويعوض ذلك بزيادة تلحق بالضرائب الموضوعة على بعض الارضين أو بضرائب جديدة تكون أوفر حاصلا وأيسر تحصيلا . وتعدل ضرائب الاملاك ويعين لتحصيلها أوقات معلومة من السنة وكذلك رسوم الجمرك وكيفية تحصيل ضرائب الملح والتبغ وتقسيم مياه الترع وينظم قانون اجراء الاشغال العمومية بحيث يلغى التسخير الا فيما يترتب عليه نفع عمومى . وتنظم الخدمة العسكرية وتعين لها مدة محدودة ويكون اجراؤها بالقرعة الشرعية

وان جملة ما يطلبه ديوان التحقيق من الجناب الخديو المعظم أن يعين جميع أملاك الدوائر المستقرة لسد الخلل الواقع فى موازنة المالية وبيان هذه الاملاك (أولا) أملاك الدائرة السنية والخاصة بعد وفاء فائدة الدين المتعلق بهما (ثانيا) أملاك الدوائر المعينة فى اللائحتين اللتين قدمهما الديوان الى الحضرة الخديوية وهى الاملاك البالغ دخلها ٦٤٦ و ٤٠٠ جنيه (ليرة مصرية) (ثالثا) الابنية المختصة بالدوائر المشار اليها البالغ دخلها على ما عينته الحضرة الخديوية ٧٧٦ و ٢١ جنيه (رابعا) ما لم تذكر فى اللائحتين المرفوعتين فى طى هذا العرض من الاملاك التى فى المدن أو فى الريف وتناط ادارة جميع ذلك بديوان مقسم الحقوق يضبط دخل الاملاك ويبيعها أو يستدين عليها قرضا لوفاء الديون المتعلقة بالحكومة أو بالدوائر اهـ ملخصا من صحيفة ٣٨١ جزء ٦ كنز الرغائب

بأمر عال صدر منه فى شهر أغسطس المذكور (١) وكانت اجراآت الحكومة المصرية الى ذلك الوقت بيد الخديو وأسا فصارت من يومئذ تجرى بواسطة مجلس النظار المذكور وتنحى عن أعمال الحكومة كل الامراء أنجاله وجعل المسيو بارافللى مفتشا لعموم الايرادات والمصروفات الاميرية (١٤ دسمبر ١٨٧٨) مع حفظ وظيفته فى رئاسة صندوق الدين العمومى وجعل المستر فتس جيرالد (Fitz Gerald) مفتشا لعموم الحسابات والموسيو جول بلوم (Jules Blum) وكيلا للمالية ولما كانت الحكومة يلزمها فى ذلك الوقت استقراض النقود لتسوية بعض ديونها صدر أمره بعد موافقة نظاره باجراء سلفة قدرها ٨,٥٠٠,٠٠٠ جنيه من الموسيو روتشيلد ترهن عليها أملاك الدومين المذكورة وجعل الموسيو بترون والموسيو روسيل ورستم باشا أعضاء لادارة الاطيان المذكورة التى عرفت بأملاك الميرى (٣٠ يناير ١٨٧٩) هذا وأخذت هذه النظارة الجديدة المختلطة تصلح المختل من حسابات المالية وتسوى مرتبات المستخدمين والموظفين وكان تذمر الامة المصرية التى أفاقت من نومها نوعا يزداد يوما فيوما ضد أعمال الخديو والموظفين الاوروباويين الذين أتى بهم من أوروبا وسهل لهم ولدولهم بأعماله المذكورة طريق المداخلات فى أعمال الحكومة المصرية وكانت مرتبات المستخدمين الملكيين والعسكريين وكذا مرتبات الجيش البرى والبحرى لم تصرف منذ شهور حتى اضطر ضعفاء الحال منهم الى الاستدانة وبيع ما يمتلكون ومما زاد الحالة ارتباكا ان النظار المذكورين قرروا الاقتصاد من نفقات الجيش فاخرج بذلك عدد عظيم من الضباط من وظائفهم ولم يكن لهم طريق آخر للمعيشة غير العسكرية التى تربوا فى احضانها مع ان الموظفين الاجانب الذين فى خدمة مصر كانوا يجلبون أقاربهم وأصحابهم من بلادهم ويخلقون لهم الوظائف بالراتب الكثير ولو أدى ذلك لاخلاء سبيل عدة من أبناء البلاد الذين لا يعرفون لهم وطنا سواها ناهيك ان المصرى لا يميل كثيرا الى الهجرة طلبا للرزق فى بلاد أخرى مادامت بلاده تفيض لبنا وعسلا بينما يتمتع الاجنبى بخيراتها ولما وصلت الحالة الى هذا الحد انضم الذين يسخطون عليها الى بعضهم وعرفوا بالحزب الوطنى ولم يكن لهذا الحزب والحق يقال هم الاشباع البطون الجائعة لان حالة البلاد واخلاق سكانها تجعلهم فى معزل تماما عن التعصبات السياسية والمذهبية ولما انتشرت أفكار هذا الحزب انخرط تحت لوائه جمع من العلماء

(١) وقفت على لائحة ديوان التحقيق فرأيتها مفصلة تفصيلا وانى وان منعكم ضيق الوقت من استيعاب عدة مسائل لشاكر لكم ولرفقائكم الذين ساءنى سفرهم قبل ان أثنى عليهم مشافهة فأتقدم اليكم ان تبلغوهم شكرى . اما نتائج لائحتكم فاوافق عليها ولا بدع فى ذلك فهى النتائج التى عنيت بها رغبة فى نفع بلادى وبقى على الاهتمام باجرائها وقد وطنت على ذلك نفسى علما بأن بلادى لم تعد من افريقية واغاهى من أقسام أوروبا فلامندوحة لنا عن اطراح الخطا القديم وسلوك السنن الملائم لحالتنا الاجتماعية ومنذ انكم سترون فى أمرنا عما قريب تغيرا مهما يحدث بسهولة غير منتظرة فان غاية مارومه الاستقامة واحترام القانون ولكن ينبغى لنا ان لا نعتمد على القول الذى لا يؤيده الفعل وانى عازم على طلب حقائق الامور وقد ابتدأت ذلك مثبتا به صدق عزمى بان كلفت نوبار باشا أن يشكل لى وزارة وقد لا يرى لهذا الامر شأن عظيم ولكن اذا توفرت شروط إنفاذه يصدر عنه استقلال الوزارة وليس ذلك بالشئ اليسير فانه علة التغير الاساسى المطلوب بل هو فيما أرى أحسن دليل لاثبات عزمى على انفاذ قراركم وقد ازمعتم الرحيل ورجائى انكم ستعودون الينا عما قريب على أنى أروم ان تهيروا وأنتم على يقين من أن سعيكم الذى لا قيتم فيه صعوبة ومناء سيثمر خيرا فان الغرس يثمر والثمر ينضج سريعا فى هذه الارض القديمة اهـ من كنز الرغائب

والضباط

والضباط والموظفين وقاموا يطالبون بالاصلاحات وبجعل الحكومة نظامية مقيدة مع تقليل نفوذ الاجانب الذى أودى باستقلال البلاد وكانت أقوال هذا الحزب وعدد رجاله كل يوم فى ازدياد ولما ضاقت الاحوال بالضباط لعدم صرف مرتباتهم المتأخرة وافتقر الكثير منهم بل مديده للسؤال حتى صار يضرب يومئذ بعوزهم المثل اجتمع منهم عدد عظيم نحو الاربعمائة وقدموا العرائض الى الخديو ملتمسين منه صرف مرتباتهم فأحالهم على النظار ثم اجتمعوا تحت رئاسة ضابط منهم اشتهر بالجراءة واستقلال الفكر وهو البكباشى لطيف بك سليم وكان معلما بالمدرسة الحربية فخطب فيهم خطبة بليغة حماسية وشجعهم على السعى بلا تخاذل حتى ينالوا مرغوبهم ثم ساروا الى نظارة المالية وتبعهم نحو ألفى جندى وكان ذلك فى يوم ٢٥ صفر سنة ١٢٩٦ (١٨ فبراير ١٨٧٩ م) وتقاطر الناس من كل صوب لينظروا ماذا يكون من أمرهم فقبضوا على نوبار باشا وأهانوه هو والمستر ريفرس ويلسون ناظر المالية وألزموهما بصرف مرتباتهم ووقع الهرج واللغط والتزاحم حتى خيف من حدوث فتنة كبيرة وحضر الخديو بنفسه الى نظارة المالية وأخذ ينصح المتجمهرين فاندهش الضباط لما رأوه بينهم وتفرقوا وسكنت الفتنة وأمر جنابه النظار فصرفوا مرتبات الجنود فى الحال واستعفى كل من نوبار باشا ورياض باشا تخلصا من المسؤلية ولم يستعف الوزيران الاجنبيان وجعل الخديو نجله الاكبر المرحوم محمد توفيق باشا رئيسا لمجلس النظار وقد دار على ألسنة الخاصة ان قيام الجنود بهذه المظاهرة كان من تدبيرات الخديو لانه لما رأى تداخل الاجانب فى أعماله سيما من ولاهم النظارة أراد التخلص منهم بسبب لا يردوه هو ارادة الامة التى يعرف الاجانب مقدار ارادتها وقد تأيدت هذه الرواية من مصادر كثيرة جديرة بالاعتبار منها ان الخديو أوعز الى المجلس الذى جمعه من الاعيان وأعضاء الشورى بوضع قانون مالى عام يتمكن به من الغاء القرارات السابقة التى أقر الخديو عليها مضطرا ولما اجتمع المجلس المذكور فى يوم ١٠ ربيع الآخر من سنة ١٢٩٦ وحضر جمعيته الحافلة جميع العلماء الاعلام والذوات الفخام والمأمورين الكرام ووجوه البلدة وأعيان المملكة ومعتبرى الاهالى اقر الجميع على لائحة عرفت باللائحة الوطنية اشتملت على ثلاثة أقسام الاول فى تسوية الايرادات والثانى فى تسوية الديون والثالث فى تسوية مصروفات الحكومة وقد أدرجناها باسفل الصحيفة اتماما للفائدة كعادتنا (١) ولما عرضوا هذه اللائحة العمومية على سمو الخديو أصدر عليها ارادته السنية الى المشير محمد شريف باشا بتاريخ ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ بوجوب اجراء المواد المندرجة فيها ثم عزل الخديو

(١) صار اطلاعنا على المشروع المتقدم من سعادة ناظر المالية ووجدناه لا يوافق لوطننا فلاجل سد الخلل وتدارك الامر قبل فواته فمن بعد المذاكرة بينناراً ينا وجوب أن نقدم مشروعا حافظا لحقوق العموم داخلا وخارجا مع احترام الشرائع المقدسة والقوانين المؤسسة وها هو المشروع المذكور مرفق مع هذا ولكون هذا المشروع ما صار اعماله وتحريره الا بعد حصول علم اليقين لدينا بان ايرادات مصر هى كافية لسداد الديون المطلوبة من الحكومة حسبما هو موضح بالمشروع المذكور فلاجل ذلك نحن عن أنفسنا ونيابة عن أبناء وطننا صممنا جزما على بذل كل مجهودنا فى تأدية ديون الحكومة وبذل كافة ما فى وسعنا وطاقتنا فى اجراء ذلك وبذا صار ختم هذا اعلانا بتصديق ذلك وبأننا متحدون اتحادا تاما قولا وفعلا فى الاجراء تحريرا عصر يوم الاربع ١٠ ربيع الآخر سنة ١٢٩٦

محل الاختام

الوزيرين الانكليزى والفرنسوى وأصدر أمراعاليا آخر بتاريخ ١٦ ربيع الآخر

(القسم الاول فى تسوية الايرادات) - بمشروع نظارة المالية مقدر الايرادات بمبلغ ٩٤٠١٤٧٥ ليرة مصرى بما فيه ايراد المقابلة ومستنزل من ذلك المبلغ قيمة ايراد المقابلة البالغ قدره ١٠٤٠٨٠٤٩٣ ليرة مصرى نظرا لابطالها ومضاف على الايرادات قيمة الامتياز السابق خصمه لاربابه لغاية سنة ١٨٧٦ لاعادة ربط الاموال كما كانت قبل المقابلة ثم ومستنزل مبلغ أربعمائة وسبعين ألف ليرة وكسور قيمة المائة ثلاثة المقتضى اعطاؤها لمن دفعوا المقابلة لغاية سنة ١٨٧٨ ثم ومضاف على الايرادات ١٥٠٠٠٠ ليرة مصرى ايراد جديد على الاطيان العشورية * وحيث ابطال المقابلة يترتب عليه حرمان أربابها من امتيازاتها المسموح لهم بها بمقتضى قانونها فيوافق وجوب استمرارها على ماهى عليه حسب قانونها الغا الاسكونت المستحق خصمه فى سنة ١٨٧٦ على مادفع وسيدفع من سنة ١٨٧٧ لغاية ١٨٨٥ على الاطيان العشورية والخراجية يجرى خصمه وتنزيله من المربوط على تلك الاطيان فى سنة ١٨٨٦ باعتبار المائة خمسة للمساواة بأرباب الديون * وبذلك صارت الايرادات المقررة للحكومة بالمدة من سنة ١٨٧٩ لغاية سنة ١٨٨٦ هى كالموضح بالجداول نمرة ١ ونمرة ٢ على الاساس المتخذ لذلك بمشروع نظارة المالية وهذه الايرادات ممكن تحصيلها لان المتحصلات الواردة فى سنة ١٨٧٧ تبلغ نحو ٩٠٣٠٠٠٠٠ ليرة مصرى بما فى ذلك مصروفات الجهات التى كان معتادا خصم مصروفاتها من ايراداتها مثل السكة الحديد والمحاكم الشرعية وبعض جهات وبهذا المشروع صار اعتبار مصروفاتها ضمن مصروفات الحكومة العمومية بمعنى ان الايرادات الموضحة بجداول نمرة ١ ونمرة ٢ هى ايرادات خام

(القسم الثانى فى تسوية وتسديد ديون الحكومة) - (سلفة روتشلد) هذه السلفة تفضل على ماهى عليه حسب الكونتراتو المعمول عنها بمعرفة نظارة المالية (دين السكة الحديد الممتاز) هذا الدين يفضل على ماهو عليه حسب المنصوص عنه بالدكريتو الصادر فى شهر نوفمبر سنة ١٨٧٦ (الدين المتحد) هذا الدين يعطى عليه فوائد قدرها ٦ فى المائة فى السنة وأمورتيسمان منتظم المائة مائة بمبلغ ٤٦٠٠٠ ليرة سنوى الغا يحجز من الفوائد المذكورة سنوى المائة واحد على مايتبقى منه من ابتداء سنة ١٨٧٩ لغاية سنة ١٨٨٥ وقيمة المائة واحد المذكورة يجرى مشترى سندات بها من هذا الدين بالاسعار الحاضرة لغاية المائة سبعين والسندات التى يجرى مشتراها يصير اعدامها بمعرفة صندوق الدين العمومى واذا وجدت الاسعار تعالت عن المائة سبعين فيكون الاطفاء بالقرعة حسب المنصوص عن ذلك بالدكريتو الصادر فى شهر نوفمبر سنة ١٨٧٦ ثم فى سنة ١٨٨٦ تعطى الفوائد البالغ قدرها ٦ فى المائة سنويا لحاملى السندات من دون استقطاع ويكون الاطفاء من ابتداء سنة ١٨٨٦ بالقرعة المائة مائة بواقع خمسة أثمان فى المائة على مايتبقى من هذا الدين وبيان تسديدات ذلك موضح بجدول نمرة ٥ ومشترى السندات الموضحة هو بخلاف المبالغ الواردة بجدول نمرة ٥ التى هى أيضا لازم مشترى سندات بها (السلف الصغيرة وهى سلفة سنة ٦٤ وسلفة ٦٥ وسلفة سنة ٦٧) هذه السلف تفضل على ماهى عليه بفوائدها ومددها حسب المنصوص عنها بالدكريتو الصادر فى شهر نوفمبر سنة ١٨٧٦ وتتسدد دفعاتها السنوية من ايرادات المقابلة حسب الموضح بالجدول نمرة ٣ (دين السنديكاتو الفرنساوية ومقاولين مينة اسكندرية) هذه الديون يبلغ مقدارها ٤٩٧٠٠٠٠ ليرة استرلينة من ذلك ليرة ٤٤٠٠٠٠٠ للسنديكاتو ومرهون عليه حصص المائة خمسة عشر فى تأسيس قنال السويس ومرهون عليه أيضا مصلحة مياه اسكندرية وسندات دين متحد بمبلغ ٤٠٦٠٠٠٠٠ ليرة ومبلغ ٥٧٠٠٠٠ ليرة مطلوب مقاولين مينة اسكندرية ومرهون عليه سندات دين متحد بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ ليرة وكيفية تسديد ذلك هى أولا مبيع حصص التأسيس المحكى عنه بمعرفة الحكومة ودفع الثمن للسنديكاتو وقد تقرر ثمنها الآن بوجه التقريب بمليون ليرة ويمكن ان يزيد عن ذلك ثم ان مصلحة مياه اسكندرية التى صار مبيعها بمبلغ ٣٠٠٠٠٠ ليرة يعطى ثمنها أيضا للسنديكاتو وبذلك يكون الباقى للسنديكاتو مبلغ ٣٠١٠٠٠٠٠ وباضافة مبلغ ٥٧٠٠٠٠ مطلوب مقاولى المينة تصير الجملة ٣٠٦٧٠٠٠٠ ليرة وهذا يجرى سداده فى مدة خمس سنوات ونصف بفوائد المائة خمسة فى السنة من ابتداء سنة ١٨٧٩ وتسديد ذلك من فوائد وأمورتيسمان فى ظرف هذه المدة يكون أولا من قيمة قبونات ٦٠٦٠٠٠٠٠ ليرة دين متحد الذى يصير

سنة

سنة ١٢٩٦ (٨ ابريل ١٨٧٩) الى شريف باشا باحالة رئاسة مجلس النظار لعهدته مع نظارتى الداخلية والخارجية وبتعيين اسمعيل راغب باشا لنظارة المالية وشاهين باشا

ابقاؤهم بطرف السنديكاتو بنوع الضمانة ثانيا من باقى ايرادات المقابلة ودفعيات ذلك موضحة بجدول نمرة ٤ و بنهو الخمس سنوات ونصف يصير ارتداد مبلغ ٦٫٦٠٠٫٠٠٠ ليرة الضمانة لصندوق الدين العمومى و بمعرفته يصير اعدامها (مطلوب جرنفلد مقاول مينة اسكندرية عن الاشغال التى أجراها من سنة ١٨٧٧) هذا الدين يبلغ تقريبا ٥٠٠٫٠٠٠ ليره ومرهون عليها ايرادات المينة فيفضل على أصله برهنيته انما الفوائد تكون خمسة فى المائة فى السنة بدل عشرة والاصل والفوائد تتسدد من ايرادات المينة لحين الانتهاء (ديون الدائرة السنية) من حيث ان أطيان وأملاك الدائرة السنية قد صار التنازل عنها للحكومة والمخصصات الخديوية لا يمكنها الآن القيام بوفاء التعهدات المربوطة فى الكونترانو المرقيم ١٢ يوليو سنة ١٨٧٧ فالحكومة تضمن دفع المائة واحد سنوى على ما يتبقى من الديون المذكورة وهذه الضمانة تبطل متى كانت ايرادات الدائرة تسمح باعطاء ٧ فى المائة على ديونها وقيمة دفعيات المائة واحد موضحة بجدول نمرة ٦ وادارة الدائرة تكون على حسب الكونترانو المعمول عنها انما تكون تحت ملاحظة مجلس النظار (دين الخاصة) هذا الدين يفضل على أصله حسب الكونترانو المعمول عنه ودفعياته السنوية من فوائد وأمورتسمان تدفع من ايرادات الحكومة حيث المخصصات الآن ما تسمح بتسديد ذلك وقيمة الدفعيات السنوية موضحة بجدول نمرة ٦ (الديون المطلوبة الى بيت المال وصندوق الايتام والمكاتب الاهلية) هذا الدين يبلغ ٤٦٨٠٠٠ ليرة مصرى يجرى تشغيله لاربابه بفوائد المائة خمسة فى السنة من سنة ١٨٧٩ وتلك الفوائد يبلغ مقدارها ٢٢٤٠٠ ليرة سنوى يجرى دفعه من المصاريف المقررة للحكومة الواردة بجدول نمرة ٦ لحين ما يمكن دفع المال الاصلى و بما أنه من ضمن ذلك المبلغ جانب مطلوب للايتام والارامل بصندوق الايتام هذا مع معرفة مقداره يجرى صرفه لاربابه فى أوقات الامكان (الدين المطلوب الى بابانو مقاول الترعة الاسماعيلية) حيث ان هذا الدين مرهون عليه ايرادات الترعة الاسماعيلية فيفضل على أصله والفوائد التى تستحق للمذكور البالغ قدرها سنويا ١٤٠٠٠ ليرة حسب المقدر بمشروع نظارة المالية تدفع من ضمن المصاريف المقررة للحكومة الواردة بجدول نمرة ٦ (الدين المدفوع باسم سهام الروزنامه) حيث ان هذا الدين مدفوع بمقتضى قانون فيحفظ الحق المعطى لاربابه بالقانون المذكور لحين ما تسمح ايرادات الحكومة بدفعه (ديون الحكومة السائرة) هذا الدين مقرر فى مشروع نظارة المالية بمبلغ ٥١٥٩٠٠٠ ليرة مصرى بعد التنزيلات المذكورة عن تنزيلها ومضاف على ذلك المبلغ ٢٤١٠٠٠ ليرة مصرى فوائد مستحقة لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ بالمائة خمسة فى السنة جملة ذلك ٥٫٤٠٠٫٠٠٠ ليرة مصرى فهذا يكون تسديده بالكيفية الآتية وهى أولا يتعين قومسيون مخصوص لتحقيق المقتضى تحقيقه من تلك الديون ثانيا متأخر الماهيات والمعاشات والاجريه لغاية سنة ١٨٧٨ يصرف بالكامل من نقود سلفة روتشلد وما يتبقى يصير توزيعه على ارباب الديون وعلى أى الحالات لا يمكن أن يكون التوزيع بأقل من خمسة وخمسين فى المائة على فرض وجود ماهيات ومعاشات وأجريه بقيمة المليون والخمسمائة ألف ليرة المقررة لذلك بمشروع نظارة المالية واذا كان أقل من ذلك فكامل الزيادة يصير توزيعها على أرباب الديون علاوة على الخمسة وخمسين فى المائة ثالثا احتساب الفوائد لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ على الخلاصات تكون بالمائة ١٢ فى السنة بالموافقة لاحكام الخلاصات احتراما لها وذلك اعتبارا من التواريخ المحكوم بها بالخلاصات وفوائد باقى المطلوبات التى تكون بدون خلاصات تكون باعتبار خمسة المائة فى السنة من تواريخ استحقاقاتها لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٨ على المبالغ التى يستحق عليها فوائد وما يتبقى من المطلوبات بعد دفع النقود الباقية من سلفة روتشلد وهذا الباقى الذى يتجاوز عن مبلغ ١٧٥٥٠٠٠ ليره مصرى عبارة عن ١٫٨٠٠٫٠٠٠ ليرة استرلينيه هذا يكون سداده فى مدة أربع سنوات ونصف من ابتداء سنة ١٨٧٩ بفوائد خمسة المائة فى السنة بضمانة ما هو متبقى من ايرادات المقابلة والامورتسمان يبتدئ من سنة ١٨٨٠ أما سنة ١٨٧٩ فتدفع الفوائد فقط من نقود سلفة روتشلد ومقدار الدفع السنوية موضح بجدول نمرة ٣ و يعطى أيضا تأمينا لباقى الديون السائرة المقتضى امتدادها علاوة على باقى ايرادات المقابلة جميع أملاك وأطيان الميرى

لنظارة الجهادية وزكى باشا لنظارة الاشغال العمومية وذو الفقار باشا لنظارة الحقانيـة ومحمد ثابت باشا لنظارة المعارف العموميـة والاوقاف وعمر لطفى باشا لتفتيش عموم الاقاليم بحرى وقبلى (١) ولما أبلغ شريف باشا القناصـل الجنرالية خبر تشكيل الوزارة على الصورة المذكورة وأن الخديو أمر بزيادة الجيش كما كان قبـل شق ذلك على دولتى انكلتره وفرانسا لانهما اعتبرتا أعمال الخديو هـذه عدوانية فسعيا الى الانتقام منـه بكل مالديهـما من الوسائل وخابرتا دولة المانيا والروسيا

الغير المرهونة ولم تكن لازمة للبرى التى يصير توضيح بيانها فى المستقبل بكشف يعمل عن ذلك فيما بعد وبمعرفة الحكومة يصير تعيين قومسيون لبيعها ومن قيمتها يصير سداد الباقى من هذا الدين أولا ولو قبـل حلول مواعيده وتوفير الفوائد * حيث ان قوبون الدين المستحق فى أول مايه سنة ١٨٧٩ للآن لم يستكمل فى صندوق الدين ونقص اكمالـه ٨٠٠٠٠٠ ليره تقريبا وايرادات المقابلة نظرا لصدور منشورات المالية بعـدم تحصيلها امتأخر عليها نحو مبلغ ٢٠٠٠٠٠ ليره مقتضى دفعه فى أول مايو السنة المذكورة أيضا فى اجراء مشروعنا هذا وترتيب الهيئة الآتى القول عنها كل ماينقص من هذه المبالغ نكون ملزومين بتأديتـه من الايرادات لغاية تكميل فوائد الاثنيـن ونصف فى المائة للدين المتحد فى مدة ثلاثين يوما من تاريخ ترتيب هيئـة النظارات أما النصف فى المائة المقتضى اطفاؤه من سندات الدين المتحد بالمشترى فيكون اجراؤه من أول ايرادات ترد من الجهات المرهونة لهذا الدين من بعد سداد قيمة الاثنين ونصف فى المائة الفائض (القسم الثالث فى تسوية مصروفات الحكومة) ـ حيث مصروفات الحكومة وهى ويركو الاستانة ومخصصات الحضرة الخديوية والفاميليا وفوائد سهام قنال السويس وماهيات ومصروفات جميع الاقاليـم والدواوين والمصالح عما فى ذلك فوائد مطلوب بابانو ومطلوب الاوقاف وبيت المال والمكاتب الاهليـة لاتتجاوز عن مبلغ أربعة مليون ليره مصرى وقـد صار اعتبار تلك المصاريف فى سنة ١٨٧٩ بمبلغ ٤٠٧٦١٣٤ ليره استرلينه ومن ابتداء سنة ١٨٨٠ تكون بواقع ٤١٠٢٥٦٤ ليره استرلينه ومندرج ذلك بجدول نمـرة ٦ بحيث انه يمكن اعمال توفـيرات من ذلك من دون أن يحصل منها توقيف فى ادارة الاشـغال وذلك قياسا على ما كان مرتب صرفـه فى سـنة ١٨٧٧ اهـ ولهذه اللائحـة خاتمة تحتوى على الفروقات الظاهرة مابين مشروع المالية ومابين مشروع الجمعيـة ويليها الجداول الستة ومن أراد المراجعة فليراجع مجموعة ديكريتات سنة ١٨٧٩ صحيفة ٧٨ ـ ٨٠

(١) انى بصـفة كونى رئيس الحكومـة ومصر بأرى من الواجب على أن أتبع رأى الامـة وأقوم باداء مايليق بها من جميع الاوجه الشرعية لكنى لما نظرت السير الذى كانت عليه النظارة السابقة حصل لى غاية الاسف من أن ذلك السير كان على غير رضا الملة والاهالى حتى نشأ عنـه اضطراب ونفور سرى فى جميع القلوب وحركها وكانت قبـل ذلك فى غاية الهـدو والسكون وطالما أخبرت النظار ووكلاء الدول ونبهتهم على تلك الملحوظات فـلم يتيقظوا لها ولم يلتفتوا اليها وزيادة عن ذلك فان النتيجة التى حررها النظار الماليـة وأظهر بها ان القطر فى حالة العـدم وأبطـل العمل بمقتضى القوانين المعتبرة وتجارى فيها على الحقوق الثابتة كانت سببا لتغير قلوب الامة ونفورها من هيئـة النظارة كل النفور وحقق لى ذلك المحضر الذى تقـدم لى فى هذا الخصوص فاجابة للعارض على بذلك وبالنظر لثبوته عنـدى قـد وكلتكم بتشكيل هيئـة النظارة بناء على الارادة الصادرة فى ٢٨ أوغسطس سـنة ١٨٧٨ وأن تكون تلك النظارة مشكلة من أعضاء أهليين مصريين يتبعون فى سيرهم الطرق المنصوص عليها فى الارادة المذكورة وأن يحفظوا على مأموريتهم كل التحفظ اذ أنهم مكلفون بالمسؤلية لدى مجلس الامة الذى سيجرى انتخاب أعضائه وتعيين مأموريه بوجـه كاف للقيام بتأدية مايلزم للحالة الداخليـة ومرغوب الامة نفسها وتجتهد النظار قبـل كل شئ فى أن تستعد لاستحضار قوانين مماثلة للقوانين الجارى عليها العمـل فى أوروبا مع مراعاة عوائد الاهالى وأخـلاقهم ومايلزم لهـم وتلتفت أيضا تلك النظارة كل الالتفات لتنفيذ ترتيب المالية الذى رتبه عمد القطر وأعيانه وحصل التصديق عليه منى ولاتتأخر عن اجراء اللازم فى ايجاد مصلحة لتفتيش الايراد والمصرف لانها هى التأمـين اللازم للقطر والمنافع المرهون عليـه ومنصوص عنها فى الارادة الصادرة فى ١٩ نوفمبر سـنة ١٨٧٦ هـذا ولعلمى بحسن إخلاصكم لخدمة الوطن فلا أشك فى أن تستعينوا على تلك المأمورية بالرجال المشهود لهم مثلكم بالامانة والاحترام لدى الجميع لتتم بكم المقاصد المؤدية الى التمدن والعمارية التى أريد ان يقترن بهما اسمى فى ٧ ابريل سنة ١٨٧٩ التوقيع اسماعيل

واوستوريا وايتاليا فأقام الجميع الحجة على ذلك بمحررات أرسلوها الى الحكومة قال ابن دحلان في كتابه المسمى بالفتوحات الاسلامية انه لما ظهر على اسمعيل باشا كثرة ديون أخذها من الدول الاجنبية وأنفقها في غير حقها تشاور أهل الديون على انهم يضبطون خراجات مصر ومحصولاتها لاجل استيفاء ديونهم فلما أحس بذلك أراد أن يجعل له عصبية تمنعهم بها فتداخل مع العلماء وأهل مصر وعقد بينه وبينهم عهودا ومواثيق على أن الامور كلها تكون بيد العلماء والاهالي وعشاورتهم فلما أحس الانكليز والفرنسيس وغيرهما بانعقاد هذه العصبية سعوا في خلعه اهـ وقد لعب الموسيو تريكو (Tricoup) قنصل جنرال فرانسا والمستر فرنك لاسلس (Lasseles) قنصل انكلتره في هذه المسئلة دورا سياسيا مهما ثم طلبا بامر دولتيهما من اسمعيل باشا أن يعتزل الاريكة الخديوية فأبى ذلك كلمة وأخذ يستعد لدفع ذلك بالقوة واجتمعا به قبيل العزل بليلة وأخذا يلحان عليه في التنازل لابنه وولي عهده محمد توفيق باشا فأبى بحجة ان الباب العالي لا يجيزله ذلك فقال له قنصل فرنسا انك قد خالفت الباب العالي في نحو عشرين أمرا فعلام لا تخالفه في هذا الامر أيضا فقال له اسمعيل باشا اذكر لي أمرا واحدا منها إن استطعت أما الموسيو تريكو فخانته ذاكرته حينئذ ووقف صامتا فقال المستر لاسلس أما يجدر بسموكم ان تظهروا شيأ من استقلالكم عن الباب العالي فأجابه قائلا وما الفائدة من هذا الاستقلال اذا كان أول ثمرة من ثماره التنازل عن كل ما بيدى من السلطة فدهش المستر لاسلس من هذا الجواب المفحم ثم استمرا في الالحاح بلين الكلام تارة وقسوته أخرى حتى كاد الامر يفضي الى اشهار الحرب عليه من الدولتين المذكورتين كل ذلك وهو مصمم على الامتناع الا بأمر متبوعه الاعظم ارتكانا على ان الحضرة السلطانية لا تقبل المداخلة من دول أوربا في أعمال مصر الداخلية كما هو القانون الدولي وكانت الدولة العثمانية تخلصت قبل ذلك بمدة يسيرة من حروبها مع الروسيا ومشاكلها الداخلية العديدة التي كانت الروسيا أثارت غبارها قبيل تلك الحرب المشؤمة التي أضاعت منها عدة بلاد من أملاكها بآسيا وأوربا كما هو معروف فلما طلبت منها دولتا انكلتره وفرنسا ازال اسمعيل باشا عن الاريكة الخديوية أرادت في أول الامر حمايته وان كانت في الحقيقة تتمنى ذلك ولكنها لما رأت انضمام باقي الدول الاوروباوية الى الدولتين المذكورتين في هذا الطلب وعلمت ان لا مناص لها من انفصاله والا فصل رغما عنها بتعصب دول أوربا فحفظا لناموسها وسلطتها ومنعا لما عساه أن يطرأ من اتحاد الدول عليها أسرعت وأرسلت أمرا بالتلغراف الى اسمعيل باشا تعلمه بانفصاله عن ولاية مصر وكان ذلك في يوم الخميس الموافق ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ (٢٥ يونيو ١٨٧٩ م) وأمرا آخر الى ابنه محمد توفيق باشا بتوجيه مسند الخديوية اليه

هذا وقد شاع يومئذ بين رجال الحكومة أمر غريب وهو عزم الخديو اسمعيل باشا على ان يتنازل لاحد أنجاله وحرمان أكبرهم ولي عهده كمقتضى الفرمان السلطاني وذلك لاسباب لم يصرحوا بها حتى أشاعوا أيضا بأنه يسعى في الايقاع بولي عهده ولما علم قنصل انكلتره بذلك أخذ كل الاحتياطات اللازمة لحماية المرحوم توفيق باشا من بطش والده ويقال انه في مقابلة ذلك عاهده سرا عند ولايته أن يجتهد في ترويج المصالح البرطانية بالديار المصرية ويقبل مساعدة انكلتره له ويستشيرها في كل المعضلات وغير ذلك مما أشاعوه وقد أخبرت بعض الجرائد الفرنساوية بذلك حتى قال بعضها ان الامير حليم باشا يسعى في نوال مركز الخديوية بمساعدة فرانسا وان الباب العالي

مرتباً لذلك ونشر بعض تلك الجرائد أيضاً صورة معاهدة قال انها التي عقدها الانكليز مع توفيق باشا وهذه الاقوال لم يؤيدها شيء للآن ويقال أيضاً ان قنصلي انكلترة وفرانسا أبلغا اسمعيل باشا على يد شريف باشا بأنه اذا لم يتنازل لاكبر أنجاله صدر الفرمان باسم عبد الحليم باشا فاضطر الى التنازل

محمد توفيق باشا ابن اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا

١٢٩٦ - ١٣٠٩ هـ

الفصل التاسع عشر

أسباب ومقدمات الثورة العرابية والاحتلال البرطاني

لما ورد تلغراف الصدر الاعظم خير الدين باشا التونسي المعلن بانفصال اسمعيل باشا عن الاريكة الخديوية وتولية ولده الاكبر محمد توفيق باشا كانت أحوال البلاد مضطربة بسبب المشاغل الاهلية والمشاغب الدولية والمصائب السياسية الناجمة عن سوء الادارة الماضية التي أحدثت التداخل الاجنبي في أمور البلاد الداخلية بسبب المصاعب المالية التي فصلنا أسبابها ولما كان المرحوم توفيق باشا ممن اتصفوا بالذكاء والفطنة ويعلم جيداً ما وصلت اليه البلاد من الانحطاط بسبب سوء الادارة ومطامع الحكام ويتمنى من صميم فؤاده اصلاح الاحوال ومداواة عللها أخذ ينظر في ذلك نظر الخبير فاطمأنت الخواطر وأخلدت الى الامل بانحسام المشاكل ولما كان يخاف من الدسائس التي كانت ولا شك تعرقل سيره في طريق الاصلاح سهل لجناب والده سبيل الاقامة خارج البلاد فبارح مصر في يوم ١١ رجب من سنة ١٢٩٦ وأخذ معه عائلته وأتباعا عديدين وقدراً وافراً من الاموال التي كان ادخرها لنفسه وكان لوداعه بمحطة السكة الحديدية احتفال جسيم أثر على الحضور تأثيراً حتى أبكى الكثيرين ولما آن سفر القطار تشكر لجمهور الحضور وصافح البعض ثم التفت الى نجله المرحوم توفيق باشا وأوصاه بوصية مؤثرة دالة على قدره وجودة عقله وها هي منقولة عن كتاب مصر للمصريين (لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم أن تكون يا أعز البنين خديوي مصر فاوصيك باخوتك وسائر الآل براً واعلم اني مسافر ووددت لو استطعت قبل ذلك ان أزيل بعض المصاعب التي أخاف أن توجب لك الارتباك على اني واثق بحزمك وعزمك فاتبع رأي ذوي شوراك وكن أسعد حالاً من أبيك) ثم أقلع من ثغر الاسكندرية على يخت المحروسة بقصد مدينة نابل من مدن ايطاليا وأكرم ملك ايطاليا وفادته وأسكنه بقصر بديع من قصوره لما كان بينهما من المودة السابقة وأجرت عليه الحكومة المصرية مرتباً شهرياً يتقاضاه من خزينتها هذا ولما جلس المرحوم توفيق باشا واستلم زمام الاحكام قدمت الوزارة استعفاءها جرياً على القواعد المألوفة في مثل هذا التغيير فقبل الخديوي استعفاءها وشكل وزارة جديدة برياسة المرحوم شريف باشا (١٣ رجب) وكان على نظارتي الداخلية والخارجية وجعل اسمعيل أيوب باشا النظارة المالية وعلى غالب باشا النظارة الحربية ومصطفى فهمي باشا النظارة الاشغال العمومية ومحمود سامي باشا النظارة المعارف والاوقاف ومراد حلمي باشا النظارة الحقانية وبعث للوزارة منشوراً (١) أبان فيه خطته التي يرغب السير عليها فيما يتعلق بسياسته وبما

(١) ان العناية الالهية حلت زمام الحكومة المصرية الى يدنا فضلا منه واحسانا فقد تشرفنا بأمر شريف بذلك من

ينوى عمله من الاصلاحات ففرح الناس والوزراء بذلك وكان أول ما اهتم الوزراء بنظره الديون السائرة قصد تسويتها ونظروا فيما خصص للعائلة الخديوية من المرتبات رغبة فى التوفيق بين ايرادات الحكومة ومصروفاتها فجعلوا للحضرة الخديوية سنويا ١٠٠,٠٠٠ ليرة مصرية ولوالده ٣٠,٠٠٠ ولما رفع اليه القرار بذلك تنازل لوالده عن ٢٠,٠٠٠ ليرة تضم الى مرتبه وألغى ما كان خصص لوالدته وحرمه وقدره ٥٥,٠٠٠ ليرة فأنزلت بذلك مرتبات العائلة الخديوية من ٣٠٠,٠٠٠ ليرة سنويا الى ٢٤٥,٠٠٠ كل ذلك اقتصادا منه لمساعدة المالية بعد ان أنهكها الاسراف وفى أوائل شعبان أصدر أمرا الى ناظر الجهادية بعدان تداول فيه مع الوزراء بصرف عشرة آلاف جندى من الجيش العامل وبذلك صار الجيش يتألف من ١٢,٠٠٠ جندى فقط ومما نظرت فيه الوزارة أيضا ايجاد مصلحة للتاريبع لمساحة أطيان القطر وصدر بذلك أمر عال تاريخه ١٠ اغسطس سنة ١٨٧٩ وبقيت هذه المصلحة الى سنة ١٨٨٠ ثم استبدلت بلجنة تشكلت تحت رئاسة محمد رستم باشا وعضوية كل من محمود بك الفلكى ورسو بك وموسيو كولفن ولغط الناس بخصوص تأخير صدور الفرمان السلطانى سيما وقد صدر بجرائد أوروبا منشور الباب العالى الى الدول الذى بين فيه كيفية تنازل اسمعيل باشا واضطراره لالغاء فرمان سنة ١٨٧٣ مع حفظ ما للبلاد مصر من امتيازات الاستقلال وأوجس أولياء مصر من هذا الامر خيفة ونهضت دول أوربا كعادتها فى كل ما من شأنه الحط من مقام الدولة العثمانية بالاعتراض على ذلك المنشور حتى يروى ان انجلترة وفرنسا صمما اذ ذاك على المناداة باستقلال مصر استقلالا تاما اذا لم يرجع

متبوعى الافخم وسلطانى الاعظم نصره الله فهذه نعمة لا يؤدى شكرها الا بحسن القيام باداء وظائف ذلك المقام وهذا انما يكون بتوفيقه تعالى فعلى السعى والاجتهاد فى تمشية مصالح العباد وادارة أمور الحكومة على محور الاستقامة وانى أعلم أن المقام صعب لكنى بحسن اخلاصى وبما رأيته من حسن القبول من الناس جميعا خصوصا من سكنة الديار المصرية عموما ومن المأمورين كافة أعتقد ان ذلك الصعب يهون ويحصل التيسير * ولعلمى أن الحكومة الخديوية يلزم أن تكون شورية ونظارها مسؤلين فانى اتخذت هذه القاعدة للحكومة مسلكا لا أتحول منه فعلينا تأييد شورى النواب وتوسيع قوانينها لكى يكون لها الاقتدار فى تنقيح القوانين وتصحيح الموازين وغيرها من الامور المتعلقة بها وبحسب مقتضيات الاحوال صار انتخاب هيئة جديدة بمعرفتكم وتحت رياستكم وانى معتقد فى مأمورى الحكومة المصرية الصدق والاستقامة ومؤمل بانهم يسيرون فى المستقبل بالسيرة المرضية ويعرفون أن أعظم الغنى غنى النفس وأعلى الشرف شرف العفة وأغنى الحلى حلية الاستقامة وأقوم الطرق طريق الحق والعدالة فأول ما يجب المبادرة اليه من الامور هو دفع المشكلات المالية التى هى منشأ الصعوبات كلها فيلزم بذل المساعى المقتضية فى المدافعة لايصال الحقوق الى اربابها مع ملاحظة مصاريف الحكومة وهذه المسئلة وان كانت صعبة بسبب المضايقة الحاصلة لكن مأمول حصول التخلص منها باستعمال التدابير الحسنة ولاشك انكم تبذلون فى ذلك جهدكم بالاتحاد مع سائر النظار ويجب علينا اصلاح المحاكم والمجالس لانها هى ملجأ أرباب الحقوق وبها يأخذ الضعيف حقه من القوى وينجو الرشيد من جور القوى ويجب علينا أيضا دوام السعى فى تعميم التربية العمومية لتنوير أذهان الاهالى وتحسين حال المدارس وتنسيق نظامات مفيدة لها على الوجه المرغوب وأيضا يجب الاهتمام بالاشغال العمومية النافعة وتوسيع دائرة الزراعة لانها منبع الغنى فى القطر المصرى وأيضا التجارة مما يلزم الاعتناء بشأنها والسعى فى تكثيرها واعطاء كمال الحرية لها هذا مع الاهتمام باصلاح ما يلزم اصلاحه من أصول الادارة فى جهات الحكومة بأجمعها وأراحة العباد على قدر الامكان فهذه أظنها سبل الرشاد ومناهج العدل والسداد ومسالك تدبير الممالك فى كافة الاقطار فالامل أن تصرفوا هممكم فى رؤية أمور الحكومة متحدى القلوب متفقى الافكار وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح انه ولى التوفيق

في ٣ يوليو ١٨٧٩ ١٨ صحيفة ١٠٢ قسم أول دكريتات

التوقيع

محمد توفيق

الباب العالى عن عزمه من نزع بعض امتيازات مصر ولا يخفى انهما هما وغيرهما من دول أوربا دائبان عاملان فى فصل ممالك الدولة عنها ليتسنى لهما عند الفرصة التهام تلك الممالك بلا معارض وكانت وزارة خير الدين باشا هى المعارضة فى أمر الفرمان والحاصل انه بعد مخابرات طويلة بين الدول والباب العالى واعتزال خير الدين باشا الصدارة العظمى وتوجيهها الى أحمد عارفى باشا صدر الفرمان السلطانى بتولية المرحوم توفيق باشا الخديوية المصرية (١) لكنه حصل به تعديل

(١) الدستور الاكرم والمعظم الخديوى الافخم المحترم نظام العالم وناظم مناظم الامم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديوى مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلا الحامل لنيشاننا الهمايونى المرصع العثمانى ونيشاننا المرصع المجيدى وزيرى سمير المعالى توفيق باشا أدام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله انه لدى وصول توقيعنا الهمايونى الرفيع يكون معلوما لكم انه بناء على انفصال اسمعيل باشا خديوى مصر فى اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ هـ وحسن خدامتكم وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من ان لكم وقوفا ومعلومات تامة فى خصوص الاحوال المصرية وانكم كفؤ لتسوية بعض الاحوال الغير المرضية التى ظهرت بمصر منذ مدة واصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضى المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقا للقاعدة المتخذة بالفرمان العالى الصادر فى ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ هـ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى أكبر الاولاد وحيث انكم أكبر أولاد الباشا المشار اليه فقد وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة أهاليها وسكانها ورفاهيتهم هى من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغوبنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض أحكام الفرمان العلى الشأن المبنى على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائز لها الخديوية المصرية قد نشأت عنها الاحوال المشكلة الحاضرة المعلومة صار تثبيت المواد التى لا يلزم تعديلها فى هذه الامتيازات وتأكيدها وصار تبديل المواد المقتضى تبديلها وتعديلها واصلاحها فاتقرر اجراؤها الآن هو المواد الآتية وهى ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفاؤها باسمنا الشاهانى وحيث ان أهالى مصر أيضا من تبعة دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملزمة بادارة مور المملكة والمالية والعدلية بشرط أن لا يقع فى حقهم أدنى ظلم ولا تعد فى وقت من الاوقات فخديوى مصر يكون مأذونا بوضع النظامات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وأيضا يكون خديوى مصر مأذونا بعقد وتجديد المشارطات مع مأمورى الدول الاجنبية فى خصوص الجمرك والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية لاجل ترقى الحرف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التى بين الحكومة والاجانب أو الاهالى والاجانب مع أمور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل فى معاهدات دولتنا العلية البولوتيقية وفى حقوق متبوعية مصر اليها وانما قبل اعلان الخديوية المشارطات التى تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالى وأيضا يكون حائز التصرفات الكاملة فى أمور المالية لكنه لا يكون مأذونا بعقد استقراض من الآن فصاعدا بوجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقد استقراض بالاتفاق مع المدائنين الحاضرين أو وكلائهم الذين يتعينون رسميا وهذا الاستقراض يكون منحصرا فى تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصوصا بها وحيث ان الامتيازات التى أعطيت الى مصر هى جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التى خصت بها الخديوية وأودعت لديها لا يجوز لاى سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الاراضى المصرية الى الغير مطلقا ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ ألف ليرة عثمانية الذى هو الويركو المقرر دفعه فى كل سنة فى أوانه وكذلك جميع النقود التى تضرب فى مصر تكون باسمنا الشاهانى ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر ألفا لان هذا القدر كاف لحفظ أمنية ايالة مصر الداخلية فى وقت الصلح وانما حيث ان قوة مصر البرية والبحرية هى مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز ان يزاد مقدار العساكر بالصورة التى تستنسب حالة كون دولتنا العلية محاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم ويباح لخديوى مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة أمير الاى والملكية الى الرتبة الثانية ولا يرخص

كطلب الدولة وهذا التعديل كما يظهر لمن يطلع على الفرمانين المذكورين المدرجين باسفل صحائف هذا الجزء ينحصر فى أمرين مهمين هما التصريح للخديو بعقد مشارطات واتفاقيات مع الدول الاجنبية انما يشترط تقديم صورتها قبل اعلانها للباب العالى و بشرط عدم اخلالها بحقوق الدولة السياسية طبيعة كما هو مصرح به فى الفرمانين المذكورين وثانيهما ان لا يؤذن بعد بعقد استقراض بأى وجه من الوجوه الا اذا كان لتسوية أحوال المالية المصرية الحاضرة ليس الا ويكون ذلك بالاتفاق مع المداينين الحاليين أو وكلائهم ثم ورد الفرمان الى مصر فى ٢٦ شعبان سنة ١٢٩٦ (١٤ اغسطس ١٨٧٩ م) يحمله صاحب الدولة على فؤاد بك باشكاتب المابين الهمايونى ويصحبه ابراهام باشا قبو كتخدا مصر فى الاستانة وتلى رسميا بقاعة الغورى بالقلعة كما هى العادة وعملوا له احتفالا اعظم بحضره الامراء والعظماء والذوات والاعيان ونوارد المهنؤن من كل الطبقات وكذا قناصل الدول ثم استعفت وزارة شريف باشا (٣٠ شعبان) فصدر أمر عال بالغاء وظيفة رئيس مجلس النظار وصار الخديو بنفسه هو الذى يرأس المجلس وصار كل وزير مسؤلا عن أعمال نظارته وتقرر أيضا ان كل المسائل المهمة التى كانت تنظر فى مجلس النظار سابقا يعقد لها مجلس مؤلف من رؤساء الادارات التابعة لذلك الناظر للنظر فيها و جعل منصور باشا النظارة الداخلية وعلى حيدر باشا للمالية وذو الفقار باشا للحقانية ومصطفى فهمى باشا للخارجية ومحمد مرعشلى باشا للاشغال العمومية وعثمان رفقى باشا للجهادية والبحرية وعلى ابراهيم باشا للمعارف العمومية الان هذا الترتيب لم تطل مدته لانه بعد قليل استدعى رياض باشا من أوروبا ورفع عند وصوله الى مصر لسمو الخديو لائحة ببيان تنظيم الادارة المصرية كما يراه ولما عرضها على الخديو استحسنها وأصدر له أمرا (٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩) بتشكيل وزارة جديدة تكون تحت رئاسته فصدع بالامر وشكل وزارة صار هو فيها وزير الداخلية بالاصالة وللمالية موقتا وجعل عثمان رفقى باشا للجهادية والبحرية ومصطفى فهمى باشا للخارجية وعلى مبارك باشا للاشغال العمومية وحسين فخرى باشا للحقانية وعلى ابراهيم باشا للمعارف العمومية ومحمود سامى باشا للاوقاف وكان قبل ذلك بسبعة عشر يوما صدر أمر خديوى بتعيين مفتشين يراقبان أمور المالية المصرية أحدهما فرنسوى وهو الموسيو دوبلنيير والآخر انجليزى وهو الماجور بارنج ثم اتفقت الحكومة المصرية ودولتا انجلتره وفرنسا على بدء تفصيلهما بمصر وهما الموسيو مونج والمستر دوارماليت (١٥ نوفمبر) بأن لا يكون للمراقبين المذكورين حق المداخلة فى المصالح الادارية والمالية وصدر أمر عال بتحديد اختصاصاتهما تم صرح لهما فيما بعد بحضور جلسات مجلس النظار وهو امتياز غريب فى بابه اذ جعل لهما الحق فى الاشراف على كل أعمال الحكومة مع أن أعمالهما

لخديوى مصر أن ينشئ سفنا مدرعة الا بعد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالفة الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها قد أصدرنا أمرنا هذا الجليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايونى وهو مرسل بصحبة افتخار الاعالى والاعاظم ومختار الاكابر والافاخم على فؤاد بك باشكاتب المابين الهمايونى ومن أعاظم رجال دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية والمجيدية ذات الشأن والشرف ٩٠ حرر فى تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من هجرة صاحب العزة والشرف اه صحيفة ١٠٤ من مجموعة منشورات ودبكريتات سنة ١٨٧٩

لاتتعدى مراقبة الامور المالية ثم التفت النظار بهمة وعزم فأوجدوا كثيرا من الاصلاحات منها
جعل الاموال الاميرية على أقساط مقررة تدفع فى أوقات معينة من السنة وترقية مرتبات الموظفين
والمستخدمين وزيادة عددهم بحسب مايلائم كل ادارة وتشكيل لجنة علمية للنظر فى أمر التعليم
جعلت تحت رئاسة على باشا ابراهيم ناظر المعارف (٢٧ مايو سنة ١٨٨٠) وأعضاؤها
المرحوم عبد الله فكري باشا ولارميه باشا وسالم سالم باشا ودوربك وروجرس بك وفيدال بك
فاجتمعت مرارا وعدلت فى بروغرامات التدريس ووسعت نطاق التربية والتعليم فى البلاد ثم قدمت
تقريرا بذلك صدقت عليه الحكومة التى جعلت المال المخصص لميزانية المعارف ضعف ما كان
عليه وأبلغت ميزانية نظارة الاشغال العمومية الى ٦٠٠,٠٠٠ ليرة مصرية وجعلتها نظارة مستقلة
وبذلك أمكن النظر فى طرق الرى الذى هو أساس الثروة بالبلاد وانشاء القناطر والترع والجسور
وغير ذلك والحاصل ان البلاد انتعشت بهذه الاصلاحات ودخلت فى دور جديد وتناسى الناس أيام
الشقاء الماضية تقريبا ولما شاهد المرحوم توفيق باشا آثار هذه الاصلاحات طلب لرياض باشا رتبة
المشير بة من الدولة المتبوعة فأجابت طلبه بلا تأخير ولما كان منطوق المادة ٢٣ و ١١ من الامر
العالى الصادر فى ١٨ نوفمبر ١٨٧٦ بخصوص تسوية ديون الحكومة يقضى بتأليف مصلحة
مختلطة للسكك الحديدية وميناء الاسكندرية لان ايراداتها خصصت فيما خصص لسداد الديون
المصرية صدر فى ٢٣ سبتمبر سنة ٧٩ أمر عال بتشكيل الادارة المذكورة وجعل المستر لجر ر
الذى كان قبل مدير السكك الحديدية وميناء الاسكندرية رئيسا لها عوضا عن الجنرال ماريوت
المتوفى وجعل المرحوم على صادق باشا الذى كان مديرا لعموم الجمارك من أعضائها وصدر أمر آخر
فى ٦ يناير سنة ١٨٨٠ بالغاء المقابلة وأوامر أخرى بالغاء كافة الضرائب الدنيئة مثل العوائد
الشخصية ورسوم القبانة والصيارفة ورسوم الارضية التى كانت تؤخذ بالاسواق الريفية والرسوم
المتحصلة من طائفة الغجر ورسوم بيع المواشى بمصر والاسكندرية والسويس وضريبة الاثنين
فى المائة المضاف الى رسوم الاملاك المخصص لماموري تحصيلها ورسوم تسجيل العرائض والضمانات
والرسم المضاف الى رسوم القبانة ورسوم الدلالة ورسم علم الخبر ورسم الدخولية على الاصواف
ورسم تحقيق الاختام ورسم السمسرة ورسم دخولية الاوانى الفخارية ورسم جلود السلخانات
والرسم المتحصل من ايجار ما يبنى فى الاراضى الخراجية والعشورية ورسم قبانة اللحوم ورسم حراسة
القطن بمديرية البحيرة ورسم سراكى الشيالين وأصحاب الكارات فى الاسكندرية ورسم تربية
الاغنام والماعز فى مصر والاسكندرية ورسم ختم دفاتر القبانة ورسم السفن المشحونة رملا من
جهة الرمل الى الاسكندرية ورسم كيل الحبوب بالقليوبية والبحيرة ورسم الغيطان ومبيع
الفخار فى دمياط وغير ذلك من الضرائب التى كانت وجدت فى عهد الخديو السابق اسمعيل باشا لما
ضاقت به الحيل فى جمع النقود وامتنعت أوروبا عن تسليفه اياها فارتاحت الاهالى من أثقال تلك
الجبايات والرسوم التى كانت تؤخذ قرشا قرشا من المحتاجين بعد التعب الشديد لتصرف بلا حساب
وفى غير مواضع شرعية كما تقدم ولما أزيلت هذه الضرائب بل الضربات التمس الوزراء من المرحوم
توفيق باشا أن يتجول فى انحاء القطر جريا على العادة المألوفة عند تولية كل أمير جديد سيما وان الاهالى
كانوا يتمنون رؤيته متجولا ليقوموا له باظهار الولاء والاخلاص على ما منحهم من جليل النعم وخفف

عنهم من النقم فسافر على البواخر النيلية فى يوم ١٠ صفر سنة ١٢٩٧ (٢٢ ينايرسنة ١٨٨٠ م) وقصد الصعيد أولا وزار أكثر بلاده الشهيرة وفعل كذلك بالوجه البحرى وقد قابلته الاهالى جميعا بمزيد السرور وأقاموا الزينات والافراح فى كل مكان مر أو حل به ثم عاد الى القاهرة وفى اليوم الرابع من شهر مايو من السنة المذكورة أصدر قبل سفره هذا بيوم أمرا بابطال أوراق البون المعروف ببون حليم باشا (١) وجعل للامير المذكور فى مقابلة ذلك ١٥،٠٠٠ ليرة مصرية راتبا سنويا

قانون التصفية (٢) - قرر مجلس النظار فى ١١ ينايرمن سنة ١٨٨٠ تشكيل لجنة خصوصية للنظر فى مبادئ أعمال التصفية جعل مرجع أعمالها منحصرا فى ناظر المالية وكاتم أسراره الثانى وكان الخديو وقتئذ رغب ان تكون أعمالها قاصرة على تصفية أموال الزمن الماضى واقامة حد فاصل بين الماضى والحاضر حتى لا تكون حكومته مسؤلة عن شئ مما مضى ولكى لا يذكره التاريخ بانه هو السبب فى اثقال كاهل مصر بتلك الديون التى أضاعت استقلالها كالدين السائر والدين المنتظم فقبلت أوروبا ذلك ولما قدم المفتشان الانجليزى والفرنسوى من أوروبا نظما لائحة لتسوية الدين المنتظم وقدماها للحكومة فى ١٧ ينايرمن سنة ١٨٨٠ (٥ صفر سنة ١٢٩٧ هـ) ثم تخابرا مع الحكومة طويلا لتسوية الديون الاخرى وأخيرا أصدر الخديو أمرا فى ٣١ مارث من سنة ١٨٨٠ بتشكيل لجنة التصفية وبها أعضاء من دول المانيا والنمسا

(١) لما ترك الامير عبد الحليم باشا الديار المصرية باع جميع أملاكه للخديو اسمعيل باشا بحجة كتبت فى ٢٨ ذى القعدة من سنة ١٢٨٢ (١٤ ابريل ١٨٦٦) وفى مقابلة هذا البيع تعهد له الخديو بدفع رأس مال القرض الذى استقرضه الامير المذكور وقدره ٧٠٠،٠٠٠ ليرة انكليزية على شروط دونت فى الحجة المذكورة ثم باع حليم باشا أيضا للخديو المشار اليه جميع أملاكه المنقولة التى علكها فى القطر المصرى بحجة ثانية امضاها كلاهما بالاستانة فى ١٢ ربيع الآخر من سنة ١٢٨٧ (١١ يوليو ١٨٧٠) ذكر فيها ان الخديو والخزينة المصرية بالتضامن يدفعان للامير عبد الحليم باشا كل سنة ٦٠،٠٠٠ ليرة لمدة أربعين سنة متوالية من تاريخ التوقيع على الشروط المذكورة بشرط ان خزينة مصر تسلمه ٨٠ سندا على المالية قيمة كل سند منها ٣٠،٠٠٠ ليرة انكليزية وتكون السندات بلا فائدة ويكون دفع قيمتها فى كل ستة أشهر ولا يكتب عليها اسم صاحبها وتكون كلها على شكل واحد ونوع واحد وانما يقيد عليها مدة الاستحقاق اهـ

(٢) لما قصدت الحكومة المصرية تسوية ديونها وشكلت لجنة التحقيق العليا السابق الكلام عليها وجدت أن مصاريف الحكومة ومصاريف الخديو اسمعيل باشا متداخلة فى بعضها تداخلا لا يمكن معه معرفة الفرق بينهما ولا مقدار المنصرف والمسدد من الايرادات بالضبط الشافى ولذلك قدمت اللجنة المذكورة تقريرا فى ٨ ابريل سنة ١٨٧٩ أوضحت فيه عدم امكانها القيام باداء جميع تقاسيط الديون المنتظمة بأنواعها وعمل تصفية للديون الغير المنتظمة بتمامها فى آن واحد وقالت أيضا انه لاجل امكان توزيع ايرادات الحكومة الجائز التصرف فيها على مدا ينيها بوجه العدل والانصاف يلزم وضع قانون التصفية يكون مرعى الاجراء فى حق جميع أصحاب الديون وأن يكون معتبرا لدى المحاكم المختلطة ولما حصلت المخابرة بين الحكومة ودول المانيا والنمسا والمجر وفرنسا وانكلترة وايطاليا أعلنت فى الحال بقبولها مبدئيا بذلك القانون وحرروا به قرارا متحدا وختموه بالاختام المنقوش عليها العلامات المخصوصة بدولهم فى ٣١ مارث من سنة ١٨٨٠ وأمضى عليه قناصل الدول المذكورة الجنرالية الذين بمصر وأصدر الخديو أمرا بتشكيل قومسيون التصفية لتحقيق الحالة المالية بامرها مصرحا له باستماع ما يبديه له أولوا الشأن وتخصيص ما يمكن تخصيصه من الايرادات لارباب الدين المنتظم والدين السائر مع مراعاة ابقاء التصرف التام للحكومة فى المبالغ الضرورية لتأمين واستدامة سير مصالحها العمومية بالاتفاق مع مجلس النظار والمفتشين العموميين اهـ

وفرنسا وبرطانيه العظمى وايتاليا ورئيسها السير ريفرس ولسون وعينت الحكومة من قبلها بطرس بك غالى (اليوم بطرس باشا ناظر الخارجيه) ولما قبلت الدول المذكورة بالامر الخديوى المذكور شرعت لجنة التصفية فى أعمالها التمهيدية (١٧ ابريل) وحصلت فى خلال ذلك مخابرات بين المفتشين الماليين ولجنة التصفية فيما يجب تقريره بخصوص الدين الممتاز والدين الموحد والتعيينات ومتأخرات كوبونات الموحد والقروض القريبة الآجال وبيان اجمال الدين غير المنتظم ولائحة أخرى متضمنة ديونا متنوعة واستمرت اللجنة تسوى هذه الاعمال وتسن لنفسها قانونا مدة تنيف عن ثلاثة شهور حصل فيها تبادل خواطر وآراء بشأن المالية المصرية وكان لمسئلة المرحوم الامير حليم باشا شأن عظيم بعد ان خصصت له الحكومة المرتب السنوى المذكور وكان الامير طلب الحضور الى مصر ليعرض بنفسه قضيته على اللجنة فأبى الخديو ورجال حكومته ذلك وانتصرت للامير حليم وقتئذ بعض جرائد أوروبا وهى التى كان يمدها بأمواله وقالت كيف يمنع عم الخديو السابق وابن المرحوم محمد على باشا الكبير من المجىء الى بلاده الا ان العالمين بسر المسئلة كانوا يعضدون المرحوم توفيق باشا لان السياسة التى اتبعها الصدر السابق خير الدين باشا فى مسئلة تغيير فرمان سنة ١٨٧٣ م أظهرت نية الدولة نحو الخديو واضطرته الى ترويج سياسة دولتى انكلترة وفرنسا والاعتماد عليهما ثم انه فى يوم ١٠ شعبان من سنة ١٢٩٧ (١١ يوليو سنة ١٨٨٠ م) أتمت لجنة التصفية أعمالها وأنهت قانونها (١) وصدق عليه الجناب الخديو بسراى رأس التين فى يوم ١٧ يوليو المذكور

وقد اعترفت الدول بهذا القانون كسابق وعدها لانه أعظم الضمانات لحفظ حقوق الدائنين من الاجانب وقد احتفلت الامة يوم التصديق على هذا القانون وكان الواجب عليها اظهار الحزن لا الفرح نعم لا ننكر أن بهذا القانون تسوت الديون وقلت فائدتها وانتظمت المالية وغير ذلك الا انه هدم أعظم ركن من استقلالها وزيادة على ذلك فانه لم يرد ضمنه شىء لا بخصوص قرض الروزنامه الاهلى ولا قرض المقابلة ولم يفرض لهما من الفوائد مثل بقية الديون الا النزر اليسير ولما عاد الخديو من الاسكندرية الى القاهرة تظاهر الناس امام سراى عابدين بمظاهر السرور لالغائه كثيرا من الضرائب والرسوم وأرسل المستر ادوارد مالت وكيل انكلترة السياسى الى الارل غرانفيل (Earl Ganville) ناظر خارجية حكومته كتابا أثنى فيه على الاصلاحات التى أتمها الخديو وما أصدره رياض باشا من الاوامر بمنع استعمال الكرباج كآلة لاكراه الفلاح على تسديد الاموال وأبان تحسن حالة الفلاح وانقطاع الظلم وتسديد الضرائب عن طيب نفس واستعداد الاهالى لدفع ما عليهم من الاقساط فى آجالها المقررة ولما كان تكاثر منح الرتب من لدن الجناب الخديو يستلزم زيادة المرتبات كالمتبع فى العسكرية أصدرت نظارة الداخلية أمرا قررت فيه أن الرتب

(١) وهذا القانون يحتوى على خمسة أبواب (الباب الاول) فى الدين المنظم وفيه البنود المختصة بالدين الممتاز وبالدين الموحد والاحكام المشتركة بين الدين الممتاز والدين الموحد وبالسلف القصيرة المواعيد وبوظائف مأمورى صندوق الدين (والباب الثانى) يحتوى على البنود المتعلقة بالدائرة السنية (والباب الثالث) يحتوى على البنود المختصة بالدين السائر (والباب الرابع) يحتوى على البنود المختصة بالمقابلة (والباب الخامس) يحتوى على البنود المختصة بأحكام عمومية وجداول بينت فيها حسابات التسويات

الملكية لا توجب زيادة المرتبات وانما هى للمنعم عليه حلية شرف ودرجة امتياز فقط ولما رأى كثير من العقلاء وأرباب المناصب ان الحكومة انحرفت عن جادتها القويمة وأنها تهاونت كثيرا بحقوق الاهالى وأن النفوذ الاجنبى انبثت عروقه فى كل الادارات فمن تهاونها انها لم تجعل المقابلة التى دفعها الكثير من أرباب الاطيان كبقية الديون فى قانون التصفية مع انها أخذت منهم سلفة كما هو مبين فى لائحتها التى سنها المجلس الخصوصى نددوا عليها وانضم الى هؤلاء المنددين كثير من رجال الامة فساء ذلك رئيس وزارة الوقت المذكور فبث العيون خلف المذكورين لتطالعه بأقوالهم ومجتمعاتهم وبلغه عن لسان أحد هؤلاء العيون ان شاهين كنج باشا جمع جمعية فى حلوان حضرها جمع من الذوات والضباط وأكثر فيها من التنديد بأعمال الحكومة بطريقة مهيجة واتفق ان كتبت فى ديوان المالية عريضة ضد الحالة الراهنة نسبت الى أحد مترجمى المالية وكان من الذين يمقتون ادارة الحكومة وعلى ذلك أخرجت الحكومة من سلك موظفيها بعض من قويت فى حقهم الشبهة وأبعدت آخرين فى مأموريات بعيدة ثم طلبت محاكمة الفريق شاهين باشا فادعى انه حماية ايطاليا ولا تجوز محاكمته الا أمام محاكمها مع ان الحكومة لا تعلم عن هذا الانتماء شيأ قبل هذا الوقت والظاهر ان المرحوم اسمعيل باشا هو الذى سعى له فى ذلك لينجيه من مخالب الحكومة لانه كان من أخلص رجاله فسافر الى أوروبا خوفا من البطش به ولما لم يطلب تذكرة مرور عند سفره ارتكانا على حمايته التى تداخل فى شأنها قنصل ايطاليا عدت الحكومة ذلك منه نفورا وخروجا عن طاعتها وبعد أن تداول مجلس النظار فى الامر صدر أمر خديوى فى ٦ رجب من سنة ١٢٩٧ (١٤ يونيو ١٨٨٠) بتجريد الباشا المذكور من رتبه وألقابه وصفاته الرسمية ومحو اسمه من دفاتر الجيش المصرى وان لا يمكن فيما بعد من العودة الى الديار المصرية وأبلغته الحكومة هذا القرار رسميا وهو على ظهر الباخرة قبل سفره ثم أقام فى نابولى الى ان مات بعد قليل . قالت جريدة الديبا فى عددها الصادر فى شهر يوليو من سنة ١٨٨٠ بعد أن تكلمت عن شاهين باشا كثيرا انه كان من أكبر العاملين على عزل ولسن ودى بلنير فى السنة الماضية وانه سن مشروع المكافحة أوروباوان البندين الاولين من هذا المشروع يقضيان بسد بور تسعيد وترعة السويس وانه بعد مبارحة الخديو اسمعيل باشا الديار المصرية تظاهر شاهين باشا بأنه وكيله فى عقاراته وذلك لنصب الدسائس والمكايد ولما وقف رجال الحكومة على ذلك أظهر أنه ينتمى الى دولة ايطاليا ولما لم تصدقه الحكومة فى قوله ذهب القنصل الى نظارة الخارجية وأخبر مصطفى فهمى باشا بأن ملك ايطاليا قبل شاهين باشا فى تبعة ايطاليا وعلى ذلك لا تجرى عليه أوامر الخديو وانه سيسافر الى نابولى فى أول باخرة تقوم الى ان قالت وهذه أول مرة رضيت فيها دولة بقبول أحد رعايا الدولة العثمانية بلا اعلان حكومته من قبل ومعلوم ان ذلك لا يجوز بناء على القانون الذى أصدره الباب العالى فى سنة ١٨٦٩ وقبلته دول أوروبا اه هذا وقد اشتهر الخديو توفيق باشا بالميل الشديد الى تعضيد المعارف والتربية العمومية والى العمارية والحرية والصلاح فشيد وأصلح عدة جوامع ومساجد وبث بين أبناء البلاد روح الحرية فتألفت قلوبهم نوعا ووجهوا انتباههم الى ما فيه صالحهم ولما لم يرق ذلك فى أعين أرباب الاغراض من الاجانب وغيرهم بثوا بزور الفتن سيما وان الحرية التى منحها الخديو للامة تساعدهم على مرغوبهم وأخذت الاقوال تذاع عن الوزراء والخديو بما لا يرضى الامة وراجت سوق الدسائس واختلط الناس بضباط

الجهادية أكثر من قبل فأوغروا صدورهم حتى أخرجوهم عن حدهم وبسبب ذلك ظهرت الحوادث الشنيعة والفتن المريعة المعروفة بالمسئلة العرابية التى أودت بما بقى لمصر من الاستقلال ومما يجب التنبيه اليه ان الحكومة تصرفت فى تلك الاثناء تصرف رعونة ولو أراد الله وأبعد أهل الدسائس لأمكن ملافاة المسئلة المذكورة من أول ظهورها كما يتضح لك مما يأتى

الحوادث العرابية — اختلف الناس فى أسباب هذه الحوادث فمنهم من نسبها الى يد اجنبية ومنهم من نسبها الى ثورة الخواطر الخفية التى ملأت قلوب الشعب الذى كان يتذمر ايما هو حاصل فدس ذووا الاغراض بذور الدسائس بين أفراد الامة وصاروا يوغرون صدورهم حتى اشتعلت نيران العصبية والغيرة بين أحزابهم فقاموا يطلبون من الحكومة التخلص من ربقة الاجنبى بمساعدة الجيش الذى انضم أكثر ضباطه الى زمرة ما يسمى بالحزب الوطنى قال الفاضل المرحوم على مبارك باشا فى صحيفة ٥٧ من الجزء التاسع من الخطط ما ملخصه وكانت هيئة النظار سائرة فى الطريق الجادة ناشرة ألوية العدل والتسوية بين القوى والضعيف والرفيع والوضيع فاستوجب ذلك اثارة الحقد فى صدور أرباب الاغراض فتقولوا على هذه الهيئة وطعنوا فيها واختلط كثير منهم بضباط العسكرية فأوغروا صدورهم وألقوا فى آذانهم انهم الاحق بتعديل القوانين والتصرف فى الحكومة حيث انهم أهل الوطن وأصحاب القوة وحسنوا لهم ما صنع بعضهم من الثورة السابقة التى لم يعاقبوا عليها فتعصبوا وتمكن منهم الغرور وكان رئيسهم أحمد عرابى (١) أحد أمراء الالايات وقتئذ فاستمال سائرهم وعاقدهم على مضادة الحكومة اﻫ وقال الموسيو هنس ريزنر (Hans Reisener) فى صحيفة ٢٠ من تأليفه ما ملخصه انه ليس من البعيد

(١) أحمد عرابى المشهور رجل بدوى الاصل ولد فى سنة ١٢٤٨ على رواية وفى أخرى أن ولادته كانت سنة ١٢٥٧ فى قرية هرية رزنة من أعمال مديرية الشرقية وهى على ميلين من الزقازيق ولما ترعرع علمه والده مبادئ القراءة والكتابة ثم سلمه الى رجل قبطى يسمى ميخائيل غطاس كان صرافا فى البلد لتمرينه على الكتابة والاعمال الحسابية ومكث معه خمسة أعوام أحسن فيها القراءة والكتابة وبعض الحساب ثم بعثه أبوه الى الجامع الازهر لطلب العلم (١٢٦٥ ﻫ) ومكث فيه أربع سنوات تعلم أثناءها بعض الشئ من اللغة والفقه والتفسير ولما عاد الى بلدته الحق بالعسكرية لما أخذوا أولاد العمد الى العسكرية فى عهد المرحوم سعيد باشا (١٢٧١ ﻫ) ولمعرفته بالقراءة والكتابة والحساب رقى الى درجة بلوك أمين بالاورطة الرابعة من الاى المشاة الاول وعرف فى ذلك الوقت بالشيخ أحمد عرابى لصلاحه وتفقهه فى الدين ثم رقى الى رتبة ملازم (١٢٧٣ ﻫ) والى رتبة يوزباشى (١٢٧٤ ﻫ) والى رتبة صاغ وبكباشى (١٢٧٦ ﻫ) ثم صار قائمقام (١٢٧٧ ﻫ) وبعدها اعتزل الخدمة العسكرية ثم عاد اليها فى أوائل حكم المرحوم اسماعيل باشا (١٢٧٩ ﻫ) واستمر فى الجيش الى أن وقعت بينه وبين المرحوم الفريق خسرو باشا الجركسى خصومة أدت الى محاكمته بمجلس عسكرى حكم عليه فيه بالسجن بضعة أيام الا أنه رفض الحكم وطعن فى أعضائه فامر الخديو عند ذلك بابعاده من الخدمة العسكرية ومن هذا الوقت صار يبغض الجراكسة بغضا شديدا ثم توسط له بعض أصحاب الخير فألحق باشغال دائرة الحلمية وفى وقت وجوده بها اقترن بابنة مرضعة المرحوم الهامى باشا وكانت أخت حرم الخديو المرحوم توفيق باشا من الرضاعة وبذلك توصل لان يعفو الخديو عنه ويرده الى درجته العسكرية بأحد الآلايات (١٢٩٢ ﻫ) ومن هذا الوقت أخذ يجمع كلمة الضباط ويؤلف بين قلوبهم بما كان يظهره لهم من الاسف على حرمانهم وضياع حقوقهم ولما كان على جانب من الفصاحة ومعرفة بالاحاديث النبوية والاقوال المأثورة كانت أقواله تؤثر فى الضباط لانهم أجهل منه بكثير فى هذا الباب ولما ولى المرحوم توفيق باشا الخديوية ترقى المترجم الى رتبة أميرألاى (١٢٩٦ ﻫ) وهى السنة التى قام فيها بحركته المشهورة وفعلته المشئومة

تصورا

تصورا أن يكون عرابى نفسه مأجورا على عمله ولكنه من المحقق الثابت ان انكلترا لولم تساعده لما وصل أبدا الى مثل ذلك النفوذ كما انه من الثابت أيضا انه قد كان لهذا الاخير علاقات سرية مع الباب العالى اهـ وقال أحمد عرابى نفسه فى القسم الاول من تقريره ان الجيش المصرى كان مؤلفا من اثنى عشر ألايا وفى مدة رئاسة عثمان باشا رفقى أريد تقليل الجيش الى ستة ألايات وكان ذلك فى سبتمبر من سنة ١٨٨١ وكان الميل حينئذ الى التعصب الجنسى فى أشد حالة ولذلك كنت ترى ان كل الوظائف والرتب والنياشين والمكافآت تعطى للاجانب الذين هم الشراكسة ثم الاتراك والمتولدون وغيرهم وأما المصريون الحقيقيون فكانوا محرومين من كل هذه المناصب وبالكاد كنت ترى وطنيا متقلدا احدى الرتب والألقاب السامية وعندما ابتدأ ناظر الجهادية فى انتخاب الجيش صار يرفت أغلب المصريين ويولى الشراكسة الذين هم مماليك العائلة الخديوية والمنتسبون اليها وعاوالاتراك أيضا وما كان يعطى أحد المصريين مركزا الا من احتاج اليهم لاتمام العدد فصعب ذلك جدا على الاهالى وأثر بهم أشد التأثير وأضرم نار البغض فى قلوبهم ضد هؤلاء الاجانب المترأسين عليهم وعند ذلك اتى إلى بيتى عدد كثير من الضباط بينما كنت غائبا عن منزلى فى وليمة أحد أصحابى وهو أحمد حجاج فأرسلوا رسولا واستدعونى من الوليمة المذكورة فلما حضرت أظهروا لى ماعندهم من الغضب فأخذت فى اخماد غضبهم وأشرت عليهم أن يقدموا عريضة للحضرة الخديوية يلتمسون بها المساواة وتعيين أحد المصريين ناظر الجهادية اهـ وكان من أكبر أسباب هذه الحركة قانون القرعة العسكرية الذى وضعه عثمان رفقى باشا فى ٢٣ شعبان من سنة ١٢٩٧ هـ (٣١ يوليو ١٨٨٠ م) حيث يؤخذ من فحواه منع الترقى من تحت السلاح اذ تقررت فيه مدة الخدمة العسكرية تحت السلاح بأربع سنوات فقط وهى غير كافية للحصول على معلومات عسكرية تؤهل الى الترقى وانه بعد مضى هذه المدة يتوجه العسكرى الى بلده ويبقى رديفا خمس سنوات واحتياطيا ست سنوات فتذمر من ذلك عرابى ورفقاؤه الذين ترقوا من تحت السلاح ورأوا أن هذا القانون لم يعمل الا نكاية بالوطنيين وحرمانهم من الترقى وبهذه الاقوال وغيرها تمكنوا من استمالة قلوب الكثيرين من الضباط وصف الضباط والعساكر وكانت العداوة بين على فهمى وعبد العال حلمى وأحمد عبد الغفار من أمراء الالايات وبين عثمان رفقى ناظر الجهادية قد اشتدت وكان على فهمى قائدا لالاى الحرس الخديوى فكان الخديو يسأله فى كل ما يتعلق بالاحتفالات العسكرية وغيرها الا ان الخديو لما رأى حرج الموقف أظهر التودد كثيرا لامراء الجيش ليستميلهم اليه وان كان يبغضهم باطنا لما كان يصدر منهم من سيئ الافعال ولما كانت هذه الاعمال منافية للقوانين العسكرية وان أمر الاحتفالات والمناورات لابد وان يؤخذ فيها رأى ناظر الجهادية سيما وان على فهمى وأمثاله كانوا كلما لاحت لهم فرصة عند الخديو أو عند غيره يطعنون على رفقى باشا اشتدت عداوة هذا لضباط الجيش وصار كلما قابل على فهمى أو أمثاله أطال لسانه عليهم بالتعنيف واللوم ثم اجتمع على فهمى وعبد العال وأحمد عبد الغفار عند عرابى ليلا للنظر فى أمر منع تنفيذ قانون القرعة المذكور وفى طريقة الحصول على ما يضمن لهم وللضباط المساواة والترقى فتحالفوا على ان يكونوا كرجل واحد فى تنفيذ ما عزموا عليه وجمع كل منهم ضباط ألايه واعلمهم بما اتفقوا عليه مما هو فى صالحهم وحرضوهم على مناواة الجراكسة بعد ان حلفوهم على السيف والمصحف وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بأن يكونوا يدا

واحدة فى مشروعهم الوطنى والمحافظة على أرواحهم ولما تم ذلك حرر الضباط تقارير وقدموها
الى أمراء الآلايات وبناء على ذلك حرر الامراء المذكورون عريضة وقدموها لمجلس النظار طلبوا
فيها بالنيابة عن جميع الضباط اقالة ناظر الجهادية واستعملوا فى العريضة المذكورة ألفاظا شديدة
فانعقد مجلس النظار تحت رئاسة الخديو وتقرر فيه احالة محاكمتهم على مجلس عسكرى عال وتعهد
ناظر الجهادية بان لا ينجم عن ذلك أقل خطر تخشاه الحكومة ولما انعقد ذلك المجلس بقصر النيل
وحضر فيه الضباط المذكورون كان معهم بعض ضباط الالاى الاول الذى يقوده على بك فهمى
ليكونوا كالعيون يخبرون اخوانهم بما يحصل ولما سجن الامراء الثلاثة ونصب ناظر الجهادية
بدلهم على ألاياتهم أسرع جواسيس عرابى وأخبر واضباط ألايه بما حصل فهاجوا وماجوا
وقام محمد عبيد افندى البكباشى مستصحبا جنود الالاى وهجم على ديوان الجهادية بقصر النيل
فهرب أرباب المجلس ومن جملتهم عثمان رفقى باشا وكسر العساكر الزجاج والنوافذ وأتلفوا
الثريات وأخرجوا الميرألايات من السجن وعادوا بهم الى قشلاق عابدين واجتمعت الالايات الثلاثة
فى ميدان عابدين والتمس عرابى من الخديو العفو عنه وعن رفيقيه وارجاعهم الى ألاياتهم كما كانوا
وعزل عثمان رفقى باشا عن نظارة الجهادية فقبل الخديو ذلك وأصدر أمرا فى ٧ ربيع أول من
١٢٩٨ (٦ فبراير ١٨٨١ م) باستبدال عثمان رفقى بمحمود سامى باشا المعروف
بالبارودى مع بقاء نظارة الاوقاف على عهدته وكتب عرابى الى قنصلى انكلتره وفرانسا يتظلم من
تصرف الحكومة فورد عليه الجواب من قنصل فرانسا (Baron de Ring) البارون
دى رنك يمدحه على ثبات عزيمته ويشجعه فى سلوكه فعد الناس ذلك من القنصل تحريضا الى عرابى
واستغرب العقلاء من عرابى ذلك لانه كان يشكى من وطأة الاجانب ولما اعترضت الحكومة
مطامعه تظلم الى الاجانب وقال عرابى فى تقريره ماملخصه وكتبت كيفية المسئلة تماما لحضرة
قنصلى انكلتره وفرنسا وبقية وكلاء الدول الفخام بما جرى والتمست منهم التبصر فى أمرنا والمساعدة
اللازمة فى مثل هذه الظروف ولما تداخل السر ماليت صدر أمر الخديو بالمساواة الى ان قال
وتمثلت بين يدى الخديو فأمرنى كما أمر على فهمى أن أذهب الى كل من قناصل دولتى انكلتره
وفرنسا وانناظهر لهما كوننا متكفلين وضامنين للراحة العمومية والمحافظة على الاوروباويين
وعلى أموالهم فتوجهت امتثالا الامر مع أخى المذكور وأوضحت لهما أن لا يقلقا أصلا اﻫ
وبعد ان سكنت حادثة قصر النيل المذكورة تولى الميرألايات الثلاثة الخوف فأكثروا من التحفظ
على أنفسهم من بطش الحكومة حتى صار كل من أراد منهم الانصراف الى بيته يستصحب معه حرسا
من ألايه وخصصوا بعض الضباط يطالعونهم فى السر بما يقال عنهم أو يدبر لهم من المكايد وصاروا
يعقدون مجالس سرية ليلا فى منزل عرابى ويقررون بينهم مايقصدون فعله ومن ذلك انهم اقترحوا
على نظارة الجهادية ثمانية أمور وهى صرف نقود بدل التعيينات التى كانت تؤخذ من شون الجهادية
لاجل شرائها بمعرفتهم من الخارج (الثانى) عدم استقطاع مرتبات الضباط والعساكر فى مدة
الاجازات التى تعطى لهم اذا لم تتجاوز الثلاثين يوما واذا تجاوزت هذه المدة يستقطع نصفها فقط
(الثالث) أن يؤخذ من الضباط والعساكر نصف أجرة فى السكة الحديدية سواء كان معهم تذاكر
رسمية أولم يكن (الرابع) ابطال ورشة الخياطين وصرف أثمان الملابس نقدا ليصير ابتياعها

من

من الخارج بمعرفة الالايات (الخامس) ارجاع أحمد بك عبد الغفار الى منصبه (هو قائمقام سوارى وكان عثمان رفقى باشا قد طرده من الخدمة بسبب مشاجرة حدثت بينه وبين أحمد خلوصى بك الميرألاى) (السادس) عدم جواز الترقى العسكرية من قبل الخديو ومالم يسن لذلك قانون مخصوص يجرى العمل على مقتضاه (السابع) زيادة مرتبات جميع الضباط والعساكر وكان هذا الطلب بمقتضى عرائض كتب صورها عرابى وأرسلها الى جميع الالايات ليوقع عليها الضباط وتقدم بمعرفتهم للحكومة (الثامن) سن قانون يشمل حالة الترقى والتقاعد والمكافآت والاجازات وتسوية حالة الاستيداع فقبل الخديو هذه الطلبات جميعها وأصدر أمراً فى ٢٠ ابريل من سنة ١٨٨١ م بزيادة مرتبات الضباط والعساكر البرية والبحرية وأمراً آخر بتشكيل قومسيون عسكرى للنظر فيما يلزم ادخاله بالجيش من التعديلات والنظامات والقوانين (١) وشرع هذا القومسيون بعدل فى النظامات والقوانين العسكرية ارضاء لخاطر الحزب العسكرى من جهة ولان بعض هاته الطلبات كان عادلا من الجهة الاخرى وفى تلك الاثناء أخذت شوكة عرابى فى الازدياد ونفذت كلمته فى الجيش بعمومه ثم تجاوزته الى الكثير من العمد والاعيان والعلماء بما كان ينشره بينهم من القول بانقاذ الوطن مما حل به من الدمار والبوار وغير ذلك من الاقوال التى تجذب القلوب وتنقاد لها الضمائر كرها سيما وان ما رأته الامة من تداخل الاجانب فى أعمالها وتصرف بعض العمال المصريين تصرفا ينافى الذمة والوطنية كان أيقظ لديها حب الاستقلال بالامر والسير فى جادة العدل والصدق الا ان ما تظاهر به بعض الناس من المظاهر القبيحة والطيش كحب الانتقام وجر المنفعة الشخصية والسير مع الاهواء النفسانية كل ذلك أغضب قسما كبيرا من عقلاء الامة حتى صاروا يكرهون الحزب العسكرى ويتمنون خذلانه ويعملون على تشتيته كما ستقف على بعض ذلك فيما يأتى وكان عرابى يطلب من محازبيه أن يساعدوه على انفاذ مقاصده وكان يطعن على أعمال وزارة رياض باشا التى كانت وقتئذ ويرميها بامور منكرة ولذا كان يسعى فى اسقاطها فلما شاع الخبر استدعى الخديو اليه عرابى ومحمود سامى وسألهما عن الخبر فانكراه فلم يلح عليهما فى طلب البيان الحقيق اجتنابا للشر وقيل وقتئذ ان الخديو كان ميالا فى السر الى ابعاد رياض باشا عن الوزارة ولكن لما رأى ان الحزب العسكرى خرج عن الحد وأخل بالنظام العسكرى كان غير راض عن الحالة خصوصا وانه بينما كان فى مصيفه بثغر الاسكندرية حصل ان صدمت عربة أحد تجارها الوطنيين عسكريا فأماتته فحمله رفقاؤه من العسكر الى الجناب الخديوى والتمسوا منه النظر فى أمره ولما كان ما فعلوه تجمهرا قبيحا وكان الواجب عليهم مراجعة ضباطهم فى ذلك أمر بمحاكمتهم فى مجلس عسكرى لخروجهم عن حد القانون ولما حوكموا ورأى المجلس وجوب عقابهم تداخل فى الامر عبد العال حلمى بك أميرالالاى السودانى وألزم محمود سامى باشا ناظر الجهادية أن يشكو الى الخديو من قساوة الحكم فتكدر الخديو من ذلك وعلم ان محمود سامى باشا

(١) وكان أعضاء هذا القومسيون أفلاطون باشا واستون باشا والجنرال فولد سميث ومحمد مرعشلى باشا وراشد حسنى باشا واسمعيل كامل باشا ولارمى باشا وبلوتس باشا وخالد باشا ومحمد رضا باشا ومحمد كامل باشا ودو برنار دى بك ومحمد شوقى بك وأحمد عرابى بك وحسن مظهر بك ومحمد خلوصى بك وعبد الرحمن سليم بك وسليمن يسرى بك وفرهاد بك ومحمد نسيم بك

متحد مع الحزب العسكري ففصله عن نظارة الجهادية قال عرابي في تقريره ما ملخصه وكنا نظن ان ذلك العفو حقيق واذا ببذر الشقاق والعداوة والفتنة التي في أرض القلوب وذلك ان يوسف كمال بك وكيل دائرة الخديو أوعز الى بعض جاويشية الالاى من السودانيين بمخالفة ضباطهم ثم قام ابراهيم أغا وأمر فرج بك الزيني أن يقوى العساكر على قتل ضباطهم فقبضوا عليه وأحضروه الى الالاى فوجدوا معه ورقة من ابراهيم أغا مختومة بخاتمه يقول فيها انها صادرة بناء على أمر الخديو وقد اطلع على ذلك محمود سامي باشا ونظرت القضية بمجلس عسكري وحكم على فرج بك بانزاله الى رتبة بكباشي ثم صدر أمر الخديو بارساله برتبه الى مصوع ثم قام بعده علي لبيب وسليم صائب واجتهدا في اجراء الاعمال ذاتها وانكشف أمرهما فحكم عليهما وأرسلا الى السودان ولما طال الامر أمر محمود سامي باشا أن يقدم استعفاءه فقدمه اه ولما استقال محمود سامي تعين مكانه داود باشا يكن في ١٩ رمضان من سنة ١٢٩٨ وأصدر داود باشا منشورا وزع على الالايات بمنع اجتماع الضباط في المنازل والتفرغ الى مباشرة الاعمال العسكرية وان كل من تكلم منهم مع آخر في الامور السياسية سجن بالقلعة وكان داود باشا يتفقد انفاذ هذه الاوامر بنفسه لحرج الحالة وبث عبد القادر باشا مأمور ضبطية القاهرة العيون على منازل رؤساء الحزب العسكري لمنع اجتماعهم فوقع الرعب في قلوبهم حتى صاروا لا يتركون الايالتهم والذهاب الى بيوتهم وبعد عودة الخديو من الاسكندرية أصدرت الجهادية أمرا بنقل ألاي القلعة وأميره ابراهيم بك حيدر الى الاسكندرية مكان الاي حسين بك مظهر فاضطرب الحزب العسكري لهذا الامر وأشاع كذبا بأن القصد من هذا النقل هو اغراق عساكر ألاي ابراهيم بك بالنيل عند كفر الزيات وتجهز عرابي لعمل مظاهرة أخرى بالجيش وأرسل الى الخديو ونظارة الجهادية في ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ يقول بأن العساكر ستأتي الى سراي عابدين ليطلبوا مطاليبهم من الحضرة الخديوية وكتب لقناصل الدول يعلمهم بذلك وان لا يخافوا على رعاياهم البتة وان كل شيء سيتم بالهدء لان الغاية شريفة يقصد بها طلب تحرير البلاد واصلاح أحوالها واجتهد الخديو في منع ذلك وبذل النصائح لكافة ضباط الالايات ليوقف انفاذ ما عزم عليه عرابي فلم يجد ذلك نفعا بل اجتمعت عساكر الالايات في ميدان عابدين تحت قيادة عرابي في يوم الجمعة الموافق ١٥ شوال من سنة ١٢٩٨ وانضم اليهم الاي علي فهمي وكان أقسم للخديو قبل ذلك انه سيدافع من داخل السراي عند مسيس الحاجة واجتمع خلق لا يحصون حول العساكر واضطربت المدينة ثم أشرف الخديو على الجيش من سلاملك السراي وطلب عرابي فتقدم امامه وهو شاهر سيفه وحوله أركان حربه فأمره الخديو باغماد سيفه والترجل عن ظهر جواده ففعل وسأله الخديو عن أسباب حضوره بالجيش فقال لنوال طلبات عادلة فسأله الخديو ما هذه الطلبات فقال اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام فقال له الخديو ان هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية وبينما الخديو يتحادث معه بذلك أشار القناصل عليه بالدخول داخل السراي خوفا مما عساه أن يحدث عن تلك المخاطبة وكان القناصل والوزراء وكثير من الذوات داخل السراي وصار السير أوكلن كولفن (AuéklondColvin) المراقب العمومي في المالية وقنصل انكلترة باسكندرية المستر كوكسون (Chas. A. Cookson) وقنصل النمسا

رسلا بين الخديو وعرابى وأخيرا قال قنصل الانكليز لعرابى ان ما طلبته هو من خصائص مولاك وطلب تشكيل مجلس النواب من متعلقات الامة فقال له عرابى انى نائب عن الامة فى تنفيذ الطلبات بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم من أولادها واخوتها فهم القوة التى ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالمنفعة والصلاح وقال أيضا انا لا نتنازل عن هذه الطلبات ولا نبرح من هذا المكان ما لم تنفذ وبعد كلام طويل نصح القنصل الموما اليه الخديو بأن يجيب مطالب عرابى فأجابها فانصرفت العساكر وكلف الخديو شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فتوقف أولا ثم ألح عليه الاعيان ورجال العسكرية فقبلها على شرط ان تتعهد رؤساء الحزب العسكرى بالامتثال للاوامر فتعهدوا له بذلك وتشكلت الوزارة (١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١) وصار شريف باشا رئيسا لمجلس النظار وناظرا للداخلية ومصطفى فهمى باشا للخارجية وحيدر باشا للمالية واسمعيل أيوب باشا للاشغال العمومية ومحمود سامى باشا للجهادية والبحرية وقدرى باشا للحقانية ومحمد زكى باشا للمعارف والاوقاف وجعل بطرس غالى بك باشكاتبا لمجلس النظار وبقى خليل باشا يكن وكيلا للداخلية وبلوم باشا وكيلا للمالية وتكران بك باشكاتبا لنظارة الخارجية وتعين حسين بك واصف باشكاتبا لنظارة الحقانية وبقى روسو بك مديرا لعموم الاشغال بنظارة الاشغال وأفلاطون باشا وكيلا للجهادية ثم صدرت الاوامر الخديوية فى ٢٢ سبتمبر من سنة ١٨٨١ بالتصديق على القوانين العسكرية الجديدة الخمسة وهى قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية وقانون تسوية حالة الضباط المستودعين وقانون معاشات الجهادية البرية والبحرية وقانون القواعد الاساسية وقانون الضمائم والامتيازات والاعانات العسكرية وكان من أول اعمال وزارة شريف باشا انها سنت قانونا جديدا لمجلس النواب ولما تم وصدق عليه الخديو وصدر الامر بانتخاب النواب فشرع فى انتخابهم بالمدن والقرى على الصفة المذكورة فى القانون الصادر فى ٢١ رجب من سنة ١٢٨٣ وعزلت الحكومة ارضاء للحزب العسكرى بعض الموظفين منهم عبد القادر حلمى باشا مأمور ضبطية مصر واستبدلته بأحمد باشا الدرملى وتعين عمر لطفى باشا محافظا للاسكندرية وكان المرحوم شريف باشا رأى أن من الضرورى لتهدئة الافكار ابعاد رؤساء الحزب العسكرى عن العاصمة فأوعز الى عرابى بالذهاب مع ألايه الى رأس الوادى من أعمال الشرقية والى عبد العال بالذهاب مع الايه السودانى الى دمياط فامتثلا وسافروا وأجريت لهما عند سفرهما بمحطة مصر احتفالات عظيمة لم يسبق لها مثيل وخطب عبد الله نديم أفندى وحسن الشمسى أفندى وغيرهما خطبا حضا فيها العسكرية وعموم الاهالى على التمسك بعروة الاتحاد والمحافظة على شرف البلاد وكان بعضهم ينثر الازهار على العساكر ويفرق عليهم أنواع الحلوى وقام الناس أيضا بالمحطات بمظاهرات احتفالية هذا

وقد كانت الدولة العثمانية صاحبة السيادة فى كل هذا الوقت ساكتة حتى كأن ما هو حاصل حاصل ببلاد لا يهمها أمرها فلم يكن لها علم فيما نعرف بالحوادث الحاصلة بمصر الا بما يرد اليها من القاهرة من التلغرافات الملفق غالبها ولما انتبهت أفكار رجالها لذلك تداخلت تداخلا فعليا وأرسلت وفدا برئاسة حضرة المشير على نظامى باشا ومن ياورات الحضرة السلطانية وكان وصوله فى يوم عشرة اكتوبر من سنة ١٨٨١ م وقابلت الحضرة الخديوية هذا الوفد بالاكرام الا أنهم لم يطلعوه على حقيقة ما هو حاصل لمقاصد خفية ولذلك بقيت النتيجة من ارساله عقيمة سيما وان الحركات العسكرية

كانت أخذت فى السكون وقتها و بلغ رئيس الوفد الخديو سرور مولانا السلطان بما بذله من الهمة فى حفظ الامن واقرار الراحة وزار أعضاء الوفد بعض الدواوين وكذا الالاى الثانى وأميره طلبه بك عصمت فى قصر النيل و بعد أن أقيمت للوفد الولائم الفاخرة ومتع أعضاؤه انظارهم ببعض المناظر البهجة عاد الى الاستانة مجبور الخاطر وقال عرابى فى تقريره بينما كانت الاحوال جارية كما ذكر أرسل السلطان الوفد العثمانى تحت رياسة على باشا نظامى لكى يبحث فى الاحوال والمظالم التى كانت جارية فى مصر وقبل وصول الوفد المذكور بيومين صدر أمر بذهاب الالاى حكمداريتى الى التل الكبير والالاى الذى تحت حكمدارية عبد العال بك الى دمياط وذلك بقصد ابعادنا وعدم اطلاعنا على حقيقة الاحوال ولما وصل على باشا نظامى وأراد اصلاح الاحوال رفض ذلك حضرة الخديو مدعيا أن الطلبات التى طلبتها الجهادية هى موافقة وعادلة وهو قد منحها برضاه وأظهر أيضا سروره قائلا ان العسكرية فى غاية الطاعة اهـ وبعد سفر الوفد أصدر الخديو أمرا فى ٢٦ محرم سنة ١٢٩٩ (١٨ ديسمبر سنة ١٨٨١) بتعيين محمد سلطان باشا رئيسا لمجلس شورى النواب فاجتمعت أعضاؤه وفتحه الخديو بنفسه باحتفال وألقى على أعضائه خطابا كان له أشد التأثير ووضع شريف باشا لهذا المجلس قانونا جديدا جعل فيه للنواب حق النظر فى القوانين والمصروفات العمومية وأنه لا ينفذ قانون ولا يوضع نظام مالم يقر عليه المجلس ثم صرفت وزارة شريف باشا العناية فى تنظيم كثير من الامور ومنها المعارف العمومية لاحتياج البلاد الى نشرها احتياجا لا ينكر فشكلت لها مجلسا عاليا جعلت أعضاءه من أصحاب الاطلاع الواسع وهم اسمعيل أيوب باشا وقدرى باشا وحسين فهمى باشا ومحمود بك الفلكى وعلى بك فهمى ومنها مسئلة موظفى الحكومة وترقياتهم وشكلت للنظر فى ذلك لجنة عهدت اليها بتحضير قانون لذلك ثم التفتت الى أمر المحاكم الاهلية وكانت من أشد ما تحتاجه البلاد لكمال نظامها ووضعت لذلك لائحة صدر بانفاذها أمر عال فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٨١ وكان الخديو أرسل قبل هذا التاريخ بيومين من طرفه ثابت باشا ليقدم بالنيابة عنه فرائض الشكر لمتبوعه الاعظم على اثر عودة على نظامى باشا واعلم أنه بالنسبة لحركة الافكار فى ذلك الوقت خرجت بعض الجرائد عن الدائرة الضيقة التى رسمتها لها الحكومة فى قانونها فالغت جريدتى الحجاز واجبت أى مصر الفرنسوية بسبب أن الاولى طعنت فى الاجانب والثانية خرجت عن حد الآداب التحريرية فى التعبير عن الحضرة النبوية ومن الحوادث أيضا أن تولى المرحوم الشيخ الانبابى مشيخة الجامع الازهر بدل المرحوم الشيخ العباسى وكان ذلك فى ١٩ محرم سنة ١٢٩٩ (١١ دسمبر ١٨٨١ م) وتعين عرابى باشا وكيلا لنظارة الجهادية ارضاء للعسكرية بدلا عن أفلاطون باشا هذا وأما لجنة شورى النواب التى تعينت لمراجعة قانون مجلس النواب الاساسى فانها أقرت على أكثر بنوده الا ما تعلق منها بميزانية الحكومة فان اللجنة رأت ان للمجلس تمام الحق فى مراجعتها والاعتراض عليها عند اللزوم ولذلك ردت القانون لمجلس النظار الذين أرادوا أن يغيروا بعض ملاحظات النواب أما النواب فلم يقبلوا وأصروا على مطالبهم وهنا لعب أصحاب الاغراض ومن تابعهم من جهلة المصريين ومغفليهم أدوارا مهمة فكانوا يوعزون الى النواب والحزب العسكرى سرا بالمقاومة والى بعض النظار بعدم التسليم ثم أعاد النظار القانون الى النواب وأصحبوه بكتاب جاء فيه ان قنصلى فرنسا وانكلترة يريان ان لا حق لمجلس

النواب

النواب فى طلب تقرير الميزانية ولكنهما مع ذلك يقبلان المخابرة فى هذا الشأن بشرط ان يتم الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنود القانون المذكور فرفض مجلس النواب تداخل الدولتين وله الحق فى ذلك ولكن غاب عن النواب انهم فى مصر وأن قانون التصفية الذى اعتبر كأنه وفاق بين الحكومة المصرية والدول يمنع أن يمس أى شئ يتعلق بأمر المالية من الفصول المقررة لتسوية الديون العمومية وأرسل مجلس النواب من طرفه لجنة مؤلفة من ١٥ عضوا الى الخديو تطلب انفاذ ما قرروا واستعفاء الوزارة فمرت فى طريقها على منزل شريف باشا وطلبت منه جوابا نهائيا فأبى فذهبت الى الخديو وسألته مطلوبها فوعدها الى الصباح وانصرفت وفد بعدها شريف باشا على الخديو مع قنصلى فرنسا وانكلترة وقال انه مصر على رأيه فلا يوافق على تحويرات النواب وقدم استعفاءه فاستدعى الخديو لجنة النواب وكلفها بأن تختار رئيسا للوزارة فامتنعت بأن حق اختيار رئيس النظار هو للحضرة الخديوية دون غيره فالح عليهم فى ذلك قصدا ان يحسم باختيارهم كل خلاف فأبوا ثم استدعاهم فى اليوم الثانى وأخبرهم بأن اختياره وقع على محمود سامى باشا فأظهروا ارتياحهم واستحسانهم فاستدعاه وقلده الرئاسة فى ١٣ ربيع أول ١٢٩٩ ﻫ (٢ فبراير ١٨٨٢ م) وجعل أيضا على نظارة الداخلية وصار أحمد عرابى ناظر الجهادية والبحرية وعلى صادق باشا للمالية ومصطفى فهمى باشا للخارجية والحقانية وعبد الله فكرى باشا المعارف وحسن باشا الشريعى للاوقاف ومحمود فهمى باشا للاشغال وفى عهد هذه الوزارة حدثت أكبر الملاحم وأشهر الوقائع بتاريخ مصر الحديث بل بتاريخ العالم الاسلامى أجمع اذ حدث من أفعال رجالها الذين من الحزب العسكرى هذا الانقلاب الجسيم الذى أودى بما بقى للبلاد من الاستقلال نسأل الله حسن العاقبة وكتب عرابى رسميا بذلك الى الفروع والجيش (١) ونشر نشرة غير رسمية عليهم أيضا (٢)

ولما كانت دولة بريتانيا العظمى تنظر من القديم الى الديار المصرية بنظر الاهمية لكونها

(١) لله الحمد قد نلنا بعونه المراد ووصلنا الى نقطة بها حفظت البلاد وأمنت من غوائل كل معاند مضاد وأعتقت العباد من ربقة الاستعباد وتذللت المصاعب وما ذلك الا بصدق عزيمتكم ووثيق ارتباطكم ومتين اتحادكم ودوام تحببكم وائتلافكم وقد وليت الآن نظارتكم كما كنتم تتمنون وقبلتها على ما تعلمون من شاق المتاعب والاوصاب اعتمادا على حول الله وقوته وثقة بحسن اخلاصكم وطهارة طويتكم وأغوامكم ونيتكم لاتمام النجاح بملازمة ما جبلتم عليه من السكينة وحسن الاستقامة والمحافظة على صدق الاخاء ومنابذة العدوان والشقاق بان يكون الواحد هو الكل والكل هو الواحد وتمسكوا بقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وبقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ننظر للكبير منا نظر الولد لوالده وللصغير منا نظر الوالد لولده متعاضدين على اتمام الاصلاح معضدين للحضرة الخديوية الفخيمة بالوثوق الوطيد والحب الاكيد واغتنموا رضائى بحسن المعاشرة بينكم وزملائكم حتى لا يكون لحاسد عليكم من حجة يشوه بها وجه صفائكم واستجلبوا سرورى بتذكركم قول النبى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام لاصحابه لا يشاك أحدكم بشوكة الا واجد ألمها وانى وان كنت متحققا ذلك منكم الا أننى لتأكيد الطمأنينة قد أصدرت هذا لسعادتكم حتى من بعد تلاوته وتفهيمه لعموم ضباطان وعساكر البحرية توكيل سعادتكم أؤمل اتباع الاجراء بمقتضاه ١٧ را سنة ١٢٩٩ غير رسمى

(٢) حيث ان مسند نظارتى الجهادية والبحرية الجليلتين قد أحيل على مهد تنامن طرف حضرة الجناب الخديوى المعظم بارادة سنية موشحة بتاريخ ١٥ را سنة ١٢٩٩ نمرة ١١ فاعتقادى ووثوقى بمساعدة حضرتكم وحضرات

طريق هندها ومستعمراتها الآسيوية استخدمت سياستها من تاريخ فتحها البلاد الهندية في منع كل تعد من الخارج على هذه الديار حتى إنها اتحدت مع الدولة العثمانية على حرب نابليون بونابارت عندما استولى على القطر المصري وأخرجته منه عنوة في سنة ١٨٠١ م كما سعت كثيرا في عرقلة المساعي لمنع فتح قنال السويس لان رجالها وكبار سواسها كانوا يعلمون أن فتحه يجلب على ديار مصر المصاعب السياسية والمشاغب الدولية ويقع بسببه الخلاف بين عموم الدول التي لها مستعمرات في المقاطعات الآسيوية حتى صرح كثيرون منهم بتلك المصاعب وأظهر والمعالم جهرا بأنه اذا فتح القنال المذكور اضطرت انجلترة الى اتخاذ المركز الاول لها في مصر للمحافظة على تجارتها ومستعمراتها فقال هنري جون تمبل لورد بلمرستون (Palmerston) المتظاهر بمحبة الدولة العلية العثمانية في البرلمان الانكليزي قبل الشروع في فتح القنال انه اذا وصل البحر الابيض بالبحر الاحمر بواسطة قنال السويس اضطرت انجلترة الى امتلاك مصر وكتب جس اندرو براون رامسي لورد دالهوسي (Dalhousie) والى الهند في تقريره عن سنة ١٨٥٥ ان فتح قنال السويس لا يمكن أن يؤجل الى ما لا نهاية ولذلك لا يتسنى لانكلترة ان تضمن حفظ سيادتها التجارية في العالم الا اذا حازت مركزا قويا في مصر ليكون بذلك قنال السويس تحت سلطتها وغير ذلك من الاقوال التي جعلت انكلترة من يوم فتح القنال تراقب حركات الديار المصرية مراقبة تامة وتخشى أن يمسها يد التعدي من احدى الدول الاجنبية فأوجدت من عظماء رجالها السياسيين عددا كبيرا في المراكز المصرية من يوم قيام المشكلة المالية واتفقت مع دولة فرنسا صاحبة المصالح الكثيرة بمصر على التداخل في الشؤن المصرية لضمانة تلك الصوالح والمحافظة على مركز الخديوية حتى لا يمسه سوء من أي وجه كان كما سبق ولذلك لما ظهرت الحركة العرابية اضطرت أن تحافظ على ذلك المركز من تعديات القائمين بتلك الحركة واتفقتا على ذلك ولو باستعمال القوة ومع ذلك فقد صرحت جرائد انكلترة وقتئذ وفي مقدمتها جريدة الاستاندرد الصادرة في أول سبتمبر سنة ١٨٨١ عن سياسة انكلترة في مصر فقالت ان مصر هي مهمة لنا غاية الاهمية لانها أحسن وأقصر طريق يوصل الى الهند ولا نسمح لاية دولة من الدول الكبرى أن تستولي على مصر استيلاء حربيا فاننا نفضل مكافحتها على الرضا بهذا ومع اننا اعتبرنا مصالح الدول الاخرى اعتبارا مقدسا مادامت هذه المصالح لم تضر بسلامة مملكتنا الحاضرة أو المستقبلة وعلى هذا المبدإ وعلى هذه السياسة أشركنا فرنسا معنا في ادارة مالية مصر ولكن لا يصح أن نشركها معنا في حكم مصر بالقوة الحربية اذا اقتضت الحال وجود القوة العسكرية نعم اننا لا نعارض في وجود عساكر السلطان المعظم فيها ولكن اذا رضي أي وزير انكليزي بحضور جيش فرنسوي مع جيش انكليزي كان هذا خطأ فاحشا يضر ببلادنا ضررا بليغا اهـ ثم لما اشتدت الحركة قامت دولتا فرنسا وانكلترة وأرسلتا اللائحة (١) على

الضباط والصف ضباط والعساكر في القيام بواجبات هذه النظارة مع الاستمرار في تمشية أحكامها على المحور اللائق الموافق لنص أحكام القوانين العسكرية فمجرأني على قبول هذا المسند الجليل حالة كوني عالما بما أنتم عليه من وثوق حضرة الجناب الخديوي بنا ولهذا الزم تحريره لحضرتكم اخطارا بما ذكر ولكي يصير اعلانه على كافة ضباطان وعساكر الالاي ادارة بحضرتكم وفقنا الله واياكم لما فيه الخير والصلاح والنجاح افندم ١٦ رمضان

(١) اللائحة المقدمة من قنصلي فرانسا وانكلترة الى الخديو توفيق باشا في يوم الاحد ٢ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ وهي بصفة خطاب من الوزارة الخارجية الى القنصل الجنرال بمصر

يد قنصليهما الى الجناب الخديو برغبة دولتيهما فى مساعدته ومساعدة حكومته للتغلب على المصاعب المتنوعة التى تزيد الارتباك والقلق فى القطر المصرى وان الدولتين على وفاق واتحاد تام فيما يتعلق بمصر وغير ذلك من التصريحات التى لما اطلع عليها الباب العالى كتب ناظر خارجيته مصطفى عاصم باشا الى سفراء الدولة فى عواصم أوروبا بان يبلغوا وزراء خارجياتها اعتراض الدولة على لائحتى الدولتين فرنسا وانكلتره (١) وبان تداخلهما يعد تعديا على سيادة السلطنة العثمانية التى تعارض فى

حضرة القنصل الجنرال كلفنا كم غير مرة أن تخبروا الجناب الخديو وحكومته عن رغبة حكومتى فرانسا وانكلتره فى مساعدته ومساعدة حكومته للتغلب على المصاعب المتنوعة التى تزيد الارتباك والقلق فى القطر المصرى فان الدولتين على وفاق وطيد واتحاد تام فيما يتعلق بمصر لاسيما بعد حدوث الحوادث الاخيرة أخصها صدور الامر الخديوى بجمع مجلس شورى النواب مما أوجب المخابرة بين الدولتين واعادة النظر فى شؤن اتفاقهما المذكور وبناء على ذلك نرجوكم أن تصرحوا الآن للجناب الخديو أن حكومتى فرنسا وانكلتره تريان وجوب تأييد جنابه فى الخديوية وفقا للاحكام المقررة فى الفرمانات السلطانية التى قبلتها الدولتان قبولا رسميا اعتبارا انها وحدها تكفل الآن وبعد الآن استمرار السلم والسكون وتوجب توسيع نطاق الثروة والعمارة فى البلاد المصرية مما فيه مصلحة الحكومتين المذكورتين المتفقتين على الاشتراك فى السعى الى دفع كل ما من شأنه أن يحدث فى مصر ارتباكا أو يخل بنظامها وأحوالها سواء كان هذا الخلل وهذا الارتباك ناشئين من أسباب خارجية أو داخلية ولا ريب عندنا ان هذا التصريح العلنى المبين لمقاصد الحكومتين يمنع حدوث ما عساه يطرأ على حكومة الجناب الخديو من الاخطار وان حدث فالحكومتان لا تترددان فى دفعه ولا تحجمان عن صده وفى أمل الدولتين ان الجناب الخديو يعرف كنه المعرفة ما فى هذا التصريح فتتحقق له الثقة والقوة اللتان لا بد له منهما لادارة أمور القطر المصرى محل التوقيع

(١) لائحة مصطفى عاصم باشا وزير الخارجية الى سفراء الدولة العلية لدى الدول العظيمة احتجاجا على اللائحة المذكورة — يا حضرة السفير لا يخفى عليكم ان قنصلى انكلتره وفرنسا الجنرالين بمصر قد أبلغا أخيرا الى حكومة الحضرة الخديوية معلومات على نسق واحد وذلك طبق الأوامر التى وصلت اليهما من دولتيهما فتصرف القنصلين المومى اليهما مع وجود الفرمانات السلطانية التى أرسلها الباب العالى فيما يتعلق بأحوال مصر والافادات التى أبلغتها أخيرا المأمورية العلية الى الخديو يدل على ان التأمينات التى صرحت بها الدولة العلية السلطانية غير مرة لم تقدر حق قدرها ولهذا السبب لا يمكننا ان نخفى التأثر الاليم الذى شعرنا به من هذا الامر فبناء عليه رأينا انه لا بد لنا من ان نعرض على عدالة الدولة البريطانية الحقانية بعض معارضات فى هذا الامر فنقول ان غاية متمنى الدولة العلية السلطانية بالاخلاص هو انه تؤكد دائما المنح والامتيازات التى خصت بها مصر وبهذه الواسطة راغبة فى راحة تلك البلاد وامنيتها ونجاحها فان جميع مساعينا متوجهة لهذه الغاية ونحن معتقدون انه من المستحيل أن يكون قد ظهر أدنى علامات مادية أو معنوية تدل على عكس ما ذكرناه فالذى بعث على التبليغات المتقدم ذكرها من الدولتين المشار اليهما عن بعض أحوال مصر الخفيفة هو من متعلقاتها الداخلية ولا شئ يدل على ان هذا الفعل الاجماعى الذى أبداه القنصلان المذكوران لدى حضرة خديو مصر جرى على وجه الانصاف وخصوصا ان مصر هى قطعة من الممالك التى فى حوزة الحضرة العلية السلطانية التى فوضت السلطة فى مصر الى الخديو لغاية أن يحافظ على الامنية وعلى الراحة العمومية وعلى حسن ادارة البلاد والحاصل ان الحقوق لتقوية سيادة الخديو لهذه الغاية هى من خصائص الباب العالى وحقوقه ووظائفه أيضا ولو فرضنا انه لزم اجراء فعل كالذى فعله القنصلان المذكوران لكان يلزم قبل كل شئ مشاورة الدولة التى لها السيادة على تلك المملكة وان تتحدى الدولتان بحصر خطابه على هذا الوجه لا غير وبناء على ذلك نعتقد انا محقون فى ان نعتبر فعل الدولتين المذكورتين لدى الخديو رأسا لا يخلو من شائبة ما فاذا اضطر الباب العالى الى أن يبحث عن السبب الذى أغرى الدولة البريطانية ودولة فرنسا بأن تأتيا أمرا تحسبه الدولة العلية السلطانية تعديا على حقوق سيادة الحضرة السلطانية على مصر وقد أرسلنا أيضا هذه الملاحظات الى سفير الدولة العلية بباريس فالمرجو

هذا التداخل وان المحافظة على سعادة القطر وراحته هي من حقوق الباب العالى وحده وغير ذلك من الاعتراضات وقد أخذت المخابرات من يومئذ بين الباب العالى والدول فى مسئلة مصر المذكورة دورا عظيما

وبعد ذلك قدم سفراء المانيا والروسيا وأوستريا وايطاليا الى مصطفى عاصم باشا ناظر الخارجية لائحة صرحوا فيها باسم دولهم انها تروم ابقاء الاحوال المؤسسة الآن بمصر على أصول التسويات الاوروباوية وعلى أصول فرمانات السلاطين العظام ومن رأيها ان الاحوال المؤسسة المذكورة لا يمكن تعديلها الا باتفاق بين الدول العظام والدولة العلية التى لها السيادة على مصر وبناء على ذلك حصلت عدة مذاكرات بين أعضاء البرلمان البريطانى صرح فيها المستر غلادستون رئيس الوزراء فى جوابه عن سؤال السير استافورد هنرى نورثكوت (Stafford Northcote) رئيس حزب الشمال فى يوم ٨ فبراير سنة ١٨٨٢ قائلا ان مداخلة انكلتره وفرانسا فى أحوال مصر هى مداخلة سياسية وحقوقية يعنى فيما يتعلق بالاحوال المالية والمحاكم المختلطة وهو أمر سائغ لهما منذ عهد قديم غير أن من الواجب علينا مراعاة بقية الدول فى ذلك فانهم غير مستثنين من مصالح مصر وعلى هذا فان دولة الملكة لم تر ان أعمال المانيا والروسيا وأوستريا وايطاليا فى تقديمهم لائحة الى الدولة العلية من الامور التى تجاوزوا فيها حقوقهم الثابتة أو مرادهم منه احداث عوائق وانى أعتقد بسبب هذه الاحوال المرتبكة جدا ان الجميع يرتاحون لابقاء التعهدات المبرمة بين مصر والدول وهى التى قبلها الباب العالى وبموجبها فرض لانكلتره وفرنسا فى مصر بعض وظائف تؤمننا على وجود حكومة مرضية فيها اهـ

هذا ولما وجهت رئاسة النظار الى محمود سامى باشا البارودى وتعين عرابى باشا ناظرا للجهادية فرح أغلب أهالى القطر وأوفدوا من المديريات وبعض المدن الوفود الى الجناب الخديو لتقديم شكرهم وسرورهم من هذا التعيين وحدثت عدة مظاهرات سرورية أما الاوربيون فظنوا ان جعل عرابى باشا ناظرا للجهادية هو للايقاع بهم وخلق الاضطرابات فلذلك استولى عليهم الخوف والفزع الشديد وأخذ أغلبهم فى مهاجرة القطر المصرى قال المرحوم محمود فهمى باشا وكان ناظرا للاشغال العمومية فى الوزارة المذكورة فى تاريخه البحر الزاخر ولما استلم عرابى مسند نظارة الحربية والبحرية سعى فى ترقية كثيرين من رفقائه الضباط وقرر قانون الضمائم والمعاشات بطريقة جمعت القلوب على ولائه وجبر الخديو توفيق باشا على ترقية نحو من أربعمائة لم يراع فى ذلك قانونا ومن الذين رقاهم الى رتبة اللواء عبد العال وعلى فهمى وطلبه عصمت وخرق حرمة القانون العسكرى الذى جبر شريف باشا الخديو على التصديق عليه ومع كونه فى نظارة الجهادية فانه كان يتداخل فى جميع أشغال الحكومة حتى تلفت ادارة الدواوين وفى مدته فقدت النظامات والقوانين من العسكرية وصار لا طاعة لاحد لمن فوقه من العساكر والضباط ورفت من ديوان الجهادية من شاء وأبقى من شاء واستبد بحركاته وسكناته وكل من كان له مظلمة من الناس فى النواحى القبلية

من سعادتكم والحالة هذه ان تذاكروا فى هذا المعنى ناظر الخارجية وتبسطوا له هذا الامر على ما ترونه مناسبا للمقام وتبينوا له انا محقون فى أن نطلب منه ايضاحات وتأمينات تخرج الدولة العلية السلطانية من المقام الصعب التى قامت فيه الآن بسبب ما حدث أخيرا فى مصر ٩٨ التوقيع

والجهات

والجهات بفد على عرابى بهداياه ليقضى له أشغاله ويبلغه نواياه وكذا فى القاهرة تواردت على منزله الستات والهوانم ليؤدّوا الى حمانه الهدايا والمغارم لقضاء أشغالهم وجبر حالهم حتى امتلأ بيته بالهدايا والنقود وكان ولم يزل يدعى الفقر وامتلأ بيته من أهل المنامات وكثر الدجل وضرب الرمل اه ثم فى أول مارث سنة ١٨٨٢ استعفى الموسيو دوبلنير ودعى الى فرنسا العدم سرور وزرائها من مسلكه فتعين بدله الموسيو بريديف (Léon Brédif) مراقبا عموميا وكانت وزارة محمود سامى باشا وضعت لائحة لمجلس شورى النواب فصدق عليها المجلس وصدر أمر الخديو بتنفيذها فى ٦ جمادى الاولى من سنة ١٢٩٩ هـ (٢٥ مارث ١٨٨٢م) ففرح الاهالى بذلك وأقاموا احتفالات عمومية واشتركت فيها معهم العسكرية وخض فيها خطباء ذلك الوقت وفى مقدمتهم عبد الله نديم أفندى الناس على الطاعة والائتلاف وغير ذلك ولما صفا الوقت للعسكرية تعدى الاراذل منهم على كثير من أهل الشرف والناموس وكل من اعترض على أفعالهم فتذمر الناس سرا من ذلك ولم يبق واحد على اعلان استيائه وكل من تفوه بذلك انذر أو ألقى فى السجن ثم انفض مجلس النواب بحضور النظار وكانت الاعمال التى قررها فى التئامه منحصرة فى تقرير قانونه الاساسى ولائحته الداخلية ولائحة الانتخاب وتوزيع الضرائب وربط التقاسيط على آجال ملائمة لزمن الحصول ووضع نظام الرى ولما مثل أعضاؤه بين يدى الخديو أعطى كلا منهم الامر المؤذن بتعيينه عضوا لمدة خمس سنوات ولما كانت الاختصاصات التى حصل عليها النواب بالقانون الجديد تمنع مداخلة فرنسا وانجلتره فى كثير من أمور البلاد وتغل يدى قنصليهما عن العبث بأحوالها كما أرادوا قدم قنصلاهما الى الحكومة الخديوية لائحة يعارضان فيها اختصاص مجلس النواب بتقرير الميزانية وطلبا أن تكون الواردات المخصصة لوفاء الدين خارجة عن اختصاص المجلس ووافقت بقية الدول على هذه اللائحة وكانت دولة المانيا فى أثناء هذه الحوادث متفقة رأيا مع النمسا والروسيا وايطاليا وورد فى صحيفة ١٣٠ من الكتاب الازرق لعام سنة ١٨٨٢ ان الكونت مونستر (Münster) سفير المانيا فى لوندره صرح الى الارل غرانفيل (Earl Granville) ناظر خارجية بريتانيا فى ٣ مايو بأن البرنس بسمارك (Bismark) يرى بقاء حالة مصر على ما كانت عليه بقدر الامكان واذا اقتضت الضرورة أى تداخل فتداخل الدولة العثمانية أكثر قبولا لدى الدول وزيادة على ذلك فان البرنس بسمارك لا يود أن يسمع باحتلال انكليزى أو فرنسوى أو مشترك إذ أن ذلك فى اعتقاده يؤدى الى صعوبات بين فرانسا وانكلتره اه ولكن يظهر أن هذا التصريح لم يكن يرضى انجلتره لانها تسعى من زمن فى احتلال القطر المصرى خوفا عليه من أن يسقط فى يد دولة تهابها كما تقدم ولذلك باح مكاتب التيمس البرلينى فى تلك الاثناء فى العدد الصادر فى أوائل ابريل سنة ١٨٨١ بالاقوال السرية التى قالها البرنس بسمرك وهى أنه عند انعقاد مؤتمر برلين طلب البرنس بسمارك من الموسيو وادنجتون (Waddington) أن تستولى فرنسا على تونس وقال أيضا ان البرنس بسمرك عندما رأى دزرائيلى لورد بيكنسفيلد (Beaconsfield) قال له ان الاتفاق مع الروسيا أولى من معاكستها فالاحسن ان تتركها تفعل ما يبدو لها فى الاستانة وأما أنتم فتستولون على مصر فى مقابلة رضاكم بهذا ولا يظن ان فرنسا تغتاظ من ذلك كما يتوهم فانها فى مقابلة ذلك تستولى على تونس أو سوريا وقال مكاتب التيمس أيضا وكنت أظن أن هذا الكلام

لايعتد به غيران البرنس بسمارك أعاد اللورد سالسبورى والموسيو وادنجتون ولكن لم يجبه اللورد سالسبورى بشئ ما لانه لم تكن للبرنس بسمارك وقتئذ معلومية بمعاهدة قبرس التى عقدتها انكلتره مع الدولة العلية (١٨٧٨ م) أما الموسيو وادنجتون فأجابه قائلا انه ليس لفرنسا غاية فى تونس وانها لاتسمح لاية دولة بالتمكن منها او الضرر بها ملا كما فى الجزائر اه وبعد ذلك بزمن قليل ظهرت مسئلة الضباط الجراكسة فكانت المثيرة للخطوب والمشاكل التى وقعت بالديار المصرية كما يظهر لك من ذكرها فيما يأتى

لايخفى ان الترقيات التى أجراها عرابى فى الجيش كانت على غير قانون ولم يتبع فيها العدل لانه فضلا عن كونه أحرم الضباط الجراكسة من الترقى فانه أمر بالحاق الكثير منهم فى الالاى السودانى الذى تشكل لتقوية جيش السودان والمستعد للسفر لمحاربة المهدى الذى أخذت شوكته وقتئذ تتقوى على الحكومة فى تلك الاطراف فتغيرت خواطر أولئك الضباط وأيقنوا بالشر وبلغ عرابى أنهم تكلموا فيه بما لايليق وعزموا على تقديم شكوى فى حقه أونصب مكيدة له فأمر بالقبض عليهم حتى بلغ عدد المقبوض عليهم ٤٢ ومن جملتهم عثمان رفقى باشا ناظر الجهادية السابق وألقى الكل فى السجن بقشلاق عابدين مهانين مهددين قال عرابى فى تقريره ما ملخصه ولما دعى راشد افندى أنور للاتحاد معهم رفض لكونه رجلا حراذكيا فأتى حالا وأخبر طلبة باشا الذى كان جاريا فكتب طلبة الى الجهادية والى محمود سامى باشا رئيس النظار والى الخديو وأيضا جرت محاكمة هؤلاء الشراكسة اه ولما حوكموا فى المجلس العسكرى الذى عقد تحت رئاسة راشد حسنى باشا الفريق صدر عليهم الحكم جميعا بالنفى الى أقاصى السودان ورفع الى الخديو للتصديق عليه ولما كان هذا الحكم شديدا لانه كالحكم بالاعدام تداول الخديو فى أمره مع وكلاء دولتى انكلتره وفرنسا ثم استبدل الحكم المذكور بابعادهم من القطر المصرى الان مجلس النظار أصر على تنفيذ الحكم الاول فوقع الخلاف بين النظار والخديو وصدر من رئيس النظار فى مخاطبته مع الخديو بهذا الخصوص كلام خرج فيه عن حدود الادب والحشمة فتغير خاطر الخديو منه أما رئيس النظار فانه جمع زملاءه وبعد ان تداولوا فى الامر طويلا أقروا على طلب انعقاد مجلس النواب بغير اذن من الخديو (فى ١٢ مايو سنة ١٨٨٢) ليعرضوا المسئلة عليه وعقد النظار مجلسهم فى ذلك اليوم وحضره بعض النواب وكان معهم رئيسهم سلطان باشا وبعد المداولة توجه سلطان باشا مع بعض النواب الى الخديو وسألوه اجابة طلب النظار فأبى فانصرفوا وقصد سلطان باشا قنصلى انكلتره وفرنسا وأطلعهما على ما حصل ثم أعاد النظار اجتماعهم ثانية وأقروا على الاستعفاء ولكنهم توقفوا ليعلموا من يكون مسؤلا عما يحدث لانهم تكفلوا بحفظ الراحة وأوفد النواب لجنة منهم الى الخديو تسأله صرف المشكلة باستعفاء رئيس النظار وابقاء باقى الوزراء فقبل الخديو وكلف مصطفى فهمى باشا بقبول الرئاسة فامتنع ولذلك عادت المسئلة الى صعوبتها الاولى واشتد الاضطراب وطلب الموسيو دوفريسينه (DeFreycinet) رئيس وزارة فرنسا من الحكومة البرطانية أن يرسل الدولتان الى المياه المصرية أساطيلهما للمحافظة على حقوقهما فقبلت انجلتره وأصدرت الاوامر الى أساطيلها بالاستعداد للسفر الى ثغر الاسكندرية ولما كانت دولة انكلتره تخشى كثيرا مداخلة فرنسا فى المسئلة المصرية مداخلة تخشى عواقبها أصدرت أمرها الى قنصلها بتسوية

الخلاف

الخلاف تسوية ودية فقابل قنصلا فرنسا وانكلترة الخديو ونصحاه بالاتفاق مع نظاره فقبل وانفرجت الازمة وساد السلام فى الظاهر أياما ونفى الضباط المذكورون الى سوريا ومن هنالك ذهبوا الى القسطنطينية وعاد النظار الى دواوينهم كما كانوا وأرسلت الحكومة منشورا الى المحافظات والمديريات بزوال الخلاف قال الموسيو هنس دزترفى كتابه عن المسئلة المصرية ولكن لم ينشرح صدر الموسيو فرسينيه من هذا الحل ولا من خطة وكيل فرنسا فى مصر كما يتضح من التلغراف الذى بعثه اليه فى ١٦ مايو وأبلغه أيضا لحكومة انكلترة اﻫ (١) ثم تقابل قنصل انكلترة وفرنسا بالخديو وأبلغاه خبر قدوم الاساطيل الى اسكندرية (١٩ مايو ١٨٨٢ م) وكانت الاساطيل الانكليزية تحت قيادة الويس أميرال بيشمب سيمور (T. Beauchamp Seymour) والفرنسوية تحت قيادة الكونتر أميرال كونراد (Conrad) وبعد ذلك أتت أيضا عدة سفائن حربية لدول من أوربا للمحافظة على رعاياهم وفى تلك الاثناء أرسل الباب العالى الى الدول منشورا طلب منها فيه اعادة أساطيلها من القطر المصرى وانه سيرسل الى مصر وفدا مؤلفا من بعض رجال الدولة وان حكومة جلالة السلطان ترى انه اذا اقتضت الضرورة انزال عساكر الى مصر فلا ينزل اليها الا العساكر الشاهانية ولا حاجة لمساعدة الجيش الفرنسوى أو الانكليزى وأوعزت حكومة انكلترة الى سفيرها فى الاستانة بأن يخبر الباب العالى أن مقصدها من ارسال الاساطيل حفظ حالة مصر على ماهى عليه ليس الا وانه اذا تسرعت تركيا الى العمل منفردة فان عملها يضر بالحالة الحاضرة فى مصر ثم طلبت انكلترة وفرنسا على الخصوص من الباب العالى أن يرجع عن أى تداخل بالقوة وقالتا ان ارجاع أسطوليهما لايتم الا بعد ان تعود الى مصر راحتها ويستتب فيها النظام وبعد وصول الاساطيل أخذ عرابى يهيئ أسباب الدفاع ويقوى الاستحكامات وفى أثناء ذلك نشر السير ادوارد مالت منشورا على قناصل حكومته فى القطر المصرى يخبرهم فيه بما كان ويبين لهم السياسة التى يجب عليهم اتباعها وان وصول السفن ليس فيه مايوجب تكدير الاهالى فان قدومها انما هو بطريق المسالمة وبصفة ودية وحذا حذوه فى ذلك قنصل فرنسا وبعد أيام قدم قنصل فرنسا وانجلترة بلاغا نهائيا الى الجناب الخديو يطلبان فيه اسقاط نظارة محمود سامى باشا وخروج عرابى باشا من القطر المصرى مع حفظ رتبه ومرتباته ونياشينه وأن يقيم عبد العال حلمى باشا وعلى فهمى باشا فى الارياف بجهات لايخرجون منها وابقاء مرتباتهما ونياشينهما أما النظار فانهم أبوا القبول وقالوا انه لاعلاقة للدول الاوربية بهذا وان شئتما شيأ فليتخابرن مع الدولة العلية صاحبة السيادة على مصر وأظهروا الاستعداد للمقاومة قال عرابى فى تقريره ان اللائحة كانت بناء على رأى ارتآه سلطان باشا غير جازم به كما صرح بذلك غير مرة الى ان قال وعدم قبولها فى مجلس النظار لا لاجل حفظ وظائفنا ولكن حرصا على حقوق البلاد التى فوضت لعهدتنا وأمانتنا وأما جناب الخديو

(١) أخشى ان الصلح الذى تم لا يؤدى الى نتائج مستمرة وكنت أفضل ان ينتهز الخديو فرصة وجود الدوننمة فيستعمل سلطته ويسقط النظارة ويشكل هيئة حكومة جديدة ممن يثق هو بهم كشريف باشا مثلا وكنت أود صدور عفو عام عن القواد وأمراء الالايات الذين لهم يد فى هذه الحوادث مع بقاء رتبهم بشرط أن لا يعينوا فى وظائف وكان يجب تلافى المسئلة بمثل هذا التدبير الذى ان نجح كان به حسم المشكل ولكن هل فى الامكان حصوله بعد ان وقع ماوقع أرجو ان تفيدونى تلغرافيا عن قبولكم هذا الرأى من عدمه وتعرفنى الاسباب التى دعتكم الى تعضيد الاتفاق الحالى بدون عرضه على اﻫ نقلا عن الكتاب الازرق الباب السابع صحيفة ٢٢١ سنة ١٨٨٢

فقد قبلها ولما كانت هذه المسئلة من المعضلات واختلف فيها بين الخديو والنظار عقد على ذلك جلسة بديوان النظارة وتقرر فيها طلب أعضاء مجلس النواب للنظر فيما اختلف فيه وتسوية المسئلة بوجه مرضى اه وبذلك انقطعت المخابرات بين القناصل جميعا والوزراء وقطع المراقبات المستر كولفن والموسيو بريديف علائقهما مع النظار وسعى سلطان باشا رئيس مجلس شورى النواب في تخفيف شرائط البلاغ ملافاة للامر فقبل القنصلان وامتنعت الوزارة محتجة على لائحة الدولتين فكلف الخديو محمد شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فتوقف تجاه قنصل فرنسا وأطلعه على تلغراف ورد اليه من الموسيو فرسينيه يقول فيه انه يأمل أن يقبل شريف باشا رئاسة الوزارة وانه يعضده بكل جهده فاشترط شريف باشا لقبوله أن يقبل عمر لطفي باشا محافظ اسكندرية يومئذ نظارة الجهادية وأن تنفذ الجهادية لائحة الدولتين فسئل عمر باشا فأبى معتذرا واصر الحزب العسكرى على رفض اللائحة وأعلن انه لا يقبل الاعرابى ناظر الجهادية وانه اذا مضت اثنتا عشرة ساعة ولم يرجع الى منصبه لا يكون مسؤلا عما يحدث فزاد الارتباك والخوف وأصر شريف باشا على عدم قبول تشكيل الوزارة فاضطر الخديو أن يعيد عرابى كما كان (١) وقال عرابى فى تقريره انه فى صباح ليلة استعفاء النظار حضر لمنزلى حضرات قناصل جنرالية دولة الروسيا والنمسا والمانيا وايتاليا وكلفونى بأن أعطيهم كلمتى بحفظ الاوروباويين جميعهم وأموالهم القاطنين فى القطر المصرى فاعتذرت لهم بأنى استعفيت من الخدمة فلم يقبلوا عذرى بل أجابونى بأنهم يثقون بقولى وان جميع المصريين يطلبون كفالتك للاوروبيين فانهم يحترمونهم غاية الاحترام فلوثوقى بان رجال العسكرية لا يفعلون شيأ يخل بشرفهم العسكرى وان الاهالى يكرمون نزلاءهم فاعطيت حضراتهم كلمتى بحفظ جميع الاوربيين القاطنين بالقطر المصرى وحفظ أموالهم كما أحافظ على نفسى وعلى أولادى ومالى لحين تشكيل هيئة حكومة فانصرفوا مطمئنين اه قال المرحوم محمود فهمى فى الجزء الاول من البحر الزاخر وفى هذه الوقت طلب عرابى ثلاثة أشياء (أولها) إعادة بلاغ الدولتين وانسحاب أسطوليهما من مياه الاسكندرية (ثانيها) وضع قانون أساسى مبين فيه حدود كل من الخديو ووزرائه (ثالثها) قطع المخابرات والعلاقات مباشرة مع الدولتين ومع عموم الدول إلا بواسطة الباب العالى ومن كثرة إلحاح ماليت قنصل انكلترة على الحكومة الانكليزية وحثها وتحريضها فى هذا الوقت المناسب خابره المستر غلادستون رئيس الوزارة الانكليزية سرا وقال له لا يمكن التداخل فى هذه المسئلة إلا إذا قامت جماعة الجهادية وظهر قيامهم للدول إذ يكون هذا الوقت هو وقت الدخول وإجراء العمل حسبما ترغبونه ثم صرح غلادستون فى مجلس اللوردات أن دولته لا بد لها من تأييد كلمة الخديو توفيق باشا بالنسبة لما أظهره فى حق الدولة البريطانية من الصداقة والاخلاص اه

هذا وطلب سفيرا انجلترة وفرانسا فى الاستانة من الباب العالى أن يتداخل فى مصر باسم

(١) صورة الارادة السنية التى صدرت باعادة عرابى باشا ولو أنكم استعفيتم ضمن هيئة النظار التى استعفت لكن مراعاة لحفظ الراحة والامنية استصوبت بقاء كم على نظارة الجهادية والبحرية وأصدرنا أمرنا هذا لكم لتعلموه وتبادروا باجراء ما فيه انتظام أحوال العسكرية بالطريقة الكافلة لحفظ الامنية العمومية على الوجه المرغوب كما هو مقتضى ارادتنا اه من الوقائع المصرية

اوروبا

أوربا تداخلا غير مطلق بل معين الحدود وأن يأمر عرابى وسائر زعماء الحزب العسكرى بالذهاب الى الاستانة ويظهر من هذه القيود ان الدولتين كانتا لا ترغبان فى مداخلة الدولة العثمانية فى مصر حقيقة أما طلبهما ذلك فهو لينفيا عنهما الممانعة فى التعرض للدولة صاحبة السيادة من المداخلة فى بلاد تابعة لها حدث بها ما يخل بالراحة وليقفا أيضا على استعداد الدولة لذلك والا لو كانتا ترغبان حقيقة مداخلتها لما اشترطتا عليها هذه الشروط الثقيلة سيما وان استقلال مصر الداخلى مؤيد بالفرمانات السلطانية ومصادق عليه من دول أوربا كما هو معلوم وانها بانفرادها لا يمكنها مقاومة أوربا مجتمعة مهما كانت عليه من القوة ولكن قاتل الله الاطماع والشره أما بقية دول أوربا فكانت مترددة فى تأييد سياسة فرنسا وانجلتره ولذلك طلبت عقد مؤتمر فى الاستانة للنظر فى أمر مصر فوافقتها انجلتره وفرنسا اللتان أعلنتا انهما لا يطلبان الا ابقاء العلم العثمانى فى القطر المصرى وبعد مداولات ومخابرات طويلة صمم الباب العالى على التداخل بماله من الحقوق التى لا تنكر وأرسل المشير مصطفى درويش باشا معتمدا سياسيا وكان بمعيته السيد أحمد أسعد افندى وقدرى بك وغيرهما وقال عرابى فى تقريره عن ذلك ما ملخصه وبتفقده اى درويش باشا أحوال العسكرية تحقق له ان العسكرية محافظة على الطاعة والانتظام وبناء على ذلك طلب من الحضرة السلطانية نحو مائتى نشان لضباط الجيش مكافأة لهم وطلب لى أيضا النشان المجيدى من الطبقة الاولى اه وقال أيضا ان ثابت باشا الذى أرسل الى الاستانة فى شهر نوفبر سنة ١٨٨١ ليغير أفكار رجال الدولة من جهة العساكر المصرية توصل الى تغيير أفكار الذات السلطانية فأشيع فى دوائر الاستانة ان العساكر المصرية خرجت عن الطاعة وانهم يريدون تشكيل دولة عربية وانى متفق مع الانكليز على ذلك فكثر اللغط واذا بحضرة الشريف السيد أحمد أسعد وكيل الفراشة الشريفة بالمدينة حضر الى مصر فأرفقته بعريضة تبرأت فيها مما نسب الى وللجيش بغير حق وورد لى من سيادته جواب بقبول تلك العريضة مع طلب محافظتى على الطاعة استجلابا للرضا الحضرة السلطانية اه ولكن قبل أن يتمكن المعتمد العثمانى من تنفيذ ما لديه من الاوامر اضطربت الاحوال جدا وهبطت أسعار القراطيس المصرية هبوطا فاحشا وكثر مهاجرة الاورباويين رغما عن تصريحات عرابى بضمانه للامن والراحة خصوصا وانه كان أشيع ان قواد الاساطيل الاجنبية عقدوا اشروطا مع التجار لتوريد الميرة لسفنهم لمدة ثلاثة شهور وقال عرابى فى تقريره وفى تلك الليلة حصلت مذاكرات ومحاورات فى حالة البلاد وما كانت عليه فى الازمنة الماضية وما حل فيها من النكبات وما أريق فيها من الدماء كل ذلك نتيجة الحكم الاستبدادى وفى الحالة التى وصلت اليها البلاد وفى أمر اللائحة التى قبلها الخديو فالكل أجمع على طلب خلع الخديو اذا لم يرفض قبول اللائحة المذكورة وانصرف المجلس اه وخرج الحزب العسكرى عن حدوده وأخذ يصرح بخلع الخديو توفيق باشا واجلاس الامير عبد الحليم باشا مكانه وكان لهذا الامير بمصر فى ذلك الوقت شيعة تروج مقاصده وتنشر على الناس محامده وكانت صلاته وأمواله تنهال عليهم ليصلوا الى الغرض وعند ذلك استدعى الخديو قنصلى فرنسا وانكلترة وأبلغهما تهديدات الحزب العسكرى له وطلب منهما ابلاغ ذلك حكومتيهما رسميا ويظهر ذلك بأجلى بيان من المكتوب الذى أرسله السير ماليت الى الارل غرنفيل ونشر فى الكتاب الازرق الصادر فى سنة ١٨٨٢ وبناء على ما ذكر صرح المستر غلادستون رئيس الوزارة الانجليزية ان انكلترة تريد تأييد كلمة الخديو

توفيق باشا لما أظهر من الحكمة والحزم والمحافظة على حقوق الدول وامتيازات مصر وسعادة رعيته وراحة النزلاء من الاوروباويين وغيرهم وقال الموسيو هنس رزنر فى صحيفة ٢٥ من كتابه عن المسئلة المصرية انه فى ٢ يونيه صرح الموسيو دوفرسينيه بمجلس النواب بقوله قد توجهنا الى ثغر الاسكندرية مع الدولة الانكليزية ولم يكن سفرنا اليها بقصد احتلالها عسكريا كما أحب أن تعتقدوا ذلك ولكن لحماية رعايانا واستشهادا على عدم قبولنا مطالب زعماء الثورة التى انتشرت فى تلك البلاد ولنبرهن على الخصوص بأن فرنسا وانكلترة كانتا متحدتين وانى لم أرق منبر الخطابة لابين الطرق التى يجب السير عليها ولكن هناك أمر الا أوافق عليه الا وهو تداخل فرنسا عسكريا فى مسئلة مصر وقد قلت فى ١١ مايو وكررت فى مقدمة خطبتى الاولى ان الغرض الذى يجب أن نجعله دائما نصب أعيننا انما هو بقاء الامتيازات والاجرا آت الممنوحة لمصر بمقتضى الفرمانات المعلومة لاوروبا وهذه القاعدة التى ترونها لاتقبل أى حل كان اه والحاصل ان خوف الاوروباويين عموما قد ازداد كثيرا من تصرف الجهادية وسوء معاملتهم لهم حتى إن سكان الاسكندرية منهم تسلحوا بايعاز من قناصلهم للمدافعة عن أرواحهم عند الحاجة رغما عما يعلمونه من ان الاساطيل حضرت الى ميناء الاسكندرية لحمايتهم ووافقهم أيضا قائدا الاسطولين على التسلح واتفق كل من المستر كوكسن قنصل انكلترة فى الاسكندرية مع باقى القناصل هناك على طريقة دفاع أوروباويى اسكندرية عن أنفسهم واستمدوا فى ذلك آراء بعض ضباط الاساطيل الاجنبية ولما بلغ ذلك القناصل الجنرالية أنكروه ولم يستحسنوه ودامت الاحوال تزداد صعوبة واضطرابا حتى ظهرت حادثة ١١ يونية الآتية الذكر

حادثة ١١ يونيه — بينما كانت أحوال الديار المصرية فى اضطراب والخوف مستوليا على قلوب النزلاء من هياج الرأى العام المصرى ومن أقوال الجرائد الاجنبية التى كانت تثير الاحقاد بين الاجانب والمصريين لاختلاف مشاربها وغاياتها فى المسئلة المصرية وكثيرا ما اختلقت الاخبار المفزعة ولا ننسى أيضا لهجة الجرائد المصرية فى ذلك الوقت حيث كانت تروى الاخبار بصورة تدل على المخاوف فى المستقبل وتترجم المقالات الموافقة لمشربها عن الجرائد الاوروباوية قام الرعاع من أهل الاسكندرية على الاوروباويين وحصلت تلك المذبحة التى نشأ عنها انقلاب الرأى العام الاوربى على مصر والقائمين فيها بدعوى الوطنية والمطالبة بالحقوق المفقودة وقد ذكر هذه الحادثة كل من كتب عن تاريخ الثورة المصرية كصاحب مصر للمصريين وصاحب تاريخ مصر الحديث وصاحب البحر الزاخر وغيرهم فلخصنا من أقوالهم ما يأتى وهو انه بمجرد حصول خصام بين رجل حمار مصرى ومالطى جرح فيه الحمار وانتصر لكل قوم من أبناء ملته تجمهر بعض الرعاع من الوطنيين وقصدوا الايقاع بالفرنج ومما زاد حنقهم ان الاجانب كانوا يطلقون النيران من الشبابيك على كل مار من الوطنيين بلا تفريق بين مذنب وغير مذنب وقبض المتجمهرون على من لاقوه فى طريقهم من النزلاء فقتلوا منهم عددا كبيرا وقتل من الاهالى عدد أكثر وجرح فى هذه الحادثة كثير من كبار الاجانب منهم قنصل اليونان وقنصل الانكليز وقنصل ايطاليا ووكيله وقنصل الروسيا وغيرهم وأمر عمر لطفى باشا محافظ الثغر يومئذ الاميرالاى سليمان سامى داود أن يبعث بالجند لمنع الاهالى فتوقف حتى يأمره عرابى باشا ناظر الجهادية ولما أتاه الاذن سار المحافظ أمام الجنود ففرق

المتجمهرين

المتجمهرين وكانوا كسروا كثيرا من المخازن ونهبوها وعند الغروب هدأت الاحوال وسكن الاضطراب وقبضت الحكومة على كثير ممن وقعت عليهم شبهة القيام بالثورة وذكر الموسيو هنس رز هذه الحادثة فقال ما ملخصه ان أحد المالطيين أخا خادم القنصل الانكليزى كوكسن كان ركب عربة سائقها وطنى وظل طول نهاره يتنقل من قهوة الى أخرى وأخيرا انتهى ركابه ونزل بقهوة أحد المالطيين أبناء جلدته فتبعه السائق الى القاعة يطلب منه دفع أجرته على تلك المشاوير الطويلة فجاد سخاء المالطى السكران بمبلغ ٢٥ سنتيما (غرش صاغ) قذفها الى السائق الذى لم يبش لها طبعا فابتدأت المجادلات العنيفة فما كان من المالطى الا أن أشهر مديته بغتة وطعن بها هذا المسكين فى بطنه فسقط ميتا شهيد الظلم والاستبداد فجاء رفقاؤه ومعارفه لامساك القاتل المجرم ومنعه من الفرار ليلاقى عقاب ما جنته يداه فكان نصيبهم هم الآخرون ان سقط أغلبهم فى هذا الزحام الكثيف قتلى وجرحى من يد يونانيين مسلحين بغدارات كانت فى ركن من المكان اصحبتهم بصاحب القهوة المالطى فأطلقوا الرصاص على هؤلاء المنكودى الحظ فهناك كنت ترى تراكم القتلى والجرحى على الصعيد مخضبين بالدماء ولا مساعد ولا معين وبعدها صارت المعركة عمومية حيث قام المالطيون الساكنون بالقرب من ذلك المكان وفتحوا الابواب والمنافذ وأطلقوا النار على الجمهور وبسببهم عظم القتال وعم وأخذ فى الازدياد وأطلق العنان للمصريين فانفجر بركان غيظهم وحنقهم من مثل تلك المعاملات السيئة والاضطهادات المتكررة التى تحملوها زمنا مديدا وأخيرا سار وامع التيار فاستمرت المقاتلة بضع ساعات صدرت فى أثنائها أوامر عرابى الى قائد القوة العسكرية باعادة النظام وفى أقل من لمح البصر ابتدأت القوة العسكرية فى العمل فرجع الهدء والسكينة وأعيد النظام بفضلها اه هذا وفى صباح ١٢ يونيه اجتمع القناصل وخاطبوا درويش باشا المندوب السلطانى بلهجة شديدة ثم عقد مجلس فى سراى الاسماعيلية بالعاصمة حضره الخديو ودرويش باشا وشريف باشا وكثير من وكلاء الدول وتقرر فيه ما يوجب الامن والراحة وان يمتثل عرابى لما يصدر له من الخديو وأخذ درويش باشا على عهدته تنفيذ الاوامر الخديوية بالاشتراك مع عرابى ورضى وكلاء الدول بذلك وأرسلت بعض الفرق العسكرية الى الاسكندرية وتعينت لجنة بأمر الخديو تحت رياسة عمر لطفى باشا المحافظ بها مندوبون من طرف القناصل لتحقيق أمر المذبحة ومعرفة السبب فيها ولكن هذه اللجنة انحلت سريعا قبل الوقوف على الحقيقة لان قنصلى فرنسا وانكلترة امتنعا عن مشاركة أعضائها بناء على ما ورد لهما من دولتيهما من الاوامر القاضية بعدم التداخل فى أى عمل يختص بالبحث عن أسباب حوادث ١١ يونيه المذكورة قال بعض كتاب الفرنج ان الحزب العسكرى وغيره من الوطنيين كان يرمى الظنون ويتقول فى أمر المذبحة حتى قالوا ان محافظ الثغر يومئذ كان عالما بأمرها من قبل ولم يتخذ الاحتياطات لمنعها الامر خيفى وقالوا أيضا ان شريط التلغراف الذى أرسل لمحافظ الاسكندرية بهذا الخصوص اشتراه بعض كبراء الاجانب بمبلغ عظيم من المال وغير ذلك ولكن ظنياتهم وأقوالهم هذه لم تحققها الايام وفى ١٣ يونيه سافر الخديو بنفسه الى ثغر الاسكندرية ومعه درويش باشا وبوصوله زار قناصل الدول مظهرا لهم أسفه على ما حصل ووعدهم باخماد الفتن واستتباب الامن والراحة ولما كان من بقى من نزلاء الاوربا ويين بمصر لا يزال يتخوف كثيرا عينت دول أوربا بعض بواخرها لنقل من يريد

المهاجرة منهم مجانا وأمرت انجلترة قنصلها العام بمصر وهو السير ادوارد مالت بأن يكون بالاسكندرية ليبقى ملازما للخديو

وقد كانت الوزارة المصرية لم تشكل بعد من يوم ان قدم محمود سامى استعفاءه وامتناع من عرضت عليهم من قبول رئاستها كما سبق ولهذا بعد ان سافر الخديو الى الاسكندرية استدعى اليه المرحوم اسمعيل راغب باشا في يوم ٢١ يونيه وكلفه بتأليف وزارة فقبل وصار أيضا ناظر الخارجية وكان أحمد رشيد باشا للداخلية وأحمد عرابى باشا للجهادية والبحرية وعلى باشا ابراهيم للحقانية وسليمن أباظه باشا للمعارف ومحمود باشا الفلكى للاشغال وحسن باشا الشريعى للاوقاف وعقب ذلك سافر قنصل انجلتره العام وقنصلها باسكندرية الى أوربا وبقى المستر كارترايت (W.Cartwright) نائبا عن انجلتره بمصر وحصلت مداولات ومبادلات آراء بين الدول والباب العالى بخصوص المسئلة المصرية وألحت انكلتره بعقد المؤتمر فى الاستانة وأصرت الدولة العلية على رفض عقده ووافقتها المانيا واستوريا وايتاليا والروسيا ثم انحازت ايتاليا الى انكلتره وقال الموسيو هنس رزنر فى كتابه أما تركيا فكان يصعب على أى انسان فهم سياستها بل وما الذى عزمت عليه اذ انها أهدت الى الخديو هدية ثمينة مرصعة بالماس وكذا أنعمت على عرابى باشا بالنيشان المجيدى الاول ولما استفهم اللورد دوفرين سفير انكلتره بالقسطنطينية من وزير خارجيتها عن الدواعى التى أوجبت منح عرابى هذا الامتياز أجابه بردمعجز مبهم اه ومما يؤيد هذا القول وأن سياسة الدولة كانت مضطربة انها غيرت فى تلك الاثناء ثلاثة من الصدور فأما الصدور فهم سعيد باشا حيث أقيل وتعين بدله عبد الرحمن نور الدين باشا الذى لم يبق أزيد من ٧٦ يوما ثم أعادت سعيد باشا ثانية ولم يمكث أكثر من ١٣٨ يوما حيث تولى بعده أحمد وفيق باشا الذى لم يمكث إلا ثلاثة أيام وأعادت سعيد باشا ثالثة هذا وكانت دول أوربا مهتمة اهتماما شديدا بمسئلة مصر حتى ذات المصالح القليلة بها منهن ولذلك حرر المسيو دوجيرس (Giers) وزير خارجية الروسيا لسفراء دولته لدى دول أوربا لائحة مهمة بشأن المسئلة المصرية فى ١٨ يونيو من سنة ١٨٨٢ ولما كان المطلع عليها يمكنه الوقوف على ظواهر السياسة الدولية فى ذلك الوقت استحسنا ادراجها فى أسفل الصحيفة منقولة عن الكتاب الازرق الانجليزى اتماما للفائدة (١) وأخيرا

---

(١) (أولا) الاتفاق الاوروبى هو النقطة الاولى التى يجب الاعتماد عليها اذ لا يعمل الا بما يقضى به (ثانيا) يجب الاهتمام الممكن ببقاء الاحوال على أصولها (ثالثا) من الواجب أن تكون السياسة الاوربية هى المجيزة هذا الامر دون سواها وعليه فيقتضى أن يسجل المؤتمر الوقائع كاثبات من قبل أوروبا بالحقوق العمومية فى مصر (رابعا) اذا لم تتمكن السياسة الاوروبية من ذلك وجب أن يحال الامر الى حكم الاتفاق الاوروبى فهو يرى ما يقتضى ويقضى بما يرى (خامسا) اذا أصر الباب العالى على عدم انضمامه الى المؤتمر وجب أن تتخذ الدول الواسطة الاضمن لاجابته الى ما يجيز من به (سادسا) اذا مست الحاجة للتداخل الفعلى كان تداخل الحضرة السلطانية أحق وأسلم ولكن على وجه النيابة عن أوربا وبعد اتخاذ الضمانات الضرورية حتى لا تتعدى حدودا معلومة (سابعا) اذا أبت الحضرة السلطانية وتصدت للتداخل انكلترة وفرانسا مشتركتين أو منفردتين وجب أن يتم ذلك باتفاق الدول وبالوكالة عنهن وبموجب شروط محدودة ولا بأس من تذكر تداخل فرنسا فى سوريا والاستفادة منه ولعل الدول تصحب الغازين بلجان خصوصية (ثامنا) خاتمة التداخل يجب أن تكون اعادة الاحوال الى أصولها على ان هذا النظام لا يخلو من الشوائب التى عرفت بالاختبار ولعلهن يعمدن الى اصلاحها عاملا بلاحظ منزلة الحكومة المصرية مقابل أوروبا وما اضطرت اليه من الاعمال ولا بأس من اتخاذ الفرصة المناسبة لادخال بعض التغييرات التى يسلم بها الفريقان ولو كان

انعقد

انعقد المؤتمر بالاستانة فى يوم ٢٤ يونيه وكان يتألف من مندوبى الدول الست الاوروباوية وبقيت الدولة العلية على امتناعها فلم تشترك فيه وفى الجلسة الاولى منه وقع المندوبون المذكورون على بروتوقول (١) كالعادة فى المؤتمرات السياسية بأنهم لا غاية شخصية مطلقا لدولة من دولهم فى عقد هذا المؤتمر وانهن لا يبغين زيادة نفوذ بمصر أو حيازة أرض أو مال أو غير ذلك مما يزيد فى نفوذ احداهن ولكن من نظر الى أعمالهم وجدها تخالف أقوالهم ولهذا نطلب لهم ولدولهم من الله حسن العاقبة على ما فعلوا و يفعلون باسم الانسانية وكانت انكلترة ترى انه يستحيل اعادة الامن فى مصر بدون قوة فعالة فلهذا أصدرت الاوامر الى الاميرال سيمور الواقف بأساطيله امام الاسكندرية بالاستعداد للاعمال الحربية الهجومية كما أصدرت أوامر بتجهيز الجيوش اللازمة لحرب عرابى باشا وكانت تحض دول أوربا على مساعدتها فى ذلك حتى يكون عملها مبررا منهن أما الدول فكانت على حذر من دخول انكلترة الديار المصرية لئلا يؤدى تداخلها الى عمل يكرهنه ثم أقر مندوبو الدول فى جلسة المؤتمر على ارسال لائحة مشتركة الى الباب العالى (٢)

من الواجب احترام ما اتفق عليه من العهود أما شوائب المراقبة المشتركة بين فرنسا وانكلترة فقد برهنتها الاعمال و بقاؤها خطأ ولعله يحسن أن تبدل المراقبة من ثنائية الى دولية فبذلك تزداد أهميتها الادبية وتوقاياتها من سوء تصرف المعتمدين فان لجنة التصفية والمحاكم المختلطة هى دولية وقد أتت بنتائج حسنة ولعلهن يستنسبن حصر المراقبة ضمن حدود تتكفل بوقاية المصالح الاجنبية دون تداخل فى نظامات البلاد فلتعتمد المناظرة بكل ما تقدم فى المؤتمر هذا واقبل الخ ١٨٦ يونيه سنة ١٨٨٢

التوقيع
جيرس

(١) صورة البروتوقول الذى وقع عليه معتمدو الدول فى الجلسة الاولى لمؤتمر الاستانة الذى عقد فى ١٤ يونيو سنة ١٨٨٢

ان الحكومات التى وقع وكلاؤها بالنيابة عنها على ذيل هذا البروتوقول تتعهد أنها لا تقصد البتة اغتنام أرض ما ولا الحصول على امتياز ما ولا أن يكون لرعاياها من الامتيازات المتجرية ما لا يستطيع أن يناله غيرهم من رعايا أى الدول فى مصر وذلك فى أية مسئلة حصل التوافق عليها بسعيها واشتراكها فى المخابرات لتنظيم أمور تلك البلاد

التواقيع

لروسيا	لفرانسا	لاوستوريا	لالمانيا	لانكلترة	لايطاليا
أونو	ماركز دى نوائل	بارون كاليس	كونت هتسفلد	دوفرين	الكونت كورتى

(٢) حصل التوافق بيننا فى هذا اليوم على اللائحة التى يجب عرضها على الباب العالى المبينة كيفية تداخل الجنود العثمانية التى سترسل الى مصر وتحديد الشروط التى يجب العمل على مقتضاها وهذا نصها

بعد ان اعترفت الدول الاوروبية بوجوب المسارعة الى معالجة علل مصر الحاضرة بالدواء العاجل الناجع قررت فى المؤتمر الذى عقده وكلاؤها أن يلجأ الى سيادة الجناب السلطانى و يسأل أن يتداخل فى مصر وأن يساعد الخديو بارساله اليه قوة كافية من الجند لاعادة الامن والنظام الى البلاد وانقاذ مصر من الفوضى التى تمكنت فيها ونشأ عنها اهدار الدماء وخراب ألوف من بيوت الاجانب والمسلمين وتضرر كثير من مصالح الاجانب والوطنيين * وسيكون من شأن الجنود العثمانية بمصر أن تؤيد وجوب احترام الحقوق السلطانية عليها وتعيد للخديو سلطته و يكون من شأنها أيضا أن تشرع فى اصلاح حال العسكرية بمصر وفقا للاصول يتفق عليها فيما بعد اتفاقا عموميا و يتم ذلك على شريطة ان لا يكون هذا التداخل موجبا لمس الترقيات النافعة التى نفذت فى نظام مصر المدنى والادارى والقضائى على غير مخالفة لما تقضى به الفرمانات السلطانية * والدول الاوروبية واثقة كل الوثوق فى التجائها الى الجناب الشاهانى ببقاء ما هو مقرر لمصر على حاله فى مدة وجود الجنود العثمانية فيها معتقدة ان حقوق مصر والامتيازات الممنوحة لها بمقتضى الفرمانات السابقة لا تمس البتة ولا يمس أيضا شئ من الاصول المقررة لادارة الاحكام فيها ولا من العهود والمواثيق

يطلبون فيها منه ارسال جنود عثمانية الى مصر لاخماد الفتنة فأبى اعتمادا على تقارير درويش باشا الذى قال فيها انه ليس فى مصر ما يوجب ذلك وهى فرصة ثمينة قد أضاعتها ولا نعلم ما الذى افتكره رجال الدولة فى ذلك الوقت حتى امتنعوا عن التداخل العسكرى ولا نظن انهم أصابوا فاتخذت انكلتره هذا الرفض ذريعة لتداخلها بالقوة لاعادة الامن وتأييد سلطة الخديو كدعواها ولما كانت لا تعدم حيلة للتداخل أخذ الاميرال سيمور ينتحل الاسباب مهما كانت طفيفة لمباشرة العدوان فادعى ان الجهادية يحصنون القلاع والاستحكامات ويجمعون أحجارا جهة المكس لسد البوغاز وهذا أمر مهين لشرف دولته مهدد لاسطوله وكان الامر صدر اليه بأنه اذا لم يمتنع المصريون عن اجراء ذلك أطلق القنابل على حصونهم (١) وكانت السفن الانجليزية مدة وقوفها أمام الاسكندرية تقيس اعماق المياه وتستطلع الاستحكامات ليلا بالضوء الكهربائى ونهارا بالنظارات وان كانت الاعماق والاستحكامات وما بها من المدافع كل ذلك معلوم لديهم مرصد فى تقارير عمالهم بمصر ثم ان المستر كارترايت تقابل مع راغب باشا وأعلمه بالاوامر التى صدرت الى الاميرال سيمور فأجابه راغب باشا بأنه ليس هنالك ما يوجب العداوة وقال له اذا وجد الاميرالات من يحاول سد باب الميناء لهم أن يقبضوا عليه لمجازاته وكانت الحضرة السلطانية أرسلت وقتئذ الى لورد دوفرين سفير انكلتره منير بك رئيس تراجمة المابين يخبره بأنها أمرت الحكومة المصرية بعدم الاستمرار فى تحصين الاسكندرية ولذلك فانها تطلب منه ايقاف الاستعدادات الحربية فى الاسطول البرطانى فأجابه السفير بعدم امكان اجابة السلطان على هذا الطلب قبل ان يبلغ الامر لحكومته وبعثت الحضرة السلطانية تلغرافا للخديو تلقى فيه المسؤلية الناشئة عن عدم منع التحصينات عليه وعلى نظاره أما فرنسا فانها أظهرت يومئذ عدم مقدرتها على اتباع انكلتره فيما تفعله لانها لا تريد أن تتحمل مسئوليات عظيمة حتى ان الموسيو فريسينه قال لسفير انكلتره فى باريس كما ورد بالكتاب الازرق الرسمى انه أمر الاميرال الفرنسوى بمبارحة مياه الاسكندرية حينما يستعمل رفيقه الانكليزى القوة الفعلية لان هذا العمل يكون بمثابة اشهار الحرب على الحكومة المصرية وبمقتضى القوانين لا يمكن لاى مملكة الشروع فى أى عمل عدوانى الا بعد مصادقة مجلس نواب امتها

الدولية ولا من أعمال التسوية التى تبحث عنها وتقررت فى شأنها * أما مدة استقرار الجيش العثمانى فى مصر فتكون ثلاثة أشهر ما عدا اذا طلب الخديو تمديدها الى أجل تتفق على تحديده الدولة العلية مع الدول الاوربية وحكومة مصر وتعين قادة هذا الجيش بالاتحاد فى الرأى مع الجناب الخديوى أما مصاريف هذا التجريد فعلى نفقة مصر وستعين مقاديرها باتفاق يحصل بين الدولة العلية والدول الست الاوربية وحكومة مصر * واذا أجابت الحضرة السلطانية دعوة الدول كما هو أمولها فكيفية تنفيذ الاحكام السابقة الذكر تتم بتوافق يحصل بعد الآن بين الدولة العثمانية والدول الست الاوربية اه فى ٦ يوليو سنة ١٨٨٢

(١) امنعوا كل عمل من شأنه سد القنال الموصل للمينا واعلموا أنه اذا شرع فى أى تمكين أو تحصين جديد او وضع مدافع على استحكامات فيجب عليكم أن تعلموا القائد العسكرى أنه بيدكم أوامر تجيز لكم منع ذلك بل وتأمركم بهدمه كله وأن تخبروا المدفعيات أن تركن الى السكون فى حالة عدم الامتثال غير أنكم قبل استعمال القوة تعلنون الضمان الكافى الى النوتية والاهالى ومراكب الدول الاخرى الحربية بعدم التعرض لهم كما أنه يلزم قبل الشروع فى أى عمل عدوانى أن تدعوا الاميرال الفرنساوى بالاشتراك معكم فيه أما اذا رفض فلا تؤخروا اجراآتكم هذه بل تنفذوها اه الكتاب الازرق نمرة ١٧ صحيفة ٩٢ و ١٠٤

وبذلك

وبذلك قضت فرانسا على مصالحها فى مصر وخالفت سياسة اتبعتها مدة قرن كامل وارتكبت أكبر خطا سياسى فى تاريخها واتهم الكثيرون من الفرنساويين الموسيو فرسينيه بالخيانة كعادتهم ولكن للحوادث العرابية وسياسة الدول الاوروباوية فيها اسرار لم تنكشف غيومها الا الآن وكان رجال فرنسا فى خلال ذلك يترددون فى سياستهم فتارة يعلنون بعدم قبولهم تداخل الدولة العثمانية عسكريا فى مصر ويقولون انه اذا تداخلت منعوا نزول عسكرها الى مصر بالقوة وتارة يظهرون انهم سيشتركون مع انكلترة فى كل الحركات السياسية والحربية اذا اقتضت الحالة ذلك ثم أظهروا فى آخر الامر عدم امكان التداخل قال الموسيو هنرى بانسا (Henri Pensa) فى كتابه المسمى مصر والسودان المصرى ما ملخصه بتصرف ان السياسة الفرنساوية فى خلال ذلك كانت مهملة فى الامور الخارجية الا ما كان منه ضرر على ذات فرانسا حتى ان أغلب الحملات التى قامت بها الحكومة فى جزائر الاوقيانوس وتونس وغيرها كانت بالحاح كبير على مجلس النواب لنوال تصديقه وقد تغيرت فى خلال الحوادث العرابية أربع وزارات فى فرانسا الاولى وزارة جول فيرى (Jules Ferry) (١٩ سبتمبر سنة ١٨٨٠ - ١٤ نوفمبر ١٨٨١) والثانية وزارة غامبيتا (Gambetta) (١٤ نوفمبر ٨١ - ٢٧ ينايرسنة ١٨٨٢) والثالثة وزارة فرسينيه المذكورة (٢٧ يناير - ٧ أغسطس ١٨٨٢) وأبدلت فى أثنائها ثلاثة قناصل جنرالية بمصر الاول البارون دورنج لانه كان يحرض عرابى باستمالته أعماله والثانى الموسيو مونج (Monge) لكونه خالف فى سياسته الرسمية مسلكه مع العرابيين والثالث الموسيو سيانكفتس (Sienkiewiczy) وكان الموسيو فرسينيه طلب من مجلس النواب الفرنساوى فى ٢٩ يوليه من سنة ١٨٨٢ تخصيص مبلغ قدره ٩٫٤١٠٫٠٠٠ فرنكات لان المسئلة المصرية قد وصلت لدرجة الخطارة وصار يخشى على قنال السويس ويلزم تجهيز ثمانية آلاف جندى فرفض المجلس هذا الاقتراح باربعمائة وسبعة وعشرين صوتا ضد ٧٥ لان أعضاء المجلس رأوا ان سياسة الموسيو فرسينيه غير ثابتة بما أنه قال فى يوم الاقتراح ان فرنسا لا تود ان تتداخل فى المسئلة المصرية بالقوة وانما طلب هذا المبلغ لاستعماله عند الضرورة فى المحافظة على قنال السويس مع أن مؤتمر الاستانة كان قرر المحافظة على القنال باتفاق الدول أجمع فاضطر الموسيو فرسينيه الى تأجيل طلبه هذا الى مرة أخرى ولم يلح على المجلس فى الطلب مع أنه قبل ثمانية أيام أى فى يوم ١٩ يوليو لما قرر المجلس مبلغ ٧٫٨٣٥٠٠٠ فرنك بناء على طلب الاميرال جوريجبرى (Jaureguibrry) باسم الحكومة صرح فرسينيه امام المجلس بلزوم التداخل فى المسئلة المصرية بالقوة فلهذا أقر المجلس على صرف المبلغ باربعمائة وأربعة وعشرين صوتا ضد ٦٤ أما رفضه الاخير لطلب الموسيو فرسينيه فكان لما شاهده فيه من التردد فى المسئلة المصرية وتغييره سياسة التداخل فيها بالقوة فحصلت ازمة وزارية سقط فيها فرسينيه يوم ٧ أغسطس المذكور وشكلت وزارة الموسيو دوكلرك (du Clerc) الذى لم يظهر فى المسئلة المصرية سياسة الحزم لان بريطانية العظمى كانت تداخلت بالقوة فى المسئلة المصرية ومن يومئذ انهزمت فرانسا سياسيا فى مصر اه ولما اشتد الخلاف بين الاميرال سيمور والحكومة المصرية تداخل قناصل الدول فى الاسكندرية بينه وبين الجهادية لتعديل الكتاب الذى كتبه طلبه باشا للاميرال وتلطيفه وقرروا

بان يرسلوا الى الاميرال لائحة بذلك فارسلوها له فى يوم ٧ يوليو المذكور (١) واستلفتوا انظره الى الضرر الذى يلحق أهالى المدينة من أجانب ووطنيين اذا استعمل القوة فاجابهم فى اليوم نفسه بالجواب المذكور بأسفل الصحيفة (٢) الذى ختمه بقوله انه اذا استمر الجهادية على التحصين فانه سيقوم بتنفيذ ما كتبه الى المحافظ حرفا بحرف ولما ورد اليهم جواب الاميرال اجتمع القناصل ثانية وأخذوا يحاولون اقناع أولى الشأن من رجال الجهادية فلم ينجحوا وأخيرا بعث الاميرال سيمور فى ١٠ يوليو من سنة ١٨٨٢ خطابا الى طلبه باشا قومندان عسكر الاسكندرية يقول له فيه انه جارى تركيب مدافع فى طوابى صالح والمكس وقايتباى وانه يطلب ازالها كما يطلب ازال كل الاسلحة الموجودة فى طوابى الاسكندرية من العجمى الى برج قايتباى وانه اذا لم يفعل ذلك ضرب الطوابى بمدافعه فاجابته الحكومة المصرية فى مساء اليوم المذكور بقولها انها لم تعمل شيأ ما يستوجب اعتداء الاسطول الانكليزى على ثغر الاسكندرية وانها محافظة على شرفها ومقامها لا تقبل مطلقا تنزيل المدافع الموجودة فى الطوابى وانها تلقى مسئولية النتائج الوخيمة التى ستنتج من ضرب الاسكندرية على المعتدى بغير سبب وبدون اعلان حرب وغير ذلك وكان المستر كارترايت وكيل قنصل انجلترة

(١) لائحة قناصل الدول الاوروبية الى الاميرال سيمور * ان لرعايانا مصالح مهمة فى الاسكندرية ولهم فيها أملاك واسعة وعقارات كثيرة والمتخلفون منهم عن المهاجرة كثيرون وهو ما دعانا أن نتقدم اليكم ونسألكم هل اقتنعتم من جواب الحكومة المصرية على سؤالكم المتعلق بتحصين القلاع أم لا فان كان الثانى فاننا نستطيع ان نطلب تعديل الجواب المذكور بحيث يرضيكم ويقنعكم واذا كنتم لا ترضون بذلك ولا تريدون ان تقتنعوا بامر ما فنرجوكم ان تنبؤنا عن المهلة التى تتركونها لرعايانا قبل الشروع فى القتال ليتمكنوا من الرحيل واننا نخطركم ان اطلاق المدافع سينشأ عنه كيف كانت الحال ضرر عظيم يلحق بسكان المدينة من نصارى ومسلمين ولا بد من ان تنهدم به أبنية عديدة للاوروبيين ونود لو انكم ترفعون الى حكومتكم ملاحظاتنا هذه قبل ان تنفذوا أوامرها ؁

٧ يوليو ١٨٨٢ التواقيع

بارون كوسجك	دى لكس	دى مارتينو	بارون ساورما	دى فورج
للنمسا	للروسيا	لايطاليا	لالمانيا	لفرنسا

(٢) لائحة الاميرال سيمور الى قناصل الدول الاوروبية الجنرالية بالاسكندرية

تلقيت فى هذا اليوم الكتاب الذى اتفقتم على ارساله الى وتفضلتم فيه بالاستفهام منى عما اذا كنت قد ارتضيت بجواب طلبه باشا على كتابى الذى أرسلته اليه بالامس ثم تكرمتم وعرضتم أن تتوسطوا فى الامر بحيث أحصل بوساطتكم على جواب يرضينى فأشكر لكم كثيرا هذه العناية وأجيب على خطابكم بقولى انى أنفذ ارادتكم اذا كان لكم لدى المومأ اليه من النفوذ والسلطة ما تستطيعون به ان تجعلوه صادقا فى اجراآته وان يبطل عاجلا أشغال التحصين وتقرير الاستحكامات التى شرع فيها ولا أرى جواب المومأ اليه بالكتابة كافيا فى حملى على الاقتناع بما يقول وعلى الوثوق بما أكده لى فى جوابه من انه يجيب طلبى ومهما تكن عبارة هذه الكتابة فانها لا تكفينى بالنظر الى المصالح المهمة التى عهد بها الى وأخبركم انى ما أعلنت فقط عن عزمى على رمى الاسكندرية بنار المدافع واذا اقتضت الحاجة لذلك فانى أوجه قوتى على القلاع والاستحكامات فقط وبذلك لا أرى من موجب لخوفكم من انهدام منازل الاوروبيين وغيرهم وسارفع الى حكومتى أمر الملاحظة التى أبديتموها فى العبارة الاخيرة من خطابكم وتهتمون فى اليها واذا استمر الجهادية على أشغال تحصين القلاع والاستحكامات فانى أنفذ فى الحال ما كتبت اليهم به محافظا على كل حرف من حروف تلك الكتابة وكيف كانت الحال فانى قبل الشروع فى العمل أعلن عنه ولا أباشر اطلاق المدافع الا بعد أربع وعشرين ساعة من تاريخ الاعلان ؁ كتب فى السفينة انفنسيبل عند الاسكندرية فى ٧ يوليو سنة ١٨٨٢ التوقيع بوشان سيمور

فابل

قابل الجناب الخديوى وأعلنه رسميا بعزم الاميرال سيمور على مباشرة الحرب صباح يوم الثلاثاء الموافق ١١ يوليو وألح عليه أن يترك سراى رأس التين ويلجأ الى سراى الرمل ففعل وكتب رسميا الى درويش باشا المندوب العثمانى بالمحافظة على حياة الخديو وألقى عليه التبعة اذا أصابه مكروه وأعلن المذكور أيضا الاميرال سيمور ودرويش باشا وراغب باشا رسميا بارحة رجال الوكالة الانكليزية القطر اشارة الى قطع العلائق وأعلن الارل غرانفيل ناظر خارجية انكلترة سائر الدول بذلك أيضا ثم سافر الاسطول الفرنسوى الى بورسعيد تاركا بالاسكندرية سفينتين من سفنه وفى ذلك اليوم عقد الخديو مجلسا حضره درويش باشا وقدرى بك من الوفد العثمانى والنظار وجمع كبير من الاعيان والذوات وتذاكروا فى أمر البلاغ النهائى المذكور وقرروا ارسال عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وأحمد رشيد باشا ناظر الداخلية ومحمد كامل باشا وكيل البحرية وتغران بك من المعية السنية الى الاميرال سيمور ليبلغوه رسميا ان الطوابى لا يجرى فيها أعمال حربية ولم يوضع بها أسلحة مستجدة وان الموجود بها قديم من عهد محمد على باشا حتى ان أخشابها أكلها السوس وانه يمكنه مشاهدتها ان أراد ذلك ومع هذا فانه ارضاء لخاطره ينزلون المدافع الثلاثة الكبيرة التى بالطوابى فأبى الا انزال كافة المدافع وانه يسمح للعساكر المصرية انها هى التى ترفع المدافع عوضا عن العساكر الانكليزية ولما عاد المذكورون وأخبروا بما حصل أقر المجلس ان انزال المدافع الموضوعة منذ ٥٠ سنة بلا موجب حربى عار كبير لا يمكن تحمله وانه متى ضربت المراكب على الطوابى تجاوبها الطوابى بالمثل انما تكون المجاوبة بعد أن يطلق العدو خمس أو ست مقذوفات من سفنه وانصرف المجلس على ذلك وعرض الخديو ودرويش باشا ما تقرر على الباب العالى

الحرب والاحتلال — اعلم انه فى الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء ٢٢ شعبان من سنة ١٢٩٩ (١١ يوليو ١٨٨٢ م) أطلقت العمارة المدرعة الانكليزية الراسية امام الاسكندرية وعددها ١٤ سفينة بين مدرعة ومدفعية (١) المعقود لواؤها للاميرال سيمور مدافعها على طوابى ساحل الاسكندرية وهى طابية رأس التين والفنار والاطه وقايتباى وبرج السلسلة وصالح أغا وباب العرب وأم قبيبة والقمارية والمكس والناموسية ومرسى القناة والمرابط والعجمى وبعد ان قذفت مدافع الانجليز ١٥ مقذوفا شرعت الحصون المذكورة فى اطلاق مدافعها واشتدت نيران الحرب بين الطرفين مدة عشر ساعات ونصف ولما كانت هذه الطوابى قديمة وغير متينة تهدم جميعها وسقطت مدافعها واحترقت مخازن بارود بعضها ولم تصب المدرعات البريطانية بضرر يذكر قال القومندان كاسبار غودرويش الامريكانى فى تقريره الرسمى المطبوع عن الحرب المذكورة وكان مشاهدا لها ان تلفيات جنود البوارج الحربية

(١) أسماء السفن الانجليزية سلطان (Sultan) سوبرب (Superb) الكسندره (Alexandra) انفنسبل (Invincible) مونارك (Monarch) بنيلوب (Penelope) انفلكسيبل (Inflexible) تمرير (Teméraire) والمدفعيات بيكون (Beacon) كوندور (Condor) بيترن (Bittern) سجنوت (Cygnet) ديكوى (Decoy) هيلكون (Helicon).

الانكليزية فى يوم ضرب الاسكندرية كانت قليلة جدا فلم يمت فيها سوى ستة عساكر وجرح ٢٧ فقط ولم يحصل بالسفن الا مالا يذكر من الاضرار أما الطوابى التى هى من الطراز القديم فقد اندكت عن آخرها وتخربت أسلحتها وقتل فيها من الجنود مالا ينقص عن ٥٥٠ شخصا وجرح قدر هذا العدد تقريبا ورمى ضباط القلاع بالجهل لتركهم علامات موانع الصواعق مرفوعة فكانت سببا لاحتراق مخازن البارود ولجودة تصويب وضبط القاء المقذوفات التى كانت تلقيها المدرعات وقت الضرب اﻫ وبعد سكوت المدافع توجه عرابى مع النظار وعرضوا على الخديو ما حصل وقال عرابى اذا كان الغرض هدم الطوابى فقد تهدمت واذا كان الغرض غير ذلك فما العمل فعقد الخديو مجلسا حضره درويش باشا وبعد المداولة تقرر انه اذا أعادت السفن اطلاق المدافع ترفع الطوابى الاعلام البيضاء علامة طلب الكف عن القتال والمسالمة ثم توجه طلبه باشا على زورق وبقابل الاميرال سيمور ويخبره بأن الحكومة المصرية ليس بينها وبين انكلتره ما يوجب تكدير الصلات فضلا عن الحرب بل انها ادا ثما محافظة على حقوقها وحقوق رعاياها واذا كان الغرض ازال المدافع منها فقد تهدمت الطوابى جميعها وتكسرت المدافع وليس عندنا قوة تدفع المراكب بل ولا تردحر بافتوجه المذكور صباح يوم ١٢ يوليو وقابل ياور الاميرال وأخبره بما استقر عليه رأى الخديو والمجلس فقال له الياور ان الاميرال يطلب احتلال ثلاثة مواقع متجاورة وهى طابية العجمى والمكس وباب العرب ليجعلها مركز الجيش الانجليزى وانه يطلب بذلك أمرا من الخديو فى الساعة الثالثة بعد الظهر وان تأخر الامر المذكور عن الوقت المعين فانه يستأنف الضرب ثانية ويأخذ تلك المواقع قهرا فرجع طلبه باشا وبلغ الخديو ما حصل فعقد المجلس وتقرر فيه اخبار الباب العالى بذلك لان الفرمانات السلطانية لا تجيز لخديو مصر مطلقا أن يتنازل عن اية قطعة من أراضى مصر وعاد طلبه باشا لابلاغ الاميرال قرار المجلس ولكن لما كانت المدة التى قررها الاميرال غير كافية لاخباره بالقرار المذكور لم يذهب طلبه باشا لمقابلة الاميرال هذا ولما رأى الجيش عدم استطاعة رجال الحصون على المقاومة وعلموا ان التسليم بمطلوب الاميرال يعقبه احتلال الجيش البرطانى المدينة صمموا على اخلائها وزعوا الفرسان فى انحائها لمحافظة على الامن وأمر الناس بالخروج على الفور فخرجوا أفواجا والاضطراب ملء قلوبهم والاندهاش مستول عليهم حتى كان الرجل منهم لا يلتفت الى أولاده والمرأة لا تسأل عن طفلها والاطفال تصيح والنساء تبكى والمنظر يفتت الاكباد وأمر سليمان داود أمير الالاى العساكر والرعاع بحرق المدينة فأخذوا يحرقون وينهبون وكان ذلك على غير رضا عرابى وبلا أمر من النظار قال عرابى فى تقريره ما ملخصه انه لما أشيع ان المراكب ستجرى الضرب على المدينة لتدمها خرج من كان باقيا فيها وخرجت العساكر بأولادها وزوجاتها بغير انتظام فأمرت عبيد بك أحد أمراء الالايات بجمع عساكر الايه وبان يمنع العساكر من الخروج ووقفت بنفسى فى باب شرقى أمنع العساكر وقيل لى ان سليمان سامى بك مع جانب من العساكر فى حالة جنون وانه يريد حرق البلد فأرسلت له حالا بالحضور فحضر ومعه بلوكان من غير المنتظمين فسألته عما نسب اليه من انه يريد حرق البلد فأنكر اﻫ ولكن المدينة كانت فى مساء الاربعاء شعلة نار وكان الخديو مقيما فى سراى الرمل ومعه نحو الخمسين من الذوات والاتباع والحاشية واجتمع حول السراى نحو ٥٠٠ نفر من عرب البحيرة قيل ان ابراهيم بك توفيق مدير البحيرة وقتئذ أرسلهم لمساعدة الخديو وانجاده فاضطرب

الجهادية

الجهادية من تجمعهم فصرفهم الخديو كما صرف العساكر والخيالة الذين بعثهم سليمان بك سامى وهم الذين أشيع عنهم وعن احاطتهم بالسراى انهم يريدون الفتك بالخديو وقد تخلف من هؤلاء الجنود ٢٥٠ جنديا من الخيالة معهم أحد البكباشية وانضموا الى معية الخديو ليكونوا فى خدمته وطوع أمره ثم ذهب عرابى الى جهة المحمودية وأخذ يجمع عساكره ثم توجه الى عزبة خورشيد الواقعة على مسافة ٥٠٠٠ متر من محطة السكة الحديد وهناك أخذ فى تشييد الطوابى والمتاريس وجعل معسكره العام فى كفر الدوار ثم أرسل عرابى يرجو الخديو الانتقال الى القاهرة وأرسل له قطاره المخصوص فلم يقبل وفضل البقاء بالاسكندرية خوفا على نفسه وفى يوم ٢٦ شعبان (١٣ يوليو) حضر زهراب بك من الاسكندرية وأخبر الخديو بخروج جنود عرابى من المدينة وان الاميرال سيمور عزم على انزال جنود بحرية برأس التين وانه يدعوه الى سفينته ليكون فى مأمن ففضل الخديو الاقامة بسراى رأس التين هو وعائلته وحاشيته ومعه درويش باشا ونزل الاميرال سيمور و بعض جنوده للسلام عليه ثم قصده بعد ذلك بعض وكلاء الدول وهنؤه بالسلامة وأنزل الاميرال بعض الجنود لخفارة السراى والمدينة لاطمئنان المتخلف فيهما من الاهالى واتضح من يومئذ ان الحرب الذى أقر عليه المجلس العمومى المنعقد فى يوم ١٠ يوليو تحت رئاسة الخديو كان على غير رأيه وان وافق ظاهرا لانه بعد ستة أيام من خروج عرابى من الاسكندرية بعث الخديو اليه تلغرافا يلقى عليه مسؤلية الحرب ويخبره بحصول الصلح ويأمره بالحضور الى الاسكندرية للمكالمة وكتب راغب باشا رئيس النظار لكافة مأمورى الحكومة يخبرهم بحصول الصلح ويأمرهم بابطال التجهيزات الحربية وذلك بعد ان كتب راغب باشا للاميرال سيمور يخبره بأن الخديو عزم على عزل عرابى من وظيفته (١٧ يوليه) وأرسل الخديو أيضا كتابا الى عرابى بمعنى ما تقدم وقد أدرجناه بذيل الصحيفة افادة للقراء (١) أما عرابى فانه امتنع عن الحضور للاسباب التى ذكرها فى جوابه المدرج بأسفل الصحيفة (٢) ولما وصل الى عرابى كتاب الخديو بعث بتلغراف

---

(١) كتاب الخديو الى عرابى باشا — اعلموا أن ما حصل من ضرب المدافع من الدونانمة الانكليزية على طوابى اسكندرية وتخريبها انما كان السبب فيه استمرار الاعمال التى كانت جارية بالطوابى وتركيب المدافع التى كما كان يصير الاستفهام عنها كان يصير اخفاؤها وانكارها والآن قد حصلت المكالمة مع الاميرال فأفاد بأنه ليس للدولة الانكليزية مع الحكومة الخديوية أدنى خصومة ولا عداوة وان ما حصل انما هو فى مقابلة ما كان من التهديد والتحقير للدونانمة وانه اذا كان بيد الحكومة الخديوية جيش منظم وممتثل ومؤتمن فهو مستعد لتسليم مدينة اسكندرية اليها ولذلك اذا حضرت عساكر شاهانية فالحكومة الانكليزية تحترمهم وتسلم اليهم المدينة فقد تحقق من هذا ان الدولة الانكليزية ليست محاربة مع الحكومة الخديوية وانه تقرر من جميع الدول المعظمة فى المؤتمر بأنه لا يصير مس امتيازات الحكومة ولا حريتها ولا مس حقوق الدولة العلية بل هى تبقى ثابتة لها كما كانت وأن يصير ارسال عساكر شاهانية لاجل استتباب الراحة بمصر فلذلك يلزم أن تصرفوا النظر عن جمع العساكر وعن كافة التجهيزات الحربية التى تجرونها بوصول أمرنا هذا وتحضر واحالا الى سراى رأس التين لاجل اعطاء التنبيهات المقتضية الشفاهية على حسب أمرنا هذا وما استقر عليه رأى مجلس النظار ١٧ يوليو سنة ١٨٨٢

(٢) جواب عرابى باشا الى الخديو — مولاى — فى شريف علم مولاى المعظم ان المحاربة التى وقعت بيننا وبين الانكليز انما تسببت من طلبات من الاميرال الانكليزى وبلغت مسامع عظمتكم وعرضت على مجلس نظاركم المنعقد تحت رئاسة سموكم بحضور كثير من ذوات البلاد المنتخبين ودولتلو درويش باشا نائب الحضرة السلطانية

الى يعقوب سامى باشا وكيل الجهادية بأمره بأن يعرض على المجلس مسئلة بقاء الخديو فى الاسكندرية ومسئلة الامر التلغرافى المذكور وكذا مسئلة المناوشات الحربية الحاصلة من الجيش الانكليزى ضد الجيش المصرى بجهات جسر النواتية لانه يستدل منها على عدم حصول الصلح فعقد يعقوب باشا مجلسا عموميا فى ديوان الداخلية جمع فيه وكلاء النظارات ورؤساء المصالح والعلماء والاعيان والرؤساء الروحانيين وغيرهم وعرض عليهم ما أمره به عرابى فأخذوا يتداولون فى الامر وقام فى المجلس عدة ضباط وطعنوا على الخديو بأنه باع البلاد والتجأ الى الاعداء وغير ذلك من أقوال السخف والطيش ثم استقر رأيهم على ارسال وفد الى الاسكندرية ينظر فى حقيقة الامر ويطلب من الخديو والنظار العودة الى مصر عاصمة البلاد فان كانوا مطلقى السبيل أجابوهم الى ذلك وان كانوا مكرهين على البقاء تحت حفظ العساكر المحاربة للبلاد فيعود الوفد الى مصر ويخبر المجلس بالحاصل فتألف الوفد من على مبارك باشا ورؤف باشا والشيخ على قابل والسيد أحمد بك السيوفى وسعيد بك الشماخ وتوجهوا الى الاسكندرية ثم عادوا وبقى فيها على باشا مبارك وأحمد بك السيوفى وأخبروا ان الخديو أصدر أمرا بعزل عرابى بعد ان كتب راغب باشا الى الاميرال سيمور فى ١٧ يوليو يخبره بأمر الخديو كما تقدم لان عرابى لم يكف عن التأهب والتجهيز واعداد وسائل الدفاع ولذلك صار يعتبره وحده مسؤلا عما يحدث وأصدر الخديو أمرا أيضا الى وكيل الجهادية بمصر

ولما تحقق عند جميعهم ان هذه الطلبات مضرة بالحكومة الخديوية ومخلة بشأن البلاد قر رأيهم على معارضة طلب الاميرال ولو أدى ذلك الى الحرب وبناء على ذلك قرر المجلس المذكور لزوم زيادة خمسة وعشرين ألف عسكرى وصدرت الاوامر الى المديريات بطلبهم وقرر المجلس أيضا انه لا تطلق المدافع من جهتنا الا بعد اطلاق خمسة مدافع من السفن الانكليزية ولما ابتدأت السفن باطلاق النيران على مدينة الاسكندرية لم تقابلها الا بعد عشرين طلقة ولم يكن عندنا قبل وقت الضرب أدنى استعداد لاستمرار الاوامر بعدم الاستعداد ثم بعد ذلك أعلن حضرة رئيس مجلس النظار وناظر خارجية حكومتكم الى جميع جهات الادارة بان تجعل البلاد حربا مع الانكليز وأنها صارت تحت الاحكام العسكرية كلها وتحكم القانون زمن الحرب فبهذه الاسباب يا مولاى تكون حكومتكم الخديوية المصرية محاربة للدولة الانكليز بوجه الحق والشرع ولم يحصل من الحكومة ولا من عساكرها أدنى تحقير ولا ازدراء بالدونانمة كما هو معلوم لدى عظمتكم وانما كان الحرب عدوانا من الانكليز على الحكومة التى لم يبد منها أدنى شئ يستوجب الحرب فان كان الاميرال فى محاربته مع سموكم أظهر انه عدل عن المحاربة الى المسالمة فذلك بعد وقوع الحرب بعد طلبنا للصلح وسعيا فى تجديد العلاقات ولا يجوز أن يكون انكار الحرب بالمرة وتبرؤا من العدوان بعد وقوعهما ولا شك فى أنى أوافق على أفكار سموكم فى الميل الى الصلح مع حفظ شرف البلاد والحكومة وان كان الاميرال يريد تسليم المدينة لجيش حكومتكم المنظم بعد ان تخربت عدافع السفن الانجليزية هدما وحرقا فها هو جيشها المنظم الذى لم يقع منه أدنى أمر يخل نظامه مستعد لان يستلمها بعد براح المراكب من مياه الاسكندرية والمحافظة على شرف حكومتكم الوطنية ينبغى الاستمرار على الاستعداد العسكرى كما وافق ذلك رأى سموكم أولا حتى تفارق المراكب السواحل المصرية خوفا مما عسى أن يحدث من قبيل ما سبق فقد صارت الحادثة الماضية برهانا جليا على ان الوعد بالمسالمة من الانجليز لا يمكن كمال الثقة به وانما هو لاجل شغلنا عن الاستعداد واقتراح مطاليب مضرة بمصالح البلاد وانى كنت أتمنى أن أمثل بين يدى عظمتكم لابداء هذه الملحوظات لكن من الاسف انه تحقق عندى من الاكتشافات الحقيقية ان مدينة الاسكندرية مشغولة الآن بعساكر الانكليز فمن المعلوم عند مولاى أنه لا يمكننى الحضور لتلك المدينة لهذا السبب فاذا استحسن لدى مولاى فليصدر أمره السامى بحضور حضرات النظار أو سعادة رئيس مجلس النظار الى مركز الجيش للمداولة فى هذا الامر لنكون على بينة من الحقيقة حتى يمكننا بعد ذلك صرف العساكر وترك التجهيزات الحربية والحضور الى المدينة والامر لمن له الامر افندم ١٨ يوليو سنة ١٨٨٢

يخبره

بخبره بذلك و بابطال التجهيزات فعقد المجلس العمومى ثانية واجتمع فيه نحو خمسمائة نفس بينهم بعض أمراء العائلة الخديوية ومعهم شيخ الجامع الازهر وقاضى مصر ومفتيها والشيخ السادات والسيد البكرى وكثير من العلماء والاعيان والذوات و بطريرق الاقباط وحاخام اليهود وبعد المداولة طويلا استقر رأيهم على وجوب استمرار الدفاع ولم يكن فى إمكانهم أن يفعلوا غير ذلك وقتئذ لئلا يحل بهم العقاب من الحزب العسكرى وكتبوا تلغرافا للحضرة السلطانية بما حصل وأخذ عرابى يتحصن فى كفر الدوار وأرسلت فرق من الجنود الى جهات الصالحية والاسماعيلية والسواحل وأوقف المجلس أيضا انفاذ الاوامر الخديوية فى جميع جهات القطر الداخلية بدعوى ان الخديو فى قبضة العدو وانه خرج عن مقتضيات الشرع الشريف وتشكل فى مصر مجلس عرفى بديوان الجهادية أعضاؤه بطرس باشا غالى وكيل الحقانية وحسين باشا وكيل الداخلية ويعقوب سامى باشا وكيل الجهادية وأحمد نشأت باشا ناظر الدائرة السنية ولما تمت خطوط الدفاع بكفر الدوار هاجم عرابى باشا ضواحى الاسكندرية واستعد الانجليز لمقاومته وانتشب القتال بين الفريقين وكان الحرب سجالا وأخذ بعض المهاجرين يعودون الى الاسكندرية وفى أواسط شهر أغسطس استعفت وزارة راغب باشا فشكل الخديو وزارة جديدة رئيسها شريف باشا وكان ناظرا للخارجية أيضا وكان رياض باشا للداخلية وعمر لطفى باشا للجهادية والبحرية وحيدر باشا للمالية وعلى مبارك باشا للاشغال العمومية وخيرى باشا للمعارف وحسين فخرى باشا للحقانية ومحمد زكى باشا للاوقاف وأصدر الخديو عفوا عن الضباط المنفيين بتهمة المؤامرة ضد العرابيين فعادوا الى الاسكندرية وأعلن الخديو أيضا بعصيان عرابى غير ان أوامره كانت لا تأثير لها إلا فى الاسكندرية فقط لان أوامر الحزب الوطنى ونواهيه هى التى كانت سائرة بين الاهالى وقال عرابى فى تقريره أما الرأى العام فجميع الذوات والعلماء وأعيان البلاد كانوا يأتون بدون انقطاع فى كفر الدوار وحتى فى رأس الوادى وكل يجود بما عنده من الرأى وبما ذكر تكون الامة المصرية على اختلاف مذاهبها اما محاربة بالحق والقانون أو عاصية باغية بالقوة والقهر اه وفى خلالها أخذت الجيوش الانكليزية تفد الى الاسكندرية لمحاربة عرابى حتى بلغوا ومشد ١٤،٠٠٠ من المشاة وثلاث فرق من الفرسان و ٩٤٠ من الطوبجية عليهم ٣٢ ضابطا ومعهم ٢٦ مدفعا و ٥٤٠ مهندسا وتسعة آلاف من الجيوش الهندية وعدد عظيم من خدمة الجسور والتلغرافات والسكك الحديدية وكان يقود هذا الجيش الجنرال ولسلى (Garnet Wolseley) أما جيش العرابيين فى كفر الدوار فكان نحو ٣٠٠٠٠ بين جنود منتظمة وعربان ومتطوعين وقد صد هذا الجيش الجيش الانجليزى فى عدة وقعات لان المتاريس والاستحكامات التى أقامها العرابيون على خطوط الدفاع بين ملاحة أبوقير وملاحة مريوط من الرملة البيضاء الى كفر الدوار جعلت هذا الخط منيعا وقد ازدادت الصعوبات على أهالى الاسكندرية والجيش الانكليزى بعد ماسد عرابى ترعة المحمودية وقطع مياهها عن الاسكندرية حتى اضطر قنصل الانجليز أن يخبر زملاءه من قناصل الدول بمنع عودة رعاياهم الى الثغر لقلة الماء به وكانت أهالى القطر تساعد جيش عرابى بكل احتياجاته طوعا أو كرها فاجتمع للجهادية نحو ٨٠٠ من الخيل والبغال و ٤٠٠ من الجمال والبقر والجاموس أما الاغنام فشئ كثير وقد تبرع كثير من الاهالى عن طيب نفس وقال عرابى

فى تقريره حتى إن من جملة المتبرعين دائرة دولتلو رياض باشا وخيرى باشا مع كونهما غائبين عن مصر وجميع دوائر العائلة الخديوية وأقام عرابى لذلك نزلا فى كفر الدوار وفى التل الكبير وفى كفر الزيات وكان على نزل كفر الزيات يوسف شهدى باشا وكنت بمعيته مع طائفة فرقاطة محمد على ولما وصل الجنرال ولسلى ثغر الاسكندريه نشر نشرة قال فيها انه لم يأت الى مصر الا لتأييد سلطة الخديو وانه يحترم دين الاهالى وعوائدهم ويطلب من الاعيان مساعدته على قمع العصاة وغير ذلك وقد أدرجناها بأسفل الصحيفة كعادتنا (١) ونشرت معية الجناب الخديو أيضا منشورا قالت فيه ان العساكر الانكليزية نائبة عن الخديو فى اعادة الامن والراحة الى البلاد وهى تدعو الامة الى مسالمتهم وتقديم ما يحتاجون اليه وقد أدرجناها بأسفل الصحيفة أيضا (٢) وفى تلك الاثناء

---

(١) يعلن الجنرال ولسلى قائد الجيوش الانكليزية ان الدولة البريطانية لم تقصد بارسال التجريدة العسكرية الى القطر المصرى الا تأييد سلطة الجناب الخديو فجنودنا لذلك لا تقاتل الا من كان شاكى السلاح خالعا الطاعة الخديوية أما سائر الاهالى الذين يكونون فى هدء وسكينة فلا يمسهم أذى بل سيحترم دينهم وتصان مساجدهم وعائلاتهم ومايلزم للعيش من زاد وغيره يؤدى ثمنه ولذلك تدعو الاهالى الى تقديم مايحتاج اليه الجيش ثم ان الجنرال قائد الجيوش يسر كثيرا وينشرح صدرا من زيارة مشايخ البلاد وغيرهم ممن يود المساعدة فى قمع العصيان والقاء القبض على العصاة الذين عصوا الجناب الخديو أمير البلاد وواليها الشرعى المعين من لدن الحضرة السلطانية فى الاسكندرية فى ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٢ الامضا الجنرال غارنت ولسلى قائد الجيوش الانكليزية فى الديار المصرية

(٢) ارادة خديوية سنية صادرة من المعية السنية لكافة أهالى وسكان القطر المصرى ليس يخاف ما أقدم عليه أحمد عرابى وشيعته الضالة من الافعال المغايرة والتشبثات الفوضوية التى أخلت بنظام القطر وأضعفت الثقة به بل أورثته الخسائر والاضرارات الجسيمة ولاسيما بانضمام الجيش المصرى اليه واتحادهم معه فى البغى والمجاهرة بالعصيان لحكومتنا الخديوية حتى ارتبكت الاحوال وخيفت العاقبة فبادرت الممالك العظيمة بانعقاد المؤتمر الدولى فى الاستانة للنظر فى المسئلة وتقرير ما به حلها وبعد البحث والمذاكرة فى ذلك قد استقر رأيهم على اتخاذ الطرق التى يلزم عليها عود سلطتنا الخديوية وتأديب هؤلاء الخارجين لتستتب الراحة وتزول أسباب المفاسد حرصا على عمارية القطر واحترازا مما عسى أن يلم به من الدمار ولما كانت الدولة البريتانية الانكليزية لها به المنافع الكبرى ماليا وماديا ولا سيما بالنظر الى قنال السويس الذى هو طريقها الوحيد للخطة الهندية المهمة فقد أخذت على عهدتها وتحت امرتها التداخل الفعلى لقمع هؤلاء المفسدين ومحو آثار الفتن دون أن تمس بحقوق السلطنة السنية ولا الامتيازات المصرية ولتحققنا أن نيتها ومساعيها فى الظاهر والباطن ليس الا الاصلاح ولا غاية لها فى الاستيلاء على البلاد ولا الفتك باهلها لعداوة دينية ولا غير ذلك مما يذيعه العصاة تنفيرا منهم للعامة وتبغيضا لهم فى الامة الانكليزية على حسن مقاصدها المذكورة ولا يزال العاصون على حالهم من المقاومة وتجسيم الحال المؤدى لزيادة الخراب حتى اعتبرتهم السلطنة السنية عصاة مخالفين للاحكام الشرعية فاستدراكا للامر ومراعاة للمصلحة العامة قد رخصنا لحضرة القائد العمومى للجيش الانكليزى بالتحول نحو جموع العصاة واستعمال الوسائط القاهرة لتبديد شملهم وسرعة القبض على رؤسهم لقصاصهم بما يستحقون من أشد العقاب وبما أن العساكر الانكليزية يعدون فى هذه الحالة نائبين عنا فى قطع دابر المفسدين وتخلية البلاد منهم ليعود الامن والراحة ويزول الشقاء عن العباد ومن كانت هذه صفتهم فانهم جديرون بالمعاونة والمساعدة ولا ريب من جهتهم بوجه من الوجوه فينبغى أن لا يرهب منهم أحد ولا يظن فيهم سوأ أو مكروها وأن لا يعاملوا بما يستوجب المنافرة بل على كل مصرى يحب وطنه ويخشى خرابه أن يعاملهم لقاء حسن نياتهم بالاكرام اللائق بهم ولا يتأخر أحد عن مساعدتهم فى تقديم ما ربما يحتاجونه من المؤنة والعلوفة باثمانها السائرة التى هم مستعدون لادائها فورا فمن فعل كذلك فقد وفى ما يجب عليه من حقوق الوطنية الصادقة واستوجب رضا الله ورضانا عنه فضلا عما يراه منهم من المكرمة ومن أبى وخالف وقابلهم بالمكابرة الوحشية التى لا تجديه نفعا فقد عرض نفسه للتهلكة التى نهى الله عنها وتحققنا أنه من العصبة الباغية فأمره كأمرهم هذا واننا نحذر الناس كافة من سكان البنادر والبلدان وبالاخص

استدعت

استدعت الدولة من مصر مندوبها درويش باشا فسافر مع حاشيته وبعد أن هاجم الجنرال ولسلى جيش عرابى ورأى متانة استحكاماته وانه لو أراد الاستيلاء عليها اخسر خسارة كبيرة وجه قوته على العرابيين من جهة قنال السويس وكان يرافق جيشه كثير من ضباط مصر ورافقه أيضا سلطان باشا المساعدته ولما تحول الانجليز الى ثغر السويس واستولوا عليه خطر للعرابيين سد القنال منعا للسفن الانجليزية من المرور وخاف دولسبس من انطماس أثره فاتخذ وسيلة يدفع بها عن الترعة شر العرابيين فتظاهر بمقاومة الانكليز محتجا على حلولهم السويس فانصرف ذهن عرابى باشا الى ان الموسيو دولسبس انحاز اليه ويقال ان محررات دولسبس الى حكومة فرانسا هى التى جعلتها تتخذ الحيادة طريقها بعد اشتراكها فى كل المداخلات الابتدائية بما كان يظهر لها من خطارة الحركة العرابية وقيام الامة المصرية بأسرها وانه يعسر على الانكليز الانتصار وكان دولسبس من جهة أخرى يخاطب عرابى باشا تلغرافيا بخصوص احترام ترعة السويس ويقول له انه مادامت المراكب الحربية البرطانية لم تتخذها ميدانا للحرب فاحترامها يجعل سياسة باقى الدول الاوروباوية مائلة اليه وغير ذلك من الاقوال التى لولاها لاتبع عرابى باشا كما يقال نصيحة قنصل الروسيا الذى قال له ان أردت النجاح فأول عمل تجريه عند قيام العدوان سد القنال ولما وصلت المراكب الحربية الانكليزية الى مدينة الاسماعيلية (٢٢ اغسطس سنة ١٨٨٢) وتم احتلالها للقنال وأطلقت المدافع على جهة نفيشه كتب عرابى الى الموسيو دولسبس يقول انه مادامت الترعة اتخذت ميدانا للحرب فقوانين الحرب تقضى عليه باعتبارها كذلك فرد عليه دولسبس بأن يفعل مايسوغه له قانون الحرب لوثوقه بعدم قدرة عرابى على سد القنال بعدما احتلته الاساطيل الانكليزية وكان عرابى كتب الى الاستانة يقول بما ان الانكليز خرقوا نظام حيادة قنال السويس فقد صارت مصر مضطرة الى سده وتعطيله ثم أصدر أمره الى راشد حسنى باشا قومندان خط الشرق والى محمود فهمى باشا باشمهندس عموم الاستحكامات بسد الترعة الحلوة الاسماعيلية والقنال إن مكنتهم الاحوال الحربية فلم تمكنا الامن سد الترعة الحلوة فقط وأقام الجنرال ولسلى فى الاسماعيلية وبعد أن أتته الامدادات من الهند شرع فى الحركات العسكرية واشتبك الانكليز مع جيش العرابيين فى جهات المسخوطة والمحسمة فى ٢٣ أغسطس فاقتتل الفريقان قتالا شديدا اشتركت فيه العربان مع العرابيين وبعد قليل اضطر راشد حسنى باشا وخالد باشا الى التقهقر (٢٥ أغسطس) وأخذ محمود فهمى باشا أسيرا ويقال انه هو الذى سلم نفسه لما

المحروسة عن المهاجرة من بلادهم وانحيازهم لجانب العصاة طوعا أو كرها منهم فيدهمونهم بما دهموا به أهل اسكندرية عندما خدعوهم على تخليتها فى أقل برهة وبخروجهم تمكن الباغون المنافقون من نهب المدينة وحرق أهم جزء فيها بغتة فليعتبر العاقل بغيره

فعلى علماء وذوات وعمد ومشايخ البلاد ووجهائها وتجارها الذين نتوسم فيهم الخشية والسكينة والاخلاص الحقيقى لجانب الحكومة ويعز عليهم وطنهم ولهم الخبرة بالعواقب أن يذعنوا ويمتثلوا لاوامرنا هذه وينظروها بعين النصيحة المحضة لصالحهم وصالح القطر ويلزموا العامة باتباعها كى لا ينزعجوا ويكونوا آمنين مطمئنين على أنفسهم واعراضهم واموالهم من قبل العساكر الانكليزية فلا يمسهم ضرر ولا يلحقهم كدر مادا موا مجتنبين للعصاة وهذا ما اقتضته ارادتنا ا ه

رآه من فشل العرابيين وورد فى الصحف الانكليزية ان فرق الجيش البرطانى بعد ان حلت فى المحسمة وتحصنت فيها تجمع العرابيون بقوة مؤلفة من الالاين من المشاة وثلاث بطاريات من المدافع وعدد كثير من العربان وهجموا على مواقع الانكليز بامرة راشد باشا حسنى وبينما كان القتال جاريا جاء الامداد الى راشد حسنى باشا على قطار مخصوص وكان قد سبق ذلك ان تشدد العرابيون وكروا على الانكليز كرة واحدة أبعدتهم قليلا عن المواقع التى كانوا قد استولوا عليها ولكن القادة الانكليز هجموا ثانيا على العرابيين وألجؤهم الى الانهزام واتفق ان محمود باشا فهمى وصل الى ساحة القتال ساعة الانهزام ولم يكن بصحبته الا خادمه ففاجأه الخيالة الانكليز وألقوا القبض عليه وسيق ثانى يوم الى الجنرال ولسلى فسأله الجنرال عما اذا كان ممن ولوا الادبار تاركين المعسكر بعد الموقعة أو ممن دخلوا فى الاسر قهرا فأجابه انى أسير ولست منهزما اهـ ثم انتقل عرابى الى التل الكبير وأتاه من مصر على فهمى باشا مع باقى الجيش وأخذ يحشد الجنود ويقيم الحصون هناك قال موسيو هنس رزنر فى كتابه نقلا عن الكتاب الازرق الرسمى ما ملخصه انه بعد ما طلب الباب العالى من انكلترة اخراج عساكرها من اسكندرية قائلا ان وجود الخديو والمشير درويش باشا فيها كاف لاعادة النظام جاوبه الارل غرانفيل ناظر خارجيتها بان عرابى جمع جيوشه بهيئة عدوانية فى كفر الدوار فلذلك أمرنا الاميرال سيمور بانزال رجاله فى المدينة أولا لكى يحافظ على شخص الخديو وثانيا ليعيد الامن والنظام ولكن فى علمكم اننا لا نريد قط احتلال القطر المصرى وانما أعمالنا هذه كلها لحفظ سيادة الباب العالى وحقوق سمو الخديو على مصر بما أن جلالة السلطان غير مهتم بذلك اهـ فعندئذ صمم الباب العالى على ارسال جيش عثمانى الى مصر وأعلن أعضاء المؤتمر ببلاغ أرسله اليهم فى ٢٨ يوليو من سنة ١٨٨٢ بأن الدولة العثمانية تقبل ارسال جنودها لاحتلال مصر ولكنها تشترط جلاء العساكر الانكليزية عنها عند وصول الجنود العثمانية اليها فأجاب اللورد دوفرين بالقبول بناء على ما ورد اليه من حكومته ولكن قبل الكلام فى ذلك يصدر الباب العالى منشورا يعلن فيه الامة المصرية بعصيان عرابى وبناء على ذلك أصدر الباب العالى منشورا باعتبار عرابى عاصيا ونشر منه فى جميع الجهات نحو ثلاثين ألف نسخة (١) وكان العرابيون ينشرون

---

(١) البيان نامه الرسمية الصادرة من الباب العالى بارادة سيدنا ومولانا السلطان المعظم أمير المؤمنين خليفتنا الاعظم اشعارا لجميع المسلمين بأن الافعال التى أجراها عرابى وأعوانه ورفقاؤه فى مصر مخالفة لارادة الدولة العلية السلطانية ومجحفة بمصالحها ومضرة بمصر ومغايرة لمصالح المسلمين وبناء على ذلك تقرر ان عرابى وأعوانه (عصاة) (بغاة) وبهذه الصفة تجرى معاملتهم
ليكن معلوما للجميع ان الخديوية المصرية هى مودعة من طرف حضرة ملجا الخلافة العظمى الاشرف لدى عهدة استئهال حضرة دولتلو محمد توفيق باشا وفقا للاحكام المأذونية الممنوحة بالاوامر العلية السلطانية ولما كان حضرة الخديو المشار اليه وكيلا مطلقا للسلطنة السنية فى ادارة الامور المصرية كانت أوامره مطاعة والسلوك بما يخالفها موجبا للمسؤلية والحال ان عرابى باشا خلافا لصريح الاحكام القانونية صار سببا لسوء التعرض لوظائف الحكومة وسلب أمنية المملكة والاخلال بالراحة ولوقوع مضار وفقدان فوائد شتى على كثير من الاهالى مالا ونفسا وصار سببا فى نهاية الامر لوقوع مداخلات عسكرية خارجية فى مصر أما تطرق دولة انكلترة المحبة القديمة للسلطنة السنية الى درجة اطلاق المدافع على الاسكندرية فكان الباعث اليه التهييرات التى جرت فى استحكاماتها وعدم الامنية من أن تمسى أساطيل الدولة المشار اليها الراسية فى مرساها هدفا للحركات وتعرض المدافع التى كثر مقدارها فى تلك الاستحكامات على أن

فى

فى ذلك الوقت فى جرائدهم وغيرها أخبار وقائعهم مع الجيش بكيفية مضحكة ولسوء البخت ان أغلب

الحكومة السنية قد كررت أوامرها بترك التجهيزات وتعطيلها لكى لا يكون سبيل للاساطيل الانكليزية لايقاع التعرض وتعددت النصائح المشفقة المقبولة المنطوية على كثير من الادلة المقنعة تثبيتا لوخامة العمل الذى ينتج من عكس المسلك فلم يطع عرابى باشا هذه الاوامر ولم يمتثل لتلك الوصايا الزواجر ولما ابتدأت الاساطيل المذكورة بحركات التعرض على المدينة أظهر ان المقابلة الواقعة من الاستحكامات كانت على شكل دفاع ضرورى والحال انه قد ظهر وثبت من حركات عرابى باشا ان مقصده الاصلى انما هو ايقاع المملكة فى نزاع واختلال والقاء الاهالى فى تباين واختلاف توصلا لمنافعه الذاتية الغير المشروعة لانه لو كانت نيته وفكره على غير هذا الامل لما كان أولا جعل سببا وأبدى استعدادا لاحوال من شأنها ان تجلب على الاسكندرية شديد صدمات تلك الاساطيل وكان الاجدر به أن يصغى للاوامر والنصائح التى أمرته بالتوقى من هذه الكوارث وكان ثانيا اعمل الفكر فى عدم الاستطاعة المشروط لزومها بحسب الشرع والمسلم بها عند كل فرد مع قطع النظر عما يلزمهم فى مبحث المقابلة للاساطيل من الاسباب العديدة والشرائط المهمة ولكان توقى سبب اراقة دماء كثيرين من البشر بلا موجب ترويجا لمقصده وأمله ولما جلب على الخطة المصرية مداخلة عسكرية أجنبية وألقى الدولة العلية فى الموقع المشكل الذى هى فيه اليوم أما قصده بحصر محل اقامة الحضرة الخديوية مرة ثانية عقيب اطلاق المدافع على الاسكندرية فانه كان مبدأ لمداخلة عسكرية برية حيث أوجب الحال على أميرال الاساطيل أن يخرج الى البر عسكرا لاجل استحصال الامنية ثم ان الدولة تكرمت بارسال هيئة مرخصين مؤلفة من حضرة درويش باشا أحد المشيرين ولبيب أفندى رئيس محكمة التمييز وأسعد افندى أحد السادات الكرام ووكيل الفراشة الشريفة وقدرى افندى بقصد جلب عرابى باشا الى دار السعادة لتجرى عليه التنبيهات والتلقينات بنوع أبلغ وازيد ليقلع عن المسلك الغير المستقيم الذى سلكه فى مصر ولكى تحل المسألة المصرية حلا سلميا تدرأ به اسباب وقوع المداخلة الاجنبية ولئلا يترك سبيل يضطر الدولة اضطرارا مؤلما لاعمال القوة جبرية نحو أولئك الافراد الذين اختاروا طريق الغفلة وسلكوا مسلكا غير معقول من غير تمييز لحقيقة الحال أعنى من غير تصور وادراك المضار التى تلم ببلادهم وبالدولة من المسلك الذى سلكوه فلم تأل هذه الهيئة جهدا فى سبيل اجراء مأموريتها متشبثة بكافة الوسائل والاساليب وطالما أبلغت عرابى باشا المومأ اليه نصائح شتى دينية شرعية وعقلية وزمانية فلم يلق للطاعة سمعا وكان جوابه القطعى النهائى دالا على ثباته فى مسلكه معلنا باستعداده لمقابلة كل من تخطى الى الخطة المصرية أجنبيا كان أو غير أجنبى وعدم قبول عساكر الدولة العلية اذا اقدمت الى القطعة المصرية كما تحقق ذلك من التقرير الرسمى المشترك المتقدم من طرف هيئة المرخصين المار ذكرها أما انسحاب عرابى باشا من تلقاء نفسه الى مصر وتشكيله هيئة ادارية وتصديه للسلوك ضد الحكومة المحلية فقدار درجة عدم مشروعيته ووخامة عاقبته أمر لا يحتاج الى الدلائل والبينات وهنا أمر واضح جدا وهو انه كلما ازدادت درجة استمرار عرابى باشا وأعوانه فى المسلك الذى باتوا يشتغلون به اليوم وقد ألبسوه لباس المشروعية ستر المقاصدهم المضرة مثابرين على تغرير افراد الناس الغير الواقفين على الحقائق يستميلونهم لمتابعتهم بنشرات رعاعية تزداد بنسبة ذلك تشبثات دولة انكلترة للمحافظة على اعتبارها العسكرى وتتوسع بالطبع أيضا دائرة الغوائل السياسية الملمة بالدولة العلية والحاصل ان نتيجة الحال لا تكون أدنى فائدة للخطة المصرية التى هى الجزء المهم والمتمم للممالك المحروسة السلطانية بل تكون مضرة بها وتكون الدولة على الاطلاق غير سالمة من المحاذير ومع ان حركات عرابى باشا التى عددناها أعلاه أعنى الحركات التى أوقعها قبل ان تهدد الاساطيل الانكليزية مدينة الاسكندرية ولاسيما تفوهاته بالتهييج لمقابلة عساكر الدولة العلية بمقاومة مسلحة كانت داعية لشدة مجازاته ولكن بناء على مراجعته للحضرة الخديوية والتجائه للعفو السلطانى وللمراحم السنية الملوكانية ومن جهة أخرى بناء على ما وقع لدرويش باشا باسم العساكر المصرية من التأمينات والمواثيق الرسمية فى سبيل الطاعة للسلطنة السنية وتجديد الارتباط والصداقة للحضرة الخديوية وهى المواثيق والتأمينات التى نشرت قبلا فى أوراق الحوادث استنادا على اشعار درويش باشا المشار اليه قد شملت تضرعات عرابى باشا ومسؤلاته بعين العاطفة العلية وقرن ذلك أيضا بالمساعدة بتلطيفه بالنيشان العالى بناء على الانهاء الرسمى المتقدم من طرف درويش باشا المشار اليه ليكون باعثا له على تزايد الامنية وتجديد الانقياد والصداقة ولكن المومأ اليه لم يعرف قدر هذه الالطاف

الناس كان يصدقها لجهله وعدم معرفته بشأن الحروب وعلى ذلك كانت ترد على عرابى ورجاله تهانى النصر من كل الجهات واليك مثالا من الاخبار التى نشرتها جرائدهم عن واقعة المحسمة وهى التى خذلوا فيها كما تقدم قالت جريدة الطائف كانت الحرب سجالا بين المتحاربين وأحاطت مراكب الانكليز بعساكرنا فى المحسوطة امام الاسماعيلية فى يوم الجمعة ١٠ شوال سنة ١٢٩٩ بعد ان أذاقهم عساكرنا كأس المنون يوم الخميس وكان فى وسط عساكرنا ستة آلاف نفر يشتغلون فى الاستحكامات فلما نزلت عليهم مقذوفات العدو تشتتوا وتخللوا العساكر فعاقوهم عن الحركة وعلا صياحهم فى وجوه العساكر فلم تتمكن من الضرب لامتلاء الميدان بهم حتى فاجأهم العدو برجاله فلم يجدوا بدا من الرجعة اه وقال رئيس أركان حرب الجيش المصرى الشرقى فى تلغراف أرسله الى يعقوب سامى باشا نهنئ سعادتكم بما حصل من الظفر فى هذا اليوم على العدو فى ميدان الحرب بين المحسوطة والاسماعيلية وذلك ان العدو خرج يوم تاريخه (١٠ شوال) من الاسماعيلية بأربع أورط من البيادة وأربعة مدافع جبلية وكثير من السوارى فتوجه فى الحال عبد القادر بك بالايه وأورطة من الاى على بك ومحمود أفندى الرشيدى بأورطة من السوارى وبعد ان قابلتهم بلوكات الخفر والمدفعيات وبلوكات السوارى أمدتهم العساكر وانتشر العربان واستمر الحرب من الصباح لساعة تاريخه فتزلزلت أقدام العدو ورجع الى الخلف اه هذا ولما قرأ عرابى باشا نشرة الباب العالى بعصيانه فى جريدة الجوائب نمرة ٢١٠٠ الصادرة فى يوم الثلاثاء ٢٩ شوال سنة ١٢٩٩ وقع فى قلبه اليأس لان حجته الكبرى كانت دعوى انه قائم بالمدافعة عن حقوق الدولة العلية فى مصر فتشاور مع صديقه الحميم عبد الله نديم وأقرا على اخفاء ذلك عن الجند وفى رواية انه جمع مجلسا وتلا عليهم تلك النشرة فارتأى أكثرهم وجوب الاستمرار على الدفاع وذهب آخرون الى أن التسليم أسلم ولكن ترجح رأى الاولين وقد وصلت النشرة المذكورة إلى يد كثير من ضباط الجيش وغيرهم فشاع ذكرها وانكسرت القلوب وعم الخوف وانحلت عزائم فرق عديدة كانت تستعد لمساعدة العرابيين متطوعة من ذلك طائفة أهل كريد وكانوا عزموا على التطوع فى جيش عرابى لعلمهم بحسب ما شاع ان هذه الحرب برغبة الحضرة السلطانية ولم تكن هذه النشرة السبب الوحيد فى صرف الوجوه والقلوب عن عرابى وحزبه وان كانت هى السبب الاقوى بل كان الخديو ومن انحاز اليه وأغلب الكبراء والاعيان والحكام وأصحاب العقول يعاكسون عرابى ويجتهدون فى احباط مساعيه وكانت المكاتيب تأتى من اسكندرية من سلطان باشا وغيره إلى عمد البلاد وأعيانها حاثة لهم على مخالفة عرابى وأعوانه وان كل من ساعده دخل تحت طائلة العقاب

الجليلة وقد رشكرها بل استمر على الافكار السقيمة الغير المشروعة وعلى اعلان البغى والعصيان فمن ثم كانت النتيجة الطبيعية للاحوال والحركات المشروعة أنه دعا ذاته بذاته للحكم عليه بكونه باغيا عاصيا ويلزم أن يعلم أيضا أن حضرة الخديو هو من اركان الدولة العلية وامناء السلطنة السنية ومعتمديها الفخام وأن المحافظة على نفوذه واعتباره أمر ألزم ووقاية ما حازه من الامتيازات والاقتدار بموجب أحكام الفرمانات العلية أمر ملتزم وأن الحركات التى تجاسر عرابى باشا على اجرائها معه هى مغايرة بالكلية لرضا الدولة العلية فالآن لكى يحيط الجميع علما بأن صفة البغى التى اكتسبها عرابى باشا انما هى نتيجة عمله وان محفوظية نفوذ حضرة الخديو المشار اليه وامتيازاته هى مقررة لدى الدولة وملتزمة قد تحرر هذا الاعلان فى ٢٤ أغسطس (آب) سنة ١٨٨٢ اه

وارسل

وأرسل الخديو أيضا الى مدينة بورسعيد وفدا مؤلفا من سلطان باشا وفريد باشا وزكى بك وعثمان بك وغيرهم لدعوة الاهالى للطاعة وكلفوا أيضا بالتنقل فى البلاد لهذا القصد وغير ذلك مثل مساعدة الجنرال ولسلى وامداده بكل ما يلزمه من المعلومات والاحتياجات وأخذ عرابى يحصن جهات التل الكبير باقامة متاريس وطوابى تمتد من الصالحية والدار البيضاء حتى جبل عتاقه ليتيسر بها المدافعة عن البلاد بلا خسارة عسكرية كبيرة وبلغ مقدار ما جمعه عرابى بتلك الجهات ٣٠,٠٠٠ جندى نظامى غير البدو والمتطوعين معهم نحو ٧٠ مدفعا وفى أثناء ذلك أمضت دولة الانكليز مع الدولة العثمانية معاهدة حربية (١) بخصوص ارسال عساكر عثمانية الى مصر لتساعد الجنود الانجليزية على قمع الثورة تحت شروط منها أن يكون دخول العساكر العثمانية من رشيد أو دمياط أو أبى قير ومنها أن يكون مقدار الجيش العثمانى ستة آلاف فقط ومنها أن يبارح الجيشان مصر فى وقت واحد وغير ذلك من الشروط وكان سبب عقد هذه الشروط مع الدولة خوف انجلترة من قوة عرابى من جهة وان تحفظ لنفسها بذلك حقا من جهة أخرى وهو حق المداخلة واشترطت بأنه لا يتم عقد المعاهدة المذكورة الا بعد أن تصدر الحضرة السلطانية منشورا بعصيان عرابى كما تقدم وكان ذلك محاولة منها لانها كانت تسعى فى الانفراد الا اذا اضطرتها الاحوال الى قبول مساعدة الدولة وكانت هذه الشروط الثقيلة عقبة فى طريق مداخلة العثمانيين ومساعدا لترويج سياسة الانفراد التى تطلبها انجلترة التى كانت جرائدها تلح عليها بالانفراد فى تأييد سلطة الخديو وبعد أن استعد الجيش الانجليزى وعلم مقدار العرابيين ومواقعهم بواسطة عيونه هجم الجنرال ولسلى وكان عدد جيشه ١٥,٠٠٠ مقاتل معهم ٦٠ مدفعا على العرابيين جهة القصاصين فى ٢٨ أغسطس فقاوم العرابيون مقاومة تذكر ولعلها هى الوحيدة فى هذه الحرب كلها ثم انهزموا وجرح قائدهم راشد حسنى باشا وتولى بعده القيادة على باشا الروبى ويفهم من تقرير أرسله اللورد ولسلى عن هذه الواقعة مقدار مقاومة المصريين (٢) أما جرائد العرابيين فقد طنطنت بها كثيرا كعادتها وعدتها انتصارا لا يعادله انتصار قالت جريدة الطائف ... وعندما بلغ الخبر عرابى باشا اقسم ليذيقنهم عذاب الهون وقام من كفر الدوار الى رأس الوادى وحضر من مصر على باشا فهمى وتم ترتيب الجيش ومواقع الاستحكام برأس الوادى

(١) أولا ينبغى ان تكون التجريدة العثمانية مؤلفة من ستة آلاف جندى وان لا يضيف الباب العالى اليها عددا آخر الا بمخابرة انكلترة والاتفاق معها على الزيادة (ثانيا) يجب أن يكون حلول الجنود العثمانية فى رشيد أو أبى قير أو دمياط وان يكون خروجهم الى المواقع التى تدعى اليها من أحد هذه الثغور (ثالثا) يكون جلاء الجيشين الانكليزى والعثمانى من وادى النيل فى زمن واحد (رابعا) لا يقوم الجيشان بالاعمال الحربية الا بعد اجتماع القائدين العموميين على ما يجب ان يكون موضع العمل (خامسا) يجب ان ينضم الى الجيش العثمانى ضباط من أركان حرب الانكليز والى الجيش الانكليزى ضباط من أركان حرب العثمانيين ٩ صحيفة ٢٠٣ ج ٥ مصر للمصريين

(٢) قال الجنرال ولسلى عن واقعة القصاصين ان العرابيين هجموا على مركز الانكليز فى القصاصين وكانوا مؤلفين من ثمانى فرق من المشاة معززة باثنى عشر مدفعا ولم يكن الانكليز أكثر من فرقتين ونصف فرقة من المشاة وفرقة من الخيالة ولم يكن معهم أكثر من خمسة مدافع فحملوا على العرابيين واندفعت عليهم فرقة الخيالة فاعملت فيهم السلاح الابيض فاندحروا تاركين فى ساحة القتال ذخائرهم ولكنهم تمكنوا من استرجاعها بعد ان خيم الظلام اهـ

في ٢٤ ساعه وفي صباح ذلك اليوم عقد مجلس حربي تقرر فيه هيئة الهجوم على العدو ثم في ليلة الاثنين سهر علي باشا فهمي في تهيئة العساكر وتعيين النقط واعطاء التعليمات وفي الصباح وقفت العساكر على هذا الترتيب في الجناح الايمن بعد الترعة الاسماعلية أورطة من البيادة وأورطة من السواري وجانب من العرب وفي هذا الجناح من يسار الترعة ثلاث اورط من البيادة خلفها مدفعان واورطة امداد وهذا الجناح تحت حكمداريه أحمد بك فرج وفي القلب ثمان مدافع من الكروب خلفها ثلاث اورط من البيادة ثم ستة مدافع امداد وهذا القلب تحت حكمداريه علي باشا فهمي والطوبجية تحت حكمداريه حسن بك رأفت وفي الجناح اليسار ست اورط من السواري تحت حكمداريه أحمد بك عبد الغفار يصحبها أورطتان من البيادة ومدفعان تحت حكمداريه عبيد بك ثم تقدمت أورطة اخرى من السواري وسارت في الصباح الى جهة العدو تكشف حاله وتناوشه وفي الساعة اثنين من يوم الاثنين ١٣ شوال ابتدأت مدافع مقدمتنا تضرب مقدمة العدو وسار هذا الجيش تحت قومندانية راشد باشا حسني وقد شغلت بيادة الميمنة نحو ٦٠٠ متر وشغل القلب نحو ٣٠٠ متر وشغلت الميسرة نحو ١٠٠٠ متر ثم سار الجيش في الفضاء المتسع ومقدمتنا من السواري والطوبجية تضرب مقدمات العدو وتزحزحها عن مراكزها وبعد ان استراحت العساكر قاموا قاصدين جهة العدو الى أن بقي بين الجيشين ٤٥٠٠ متر وهنالك وضعت مدافعنا القلبية على شكل نصف دائرة محيطة بعسكر العدو وامتد سوارينا في هيئة شرنجية حتى شغلت ألفي متر واستعنا بالله وكبرنا وحمدلنا وابتدأت مدافعنا بتحية القدوم بصوت عال الى أن قال فجاوبتها مدافعهم بشدة ثم أخذت النيران ومدافع العدو تضرب في نقط متفرقة واذ ذاك ارتج الجبل وزلزلت الارض وغابت الشمس واستحال حصر القنابل التي عطرها الجند في ساحة بساطها الانسان الى أن قال فأتمت أفواه المدافع اقوالها حتى ملئت رجالنا حماسة وعزما وأرسلت الرصاص الحار على الامة الباردة وجاوبتها مشاة العدو بنادقها وكلما تحول العدو لنقطة تحولت عليه الرجال والمدافع ومع كونه كان في متاريس حصينة فان المدافع والقنابل أخرجته منها وقطعت عليه المدافع خط الوصول الى المعسكر فثبت ولكن بقدر ما عدم نصف رجاله وفي خلال انسياب نيران البيادة والطوبجية أخذت السواري تدافع ميمنة العدو وحفظا لخط رجعتنا ثم امتدت المدافعة وهجم أحمد بك عبد الغفار على العدو الى أن قال ورأيت راشد باشا حسني راكبا جواده في نقطة حول العدو عليها مدافعه وهو ثابت لا يحرك رأسا ولا يلتفت لجهة بل هو مشغول بالنظارة ينظر بها مرمى الرصاص والقنابل ثم يأمر بتحويل الضرب للجهة التي يرى العدو فيها ثم دخل الليل وأطلق كل مدفع من مدافعنا ٣٠٠ قنبلة ورمى كل رجل من رجالنا ٥٠ دستة من الرصاص الى أن قال وعندما اشتد الظلام هجمت سوارينا على سواري العدو وغير ذلك من الاقوال الدالة على ثبات الجنود المصرية وخفة حركاتها كما زعم وورد في تقرير لوكيل الجهادية ان العساكر المصرية غنموا من جيش العدو غنائم كثيرة من ضمنها ٧٠ رجلا انكليزيا وعدد وافر من الخيول الافرنجية ومقادير كثيرة من الاسلحة وانهم دفنوا من قتلى الانكليز الى يوم كتابة التقرير ٨٠٠ قتيل وكانت خسائر العساكر المصرية ٦٠ قتيلا والجرحى ١٨٥ وورد في الجرائد الانجليزية انه قتل من المصريين في تلك الواقعة ٢٥٠ ومن الانجليز ٥٤ جنديا فقط وكان انتصار الانكليز هذا واستيلاؤهم على المحسمة بعد الخطوة الاولى نحو التل الكبير وكان

الاختلاف

الاختلاف وعدم النظام سائدا بين العرابيين فلم تكن الجنود تطيع أوامر رؤسائهم ولم يكن الرؤساء يعرفون ما يفعلون وأغلبهم يتودد الى عرابى ظاهرا وبعضهم يراسل الجيش الانجليزى أو يفر ملتجئا اليه وغير ذلك ومما زاد هذه الحالة ارتباكا وانحلالا ان وزع الانجليز على معسكر عرابى جريدة الجوائب التى بها منشور الباب العالى بعصيان عرابى فارتخت المفاصل وانحلت العزائم وانقطع الرجاء وجهر الناس بالمخالفة كما سبق فكان ذلك من أكبر أسباب نجاح الانكليز فى جهات التل ان لم يكن هو السبب الوحيد وبعد ان رسم ضباط الانجليز خطة الهجوم على متاريس التل الكبير أخذوا فى مخادعة العرابيين ولما عزموا على الهجوم تقدم جيشهم فى الساعة الرابعة ونصف على الحساب الافرنكى بعد منتصف ليلة ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨٢ هاجما على حصون العرابيين فلم يقف العرابيون امامه أكثر من عشرين دقيقة واستولى الانكليز على حصون التل وغنموا ما فيها من المدافع وقتل من جيش العرابيين نحو ٢٥٠٨ جنود وأسروا نحو ألفين وغنموا أيضا جميع المؤن والذخائر وفر عرابى الى القاهرة بعد ان سعى فى رد المنهزمين فلم يفلح وقال فى تقريره وقبل أن نتمكن من انشاء المتاريس عاجلتنا العساكر الانكليزية والهندية وهاجمتنا السوارى ومعها الطوبجية والسوارى التى تطير معها أينما طارت وعلى حين غفلة فى ظلام الفجر اشتعلت نيران الطوبجية والبيادة المهلكة من الطرفين مقدار ساعتين ثم أتت فرقة سوارى وطوبجيتها من وراء الجيش فكان ذلك سببا لخذلانه وتشتته فى يوم الاربع ٢٩ شوال ١٢٩٩ (١٣ سمبر ١٨٨٢ م) ولما حصل هذا الخذلان توجهت من الجبل الى بلبيس وسوارى الانكليز على مقربة منى وهناك تقابلت مع على باشا الروبى فتوجهنا الى الشاطئ ومن هناك ركبنا وابور السكة الحديدية وتوجهنا الى مصر فوجدنا أهل المجلس جميعه فى ديوان الجهادية وحضرات البرنسات أيضا حضروا بالديوان وبعد المداولة والتيقن بأن دولة الانكليز لاتريد الاستيلاء على مصر تقرر انه حيث الامر كذا كرفلا يلزم مدافعة اهـ وقال محمود فهمى باشا فى تاريخه البحر الزاخر وفى نفس الليلة التى استعد فيها الانكليز للهجوم على التل الكبير كتب على بك يوسف الى عرابى وكان فى المقدمة يخبره بعدم حركة العدو وأوقربه من الموقع وانه لايخشى من شئ فقعد عرابى طول الليل مع الفقراء فى الصيوان الذى كان منصوبا لجلوسه فيه ومعه أولاد الشيخ عبد الجواد يذكرون الى آخر النصف الاخير من الليل وعند قرب الفجر ناموا جميعا ومايشعر عرابى الا ومقذوفات مدافع الانكليز داخلة فى صيوانه والعساكر هاربة ومبددة فى كل جهة فجاء على الروبى وقال انج بنفسك والاقتلت فما لحق أن يلبس هدومه وركب حصانا وأسرع فى الجرى ومازال مدبرا حتى وصل محطة مينا القمح ونزل فى وابور الركاب وسار الى القاهرة ولبس فى منزله هدومه وتوجه الى ديوان الجهادية وأخبر وكيل الجهادية ومجلس الشورى بهزيمة التل الكبير وفراره وفرار الضباط والعساكر من بعد واقعة استمرت عشرين دقيقة واستولى الانجليز على ما كان فى التل الكبير من ذخائر وأسلحة ومؤنات وغير ذلك من اعانات الامة المصرية اهـ وقال الضباط الذين كانوا بجيش عرابى أقوالا يعلم منها انه قبل هجوم الانكليز على التل الكبير وردالخبر من على بك يوسف الشهير بخنفس قومندان مقدمة الجيش الى عرابى يخبره بعدم وجود حركة فى الجيش البرطانى فأصدر على باشا

الروبى نشرة لعموم الجيش يأمره فيها بجعل نقط الخفر كالعادة أى خفض عدد جنودها وأصدر أوامر أخرى بعد ظهر اليوم المذكور بنقل مراكز بعض الالايات والطوبجية وأن يكون بعضها مكان البعض الآخر ليكونوا فى المعسكر بحسب ترتيبهم فأخذت تنتقل ولما كان امتداد المعسكر طويلا لم يمكن لاغلب الالايات والطوبجية أن يصل الى مركزه لدخول الليل فاضطر الى الوقوف فى الطريق حتى الصباح وفى الليلة المذكورة هجم الانكليز على التل الكبير فاستولوا عليه كما قلناه وأخذوا يطلقون مدافعهم على العساكر المصرية التى كانت فى الطريق خارج خطوط الدفاع فاختل النظام ولجأ أغلبهم إلى الفرار ومعهم ضباطهم وكان عرابى لما وصل إلى مصر أراد اقامة خط دفاع بجهات العباسية فخاطبه أحد الضباط بقوله انك بجهلك وسوء تدبيرك قد أحرقت الاسكندرية وتريد الآن أن تحرق مصر أيضا فاذا لم يكن لك فيها مايهمك فاعلم ان لنا فيها نساء وأطفالا وأملاكا لانسلم بضياعها لتنفيذ الاغراضك وختم قوله بأنى أقول لك ذلك بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن جميع الضباط الحاضرين فلا ترج منا مساعدة ويكفى ماجرى فرجع من وقتها عرابى عن عزمه ثم سار الانكليز إلى القاهرة فدخلوها بلا ممانع وبحالة سلمية واستلموا ثكناتها وقلعتها وتم بذلك احتلالهم للقطر المصرى فى يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ قال السير جارنت ولسلى قائد الجيش الانكليزى فى رسالة برقية أرسلها من الاسماعيلية إلى نظارة حربية انكلترة بتاريخ ١٣ سبتمبر ما ملخصه قد هجمنا على مواقع عرابى المنيعة وكان جيشه مؤلفا من ٢٠,٠٠٠ نفر من العساكر المنتظمة و ٢٥٠٠ من الخيالة و ٧٠ مدفعا وستة آلاف من البدو والعساكر الغير المنتظمة وكان الجيش الانكليزى مؤلفا من ١١,٠٠٠ نفر شارعين الاسنة و ٢٠٠٠ نفر متسلحين بالسيوف و ٦٠ مدفعا ولما رأيت أن الهجوم على مواقع العرابى المنيعة فى وقت النهار يكون سببا فى حصول خسائر وتلفيات جسيمة لنا عزمت على الهجوم عليه فى الفجر قبل طلوع النهار وقطعت فى أثناء الظلام الدامس الستة أميال التى كانت بين معسكرى وبين مواقع العصاة وكنت أعطيت تعليمات للسوارى وبطريتين من طوبجية السوارى الذين كانوا على ميمنتى بالهجوم على العصاة بعد بزوغ النهار وكان على ميسرة السوارى فرقة تحت رئاسة الجنرال جرهام (Graham) ومعه الحرس تحت رئاسة دوك كانوت (Duke of Connaught) وعلى ميسرتهم أيضا كان يوجد سبع بطاريات يعنى ٤٢ مدفعا ويتلو ذلك فرقة أخرى وفرقة من الهنود فى جنوب الترعة وعلى هذا النظام هجم الجيش عموما وقد أظهر الالاى الارلاندى خصوصا اقداما وبسالة فى الهجوم واستولينا الآن على استحكامات العصاة ومهماتهم ولست أعلم عدد المدافع التى استولينا عليها بالتمام غير اننا استولينا على مقدار وافر منها واستولينا على جملة قطارات ومهمات وذخائر ومؤنة وفر العصاة هاربين ألوفا ألوفا ورموا أسلحتهم عندما أدركهم سوارينا وكانت خسائرهم جسيمة جدا وجرح الجنرال ولس (Willis) جرحا خفيفا ثم بين أنه جرح ثلاثة من أمراء ألاياتهم وحملت السوارى على بلبيس وتوجه الجيش الهندى إلى الزقازيق وفر عرابى راكبا حصانا وقد جرح راشد باشا فى رجله وعلى فهمى فى فخذه فى واقعة يوم السبت اﻫ

هذا ولما وصل الجنرال ولسلى مع أركان حربه ومعه أيضا محمد سلطان باشا الى القاهرة نزل

بسراى

بسراى عابدين وبعث بالجنرال افلن وود (E. Wood) الى كفر الدوار فسلم له العرابيون هناك الاستحكامات والاسلحة ثم استلم باقى حصون بورسعيد ورشيد أما حامية أبى قير فتوقفوا عن التسليم فبعث اليهم الخديو يوسف شهدى باشا فسلموا ولم تسلم حامية دمياط الا فى ٢١ سبتمبر وكان عرابى سلم نفسه فادخله الانكليز هو وطلبة ومحمود سامى سجن العباسية وأمر سلطان باشا فقبضوا على كثيرين وألقوهم فى السجن وسجنوا أيضا ضباط الجهادية فى أضيق السجون وأصعبها وكثرت الوشايات والسعايات وأخذ أصحاب الاغراض والغايات يشون باخصامهم حيث اتسع لهم المجال فامتلأت السجون بكثير من العلماء والتجار والكبار والاعيان والموظفين والضباط من كل طبقة واختفى كثيرون من أرباب الشأن فى الثورة مثل سليمن سامى داود ومحمد عبيد وعبد الله نديم وغيرهم وداخل الرعب قلوب الكثيرين قال عرابى فى تقريره ما ملخصه وعند غروب ١٤ اكتوبر رأيت عساكر السوارى الانكليزية والهندية فرفعت لهم الرايات البيضاء وتوجه رضا باشا (قائد فرقة العباسية المؤلفة من ٣٥ ألف عسكرى) لمقابلة الجنرال لو (Lowe) وكذلك أرسلت محافظ مصر ابراهيم بك فوزى لمقابلة الجنرال أيضا وبعد الغروب بساعة ونصف حضر ابراهيم بك فوزى المذكور وأخبرنى بأن الجنرال لو يريد مقابلتى فى العباسية وكذلك قومندان فرقة عسكر كفر الدوار كان حضر فى هذا اليوم الى الديوان فجاءه تلغراف من قومندان فرقة العباسية بأن جناب الجنرال المذكور يريد مقابلته فى هذه الساعة فتوجهنا جميعا الى طرف الجنرال لو بالعباسية وكذلك حسب طلب جنابه أرسلت له الميرالاى الذى فى القلعة وهو على بك يوسف ولما تقابلت أنا وطلبة باشا مع الجنرال قال الجنرال هل تقبلون جميعا أن تسلموا أنفسكم أسرى للدولة الانكليزية فقلنا نعم على شرط أن نكون فى ذمة دولة الانكليز وشرفها ثم خلعنا سيوفنا وسلمناها ليد الجنرال المذكور نيابة عن القائد العمومى الجنرال ولسلى وقلنا له قد سلمنا سيوفنا وأنفسنا الى ذمة انكلتره وشرفها فصوت أولادنا وصوت الانسانية يطالب انكلتره وكل انكليزى بحقوقنا وجنابكم بالنيابة عن الحكومة الانكليزية وعن كل انكليزى فقبل منا ذلك وقد قبض أيضا على جميع الضباط من رتبة البكباشى فصاعدا وبعض الصاغات واليوزباشية والملازمين وعلى كثير من العلماء وأعضاء مجلس النواب والاعيان والتجار والعمد وغصت بهم السجون فى مصر والمديريات والاسكندرية اه وقد بلغ عدد من سجن فى هذه المسئلة نيفا و ٢٩٥٠٠ نفس وفى ٢٥ سبتمبر ١٨٨٢ عاد الخديو توفيق باشا الى مصر فاحتفلوا به احتفالا عظيما واصطف له الجيش الانكليزى من محطة السكة الحديد الى سراى عابدين واستعرض امامه بالميدان هناك وتوافد الامراء والعلماء والاعيان والعمد الى السراى للتهنئة وزينت العاصمة بالانوار وبعد ثلاثة أيام تشكلت عدة لجنات لتحقيق أمر العصيان ومحاكمة المتهمين (١) وخوفا من تحامل أعضاء لجنة التحقيق على عرابى

(١) لجنة التحقيق التى تشكلت تحت رياسة اسمعيل ايوب باشا أعضاؤها على غالب باشا و يوسف شهدى باشا ومحمد زكى باشا وسعد الدين بك ومحمد حمدى بك ومصطفى راغب بك وسليمان يسرى بك ومصطفى خلوصى بك ومحمد مختار بك والمحكمة العسكرية التى تشكلت لمحاكمة مرتكبى جريمة العصيان أو التعدى على السلطة الخديوية تحت رياسة محمد رؤف باشا أعضاؤها ابراهيم باشا الفريق واسمعيل كامل باشا وحسين عاصم باشا وخورشيد باشا اللواء الطوبجية سابقا وسليمان نيازى باشا وعثمان لطيف باشا وأحمد حسنين باشا وسليمان نجاتى بك والمحكمة العسكرية

ورفقائه عين الانجليز باللجنة المذكورة الميرآلاى شارلس ويلسون (Sir C. W. Wilson) والويس قنصل بيمن وأرسل المستر بلونت (WilfredBlunt) الانكليزى صديق عرابى والمشجع له على أفعاله من ابتداء الحركة كلا من المستر برودلى والمستر نابيير المحامين بمصاريف من طرفه للمدافعة عن رؤساء الثورة وقدم لهما عرابى تقريره مفصلا عن الحوادث المذكورة من أولها الى آخرها ومما وردفيه عن الامة الانجليزية والمصرية قوله الامة التى فيها نصراء الانسانية الامة الحامية عن المظلومين الامة المحررة لرقاب العباد المستعبدين الامة المحافظة على اتباع الحق والقوانين مع مصر البلاد التى لاينكر أحد ماتجرعه أهلها من غصص الاستبداد البلاد التى طالما سفكت دماء أهلها بغير وجه شرعى ولاحكم قانونى البلاد التى عبدت حكامها من دون رب العالمين البلاد التى كانت تظن ان لامنقذ لها من جب الظالمين ولاموصل لها الى فضاء الانسانية الا دولة انكلتره الشفوقة على النوع الانسانى فخاب أملها وبعد ان قرب أبناؤها من فم ذلك الجب وظنت انها ناجية جاءها الحرس الانكليزى فأوقع القبض على من خرج من الجب اه وقد تكلمت الجرائد الانكليزية عن تلك المحاكمة فقالت التيمس اذا لم تكن سياسة الذين يحاكمون عرابى مبنية على الاختصار والايجاز فى محاكمته أوصرف النظر عنها لابد أن تبدى لنا محاكمته أمورا عجيبة وتكون فصلا غريبا فى التاريخ السياسى فقد أفاد مكاتبنا ان المستر برودلى تحصل على أوراق كثيرة تشتمل على صورة ماجرى من المخاطبات والمحررات من بدء الحركة الى يوم القاء القبض عليه ومن المعلوم ان حكومتنا تحصلت على أوراق مشابهة لهذه الاوراق الى ان قال فاذا صحت هذه المحررات لابد أن تؤثر تأثيرا جسيما فى العلاقات بين الباب العالى وبين حكومة مصر الجديدة اه وفى أثنائها انتقد المستر يورك (York) فى المجلس على تسليم انكلتره عرابى للموظفين المصريين فأجاب المستر غلادستون قائلا لاشك أنه لايمكن تنفيذ الحكم عليه بدون تصديق الحكومة الانكليزية أولا وفى تلك الاثناء حضر لورد دفرين (Lord Dufferin) معتمدا من قبل دولة انكلتره للنظر فى المسئلة المصرية ولم يكن ذلك عن رضا من الباب العالى فنظر أولا فى اجرا آت مجالس التحقيق ومنع التعدى عن العرابيين ثم أخذ يجتمع بالخديوو بالوزراء و يتداول معهم طويلا فى كل المسائل ثم بعد ان درس أحوال البلاد وبحث بنفسه فى الامور كتب بذلك تقريره المشهور وبعثه الى اللورد غرنفيل ناظر خارجية انكلتره شرح فيه حالة مصر السياسية ومسئلة قنال السويس والجيش والجندرمة والنظامات الداخلية والمحاكم القضائية والمالية والمعارف والميزانية والرى والتاريع وغير ذلك وفى تلك الاثناء أرسل طوسون بك متصرف مدينة قوله يقول انه قبض على حسن موسى العقاد وسليمان داود اللذين اشتركا فى احراق مدينة الاسكندرية وكانا فرابعد واقعة التل الكبير

التى تشكلت فى الاسكندرية تحت رياسة عثمان نجيب باشا أعضاؤها رضوان باشا ويوسف باشا ومصطفى باشا العرب وحسين واصف باشا وعلى بك وهبى وحسين مظهر بك وأما اللجنة التى تشكلت فى الاسكندرية لتحقيق مواد السرقة والقتل والنهب والحريق تحت رياسة عبد الرحمن باشا رشدى أعضاؤها كازيمير آرا وأحمد بليغ أفندى والموسيو كليار وأحمد أمين بك وحماد بك وابراهيم بك فؤاد والموسيو فاشيه دى مونمولون ولجنة طنطا التى تشكلت تحت رياسة محمود باشا الفلكى أعضاؤها لطيف بك سليم وجبرائيل أفندى كحيل وشفيق بك منصور وموسيو شكونى وكانت أحكام اللجان المذكورة جميعها عرفية ٥

الى بنغازى برا ومن هنالك سافر ابحرا الى بلدة قنديه من جزيرة كريد ولما أتى بهما قال سليمان داود أثناء محاكمته بأن عرابى كان أمره بأن يحرق مدينة الاسكندرية ويقتل الخديو ولذلك تأخرت محاكمة عرابى وطالت مدتها بسبب اتهامه بحرق الاسكندرية لما يحتاجه التحقيق من الوقت فطلب أحد أعضاء البرلمان الانجليزى (٢ دسمبر سنة ١٨٨٢) الاسراع فى محاكمته فرد عليه المستر غلادستون بقوله ان تحقيقات المحاكمة لاتتم قبل أواخر الشهر الحالى ثم استقر الرأى على صرف النظر عن محاكمة عرابى فى المسئلة المذكورة ثم لما تمت المحاكمة صدر الحكم على عرابى ورفقائه بالاعدام وكان المستر بلونت المدافع عن عرابى ورفقائه والمبرر لاعمالهم كما تقدم حضر الى مصر وتقابل مع اللورد دوفرين وسعى هو وغيره فى ابطال حكم الاعدام بالنفى المؤبد لان الانجليز الذين يدافعون عنه امام المحكمة برؤه هو ورفقاءه من تهمة مذبحة الاسكندرية واحراقها ثم تحصلوا على أمر خديوى باستبدال ذلك الحكم بالنفى المؤبد خارج القطر (١) ولما رأى مصطفى رياض باشا ذلك استعفى من نظارة الداخلية لانه لم يكن راضيا عن الكيفية التى حوكم بها عرابى ورفقاؤه (٢١ محرم سنة ١٣٠٠) فخلفه المرحوم أحمد خيرى باشا وروى مكاتب التيمس انه ظهر للمستر برودلى المحامى عن حسن موسى العقاد ان الامير زينب هانم شقيقة الامير حليم باشا كانت أرسلت الى حسن موسى العقاد المذكور مبالغ وافرة بحوالات على يد وكيلها عثمان فوزى باشا لاجل ان يدفعها لكبار رجال الحزب الوطنى حتى يكون امع حليم باشا الان حسن موسى العقاد أخذ تلك المبالغ بأجمعها وأقنع جماعة من الحزب بهدايا خفيفة ومواعيد عرقوبية ثم أصدرت المجالس العسكرية الحكم على باقى الضباط المشتركين فى الثورة بنفى بعضهم الى خارج القطر وبعضهم داخله بمدد مختلفة وصدر الحكم على على الروبى وحسن موسى العقاد بالنفى مدة عشرين سنة فى مصوع وعلى سليمان داود بالاعدام لثبوت تهمة حرق الاسكندرية عليه مع انه ولاشك مشارك لغيره فى هذا الامر وبعد صدور هذه الاحكام استولت الحكومة على أملاك ومنقولات رؤساء الحزب ونفتهم مع عائلاتهم الى جزيرة سيلان فسافروا وخفرهم بعض جنود مصر وضباطها وتنفذ حكم الاعدام على سليمان داود فى ثغر الاسكندرية هذا وبعد ما أعلن عرابى بحكم المجلس العسكرى وبأمر الخديو بابدال حكم الاعدام بالنفى روت جريدة التيمس عن مكاتبها فى القاهرة ان المستر برودلى المحامى عن عرابى اجتمع به مليا فى السجن وأخبره بأن انكلترة جعلت مقره ومقر رفقائه الستة سيلان فقال مستهزئا ان هذا النفى يسرنى لان سيدنا

(١) (أولا) الحكم الصادر على كل من أحمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ويعقوب سامى المقتضى جزاؤهم بالقصاص وقع تبديله بالنفى الى الابد من الاقطار المصرية وملحقاتها (ثانيا) هذا العفو يبطل ويقع اجراء الحكم على كل من أحمد عرابى وطلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى ومحمود فهمى ويعقوب سامى المذكورين بالقتل اذا رجع الى الاقطار المصرية وملحقاتها وبتلو ذلك مادة التنفيذ الذى نيط به كل من ناظر الداخلية وناظر البحرية والحربية وقد صدر بذلك ثلاثة أوامر الاول فى تاريخ ٢٣ محرم ١٣٠٠ (٣ دسمبر ١٨٨٢) فى شأن عرابى والثانى فى تاريخ ٢٦ منه فى شأن طلبة عصمت وعبد العال حلمى ومحمود سامى وعلى فهمى والثالث بتاريخ ٢٩ منه بشأن محمود فهمى ويعقوب سامى وبعد ان صدرت عليهم الاحكام ارتأى مجلس النظار أن تضبط أملاكهم المنقولة وغير المنقولة وأن يعين لهم مقابل ذلك راتب سنوى كاف لمعيشتهم فصدر بذلك أمر عال فى ١٤ دسمبر من تلك السنة ٨١ مصر المصريين

آدم لما هبط من الجنة نزل فيها وكان عرابى طلب فى أول الامر ان يكون منفاه جبل طارق أو قبرس
وقال هذا المكاتب ان عرابى كتب مكتوبا الى المستر بلنت عزيزه وحبيبه فى لوندره بتاريخ ٢٣ نوفمبر
قال له فيه انى أريد ان أسكن مع أولادى دمشق الشام وأتعهد بأنى أتجنب الامور السياسية ولكن
اذا أبت الدولة العلية ذلك فحينئذ اختار لندره وأتعهد أيضا بأن لا أتداخل فى أمور سياسية ابدا
مادمت غائبا عن وطنى اما الرتبة التى جردت منها فلا تهمنى لانى انما قبلتها كراهة لا اختيارا وكتب كتابا
آخر الى صاحب جريدة التيمس سلمه الى مكاتبه فى القاهرة فنشره المكاتب ومما جاء فيه انى سأترك مصر
وأنا آمن على مستقبلها واثق بأن انكلتره لا تتأخر فى اجراء الاصلاحات التى ثار الاهالى للحصول
عليها وعن قريب نسمع ان المراقبة الانكليزية والفرنساوية قد أُلغيتا ولما كنت مصرى الوطن
كانت جميع أعمالى مبنية على اجراء الاصلاحات فيه وحيث ان سوء بختى لم يساعدنى على اتمام مرغوبى
هذا فالمأمول ان انكلتره لا تنسانى بعد ان تتم ما باشرته أنا فترخص لى فى ان أعود الى وطنى ثم أخذ
يشكر المستر غلادستون رئيس وزراء انكلتره واللورد غرانفيل ناظر الخارجية واللورد دفرين سفير
انكلتره فى الاستانة والمستر مالت قنصلها الجنرال بمصر والمستر بلنت حبيبه وغيرهم اهـ ومن أغرب
ما كان يشاهد فى خلال الحركة العرابية وفود الكثيرين من كبار الكتاب وأرباب السياسة على
القطر من انحاء أوروبا لزيارة عرابى باشا ورجال حزبه ويكتبون عنه وعن دعوته ومقاصد حزبه فى
جرائدهم الفصول الطنانة فمنهم من كان يطعن فى فعلته ومنهم من كان يمدحها وأظهرت أكثر الجرائد
الانكليزية إعجابها بمبادئ الحزب الوطنى المصرى وكذا كثير من الجرائد الفرنساوية ومن كان منها
منددا لم يلبث طويلا حتى غير نهجه فأصبح الرأى العام الفرنساوى ميالا للعرابيين منتصرا
لدعوتهم وأظهر بالفعل عدم رغبته فى تداخل فرانسا فى مصر تداخلا عسكريا ولا يستبعد ان
الانقلاب الذى حصل فى سياسة وزارة فرانسا أخيرا كان منشؤه تأثير الرأى العام فيها وكان كل من
السير وليم جريجورى (W. Gregory) والدكتور صابونجى صاحب جريدة النحلة التى
تنشر بلندره والمستر ولفرد بلنت وغيرهم ممن كانوا يترددون على عرابى وحزبه يكتبون الفصول
والمقالات الطويلة فى مدح مبادئه ويستلفتون نظر أرباب السياسة البرطانية الى مساعدته لبلوغ
مقاصده وكان بين المستر بلنت المذكور وعرابى باشا مودة كبيرة حتى انه بعد عودته الى انكلتره صار
يكاتب عرابى باشا على الدوام وقد عثرنا على صورة كتابين صادرين من عرابى الى المستر بلنت
المذكور فأستنسبنا ادرجهما (١) ليرى المطالع درجة تلك المودة بينهما وكيف خدع عرابى وتورط

(١) من القاهرة فى غرة ابريل سنة ١٨٨٢ حضرة صديقنا الصادق ومحبنا الذى لا بإخلاصه واثق الماجد الاكرم حر الافكار صائب الانظار المستر ولفريد بلنت أنجح الله مساعيه الحسنى وحقق نواياه الفضلى بعد حمد الله القاهر كل قوى جبار ومؤيد الحق لاهل الحجى والابصار فالذى نحيط علمكم به هو انه وصلنا كتابكم بتاريخ ١٠ مارس فهنأت بوروده وانشرح صدرى بوفوده ولاشك ان كل حر ينشرح عند ما يرى رجالا من الاحرار مثلكم صادقين فى أقوالهم ومخلصين فى أعمالهم وعازمين على تنفيذ نواياهم العليا الفائدة للنوع الانسانى عموما وأهل وطنهم خصوصا ولما فضضت كتابكم استدللت منه على شغفكم ببث الحرية للنوع الانسانى وانكم مشمرون عن ساعد الجد والاجتهاد فى تأييد مصالح أمتكم الانكليزية حيث انكم تعرفون انه لا يمكن تأييد هذه المصالح فى الشرق ولا سيما فى مصر الا بمد يد المساعدة للمصريين حتى ينالوا الحرية وبذا يستمال كل فؤاد منهم عند الفوز بمرادهم ولاغرو وفى ذلك فان الواجب على الانكليز الاحرار أن يساعدوا القوم الباذلين عنان الكد لاستقلال

فى

في الامر لجهله باساليب السياسة امام رجل له فيها وفي أبواب الدهاء قدم راسخة هـذا ومن أساليب

بلادهم وصلاحها ونجاحها ولانشاء حكومة مبنية على العدل والانصاف ولا ريب ان مساعيكم الباهرة الجديرة بالثناء تجعل لكم ذكرا حسنا وصيتا منتشرا عند أهل وطنكم ولاسيما عندما يتضح لهم الهمم التي بذلتموها لازهاق الباطل واماطة اللثام عن الاكاذيب التي نشرها أصحاب الغايات أما من جهتنا فنحن لكم من الذاكرين الشاكرين على حسن خدمتكم نحو مصر وانكلترا التي نؤمل انها تكون من أعظم المساعدين لنا على توطيد النظام التام على أساس الحرية اقتداء بالامم الحرة المتمدنة وان شاء الله سترى مساعيكم مكللة بالفوز وقد اعتبرنا وصولكم الى وطنكم سالمين غانمين فألا حسنا على الفوز والنجاح ثم اننا نشكر لكم ما تفضلتم به علينا من النصيحة وعلى هذا نحيط حضرتكم بأننا باذلون غاية ما في وسعنا للمحافظة على الهدو والسكينة والنظام فاننا نرى ان تأدية ذلك من أهم واجباتنا ولذا بذلنا الجهد لدرك هذا الغرض ونؤكد لكم ان الامور سارة قارة فالسلم مستول على البلاد ونحن باذلون الطاقة مع اخواننا المحبين للوطن في مراعاة حقوق القاطنين في أرضنا بصرف النظر عن جنسيتهم مع مراعاة واعتبار جميع العهود نامات والمواثيق الدولية ولا نسمح لاحد عنها مادامت أوربا متمسكة بعهودها ومحافظة على عقودها ومراعية للعلاقات الودية معنا أما من جهة تهديدات كبار صيارفة أوربا فنحتملها بالحزم والثبات فاننا نرى ان تهديداتهم لا تضر الا بانفسهم وبالدول التي تنقاد وراء ضلالاتهم ومطمح نظرنا انقاذ أهل بلادنا من الرق والعبودية والظلم والجهل ورفع شأنهم الى ذروة المعالي حتى يتيسر لهم منع اعادة الاستبداد الذي كان سبباً في دمار مصر وبوارها وهذه الاقوال هي أفكار كل مصري فطن حر محب لوطنه اهـ أما الكتاب الثاني فهو

من القاهرة في ٦ ابريل ١٨٨٢ حضرة صديقنا الصادق والخل الوفي المحترم ولفريد بلنت بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله حيث شاء تخولنا الحرية والاصلاح ووفقنا الطرق للفلاح والنجاح نحيط علمكم الشريف بانه وصلنا كتابكم الثاني بعد ان أرسلنا اليكم رد جوابكم السابق وانتهز هذه الفرصة السعيدة لاعيد لكم خالص تشكراتي وأنشر عبيق الثناء عليكم بسبب أعمالكم المأثورة ومساعيكم المشكورة فاني أرى ان الواجب علي وعلى كل ذي ذمة طاهرة وسريرة خالصة بل الواجب على الورى قاطبة أن يشكر واصنعكم الجميل ومسعاكم الجليل وكما انه بحصول المنافع والفوائد بين الافراد تتمكن بينهم عرى الوداد كذلك الحال بين الامم وكذا كانت غاية بغيتنا احكام الوداد تأييدا للصالح المشتركة بيننا وبين الدول التي نحن متقيدون لها بالمواثيق فانه بواسطة هذا الوداد يتيسر للذين لهم حق في بلدنا ان يتمتعوا بثمرة المعاهدات والمواثيق التي نرى ان الواجب علينا مراعاتها والذب عنها فاذا انحلت عرى الوفاق وتمكن النشوز والانشقاق لا يضر ذلك بنا فقط بل يضر أيضا بجميع الدول الاخرى ولاسيما مملكة بريتانيا العظمى ولا يخفى على كل سامي ثاقب العقل غزير الفضل الفوائد التي تعود على انكلترا من التحابب معنا ومساعدتنا على مشروعنا أما من جهة قلم المراقبة فكن على يقين من اننا لا نتصدى له ولتأدية وظائفه حسب الحقوق المخولة له بموجب المعاهدات الدولية ولم يكن في نيتنا ولا في نية أي انسان كان في هذه البلاد مس حقوق المراقبين أو التعدي على أية معاهدة دولية كانت أو المروق عنها فاذا كان نواب الدول في هذه البلاد أمناء في مأموريتهم ومتيقظين لصالح دولهم تعين عليهم مساعدتنا في مشروعنا لاهل الوطني حقيقة وان ظهروا بالافعال ما وعدوا به من الاقوال أي بان يطابقوا بين أفعالهم وأقوالهم وقد عزمنا على بذل ما في طاقتنا لنجعل لامتنا مقاما بين الامم المتمدنة ببث المعارف والاستظلال بظلها الوارف وتأييد الاتحاد والنظام وانصاف كل انسان من الظلام ولا شيء يثنينا عن هذا العزم الموافق مقدار حبة أو دانق فلا تؤخرنا التهديدات ولا ترعبنا التهويلات ولا تلين الا للاميال الودية التي نعرف قيمتها أما من جهة هدو البلاد فلم يتكدر صافيه وقد بذلنا الجهد لتنقيتها من الآثار الذميمة التي تخلفت من الحكومات السابقة أما من جهة الاسئلة التي سألتمونا عنها فارسلنا لكم جوابا بالتلغراف على يد الشيخ صاحبكم ومن نزه نفسه عن الهوى رأى بطلان كل ما شاع في أوروبا عن زيادة مصاريف العسكرية فان ميزانية العسكرية لم تزد بارة واحدة ولم تنقص قرشا واحدا عما قرر في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨١ وقت وزارة دولتلو شريف باشا وبناء على هذا كن على يقين بان الاشاعات التي كلفتم

السياسة ما أرسله بلنت لصديقه عرابى وهى عدة نسخ من النشرة التى أصدرتها جمعية السلام الانجليزية فى لوندره بتاريخ ٢١ يونيه من سنة ١٨٨٢ تحت امضاء رئيسها المستر جوزيف بيس (Joseph W. Pease) وكاتم أسرارها المستر هنرى ريشارد ولاهمية ماورد فيها عن المسئلة المصرية أدرجنا ترجمتها بالحرف الواحد بذيل الصحيفة لتمام الفائدة (١) ثم شكلت الحكومة لجنة عسكرية تحت رياسة طه باشا المعرفة من تداخل فى الحركة العسكرية من غيره من ضباط العسكرية وأصدر الخديو فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٨٢ أمرا بالعفو عن الضباط الذين من درجة ملازم ويوزباشى

نفسكم بذكرها لم يشمها الامن لم يبصر الحقائق ويسوءنا أن نرى جرائد أوربا المتمدنة تنشر ذاهذه الاكاذيب ونطلب منه تعالى أن يرشد أرباب سياسة أوربا الى الحق ليطلعوا ويقفوا على حقيقة حال بلادنا حتى يخدموا بلادهم وبلادنا بتقوية عرا الوفاق والمصافاة ونطلب منه تعالى أن يجعلنا نتمتع ببركة السلم والوفاق الودى والسلام ختام ٩ الامضاء

أحمد عرابى

(١) أصدقائى الاعزاء

يستحيل على أصدقاء السلام ان لا يراعوا مزيد الاهتمام الاحوال الحاضرة بمصر فان المراكب الحربية الاوربية موجودة باسكندرية وبدلا عن معاونتها فى حفظ السلام قد أدت بتحريضها غيرة الاهالى الوطنيين الى حصول ثورة ذبح فيها كثير من النفوس مع انتشار الهرج والمرج والهول بالمملكة وتخشى ان مصر نفسها تكون على وشك وقوعها فى اختلال السلطة اختلالا عموميا مستطيلا مع انه مشاهد حصول ما يكون أشد تهلكة فى المستقبل وسببه اطماع الدول الاوربية المتنافضة المحبة لنفسها وهذه الارتباكات نشأت من الخروج تدريجا عن دستور عدم التداخل فى المصالح الداخلية للممالك الاخرى الذى حافظنا عليه على الدوام والظاهر ان رجال السياسة البريطانيين قد أوقفوا خطر هذه الاعمال عندما صار استدعاؤهم للتداخل فى المصالح المصرية وفى سنة ١٨٧٥ لما أرسلت الحكومة البريطانية المستر استيفن كيف (M. Stephen Cave) بناء على رغبة الخديو السابق اسمعيل باشا لفحص مالية مصر طبع لورد دربى فى ذهن ذلك الفاضل أن يلتفت حتى لا يصدر منه وعد ما باتخاذ أى عمل من الاجراآت سواء كان بالاستشارة أو بدونها يستبين منه رغبة التداخل بدون اقتضاء فى مصالح مصر الداخلية ومن سوء الحظ لم يصر مراعاة هذا الاحتياط على ممر الزمان وصار امتداد تداخل حكومتنا والحكومات الاخرى يزداد فزيادة حتى انتقلت فى الحقيقة مراقبة المصالح المصرية من الوطنيين الى أيدى الاجانب وصار اجراء ذلك عراقيات وقومسيونات أوقعت الامة بدون علمها أو رضاها فى مسؤليات جسيمة أشد خطرا لانها صارت مسؤليات متصلة بالامم الاخرى ولما علمنا من الوثائق البرلمانية الموثوق بها أنه موجود أكثر من ألف وثلثمائة أجنبى مستخدما فى فروع المصالح المصرية العديدة يبلغ مجموع مرتبهم ٢٧٣٧٠٤ جنيهات وجدنا أنه ليس من الغريب عصيان المصريين الوطنيين ضد هذا النظام الناقل السلطة الرسمية والنفوذ والقوى ومكاسب حكومتهم الى أيدى الاجانب ومن سوء الحظ ان صفة التداخل قد تغيرت أيضا ندريجا وبعدما كان فى الاصل مقصودا ان يكون نصيحة ومساعدة ودية صار أمرا وتهديدا أهاج غيظا أو مقاومة منظمة وقد تنبأت الحكومة الحالية بهذا الخطر وجدت كليا رغبة عملها على استقلال مصر

وقد ذكر لورد جرنفيل فى رسالته الباهرة المؤرخة فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ الالفاظ الآتية وهى (لكن مفهوم ما جليا ان انكلترا لا ترغب وجود وزارة متحزبة لها فى مصر اذ من رأى حكومة جلالة الملكة ان الوزارة المتحزبة المؤسسة على مساعدة دولة أجنبية أو على النفوذ الشخصى لوكيل سياسى أجنبى لا تكون مفيدة للمملكة المدبرة لها ولا للمملكة المظنون بقاء الوزارة لفائدتها وانما هى فقط تصد الاهالى عن اطاعة ملكهم اطاعة حقيقية وتحدث دسائس معاكسة ومخلة بنفوذ الدولة) ومن سوء الحظ ان قواعد السياسة المذكورة لم يتمسك بها ولذا نرى الاضرار التى تنبأ بها جناب لورد جرنفيل وكان يسترحم الانقاذ منها قد حصلت بحالة جسيمة ثم ان الاحتجاجات المبنى عليها سياسة التداخل هذه هى الآتية

فقط

فقط مستثنيا منهم من قررت اللجنة اشتراكه فى الثورة وأنعم بنياشين مختلفة الدرجات على ٥٢ ضابطا من ضباط الجيش الانكليزى وأنعمت الحكومة الانجليزية على الجنرال ولسلى قائد الجيش الانجليزى العام بلقب لورد أوف كيروای لورد القاهرة وقال المستر غلادستون فى خلالها لمجلس النواب بأنه يؤمل عقد معاهدة مع مصر غايتها الاصلية ان تدفع مصر مصاريف الاثنى عشر ألف جندى الذين يحتلونها موقتا مع تعيين زمن الاحتلال والنهج على منوال سابقة احتلال انكلترة بلاد فرانسا بعد حرب واترلو ولم يقل بأنه اذا كان عزم على عقد معاهدة أخرى بخصوص مستقبل ادارة مصر واذا كان يطلب من الدول الاشتراك فى ذلك أم لا وقال أيضا فى مجلس النواب قد طلب منى ان أبين تبوئنا المصر فأقول اننا تبوأنا مصر فى ١٤ سبتمبر ومن ذلك الوقت كانت الحكومة مشتغلة بنقل الذخائر والعساكر ولم تبق بمصر الا من كان بقاؤه ضروريا وشرعنا فى نقل العساكر الى بلادهم فى ١٤ اكتوبر واستمر نقلهم حتى ٨ نوفمبر وبعد ان كان جيشنا بمصر نحو ٢٣٠٠٠

(أولا) انه من المهم لانكلترة أن تحافظ على طريقها الهند من قنال السويس غير انه من المؤكد ان أردأ طريقة للمحافظة على هذا الطريق هى تحريض الاهالى المار هذا الطريق البحرى بأرضهم على العداوة الشديدة ضدنا بسبب سياسة التداخل فى أمورهم بالاستبداد وعلى ذلك فنغويهم على العبث به غيظا وانتقاما (ثانيا) انه من الضرورى حماية أرواح وأملاك الرعايا البريطانية المقيمين بمصر ولكن أليس من الواضح تماما ان أرواح وأملاك الرعايا البريطانية بدلا من أن تصير حمايتها قد وقعت فى الهلاك بسبب سياسة التداخل والتهديد (ثالثا) من البين الذى لا غموض فيه ولا اشكال ان بعض رجال مملكتنا استعملوا نقودهم فى البونات المصرية وانه من الضرورى حماية أرباحهم (وهذا سبب أقوى للتداخل من غيره من الاسباب) واننا نتجاسر بكل قوة على اقامة الحجة ضد هذا المبدا ونتعشم بقرب الزمن الذى فيه توضح هذه الامة العظيمة توضيحا قطعيا انه اذا أراد رجال مملكتنا أن يدخلوا فى مضاربات تجارية نقدية فى ممالك أخرى للحصول على مكسب لهم يتعين عليهم اجراء ذلك تحت مسؤليتهم الخاصة ولا يتوقعون بذل دماء ومال الامة باجمعها لحماية نقودهم وجميع ديونهم

ويمكن أن يقال بل قيل غالبا ان المراقبة تعود بالفائدة على مصر وان الوكلاء الانكليزية والفرنساوية هم كفء للتصرف فى مصالحها الداخلية عن المصريين أنفسهم فمن الجائز أن يكون ذلك حقيقيا ويكون سببا قويا بالقبول مساعدتهم مساعدة ودية عندما يستلزم الحال غير ان ذلك لا يكون حجة لاستعلاء أنفسنا عليهم وسلب كامل حكومة مملكتهم تقريبا اذ لا يمكن تدريب أناس على الاستقلال ومساعدة أنفسهم بجعلهم فى حبال تقودها الاغراب وليس لنا أن نفوه عما ينبغى اجراؤه وسط بحر مملوء بالارتباك والتهلكة وليس من المعقول أن يتوقع منا أن نشير بطريقة للانقاذ من العراقيل التى وقعت فيها الامة بسبب عدم مراعاتهم الاصول التى أوصينا بها وحافظنا عليها ولا شك ان أحسن حل لهذه الصعوبة أن تقرر دول أوربا فى المؤتمر المقبل على قانون خال من الغرض وان ترجع من تداخلها فى مصر وتتركها سليمة من مقاتلات مطامعهم التزاحمية وعلى كل حال ندعوكم أيها الاصدقاء الاعزاء أن تنضموا معنا فى تجديد اقامة حجتنا ضد سياسة التداخل التى أدت الى ارتباكات ألمت بنا الآن ومهما انبهم أمر أو حصل شك فيه فلا ينبهم علينا مطلقا ان تلك السياسة قد خابت من كل الوجوه فقد أثارت الغضب الشديد فى مصر وقادت الى اعدام حياة وأملاك الاوروباويين وجعلت نظام مصر التجارى باكمله فى اختلال وارتباك وأحدثت معظم المسائل المرتبكة بين السلطان والدول الغربية ونبهت غيرة الامم الاخرى ووضعت جميع من يخصهم هذا الامر فى موضع صعب خطر يكلف أغلب أفكار رجال السياسة الاوروباويين بايجاد طريقة للنجاة منه اهـ

تحريرا فى لندن بشارع بغو برودغرة ٢٧ بجمعية السلام فى ٢١ يونيه سنة ١٨٨٢ بالنيابة عن اللجنة

(الرئيس) يوسف وليام بيس – (السكرتير) هنرى ريتشارد

جندى صار الآن ١٢٠٠٠ واذا تقرر ذلك فقد وصلنا الى هيئة جديدة وقتية لانه ليس مقصودنا ابقاء جيش الى أمد غير معين فى مصر اهـ ثم خفضت انجلترة جيش الاحتلال المذكور فجعلته ٦٧٦٣ جنديا (يونيو من سنة ١٨٨٣) وسلمت قيادته للجنرال استيفنسن (Stephenson) ولما كانت الخسائر التى تكبدها تجار الاجانب والوطنيين وقت حريق الاسكندرية لم تسوّ الحكومة أمرها ولم تعوض على أربابها حصل بينها وبين قناصل الدول مفاوضات انتهت بتأليف لجنة فى اسكندرية للنظر فى طلبات الذين يستحقون التعويض لما تكبدوه من الخسائر أثناء ذلك وفى ٢ يناير من سنة ١٨٨٣ صدر عفو خديوى عن جميع أهالى القطر المصرى المتهمين بمشاركة العرابيين وأمر آخر فى ١٥ صفر بالعفو عن ضباط الجيش وعدم حرمانهم من معاشاتهم اذا استحقوا منها شيأ وبذلك زالت تأثيرات تلك الفتنة المشؤمة وارتفع عن الناس خوف التهمة ثم اشترك بعض الاعيان مع سلطان باشا وبعثوا الى لورد ولسلى سيفا ليكون تذكارا على انتصاره على العصاة وبعثوا مع السيف كتابا عربيا كتب بخط جميل على رق غزال يتضمن الشكر له ولدولته فبعث من طرفه جوابا الى السير ماليت الوكيل السياسى والقنصل الجنرال فى مصر لينوب عنه فى تبليغ شكره الى سلطان باشا ورفقائه وقد أدرجنا هذا الجواب باسفل الصحيفة كعادتنا اتماما للفائدة (١)

الاصلاحات فى عهد المرحوم توفيق باشا بعد الاحتلال — انه بعد ان استقامت للخديو الاحوال وعادت السكينة الى ربوعها كان من أول مداخلات الانجليز فى أحوال البلاد ارسال لورد غرانفيل ناظر خارجيتها الى سفراء انكلترة فى الاستانة وباريس وبرلين وويانة ورومية وبطرسبورغ (٣ يناير ١٨٨٣) لائحة مشتملة على مبنى سياسة انكلترة الجديدة فى مصر وكان بودنا ادراجها بأجمعها ولولا انها طويلة جدا للذا استنبنا ذكر ما لها باسفل الصحيفة لاهميتها فى هذا الباب ولاشتمالها على الاعمال الادارية التى تنوى انجلترة عملها بمصر فمن شاء مراجعتها بأجمعها فليراجعها بكتاب مصر للمصريين مثلا (٢) وقد أخذت المخابرات عن هذه

---

(١) ان ناظر الخارجية أرسل الى بواسطة ناظر الجهادية السيف الذى أهداه الى أهالى القطر المصرى وانى أرجوكم أن تقدموا شكرى وامتنانى لسعادة سلطان باشا رئيس مجلس النواب ولاعضائه وكذلك لاهالى القطر المصرى على ما برهنوا عليه من استحسانهم للخدامات التى أدتها التجريدة التى سلمتنى قيادتها جلالة الملكة وانى أقبل هذا التذكار النفيس بكل امتنان وافتخار ولا أعتبره تذكارا لعميلنا الذاتى بل أعده ثناء على الجيش الانكليزى وقد ازداد سرورى بالطريقة الاختيارية التى طرزوا بها هذا العمل وان حسن نصوص النميقة المرسلة مع هذا السيف لبرهان قاطع على ان مقاصد التجريدة قد تمت مع النجاح وعلى ان نتيجة أعمالها قد جلبت ميل أهالى القطر المصرى واستحسانهم وأنى أشعر بالعجز عن تقديم ما يجب من الشكر والامتنان لسعادة سلطان باشا ثم الى كل من اشترك فى تقديم هذا التذكار المعتبر بواسطة سعادته ولى مزيد الامل بأن المساعدة التى قدمتها دولة انكلترة فى مدة الحوادث الاخيرة تكون واسطة لتأييد نجاح الشعب المصرى وسلمه فى المستقبل اهـ الامضاء الجنرال ولسلى

(٢) (١) السفر فى خليج السويس ان انكلترة ترى ان حرية السفر فيه فى أيام السلم أو الحرب تكون مطلقة وانه يعين وقت معلوم لمرور السفن الحربية فيه وقت الحرب ولا يسوغ أن يحصل فيه أدنى مناوشات حربية الا اذا كان ذلك لوقاية مصر وكذلك لا يسوغ بناء استحكامات فيه أو فيما يليه (٢) المحاكم المختلطة والتعديلات اللازم اجراؤها فيها (٣) المحاكم الاهلية والاصلاحات التى ينبغى للخديو ان يجريها فيها (٤) الغاء قلم المراقبة للاقتصادات المالية وكون المالية لا تمس شيأ من حقوق المداينين (٥) ادامة اجراء النظامات المتعلقة بمنع الرقيق (٦) تشكيل قوة عسكرية فى مصر لوقايتها من تعدى احدى الدول (٧) تشكيل مجالس من أهل مصر للنظر فى مصالح البلاد الادارية فهذه المواد السبع هى ملخص اللائحة المذكورة اهـ

اللائحة دورا عظيما بين الباب العالى ودول المانيا وأوستريا وايطاليا والروسيا وفرانسا حصل فى خلالها ان أشار الانكليز على الخديو باتباع ما ورد فى تقرير لورد دفرين فاتصاع الخديو لذلك آمنا مطمئنا ولم يخطر فى باله اذ ذاك ابداء المعارضة أو التوقف أصلا لصفاء سريرته وكرم أخلاقه ووثوقه من أن المحتلين لا يريدون للبلاد الا أن تكون فى أعلى درجات الارتقاء ثم بيار حو نها مزودين بالشكران كما صرحوا بذلك رسميا وبما أخذ عليهم من المواثيق التى يعلمها الكل ولما رأت الدولة الانجليزية مقدرتها على ارضاء فرانسا سعت فى الغاء المراقبة الانكليزية الفرنساوية على المالية قصد الانفراد بالعمل فكبر ذلك على رجال فرانسا وفى مقدمتهم الموسيو دوكلرك (Duclerc) رئيس الوزراء وناظر الخارجية حيث قال فى مجلس النواب يوم ١٥ يناير ١٨٨٣ عند شرحه المسئلة المصرية انه لما كانت دولة انكلترة أرادت أن تتصرف وحدها اضطرت فرانسا الى أن تعيد لنفسها حرية العمل الى أن قال انه يرجو من المجلس أن يوافق على منهاج الحكومة كما انه يرجو من أوربا ذلك أيضا وقد وزعت الحكومة على المجلس الكتاب الاصفر الذى يحتوى على المحررات التى كتبتها دولة فرانسا فى المسئلة المصرية واتضح منها انها كانت دائما تلح على ابقاء أحوال مصر المقررة على ما هى عليه وان جواب اللورد غرنفيل على تلك المحررات يتضمن جزم انكلترة بمداومة اجراء نفوذها الكبرى (كذا) فى مصر وقد يتضح أيضا من المحررات المذكورة ان الموسيو دوكلرك كتب رقيما الى دولة انكلترة بتاريخ الرابع من الشهر المذكور قال فيه انه لا يمكنه أن يعترف ان كبح العصاة يوجب الغاء المراقبة وغيرها من الدوائر المختلطة المقررة فى مصر وان منهاج انكلترة يوجب على فرنسا أن تعيد لنفسها حرية العمل اه ولكن انى لهم مقاومة السياسة الانجليزية فكم رأينا وكم سمعنا ما اعترى السياسة الفرنسوية من الهزيمة امام السياسة الانجليزية وحصل من ذلك أن تهيج الرأى الفرنسوى واعترض وأكثر من الصخب والصياح كعادته فلم يجد ذلك نفعا وألغيت المراقبة المذكورة فعلا وقدم الموسيو دى فورج وكيل فرانسا السياسى لائحة الى الحكومة الخديوية أقام فيها الحجة على الغائها المراقبة (٢١ يناير) ومما قاله فيها حيث انه لا يحق لمصر الغاء المراقبة فهى مسؤلة عن العواقب المالية التى تتسبب من هذا الالغاء ثم رحل المراقب الفرنسوى مسيو ليون برديف الى بلاده وصدر الامر الخديوى فى ٤ فبراير سنة ١٨٨٣ بتعيين المستر أوكلند كولفن (Auckland Colvin) مستشارا ماليا للحكومة المصرية ولما كان قانون مجلس النواب أكبر عقبة فى طريق انفاذ المشروعات الانجليزية لما اشتمل عليه من اختصاصات النواب التى تخول لهم الاشراف على جميع أعمال الحكومة وعدم انفاذ ما لا يوافق منها ألغوا المجلس وقانونه وابدلوه بمجلس شورى صدر بتشكيله الامر العالى فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٠ (١ مايو ١٨٨٣) وقانونه يحتوى على تشكيل المجالس الآتية (أولا) مجالس للمديريات يكون لكل منها حق تقرير رسومات فوق العادة لصرفها فى منافع عمومية استلزمتها حالة المديرية انما لا تكون قراراتها قطعية الا بعد تصديق الحكومة عليها (الثانى) الجمعية العمومية ومن اختصاصاتها انه لا يجوز ربط أموال جديدة أو رسوم على منقولات أو عقارات أو عوائد شخصية فى القطر الا بعد عرضه على الجمعية العمومية واقرارها عليه (الثالث) مجلس شورى القوانين وخص بالنظر فى القوانين التى تسن حديثا قبل نشرها وذكر فى نظاماته بان لا يجوز اصدار

قانون أو أوامر تشتمل على لائحة أدارية عمومية مالم ينظر فيه هذا المجلس لاخذ رأيه وللحكومة مخالفة رأيه انما عليها اخباره بالاسباب التى اضطرتها للعدول عن رأيه بحيث لايترتب على ذلك جواز مناقشته فى الموضوع (الرابع) مجلس شورى الحكومة ولم تحدد وظائفه وتتبين أوجه اختصاصاته ولم يفتح للآن ثم اعتنت الحكومة باصلاح حالة القضاء والمحاكم فكانت المحاكم التى أنشئت من عهد ساكن الجنان محمد على باشا أشبه بمحاكم مختلطة وكانت قضايا الانكحة والمواريث والمبايعات والوصاية على القصر من اختصاصات المحاكم الشرعية أما القضايا الاخرى مدنية كانت أو تجارية فكانت تنظر فى محاكم خاصة بها وكانت تنقسم الى ثلاث درجات محاكم ابتدائية ولها فروع فى كل مديرية ومحافظة وتعرف باقلام القضايا ومحاكم الاستئناف ومجلس الاحكام ومقره العاصمة وكان لهذا المجلس الحق فى الغاء قرارات المحاكم الاخرى ثم لما رأى الخديو اسمعيل باشا ان هذه المحاكم لاتنى بالمراد تماما لكثرة توافد الاجانب واستيطانهم بمصر وحدوث المشاكل العديدة بينهم وبين الاهالى أوجد المحاكم المختلطة كما تقدم وكانت الحكومة المصرية رأت مافى المحاكم القديمة من النقص والخلل فشكلت فى سنة ١٨٨٠م لجنة عهدت اليها وضع القوانين اللازمة للمحاكم الاهلية ولما أتمت عملها وأرادت تشكيلها حالت الحوادث العرابية دون تنفيذها الى أن أتت وزارة شريف باشا بعد الثورة فى ١٤ يونية من سنة ١٨٨٣ فشكلت المحاكم المذكورة وصدر بذلك أمر خديوى الا انها لم تعم أولا فى جهات القطر لعدم مساعدة الاحوال المالية فاقتصر واإذ ذاك على إنشائها بالاقاليم البحرية فقط هذا وقانون هذه المحاكم مزيج من القانون الفرنسوى والطليانى والبلجيقى مطبق بعضه على الشرع الاسلامى وفى كثير من بنوده مخالفة صريحة لاخلاق الاهالى ودينهم مما لايكون فى بلاد أخرى لها شريعة تامة تناسب الزمان والمكان كالشريعة الاسلامية الغراء ومن الاصلاحات أيضا تشكيل فرقة عسكرية تعرف بالجاندرمة لتحافظ على الامن بالبلاد سلمت قيادتها لاحد ضباط الانجليز وهو بيكر باشا (Valentine Baker) وكان قبل فى خدمة الدولة العثمانية ثم جعل أيضا مفتشا عاما للبوليس (١٨٨٢ م) وكان جنود الجاندرمة يومئذ ٢٠٠٠ من الخيالة و ٣٠٠٠ من المشاة ورجال البوليس ١٩٣٠ نفرا بينهم نحو ٨٠٠ أوربى وكان على البوليس والجندرمة خلاف بيكر باشا عدة ضباط من الانجليز منهم الكولونيلات كولس بك وهرفى بك وجونسون بك وفنيك بك وشارلس بيكر باشا وفى سنة ١٨٨٣ داهم القطر الهواء الاصفر وكان أول ظهوره بدمياط ومنها امتد الى داخل القطر واتخذت الحكومة التحوطات الصحية الواجب عملها فى مثل ذلك واعتنت بأمر الصحة والنظافة ولما كانت ممالك اوربا تخاف من سريان هذا الداء اليها من مصر لكثرة مخالطتها التجارية مع مصر أرسل بعض دولها أطباء للبحث عن ماهية هذا المرض وكيفية سريانه وفتكه وعلاجه وكان من هؤلاء الاطباء الدكتور كوخ الالمانى والدكتور سيمسون الانجليزى والدكتور ونريو الفرنسوى وقد بلغ مقدار من ماتوا بهذا الوباء بحسب التقريرات الرسمية نيفا وستين ألف نسمة هذا ولما أرادت انكلترة تغيير خطتها فى مصر عينت قنصلها العام السير أدوارد مالت سفيرا لها فى برلين وجعلت مكانه بمصر السير افلن بارنج (Sir Evelyn Baring)

خضر

خضر فى سبتمبر من سنة ١٨٨٣ وكان قبل مدير المالية الهند بعد انفصاله من عضوية صندوق الدين المصرى (٢٢ يونيه سنة ١٨٨٠) وكانت وقتئذ ثورة المهدى فى السودان قد اشتد أمرها بعد فقد جيش هكس باشا (Hicks) (اكتوبر ١٨٨٣م) كما سنذكره فى محله فدخلت المسئلة السودانية فى دور خطير وأشارت يومئذ الحكومة الانكليزية على مصر بالتخلى عن السودان فلم يقبل المرحوم شريف باشا رئيس النظار ذلك اصلا لعدم لزومه وقال بامكان اخضاع السودانيين وأن فى ترك السودان المصائب الكبرى على مصر وقد حققت الايام قوله ولكن سياسة انجلتره ومنافعها وقتئذ كانت ترغب ذلك وبقى شريف باشا مصرا على رأيه أياما لاسباب منها ان مصر لا يحق لها أن تتنازل عن مقدار شبر من أرض مصر والبلاد الخاضعة لها ومنها ان التنازل يزيد فى الثورة ويشجع القائمين بها وغير ذلك ومما جعل شريف باشا متمسكا برأيه هذا هو ان المرحوم توفيق باشا أشار عليه بقبول التخلى عن السودان ومنها ان المحتلين يريدون ان الوزراء يقبلون نصائحهم بلا تردد أو معارضة كما يعلم من صورة استعفاء شريف باشا الذى أدرجناه بأسفل الصحيفة (١) وكلف الخديو نوبار باشا بتشكيل وزارة جديدة بشرط قبول ما أشارت به انكلتره وهو اخلاء السودان وابقاء سواكن للحكومة فقبل (١٠ يناير سنة ١٨٨٤) وصار نوبار باشا رئيسا للنظار وناظر الحقانية والخارجية ومحمد ثابت باشا للداخلية وعبد القادر حلمى باشا للحربية والبحرية ومصطفى فهمى باشا للمالية وعبد الرحمن رشدى باشا للاشغال العمومية ومحمود باشا الفلكى للمعارف العمومية ثم استدعت الحكومة غردون باشا بناء على مشورة انجلتره وكلفته بالسفر الى السودان لاخلائه من الموظفين والجنود المصرية وارجاعهم الى مصر وفى تلك الاثناء قابل الموسيو وادنجتون سفير فرانسا فى لوندره لورد غرنفيل وذاكره فى مسئلة السودان ومن جملة ما أخبره به بناء عن رأى دولته انه يلزم أن تبقى الاقطار السودانية تابعة لمصر بالصفة التى أسستها الفرامانات السلطانية فى أيام المرحوم محمد على باشا لانه لا يمكن لدولة فرنسا ان ترى مملكة مجاورة لمستملكاتها بافريقية على أصول جديدة اهـ ورأت الدولة العلية السلطانية يومئذ ان المسألة المصرية يلزم أن تكون مسألة تشترك فيها جميع الدول وقال لورد غرانفيل فى خطاب تلاه فى مجلس النواب فى شهر فبراير من سنة ١٨٨٤ ان الخرطوم لما كانت مفتاح مصر كان من الضرورة انها لا تقع تحت أيدى المتمهدين وقال أيضا جوابا عن سؤال لورد سالسبرى انه ليس للسودان أهمية لانكلتره ولا للهند ولا لمصر وانه ليس فى عزم انكلتره أن تلحق مصر بها ولكن عزمنا الوطيد هو ان لا نخرج عساكرنا منها قبل أن نؤسس فيها حكومة وطيدة راسخة وكذلك لا يمكننا أن ندبر مصالح مصر فى لندره ولكن نرسل اليها رجالا أهل دراية وممارسة ومن المحتمل ان

---

(١) بعد الديباجة — قد اقترحت علينا دولة مملكة انكلترة المعظمة أن نخلى السودان وليس لنا حق فى فعل ذلك لان هذه الولاية من مستملكات الدولة العلية التى فوضت ولايتها الى عهدتنا وقد طلبت دولة المملكة أيضا أن نقتدى بنصائحها بدون مذاكرة فيها ولا يخفى ان هذه الاقتراحات مخالفة لفحوى النظامات الشورية الصادرة فى ١٨ من شهر أغسطس سنة ١٨٧٨ التى نص فيها على ان الخديو يجرى أحكام البلاد باشتراكه مع النظار فبناء على ذلك نضطر هنا الى أن نطلب من مقامكم العالى أن تقبلوا الاستعفاء لانه لا يمكن لنا والحالة هذه أن ندير البلاد على أصول شورية اهـ التواقيع

ظروف الاحوال تحوجنا الى أن نزيد مداخلة فى أحوال مصر ومع هذا فان هذا الامر لا يغير تصريحاتنا الاساسية المبنية على بقاء مصر كما هى بالنسبة الى علاقتها مع الدولة العلية اهـ

ولما كانت الحكومة الانجليزية لم تتداخل بعد فى ادارة مصر الداخلية بصورة فعلية ثم عن لها الآن ان تتداخل عينت المستر كليفورد لويد (Clifford Lloyd) وكيلا لنظارة الداخلية بمرتب عظيم وكان رجلا جافى الطباع حاد المزاج قال عنه صاحب مصر للمصريين انه أدخل فى وظائف الحكومة المصرية عددا كثيرا من مجانسيه وكان منه أن تطاول بعد ذلك الى الاستبداد بالرأى والاستقلال فى العمل بانفاذ ما يريد واجراء ما يشاء من غير استشارة مجلس النظار فوقع بينه وبين نوبار باشا رئيس النظار من أجل ذلك خلاف شديد واستحكمت النفرة بينهما بحيث كاد رئيس النظار أن يستعفى من منصبه اهـ ولما حدث الخلاف المذكور تداخل السير افلن بارنج فى أمره واستقر الرأى على بقاء نوبار باشا فى منصب رئاسة النظار وبقاء المستر كليفورد لويد فى وكالة الداخلية مشروطا عليه أن لا يتجاوز حدود وظيفته وكان ذلك أمرا موقتا لانه بالرغم عن حصول هذه التسوية بقيت النفرة متمكنة بين الرئيس والوكيل ولهذا أرسل نوبار باشا صهره تغران باشا وكيل الخارجية يومئذ الى انكلتره ليكلم المستر غلادستون رئيس وزارتها فيما يأتيه وكيل الداخلية المذكور من التعديات التى أدت الى نفور زائد بينه وبين الموظفين الوطنيين ثم سافر السير بارنج الى لندره ويقال ان سفره يومئذ كان بطلب حكومته للاستعلام منه عن ذلك وبعد أيام قلائل استعفى كليفورد لويد من منصبه بايعاز من حكومته ثم اجتهد نوبار باشا فى عزل من بقى فى نظارة الداخلية من الموظفين الانكليز قصد أن لا يكون للوكيل السابق اثر فيها وكان استعفى أيضا محمد ثابت باشا ناظر الداخلية لانه لم يقبل أن يكون آلة فى يد كليفورد لويد وأحيلت نظارة الداخلية موقتا على نوبار باشا ثم أحيلت نهائيا على عبد القادر باشا حلمى ناظر الحربية والبحرية (٢٧ مارث سنة ١٨٨٤)

وكان وقتئذ مر على الانكليز فى مصر عامان ولما رأى الباب العالى وفرنسا ان انجلتره آخذة مع الزمن فى تثبيت قدمها فى مصر فتحا باب المسئلة المصرية وكان ذلك فى عهد وزارة جول فرى الفرنسوية (Jules Ferry) وقامت الجرائد الانكليزية تحرض حكومتها على وضع حمايتها على مصر فاستاء الباب العالى جدا لظهور هذا المقصد الجديد من خلف الحجاب وأخذت المخابرات بينه وبين الدول دورا عظيما ولم تهدأ الافكار الا بعد ان أعلنت وزارة غلادستون رسميا عدم صحة هذا الامر هذا وكانت المالية المصرية قد أصابها فى خلال تلك الحوادث عسر من كثرة المصروفات فاقترحت الحكومة الانكليزية (١٨٨٤) عقد مؤتمر للنظر فى مسئلة مصر المالية فقبلت الدول هذا الاقتراح الا فرنسا فانها انفردت فى رفضه وعدم الموافقة على عقده فى بادئ الامر وطلب الباب العالى أن لا يكون بحث المؤتمر قاصرا على مسئلة واحدة فى مسائل مصر بل يجب أن يتناول سائر الاعمال الجارية فى مصر فمانعت انجلتره فى ذلك ووافقها بعض الدول وكانت انكلتره وقتئذ صرحت (يناير ١٨٨٤) بناء على طلب دولة النمسا والمجر أنها لا تنوى قط ضم مصر الى ممتلكاتها أو وضع الحماية عليها وقام لورد دربى بعد ذلك فى مجلس النواب البرطانى مؤكدا تلك التصريحات قائلا ان السبب الوحيد لتأخير جلاء جيوشنا عن مصر هو مسئلة حرب السودان ومع ذلك ففى أقرب مناسبة سنفى بما وعدنا به لاننا قلنا علنا بأن دخولنا الى تلك الديار ليس بقصد المكث بها ثم اتفقت

المانيا

المانيا وأستريا وايطاليا والروسيا والدولة العلية على عقد المؤتمر المذكور فى لندره وجعلوا سفراءهم هنالك نوابا عنهم وكان رأسهم أرل غرنفيل ناظر خارجية انجلتره وكان أول اجتماعهم فى يوم ٢٨ يونيه من سنة ١٨٨٤ وقد أفاد هذا المؤتمر مصر كثيرا لانه تقرر لها فيه ميزانية أصلية وتقرر فيه أيضا انه اذا مضت ثلاث سنوات من تاريخ قرار المؤتمر واستمرت المالية المصرية معرضة لخطر الافلاس تشكل لجنة دولية مالية لتنظر فى المسئلة وترفع أيدى الانكليز من العمل ومما استفادته مصر من المؤتمر المذكور أيضا اتفاق الدول فيه على أن الاوروباويين القاطنين الديار المصرية يجب عليهم دفع عوائد المبانى وعوائد التمغة اسوة بالمصريين وأخذت الحكومة فى مصر من وقتئذ تهتم باصلاح أحوال ماليتها سالكة مسلك التوفير فألغت كثيرا من أقلام الحكومة وعزلت كثيرا من المستخدمين المصريين خوفا من تشكيل اللجنة الدولية التى هدد المؤتمر الانجليز بانعقادها اذا لم يحصل نجاح فى المالية وبما اتخذ من التدبيرات لم تمض سنتان حتى ظهرت نتائج الاصلاح المالى وكان السير ادكار فنسنت (Edgar Vincent) تعين مستشارا للمالية بدل السير اوكلند كلفن الذى رقته دولته وجعلته ناظرا لمالية الهند فأخذ المستشار الجديد يبذل غاية جهده فى تقليل النفقات ما أمكن لاصلاح المالية وكانت ايرادات الحكومة فى سنة ١٨٨٣ تبلغ ٨,٣٥٠,٠٠٠ جنيه مصرى ونفقاتها العادية ٨,٦١٧,٠٠٠ جنيه والغير العادية ٥٧٤,٠٠٠ جنيه فيكون النقص ٩٣٠,٠٠٠ وبذلك كانت حالتها قريبة من الافلاس وشرع المستشار أيضا فى استبدال معاشات المتقاعدين فاستبدل الكثير منهم معاشاتهم اما بمبلغ من النقود أو أطيان توازى قيمتها قيمة المعاش المستبدل ثم رأت الحكومة بعد ذلك ان استبدال المعاشات لا يكون الا بأراض أميرية فقط سواء كانت من أراضى الدومين أو الاملاك الحرة لتخفيف قرض روتشلد السابق الكلام عليه وبذلك تضرب على الاراضى المعطاة فى نظير المعاش خراجا متساويا لان أراضى الدومين التى بالمديريات الغير مرهون ايرادها لصندوق الدين لا تدفع الدومين عنها خراجا فزادت بذلك الايرادات نوعا

ثم رأت الحكومة الانكليزية وقتئذ ان ترسل من طرفها مندوبا عاليا آخر الى مصر لينظر فى المسائل المالية وأحوال الادارة الداخلية ليطمئن قلبها ويستريح بالها مما تخشاه من مداخلة الدول الاوروباوية فأرسلت فى أوائل سبتمبر من سنة ١٨٨٤ (القعدة ١٣٠١ هـ) لورد نورثبروك (Lord Northbrook) ثم قدم مصحوبا بقاض مسلم من قضاة الهند يدعى سميع الله خان انتخبه ليكون شريكا له فى المهمة التى عهد بها اليه فأخذ هذا المندوب فى الاهتمام بما أتى من أجله وهو انقاذ الجنرال غوردون الذى كان بعث الى الخرطوم لاخلاء السودان من الحاميات والموظفين المصريين وكان المهديون حاصروه فى الخرطوم ومنعوا عنه المواصلات مع الخارج وفى تقرير تسوية وقتية لعلاقات مصر مع السودان وايجاد طريقة لضمان قرض يعقد لاداء تعويضات الذين أصابتهم الخسائر من تجار الفرنج وغيرهم أثناء الثورة العرابية والبحث فى الوسائل الصحيحة لارضاء خواطر الدول البحرية بأن يجعل فى مصر ادارة مستقلة بذاتها لذلك فأخذ يطوف البلاد المصرية شمالا وجنوبا ويقابل رجالها ووزراءها ويستطلع أفكارهم وزار أيضا القاضى الهندى العلماء والفقهاء وحادثهم طويلا فى أمر البلاد ثم بعد ان قضى المندوب المذكور أياما فى مصر عاد الى بلاده (٢٨ اكتوبر) وكان مما أشار به الغاء جيش مصر واستبداله بجيش من رجال الشرطة ويقصد من ذلك

ظاهرا توفيرا المبلغ المقرر لهذا الجيش للخزينة المصرية الا أن الحكومة عارضته فى قصده هذا فقبل اعتراضها وتقرر تخفيض الجيش الى ثلاثة آلاف جندى ليقصد بذلك ١٥٠،٠٠٠ جنيه وقدم لحكومته تقريرا مطولا لم يحز قبولا كما رواه صاحب مصر للمصريين وصاحب تاريخ مصر الحديث وغيرهما ومع ذلك فان مصرا تبعت من التقرير المذكور أشياء كثيرة منها اصلاحات المالية لما اشتد العسر المالى بها ورأت انها لا تقوى على القيام بمصاريفها الكثيرة ما بذله من النفقات واتخذت لذلك عدة طرق عادت عليها بالفرج بعد الضيق منها توقيف استهلاك الدين وقتيا الامر الذى عارضت فيه الدول وفى مقدمتهم فرانسا واحتجت ورفع وكلاؤها فى صندوق الدين دعواهم الى المحاكم المختلطة فى القاهرة وكان لذلك رجة عظيمة ولكن ما لبثت ان سقطت الدعوى واندفع الاحتجاج بالحكمة التى تمكنت بها الحكومة من القيام بتعهداتها وهو سرعة استدانة ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات (١٨٨٥ م) دفعت منها تعويضات الاسكندرية وسدت بالباقى العجز الذى حصل فى ايرادات السنين السابقة ثم استدانت مليونى جنيه أيضا الاصلاح الرى وفى سنة ١٨٨٦ لما نقصت مصاريف السودان دخلت المالية المصرية فى دور جديد من الرواج خصوصا لما قبلت الدول فى السنة المذكورة اجراء تسوية جديدة للدين الممتاز والدين الموحد ودين الدومين ودين الدائرة السنية فتغيرت كيفية الاستهلاك بما يناسب أحوال مصر وفى سنة ١٨٨٧ زادت الايرادات كثيرا بالغاء زراعة التبغ البلدى من بلاد مصر والغاء الرفاتى بين مصر وبلاد الدولة العلية واحتكار التنباك لمدة عشر سنوات بشرط ان يدفع المحتكر للحكومة نصف الارباح متى زادت المقطوعية السنوية عن ثلاثين ألف كيلوغرام هذا غير مبلغ رسم الاحتكار وغير ذلك من الموارد التى زادت بها ايرادات الجارك ولما كان للمرحوم اسمعيل باشا وعائلته مبالغ على الحكومة وكانت تسويتها تعود عليها بالربح تخابرت معه بخصوص تسويتها فقبل وجعل بالتوكيل عنه وعن عائلته شخصا يدعى المستر ماريوت من كبار رجال الانجليز (Mariott) وكانت تلك المطالب تبلغ ٥،٠٠٠،٠٠٠ من الليرات المصرية وأصلها الاموال التى أنفقها هو وعائلته على الاراضى التى تخلى عنها للحكومة المصرية فحسنت بها والمرتب الذى تقرر له عند تنازله ومكافأة مالية على تركه للحكومة بقية الاراضى والسرايات والقصور بما فيها من الاثاث والامتعة الثمينة التى استولت عليها الحكومة (١٨٨٠ م) وثمن الدواب التى استولت عليها الحكومة عند استيلائها على الاراضى التى تركها لها وغير ذلك وقد بحثت المالية من هذه التسوية ما يزيد عن ٢٢،٠٠٠ جنيه مصرى سنويا وأعطت الحكومة لاسمعيل باشا وعائلته أطيانا من أملاكها بلغ قيمته ٢،٢١٠،٠٠٠ خص الخديو منها ما يساوى ٥٦٠،٤٠٠ جنيه مصرى اما ما تبقى له وللامراء والاميرات أنجاله فانه صرف لهم نقدا وأوراقا مالية

ومن الاصلاحات التى تمت فى المدة المذكورة أيضا تشكيل مصلحة الصحة العمومية وكانت هذه المصلحة من عهد المرحوم سعيد باشا رأسها كلوتشى باشا (Cloutcci) (١٨٦٠ – ١٨٧٥) ثم خلفه فيها نوروتسى بك (Nourotci) وكانت يتبعها مصلحة الكرنتينات ثم انفصل مجلس الكرنتينات عن مجلس الصحة العمومية فأضحى كل منهما ادارة خاصة ولما صدر الدكريتو الخديوى فى ٨ فبراير من سنة ١٨٨٦ بتشكيل مصلحة الصحة العمومية بمصر المحروسة تكون

تابعة

تابعة لنظارة الداخلية جعلوا فيها لجنة صحية تشكل من ستة أعضاء تحت رئاسة الرئيس للنظر والبحث فى كافة المسائل المختصة بأمر الصحة العمومية (٢٧ دسمبر ١٨٩١) وقد أجرت هذه المصلحة عدة اصلاحات ضرورية لفائدة البلاد فحسنت حالة المستشفيات القديمة وشيدت غيرها وأوجدت لها صيدليات حسنة فى عموم الاقاليم وغير ذلك وتعين لادارتها العامة أولا جرين باشا ثم خلفه روجرس باشا (٢٧ دسمبر من سنة ١٨٩١)

ومن الاصلاحات المهمة أيضا الرى وتعميمه وهى من أمهات المسائل التى اعتنى بها المرحوم محمد على باشا كما سبق لشدة لزومها لبلاد مصر وكان من أجل تسهيل الرى شق ترعة عظيمة تعرف برياح الشرق أو الرياح التوفيقى وتخرج من عند القناطر الخيرية بجوار الرياحين القديمين وهما رياح المنوفية ورياح الغرب واعلم انه لما انتظمت نظارة الاشغال العمومية وصارت نظارة مستقلة فى زمن الخديو اسمعيل باشا وضع مهندسوها من وطنيين وفرنسويين عدة مشروعات جسيمة لتحسين حالة الرى بالبلاد وجعلها على قاعدة عادلة الا انه لم ينفذ معظمها للعسر المالى ثم لما تعين عليها المرحوم على مبارك باشا أخذ يهتم فى تنفيذ الكثير من المشروعات القديمة والحديثة كترميم المبانى واصلاح ما يحتاج للاصلاح من الترع الكبيرة والصغيرة وانشاء القناطر والسدود الكثيرة التى ورد ذكرها فى تقريره المقدم منه عن أعمال سنتى ١٨٨١ و١٨٨٢ ووسع أيضا وقتئذ نطاق مصلحة التنظيم واصلاح الطرق ولما استقال روسو باشا الفرنساوى من نظارة الاشغال تعين مكانه الكولونيل سكوت مونكريف (Scott Moncreff) (٢٢ يناير ١٨٨٤) وقد أخذ هذا المهندس فى اجراء ما به تحسين حالة الرى فى القطر المصرى وكتب عن ذلك تقريرا طويلا بلاعما هو لازم من الاعمال لاصلاح ترع القطر وقناطره ووزع اجراء تلك الاعمال على خمس سنوات مقبلة فأقرت الحكومة عليه وزادت فى ميزانية الاشغال مبلغا وافرا وخصصت لاصلاح الرى مليونى ليره كما سبق ولم يكن يعرف عنها هذا الكرم فى الايام السابقة وهو ما ساعد عمال الانجليز على اتمام كل مشروعاتهم فى زمن وجيز ومن الترع التى تم انشاؤها فى هذا العهد المذكور ترعة بنى عامر بالشرقية بقصد ايصال مصرف أبى الاخضر بترعة أم سلمة واتصال هذه ببحر مويس وترعة بجهة شبين القناطر لاتصال الترعة الشبينية بترعة الاسماعيلية وترعة جديدة تصل ترعة فارسكور بالبحر الصغير وترعة على الشاطئ الايسر لفرع رشيد بجهة العطف لرى الاطيان الواقعة بين النيل وبحيرة ادكو ثم الترعة النوبارية لرى الاراضى البائرة التى وهبتها الحكومة للاهالى بقصد زرعها وهى التى صدر بها أمر عال (١٨٨٤) هذا أما القناطر فمنها قنطرة موازنة لفم بحر مويس وهو يس يفصل ترعة الشرقية وسد بينها وقنطرة موازنة بفم ترعة المنصورة وآخر بترعة البوهية وقنطرة بترعة أم سلى وغير ذلك من الاصلاحات وهذه الاصلاحات وان أفادت مصر كثيرا كما هو الحق وكانت سببا فى احياء قدر وافر من الاطيان الا أنها كانت غالية الثمن على مصر وتعين لهذه الاعمال عدة من المهندسين مثل المستر جارستن (Garstin) والمستر ويلككس (Willcocks) والمستر فوستر (Foster) والكابتن براون (Brown) والميجر روس (Ross) وغيرهم وكانوا بوظيفة مفتشين للرى فى المديريات وقد بذل هؤلاء المفتشون الجهد بمساعدة مهندسى الوطنيين حتى أضحت مصلحة الرى الآن من أهم المصالح وأكثرها منفعة لمصر ومما يذكر مقرونا بالشكر فى هذا الباب أن الحكومة

ألغت تسخير الاهالى فى حفر الترع وعمل الجسور كما كان يحصل سابقا وجعلت ذلك فى مقابلة أجرة معلومة وكان هذا الالغاء بصدور أمر عال من المرحوم توفيق باشا فى ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٩ م (١٣٠٧ هـ) وبذلك تخلص المصريون من أثقل حمل كان أبناؤهم يئنون تحته من عهد الفراعنة ووضعت الحكومة للرى قانونا خاصا به لا يزال العمل بموجبه للآن

ولما كانت أعمال الرى لا تزال محتاجة لمبالغ كثيرة غير ما صرف صدر أمر خديوى سنة ١٨٨٦ بتخصيص مبلغ مليون جنيه ليصرف فى سبيل أعمال الرى الصناعية وتعين الكولونيل وسترن (J. H, Western) مديرا عاما لهذا العمل ومعه ثلاثة من مهندسى الانجليز غيره وهم المستر ريد (Ried) والمستر دمستر (Dempster) والمستر الجى (Algie) وكان أول ما شرعوا فيه تقوية القناطر الخيرية لاحتياجها الى ذلك وكان روسو باشا مدير عموم الاشغال قال فى تقريره سنة ١٨٨٣ صدق عليه المرحوم على باشا مبارك ناظر الاشغال وقتئذ ان القناطر الخيرية لا يتيسر استعمالها الا بتركيبات جسيمة من المياه الا اذا صار تجديدها لا ترميمها وقد أصاب فى قوله لانه بعد اصلاحها احتاجت الى الترميم ولا يزال تصرف عليها الاموال الكثيرة للآن سنويا ومما أجرته النظارة المذكورة غير ما ذكر انشاء هويس بجهة المنصورة وآخر على بحر القاصد بالغربية وتوسيع عدة ترع بمديرية الشرقية ولكن بالاكثار من شق الترع وتحويل مياه النيل اليها قل الماء بالنيل قال السير كولن منكريف المشرع الى توزيع المياه على الترع بواسطة القناطر الخيرية لم يبق فى النهر الا القليل من الماء حتى تعسرت الملاحة فيه مدة أربعة أشهر تقريبا والآن قد انتهى عمل ترعتين صالحتين للملاحة احداهما تتجه الى العاصمة من المنصورة ودمياط والأخرى الى الاسكندرية وانتهى عمل هويس الترعة الثانية (١٨٩١) وبذلك وجد خط صالح للملاحة يبلغ طوله سبعين ميلا فى وسط الدلتا تتفرع منه ثلاثة خطوط ملاحية طولها ٤٣ ميلا منها ٣٠ ميلا تكفى لسفر السفن الكبيرة وبترعة شبين التى هى أحد الفروع الملاحية القديمة التى ثلاثون ميلا لسير السفن الكبيرة أيضا وجار الآن بناء أربعة هويسات جديدة جهة البرارى ذات بوابات كبيرة لتسهيل الملاحة اهـ

ومن الاصلاحات التى لا تنكر فائدتها أيضا السكك الزراعية التى صدر بانشائها أمر عال فى ٢٦ فبراير من سنة ١٨٩١ حيث سهل بها النقل وانتشر بين البلاد الامن ومن الاصلاحات والتجديدات التى تمت فى عهد المرحوم توفيق باشا واقتضتها ظروف الاحوال انشاء المحاكم الجزئية فى أنحاء القطر وانارة بعض المدن الريفية بزيت البترول ومد اسلاك التليفون بالمدن الكبيرة وانشاء عدة خطوط حديدية وشراء كثير من الوابورات وعربات السكك الحديدية وتخفيض أجر النقل فى السكة الحديدية والتلغرافات مما عاد على الاهالى بالتسهيلات وعلى المصلحة بزيادة الايرادات وتوسيع نطاق البوستة بالاتفاقيات الدولية التى عقدت بين الحكومة وباقى الدول وادخال الاصلاحات الجمة بها فزادت ايراداتها وعظمت أعمالها حتى أصبحت تفوق نظيراتها فى كثير من الممالك الاوروبادية

ومن الاصلاحات المفيدة المهمة أيضا تنظيم حالة السجون وقد جعلت لها الحكومة ادارة خاصة عهدت برئاستها للدكتور هنرى كروشنك باشا الانجليزى (Henry Crookshank) (١٨٨٣) فأوجد لها نظاما بديعا وشيد منها عدة بجهات القطر وأدخل فيها صنائع كثيرة لتشغيل

المسجونين

المسجونين حتى لايكونوا مدة سجنهم بلا عمل وليتعودوا على حب الكسب وترك أسباب الفساد ومن الصنائع التى أدخلت بها عمل الحصر وغزل القطن وعمل الاحذية وأطقم الخيل وغير ذلك وكان هذا النظام أول موجد له بمصر المرحوم محمد على باشا فيما كان يعرف باسم الاصلاحية الا أنه كان ناقصا كثيرا سيما وقد أهمل مدة من خلفه على أريكة مصر وأرادت الحكومة فى ذلك الوقت وضع قانون عام للجرائد والمطابع والمطبوعات لما رأته من التنديد بأعمالها الجارية على غير نظام سيما الجرائد الاجنبية وعلى الاخص الفرنساوية منها واهتمت بذلك كثيرا وأرسلت الى باريس تغران باشا والى لندره المستر ويست لمخابرة حكومتيهما فى شأن ذلك فرفضت فرنسا الا بشرط محاكمة أصحاب تلك الجرائد بالمحاكم المختلطة أما انجلتره فانها أظهرت ارتياحا لذلك والحمد لله على ما تم لانه لو نجحت الحكومة فى مشروعها لاصبحت الجرائد المصرية الآن مقيدة تقييدا لاترى الحق منه الا من سم الخياط والفضل فى هذه المسئلة وغيرها عائد بلا شك على اشتباك مصالح أوروبا بمصر وامتيازاتهم التى وان كانت عادت على مصر فى بعض الاحيان بالمضار الا أنها افادتها كثيرا

وفى سنة ١٨٨٥ أرسلت الحكومة الانجليزية الى مصر مندوبا عاليا لدرس الاحوال المصرية ووضعها على قاعدة تناسب المصالح البرطانية ولما اعترضت الدولة العثمانية على ذلك أجابتها انجلتره بأنه آخر مندوب انجليزى يأتى مصر وهذا المندوب هو السير درومندولف (H. Drummond Wolff) فقصد الاستانة أولا ليتفق مع الباب العالى على ما يختص بمأموريته وكان هذا اللورد من المشهورين بالميل للدولة العثمانية وبعد ان تشرف بمقابلة مولانا السلطان أخذ يتباحث مع كل من الوزيرين محمد كامل باشا وعاصم باشا بخصوص مصر وكان أقصى آمال الدولة العثمانية أن تضرب لانكلتره أجلا للخروج من مصر ولكن حصل فى خلال ذلك قيام أهالى الروم ايلى الشرقية وطلبهم الانضمام الى امارة البلغار فارتبكت الدولة وأعلنتها الدول كعادتها بلزوم عقد مؤتمر فى الاستانة للنظر فى هذه المشكلة الحديثة التى حركتها يد الدسائس الاجنبية فى الوقت الذى قامت فيه الدولة لتسوية المسئلة المصرية فأسقط السلطان صدارة سعيد باشا ووجه مسند الصدارة الى كامل باشا وعقد المؤتمر وحسمت النازلة بأن قبلت الدولة بلا اكراه احالة ادارة الروم ايلى الشرقية على أمير البلغار وكان ذلك من حسن نظر مولانا السلطان وبصيرته بالعواقب كما يعلمه كل واقف على حالة الدولة امام أوربا سيما فى الوقت المذكور هذا وكانت المخابرات توقفت طبعا بين الباب العالى والسير درومندولف ثم عينت الحضرة السلطانية كامل باشا ومحمد عارفى باشا لاستئناف المخابرات معه فتمت بوضع أساس لاصلاح الادارة المصرية تكون به قادرة على السير وحدها من غير رقيب وان تعقد مع السودانيين تسوية ملائمة لهم عند الامكان وأن لا يرسل الى مصر جنود عثمانية بل ينظم الجيش المصرى وأن تستمر الفرمانات السلطانية نافذة مرعية كما كانت ومتى تم تنفيذ هذه الاصلاحات جميعها خرج الجيش الانكليزى من مصر وكتب بذلك اتفاقية بين الطرفين ترى صورتها بأسفل الصحيفة (١) (٢٤ اكتوبر ١٨٨٥) وعينت الدولة مع السير درومندولف

(١) اتفاقية ٢٤ اكتوبر من سنة ١٨٨٥ المذكورة (أولا) ترسل كل من الدولة العثمانية وانكلتره مندوبا عاليا الى مصر (ثانيا) يتدبر المندوب العالى العثمانى متفقا مع جناب الخديوى أومع من يعينه هو لهذا الغرض المبين فى الوسائط النافعة لتسكين السودان ويتفاوض المأموران والخديوى فى جميع التدبيرات التى يمكن بها تعديل الاحوال المصرية عموما ويكون اجراؤها برضا الجميع (ثالثا) يباشر المندوبان العاليان ومعهما الخديو

مندوبا عاليا عنها هو الغازى أحمد مختار باشا ولما حضر الى مصر وكان حضوره بعد مضى شهر من حضور المندوب الانجليزى أخذ يجتمع به و يبادله النظر والرأى فى جلسات كانت تعقد تحت رئاسة المرحوم محمد توفيق باشا ثم وضع الغازى مختار باشا لائحة لتنظيم الجيش المصرى قال فيها بتأليف الجيش المصرى من ١٦٫٣٠٠ جندى منهم ٢٠٠٠ لحماية سواكن و ٤٠٠٠ يكونون بالوجهين القبلى والبحرى و ١٠٫٣٠٠ للدفاع عن الحدود المصرية وقال ان وادى حلفا لا يصلح أن يكون حد التخوم بل يجب التقدم الى مديرية دنقله وجعل نفقات هذا الجيش ٣٥٠٫٠٠٠ جنيه مصرى ثم وقع اختلاف بين المندوبين بخصوص مسئلة ضباط الجيش المصرى فكان من رأى الغازى مختار باشا أن يكون الضباط اتراكا ومصريين كما كان سابقا وخالفه السير درومندولف وأوجب انتخابهم من الانكليز ولم يقتصر الغازى مختار باشا فى تقريره على الجيش بل ضمنه أقوالا أخرى تختص بفروع الادارة المصرية ولما رفعه الى الدولة اعترضت عليه دولة انكلترة ورفضته بجملته وخصوصا لقول الغازى بأن الاولى أن يستخدم المال الذى تصرفه الحكومة المصرية من خزائنها على جيش الاحتلال فى الجيش الوطنى وقد كان أصحاب النظر يرون حتى قبل حضور المندوبين الى مصر ان انجلترة سترفض ولا شك كل رأى يرتئيه المندوب العثمانى لامور منها حب الاستئثار بأمور مصر ومنها ان كل ما يقرره المندوبان والخديو أو من يعينه يجب أن يكون باتفاق الجميع كالوارد بالاتفاقية المتقدمة ولما سقطت وزارة غلادستون المعروفة بوزارة الاحرار (١٨٨٥) وتولت وزارة المركيز سلسبورى (Marquis of Salisbury) المعروفة بوزارة المحافظين استدعت انكلترة معتمدها من مصر و بقى الغازى أحمد مختار باشا وسقوط وزارة غلادستون يشعر بأن انجلترة غيرت خطة سياستها فى المسئلة المصرية ووجدت مسوغا لحل رباط الاتفاقية السابقة كما يعلم مما يأتى ثم ألح الباب العالى بواسطة سفيره فى لوندره رستم باشا على سلسبورى بأن يعين زمنا لانجلاء العساكر الانكليزية عن وادى النيل (يناير ١٨٨٧) فأرسلت انكلترة وقتئذ السير هنرى درومندولف ثانية الى الاستانة (فبراير) وبعد أن تشرف بمقابلة السلطان أخذ يتذاكر مع كامل باشا وسعيد باشا ثم طلب من الصدر الاعظم كامل باشا أن يكون أساس المخابرات على أربعة أمور وهى (أولا) استقلال مصر تحت سيادة الجناب السلطانى والغاء العهود والامتيازات القنصلية (وثانيا) أن تكون حالة مصر من قبيل الحيادة على مثال بلاد البلجيكا (ثالثا) حرية المرور من قنال السويس زمن الحرب والسلم (رابعا) اخلاء انجلترة لمصر بعد أن تجمع الدول على وجوب ذلك أما الدولة فلم يكن منها الا رفض هذه الشروط رفضا باتا لاجحافها بحقوقها بالمرة طالبة قبل كل شىء تحديد زمن

اصلاح وترتيب العساكر المصرية (رابعا) ينظر المندوبان العاليان مع الخديو فى جميع فروع الحكومة المصرية و يمكن لهم أن يدخلوا التعديلات التى يرونها لازمة فى كل ما هو داخل فى دائرة الفرمانات السلطانية (خامسا) يقع الاعتراف من طرف السلطنة العثمانية بجميع المعاهدات العمومية الاجنبية التى عقدت مع الحضرة الخديوية وذلك اذا لم تكن مخالفة للامتيازات المضمنة فى الفرمانات السلطانية (سادسا) عندما يرى المندوبان العاليان ان هناء الحدود استقر وصارت سير الحكومة المصرية مستحسنة وأمرها مضمونا يقدم كل منهما تقريرا الى دولته لاجل عقد الاتفاق باخلاء العساكر الانكليزية البلاد المصرية فى وقت مرضى (سابعا) يقع امضاء هاته المعاهدة فى ظرف خمسة عشر يوما وتكون مبادلتها ممضية فى القسطنطينية اهـ

الانجلاء وكتبت الدولة عن ذلك الى انكلتره المحرر المذكورة صورته بأسفل الصحيفة (١) وبعد مخابرات بين السير ولف والمركيز سلسبورى عرضت الدولة الانكليزية اتفاقا آخر جعلته أساسا للمخابرة (٢) ثم اقترحت الدولة بعض شروط رامت ادخالها على ما سيعقد من الاتفاق بين الدولتين وأهمها أن الدولة العلية هى التى يحق لها دون سواها ارسال جيش الى القطر المصرى لاعادة الراحة اليه لدى حدوث فتنة فأظهر ناظر خارجية انكلتره الميل الى النظر فى ذلك وكان مندوب انكلتره يطلب من وكلاء الدولة فى الباب العالى قبول الحيادة واستئناف الاحتلال الانجليزى أما الدولة فطلبت أن تستبدل لفظة الحيادة بلفظة أمنية البلاد وقال ناظر خارجية انكلتره فى جوابه انه متى توفر هذان الشرطان يعنى الحيادة واستئناف الاحتلال فان انكلتره تسحب عساكرها من مصر فى زمن معين وان عدم تصديق الدول على الوفاق الجديد يمنع الحصول على أمنية البلاد واذا اتفقنا على اخلاء مصر بدون تصديق الدول فنكون قيدنا أنفسنا وأطلقنا الحرية التامة لبقية الدول ولما كانت سياسة الروسيا تضاد كل اتفاق يحصل بين انجلتره والدولة العلية كما أن سياسة انجلتره تضاد ذلك بين الروسيا والدولة العلية لتبقى منفردة تقابل فى ذلك الاثناء مسيو نليدوف (Nelidow) سفير الروسيا فى الاستانة

---

(١) انه طبقا للوفاق المبرم ٢٤ اكتوبر من سنة ١٨٨٥ بين الباب العالى ودولة بريطانية العظمى قد أنجز المندوبان العاليان اللذان توجها الى مصر مأموريتهما ورفعا عنها تقاريرهما ومنها يظهر ان الامن قد استتب فى ربوع السودان على قدر الامكان وان الجيش المصرى قد تألف حسبما سمحت به ميزانية البلاد وان الادارة المصرية جارية على محور النظام ماعدا الادارة المدنية والمحاكم وما ذلك الا بالنظر للامتيازات القنصلية وطبقا للبند الخامس من الوفاق المتقدم الذكر يبحث مجلس وزراء (الاصل وكلاء) الدولة ويؤيد فى الوقت ذاته المعاهدات المبرمة بين الجناب الخديو والدول العظام مادامت لا تجحف بالامتيازات التى حصل عليها القطر المصرى بمقتضى الفرمانات الشاهانية ولاجل اعادة الجيش المصرى الى عدده الاصلى البالغ نحو ثمانية عشر ألف جندى مع اجراء الاقتصاد فى فروع الميزانية المخصصة لمصروفات الادارة العمومية ولاجل النظر فى الطرق اللازمة لازالة سوء التصرف الحالى الناتج عن الامتيازات القنصلية والمعدود من الموانع الجسيمة لحسن رفاهية الاهلين حصل الاتفاق على الشروط الآتية لسحب العساكر الانكليزية من القطر المصرى وهى (أولا) ان دولة جلالة الملكة تسحب عساكرها من مصر والبلاد التابعة لها بعد عام ونصف من تاريخ هذا الوفاق (ثانيا) ان عددا قليلا من الضباط الانكليز الكائنين فى الجيش المصرى يبقون فى مصر ويبارحونها فى مدة عام واحد من تاريخ الانجلاء ويشغل مكانهم فى الجيش المصرى ضباط عثمانيون (ثالثا) ان ادارة الحكومة المصرية ثابت مضمونة من الدولة العلية التى تحفظ لنفسها الحق فى التداخل العسكرى فى تلك البلاد لحماية سلطة الجناب الخديوى واعادة الامن اليها عند اختلاله واذا حصلت فيهما مداخلة من الخارج فعساكر الدولة العلية تصدها بالاشتراك مع العساكر الانكليزية (رابعا) بما ان مصر والسودان لا يمكن بقاؤهما منفصلين عن بعضهما بالنظر للروابط الطبيعية الموجودة بينهما وبما ان السودانيين لا يمكنهم رفض الطاعة الواجبة عليهم نحو جلالة السلطان المعظم عندما يجدون العضد من عدله السامى فالدولة العلية ستطلب من الجناب الخديوى أن يختار الوقت المناسب لاعادة السودان تحت حكم الحكومة المصرية اه

(٢) (أولا) تبقى مصر كما هى حسب نصوص الفرمانات السلطانية (ثانيا) يبقى خليج السويس على الحيادة وتضمن الدول سلامة مصر (الثالث) تبقى العساكر الانكليزية فى مصر مدة ثلاث سنوات وعند انقضائها يلبث الضباط الانكليز فى رئاسة الجيش المصرى سنتين (الرابع) لا تخرج انجلترا عساكرها من مصر بعد ختام السنة الثالثة من التوقيع على هذا الوفاق اذا حدث اضطراب جديد فى مصر داخليا كان أم خارجيا (خامسا) يحق لانكلترا احتلال مصر بمساعدة العساكر العثمانية اذا وقع اختلال بها أو خشى أن ترسل دولة أجنبية عساكرها الى مصر (سادسا) تستدعى الدولة العلية وانكلتره بقية الدول للتصديق على هذا الوفاق وتطلبان من الدول اجراء بعض التعديلات فى المعاهدات الدولية المخولة للاجانب فى مصر جملة امتيازات اه

مع السير درومندوولف وسأله عن سير المخابرات فقال له اذا قبلت الدولة العلية المطالب فانها تعرض على الدول التصديق عليها فقال نليدوف السير ولف ان سياسة الروسيا فى مصر سائرة على حفظ الحقوق السلطانية ومنع بقية الدول من الاعتداء على تلك الحقوق والروسيا تعتبر بقاء انكلترة فى مصر بصورة غير قانونية خير من ابرام وفاق مستديم يكون من أحكامه الاجحاف بحقوق الحضرة السلطانية وقال له أيضا ان الجناب السلطانى اذا منح دولة الانجليز حق استئناف الاحتلال فيكون قد تنازل لها عن جانب من سيادته على مصر ثم اتفقت انجلترة مع الدولة على شروط منها أن تبقى انجلترة بمصر فرقة من جنودها لاخضاع السودان والدفاع عنه وأن تخرج انجلترة عساكرها من مصر بعد مضى ثلاث سنوات من تاريخ التوقيع على المعاهدة الا اذا حصل فى مصر ما يستدعى بقاءها كاغارة خارجية أو ثورة داخلية فانها تبقى به مدة سنتين أخريين ثم تنجلى تماما كما يجوز لها احتلاله هى والدولة العلية اذا حدث به ما يستدعى ذلك وغيرها من الشروط التى وردت بالوفاق المذكور المدرج بأسفل الصحيفة (١) ثم وقع كل من كامل باشا الصدر الاعظم وسعيد باشا

---

(١) بعث الجناب السلطانى المعظم وجلالة ملكة انكلترة وارلاندة وامبراطورة الهند طبقا لاحكام الوفاق المبرم فى القسطنطينية بتاريخ ٢٤ اكتوبر من سنة ١٨٨٥ عندوبين عاليين الى القطر المصرى وعاد ان كلا منهما قدم تقريره الى دولته عما شاهده من أحوال الوادى النيل فقد استحسن الجناب السلطانى المعظم وملكة انكلترة الفخيمة أن يبرما وفاقا جديدا طبقا للاحكام اتفاقية ٢٤ اكتوبر المنوه عنها فعين جلالة السلطان محمد كامل باشا الصدر الاعظم الحائز على نيشان الامتياز العالى الشان والنيشان العالى العثمانى المرصع من الصنف الاول والنيشان المجيدى من الصنف المذكور والحائز ايضا نياشين عديدة من الدول الاجنبية ومحمد سعيد باشا وزير الخارجية الحائز للنيشان العالى العثمانى المرصع من الصنف الاول والنيشان العالى المجيدى من الصنف المذكور ومع جملة نياشين أخرى حازها من ملوك أوروبا مأمورية خصوصية تتعلق بالمسألة المصرية وعينت جلالة ملكة بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند الفخيمة جناب السرهنرى درومندوولف مستشار جلالتها فى مجلسها الخاص الحائز لنيشان الصليب الاكبر ونيشان سان ميشيل وسان جورج والنيشان العالى من صنف البان فى ذات المأمورية بخصوص مصر وبناء على المأمورية التى فوضت لعهدتهم اتفقوا على ما هو آت

(المادة الاولى) تبقى الفرمانات السلطانية المرعية الأجراء فى القطر المصرى محفوظة على الدوام ما خلا فى الاحوال التى يدخل عليها بعض التعديل بموجب الوفاق الحاضر (المادة الثانية) يحتضن القطر المصرى جميع الاراضى المنصوص عنها فى الفرمانات السلطانية (المادة الثالثة) تستدعى الدولة العلية جميع الدول الموقعات على معاهدة برلين للتصديق على وفاق يضمن حرية الملاحة فى قنال السويس وتعترف الدولة العلية بأن يكون القنال المذكور حرا على الدوام ومفتوحا فى زمن الحرب والسلام لسير جميع السفن الحربية والبواخر التجارية على اختلاف اعلامها بشرط أن تقوم بدفع عوائد المرور وتخضع لقوانين مصلحة القنال الحاضرة والمستقبلة وتتعهد الدول بعدم احداث عوائق لحرية مسيرالبواخر وقت الحرب وباحترام جميع الاملاك والمحلات المختصة به ويكون من أحكام ذات الوفاق أن لا يسوغ لاحدى الدول أن تبنى قلاعا على ضفاف القنال أو أن تجرى عليه أعمالا عدوانية ما لم تكن على بعد مسافة ثلاثة اميال بحرية أى خمس كيلومترات ونصف من بورسعيد والسويس ثم يتعين على وكلاء الدول السياسيين الذين يوقعون على هذا الوفاق أن يراقبوا تنفيذ بنوده ومتى طلب أحدهم اجتماع البقية تداركا لمنع حوادث تهدد طمأنينة القنال فيلزم الاجتماع تحت رئاسة مأمور مخصوص يعينه جلالة السلطان الاعظم أو الخديوى المعظم للبحث والتحرى عن حالة الخطر ويشيرون بعد ذلك الحكومة المصرية لاتخاذ الوسائل التى من شأنها أن تحمى حرية المرور فيه وفى أى حال من الاحوال يجتمع وكلاء الدول فى مصر مرة فى كل عام لمراقبة تنفيذ ما تقدم (المادة الرابعة) بما أن أحوال السودان قد أقلقت الخواطر فى القطر المصرى الذى لم تستتب فيه الراحة حتى الآن من جراء الحوادث

ناظر الخارجية على الوفاق وملحقاته ورفع لجلالة ملكة انكلتره فصدقت عليه وبعثت به الى السير درومند وولف فى الاستانة ولما كان هذا الوفاق لايناسب سياسة بعض دول أوربا وعلى الخصوص دولتى الروسيا وفرنسا الساعيتين فى ايجاد المشاكل التى تربك الحكومة الانجليزية كما علمت بعث الموسيو فلوران وزير خارجية فرانسا بلائحة الى الدول قال فيها ان السير هنرى درومند وولف

السياسية التى طرأت عليه وهذا من شأنه أن يقضى باتخاذ تداركات فوق العادة لطمأنينة التخوم وحفظ الراحة والامن فى داخلية وادى النيل فبناء عليه يسوغ لانكلتره أن تدافع عنه وتتولى رئاسة تنظيماته العسكرية وهى تبقى لاجل هذه الغاية ذاتها عددا كافيا من جنودها وتستمر فى ملاحظة أحوال الجيش المصرى بوجه العموم أما الشروط المتعلقة بانسحاب الجنود الانكليزية من القطر المصرى وزوال مراقبة انكلتره لاحوال جنديته فيصير بانهاء الاحكام المدرجة بالمادة الخامسة من هذا الوفاق (المادة الخامسة) ينبغى على انكلتره أن تسحب عساكرها من القطر المصرى عند انقضاء مدة ثلاث سنين من تاريخ هذا الوفاق ولكن اذا حدث فى ختام هذه المدة ما يهدد مصر بالخطر سواء كان من الداخل أو من الخارج وقضت الضرورة بتأخير انجلاء العساكر الانكليزية عن مصر فيتعين عليها اخلاؤها عند زوال الخطر وبعد مرور عامين من حصول الانجلاء تعتبر أحكام البند الرابع ملغاة وعند انجلاء العساكر الانكليزية عن وادى النيل يتمتع القطر المصرى بالامتيازات التى تنتج من استتباب الراحة فى ربوعه ولدى التصديق على هذا الوفاق يطلب من الدول العظام أن تقضى تعهدا تعترف بمقتضاه بعدم مس الاراضى المصرية وبموجبه لايجوز لاية دولة أن تنزل فيه عساكرها بأى حال من الاحوال الا فى الظروف المبينة فى القانون الملحق بهذا الوفاق ولكن يجوز للدولة العلية أن تتصرف بما لها من الحقوق باحتلال عساكرها فى وادى النيل اذا حدثت به دواع توجب الخوف من حصول الهجوم عليه من الخارج أو اذا اختل فى داخليته الامن وامتنعت الحكومة الخديوية من تتميم واجباتها نحو الحضرة العلية السلطانية أو توقفت عن اجراء تعهداتنا الدولية أما دولة انكلتره فيتاح لها أن ترسل عساكرها فى الظروف المبينة أعلاه لاحتلال القطر المصرى متخذة الاحتياطات اللازمة لازالة الاخطار عنه ويتعين عليها اذ ذاك أن تراعى كل المراعاة حقوق السلطة السائدة وينبغى على العساكر الشاهانية والانكليزية أن تنجلى عن القطر اذا احتلته وذلك متى زالت الاسباب التى قضت بدخلها أما اذا طرأ ما عاق الدولة العلية من ارسال جنودها الى وادى النيل متى تقوضت فيه دعائم الامن فيجوز لها أن ترسل من قبلها نائبا عاليا يقيم به مادامت فيه العساكر الانكليزية متحدا مع قائدها العام وكما اقتضت الاحوال أن ترسل احدى الدولتين بعساكرها تعين عليها أن تشعر الثانية بذلك طبقا للاحكام هذا الوفاق (المادة السادسة) متى وقعت الدولتان المتعاقدتان على هذا الوفاق تعين عليهما أن يحيطا بها علما بقية الدول الموقعات على عهدة برلين والتى أبرمت عهودا مع خديوية مصر واستدعائها للتصديق على هذه (المادة السابعة) يلزم أن يوقع على هذا الوفاق من جلالة السلطان وملكة انكلتره فى مسافة شهر واحد اعتبارا من تاريخ التوقيع على هذا أو قبل هذا اذا كان الامر ممكنا وبناء عليه قد وقع على هذا كل من المأمورين الواضعين أختامهم فيه أدناه اه

تحريرا بالاستانة العلية فى ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧

التواقيع

ولف وكامل وسعيد

ملحق (أولا) اذا حدث ما عاق حرية المسير فى قنال السويس يسوغ للدول الموقعات على هذا الوفاق المبرم بتاريخ هذا اليوم أن تسير من عساكرها فى القطر المصرى بقصد العبور من بحر الروم الى البحر الاحمر (ثانيا) لايسوغ لاحدى هذه الدول أن تسير من عساكرها فى مثل هذه الحالة أكثر من ألف جندى فى آن واحد ويقتضى أن يكون مرورها بطريق السرعة الكلية (ثالثا) عندما تضطر احدى الدول لان تعبر بعساكرها فى القطر المصرى يلزمها أن تشعر بذلك محافظ الميناء التى تنزل منها جنودها وذلك بواسطة قنصلها الجنرال قبل مباشرتها الامر بمسافة ٢٤ ساعة وهو ملزوم بملاحظة مرور العساكر المذكورة

التواقيع

كامل وسعيد ودرومند ولف

حاشية يصرح الموقعون بذيله أن يعتمدوا النسخة المحررة باللغة الفرنساوية فى هذا الوفاق تحريرا فى ٢٢ مايو سنة ١٨٨٧ اه من الكتاب الازرق

والوزراء العثمانيين وقعوا على وفاق بخصوص مصر مضاد لمصالح الدولة العلية والجمهورية الفرنساوية ودول أوربا بالرغم عن أنهم وعدوا فرانسا بعدم ابرام أقل وفاق قبل اشعارها مقدما وقال ان في ذلك الوفاق خطأين (أولا) ان الدولة العلية تبيح لانكلترة بأن تشاركها في السيادة على وادى النيل (والثانى) ان انكلترة لم تحدد ميعادا معلوما لانتهاء مدة احتلالها في القطر المصرى وانذرت دولة الروسيا الدولة العلية بقولها اذا صدق الباب العالى على الوفاق المذكور فجميع المعاهدات التى تضمن سلامة الاراضى العثمانية تصير ملغاة واحتجت فرانسا أيضا وقدم سفيرها الموسيو مونتبلو (Montebello) وكذا سفير الروسيا الموسيو نيليدوف الى الباب العالى الانذار بالوعيد اذا صدق الجناب السلطانى على الوفاق المذكور ووعداه في محرريهما بمساعدة الدولة في كل النتائج التى تترتب على عدم تصديق الحضرة السلطانية على الوفاق المذكور (١) فاجتمع المرخصون العثمانيون بالسير درومندولف وتذاكروا مليا واضطر الباب العالى أن يطلب من انكلترة اطالة مهلة التصديق على الوفاق فرفضت انكلترة طلبه ثم طالت المخابرات والمكاتبات في هذا الموضوع الذى انتهى بالرسالة التلغرافية التى أرسلها ماركيز سالسبورى الى السير وليام وايت (W. A. White) سفير انكلترة بالاستانة قال فيها ان رستم باشا سفير الدولة العثمانية في لوندرة طلب تعديل الوفاق المبرم بخصوص مصر والذى استقبحته فرانسا والروسيا فرفض ماركيز سالسبورى هذا الطلب مصرحا بأن احتلال عساكر الانكليز للقطر المصرى سيلبث الى أن تتحقق انكلترة بأن الحكومة المصرية صارت قادرة على مداركة كل خطر يتهددها سواء كان من الخارج أو من الداخل وقد أرادت انكلترة بذلك الوفاق أن تحمى مصر من مثل هذا الخطر فعارضت الدولة العلية ذلك فصارت هى وحدها مسؤلة عن امتداد أجل احتلال العساكر الانكليزية لوادى النيل اهـ والحاصل انه من وقتئذ توقفت المخابرات في هذه المسئلة وطرحها الانجليز من فكرهم ظاهرا واهتموا بانفاذ ما أشار به رجالهم في تقاريرهم من الاصلاحات التى تعود عليهم بالنجاح في المسئلة المصرية وكانوا في خلال ذلك تمكنوا من عقد اتفاق مع فرانسا بخصوص حيادة قنال السويس السابق الكلام عليها بصحيفة ٦٦ من هذا الجزء

هذا ولنعد الى ذكر حوادث مصر الداخلية فنقول انه في شهر يوليو من سنة ١٨٨٦ بعث الجناب الخديوى يوسف شهدى باشا مفتش عموم أقلام القرعة العسكرية مندوبا فوق العادة الى الحدود بجهات وادى حلفا لمخابرة مشايخ السودان في مسئلة مبادلة التجارة والوقوف على

(١) عزمت دولة فرنسا عزما أكيدا على رفض التغيير الذى سيحدث للقطر المصرى من اجراء ابرام الوفاق الانكليزى العثمانى الجديد واذا صدق عليه فالجمهورية الفرنساوية تصرف مزيد اهتمامها لحماية مصالحها التى يتهددها الخطر بسبب اختلال الموازنة في البحر المتوسط وتضطر الى أخذ التدابير اللازمة واذا امتنع الجناب السلطانى من التصديق عليه فأنا سفير فرنسا الموقع بذيله مرخص من قبل حكومتى باعطاء التأمينات الكافية للحضرة السلطانية وبان أؤكد للدولة العلية بان دولة فرنسا تحمى العثمانية من كل النتائج التى تترتب على عدم تصديق الحضرة السلطانية على الوفاق المذكور ومن حيث لم يبق موجب للجناب السلطانى في التردد في هذه المسئلة فان رفض التصديق على الوفاق يسر عموم الاسلام ويوطد دعائم الوفاق بين الدولة العلية والجمهورية الفرنساوية ولاشك ان العظمة السلطانية ترى من المناسب احكام علاقتها مع فرنسا واستحسان سياستها المنزهة عن المطامع والاغراض المضرة بمنافع العثمانية في ٢٢ يونيه سنة ١٨٨٧ مونتبلو

افكارهم

أفكارهم من حيث ثورة المهدى الأن مأموريته لم تأت بفائدة تذكر وقد ورد فى الرقيم الرابع والعشرين الصادر من السردر ومندولف الى مركيز سالسبورى ان كلا من الجناب الخديوى ودولتلو مختار باشا أرسلا يوسف شهدى باشا بمرافقتى الى وادى حلفا لمخابرة قبائل السودان العصاة وقد علمت ان الصلات التجارية عادت الى سابق مجراها مع السودان وقال فى رقيمه الثلاثين ان الحضرة الخديوية ودولتلو مختار باشا انتخبا يوسف شهدى باشا وأرسلاه الى التخوم السودانية فبعث منها بتقارير الى الحضرة الخديوية تضمنت ما احتوت عليه تقارير الدوائر العسكرية الانكليزية من ان الاحوال فى السودان آخذة فى الهدو والراحة ولا يخشى من حصول اعتداء الامن قطاع الطرق وهذا أمر كثير الحصول فى البلاد الغير المتمدنة وان التجارة بين مصر والسودان عادت الى سابق مجراها اه وفى ٣ فبراير من سنة ١٨٨٧ حضر رسول سودانى يدعى الشيخ دفع الله خوجال من قبل أمراء كردفان ومعه عريضة الى الجناب الخديوى يطلب بها انقاذ تلك البلاد من الضيق واعادة الاقطار السودانية الى حوزة الحكومة الخديوية فتشرف بمقابلة الخديو والغازى مختار باشا والجنرال استيفنسن قائد جيش الاحتلال فوعدوه باجابة طلبه متى سمحت الاحوال واستقال عبد القادر حلمى باشا من نظارة الداخلية والحربية لخلاف حصل بينه وبين السردار السير غرنفيل باشا (Sir Grenfell) ورجال الداخلية وعهدت النظارتان بعده الى مصطفى فهمى باشا ناظر المالية الذى خلفه فيها محمد زكى باشا مدير عموم الاوقاف وخلفه فيها عثمان غالب باشا وقد كانت أحوال نوبار باشا لاتسر الخديو فى تلك الدفعة وان سياسته قد تغيرت عما كانت عليه حتى خرج فى بعض أقواله معه عن الحد فلذلك عزله من رياسة مجلس النظار (٧ يونيه سنة ١٨٨٨) عزلا يكفى من يريد الوقوف على صفته ومقداره النظر فى أمر الخديو اليه حيث قال له (انه بناء على ماوقع فى جلسة المجلس بالامس وماهو الا تكرار ماحدث أكثر من مرة من التباين فى الآراء مما رأيت منه استحالة بقائك فى منصبك فلهذا قد فصلتك من وظيفتك وعهدت برئاسة الوزارة وتشكيل هيئة جديدة الى صاحب الدولة رياض باشا) وكتب الى رياض باشا كتابا لطيف العبارة يعده فيه بتعضيده فى الاعمال ويذكره بان الحكم فى مصر يكون باتحاد الخديو مع الوزراء وعشاركتهم وقد أدرجنا الكتاب المذكور باسفل الصحيفة كعادتنا (١) فصار رياض باشا رئيس النظار وناظر الداخلية والمالية ومصطفى فهمى باشا الحربية والبحرية وذو الفقار باشا الخارجية ومحمد زكى باشا

---

(١) انما تصفتم به من الغيرة الوطنية والاخلاص لنا قد دعانا الى أن نطلب منكم القيام بتأليف هيئة نظار جديدة وليكن فى علمكم اننا لا نتأخر مطلقا عن تعضيدكم ومساعدتكم المساعدة الحقة الصادرة فى الاعمال المهمة السامية التى دعوناكم لادائها وان ماجاء فى أمرنا الصادر بتاريخ ٢١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ هو المنهج الذى نروم اتباعه والسير على مقتضاه وليس هناك من عظيم حاجة الى تذكيركم باهم ماتضمنه ذلك الامر من المواد الاساسية وهى ان حكمنا واجراءه يكون مع مجلس نظارنا وبواسطته وان نعهد اليكم رئاسة هذا المجلس مع ابقاء الحق لنا فى الرئاسة على جلساته بذاتنا كما رأينا لذلك لزوما وان نرفع كلمة الاستقامة والاصلاح وحسن الترتيب والاقتصاد فى جميع ادارات القطر والسعى فى ايجاد الرفاهية واحياء التقدم فى جميع انحاء البلاد حسا ومعنى فهذه مقاصدنا التى نبتغيها وان شاء الله تعالى يتسنى لنا الحصول عليها بمساعدتكم وفى ذلك نعتمد كل الاعتماد على فطنتكم وهمتكم ونشاطكم وغيرتكم التى برهنتم لى عليها مرارا وكن أيها العزيز واثقا بمحبتنا لكم اه تحريرا بسراى رأس التين

نقل من مجموعة الاوامر العالية صحيفة ١٣٤ الامضاء محمد توفيق

للاشغال العمومية وحسين فخرى باشا للحقانية وعلى مبارك باشا للمعارف (٩ يونيه ١٨٨٨) ولما علم الناس بما كتبه سمو الخديو الى رئيس نظارته فرحوا جدا بالوزارة الجديدة سيما وان لرياض عدة مشروعات مهمة حال دون تنفيذ بعضها الحوادث العرابية وأتى ما تم منها باجزل الفوائد وأشهر الاعمال مدة هذه الوزارة أن الحكومة أجرت لمدة معلومة بشروط معينة لشركة رأسها أحد أغنياء الاسرائيليين يسمى سوارس سكة حديد حلوان وصرحت لها بتوسيع نطاقها فجعلت الشركة المذكورة محطة جهة باب اللوق بدلا ان كانت محطتها العمومية جهة القلعة ومدت لها خطا حديديا مارا وسط بعض الشوارع وبذلك ترقت أحوال مدينة حلوان وابتنى الناس بها المنازل اللطيفة والقصور الجميلة سيما القصر الخديوى الذى كان المرحوم توفيق باشا كثيرا ما يقيم به ولما كانت حالة الاهالى المالية تستدعى الالتفات وان الخديو المرحوم توفيق باشا لم يتأخر مطلقا فى ايجاد كل ما يعود على الاهالى بالرفاهية والنعيم أصدر أمره بالغاء عوائد الدخولية والقبانة والذبيح والحلة والدلالة من أكثر بلاد الوجهين البحرى والقبلى فانسر الناس ودعوا له بخير وحصل أيضا من أسباب ترقى التجارة ان صرحت الحكومة بأمر عال لجماعة من أغنياء الوطنيين بتأليف شركة للملاحة فى النيل دعيت بالتوفيقية وسبب ذلك كثرة توارد سياحى الفرنج الى مصر سنويا لمشاهدة آثارها والتمتع بلطيف هوائها شتاء لان ما حدث من الحوادث بمصر نبه أهل أوروبا لمشاهدة مصر أكثر من قبل وكان بالنيل قبل ذلك شركة انجليزية تعرف بشركة كوك وأولاده تشكلت فى عهد الخديو الاسبق اسمعيل باشا فزادت بهما الملاحة بالنيل سهولة وكثر عدد الزوار والسياحين خصوصا وانه فى عهد الخديو توفيق باشا كشف مديرو دار التحف المصرية كثيرا من الآثار القديمة (١٨٩٠) مما زاد فى شأن دار التحف المصرية هذا وقد كانت نفوس الناس تتوق من قديم الى تأسيس مجالس بلدية بكل مدن القطر العظيمة تنظر فى تحسين حالة المدن صحيا وتجاريا ولما علم اسمعيل المرحوم توفيق باشا ووزرائه لاجراء الاعمال النافعة طلب أهل الاسكندرية تأسيس مجلس بلدى لهم فوافقتهم الحكومة عليه الا أن قانونه أتى مجحفا جدا بحقوق الوطنيين حتى لم ينتخب منهم بين أعضائه الا النزر اليسير وبقيت الاغلبية للاجانب مما لا يكون فى بلد أخرى أصلا ومن قانون المجلس المذكور ان يكون بين أعضائه كل من محافظ الاسكندرية والنائب العمومى بالاستئناف المختلط ومدير عموم الجمارك ورئيس نيابة المحكمة الاهلية ومفتش الصحة ومفتش رى القسم الثالث وستة تختارهم دائرة الانتخاب وثلاثة ينتخبهم تجار الصادرات ومثلهم ينتخبهم تجار الواردات واثنان ينتخبهما أصحاب الاملاك ومن حسنات توفيق باشا العديدة أيضا ان صدر منه أمر فى تلك المدة بأن يخصص مبلغ ٢٥٠٠ جنيه مصرى سنويا بالاصلاح شأن الكتبخانة الخديوية (١٨٨٩) فترقت بذلك حالتها جدا وتمكنت من مشترى وطبع كثير من المؤلفات المفيدة ولما كانت المحاكم الاهلية أتت بالفوائد العظيمة بالوجه البحرى وكان تعميمها بالوجه القبلى يتوقف على مساعدة المالية ومعرفة فوائدها بالوجه البحرى وقد توفر هذان الامران صدر الامر العالى بتشكيلها بالوجه القبلى أيضا (٢٩ يونيه ١٨٨٩) فقابل أهالى الصعيد ذلك بالارتياح والسرور

ولما استعفى السير ادجار فنسنت المستشار المالى (١٨٨٩) صدر أمر خديوى بتعيين السير الون بالمر (Elwén Palmer) مكانه وقد اهتم هذا المستشار بتحسين مالية البلاد التى

هى

هى أهم شئ يجتهد الانجليز فى تحسينه وانماء ايراداته حتى يطمئن بال أرباب الديون من الاوروباويين فلا يطلبون من حكوماتهم المداخلة لتأمين حقوقهم وقد تمكن هذا المستشار بمساعدة الحكومة من تحويل الدين الممتاز فتوفر بذلك للحكومة مبلغ وافر ثم اهتمت الحكومة فى تخفيف بعض الضرائب وتعديل بعضها (١٨٩٠) وعرضت على مجلس شورى القوانين مسئلتى تقسيط الاموال وتقرير عوائد الدخولية وألقى رياض باشا على أعضائه خطبة نفيسة افتتحها بالاعتذار للاعضاء من تكرار البحث فى موضوعين هما مسئلة تقسيط الاموال وكون سير هذا التقسيط مرضيا أم لا ومسئلة تقرير عوائد الدخولية وما جرى فيهما من الخلف بين المجلس والحكومة واستطرد الكلام بالمناسبات الى ذكر الاموال العمومية وما جرى من الاصلاحات منذ تولية الخديو توفيق باشا ولما كانت الخطبة المذكورة شاملة لوصف الحالة التى كانت عليها مصر قبل ذلك وما أجرى فيها بعد من الاصلاحات رأينا ضرورة ذكرها بأسفل الصحيفة ليطلع عليها حضرات القراء (١)

(١) ان تولية مولانا الخديو كانت مبدأ تاريخ حياة جديدة لمصر والمصريين فأول ما فهمناه وقتئذ اننا خرجنا من الظلمات الى النور ومن الظلم القاسى الى العدالة المطلقة ومن الاستبداد المحض الى الحرية الحقة . كان كل اهتمام الحكومة السالفة أن تخترع طرق جلب الاموال من الاهالى أيا كانت الوسائل لا يعنيها عاش الناس أو ماتوا وكلكم يتذكر أنها لم تكتف فى زمن من الازمنة بالضريبة التى قررتها بل زادت عليها ضرائب متعددة كالسدس والثمن والمقابلة والاسهم وما أشبه ذلك مما يختص بالاطيان فضلا عن انها اذا رأت بلدا عاطلة قد تلفت أرضها تحمل ما يكون عليها على أرض قريبة منها أو بعيدة فلا يمضى زمن حتى تعود الارض الخصبة عاطلة لكثرة ما تحمل من المطالب وربما هاجر أهلوها وانى أضرب لكم على ذلك مثلا . أول مأمورية توليتها فى البلاد هى مديرية الجيزة ولما توجهت اليها فى سنة ٧٣ رأيت ان بلدا يقال لها ترسه قد تلفت أرضها وعجز أصحابها عن زراعتها فكان من أمر الحكومة اذ ذاك انها حملت الاموال التى كانت تحصل عليها منها البلاد أخرى كناحية بلد الزمر فعظم عندى هذا الامر واجتهدت فى البحث عن طريقة تخفف ويلات هذه البلاد التى تدفع عمالا تزرع منها شبرا أو قيراطا وتوصلت بعد ذلك الى أن أهل البلد التى تلفت أرضها يعفون من نير السخرة ليتمكنوا من الاشتغال باصلاح أراضيهم حتى تستعد للزراعة وجعلت ذلك سخرتهم المكلفين بها وما زالوا يجتهدون حتى صلحت الارض ولولا ذلك لما مضى زمن حتى نشاهد تلك البلاد الرابحة قد حملت مطاليبها على غيرها . وعلى هذا الحال كان سير الحكومة المصرية وقتئذ الذى كان من نتيجته اليوم اننا نؤدى كل سنة نحو خمس ملايين من الجنيهات كالجزية المفروضة ولم تكن وظيفة الرجال الذين يختشى بأسهم وسطوتهم اذ ذاك (وقد كان من العدل أن تنتفع بهم البلاد) الا انهم يرسلون الى المديريات فيمكثون الازمنة الطويلة لا هم لهم الا سد جشع الحكومة فى طلب الاموال . هذا من حيث الارض فى ذاتها أما ما كان يضرب على حاصلاتها فتلك أمور فظيعة لا أظنكم تجهلونها ومن نسيها فليذكر أيام خلف باشا (الله يرحمه) حيث كان يكلف كل يوم باختراع سيئة تسيل فى مجراها دماء الاهالى من تلك المظالم فمن يقارن بين تلك الحالة وما وصلنا اليه الآن (وان الباعث على حضورى الآن هو النظر فى طريقة تضمن راحة الاهالى واصلاح الادارة بعد اجماعنا على تخفيف تلك المصائب ثم ازالتها) يظهر له الفرق بين ما كنا عليه وما صرنا اليه . أما الضرائب التى كانت تلقى على عواتق الاشخاص كالفردة وما أدراك ما الفردة فقد بلغت فى زمن الحكومة السابقة ٣٠٠,٠٠٠ جنيه سنويا فضلا عن عوائد المصلح التى كان يدفع فيها الشخص تسعة قروش صاغا وغنه الآن كما رون ثم هى لم تكن توزع بوجه يقبله العقل ومثل عوائد الارز والقبانة والطوائف ودمغة الملابس وعوائد الاعتاب وعوائد النخيل وما كان يضرب على الاطيان التى تزرع نخيلا زيادة على الضريبة الاصلية وكيف كانت بدلية العسكرية ورسوم المشيخة التى زعموا انها وضعت بناء على التماس مشايخ وعمد بلاد الوجه البحرى فصدر وقتئذ أمر عال يقضى بضرب تقارير العمد والمشايخ على ورق دمغة وان يكون رسم هذه الوظائف من ٢٥ الى ١٥٠ جنيها وكلكم خبير بأن مثل هذه المبالغ كان يوزع على الاطيان

ومن الاصلاحات المقرونة بالشكران صدر أمر خديوى بتسوية الديون المطلوبة من الاهالى

فيؤخذ اختلاسا او ظلما من الفلاح المنكود الحظ . هذا كله كان مع اختلال الادارات واعوجاج سير المصالح وارتكاب العمال ولا أطيل الشرح فى هذا فلستم بعيدين من أمره فضلا عن اختلال الاحكام فى القضايا بين الناس فتذهب الاموال والانفس فريسة الاغراض والمطامع بل ان رجال المظاهر لم يكونوا آمنين على أنفسهم فيبيتون وقلوبهم راجفة . تعلمون انى فى تلك المدة تقلدت وظائف سامية وتقلبت فى مأموريات مهمة وفى أثنائها مضت على مدة لا تقل عن ستة أشهر لا أخرج الى باب دارى فيها ولا يصل الى أحد ولو كان أقرب الناس لى * ما سبب ذلك * سكوت * وعلى ذلك الحال كانت معاملة أمثالى بل أشد من ذلك كان . كان مجلس النواب وقتئذ آلة صماء يتخذ لتنفيذ المظالم والتوقيع على السيئات لا يستدعى الا عندما تكون فكرة أبرزتها المطامع ويقضى حيث ينتهى الامر فاين تلك الحال مما أنتم عليه الآن توضع بين يديكم المشروعات فتبحثون فيها بغاية الحرية غير محابين ثم لكم من الاعتبار والاحترام بين هيئة الحكومة ما أنتم جديرون به فلذلك أكرر وأقول اننا منذ تولى جناب خديوينا المعظم حق لنا أن نقول (خرجنا من الظلمات الى النور) ولما سعدت البلاد بتولية مولانا الخديو الحالى واطمأنت القلوب أخذنا ننظر فى ازالة تلك المظالم شيأ فشيأ وكان من ذلك اننا أزلنا رسوم المشيخة التى كانت من أفظع السيئات ونظمت طريقة مشيخة البلاد التى كانت تتخذ وقتئذ حبائل لنهب أموال الاهالى ووسيلة الى خراب ديارهم وسعينا فى تخليص المالية من مخالب الارتباك ومعلوم ان انتظام المالية روح الحكومات وأس عمران الهيئات الاجتماعية وحقنت الدماء بعد ان كانت مهدرة وسمعت شكوى المظلوم ونظمت طريقة التقاسيط بعد ان كان الفلاح يدفع وما حسابه الا يوم الحساب وتجاوزت الحكومة فى سنتى ٧٩ و ٨٠ عن كثير من المتأخرات شفقة ومرحمة بالاهالى وكيف ان الحكومة السابقة رجعت عما تنازلت عنه بسبب اصابة الاراضى بالشرق بعد سنتين زعما منها انه ظهر لها عدم استحقاق أولئك المساكين الشفقة التى كانت عاملتهم بها فى الوهم ولا أطيل الحديث فى هذا الموضوع فانتم به أدرى وبالجملة فقد تركت الوزارة فى المدة الاولى وعندنا مبلغ احتياطى ١٠٠١٣٠٠٠ جنيه فتبين لكم ان تولية مولانا محمد توفيق باشا جاءت رحمة من الله تعالى أنقذتنا بها العزة الالهية فنحن نشكره على ذلك فقد قال الله تعالى ولئن شكرتم لأزيدنكم . ومن باب التحدث بنعمة الله أذكر لحضراتكم ما وصلت اليه أحوالنا الاخيرة من التحسين ولا حرج على فى ذلك فقد قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث . كثيرا ما كنت أسمع من بعض أعيان البلاد فى المدة التى لم أكن أباشر فيها أشغال الحكومة المصرية عبارات الرضا عن وجود السخرة على عاتق الفلاح ذلك لان البلاد ألفتها من قديم الزمن حتى كأن الله ضرب على أهليها الشقاء الدائم ولكن كان يتملكنى الاسف منها اذا تذكرت عيشة هؤلاء فى هذه التعاسة المميتة فلما أن عدت الى الاشتغال بمهام الحكومة أخذت فى الاسباب حتى وفق الله وأزلنا عن البلاد عار هذه الحالة الفظيعة وأقول انها لو كانت فى بلاد غير هذه البلاد لاقاموا لها كل عام تذكارا جليلا يكون من أجل الاعياد . وأتذكر انى كنت قد وعدت حضراتكم وقتئذ انه لو صادقت فرنسا على تحويل الدين لامكننا ان نستعمل فائدة هذا التحويل ولا نحتاج الى تحميل الاهالى شيأ من العونة التى قدرت وقتها وقد مكنتنا الفرص من استعمال مبلغ ثمانين ألف جنيه من فائدة تحويل الدين التى حصل عليها اقرار الدول فى هذا العام من أصل مبلغ المائة وخمسين ألف جنيه الذى فرض ابتدائيا على الاراضى توصلا الى الاتفاق على المقاولات العمومية التى تحت من ازالة السخرة ونظرا لان الحكومة باذلة جهدها فى تخفيف ما على عاتق الفلاح هان عليها ان تقتصد فى نفقاتها وقامت بدفع مبلغ السبعين ألف جنيه مضافة على المبلغ الناتج من التحويل وكان ذلك من مبانيه مصاريفها المخصصة لها ومضت هذه السنة والاهالى حل من دفع شئ فى مقابلة ازالة السخرة فكان بذلك وفاء ما وعدت به حضراتكم ولا زلت واثقا بأن الحكومة ستتمكن باى الطرق تكون من اعفاء الاهالى ان تحملهم منها شيأ فى المستقبل . وفضلا عما تقرر فى أذهانكم فان أعمال السخرة لم تكن قاصرة على وسائط الرى وحفظ الجسور وانشاء القناطر وما أشبه ذلك بل كانت تشمل كل الاعمال العمومية حتى ان الفقير الذى لا يملك قوت يومه يصبح و يمسى و يقضى طول حياته فى الشقاء والذل الى غير ذلك من الاتلاف التى كانت تحيط بالمزروعات والاراضى اذ لا هناك من يحفظها من ان تضيع تحت أرجل المسخرين فمن لم ير الرحمة من غيره لا يرحم غيره . ولم يقتصر الامر على مثل هذه الفوائد بل ان الحكومة سعت أيضا فى ازالة

الحكومة

للحكومة وغالبها متأخر من أموال الاطيان (١٨٩١) وتنازلت الحكومة لعدم الاقتدار عن مبالغ

كثيرة من الضرائب المتفرقة ففى أول سنة ٩٠ تجاوزت عن مبلغ ١٢٦٠٠٠ جنيه صدر بها أمر عال وضعت فيه البيانات الكافية عن متفرقات ضرائب كانت ولاشك على الاهالى ولابد انكم اطلعتم عليها منشورة فى الجرائد الرسمية وغيرها . أسلفت لحضراتكم ان الحكومة المصرية السابقة كانت ماهرة فى اختراع الاساليب الجالبة للاموال وذكرت لكم أمر الفردة ورعا دار بأفكاركم انها باقية عندما تسمعون ذكر البطانطا (أى عوائد الرخص) فأريد الآن ان أبين لكم الفرق بين الحالتين كانت الفردة (أى الويركو) لغاية سنة ٨٩ مبلغ ١٥٠٠٠٠ جنيه سنوية جزية على أهالى القطر فلما دخلت سنة ٩٠ الاوقد أزيل منها بأمر خديوى مبلغ ٧٠ ألف جنيه وبقى منها عليهم ثمانون ألفا وبتنفيذ الامر العالى بخصوص البطانطا أمكننا ان نخفض هذا الباقى الى أربعين ألف جنيه فكانت النتيجة انه من ابتداء هذا العام الى الآن أصبح مبلغ المائة وخمسين ألف جنيه أربعين ألفا فقط . وكان عدد الممولين قبلا ثمانمائة ألف نفر فأصبح عددهم الآن ٦٠٠٠٠ فقط بل ان مدينة القاهرة كانت تدفع وحدها سنويا مبلغ ٣٢٫٠٠٠ جنيه وقد صار المقرر عليها عشرة آلاف فقط . هذا ما تقرر لديكم وعلمه الخاص والعام فلاسبيل الى انكار شئ منه ومن الذى تقرر الغاؤه فى هذه الاثناء أمر عوائد الاغنام والشعارى وأصناف أخرى يبلغ ما يؤخذ عليها الآن ستين ألف جنيه فمن يتصور كنه هذا التحسين ربما أسرع الى فكره ان هذه المشروعات قد مست جانب المالية المصرية ولكن مع كل هذا أقول لحضراتكم ان المبلغ الاحتياطى الذى فى صندوق الدين يشتغل بفائدة متجددة مستمرة لمالية تناوصل الآن الى تسعمائة ألف وستة آلاف جنيه ولدى الحكومة مبلغ احتياطى أيضا قدره ١٢٨ ألف جنيه . وقد توليت زمام الوزارة وعلى الاهالى كثير من المتأخرات من الاموال والعشور ولم يكن ثم سبيل الى الزام الحكومة على ترك شئ منها ولا تأخير طلبها وبالفعل كان صاحب الارض يطالب بما عليه فى عامه وبالمتأخر عليه وربما كان تراكم هذه المتأخرات لديه وسيلة الى فتوره ويؤول الامر الى عجزه عن القيام بالمطاليب وتكون العاقبة تجريده من العقار والدار فرأينا من الاصلاح أن نوقف أولا سير التحصيل ثم نعين لتحقيق هذه المتأخرات والبحث عن أسبابها رجالا ممن تولوا وظائف سامية ولهم الخبرة التامة بالاعمال والاحوال وبعد اجراء هذه الوسائل عدلت طريقة تحصيل هذه المتأخرات بعد أن تجاوزت الحكومة عن مبلغ ١٦١٠٠٠ جنيه . هذا ولم تفتر همة الحكومة فى أثناء ذلك من اجراء اصلاحات كثيرة تعد من الامور الجوهرية فى وسائل ترقية الامم فقد تنزلت أجرة البوستة والتلغرافات ووسعت نطاق السكك الحديدية وأنشأت من أعمال الرى ما ضمنت به مستقبل الاراضى وهى تبحث الآن عن ابراز كثير من المنافع العمومية العائدة على البلاد بالرغد والسعادة وان شاء الله يكون ما فى نيتها من الاصلاحات فى زمن قريب دون أن تحمل الاهالى شيأ من نفقاتها . هذا الى ما أبشركم بما عزمت الحكومة عليه فى أمر ضريبة بدلية العسكرية فان النية منصرفة الآن الى محوها بالكلية عن عاتق الاهالى حتى لا تسام شبان البلاد بما يشبه البيع والشراء فمن تصيبه القرعة العسكرية يشرف بخدمة الوطن ومن لا تصيبه عاش بين يدى والديه قرير العين (نقول وما دام اسم بدلية العسكرية موجودا فالناس بعيدة من أن تعتقد ان فى الخدمة شرفا وفخارا) وان لم تكن اليوم كما انها فى السابق . أيها السادة أصبحت الآن ألتفت يمينا وشمالا منذهشا متعجبا كأنى فى حلم لا علم اذا انغمست فى خاطرى ما وصلت اليه أحوال الناس من السعادة منذ تولى خديوينا الحالى فلا عجب اذا كررت هذه الكلمة بينكم مرارا (انا خرجنا من الظلمات الى النور) ليس ببعيد عليكم ما كنتم تشاهدون من حالة الفلاح وهو يرسف فى قيود الديون ويجر فى ذيول الاعسار والفاقة والذل من كثرة الضرائب وهو الآن طيب الخاطر منعم البال لا يخشى مزعجات تلك المظالم ولا يخاف غائلة الحاكم . وكان المار بطريق البنك العقارى والمحكمة المختلطة يرى الالوف ملقاة فى جوانبهما مكبة الرؤس عليها سيمات الخسف والذل فيفارقهما الرجل يوم يجرد من أملاكه ويصبح لا يملك نقيرا ولا قطميرا فأناشدكم الله ماذا تشاهدون اليوم من حالتهم أليس قد أصبح البنك ولا هنالك من يقصده من الاهالى الالابتياع أرض وشراء دار أما تبدلت حالة أولئك الذين كانوا لا يقصدون المحكمة المختلطة الا لبيع أراضيهم وعقاراتهم وصاروا يقصدونها اليوم لتسجيل ما يشترون بأضعاف ما كانوا يبيعون منذ أعوام قليلة اما كلكم تشهدون بأن أثمان الاراضى قد ضوعفت المثل والمثلين فى زمن يسير (نعم نعم) لاشك ان اعترافكم واعتراف الجميع الآن بما وصلنا اليه مما يبعث بالاجلال شكر المنعم وولى النعم . أصبح كل فرد من المصريين حرا فى أعماله لا يتعدى الكبير على الصغير ولا يستهين العظيم

وافرة فابتهجت الاهالى سرورا وتحسنت حالة الفلاح ونفض عنه غبار الاعسار وفى السنة المذكورة أيضا طلبت الدولة العثمانية من الحضرة الخديوية تحويل صرف بعض من مبلغ الخراج الذى تدفعه مصر الى الدولة سنويا الى بنك روتشليد (Rotschild) فقبل الخديو وأصدر أمرا فى ٢٠ مارس سنة ١٨٩١ بقبول مصر ذلك وانها تستمر على الدفع لمدة ستين سنة تبتدئ من ١٠ ابريل من السنة المذكورة وقد أدرجنا لامر المذكور بأسفل الصحيفة لاهميته (١)

وكانت الحكومة شكلت لجنة للنظر فى المكاييل والموازين والمقاييس وكلفتها بوضع طريقة يجرى العمل عليها لتعدد المستعمل منها بمصر ودخول الغش والغبن عليه فاختارت لذلك الطريقة الاعشارية المترية لضبطها وسهولتها وصدر بها الامر العالى (١٠ ابريل سنة ١٨٩١) ومن وقتئذ اتبعت مصالح الحكومة الطريقة المترية الاعشارية فى حساباتها

ولما ظهر بالمحاكم الاهلية ما يدعوا الى اصلاحها وادخال بعض النظامات فيها طلبت انجلتره

حقيرا ولا الامير فقيرا وبدلت تلك الاحكام الاستبدادية بالعدالة واعتبار الحق والواجب فى كل شئ ولكن أقول بلا محاباة ولا مداهنة ان مرجع كل هذه الاصلاحات التى أصبحنا نفتخر بها عائدة الى ملاذ الجناب الافخم خديونا المعظم فهو والحق أقول أعظم الناس شفقة على الاهالى وأحلمهم مرحمة وأسبقهم الى اغداق الخير على البلاد يعز عليه ان يرى جزئية من الجزئيات لا تنطبق على أمياله الشريفة فلندع لسموه بطول البقاء ودوام الاقبال (دعاء وتهليل وفرح وتأمين) اهـ

(١) نحن خديو مصر — بناء على ما صدر من الباب العالى من ابرام عقد فى ٥ مارس ١٨٩١ بين حكومة صاحب الجلالة الجناب السلطانى الشاهانى و بين الخواجات ن . م روتشيلد وأولاده بلوندره والخواجات روتشيلد اخوان بباريس والبنك العثمانى السلطانى بخصوص قرض عنوانه القرض العثمانى بفائدة ٤ فى المائة على ويركو مصر و بخصوص القيام بتسديد السندات التى ما زالت متداولة من سندات قرض الديفانس العثمانى المعقود فى عام ١٨٧٧ واتباعا للامر السلطانى الصادر فى ٢٥ رجب سنة ١٣٠٨ نعلن بهذا اننا نتعهد للخواجات روتشيلد وأولاده الذين عينوا الثانى الامر السلطانى المشار اليه بأن ندفع لهم فى لوندره من تاريخ ١٠ ابريل سنة ١٨٩١ مبلغ ٢٨٠٦٢٢ جنيها انجليزيا و ١٨ شلنا و ٤ بنسات و بذلك يكون هذا المبلغ خالصا مما هو مخصوص له الآن بواسطة تسديد سندات الديفانس كما يتضح ذلك من العقد المشار اليه آنفا

و بناء على ذلك تدفع الحكومة المصرية سنويا فى مدة ستين سنة تبتدئ من ١٠ ابريل أعنى لغاية استهلاك القرض الجديد الذى بفائدة ٤ فى المائة المذكور الى الخواجات ن . م روتشيلد وأولاده فى لوندره مبلغا لا يجوز تخفيضه وقدره ٢٨٠٦٢٢ جنيها انكليزيا و ١٨ شلنا و ٤ بنسات و يخصم هذا المبلغ من ويركو مصر الواجب علينا وعلى خلفائنا فى الحال والاستقبال دفعه الى الحكومة الشاهانية العثمانية

و يدفع هذا المبلغ ذهبا فى المواعيد المحددة فى الجدول الآتى ويكون الدفع الاول فى ١٠ يونيه سنة ١٨٩١

صدر بعصر القاهرة فى ٢٠ مارس ١٨٩١ (١٠ شعبان سنة ١٣٠٨) الامضا
محمد توفيق

بيـــان الدفعـــات

		بنس	شلن	جنيه انكليزى
١٠ يونيه	من كل سنة	٠٠	٠٠	١٠٠٠٠
٣١ يونيه	»	٠٠	٠٠	٩٥٠٠٠
١٠ سبتمبر	»	٠٠	٠٠	٣٠٠٠٠
٢٥ سبتمبر	»	٠٢	٠٩	١٥٣١١
٣١ يناير	»	٠٠	٠٠	١١٦٠٠٠
١٠ مارس	»	٢	٩	٢٤٣١١

تعيين

تعيين مراقب يسعى فى اصلاح المعوج من أمرها وقد وافق المرحوم توفيق باشا على هذا الطلب وعارض النظار كثيرا ولكنهم قبلوا أخيرا واشترط رياض باشا أن يكون تعيينه لسنة واحدة فقط بأمل استخدام معارفه فى اصلاح المحاكم وتعين لذلك المستر جون سكوت (John Scott's) وهو من أرباب الاطلاع الواسع وذوى الخبرة وقد شرع المستشار فى زيارة المحاكم وتفقد أحوالها والبحث فيما تحتاجه من النظام وكان من أول أعماله ان أشار بتعيين قاضيين أجنبيين انجليزيين فى محكمة الاستئناف الاهلى ووضع تقريرا عن حالة المحاكم جاء فيه وجوب استقلال القضاء واقامة مراقبين على نظام المحاكم وسير القضاة ولما قدمه الى الوزارة نشأ عنه اختلاف سيما لانه لم يحدد فيه المراقبة ولا اختصاصات المراقبين فرفضه رياض باشا وكتب فخرى باشا ناظر الحقانية تقريرا آخر بين فيه رأيه فى سير المحاكم والاصلاحات الواجب ادخالها عليها فظهر بذلك الخلاف فى الرأيين ثم صدر قرار من مجلس النظار فى ٢٢ يناير سنة ١٨٩١ بعقد لجنة لدرس التقريرين واعطاء الرأى فيهما وقد اختلف أعضاء اللجنة المذكورة فى الرأى لان البعض منهم أقر على عدم صلاحية التفتيش الموجب عزل قضاة الاستئناف كما ورد بتقرير المستشار القضائى ولان ذلك يقلل من استقلالهم ويؤثر على أفكارهم فى الاحكام فى حين ان القضاء يوجب الاستقلال فى الذمة والرأى ورأى البعض الآخر الفوائد فى المراقبة القضائية بشرط أن لا تؤثر على استقلال القضاة وقالوا اذا كان لابد من المراقبة فالاحسن تشكيل لجنة دائمية يكون لها حق المراقبة والاهتمام بشؤن المحاكم الجزئية والابتدائية وتقيد باختصاصات يكون من جملتها عزل قضاة المحاكم الابتدائية وترقيتهم عند الاقتضاء وقد كان هذا الاختلاف فى الرأى مما شجع قنصل انجلترة العام على أن يطلب من المرحوم توفيق باشا عند عودته من سياحته الصعيدية تعيين السير سكوت مستشارا لنظارة الحقانية كما سبق فتوقف رياض باشا وعزم على الاستعفاء لولا أن أمره الخديو بالبقاء ثم تقرر فى جلسة النظار التى عقدت فى يوم ١٤ فبراير تحت رياسة الجناب الخديوى تعيين السير المذكور مستشارا (١٥ فبراير سنة ١٨٩١ - ٦ رجب ١٣٠٨) ولما كان هذا التعيين مخالفا لما رآه فخرى باشا فى تقريره قدم استعفاءه بعد أيام وتعين بدله ابراهيم بك فؤاد ورقى الى رتبة الميرميران أما رياض باشا فانه قدم استعفاءه أيضا رغما عن الحاح الكثيرين عليه بالبقاء وقال فى صحيفة استقالته انه لاعتلال صحته أصبح لا يستطيع القيام بمهام المأمورية المهمة التى هو مكلف بها فقبل الخديو استعفاءه وكلف مصطفى فهمى باشا بتشكيل وزارة جديدة (٢٤ مايو ١٨٩١) فقبل وصار أيضا ناظر الداخلية وعبد الرحمن رشدى باشا للمالية ومحمد زكى باشا للاشغال والمعارف وحسين فخرى باشا للحقانية ويوسف شهدى باشا للحربية والبحرية وتغران باشا للخارجية وعين محمد شريف باشا وكيلا للخارجية وأحمد شكرى باشا وكيلا للداخلية وصار السر كتشنر باشا مفتشا لعموم البوليس مكان شارلس بيكر باشا الذى أحيل على المعاش (ابريل سنة ١٨٩١) مع بقائه بوظيفة ادجوتانت جنرال للجيش المصرى فترقى البوليس فى زمنه وتحصل رجاله على عدة امتيازات عسكرية ثم التفتت الحكومة بارشاد المحتلين الى مصلحة بيع الملح فجعلت له وللنطرون المستخرج من وادى النطرون مصلحة خاصة تحت نظر المستر هوكر (Hocker) (١) (١٩ يوليو سنة ١٨٩١) فقلب

(١) وجهت الحكومة المصرية عنايتها الى ملاحات القطر المصرى من قديم الزمان خصوصا زمن المرحوم الخديو

نظامها القديم وسن لها قانونا جديدا فرخصت قيمة الملح وامتنع الاهالى اذاك عن تحمل مشقة تهريبه تقريبا فانسر الاهالى من ذلك وازداد ايراده للحكومة وشيد أيضا لاستخراج النطرون معامل جديدة ثم تنازلت الحكومة فيما بعد عن حق استخراجه الى شركة أجنبية (١٨٩٧ م) ومن الاصلاحات التى تمت فى عهد المرحوم توفيق باشا أيضا انشاء فرع حديدى بين الفيوم وسنورس والغاء رسوم الرخص التى كانت تؤخذ من الاطباء والصيدلية والقوابل وتخفيض أجرة المراسلات داخل مدينة القاهرة وغيرها من المدن العظيمة ولما انعقدت الجمعية العمومية افتتحها الخديو بنفسه وألقى على اعضائها خطابه كالعادة و بشرهم باقرار حكومته على الغاء كسور الضرائب واعفاء كافة الاماكن التى لا تزيد قيمة ايجارها السنوى عن خمسمائة قرش من عوائد الاملاك وكان فى ذلك رحمة كبيرة للفقراء و بالجملة فان كل هذه الاصلاحات التى كانت اقصى أمانى الخديو توفيق باشا قد تمت فى عهده وارتقت بها البلاد ارتقاء عظيما

المعارف فى عهد الخديو توفيق باشا — لما كان المرحوم توفيق باشا تربى تربية علمية جيدة كان شديد العناية بترقية المعارف بمصر فكثيرا ما ساعد بنفسه على انتشارها وكثيرا ما حض الوزراء والافراد على ذلك ومهد السبل لترقية شأن أبناء البلاد حتى انه قبل ان يتولى الخديوية كان انشأ بجوار قصره بالقبة مدرسة عظيمة يصرف عليها من أمواله وقد تخرج منها عدة من الشبان و بعد أن كان عدد المدارس الاميرية فى أول عهده ٣٣ مدرسة أمر على باشا ابراهيم وكان ناظرا للمعارف بفتح مدارس جديدة أخرى و بينما كان يهتم فى ذلك ظهرت الحوادث العرابية فحالت دون تنفيذ تلك المقاصد الحسنة ومرت أيام نظارة محمد زكى باشا (١٤ سبتمبر ١٨٨١ الى ٢ فبراير ١٨٨٢ م) وعبد الله باشا فكرى (١٠ فبراير ١٨٨٢ الى ٢٦ مايو ١٨٨٢) وسليمان باشا أباظه (٢٠ يونيه ١٨٨٢ الى ٢٧ اغسطس ١٨٨٢) وأحمد خيرى باشا (٢٨ أغسطس ١٨٨٢ الى ٢٢ مايو سنة ١٨٨٣) ومحمد قدرى باشا (٢٤

الاسبق اسمعيل باشا فان العناية بها كانت كثيرة وقد ورد فى كتاب الكوكب الدرى فى الاستقراء المصرى المتضمن نتيجة الاحصا آت التى أجرتها نظارة الداخلية بتاريخ ٤ ربيع أول سنة ١٢٩٠ (أول مايو ١٨٧٣) ان الملاحات الشهيرة اثنتا عشرة ملاحة وهى ملاحات دمياط ورشيد وعزبة الحاجة بفارسكور والبلامى بالمنزلة والبراس بالغربية وترنسا واسكندرية وهوارة و بورسعيد والاسماعيلية والسويس وكان يستخرج منها سنويا ٧٢٣١١ إردبا وكان عدد المواشى التى استخدمت لنقل الملح عليها ١٣٦٨ رأسا والفعلة المستعملون فى استخراجه ٦٨٥ نفرا هذا خلاف الملح الذى كانت تستخرجه الحكومة من ملاحتى زاوية تودارة قريبا من سواكن فقد بلغ المستخرج منه نحو ٣٠ مليون قنطار وكان يتصدر منه الى جدة وعدن والهند أربعة ملايين قنطار قيمتها نحو مليون من الفرنكات هذا وكان مبيع الملح فى الديار المصرية على الاهالى جاريا بصورة غير مرضية الى أن اعتنت الحكومة فى عهد الخديو توفيق باشا بأمره وجعلت له ادارة مخصوصة كما تقدم وقال المرحوم على مبارك باشا مذ كان ناظرا للاشغال العمومية فى تقريره عن سنتى ١٨٨١ و ١٨٨٢ لما كان تقدم هذه المصلحة المهمة متوقفا على اتمام المشروعات التى حصل التصميم عليها فى سنة ١٨٨٠ قد بذلت الحكومة طرفا من العناية فى اتمامها فأنشأت فى سنة ١٨٨١ اثنتين وثلاثين شونة بالاقاليم لصيانة الملح وحفظه وأصلحت بعض أشوانة قديمة واعدمت جملة ملاحات صغيرة لا فائدة منها وازداد عدد الخفراء فبلغ ٤٢٦ نفرا بعد أن كان ٣٤٧ نفرا فى سنة ١٨٨٠ اه واعتنى بأمره أيضا رياض باشا فى وزارته (١٨٨٨ - ١٨٩١) اعتناء زائدا

مايو

مايو ١٨٨٣ الى ٧ يناير ١٨٨٤) ومحمود حمدى باشا الفلكى (٢٩ يناير سنة ١٨٨٤ الى ١٩ يوليو سنة ١٨٨٥) وهى على حالتها القديمة ولما تعين عبد الرحمن رشدى باشا ناظرا للاشغال والمعارف (٢٠ يوليو ١٨٨٥) التفت اليها بمساعدة وكيله يعقوب ارتين باشا وقال فى تقريره الذى قدمه عن حالة المدارس اذذاك ما ملخصه أن المدارس التى مضى على النظام الذى كانت عليه الى ماقبل هذا العام نحو العشرين سنة مع كونها أنتجت ولا تزال تأتى للبلاد بفوائد لا تنكر ومزايا تذكر فتشكر يظهر ان قد الم بها منذ عهد ليس ببعيد ما أوقفها عن السير فى طريق التقدم حتى أخذ بعض الناس يسلقها بالسنة حداد وجعلها عرضة للطعن والانتقاد ورشقها بسهام اللوم الشديد وفوق اليها أسنة القدح والتنديد ولما فوضت ادارتها الى عهدتنا رأينا من الوجوب علينا ان نبحث عن العلل التى بعثت على انحطاطها فى أعين بعض الناس فظهر لنا بعد البحث الدقيق أن بها جملة أمور رقابلة للطعن فأخذنا على أنفسنا أن نزيل تلك الاختلالات ونقوم هذه الاعوجاجات اه وذكر اللورد دوفرين فى تقريره الذى رفعه الى لورد غرانفيل عقب الاحتلال فصلا عن المعارف قال فيه انه من الغنى عن البيان ان كلا من مساعينا لمنح مصر ادارة حسنة تحبط مالم ننظر نظرا دقيقا فى كل فروع المسائل التى تتألف منها تلك الادارة وتخصص كلا منها بما يلائمه فليس للمصريين حق فى التشكى من وجود عدد وافر من الاوروبيين فى الادارات اذ كان من المستحيل فى الوقت الحاضر وجود وطنيين نائلين كل الصفات المرغوبة والتهذيب المطلوب للقيام بالمصالح المستلزم مها للاجانب لضرورة الحال فان كان يرغب التخلص من هذا التشكى الشرعى فلا وسيلة لذلك الا بان تأخذ الحكومة المصرية بعزم ثابت وطوية سليمة أمر تهذيب الجيل الجديد اه ثم ذكر المدارس الموجودة يومئذ فى القطر المصرى وهى المذكورة بأسفل الصحيفة (١) ثم قال اذا أمعنا فى هذه البناية المتسعة الجامعة مشتملات التهذيب والمتوجة بالجامع الازهر

(١) (أولا) الجامع الازهر وهو مدرسة جامعة يدرس بها علم الكلام والفقه والنحو والمنطق وآداب اللغة العربية وبه من الطلبة نحو ثمانية آلاف طالب على ثلثمائة أستاذ (ثانيا) المدارس التى أنشأها مرسلو الاجانب ومحلهم ويبلغ عددها ١٥٢ مدرسة تحوى ١٢٤٤٧ طالبا منهم ٦٤١٩ أو ٥٢ بالمائة من المصريين وخزينة الحكومة تدفع معينات سنوية لبعض هذه المدارس (ثالثا) (مدارس الحكومة وتنقسم على الوجه الآتى) (١) مدارس بسيطة ابتدائية مشيدة فى مدن وقرى القطر المصرى ويبلغ عددها ٥٣٧٠ وتحوى ١٣٧٥٥٣ طالبا أو جزأ من ٤٠ من عدد سكان القطر ويعلم فيها قراءة وحفظ القرآن الشريف غيبا ويزاد فى بعضها تعليم الخط والحساب (٢) مدارس أولية عالية ويوجد منها ٢٧ تحوى ٤٦٦٤ طالبا فاحداها فى العاصمة ونفقتها داخلة فى ميزانية نظارة المعارف وتحوى ٦٤٨ طالبا وهى مثال للمدارس الموجودة والمنوى انشاؤها فى مراكز المديريات والقرى الكبيرة ومدى التعليم بها أربع سنوات فى خلالها يتقوى الطالب فى قراءة القرآن الشريف وكتابة اللغة العربية وعلم الحساب وفى غضون السنة الاخيرة منها تعطى له مبادئ التاريخ والجغرافية ومبادئ لغة أجنبية (انكليزية أو فرنساوية أو المانية) حسب رغبة الطالب والخط الاوروبى ويترقى الطالب من هذه المدارس الى المدرسة التجهيزية فى القاهرة ومن هذه يتدرج الى المدارس العليا ونفقة المدارس الاولية قائمة من ايراد بعض الاطيان فى الوادى وهى التى وهبها حضرة الخديو الاسبق اسمعيل باشا لهذه الغاية وتؤدى من وزارة الاوقاف والاحسانات الخصوصية (٣) المدارس التجهيزية فى مصر تحوى ٢٩٢ طالبا يتدرج منها الى المدارس العليا ومدى التعليم بها أربع سنوات فى خلالها يتعلم الطالب لغة أجنبية والعربية والرياضيات والطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعى والتاريخ العام والجغرافيا والخط العربى والافرنجى والتصوير وفى ست مدارس أولية

المنتشر صيته فى آفاق الارض خيل لنا ان المصريين هم الشعب الاكثر تهذيبا على سطح الكرة ولكن من نكد الطالع نرى الحال بالعكس فالولد المصرى يبلغ الحلم صغيرا وله قابلية خاصة لتعليم اللغات والرياضيات لكنه متى وصل الى درجة محدودة فى التقدم لا يتمشى نمو عقله تمشى نمو جسمه فى ادراك العلوم العالية وان الزواج الباكر هو أحد العلل الرئيسية التى تفطمه عن اطراد رضاعة ألبان المعارف وكم من الطلبة نراهم جالسين على مقاعد التعلم وهم حاملون على مناكبهم أحمال الزواج وان ضعف البصر مانع آخر لنجاحهم وهنالك أيضا علة يجب مداواتها فانهم يستخدمون فى التعليم قوة الذاكرة الى حد الافراط ويغفلون عن تمرين بقية القوى العقلية وطريقة التعليم فى الجامع الازهر جافة وغروسها فى العقول عقيمة لا تثمر فائدة ولا تنتاج حين العمل وقلما ينبغ تلميذ من الصفوف الاولى فى مدارس الحكومة بانتهاء مدة دروسه الى درجة تؤهله للانتقال الى مدرسة أعلى على انه ينتقل اليها لينوب مناب الخارج منها ولملأ الفراغ فتكون النتيجة انه يباشر دروسا عالية حالة كونه لم يتم دروسه السابقة ثم قال ان المدرسة التجهيزية هى الوحيدة التى يؤخذ منها التلامذة لمدارس الصنائع والفنون وهى غير كافية لسد الطلب ولكن يمكن سد هذا الخلل موقتا بأخذ تلامذة مدرسة الصنائع والفنون من تلامذة مدارس المرسلين الاجانب لانهم أنجح من تلامذة مدارس الحكومة لكن الوزارة عارضت ذلك حتى الآن بقولها ان تلامذة مدارس الاجانب لا يتقنون اللغة العربية كما يتقنون باقى الفنون وبما ان مدرسة المهندسخانة ومدرسة المساحة ومدرسة الصنائع ذات بغية واحدة أعنى اخراج مهندسين وميكانيكيين فلربما أفاد ادماجها فى سلك واحد تحت ادارة واحدة ومدرسة الحقوق التى يجب ان ينتقى منها القضاة وأرباب المجالس مشيدة على أسس غير ملائمة لمقتضيات القطر وبما ان المجالس الوطنية والمجالس العدلية من المسائل الوافرة الاهمية فيجب توسيع هذه المدرسة بزيادة عدد أساتذتها وانتقاء عدد وافر من تلامذة مدارس الحكومة والاجانب وادخالهم فيها ويجب تنظيم مدرسة الالسن على أساس يوصل الى نوال العدد الاكبر من المترجمين والمستخدمين الثانويين لمصالح الحكومة فان أكثر المترجمين

ينشأ صف ويعلم به علوم المدرسة العليا على مدى سنتين (٤) مدارس الصنائع والفنون وهى (ا) مدرسة الطب وتحوى ١٧٦ طالبا ويلحق بها مدرسة الصيدليات وطلبتها سبعة ومدرسة القوابل وطالباتها عشرون (مديرها فرنسوى) (ب) مدرسة سائر الفنون (المهندسخانه) وتحتوى على خمسين طالبا (ت) مدرسة المساحة وتحتوى على ٣٩ طالبا (ث) مدرسة الفنون والصنائع وتحتوى على ٥١ طالبا (مديرها فرنسوى) (ج) مدرسة الشرع (الحقوق) وتحتوى على ٣٧ طالبا (مديرها فرنسوى) (ح) مدرسة اللغات وتحتوى على ٢٣ طالبا (مديرها فرنسوى) (خ) مدرسة المعلمين وتحتوى نحو ٦٠ طالبا (مديرها فرنسوى) (د) مدرسة الفعلة وتحتوى على ٧٩ طالبا وهى تحت ادارة مدرسة الفنون والصنائع ويندمج بها تلامذة المدارس الاولية الذين لم تظهر منهم أهلية للدروس العالية (ذ) مدرسة العميان والخرس وتحتوى على ٧٥ طالبا من الجنسين (ر) مدرسة البنات وكان لهن سابقا مدرستان احداهما لعائلات الذوات والثانية لعائلات الفقراء لكنهما اندمجتا سوية وتحوى ٣٠٠ طالبة (ز) المدرسة العسكرية فى القاهرة (مديرها فرنسوى) (س) المدرسة البحرية فى اسكندرية وزيادة عن ذلك يوجد باوروبا ٤٩ شابا مصريا مرسلين من مدارس الصنائع والفنون لاتمام دروسهم والحكومة المصرية تنفق على أربعين منهم والتسعة الآخرون ينفقون من طرف أهاليهم وهم موزعون كما يأتى ٤٧ فى فرانسا وواحد فى انكلترا وواحد فى سويسره ويتعلم ١٤ منهم الطب و١٠ الشريعة و٣ الهندسة و٣ الهندسة الآلية و٨ يتجهزون للدخول فى مدرسة البيطرة و١٣ يتجهزون للدخول فى مدرسة الطب اه

الرسميين

الرسميين فى الوقت الحاضر من السوريين الذين برعوا بسبب حسن التعليم الذى تلقوه فى مدارس المرسلين الاميركان والفرنسويين والالمان فى سوريا وقد تقادم عهد الكتب المستعملة فى المدارس العالية وماذلك الالتأخر ترجمتها ونشرها باللغة العربية ومما يحتاج اليه القطر مدرسة زراعية لانه زراعى صرف فمحصولاته تبلغ سنويا بنحو ١٥ مليون جنيه ولاريب ان هذا الايراد ينمو جدا اذا استخدمت الطرق العلمية فى التسميد وتبديل المزروعات وطلبة هذا العلم المنتقون من أصحاب الاطيان فى المديريات يستطيعون تعمير أنفسهم واختبار دروسهم فى الدوائر الزراعية الواسعة كالدائرة السنية والدومين ومن أهم ماتحتاجه مدارس الحكومة مفتشون مهرة فاذا عين هؤلاء تحت رئاسة مفتش عام بارع زالت أكثر عيوب الطريقة المستعملة الآن على انه ولو تعين هؤلاء لما أمكنهم أن يراقبوا كل مدرسة الاميرية فى السنة لان المدارس بالقطر تزيد عن ستة آلاف ويكون من واجبات المناظرين ان يلاحظوا تعيين الاساتذة ولا يقبلوا غير البارعين منهم وان يناظروا امتحان التلامذة ولا يدعو تلميذا ينتقل من صف الى أعلى أو من مدرسة الى أرقى منها مالم يتحققوا انه بلغ غاية الارب ويكون من خصائص المفتش ان يرفع عن عاتق الحكومة نفقات الذين لا يتبين له ان عندهم أهلية لتلقى العلوم العالية ومن شؤن المفتش أيضا أن يزور مدارس الاجانب ليضيف الى علومها علوما أخرى من شأنها ان تؤهل تلامذتها للدخول فى مدارس الحكومة العليا أو فى مدارس الصنائع والفنون فان لم تكن طريقة التفتيش حسنة فكل القوانين والترتيبات مهما كانت هيئتها علمية ودقيقة تعتبر عديمة الجدوى وعلى انى شاهدت عيانا قصب السبق الذى ناله البلغار والارمن فى مدرسة (روبرتس تربنين كولج) بجوار الاستانة أرانى شديد الغيرة لتحصيل مثل تلك النتائج بادخال سننها فى القطر المصرى واخال ان أمل التقدم ضعيف طالما ان العامة تتعلم اللغة الفصيحة العربية لغة القرآن كما فى الوقت الحاضر حالة كونها لا تتعلم اللغة العربية الدارجة لان نسبة اللغة المصرية الدارجة الى لغة القرآن كنسبة الايطاليانى الى اللاتينى والاغريقى الحديث الى الاغريقى القديم وعربية الفلاح لغة قائمة بنفسها وقواعدها خاصة بها واذالم تؤخذ هذه الاحتياطات الضرورية للحصول على النتائج الفعلية فى المدارس العديدة التهذيبية التى أشرت اليها فيستمر الجيل الجديد كسابقه غير صالح لخدمة وطنه سواء كان للقيادة فى العسكرية أو فى الصنائع أو فى الخدمات العمومية وتظل عبارة مصر للمصريين كما كانت اسما بلا مسمى اه ببعض تلخيص نقول وعلى مافى هذه العبارة من الاعتراضات التى لا تخفى على اللبيب سعى كثيرون من أدباء الانجليز فى جعل اللغة العربية الدارجة هى لغة المخاطبات والمكاتبات والمراسلات ومن هؤلاء المستر ويلمام ويلككس المفتش بنظارة الاشغال العمومية وقد وقع قوله فى ذلك عند علماء وأدباء المصريين موقعا غير مقبول واعترضوا عليه اعتراضا شديدا فمن ذلك قولهم ان اهمال اللغة الفصحى اضاعة للدين وعلومه وكذا اضاعة الجنسية التى فى المحافظة عليها عز الامة ومنها ان اللغات الدارجة بمصر مثلا كثيرة فلغة الصعيد الدارجة غير لغة البحيرة وهما غير لهجة كثير من أقاليم مصر ولذا لا يعرف أى لغة يجب السير عليها وغير ذلك من الاعتراضات الحقة المسلم بها ثم لما وجهت نظارة المعارف الى على مبارك باشا (١١ يونيه سنة ١٨٨٨) وجه عنايته المشهورة لزيادة تحسينها ومهد سبل انتشار المعارف

بالمدارس الاميرية التي فتحت في زمن نظارته وعددها ٢٥ مدرسة مختلفة بانحاء القطر (١) ولما شعر الناس بالحاجة الى التعليم لان الجهل مرتعه وخيم فهو الذي جرعلى هذه البلاد الاحن وابتلاها بصنوف المحن التمس الناس بجميع جهات القطر بطلبات قدموها ومحاضر حرروها فتح المدارس ببلادهم وتعهد الكثيرون منهم بالقيام بمصاريف تلك المدارس ولما رأت الحكومة ذلك قررت انشاء خمسمائة مدرسة جديدة تفتح تدريجيا كل سنة حتى قال يعقوب ارتين باشا عن تلك النهضة العلمية في كتابه المسمى القول التام في التعليم العام ومن الامور الجديرة بالذكر هو أن الاهالي لاشتغالهم بمستقبل بنيهم وتعليمهم التعليم الصحيح وتعويدهم على التربية الحقة تراهم لا يبالون بالنفقات فيدخلون أولادهم مدرسة المبتديان بالناصرية والقسم الابتدائي من المدرسة التوفيقية والحال أن المصروفات المدرسية فيهما أزيد بكثير منها في غيرهما من المدارس الابتدائية وذلك لظنهم أن التعليم والتربية فيهما ينبغي أن يكونا أحسن منه في غيرهما بما أن المصاريف المدرسية فيهما أزيد بكثير من غيرهما اهـ وفي ١٩ ديسمبر من سنة ١٨٨٨ صدر أمر عال بتشكيل لجنة استشارية بنظارة المعارف تؤلف من أهل العلم والفضل للنظر في مشروعات القوانين واللوائح المختصة بالتعليم وغيره مما من شأنه تحسين حالة المدارس وتسهيل طرق التعليم وقد أقرت هذه اللجنة على عدة اصلاحات لو روعي العدل في إنفاذها لاتت بفائدة عظيمة وعلى ذلك كنا لا نرى للامة طريقة أحسن واسلم من الاهتمام بأمر التعليم بنفسها بواسطة جمعيات تؤلف لذلك يساعدها أهل اليسار من البلاد ولا يصح الاعتماد على الحكومة في كل أمر فلا يحك جلدك مثل ظفرك ولما كان بعض مدارس الحكومة تابعا لمصلحة الاوقاف اتفقت مع نظارة المعارف في سنة ١٨٨٩ على ان تديرهي تلك المدارس نظير مبلغ قدره ٤١٠٠ جنيه مصري تدفعه الاوقاف للمعارف سنويا وبذلك انتظمت مدارس الاوقاف وقررت الحكومة أيضا الغاء ادارة الارسالية المصرية باوروبا وتقرران تعطى نفقة لا تزيد عن ٢٥٠٠ فرنك سنويا للطلبة المرسلين من قبلها المجاورة بالمدارس العالية و ٢٠٠٠ فرنك سنويا لكل تلميذ يتلقى باوروبا الدراسة التجهيزية وتقرران لا يرسل في المستقبل الى أوروبا على نفقة الحكومة الا تلامذة يختلف عمرهم بين عشر سنوات و ١٢ سنة ليكون لديهم الزمن الكافي لاتمام دروسهم هناك ومضار هذا القرار عديدة منها ان التلميذ المصري متى التحق بمدارس أوروبا

(١) المدرسة الحربية الجديدة تأسست في سنة ١٨٧٩ وسيأتي الكلام عليها ومدرسة المنصورة تأسست في سنة ١٨٨١ مدرسة قليوب تأسست في سنة ١٨٨١ مدرسة الجيزة تأسست سنة ١٨٨٣ مدرسة طوخ تأسست في سنة ١٨٨٢ المدرسة التوفيقية بشبرا تأسست سنة ١٨٨٠ مدرسة دمياط تأسست في سنة ١٨٨٨ مدرسة السويس تأسست سنة ١٨٨٨ مدرسة سوهاج تأسست في سنة ١٨٩٠ مدرسة بورسعيد تأسست سنة ١٨٩٠ المدرسة المحمدية تأسست سنة ١٨٩١ مدرسة عباس ببولاق تأسست في سنة ١٨٩١ مدرسة محمد علي في السيدة زينب تأسست في سنة ١٨٩١ مدرسة الزراعة في الجيزة تأسست في سنة ١٨٩١ مدرسة السنبلاوين تأسست سنة ١٨٩١ مدرسة قنا تأسست في سنة ١٨٩٠ مدرسة اسنا تأسست في سنة ١٨٩٠ مدرسة ادفو تأسست في سنة ١٨٩١ مدرسة الابراهيمية تأسست سنة ١٨٩١ مدرسة بلبيس في سنة ١٨٩١ مدرسة أسوان تأسست في سنة ١٨٨٩ مدرسة الفيوم سنة ١٨٨٨ مدرسة دمنهور تأسست سنة ١٨٨٣ مدرسة شبين الكوم تأسست سنة ١٨٨٣ مدرسة الزقازيق تأسست سنة ١٨٨٣ اهـ من كتاب الاحصاء لحضرة الفاضل أمين بك سامي

وهو

وهو بهذا السن قبل ان يتمكن من دراسة لغته الاصلية جيدا وقبل ان يعرف شيأ من عوائد واخلاق ودين وطنه ينقلب أجنبيا متى عاد فيكون ضرره فى الغالب أكثر من نفعه وغير ذلك من الاضرار التى لا تخفى على البصير ومن أراد زيادة ايضاح فيما تم بنظارة المعارف اذذاك فعليه بكتاب يعقوب أرتين باشا على التعليم العام بمصر المطبوع بباريس سنة ١٨٨٩ وكتابه على المعارف العمومية بمصر طبع باريس سنة ١٨٩٢ وكتابه القول التام فى التعليم العام المطبوع بمصر وتقارير المعارف السنوية والتقارير التى يرفعها جناب لورد كرومر وكيل دولة بريطانيه السياسى بمصر الى دولته سنويا ولما ولى محمد زكى باشا نظارة المعارف (١٤ مايو سنة ١٨٩١) وضع للمدارس قانونا داخليا عاما يشمل واجبات نظار المدارس والمدرسين والضباط والتلامذة والعقوبات التأديبية وقبول التلامذة بالمدارس وغير ذلك وقد تحور هذا القانون مرارا وما زالت المعارف آخذة فى الترقى والتحسين بهمة القابضين على زمامها

البحرية فى عهد الخديو محمد توفيق باشا – سبق الكلام فى مقدمة هذا الكتاب على أحوال البحرية فى الوقت المذكور ولكن نزلت بها بعد ذلك نوازل أتت على وجودها فاردنا ذكرها هنا ونذكر الاسباب التى عجلت بتلاشيها والغاء أوجاقها وقفل أبوابها ومبيع سفنها فنقول انه لما عقدت الحكومة الخديوية معاهدة منع تجارة الرقيق من انحاء بلادها التى كانت تمتد اذ ذاك بداخل أفريقية وعلى ساحل البحر الاحمر والمحيط الهندى كان للبحرية من هذا العمل الشأن الاول بالمحافظة على سواحل البلاد المصرية للقيام بما تعهدت به مصر من منع التجارة المذكورة ولا يتأتى لها ذلك الا بالمحافظة على دوام حياة أوجاق البحرية المصرية وترقيته كالجارى بالممالك الاخرى الا ان الذين تولوا البحرية كان أغلبهم من غير العارفين بطرق الارتقاء الحاصل فى العالم البحرى الاوربى فكنت ترى جسم البحرية المصرية مكونا من هيئة عسكرية حربية فى الظاهر ولكنه كان فى الحقيقة فاقد النظام الحربى تماما فلا قوانين مدونة ولا نظامات موضوعة ولا تعليمات حربية جارية بين جنوده مع ان روح الحياة التى تقوى ذلك الجسم وتحفظه من الزوال تستمد قوتها من تلك الضروريات وكان كلما سأل مهم خبيرا بحاذذلك قالوا بالاكتفاء بالقوانين التى وضعها قدماء رجال البحرية المصرية سنة ١٢٤٢ هجرية لاساطيل ساكن الجنان محمد على باشا باللغة التركية مع ان معظم ضباط البحرية المصرية وقتئذ لم يكونوا على جانب عظيم من معرفة اللغة التركية هذا على فرض ان ما بتلك القوانين العتيقة لم يتغير فالك بها اذا كانت نسخت بسبب تغير شكل وهيئة السفائن التى بعد أن كانت تسير بالشراع صارت تسير بالبخار وبعد ان كانت تصنع من الخشب صارت تشيد بالحديد وغير ذلك من التبديلات والترقيات التى حصلت فى جميع الاسلحة والآلات الحربية والأدوات البحرية التى وضع لكل منها قوانين ونظامات حديثة على مقتضيات الزمان فاذا انضم الى ذلك جهل الرؤساء بما تجدد من السفن الحربية وغيرها كنا مخطئين لاننا كنا نشاهد الكثير من أساطيل دول البحار تزور سنويا الفرض المصرية وتتبادل قوادها الزيارة مع قواد سفن مصر الذين كانوا يشاهدون بانفسهم ما بتلك السفن من النظامات وحتى لم يهتم أحد منهم بترجمة بعض المؤلفات البحرية الاوربية مع ان الكثيرين من ضباط البحرية كانوا يطلعون على المؤلفات الحديثة التى

وضعها أو تربحها ضباط الاساطيل العثمانية ولقد كانت عاقبة هذا الاهمال مشؤمة وكأن هؤلاء الرؤساء أعداء المتقدم حتى كان بعض العارفين يرى ان شركات الملاحة العادية ارقى منها وبعد أن مضى على السفن المصرية عدة سنوات وهى على ما علمت من التأخر والاهمال تلفت اجزاؤها العدم تعهدها بالاصلاح فى الوقت اللازم فانحط شأنها بعد تلك الخدم التى قامت بها مدة الفتوحات السودانية وفى حروب مصر مع الحبشة ومدة حرب الدولة العلية للصرب والروسيا فى زمن الخديو الاسبق اسمعيل باشا ولما رأت ادارة البحرية ان اصلاح تلك السفن أصبح بالاهمال يحتاج لمبالغ وافرة ليست متوفرة لديها ابان عسرها المالى اضطرت الى ربط أغلبها داخل الميناء وكان وكيل البحرية المرحوم قاسم باشا عزل من منصبه بامر الخديو اسمعيل باشا لخلاف وقع بينه وبين موربس بك مأمور خفر السواحل الآن المرحوم توفيق باشا رده الى وكالة البحرية ثانية وكان فى ذلك الوقت محمد كامل باشا قومندانا لوابور المحروسة (١٢٩٦ هـ) وموسى بك قومندانا لفرقاطة محمد على وناظرا لدار صناعة الاسكندرية (١٨٨٠ م) وكان المؤلف برتبة قبودان ثان للدارعة دنقلة المقيمة فى خفارة ميناء بورسعيد وبعد قليل أحيل موسى بك على المعاش وخلفه فى فرقاطة محمد على البكباشى احمد شفتر قبودان وفى نظارة الترسانة القائمقام محمد امين توفيق بك ولكنه لم يلبث طويلا حيث عين مأمورا لبحريا صحبة على رضا باشا الذى جعل محافظا لسواحل البحر الاحمر وفى خلالها وقعت مسئلة بيلول التى تقدم ذكرها وقتل فيها بعض الطليانيين فعينت الحكومة لجنة تحت رئاسة ابراهيم رشدى باشا وعلاء الدين باشا محافظ مصوع وبعض رجال العسكرية وأمين توفيق بك من قبل البحرية لتحقيقها وسافرت على وابور الجعفرية قبودانية على بك شكرى (١) لوقوع الحادثة المذكورة فى ملحقات الحكومة المصرية وقد اتضح لهم من التحقيقات ان مشايخ بلاد عصب كانوا نصحوا الضابطين ومن معهم من العساكر الطليانية بعدم التجول فى داخلية البلاد فلم يذعنوا لنصحيتهما قصد امنهما احداث أمر تستفيد منه حكومتهما ثم عادت اللجنة ولم تتهم أحدا بجناية وفى أثنائها باعت وكالة البحرية فرقاطة شبرخيت وباخرة شندى (١٨٨٠ م) فتأسف رجال البحرية على ذلك وتطيروا منه سيما وانه كان فى الامكان اصلاح فرقاطة محمد على بنفقة قليلة ونجم من ذلك تنديد ضباط البحرية بأعمال الرؤساء وقدم بعضهم تقارير سرية الى نظارة الجهادية والبحرية شرحوا فيها الحالة السيئة التى وصلت اليها البحرية التى بلغت فى زمن ساكن الجنان محمد

(١) على بك شكرى أصله من بلدة بيبان من أعمال مديرية البحيرة وكانت ولادته فى حارة المغاربة باسكندرية سنة ١٢٤٥ هـ ولما بلغ من العمر تسع سنوات ألحق بمدرسة رأس التين الاميرية (١٢٥٤ هـ) وتعلم فيها مبادئ العلوم ثم فى سنة ١٢٦١ انتخبه حسن باشا الاسكندرانى للمدرسة البحرية التى كانت يومئذ بغليون عكا المعروف بنمرة ٦ فتمم فيها فنون البحرية على القبودان أنطون التليانى وكان الامير محمد سعيد باشا يحضر فيها دروس البحرية أيضا ثم رقى المترجم الى رتبة اسبران وألحق بسفن الدونانمة سنة ١٢٦٤ هـ ثم تعين ضابطا بغليون بنى سويف مذ كان قبودانه الامير سعيد باشا وصار بعد ئذ ينتقل من سفينة الى أخرى ويترقى حتى صار قبودانا للوابور كفيت سنة ١٢٨٣ وسافر به عدة سفريات بالبحر الاحمر مدة حملة الانكليز على الحبشة وفى سنة ١٢٨٧ عهد اليه الخديو اسمعيل باشا مأمورية نقل ست بواخر من الشلالات لتوصيلها الى الخرطوم فقام بهذه المأمورية أحسن قيام فأحسن اليه برتبة قائمقام ثم أحسن اليه برتبة المبرالاى سنة ١٢٨٨ وتعين قبودانا لفرقاطة محمد على عند ما تعينت لمأمورية قسمها وبمعية مكيلوب بك السابق الكلام عليها (١٨٧٥ - ١٨٧٧) وفى سنة ١٨٧٩ جعل ملاحظا لسفن الميرى بالسويس وفى سنة ١٨٨٢ أحيل على المعاش

على

على باشا مبلغا عظيما من التقدم وينوافيها بعض الاصلاحات التي تحتاجها ليعود اليها بعض مجدها وقد أوردنا صورة تقرير من تلك التقارير بأسفل الصحيفة ليطلع عليه القراء ويحيطوا علما بكيفية أوسع عما كانت عليه حالة البحرية في الوقت المذكور (١) وكانت آمال أولئك الضباط تذكير أولياء

(١) قد كانت لنا في عهد ساكن الجنان محمد على باشا بحرية عظيمة وصلت الى درجة قربت بها مصر ان تعد من الدول البحرية ذات الدرجة الثانية فكانت الترسانة الموجودة الآن بثغر الاسكندرية صالحة لان تبنى في زمن واحد ثلاث مراكب من ذات البطاريتين أى من نوع القباق وذلك من حسن تقدم فرقة الصنايعية العسكرية التي كانت تشكلت تحت مراقبة مهندسين مصريين حائزين جليل هذا الفن ودقيقه من الترسانات الاورباوية حتى وصلت هذه الفرقة (الذى كان عددها يفوق الاربعة آلاف) الى درجة اعتبرها بها مهندسو ترسانات أوروبا من الطبقة الاولى وحتى ورد عنها جملة مدائح طويلة في التواريخ الاورباوية . على انه بعد هذه الدرجة الرفيعة والشان العظيم وبعد ان وصل عدد المراكب الحربية الى ما فوق الاربعة وستين مركبا خلاف السفن النقالة طرأت عليها الطوارئ فصارت في حالة الاندراس والاضمحلال ولم يبق منها في الترسانة سوى أسمائها في الدفاتر ثم حصل تغيير كلى في هيئة السفن فتبدل الشراع بالبخار وتدرعت جوانب السفن بالحديد وصار مشترى بعض سفن تجارية الا انه لطول مدة الاستعمال حصل بها وبقزاناتها عدة تخريبات ولكن للاسف ما كان يمكن تعميرها وتصليحها بالترسانة لان الفابريقات المصرية كانت من الطرز القديم على حين ان أمثالها في الترسانات الاوروباوية سارت في ميدان الاختراع والتحسين شوطا بعيدا وتقدمت في طريق الابتداع والتقدم أمدا مديدا فصارت الفابريقة التي كانت تشتغل بخمسمائة نفر تشتغل بالبخار بثلاثين فقط مع السهولة والسرعة وزيادة على ذلك عدم وجود صنايعية بعصر التشغيل فكل ذلك كان باعثا على عدم اصلاح أى خلل في قزان اى مركب فكانت تترك وتعتبر غير صالحة ثم تباع وهكذا خسرت مصر جملة مراكب حربية كان يمكن اصلاحها بمبالغ قليلة وذلك لو اتبعت المقرر في جميع البحريات وهو أن قزانات المركب البخاري يلزم تغييرها كل ست سنوات ولو جارت الدول الاجنبية في ادخال التحسينات والاختراعات بالترسانة خطوة بخطوة وجعلت الصنايعية من الجهادية بدلا عن الملكية التي تبلغ يومية الانفار منهم ما لا زيادة عن أربعين قرشا أى نحو ماهية خمسة عشر جهاديا الامر الذى لو كان حصل لما كان تكلف كل من قرويت الصاعقة وقرويت لطيف نحو مائة وأربعين ألف ليرة سوى ثمن الاسلحة مع انه يمكن مشترى مثل أحدهما من الخارج بمبلغ لا يزيد عن أربعين ألف ليرة بكافة أسلحته وآلاته . وليس هذا فقط هو الخلل فان الادارة البحرية والتعليمات الحربية بها ليست على أساس لانها مكتفية بالقوانين والتعليمات القديمة التي صارت بلا شك بحكم الحال والزمان ملغاة ومنسوخة . وهذه أوروبا سنت لبحرياتها قوانين ورتبت لها نظامات حديثة موافقة وملائمة لانواع المدرعات المستجدة والاختراعات المبتدعة وأما عندنا فالقديم على قدمه . فهذه النهاية المحزنة التي وصلت اليها بحرية تنا بعد عزها ومجدها حملتني بصفتي وطني وبصفتي بحرى في آن واحد ان أقدم هذه المذكرة شارحا فيها كيفية علاجها من هذا الداء بعد ملاحظة ان يكون الاصلاح تدريجيا اذ الميزانية لا تساعد على بذل مصروفات كبيرة دفعة واحدة وذلك انه يقتضى

(أولا) قلب فابريقات الترسانة على الصورة الجديدة ولو في كل عام واحدة حتى بعد خمس أو ست سنوات ترى عندنا ترسانة صالحة للبناء وتعمير المراكب بمبالغ زهيدة (ثانيا) تشكيل بلوكين صنايعية وتوزيعهم على كافة الصنائع بحسب اللزوم فان مصاريفهم لا تزيد عن مصروفات طائفة مركب واحدة وبذلك يكونون في مدة تغيير الفابريقات قد تحصلوا على درجة تستغنى بها عن الصنايعية الملكية (ثالثا) تعمير المراكب الموجودة بالتدريج وتغيير قزاناتها وما لا يصلح منها للتغيير يكون من ضمن مراكب القره قول المعينة لاجراء المراسيم البحرية داخل الميناء وتتعلم به العساكر المستجدة مبادئ التعليمات البحرية (رابعا) سرعة ترجمة وتنقيح القوانين البحرية لارجاع النظام البحرى الذى اندثر بالكلية وصار اسما بلا جسم (خامسا) اصلاح حال المدرسة البحرية وترتيبها على نمط المدارس الحربية البحرية الاجنبية (سادسا) فتح مدرسة ميكانيكية بحرية لعدم الاحتياج الى مهندسين أجانب (خصوصا ان المركب الحربي في سائر الدول لا يجوز أن يكون به مهندسون أجانب في وقت الحرب ولاجل مسايرة الاختراعات الجديدة مثل ان المراكب التي كانت تحرق في الاربع وعشرين ساعة تسعين طونيلاتة فحم

الامور بأهم ماتحتاجه الديار للمحافظة على سواحلها من جهة ومن جهة أخرى السعى وراء رد الحياة الى تلك الادارة التى نشأ بعضهم فيها وصرف جزأ عظيما من سنى شبابه فى الاسفار الخطيرة التى عادت على الاوطان بمد النفوذ على الساحل الافريقى وقد أفاد هذا النفر بفائدة مهمة اذ وجد قلوبا واعية اذ ذاك حيث صدرت الاوامر الى البحرية بتشكيل لجنة لتنقيح القوانين ووضع الجديد منها واصلاح بعض السفن ولكن لما كان

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * وتأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

قامت الحركة العرابية وأعقب ذلك الغاء البحرية بالمرة وبيعت بواخرها وسفنها كما سبق فى المقدمة وكما سنبينه

وفى أثناء ذلك أصلح قرويت الصاعقة وجعل لتمرين تلامذة المدرسة البحرية وصار البكباشى السيد شرف افندى قبودانا له وعينونى له مأمورا للبطارية ومعلما لفنى الحرب والطوبجية البحرية (٢٩ مايو ١٨٨١ م) وتعين معنا البكباشى على افندى قبطان الديب مأمورا التعليم فى الارمة واستعمال الشراع وبعد ان تمت معدات السفينة المذكورة أقلعت بالتلامذة وكنت أنا بها وبعد تمرين دام شهرا ونصفا عدنا (١٢٩٨) ثم أمر القرويت المذكور بالسفر الى السويس للمحافظة على سواحل البحر الاحمر (٢٤ نوفمبر ١٨٨١) ولما توقف قبودانه عن السفر تعين لقيادته المرحوم والدى سرهنك بك وكان اذ ذاك بوظيفة باشمعاون للبحرية وفى خلالها تشكل مجلس حربى تحت رئاسة

صارت الآن تحرق أقل من خمسة وعشرين ولا تخفى فائدة مثل هذه الاختراعات التى يلزم ادخالها عندنا فى الحال (سابعا) اصلاح هيئة ملابس العسكرية البحرية وتنظيم مددها مثل ملابس عساكر البحريات الاخرى لانها الآن غير موافقة للصنعة البحرية ولا تحمل المدة المقررة لها (ثامنا) تشكيل قومسيون حربى من ضباط البحرية اللائقين لممارسة التعليمات الجديدة اللازمة مع استحضار كافة الكتب المستعملة فى سائر البحريات الحربية لينتخب منها ما يصلح للتعليمات عندنا وبذلك تتقدم الضابطان وتنتشر المعارف البحرية فى عهد قريب (تاسعا) تعيين مركب أو اثنين لتمرين الضابطان والعساكر والتلامذة على كيفية السير بالشراع وخلافه ولو شهرين فى السنة خارج البوغاز أو فى ساحل القطر لعدم الكلفة كما هو جارد واما فى جميع البحريات وكلما لزم للمراكب الحربية عساكر أو خلافه يؤخذون من المراكب المذكورة (عاشرا) تتميم طواقم الخمس مراكب الحربية الموجودة بالبحرية بعد تعميرها بشرط ان يكون التطقيم بحسب القوانين البحرية حتى يمكن اجراء التعليمات بها دواما وتمرين الضابطان والعساكر على التعليمات الحربية البحرية كى يتأتى فى المستقبل تطقيم مراكب كبيرة منهم بشرط ان تكون التعليمات بحسب النظامات المستجدة مع اعادة مدافع وابورات الخرطوم وسنار والطور التى كانت فصلت عنها (حادى عشر) اتمام الآلات الحربية فى المراكب واستحضار ما يلزم من الاسلحة المستجدة مثل الساروخ الحربى البحرى والمدافع الصغيرة المصنوعة لمنع قلائك التوربيد وهى التى على شكل المترليوز توضع فى بوردو المراكب لكل مركب أربعة على الاقل (ثانى عشر) وضع فنار كهربائى لكل مركب من الفنارات النقالى الصغيرة الحجم المخترعة جديدا لغرض انارة الافق واجراء الاكتشافات واستعمال الاشارات ورؤية المراكب وقلائك التوربيد فى ظلام الليل — ثم انه مستعمل فى بحريات الدول مراكب صغيرة من أنواع الجانبوتات أى المدفعيات التى تحمل الواحدة منها ٦ أو ٤ مدافع وتؤدى مأمورية مركب حربى كبير من المأموريات العادية كحفظ السواحل والقرى قولات وخلافه مع رخص ثمنها وقلة مصاريفها الان ثمن الواحدة لا يزيد عن ٢٥ ألف ليرة بما فيه ثمن الاسلحة وطائفة لا تزيد عن ٨٠ نفرا وتحرق فى كل ٢٤ ساعة أربع أو خمس طونيلاتات فقط عندما تكون مكينتها من الطرز الجديد ومع مراعاة تغيير المراكب المذكورة لبعضها بعضا فى المأمورية ودخولها بالاحواض مرتين فى السنة أو بالاقل مرة واحدة فى السنة تحصل من ذلك فائدتان مهمتان الاولى حفظ المركب وصيانتها للغاية خصوصا اذا كانت المأمورية فى بلاد حارة الثانية تمرين الطائفة على التعليمات والسفريات البحرية فمن المناسب جدا مداركة أمثال هذه المراكب للقطر وبذلك تعود البحرية المصرية زاهية زاهرة وتصير باهية باهرة ه

أحمد محيى ترقى
البحريه

الفريق

الفريق راشد حسنى باشا التحقيق الشكوى المرفوعة من ضباط البحرية فى حق وكيلها قاسم باشا (١) الذى أحيل على المعاش بعد ذلك بقليل وصرف النظر عن التحقيق وخلفه فى وكالة البحرية محمد كامل باشا وصار تعيين حسين فهمى بك قومندانا بباخرة المحروسة وفى منتصف صفر من سنة ٩٩ تعينت بوظيفة قبودان ثان لفرقاطة محمد على وبعد عودة الصاعقة من البحر الاحمر تعين المرحوم والدى ناظرا لمصلحة الانجرارية والترسانة النيلية بدل أحمد باشا حسنين (٢) الذى اختص بمصلحة

(١) قاسم باشا هذا أصله من موره حضر الى الديار المصرية صغيرا اعقب عودة الجيوش منها بمعية ابراهيم باشا الكبير ثم لحق بالمدارس الاميرية (١٢٥٥ هـ) وبعد ان تعلم العلوم الابتدائية نقل الى المدرسة البحرية فتلقى علومها على القبودان انطون التليانى وأحمد قبودان مطش ثم رقى ضابطا بالدونانما (١٢٦٥ هـ) وفى سنة ١٢٧٠ نقل الى سفن النيل وجعل قبودانا فى بواخرها برتبة ملازم وصار يترقى فيها الى أن نال رتبة الصاغقول أغاسى (١٢٧٥ هـ) وجعل قبودانا بالباخرة أسيوط بالبحر الابيض المتوسط ثم رقى لرتبة البكباشى (٢٣ ربيع آخر ١٢٧٦ هـ) وعين قبودانا الفرقاطة محمد على بعد اصلاحها بانكلترة وفى ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٨٠ رقاه الخديو اسمعيل باشا الى رتبة قائمقام وفى ١١ جمادى الآخر من السنة المذكورة جعل ميرالايا حيث كانت أسفاره وقتئذ جميعها بمعية الخديو ثم لما اشتعلت نيران الثورة فى جزيرة كريد (١٢٨٣) بعثه الخديو بفرقاطته مع باقى السفن لتوصيل الجيوش المصرية لمساعدة جيش الدولة بها فبقى فى ميناء سوده باشبوغا على البواخر المصرية مدة الحرب ورقى الى رتبة اللواء (٨ رجب ١٢٨٣) المذكورة وعين وقتئذ والدى المرحوم مرهنك بك قومندانا على الفرقاطة محمد على الحاملة علم المترجم ثم بعد عودة الجيوش (١٢٨٤ هـ) عين المترجم قبودانا بالباخرة المحروسة المخصوصة لركوب الجناب الخديو بدلا من قدريكو باشا وصار يسافر بالركاب العالى الى كل جهة يقصدها ثم فى سنة ١٢٩٠ سافر بها المترجم الى لوندره لتطويلها وتغيير مراجلها وكنت وقتئذ ضمن ضباطها ثم بعد العودة رقى المترجم الى رتبة الفريق (٥ ربيع الآخر ١٢٩١ هـ) وجعل وكيلا لنظارة الحربية وخلفه فى قومندانية المحروسة محمد كامل باشا وفى مدة حرب مصر للحبشة قاد المترجم وابور المحروسة كما حيث كان قومندانها كامل باشا معينا قومندانا لباخرة الغربية واشتغلت الباخرتان مع باقى البواخر الخديوية فى نقل الجيوش المصرية الى مصوع ثم بعد ذلك عين المترجم سنة ١٢٩٣ مأمور السوق الجيوش المصرية فى حرب الصرب والروسية حيث جعلت تحت امرته البواخر المصرية المعينة فى هذه المأمورية وكنت معاونا له طول هذه المدة وبعد العودة عاد الى الوكالة ثم فى سنة ١٢٩٥ عزل من البحرية بسبب شكوى قدمها فى حقه موريس بك مأمور خفر السواحل الى الوزارة المختلطة بدعوى ان المترجم تعدى على خفير المصلحة المعين على باب ديوان البحرية وفى سنة ١٢٩٦ أعيد لوكالة البحرية ثانيا بأمر الخديو محمد توفيق باشا وفى سنة ١٢٩٧ فصل منها عقب أعمال المجلس الحربى الذى تشكل لتحقيق الشكوى التى تقدمت فى حقه من كثيرين من ضباط البحرية ثم نسب له الاشتراك فى الحوادث العرابية وأخيرا صدرت الاوامر الخديوية باحالته على المعاش فى وزارة راغب باشا (١٢٩٨ هـ) وفى مساء الخميس (١٩ رمضان سنة ١٣١٥ انتقل الى رحمة ربه فى القاهرة فدفن بما يليق به من الاحترام رحمه الله رحمة واسعة

(٢) أحمد باشا حسنين أصله من قرية منية حبيب من أعمال مديرية الغربية وخرج به أبوه صغيرا وأدخله مدرسة رأس التين الاميرية سنة ١٢٤٩ هـ وبعد ان تعلم فيها مبادى العلوم دخل المدرسة البحرية التى كانت باحدى سفن الدونانما (١٢٥٤ هـ) وكان وقتئذ بلغ سن الثامنة عشرة وبعد ان تمم علوم البحرية فيها رقى الى رتبة ملازم ثان بسفن الدونانما وفى سنة ١٢٦٦ عين لوابور فيروز ركوبة المرحوم عباس باشا الاول بحر النيل ورقى لرتبة ملازم أول ثم فى زمن المرحوم محمد سعيد باشا بلغ رتبة الصاغقول اغاسى وجعل قبودانا بالباخرة جاى مرح المعدة لركوبة الوالى وبقى فيها يترقى الى سنة ١٢٨٠ وفيها نال رتبة ميرالاى وصار قبودانا لركوبة الخديو اسمعيل باشا بالنيل وسافر فيه عدة أسفار مع أكابر الاوروباويين لجهات الاات ووادى حلفا وأخيرا رقى الى رتبة اللواء الرفيعة وأحيل عليه أشغال نظارة وابورات الانجرارية (١٨٧٧ م) وفى سنة ١٨٨٠ انفصلت ادارة الانجرارية من الركائب الخديوية بالنيل وبقى هو ناظرا على وابورات الركائب وتعين المرحوم والدى مرهنك بك ناظرا لترسانة

بواخر الركائب الخديوية وأرسلت الصاعقة لخفارة بورسعيد مكان الدارعة دنقلة التى ذهبت الى السويس وتعين لقيادتها مصطفى افندى العنتابلى ثم غرقت الدارعة المذكورة عند سفرها الى مصوع بجوار رأس كسار وأنقذت جنودها باخرة الجعفرية (١٨٨٤) ثم لما احتل الانجليز البلاد تعين عمر لطفى باشا ناظرا للبحرية والجهادية فى وزارة شريف باشا وأسندت وكالة البحرية الى المرحوم حسين شرين باشا (١) الذى لم تطل أيامه فيها حيث توفى بمرسيليا أثناء ذهابه الى فرانسا لتغيير الهواء كاشارة الاطباء (١٨٨٢) ولما أحيل بعض ضباط البحرية على المعاش والاستيداع عقب مانسب اليهم من الاشتراك فى الثورة تعين لوكالة البحرية مصطفى باشا العرب الذى شرع فى كسر ومبيع معظم البوارج الحربية والنقلية وكذا موجودات دار الصناعة كما مر فى المقدمة ثم ألغيت البحرية وأحيل الوكيل المذكور على المعاش وأنعم عليه برتبة الفريق (٢) (١٨٨٣) فكان آخر

بولاق وبواخر الانجرارية (١٨٨١ م) وبقى المترجم قائما بخدمته فى النيل الى أن رقى الى رتبة الفريق وأحيل على المعاش (١٨٨٩) وخلفه على وابورات الركائب على بك عبادى ثم توفى المترجم وهو فى المعاش سنة ١٨٩١ م تاركا حسن الذكر

(١) حسين شرين باشا هذا جركسى الاصل من معاتيق ساكن الجنان ابراهيم باشا الكبير الحقه وهو صغير بمدرسة قصر العينى سنة تأسيسها (١٨٢٥ م) وبعد ان تعلم فيها العلوم الابتدائية انتخبه العزيز محمد على باشا ضمن التلامذة المنتخبين للمدرسة البحرية فى سنة ١٨٢٨ فدرس علومها ثم لحق ضابطا بسفن الدونتما التى أنشأها العزيز (١٨٣١) ونال فى سفنها رتبة اليوزباشى (١٢٤٧) ورقى فى سنة ١٢٥٠ الى رتبة صولقول اغاسى وفى سنة ١٢٥٣ رقى الى رتبة صاغقول اغاسى وفى سنة ١٢٥٥ صار بكباشى وقبودانا لاحدى الفرقاطات وفى سنة ١٢٥٨ رقى الى رتبة القائممقام وجعل قبودانا لاحد القباقات وخدم فى مصالح أخرى ثم رقى الى رتبة المير ألاى (١٢٦٢) وجعل قبودانا للغليون الذى سافر به المرحوم ابراهيم باشا الى الاستانة لاستلام فرمان الولاية وكان المترجم عيل الى عمل الخير حتى انه أزال غضب العزيز عن الضباط الذين غرقت سفينتهم بجوار جزيرة ساقز عند سفرها الى استامبول ثم فى سنة ١٢٧٩ أحسن عليه الخديو اسمعيل باشا برتبة المير ميران الرفيعة وجعل مدير العموم القومبانية العزيزية التى شكلها بدلا عن القومبانية المجيدية فقام المترجم بتنظيمها وترتيب ادارتها أحسن قيام ثم جعل بعد ذلك مدير العموم الجمارك (١٢٨٩) وخلفه فيها صفر باشا وصار يتقلب فى المصالح الملكية الى ان أحيل على المعاش ولما أتى دور الثورة العرابية انتخبه الخديو توفيق باشا لوكالة البحرية سنة ١٨٨٢ ولكن لم تطل أيامه فيها حيث أصابه مرض عضال وأشار عليه الاطباء بتغيير الهواء فسافر الى فرانسا ولما وصل الى ميناء مرسيليا توفاه الله فترك ذكرا حسنا

(٢) مصطفى باشا العرب هو ابن المرحوم السيد على المصرى ولد فى بلدة دركى من أعمال المنوفية سنة ١٢٢٨ ﻫ ونشأ بمدارس الحكومة وتخرج من المدرسة البحرية (١٢٤٥) ورقى اسبرانا (١٢٤٦) ولحق بفرقاطة فوه ثم نقل الى فرقاطة رشيد ورقى ملازما ثانيا بقرويت التمساح (١٢٤٨ ﻫ) ونال رتبة الملازم أول سنة ١٢٥٠ ورتبة يوزباشى ثانى (١٢٥٥) ويوزباشى أول (١٢٦٥) ثم تعين بوابور فيض جهاد ولا زال يترقى الى ان أنعم عليه محمد سعيد باشا برتبة الصاغقول أغاسى (١٢٧١ ﻫ) ثم عين قبودانا للقرويت سياح البحر (١٢٧٤) وتوجه به الى انكلترة لاصلاحه وجعله فرقاطة وسمى بعد ئذ بمحمد على وعاد به سنة ١٢٧٦ ﻫ وأنعم عليه برتبة البكباشى (١٢٧٧) ثم عين قبودانا للباخرة النيل (١٢٧٨ ﻫ) وسافر بها الى انكلترة لاصلاحها ولما وصلها وجدت انها غير صالحة للاصلاح صدر أمر الخديو بعمل باخرة أخرى من الحديد فسميت بالنيل وهى التى سميت فيما بعد بالفيوم ولحقت بالبواخر الخديوية ودعى المترجم من انكلترة ونصب قبودانا للباخرة فيض جهاد ولما أهدى الخديو اسمعيل باشا هذه الباخرة للسلطان عبد العزيز خان جعل المترجم قبودانا للدارعة ابراهيمية التى سميت شير جهاد وأنعم عليه برتبة قائممقام (١٢٧٩ ﻫ) وسافر بها الى سواحل فرانسا والى عدة فرض من البحر المتوسط الابيض وأنعم عليه الخديو برتبة مير ألاى (١٢٨٠ ﻫ) والنشان المجيدى الثالث ثم أصدر أمره بسفر الفرقاطة

رئيس

رئيس تولى وكالة البحرية ولم يبق من بواخر الدونمة المصرية الا الجعفرية وقبودانها عبد الرحمن كامى بك بالبحر الاحمر والصاعقة وقبودانها بروليجو باشا بابور سعيد وفرقاطة محمد على وقبودانها محمد أمين باشا باسكندرية وكانت السفن المذكورة تابعة لمصلحة الفنارات والليمان ثم باخرة المحروسة وقبودانها حسين فهمى باشا وهى تابعة للمعية السنية كما مر وفى سنة ١٨٨٤ بينما كان وابور طنطا وقبودانه أحمد مسلم بك ذاهبا الى سواكن لنقل ذخائر الى بيكر باشا اصطدم بصخر فغرق وأنقذت جنوده باخرة المحلة

ولما سافرت الجنود الانجليزية والمصرية فى سنتى ١٨٨٤ و ١٨٨٥ لمقاتلة السودانيين قامت البواخر النيلية بنقل الجنود المذكورة وما يلزمها من الذخائر والادوات وكانت السفن المذكورة بأسفل الصحيفة (١) هى التى تنقل الجنود والذخائر الى جنوبى الشلال الاول

وبعد انتهاء التجريدة المذكورة شيدت سرداريه الجيش المصرية بعض بواخر من ذات العجلة الخلفية فى النيل جعلتها الطلباتها الخصوصية وقد استغنت الحكومة عن بعض بواخرها النيلية فابتاعتها شركة كوك وأصلحتها وأضافتها الى سفنها التى كثر عددها وفى تلك المدة أحيل المرحوم

المذكورة الى السويس عن طريق رأس عشم الخير فقادها المترجم وعرج فى طريقه على فرض الغرب الاقصى وعلى انكلترة وبعد ان أصلح فيها ماتحتاجه الفرقاطة من الاصلاح أقلع منها ودار بها حول قارة افريقية مارا على جزائر قنار باوسنت هيلانه وراس عشم الخير ولما وصل الى زنجبار شرف سلطانها السيد ماجد الدارعة المصرية وأهدى قبودانها المذكور سيفا مجوهرا واشياء ثمينة وأعطاه خطابا وبعض الهدايا الى الجناب الخديو وهنأ فى الخطاب على وصول الدارعة الى تلك البلاد وتودد اليه بعبارات المحبة كما مر فى بابه ثم بعد وصول الدارعة الى السويس اتفق ظهور حريق بوابور دسوق (١٢٨٣) فابتكر المترجم طريقة تغريق الباخرة فى عمق مناسب فانطفأت منها النار ثم أخرجت ثانية وفى خلالها أصيب المترجم بمرض فى عينه اليسرى فارسله الخديو اسمعيل باشا على نفقة الحكومة الى فينا عاصمة النمسا للمعالجة وبعد شفائه وعودته أحسن عليه برتبة اللواء (١٢٩٤ هـ) وقلد وكالة البحرية وأحسن عليه بالنشان المجيدى الثانى (١٢٨٦ هـ) ونال من ملك ايطاليا وسام سنت لازار وموريس ثم أهدى اسلك ايطاليا وسام كردون ايطاليا (١٢٦٩ هـ) وفى سنة ١٢٨٩ عين مدير العموم ادارة وابورات البواخر الخديوية بدلا عن صفر باشا وفى مدة حروب الروسيا أحيل عليه أعمال وكالة الحربية لتعيين وكيلها قاسم باشا فى مأمورية تسوق الجيش المصرى فى الاستانة وفى سنة ١٨٨٠ أحيل على المعاش ثم فى سنة ١٨٨٢ قلد وكالة البحرية بعد وفاة المرحوم حسين شرين باشا وبقى الى ان باعت الحكومة معظم بواخرها وانقاض دار صناعة الاسكندرية ثم أحيل المترجم على المعاش سنة ١٨٨٤ بعدما أحسن عليه الخديو برتبة الفريق ولم يلبث فى المعاش طويلا حيث عاجلته الوفاة فى يوم ٨ ربيع الاول ١٣٠٣ (١٨٨٥) وشيعت جنازته باحتفال لائق رحمه الله

(١) وهى (الفيوم) وعليها محمد قبودان مصطفى (والغربية) وعليها أحمد قبودان (والمحلة نمرة ١) وعليها موسى قبودان (ومسير) وعليها ابراهيم قبودان سكوتى (والرفاس نمرة ٢) وعليه محمد قبودان الباجورى (وبنى سويف) وعليه محمد قبودان وصفى وكلها كانت فوق الشلال أما التى كانت تحت الشلال فخمسة عشر وابورا وهى باخرة (مصر الكبير) وعليها على قبودان عندليب (والعزيزية) وعليها محمد قبودان حبيب (والسودان) وعليها أحمد قبودان فخرى (والمسعودية) وعليها عبد الله قبودان درويش (وطهطا المسعد) وعليها مصطفى قبودان عاطف (ونمرة ٤) وعليها على قبودان الحلبى (وقنا) وعليها محمد قبودان على (ودمياط) وعليها محمد قبودان خطاب (وجاى فرح) وعليها القبودان خليل رشدى (والمنيا) وعليها محمود قبودان بهجت (والبحيرة) وعليها سليمان قبودان سيد أحمد (والنصرتيه) وعليها سليمان قبودان نخاتى (وشبرخيت) وعليها أحمد قبودان خورشيد (وطيرسعد) وعليها على قبودان الزغبى (ونمرة ١١) وعليها على قبودان النبلى

والدى على المعاش(١) وأحيلت ترسانة بولاق على نظارة الاشغال العمومية التى أخذت فى بيع بعض بواخرها ولم يبق من مصالح السفائن التى فى النيل سوى مصلحة وابورات الركائب الخديوية ووجهت ادارتها للميرألاى على بك عبادى ويتبعها خمس بواخر هى فيض ظفر وفيض ربانى وفيروز وزينة البحرين وهيماوبق بالبحر المتوسط الابيض والبحر الاحمر بواخر البوستة الخديوية وأحيلت ادارتها على المستر روف (F.B. Rouff) بدل هالتون باشا الذى نقل بقومسيون السكة

(١) والدى المرحوم برهنتك بك هو ابن عبد الله افندى الكريدى بن على أغا كانت ولادته فى قضاء ربتمو من أعمال كريد أحضره ابراهيم باشا الكبير مع كثير من شبان جزيرة كريد مذ كانت تابعة للحكومة المصرية عقب الثورة التى قامت فيها اذ ذاك وكان سنه لما حضر الى مصر لا يتجاوز السادسة ثم الحقه محمد على باشا بمدرسة الجهادية بقصر العينى سنة ١٢٤١ ورقى فيها أونباشى سنة ١٢٤٥ ثم الى جاويش سنة ١٢٤٦ وفيها نقل الى المدرسة البحرية برتبة مساعد ثان بفرقاطة الجعفرية ثم نقل مع المدرسة الى فرقاطة البحيرة سنة ١٢٤٧ برتبة مساعد أول فى مدة حرب الشام وبعدئذ نقل الى قليون نمرة ٣ وفى سنة ١٢٤٨ نقل الى قوليت الصاعقة وأحسن عليه برتبة ملازم ثان (١٢٤٩) وبرتبة ملازم أول (١٢٥٠) وتعين بغليون نمرة ٤ (١٢٥١) وفيها رقى الى رتبة يوزباشى واقترن بابنة القائد عمر قائد بنى سليمان الجزائرى الذى اتخذ ثغر الاسكندرية وطنا ثانيا له كما ذكر فى صحيفة ٣٦٩ من الجزء الاول من هذا الكتاب وخدم فى فرقاطة منوف (١٢٥٣) وبغليون نمرة ٩ الى سنة ١٢٥٥ ثم نقل قبودانا ثانيا الى قرويت دمنهور بمعية سعيد باشا وتعين لغليون عكا (١٢٥٦) وفى سنة ١٢٥٧ عين بمصلحة الابنية ببنى سويف ثم أعيد الى الدونانمه بغليون نمرة ١٢ (١٢٥٨) وفيها نقل لغليون نمرة ٧ ونقل قبودانا ثانيا لغليون نمرة ٨ وفى سنة ١٢٦٤ جعل قبودانا أول لمدفعية قوليت جديد وأنعم عليه برتبة الصاغقول أغاسى وسافر بمعية ابراهيم باشا عند سفره الى دار الخلافة لاستلام فرمان الولاية وبعد عودته جعل سوارى بفرقاطة النيل فى سنة ١٢٦٦ ثم عين بعد ذلك مع طوائف البحرية لعمل جسر السكة الحديد بين مصر والاسكندرية ثم بعد ثلاث سنوات جعل قبودانا لفرقاطة رشيد ولما تجهزت الاساطيل لحرب القريم عين قبودانا ثانيا لغليون الفيوم نمرة ١ وسافر الى البحر الاسود وفى خلال الحرب عين قبودانا بالفرقاطة شير جهاد وكانت أمرت بالسير على سواحل القوقاز

وبعد عودة العساكر والاساطيل عين مأمورا لشون المهمات البحرية وبعد ذلك قيد مستودعا بالمالية ثم بعد سنة عين مأمورا لمطابخ سعيد باشا وبعد سنتين ونصف أحيل على المعاش ثم فى أوائل حكم اسمعيل باشا أعيد الى الخدمة الاميرية (١٢٧٩) وعين ناظر القلم دعاوى ضبطية اسكندرية وفى سنة ١٢٨١ عين عضوا بمجلس الضبطية ثم نقل الى القومبانية العزيزية وعين مأمورا لينبع البحر مدة الحج وبعد عودته جعل قبودانا للباخرة قليوب وصار يسافر بها الى الاستانة وتصادف انه فى سنة ١٢٨٢ شب حريق هائل فى القسطنطينية فتوجه بنفسه وساعد فى اطفائه وبلغ ذلك مسامع جلالة السلطان عبد العزيز فاثنى عليه امام الخديو اسمعيل باشا فأنعم عليه بالنشان المجيدى الرابع وكتب له كتابا أظهر فيه ممنونيته منه فى ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ نمرة ١٨ سائرة وصورته هى الآتية

(رفعتلو سرهنك قبودان سوارى وابور قليوب) — ان الحريق الهائل الذى حصل بقضاء الله وقدره بالاستانة العلية استلزم شدة أسف وتألم العموم وبما انه علم من إشعار قومبانيه الاستانة ومن اخبار سائر الناس انكم أثبتم وجودكم مع الانفار البحرية فى إطفاء الحريق المذكور بواسطة طلمبات الوابور سواريتكم وأبرزتم مساعى الغيرة الزائدة حسبما تقتضيه الذمة والانسانية والحمية فغيرتكم الصادقة فى هذه الحركة فى الحقيقة صار تقديرها حق قدرها واستحسانها كلية ولهذا قد أحسنا عليكم بالنيشان المجيدى من الدرجة الرابعة ليكون أثرا علنيا على ما استجلبتموه من محظوظيتنا والتفاتنا فيلزم أن تبذلوا الجهد فى تأدية الخدامات الاميرية وفى سائر الاحوال والخصائص المماثلة لذلك حتى تحصلوا على زيادة توجهاتنا والتفاتنا ولمعلوميتكم بازدياد قدركم وحيثيتكم بين الاقران والامثال قد حررنا أمرنا هذا وأصدرناه اليكم ٩ اسمعيل

الحديدية

الحديدية (١٨٨٧ م) ومن وقتئذ انفصلت مصلحة بواخر البوسطة الخديوية عن ادارة البوستات المصرية ثم استغنت الحكومة أيضا عن باخرتى الجعفرية والطور فأوقفتهما فى السنة المذكورة وباعتهما فى سنة ١٨٨٨ وفى سنة ١٨٩٢ باعت أيضا فرقاطة محمد على وقرويت الصاعقة وأحالت قبودانيهما محمد أمين توفيق باشا (١) وبروليجو باشا النمساوى ومن معهما

ثم أحسن عليه برتبة القائمقام (٩ رجب سنة ١٢٨٢) وجعل قبودانا بالباخرة الدقهلية وبعد قليل اشتعلت نيران الثورة بكريد وقام الخديو اسمعيل باشا بمساعدة الدولة فبعث اليها بالجيوش وعين بعض البواخر وكانت باخرة الدقهلية من ضمن ما تعين لنقل الجيوش وبقيت مرافقة للجيوش فى سواحل الجزيرة المذكورة ولما كانت تنقل بعضهم من جهة سودا الى اسفاكيا مع سفن الدولة علت الامواج واشتدت الرياح فتكسرت الاساكل الخشبية الموضوعة لانزال الخيول والمهمات منها الى الصنادل والفلائك فحصل عطل وكانت الضرورة قاضية بسرعة توصيلها الى تلك الجهة فاخترع المترجم فتح ترعة واصلة الى البحر فأدخلت الفلائك والصنادل فيها وشحنت بسهولة فسهل بذلك النقل فشكره ابراهيم باشا المورلى قائد الاسطول العثمانى ومصطفى نائلى باشا قائد الجيش العثمانى وغيرهما ولما بلغ ذلك مسامع الجناب الخديو أنعم عليه برتبة مير الاى وذلك فى ٢٢ رمضان سنة ١٢٨٣ ونصبه قومندانا على فرقاطة محمد على الحاملة لعلم الاميرال قاسم باشا وأصدر للمترجم أمرا رفيعا أظهر فيه العواطف والارتياح وها هى صورته بالحرف الواحد

عزتلو سرهنك بك — انه بمطالعة جرنال الوقائع الوارد لنا من طرف سعادة قاسم باشا هذه الدفعة رقم ١٦ رمضان سنة ١٢٨٣ علم لدينا تفصيلات المناورة التى اجريتموها فى أثناء نقل العساكر من جهة سودا الى اسفاكيه حال وجود أمواج بكثرة فى الساحل وتشتت الاساكل التى عملت وتعذر نقل الحيوانات وفضلا عما هو محقق ومعلوم عندنا من مهارتكم فى الفنون البحرية وصداقتكم فى الخدامات التى تؤدونها فان حسن غيرتكم هذه قد استلزمت كل ممنونيتنا ولذا قد وجهنا لحضرتكم رتبة الميرالاى الرفيعة وعيناكم سوارى الفرقاطة وابور محمد على وقد تحرر منا فى تاريخه الى نظارة البحرية وادارة القومبانية العزيزية المصرية والباشا المومااليه بذلك وأصدرنا أمرنا هذا اليكم اعلانا بممنونيتنا فليعلم لكم ذلك ٥

التوقيع

اسمعيل

وبعد عودة العساكر من كريد صدر له الامر بالقيام الى جزيرة مالطة لتعمير فرقاطة محمد على وتغيير مراجلها فقام بهذه المأمورية خير قيام ثم سافر بعد ذلك بمعية الخديو الى تريستة وطولون وغيرهما من موانى البحر الابيض المتوسط وفى سنة ١٢٨٨ عين سوارى الفرقاطة شيرجهاد التى كانت معينة لخفارة بورسعيد وفى سنة ١٢٩١ عاد بها الى اسكندريه لاجل التعمير فعين باشمعاونا بالنظارة البحرية ثم أحسن عليه بالنيشان العثمانى الرابع وفى سنة ١٢٩٩ سافر مأمورا سفرية بوابور الصاعقة للمحافظة على سواحل البحر الاحمر وبعد انتهاء المأمورية عين ناظرا لدار صناعة بولاق والانجرارية وفى خلالها كانت الحملة الانجليزية والمصرية على السودان سنة ١٨٨٤ و١٨٨٥ فبذل المترجم الهمة فى تشهيل النقليات العسكرية بوابورات الانجرارية وفى سنة ١٣٠٥ أحيل على المعاش ثم توفى الى رحمة الله تعالى فى ١٦ القعدة سنة ١٣١٤ وشيعت جنازته باحتفال رسمى سارت به العساكر البرية والبحرية وبعد مواراته التراب أطلقت بنادقها ثلاث مرات ٥

(١) محمد أمين توفيق باشا هذا ولد بمصر (١٢٥٩ هـ) من والده محمود أفندى توفيق الذى كان معاونا بالديوان الخديو فى مهد ساكن الجنان محمد على باشا ثم الحقه أبوه بالمكاتب الاهالية فتعلم فيها العلوم الابتدائية ثم لحق بمحافظة مصر بقلم تركى تحت ملاحظة المرحوم أحمد خيرى باشا اذ كان كاتبا به ولما فتح المرحوم سعيد باشا المدرسة الحربية بالقلعة تحت رياسة رفاعه بك الحق بها المترجم تلميذا (١٢٧٢ هـ) فدرس بها العلوم العسكرية وغيرها ثم لما فتح سعيد باشا المدرسة البحرية فى اسكندرية انتقاه ضمن التلامذة المنقولين عليها من المدارس الحربية (١٢٧٦ هـ) فدرس علومها على المرحوم أحمد مطوش قبودان وسافر لاجل التمرين بفرقاطة شيرجهاد الى الغربول تحت قيادة قدريكو بك وبعد تمام دروسه رقى الى رتبة اسبران بفرقاطة سياح البحر الذى كان ابتاعه سعيد باشا لركوبته الخصوصية ثم نقل الى

من الضباط على المعاش ونقلت المدرسة البحرية الى باخرة المحروسة التى أحيل قومندانها حسين فهمى باشا (١) على المعاش ١٨٩٧ وأحسن عليه برتبة الفريق وخلافه لقيادة المحروسة على بك عبادى مع بقائه بادارة الركائب الخديوية فى النيل ورقى الى رتبة اللوا وقد اهتمت مصلحة خفر السواحل فى زيادة سفنها وبواخرها وجعل عليها الميرالاى ميدلماس بك (A.C. Middlemass) مديرا بعد وفاة موربس بك فى حرب سواكن ١٨٨٣ مدة حملة بيكر باشا

الجيش الجديد — انه بعد هزيمة العرابيين فى واقعة التل الكبير (١٢ سبتمبر ١٨٨٢) واحتلال الجيش الانكليزى لمصر عرضت مسئلة الغاء الجيش المصرى بتمامه وتنظيم جيش جديد فتذاكر النظار والخديو فى هذه المسئلة فكان من رأى المرحوم خيرى باشا مهردار الخديوى يومئذ وغيره ممن يفتكرون فى العواقب ان الغاء الجيش المصرى يترتب عليه لزوم وجود قوة أخرى فى البلاد لحفظ الامن فيها وهذا لاشك يجعل ضرورة اطالة زمن الاحتلال حتى يتم تدريب الجيش

باخرة فيض جهاد برتبة الملازم ولما أهدى المرحوم الخديو الاسبق اسمعيل باشا الباخرة المذكورة الى السلطان عبد العزيز عين المترجم ببواخر القومبانية العزيزية (١٨٦٤) ورقى الى رتبة ملازم أول ثم نقل الى فرقاطة محمد على ورقى الى رتبة يوزباشى (١٨٦٥) ثم تعين لباخرة المحروسة وسافر بمعية الخديو الى فرانسا لحضور معرض سنة ١٨٦٨ ثم نقل بعد عودته الى قرويت لطيف وسافر فيه بصحبة ناظر البحرية عبد اللطيف باشا الى سلانيك وبعض ثغور الاناضول للبحث على معادن الفحم الحجرى التى كان اسمعيل باشا يبحث عنها ثم سافر به بعد ذلك الى انكلترة تحت قيادة سليمان بك أبوداود وفى سنة ١٨٧٠ رقى المترجم الى رتبة صاغقول أغاسى وعين قبودان ثانيا للقرويت المذكور وفى سنة ١٨٧٢ رقى الى رتبة الصاغقول أغاسى وعين قبودانا ثانيا للباخرة الغربية وفى سنة ١٨٧٤ رقى الى رتبة البكباشى وجعل قبودانا لاحدى بواخر البوستة الخديوية بالبحر الاحمر وخدم فى نقل الجيوش مدة حرب الحبشة وفى مدة حرب الروسية جعل قبودانا ثانيا للفرقاطة محمد على التى قادها ابراهيم بك عمر بكيرلى ثم فى خلالها جعل قبودانا للباخرة دسوق التى عينت لمساعدة بواخر الدولة فى نقل العساكر والمهاجرين وبعد ذلك عين بأمر الخديو توفيق باشا مندوبا بحريا بمعية على رضا باشا محافظ سواحل البحر الاحمر لمنع بيع الرقيق والتفتيش على أعمال المحافظات ورقى الى رتبة القائمقام (١٨٨٠) وعين ناظر الدار صناعة الاسكندرية ثم عين عضوا فى القومسيون الذى تشكل تحت رياسة ابراهيم باشا رشدى لتحقيق مسئلة قتل الرسالة التليانية بجهات بيلول من أعمال مصوع ثم عين فى زمن الحوادث العرابية قومندانا للباخرة الجعفرية ومأمورا على سفائن البحر الاحمر ورقى الى رتبة الميرالاى فى ٢١ أكتوبر سنة ١٨٨٢ وبعد ذلك عين قومندانا للفرقاطة محمد على وفى سنة ١٨٨٧ رقى الى رتبة اللوا وفى سنة ١٨٩٢ أحسن عليه بالنشان المجيدى ثم أحيل على المعاش عند ما تقرر مبيع الفرقاطة المذكورة وله سيرة حسنة لدماثة أخلاقه وكانت وفاته بمصر ليلة الجمعة ٢١ شعبان سنة ١٣١٥ (١٣ يناير سنة ١٨٩٨) فشيعت جنازته بما يليق بمقامه رحمه الله رحمة واسعة

(١) حسين فهمى باشا هذا كانت ولادته فى مدينة الفيوم (١٢٥٩ هـ) وكان والده المسمى محمد صدقى بك القبرصلى من رجال العسكرية المصرية فألحقه بالمدارس الاميرية فتعلم فيها العلوم الابتدائية ثم لما شكل سعيد باشا المدرسة الحربية بالقلعة تحت رئاسة رفاعه بك ألحقه والده فيها (١٢٧٢) ثم نقل الى المدرسة البحرية (١٢٧٦) فتمم فيها علومه البحرية على المرحوم أحمد عطش قبودان وسافر بفرقاطة شبر جهاد للتعليم الى انكلترة مع التلامذة تحت قيادة قدريقو بك ثم بعد ذلك رقى ضابطا وتعين بوابور رفيض جهاد برتبة اسبران ثم نقل الى فرقاطة محمد على ورقى فيها ملازم ثانى (١٢٨١) وبعدها بسنة حضر وابور المحروسة ركوبة الحضرة الخديوية من انكلترة فانتخب المترجم من ضمن من انتخبوا له ورقى الى رتبة الملازم أول ثم الى رتبة اليوزباشى (١٢٨٦) ثم أحسن عليه برتبة الصاغقول أغاسى (١٢٨٩) ثم عين بأمر الخديو قبودان ثانى للوابور وأحسن عليه برتبة الصاغقول أغاسى (١٢٩١) ثم رقى فيه أيضا الى رتبة البكباشى ٦ صفر

الجديد

الجديد وتنظيمه كما ينبغى نخالفه فى رأيه آخرون وكان منهم ناظر الداخلية وناظر الحربية وانضم الخديو توفيق باشا الى رأيهم وذلك لشدة حنقه على الجيش المصرى انتقاما منه على الثورة التى قام بها وبذلك ترجح رأى القائلين بالغاء الجيش فأصدر الخديو المرحوم توفيق باشا أمرا فى ٣ القعده من سنة ١٢٩٩ (١٧ سبتمبر ١٨٨٢) بالغاء الجيش المصرى الغاء تاما وصرف عموم العساكر التى جاهرت بالعصيان الى بلادها وابقاء الضباط وكبار قادة الجيش لمحاكمتهم ثم أصدر أمرا آخر بالغاء القوانين العسكرية القديمة وهى التى كان الخديو صدق عليها فى وزارة محمود سامى باشا كما تقدم واذن لناظر الحربية والبحرية بأن يطبق مؤقتا فى حق الضباط وصف الضباط البريين والبحريين أحكام الامر العالى الصادر بتاريخ ٢٥ ذى الحجة من سنة ١٢٩٦ فى شأن نفقات انتقال الموظفين الملكيين الى حين وضع قانون جديد للعسكرية وصدر أمر آخر بالغاء الامر الصادر بتقرير مرتبات الضباط والصف الضباط والعساكر البرية والبحرية وأن تعاد مرتباتهم الى ما كانت عليه قبل صدور الامر العالى المؤرخ فى ٢١ جمادى الاولى من سنة ١٢٩٩ وأن تلغى جميع الزيادات التى أضيفت الى رواتب الاستيداع ومعاش التقاعد وبينما كانت الحكومة المصرية مشتغلة بتقرير وتوطيد الراحة والقبض على من اشترك فى الثورة ومكافأة الذين ساعدوا الجيش الانكليزى فى اطفاء لهيبها وفد لورد دوفرين (Lordof Dufferin) معتمدا من قبل دولته للنظر فى أمر مصر ووضع تقرير بذلك (٢٥ ذى الحجة من سنة ١٢٩٩) ولما درس أحوال البلاد رأى من الواجب ايجاد جيش وطنى منظم قال عنه ما يأتى لقد أفضت فى رسالتى السابقة المؤرخة بتاريخ ١٨ نوفمبر من سنة ١٨٨٢ عند الكلام على نظام الجيش المصرى والجندرمة والبوليس فلم تكن بعد حاجة لاعادة الافاضة فى النتائج التى انتهى اليها ولا خفاء أن مصر الاصلية تحدها الصحارى من ثلاث جهات فلهذا لا ينبغى أن تكون القوة العسكرية فيها وافية العدد حتى قال كثير من الناس انها لا تحتاج الى قوة عسكرية مطلقا . ولكن يحتمل حدوث بعض أمور تستلزم ان يكون فى البلاد بعض الفرق المتمرنة والمتدربة على الفنون العسكرية وطالما سمعنا بان قراها كانت منبتا للدجالين والمتعصبين الذين يدعون برسالة فائقة الطبيعة ويهتمون باقناع السذج الذين لا يتأخرون عن أن يصدقوهم وبالاستقراء يتولد عن ذلك هيجان دينى لا يلبث أن يمتد خطبه ويتسع خرقه ان لم تتخذ على الفور القوة اللازمة للقبض على زعيمه وتبديد شمل أنصاره كما حدث ذلك أكثر من مرة . وهنالك من جهة أخرى العربان الذين

(١٢٩٣) وقائمقام ١٦ شعبان (١٢٩٧) وفى أول ظهور الحوادث العرابية صدرت الاوامر الخديوية بتنصيب محمد كامل باشا على وكالة البحرية وتعين المترجم قومندانا لوابور المحروسة مكانه وأحسن عليه برتبة الميرألاى (١٨٨٤) وبعد ختام الحوادث واحالة مصطفى باشا العرب على المعاش أحيل على المترجم ادارة توكيل البحرية فبقى فيها الى أن صدرت الاوامر بلغوها واستقل بقومندانية المحروسة التى تتبعت ميزانيتها من يومئذ الى المعية السنية وأمر الخديو بجعل المترجم ياورا له مع بقائه قومندانا على ركوبته المذكورة ثم أحسن عليه برتبة اللواء فى ١٧ القعدة سنة ١٣٠١ ثم رقى فى ٢٤ شعبان سنة ١٣١٤ الى رتبة الفريق وأحيل على المعاش وفى مدة الثلاث والثلاثين سنة التى خدمها فى هذه الباخرة من سنة ١٢٨٢ الى ١٣١٤ سافر عدة سفريات الى جميع مين البحر المتوسط الابيض والى لوندره وفى البحر الاحمر ونال فى خلالها مدالية حرب الروسية (١٢٩٥) والنجمة المصرية (١٣٠٠) ومدالية الامتياز الذهب والفضة (١٨٩٣) والنشان المجيدى الثالث (١٣٠٠) والعثمانى الثالث (١٣٠٢) والمجيدى الثانى ١٣٠٨ وعند احالته على المعاش كتب له الجناب العالى أمرا مدح فيه خدماته الصادقة

كثيرا ما يقلقون راحة البلاد وربما تغرهم أنفسهم الى أن يطرقوا أغنى المدن المصرية حتى القاهرة نفسها اذا علموا أنها خالية من القوة العسكرية ولكن يجب أن تكون هذه القوة ساكنة غير أن مجرد استخدامها يعتبر دليلا على أن الادارة قصرت فى تلافى بعض الخطوب بطريقة فعالة على حين كان يجب أن يستدركها . وعندى أن تنظيم جيش مؤلف من ستة آلاف رجل يكفى للقيام بالغاية التى أشرنا اليها ويجب أن يكون هذا الجيش مصريا محضا أى نعم ان من كان فى مركز سمو الخديو ولاسيما بعد الكوارث الحديثة يميل كل الميل الى استئجار قوة عسكرية تحوطه كما كان دأب الحكام الشرقيين فى سائر الاعصار ولكن ليس من لزوم لمثل هذه الاحتياطات . أما الجيش ولو أنه منتظم بطريقة تستدعى الارتكان عليه فى القيام بمطالب الحكومة الشرعية فلا يلزم أن يكون تنظيمه بطريقة تجعله كآلة عمياء للجور والظلم بل يجب تأليفه بطريقة يعلم منها القابضون على زمام الاحكام انه لم ينتظم ليستخدم فى المقاصد الاستبدادية المؤسسة على مبادئ الظلم . وأنه وان يكن من الواجب للوصول الى هذه الغاية منع استخدام العنصر الاجنبى سواء كان من الالبانيين أو الاناطوليين أو غيرهم الا أنه لا يترتب على ذلك أن يبعد من الخدمة من كان من الاتراك المصريين مترشحا لنوال رتب سامية فى العسكرية بل من الحكمة أن تقوى صفوف عساكر الفلاحين الضعفاء بعنصر قوى مجرب وذلك بأن ينتظم معهم أبناء أولئك المحاربين الباسلين الذين حملوا راية المغفور له محمد على باشا من مصر الى قونيه وبناء على مجرد ارادة الخديو ووزرائه ارادة مطلقة سيجعل الجيش المصرى مدة من الزمن تحت قيادة جنرال انكليزى وبعين بعض ضباط انكليزيين أيضا فى بعض الفرق ولعمرى إن لزوم اتخاذ هذه الطريقة لا يحتاج الى دليل وبرهان ولا يمكن أن تلام الحكومة المصرية عليه اذا كان من نيتها ترتيب جيش قوى فعال أكثر من تلك القوة التى بعد ان أقدمت بادئ بدء على الفتك برؤسائها برهنت أنها غير قادرة على الذب عن الدعوى التى كانت متمسكة بها وكانت علة لعصيانه ومن المعلوم أن عيب الجيوش المصرية كان ناشئا عن عدم كفاءة الضباط فمن الضرورة حينئذ ازالة ذلك العيب بواسطة رجال ذوى كفاءة واستعداد فى الامور العسكرية يعلمونهم ويكونون قدوة لهم أما القيادة العليا للجيش فتبقى على الدوام الى سمو الحضرة الخديوية ولكن لا يكون وجود الانكليزيين حائلا دون ترقى الوطنيين أو مانعا لهم من تولى الرتب السامية واختير أن تقسم البيادة المؤلفة من ثمانى أورطات الى لواءين ولا تستخدم الضباط الانكليز الا فى أحدهما فقط بمعنى أنه يخصص من الثمانى اورط أربع ينال فيها المصريون جميع الوظائف ويكون قائدها العام جنرالا مصريا وأما الاربع الباقية فيكون أمراء آلاياتها وقائمقاماتها من الانكليز وسيلحق بها أيضا ثلاثة من الضباط الانكليز للاستعاضة بهم مؤقتا عن يتغيب أو يمرض من أولئك الموظفين فيها . وعلى هذا النمط تجرى خدمة الطوبجية التى ستؤلف تحت امرة أميرالاى انكليزى من أربع بطاريات اثنتان منها مركبتان من ١٢ مدفعا يكون لكل منهما ضابطان انكليزيان والاثنتان الاخريان المركبتان من ثمانية مدافع يتولى أمرهما ضباط مصريون . وسينتظم فريق السوارى من خمسمائة فارس يتولى الوظيفتين الاولى والثانية فيه قائدان انكليزيان ويعين انكليزى آخر بوظيفة دونهما وستؤلف أورطة من مائتى رجل لركوب الهجن وأورطة أخرى من مهندسى الاستحكامات وأن يرفع راتب العسكرى من عشرين الى ثلاثين غرشا فى الشهر . أما الضباط الانكليز فيكون استخدامهم

بمقتضى

بمقتضى اتفاق يشترط فيه الزامهم بتعلم اللغة العربية وتأدية امتحان فيها بعد زمن تحدد مدته فى تلك المواثيق ويكون مجموع الضباط الانكليز ٢٧ ضابطا وهاك بيان القوة التى يتألف منها الجيش المصرى ٥٦٠ من السوارى ٤٦٤ الطوبجية معهم ٢٠ مدفعا أربع بطاريات ٤٧١٢ بياده ثمان اورط ٢٠٥ هجانه ١٠٤ مهندسون ١٠٢ طوبجية سواحل ومجموع ذلك ٦١٤٧ بين ضباط وأنفار وفى هذا التقرير من الاقوال الحكيمة مالا يخفى على البصير ولكن لسوء الحظ لم يعمل بكل ماجاء فيه الاوقتيا ثم أهمل بعضه وألغى البعض الآخر كما تعلمه مما يأتى وعلى ذلك صدر أمر عال بانشاء الجيش الجديد (ديسمبر سنة ١٨٨٢) وأرسلت الحربية اللواء يوسف شهدى باشا الى المديريات لجمع العساكر من مواليد سنة ١٢٧٨ على مقتضى قانون قرعة سنة ١٢٩٦ الموضوع فى مدة المرحوم عثمان رفقى باشا وصدر أمر أيضا بان يكون الجنرال السيرافلن وود سردارا للجيش المصرى (Sir Evelyn wood) ورئيس الاركان حربه برتبة فريق فأخذ هذا فى انتقاء الضباط الانكليز وكانوا جميعهم من المنتظمين فى سلك الجندية الانكليزية العارفين باللغة الفرنساوية على مقتضى شروط حررها معهم قد استنسبنا ذكرها باسفل الصحيفة اتماما للفائدة كعادتنا فى ذلك (١) ثم انتخب من الضباط المصريين الذين لم يتداخلوا فى الثورة ومن الذين انتخبتهم لجنة الانتخاب التى شكلت تحت رئاسة طه باشا كما سبق فأدخلهم فى الاورط الجديدة وفى فرق الطوبجية والخيالة والهجانة وقسم الجميع الى لواءين جعل لقيادة اللواء الاول الجنرال

---

(١) شروط دخول ضباط الانكليز فى الجيش المصرى • يلزم ان ضباط الانكليز الذين يدخلون فى العسكرية المصرية يكون لهم المام بالكتابة والقراءة فى اللغة الفرنساوية ويلزم أيضا أن يعضوا امتحانا ابتدائيا فى العربى الدارج المتعارف من بعد مضى ستة شهور من دخولهم العسكرية وامتحانا آخر بعد اثنى عشر شهرا * الضباط الذين يعضون الامتحان الثانى بشرف يدفع اليهم مائة جنيه مكافأة * يسوغ الضابط الانكليزى أن يترك العسكرية المصرية بناء على طلبه بعد أن يخبر بذلك قبل ثلاثة أشهر مقدما ويأخذ استحقاقه لآخر يوم خدامته فى العسكرية واذا استغنت الحكومة المصرية عن خدمته فيعلن قبل ثلاثة أشهر و يعطى له مكافأة شهر عن كل سنة أمضاها فى خدامات العسكرية سواء كان مستخدما على حسب هذه الشروط أولا والمكافأة لا تكون فى أى حالة أقل من ماهية ثلاثة شهور * الضابط الذى يرفت من الخدمة باقرار السردارية بناء على سوء سلوكه لا تعطى اليه مكافأة وانما يعطى له مصاريف السفرية لحد انكلترة أو الهند على حسب مقتضيات الاحوال * لكل ضابط الحق بحسب دواعى المصلحة أن يأخذ فى كل سنة اجازة شهرين بدون استقطاع أو تنقيص ماهيته وعلى أى حال لا تتجاوز الاجازة عن شهرين فى كل سنة انتهت أو ابتدأت فى خدامات الحكومة المصرية سواء كان الضابط مستخدما على هذه الشروط أم لا * فى حالة مرض أى ضابط يسوغ للسردار أن يعطيه اجازة مرض على حسب ما يراه موافقا و يستنسبه * ماهية الضابط الآتى من انكلترة أو من أى محل آخر الى مصر تبتدئ من أربعة عشر يوما قبل وصوله الى مصر وتوقيف الماهية يكون بعد أربعة عشر يوما بعد ان يركب وابور البحر أو بعد انتهاء شروط دخوله فى الخدمة ويعطى لكل ضابط يترك الخدمة المصرية ٣٠ جنيها متى كان متوجها الى انكلترة و ٥٥ جنيها علاوة لكل ضابط يكون عائدا الى الهند ولا تعطى هذه المبالغ الا اذا قدم الضابط شهادة دالة على انه أخذ تذكرة الوابور واذا انتهت خدمة الضابط لمناسبة مرض اعتراه فى خدمة الحكومة المصرية يعطى اليه ماهية ثلاث شهور مكافأة ولكن لا ينبغى ان هذه المكافأة مع الماهية التى أخذها سابقا تتجاوز ماهية سنتين * كل ضابط انكليزى يكون له حصان و يكون مشترا من طرفه يعطى عليقه باقرار السردار وتصديق نظارة الحربية * كل ضابط مستخدم يعتبر فى التجربة مدة ثلاثة شهور واذا استغنى عن خداماته بعد انتهاء هذه المدة تكون الشروط الموضحة أعلاه ملغاة الاجراء ماعدا مصاريف السفرية والمرتبات والعليقة

سير غرنفل باشا (Sir F. W. Grenfell) وجعل معه من الضباط الانجليز هان بار بك (H. Parr) وون بك (A. S. Wynne) وهولداسمث بك (H. Smith) وشرمسايد بك (H. E. Chermside) وجعل اللواء الثانى تحت قيادة يوسف شهدى باشا وجعل معه من الضباط المصريين عبد الرحمن بك سليم وخورشيد بك بسمى وحسين بك المرعشلى والى بك يوسف وشكلوا أيضا أورطة سودانية جعلت قيادتها الضابط انجليزى يدعى هنتر بك (A. Hunter) وأورطة أخرى من الاتراك جعلت قيادتها الى جرنت بك وجعلت الطوبجية تحت قيادة الميرالاى دنكن بك (F. Duncan) وقسم الخيالة تحت قيادة تيلر بك (J. C. Tyler) وبذلك أمكن الاستعاضة بالعساكر المصرية عن العساكر الانجليزية التى كانت تحرس السراى الخديوية والمبانى العمومية ثم نظموا أورطة تعرف باورطة الاساس جعلوا عليها أيضا بعض ضباط الانجليز وعين السردار عدة ضباط من الانجليز جعلهم أركان حرب له وغير ذلك ومما أوجده هذا السردار الذى خدم مصر بصداقة وذمة لاينساها المنصفون من الجنود نشرة عسكرية دعيت بالاوامر العسكرية لنشر كل مايتعلق بأحوال الجيش من تعليمات وتنقلات وإجازات وتعيينات ومحاكمات وغيرها وترجم من الانجليزية عدة قوانين لادخالها بالجيش المصرى وقد مدحت الجرائد الانجليزية عمل الجنرال وود وقالت بعضها ان من الواجب على هذا القائد ان ينظر فى أمرين أولهما تمرين جيشه على الفنون العسكرية وثانيهما ان يعامل ضباط وافراد الجيش معاملة لائقة من حيث مراعاة أميالهم وأخلاقهم ليتم بذلك النظام هذا وجعل السردار للسردارية ادارة خاصة أناط بها كل أعمال نظارة الحربية وأحدث غير ذلك من الادارات كادارة اللوازمات ويتبعها مخازن الجيش والذخائر الحربية وأبقى أقلام نظارة الحربية تابعة لناظر الحربية كما كانت وجعل للجيش ادارة طبية وادارة بيطرية وغير ذلك من الاصلاحات التى هى فى حد ذاتها مفيدة مهمة كما هى باوربا ولما انتظم الجيش المصرى واستعرضه السردار امام الحضرة الخديوية وشهدت له قواد جيش الاحتلال بالكفاءة خفضت انجلترة عدد جيشها من مصر فجعلته ٦٧٦٣ جنديا (أغسطس ١٨٨٣) ولما سيرت انجلترة جنودها بصحبة العساكر المصرية على السودان لتخليص الجنرال غوردون (١٨٨٤ - ١٨٨٥) تحت قيادة لورد ولسلى زيد فى عدد الجيش المصرى وقد ساعد الجيش المصرى الجيش الانجليزى فى الحملة المذكورة مساعدة استحق عليها شكر ومدح اللورد المذكور وقد نال فخرا عظيما فى واقعة كوربتى (١٦ ديسمبر ١٨٨٤) هذا وفى أوائل ابريل من سنة ١٨٨٥ م استعفى الجنرال وود من سردارية الجيش المصرى فعين الخديو بدله الجنرال فرنسيس غرنفل باشا وجعل شرمسيد بك حكمدارا لسواكن لازدياد الاضطرابات بأطرافها وأمرته الحكومة بأن يتوسط باعهالدى ملك الحبشة لانقاذ الجنود المصرية التى يحاصرها المهديون كما سيأتى ثم نقل شرمسيد الى الحدود قائدا برتبة لواء (٢٠ اكتوبر سنة ١٨٨٦) وجعل مكانه على سواكن وتسون باشا (٥ مايو سنة ١٨٨٦) وهو من موظفى نظارة الحربية وفى تلك الاثناء وضع قانون جديد للقرعة العسكرية وصدر الامر العالى بالعمل بمقتضاه (٩ جمادى الثانية ١٣٠٢ - ٢٦ مارس ١٨٨٥) وجعل يوسف شهدى باشا مفتشا عاما للقرعة العسكرية وقال السير درومند وولف فى رقيم له بعثه الى مركيز سالسبورى انه لما رفض تقرير مختار باشا وطلب

وقتها منه تغيير تقريره وامتنع فبناء على امتناعه نظم الضباط الانكليز الجيش المصرى على حالته الحاضرة اهـ أما التنظيم الجديد فهو انهم ألغوا وظيفة قومندانى اللواء من الجيش وجعلت كل أورطة من الاسلحة قائمة بذاتها يتبع بعضها قومندان قسم المحروسة وهى الوظيفة التى جددت بدل وظيفة اللواء الملغاة وبعضها حاميات سواكن والحدود التى وضعت تحت قيادة محافظى سواكن والحدود ثم سافر يوسف شهدى باشا مفتش عموم القرعة للتفتيش على أعمال المجالس المذكورة بعد انفصاله من وظيفة اللواء وسافرت معه وظهر لنا أثناء ذلك بعض ملحوظات استدعت وضع ذيل لقانون القرعة العسكرية وصدر بتنفيذه أمر عال (١١ جمادى الثانية ١٣٠٣هـ - ١٧ مارث سنة ١٨٨٦) وفى خلالها كانت المخابرات جارية بين انكلترة والباب العالى بخصوص تسوية المسئلة المصرية قال السير درومندولف فى رقيم له الى مركيز سالسبورى ان الصدر الاعظم سألنى عن عدد الجنود التى يؤلف منها الجيش المصرى وان رأيه أن يكون مؤلفا على الاقل من سبعة عشر أو ثمانية عشر الفا فاجبته بأن مالية البلاد لا تحمل نفقة هذه الكمية من العدد فضلا عن كونه غير لازم بالنظر لوجود نحو سبعة آلاف عسكرى بين جندرمه و بوليس وهذا القدر كاف لحفظ النظام الداخلى المعهود الى القوة المدنية وأما العساكر الجهادية فوجودها لحماية البلاد من الاعتداء الخارجى واخال أن فى الاوقات العادية يكفى لحماية القطر نصف العدد الذى ذكرتموه لفخامتكم الى أن قال وسألنى أيضا عن السبب الذى حال دون قبول المشروع الحربى الذى قدمه دولتلو مختار باشا وعما اذا كان ينبغى تعديله الآن أجبته أن ذلك يستلزم الاستيلاء على دنقله وهذا مخالف للبند الثانى من الوفاق وبخلاف ذلك فان دولة الغازى طلب ارسال جيش جرار لا تستطيع البلاد أن تقوم بنفقته وتوجد موانع أخرى خلاف هذه منها انى قبل ابرام الوفاق المذكور طلبت غير مرة أن ترسل الى مصر عساكر سلطانية عثمانية لقمع ثورة السودان فرفض الجناب السلطانى ذلك اهـ وبعد هذه المحررات التى يطول شرحها تقرر جعل الجيش المصرى عشرة آلاف مقاتل فاستدعى السردار بناء على ذلك فى سنة ١٨٨٦ نيفا و ٥٧٠٠ جندى نظمهم فى الجيش ثم شكل المجلس العسكرى العالى المستديم وجعله تحت رئاسة زهراب باشا لمحاكمة كل من استعمل غشا أو تحايلا فى أعمال القرعة العسكرية ثم انه فى شهر مايو من سنة ١٨٨٦ عين الخديو يوسف شهدى باشا مندوبا عاليا من قبله لمخابرة مشايخ الحدود بمخلفا وحملهم على مسالمة الحكومة المصرية والانقياد اليها ولمخابرتهم أيضا بمبادلة التجارة مع السودان لان الكساد الذى أصاب تجارة السودان جعل الحكومة المصرية تلتفت لذلك فقام فى أثنائها أحد ضباط الانكليز وهو الكولونيل جروف (Grove) وقدم تقريرا ذكر به ان فتح التجارة مع السودان ليس بالامر المهم ويقول أيضا ان امر اعادة التجارة مع السودان يصعب تقريره مادامت الدراويش مستمرة على مهاجمة الحدود المصرية وفى ذلك الوقت جعل ونجت بك رئيسا لادارة القرعة بدلا من يوسف شهدى باشا وتعينت أنا وكيلا له بوظيفة مساعد للادجوتانت جنرال فى أعمال القرعة برتبة بكباشى ولما تشكل قلم المخابرات جعل ونجت بك مديراله وجعل زهراب باشا مكانه فى القرعة العسكرية وجعل الميرالاى محمد نسيم بك رئيسا للمجلس العسكرى العالى المستديم ومن أخبار الحربية أيضا ان جعل كتشنر باشا محافظا لسواحل البحر الاحمر (٧ سبتمبر ١٨٨٦) وأحيل قلم السودان على قلم

المخابرات وجعل اللواء محمد مختار باشا مساعد الادجوتانت جنرال بالقسم العربي بالسردارية وعين هولدسمث باشا (Holled Smith) قومندانا للحدود بدل سرمشيد باشا وبعد قليل تعين ودهوس باشا (J.H. Wodhouse) محافظا لمديرية الحدود وجعل هولدسمث باشا محافظا لجهات سواكن (١٣ سبتمبر) ولما كانت أحوال السودان تحتاج للعناية بها الاجماد ثورتهم اطلب السردار غرنفل باشا زيادة عدد الجيش المصري فأجيب طلبه وبلغ الجيش وقتئذ نيفا و (١٤٥٠٠) مقاتل وصدر أمر خديوي بجعل الجنرال كتشنر باشا بوظيفة ادجوتانت جنرال بدل بار باشا الذي كان بوظيفة ادجوتانت جنرال منذ سنة ١٨٨٥ م ثم أحيل عليه أيضا تفتيش عموم البوليس (١٨٩١) ولما تعين اللواء محمد مختار باشا رئيسا للمجلس العسكري العالي جعل محمد بك زهري مساعدا لادجوتانت جنرال بالقسم العربي مكانه ثم لما عينت الدولة البريطانية السير غرنفيل باشا في جيشها (مارس سنة ١٨٩٢) أصدر سمو الخديو عباس باشا أمره بجعل الجنرال كتشنر باشا سردارا للجيش المصري برتبة فريق وجعل رندل باشا بوظيفة ادجوتانت جنرال وستل باشا مفتشا عموميا للبوليس ووسعوا نطاق قلم المخابرات وجعل ونجت بك مديراله وأوجدوا بالحربية قلما يقال له قلم السكرتير المالي جعلوا لرئاسته جاكسون بك (H. W. Jackson) ثم خلفه أوليري بك (W. E. O' Leary) وجعل روجرس بك (J. Rogers) مديرا لقلم التعيينات وغوردون بك (W. Gordon) مديرا لادارة المهمات وأضافوا اليه أمر الجبخانات وقسم الهندسة وجعلوا الميرالاي مكسويل بك (J. G. Maxwell) بوظيفة كاتم لاسرار الحربية وجعلوا جالوي بك (F. J. Gallwey) طبيبا عاما للجيش وأحالوا عليه المستشفيات العسكرية ولما انتقل محمد مختار باشا للادارة الخاصة الخديوية أعيد فضلي بك لرئاسة المجلس العسكري العالي وكان تعين مأمورا للجبخانات ولما استعفى هولدسمث باشا من محافظة سواكن جعلوا مكانه لويد باشا (G. F. Lloyd) ١٨ سبتمبر ١٨٩٤ وجعلوا هنتر باشا محافظا للحدود ١٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤ وفي أثنائها تعين زهراب باشا وكيلا لنظارة الحربية ورقي كل من محمد زهري باشا وأحمد فضلي باشا الى رتبة لواء وجعل الاخير منهما مكان زهراب باشا في رئاسة القرعة العسكرية ولما استعفى لويد باشا خلفه في محافظة سواكن برسونز باشا (C. G. B.Parsonis) ولما أقرت الحكومة على اعادة فتح السودان المصري في أوائل سنة ١٨٩٦ زادت عدد الجيش فجعلته ثمان عشرة أورطه بياده وخمسة بلوكات هجانة وست أرط خياله وخمس بطاريات طوبجية غير اورط انشاء السكك الحديدية التي أخذوا معها كلما تقدموا ليسهل نقل الجنود والذخائر والى هنا انتهى ما أردنا ذكره مجملا من أخبار العسكرية الجديدة التي شكلت بمصر بعد الغاء الجيش القديم وما حدث فيها من التغييرات المهمة ولما كانت المدارس الحربية من أهم أركان الجيش أردنا ذكر أحوالها مجملة أيضا تنويرا للقراء

المدارس الحربية — لايخفى أنه لما ارتبكت أحوال المالية المصرية سنة ١٨٧٩ وقرر مجلس النظار يومئذ وجوب توفير شيء من نفقات الجيش ألغت الحكومة جميع مدارسها الحربية التي أوجدتها في أول حكم الخديو الاسبق اسمعيل باشا الا أن المرحوم توفيق باشا أصدر أمره بعد ذلك باعادة تشكيلها اذلا غناء للجيش عنها وجعلت تحت نظارة اللواء لارمي باشا

الفرنسوى وألحقوا بها ٨٠ تلميذا وقسمت الى أربعة أقسام وجعلوا دراسة القوانين والتعليمات العسكرية على ثلاثة أقسام قسم للبيادة وآخر للسوارى وقسم للطوبجية وكان بكل فرقة من هذه الفرق بعض تلامذة يدرسون أعمال أركان الحرب والمهندسون العسكريون كانوا ينتخبون من أرقى طلبة الفرق المذكورة ورتب لذلك البروجرام اللازم وذكرت فيه العلوم والمواد التدريسية فكانت العلوم التى تدرس بموجبه علم المستويات الرقية والجبر والرياضة والهندسة الوصفية والهندسة العادية والحساب العادى والمثلثات المستقيمة والكيمياء والطبيعة والجغرافيا والقسمغرافيا والرسم العملى والرسم النظرى واللغة العربية والانكليزية والفرنساوية وحسن الخط وفن الطوبجية والاكتشافات العسكرية وفن الاستحكامات والطبوغرافيا العسكرية وقوانين البيادة والطوبجية والسوارى وتعليم ركوب الخيل وتعين لتدريس ذلك مايلزم من المدرسين(١) ثم لما أمر الخديو محمد توفيق باشا بتشكيل لجنة عسكرية (٢١ جمادى الاولى من سنة ١٢٩٨) للنظر والبحث فى القوانين والنظامات العسكرية والترتيب الذى عليه المدرسة الحربية لايجاد ماينبغى اجراؤه فيها من التعديلات سنت اللجنة المذكورة قانونا للمدارس الحربية وصدر الامر الخديوى بتنفيذه (٢٦ اكتوبر سنة ١٨٨١) وكان ذلك فى وزارة شريف باشا وكان محمود سامى باشا وقتئذ ناظرا للجهادية والبحرية فجاء هذا القانون بأحسن التعديلات اللازمة (٢) وقبل أن يحصل تنفيذ هذه النظامات اشتعلت نيران الثورة العرابية فحالت دون تنفيذها وبقيت المدرسة الحربية سائرة على نظامها السابق حتى انتهاء سنة ١٨٨٧ حيث أدخل فيها النظام الجديد وعين لها السردار غرنفيل باشا البكباشى هوليوت (Huleatt) قومندانا ووضع لها كويرك بك (J. O. Quirk) مذ كان نائبا عن الادجوتانت جنرال نظامها الداخلى وازداد عدد التلامذة يومئذ حتى بلغ ٩٠ تلميذا وقسمت الى أربع فرق ويتبعها فرقة للسودانيين وجعلت الدراسة نوعين دروس مشتركة لجميع التلامذة ودروس مرتبة على حسب الفرق فالمشتركة هى القوانين والتعليمات العسكرية والجغرافية واللغة الاجنبية والطبيعة والكيمياء والرسم والخاصة هى الطبوغرافيا والاستحكامات والتمرينات فى الطوبجية والسوارى والجمباز والشيش ثم لما ازداد عدد الجيش زادت السردارية عدد التلامذة حتى أبلغتهم ٢٠٠ تلميذ وقسموا

---

(١) وهم عبد الرحمن بك على ومحمد افندى كامل وبكير افندى شوقى وابراهيم افندى مزى وعبد الله افندى نصرت وحسن افندى لمعى وعثمان افندى عفت ومحمد افندى حلمى وعبد الباقى افندى حلمى والمستر ديكسون والموسيو بونديه وحسن افندى بخيت والشيخ محمد الربانى

(٢) فكان يحتوى على تسعة أبواب بها ٧٦ مادة بها جميع ماتحتاجه المدرسة من الاصلاحات (الباب الاول) يحتوى على مايختص بمستخدمى المدارس الحربية (والباب الثانى) يحتوى على مايختص بكيفية قبول التلامذة ومدة اقامتهم بها وتقسيمهم الى فرق (والباب الثالث) يحتوى على مايختص بالعلوم اللازم تدريسها (والباب الرابع) يحتوى على مايختص بمجلس معارفها (والباب الخامس) يحتوى على مايختص بالامتحانات وترتيب درجات التلامذة (والباب السادس) يحتوى على مايختص باشغال التلامذة العلمية ومايتعلق بالمدرسين والمساعدين (والباب السابع) يحتوى على مايختص بالتعليمات العسكرية والتعليمجية (والباب الثامن) يحتوى على مايختص بالخدمات الداخلية فى المدرسة وبالضبط والربط والمكافآت والعقوبات (والباب التاسع) يحتوى على مايختص بالادارة فى المدرسة الحربية

الحكمانى فرق ولما تعين المستر براين (H. E. Brian) بوظيفة معلم أول للمدرسة ومدرس لعلم الرياضة والجبر واللغة الانكليزية (٥ سبتمبر ١٨٨٩) أصدر السردار أمرا (٩ يناير ١٨٩٠) مبينا لاختصاص كل من القومندان والمعلم الاول فكان اختصاص القومندان النظر فى كل ادارة المدرسة وكان اختصاص الثانى النظر فى بروجرامات وجداول التدريس وما يخص التعليم ونقح البروجرام القديم بحيث جعلت العلوم والفنون التى تدرس فى المدرسة بكيفية تناسب الظروف واحتياجات الجيش والعلوم المذكورة هى الحساب والجبر والهندسة العادية والجغرافيا والتاريخ والرسم وحسن الخط واللغة العربية والانكليزية والفرنساوية وفن الاستحكامات والطبوغرافيا العسكرية وقوانين البيادة ثم الجنباز وتمرينات الطوبجية والسوارى ثم تعين القائممقام دون بك (B. D. A. Donne) قومندان أورطة الاساس قومندانا للمدرسة ولما انتهت مدته خلفه القائممقام فريث بك (H. C. Frith) (٩ ابريل ١٨٩٣) وفى تلك الاثناء توفى لارمى باشا ناظر المدرسة فصدر أمر السردار كتشنر باشا بتعيين مكانه ناظر المدرسة المذكورة (سبتمبر ١٨٩٣)

ولما انتهت مدة فريث بك المذكور من خدمة الجيش المصرى نصب مكانه أوليرى بك (٢١ اكتوبر ١٨٩٥) الذى تعين بعد قليل سكرتيرا ماليا للحربية (١٨٩٦) ومن ذلك الوقت لم يتعين للمدرسة قومندان لاشتغال الجيش باسترداد السودان وقد ترقى من المدرسة منذ وليت نظارتها الى نهاية سنة (١٨٩٧) نحو ٣٥٢ ضابطا بالجيش منهم ٢١ فى الطوبجية و ٣٣ فى السوارى و ٩ فى الهجانة و ٢٧٨ للبيادة و ٥ للبوليس و ٤ للبحرية و ٣ لادارة التعيينات العسكرية

السودان المصرى وحروب المتمهدى - اعلم انه لما استعفى غردون باشا فى أول حكم المرحوم الخديو توفيق باشا من حكمدارية السودان (نوفبر ١٨٧٩) كما تقدم أصدر الخديو أمرا بتعيين محمد رؤف باشا مكانه (مارس ١٨٨٠) وأمرا آخر يشمل التعليمات التى رأت الحكومة وقتئذ لزوم وضعها لادارة تلك الاقطار الشاسعة وقد أدرجناها بأسفل الصحيفة لاهميتها كما هى عادتنا وهى تشتمل على اصلاح المالية والادارة الملكية ومنع تجارة الرقيق وغير ذلك (١) وكان غوردون باشا تمكن فى مدة ولايته من ابطال بيع الرقيق وشدد فى ذلك جدا حتى انه عاقب

(١) انه نظرا لثقتنا بما أنتم متصفون به من الاهلية لاداء المأمورية المهمة المفوضة لامانتكم والحالة هذه لا نرى لزوم اسهاب فى شرح وتفصيل ما يجب اتخاذه واجراؤه من الوسائط والاعمال المؤدية لنجاح مأموريتكم التى نحن ناظرون اليها بعين الاهمية وهى تقدم وانتظام أحوال مملكة واسعة مثل السودان وبذل ما يجب من المساعى للوصول الى توطيد أسباب عماريتها وتمدن ورفاهية أهاليها بتوسيع نطاق دائرتى التجارة والزراعة اللتين هما أعظم منابع الثروة العمومية انما نرى من اللزوم استجلاب دقة نظركم الى بعض مواد مهمة وهى الآتى ذكرها (أولا) مالية السودان وكما لا يخفى ان النقطة المالية تشمل كافة ما يلزم ويمكن تقريره وتحصيله من الاموال والعوائد بطريقة لا يتأتى منها الاضرار بحالة الاهالى ولا الاجحاف بحقوق الخزينة وكذا تقدير ما يلزم من المصاريف بالنسبة لحالة البلاد واحتياجاتها بشرط أن تكون كافلة لحسن ادارة المصالح العمومية بصورة منتظمة وعلى هذا فأول واجب عليكم هو تنظيم ميزانية مستوفية من كافة ايرادات ومصروفات الحكمدارية ببيان أنواعها أو مفرداتها بغاية الضبط والدقة وحصر ما يكون موجودا من الديون بأنواعها وأسماء أربابها وكيفية الوصول الى سدادها هذا ومن اللزوم أن الحكومة

كثيرا

كثيرا من النخاسين بعضهم بالسجن والبعض بالقتل قال حضرة جبرائيل حداد افندى فى كتابه المسمى تاريخ الحرب السودانية ان كل عادة تمكنت فى بلاد لا تقلع منها دفعة واحدة من غير مقاومة ونفور وهياج ممن تمكنت فيهم طبقا لما فطرت عليه الطباع من الارتياح الى القديم المألوف والنفور من الجديد غير المألوف ولو لم يكن بذلك صالح فكيف ومعظم الصالح متوقف عليه ولهذا لم تخل سياسة غوردون فى السودان من محل الانتقاد والملام ولا يسع المنصف ان ينكر انها آلت من قبيل منع النخاسة الى ابتعاد قلوب الاهالى عن الحكومة المصرية ونفورهم منها وحقدهم عليها اهـ ولما سافر رؤف باشا الى مقر وظيفته مر بأكثر مراكز الحكومة لتفقد الاحوال وكان يصحبه الميرألاى محمد مختار بك بوظيفة أركان حرب له وأبدلت الحكومة أيضا حكام الاقاليم فعينت القائممقام محمد بك اسكندر مديرا لكردفان وعلى بك رائف مديرا للقضارف ورجب بك صديق مديرا للتاكه وحسين بك شكرى مديرا لسنار وابراهيم بك الصبان مديرا لبربر ثم شرع محمد مختار بك ومعه بعض الضباط فى اجراء الاكتشافات ووضع الخرائط بجهات بربر وقوزرجب وكسلا وعطبره والقلابات والقضارف بشرقى السودان وتوغلوا فى جهات لم تطأها قبلهم قدم سائح مثل جهات البازات الداخلة والخارجة وخور الخاش وغيرها ولما عادوا الى الخرطوم سار الضابطان على افندى زكانى وعلى افندى خيرى الى سنهيت لمساعدة البعثة الاكتشافية التى مع راشد كامل باشا قومندان حدود الحبشة تحت رئاسة البكباشى محمد عزت افندى وكانت مكلفة برسم خريطة حدود الحبشة من مصوع الى جبال رهينة الواقعة قبلى نهر الرهد بقليل ولما تمت الخرائط المذكورة بعثوها الى الجنرال

تكون عالمة بكافة أحوال السودان اجمالا وتفصيلا وبالمثل أنواع الضرائب والعوائد وسائر الاموال المقررة والجارى تحصيلها وكيفية استعمالها وصرفها فينبغى أن ترسلوا صورة من هذه الميزانية الى نظارة المالية واستمرار ذلك سنويا وأن تقدموا الى النظارة المشار اليها فى كل ثلاثة شهور حساب ايرادات ومصروفات الحكمدارية بالبيان الكافى وذلك كما الجارى بكافة مصالح الحكومة وعلى ان كافة ما يتعلق بالمواد المالية والحسابية مرجع الامر فيه هو الى نظارة المالية فجميع ما يقتضيه الحال من المخابرات والاستئذانات فى هذا الشأن يكون خاصا بالنظارة المشار اليها (ثانيا) الادارة الملكية يلزم تنظيمها واجراؤها على صورة تلائم أحوال تلك البلاد أما يختص بهذا القسم من المخابرات وما يتراءى لزوم تغييره وتبديله من المواد والنظامات ذات الاهمية وعزل وتنصيب أرباب المناصب الرفيعة مثل المديرين ووكيل الحكمدارية وما يتعلق بالادارة الملكية والاحوال الداخلية مما من شأنه استحصال أوامرنا عن جميع ما ذكر من هذه الانواع فينبغى أن تكون المخابرة عنه مع نظارة الداخلية وأما ما يتعلق بالامور القضائية سواء كانت شرعية أو نظامية فتجرونه على قواعده المتبعة والحالة هذه انما ما يختص بهذا القسم من المخابرات أو ما ترون لزوم اجرائه من الاصلاحات يجب أولا المخابرة عنه مع نظارة الحقانية ثم ان الرخصة التى كانت ممنوحة لاسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الاحكام شرعية كانت أو سياسية فى المواد القضائية الحقوقية والجنائية قد أبقيناها لعهدتكم أيضا ما عدا أحكام القصاص الواجب استحصال أوامرنا عنها (ثالثا) القسم العسكرى من المهم عند وصولكم الى مركز الحكمدارية ان توجهوا انظاركم والتفاتاتكم الى تنظيم واصلاح الحالة العسكرية حسبما يقتضيه احتياج تلك البلاد لتوطيد الامن والنظام العام بكافة أنحاء المملكة خصوصا تقوية حدود الحبشة والمحافظة عليها فى الحالة الراهنة مع ما يترتب عليه الامن والاطمئنان للوقاية من وقوع أدنى مهاجمة على هذا الحدود لانكم عارفون جيدا بأفكارنا وأفكار أعضاء حكومتنا فى هذه المسئلة وهى اننا لا نقصد أى تجاوز كان على جيراننا ولا نريد أى فتوح جديد انما جل قصدنا المدافعة لغاية البسالة اذا وقع أدنى تعد على حدودنا فهذه الافكار هى التى تكون أس أعمالكم فى ترتيب وتنظيم عسكرية السودان مع مراعاة اجراء القانون العسكرى وكافة ما يتعلق بهذا القسم من المخابرات والاستئذانات هو خاص بنظارة الجهادية هذا ومع بقاء حيازتكم الرخصة المعطاة لاسلافكم بتنفيذ أحكام القانون العسكرى فى الجنايات وسائر الاحوال حسب ما تصدر

استون رئيس أركان الحرب فدرجها فى الخريطة العمومية التى كان يباشر عملها من النتائج المتحصلة فى مدة الثمانى عشرة سنة التى انقضت فى الفتوحات والاكتشافات والمباحث العلمية والمراجعات الفنية ولما أتم محمد رؤف باشا التفتيش على مراكز السودان الشرقى وأصلح ادارتها قصد الخرطوم يصحبه محمد لبيب بك وكان قومندانا الموقع أم درب ولما أخذ فى تنفيذ الاصلاحات المتقدمة الذكر اعترضته عقبات كثيرة حيث لم يكن يعلم شيأ عن ثورة الافكار فى السودان وأن أحوالها على وجه العموم كانت وقتئذ مضطربة والكثير من الاهالى تركوا زراعتهم وعمدوا الى تحصيل معايشهم بالسطو والسلب وبيع الرقيق خفية حتى تعسر على رجال الحكومة جباية الخراج ووجد عساكر الباشبوزوق والشايقية وغيرهم من الجنود المجمكة يستعملون القسوة فى معاملة الاهالى الذين نفروا من ادارة الحكومة وتمكن الحقد فى قلوبهم عليها وصاروا يتوقعون بابا للفرج أومناصا يمكنهم من شق عصا طاعتها قال الموسيو هنس رزنر فى كتابه وكان الاوروباويون والمصريون مبغوضين عند الاهالى على السواء اذ كانوا كأنهم يتسابقون الى إفساد أخلاق السودانيين واضطهادهم لهم بغير حق الى أن قال وانا نورد هنا الحوادث الآتية التى أمرها معلوم فى تلك الاقطار وذلك ان دى ملزاك (de Malzac) الفرنساوى الذى كان موظفا سابقا فى السفارة الفرنساوية بأثينا كان مكبا على الاتجار بالرقيق على رؤس الاشهاد مع ان هذا الامر كان منعه الخديو كل المنع وروى هوجلن (Heuglin) ان دى ملزاك هذا وجد ذات يوم أحد العبيد بجانب جارية من محظياته فصلبه على شجرة كان زينها بجماجم بعض السودانيين وجعله دون مبالاة غرضا لغدارته ومن أمثال ذلك ماروى من ان جون بتريك (John Patrick) قنصل انكلتره بالخرطوم عزل عن منصبه لكونه كان يتعاطى تجارة الرقيق وكذا بندر (Binder) النمساوى كان يروج هذه المهنة ترويجا فلا غرابة اذا ازداد سخط مثل هذه القبائل اهـ ومع ما اتخذه رؤف باشا من الأوامر والتأكيدات بمنع ذلك لم يجد نفعا لظهور المشاكل المالية فى مصر التى أعقبتها الثورة العرابية التى أحدثت اختلال النظام واستكمال الفوضى وتداخل اليد الاجنبية فتضعضعت أحوال الحكومة وضعفت قوتها العسكرية فى السودان وهى التى ألزمت هذا الحكمدار الجديد الى عزل كثير من الجند بدعوى انقاص النفقات مع طرح الربع من رواتب الموظفين والعسكريين فكان هذا داعيا الى تشديد العزائم

بمضابط المجالس العسكرية فان حكم العزل أو تنزيل رتبة أو ترقى الضباط بجميع ذلك لا بد من العرض عنه لطرفنا بواسطة نظارة الجهادية (رابعا) من المعلوم ان مسئلة منع تداول بيع الرقيق هى فى غاية الاهمية أولا لان بيع الرقيق أمر مخالف للانسانية ومخل باحترام بنى آدم المنصوص عليه بالتكريم ثانيا من الواجب المتعين علينا ايفاء شرائط المعاهدة المعقودة بين حكومتنا الخديوية والحكومة الانكليزية فى ابطال تجارة الرقيق ولو أن ما نعلمه ونثق به من أفكاركم فى هذه المسئلة وما أنتم عازمون عليه من المساعى الجيدة لمحو آثار هذه التجارة الذميمة لا يستوجب تكرار التأكيد الا أن من الواجب علينا أيضا اثبات ما نحن عليه من شدة العزم والثبات فى هذه المسئلة لتوقفوا أعمالكم فيما تتخذونه من الوسائط المؤثرة والاحتياطات اللازمة لذلك لكى لا يسمع من الآن فصاعدا بحصول أمر مغاير من هذا القبيل فى كافة البلاد والطرق المودوعة تحت ادارتكم هذا وحيث ان الاقطار السودانية بعيدة عن مركز الحكومة الخديوية ومن الاقتضاء الوقوف على الوقوعات المهمة التى تحصل سواء كانت بالحدود أو بخلافها فتبادرون بالاخبار عنها وقت وقوعها الى طرفنا والى نظارة الداخلية بالتلغراف وبناء عليه أصدرنا أمرنا هذا لكم للمعلومية والاجراء على مقتضاه كما هو مطلوبنا اهـ من مجموعة الدكريتات

والثورة

والثورة التى قامت بها الاهالى تحت زعامة الشيخ محمد أحمد بن عبد الله الشهير بالمهدى ولما بلغ الحكومة الخديوية ذلك رأت لزوم تقسيم السودان الى قسمين لتسهل مراقبة أحواله وأصدر الخديو أمرا بجعل شرقى السودان المكون من مديريات التاكه وسواكن ومصوع وسنهيت والقلابات وما يتبعها ادارة قائمة بنفسها منفصلة عن الحكمدارية وأضاف اليها محافظة عموم سواحل البحر الاحمر وتعين عليها علاء الدين باشا مديرا عاما (٨ محرم ١٢٩٩ الموافق ٣ نوفمبر ١٨٨١) واعتنت الحكومة اعتناء زائدا بأمر حدود الحبشة فوضعت فيها الحاميات الكافية وكان المهدى لما ظهر نشر على الاهالى عدة مكاتيب يدعوهم فيها الى الانضمام الى دعوته ويحذرهم مخالفته ويحرضهم على خلع نير الحكومة المصرية ولما علم رؤف باشا بهذه المكاتيب وهول عليه الامر من حوله من الرؤساء الخائنين أظهر جبنا شديدا حتى قيل انه أظهر ما لا يليق بحاكم مثله وبعد المفاوضة عزم على مداركة الامر قبل استفحاله فأرسل من طرفه محمد بك أبا السعود وأمره بأن يأتيه بمحمد أحمد الى الخرطوم وكان خبر ذلك وصل الى المهدى فلما أتاه أبو السعود بك وطلب منه التوجه معه الى الخرطوم ليبرئ نفسه مما ينسب اليه قال له ألى تقول هذا القول وأنا رسول من الله وانا هو المهدى الموعود به وفى قول آخر انه قال له وأنا سيد البلاد بنعمة الله ورسوله فقال له أبو السعود ان كنت كما تدعى فلماذا تعصى الحكومة وأنت تعلم انها حكومة اسلامية فأجابه انها ليست كما تقول ولو كانت اسلامية حقيقة لما ضربت المكوس والخراج على رقاب المسلمين فقال له أبو السعود انى أنصحك أن لا تتصدى لمقاومة الحكومة والا فتكت بك عساكرها فأجاب ان بنادق العساكر لا تضربنى ولا بأتباعى وغير ذلك من الاقوال التى شاع ذكرها ثم عاد أبو السعود الى الخرطوم مضطربا وأخبر رؤف باشا بما سمعه ورآه فأرسل رؤف باشا ضابطين وفرقتين من الجند بهما ٣٠٠ نفر ومدفع وسار معهما أبو السعود بك المذكور فسافروا على النيل فى باخرتين الى جزيرة آبا وقال رؤف باشا للضابطين من يأتينى به منكما أرقيه الى رتبة البكباشى فكان هذا سبب حبوط مساعيهما لانهما اختلفا فيمن تكون له القيادة وكان محمد أحمد لما بلغه قدوم العساكر المذكورة أوعز الى شيعته بقتلهم وان من فعل ذلك أثابه الله ثوابا عظيما ولما وصلت الجنود الى البر وخرجوا من الباخرتين واقتربوا من البلد الذى يقيم به المهدى أخذوا يطلقون البنادق على الاكواخ ووجد أحد الجنود رجلا يحيط به جماعة من الرجال فظنه المهدى فهجم عليه وقتله ولكن لم يكن الرجل كما يظن لان المهدى كان مع أتباعه مختبئين فى الهشيم ولما لاحت له الفرصة داهم الجند بغتة وأعمل فيهم السيف فقتل منهم نيفا و ١٢٠ نفرا وهرب الباقون تاركين سلاحهم ونجوا سباحة الى البواخر وكان أبو السعود فى انتظارهم لانه لم يجسر على النزول الى البر وأطلق من فى السفينتين مدفعا ففر المهدى ومن معه وعاد أبو السعود بك مع من بقى من الجنود الى الخرطوم وكان محمد أحمد جرح فى ذراعه فأشار عليه عبد الله التعايشى وزيره بأن لا يخبر بذلك أحدا ولما انتشر خبر انتصار المهدى وكان الناس فى ريبة لعلمهم بعدم قدرته على مناواة الحكومة مالوا اليه لانها بعد قليل أصدرت الاوامر بسفر عشر بواخر وثلاثة آلاف جندى مع عشرين مدفعا لحصر جزيرة آبا والقبض على المهدى وأتباعه فسارت البواخر والجنود تحت قيادة على بك أبو كوكة وكان ذلك فى إبان فيضان النيل فحصرت البواخر الجزيرة وصوبت المدافع أفواهها اليها ومع ذلك فقد عادت التجريدة المذكورة بلا فائدة وشعر المهدى وأصحابه بالضعف عن المقاومة

وكان التعايشي نصح المهدي بالابتعاد عن الخرطوم مركز قوة الحكومة فقبل نصيحته وأذاع بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالاقامة في جبل ماسه لتلقى الاوامر الالهية وبأن يخرج الى الضفة الغربية على زوارق مصنوعة من العنبج (الفلين) وان لاخوف عليه من قبائل البواخر حتى يهبط الى الشاطئ بسلام وكان الشاطئ يبعد عن الجزيرة بنحو خمسة أميال فاطاعوا اشارته وحملوا عيالهم وذخائرهم على تلك الزوارق وهبطوا جميعا آمنين وبعد ان تحصن هناك جعل له من وقتئذ أربعة خلفاء أولهم عبد الله التعايشي وثانيهم على ولد حلو من قبيلة الدقهيم ورابعهم محمد الشريف من أقاربه ولم يعين الثالث ويقال انه عرض ذلك على الشيخ السنوسي (١) فأنكره ولم يقر عليه هذا ولما قصد المهدي جبل ماسه مع جماعته أرسل محمد سعيد باشا مدير كردفان جيشا قدره ١٤٠٠ مقاتل لاقتفاء أثره وكان المهدي التجأ الى جبل الغدير الكائن في الشمال الغربي من فشوده مستنجدا بأهله وبذلك لم يتمكن سعيد باشا من قتاله ثم جمع راشد بك الكردي مدير فشوده ٢٤٠٠ مقاتل من العساكر النظامية والشلوك واستصحب معه كيكوم بك زعيم قبائل الشلك وقصد المهدي فالتقى به وقاتله فكانت الغلبة للمهدي وقتل راشد بك وأكثر عساكره النظامية (٩ دسمبر ١٨٨١) واستولى المهدي على أسلحتهم وذخائرهم ولما انتشر خبر ذلك عمت الفتنة جميع انحاء السودان وكان اتباع المهدي

---

(١) الاستاذ السنوسي هو القطب الشهير العلامة الكامل المكمل العارف بالله تعالى السيد محمد بن علي السنوسي من ذرية الحسن المثنى ابن الامام الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد سنة أربع أو خمس ومائتين وألف بصحراء مستغانم من أعمال الجزائر ونشأ بها وطلب العلم بمدينة فاس واشتغل بالطريقة الدرقاوية ثم رحل الى مكة المشرفة ولقى بها العارف بالله تعالى الاستاذ أحمد بن ادريس وأخذ عنه وبرع في الطريق وأقام ملازما للعبادة والعلم والارشاد وبنى زاوية بجبل أبي قبيس ثم رحل الى الجبل الاخضر من أرض طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ وبنى بتلك الجهات جملة زوايا وأقام حتى ولد له ولداه السيد محمد المهدي سنة ١٢٦١ والسيد محمد الشريف سنة ١٢٦٣ وفي تلك السنة عاد الى مكة فأقام في زاويته بجبل أبي قبيس نحو سبع سنين مشتغلا باقراء الحديث والفقه فشاع صيته وهرع اليه الناس للتلقي عنه ثم رحل عائدا الى الجبل الاخضر فلما سمع برحلته عباس باشا الاول والى مصر اذذاك بنى له زاوية بخارج القاهرة عند الشيخ القالي بجهة باب الحديد لكنه لم ينزل بها وانما نزل في نواحي كرداسة بالجيزة فهرع الناس لزيارته والتبرك به وسار نحو المغرب الى الجبل الاخضر المذكور فنزل بمحل عرف بالغزيات (بالغين المعجمة) وهو قصر قديم فبناه وأصلحه وسماه العزيات (بالعين المهملة) وأقام به مدة سنتين وفي تلك المدة أرسل بعض تلامذته الى محل بالصحراء يسمى الجغبوب على مسافة عشرة أيام من العزيات وثلاثة أيام من سيوة فبنوا له به زاوية انتقل اليها سنة ١٢٧٣ فأقام بها لنشر الطريق والعلم والارشاد الى الله وانتفع به كثير من عرب البادية بتلك الجهات كغيرهم وصلح حالهم على يديه وفشا فيهم العلم والصلاح ثم توفى في ٩ صفر سنة ١٢٧٦ وله مؤلفات كثيرة منها ايقاظ الوسنان في العمل بالسنة والقرآن والسلسبيل المعين في الطرائق الاربعين والمنهل الرائق في الاسانيد والطرائق والشموس الشارقة في أسماء مشايخه المغاربة والمشارقة وقام بعده بنشر اعلام العلم وتربية المريدين وارشاد السالكين ولده وخليفته السيد محمد المهدي السنوسي الحسني ومعه أخوه السيد محمد الشريف السنوسي وجماعة من الطلبة والمشايخ بناحية الجغبوب المذكورة ثم انتقل سنة ١٣١٣ الى واحة الكفرة الواقعة على مسافة ٢٠ يوما الى جنوب سيوه لاسباب سياسية وابتعادا مما نسب اليه من حث القبائل على الخروج على الدولة العثمانية وشيد فيها زاوية صارت دار اقامته الآن وله عدة زوايا في الغرب ومصر وجزيرة العرب معدة للعبادة وتعليم العلم والقرآن وضيافة الواردين والمترددين وقد تجاوز الخديو الاسبق عن أموال زاويته الموجودة بسيوه وما يتبعها من شجر الزيتون والنخل مع مواصلته بالرعاية والبر والعناية وقد انتشرت طريقته بين أهالي الغرب وجهات السودان الآن انتشارا عظيما

أخذوا يطوفون على القبائل يدعونهم الى الجهاد فقامت قبائل الشلوك والكبابيش فى شمال كردفان وقبائل رفاعى والبشيرية بين بربر وسواكن على الحكومة وفى تلك الاثناء أخذ المهدى يهيئ المعدات الحربية ويسن للناس سنناوشرائع ضمنها منشورا كبيرا أورد ملخصه صاحب كتاب السودان المصرى فنقلناه عنه لتمام الفائدة (١)

ولاية عبد القادر حلمى باشا — لما علمت الحكومة باشتداد الثورة فى السودان وكان ذلك فى ابان الحوادث العرابية أصدر الخديو أمرا بتشكيل نظارة جديدة للسودان (٢) جعلها تحت رياسة عبد القادر حلمى باشا (٢١ ربيع الثانى ١٢٩٩ — ٢١ فبراير ١٨٨٢) لاتخاذ التدابير اللازمة فى المسئلة السودانية وملاشاة فتنتها أما محمد رؤف باشا فانه عزل من ولاية السودان وقام جيجلر باشا النمسوى (Giegler) مقامه بالخرطوم وكان قبل ذلك مديرا لبحر الغزال حيث خلفه لبتن بك الانجليزى أما جيجلر فانه أخذ فى مقاتلة الثوار وتقوية حراس المدن البعيدة فارسل قوة قدرها ٥٠٠ مقاتل مع الكاشف صالح أغا لتقوية حامية سنار البالغ عددها ٢٥٠٠ جندى تحت قيادة مديرها حسين بك شكرى وكان السودانيون هاجموها واضطر قائدها الى الالتجاء بعساكره داخل القشلاقات وقد تمكن صالح أغا المذكور من الوصول اليها بعد معركة شديدة انتصر فيها على العدو ورفع الحصار عن سنار وبعث جيجلر باشا أيضا قوة مؤلفة من ٦٠٠٠ مقاتل

(١) (أولا) تحريم التبغ ومعاقبة شاربيه بأى شكل بجلده ٨٠ سوطا وسجنه مدة أسبوع (ثانيا) منع الاذكار لانها بدعة فان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يفعلوها وانه كان يجلس مع أصحابه كأن الطير على رؤسهم (ثالثا) ابطال عهود الطريقة والرقية والشعوذة وصناعة الكيمياء وكل أعمال الدجالين والمشعوذين وقصاص من يرتكب شيأ من ذلك على مقتضى نص الآية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا الآية (رابعا) العدول عن ترك النساء تخرج من البيوت وترك التزين والتبرج وابطال ليالى الرقص والغناء ومن فعلت ذلك أدبت بجلدها ٢٧ سوطا ثم تزداد العقوبة كلما عادت الفاعلة فى غيها ولجت فى طغيانها حتى تعاقب بحلق شعر رأسها (خامسا) كل سب كان فيه تخديش للناموس يعاقب عليه صاحبه بثمانين جلدة وحبس أسبوع (سادسا) كل لعن أوشتم نحو يا كلب أو يا خنزير يعاقب لافظه بالعقوبة نفسها المتقدمة الذكر وهى تحل أيضا بمن يسب حيوانا أو جمادا وبالجملة لا يجرى اللعن والسباب على لسان الا تحق العقوبة على لافظهما (سابعا) كل لفظ شوه وجه الادب وبرز عن ظل النزاهة يعاقب صاحبه بالعقوبة الآنفة اه

(٢) صورة الامر العالى الصادر بتشكيل نظارة السودان تحت رياسة عبد القادر حلمى باشا نحن خديو مصر انه مراعاة لاستكمال شرائط الانتظام فى ادارة عموم السودان وتمكين الضبط والربط فيها واستدعاء ذلك جعلها ادارة واحدة لتأييد ارتباطها بمركز حكومتنا وبناء على ما عرض لطرفنا من مجلس نظارنا أمرنا بما هو آت (أولا) قد جعلت ادارة جهات عموم السودان بما فيها مديرية شرقى السودان ومحافظة سواحل البحر الاحمر ومديرية هرر وزيلع وبربر وتجرة حكمدارية واحدة (ثانيا) تتشكل نظارة جديدة بعنوان نظارة الاقاليم السودانية وملحقاتها ويكون مركزها بمصر القاهرة ما صدر بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ توفيق

وفى شهر ابريل من سنة ١٨٨٢ صدر أمر آخر تقسم فيه السودان الى أربعة أقسام الاول يسمى حكمدارية اقليم غرب السودان ومركزها الفاشر ويتبعها دارفور وكردفان وشكا وبحر الغزال والثانى يسمى حكمدارية اقليم وسط السودان ومركزها الخرطوم ويتبعها سنار وبربر ودنقلة وفشودة وخط الاستواء الثالث حكمدارية اقليم شرقى السودان ويتبعها التاكا ومحافظتا سواكن ومصوع والحباب المندب الرابع حكمدارية عموم هرر ويتبعها زيلع وبربرة ومركزها زيلع

تحت قيادة يوسف باشا الشلالى وعبد الله ولد دفع الله لمقاتلة المهدى بجبل الغدير ولكن لما وصلت الى جهة كاوا هرب منها ٥٠٠ جندى دنقلى وانضموا الى المهدى ثم وصل يوسف باشا مع باقى الجيش الى فاشوده وأخذ يحارب الدراويش وحصل انه فى مساء ٧ يونيه من سنة ١٨٨٢ هجم العدو على رجاله وهم نيام فقتل منهم عددا كبيرا وقتل معهم يوسف باشا وعبد الله ولد دفع الله فكان انغلاب يوسف باشا بهذه الصورة الضربة القاضية على سلطة الحكومة فى تلك الاطراف واعتقد السودانيون من يومئذ بصحة دعوى المهدى فزاد ميلهم اليه واعتقادهم به وصاروا يقدسون أقواله ويطيعون أمره طاعة عمياء وفى تلك الاثناء قام رجل يدعى الشريف أحمد طاهر مدعيا انه وزير المهدى وجمع له عصبة بالقرب من أبى حراس فتوجه جعلر باشا عليه بقوة على باخرتين وطلب منه التسليم فأبى فساق عليه الصنجق يوسف أغا الملك فهزمه الشريف ثم عاد جعلر باشا الى أبى حراس وجمع قوة ثانية من العساكر المنتظمة وعساكر الباشبوزق والشكرية تبلغ ٢٥٠٠ مقاتل جعل قيادتها العبد الكريم باشا أحد أمراء القبائل فهاجمهم أحمد طاهر المذكور فهزمه وقتله وبعث برأسه الى الخرطوم وفى تلك الاثناء بعث الياس باشا أحد أغنياء تجار كردفان بابنه عمر الى المهدى ليخبره بحال الابيض وزين له الاستيلاء عليها وكان محمد سعيد باشا مدير كردفان يفكر بانه لابد للمهدى من الزحف عليه فأخذ يستعد للحصار فشيد الحصون والمتاريس وحفر الخنادق حول الابيض وكان لدى سعيد باشا من الجنود ستة آلاف معهم اثنا عشر مدفعا ولكنه لم يدخر الاقوات الكافية لحصار طويل ظنا منه ان الحكومة لابد من أن تنجده ثم أقبل المهدى على رأس جيش يبلغ ٦٠٠٠٠ مقاتل ولما اقترب من الابيض خرج اليه أكثر الاهالى وكان وعدهم بان من أقفل منهم بابه وخرج اليه فهو آمن قال سلاطين باشا فى كتابه وكان المهدى كاتب تجار الابيض وكانوا على جانب عظيم من الثروة وهم من أدرى الناس بضعف الحكومة فانحاز كثيرون منهم اليه ولاسيما الياس باشا أغنى تجار كردفان وكان قبلا مديرا عاما لها وعزل من منصبه وكان بينه وبين أحمد بك دفع الله ضغائن وأحمد بك هذا هو أخو عبد الله ولد دفع الله الذى قتل مع يوسف باشا الشلالى كما تقدم وكان صديقا لمحمد باشا سعيد مدير الابيض فخاف الياس باشا أن يوقعا به اذا انتصرا على المهدى فجعل يجمع الاتباع سرا لينحاز بهم اليه ووافقه بعض التجار خوفا من ان المهدى يأخذ أموالهم ويسبى نساءهم اذا كانت الغلبة له وسر العلماء بقيام واحد منهم لمناوأة الحكومة وتوقعوا أن يتسلطوا على البلاد كلها تحت رايته إن هو تغلب عليها وطرد الاتراك منها اهـ ولما حاصر المهدى الابيض أرسل رسلا من طرفه الى محمد سعيد باشا يدعوه الى التسليم فقتل رسله فحنق المهدى لذلك جدا وهجم على المدينة بجموعه فصده محافظوها مرتين وقتلوا منهم ألوفا كثيرة وكان ممن قتل محمد أخو المهدى ويوسف أخو الخليفة عبد الله التعايشى وغيرهما من الامراء فتضعضعت أحوال المهدى بذلك حتى قال البعض انه لو اتبع سعيد باشا يومئذ مشورة أحمد بك دفع الله وخرج فى إثر المهدى ورجاله لقتله وأثخن فيهم وانقرض اسم المهدوية ولكن ارادة الله لا تغلب ثم ابتعد المهدى عن حصون الابيض وبقى محاصرا لها

ولما وصل عبد القادر حلمى باشا الى الخرطوم (١١ مايو ١٨٨٢) أخذ يقوى حصونها ويزيد فى حاميتها ويطارد الثوار بعزم وحزم فانتصرت قوة من الجيش المصرى على الثوار بقرب

كشجل ورفعت الحصار عن البركة وتغلب جلر باشا على الثوار بقرب سنار وتغلبت فرقة مصرية
أخرى على الشيخ رحمة فى أولاد منرج واستقدم عبد القادر باشا راشد كمال باشا محافظ حدود الحبشة
الى الخرطوم ثم أرسله الى فشوده ومعه قوة عسكرية ولما هاجمها السودانيون قصدتهم حاميتها مرارا
ولكنهم لم يتركوا حصارها واانتصرت فرقة مصرية أخرى فى شاتوره وهاجم الشيخ مديبو من عمال
المهدى بلدة شكا وأبادها ولما اجتمع لدى عبد القادر باشا ١٣،٠٠٠ مقاتل بعث بنجدة الى الابيض
قدرها ألفا مقاتل فقابلها عرب الجوامعة فى الطريق وهزموها ولم ينج منها سوى ميئتين وكان
العرب يشددون الحصار على بارا وفى أثناء الحصار شبت النار فيها فاحترقت مخازنها ولما لم يبق لحاميتها
شئ من القوت اضطروا الى التسليم لعبد الله ولد النجومى (ديسمبر ١٨٨٢) ولما بلغ ذلك المهدى
فرح وأطلق مائة مدفع فارتعبت من ذلك حامية الابيض وفى أثنائها هجم أحد مشايخ المهدى
المدعو جانجو على تل جوتا فى بحر الغزال واستباحها ثم بعث عبد القادر باشا نجدة ثانية الى
الابيض تحت قيادة على بك لطفى فهزمها الثوار بالقرب من مكان يدعى الكو ولما رأى عبد القادر
باشا اشتداد الحالة طلب من مصر نجدة فأرسلوا اليه خمسة آلاف عسكرى ولما اشتد أمر
الحصار بحامية الابيض وعدمت الاقوات ولم يتمكن عبد القادر باشا من نجدتها كما سبق كتب محمد
سعيد باشا فى يناير سنة ١٨٨٣ للمهدى يعرض عليه تسليم الابيض فقبل فسلمها بعد حصار دام
خمسة أشهر وقال سلاطين باشا فى كتابه إنه بعد أن دام الحصار خمسة أشهر وقل القوت وغلت
الاسعار حتى صارت الفرخة بأربعين ريالا ومات أكثر السكان والعساكر جوعا اضطر سعيد باشا
ان يسلم وكان عازما ان ينسف مخازن البارود قبل التسليم ولكن الضباط توسلوا اليه ان لا يفعل
خوفا على من بقى حيا من نسائهم وأولادهم ووعده المهدى قبل التسليم انه لا يناله شئ من الاذى
هو وضباطه وأرسل اليهم محمد بن العربى بالجبب المرقعة التى يلبسها الدراويش فلبسها هو ومحمد
بك اسكندر القومندان ونسيم افندى وأحمد بك دفع الله ومحمد بك حسن وغيرهم فخرجوا
الى المهدى فقابلهم جالسا على جلد المعزى شأن الاتقياء الزهاد فقبلوا ايديه فقال انه عاذر لهم على
مقاومتهم لانهم لم يكونوا يصدقون دعوته ثم حلفهم يمين الطاعة وقدم لهم تمرا وماء وطلب منهم ان
يتركوا نعيم الدنيا ولا يهتموا الا بالحياة الاخرى وغير ذلك من الكلام ثم نهبت جنود المهدى الابيض
ولم يتركوا لسكانها شيأ وكانوا يجلدون ويعذبون لكى يدلوا على الاماكن التى أخفوا فيها أموالهم
وكتب سعيد باشا تقريرا عن تسليم الابيض وأرسله الى الخرطوم مع رسول فأخبر أحد الموقعين عليه
واسمه يوسف منصور المهدى واعتذر له هو ومحمد بك اسكندر على ختمهم اياه فقبل عذرهم وأرسل
لوقته من قبض على الرسول وأحضر له التقرير وشاع حينئذ أن النبى (صلى الله عليه وسلم) ظهر
للمهدى وأخبره بهذا التقرير واغتنم المهدى تلك الفرصة وقتل جميع الموقعين عليه من الضباط الا
يوسف منصور ومحمد بك اسكندر وجعل الاول قومندانا على المدافع والثانى معلما للجنود ولما
امتدت الثورة فى مقاطعة دارفور بذل مديرها سلاتين باشا جهده فى اخمادها فلم يستطع وقال عند
ذلك فى كتابه ان أكثر رجاله خانوه ولما يئس من المدد وأعياه وأعيا رجاله الجوع اضطر الى التسليم
وكان فى دارة قاعدة دارفور الجنوبية ضابط غنى جدا اسمه زغل بك وكان من أقارب المهدى
فكاشف بعض اخصائه بالانحياز اليه فاستدعاه سلاتين باشا وقرره فأقر بذلك ناسبا ميله الى المهدى

الى ما بينهما من النسب ولكنه قال انه لم يزل أمينا فى خدمة الحكومة فطلب منه سلاتين باشا أن يحمل له رسائل الى الخرطوم وأن يبذل جهده ليمنع المهدى عن الزحف على دارفور والى أن تصل الحملة التى أرسلتها الحكومة المصرية لتأييد سلطتها فى السودان فان نجحت الحكومة فسلاتين باشا يشفع به عندها والا فيسلم البلاد للمهدى أما الرسائل التى أرسلها مع سلاتين الى الخرطوم فوصف فيها أحوال البلاد بالاختصار ثم حلف زغل بالطلاق أن يكون أمينا فيما أؤتمن عليه ثم سار الى الابيض فاطلق له المهدى مائة مدفع ترحيبا به وشاع حينئذ ان بلاد دارفور سلمت كلها للمهدى فلم تبق حاجة للزحف عليها فصار المهدى يهتم ببلاد النيل وبعث الامراء الى جهات مختلفة وفى جملتهم عثمان دقنه وهو نخاس من سواكن بعثه الى شرقى السودان لعله يعرقل الحكومة المصرية ويمنعها عن ارسال حملة اه وكان عبد القادر باشا خرج وقتئذ من الخرطوم بجيش وقصد المسلمية فانتصر على الثوار فى جهة تسمى ماتول ثم فى يناير سنة ١٨٨٣ قصد سنار ليخرج الدراويش الذين كانوا تحت قيادة ابن المكاشف منها وكان ترك امام الخرطوم جانبا من الجيش تحت قيادة حسين باشا مظهر فانتصر فى واقعتين على الدراويش انتصارا كاملا فى مشرع الداى ورفع الحصار عن سنار وتغلب صالح بك على أحمد المكاشف المذكور فى جبل سنجيدى وبينما كان عبد القادر باشا ظافرا منصورا حتى كاد يلاشى أمر الثورة صدرت اليه الاوامر بالعودة الى القاهرة على غير سبب معروف وتعين بدله أولا سليمان باشا نيازى ثم صدرت الاوامر الخديوية فى ٢٠ مارس سنة ١٨٨٣ بالغاء نظارة عموم السودان وبتعيين علاء الدين باشا حكمدارا لعموم السودان وملحقاته وجعل راشد كامل باشا حكمدارا للسودان الشرقى والبحر الاحمر وايجاد ادارة خاصة باشغال السودان وملحقاته فى رئاسة مجلس النظار وكان عليها ابراهيم توفيق باشا ثم خلفه أحمد شكرى بك ١٨٨٣ ولما كانت أعمال عبد القادر باشا العسكرية بالسودان وتجهيزاته الحربية وحفره الخنادق واقامته الحصون والمعاقل حول الخرطوم بسرعة وانتصاراته الباهرة المذكورة وأوامره العسكرية المتتابعة التى كان يصدرها القواد حاميات الجهات المتباعدة للمدافعة عن نقطهم حتى تمكنوا من صد هجمات القبائل الثائرة اطمأنت خواطر الأهالى فى الخرطوم وتحققوا أنه من ذوى المهارة والخبرة بأساليب الادارة فوفدت عليه كثير من القبائل وأظهرت الولاء للحكومة على رؤس الاشهاد ولما علم المهدى ذلك وأن عبد القادر باشا ينوى طرده من كردفان خاف جدا حتى صار يظهر ذلك فى خطبه ومن ذلك خطبة ذكرها صاحب كتاب السودان المصرى والانكليز وقد استنسبنا ذكرها هنا لما فيها من الفائدة وهى بحروفها

ليس بين رجال الحكومة التى أناويها وأصليها حربا عوانا رجل كعبد القادر باشا كثير الدهاء والحيل فضلا عن الشجاعة والمعرفة التامة بالفنون الحربية مما جعل النصر حليفه فى مواطن كثيرة من مواطن الحرب والنزال ومما يجعلنى أضرع الى الله تعالى بأن يكفينى وأصحابى شر عبد القادر باشا واحتم على كل المؤمنين الذين دخلوا فى دعوتى وانتظموا فى سلك تابعيتى بأن يجتنبوا القيام فى الجزيرة بأية مشاغبة تضطرهم الى الوقوف فى ساحات الحرب مع عبد القادر باشا وانى أوصيهم بكتمان دعوتى وعدم الظهور بتعاليمى وآدابى فى الجزيرة مادام عبد القادر باشا متوليا على السودان وقابضا على زمام أحكامه وليواظب كل أصحابى على رفع أصواتهم

بعد

بعد كل صلاة بهذه الدعوة (اللهم ياقوى ياقادر اكفنا عبد القادر) هذا ما فاه به المهدى على رؤس الاشهاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على مبلغ ما أصاب المهدى من الفشل باعمال عبد القادر باشا وكيف انه كان يحسب لهذا الرجل حسبانا كبيرا اه وكان عبد القادر قبل عودته من الخرطوم كتب تقريرا وافيا أبان فيه بما له من الخبرة والدراية ما يجب على الحكومة عمله وقال صاحب السودان المصرى والانكليز ما ملخصه واتذكر أن المهدى قال لى يوما بعد سقوط الخرطوم ما معناه لو كانت الحكومة جرت على الخطة التى رسمها لها عبد القادر باشا لما قدرت على بسط نفوذى فى السودان ولا استوليت على الخرطوم أما هذه الخطة فملخصها انه لا يجب تسيير حملة على المهدى فى كردفان لانها غير مضمونة الفوز لعدة وجوه منها ان لدى المهدى من المقاتلة عددا كبيرا يستطيعون مع مواقع البلاد الطبيعية أن يهلكوا أعظم قوة تدخل بلادهم ومنها انه يلزم الحملة نحو ٢٥ ألف جندى لحفظ خط الرجوع وهذا غير ممكن لان مجموع عساكر الحملة لا يتجاوز هذا العدد وانها اذا سارت وليس لها خط اتصال تمكن العدو من حصرها وإبادتها بسهولة ومنها ان أنصار المهدى يحاربون الآن رغبة فى الثواب ويعدون قيامهم وجهادهم من فروض الدين فهم لا يهابون الموت ويقاتلون مستميتين لاحراز الشهادة فاذا لقوا الحملة وقدر انها فازت عليهم وهو أمل ضعيف فذلك لا يكون الا بعد أن تفقد أكثر من نصف مقاتلتها ولا داعى الى ذلك لان الحكومة لا تعتاض عن خسائرها من المال فضلا عن الرجال من مقاطعة كردفان التى هى فى قبضة المهدى ثم انه اذا عدلت الحكومة عن تسيير الحملة الى كردفان ترتب عليها أن تبذل قصارى الجهد فى اطفاء نيران الثورة المستعرة فى الجزيرة واستئصال جرثومة القلاقل منها وهو أمر يمكن الحصول عليه بعد ٦٠ يوما من مفارقة سيرها فاذا توطد الامن فى الجزيرة وعادت المياه الى مجاريها وجب على الحكومة أن تقيم الحصون على حدود كردفان وتضع الحاميات الدفاعية لمنع تقدم الدراويش الى السودان المتوسط ومديريات النيل الاعلى فان ذلك يمنع سريان نار القلاقل ويحصرها فى السودان الغربى وأما قلاقل السودان الشرقى فتقدر الحربية المصرية على تسكينها من جهة سواحل البحر الاحمر ورب معترض يقول ماذا كانت الفائدة فى ترك السودان الغربى يمرح فيه المهدى وأنصاره فنجيبه ان المهدية عبارة عن فوضى وقد فرح السودانيون بها لانها تخلصهم من نير الحكومة وقد ألحوا فى الخلاص من هذا النير ولكنهم استجاروا من الرمضاء بالنار لان وطأة المهدى ستكون عليهم أشد من وطأة الحكومة كثيرا وان موارد اليسار ستنضب فى السودان الغربى وهب انها لم تنضب فهى لا تقوم بنفقات الامم الملتفة حول المهدى وعليه فلا يمضى زمن طويل حتى يشعروا بالضيق وتنقسم تلك القبائل الى قسمين أحدهما يكون الجنود والثانى الاهالى وحينئذ يعجز الفريق الثانى عن تقديم ما يكفى الفريق الاول فيدفعه الى الظلم والاعتساف فيصيح متظلما مستغيثا ولا سبيل للمهدى الى غل يد الجور المتكفلة بحمايته والذود عن حياضه لانه لو فعل لثارت عليه الجنود وانفضت من حوله ومن ثم تتولد العداوة والاحن بين الفريقين وعسى الاهالى يطلبون الخلاص من جور المهدية ولا سبيل لهم الى نيل هذه الامنية الا بمظاهرة الحكومة وموالاتها فيسهل عليها حينئذ قهر المهدى بقوة يسيرة وخسارة طفيفة هذا ملخص رأى عبد القادر حلمى باشا ولكن الحكومة لم تجنح الى العمل به اه وقال صاحب الكتاب المذكور أيضا لما انفصل عبد القادر حلمى باشا من حكمدارية السودان وخلفه

المرحوم علاء الدين باشا عولت الحكومة على تسيير حملة هكس باشا الى كردفان أما ابن المكاشفى فبعد ان فر من وجه عبد القادر باشا شخص الى البحر الابيض وعسكر عند نقطة الجبلين على ضفة النيل الابيض وأخذ يوالى غاراته الشعواء على أطراف مديرية الخرطوم فلم تر الحكومة بدا من تسيير حملة السودان اليه بقيادة الميرالاى حسين مظهر باشا وهو من الضباط المصريين الاذكياء ذوى الشجاعة والبأس وكان يشدد النكير على الحكومة لتعويلها على حملة هكس باشا وكان رأيه فيها لا يختلف عن رأى عبد القادر باشا وبلغنى انه رفع تقريرا الى الحكومة الخديوية أبان فيه سوء نتائج الحملة وهو لا يختلف كثيرا عن تقرير عبد القادر باشا السابق ذكر خلاصته الا أنه ذيله بنظرة فى مستقبل السودان جاء فيها ما معناه لا يجهل أحد أن السودان هو مصرف التجارة المصرية وان ما نالته الديار المصرية من سعة الثروة منذ ضمته اليها أمر لا ريب فى صحته وفضلا عما تقدم فان السودان عموما والخرطوم خصوصا هو المتسلط الطبيعى على النيل الذى هو حياة مصر ومصدر غبطتها وهنائها وعليه فان اهمال أمر السودان وتركه تحت رحمة المهدى لا يبعد أن يأتى معه يوم تقع فيه السودان فى يد دولة من الدول اللاتى يطمحن الى ابتلاعه وهن على ما تعلم ساهرات لا يغمض لهن جفن واذا وقع السودان فى يد احداهن باتت مصر تحت رحمة تلك الدولة المالكة للسودان وأمسى النيل فى قبضة يدها وتصرفها ولا تخفى نتائج ذلك على أحد وختم كلامه بقوله ان تسيير حملة على المهدى يصير بمثل هذا الامر وشيك الحصول دانى الوقوع اه ولنرجع الى ما كنا بصدده من سيرة الحملة فنقول انها كانت مؤلفة من ١٢ ألف مقاتل من الجنود النظامية سارت من الخرطوم الى نقطة الكوة وهاجت أمراء المهدى كولد كريف وغيره من الذين كانوا يناوشون مراكز الحكومة فى البحر الابيض وأظهر قائدها المذكور من الحكمة ما ضمن له الفوز على العدو وسرح عسكرا ضبط مدينة شاة واستردها من الدراويش ثم سارت الحملة بحرا الى الجبلين وهنالك التقت بابن المكاشفى ونشبت الحرب بينهما مدة ثمانية أيام اسفرت عن هلاك جيش ابن المكاشفى ثم قفلت الحملة راجعة الى الكوة وبعد ان مهدت الطريق عادت الى الخرطوم

حملة هكس باشا وهزيمته — اعلم انه فى مدة ولاية عبد القادر باشا على السودان أرسلت الحكومة من مصر الكولونيل ستيورت (Stewart) الى السودان ليرفع لها تقريرا عن أحواله وما يجب لاطفاء ثورته وبعد تأديته ما أمر به عاد الى مصر فى شهر ابريل من سنة ١٨٨٣ مارا بسنار والقضارف وكسلا وسنهيت ومصوع وكانت الحكومة أخذت ترسل من مصر الجيوش الى سواكن وعينت على رضا باشا حكمدارا لعموم هرر وملحقاتها مكان محمد نادى باشا وجعلت الميرالاى حسين مظهر بك وكيلا لحكمدارية عموم السودان (يوليو سنة ١٨٨٣) وسليمان نيازى باشا حكمدارا لشرقى السودان وسواحل البحر الاحمر بدلا من راشد كامل باشا الذى عين أميرا للالايين الاول والثانى الموجودين بالسودان وجعلت محمد مختار بك محافظ المصوع وقومندانا للعساكرها ومحمد توفيق بك من موظفى حكمدارية عموم شرقى السودان محافظا لسواكن بدلا من راسخ بك ثم عينت الجنرال هكس باشا (M. G. W. Hicks) (١) رئيسا لاركان حرب عموم الجيش

(١) الماجور جنرال هكس باشا هذا كان من ضباط المعاشات وأصله من الجيش الهندى الانجليزى لحق بجيش بومباى سنة ١٨٤٩ وخدم فى بنغاله (١٨٥٧ - ١٨٥٦) ولحق بحملة روح الكند تحت قيادة

المصرى

المصرى بالسودان فوصل الخرطوم فى ٥ مارس سنة ١٨٨٣ ولما صممت الحكومة على ارسال جيش لاسترداد مدينة الابيض كتب هكس باشا الى الحكومة يقول انه لا يتحمل مسؤلية هذه الحملة الا اذا كانت له القيادة العامة عليها فاجابته الحكومة الى ما طلب وأمرت علاء الدين باشا حكمدار الخرطوم بمرافقته وأرسلت الى هكس مددا من القاهرة معه ستة مدافع من طرز نوردنفلد ثم أردفته بفرق أخرى من العساكر المصرية الذين كانوا تحت قيادة عرابى وعبد العال وغيرهما من رؤساء الثورة العرابية قال موسيو هنس رزنران العشرة آلاف مقاتل الذين أرسلتهم الحكومة بقيادة هكس باشا لم يكونوا من ذوى الاهلية والكفاءة وان كل من رأى هذا الجيش عند مبارحته القاهرة يتحقق من عدم نجاح المأمورية التى عهدت اليه فان معظم جنوده كانوا يقاتلون قبل ذلك بزمن غير بعيد مع العصاة الذين كانوا تحت الراية العرابية حتى استلزم الامر ان يؤخذوا فى الاغلال والقيود للسفر على الوابورات مشيعين بعويل النساء والاطفال اه وأرسلت الاوامر الى سلاتين باشا بجمع العساكر فى الفاشر وكان بلغ هكس باشا ان بضعة آلاف من المهديين بقيادة الامير أحمد المكاشف قد تجمعت فى جهة كاوا القريبة من جزيرة آبا فخرج اليهم بفرقة وانتصر عليهم وقتل أحمد المكاشف وعددا من قواده ورجاله فكان لهذه الواقعة تأثير حسن فى ارجاع ثقة أهالى سنار والخرطوم بالحكومة وبعدئذ طلب هكس زيادة الجيش للعمل على كردفان ولما لم يجب قدم استعفاءه فى ٢٣ يوليو ١٨٨٣ ثم أجيب الى طلبه فاسترجع استعفاءه وسار علاء الدين باشا الى شرق السودان فاستحضر أربعة آلاف جمل وفى أواخر اغسطس تمت كل المعدات واجتمعت الحملة فى أم درمان واستعرضها هكس باشا وكانت تتألف من سبعة آلاف من المشاة وأربعمائة من الباشبوزوق الخيالة ومائة جندى مدرعين بالدروع الفولاذية وأربعة مدافع من طرز كروب وستة مدافع نوردنفلد وعشرة من المدافع القصيرة وكان من قوادها سليم بك عونى والسيد بك عبد القادر وابراهيم بك حيدر ورجب بك صديق وكان الباشبوزوق بقيادة خير الدين بك وعبد العزيز بك ووالى بك وملحم بك ويحيى بك وكان على الطوبجية والسوارى عباس بك وهبى ويتبع هذه الحملة ٥٥٠٠ جمل وخمسمائة حصان وكان معها من الضباط الافرنج الكولونيل فركوهار (Farquhar) بصفة رئيس لاركان الحرب والماجور سكندروف (Seckndorff) وورنر (Warner) وماسى (Massey) والمستر أيفانس (Evans) بصفة رئيس للمخابرات واليوزباشى هرلت (Herlth) وغيرهم وكان يرافقها من مكاتبى الجرائد الاوروباوية مكاتب التيمس والدالينوز والغرافيك وفى ٩ سبتمبر بارحت الحملة أم درمان وفى ٢٠ منه وصلت الى الدويم وهناك اجتمعت بعلاء الدين باشا أما هكس باشا فكان لا يزال فى الخرطوم وقبل خروجه أرسل تلغرافا الى القاهرة بمسير الحملة مبينا الصعوبة التى سيلاقيها فى طريقه نظرا للحرارة وقلة المياه وكان من رأيه ان يسير الجيش من الدويم الى الابيض عن طريق باره وطول هذا الطريق ١٣٦ ميلا أقيمت على طولها مراكز بها جنود لحفظ خط

الجنرال يبنى وحضر عدة وقائع مع جيش فارو زشاه بجهات بارلى وكان أيضا بالجيش الذى قاده اللورد كلايد فى حرب بنى مارد بجهات دوندبا كبرا وحضر واقعة الاستيلاء على قلعة بوكسار وغيرها من الوقائع ورافق الحملة التى حاربت الحبشة تحت قيادة اللورد نابير وفى الاستيلاء على مجدله ونال رتبة الميرالاى وعليها ترتب له المعاش من الحكومة الهندية وفى سنة ١٨٨٢ قدم الى مصر وعينه الخديوى رئيسا لاركان الحرب بالسودان وقائدا عاما لجيوشه

الرجعة الى الدويم فيفتح أولا باره وبعد الاستراحة بها يخرج على الابيض فلما جاء الدويم تفاوض مع علاء الدين باشا فى ذلك فقال له علاء الدين باشا انه أرسل من جاس له خلال الديار فاخبره ان طريق بارة قليلة المياه وان أحسن طريق للابيض عثل هذه القوة الكبيرة هو طريق خور أبو حبل والرهد جنوبا لكثرة مياهها وان طولها وان كان ٢٥٠ ميلا الان منها مائة ميل يسير بها الجند بكل راحة لسهولتها وكثرة مياهها وان ما بقى منها توجد به المياه أيضا فاقتنع هكس بذلك وأقر على مسير الحملة عن طريق خور أبو حبل ثم تقدموا ولما وصلوا اشات استولوا على آبارها (٢٤ سبتمبر) وأنشؤا بها مركزا عسكريا وكان الجنود منذ خروجهم من الدويم يفتكرون فى العواقب الوخيمة التى ستحل بهم وكان سيرهم على شكل مربع متأهب للقاء العدو فى مقدمته الادلاء فالطلائع فالضباط العظام وأركان الحرب ثم المربع وفى داخله الذخائر وكانت دواب الحمل جاعت وخارت قواها حتى مات كثير منها فى الطريق وفى ٣٠ سبتمبر وصلت الحملة الى قرية تسمى رزيقة تبعد ٣٠ ميلا عن الدويم ثم حدث خلاف بين هكس وعلاء الدين بشأن خطة السير فكان من رأى علاء الدين باشا ان النقط العسكرية فى خط الاتصال لا حاجة اليها لانها تقلل عدد الجيش وخالفه هكس باشا بان ذلك لابد منه لحفظ خط الرجعة وبعد مداولات ترجح رأى علاء الدين اما محمد أحمد المهدى فانه لما علم بسير الجيش المذكور عليه جمع جموعه وحرضهم على الصدق فى القتال وعسكر بهم قرب شجرة كبيرة بضواحى الابيض لملاقاة المصريين ثم وصلت التجريدة الى الرهد فى ٢٠ اكتوبر وبعد ان استراحت بها ستة أيام تقدمت تقصد كشجيل وبينما هى تخترق غابة وقد أضلت الطريق أحاط بها المهديون من كل جانب وأبادوها عن آخرها بحيث لم ينج منها الا نفر قليل وقد ورد فى كتاب السودان المصرى والانكليز أقوال يستدل منها ان موظفى الحكومة فى السودان كله خاصتهم وعامتهم بيضهم وسودهم كانوا يرون ان فوز حملة هكس على المهدى فى انحاء كردفان يعد من رابع المستحيلات وان الكثير منهم ومن التجار المصريين والسودانيين والاوروباويين حتى الموسيو هنزل قنصل دولة النمسا والمجر فى الخرطوم عرضوا رسميا للحكومة المصرية ولسمو الخديو عدة مرات يلتمسون العدول عن تسيير الحملة ولكن معروضاتهم لم تحز قبولا لاسباب سياسية وقال فى صحيفة ٢٣٩ من كتابه وما كادت الحملة تفارق الدويم حتى ظهر فى الخرطوم منشور بتوقيع المستر باور قنصل الانكليز فى الخرطوم جاء فيه ان جنود حملة هكس باشا من جنود عرابى الذين تمردوا على الحكومة الخديوية وان حكومة جلالة الملكة تسعى لاراحة تلك الحكومة من مفاسدهم ولا سبيل الى ذلك غير ارسالهم الى المهدى وغير ذلك من الاقوال التى لا نخالها صحيحة لان أحوال السودان واشتداد الثورة يومئذ فى أطرافها اضطر الحكومة الخديوية الى تسيير الجيوش لاطفاء نيرانها وقال سلاتين باشا فى كتابه وقد أخطأت الحكومة المصرية فى ظنها ان هكس ورجاله لعشرة آلاف يستطيعون أن يخمدوا الثورة ويقهروا المهدى بعد ان تغلب على كردفان كلها وأخذ الاسلحة من حاميتها وضم جيوشها الى جيوشه ووصف جنود هكس وسيرها وصفا يدل على أن الخوف كان مستوليا على نفوسها وان هكس نفسه سار سير المستقتل وفر رجل من جيشه ومضى الى المهدى وأخبره عما فيه من الخلل وما يلاقيه من العناء أثناء الطريق من قلة الماء فوثق المهدى بالغلبة وقال لرجاله إن النبى (عليه السلام) ظهر له ووعده بعشرين ألفا من الملائكة يقبلون لنجدته وكانت

الحكومة

الحكومة المصرية قد أكدت لهكس باشا انه يجد نجدة فى أثناء الطريق قدرها ستة آلاف مقاتل
و يجد ناساً يهدونه الى الماء فلم يجد غير جنود الاعداء تترصده فى سيره فخارت عزائم جنوده وجعل
المصريون منهم ينادون مصرفين يا ستى زينب دى الوقت وقتك فيجيبهم السودانيون ده المهدى
المنتظر ده المهدى المنتظر ثم هجم عليهم أكثر من ١٠٠,٠٠٠ من رجال المهدى دفعة واحدة
ودخلوا المربع فلم يثبت امامهم الا الضباط الاوروباويون وفرسان الاتراك فانهم بقوا فى مواقفهم
الى أن قتلوا عن آخرهم وقطع رأس هكس باشا ورأس البارون سكندروف وأرسلا الى المهدي
والذين نجوا من رجال هكس باشا وسلموا أسلحتهم لم يسلموا من القتل اهـ وقال غيره انه بعد ان فارق
هكس ورجاله الدويم عقدوا مجلساً حربياً للنظر فى مسئلة المحافظة على خط الرجعة فقر رأيهم على
عدم ترك جندى واحد فى الخلف فكان هذا عين الخطا وأرسل هكس باشا رسالة برقية بتاريخ ١٧
اكتوبر يقول فيها (نحن الآن على مسافة ٢٠ ميلا من نوارلى وانى متأسف لانى لم أتمكن من حفظ خط
الرجعة فقد أفادنى حاكم السودان ان العرب سيقطعون عنا الذخيرة والزاد و يحيطون بنا من
كل ناحية بعد ان يوغل جيشنا فى البلاد وزد على ذلك ان برك المياه ستجف فلا يمكننا استقاء الماء
الا بحفر الآبار وصحة العساكر جيدة والحرس شديد اهـ وهى آخر رسالة وردت منه و يظهر ان
الادلاء الذين كانوا معه خانوه فقادوه الى غاب وعر عسر المسالك بقى فيه مع الجيش ثلاث ساعات حتى
قطعوه ولم يخرجوا منه حتى لقوا العدو يحيط بهم فصف هكس باشا جيشه على هيئة مربع
وقاتل الاعداء طول النهار فانهزموا وباتت العساكر فى ساحة القتال وفى صبيحة اليوم الثالث
من نوفمبر قام هكس للقتال وفرغ الماء من جنوده ولكنهم ثبتوا على العطش والقتال ثبات
الابطال حتى قتل عدد عظيم من الفريقين ودارت الدائرة على العدو ثم باتت العساكر ليلة ثانية فى
ساحة القتال وفى اليوم الرابع سار ونحو أربع ساعات فقابلهم العدو بنيران شديدة وكان الظمأ
يقاتلهم وكان الطريق وعراً حتى ان هكس باشا لم يقدر على استخدام مدافعه ولم يتمكن من صف
جيشه على مايرام لكثرة الاشجار فتفرقت جنوده وأحدق العدو بهم من كل جانب فبددوه
وقتل قادته وقيل ان علاء الدين باشا ذبح فى بدء الحركة وأما هكس باشا فكان آخر من قتل وقد قال
صاحب كتاب السودان المصرى والانكليز ان حسين مظهر باشا كتب فى ذلك اليوم ما يأتى
أنا حسين مظهر باشا من الذين تخرجوا فى مدارس مصر الحربية وأنا الآن قائد الفرقة الثالثة
من الجيش المصرى فى السودان وقد وصلنا الى هذا الموضع (شيكان) منذ ثلاثة أيام ومنذ أمس
فقدنا الماء وصنف البطيخ الصغير فبلغ منا الظمأ فى هذا اليوم مبلغه ونيران العدو تهطل علينا
كالمطر وقد هلك أكثر دواب حملنا وهلك أكثر عساكرنا واختل النظام وتمرد الجنود على الضباط وهم
هائجون منذ أمس يطلبون قتل الجنرال هكس ونحن وسعادتلو محمد علاء الدين باشا نجتهد فى اخفائه
عنهم أنفة من أن يقال ان ألوفاً من المصريين قتلوا رجلا أجنبياً بينهم لاسباب سياسية وانى أكتب
هذه السطور والموت محدق بنا من كل جهة ولا أمل لنا فى الحياة الى غد الاثنين الا اذا لم يهاجمنا العدو
وجرعة الماء بيننا الآن أندر من الكبريت الاحمر وقد كنت أود التطويل ولكن طرأ على ما اضطرنى
الى ترك الكتابة والتأهب للموت ومفارقة هذه الحياة وأختم هذه النبذة بالاسف ليس على حياتى بل
على ألوف من أبناء وطنى ماتوا باستسلام حكومتهم الى أعدائهم فوا أسفاه ثم وا أسفاه اهـ وروى ايضا

صاحب الكتاب المذكور ما ملخصه انه فى صباح يوم الاثنين ثالث محرم أمسك الدراويش عن اطلاق النيران وبعد شروق الشمس ركب المهدى واستدعى الامير عبد الرحمن النجومى بخيله ورجله وأمره بالهجوم على الحملة من جهة الجنوب وأمر يعقوب أمير الراية الزرقاء بالهجوم من جهة الشمال الشرقى وموسى حلو أمير الراية الخضراء بالهجوم من الجنوب الغربى فهجم الجميع وفتكوا بالجنود وأخذ هكس يصرخ بملء صوته ويقول أنا هكس الانكليزى خذونى أسيرا فابتدره فارس بطعنة وهكذا كان هلاك حملة الجنرال هكس اﻫ وروى سلاتين باشا أنه كان وقتئذ محافظ على بلاد دارفور حكمدار يته ولكن لما بلغه ما حل بهكس باشا وجيشه أيقن بالضياع فاضطر الى التسليم وكتب الى المهدى يعرض عليه التسليم بشرط أن يرسل واحدا من أقاربه يسلم له البلاد وان يؤمن من فيها على دمائهم فعين المهدى الامير زغل المتقدم ذكره مديرا لعموم بلاد الغرب فسلم له سلاتين فى ٢٣ دسمبر سنة ١٨٨٣ وورد فى صحيفة ٢٠ من كتاب السودان المصرى والانكليز عن سلاتين باشا انه تدين بدين الاسلام وختن نفسه قبل ثورة المهدى بزمان وسمى نفسه باسم عبد القادر فلم يصدقه الاهالى ولم ينصاعوا لارشاده بل ظلوا مقيمين على السكينة والهوا الى ان قام المهدى بدعوته وثار على الحكومة اﻫ وبعد انكسار جيش هكس باشا واستيلائه على الابيض أرسل الى المهدى وفدا يعرض عليه التسليم فقام عليه الجنود والموظفون فوطن نفسه على ارسال وفد ثان برئاسة محمد بك خالد زغل وكيل مديريه داره وابن عم المهدى فتلقاه المهدى بالترحيب والاحتفال وكان المهدى كتب الى ابن عمه محمد خالد المذكور يحرضه على القيام بدعوته فى دارفور ومصالحة جنود الحكومة على الشروط التى عرضها سلاتين باشا ولما تم الامر سافر سلاتين باشا لمقابلة المهدى فى جهة تسمى الرهد قال صاحب الكتاب المذكور فى صحيفة ٣٢٥ وفى غضون اقامة المهدى فى الرهد قدم عليه سلاتين باشا من دارفور وكان مكرما عند المهدى لانه سلمه دارفور بلا مقاومة كما قدمنا فأرسل المهدى مندوبا للقائه خارج البلدة وقرأ عليه سلام المهدى الذى لولا انحراف صحته لكان خرج الى لقائه بنفسه وكان سلاتين باشا يومئذ راكبا جوادا وحاملا نبالا كان يقذفها فى الجو أثناء المقابلة ويقسم بالله انه يرمى أعداء المهدى بنباله ويقول هكذا يكون قتالى عن راية الامام المهدى المنتظر وكان ينتحب شوقا الى نعيم الجنان وحنينا الى ميادين القتال لشرب كأس الشهادة والفوز بهذه الامنية التى لا يتمنى انصار المهدى غيرها ولما مثل بين يدى المهدى بالغ فى اكرامه والتفت الى أصحابه وقال لهم ان عبد القادر سلاتين هذا من الاخوان الصادقين فصادقوه ولا تنفروا منه ومد سلاتين باشا عينه الى المهدى وقال له بايعنى كما بايعت السابقين الاولين من أنصارك فتبسم سرورا وبايعه البيعة العامة ولم يبايعه البيعة الخاصة كما سأله وبعد ذلك أنزله فى أكواخ بجوار منزل الخليفة عبد الله التعايشى الذى وكل اليه مراقبته السرية وايقافه على دخائل أمره وكان المهدى والتعايشى لا يظهران له غير الوثوق به فأرسل اليه التعايشى جوارى وغلمانا لخدمته وكانوا فى الحقيقة عيونا عليه الى أن كان من أمره وقيام أولئك الارقاء عليه وضبط الكتاب الذى كان يريد ارساله الى غوردون فى الخرطوم ما سنذكره اﻫ ولما بلغت أخبار ضياع جيش هكس باشا الى مصر اضطربت الحكومة ولحق الكثيرين من الناس الكدر والاحزان وأخذت سطوة المهدى تنتشر فى جميع انحاء السودان وأرسل المهدى الامير كرغساوى على بحر الغزال ومعه ستة آلاف مقاتل وكان مديرها يومئذ

لبتن بك (Lupton) الذى لم يكن معه أكثر من ٥٠٠ جندى وبقية جنوده كانت متفرقة فى انحاء المديرية ففاجأه ألف نفر من جيش الامير كرغساوى المذكور وقبضوا عليه وكان الامير كرم الله قد أحاط بشكنة العساكر وأسر من فيها من الجنود بغير قتال واستولى على جميع مخازن الاسلحة والذخائر وأمسك كل من فى المديرية وبعث بمنشور وقع عليه لبتن بك الى جميع قواد الحاميات يأمرهم فيه بالتسليم لجماعة الامير كرغساوى فانصاعوا كلهم ولم يبدوا أقل مقاومة وأرسل الامير المذكور لبتن بك وبقية الموظفين الى المهدى فأكرم وفادتهم ولبث لبتن بك مرافقا للمهدى الى ما بعد سقوط الخرطوم فعين رئيسا لورشة ملح البارود فى أم درمان ولكنه مات فى حوالى سنة ١٨٩١ وقصد الامير كرغساوى المذكور مدينة (لادو) عاصمة خط الاستواء وهاجمها حتى وصل الى داخل شوارعها بعد حروب شديدة ولكن القائمقام سليم بك هزمه منها وتمكن أمين باشا من دفعه عن تلك البلاد بعد ما أذاق الدراويش خسائر وافرة واضطر الامير كرغساوى الى العدول عن مقاطعات خط الاستواء

وفى خلال ذلك أى قبل مبارحة حملة هكس باشا الخرطوم كان عثمان دقنة (١) الذى تكلم عنه سلاتين باشا كامر قد شخص الى المهدى وبايعه فكتب له المهدى منشورا الى أهل السودان الشرقى يشرح لهم فيه ضعف الدين الاسلامى وما أصاب أهل السودان من الظلم والحيف وطلب منهم القيام بنصرته وقال لهم انه أرسل من قبله الشيخ عثمان بن أبى بكر دقنة لسواكن نائبا عنه وطلب منهم مبايعته ونصرته وبشرهم بما آتاه الله من النصر والاستيلاء على كردفان فتمكن عثمان دقنة بذلك من تهييج أهالى شرقى السودان والتف عليه منهم عدد وافر بجهات سنكات وبلغ توفيق بك محافظ سواكن أمره فتوجه اليها بنفسه وكان توفيق بك استقدم رئيس قبيلتى الشعياب والنوراب وسألهما ان يكونا دليليه فى الطريق وان يعيناه على امساك عثمان دقنه فأجاباه الى سؤله ولكنهما بعد وصول توفيق بك الى سنكات هربا ولحقا بعثمان دقنه ثم طلب توفيق بك عثمان دقنة اليه فلم يحضر وبعد قليل وصل اليه كتابان من المهدى يقول له فيهما انه لما كان المصريون أقل رتبة واعتبارا فى عينى من المسيحيين واليهود والكافرين وجب أن يسلموا جميع الاسلحة والذخيرة وباقى مهمات الحكومة الى عثمان دقنة وزيرى وقال الرسل لتوفيق بك انك ان لم تمتثل لهذا الامر فسننفذه بحد السيف فوقع توفيق بك فى حيرة عظيمة وتحصن بالستين نفرا الذين كانوا معه داخل شكنة سنكات المذكورة

واقعة سنكات — لما كان توفيق بك محافظ سواكن محاصرا فى سنكات زاد عدد الثوار تحت امرة عثمان دقنة حتى بلغوا ١٥ ألف مقاتل فحاصرهم بسنكات وطوكر وهى على

(١) عثمان دقنة هذا أصله من قبيلة صغيرة تدعى الدقناب تنسب الى قائد كردى كان أجعده السلطان محمود خان العدلى عن الاستانة وعينه فى سواكن منذ قرن فتزوج هذا القائد بامرأة حبشية رزق منها عدة ذكور سمى نسلهم بقبيلة الدقناب وكان آل عثمان يعدون من وجوه سواكن وكان ثلاثة من أعمامه حازوا الرتبة الثالثة من الحكومة المصرية وكان له أملاك كثيرة فى سواكن استولت عليها الحكومة ووهبتها لاولاد الشيخ المرغنى وكان المترجم كثير التردد على القاهرة بتجارة العاج والريش فعرفه فيها الكثيرون من تجارها وكان رأس ماله يبلغ ٢٠ ألف جنيه وفى مدة توظيف الاوروباويين فى السودان قبضوا على قافلته لسبب وجود رقيق فيها فحكموا عليه بالاعدام بعد ان صادروا أمواله فتمكن من الهرب بعد ان قاتل رجال الحكومة ثم جاء القاهرة وعرض ظلامته للمغفور له الخديو الاسبق اسمعيل باشا فلم تسمع وعاد بدون طائل فأصابه الفقر وبقى الى ان صدع بدعوة المهدى وقام لينتقم من الذين ظلموه اه

مسافة ٤٥ ميلا من سواكن ووصل خبر حصارها الى مصر فعزمت الحكومة على تجهيز قوة لخلاص طوكر أولا ثم سنكات ثانيا وأصدر الخديو أمرا بتعيين حسين واصف باشا حكمدارا على السودان الشرقى وسافر الى سواكن وأرسل محمود باشا طاهر بجيش مؤلف من ٥٠٠ مقاتل من سواكن الى الترنكيتات (٣ نوفمبر ١٨٨٣) ومعه القومندان منكريف (Moncrieff) من البحرية البريتانية وانضم الى هذه القوة بعد وصولها سبعمائة نفر من الجنود السود تحت قيادة قاسم بك الذى قتل فى واقعة طماى ثم نزلت هذه الجنود من السفن وسارت فى الصحراء قاصدة طوكر وبعد سير عشرة أميال وصلت الى مكان يدعى السيتراب والتقت بجموع عثمان دقنه فهزمها وشتت شملها وقتل القومندان منكريف وولى محمود باشا طاهر الادبار والتجأ الى السفن فى الترنكيتات ثم عاد مع من بقى من الجيش الى سواكن وصدر أمر الخديو بتشكيل مجلس حربى فى سواكن تحت رئاسة حسين عاصم باشا لمحاكمة محمود باشا طاهر على فراره واستمرت المحاكمة الى ان حصلت هزيمة بيكر باشا الآتى ذكرها فصرف النظر عن محاكمته وبقى عثمان دقنه حول سواكن يوالى الغارة عليها ليلا ونهارا فأرسلت الحكومة عليه حملة أخرى بقيادة البكباشى كاظم أفندى فالتقى بها عثمان دقنه فى جبل تكمريت وفتك بهم ولم ينج منها غير عدد قليل وفى خلال ذلك أشارت انكلتره على الحكومة المصرية بترك السودان واستقدام جميع الجيوش والموظفين (٢٠ نوفمبر ١٨٨٣) فتوقف المرحوم شريف باشا رئيس الوزراء عن قبول هذا الامر كما مر فأرسل يومئذ لورد غرانفيل محررا الى السير بارنغ (اللورد كرومر) يقول فيه لاريب اننى فى غنى عن ان استلفتكم الى انه من المسائل المهمة التى تتعلق بادارة شؤن مصر واستتباب الامن فيها الذى هو من واجب حكومة جلالة الملكة مادام احتلال الجنود الانكليزية المؤقت موجودا ان تكون على يقين ان النصائح التى تعطى من قبلكم للجناب الخديو وقيامها بواجباتكم معمول بها فيلزم ان تعلموا النظار وحكام الاقاليم صراحة انه مادامت المسؤلية الآن على عاتق انكلتره فحكومة جلالة الملكة مضطرة لان تكون على يقين من نفاذ السياسة المرسومة لذلك فمن اللازم إذن على النظار والحكام ان يتخلوا عن وظائفهم اذا لم ينصاعوا لتلك السياسة اه وعليه استقالت وزارة شريف باشا وتشكلت وزارة نوبار باشا فأقرت على ترك السودان قال صاحب كتاب السودان المصرى ما ملخصه انه لما علم أهالى الخرطوم بقرار الوزارة النوبارية تجمهروا امام مكتب التلغراف وهم يصيحون بالويل والثبور وكتبوا عريضة طويلة الى جلالة السلطان عبد الحميد خلاصتها انهم يقطعون كل علائقهم مع الحكومة المصرية ويسألون جلالته عودة احتلال العساكر الشاهانية لموانى البحر الاحمر التى تنازل عنها جلالته الى الحكومة المصرية وارسال مائة ألف عسكرى لاعادة السودان باسم حكومة الجناب السلطانى فاذا أجابهم جلالته الى ذلك عمدوا الى موافقة مسيو البيرمار كوبب التاجر الفرنساوى فى الخرطوم على اقتراض عشرة ملايين جنيه من الماليين الفرنساويين فيخصص منها أربعة ملايين لنفقات الجنود من دار السعادة الى الخرطوم ولمد السكة الحديد من سواكن الى المدينة المذكورة وتعهد عشرون تاجرا بجلب ٣٠ ألف قنطار من العاج فى كل سنة من ايراد بحر الغزال وخط الاستواء وبعد ان أرسلت تلك العرائض البرقية أوقفها المأمورون فى إحدى المحطات فأخذ الناس ينزحون عن الخرطوم اه وفى

خلالها

خلالها عرض الجنرال غوردون نفسه للخدمة لاخلاء السودان وقبلت الحكومة المصرية استخدامه (٢٦ يناير ١٨٨٤) واتخذت انكلتره وقتئذ على نفسها صيانة الموانى البحرية فى البحر الاحمر وعينت الاميرال هيوت (Sir W. Hewett) قائدا على المدفعيات التى ساقتها الى سواكن واستلم قومندانية الدفاع عن تلك السواحل وفى خلالها عهدت الحكومة الى الزبير باشا بتجنيد بعض السودانيين للسفر بهم الى السودان عن طريق سواكن وأرسل الزبير باشا خطابا من طرفه الى عربان سواكن يدعوهم الى الطاعة وقد اعترضت جمعية منع الرقيق فى لوندره على استخدام الزبير

حملة بيكر باشا — لما وصلت أحوال السودان الى ما علمت عين الخديو الجنرال بيكر باشا مفتش عموم البوليس مع عساكر البوليس والجندرمة لخلاص البلاد المحصورة فى شرقى السودان وقبل سفر هذا الجيش استعرضه الخديو ثم أصدر أمرا لبيكر باشا بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣٠١ صرح له فيه بأن يكون مطلق التصرف فى اطفاء ثورة تلك الجهات وقد أوردنا صورة هذا الامر باسفل الصحيفة اتماما للفائدة (١) فسافر اليها يوم ١٨ ديسمبر وكان سبقه الميرالاى سرتوريوس بك (Sartorius) رئيس أركان حرب والميرالاى عبد الرزاق بك وموريس بك وغيرهم من الضباط ولما وصل أصدر بعض الاوامر الى حسين واصف باشا حكمدار شرقى السودان فحصل بينهما الختلاف فيمن يكون له الرياسة فأراه بيكر باشا أمر الجناب الخديوى المخول له التصرف المطلق فاستعفى حسين واصف باشا من الوظيفة وقبل استعفاؤه وعاد الى مصر وخلفه سليمان نيازى باشا ثم توجه الجنرال بيكر مصحوبا بالاميرال هيوت الى مصوع لمحالفة رؤساء قبائل العرب والحبشة ضد الثائرين بقصد تسهيل طريق لانسحاب حامية الخرطوم عن طريق كسلة وكانت الحامية المذكورة وقتئذ تحت قيادة الكولونيل كوتلجن وكان حفر حول الخرطوم خندقا طوله ١٤٠٠ متر فلما وصل بيكر باشا مصوع (٣١ ديسمبر ١٨٨٣) أرسل من حاميتها بعض العساكر السودانيين الى سواكن تقوية لجيشه واستعاض عنهم فى مصوع بعساكر مصرية ولما عاد الى

(١) حيث اننا عينا كم مأمورية لاطفاء الثورة القائمة بالجهات الكائنة بين بربر وسواكن وحفظ خط المواصلة بين هاتين النقطتين وهذا بناء على ما هو معلوم ومشهور عنكم من الهمة والاستعداد فى الامور العسكرية فقد رأينا لزوم الايضاح لكم بوجه الاجمال عن أفكارنا فيما يتعلق بالحركات التى تستدعيها مأموريتكم المذكورة وهو انه من لوازم هذه المأمورية ان تستعملوا أولا كافة الوسائل السلمية والطرق السياسية بقصد استجلاب قلوب مشايخ العربان على اختلاف قبائلهم للطاعة والانقياد قبل استعمال القوة وعن ان العساكر الجندرمة الموجودة الآن بسواكن سينضم اليهم أورطة سودانيون تحت قومندانية الزبير باشا الذى لكم الرياسة عليه مباشرة فلا شك فى انه يسهل عليكم اجتناء ثمرات ما للباشا المومى اليه على القبائل السودانية من النفوذ المشهور ولقد رخصنا لكم فى هذه المأمورية باستعمال القوة الملكية والعسكرية فى جميع انحاء السودان التى تصلون اليها كما اننا صرحنا لكم بتنفيذ أحكام الاعدام التى تصدر من المحاكم العسكرية على رجال العسكرية أو من المجالس الاعتيادية على رجال الملكية ولكم أيضا أن تضعوا تحت الاحكام العرفية كل مدينة أو اقليم يرى لكم لزوم وضعه تحت هذه الاحكام وأن تجروا مقتضاها هذا ما اقتضته ارادتنا فيما يختص بالاعمال التى ستكون ادارتها بيدكم ولنا الثقة التامة فى استعدادكم وفى اخلاصكم الثابت لنا كان مأمولنا الحصول على أكبر المزايا وأحسن النتائج من المأمورية الموكولة لعهدتكم ٤ فى ١٧ ص سنة ١٣٠١ (٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٥) من مجموعة الاوامر والدكريتات صحيفة ١٨٦ التوقيع محمد توفيق

سواكن أخذ يستعد للقتال وفي ينايرسنة ١٨٨٤ وردت لهم رسالة من قائد حامية طوكر شرح فيها حالتهم الخطرة وقال اذا لم تأتهم النجدة بعد ثلاثة أيام اضطر الى التسليم للثوار فصمم بيكر باشا على انقاذ طوكر أولا فخرج من سواكن بحرا ونزل على الترنكيتات وكان جيشه يتألف من ٣٦٥٦ نفرا منهم ٣٠٠ من سوارى مصرى و ١٥٠ سوارى تركى و ٥٦٠ من جندرمة اسكندرية و ٥٠٠ من جندرمة مصر و ٤٥٠ من سودانية مصوع و ٤٢١ من سودانية سنهيت و ٤٢٩ من بيادة الاتراك و ٦٧٨ من السودانية الذين مع الزبير و ١٢٨ من الطوبجية معهم ستة مدافع ومع هذا الجيش نحو أربعين جنديا من البوليس الافرنج وتقدم به يوم ٢ فبراير وفي ١١ منه شرع في الزحف نحو طوكر وكان سيرهم عاديا وليس على شكل مربع وكانت المدافع في المقدمة والخيالة في الجوانب وبينما هم على هذا الشكل الغير منتظم داهمهم الدراويش وكانوا مختبئين فأسرع بيكر باشا في وضع رجاله على هيئة مربع ووقف هو وأركان حربه مع طليعة الخيالة في ميسرة الجيش الا ان الوقت كان غير كاف لاتمام التعبية قال صاحب كتاب السودان المصرى ما ملخصه وكان عثمان دقنه قسم جيشه الى أربع كتائب جعل كل كتيبة إزاء زاوية من زوايا المربع وأقام هو في كتيبة خامسة إزاء مقدمة المربع ولما دنت الحملة من الكمين الامامى صاح عثمان بانصاره قائلا هلم الى الشهادة والفوز بقرب الله تعالى في دار البقاء فانقضت جنوده على الحملة بجلبة وصياح يصم الآذان وفعل مثلهم بقية الكتائب اهـ فحال العدو بين بيكر باشا وبين عساكره ولكنه حمل ببطانته على الاعداء واخترق صفوفهم وأتى الى المربع فقتل من حاشيته كثيرون من جملتهم عبد الرزاق بك الرئيس الوطنى لاركان حرب الجنرال وطاهر بك الصاغ الذى حضر معه من الاستانة وموريس بك الذى كان بجانب المدافع والقبودان فورستيه ولكر (Forestier-Walker) والضابط كورل (Corroll) وغيرهم ولما وصل الى المربع تحت نيران البنادق وجد العدو قد دخل المربع وقضى الامر ولم تبق في اليد حيلة لدفع المصاب ويقال ان الطوبجية لم تطلق مدافعها الاطلقة واحدة ثم ولت الادبار مع باقى العساكر الذين حل بجميعهم الرعب وثارت الجمال مذعورة ونفرت في جوانب البيداء تدوس من صادفها من العساكر وكنت ترى الدرويش يهجم على المئات من العساكر ولا يبالى حيث لم يجد امامه أحدا يقاومه حتى خيل لهم أنهم ابطال زمانهم والحاصل ان العساكر المنهزمة قصدت طريق الترنكتات والعدو يتعقبها ويقتل كل من أدركه منهم وكان انهزامهم بغير انتظام ولا ترتيب ما عدا عساكر مصوع السودانيين فانهم تقهقروا بهيئة منتظمة حتى شهدت لهم الكتاب بالبسالة والشجاعة وعاد بيكر باشا وخاف العدو من مدافع الاسطول الذى كان في ميناء الترنكتات فرجع عن المنهزمين عند وصولهم الى الحصن ولم يكن في ميناء الترنكتات مدفع واحد يومئذ فلو تبع العدو باقى الجيش لذبحه عن آخره عند وصوله الى الميناء وبعد ذلك اتضح ان عدد الذين قتلوا في هذه الواقعة بلغ ألفى نفر منهم ٩٦ ضابطا وقتل من عساكر الزبير السودانيين ٤١٠ ومن أورطة اسكندرية ٤٩٦ ومن الاتراك والتليانيين عدد غفير والمظنون ان معظم القتلى قتلوا وقت الهزيمة وسميت هذه الواقعة بواقعة التب ولما انهزم بيكر باشا بهذه الصفة صدر أمر الخديو بالعفو عن محمود طاهر باشا وعقب ذلك سلم توفيق بك مدينة سنكات بعد ما قاوم مقاومة دلت على شجاعته ولكن الدراويش أبادت قوته بتمامها وقتل هو ثم سلمت

طوكر

طوكر أيضا الى عثمان دقنة وغنم فى هذه الوقائع جميع الاسلحة والذخائر والدواب واشتهر أمره وعلت منزلته بين الدراويش وفى غضون ذلك ظهرت دعوة المهدى حول كسلا وثار الاهالى فيها وقتلوا ثلثمائة جندى وضباطهم وبعث عثمان دقنة أميرا من قبله يدعى مصطفى هدل وحصر كسلا

عودة غوردون باشا الى السودان — لما قبلت الحكومة الخديوية استخدام الجنرال غوردون باشا لاخلاء السودان قدم من انكلترة يصحبه الكولونيل ستيورت (Stewart) كاتم أسراره ورئيس أركان حربه بعد ان أرسل له لورد غرانفيل أمرا أدرجنا صورته بأسفل الصحيفة (١) واحتفل الانجليز بوداعه فى لندرة احتفالا عظيما وقالت الجرائد وقتئذ ان لورد ولسلى حمل له صندوقه الى عربة القطار ولورد غرانفيل قطع له تذكرة السفر ودوق كامبردج فتح له باب العربة ولما وصل الى القاهرة (٢٥ يناير ١٨٨٤) تقابل مع السير بارنج (لورد كرومر) الذى زوده بما يلزم من التعليمات والنصائح وقال له ان الحكومة الانكليزية قد فوضت اليك أمر إخلاء السودان وانما تطلب منك اعادة حكم الامراء الذين كانوا يحكمون فيه عندما فتحه محمد على باشا وأجازت لك ابقاء العساكر حتى يسهل عليك اخلاؤه وغير ذلك هذا ولما تقابل مع الخديو توفيق باشا سلمه أمرا بتعيينه حاكما لعموم السودان وفوض له أمر اخلائه من العساكر والموظفين وكل من يرغب من أهاليه المجىء الى مصر وان ينشئ حكومة منظمة فى كل مديرية اذا أمكن وقد عثرنا على صورة هذا الامر فى صحيفة ٥٥٠ من مجموعة جرنال الجنرال غوردون فى الخرطوم تأليف اجمنت هيك (Egmont Hake) فادرجنا تعريبه بالحرف الواحد فى اسفل الصحيفة لتمام الفائدة (٢) وكان المرحوم توفيق باشا يهتم كثيرا فى تخليص المصريين الذين بالسودان مما هم فيه

(١) سيدى — ان دولة الملكة تريد ان تسافروا بدون تأخير الى مصر حتى تحرروا تقريرا فى الاحوال الحاضرة فى السودان والتدابير التى يقتضى اجراؤها التأمين الاستحكامات المصرية الموجودة هناك ولتأمين السكان الاوروباويين الذين فى الخرطوم فيلزمكم والحالة هذه ان تتأملوا فى هذه القضية ثم تخبرونا بالوسائط التى يلزم اتخاذها لمباشرة اخلاء داخل السودان ولتأمين ادارة سواحلها التى تحت سيادة الحكومة الخديوية وفى خلال ذلك يلزمكم دقة نظركم بصورة خاصة فى التدابير الفعالة اللازم اتخاذها فى ان اخراج المأمورين المصريين من داخل السودان لا يكون سببا فى اعادة بيع الرقيق وستتلقون أوامركم من وكيل الملكة وقنصلها العام فى القاهرة سر افلين بارنغ وبواسطته أيضا ترسلون الينا تقاريركم ويمكنكم أيضا ان تقبلوا مأموريات أخرى ممن ترى الحكومة الخديوية من المناسب تفويضه اليكم وعند ذلك يكون تبليغ هذه الاوامر اليكم بواسطة الوكيل المشار اليه ويكون عينتكم لمساعدتكم فى مأموريتكم الكولونيل ستوارت ثم عند وصولكم الى مصر تتوجهون الى سر بارنغ وتقع بينكما المذاكرة فى هل يقتضى الحال ان تتوجهوا بنفسكم رأسا الى سواكن أو الخرطوم أو ترسلون الكولونيل ستوارت عوضا عنكم ١٨ يناير سنة ١٨٨٤ اهـ

من الجوائب

(٢) من خديو مصر الى سعادة غوردون باشا

لا يخفى عليكم ان استدعاءكم الى هذه الديار وذهابكم الى السودان انما هو بقصد اخلاء تلك الاماكن وانسحاب جيوشنا مع مستخدمى الحكومة الموجودين هناك وكذا جلب من يريد الحضور معهم من السكان مع جميع متعلقاتهم ولى الثقة التامة بأن سعادتكم تعتنون كل الاعتناء فى اتمام هذه المأمورية باستعمال أحسن الطرق والوسائط التى يظهر لكم ضرورة عملها لحفظ تلك الجيوش والمستخدمين والسكان والتجار سواء كانوا من الاهالى أو من الاجانب الذين يريدون الحضور معكم وبعد اتمام هذه المأمورية تتخذون الاحتياطات اللازمة لتكوين حكومة قوية فى مديريات السودان ليستمر فيها النظام ويؤمن من وقوع الكوارث التى تتأتى من أمة جاهلة تركت ونفسها

من الضيق حتى انه قال البارون دى مالورتى (Baron de Malortie) لم يكن فى استطاعتى ان أبدى دليلا عن حسن مقاصدى بأحسن من تعيين غوردون باشا حكمدارا عموميا ومنحه كل السلطة فى عمل ما يراه ضرورا بالاصابة الغرض الذى ترمى اليه حكومتى وحكومة جلالة الملكة حتى انى قلدته نفس السلطة المخولة لى وتركت له الحكم على الحالة الراهنة ولاريب فى ان ما يستطيع اتيانه من الاعمال أحسن ما يكون وقد قبلت سلفا ما يمكن أن يقترحه من الوسائل الى ذلك اذ ما يراه حسنا من التصرفات يكون الزاميا بالنسبة الينا ثم انى بعد أن جعلت عظيم ثقتى بهذه الكيفية فى هذا الباشا لم أشترط عليه الا شرطا واحدا وهو أن يبذل عنايته فيما فيه طمأنينة العناصر المتمدنة من أوروبيين ومصريين وها قد أصبح الآن الرئيس المفوض برافقه حسن آمالى فى هذه المأمورية التى هى من الخطارة والاهمية بمكان فان قلبى يذوب عندما أفكر فى الالوف الكثيرة من رعاياى المخلصين الذين تكفى غلطة منه لهلاكهم وانى لا اشك فى انه سيبذل كل ما فى وسعه لحقن دماء أكثرهم على الاقل فان نجح بعون الله فى اخلاء الخرطوم وأهم موانى السودان الشرقى فله الشكر مدى الدهر على رعيتى التى تر تعد فرائصها من توقع ما يخشى حصوله بعد حين أما قولى لك انه ينجح فى مشروعه فهو من قبيل المجازفة منى فى الكلام كثيرا فان امامه قوات أكثر منه عددا وأهو الا غير أنا نرجو الخير وأما هو فيمكنه أن يعتمد على أصدق مساعدة وأسرع معونة منى أنا وحكومتى بقدر ما تصل اليه يد الامكان اه هذا وقد صرح المستر غلادستون امام البرلمان بأن الحكومة الانكليزية تأخذ على عاتقها كل مسؤلية المأمورية التى ألقيت مقاليدها الى غوردون باشا أدبيا وسياسيا وكذلك صرح لورد غرنفيل امام مجلس اللوردات بما يقرب من ذلك (١٩ فبراير) وفى أثناء تلك المدة راجعت نظارة الحربية المصرية دفاترها فعلمت منها ان الموجود بالسودان بين دنقله وغوندكرو من العساكر النظامية ٢١٫٠٠٠ معهم ٨٤ مدفعا مختلفة العيار وبكثير من المدن والقرى مخازن ملأى بالآلات والذخائر الحربية ولما تذاكرت فى كيفية ارجاع هذه الجنود والذخائر علمت انه يلزمها لذلك على الاقل نحو ستة آلاف جمل وان أحسن طريقة لنقلها تكون الى مصوع عن طريق شمالى الحبشة أما اذا كان النقل بواسطة النيل فيلزم لذلك على الاقل ١٣٠٠ سفينة هذا خلاف السفن التى تلزم لارجاع المأمورين والاهالى المصريين الذين يرغبون العودة الى أوطانهم واعلم انه كان يوجد للحكومة فى ذلك الوقت بدار صناعة الخرطوم نحو ١٦ سفينة بخارية وأكثر من ٣٥٠ شراعية بين سفينة وزورق وقد وقعت كل هذه الاشياء فى يد السودانيين كما استعمله مما يأتى ثم سافر غوردون باشا الى محل مأموريته (٢٧ ينار) عن طريق عطمور أبو حمد وبربر وشندى وأعلن للاهالى فى طريقه صراحة باباحة تجارة الرقيق وأوراهم ان الحكومة المصرية لا تعارضهم فى ذلك لان السودان أصبح دولة مستقلة عن مصر وان المهدى جعل سلطانا على كردفان ولما وصل الى الخرطوم قابله العموم

بلاحا كم وانى معتمد كل الاعتماد على نباهتكم وحزمكم اللذين اليهما وجهت انفاذ هذه المأمورية بالطريقة المرغوبة ٥

فى ٢٧ ينايرسنة ١٨٨٤ اه من جنرال الجنرال غوردون فى الخرطوم محل الختم (محمد توفيق)

فيها

فيها بالفرح والسرور وتواقعوا على يديه وقدميه يقبلونهما فخاطبهم قائلا انى قد حضرت لتخليص السودان بمار زئيه ولم أجئ محفوفا بالجنود بل اتكلت على معونة الله فلا أحارب الا بسلاح العدل ولكن معلوما انه من الآن فصاعدا لا يكون فى البلاد عساكر باشبوزق يعيثون ويفسدون فوقع كلامه موقع الاستحسان عند الاهالى واستتبت الراحة فى الخرطوم نوعا ثم أحرق علانية كل دفاتر الحكومة وآلات الجلد وألف مجلسا من أعيان الاهالى وأطلق سراح معظم المسجونين فأظهر الاهالى له الميل حتى ظن انه فاز بالغرض ثم بعث الى مصر جانبا من حامية الخرطوم المصريين وكان يريد أن يجعل كل حامية الخرطوم من العساكر السودانية وغير ذلك من الاعمال التى عملها قصد استمالة الاهالى اليه ثم بعد قليل ظهر له عكس ما كان يرجوه حيث عاد الثوار الى ما كانوا عليه من التعديات وسفك الدماء ولما تعسر عليه تنفيذ الاوامر المعطاة له قال بلزوم بقاء الحكومة المصرية فى السودان بقاء حقيقيا بحيث تكون صاحبة السيادة عليه وان تعين هى فيه الحاكم العمومى وحكام المديريات وأن تكون مصر للسودان بمنزلة محكمة عليا وقال انى أرغب رغبة شديدة فى اخلاء الجيوش والموظفين عن السودان لا تركه مرة واحدة وأن يغير الفرمان الذى أنا حامل له بآخر يبقى لمصر المراقبة الادبية والسيادة على السودان وانى مع ابداء هذا الطلب أرى من الواجب على بادئ بدء ان أقول لكم ان مراقبة الحكومة المصرية المراقبة الادبية على السودان ستكون بمنزلة من تعود عليه المسؤلية وأن لا يؤثر أحد على التعيينات التى تعينها الوزارة المصرية أقل تأثير اذ أن مركزها أعلى من ذلك وانى على يقين من أن تنفيذ السياسة التى عرضتها آنفا ليس من ورائها أقل خطر على حكومة جلالة الملكة ولا على الحكومة المصرية وانها توطد بعض التوطيد ثقتنا فى مستقبل الاقطار السودانية ولما وصل هذا التقرير واطلعت عليه دولة الانجليز لم تقبل منه ذلك لمنافاته لخطتها فى المسئلة السودانية ثم ان غوردون أراد الاستعانة بمن له دراية تامة باحوال السودان فطلب أن يرسل اليه الزبير باشا وتكرر منه الطلب بالحاح فعارضته جرائد انجلترة وحكومتها فى ذلك ولم تسمح أيضا السمو الخديو بقبول هذا الطلب وبعد ذلك كتب غردون الى حكومته بوجوب كسر شوكة المهدى قبل اخلاء السودان وقال لو امتلك المهدى الخرطوم تجاوزها الى حدود مصر وأقلق راحة الحكومة الخديوية مدة طويلة فيجب قهره لتؤمن غوائله ثم طلب من حكومته أيضا ان تمده بمائة ألف ليرة خلاف ما أخذه معه من حكومة مصر وان تبعث بمائتى جندى من الهنود الى وادى حلفا وضابطا انكليزيا الى دنقله يتظاهر بأنه قادم للتفتيش على المحلات المناسبة لحلول الجيوش القادمة وغير ذلك من الافكار والاقوال ولما ضاق غوردون باشا من عدم اجابة مطالبه اقترح تسليم السودان الى الدولة العلية صاحبة البلاد وكانت انكلترة وقتئذ تخابر الباب العالى ليتنازل لها عن السودان الشرقى فرفض الباب العالى طلبها رفضا باتا وبقيت مسئلة السودان تزداد ارتباكا

وفى تلك الاثناء أرسل غوردون باشا الكولونيل ستيورت برسالة ودية الى القبائل الساكنة على سواحل النيل الابيض وأصحبه بمائة جندى وعشرة من السودانيين على باخرتين ولما وصلوا الى بلدة الشيخ طوخ ابراهيم البعيدة عن الخرطوم بنحو ستين ميلا وجدوا فيها ٢٥٠٠ مقاتل من قبيلة البقارة توعدوهم بالقتل وكان الشيخ طوخ ابراهيم المذكور بالابيض وأرسله المهدى ليمنع

تقدم الكولونيل سيتورت ولما يئس الكولونيل من نوال شيء عاد الى الخرطوم ثم أرسله غردون ثانية الى البلاد المجاورة للخرطوم فلم ينجح فى هذه المأمورية أيضا وكان القصد من هاتين المأموريتين استمالة القبائل النازلة بتلك البلاد الى مصر وترك دعوة المهدى وبعد ذلك بأيام قليلة شرع العصاة فى محاصرة الخرطوم قال سلاتين باشا فى كتابه ما ملخصه ولما بلغ غوردون باشا الخرطوم نشر منشورا جعل فيه المهدى سلطانا على كردفان وبعث اليه بالهدايا وطلب منه اطلاق الاسرى وأباح النخاسة ولو كان مع غوردون قوة تحمى ظهره لرضى المهدى بذلك ولكن لما بلغه انه جاء الخرطوم وحده استغرب أمره واستخف به فرد له الجواب يدعوه فيه الى التسليم وكان عبد الله التعايشى طلب من المهدى أن ينشر على العموم نشرة يعلمهم بها بأنه خليفة ليمنع بذلك كيد الحاسدين له من الامراء فنشر عليهم منشورا بهذا المعنى (١) فصار عبد الله التعايشى من وقتئذ الآمر الناهى فى كل الامور وكان أهالى الخرطوم يظنون ان غوردون باشا انما جاءهم ليخرج منها بالحامية فرابهم أمره وفشا داء الخيانة فى ضباط جيشه فحاكم بعضهم فى مجلس عسكرى وقتلهم ومن العقبات التى صادفها غوردون باشا أثناء وجوده بالخرطوم مارواه صاحب كتاب السودان المصرى والانجليز قال ان غوردون قابل فى الخرطوم عدة صعوبات منها انه وجد مقاومة من الجمعية الوطنية التى كانت تشكلت بالخرطوم تحت رياسة من يدعى أحمد أفندى العوام وكان منفيا بها لاشتراكه فى الثورة العرابية فعزم غوردون باشا على تفريق جموعها فاستدعى اليه أحمد أفندى العوام ومنحه الرتبة الثانية وراتبا عظيما وعينه سكرتيرا له ولكن العوام رفض قبول المنصب والوظيفة وقال لغوردون انه لا يقصد غير سعادة مواطنيه فأخذ غوردون يحاول إقناعه فلم يفلح ورجع العوام وكتب فى النشرة الاسبوعية التى كان يصدرها كل ما جرى له مع غوردون باشا وقال ان غوردون قال له ان المصريين شعب لا يعرف معنى الاستقلال ولا يسرى فى عروقه دم وطنى يدفعه اليه وكان من رأى رجال هذه الجمعية فصل السودان عن مصر فصلا مؤقتا ريثما تتخلص من مصر والزام الدولة العثمانية بتسكين ثورة السودان وبقاء العساكر الشاهانية فيه وفى سواحل البحر الاحمر لا تفارقه الا بعد حل المسئلة المصرية ثم مالت الجمعية الى الالتجاء لدولة أجنبية وبالفعل خابرت الموسيو هربين قنصل فرانسا فى الخرطوم ولكنه مات مع رجال البعثة التى بعثها غوردون باشا مع الكولونيل استيوارت والمستر فرنك بيوير قنصل انكلترة بالخرطوم على سفينة بخارية لمقابلة حملة لورد ولسلى (١٠ سبتمبر ١٨٨٤) وكان غوردون باشا تغلب على الجمعية وقتل رئيسها المذكور

وورد فى صحيفة ٢٨٥ من الكتاب المذكور ما ملخصه انه لما وصل كتاب غوردون باشا وهديته الى المهدى جمع حوله الامراء وتلاه عليهم وكتب ردا ظاهره التعظيم وباطنه التوبيخ والوعيد

(١) بسم الله الرحمن الرحيم اعلموا يا أنصارى ان نائب الصديق (أبى بكر) أمير جنودنا المشار اليه فى رؤيا النبى هو السيد عبد الله بن السيد محمد الله هو منى وأنا منه فاكرموه كما تكرمونى واخضعوا له كما تخضعون لى وثقوا به كما تثقون بى واعتمدوا على كل ما يقول ولا تخالفوه فى عمل فان كل ما يعمله انما يعمله بامر النبى أو بامرى واذا أراد الله ونبيه شيأ فليس علينا الا الطاعة ومن ارتاب فى ذلك فهو كافر جحود الى ان قال الخليفة عبد الله هو أمير المؤمنين وهو خليفتى ونائبى فثقوا به وأطيعوا أوامره ولا ترتابوا فى شئ مما يقول اهـ من كتاب النار والسيف فى السودان

(١) ثم خطب المهدى فى قومه وتلا عليهم الكتابين وقال هل من رجلين يبيعان حياتهما من الله تعالى ويذهبان بكتابى هذا الى غوردون فبرز له ألوف فأمر بالاقتراع فأصابت رجلين من خدام المهدى أحدهما يدعى محمد أحمد الصافى والآخر يدعى أحمد فرح فسارا حتى بلغا مدينة الخرطوم وأوصلا الجواب الى غوردون وكان غوردون ورد عليه كتاب آخر من عوض الكريم باشا ابن أبى سن زعيم قبيلة الشكرية لامه فيه على قدومه الى الخرطوم بغير جنود وأخبره ان دعوة المهدى انتشرت فى كل أنحاء السودان ولم يلتفت الناس لما جاء به غوردون من الخدعة السياسية وانه أى عوض الكريم باشا لم يدخل فى تلك الدعوة وقد ذهب بقبيلته فامتنعوا فى صحراء بربره كما امتنع ابن أبى جن بقبيلة الجمة فى وادى العطش لعدم قبوله دعوة المهدى وكان المهدى وقتئذ قد قسم جنوده الى ثلاثة أقسام وجعل كل قسم منها تحت امرة خليفة من خلفائه الثلاثة وجعل الخليفة عبد الله رئيسا عليهم وأعطاه راية زرقاء وأعطى الخليفة علياود حلو راية خضراء والخليفة محمد شريف راية حمراء وهى راية الاشراف ولما انقضى شهر رمضان ادعى المهدى أن النبى ظهر له وأمره بفتح الخرطوم فأمر امراءه كلهم بالحملة عليها ولما قرب المهدى بجيوشه من الخرطوم جاءه محمد شريف استاذه الذى طرده من حلقته وهو تائب فرحب به وأكرم مثواه اهـ وكتب المهدى الى غردون كتابا يقول له فيه سلم تسلم أنت ورجالك وانى أنا المهدى الحقيقى وان أبيت التسليم حاربتك واعلم أن رجالى أكثر من رجالك فان حاربتك دارت الدائرة عليك وكرر النصيحة بالتسليم اما غوردون باشا فلم يجاوبه بشئ هذا ولما رأت الحكومة الانجليزية أن غردون أصبح محصورا لا يمكنه فعل شئ بعثت جيش الانقاذ حاميات شرقى السودان تحت قيادة الجنرال جير الد جراهم

حملة الجنرال جراهم وواقعة الطيب وطاى — لما وصل الجنرال جراهم الى سواكن انضم اليه بيكر باشا وأركان حربه ومن معه من الجنود المصرية وبعد ان تداولا طويلا صمم جراهم على اتباع خطة بيكر للوصول الى طوكر مع أن الخبر كان وصل الى سواكن بسقوطها فى يد المهدويين وسارت الجنود الى فرضة الترنكيتات وكانت تتألف من ٢٨٥٠ من البيادة و ٧٥٠ من الخيالة و ١٠٠

(١) انك تقول انك لا تقصد الا غير حقن الدماء وفتح طريق الحج لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ونسيت ماسفكته من الدماء بالامس وهل ظننت اننا نجهل مالك من الايادى السوداء فى اثارة القلاقل فى أنحاء دارفور والنيل الأعلى لغرض واحد وهو ايقاع السودان فى مهاوى الفوضى بغية ضمها الى الاملاك الانكليزية والفرق ظاهر بين مساعيكم السابقة وبين أمرنا الحاضر فاننا لا نبغى ملكا ولا جاها ولا شيأ من حطام الدنيا وغاية مانسعى اليه هو أن نجدد لهذه الامة ما اندرس من معالم دينها التى لا ريب فى أن تقويضها كان بسعيك وأعمالك التى لا ينكر فسادها أحد وأما فتح طريق الحج فانه خديعة منك وتظاهر بحماية الدين الاسلامى مع انك لا تؤمن بحرف مما جاء فى هذا الدين وقد سمع هذا القول منك غير مرة أيام توليك على الحكمدارية منذ أعوام وعليه فاذا كنت ممن يشفق على المسلمين فانطق بالشهادتين كما فعل عبد القادر سلاتين اشا مدير دارفور ودعترى معاداه وغيرهما من المسيحيين الذين صار لهم مالنا وعليهم ما علينا فاذا فعلت ذلك صدقناك بأنك مشفق على المسلمين غيور على مصالحهم ثم تقول ان جلالة الملكة بعث الى سلخ بلادنا من حكومة الترك وعينتك حاكما علينا مستقلا وانك ترف البناهذ البشرى ولم تعلم أنها تسومنا بذلك خسفا لا يحتمله أبى النفس وبعد ذلك استطرد الى ذكر اعتراف جلالة الملكة بسيادة المهدى على السودان الغربى فانكر عليها ذلك ورفض اعترافها بهذه السيادة وأنكر أيضا سيادتها على مسلمى الهند وافريقية ونصح لغوردون عن اخلاء الخرطوم وأنذره بزحف جيوشه عليها اهـ

من الطوبجية معهم ١٤ مدفعا ومن ٨٠ من المهندسين الملوكية الانجليز وكان يرافق هذا الجيش
١٥٠ جنديا من بيادة البحرية الانجليزية أرسلهم الاميرال هيوت قائد السفن الانجليزية الراسية امام
سواكن وقبل أن يقاتل هذا الجيش العصاة تقرر في مجلس حربي ارسال مكتوب للعربان بالنصيحة
ليرجعوا عن غيهم وأرسل هذا المكتوب مع الميرالاي هر فى بك فوضعه على عصا فى المكان الذى حدثت
فيه واقعة الطيب الآتية الذكر ولما لم يأت الكتاب المذكور بنتيجة تقدم الجنرال مع جيشه وكان
مشكلا اياه على شكل مربع وفى وسطه الجمال بمواشيها وكافة مهمات وذخائر الجيش وكان العدو قد
تحصن فى جهات طماى بالقرب من مكان يدعى الطيب ومعه مدافع كروب التى كان غنمها من
المصريين ولما اقترب مربع الانجليز منهم خرج عليه جماعة من الخنادق من خلف المتاريس فانقضوا
عليه كالنسور فتعجب الانكليز من شجاعتهم وعدم اكتراثهم بالموت فأبادوهم بالرصاص وكانت
قتلاهم على مسافة عشر خطوات فقط من المربع ومازال جيش الانكليز يتقدم حتى امتلك حصنهم
بعدما اعياه قتال العرب وجرح وقتل من الانكليز عدد كبير ولما دخلوا الحصن رأوا قرية الطيب
وآبارها فتقدموا اليها واقتفى فرسان الانكليز أثر الفارين من العرب وكان مشاتهم يكمنون لهم فى الوعور
والادغال ويذعرون خيولهم ويطعنونهم برماحهم وبحرابهم ولا تقدر فرسان الانكليز على الوصول
اليهم لقصر سيوفهم ولذلك استجلب الانكليز نحو ستمائة حربة من حراب الاعداء وسلحوا فرسانهم بها
فى تلك الواقعة وقتل من الانكليز فى الطيب ثلاثون وجرح مائة وخمسون وقدرت خسائر العرب بالفين
وثلثمائة قتيل ثم قامت جنود الانكليز من الطيب فى صباح اليوم الثانى قاصدة طوكر فوصلت اليها
ولم تقابل فى طريقها أحدا من الاعداء ووجدت المدينة خالية منهم ليس فيها سوى ٧٠ رجلا سلموا
المدينة بلا قتال ثم بلغ الجنرال جراهم (٢ مارث) ان الدراويش قد تجمعوا فى قرية يقال لها الدبة واقعة
على مسافة خمسة أميال من طوكر فلما قصدها بجيشه لم يجد فيها أحدا وغنم منها مدفعا و ١٥٠٠
بندقية وذخائر كثيرة ومهمات حربية أتلفها بأجمعها ثم عاد الى سواكن واتفق مع الاميرال هيوت
على مخابرة القبائل بالصلح فأرسلوا إلى عثمان دقنه والى سائر المشايخ فأجابهم عثمان دقنه بانه لا يسلم
أصلا وانه لابد من القتال فقصده الجنرال بجيشه فى وادى طماى (١١ مارس) ولما كان فى الطريق
أرسل فرقة من الفرسان لاستطلاع أخبار العدو ثم تقدم بالجيش جاعلا اياه على شكل مربع اتقاء
مفاجأة العدو وحملاته الشديدة الدالة على شجاعته ثم ظهر العرب على بعد فردهم بكرات المدافع
وبعد ان بات فى الطريق وهو على حذر من أن يهجم عليه العرب ليلا تقدم فى الصباح ثم بعث
الخيالة للاستكشاف ولما شاهدت العرب أمرت بالعودة الى ميسرة الجيش ثم ظهر المهدويون
فى عدد عظيم بعد ان ظن الجنرال جراهم أنهم ولوا الادبار وعند ذلك أمر المربع بالوقوف واطلاق
القنابل اما العرب فانهم ثبتوا ثبات الابطال ولم يتزحزحوا من أماكنهم ولما رأى امراؤهم أن
رجالهم خافوا من قنابل الانكليز حملوا فى مقدمتهم وجردوا سيوفهم وصاحوا صيحة واحدة واختاروا
الموت فى القتال عن العيش فى الهزيمة فاشتدت قلوب رجالهم وحملوا معهم وأطلقوا رصاصهم على
المربع وتقدم الانكليز لملاقاة العرب حتى اقتربوا منهم فهجم ضلع المقدمة عليهم بحراب البنادق
وأسرع فى المسير وأما بقية أضلاع المربع فلم تجسر ان تتبعه لاشتغالها بدفع حملات العرب التى
أحاطت بها فاضطرت الجنود الانجليزية ان تمشى الهوينا فانفصل ضلع المقدمة عن المربع فتمكن

العدو

العدو من خرقه بقلوب لاتهاب الموت ثم وقف ضلع المقدمة وحاول القواد أن يصلوه بالمربع فلم يمكن لان العرب كانت التحمت بالانكليز حتى اضطروهم الى التقهقر وترككوا مدافعهم وكثيرا من ذخائرهم التى غنمها العرب وفتك العرب بعسكر الانجليز فتكا ذريعا وقد اندهش قواد الانجليز من مهارة العرب وسرعتهم فى الطعن اما المربع الثانى فانه أخذ فى اطلاق رصاصه على العرب ورغما عن هجماتهم عليه تمكن من التقرب من المربع الاول وحماه وبذلك تمكن المربع الاول من التشكيل ثانية وهاجم المربعان العرب فقتلوا كثيرا منهم وصداهم عن التقدم وبذلك استرجع الانكليز المدافع التى كان غنمها العرب منهم ثم تقدم الجنرال جراهم الى آبار طماى حيث كان الظمأ قد اشتد بالعساكر والخيول ثم عاد الى حصنه وكان العرب فروا وقبل ذلك الى رؤس الآكام وبلغت خسائر الانكليز فى هذه الواقعة خمسة ضباط و ١٥٠ نفرا وجرح ثمانية ضباط و ١٢٠ نفرا اما قتلى العرب فكانت كثيرة جدا وبعد ذلك قفل الجيش راجعا الى سواكن

ولما كان عثمان دقنه هو بطل هذه الوقائع والمحور الذى تدور عليه أعمال العرب الحربية بتلك الاطراف أعلن الاميرال هويت بأن من يأتيه بعثمان دقنه حيا كان أو ميتا فله خمسة آلاف ريال ولما كان هذا الامر يحط من شأن العسكرية الانجليزية صدر الامر بالغائه فألغى وفى ٢٥ مارس تقدم الجنرال جراهم بجيشه حتى وصل بلدة طماتيب ولم يقابله العدو فأحرقها وعاد الى سواكن ثم بارح سواكن ولم يبق بها الابضع مئات لحمايتها من الدراويش وفى تلك الاثناء اشتدت الحالة بحامية كسلا وعدموا القوت وذلك لمحاصرة قبائل الهندندوة لها وكان قائد عساكرها المدعو عفت بك يكرر الطلب بالنجدات ولما كان يتعذر على الحكومة انجاده لكثرة القبائل العاصية وشدة بأسها تقرر ارسال مندوبين أحدهما من قبل الدولة الانكليزية والثانى من قبل الحكومة المصرية الى نجاشى الحبشة حنا كاسه ليعقدا معه معاهدة ينجو بها حاميات جهات عمديب وسنهيت وغيرها من الحصار ويعودوا الى مصر مارين ببلاد الحبشة بمساعدة جنودها فتعين الاميرال هيوت من قبل انكلترة ومازون بك محافظ مصوع بالنيابة عن الحضرة الخديوية وقبل وصولهما شاعت الاخبار بسقوط كسلا ثم عقدا مع النجاشى معاهدة بتاريخ ٣ يونيه سنة ١٨٨٤ مقتضاها تخليص الحاميات المصرية من الحصار بمساعدة جنود النجاشى بشرط ان يستولى الاحباش على ما بتلك المدن من الآلات وذخائر الحرب وان يسلم خديو مصر وملك الحبشة المجرمين الذين يفرون الى بلادهما وان يساعد خديو مصر على تعيين قسس الحبشة من مصر كما هو حاصل ويستولى ملك الحبشة على بلاد بوغوس التابعة لمصر وغير ذلك وأنه لو حدث فيما بعد خلاف بين خديو مصر وملك الحبشة فتكون ملكة الانجليز حكما فيه بينهما وقد أوردنا صورة المعاهدة المذكورة بذيل الصحيفة كعادتنا نقلا عن كتاب قاموس القضاء والادارة (١) هذا

(١) انعقدت المعاهدة بين جلالة ملكة المملكتين المتحدتين بريطانية العظمى وايرلاندا وسلطانة الهند وجلالة يوحنا نجاشى الحبشة والبلاد التابعة له الذى أقامه مولاه عز وجل ملكا على صهيون والجناب العالى محمد توفيق خديو مصر وذلك انه لازالة الخلاف الحاصل بين يوحنا نجاشى نجاشية الحبشة ومحمد توفيق خديو مصر ولاقرار السلم بينهما قد اتفق الثلاثة على عقد معاهدة يجب عليهم وعلى ورثائهم وأخلافهم مراعاة أحكامها وقد تم عقد هذه المعاهدة عن يد الاميرال السير وليام هيوت رئيس عموم المراكب الانكليزية فى الهند الشرقى وقد استنابته جلالة ملكة

ولم تأت المعاهدة المذكورة بكل الفائدة المطلوبة ثم شاع بعد قليل خبر سقوط الحاميات المصرية المحاصرة وأصبحت أحوال شرقى السودان فى هرج ومرج

واعلم انه بعد عقد المعاهدة المذكورة مع ملك الحبشة أرسل الملك حنا كاسه جيشا بقيادة الرأس دهنشوم فأنقذ حامية القلابات فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٨٥ وأرسل جيشا آخر بعد ذلك الى الجيرة فأنقذ حاميتها أيضا (يوليو ١٨٨٥) وأنزل عساكرهما الى مصوع عن طريق بلاده وأما حاميات أمديب وسنهيت فانهما أتاا لاطاقة لهما على نجدة كسلا وخافتا من الحصار فانسحبتا الى مصوع فدخلتاها الاولى فى ١٠ ابريل سنه ١٨٨٥ والثانية فى ١٩ منه وأما مصوع فقد احتلها الايطاليان فى فبراير سنة ١٨٨٥ وأما هرر وزيلع وبربره فقد أرسلت الحكومه رضوان باشا البحرى فأخلاها فى فبراير سنة ١٨٨٥ وسلم هرر الى أمير من سلالة الامراء الذين حكموها قبل دخولها فى حوزة الحكومة المصرية ثم ما سارت الجنود المصرية عنها حتى زحف عليها الملك منليك ملك الحبشة الحالى من شوه فأخذها بلاقتال ولاتزال بيد الحبشة أما زيلع وبربره فقد سلمهما رضوان باشا للانكليز ولازالتا بيدهم الى اليوم تابعتين الى محافظ عدن وأما كسلا فانها بقيت

المملكتين المتحدتين بريطانيا العظمى وارلانده وسلطانة الهند وعن يد جلالة نجاشى نجاشية الحبشة الذى لم يستنب أحدا وسعادة مازون بك محافظ مصوع الذى استنابه جناب خديو مصر المعظم وقد عقدوا هذه المعاهدة بعد الاتفاق على أحكامها (م ١) ابتداء من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة يجوز لكافة البضائع ومنها السلاح والذخائر ان تنقل من والى الحبش على طريق مصوع (م ٢) ابتداء من غرة سبتمبر سنة ١٨٨٤ الموافق اليوم الثامن من ماسكرام سنة ١٨٧٧ ترد الى جلالة نجاشى نجاشية الحبشة البلاد المعروفة ببلاد البوغوس وعند اخلاء جيش الخديو المعظم محامى كسالا وعمديب وسنهيت ترد كذلك الى جلالة نجاشى نجاشية الحبشة وتصير ملكه الابنية الموجودة فى بلاد البوغوس التى هى الآن ملك الجناب الخديو المعظم وترد لجلالته مع هذه الابنية كافة الذخائر ومهمات الحرب التى تكون حينئذ فيها لتكون أيضا ملكه (م ٣) يتعهد جلالة نجاشى نجاشية الحبشة بأن يسهل لجيش الجناب الخديو المعظم الانسحاب من كسالا وعمديب وسنهيت واجتيازاتيوبيا الى مصوع (م ٤) يتعهد الجناب الخديو المعظم بمنح كافة التسهيلات التى يحتاج اليها جلالة نجاشى نجاشية الحبشة فى أمر تعيين قسس حبشيين فى اتيوبيا (م ٥) يتعهد جلالة نجاشى نجاشية الحبشة والجناب الخديو المعظم بأن يسلما لبعضهما المجرم أو المجرمين الذين يفرون من بلاد أحدهما الى بلاد الآخر للتخلص من المعاقبة (م ٦) يتعهد جلالة نجاشى نجاشية الحبشة بتحكيم جلالة ملكة انكلترة فى تسوية كل خلاف عساه أن يحصل بينه وبين الجناب الخديو المعظم فيما بعد التوقيع على هذه المعاهدة تسصدق على هذه المعاهدة جلالة ملكة بريطانية العظمى وارلاندا وسلطانة الهند وجناب خديو مصر المعظم ثم ترسل الى ادوا فى أقرب ما يمكن من الوقت — بعد ان عملت هذه المعاهدة بادوا فى الثالث من يونيو سنة ١٨٨٤ الموافق ٢٧ من جونفت سنة ١٨٧٦ قد وقع عليها وختمها بأختامهم السير وليام هيوت بالنيابة عن جلالة ملكة بريطانيا العظمى وارلاندا وسلطانة الهند وجلالة نجاشى نجاشية الحبشة بالنيابة عن نفسه وسعادة مازون بك بالنيابة عن جناب خديو مصر المعظم ختم جلالة النجاشى

الامضا هيوت الامضا مازون

وافقنا وصدقنا على المعاهدة المبينة آنفا بعد الاطلاع عليها والنظر فيها وتكون أحكامها مرعية الاجراء بأكملها وللاعتماد قد تحرر هذا موشحا بتوقيعنا عليه

تحريرا فى سراى عابدين ٢٥ ستمبر سنة ١٨٨٤ الامضا محمد توفيق

بأمر الحضرة الخديوية رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية

الامضا نوبار

تحت

تحت الحصار وعجز الملك يوحنا عن نجدتها وكانت النجدات تأتى المحاصرين من أم درمان ومن عثمان دقنه ومع ذلك فقد كان فى وسعها اطالة مدة الحصار لقوة استحكاماتها ولان الزاد نفد منها وأكل الناس اللحوم المحرمة ويئسوا من النجدة فاضطروا الى التسليم بعد ان صبروا صبر الكرام وذلك فى ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٥ وأما مديريات خط الاستواء فكانت المواصلات بينها وبين جميع أملاك الحكومة الخديوية منقطعة فاضطر نوبار باشا الى اصدار أمر الى مديرها أمين باشا بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ أطلق له فيه حرية العمل فيما يتخذه من الوسائل وأشار اليه بأخذ ما يلزمه من النقود من السرجون كيرك (Sir John Kirk) قنصل جنرال انكلتره فى زنجبار ولاهمية هذا الامر فى المسائل السودانية أدرجناه فى أسفل الصحيفة لتمام الفائدة (١)

تشديد الحصار على غوردون باشا فى الخرطوم — لقد تعجب الناس من أعمال محمد أحمد المهدى وتصرفاته فى أمر محاصرة الخرطوم بعد ان علم الغرض من مأمورية غوردون باشا وهو اخلاء عموم السودان من الجنود والمأمورين المصريين واعادة حكم الامراء وهو الامر الذى يسعى اليه المهدى ولكن يظهر انه كان يريد الزام غوردون والمأمورين المصريين والجنود باتباع دعوته ومبايعته بالمهدية ولو بسفك الدماء وانه يخشى ان يأخذ المصريون لدى عودتهم المهمات والذخائر والامتعة التى كانت الدراويش تحارب من أجلها كما قضت به شرائع المهدى الذى أثرت دعوته فى عقول أغلبهم وأرسل غوردون وهو محاصر رسالة الى السر صموئيل بيكر (٨ ابريل ١٨٨٤) يقول له فيها انه عنده من المؤن والذخائر ما يكفيه خمسة أشهر وان المحاصرين له يبلغ عددهم ٢٥٠٠ ولما بلغ غوردون ان الحكومة الانكليزية لاتنوى ارسال جنودها لاغاثته بعث الى السر صموئيل بيكر يقول ألا يقرضنا أغنياء الانكليز والامريكيين ٢٠٠,٠٠٠ ليره فنستأجر بها ألفين أو ثلاثة آلاف من جنود الدولة العلية ونرسلهم الى بربر ثم بعث برسالة برقية الى السر افلن بارنج يقول فيها علمت منك أن قصدك أن لاتمدنا بنجدة الى هنا أو الى بربر وأمسكت عنى الزبير فلذلك أرانى حرا أن أفعل بحسب مقتضيات الاحوال فسأخمد الثورة اذا استطعت والا فانى أذهب الى خط الاستواء ويبقى العار على الذين أهملوا حامية سنار وكسلا وبربر ودنقله على انه لاحق العلم انه لابد لكم من محاربة المهدى وقهره فى ظروف وعرة وأحوال عسرة اذا كان قصدكم حفظ السلام والطمأنينة فى القطر المصرى وقال مسيو هتس رزر فى كتابه وأعقب غوردون ذلك بعبارات التقريع على السر ملت وكولفن والسر شارلس ديلك الذين يتهمهم غوردون بانهم سبب هذه

(١) مصر فى ١٣ شعبان سنة ١٣٠٢ (٢٧ مايو سنة ١٨٨٥)
الى سعادة أمين باشا حاكم جوندوكرو ان ثورة السودان اضطرت حكومة الجناب العالى الخديوى الى ترك هذه الجهات وبناء على ذلك فليس فى استطاعتنا أن نبعث اليكم بأقل مدد ومن جهة أخرى فنحن لاندرى ماهى الحالة التى صرتم اليها أنتم ومن معكم ولهذا يتعذر علينا رسم الخطة التى يجب أن تتبعوها وهذه الرسالة التى ستصلكم من طريق زنجبار بواسطة السرجون كيرك قنصل جلالة الملكة فكتوريا فى زنجبار نقصد بها ان نترك لكم حرية العمل بمقتضى ماترونه موافقا لحالتكم وانما نخبركم أن تحصلوا على النقود اللازمة لكم بواسطة حوالات على السرجون كيرك وأكرر لكم القول بأنكم مطلقو الحرية فى عملكم حتى تصلوا أنتم ورجالكم على الوجه الاحسن من الحالة التى أنتم فيها وأحسن طريق تتبعونها اذا كنتم مصممين على مبارحة جوندوكرو هى الطريق الموصلة الى زنجبار فاذا اعتمدتم على الرحيل أو البقاء فاخبرونا ٠

رئيس مجلس النظار
نوبار باشا

الاحوال المحزنة ثم كتب اليه السير بارنج ينصحه بمبارحة الخرطوم والعودة الى مصر فغضب غوردون من هذه الفكرة وكتب اليه يقول انه لايمكنكم استدعائى من هنا وانه يستحيل على اطاعتكم الا اذا بارح جميع المستخدمين المصريين هذا المكان فانى عينت منهم فى عدة وظائف وصاروا بذلك معلومين لدى المهدى ومحل انتقامه فبأى وجه أقابل العالم لو تركتهم وتعلقت باذيال الفرار اه وهى همة وشفقة عظيمة من غوردون أثابه الله عليها ولما علم الضباط والجنود بالخرطوم نية الحكومتين الانجليزية والمصرية وشاهدوا قوة المهدى ونفوذه مال بعضهم سرا الى معاضدته ليأمن على نفسه ومن ذلك انه لما أراد غوردون خلاص حامية بلدة حلفاية قاومه عرب الشايقية بخيانة اثنين من الباشاوات السودانيين كان أرسلهما تحت قيادة الكولونيل ستيوارت فهربت عساكرهما وجرح ستيوارت (١٦ مارث) وهرب سكان حلفاية فرارا من القتل وثار الباشبوزق وغردوا ولما ظهرت ادانة الباشيين المذكورين ضربهما غوردون بالرصاص ثم تمكن غوردون من تخليص حامية حلفاية ثم ثارت البلاد التى بين بربر والخرطوم واشتد الامر على غوردون الذى لما رأى ان الزاد قارب الفراغ من الخرطوم أباح للذين يريدون الخروج منها أن يخرجوا وقال سلاتين باشا فى كتابه ولو فعل ذلك قبل ان يقل الزاد لامكنه أن يحفظ المدينة الى حين وصول النجدة ولكن شفقته على المستضعفين أوردته وجنوده المهالك وفى تلك الاثناء حاصر العصاة بربر فأرسل مديرها حسين باشا خليفة رسالة برقية (٢٠ ابريل سنة ١٨٨٤) الى مصر يقول فيها ان الاهالى فى هرج ومرج والعصاة محدقة بنا من كل جانب فاهتمت الحكومة بامر بربر واتفق الماجور كتشنر باشا مع قبائل العبابدة على انقاذها وأرسل المستر كوزى (Cuzzi) وكيل قنصلاتو انكلترة فيما يقول انهم صاروا على أسوان وأعقب ذلك رسالة برقية يقول فيها انه خرج من بربر قاصدا كروسكو وان حلفاء المهدى دخلوا بربر من جنوبها وشرقها وأما حسين باشا خليفه فبقى محصورا فى السراى وكان غوردون يتهم كوزى المذكور باسقاط مدينة بربر بالخيانة وبعدما استفحل أمر العصاة فى السودان وانحلت شوكة الحكومة المصرية فى أطرافها تنبهت الحكومة الانكليزية الى ضرورة انقاذ غوردون لئلا تتهم بالجبن فارسل ارل غرنفيل ناظر خارجيتها الى المستر اجرتون (Edwin H. Egerton) فى القاهرة بتاريخ ٢٣ ابريل بأمره بارسال رسالة برقية بالارقام الى غوردون يسأله فيها عن القوة اللازمة لخلاصه من الخرطوم وعن مقدارها وطريقها الى الخرطوم وزمان ارسالها ففعل وفى أوائل مايو ابتدأ الانكليز فى التجهيزات الحربية وبعد أيام صدرت الاوامر الى جيش الاحتلال بمشترى ١٢,٠٠٠ جمل للحملة وكانت بعض أورط الجيش المصرى الجديد سافرت الى أسوان ولحقها باقى الاورط تحت قيادة الجنرال غرنفل وفى ١٩ ابريل قتل المهديون حامية شندى بينما كانت تحاول الوصول الى بربر وبعث مصطفى بك ياور (الآن باشا) مدير دنقلة رسالة برقية يطلب من الحكومة ان تمده بالرجال فأجابته بعدم امكان ارسال المدد وانه اذا لم يستطع مقاومة العصاة برجاله فليهجر المدينة فأبى أن يترك مركزه وبعث ثانية يطلب من الحكومة مددا ويقول اذا أنجدتمونى بسبعة آلاف عسكرى فانى أعود فافتح السودان وكان غوردون بعث له (شعبان سنة ١٣٠١) بكتاب يستعلم فيه منه عن مكان عساكر الامداد وهذه صورته الى (مدير دنقلة) — الخرطوم وسنار فى غاية الحفظ وحامله محمد أحمد يعطيكم الاخبار فبوصوله عندكم أعطوه كامل حوادث

جهة وجود عساكر الامداد ومقدارهم والخرطوم به ثمانية آلاف عسكرى والنيل أخذ كثيرا فى الزيادة وسلموا رافعه ومائة ريال مجيدى من الميرى فى ٢٨ ش سنة ١٣٠١ غردون ولما سقطت بربر قوى أمر المهدويين وترددت رسلهم بين حلفا ودنقلة وكروسكو يحضون القبائل على العصيان ثم أخذت القوة العسكرية الانجليزية فى الزحف على الخرطوم

حملة الانكليز على الخرطوم لتخليص غوردون باشا — لما رأت الحكومة الانكليزية ضرورة تسيير حملة الى الخرطوم لانقاذ غوردون جهزت الجيوش وأعدت المعدات وشيدت كثيرا من الصنادل والزوارق البخارية لتسير فى النيل وبذلت الحكومة الانكليزية والمصرية ما فى وسعهما لسرعة إرسال الحملة فأرسلت الحكومة الخديوية من بواخرها النيلية ستا الى ما فوق الشلال الاول وجعلت ١٥ أخرى تسير ما بين أسيوط وأسوان واستجلبت من انجلترة عدة من بحارة كندا وافريقية لمعرفتهم بالملاحة فى الانهر والبحيرات ولما استعدت التجريدة عهدت قيادتها الى لوردولسلى وكان عددها ١٥٠٠٠ مقاتل من كل الاسلحة وانضم اليها الجيش المصرى الجديد وفرق من جيش الاحتلال وكانت الاوامر المعطاة الى لوردولسلى من حكومته هى أولا تخليص غوردون باشا والكولونيل ستيورت ومتى تم له ذلك لا يتوغل فى أراضى السودان خطوة سواء كان لانقاذ كسلا أو سنار أو غيرهما لأن رأى الحكومة الانكليزية هو أن تستقل السودان عن مصر وتعود حدود القطر المصرى الى وادى حلفا وثانيا أن يؤسس حكومة فى الخرطوم خصوصا والسودان عموما تدبر أمورها بعد انسحاب حامية الخرطوم وأعلنته حكومته فى ختام التعليمات أن الحكومة المصرية تعين مبلغا كافيا من النقود الى من يتعهد بادارة أمور السودان وحفظ الراحة فيه لمنع التعدى عن أراضى مصر وتنشيط التجارة بين البلادين ومنع الاتجار بالرقيق منعا تاما وبينما القوة المذكورة سائرة شاع مجىء أسطول غوردون الى شندى ومنها الى بربر لاحراقها ثم تقدم كتشنر باشا وكان فى مقدمة الجيش لاستطلاع أحوال السودانيين وعلم اطلاق سفن غردون الثلاث على بربر وأرسل خبرا بذلك قال فيه أيضا ان الباخرة التى فيها الكولونيل ستيورت رفيق غوردون شحطت بين الشلال الرابع والخامس فانقض عليه الاعداء وقتلوه هو ومن كان معه وكان رافقه أيضا المستر فرنك پور (Frank Power) قنصل انكلترة فى الخرطوم ومكاتب التيمس والموسيو هربن (Herbin) قنصل فرنسا فيها (١٨ سبتمبر ١٨٨٤) وطلب من هؤلاء الثلاثة أن يسيروا الى دنقلة ويكتبوا تقريرا عن حالة السودان الحقيقية والسعى فى إنقاذ غوردون والاهالى المصريين وبعد ضرب بربر عادت السفينتان الباقيتان الى الخرطوم مع خشم الموس باشا ثم لما وصل لوردولسلى الى وادى حلفا عهد الى فرقة المهندسين بمد سكة حديدية بين حلفا وسرس على مسافة ٣٠ ميلا ولما وصل الى دنقلة سلم لمديرها مصطفى باشا ياور نيشانى سان جورج وسان ميشيل المنعم عليه بهما من ملكة الانكليز مكافأة له على خدماته فى حفظ دنقلة وجهاته افصار من يومئذ يلقب بالسير مصطفى ياور ثم وردت رسالة من غوردون الى لوردولسلى تاريخها ٤ نوفمبر يقول فيها انه لا يقدر على حفظ الخرطوم اكثر من أربعين يوما ويشير عليه بالمجىء برجاله عن طريق امبو كول فالمته فأسرع لوردولسلى لذلك فى السير خوفا من سقوط الخرطوم فجدت العساكر فى السير برا وبحرا ولما وصل كورتى (١٦ ديسمبر) قسم جيشه قسمين جعل القسم الاول منه تحت قيادة الجنرال أرل (G. Earle) وكان يتألف

من ٢٢٠٠ نفر معه ٢٨٠٠ جمل و ٤٠٠ حصان وأمر بالسير في طريق النيل ومعاقبة الذين قتلوا الكولونيل استيورت فسار الى أبوحمد لفتح طريق العطمور لسهولة النقل وجعل القسم الثانى تحت قيادة الجنرال سير هربرت ستيورت (Sir Herbert Stewart) وأمره بفتح طريق الخرطوم المارة بالمتمة وكان هذا القسم يتألف من ٢١٠٠ نفر معه ٢٠٠٠ جمل فسار الجنرال ستوارت (٣٠ ديسمبر) في فرقة من الجند لاستكشاف أحوال الآبار الواقعة في عطمور بيوضه ثم زحف على المتمة فوصل آبار جكدول (١٢ يناير) وبارحها بعد يومين تاركا فيها حامية قليلة وبعد يومين وصل الى شلال أبى طليح وبعث طليعة للاستكشاف فعادت وأخبرت بوجود خيام وأعلام للدراويش معسكرة على مسافة ميلين غربى تلك الآبار فأمر الجنرال بالمبيت هناك وفى اليوم الثانى جعل جيشه على شكل مربع وأمر رجاله أن يترجلوا ويتركوا مطيهم في الزريبة مع باقى دواب الحملة وترك لحراستها ١٥٠ جنديا وتقدم بالمربع لامتلاك الآبار لان الماء لا يلبث أن ينفد من معسكرهم وبعد مسيرة ساعة هجم عليه الدراويش فصدهم وبعد تقهقرهم استولى على الآبار المذكورة وثانى يوم استقدم من كان بالزريبة وفى ١٧ يناير بارح آبار أبى طليح تاركا سرية صغيرة لحمايتها وقصد المتمة حيث ينزل على النيل الى الخرطوم وكانت العساكر قد أعياها تعب النهار وسهر الليل وهلك من الجمال عدد وافر والحاصل ان الجيش أصبح في حالة سيئة وفى صباح يوم ١٨ منه وجد أن النيل يبعد عنهم ستة أميال والمتمة الى جنوبهم ولم يكد الجيش يقف حتى سمع أصوات طبول السودانيين آتية نحوه من المتمة كأنهم عالمون بقدومه فأخذ الجيش يتقدم حتى صار على أربعة أميال من النيل ثم أمر الجنرال ببناء زريبة وحال العدو بينه وبين النيل وأخذ يطلق النار عليه من خلف الأشجار والصخور وقبل أن تتم الزريبة اشتدت نيران العدو فشكل الجنرال المربع ثم وقف خلف المدافع وبيده النظارة يراقب حركات العدو فأصابته رصاصة جرح منها جرحا بليغا مات به وكان بجانبه المستر سن لجر هربرت (St. Leger Herbert) فأصيب هو أيضا برصاصة مات بها ففى الحال تولى القيادة الكولونيل سير شارلس ولسن (Sir Charles Wilson) رئيس قلم المخابرات وسار المربع قاصدا النيل مهاجما السود ببسالة غريبة فردهم منهزمين بعد جهد جهيد وأدرك المربع النيل أخيرا وعسكر على ضفته وفى الصباح أقبلت العساكر التى كانت في الزريبة ثم انتقل الجيش الى قرية جنوبى المتمة تسمى القبة وقد بلغت خسائر الانجليز عددا كبيرا وبعد قليل رأى الانكليز العلم المصرى يخفق على ثلاث بواخر قادمة في النيل من جهة الخرطوم فعلموا ان غوردون أرسل هذه البواخر لنقل العساكر الى الخرطوم فلما وصلت وجدوا بها ٢٥٠ جنديا من الباشبوزق وأربعة مدافع فانضموا اليهم لمساعدتهم واذا بباخرة أخرى وصلت من الخرطوم بالمهمات والذخائر وكان بالبواخر التى وصلت من الخرطوم خشم الموس باشا ومن الضباط الكبار محمد نصحى بك (الآن باشا) ومحمود بك طلعت وأحضروا معهم كتبا عديدة من غوردون وأخبروا ان الخرطوم في ضنك شديد واذا لم تصلها النجدة يخشى من سقوطها وكتب غوردون يقول ان رجلا يسمى فرج باشا السودانى وكان غوردون رقاه الى وظيفة مهمة في الخرطوم وسلمه قيادة قسم من الحامية قد خانه سرا وهو الآن يخابر الاعداء ليسلم لهم المدينة وقال انه قادر على الفرار بنفسه ولكنه لا يحب أن ينجو وحده ويترك الحامية للهاجين

(٢١ يناير

(٢١ ينايرسنة ١٨٨٥) عند ذلك تجهز السر شارلس ولسون وسافر الى الخرطوم فى مراكب غوردون بعد ان أصلح آلاتها اللورد شارلس بريسفورد (Lord Charles Beresford) الميرالاى البحرى الذى كان رافق الحملة (٢٤ ينابر) واستصحب معه عشرين جنديا من الانكليز ومائتين من السودانيين وثانى يوم صدمت الباخرة التى كان فيها ولسون صخرا فوقفت يوما بتمامه ثم استمروا فى السير وبعد قليل رأوا رجلا من قبيلة الشايقية يناديهم من الشاطئ الشرقى ويقول ان الخرطوم قد سقطت منذ يومين فلم يصدقه ولذلك تقدم هو ومن معه بالباخرتين حتى قربوا من جزيرة توتى القريبة من الخرطوم فأطلق عليهم السودانيون المدافع ثم نظر ولسون الى الخرطوم فرأى جنود المهدى تمرح فيها واعلامه تخفق فوق حصونها فعاد بالباخرتين وقد لامه ضباط الانكليز على تأخره وعدم ذهابه حال وصول مكاتيب غوردون قال سلاتين باشا فى كتابه النار والسيف ما ملخصه وكان غوردون قد أرسل خمس سفن من سفنه البخارية الى المتمة بقيادة خشم الموس وعبد الحميد ولد محمد لكى تنتظر الجيوش الانكليزية فيها وكان واثقا ان النجدة تأتيه ولهذا لم يقتر بما عنده من الزاد فلما أبطأت النجدة وكاد الزاد يفرغ من الخرطوم وكان المهدى علم ان طليعة الجنود الانكليزية التقت بجنوده فى أبى طليح وقتلت منهم ألوفا وفى جملة الذين قتلوا موسى ولد حلو أخو الخليفة وغير ذلك خاف العاقبة واجتمع بقواده وقرر رأيهم على بذل المجهود فى فتح الخرطوم قبل وصول الجنود الانكليزية وخرج هو وخلفاؤه وقطعوا النهر وجعل يحث رجاله على الجهاد ويعدهم بفردوس النعيم وأمرهم أن لا يصيحوا بل يهاجموا المدينة صامتين حتى لا يشعر بهم أحد ثم قفل راجعا ففعل رجاله بأمره وباغتوا الخرطوم صباح يوم ٢٥ يناير وأعملوا السيف فى أهلها فانحلت عزائم الجنود ورموا سلاحهم من أيديهم وفتحت أبواب المدينة ودخلها الدراويش وهجموا على سراى الحكومة ووضعوا السيف فيمن فيها ولاقاهم غوردون على سلم الديوان وقال لهم أين سيدكم المهدى فطعنه واحد منهم برمح فخر على وجهه ولم يفه بكلمة ثم جروه الى ساحة السراى وقطعوا رأسه وأرسلوه الى المهدى فقدموها اليه فى منديل وأوروها الى سلاتين باشا وقال لهم المهدى كنت أود أن تأتونى به حيا مدعيا انه كان يأمل أن يسلمه للانكليز ويستبدل به أحمد عرابى فيساعده على فتح مصر اهـ هذا ولما سقطت الخرطوم أرسل المهدى المكاتيب للاقاليم والاطراف يخبرهم بفتح الخرطوم وقد عثرنا على صورة الكتاب الصادر منه بذلك الى عامله على بحر الغزال وخط الاستواء فأدرجناه بحروفه (١) وبعد سقوط الخرطوم

(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى حبيبه وعامله كرم الله بن الشيخ محمد تولاه الله بلطفه وحرسه بعين عنايته آمين منا لكم جزيل السلام ورحمة الله وبركاته ثم أعرف الحبيب انه بمقتضى وعد الله الوفى ولطفه الخفى قد صار فتوح مدينة الخرطوم بعون الحى القيوم وذلك يوم الاثنين الموافق ربيع آخر سنة تاريخه بعد انفلاق الصبح بواسطة أنصار الدين فقد استعدوا واقتحموا الخندق توكلا على رب العالمين فلم يكن قدر ربع ساعة أو أقل الا وحل بأعداء الله ما حل من قطع دابرهم عن آخرهم وحصارهم مع شدة استعدادهم وفى أول الصدم ولوا الادبار منهزمين بين يدى جند الله الانصار ظانين السلامة بدخولهم الحيشان وغلق أبوابها فاتبعوهم ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح حتى كثر الصياح واشتد الانين وجندلوهم فى الحين ثم استحصلوا على الباقين الذين غلقوا الابواب خشية من نزول العذاب فأخذوا وقتلوا تقتيلا ولم تبق لهم بقية الا القليل من الموالى والذرية وأما عدو الله الغردون فعلى قدر ما أنذرناه ولاطفناه بأن يرجع ويتيب الى

جاء الدراويش الى فرج باشا السودانى وسألوه أن يدلهم على الخبايا التى فيها نقود غوردون وباقى تجار الخرطوم فأقسم لهم انه لم يكن عند غوردون نقود وأنه لا يعرف أين خبأ التجار أموالهم فقالوا له أنت تكذب ومرادك أن تحرز النقود كلها لنفسك لأنه إذا لم يكن عند غوردون نقود ولا فضة فمن أين اصطنع كل هذه النياشين الفضية فان لم تدلنا على كنوز غوردون والتجار قتلناك فعاد وأقسم لهم قسمه الاول وقال ان النياشين التى ترونها هى رصاص وليست فضة فان الفضة قد نفدت من غوردون منذ زمان طويل وكان فى أواخر أيامه يعامل الناس بالورق عوضا عن النقود (١) ثم ذكرهم بما صنع معهم من المعروف بفتحه لهم أبواب المدينة وتسليمهم اياها فهجم عليه أحدهم وضربه بسيفه فقتله هذا أما السير شارس ولسن فصادفه فى عودته صعوبات وكسرت باخرته فبعث زورقا الى المعسكر الانكليزى فى أبى كرى وبقى هو فوق الصخور فسار اللورد شارلس برسفورد فى باخرة وأنقذه بعد صعوبة شديدة

اما فرقة الجنرال أرل فانها بعد ان سافرت من كرتى على خط النيل ووصلت الى كربكات الكائنة قرب جزيرة دلكنه بعد المشاق (٩ فبراير) علمت أن السودانيين قريبون منها فأمر الجنرال ببناء زريبة وبينما كانوا يتممون بذلك أقبل العدو من الشلال فصف الجنرال جيشه على هيئة قولين متوازيين وتقدم على العدو وأحاط به ولكن مركز العدو كان حصينا وبعد مناوشات بالبنادق استصوب الجنرال الهجوم وأمر جنوده بتركيب السنج فتمكنوا من اخراج السود من خلف الصخور وتقدم الجنرال الى كوخ صغير كان هناك ليعلم ما بداخله فوثب عليه أحد العصاة ورماه برصاصة فى رأسه ثم ضربه بالبندقية فوقع قتيلا يتخبط فى دمه واستلم بعده الجنرال بركنبرى (G. Brackenbury)

الله فلم يكن يقمل لسبوق شقاوته وزيادة غباوته حتى بلغ أجله منتهاه وحصد بالندامة ما زرعه من خطاياه وأسكنه الله دار غضبه التى ساءت مستقرا ومقاما فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فويل لمن كانت النار جزاءه وهنيأ لمن كانت الجنة مسكنه ومأواه جعلنا الله واياكم من الفائزين آمين برضاه الاكبر وعظم خيره المستقر وقد فاز بالشهادة عشرة من أصحابنا فى هذا الفتوح ولم يصب من الباقين شئ من جراح أو نكبة وذلك الفضل من الله وما النصر الا من عند الله ومجد ما شكر الله على نصرة الدين فاعلموا أنتم كذلك والسلام ١٢ ربيع أول سنة ١٣٠٢

الامضا وختم عامل المهدى على بحر الغزال وخط الاستواء

الحقير كرم الله

(١) وها هى صورة قائمة من تلك القوائم منقولة عن كتاب المهدى والانكليز المطبوع بلندره سنة ١٨٨٥



خمسة غروش ميرى

١٤١٥٠

هذا المبلغ مقبول ويجرى دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضى ستة شهور من تاريخه

٢٥ ابريل سنة ١٨٨٥ الختم غوردون باشا

قيادة الجيش وأمر العساكر بالهجوم على الاعداء فهزمهم وبذلك انتهت الواقعة وكان قتلى الانجليز غير الجنرال ارل اثنين من أعاظم الضباط وسبعة عساكر أما الجرحى فأربعة ضباط و ٤١ جنديا كذا وردفى أخبارهم وكان اللورد ولسلى أرسل الجنرال بولر (Sir Redvers Buller) ليستلم قيادة الجيش مكان الجنرال ستيورت بعد قتله وأمره بفتح المتمة وكان الانكليز أرسلوا جيشا آخر تحت امرة الجنرال براهم الى سواكن لفتح طريق بربر ومد طريق حديدى ولم يتمكنوا من مد قطعة منه الا بعد المشاق العديدة حيث كانوا يقاتلون فى أثناء العمل عربان قبيلة الهدندوه وفى أوائل مايو من سنة ١٨٨٥ جاء لورد ولسلى الى سواكن وتفقد موقعها وحصونها ثم لما رأت انجلترة ان محاربتها للسودانيين قليلة الجدوى سيما وان أهل السودان قاموا بأجمعهم قررت اخلاء البلاد السودانية من عساكرها وقالت بعض جرائدها ان ذلك كان لاسباب استدعتها سياستها الخارجية فأصدر لورد ولسلى الى جميع الفرق الانكليزية الاوامر بالانسحاب من السودان فقلق أهالى دنقله خصوصا لهذا الامر حيث كانوا عائشين فى راحة تحت حكم حكام مصر وهاجر منهم ومن أغلب الجهات السودانية الى مصر عدد كبير خوفا من الاضطرابات الحاصلة فى السودان ولما خافت مصر على حدودها من مهاجمات عساكر المهدى أرسل المرحوم توفيق باشا أخاه المرحوم الامير حسن باشا الى الحدود السودانية (٢٥ فبراير سنة ١٨٨٥) لمخاطبة رؤساء القبائل الثائرة ودعوتهم الى الطاعة فلبث فى الحدود بجهات حلفا زمنا (١) ثم عاد على غير طائل ويظهر مما رواه البعض اذذاك ان مأموريته هذه لم تكن ترضى الحكومة الانجليزية ولما احتلت العساكر الانجليزية سواكن ابقوا فيها العدد اللازم من الجنود للدفاع عنها وتحصن الجيش المصرى فى وادى حلفا وكروسكو واسوان للدفاع عن مصر وقام الجنرال غرنفل باشا الذى خلف الجنرال سرافلن وود فى سردارية الجيش المصرى فأنشأ هناك الحصون اللازمة وعين نقط الدفاع ولما تم ترك السودان للدراويش كان المهدى لا يزال فى حصن أم درمان يجهز جيوشه ويعد معداته لافتتاح الديار المصرية ولما جاءه عثمان دقنه مهنئا بخروج الجيوش الانكليزية أهداه سيفا وجدد معه التحالف قال سلاتين باشا لما بلغ المهدى ان الانكليز تركوا السودان طابت نفسه وأيقن ان البلاد صارت له وجمع رجاله وقال لهم ان الله نقب ما مع الانكليز من القرب فانسال الماء منها وماتوا عطشا اهـ وقد استبقى المهدى كثيرين من

(١) الامير حسن باشا هذا ولد سنة ١٨٥٥ والتحق فى مدرسة الانجال (١٨٦٣) وبعد ان ربى فيها سافر مع اخوته لاكمال التعليم فى مدارس أوروبا وبعد اتمام التعليم رجع الى مصر فالحقه والده فى الوظائف العسكرية وكان ميالا اليها بطبعه ثم بعثه مع الجيوش المصرية فى حرب الحبشة (١٨٧٥) كما سبق وبعد عودته قاد الجيش المصرى فى حرب الروسيا (١٨٧٧) وأحرز فى خلالها أرفع نشانات من الدولة ولما عاد منها قوبل فى مصر باحتفال شائق ثم سافر مع جناب والده المرحوم اسمعيل باشا الى نابولى (١٨٧٩) وبقى فى أوروبا الى أن أذن له بالعودة الى مصر (١٨٨٣) وبعثه أخوه الخديو السابق المرحوم توفيق باشا من قبله الى البلاد السودانية كمأمور فوق العادة لتطويع أهاليها (١٥ فبراير ١٨٨٥) وبعد رجوعه من هذه المأمورية توجه الى دار الخلافة وهناك شرفه جلالة مولانا السلطان بتقليده وظيفة ياور لجنابه الملوكى وفى أثنائها أذن السلطان للخديو الاسبق اسمعيل باشا بالاقامة فى سراى أميركون بالاستانة فحضر اليها مع عائلته وبعد قليل أصيب الامير حسن باشا بمرض لم يمهله طويلا فمات فى يوم ٢٣ مارث سنة ١٨٨٨ وأمر جلالة السلطان بنقل نعشه الى مصر حسب وصيته فنقل على باخرة عثمانية وجاء معه أحد قرناء الحضرة الشاهانية ودفن فى مشهد النبى دانيال فى ثغر الاسكندرية باحتفال باهر

ضباط مصر وحكامها الذين كانوا مع غردون و بجهات انحاء السودان وكان ممن استبقاه حسين باشا خليفه وجعله أميرا على عربان العبابدة الا أنه انتهز الفرصة بعد قليل وفر الى مصر فرتبت له الحكومة المعاش اللازم وفى تلك الأثناء كتب شر مسيد باشا الى الملك يوحنا ملك الحبشة يعرض عليه عشرة آلاف بندقية فى مقابلة انقاذه حامية كسلة ولكن أتى هذا الأمر متأخرا حيث سقطت كسلة بعد حصار طويل وذبح الدراويش حاميتها ثم انسحبت العساكر المصرية من سنهيت الى مصوع فدخلها الأحباش وأخلى المصريون أيضا هرر وعادوا الى زيلع وعينت الدولة الانجليزية من قبلها حاكما لهرر كما تقدم وتسلم جميع المبانى وأملاك الحكومة المصرية هناك وكانت شيأ كثيرا ثم وصلت حامية القلابات مع البكباشى سعد أفندى رفعت الى مصوع ومرض المهدى مرضا شديدا ولم يعبأ أحد بمرضه لانه كان يدعى أن النبى عليه السلام أخبره بأنه سيفتح مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يموت فى الكوفة وقال سلاتين باشا فى كتابه ولما اشتد مرض المهدى بالحمى المحرقة قال لمن حوله ان النبى اختار الخليفة عبد الله التعايشى ليخلفنى بعد موتى فأطيعوه كما كنتم تطيعونى ثم تشهد ووضع يديه على صدره وأسلم الروح (١) وكان الخليفتان الآخران وأقارب المهدى حضورا فبايعوا الخليفة عبد الله فوق جثته الى أن قال وكان المهدى يأمر بالزهد فى الدنيا وينهى

---

(١) محمد أحمد المهدى هذا ولد فى قرية تسمى الخناق بالقرب من الشلال الثالث سنة ١٨٤٣ ميلادية وقيل انه ولد بجزيرة ارقو من أعمال دنقله من عائلة فقيرة تدعى انها من الاشراف الحسينية وكان أبوه فقيها فعلمه القراءة والكتابة وسار به الى الخرطوم وهو صغير فمات أبوه فى الطريق ولما عظم شأن ابنه بنى له قبة على قبره تسمى اليوم بقبة السيد عبد الله ويقال ان محمدا أحمد حفظ القرآن الشريف وهو فى سن الاثنتى عشرة سنة ولما أراد عمه ان يعلمه حرفته وهى بناء المراكب وكان ساكنا بالقرب من سنار قضربه ذات يوم ففر من عنده وأتى الخرطوم وعكف على درس علم التفسير ثم مضى الى بربر وانتظم فى حلقة محمد الخير فاتم دروسه ثم عاد الى الخرطوم وانتظم فى حلقة الشيخ محمد شريف ابن الشيخ نور الدائم ابن الشيخ الطيب من شيوخ الطريقة السمانية فاخذها عنه ثم انتقل الى جزيرة عبة (أوابا) فى النيل الابيض ومكث فيها خمسة عشرة سنة منقطعا الى العبادة ومطالعة الكتب الدينية فانتشر خبره بالصلاح والورع فتقاطر عليه الطلبة وكان بعضهم يعيش من زرع الارض ومن الصدقات ثم حصل بينه وبين شيخه محمد شريف خلاف فاخبر محمد أحمد تلامذته ان الشيخ محمد شريف طرده بتاتا وانه عازم على الالتجاء الى الشيخ القريشى وهو أيضا من شيوخ الطريقة السمانية وكان بينه وبين الشيخ محمد شريف منافرة شديدة ولما بلغ ذلك الشيخ محمد شريف استدعى محمدا أحمد ووعده بالصفح فابى قائلا انى لا أريد أن تتدانى لذنفلاوى مثلى وذهب الى الشيخ القريشى فرحب به فاشتهر مادار بينه وبين شيخه الاول واستعظمه الناس ثم أذاع محمد أحمد انه انفصل من شيخه المذكور لانه وجده يخالف الشريعة والسنة فاستصوب الكثيرون فعله هذا وبلغ صيته بلاد دارفور ولما عاد محمد أحمد الى بيته فى آبا جاءه الزوار من أطراف البلاد بالهدايا فقبلها منهم شاكرا وفرقها على الفقراء زهدا فدعى بالزاهد ثم جاء بلاد كردفان وألف رسالة دعا بها المؤمنين الى تطهير البلاد من مفاسد الحكام ووزعها على أخصائه سرا ولما مات الشيخ القريشى بنى له محمد أحمد قبة على قبره وأتاه وقتئذ عبد الله بن محمد التعايشى (سمى بالتعايشى نسبة الى قبيلة من البقارة) وانتظم فى طريقته وأقسم له بيمين الطاعة وكان اسم محمد أحمد قد اشتهر بانه عازم على تطهير الارض من المفاسد وأطلعه التعايشى على أحوال القبائل واستعدادهم للقيام على الحكومة باقل اشارة وكان محمد أحمد تزوج بعدة من بنات المشايخ ذوى الجاه والنفوذ وذلك رغبة فى اشتداد ازره وتعزيز نجدته وعزوته لطامع فى نفسه قال سلاتين باشا فى كتابه ولما علم ان الاهالى يكرهون الحكومة لشدة وطأتها عليهم سيما بعد ان عين غوردون باشا الياس باشا السودانى مديرا عاما على كردفان وكان كثير من السودانيين يعدون أنفسهم أحق منه بهذا المنصب انتهز محمد أحمد

عن

عن الملاذ وقد أبطل الرتب والمناصب وساوى بين الفقراء والاغنياء واختار الجبة المرقعة لباسا فصارت لباس كل اتباعه ولكنه خالف كل ذلك فعلا وجمع بين المذاهب الاربعة المالكى والشافعى والحنفى والحنبلى بالغاء أكثر ما اختلفوا فيه واختار بعض آيات من القرآن وفرض على الناس حفظها وتلاوتها كل صباح وسهل الزواج بتقليل المهر فانه جعل مهر البكر عشرة ريالات ومهر الثيب خمسة ومن طلب أكثر من ذلك أو قبل أكثر من ذلك أخذت أمواله كلها وأبطل ولائم الاعراس والسكر والرقص واللعب والسباب ومن خالف ذلك فقصاصه الجلد وأبطل أيضا فريضة الحج إلى مكة ومن شك فى أنه المهدى المنتظر أو خالف أمرا من أوامره قطعت يده ورجله اليسرى وشاهدان يكفيان لذلك وان لم يوجد شاهدان ادعى أن النبى ظهر له فى الحلم وأخبره بجريمة المجرم فيحكم عليه بغير محاكمة وأبطل كل كتب السنة والتفسير وحرق كل الكتب التى فيها شئ يخالف ما أمر به وهذا ما عمل به جهارا أما فى بيته وبيوت خلفائه وأمرائه وأقاربهم فلم يزالا الانغماس فى كل ضروب الخلاعة والسكر وأنواع الملاذ اه وقد ذكر صاحب السودان المصرى والانكليز فصلا عن مذهب المهدى وأصوله فقال فيه ان مذهبه كان مستنبطا جله من المذاهب الاربعة التى أصلها من الكتاب والسنة وذلك بانه كان عمد الى مذهب الامام وحذف منه كل تشديد فى أمر العبادات كالوضوء والغسل ثم انتقل الى الحدود (العقوبات) فحذف منها كل تخفيف ورفق وأضاف اليها تشديدات الائمة الثلاثة وأما النكاح والطلاق (الشخصيات) فاقتبس فيهما من مذهب الامام مالك ومنع زواج البالغة بلا ولى ولا مهر مما أجازه الامام أبو حنيفة وحكم بطلاق امرأة الغائب بعد سبعة شهور اذا لم يترك لها ما تنفقه فى حاجاتها الا اذا كانت غيبة الزوج فى مواطن الجهاد فيكتب اليه القاضى و يحدد له موعدا يحمل زوجته اليه فى خلاله و بعد مضى الاجل يحكم القاضى بطلاقها منه وقضى على رجل قتل آخرا مع امرأته أن يؤدى بينة بانهما كانا عاكفين على حرام فعجز المتهم عن تأديتها فأنفذ فيه عقوبة القذف أولا ثم عقوبة القتل ثانيا وأما المعاملات (القضايا المدنية) فسار فيها على مذهب الامام أبى حنيفة وأضرب عن تحليف الشاهد مع قبول الطعن الشرعى فى عدالته ولما تولى التعايشى أشار بعدم قبول الطعن فى الشاهد مع تحليفه الأيمان على المصحف الشريف وكان يقضى برد المطلقة بالثلاث الى مطلقها قبل أن تتزوج بغيره اذا كان طلاقها قبل حلول دعوته وزعم ان هاتفا من قبل الله عز وجل هتف به وكلمه قائلا ليس عليكم فى الدين من حرج ردوا طالقة الثلاث الى زوجها الاول الخ وقضى أن لا تقام دعوى

فرصة حركة النفوس المذكورة ورأى انه لا يمكنه ان يجمع كلمة الاهالى الا على مسئلة دينية لاختلاف شعوبهم وعصبياتهم فادعى انه المهدى المنتظر اه وكتب الى أصحابه وخلانه من الدراويش والفقهاء فى أواخر مايو سنة ١٨٨١ بأنه سيكون مهديا بعد سنتين وانه سيحكم بالعدالة والانصاف فى الدنيا و يقيم قائمة الاسلام و يطهر الدين والبلاد من الاتراك والمصريين والاوروباويين وغير ذلك وصادف ان مدير فشوده لما بلغه وفرة ثروة محمد أحمد وعلو منزلته أرسل يطلب منه مبلغا عظيما من المال مدعيا انه يطلبه اعانة للمديرية فأبى دفع المال فكتب اليه المدير يتهدده وبالفعل أرسل العساكر لتنفيذ ما هدده به ففتك بهم المهدى بمجموعه ثم فى شهر رمضان من سنة ١٢٩٨ (أغسطس ١٨٨١) جاهر بدعواه المهدية وتبعه ألوف من أهل السودان وكان الشيخ محمد شريف قد أخبر رؤف باشا بمقاصد محمد أحمد ولكن رؤف باشا حمل ذلك على ما بينهما من العداوة هذا و بعد ذلك حصل من المهدى ما ذكر من أفعاله الى ان مات

مظلمة على أحد عمال الحكومة فى إبان سلطتها على السودان وكل دعوى قبل سقوط الابيض لا تسمع الا اذا كانت دعوى ميراث أو أمانة اهـ وفى تلك المدة سلمت مدينة سنار للدراويش الذين كانوا يحاصرونها بقيادة الامير عبد الكريم وولد النجومى وحصلت أيضا واقعة جنس الآتى الكلام عليها

واقعة جنس — بلغ الجنرال غرنفل باشا سردار الجيش المصرى ان أتباع المهدى قدموا الى الحدود المصرية لتحريض القبائل المسالمة للحكومة على شق عصا الطاعة فبعث بفرقة من الجند المصرى الى جنوبى حلفا (أغسطس ١٨٨٥) وأرسل معها ملهم شكور بك كاتم أسراره لتفهيم الاهالى ان قصد الحكومة المدافعة عنهم وعن بلادهم ومنع تعدى الثائرين من نهب القرى فسافرت القوة المذكورة من عكاشة على باخرتين ومرت على مشايخ البلاد الواقعة على ساحلى النيل وأفهمتهم بالامر ثم نزلت بحصن فى بلدة كوشه وأخذ محمد الخير الخوجلى عامل المهدى بجهتى دنقلا و بربر يحرض المشايخ على العصيان فلم تمض أيام حتى ثارت العرب وتجمعوا حول كوشه وأخذوا يطلقون المدافع على الحصن الذى فيه العساكر (١٦ ديسمبر ١٨٨٥) وفى ٣٠ منه صمم السردار على مهاجمة العدو وطرده من نواحى حصن كوشه فقسم قوته الى قسمين أرسل احدهما تحت إمرة الجنرال بتلر (Butler) الى بلدة جنس فسار مسافة ثلاثة أميال يقطع أرضا عسرة ولما ظهر له العدو أطلق عليه المدافع على مسافة ١٥٠٠ متر ولم يتمكن من اصابته لاختفائه خلف الروابى والآكام وكان يتقدم نحو العساكر الذين هاجوه فأخذوا يطلقون عليه بنادقهم حتى انهزم ووصل الجيش أخيرا الى جنس وأحرق بيوتها أما القسم الثانى فكان تحت قيادة الكولونيل هوج (Hughes) من الجيش الانكليزى وتقدم به الى أبى صارى حيث تجمع السودانيون فساق عليهم سرية من العساكر الانكليزية والسودانية وحصل بين الطرفين واقعة شديدة انهزم فى نهايتها المهديون واستولى الجيش على مدفعين وجرح فيها البكباشى حسن أفندى رضوان (الآن بك ومدير بنى سويف) وفى هذا الزمن صرحت انكلترة لايتاليا باحتلال مصوع تحت شروط اتفق عليها الطرفان وانسحبت الجيوش المصرية منها وكذا من زيلع و بربرة فاحتلتهما الجيوش الانكليزية وأنيط أمر الحكومة فيهما بحاكم عدن ولما رأى الفرنسويون ذلك أخذوا فى توسيع أملاكهم فى جهات أبوك (١) واحتلوا تاجورة وغيرها من تلك السواحل التى كانت معدودة من أملاك مصر

(١) لا يخفى ان معظم السواحل التى تشكلت منها مستعمرة أبوك المذكورة كانت معدودة من أملاك الخديوية المصرية فلهذا رأينا لزوم الشرح أدوارها هنا بقدر ما يسع المقام فنقول انه من عهد ما اتخذت دولة انكلترة مدينة عدن (١٨٣٩ م) محطة لسفنها الذاهبة والآتية من هندها الشرقية وفرنسا تبحث على نقطة نظيرها فى تلك الاطراف فأومزت الى المسيو هنرى لامبرت Henri Lambert قنصلها فى عدن بانفاذ مقصدها فابتاع مينا أبوك الواقعة فى حوض تاجورة من خليج عدن مع ما حولها من الاراضى البالغ مساحتها ٢٥ ميلا مربعا من مشايخها سنة ١٨٥٥ وقال آخرون ان سبب ذلك ان فرنسا بعد ان تحققت من نجاح المسيو فرديناند دلسبس فى فتح قنال السويس اهتمت بان يكون لها فى تلك الاطراف محطة وملجأ لسفنها فى طريق مستعمراتها الشرقية ثم لما علمت انكلترة بالامر أصدرت أوامرها الى محافظ عدن فاحتل جزيرة بريم الواقعة فى مضيق باب المندب خوفا من ان فرنسا تحتلها (١٨٥٧) ثم فى سنة ١٨٦٢ عقد مسيو شيفر Scheffer معاهدة امتلاك مينا أبوك المذكورة وروى البعض ان الفرنسويين بعد عقدهم معاهدة الامتلاك المذكورة أهملوا ميناء أبوك زمنا طويلا الى ان طلب منليك الثانى ملك

احتلال

احتلال ايطاليا لمصوع — قد استنسبنا قبل أن نتكلم على هذا الاحتلال ذكر كيفية وجود ايطاليا فى تلك السواحل فنقول انه لما انتهت دول أوروبا من انفاذ معاهدة برلين طمحت انظارها الى أفريقية فوسع بعضها مستعمراته هنالك واتخذ البعض مستعمرات جديدة ولذلك لم ترد دولة ايطاليا سيما وانها تسعى فى ان تكون من الدول العظمى أن تتأخر عن غيرها فى هذا الخصوص فوجهت مطامعها الانشاء مستعمرة لها فى سواحل بلاد الدناقيل على البحر الاحمر ولما كانت تلك السواحل معدودة من أملاك الحكومة الخديوية انتهزت فرصة الارتباكات المالية التى أشغلت مصر فى المدة المذكورة وتداخلت مع بعض المشايخ واحتلت احدى جزر تلك الجهة (١٨٧٩ م) ويقال ان الخديو الاسبق اسمعيل باشا ساعدها معنويا على تنفيذ مقصدها هذا ولما بلغ علاء الدين باشا محافظ مصوع وقتئذ ذلك أخبر الحكومة فأصدرت له أمرها تلغرافيا بالتحرى والبحث فأرسل اثنين من ضباط أركان الحرب وهما البكباشى عبد الله افندى فوزى (الآن باشا) واليوزباشى مصطفى افندى رمزى (الآن بك) على وابور سنار المعين لخفارة ميناء مصوع الى جهة عصب لتحقيق المسئلة بطريقة سرية وبعد ان تأكدوا من الامر علموا أيضا ان الطليانيين شيدوا بعض المبانى هنالك وأوجدوا بمرسى عصب سفينة حربية دائمية وغير ذلك ولما عرضت هذه البعثة خريطة اكتشافها على الحكومة اعترضت مصر على عمل ايطاليا رسميا وأجابت هذه بانها اشترت جزيرة عصب وما حولها من سلطان دنيكلى لخزن الفحم لسفنها المتجولة فى تلك المياه (١٨٨٠ م) وبعد ان استمرت المخابرات بين الحكومتين زمنا انقطعت من غير أن يتم شئ فيها ومع ذلك فان حقوق مصر على تلك البلاد لا ينكرها الا كل من يعتقد فى نفسه القوة ويهرب من عدالة الشرائع سيما وانه فى الوقت المذكور قدم الجنرال استون باشا الامريكانى رئيس أركان حرب الجيش المصرى تقريرا ضافيا وافيا أبان فيه بدلائل لا تردبين تاريخية وسياسية حقوق مصر على تلك البلاد المذكورة ولما تعين على رضا باشا الطوبجى محافظا لتلك الجهات فى السنة المذكورة أمرته مصر بالبحث والنظر فى هذه المشكلة مع مشايخ تلك الجهات فقدم تقريرا بما علمه وقد دونت جريدة ايطاليا الصادرة بتاريخ ١٤ آغسطس سنة ١٨٨٩ خبر هذا الاحتلال بقولها انه فى ١١ مارس من

شوا فى سنة ١٨٧٧ من المارشال مكماهون Mac Mahon رئيس جمهورية فرنسا اذ ذاك أن يساعده على مبادلة التجارة بين فرانسا والحبشة فاخذ رئيس الجمهورية بأهمية هذا الطلب واستمرت المخابرات فى هذه المسئلة طويلا الى أن ارتقى الموسيو جريفى Grévy رئاسة الجمهورية فحصل الاعتناء بأمر طلب منليك (١٨٨١) وزادت أهمية ميناء أوبك من وقتئذ خصوصا بعد احتلال الانكليز لمصر وفى سنة ١٨٨٥ لما تركت مصر أملاكها السودانية وسعت فرانسا دائرة مستعمرتها المذكورة وأضافت اليها ميناء تاجوره حتى أصبح لها فى تلك السواحل ما مسطحه ٣٨٦٠ ميلا مربعا بها من السكان نحو ٢٥٫٠٠٠ نسمة فعند ئذ حولت انكلترة ابصارها الى جهات أوبك حيث خافت على هرر والحبشة فسألت فرانسا فى ذلك التقدم فقالت لها انها لا تريد المساس بهرر فانبنى على ذلك ان عقدت فرانسا مع انكلترة معاهدة سنة ١٨٨٨ تقررت بها حدود مستعمرتها المذكورة وجعلت قرية تكاته الغربية من زيلع ورأس جبوتى الحد الفاصل بين مستعمرتها المذكورة والاراضى المصرية التى احتلها الانكليز فى السواحل الصومالى ثم فى سنة ١٨٩٧ عقدت فرنسا مع منليك ملك الحبشة معاهدة نالت بها امتيازا انشاء الخطوط الحديدية داخل البلاد الحبشية لترويج التجارة ومن هذه المستعمرة أخذت بعض الحملات الفرنساوية تتقدم الى داخلية السودان فى الوقت الحاضر

سنة ١٨٧٥ اشترى القومندور روباتينو (Rubattino) الايطالى من باريحان سلطان راحيتا فى البحر الاحمر جون آصاب أو عصب وجزيرة درما كا بمبلغ ٤٧٠٠٠ جنيه انجليزى دفعته الحكومة الايطاليـة من خزينتها فلما اتصل هـذا الخبر الى علم الحكومة المصرية أقامت الحجة وقالت انها تعارض الدولة الايطالية فى احتلال هذا الموقع لما لها من حقوق السيادة على سلطنة راحيتا بمقتضى فرمان ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) الذى أحالت به السلطنة العثمانيـة ادارة محافظة مصوع وملحقاتها على الحكومـة المصرية ثم طلبت من حكومـة ايطاليا اصدار أوامرها بالجلاء عن جون آصاب فى أقرب زمن فأجابتها الحكومـة الايطاليـة بجواب تفنـد فيـه ماتعزوه الى نفسـها من الحقوق السياسـية على تلك السلطنة وأنها لو كانت تعلم أن جون آصاب من ملحقات الخديوية المصرية لعملت بما تقضى به عليها الظروف وقتئـذ (انظر الكتاب الاخضر فى المحرر المقـدم الى الوزير منسينى Manzini فى ١٢ يونيو سنة ١٨٨٢) وفى السـنوات العشر التى تلت هذه الحادثة لم تبـد الحكومـة المصرية اعـتراضا ولكن لما شرع الموسيو روباتينو فى أواخر عام ١٨٧٩ فى انشاء مركز تجارى با آصاب تداخلت الحكومـة الانكليزية فى الامر واستفسرت منه عن مشروعـه وقد أفضت هاته الحادثة الى تبادل المخابرات السياسية بين الحكومتين الانكليزية والايطاليـة ولكن هـذه المخابرات كانت عقيمـة النتيجة وأما مقصد ايطاليا فى احتلال جون آصاب وجزيرة درما كا فيعـلم صراحة من الرسالة الآتيـة التى بعث بها الشـفاليه ماكيافيلى (Machiavelli) الوكيل السياسى لدولة ايطاليا فى مصر القاهرة بتاريخ ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨١ وهى مدونة فى الكتاب الاخضر وفى مؤلف الموسيو كيالا (Chialla) أحد أعضاء مجلس السناتو المعنون باسم مصوع وهـذا نصها مختصرا

سألنى دولتـلو شريف باشا عما اذا كانت الحكومة الايطاليـة تعتبر جهات راحيتا تابعـة لها فبادرت الى اجابته بالنفى وقلت له ان مقصـدنا ينصرف الى احـترام النظام الموجود فيها أعنى تأييد شوكة السلطان باريحان صاحبها فقال دولته وماهى مصلحة ايطاليا من تفضيل وجود هـذه السلطنة بقبضة شيخ مستقل على أن تكون تابعة لحكومة مصر فأجبتـه أن الاتفاقيات الودادية المبرمة مع هذا الشيخ واستحالة التسليم بمزاعم الحكومة المصرية فيما يتعلق ببلاده من الامور التى تحملنا على تأييد حقوقه خصوصا واننا بدون ذلك نجعل حقوقنا على جون آصاب عرضة للعـدوان فقبل منى دولة شريف باشا هذا الكلام بتمام اللطف والارتياح اه

وفى جلسة مجلس نواب ايطاليا التى انعقدت بتاريخ ٧ دسمبر سنة ١٨٨١ قال الموسـيو منسينى ما يأتى مضت بضـعة شهور والمخابرات دائرة فى مسـئلة آصاب حيث حاولت الحكومة المصرية التى كان كبير نظارها وقتئذ دولتلو رياض باشا أن تحتل بغتة أراضى راحيتا وهى الموقع البحرى القـريب من آصاب احتـلالا عسكريا فأقام قومندان السـفينة ابتورى فيراموسكا (Fieramosca) الحجة على ذلك ثم اتفقت مع وزير البحرية على ارسال أوامر صريحة الى سفننا الحربيـة بمنع نزول الجنود المصرية فى راحيتا ولكن على شرط ان يكون هذا المنع عقب اتخاذ وسائل الحسنى والاقناع وتجنب وقوع معركة بحرية بين سفننا وسفن بريطانيا العظمى وقد أتى هذا الحزم بالنتائج التى كانت منتظرة منه حيث عـدلت حكومة مصر عن انزال جنودها فى أراضى

راحيتا ومع هذا فقد طرأت صعوبات جديدة فى أواخر سنة ١٨٨١ حينما بعث قومندان الدارعة الانكليزية دراغون (Dragon) من عدن رسالة تلغرافية قال فيها ان المسيو بيانكى (Bianchi) القومسير الايطالى فى آصاب روى له فى ٩ ديسمبر أنه أبرم عهدة مع سلطان راحيتا اعترف فيها هذا الامير بوجود أراضى بلاده ومن ضمنها راحيتا تحت حماية الحكومة الايطالية وفى الواقع أن السلطان باريحان المذكور قد أبرم مع هذه الحكومة بتاريخ ٢٠ سبتمبر اتفاقية تكفل له ولخلفائه من بعده مساعدة وحماية ايطاليا فى مقابلة تعهده بجملة أمور من أهمها عدم تنازله عن شئ من أراضى بلاده لدولة أجنبية ثم تبودلت المراسلات والمخابرات بعد ذلك بين انكلتره وايطاليا وقد أخذت هذه المراسلات جزأ عظيما من الكتاب الاخضر المقدم الى مجلس النواب الايطالى فى سنة ١٨٨٤ وفى ١٥ فبراير سنة ١٨٨٢ اتفقت انكلتره مع ايطاليا على التصريح العلنى الذى ينبغى أن تفوه به الحكومة الايطالية على الملا لتعلم حقيقة نواياها فى البحر الاحمر وقد أوردناه بأسفل الصحيفة ليطلع عليه القراء (١) وقد فسر الموسيو منسينى هذا التصريح فى ١٢ يونيو سنة ١٨٨٢ بقوله ان الواجب على ايطاليا توقى كل احتلال فى سلطنة راحيتا عاجلا أم آجلا لما يكون فيه من الخطر والاضرار بمصالحها أكثر مما فى الاستيلاء العثمانى المصرى اهـ ثم بعد ذلك بزمن قليل احتجت ايطاليا على الحكومة المصرية بخصوص قتل بعض رجالها فى جهات بيلول واتهمت مشايخها بذلك وطلبت من الحكومة المصرية تحقيق ذلك على يد مندوب من طرفها وآخر طليانى فأرسلت الحكومة ابراهيم رشدى باشا من قبلها الى عصب على باخرة الجعفرية ورافقه علاء الدين باشا وبعد عمل التحقيق اتضح عدم ادانة المشايخ لانهم نصحوا المقتولين من ضباط وعساكر ايطاليا بعدم التجول فى داخل البلاد فلم يقبلوا منهم النصيحة كما تقدم الان المندوب الطليانى لم يقتنع بذلك وعلى هذه الصفة انتهت التحقيقات ثم خشيت الحكومة المصرية من تمادى تعدى الطليان على أراضيها فأسست فى السنة المذكورة نقطة عسكرية فى بيلول جعلت فيها ١٥٠ عسكريا وشيدت لهم حصنا صغيرا وبقيت هذه القوة هناك الى يناير سنة ١٨٨٥ حينما أشارت انكلتره على ايطاليا باحتلال مصوع وبعد ذلك بعثت ألف جندى الى جهات بيلول القصاص الذين قتلوا رجالها هناك ولما لم يجدوا القتلة أخذوا يوغلون فى بلاد الحبشة فأرسل اليهم يوحنا ملك الحبشة قائدا من قواده لطردهم من بلاده فالتقى بهم فى جهة يقال لها دوغالى وأثخن فيهم وكانوا خمسمائة جندى فلم ينج منهم الا بعض الجرحى عادوا الى مصوع وأخبروا بما جرى لهم فى هذه الواقعة التى يسميها البعض أيضا بواقعة سحاتى (٢٥ يناير ١٨٨٧) ثم بعد ذلك لما قامت حكومة ايطاليا تضرب الرسوم على جميع السكان من وطنيين وأجانب فى مصوع توقف الفرنساويون والسويسيون واليونانيون فى دفع تلك الرسوم وكانوا جميعا تحت حماية قنصل فرنسا لعدم وجود وكلاء آخرين فيها لباقى الدول

(١) تعترف حكومة ايطاليا فيما يختص بسيادة الباب العالى ومصر على ما بقى من سواحل البحر الاحمر الغربية جنوبى وشمالى آصاب ومع ذلك فانه لما كانت الحكومة الايطالية مضطرة بتعهداتها السابقة الى تذليل الصعوبات التى رعايا فيها سلطان راحيتا بخصوص آصاب فالمأمول من الباب العالى ومصر أن يحترما مركزه الحالى ويسعيا فى حفظه وابقائه على ما هو عليه بشرط ان لا يتنازل لاحد ما عن أجزاء أخرى من بلاده وتتعهد الحكومة الايطالية من جهة أخرى بعدم السعى فى توسيع نطاق أراضى آصاب مما يلى حدودها الحالية

وأخذت هذه المسئلة دوراعظيما حيث قامت الحكومة الفرنساوية تعارض حكومة ايطاليا سياسيا وقالت لها ان مصوع هى جزء من ممالك الدولة العثمانيـة والعهود المخولة امتيازات للاجنبيين هى مرعية فيها ثم سعت فرانسا أيضا فى اغراء حكومة اليونان على موافقتها فى هـذا الاعتراض وسارت بقية الدول الاوروباوية فى هذه المسئلة كسيرها المعروف فى جميع بلاد الشرق حيث كانت سياستهم فيها مساعدة لحكومة ايطاليا على تأييد مطامعها الجديدة فلم تلبث حتى أظهرت انكارها تبعية مصوع للدولة العلية العثمانية بالمحررين اللذين أرسلهما السنيور كرسبى (Crispi) الى سفراء ايطاليا فى جميع عواصم أوروبا بتاريخ ٢٥ يوليوسنة ١٨٨٨ وقد استنسبنا درجهما فى أسفل الصحيفة لتمام الفائدة (١) ولما فيهما من التلاعب السياسى والكلام الشديد الذى استعمله الوزير

(١) (المحرر الاول) ان الجنرال الايطاليانى رئيس الجيوش فى مصوع قرر فى ٣٠ نوفمبر رسوم بلدية على جميع أصحاب العـقارات وعلى جميع التجار الموجودين فيها سواء كانوا من الوطنيين أو الاجنبيين بقصد صرف ما يتحصل من هـذه الرسوم على انشاء الشوارع العمومية وتنوير المدينة بالغاز وغير ذلك وأصدر أمرا آخر بتاريخ ١ يوليه بتقرير رسوم رخصة على جميع من يتعاطى تجارة المسكرات أو غيرها من المواد الالتهابيـة فلم يذعن لهذه الاوامر نحو ثلاثة وعشرين تاجرا من هؤلاء التجار فتوقفوا عن القيام بدفع هذه الرسوم ومن هؤلاء التجار فرنساويان وواحد من بلاد سويسرا و ٢٠ يونانيا وهم منتمون لعدم وجود قنصل لهم فى مصوع الى وكيل فرنسا وهو الوكيل الاجنبى فيها فأيدت حكومة فرنسا دعواهـم وقالت ليس للايطاليانيين حق فى تقرير هـذه الرسوم على الاهالى الفرنساويين وعلى من كان تحت حماية فرنسا بأن كان منتميا اليها واستشهدت على ذلك بالعهود المخولة امتيازات للاجنبيين فان هذه العقود والعهود مرعيـة فى مصوع ولا بأس من المناظرة والمناقشة فى هذه القضية ولا بأس من التسليم مؤقتا بهذا الغرض الذى احتج به أخصامنا وان لم نعتقد بصحته ولم نصدقه فنقول هل وجود العهود يقضى علينا بعدم تقرير رسوم بلدية على الرعايا الاجنبيين أو المنتمين لاية دولة من الدول الاجنبية ما لم تحصـل على رضا حكوماتهـم ودولهـم فالجواب لا أظن ذلك وعلينا أن ننظر فى الامور الجارية فى هذا الخصوص فى الاقاليم العثمانية مثل بوسنة وهرسك وقبرس والبلغار وهذا على فرض وجود العهود نامات المخولة امتيازات للاجنبيين ولقناصلهم ومراعاتها فى مصوع ولكننا لا نذهب هذا المذهب ولا نعتقد هذا الاعتقاد فان سلطة تركيا فى مصوع غير مسلم بها ولم تنتظم للوطنيين فيها محاكم ومجالس شرعيـة بل نزيد ونقول بأنه لو وجـدت فى مصوع المعاهـدات المخولة امتيازات للاجنبيين بسبب سيادة تركيا المدعى بها وبسبب ادارة المصريين لها فقد ألغيت وبطلت منذ تبوئنا مصوع وإنشائنا ادارة منتظمة فيها ومتى استلمت أمة غربية ادارة مملكة شرقية فلا لزوم لمراعاة العهود نامات المخولة امتيازات للاجنبيين وقد أنشأنا فى مصوع ادارة منتظمة بكفالات وضمانات تتكفل بالنظام والنزاهة عن الغرض مدة ثلاث سنين مضت ومن الغريب ان جميع اليونان الذين تأخروا عن سـداد الضرائب المحليـة باغراء المغرين وافساد الذين لا لزوم الى ذكرهم استعانوا بالعدل الايطاليانى وذاقوا حلاوته وقبلوا أحكامه بدون معارضة ومما يحسن التنبيه عليه هو أن حكومة اليونان لم تتخـذ قبل انحيازها الى آراء حكومة فرنسا هذه العهود والمواثيق المخولة امتيازات للاجنبيين أساسا لدعواها اهـ

(المحرر الثانى) ان ايطاليا تبوأت مصوع فى ٥ فـبرايرسـنة ١٨٨٥ فى ظروف جـديرة بأن تذكر وهى انه لما استفحلت غوائل الثورة المهدوية وخشى من زحف المتمهديين على مصر أمرت الحكومة المصرية بتجميع عساكرها بأن استدعت حاميتها الموجودة فى الجهات القاصيه وبما أن مصوع كانت خارجة عن خط الدفاع الذى اتخـذته الحكومة الخديوية كان من المتعين عليها الاخلاء منها ولما طلب من تركيا تبوؤ تلك الجهة أبت وامتنعت وبسبب امتناعها رفضت وغضت الطرف عن الحقوق التى كان يمكنها أن تدعى بها على هـذه النقطـة المهمـة فى البحر الاحمر وان كانت هذه الحقوق هى غير حقيقيـة أما الممالك المتحابة فقد فضـلا عن انه لم يخامرها أسـف ولا حـد انشرحت لما رأت ايطاليا مستوليـة عليها فان استيلاءها عليها هو كفالة وضمانة على النظام والتمدن على سواحل البحر الاحمر فايطاليا فى مصوع بناء على تبوئها لها تبوأ حقيقيا وبناء على موافقة ومطابقـة ذلك للقتضيات القانونية

المذكور

المذكور فى محرريه فى حق فرانسا اللذين لو كانا صدرا فى غير هذا الزمن لانبنى عليهما اشتعال نيران الحرب بين الدولتين ولكن انقضى ذلك الزمن وتداخلت دول التحالف الثلاثى ومعهم انكلترة وساعدوا ايطاليا فى المسئلة وانتهت المناقشات والمجادلات باجماعهن على ترك ايطاليا فى مصوع وتعلقت مسئلتها بذيول المسئلة المصرية وتعاهدت انكلترة مع ايطاليا بخصوص شرقى أفريقية بعدة اتفاقيات كان آخرها اتفاقية ٥ مايو سنة ١٨٩٤ وهى التى اكتسبت بها ايطاليا حق الاستيلاء على هرر وأراضى واسعة على سواحل البحر الاحمر وبلاد السومال الى نهر جو بإوجعل فيها النيل الأعلى يسير بين أملاك ايطاليا والكونغو ولكن الحوادث التى طرأت بين ايطاليا والحبشة الآتى شرحها حالت دون تنفيذ مآرب ايطاليا فى استعمار تلك الجهات فبقيت المقاطعات المذكورة من حقوق ايطاليا على صفحات الخرائط وفى طى المعاهدات الى الآن منتظرة الظروف التى تجعل ايطاليا قادرة على استعمارها اياها أو التنازل عنها الى غيرها

وكان المهدى لما امتدت سلطنته وعظم شأنه هدد الاحباش واسترد منهم بعض المواقع ولما قام التعايشى بعد وفاة المهدى استطال على الاحباش لما فعلوه مع السودانيين قبل ذلك وفى ٩ مارس سنة ١٨٨٩ نشبت الحرب بين الملك يوحنا وبين الدراويش فتغلب يوحنا عليهم أولا واستاق سبا ياهم ثم هزم هزيمة منكرة وقتل الدراويش من جيشه أزيد من عشرة آلاف مقاتل وقتل هو فى الواقعة وعند ذلك ظن الطليانيون ان قد خلا لهم الجو ومهدت السبل لامتلاك بلاد الحبشة فسموا مستعمرتهم من يومئذ اريتريا (Erythrée) وكانوا يثقون بمنليك ملك شوى احدى ممالك الحبشة لانه أحسن الى روادهم فشدوا أزره واعترفوا به ملكا وأهدوا اليه عشرة آلاف بندقية وكثيرا من الميرة وعقدوا معه فى اشيالى معاهدة ورد فى أحد بنودها أن يكون تحت حماية

واذا قيل هل طرأت حادثة منذ ذلك الوقت تخل بما نالته من الحقوق فالجواب من ذلك انه لم يحدث شئ من هذا القبيل فان تركيا أرسلت الى الدول منشورا لم يظهر له أثر ولا خبر أما فرانسا التى نظرت بعين الحسد والغيرة الى امتداد نفوذنا فى البحر الاحمر والتى تمادت على بذل المساعى المستمرة للاضرار بسلطتنا هناك استندت على الكلام الذى قاله سفير ايطاليا بباريس للموسيو فرى وزير خارجية فرنسا فى أثناء محادثة ودية جرت بينهما وقد كان كلام السفير هذا من عند نفسه وتلقاء ذاته وكان متكلما باسمه وهى انه اذا تبوأت دولة تبوأ فعلا حسب بند ٣٥ من قرار مؤتمر برلين فهذا يكون تبوأ مصوع فاتخذت فرنسا هذا الكلام حجة علينا وقد أحطنا علم الدول الكبرى بتبوئنا لمصوع بأن أرسلنا تلغرافين الى سفراء ايطاليا أحدهما بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٨٥ فاعلاماتنا فى شهر فبراير سنة ١٨٨٥ كانت كافية لاحاطة علم الدول بامتلاكنا لها وفق مقدما الامور الرسمية الصورية المتعين على كل دولة حسب بند ٣٤ من قرار مؤتمر برلين ان تجريها عندما تستولى على أية جهة من ساحل أفريقيه أو تدخلها تحت حمايتها وتركيا قبلت ورضيت بالامور الواقعية التى خرجت الى حيز الفعل وتحتم كلامنا قائلين انه بناء على ما تقدم ذكره وسبق الكلام عليه فحكومة ايطاليا مقتنعة بأن تبوأ مصوع هو بالنظر الى الظروف التى حصل التبوء فيها وبالنظر الى مراعاة فحوى شروط قرار مؤتمر برلين موافق ومطابق للشروط الشرعية المرعية الواجب توفرها فى الامتلاك الشرعى الذى لا ينازع فيه وورد فى هذا المحرر بان الشكاوى لم تأت من تركيا بخصوص الغاء العهود وامتيازات الاجنبيين بل ان هذه الشكاوى هى كالعادة الجارية آتية من فرنسا التى فازت فى جذب اليونان وجعلها ضمن دائرتها فهذه الشكاوى هى من فرنسا التى يظهر بانها تعتبر تقدم ايطاليا السلمى بضعف قوتها كان قارة أفريقيا ليست واسعة لسد مطامع جميع الدول اهـ من الكتاب الاخضر

ايطاليا ولا يخابر الدول الاجنبية الا بواسطتها وكان ذلك فى النسخة الطليانية فقط أما النسخة الحبشية من المعاهدة المذكورة فلم يكن بها ذلك أصلا ولما علم به أنكره كل الانكار ولم يقبله وحصلت مخابرات طويلة فى هذا الخلاف اتهم الطليانيون فيها فرانسا وروسيا بتحريض منليك على مناوأتهم ولما تيقن منليك من خبث نية الطليان أخذ من ذلك الحين يعبى الجنود ويتدارك الاسلحة والذخائر حتى اجتمع تحت رايته ٧٠،٠٠٠ مقاتل وبينما كانت المخابرات والمناقشات دائرة على معاهدة اشيالى المذكورة سقطت وزارة الموسيو كريسبى (Crispi) وقامت وزارة دى رودينى (Di Rudini) وكان أعضاؤها يكرهون التوغل فى أفريقية ويميلون الى الاقتصاد فى النفقات الحربية فبعثوا لجنة تحقيق الى مستعمرتهم المذكورة فلم تجد فيها مايقابل بالنفقات الكثيرة التى أنفقت عليها فاستدعى الجنرال غندلفى (Gandalvi) قائد جنود المستعمرة وأرسل الجنرال باراتيرى (Baratieri) بدلا عنه وهو مشهور بالبسالة ومن كبار الكتاب فحارب الدراويش وقهرهم وأصلح شؤن المستعمرة الايطالية من كل وجه وكان الجنرال بلديسرا (Baldissera) والجنرال غندلفى قد سعيا فى تجنيد كثير من الاهالى فلم يفلحا لترفعهما وضباطهما عن الجند أما الجنرال باراتيرى فنجح لانه عاش مع الجند كأنه واحد منهم ولما عاد الموسيو كريسبى الى الوزارة ثانية (ديسمبر سنة ١٨٩٣) أقر على فتح كسلا وأمر الجنرال باراتيرى بذلك ففتحها بعد ان هزم الدراويش (١٦ يوليو سنة ١٨٩٤) وأقام لذلك الطليان الاحتفالات وكان منيلك وقتئذ مشغولا بالحروب الداخلية وعند عودته أتاه رؤساء البلاد وحثوه على محاربة الطليانيين خوفا من ان امتلاكهم لكسلا يسهل عليهم امتلاك بلاد الحبشة كلها ويقال ان رأس منغاشيا أحد الامراء أتى الى منليك خاضعا وكان قبل ذلك قد استحكم النفور بينهما وطلب منه أن يملكه على بلاد تجره فقال له أتكون ملكا بلا مملكة اذهب واطرد الطليانيين من البلاد أولا ثم ننظر فى طلبك فتوجه واجتمع برأس الولا فكان معهما من الجنود ١٢،٠٠٠ مقاتل ثم زحف الاثنان على الطليانيين البالغ عددهم ٣،٦٠٠ مقاتل كلهم من الافريقيين المجندين بينهم ٦٥ ضابطا و ٤٢ جنديا من الطليانيين فدارت الدائرة على الاحباش فانهزموا (١٨٩٥) وبذلك وسع الطليانيون أملاكهم وضموا اليها بلاد تجرة واغامى وشيدوا فيهما الحصون وبعث رأس منغاشيا ورأس مكونن يطلبان الصلح من الطليانيين فعقد بينهما الاانهما عادا فانضما (نوفمبر سنة ١٨٩٥) الى منليك وقاما معه لحرب الطليانيين ثم بعد أيام قلائل أقبلت جنود شوى الى جهة يقال لها امبا الابى وأحاط عشرون ألفا منها بجنود الماجور توسيلى (Tosselli) وكان عددها ٢٤٠٠ فلم يسلم منها سوى ثلثمائة وقتل توسيلى فدفنه رأس مكونين مع سائر الضباط بالاكرام ويقال انه قتل من الاحباش فى تلك الموقعة نحو ٣٥٠٠ ثم أقبل منليك بنفسه يقود جيشا يتألف من نحو ٧٠٠٠ مقاتل وحاصر حصن مكالى وكان به ضابط يدعى غاليانو (Galliano) معه ١٥٠٠ نفر فحاصرهم منليك الى ان فرغ ماؤهم ثم سلموا فردهم الى ادغرات سالمين وعاث منليك بجنوده فى مستعمرة الطليانيين وعند ذلك جرت المخابرة فى شروط الصلح وأصر منليك على حذف البند السابع عشر من معاهدة اشيالى القاضى بجعل بلاد الحبشة تحت سيادة ايطاليا وعلى رجوع الطليانيين الى تخومهم الاولى فلم يقبل الموسيو كريسبى ذلك وأمر الجنرال باراتيرى بمحاربة منليك فتقدم

المذكور

المذكور بجيش عدده ١٧،٠٠٠ مقاتل نحو بلاد عدوه ثم قسمه ثلاثة أقسام جعل على الاول الجنرال دابورميدا (Da Bormida) وعلى الثانى الجنرال اريموندى (Arimondi) وعلى الثالث الجنرال البرتونى (Albertone) وقبل اشتباك القتال جمع باراتيرى مجلساحربيا وتشاور فى الامر فقر القرار على مناجزة الاحباش وتقدمت الاقسام الثلاثة ثم أحاط الاحباش بفرقة الجنرال البرتونى فتغلبوا عليها وكان الجنرال دابورميدا يتبعها فأحاط به الاحباش أيضا قبل أن يصل الجنرال أريموندى لنجدته فدارت الدائرة على الطليانيين (أول مارث ١٨٩٦) وخسروا خسارة عظيمة وقتل منهم أزيد من خمسة آلاف جندى وأسر الاحباش نحو ثلاثة آلاف أسير واستولوا على جميع أسلحة الطليانيين وزخائرهم وعلى ٧٢ مدفعا وجرحوا جنرالين وهما دابورميدا واريموندى وأسروا الجنرال البرتونى وعددا كبيرا من الضباط فاضطر الجنرال باراتيرى عند ذلك الى التقهقر بباقى عسكره الى جهة اديكى الواقعة على مسافة ٧٠ كيلومترا من عدوه ويعتذر الطليان عن نكبتهم هذه بان الجنرال البرتونى أخطأ المكان الذى أرسل اليه أولا لوجود مكانين باسم واحد وهو قول غير مقبول عند رجال الحرب حتى لو صح والحقيقة ان عسكر الطليان لم تبلغ بعد فى القوة والنظام العسكرى ما بلغته عساكر الدول الاخرى وكذا ضباطهم كان ينقصهم كثير من الدربة والمهارة الحربية كما حققه أهل الانصاف

ولما وصلت أخبار هذه الواقعة المشؤمة الى بلاد ايطاليا مادت البلاد واضطربت وخيف من الثورة فسقطت وزارة كريسبى وخلفتها وزارة روديني واضطر الطليانيون أن يعودوا الى تخومهم القديمة فى مستعمرتهم الجديدة وأضحى مركزهم فى بلاد الحبشة حرجا فقررت وزارتهم الجديدة تقوية حاميتها فبعثوا بجنود أخرى اليها وعزل الجنرال باراتيرى من القيادة العامة و بعثوا بجنة تحقيق عسكرية وعينوا الجنرال بلديسيرا قائدا عاما ومن يومئذ اشتهر منليك ملك ملوك الحبشة وزوجته توتى التى شاركته فى تلك الحرب فى انحاء العالم الاوربى وبعثت الروسيا وفرانسا وانكلتره اليه بعثات بالهدايا وعقدوا معه المعاهدات لتمكين الروابط بينهم وبينه وأقر واجبعا وفى مقدمتهم ايطاليا باستقلال الحبشة وكانوا لا يعترفون لها بذلك من قبل وعزمت ايطاليا على ترك كسلا لمصر ثانية وكان الجيش المصرى قد تقدم تحت قيادة السردار كتشنر باشا وفتح دنقلة ثم تخطاها الى بربر فتخلت ايطاليا عن كسلا ودخلتها الجنود المصرية (ديسمبر ١٨٩٧) تحت امرة اللوا برسونز باشا (C·S. B. Parsons Pacha) محافظ وقومندان قسم سواكن ويظن ان حكومة ايطاليا تتنازل عن مصوع أيضا لعدم قدرتها على تحمل نفقات المستعمرات التى تحتاج الى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والى الرجال المحنكين وغير ذلك

خلاص أمين باشا واخلا المديريات خط الاستواء — سبق الكلام على أمين باشا هذا وخدمته للحكومة المصرية فى السودان مدة قضى معظمها حاكما على المقاطعات الاستوائية التابعة لمصر تمكن من المحافظة على الامن فيها مدة قيام المهدى ولما ضايق المهديون لبتن بك (Lupton) مدير بحر الغزال (١٨٨٤) أخذ يكاتب أمين باشا و يطلعه على الخطر المحدق بمديريته ظنا منه ان أمين باشا ربما يتوصل بذلك الى مساعدته وذلك أثناء محاصرة الدراويش الذين

بعثهم المهدى تحت إمرة الامير كرم الله لفتح بلاد بحر الغزال وأخيرا سقطت المديرية المذكورة فى يد الدراويش الذين قتلوا كل حامية بلدة بور لمقاومتهم لهم (١٦ ديسمبر ١٨٨٤) وتقدم الامير كرم الله ولما تضايق أمين باشا وسدت عليه المنافذ صار يرسل مكاتباته عن طريق اوغندا ولكن الكثير منها أخفى قصدا بسبب عداوة ملك أوغندا للانجليز وقتله الاسقف الانكليزى (١٥ نوفمبر ١٨٨٥) ولما بلغ الحكومة المصرية ذلك كتب نوبار باشا رئيس وزراء الوقت المذكور الى أمين باشا محررا بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٨٨٥ فوض اليه فيه أمر الانسحاب الى زنجبار عن طريق أوغانده أو البقاء فيها كما تقدم ذكر ذلك ثم وصلت من أمين باشا مكاتيب أخرى عن طريق أوغنده أيضا (٢٦ فبراير ١٨٨٦) ولما اطلع عليها الدكتور يونكر الالمانى (Junker) وكان ضيفا عند السير جون كرك (John Kirk) قنصل انكلترة فى زنجبار أرسل لوقته أخبارا الى أوروبا بضرورة ارسال حملة لتخليص أمين باشا لحرج مركزه (٥ ديسمبر ١٨٨٥) فاهتمت الدولة الانكليزية والمجامع العلمية باوروبا بأمر أمين باشا واختارت انكلترة لهذه المهمة المستر ستانلى السائح الشهير لخبرته بأحوال أواسط افريقية (١) وجمع له أحد رجال الانجليز ٣٠,٠٠٠ جنيه قال الكولونيل شل لونج بك فى كتابه ان انكلترة لم تكلف المستر ستانلى بهذه المأمورية الا لاغراض سياسية كانت ترمى اليها من القديم هذا ولما وصل ستانلى الى بلاد الانكليز قالوا له ان الدولة الانكليزية ستبذل كل ما فى وسعها لاغاثة أمين باشا وخلاصه من جهة ومن الاخرى لاخلاء مديريات خط الاستواء من العساكر والموظفين المصريين وأخذوا يباحثونه فى الطرق التى يسلكها للوصول بكل سهولة الى أمين باشا لأن الطرق الموصلة الى المكان المذكور القريب من بحيرة البرت نيانزا شمالى خط الاستواء

(١) المستر استنلى (Stanly) هذا أصله انكليزى واشتهر بمعلوماته الجغرافية ولما لم يكن له من يستند عليه فى بلاده هاجر الى امريكا وهو صغير فاستخدم بادارة جريدة النيويورك هيرالد باجرة قليلة ثم ترقى فيها الى أن صار مكاتبا سيارا لها وفى مدة الخمس عشرة سنة التى أقامها فى امريكا نال شهرة فى التحرير وتزوج بفتاة محبة للسياحات وصادف انه فى سنة ١٨٧٤ اتفقت مصلحتا جريدتى نيويورك هيرالد والتلغراف على تسيير حملة الى داخلية افريقية على مصرفهما لاستطلاع أحوال البلاد السودانية الواقعة بين شرقى القارة الى غربيها فكلفوا استانلى بذلك فقبل بكل سرور ورحلته الى السياحة ثم سافر من زنجبار فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٤ وجال فى داخلية البلاد وفى ٦ ابريل سنة ١٨٧٥ تمم رحلته حول بحيرة فكتوريا نيانزا التى اكتشفها الكبتن اسبيك (Speke) سنة ١٨٦٤ ثم وصل الى مملكة أوغندا وكان ملكها امتيزا وقتئذ علاقات دائمية مع الكولونيل غوردون وكان الملك يعترف بأن غوردون وكيل سمو الخديوى فى المقاطعات الاستوائية وقد تمكن استانلى من تنصير الملك امتيزا المذكور وكان استانلى يتمنى أن يكون أول المكتشفين لتلك البلاد وبحيراتها ولكن سبقه اليها من اشتهر قبله فى نوال فخر الاكتشافات ثم أخذ استانلى يحرض بكتاباته الجمعيات الدينية لتسفير المرسلين الى تلك البلاد لتنصير أهاليها وبالفعل نجح حيث قامت بعد قليل تلك الجمعيات وجمعيات أخرى علمية بتسيير عدة ارساليات الى تلك البلاد ولكن الملك امتيزا لم يثبت فى الديانة المسيحية بل ارتد الى ديانته الوثنية وطرد الكثيرين من الاجانب وقتل فى خلالها عدة من القسس منهم الاب هننكتون (Hannengton) وكان امتيزا يومئذ يعترف بالسيادة لمصر وقال شل لونج بك وفى أثناء سياحة استانلى المذكور سعى فى رفع العلم الانكليزى فى تلك البلاد ولكنه لم ينجح وانما بعد عودته من السياحة كاشف انجلترة بآرائه فقبلتها بلا اعتراض وسعت فى امتلاك تلك الجهات اه وقد استولت على ساحلها الذى كان تابعا لحكومة زنجبار حتى تمكنت من الاستيلاء على أوغندا بالاتفاقات التى عقدتها مع المانيا سنة ١٨٨٦ و ١٨٩٠ وتنازلت لالمانيا نظير ذلك عن جزيرة هلغولاند (Hélgoland) وأمرت المانيا الماجور وسمن (Wissman) بتحويل أنظاره الى طريق بحيرة تنجانيكا

خمس وهى طريق الحبشة من مصوع وطريق شوا من عصب وطريق مساى من ممبازه وطريق اوغندا من امام زنجبار وطريق نهر الكنغو وكانت الجرائد تشير باتباع أقصرها وهو طريق مساى ولكن استانلى اختار طريق الكنغو وبعد ان تجهز بالمعدات والاوامر سافر الى مصر فصدر أمر الخديو باعطائه عشرة آلاف ليرة من مالية مصر ومائة جندى من السودو سلمه الأوامر اللازمة لامين باشا (٥ جمادى الاولى سنة ١٣٠٤) وسافر ستانلى أولا الى زنجبار (فبراير ١٨٨٧) وهنالك عقد محالفة مع تيبوتيب أمير العرب بالنيابة عن ملك البلجيك مؤداها ان يرفع الامير المومى اليه راية ولاية الكونغو الموضوعة تحت حماية الملك المشار اليه فوق شلالات استانلى ويمنع قبائل البدو فى تلك الانحاء من التعدى على استانلى وجماعته وان يقدم له الرجال والامدادات اللازمة لهذه الخدمة كل ذلك نظير مبلغ معلوم اتفقا عليه وبعد انتقائه الرجال والادلاء من زنجبار سافر بحرا على طريق رأس الرجاء الصالح فوصل بلدة بنانا من أعمال الكونغو فى ١٨ مارس ومنها ركب بواخر شركة ولاية الكونغو وسار بها فى النهر المذكور مع رجال حملته ولما وصل بلدة ليو بولد فيل ركب بواخر وزوارق أخرى وسافر فى نهر أروبمى (يونيه) ثم قصد بحيرة فيكتوريا نيانزا برا وفى أثناء الطريق ترك فى بلدتى كيلينكا لونكا وبومبو بابعض رجال التجريدة وقد كتب استانلى فى خلال رحلته هذه عدة مكاتيب لاصحابه يصف لهم مالاقاه من الصعوبات وقد عثرنا على صورة كتابين من الكتب المذكورة كتب أحدهما لصديقه المستر بروس (Brose) (١) يصف له فيه الغاب الكبير الذى مر منه بعد مبارحته نهر نيبوكو وكتب الثانى الى السير وليم ماكنن (W. Mackinnan) رئيس شركة شرقى أفريقية الانكليزية التى اشتركت فى مأمورية استانلى المذكورة (٢) يصف له فيه إقليم أيدورى فأدرجناهما بأسفل الصحيفة لتمام الفائدة

(١) عزيزى بروس — تصور غابا أثيثا قطرها متلبدا بالانجم والرتم والعوسج تحت ظل أشجار أنواعها تفوق الاحصاء لا يخرقها نور الشمس علوها من مائة قدم الى مائة وثمانين وقد تكاثفت فى أرضها الاشواك كالعليق والقتاد والهوى والوهاد متعرجة فى أرجائها تجرى فيها أحيانا أنهر كبيرة وارسم على لوح فكرك هذه الاجمة الوسيعة الشجراء المتعاقبة عليها كل أطوار الحياة النباتية بين درجتى الانحلال والنمو وبين الفسيل والدوحة فترى هنا شجرة قديمة معلقة فوق رأسك كما بشعرة تتداعى للسقوط وتكاد تهبط عليك فتحطمك وهنالك أخرى ساقطة فى خط عرضى تسد عليك السبيل والنمل والهوام والحشرات من كل الاجناس والانواع والاقدار تطن وتقفز وتكش وتخف وتصر حولك والقرود والشمبانزى فوق رأسك تضحك وتتواثب والطيور تمر وتصرصر وتصفر وتهدر وتقعقع وتسجع بأصواتها الغريبة والحيوانات تزأر وتعوى وتهر وتموء وتضغب وتحمل وترى حراجل الافيال تهرول وتعدو على الجانبين وجيل الخنزقرات الاقوياء الابدان السمر الالوان كامنين وراء سوق الاشجار الضخمة فى الزوايا المظلمة كاصنام جامدة أو كجذوع يابسة بأيديهم الحراب المسمومة موجهة نحوك ليرموك بها على غرة والامطار تدفق شآبيب ويعاليل رذاذا وودقا ووابلا أكثر أيام السنة والهواء حامل جراثيم الحميات الوبيلة والغيام منتشر نهارا والظلام مد لهم ليلا ثم تصور غابة كهذه ممتدة من بلموث الى بترهيد (أى من أول انكلترا الى آخرها) فاذا استطعت أن ترسم فى فكرك صورة كهذه أمكنك معرفة بعض ما كابدناه فى هذه الرحلة الهائلة اهـ

(٢) كنا ورجالنا عجافا كهيا كل عظام وانحط عددنا من ٣٨٩ الى ١٧٤ وقد يئس أكثرنا من الحياة لان الارزاء الفادحة والدواهى الهائلة كانت قد توالت علينا وتعاقبت حتى ظننا أن لا نهاية لهذا الدوح الشاسع ولم يصدق رجالنا الافر يقيون أنا سوف نرى سهولا ومواشى ونصل الى بحيرة نيانزا ونرى الرجل الابيض (أمين باشا) بل كانوا لا يعبؤن بالحجج والبينات ولا يكترثون بكلامنا اللطيف فان الجوع والآلام المبرحة كانت قد ذهبت بصبرهم

ثم لما بلغ استانلى البحيرة ولم يسمع شيأ عن أمين باشا وقومه أعيته الوسائل فعزم على أن يقفل راجعا ولما وصل الى أيبيورى بنى صرحا سماه فورت بودو ومن هنالك أرسل مفرزة تحت قيادة الملازم ستيرس ليأتى بالسفينة والذخائر والامتعة والقبطان نلسن (Nalson) والطبيب بارك وكان ترك كل ذلك ببلدة كيشكالونكا كما سبق ولما أتت عاد استانلى الى البحيرة (ابريل ١٨٨٨) ثم أرسل المستر جيفسن (Jephson) فى السفينة الى موقف مصوا الواقع فى أقصى تخوم مخصر أمين باشا وذلك بناء على رقيم ورد له من الموحى اليه أثناء غيابه اذ كان قد بلغه قدوم رجل أبيض الى طرف البحيرة الجنوبى فحل استانلى فى نفس المحل الذى كان قد وصل اليه فى ديسمبر سنة ١٨٨٧ وفى ٢٩ ابريل ١٨٨٨ ظهرت له السفينة المسماة بالخديو تسير على مياه البحيرة وبعد برهة أتى المحلة أمين باشا نفسه والسنيور كاساتى (Casati) والمستر جيفسن المذكور ولا تسل عن عواطف الحبور والابتهاج التى سادت حينئذ على هذين الرجلين الفاضلين فى هذا اللقاء الغريب بعد مغامرات واخطار تعدلهولها الابطال ففرح استانلى وتبادل مع أمين باشا الاحاديث والمسامرات ثم سلمه الاوامر وعرض عليه ثلاثة أمور اما أن يعود هو وعساكره الى مصر واما أن يكون محافظا للمقاطعات الاستوائية من طرف بلجيقه وله فى مقابلة ذلك ألف وخمسمائة ليرة سنويا و يمنح رتبة جنرال والثالث انه فى حالة ما اذا كانت حاميات خط الاستواء ترفض الرجوع معه الى مصر فله أن يجند بعض الرجال من حوالى بحيرة فكتوريا ليرافقوه فى العودة ثم بعد أيام نقل استانلى محلته الى مكان أوفر ملاءمة أما أمين باشا فأبى الرجوع مع استانلى ومغادرة رجاله والاقليم الخصيب الذى كان سائدا عليه وصرف استانلى الشهر كله فى محاجته واقناعه بالعود معه لكن على غير طائل حتى كاد ييأس ولأن النفقات والمشقات التى كابدها الاجلة تذهب ادراج الرياح ولما رأى استانلى تردد أمين باشا وضياع الزمان عبثا خطر على باله الماجور بارتلوت (Barttelot) وسائر رجال التجريدة الذين كان قد تركهم فى يامبويا فعزم على الاياب اليهم لعله يلاقيهم قادمين فى الطريق نفسها فودع أمين باشا وترك معه المستر جيفسن وتعاهدا على ان الباشا يخبر قومه بمقاصد استانلى ومراحله ثم سار استانلى برجاله الزنجباريين ولم يأخذ معه الا كمية قليلة من الزاد والامتعة فجد فى السير حتى بلغ قلعة فورت بودو فى ٨ يونيو سنة ١٨٨٨ وبوصوله أعطى الاوامر اللازمة لقواده وهم الملازم ستيرس (Sterese) والقبطان نلسن والدكتور بارك وأخذ يضرب مع أنصاره البالغ عددهم ٢١٢ نفرا فى ذلك الدغل الهائل الى أن وصل بعد ثمانية أيام الى كيلينسكالونكا وبعد شهر بلغ أوغار وهنالك تحصل على قوارب ركبها فى النهر واجتمع ببقية رجاله ولما وصل بونالايا

وبددت آمالهم ادراج الرياح ففسدت أخلاقهم وانحطت آدابهم فباعوا أسلحتهم وثيابهم بقبضة سنابل حنطة أو ببضعة حبوب ذرة وفروا بصناديق الامتعة وغيرها فلبثنا فى ايبيورى ثلاثة عشر يوما نشبع أجوافنا بالتهام الدجاج والماعز والموز وخبز الحنطة والبطاطة الخ وكنا الا نزال بعيدين عن البحيرة ١٢٦ ميلا ولكن لما كانت قد تجددت قوانا عاتنا ولنا من الزاد لم نعبأ بهذه المسافة الباقية و بعد ان سدل علينا الظلام سجوف الكآبة ١٦٠ يوما شاهدنا فى الختام أنوار الغزالة تتألق على تلك الحقول النضرة والطبيعية متوشحة بمطارف الجمال حتى كدنا لا نصدق ما نراه بعيوننا ولم يدر فى خلدنا اننا سنظفر برؤية أقاليم خضراء كهذه فتواثب الرجال سرورا ودوت تلك الاقطار بأصوات الهتاف والتهليل وفضت الاوفاض تعدو بأجمالها على تلك البقاع كأنها استأنفت ما كان لها من النشاط والجذل فى يوم رحلتها الاول اهـ من كتاب قلادة النحر فى غرائب البر والبحر

الواقعة على مسافة بضع مراحل عن يامبويا تلاقى بالمستر بونى (Bonny) أحد رجال الماجور بارتلوت مع شرذمة قليلة من رجاله فأخذ يقص عليه أخبار النازلة التى أصابت بارتلوت وقيام الرعاع عليه وفتكهم به فى ١٩ يوليو سنة ١٨٨٨ وانه هو أى بونى والمستر جيمسن (Iameson) ذهبا الى بنغاله لاستخدام حمالين آخرين ثم أصاب جيمسن المذكور مرض الحمى فمات بها وبقى هو بمفرده فاغتم استانلى بهذه الاخبار حيث فقد أربعة من قواده الخمسة الذين عهد اليهم قيادة مؤخر تجريدته البالغ عددها ٢٧٥ نفرا ولم يقابل منهم الا بونى و ١٧ نفرا معهم قليل من الذخائر والامتعة وغيرها فكتب استانلى فى الحال الى تيبو تيب رئيس العرب وطلب منه ان يدركه بالرجال والمدد ثم بعد ذلك أوغل فى ذلك الدوح المرة الثالثة حتى وصل الى صرح بودو بعد صعوبات جمة فوجد رجاله ما كثين ولما لم يبلغه خبر عن أمين باشا ولا عن المستر جيفسن اضطربت أفكاره فرحل بعد ثلاثة أيام الى البحيرة وجاز سهول أبيو رى وبطاح البار يغا المرة الخامسة وكانت الاهالى هناك عرفوا استانلى فأمدوه بالاقوات ولما بلغ البحيرة أتاه رقيم كان بعثه اليه المستر جيفسن ورسالتين من أمين باشا يخبرانه فيها انهما فى أسر العساكر الثائرة عليهما وأن المهديين يعيثون فى ذلك الاقليم فسادا تحت قيادة الامير عمر صالح الذى بعثه التعايشى للاستيلاء على مديريات خط الاستواء وقد استولوا فعلا على مدينة لادو فتحير استانلى لهذا الخبر ولكن لما كان الدراويش قد استظهروا على ضباط أمين باشا العصاة رأى هؤلاء الضباط انهم فى حاجة الى مهارة الباشا العسكرية فأطلقوه من الاسر غير ان سلطته كان قد تقلص ظلها ثم سار مع المستر جيفسن والسنيور كاساتى الى وادلاى ولما تقدم الدراويش جنوبا فر أمين باشا ورفيقاه الى تونجو البعيدة عن محلة استانلى بنحو مرحلتين ثم بعد قليل تلاقى الجميع مع استانلى المرة الثانية ودارت بينهم المحاورات والابحاث ثانية بخصوص العودة واطلع استانلى أمين باشا على عدة مكاتيب كان أخذها معه من خارجية انكلترة ومن ضمنها كتاب أرسله أمين باشا الى انكلترة سنة ١٨٨٦ يقول فيه انه يكون سعيدا الان بعيد مقاطعات خط الاستواء لانكلترة أولاى مملكة أخرى تحميها فاستاء أمين باشا لما اطلع على ذلك وقال لاستانلى ان الانكليز أخطؤا فى نشر كتابى هذا لانه كان خصوصيا الهم فالذى يخالج فكر المصريين فى ذمتى عندما يطلعون على كتابى هذا وبعد مؤامرات ودسائس ومكايد من قبل العساكر المصرية وضباطهم عزم استانلى وأمين باشا وجماعتهما المتحدون على الاياب سوية فرحلوا من كافالى فى ١٠ ابريل سنة ١٨٨٩ وكان عدد الفيف الراحل معهما ١٥٠٠ نفس بينهم النساء والشيوخ والاولاد وبعدما كابدوا عدة مشقات يطول شرحها وصلوا فى أول شهر ديسمبر الى ميبكى وهى قرية تبعد عن الساحل أربع مراحل فتواردت عليهم فيها رزم الرسائل والمخاطبات ولما بلغت التجريدة زنجبار أمست موكا حافلا عظيما وفى ٤ ديسمبر قابلهم الماجور وسمن المأمور الالمانى فى ميناء بغامويو فرافقهم الى الميناء وكانت المدينة مزدانة بالاعلام وقابلهم فيها القواد والكبراء والاعيان من قبل أمبراطور المانيا وملكة انكلترة وملك البلجيك والمجامع العلمية ثم أطلقت المدافع تبشيرا بقدومهما وفى المساء آدب الماجور وسمن مأدبة أنيقة لضيفيه سقط فى خلالها من شؤم الطالع أمين باشا من طاقة الردهة العليا المرتفعة عن الاراضى نحو ٢٠ قدما فأغمى عليه وتهشم لكنه أخذ يتعافى تدريجا تحت عناية الدكتور بارك

والطبيب الالمانى ثم بعد ذلك رفض استانلى الحضور الى مصر وخير البقاء فى خدمة الالمان بجهات زنجبار وحضر استانلى مع المصريين الى مصر واحتفلوا بعودته احتفالا عظيما وأدبت الحكومة المصرية مأدبة رسمية اكراما له وألف عن رحلته هذه كتابا سماه ظلمات أفريقية أما أمين باشا فانه عاد ثانية الى خط الاستواء لاستحضار سن الفيل وغيره من الاشياء التى كان ادخرها هناك ولكنه بعد قليل قتل بالقرب من شلالات استانلى وهو ذاهب الى غربى أفريقية ومعه ٢٠ طنا من العاج واختلف الرواة فى سبب قتله ويقال ان أوراقه كلها وحوادث رحلته الى آخر سنة ١٨٩٢ محفوظة عند رجل بلجيقى ولما رأت انكلترة أن المانيا قد أرسلت روادها مع الدكتور بترس لاستكشاف جهات خط الاستواء لانشاء مستعمرة فيها طبق نصائح أمين باشا لتصل بها بين مستعمرتى كامرون وزنجبار خشيت انكلترة من توغل المانيا فطلبت من الشركة البريطانية التى أنشئت سنة ١٨٨٥ تحت رئاسة السر وليم ماكنون ان تقوم بعهودها السياسية التى ارتبطت بها معها فشكلت فى الحال حملة فى مدينة ممباسا تحت قيادة الضابطين جاكسن (Iackson) وجاج (Jage) فوصلت هاته الحملة فى ١٤ ابريل سنة ١٨٩٠ الى مجو قاعدة بلاد أوغنده ثم بعد قليل حصل اتفاق بين المانيا وانكلترة (يوليو سنة ١٨٩٠) من مقتضاه ان الاولى تعترف للثانية اعترافا صريحا بحقوقها السياسية على مجرى النيل الاعلى ورأت الشركة ضرورة انشاء سكة حديدية من ممباسا على الاقيانوس الهندى الى بحيرة فكتوريا نيانزا يبلغ طوله ٧٥٠ ميلا وحصلت بينها وبين الحكومة البريطانية عدة مباحثات أعلنت فى خلالها الحكومة البريطانية الشركة على انها ستتخلى عن أوغنده فى أواخر سنة ١٨٩٢ ثم لما سقطت وزارة لورد سلسبورى وقامت بعدها وزارة غلادستون تغيرت سياسة القائلين بترك أوغنده وكانت الحكومة الانجليزية السير جرالد برتال (G. Portal) قنصلها العام بزنجبار بالذهاب الى أوغنده وتقديم تقرير عن أحوالها وقد كان ذلك وصادق المستر غلادستون على جميع مشتملات هذا التقرير ومنها انزال علم الشركة فى أوغنده ورفع العلم الانكليزى فى مكانه وقد تم هذا فى ابريل سنة ١٨٩٣ ثم بعثت الماجور مكدونلد (Macdonald) ببعض الجنود وأخذ يتقدم نحو النيل الاعلى وابتدأت هناك أعمال السكة الحديدية المنوى ايصالها بالسكة الحديدية السودانية المصرية وبسكة حديد رأس الرجاء الصالح

باقى حوادث السودان — اعلم أنه لما استقل المهدويون بالسودان المصرى تشبهوا بالممالك الاخرى فخطبوا للمهدى وخليفته فوق المنابر وضربوا النقود بأسمائهم فمنها ما ضرب فى سنة الهجرة وهى هجرة المهدى على زعمهم ومنها ما ضربوه بعد ذلك وكتبوا على إحدى وجهيها أم درمان وتحتها ١٣٠٤ ﻫ وهى سنة استقلالهم وفى أعلاها رقم واحد يقصدون به السنة الاولى من سلطنتهم وعلى الوجه الآخر ما يشبه الطغراء العثمانية عليها الفضة مقبول يريدون بذلك ان تلك النقود مقبولة عند حكومتهم وأخذوا من ذلك الوقت يتعاملون بها قال سلاتين باشا انه بعد ان تربع الخليفة عبد الله التعايشى فى دست الخلافة التفت إلى بيت المال فطرد منه أحمد ولد سليمان امينه لانه كان يوزع الاموال على أقارب المهدى بغير حساب ونصب مكانه ابراهيم ولد عدلان

وهو

وهو رجل خبير بضروب المكاسب فنظم أساليب الدخل والنفقة وأكثر الموارد على أنواعها وضرب الريالات مازجا فضتها بالنحاس ولما توقف التجار عن قبضها هددهم الخليفة فاضطروا الى التعامل بها ولكنهم رفعوا الاسعار ودعا الخليفة قبيلته وأسكنها في أم درمان وقصد بذلك أن يأمن بها غدرات الزمان ثم تغير الخليفة على ولد عدلان فقتله ونصب خلافه على بيت المال وسار بقتل الموسرين على أقل هفوة ليصادرهم في أموالهم وفي أوائل حكمه سعى الى جلب قلوب الشعب فأظهر انه سائر في خطة المهدي فبنى على قبره مقاما كبيرا وهو بناء مربع طوله ١٢ مترا وعلوه ١٠ أمتار وسمك جدرانه متران وفوقه بناء مسدس ارتفاعه خمسة أمتار وفوق ذلك قبة ارتفاعها نحو ١٣ مترا وزين جدرانه من الداخل وعلق فيه ثريا كبيرة كانت بدار الحكومة في الخرطوم وقام ببناء ذلك بناؤن مصريون وقد خدم السعد الخليفة في أول حكمه حيث قامت رجاله بحروب تذكر في سبيل المهدية مستبسلين عن غيرة دينية واعتقاد راسخ اه ومن أشهر حوادث هذه المدة ان ولد النجومي وهو من أشهر قواد الدراويش سار الى سنار بأمر التعايشي ففتحها (أغسطس ١٨٨٥) وكان على حصارها الامير عبد الكريم وهو من أقارب المهدي فدفعته حاميتها فلما فتحت وعاد مع ولد النجومي الى أم درمان (سبتمبر) عزله الخليفة عن قيادة الجنود السودانية وجعلها تحت إمرة اخيه الامير يعقوب لانه نسب إلى عبد الكريم الخيانة في حرب سنار وزجه في السجن مكبلا في الحديد فبقي فيه حتى مات (٢٥ ديسمبر ١٨٨٦)ومنها تسليم حامية كسلا الى الدراويش وكانوا محاصرين لها كما مر فقتلوا الكثيرين من حاميتها وأرسلوا منها ستة آلاف جمل محملة بالاموال والارزاق الى أم درمان وقلد التعايشي كلا من ولد النجومي وعثمان دقنه ومحمد الخير وأبو عنجر رتبة أمير الامراء وبعث الاول على إمارة بربر ودنقله والامير أبا جرجا على إمارة كسلا وجعل عثمان دقنه أميرا على شرقي السودان وفي تلك الاثناء تعدى بعض السودانيين على الاحباش وأخربوا كنيسة من كنائسهم ثم التجؤا الى القلابات بعد ان أسر الاحباش منهم عدة ولما بلغ الخليفة التعايشي ذلك أرسل مكتوبا الى يوحنا نجاشي الحبشة يطلب منه اعادة الاسرى وتعيين مقدار الفدية التي يريدها عنهم وبعث في نفس ذلك الزمن قوة من الدراويش مع الامير يونس الى القلابات وأمره أن يحصنها لترد الاحباش ان قصدوها بسوء ثم ظهر بعد ذلك بالقلابات رجل ادعى النبوة وسمى نفسه بالمسيح عيسى والتف عليه خلق كثير فتضايق الامير يونس وبلغ الخبر التعايشي فأمر الامير أبو عنجر وهو من أكبر القواد لان جيشه كان يتألف من ١٥,٠٠٠ من حملة البنادق و ٤٥٠٠ من حملة الرماح والنبال و ٨٠٠ فارس بقتال ذلك الرجل ومحاربة الاحباش فلما وصلها مع فرقة من جموعه قبض على عدة أمراء لظهور تآمرهم على قتل يونس ثم أمره الخليفة بقتلهم فقتلهم

وبعد ان أعاد أبو عنجر السكينة في القلابات سار بجيشه نحو رأس عادل من أمراء الحبشة وقهره في واقعة حصلت بينهما واستولى على مهمات الاحباش وذخائرهم وأسر زوجة رأس عادل المذكور وابنته وفتح مقاطعة أخره واستولى على غندار وأحرقها وعاد إلى القلابات ظافرا بالسبايا والغنائم وبعثها الى أم درمان وأمره التعايشي أن يزيد في حصون القلابات قائلا انه رأى في منامه انه يحارب الاحباش ولكن المنية عاجلت أبا عنجر فمات وعمره لا يتجاوز ٣٢ سنة وخلفه الامير زكي طومال وكان النجاشي يوحنا ملك الحبشة لما بلغه خبر تعدي الدراويش على بلاده سار

بجيش عظيم الى القلابات للانتقام فلما وصلها اقسم جيشه الى فرقتين وهجم على المدينة من جهتين فاستولى على جهة منها وأخذ يفتك بأهلها ويجمع الغنائم أما القسم الآخر فكان يهاجم الحصون وفي خلالها أصيب ملك الحبشة برصاصة فقتل (٩ مارس ١٨٨٩) فدارت الدائرة على الاحباش وتقهقروا وعسكروا على مسافة نصف يوم من القلابات ولكن الدراويش تبعوهم وباغتوهم هناك فهربوا وتركوا متاعهم للدراويش فغنموه ووجدوا من جملة الغنائم تاج النجاشي يوحنا وهو مصنوع من الفضة محلى بالذهب وسيفه وكتابا مرسلا اليه من ملكة الانكليز والمعاهدة التي كان عقدها معه الاميرال هيوت ومازون بك فحملوا كل ذلك غنيمة الى أم درمان وقد ذكر الكونت استانولى في تقريره تفاصيل هذه الواقعة فقال انها حدثت في المتمة في ١٠ مارس ١٨٨٩ بين الدراويش والاحباش وقد سقط النجاشي يوحنا فيها جريحا بجرح خطر وهو يتقدم عسكره لاغتصاب القلعة التي شيدها الدراويش هناك وقال انه قد خيم يومئذ ضباب كثيف مكن الدراويش من قتل كثير من الحبشان أما النجاشي فقد نقل الى معسكره ثم مات في اليوم الثاني وان الدراويش في ليلة ١٢ الشهر المذكور حملوا على مضارب الحبشان فقتلوا كل من فيها ولم يبقوا على أحد وان الملك منليك ملك شوه لما بلغه هذا الخبر تقدم بقسم من جنوده فاحتل احدى مدائن الحبشة ثم انضم اليه خلق كثير حتى بلغ عدد جنوده ١٣٠٠٠٠ مقاتل وعند ذلك نادى بنفسه ملكا وزحف بجيشه الى احدى مدائن الحبشة المقدسة ليتوج فيها ثم أرسل كتابا الى ملك إيطاليا يخبره فيه بموت النجاشي وبكل ماجرى وبانه عازم على ارسال بعثة اليه الى رومة لتقديم عبارات المودة بالنيابة عنه هذا أما التعايشي فقد نجح في قمع الثورات الداخلية والايقاع بالثائرين في كل مكان وفي ١٩ ابريل سنة ١٨٨٧ تخلص حسين بك البهنساوي احد الضباط المصريين وكان في اسر الدراويش وحضر الى سواكن عن طريق الحبشة ولما كان أميرا على الالاى الخامس وحكمدارا لخط النار في حصار الخرطوم اتهم بأنه قصر في الدفاع أوله يد في سقوط الخرطوم فشكلت نظارة الحربية بمصر مجلسا عسكريا لمحاكمته فظهرت براءته مما نسب اليه وبذلك رتبوا له معاشا

واقعة سرس وحوادث سواكن — بلغ شرمسايد باشا قومندان الحدود (٢٧ ابريل سنة ١٨٨٧) بأن قوة من الدراويش وصلت الى سرس يقودها أمير يدعى نور الكنزي فسار اليها بفرقة مؤلفة من خمسمائة مقاتل فهزم نور المذكور وقتل في الواقعة وبعد ذلك عاد شرمسايد باشا الى مصر وتعين مكانه هولد سمث باشا (٢٣ مايو ١٨٨٧) وفي شهر أغسطس من هذه السنة قتل المهديون صالح بك شيخ قبيلة الكبابيش في جهات آبار المحس وفي شهرا كتوبر حصلت بعض وقائع صغيرة بين فرقة مصرية كان يقودها ودهوس باشا وبين المهديين بالقرب من عبكه وفي ١٦ ابريل سنة ١٨٨٨ عين ودهوس باشا محافظ المديرية الحدود وقومندانا للجيوش فيها

أما من خصوص سواكن فانه لما كان كتشنر باشا محافظا وقائدا لعساكرها تجمع الدراويش تحت قيادة عثمان دقنه في جهات هندوب وقصدوا مهاجمة سواكن فسار اليهم بفرقة مصرية وناوشهم القتال (١٧ يناير سنة ١٨٨٨) ولقي منهم مقاومة عنيفة وأصيب بجرح بالغ اضطره للعودة الى مصر للمعالجة ولذلك عادت الفرقة المذكورة ولم تنل من خصمها ماتبتغي

ولما خيف من بطش عثمان دقنه بسواكن ولما شرع المصريون فى اقامة الحصون حول سواكن وفى أثناء ذلك حصل قتال بين المهديين والمصريين قتل فيه الكولونيل تاب (W. R. Tapp) قومندان الاورطة الثالثة المصرية (٤ مارس) وبعض العساكر ولما شفى الجنرال كتشنر باشا من جراحه عاد لمركزه فى سواكن (١٤ مارس) وكانت المداولة فى خلالها حاصلة بين الوكالة البرطانية والجنرال دورمر (J. C. Dormer) قائد جيش الاحتلال والجنرال السير غرنفل باشا سردار الجيش المصرى بخصوص اخلاء سواكن لاشتداد أمر المهديين الذين شرعوا فى حصارها وبعد مداولات اقروا بلزوم حفظها وتعيين الكولونيل هولدسميث باشا قومندانا ومحافظا لجهاتها (١٣ سبتمبر ١٨٨٨) بدلا عن الجنرال كتشنر باشا الذى دعى الى مصر وعين ادجوتانت جنرال للجيش المصرى بدلا عن بار باشا المستعفى وكان المهديون قد تحصنوا بالخنادق المنيعة حول سواكن تحت امرة عثمان دقنه ولما خرج بعض الفرسان المصريين لاجراء الاكتشافات اطلق عليهم المهديون وعلى سواكن المدافع والبنادق بشدة حتى اضطروا للعودة بعد ان قتل بعضهم فطلب هولدسميث باشا النجدة من مصر ولما كان الجيش المصرى يومئذ لا يتجاوز عدده ٩٤٠٩ جنود طلب السردار من الحكومة زيادة عدده فوافقت على ابلاغه ١٢٠٩٥ مقاتلا وبذلك تيسر له امداد سواكن بثلاث أورط سافرت اليها من أسوان عن طريق القصير وأرسل الانجليز اليها أيضا فرقة من جنودهم (ديسمبر ١٨٨٨) ولما وصل السردار الجنرال غرنفل باشا الى سواكن بعث بالكشافين تحت قيادة الجنرال كتشنر باشا لاستطلاع أحوال عثمان دقنه وجيشه ثم قاد الجنرال غرنفيل الجيش بنفسه وهاجم الدراويش الذين كانوا متحصنين على مسافة قريبة من الطابية المسماة بالجيرة فأخرجهم منها بعد أن دافعوا دفاع الاسود وتعرف هذه الواقعة بواقعة الجيرة (٢٠ ديسمبر) وكان يساعد العساكر المصرية والانجليزية فى هذه الواقعة عدة بواخر انجليزية من أسطول البحر المتوسط كانت راسية فى داخل المينا وبلغت خسارة المهديين ٥٠٠ قتيل ولم يفقد من الجيش الانكليزى والمصرى سوى ستة أنفار وبلغت جرحاهما ٤٢ جريحا ثم زادت الحامية الحصون حول سواكن خوفا عليها ثم عاد الجنرال غرنفل مع الجيش الانكليزى (٤ يناير سنة ١٨٨٩) بعد اجراء الاكتشافات الحربية على السواحل أما الجنرال كتشنر باشا فانه بعد ان أتم بناء الطوابى المسماة منصور وهاشين وطماى عاد أيضا (٢٥ يناير ١٨٨٩) ثم حضر الى سواكن مشايخ قبائل الهلايب وهم من البدو المحالفين للحكومة المصرية وطلبوا من هولدسميث باشا المساعدة ضد الثوار فأعطاهم سلاحا ثم اشتد عيث المهديين حول سواكن وضد من والى مصر من القبائل فانضم عربان الهدندوة وألفوا عصبة ضد من خرج على الحكومة من البدو وأظهر مشايخهم فى سواكن رغبتهم فى ذلك وحصلت بينهم وبين الثوار عدة مقاتلات كانت الحرب فيها سجالا ثم سافر عثمان دقنه (٧ اكتوبر سنة ١٨٨٩) من طوكر الى أم درمان وأناب عنه أميرا يدعى أبو جريجر فكان سفر دقنه فرصة مناسبة لمصر حيث قاد هولدسميث باشا العساكر المصرية وهجم على الدراويش فى طوكر فأجلاهم عنها واحتلتها العساكر المصرية وبينما كانت تلك الحوادث تجرى فى جهات سواكن ظهر ولد النجومى فى الحدود بحلفا

حوادث ولد النجومي وواقعة طوشكى – اعلم أن التعايشى لما انتصر فى كثير من حروبه مع المصريين والانجليز تاقت نفسه الى فتح القطر المصرى وتولاه الغرور الى حدانه أرسل ثلاثة مكاتيب مع رسل له أحدها لمولانا السلطان والثانى لملكة الانكليز والثالث لخديو مصر يدعوهم جميعا الى التسليم والاذعان لسلطانه ولما استشار بعض رجاله (أوائل ١٨٨٩) بخصوص التجريد على مصر وصفوها له ووصفوا له القاهرة وقصورها وغياضها وأموالها فتاقت نفسه الى فتحها واختار لهذا الفتح عبد الرحمن ولد النجومى لشهرته بالمهارة والاقدام ثم جهزه بجيش جله من الجعليين والدناقله ممن جاور واحدود مصر وجعلت دنقلة مركزا لحركة هذا الجيش وجعل يونس ولد الدغيم أميرا على دنقلة ثم بعث كتابا آخر الى مصر فيه الانذار والوعيد وبعث برأس النجاشى يوحنا الى يونس أمير دنقله على أن يرسلها الى وادى حلفا تهديدا للمصريين وأمر ولد النجومى بالزحف على مصر فخرج من دنقله ومعه ٨٠٠٠ مقاتل وفى ٢٢ يونيو من سنة ١٨٨٩ وصل الى سرس فانضم اليه الامير عبد الحليم بجموعه ومازال يتقدم نحو الشمال حتى تلاقى مع الجيوش المصرية المعسكرة على الحدود وكان يقودها ودهوس باشا وحدثت بين الجيشين مقاتلة صغيرة ببلدة ارجين وهى على ثلاثة أميال الى الشمال من حلفا (٢٠ يوليو ١٨٨٩) كان الفوز فيها للمصريين ولما تم للسردار نقل الجيش الى الحدود سافر مع أركان حربه وسافرت أيضا بعض فرق جيش الاحتلال الى أسوان وكان ولد النجومى لا يزال يتقدم مع جموعه وكتب اليه السردار يدعوه الى التسليم فأجابه بالرفض وقسم السردار الجيش الى قسمين جعل معظمه يسير على البر الغربى للنيل والآخر على البر الشرقى وكان ولد النجومى يسير بجيشه على البر الغربى وتناوش الطرفان مرارا ثم وصل السردار الى طوشكى وهى قرية صغيرة على البر الشرقى بين كروسكو وحلفا على بضعة أميال من هيكل أبى سمبل شمالا وفى صباح ٣ أغسطس سنة ١٨٨٩ بعث طلائعه للاكتشاف ولم تكد هذه الطلائع تشرف على معسكر الدراويش حتى رأوهم هاجمين كالجراد فتقدم السردار بالجيش وكان قد علم بما عليه جموع ولد النجومى من الجوع والعطش فانتشب القتال بينه وبينهم ولم تمض ساعات حتى انهزم الدراويش بعد ان قتل منهم نحو ١٢٠٠ وأسر منهم نحو ٤٠٠٠ بينهم كثير من النساء والاولاد وغنم المصريون أعلامهم وسيوفهم ورماحهم وأشياء كثيرة من ذخائرهم وكان بين قتلاهم ولد النجومى نفسه وعدة من أمرائهم وهرب عثمان الازرق وعلى ولد سعد وحسن النجومى وميرغنى سوار الذهب وغيرهم من الامراء ولم يفقد الجيش المصرى سوى ٢٥ قتيلا وكانت جرحاه ١٤٠ جريحا وأرسل السردار بتاريخ ٤ اغسطس سنة ٨٩ يصف هذا القتال من أوله الى آخره وصفا مطولا وقد أوردناه هنا لتمام الفائدة قال بناء على نتيجة الاستكشاف الذى عمل يوم ٢ الجارى بمعرفة البكباشى بيتش أمرت جميع العساكر الراكبة تحت قيادة الموا كتشنر باشا بعمل الاستكشاف يخرجون لاجله من توشكى فى صباح يوم ٧ الجارى وتوجهت بنفسى معهم مصحوبا بأركان حربى وكان الغرض من ذلك اظهار قوة امام العدو وقطع المواصلة بينه وبين كشافيه للوقوف على أخباره ومعرفة ماذا كان معسكر النجومى باقيا فى المكان الذى كان فيه فلما صرنا على مقربة من الدراويش ضبطنا بعض الهجانة فعلمنا منهم بأن النجومى قام فى ذلك الوقت قاصدا جهة الشمال وحقيقة بعد برهة وجدنا العدو فى حالة السير فلما أحس بنا

تقدمت رجاله المتسلحة بالبنادق الى الامام وأطلقت النار على السوارى فأمرت اللوا كتشنر باشا بسحب السوارى خلف تل صغير واقع على مسافة نصف ميل من شمال معسكر العدو وترتيب خط نار من الهجانة وهم وقوف على أقدامهم ثم استولينا على نقطة ثانية مع الامل فى جذب العدو لجهة الشمال ولكننا تركناها بعد ذلك وتبوأنا نقطة أخرى خلفها على مسافة تسعمائة يردة من جهة الشمال ولما تبالغ من تقدم العدو بقوة أرسلت الى توشكى طالبا حضور الفرقة الاولى من البيادة المؤلفة من الاورط السودانية التاسعة والعاشرة والثالثة عشرة ومدفعين من الطوبجية السوارى وقد استمر اطلاق النار من السوارى والهجانة وهم على أقدامهم على شرخه جبهة الدراويش وكان الدراويش يتقدمون بالتدريج وفى الساعة ثمانية ونصف صباحا برزت رجال العدو المتسلحة بالحراب فى قوة كبرى من مضيقين فى الجهة الشمالية من المعسكر رافعين عددا كثيرا من الرايات فاحتشدوا خلف شرخه جبهتهم ثم تقدموا بسرعة فالتزمنا بالانسحاب الى الوراء وحل العدو سريعا فى نقطتنا التى تركناها فتبوأنا نقطة أخرى تحت تل واقع على بعد ميلين تقريبا من الجهة القبلية الغربية من توشكى وكان العدو مستمرا على التقدم علينا بثبات ولكن فى الساعة التاسعة وصل مدفعان من الطوبجية السوارى فأوقفت نيرانهما تقدم العدو وحولت بالتدريج خط سيره الى الشمال الغربى فمرت قوته جميعها من امامنا على مسافة نحو ألفى يرده فى جمع كثيف ولم تزل الطوبجية تلقى عليه نيرانها بتأثير كلى وقد لاحظنا وقتها انه فى ظل تقدم العدو كان جم غفير من توابع معسكره وجملة جمال سائرين الى المرتفعات من الجهة الشمالية الغربية واختفوا سريعا عن العيان فاتضح لنا من ذلك أن العدو لابد أنه كان قاصدا جهة ابريم لضرب خيامه فيها فأرسلت عند ذلك الى توشكى طالبا حضور الفرقة الثانية من البيادة المؤلفة من الاورط المصرية الاولى والثانية والاورطة الحادية عشرة السودانية وبطارية الميدان الثانية المصرية ثم ضمت الفرقتان مقدما مع بعضهما وجعلتا تحت قيادة اللواء ودهاوس باشا ومعه بصفة قومندان للفرقة الاولى القائمقام هنتر بك وبعدها دعوت اللوا كتشنر باشا الى تحريك العساكر الراكبة خيول مقدمة العدو للتمكن من فرقته الكبرى اذ أنها كانت مستمرة على السير الى جهة الشمال تحت حماية المتسلحين منهم بالبنادق والحراب فاستولى الباشا المشار اليه بالتعاقب على عدة نقط فى الجهة اليمنى القصوى وبهذه الكيفية نجح فى اتمام المقصود لانه أوقف سير الدراويش وكانت فرقتنا الاولى البيادة قد وصلت فى الساعة العاشرة صباحا وحلت فى النقطة التى كانت موجودة من قبلها فيها الطوبجية والسوارى والهجانة كل منهما على أقدامه وهذه النقطة عبارة عن سلسلة أكمات صخرية على بضعة أربعة أميال من النيل وشاغلة مسطح ألفى يرده من الشمال الى الجنوب تقريبا وفى أثناء ذلك كان رجال الدراويش المتسلحون بالبنادق والحراب قد استولوا على بعض تلال صخرية مقابل نقطتنا وعلى مسافة ثمانمائة يرده منا فتقووا فيها سريعا وغرسوا عددا وافرا من الرايات فوق هذه التلال التى كانت قد امتلأت رؤسها بالذين بيدهم بنادق ومن خلفهم احتشد الذين معهم الحراب فرغبة فى اعدام جناحهم الايسر بالنار أمرت اللوا ودهاوس باشا بعمل لاحظة البيادة الى اليمين فما كاد رجالهم المتسلحون بالحراب يرون امتداد خط الاورطة التاسعة حتى أسرعوا تحت قيادة الامير عبد الحليم بالهجوم فى قوة عظيمة على الجهة اليمين من نقطتنا فتقدموا بعزم واحد لكنهم قتلوا عن بكرة أبيهم بنار هذه الاورطة

تحت قومندانية القائمقام لو يد بك فبعد ان أمددت الاورطة نفسها ببلوك من الاورطة الثانية برئاسة البكباشى مرتير أمرتها بالتقدم وتبوؤ جهة اليسار من نقطة الدراويش وأمرت فى الوقت نفسه جميع العساكر بالتقدم فى آن واحد مع توجه الجناحين الى الامام بالسرعة للاحاطة بباقى النقطة فهجمت الاورطة العاشرة السودانية بثبات واقدام تحت قيادة القائمقام رون بك على القلب وطردت الدراويش من المرتفعات ثم حملتهم خسائر جسيمة عند تقهقرهم من الجهة التى كانوا محتمين فيها وراء التل واستولت على عدد كبير من راياتهم أمامين الاعداء الافقى وهو عبارة عن تل منفرد فهجمت عليه الاورطة الثالثة عشرة السودانية وقد كان عدد الدراويش حاملى البنادق فى تلك الجهة بالغا حدا كبيرا حتى انه ترتب على ذلك انخذال وفتى فقتل من الاورطة اثناعشر عسكريا وجرح منها ثلاثة وخمسون فى بضع دقائق فأظهر القائمقام كستر عند ذلك من الشجاعة ما استنهض به همة رجاله فالتحموا جسما بجسم مع الدراويش فهجم عليهم هؤلاء مرارا عديدة بشجاعة القنوط وقد رأينا عندها أن معظم قوة الدراويش كانت منحصرة فى هذه الجهة والقلب وقد قتل منهما أكثر أعاظم أمراء البقارة والجعليين ووجدنا جثث عبد الحليم وواد جباره ومكين وغيرهم من الامراء اتضحت لنا حقيقتهم فيما بعد ووجدنا أيضا وراء الجهة اليسرى من قلب نقطة الدراويش ما ينيف عن الالف منهم موتى وقد كان للطوبجية المجتمعة تحت قيادة الميرالاى رندل بك والاورطة الاولى المصرية تحت امرة القائمقام كولس بك والاورطة الثانية المصرية تحت قيادة القائمقام شكسبير بك والاورطة الحادية عشرة السودانية وقائدها القائمقام ليد مكدونلد بك اليد الطولى فى المساعدة ماديا على الاستيلاء على يسار نقطة الدراويش وذلك بالقاء النيران المتتابعة على مجموع الدراويش التى كانت محشودة من الخلف وقد انضمت الاورطة الاولى الى الاورطة الثالثة عشرة عند الهجوم الانتهائى على هذه النقطة واستولياً فيها على أكثر من ثلاثين راية وقد كانت القيادة فى هذا الهجوم بيد القائمقام هنتر بك فجرح بحربة فى ذراعه عند التحام الفريقين بدا بيده على قمة التل وفى أثناء هذه الحركات كانت السوارى والهجانة على يمين خطنا تمنعان بنيرانهما الدراويش من ارسال المدد الى نقطتهم الاولى أو الهجوم علينا من الجنب فلما رأى الدراويش اننا استولينا على نقطتهم الاولى تقهقروا فى وسط سهل واسع قاصدين أرضا مرتفعة فى جهة الغرب وفى تلك اللحظة كان ولد النجومى راكبا حصانا ومجتهدا فى جمع شمل دراويشه المتفرقين فأشار الى عليه أحد الاسرى فأمرت ألاى الهوسار تحت قيادة القائمقام أرون والسوارى المصرية تحت قومندانية البكباشى بيتش بالهجوم عليهم وفى الوقت نفسه تقدمت الهجانة بسرعة وأطلقت النار من قريب على جناح العدو المتقهقر وكذلك تقدمت الطوبجية السوارى الى اليسار بحركة دورانية حتى وقفت على مسافة مرمى الصلقوم وقد كان الدراويش وصلوا عندها بعد قليل من الرايات الى الحلول فى نقطة أخرى قوية غربى نقطتهم الاولى وعلى مسافة ألفى يردة منها أى فى الجهة التى كنا شاهدنا توابع المعسكر وجمال الحملة ذاهبين اليها فى ابتداء الواقعة وفى الظهر أمرت الاورطة الحادية عشرة السودانية وعلى جناحيها الاورطتين المصريتين الاولى والثانية وأسندتهما بالاورطتين السودانيتين العاشرة والثالثة عشرة وبالاورطة التاسعة السودانية على الجناح الايمن من الخلف بالتقدم على هذه النقطة وقد كانت الطوبجية قد ضربتها من قبل بمدافعها فتقدمت الاورطة

الحادية

الحادية عشرة بغاية الثبات على نقرة طبولها وصوت بوريها ولكن الدراويش قد كانوا تكبدوا كثيرا فلذا لم يبدوا الا معارضة خفيفة ثم فروا هاربين من التلال سريعا فاتبعتهم السوارى المصرية بعد ما دارت من جهة الجناح اليمين ولما وصلنا الى المرتفعات وجدنا معسكر العدو فى الجهة المنخفضة تحتها فاستولينا عليه وعلى كمية وافرة من الطبول والحراب والسيوف والسروج والزرد ولوازم الخيام وغيرها بعد قتل عدد من الدراويش داخل المعسكر وخارجه

أما بقية قوة الدراويش ففرت متقهقرة الى جهة الجنوب الغربى واقتفت السوارى آثارها فى الصحراء على مسافة أكثر من ثمانية أميال من توشكى فلما رأيت الخيل قد هلكت تعبا والعساكر وهنت عزائمهم مما اعتراهم من المشقة والعطش فى هذا اليوم الطويل الذى أبلوا فيه بلاء حسنا أمرت بايقافهم عن اقتفاء أثر العدو فى الساعة الثانية بعد الظهر وقبل ذلك رأت السوارى جملا محملا يحاول الهروب وحوله نحو العشرين درويشا فظن فى الاول انه حامل مدفعا فأطلقت السوارى المصرية النار عليه وبان من كان حوله فولوا من نار السوارى الذين على أقدامهم فتقدم هؤلاء اليه ولما صاروا على مقربة منه ببضعة يردات نهض الدراويش بسرعة وهجموا عليهم بعزم أكيد فجرحوا بعضا منهم ولكنهم قتلوا عن آخرهم فاتضح بعدها ان الجمل كان حاملا جثة ولد النجومى وكان ملازموه أى حراسه جمعوا شملهم حوله وماتوا عليه فجىء بجثته الى المعسكر وتحقق هنالك معرفته بواسطة كثير من قبيلته نفسها ثم عادت جميع العساكر الى المعسكر فوصلوا اليه فى الساعة الخامسة بعد الظهر وقد قتل فى هذه الواقعة من الدراويش ألف وخمسمائة رجل وأسر منهم أكثر من ثلاثة آلاف وفيهم عدة من الجرحى اه

ولما بلغ خبر هذا النصر الخديو المرحوم محمد توفيق باشا بعث الى السردار يهنئه بكتاب رقيق العبارة أوردنا صورته بأسفل الصحيفة (١) وبعد انتهاء القتال جمع السردار قتلى هذه الواقعة من

---

(١) سعادتلو باشا حضرتلرى

ليس يخاف على درايتكم ياسردارنا العزيز ان أهم ما يفتخر به الانسان فى هذا العالم هو الذكر الجميل على العمل الجليل وأى ذكر أجمل مما يكتسب فى ارخاء عنان البسالة وتثبيت قدم الشجاعة ومد يد الغيرة وحفظ حد الحمية لقمع العدو ودفع الصائل وردع الباغى وصدع المتعدى وقد علمت من اطلاعى على تقرير سعادتكم حرفيا مع ما عرضه على مسامعنا شفاها حضرة البكباشى على بك حيدر المعهود اليه رفع ذلك التقرير الينا أنكم ولله الحمد نلتم كل هذه المزايا المحترمة فى واقعة توشكى التى جرت فى يوم ٣ أغسطس سنة ٨٩ حتى فزتم بنشر لواء النصر وبسط بسط الفوز كما علمت أيضا انه اشترك فى نيل تلك المزايا مع سعادتكم جميع من كانوا مشمولين بقيادتكم العامة من الامراء العسكرية والضباط الكرام والعظام ومن دونهم الى النفر من الافراد العسكرية المصرية والانكليزية (وأخص منهم الاى الهوسار الذى مد يد المساعدة لعساكرنا المصرية هذه المرة أيضا كما حصل منه فى سواكن) وغيرهم من القسم الطبى والملكى من الذين تزين التقرير بتضمن بيان أسمائهم فضلا عما سيتزين بها من صحف التاريخ وحيث أوجب كل ذلك عندى من السرور والانشراح والشكر والارتياح أضعاف ما حصل عند تلقى الاخبار التلغرافية التى وردت قبل مع القيام بواجب الحمد والشكر لله عز وجل على منة السلامة ومنحة النصرة قد حررت هذا لسعادتكم بصورة خصوصية تقديرا لما بذلتموه من جزيل الصداقة وجميل الهمة وانى أثنى الثناء الجميل على رجال الجيش الكرام الذين قاموا بواجباتهم المحترمة حق القيام مؤملا من همتكم تبليغ ذلك اليهم على الانفراد وانى أسأل الله تعالى أن يوفقنا دواما لما فيه خير البلاد آمين ١٩ الحجة سنة ١٣٠٦ و ٢١ أغسطس سنة ١٨٨٩

الجنود المصرية وجعلهم فى مدفن واحد وبنوا فوقه بناء نقشوا عليه باللغة العربية حفرا ما يأتى (شيد هذا الاثر تذكارا لواقعة طوشكى التى حصلت فى ٦ الحجة سنة ١٣٠٦ هـ وانهزم فيها جيش العصاة السودانى المرسل تحت امرة عبد الرحمن ولد النجومى فتشتتوا بعد قتل أميرهم وكان الجيش المصرى تحت قيادة سعادة السردار غرنفل باشا وفى هذا القبر دفنت جثث العساكر المصرية الذين استشهدوا وهم بالميدان) وقد كانت هذه الهزيمة الضربة القاضية على نفوذ التعايشى وتعاظمه بالسودان وقال سلاتين باشا فى كتابه ما ملخصه ان نجم سعد التعايشى مال الى الافول بعد واقعة طوشكى مع الجيش المصرى التى قتل فيها ولد النجومى والامراء الذين معه وألوف من رجالهم وأسر من بقى منهم وبلغ عدد القتلى والجرحى والاسرى ستة عشر ألفا ثم واقعة طوكر التى دحر فيها عثمان دقنه وغير ذلك ويظهر أن غرض الخليفة الآن الاحتفاظ بما عنده وأخذ يوصى أمراءه أن يلزموا خطة الدفاع اهـ ولما ساح الخديو محمد توفيق باشا سياحته الثانية (١٨٩٠ م) فى الوجه القبلى لتفقد أحوال الاهالى أرخى لسياحته العنان حتى بلغ وادى حلفا فعاين معاقلها وحصونها واستعرض الحامية فسر من نظامها وركب الى مكان واقعة طوشكى ووقف أمام قبر شهدائها يتأمل ما أظهر جنده من البسالة فى ذلك القتال الذى كان فاتحة النجاح للمصريين وخذلان الدراويش حيث عرفوا به قدرهم ووقفوا عند حدهم

وفاة الخديو محمد توفيق باشا — كان رحمه الله قبل أن يمرض صحيح الجسم قوى البنية ظاهر الصحة ثم اعترته ليلة الجمعة أول جمادى الثانية من سنة ١٣٠٩ (يناير ١٨٩٢) قشعريرة فاشتكى الى طبيبيه الخصوصيين وهما عيسى حمدى باشا وسالم سالم باشا فأشارا عليه بملازمة مخدعه وقررا بانه أصيب بمرض كان انتشر اذ ذاك ويعرف بالنزلة الوافدة وبعد أربعة أيام أحس بالعافية وأراد النهوض من المخدع الى خارج قصره بحلوان فأشير عليه بالبقاء حتى يحصل على كمال الشفاء وقدر الله أن فاجأته النكسة فى اليوم الخامس ولما اشتد عليه المرض قلق أطباؤه واستدعوا آخرين وهم الدكتور كومانوس بك والدكتور هيس فلما عاينا حالة المرض أثبتا على الفور انه مصاب بذات الرئة على اثر تلك النزلة الشديدة وان حالته خطرة فاجتمع الوزراء والامراء والاعيان بالقصر كل ذلك وأغلب الناس لا يدرون بما هو حاصل لاميرهم ثم اشتد به المرض كثيرا ولم تمض الساعة السابعة وربع من مساء يوم الخميس السابع من شهر يناير حتى فارق هذه الدنيا وفى الحال انتشر نعى الفقيد فى أطراف القطر وسارت به الاسلاك البرقية الى عواصم البلاد الاجنبية وأعلن رئيس النظار دولتنا العلية العثمانية بذلك واستدعى ولى عهد الخديوية المصرية جناب الخديو الحالى عباس حلمى باشا الثانى أطال الله بقاءه وكان فى ويانا عاصمة النمسا يتلقى دروسه هو وشقيقه الامير محمد على باشا وورد منه على رئيس النظار خبر بالبرق يبدى فيه شديد حزنه وانه على أهبة الحضور ويوصيه بالسهر على أعمال الحكومة(١) ووردت أيضا رسالة برقية من الصدر الاعظم جواد باشا

(١) ان خبر وفاة سيدى ووالدى قد أدهشنى وهذا مصاب عظيم ليس بالنسبة لعائلتى وحدها بل بالنسبة لجميع القطر المصرى أيضا فنى وصلتنى منكم الاخبار الا كيد عن الوابور الذى سيصير تحضيره فى ترستة أسافر بلا تأخير وأخبركم بالتلغراف عن ساعة السفر وانى على يقين من أن الاعمال تستمر سائرة الى حين وصولى على أحسن محور بهمة عطوفتكم ورفقائكم ٨ يناير سنة ١٨٩٢ محبكم عباس

عما صدرت به الارادة السلطانية فى ذلك (١) ثم تقاطر الناس من كل الجهات ونكست الاعلام فى الثكنات ودور القناصل و باقى الاماكن ايذانا بالحداد وقررت هيئة الحكومة طريقة احتفال تشييع الجنازة وان تكون من سراى عابدين بعد أن تنقل من حلوان ثم سارت الجنازة فى منتصف الساعة التاسعة عربية من يوم الجمعة باحتفال عظيم جدا سارت فيه الجيوش وأرباب الرتب وذوو الصفات من ملكيين وعسكريين وأجانب بهيئاتهم وصفاتهم الرسمية وكانت عساكر جيش الاحتلال مصطفة على الجانبين من السراى الى آخر طريق العفيفى وبعد ان صلى على الفقيد فى مقام سيدنا الحسين رضى الله عنه ساروا به حتى واروه التراب رحمه الله رحمة واسعة وكان رحمه الله رحيما بالامة رؤفا كريما على الرعية حميد السجايا كريم الطوية سليم النية محبا لذوى قرابته وعائلته كثير الحلم تقيا شديد وأصلح كثيرا من المساجد والجوامع وعنى بتشييد أركان الدين وتقويم دعائمه وأصلح حالة الاوقاف الخيرية والاهلية وغير ذلك مما هو بك من أعماله وهو الذى جعل مصلحة الاوقاف ادارة خاصة تابعة له رأسا خوفا عليها من عبث يصيبها وفصل ناظرها من هيئة النظار وأصدر بذلك أمرا عاليا لرئيس النظار بتاريخ ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٠١ (٢٣ يناير ١٨٨٤) وقد أوردناه بأسفل الصحيفة (٢)

(خديونا الحالى عباس حلمى الثانى أدام الله أيامه ١٨٩٢)

هو الامير الجليل والشهم النبيل عباس حلمى باشا الثانى ابن المرحوم محمد توفيق باشا ابن المرحوم اسمعيل باشا ابن المرحوم ابراهيم باشا ابن المرحوم محمد على باشا الاكبر كانت ولادته فى غرة جمادى الآخرة من سنة ١٢٩٢ (١٤ يوليه ١٨٧٤) وبعد أن أتم دروسه الابتدائية بمدرسة الامراء الخصوصية بمصر أرسله المرحوم والده الى بلاد السويسرة أولا فتلقى العلوم بها ولما أكملها أرسله الى مدينة ويانه حيث ألحقه بمدرسة شهيرة هناك لا يلتحق بها الا أولاد الامراء والكبراء وبينما كان مشتغلا بدروسه بما عهد فيه من النشاط والاهتمام أتاه هذا النبأ المحزن فسارع بعودته هو وحاشيته الى مصر هذا ولما وصل تلغراف الصدر الاعظم جواد باشا الى صاحب العطوفة مصطفى فهمى باشا رئيس النظار بعث تغران باشا ناظر الخارجية الى كافة وكلاء الدول السياسيين فى القطر المصرى يعلمهم بتبوئ الخديو افندينا المعظم عباس حلمى باشا الاريكة الخديوية (السبت ٩ يناير

(١) بناء على ماعرضناه على الحضرة الشاهانية بأنه من مقتضى فرمان وراثة الخديوية المصرية قد آلت الخديوية الى حضرة عباس حلمى باشا أكبر أولاد المرحوم محمد توفيق باشا وانه لحين مايصل حضرته الى مصر تكون ادارة الحكومة بواسطة عطوفتكم بالاشتراك مع هيئة النظار قد صدرت الارادة بذلك فلزم الاخطار ٨ يناير سنة ١٨٩٢
جواد صدر أعظم

(٢) حيث ان الاوقاف لا تخلو بالحال فيها عن ثلاثة أنواع أى اما أن تكون خيرية محضة أو مشتركة بين خيرية وأهلية أو أهلية فقط وبانقراض مستحقيها تصير خيرية وفى كل هذه الانواع من الوجوب أن تكون الاحكام المختصة بمسائلها بالتطبيق للاحكام الشرعية و بتلك المناسبة لا تعلق لها ولا ارتباط بالنظارات الموكول لها ممارسة الامور الادارية والسياسية كما تقدم حصول المداولة مع دولتكم بهذا الشأن و بناء عليه اقتضت ارادتنا أن تجعل ادارتها قائمة بذاتها غير تابعة لنظارة من النظارات والاوامر التى تصدر عن شؤنها يصير تفهيمها مباشرة من لدنا والذى يتعين لادارتها يسمى مدير عموم الاوقاف وقد عينا محمد زكى باشا لهذه الوظيفة وصدر له أمر نا فى تاريخه بما يلزم اجراؤه وأصدرنا هذا لدولتكم للعلومية
محمد توفيق

١٨٩٢) بكتاب متحد المعنى والعبارة أوردنا صورته بأسفل الصحيفة (١) وكان سمو العزيز بارح مينا تريستة على باخرة نمسوية وصلت الى مينا الاسكندرية فى صباح يوم السبت الموافق ١٦ من شهر يناير وبصحبته شقيقه الامير محمد على وكان فى انتظاره بالمينا أربع بوارج حربية انجليزية حيته باطلاق المدافع ونشر الرايات وحيته كذلك جميع السفن الراسية فى الميناء وكان بانتظاره على رصيف المينا أمراء العائلة الخديوية والوزراء وكبار الموظفين والبارون هيدلر قنصل جنرال النمسا والمجر لتقديم مراسيم التحية ونزل بسراى رأس التين فاستقبل العلماء وضباط الجيش المصرى وجيش الاحتلال والقناصل ورجال المحاكم الاهلية والمختلطة وموظفى الحكومة والاعيان ثم ركب مركبته قاصدا محطة السكة الحديدية وكان الازدحام شديدا على جانبى الطريق ولما تحرك القطار الذى يقله اطلقت المدافع ايذانا ببارحته الثغر وبعد ظهر ذلك اليوم وصل بالسلامة الى محطة القاهرة فقوبل بدوى المدافع وتهليل الجموع ثم سار الى سراى عابدين حيث كان فى ميدانها عساكر جيش الاحتلال والجيش المصرى ومع كل قائده الاكبر ولما وصل حفظه الله استقبله البرنسات والنظار وعارف بك سكرتير دولة الغازى مختار باشا بالنيابة عنه لانحراف اعترى صحة دولته يومئذ وكبار رجال المعية السنية وأظهر الجناب العالى مزيد ارتياحه ثم وقف لاستماع تلاوة التلغراف الشاهانى الصادر من الصدر الاعظم وبانتهاء تلاوته أطلق من قلعة الجبل مائة مدفع ومدفع وعزفت الموسيقى بالسلام السلطانى وكان الجناب الخديوى فى أثناء ذلك واقفا واضعا يده على الرأس تعظيما للحضرة السلطانية وفعل كذلك جميع الحاضرين ثم عزفت الموسيقى بالسلام الخديوى وصاحت الجنود ثلاثا بكلمة (أفنديمز چوق يشا) ثم قدم تغران باشا ناظر الخارجية الى جنابه العالى حضرات القناصل وبعدها ذهب للبهو الكبير المعد للتشريفات فاستقبل العلماء وكان النظار قدموا استعفاءهم كالعادة فلم يقبل وأقرهم على ما كانوا عليه وبعث الى صاحب العطوفة مصطفى فهمى باشا ارادة سنية بذلك (٢) وفى يوم الاثنين ١٨ يناير استقبل الجناب العالى وكلاء الدول السياسيين بسراى عابدين وألقى الموسيو أورتيجادى مور يجون قنصل جنرال دولة اسبانيا أقدم القناصل خطابا جمع فيه بين التهانى والتعزية وأجابه الجناب العالى شاكرا ممتنا

وكان جنابه العالى لما تبوأ الاريكة الخديوية بعث بالتلغراف الى دار الخلافة يعرض شكره وامتنانه ودعواته الخيرية على مقام الخلافة العظمى فورد له الرد من ثريا باشا باشكاتب المابين الهمايونى (١٦ يناير ١٨٩٢) بمحظوظية وارتياح الحضرة العلية السلطانية وفى ٢٥ يناير

---

(١) (بعد الديباجة) انه ليحزننى أن أنبئكم بوفاة مولاى الفخيم الجناب الخديو محمد توفيق باشا توفى رحمه الله فى مساء اليوم السابع من هذا الشهر بقصره بالحلوانى اثر مرض لم يمهله سوى بضعة أيام وانى بمواصلتكم بهذا المصاب الذى حل بالبلاد أتشرف بابلاغ جنابكم ان الجناب الخديوى المعظم عباس حلمى باشا قد تبوأ الاريكة الخديوية خلفا للساكن الجنان والده الفخيم طبقا للفرمانات الشاهانية العالية وتفضل سيدى بقبول فائق احترامى ٩ ينايرسنة ١٨٩٢

ناظر الخارجية تغران

(٢) قد اقتضت ارادتنا بقاء هيئة النظار الحالية التى تحت رئاستكم كما كانت وغاية أملنا ادارة شؤون حكومتنا بصورة مرضية باتحادكم واتفاقكم مع رفقائكم وأصدرنا لكم أمرنا هذا ليكون معلوما لكم ولتبليغه لحضرات النظار فنسأل الله المستعان أن يوفقنا جميعا لذلك آمين ١٧ يناير ١٨٩٢ غرة ١ عباس حلمى

يناير استقبال كل من صاحبي السعادة محمد ثابت باشا رئيس الديوان الخديوي وعلى ذى الفقار باشا سر تشريفاتي من منصبيهما فقبل منهما ورتبت أقلام المعية السنية ترتيبا جديدا فجعل دومارتينو باشا مديرا للاقلام الافرنجية ومحمود باشا فهمي مديرا للاقلام العربية ومحمود شكري باشا مديرا للاقلام التركية ومحمد على بك رئيسا للقلم العربي والعرضحالات وعين الدكتور كومانوس بك طبيبا خاصا للحضرة الخديوية بدلا عن الدكتور سالم باشا وأقيل الدكتور عيسى حمدي باشا من وظيفة طبيب العائلة الخديوية وتعين أحمد مظلوم باشا محافظ عموم القنال رئيسا للتشريفات ثم أقسم الجيش يمين الطاعة للحضرة الخديوية كما هي العادة المتبعة في الممالك المتمدنة من انه عند جلوس الملوك والامراء على كرسي الممالك يقسم لهم الجيش يمين الطاعة وأصدرت نظارة الحربية الاوامر لجميع الجنود لاداء ذلك اليمين فاجتمعت في صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ يناير سنة ١٨٩٢ في ساحة عابدين ثم وقف يوسف شهدي باشا ناظر الحربية اذ ذاك والسير غرنفيل باشا سردار الجيش المصري الى جانب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ الامبابي شيخ الجامع الازهر الذي عهد اليه سمو الخديو بتحليف هذه اليمين ووقف ضباط أركان حرب الجيش حولهم على شكل دائرة وأصدر السردار الاوامر فترجل قواد الاسلحة عن خيولهم وتقدم كل ضابط امام فرقته وقرأ الجميع اليمين بصوت جهوري وقد أوردنا صورة اليمين المذكور بأسفل الصحيفة لتمام الفائدة (١) ثم استعرض السردار الجيش امام الخديو وتم هذا الاحتفال الذي لم يسبق له مثيل في عهد الخديوية المصرية

ولما كان ميعاد انعقاد الجمعية العمومية قد أقبل افتتحه جنابه العالي بخطاب لطيف ومما جاء فيه انه أمر بالغاء ضريبة العونة وتنقيص ثمن الملح والغاء رخصنامة الحرف والصنائع (٢)

---

(١) أقسم بالله ثلاثا وبكتبه المنزلة عموما وبرسله وذمتي وشرفي واعتقادي أن أكون صادقا مخلصا أمينا للحضرة الفخيمة الخديوية ولحكومتها السنية مطيعا لجميع أوامرها الكريمة ولجميع الاوامر الحقة التي تصدر الي من رؤسائي منفذا لارادة جنابه العالي في البر والبحر داخل وخارج القطر معاديا لمن يعاديه ومسالما لمن يسالمه مدافعا عن حقوق بلاده محافظا على سلاحي لا أتركه من يدي لعدو قط حتى أذوق الممات والله على ما نقول وكيل اه

أما صيغة اليمين الذي قاله الضباط الانجليز فهو

أعلن بشرفي باعتباري ضابطا وذا شرف انني في خدمتي للحضرة الفخيمة الخديوية أثناء مدة شروط خدمتي الحالية والتالية ان تجددت أقوم بأداء الواجبات التي تعهدالي باخلاص وأمانة وأخلص وأبذل غاية جهدي في بث وتقوية شعائر الولاء والاحترام لذات جنابه العلية ولعائلته الكريمة فيمن يكون تحت امرتي اه

(٢) يسرنا أن نعلمكم في اجتماعنا اليوم أول مرة بحضرا تكم اننا مع غيابنا من ديارنا كنا نتتبع أعمالكم بكمال الاهتمام مفتخرين بوجود هيئة في القطر تنوب عن أهاليه فكونوا على يقين من أن غاية مقصدنا المحافظة على امتيازات هذه الهيئة المرتبط بها نجاح مصر ومستقبلها ولذلك كان من أول ما اهتممنا به أن جمعنا كم حولنا ويسرنا أن نبشركم في أول اجتماعكم هذا بأننا بالاتفاق مع هيئة حكومتنا قد قررنا الغاء الضريبة التي كنتم وافقتم على ربطها في جلستكم المنعقدة في ١٥ ديسمبر سنة ١٨٨٩ في نظير الغاء العونة بتمامها وتنقيص ثمن الملح والغاء عوائد رخصنامات الصنائع واننا نقوم الآن بواجب مقدس فنذكران الفضل في اتخاذ هذه الاجراآت التي من شأنها تخفيف الاحمال عن عاتق الاهالي انما هو راجع لحسن ادارة وحكمة ساكن الجنان والدنا الابر ولما بذله من الحزم والثبات في تدبير ايرادات الخزينة واستعمالها بغاية الاقتصاد واننا سنسير على المنهج الذي اختطه لنا وأملنا انه بعون الله ومعاضدة الامة تكون مساعينا وأعمالنا عائدة على مصر بالسعادة والرفاهية ان شاء الله اه من صحيفة ٤٤ مجموعة أوامر سنة ١٨٩٢

وعقب استلام سموه زمام الاحكام أهدت الدول العظيمة لجنابه اسمى وساماتها كما منحه مولانا السلطان نشان لياقت وكثرت الروايات بخصوص الفرمان الشاهانى وتأخر صدوره

الفرمان الشاهانى — قدم من دار الخلافة العظمى فى أول إبريل من سنة ١٨٩٢ المشير أحمد أيوب باشا يحمل فرمان التولية فقوبل بما يليق به من الاكرام وكانت سفارة انكلترة فى الاستانة لاحظت أن الفقرة المختصة بحدود الديار المصرية ليست كالموجودة فى الفرمان الصادر الى ساكن الجنان محمد توفيق باشا فلما عرضت ذلك على نظارة خارجية لندرة كتبت الى السير بارنج (لورد كرومر) بمخابرة الحكومة الخديوية واستلفات انظارها الى هذا الامر وحصل من ذلك عدة مخابرات بين الحكومة وبين السير بارنج والمركيز دورفرسو (de Reverseaux) والموسيو كوياندر (Koyander) وكيلى فرنسا والروسيا بمصر من جهة وبين الحكومة الخديوية والباب العالى من جهة أخرى فنشأ عن ذلك تأخير تلاوة الفرمان أياما ولما انتهت الازمة ورد تلغراف من الصدر الاعظم (٨ ابريل ١٨٩٢) بابقاء ادارة شبه جزيرة طور سينا فى عهدة الخديوية المصرية على الطريقة التى كانت بها من عهد الخديو الاسبق اسمعيل باشا وضم جهات ضبا والمويلح والعقبة والوجه إلى ولاية الحجاز ثم احتفل بقراءة الفرمان فى ميدان سراى عابدين بحضور أمراء العائلة الخديوية والوزراء والقناصل والعلماء وقضاة المحاكم المختلطة والاهلية وكبار رجال المصالح وأعيان الوطنيين والاجانب وبعد تلاوته وتلاوة تلغراف الصدر الاعظم انفض الجمع وهدأت الافكار وقد أوردنا صورة الفرمان والتلغراف بأسفل الصحيفة فليطالعهما من شاء (١)

(١) الدستور الاكرم والمعظم الخديوى الافخم المحترم نظام العالم وناظم مناظم الامم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديو مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلا الحامل لنيشاننا الهمايونى المرصع المجيدى ولنيشاننا العثمانى من الطبقة الاولى وزيرى سمير المعالى عباس حلمى باشا أدام الله اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله

انه لدى وصول توقيعنا الهمايونى الرفيع يكون معلوما لكم انه بناء على ما قضى به الله من انتقال جنتمكان محمد توفيق باشا خديو مصر الى رحمته تعالى واعلاما بجليل التفاتنا ونظرا الى حسن خدامتكم وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولمنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من أن لكم وقوفا ومعلومات تامة بخصوص الاحوال المصرية وانكم كفء لاصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المبينة فى الفرمان الشاهانى الصادر بتاريخ ٢ ربيع الثانى سنة ١٢٥٧ هجرية والمبينة أيضا فى الخريطة الملحقة بالفرمان المذكور مع الاراضى المنضمة اليها طبقا للفرمان الشاهانى الصادر بتاريخ ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٨١ هجرية وذلك بمقتضى ارادتنا الشاهانية الصادرة فى ٧ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩ ولانكم أكبر أولاد جنتمكان الخديو المتوفى وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية توفيقا للقاعدة المقررة بالفرمان الشاهانى الصادر فى ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ القاضى بأن الخديوية المصرية تؤل الى أكبر الاولاد البكر فالبكر * ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة أهاليها ورفاهيتهم هى من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغوبنا ومطلوبنا كنا وجهنا فرمانا شاهانيا لتحقيق هذه الغاية الحميدة بتاريخ ١٩ شعبان سنة ١٢٩٦ الى جنتمكان والدكم بتوليته الخديوية المصرية وضمناه المواد الآتية ان جميع ايرادات الخديوية المصرية يكون تحصيلها واستيفاؤها باسمنا الشاهانى وحيث ان أهالى مصر أيضا من تبعة دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملزومة بادارة أمور المملكة الملكية والمالية والعدلية بشرط أن لا يقع فى حقهم أدنى ظلم ولا تعد فى وقت من الاوقات فخديو مصر يكون مأذونا بوضع النظامات اللازمة الداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وأيضا يكون خديو مصر مأذونا بعقد وتجديد المشارطات مع مأمورى

ثم استقال السردار غرنفل باشا من وظيفته فصدر الامر العالى بتعيين اللواء كتشنر باشا مكانه برتبة فريق ثم أصدر أمرا آخر بادخال بعض التغييرات بالمعية السنية فسميت الاقلام باسماء دواوين فصار يقال ديوان عربى خديوى وديوان تركى خديوى وهلم جرا

ولما رأى مولانا السلطان حسن الخطة التى انتهجها سمو العباس أهدى اليه النيشان العالى العثمانى المرصع واحتفل بتسليمه على يد الغازى أحمد مختار باشا المندوب العالى السلطانى بمصر (٢٥ صفر سنة ١٣١٠) ولما كان من صفات العباس الحنو على الامة والميل لكل من يعلى شأنها وشاهد منه ذلك الناس عموما من أقواله وأفعاله قامت طائفة من محبى الخير منهم وشكلوا جمعية سميت بالجمعية الخيرية الاسلامية تحت رعاية سموه لاعانة فقراء المسلمين وتعليم أبنائهم وجعلت لها قانونا واعترفت الحكومة بها رسميا (١٥ جا سنة ١٣١٠) وايراد هذه الجمعية

الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة أمور المملكة الداخلية لاجل ترقى الحرف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التى بين الحكومة والاجانب والاهالى والاجانب مع أمور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية البوليتيقيه وفى حقوق متبوعية مصر لها ولكن قبل اعلان الخديوية المشارطات التى تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالى وأيضا يكون حائز التصرفات الكاملة فى أمور المالية لكنه لا يكون مأذونا بعقد استقراض بوجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقد استقراض بالاتفاق مع المداينين الحاضرين أو وكلائهم الذين يتعينون رسميا وهذا الاستقراض يكون منحصرا فى تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصوصا بها وحيث ان الامتيازات التى أعطيت لمصر هى جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التى خصت بها الخديوية وأودعت لديها فلا يجوز لاى سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الاراضى المصرية للغير مطلقا ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ ألف ليرة عثمانية الذى هو الويركو المقرر دفعه فى كل سنة فى أوانه وكذلك جميع النقود التى تضرب فى مصر تكون باسمنا الشاهانى ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر ألفا لان هذا القدر كاف لحفظ أمنية بلاد مصر الداخلية فى وقت الصلح ولكن حيث ان قوة مصر البرية والبحرية مرتبة كذلك من أجل دولتنا يجوز أن يزاد مقدار العساكر بالصورة التى تستدعى فيها حالة دولتنا العلية محاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم ويباح لخديو مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة أميرالاى والملكية الى الرتبة الثانية ولا يرخص لخديو مصر أن ينشئ سفنا مدرعة الا بعد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية ومن اللزوم المحافظة على كل الشروط السالفة الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها قد أصدرنا أمرنا هذا الجليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايونى وأرسلناه تحريرا فى ٢٧ شعبان المعظم سنة ١٣٠٩ من هجرة صاحب العزة والشرف

(٢) ترجمة تلغراف دولتلو فخامتلو الصدر الاعظم جواد باشا الى الجناب الخديوى المعظم بتاريخ ٨ ابريل سنة ١٨٩٢

معلوم لدى جنابكم العالى ان جلالة مولانا السلطان الاعظم كان قد صرح للحكومة المصرية بوضع عدد كاف من الجند بجهات الوجه والمويلح وضبا والعقبة الواقعة على شواطئ الحجاز وكذلك فى بعض جهات من شبه جزيرة طور سينا بسبب مرور المحمل المصرى ولما كان جميع هذه الجهات غير مبينة أصلا فى خريطة سنة ١٢٥٧ المسلمة الى جنتمكان محمد على باشا المبينة بها الحدود المصرية لذلك أعيد الوجه أخيرا الى الولاية الحجاز بمقتضى ارادة شاهانية كما أعيد اليها ضبا والمويلح وضمت العقبة كذلك الآن الى الولاية المذكورة أما من جهة شبه جزيرة طور سينا فهى باقية على حالتها وتكون ادارتها بمعرفة الخديوية المصرية بالكيفية التى كانت مدارة بها فى عهد جد كم اسمعيل باشا ووالدكم محمد توفيق باشا

من مبالغ يدفعها أعضاؤها سنويا ومما يتبرع به أهل الخير من المسلمين وأسست الجمعية المذكورة أربع مدارس ابتدائية بمصر والاسكندرية وطنطا وأسيوط وفى أواسط السنة المذكورة قام خلاف بين أعضاء مجلس ادارة طائفة الاقباط الاورثوذكسيين وبين بطريركهم بخصوص مسئلة الاوقاف الكنائسية والاصلاحات التي يريد الحزب الناجم منهم ادخالها على قانون مجلسهم الكنائسى اما أعضاء المجلس المذكور فاعترضوا على ذلك بايعاز من البطريرك وتوقفوا عن ادخال أى تغيير كان لان ذلك يقلل من نفوذ البطريرك والقسوس ويحط من سيطرتهم فقام لذلك الهرج والمرج بين أفراد الطائفة وأغلق الرهبان أبواب البطركخانة وخاف عقلاؤهم من حدوث انقسام فى الطائفة فقرر أخيرا مجلسهم لزوم ابعاد البطريرك وهو الانبا كيرلس الى دير براموس وابعاد مطران الاسكندرية انبا يوأنس لدير بولا بالجبل الشرقى ولما طلب أعضاء مجلسهم ذلك من الحكومة صدر به الامر العالى بناء على قرار مجلس النظار منعا للاضطراب (٣١ أغسطس ١٨٩٢)

وزارة رياض باشا — انه بعد عودة مصطفى فهمى باشا رئيس النظار من أوروبا أصيب بالنزلة الوافدة فلزم البيت أياما لا يخرج ولما طال تغيبه عن حضور المجلس بعث اليه الجناب العالى محمود شكرى باشا وكافه بتقديم الاستعفاء فاستعفى واستدعى الجناب الخديو حسين فخرى باشا وكافه بتشكيل وزارة جديدة فاعترض لورد كرومر باسم الحكومة البرطانية على ذلك ثم حصل الاتفاق على تكليف رياض باشا بتشكيل الوزارة فتم الامر وصدر الامر العالى بها (١٩ يناير ١٨٩٣) وكان رئيسها ناظر الداخلية ومحمد زكى باشا للاشغال العمومية والمعارف ويوسف شهدى باشا للحربية والبحرية وتغران باشا للخارجية وبطرس غالى باشا للمالية وأحمد مظلوم باشا للحقانية ثم استقال زكى باشا من نظارة المعارف فأحيلت على رئيس النظار وزادت الحكومة الانجليزية عدد جيشها المحتل فبعد ان كان ثلاثة آلاف جندى فقط أصبح أكثر من خمسة آلاف على اثر ما حصل من الخلاف الشديد حين تكليف فخرى باشا بتشكيل الوزارة كما تقدم

وكان عامة الاقباط متهيجة ساخطين لابعاد بطريركهم فالتمس بعضهم من رياض باشا اعادته من منفاه ولما نظر فى مسئلتهم بنفسه استصدر أمرا عاليا باعادة البطريرك والمطران من منفاهما وكان لعودتهما احتفال قام به الاقباط فى تلك الاثناء وحضر الى ثغر الاسكندرية (١٥ فبراير) اسطول البحر المتوسط الفرنساوى وكان يتألف من ٢٢ بارجة بين مدرعة ونسافة تحت قيادة الكونترأميرال دورلودوت دى ايسار (Dorlodot des Essarts) وزار قائده مع عدة من أركان حربه الخديو المعظم فى القاهرة فاحتفل سموه بلقياهم أعظم احتفال ولما كان مولانا العباس سافر الى الاسكندرية فى ذلك الوقت كعادته السنوية فى كل صيف ناب دولة رياض باشا رئيس مجلس النظار عن الحضرة الفخيمة الخديوية باحتفال كسوة الكعبة المشرفة يوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣١٠ (٦ مايو ١٨٩٣) بحضور الوزراء والامراء والاعيان والاهالى على جارى العادة كما ناب أيضا عن سمو الخديوى باحتفال قدوم المحمل فى يوم الاثنين ٨ ربيع الاول سنة ١٣١١ (١٨ سبتمبر من السنة المذكورة) وكان أمير الحج فى السنة المذكورة محمد نجيب باشا

زيارة الجناب العالى لدار الخلافة — لما كانت الفرمانات السلطانية تقضى بأن كل من

يتولى

يتولى الاريكة المصرية يذهب الى دار السعادة لاستلام الفرمان بنفسه وتأدية واجب الاحترام للذات الشاهانية وكانت الحوادث المصرية لم تمكن سموه من الذهاب الى الاستانة لتأدية هذا الواجب عزم على السفر الى دار الخلافة وأصدر أمرا لرياض باشا بأن ينوب عنه مدة تغيبه ثم سافر على باخرة الفيوم (٦ يوليو) وسار معه الغازى أحمد مختار باشا وكان تعين لاستقبال سموه كل من رائف باشا وشاكر باشا وابراهيم باشا من الياوران العظام وقابله مولانا السلطان استقبال الاب لابنه بما يشف عن جليل الرعاية وفائق الالتفات وعلق بيده على صدره نشان الامتياز العالى وكان كثير من أعيان المصريين وذواتهم قصدوا الاستانة فى خلال ذلك فنالوا فى ظل السياحة الخديوية من التعطفات الشاهانية ما ألهج ألسنتهم بالشكر وكانت الامة المصرية عن بكرة أبيها فرحة مستبشرة من تمكين الارتباط بين الخديوية المصرية والمتبوع الاعظم وبعد ان مكث سمو الخديو الى السابع والعشرين من شهر يوليو استأذن بالسفر فأذن له وأقام له الاسكندرانيون الزينات والاحتفالات الشائقة الفائقة ولا تسل عمن قدمها من كل انحاء القطر لمشاهدة الطلعة الخديوية

ولما تقدمت ميزانية سنة ٩٤ (دسمبر سنة ١٨٩٣) لمجلس شورى القوانين كما هو مقتضى قانونه وبحث فيها كعادته انتقد أعضاء المجلس على أكثر أوجه الميزانية المذكورة وقدموا تقريرهم بذلك الى الحكومة وذكروا فى مقدمته ما آلت اليه حالة الاهالى من الضنك كما يستدل من رهنهم لاكثر من مليون فدان من الاراضى خلاف الرهن الغير المسجل بالمحاكم وان ديونهم تبلغ نحو عشرين مليونا من الليرات وطلبوا فى تقريرهم توسيع نطاق المعارف وعمل بعض الاقتصادات من مصروفات بعض المصالح للوصول الى تخفيف الضرائب عن الاهلين وغير ذلك فتوجه رياض باشا بنفسه الى مجلس شورى القوانين ومعه بقية النظار والمستشار المالى (١٤ جمادى الثانية من سنة ١٣١١) ولما انعقد المجلس قام الوزير رياض باشا وتلا جواب الحكومة على تقرير المجلس ولما كان هذا الجواب بمثابة تاريخ تعلم منه حالة الحكومة سابقا وما وصلت اليه وما أدخل عليها من الاصلاحات رأينا من الضرورى ذكره بأسفل الصحيفة بأكمله (١) افادة للقراء ولانه من أنفس الآثار التى يعتنى بها المؤرخ

---

(١) بعد ان اطلعنا على التقرير الذى قدمتموه وفحصنا ما أبديتموه فيه من الآراء والملحوظات فيما يتعلق بميزانية الحكومة عن سنة ١٨٩٤ قد حضرنا أمامكم فى هذا اليوم (أولا) لنبدى لحضراتكم تشكراتنا على الهمة التى بذلتموها فى فحص وتدقيق هذه الميزانية (ثانيا) لاعلامكم عن رأيه وفكر الحكومة فى هذا الشأن علمنا من مطلع التقرير أن أساس ما بنى عليه من الاحكام هى الارقام المستدل بها على مقدار الديون والرهونات التى على الاهالى المسجلة فى سجلات المحاكم أما ان الاهالى عليها ديون ولها عقارات مرهونة فهذا لا ينكره أحد كما أنه لا ينكر أيضا ان هذا ولا شك من طبيعة التعامل العام السارى بين الامم الغالذى نتردد فيه ونقول انه لا بد أن يكون هناك بعض المبالغة أو نوع عدم تحقيق تخلله بعض السهو والغلط فى الاستكشاف والتقدير فهو جسامة هذه الارقام والقول بأن ديون ومرهونات الاهالى التى كانت فى سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨١ اثنا عشر مليون جنيه قد بلغت فى هذه المدة الاخيرة الى مبلغ فوق العشرين مليونا ففى الحقيقة ان جسامة هذه الارقام مما يدهش الاذهان وجديرة بالتحقيق والتحرى حتى تظهر صحتها للعيان وهذا ما فاتت الحكومة أن تفعله مع غاية التدقيق وأما ما بنى على هذه الارقام من الاستدلال على أن حالة الاهالى قد ساءت وأن الضيق والفقر اخذ فى الازدياد فقل ما اندهلنا وترددنا من جسامة أرقام الديون والرهونات الواردة بالتقرير حقيقة قد يصعب علينا أن نقول ان حالة الاهالى قد وصلت الى هذه الدرجة من الفقر والضنك ولا نريد بذلك أيضا أن نقول ان حالة الاهالى على العموم قد بلغت الى حد الكمال من الثروة والرفاهية

وفى ٢٥ سبتمبر تعين محمد ماهر باشا محافظ الاسكندرية وكيلا لنظارة الحربية والبحرية بدلا من المرحوم على غالب باشا وخلفه فى المحافظة المذكورة ابراهيم نجيب باشا وحدث ماين وكيل

مع الاعتراف حقيقة بهبوط أسعار المحصولات هبوطا فاحشا عن ذى قبل أى من منذ عشر سنوات مضت انما لا نتردد فى أن نقول كما سبق لى اعلانه وايضاحه امام هذا المجلس من منذ أربع سنوات مضت تقريبا ان حالة الاهالى والحكومة معا آخذة فى التحسين والتقدم من يوم الى يوم من ابتداء تولية المغفور له توفيق باشا وانه من ذلك الوقت أى من ابتداء سنة ١٨٧٩ ميلادية ابتدأت أن تتغير الاحوال وتتبدل الشؤن ودخلت الحكومة والقطر معا فى عصر جديد بل فى دور سعيد وتيسر للحكومة من وقتها أن تلم شعثها وتنتظم أحوالها وتسعى فى كل ما يؤل الى رفاهية الاهالى وسعادتهم بحيث أصبحت حكومتنا تجارى الحكومات المنتظمة العادلة حتى انه بلغ ما توفر لها من المال النقدى وكان محفوظا فى البنك العثمانى فى ذلك الوقت ما يقارب المليون ونصف من الجنيهات وبهذه الكيفية كان من باكورة أعمالها أنها أجرت جملة تنظيمات واصلاحات سواء كان فى ادارة الحكومة أو فى شؤن الاهالى وخفضت وأزالت من عاتق الاهالى كثيرا من الاحمال التى كانت تئن تحت ثقلها الامة المصرية ولو انه تخلل هذا السير بعض الوقوف وذلك بسبب المصيبة العظمى والطامة الكبرى التى داهمتنا وهى الثورة العسكرية المشؤمة وقد أوقعت بواسطة الجيش الانكليزى كما تعلمون اغاما تكبدناه من الغرامات والتعويضات وما تفرع عن ذلك من أنواع الخسائر بالطبع وضع ماليتنا فى حالة اضطراب وضيق ومع ذلك استمرت الحكومة على سيرها هذا فى طريق التقدم والاصلاح ولو كان حثيثا وما وصلنا الى سنة ١٨٨٩ ميلادية الا وكانت أحوالنا المالية تقدمت وترقت والحكومة ابتدأت فى مباشرة مشروعاتها التى كانت توقفت عنها برهة من الزمن ولا شك أنه من هذا الوقت والحكومة الخديوية لم تأل جهدا فى أن تتخذ كل الوسائط لتخفيف أثقال الاهالى حسب امكانها واستطاعتها وخلاصة القول أنه من بعد كل ما حصل من الغاء جملة عوائد ورسومات وغيرها يبلغ مقدارها ما يقارب المليون جنيه ورفعها عن عاتق الاهالى وما حصل من التنظيمات والاصلاحات والترقيات فى عموم القطر والحكومة وما حصل من تخفيف ضرائب وجه قبلى عما يبلغ مقداره تقريبا أربعمائة وسبعة وعشرين ألف جنيه ومن بعد الغاء العونة وتحسين حالة الرى عما صرف عليه من المبالغ الباهظة وصرف ما يقارب المليون جنيه على الاعمال الهندسية التى عملت فى الوجه القبلى لاجل منع حدوث شراقى عند تقصير فيضان النيل وشوهد فى السنة الماضية نتائجها المفيدة ولا حاجة بنا الان نشرح ونفصل لكم ذلك كله لانكم تعرفونه حق المعرفة فبعد ذلك كله أظنكم تعذروننا اذا لم نقل ان حالة أهالينا لم تتحسن عن ذى قبل وليست سائرة فى طريق التقدم والسعادة من يوم الى يوم وانها والحالة هذه فى تلك الدرجة من الضيق والفقر وعلى كل حال فان الحكومة الخديوية ليس لها شغل شاغل ولا أمر يهمها الا التفكر والتدبر فيما يؤل منه الفائدة والمنفعة للاهالى واصلاح وتحسين أحوالهم ولا تتأخر فى أى وقت من الاوقات عن اجراء وتنفيذ ذلك كما استطاعت وهذا هو الامر الوحيد الذى وضعته نصب عينها وانا أيها السادة الكرام على تمام الوثوق بان كلا منكم يعلم ويعتقد صدق نية واخلاص طوية هيئة الحكومة الخديوية وبالاخص ماهى عليه من الشعائر الوطنية وانها لا تنصرف عن هذا الاثر العظيم ولا تتحول عن الاستمرار فى هذا السير المستقيم حتى تبلغ أهالينا حظها الاوفر من الاصلاحات والترقيات المؤدية للراحة والرفاهية وازدياد الثروة العمومية والغنى ونعترف أنه لا يكون ذلك الا باتحادنا معكم ومساعدتكم ومعاضدتكم لنا أنتم وعموم الاهالى لانه لا شك فى أن يد الله مع الجماعة وكما قال سبحانه وتعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) ومع كل ذلك فحاشا وكلا أن نجعل لنفسنا أدنى تأثير بل المؤثر فى الحقيقة هو الحق جل وعلا فالواجب علينا هو اخلاص النية واتباع خطة الاعتدال والاستقامة فى كافة أمورنا والمولى عز وجل هو الموفق للصواب

(باب المستخدمين) قد تأملنا وتروينا طويلا فى هذه المسئلة ويصعب علينا حقيقة أن لا نشاركم فى بعض ما أبديتموه من الملاحظات مبدئيا الا أنه لا يعزب عنكم ظروف الاحوال وأحكام الزمان التى وضعتنا فى هذه الحالة الغير الطبيعية ومع ذلك لابد أن نعترف بانه يوجد بعض ضمن هؤلاء الموظفين الكبار الاجنبيين الذين يتناولون مرتبات عالية قد أتوا بخدامات مهمة عادت على البلاد بالمنفعة وأما من جهة الحكومة فلا شك كما هو ليس بخاف عليكم أنها لم تأل جهدا فى وقت من الاوقات فى السعى والاهتمام فى توظيف الاهلين بدل الاجانب كما استطاعت وكلما ساعدها الوقت والحال وكما تأكد لديها أن الوطنى يمكنه أن يقوم مقام الاجنبى ونتعشم أن لا يمضى زمن طويل حتى يزداد عدد

الحربية

الحربية المذكور وسعادة السردار تباين في مسئلة الادارة الحربية طال النزاع فيها وانتهت بتحكيم جناب وكيل دولة انكلتره السياسي في القطر المصري

المصريين في الوظائف العالية وعلى أي حال فكل ناظر من النظار مسئول عن كافة أمور نظارته ماليا واداريا فلاشك أنه يلزمه أن يراعي الملحوظات التي أبديتموها فيما اذا كان هناك وظائف مكررة أو هناك ماهيات زائدة عن الحد أولا فائدة بها واجراء مايقتضي من ذلك كما أنهم مكلفون قبل كل شئ بأن لا يصرفوا في نظاراتهم شيأ في غير محله وبناء على ذلك لاشك أن كلا منهم يهتم ويجتهد في تطبيق كل ما أتيتم به من الملاحظات في هذا الباب انما بوجه التدريج وبصورة لايتأتى منها أدنى خلل لسير المصلحة العمومية وأخالكم توافقوننا على هذا الرأي

(المصاريف السرية والنثرية والعمومية والسائرة والغير منظورة مع مصاريف انتقال المأمورين) هذه المصاريف لابد انه علم بحضراتكم من مراجعتكم أبواب الميزانية العمومية أنها متفرقة في كل النظارات ومخصصة لامور وأشياء مختلفة وهي على أنواع كثيرة يعسر من أول وهلة من غير بحث وتروٍ في دقائقها الاتيان بمحو أو اثبات في شئ منها وبما أنه كما لايخفاكم أن كل ناظر مسئول من عمله وعما يصرفه من المصاريف في نظارته وكل ذلك موكول لعهدته فلاشك انه لايتأخر عن ايفاء واجباته من محو وازالة ما يجده من ذلك غير ضروري وغير مفيد للمصلحة من بعد البحث والتنقيب وما نقوله من هذا الباب نقوله فيما يتعلق بمصاريف انتقال المأمورين كما هو وارد بالتقارير .

(التياترو) ان المبلغ الذي تريدون توفيره من مصاريف التياترو لا أظنه شيأ كثير الاهمية ولاشك انه بوجود هذا التياترو يحصل بعض حركة يتأتى منها بعض أخذ وعطاء في الاشياء الصغيرة والامور الجزئية لاتخلو من المنفعة وانما اذا قلتمو من لزوم مساعدة الحكومة لايجاد تياترو عربي فلا نتأخر عن موافقتكم عليه

(الاشغال العمومية) تعلمون حضراتكم ان الحكومة الخديوية لم تضن لغاية الآن بصرف كل ما لزم لاصلاح حالة الري في القطر والحمد لله قد قورن عملها هذا بالنجاح وما صرفته لم يضع هباء منثورا بل بواسطته قد ازدادت كمية الاطيان المنزرعة وزادت المحصولات بكيفية عوضت علينا بخس أثمان المحصولات فعلى هذا لاأظن أنه يوجد واحد منا غير ممتن مما أتت به مصلحة الري من الاعمال والمنافع التي تشكر عليها وأما ما أبديتموه من الملاحظات بشأن تنزيل خمسين ألف جنيه من المخصص لمصاريف المباني بالمدن من ميزانية هذه المصلحة بدون أن يمس ماهو مقرر بها للاعمال الري والحال أن أغلب محلات دواوين الحكومة بالمديريات والمراكز والمحاكم والاسبتاليات والمكاتب في حالة سيئة لايتأتى تركها على ماهي عليه بل في جهات كثيرة كثير من محلات المحاكم والمراكز والمكاتب وغيرها مأخوذ بالاجرة وكذلك يوجد أعمال من المباني العمومية يترتب على اجرائها فوائد كثيرة فالنظر لهذه الاحوال التي تعد من الضروريات أظن ان حضراتكم توافقوننا على اجراء مثل هذه الاعمال التي هي من أكبر المنافع العمومية ومن ضروريات الحكومة وأما ماهو واجب من زيادة التدقيق والتروي في أنه لايعمل شئ من المباني مالم تتحقق فائدته او التدقيق في كيفية وصحة التكاليف أن لاتكون زيادة عما هو لازم والنظر أيضا في مسئلة المقاولات فكل ذلك نشارككم الرأي فيه انما حيث ان كل ذلك من الامور الادارية فلا نتأخر أن نبحث فيها ونتخذ مايكون الاصلح للمصلحة العامة والاوفر بالنسبة للمصاريف

(نظارة الحربية) أظن ان لاحاجة بنا للبيان درجة أهمية الجيش ووجوده في حالة منتظمة انما نظرا لكون الحالة التي عليها هذا الجيش للآن بالنسبة لحالة الحدود تعد تقريبا حالة سفر لا حالة حضر فيلزمنا حينئذ زيادة التروي والتدبر قبل أن نتخذ أي قرار كان في كيفية مصاريفه ولهذا في السنة القابلة ان شاء الله سنبحث وندقق في تلك المصاريف وان وجدنا هناك زيادة يمكن تنزيلها بدون اخلال بنظامه فلا نتأخر عن اجرائه

(ادارة البوليس) لاتظنوا أيها السادة ان الحكومة أهملت البحث والنظر في ميزانية هذه المصلحة بل قد فحصتها واشتغلت بها ولما هو معلوم عندها من أن عدد أنفار البوليس الموجود الآن ليس بمقدار الكفاية بالنسبة لما هو محتاج اليه الامن فقد زادت عليه في هذه السنة القابلة ٢٣٢ نفرا ويبلغ مقدار نفقاتهم ٣٧٢٤ جنيها وصار توفير مبلغ ١٢٢٥ جنيها من مربوط ميزانية سنة ١٨٩٣ الماضية من أصل هذه الزيادة انما لا أقول لكم ان هذا كل ما كان يمكن أن نفعله نحو هذه الميزانية وهذه المصلحة الا أنه ما لا يدرك كله لايترك كله وضرورة

زيارة الخديو المعظم بلاد الحدود — لمولانا الخديو عباس باشا شغف زائد بالسياحة والوقوف على الاحوال والاعمال بنفسه شأن الحريص على ملكه الراغب فى ترقى أحوال أمته ولذلك رغب فى السفر الى الحدود وتطر جيشه المدافع عنها بذاته ليطمئن خاطره واستصحب معه وكيل الحربية

الاحوال تقضى علينا بالتأنى والتروى قبل أن نأتى بشئ من الاعمال و بالاخص بالنسبة الى مثل هذه الادارة الموكول اليها المحافظة على الامن العام ولا بد أن يسهل علينا فى ظرف السنة القابلة أن نبحث بحثا مدققا فيما يمكن ادخاله فيها من الاقتصاد والتعديلات والاصلاحات بدون الاخلال بحسن سيرها

(مصلحة عموم السجون) هذه المصلحة ولو أنها كلفت الحكومة مبالغ كثيرة الى الآن الا ان الحق يقال انها أتت بفوائد جمة وخدمت خدمة مهمة من تحسين أحوال السجون والمسجونين تشكر عليها حتى صارت بيوت السجون التى صار بناؤها واستعدادها مجددا تكاد تضاهى أمثالها فى أعظم البلاد المتمدنة وهذه المصلحة مشتغلة دائما بنوع خصوصى فى بناء وتجديد ما تدعو اليه الحالة من بيوت السجون وتنظيم أحوال ما هو موجود منها الآن و بالاخص اشتغالها بادخال أنواع الصنائع فى دائرة السجون لتشتغل بها المسجونون وهو ما ينتج عنه فوائد ومنافع عميمة سواء كان ماديا أو معنويا وهذه الفوائد لا شك لا تنال الا بواسطة وجود ادارة مخصوصة بالسجون و بما ان المبلغ الذى تتكلفه هذه المصلحة عن مركزها العمومى الذى أشرتم الى الغائه هو قليل فى جانب ما تأتيه هذه المصلحة مما ذكر من الخدامات المهمة بالنسبة لتحسين السجون وتخفيف و يلات المسجونين فلا إخالكم لا توافقون على هذا الرأى بعد ما علمتم فوائد هذه المصلحة

(مصلحة خفر السواحل) حقيقة لا ننكر ان هذه المصلحة فى غاية الاهمية من جهة منع التهريب الذى يترتب عليه حفظ ايرادات الكمارك وازديادها وهى قد دخلت فى نظام جديد فى زمن قريب انما هذا لا يمنعنا من أن نشاركم فيما أبديتموه من جهة البحث والتدقيق فى كيفية مصاريف هذه المصلحة وتوظيف من أمكن من الضباط الاهليين الذين تحت الاستيداع وكل ذلك بدون خلل فى سير هذه المصلحة

(مصاريف جيش الاحتلال) اننا نشعر مثل كل مصرى بالاحساسات الطبيعية المنبعثة منها رغباتكم وأمانيكم فى ازالة مصاريف جيش الاحتلال من الميزانية لكنكم تعرفون حضراتكم مثلنا الظروف والاحوال التى قضت علينا بها و بما ان هذه المصاريف كانت سنة ١٨٨٥ ميلادية مائتى ألف جنيه وتنازلت بالتدريج حتى صارت من مدة مبلغ خمسة وثمانين ألف جنيه فهذا لا يمنعنا من الامل بأن هذه المصاريف تنقص تدريجا الى أن يمحى أثرها بالمرة بواسطة انجاز دولة بريطانيا العظمى مواعيدها الاكيدة لنا بالاخلاء انما أكبر واسطة وأقواها للوصول الى هذه الامنية هى التزامنا خطة الاعتدال والحكمة واجتنابنا كل ما فيه شائبة الغلو والتطرف فى أقوالنا وأعمالنا والمثابرة على العمل بجد ونشاط مع التعاون والتعاضد فيما بيننا لما فيه الاصلاح والتقدم وليس على الله بعسير أن يتمم مقاصدنا

(المطبعة الاميرية) لم يفت على الحكومة ما أبديتموه فى هذا الشأن وهذا الفكر حتى انها سبقتكم اليه وأصدرت منشورا مؤكدا لكافة المصالح بمنع طبع أى شئ كان من مطبوعاتها الا بهذه المطبعة الاميرية ونفذ فعلا

(مجلس بلدية الاسكندرية) ان الفائدة من وجود مجالس بلدية بالمدن هى كبيرة جدا لانها تمكن الاهالى من الاشتغال بأمور مدينتهم واصلاحها وترشحهم للاهتمام بنظر مهامهم بأنفسهم وتجعل المساواة بين الافراد فى الضرائب والعوائد فعلى هذا المبدإ تأسس المجلس البلدى باسكندرية وحضراتكم تعلمون أن هذه المدينة هى والحالة هذه المركز الوحيد لتجارة عموم القطر ونقطة الاتصال المعول عليها فيما بيننا و بين الممالك الاوروباوية حتى بهذه الواسطة توسع نطاق التجارة والزراعة والصناعة اللاتى هى السبب الوحيد فى ازدياد ثروتنا ورفاهيتنا و بناء على ما لهذا المركز من الاهمية قد تقاطرت اليه الشعوب الاوروباوية من كل جانب وسكنته قديما وحديثا حتى صارت هذه المدينة مسكونة مأهولة بالوف منهم بل يوجد فيها بينهم ألوف من العائلات قد استوطنتها من زمن بعيد واستولدت بها بطون متشعبة وصار لهم بها أملاك وعقارات جسيمة بحيث يمكن أن يطلق الآن على هذه العائلات انها مصرية محضة لولا محافظتها على جنسيتها الاصلية بحيث صار الناظر الى هذه المدينة لا يتردد من أول وهلة فى أن

وكان

وكان كلما حل بمكان تظاهر له السكان بأنواع التعلق عادل على عظيم ميلهم اليه ولما وصل الى الحدود تفقد استحكامات أسوان وكروسكو وحلفا واستعرض حامياتها العسكرية وتطرف ذلك نظر المنتقد فأبدى عنها السعادة السردار من الملحوظات ما رآه سموه ولما كانت تلك الملاحظات مما لا يرضاه السردار قدم

بعدها فى عداد المدن الاوروباوية وفى الحقيقة صارت تتباهى على ثغور البحر المتوسط فكل هذا الاجتماع وهذا الاختلاط قد تسبب عنه لاشك اتحاد المنفعة التى هى أساس كل الاعمال ومدار الثروة والعمارية فالحق يقال انه لم يتأت من هذا الاجتماع والاختلاط اتحاد المنفعة بين الوطنى والاوروباوى فقط بل حدث عنه أيضا ترقيات مادية ومعنوية جمة كان من تأثيراتها اشتراك فى الافكار والحاسيات فيما يؤول منه الفائدة على المدينة وسكانها وكل ذلك حقيقة من شأنه أن يسرنا جميعا فبالنظر الى هذه الاحوال والمناسبات لا يمكننا الاشك ان نقيس هذه المدينة المهمة التى امتازت فى سائر أحوالها بسائر مدن القطر فاذا علم لكم ذلك نقول ان وجود مجلس بلدى باسكندرية صار من ضروريات مدينتها وأما ما ظهر لنا فيه الآن من بعض الخلل فلا يعاب وأمره مستدرك لانه كما لا يخفا كم أنه حديث النشأة وكل أمر فى مبدئه صعب وبند ران لا يطرأ عليه فى مسيره بعض من الاشكالات وبناء على ما لهذا المجلس من الاهمية وبالنظر لما تأمله الحكومة والاهالى معا من الفوائد التى تعود على المدينة فالحكومة الخديوية صارفة كل مساعيها فى ازالة كل ما من شأنه ان يلقى العثرات فى طريق نجاحه حتى يأتى بالفائدة المقصودة وكذلك بناء على ما دلت عليه التجربة أن قانون الانتخاب الحالى يحتاج الى بعض التعديل لاجل توسيع نطاق حقوق الانتخاب عما هو عليه الآن وهذا الامر أيضا ستشتغل به الحكومة وتجرى ما تقتضيه الحال ويكون فيه امتنان العموم

(مصلحة الدومين) أى مصلحة الاملاك والاراضى الاميرية حقيقة كل منا يتمنى عدم وجود عجز فى ايرادات هذه المصلحة ولا ننكر أيضا ان ادارة هذه المصلحة الزراعية فى البلاد والقرى هى لاشك فى حالة انتظام واقتصاد وأنه لا يمكن أن يقال ان المصاريف الزراعية فى تفاتيشها أزيد مما يلزم لخدمة الزراعة كما هو جار عند سائر المزارعين بل حقيقة نقول انها فى حالة لا يتأتى اقتصاد شئ منها والا كان ذلك سببا لتأخير الزراعة وان الاراضى التى تزرعها وتخدمها على ذمتها تحسنت واستصلحت ومقدار محصولاتها ازداد وأخذ فى الازدياد والاستصلاح من يوم الى يوم وكل الذوات المتولين هذه الادارة هم من نخبة الرجال الذين يوثق بهم ويعول عليهم ومعهود فيهم كل نشاط وكل هذا مما يعطينا الامل أنه لا يمضى زمن قليل حتى ان هذا العجز ينمحى وحضراتكم تعلمون انه فى كل سنة يباع ويعطى لارباب المعاشات بطريق الاستبدال مقادير جسيمة من أطيان هذه المصلحة وأما التداخل فى أمر ادارة ومصاريف هذه المصلحة مباشرة فلاشك انكم تعلمون أنه محظور علينا بداعى ما نحن مرتبطون به من القيود والشروط التى لا حاجة بنا للاتيان بها هنا

(مصلحة الغاء الرقيق) لا نتردد فى أن نشترك معكم على أن هذه المصلحة قد سقطت عما كانت عليه من أهميتها الاولى والمبلغ المقرر لها والحالة هذه فى الميزانية يمكن أن يكون فيه زيادة عن الضرورى حتى ان الحكومة الخديوية لم يفت عليها ملاحظة هذا الامر اذ بدأت فى أن تبحث فيه وانما نتأسف على أنه لا يمكننا والحالة هذه أن نتخذ قرارا قطعيا باحالة هذه المصلحة على البوليس وعلى خفر السواحل بادئ بدء لاشك ولا شبهة فى أن الامة المصرية والحكومة المصرية هى الامة والحكومة والبقعة الوحيدة فى العالم الاسلامى التى يحق لها بل لها الحق فى أن تفتخر بأنها توصلت الى محو أثر الرق من أرضها بما تكلفته من العناء وما صرفته من خالص مالها من المبالغ الباهظة لخدمة الانسانية لا غير وهذه المنحة لا بد أن تخلد لها الذكر الجميل فى صحائف تواريخ الامم وتزيد قدرها فى نظر العالم المتمدن فنظن ان الواجب علينا فى هذه الحالة هو الاعتناء بالمحافظة على هذا المبدأ الغاعم ذلك لا نقول لكم ولا نكلفكم بصرف شئ من الاموال يكون فى غير محله أو فى غير لزومه حاشا وكلا فبالنظر الى هذه المسئلة من هذه الوجهة نقول فى الواقع ونفس الامر انه قد سدت أبواب جهة الورود من الخارج من كل ناحية حتى انه من منذ ما يقرب على الثمان سنوات بل أكثر لم يتمكن أحد من ادخال رقيق داخل القطر وان كان ظهر فى أثناء هذه المدة شئ من ذلك فهو لا يعتد ولا يعبأ به كلية ومع ذلك لم يهمل مجازاة مرتكبيه فى الوقت والحال قانونيا وأما داخلية القطر ففى الحقيقة لم يبق شغل لهذه المصلحة الا اعطاء أوراق الحرية لمن يطلبها من الرقيق الذين هم فى حقيقة الامر احرار بمقتضى القوانين سواء أخذوا تلك الاوراق أو لم يأخذوها

استعفاءه ثم رده وحصل من ذلك مفاوضات بين لورد كرومر ونظارة خارجية لوندرة والوزارة المصرية وكثرت الاشاعات واختلفت الاقوال وسافر رياض باشا مع محمود شكرى باشا الى الفيوم لمقابلة سمو الخديو الذى أصدر عقب ذلك ارادة يشكر بها الجيش والضباط ويثنى عليهم وعلى السردار

انما نقول اننا ولا شك لا نقدم على هدم ما بنيناه بأيدينا وأظن انه متى علم لكم ذلك توافقون على هذا الرأى فبناء على هذا المبدإ تعدكم الحكومة الخديوية بانها تستمر على البحث والتنقيب فى هذه المسئلة وتخصها باطرافها كما بدأت به ومتى تأكد لها ان هناك مبالغ يستحق حذفها او تنزيلها من ميزانية هذه المصلحة أو تعديلها بأى صورة كانت فلا تتأخر أن تجريه فى السنة القابلة ان شاء الله تعالى

(المبالغ المقتصدة أو المتوفرة) اننا متفقون معكم كل الاتفاق على التأسف من وجود هذه المبالغ بدون استعمالها فيما يعود من الفائدة انما نعدكم بأن نبذل كل ما فى وسعنا للوصول الى استعمال تلك المبالغ فيما يعود بالنفع على البلاد مثل عمل الخزانات بأسوان ويتيسر بواسطتها تدبير توزيع مياه النيل وزراعة أراضى الصعيد مزروعات صيفية وزيادة تحسين حالة الجهات البحرية

(المعارف العمومية) لم أبالغ أيها السادة الكرام اذا قلت انى أول من يفتخر ويباهى حقيقة بسرعة انتشار العلوم والمعارف والتربية العمومية عندنا وعظم المسافة التى قطعتها فى هذه المدة الوجيزة فى طريق التقدم والنجاح وبما وصلت اليه حالة المدارس والمكاتب وكيفية التدريس والتعليم من الترقى والانتظام الآن ذلك لا يمنعنى من أن أشاركم فى الرأى بأن أقول انه اذا نظرنا لاحتياجات البلاد ونسبتها للعصر الحاضر ونسبتها لما حدث عند أهالينا من النشأة الجديدة والرغبة الشديدة لتحصيل العلوم والمعارف مما وصلنا اليه ما هو الاشئ زهيد واننا فى غاية الاحتياج الى جملة اصلاحات وبالاخص فيما يتعلق بانتشار التعليم الاولى بين طبقات الاهالى فى البلاد والقرى لاننا نعلم جميعا انه ليس واسطة لترقى الامة غير التربية والتعليم والحكومة الخديوية ناظرة الى هذه المسئلة بعين الاهمية والاعتبار حتى انه بصفتى ناظر المعارف قد طلبت هذه السنة علاوة ستة عشر ألف جنيه على ميزانية المعارف ولو أنى لم أتحصل على الكل وهذا الضرورة الحكومة لتسوية ميزانيتها العمومية حتى يمكنها أن تتحصل على مبلغ مناسب لتخفيف الضرائب انما قد استحصلت على علاوة اثنى عشر ألف جنيه وهذا ليس بقليل بالنسبة لسنة واحدة ومن هذا يظهر لحضراتكم أن ادارة المعارف سارية فى طريق النجاح والتقدم حتى انه دخل فى مدارسنا ومكاتبنا هذا العام ألف وخمسمائة تلميذ زيادة عن العام الماضى وكذلك قد قررنا اعادة مدرسة الصنائع بالمنصورة والاربع مدارس الاخر التى كانت ألغيت فى العام الماضى واننا متشبثون بفتح بعض مكاتب أخر من جديد وسنشرع فى هذه السنة فى تنفيذ مشروع المرحوم على باشا مبارك الذى كان أهمل المتعلق بانشاء خمسمائة كتاب للتعليم الاولى بالقرى والبلاد لانتشاره بين طبقات الاهالى ولتكون أنموذجا لسائر أمثالها وانى لا أخالكم الا توافقونى على هذا لانه هو الحقيقة انما من الواجب على أن أعلن لكم بدون أدنى تردد بأنه مهما فعلت ومهما ساعدت وصرفت الحكومة على توسيع نطاق التربية والتعليم حسب احتياجات الاهالى وحسب مقتضيات العصر لا يتأتى لها كلية الوصول الى الدرجة المطلوبة من ترقى البلاد ماديا ومعنويا ما لم يعد اليها يد المساعدة من الاهالى عموما والاغنياء خصوصا سواء كان بالمال أو بالاعمال وكافة البلاد المتمدنة ما وصلت الى ما هى عليه الآن من درجة التقدم واتساع نطاق التعليم والتربية الا بمساعدة ومعاونة الاهالى عموما ولولا ذلك لما كان حصل عندها شئ من هذا الترقى فاللازم علينا جميعا أن نضع هذا الامر المهم نصب أعيننا وأن نحث الاهالى وننصحهم ونشوقهم على هذا العمل الخيرى العائدة منفعته عليهم خاصة سواء كان بكتاباتنا أو بخطاباتنا ومن كل ما ذكر يلزم أن تكونوا مطمئنى البال من جهة المعارف والتربية لانى أؤكد لحضراتكم بأن التعليم والتربية لا بد ان لا تكون سارية وجارية بصورة تلائم وتوافق عوائدنا وآدابنا وحاسياتنا الوطنية وبالله التوفيق

(الجامع الازهر) هذه المدرسة الكلية الدينية الوحيدة فى العالم الاسلامى كل منا يعلم ما لها من الاهمية والاعتبار عند كافة الامم الاسلامية المنبثة فى أقطار العالم شرقا وغربا ولذلك فان الحكومة الخديوية من مبدإ تأسيسها الى وقتنا هذا نظرت لها بعين هذا الاعتبار ومنحتها فى كل الاوقات ما استطاعت من المساعدات وكذلك

وبعد

(ا) وبعد عودة جنابه العالى الى المحروسة تعين محمد ماهر باشا محافظا لعموم القنال بدلا من أحمد شكرى باشا (١٥ فبراير) وخلفه فى وكالة الحربية زهراب باشا وأنعمت جلالة الملكة على الجنرال كتشنر باشا بنشان سن ميشيل وسن جورج وصار يلقب سير وفى ١٩ شعبان ١٣١١ (٢٥ فبراير) ورد تلغراف همايونى للجناب العالى الخديو يبشره بأن الحضرة السلطانية أهدته قصرا بديعا لاقامته بالاستانة فأجاب على ذلك بالشكر والامتنان

وزارة نوبار باشا — فى ١٥ ابريل سنة ١٨٩٤ رفع صاحب الدولة رياض باشا استعفاءه الى الجناب العالى فقبله وعهد الى صاحب الدولة نوبار باشا بتأليف وزارة جديدة فقام بما عهد اليه فكان هو رئيسا وناظرا للداخلية ومصطفى فهمى باشا للحربية والبحرية وحسين فخرى باشا للاشغال والمعارف العمومية وبطرس غالى باشا للخارجية وأحمد مظلوم باشا للمالية وابراهيم فؤاد باشا للحقانية وتعين أحمد شكرى باشا وكيلا للداخلية بدلا من محمود رياض باشا المستعفى هذا وكانت الحكومة عزمت على اقامة معرض وطنى للصنائع بالاسكندرية تنشيطا للمصنوعات والصناع المصريين ولما تمت معداته افتتحه الجناب الخديو بنفسه (٢٢ ابريل) وهو أول معرض أقيم فى القطر المصرى عرضت فيه أغلب المصنوعات المصرية ومن الحوادث فى تلك المدة ان اعتصب عمال الفحم (٢١ مايو) فى بورسعيد وكان لاعتصابهم تأثير كبير تعطلت بسببه البواخر المارة من القنال حتى اضطرت الحكومة الى التداخل فى الامر وسبب ذلك ما يفعله معهم رؤساؤهم من الحيف عليهم فى أجورهم ولما تم الاعتصاب وضعت لهم الحكومة قانونا يسيرون

الحكومة الخديوية الحالية سارت على هذه الخطة بعينها بل انها تعد من أول واجباتها المحافظة على هذه المدرسة العظمى ومد يد المساعدة اليها ماديا ومعنويا ولهذا فان الحكومة مائلة كل الميل لمشاركتكم فى مقاصدكم نحو هذه المدرسة العظمى التى هى مطمح أنظار العالم الاسلامى وهى عازمة على الاتحاد مع مولانا الاستاذ الاجل شيخ الجامع وبعض المتبحرين من أفاضل العلماء لدرس حالة هذه المدرسة بالاتفاق والنظر فى الاصلاحات التى ترى لزوم ادخالها فيها مما يكون ملائما ومطابقا لقواعد الدين المنيف حتى تعم منفعتها وتكثر فائدتها والحكومة مستعدة لان تمنحها ما تستطيعه من المال

(الخاتمة) أيها السادة الكرام يلزمنا قبل أن نتمم الكلام وقبل الانصراف من هذا المقام أن نعترف جميعا بما عليه الجناب العالى الخديو المعظم من شديد الميل والمحبة لسعادة أهل بلاده وبأن أفكاره ومساعيه العالية على الدوام متجهة ومنصرفة لما فيه الخير والنفع العميم وزيادة ترقى واصلاح أحوال البلاد والامة المصرية عموما بحيث ان ما يأتى لنا او يخطر ببالنا جميعا من الافكار وسائر الاعمال من هذا الطريق المحمود ما هو الا مقتبس من آرائه الصائبة وأفكاره النيرة التى هى بلا اشتباه روح جسم الامة والحكومة ولذلك نرفع أكف الضراعة والابتهال الى المولى المتعال أن يمن علينا بطول حياته وأن يجعل كافة أعماله الجليلة ومقاصده الخيرة آية مقرونة بالفوز والفلاح متمتعا بكمال الصحة والعافية وخير كلمة نختم بها هذا المقال هى (فليعش خديوينا المعظم)

(ا) الى سعادة السردار

قبل أن أترك الوجه القبلى للعودة الى مصر أريد أن أكرر ما أظهرته من العناية وحسن الالتفات للجيش عند زيارتى الحمود وأؤيد حسن رضائى الذى ابديته لكم من جهة حسن حالة الجيش ونظامه وانى لمسرور من أن أهنئ الضباط الذين يرأسونه مصريين كانوا أو انكليزا وانى لمرتاح ايضا بأن أقدر الخدامات التى أدتها الضباط الانكليز لجيشنا حق قدرها واملنا أيها السردار أن تعلنوا أمرنا هذا للضباط والعساكر

تحريرا بالفيوم فى ٢٦ يناير ١٨٩٤ عباس حلمى

عليه أجمعهم من ضياع حقوقهم وبذلك عادوا الى أعمالهم (١٠ ديسمبر) آمنين مطمئنين وفى مدة تغيب الحضرة الفخيمة الخديوية باسكندرية ترأس نوبار باشا على حفلة سفر المحمل الشريف وهو الذى سلم زمام جمل المحمل الى المرحوم شاكر باشا أمير الحج وذلك بحضور الوزراء والعلماء والاعيان كما هى العادة وكان ذلك فى صباح يوم الخميس ١٩ ذى القعدة سنة ١٣١١ وهذه هى ثانى مرة قام بها نوبار باشا نائبا عن الجناب العالى الذى هو نائب مولانا الخليفة فى رئاسة ركب الحج الشريف الى بيت الله الحرام ومن هذا يستدل على دماثة أخلاق الشعب المصرى وبعده عن التعصبات

ولما كان سمو مولانا العباس عزم على الذهاب الى الاستانة لتقديم فريضة الولاء للحضرة السلطانية وصدر له الاذن بالتصريح من لدن جلالتها أبحر فى ٢٢ يونيه على يخت المحروسة بعد أن أصدر أمر اعاليا لنوبار باشا بأن يكون نائبا عن سموه مدة تغيبه وقد نال سموه فى دار الخلافة من الرعاية والاحتفاء شيأ كثيرا وأنعم مولانا السلطان على شقيقه الامير محمد على باشا بالنيشان العثمانى وبعد ان أقام مولانا العباس فى الاستانة أياما طلب التصريح له بالسفر الى أوروبا لتغيير الهواء فأذنت له الحضرة السلطانية فبارح الاستانة على يخت المحروسة الى مدينة البندقية فوصلها فى ٢٠ يوليه وزار بعض جهات ايطاليا والسويسرة والمانيا وهولنده ثم عاد الى القطر المصرى بالسلامة فى ١٤ سبتمبر — ومن الحوادث الشهيرة التى حصلت مدة وزارة نوبار باشا ان باعت الحكومة الى شركة أجنبية قدرا عظيما من أطيان الوجه البحرى يعرف بتفتيش بسنديله بثمن هين وكانت قامت شركة وطنية لمشترى هذا التفتيش فتعرقلت مساعيها ولم تنجح ومنها ان مصلحة منع بيع الرقيق التى يرأسها شيفر بك (Charles Schæffer) ألقت القبض على جماعة من أعيان ووجهاء البلاد بدعوى أنهم اشتروا جواري رقيقا وهم المرحوم على شريف باشا رئيس مجلس شورى القوانين ومحمود الشواربى باشا عضو شورى القوانين وحسين واصف باشا وعبد الحميد بك الشافعى واحالتهم مع النخاسين والجوارى والمشترين على مجلس عسكرى عال شكل لمحاكمتهم الا على شريف باشا فانه ادعى الانتماء الى حكومة ايطاليا ثم صدر حكم المجلس على عبد الحميد بك الشافعى وغيره من النخاسين بالسجن لمدد مختلفة وتبرأت ساحة شواربى باشا وحسين واصف باشا وكان لهذه الحادثة تأثير كبير فى القطر لان المتهمين فيها من كبار القوم ثم عفا الجناب العالى عن عبد الحميد بك الشافعى (٢٧ اكتوبر ١٨٩٤) اما على شريف باشا فلم يثبت انتماؤه لايطاليا وهو وان كان أقر رسميا بمشترى الرقيق ولكن صدر أمر بصرف النظر عن محاكمته واستقال من رئاسة مجلس الشورى وخلفه فيه عمر لطفى باشا

ومنها ان نوبار باشا رفع فى يوم ٣ نوفمبر تقريرا الى الجناب العالى يطلب فيه الغاء نظام البوليس ووظيفة مفتشه العام وتعيين مستشار للداخلية بناء على ما طلبه لورد كرومر من التغيير فى نظارة الداخلية وبعد مداولات طويلة وأخذ ورد أصدر الخديو أمره بانفاذ ذلك وتعين المستر غورست (J. L. Gorst) مستشار الداخلية ووضعت مسؤلية الامن العام على المديرين والمحافظين وسمى قلم البوليس بقلم النظام ومنها ان صرحت الحكومة لشركة بلجيقية أجنبية بانشاء ترمواى كهربائى فى العاصمة (يناير ١٨٩٥) ومنها اصابة نوبار باشا بكسر فى رجله

أثر فزعه من ثور بغتة بينما كان يتعهد مزروعاته بجهة شبرى فحمل الى منزله ولازم الفراش أياما وهو يشكو الآلام حتى أصبح فى حاجة الى تبديل الهواء فسافر الى أوربا التماسا للصحة (مايو) وفى ١٢ فبراير من سنة ١٨٩٥ رزق الجناب العالى بالاميرة أمينة هانم من مخطبته له وفى ١٩ منه (٢٤ شعبان ١٣١٢) احتفل بسراى القبة العامرة بعقد زواجه على صاحبة الدولة والعفاف الاميرة اقبال هانم والدة المولودة المشار اليها وقام باجراء صيغة العقد الشرعية صاحب السماحة عبد الله جمال الدين أفندى قاضى الديار المصرية ومن الحوادث أيضا ان حصلت مشاجرة بين ثلاثة من عساكر البحرية الانكليز وبعض من سوقة مدينة الاسكندرية فرفعت دعواهم الى المحاكم وكثر تقول الناس فى مسئلة المحاكمة وأخيرا طلبت الوكالة البرطانية اصدار أمر عال بتشكيل محكمة مخصوصة تحكم فيما يقع بين الاهالى وضباط وعساكر جيش الاحتلال أو بحرية المراكب الحربية الانكليزية الراسية فى إحدى الموانى المصرية فصدر الامر بذلك (٢٥ فبراير ١٨٩٥)

وفاة الخديو الاسبق اسمعيل باشا — فى ٣ مارث سنة ١٨٩٥ (٦ رمضان ١٣١٢) نقل السلك البرقى خبر وفاة المغفور له الخديو الاسبق إسمعيل باشا بسراى أمير كون فى دار الخلافة حيث يقيم بعد ان صرح له جلالة أمير المؤمنين بالاقامة فيها هو وعائلته كما مر ثم نقلت جثته من الاستانة على الباخرة توفيق ربانى إحدى بواخر البوسته الخديوية ودفنت بجامع الرفاعى (١٣ مارس) باحتفال عظيم لم يسبق له مثال مشى فيه الجناب العالى وأمراء العائلة الخديوية وجميع رجال الحكومة والقناصل الجنرالية وكل أرباب الحيثيات والمظاهر وكانت وفاته بمرض السرطان أصابه فى أمعائه ومعدته وقلبه وكان رحمه الله من كبار رجال العصر ذا بأس وصولة واقدام شهدت له بذلك أعماله التى سردناها فى تاريخه وكان شديد الحافظة قوى الذاكرة التى خانته سنة ١٨٧٥ حينما باع الاسهم التى لمصر فى قنال السويس وكان من صفاته أنه يتطير من يوم الخميس فلا يعمل فيه عملا ذا شأن وكان حسن الغرائز واسع المدارك قوى البداهة لا تفوته بادرة الا استدركها رحمه الله

وفى ٢١ مارس سنة ١٨٩٥ وصل الى القاهرة سلاتين باشا النمساوى (١) الذى كان مديرا

(١) سلاتين باشا هذا نمساوى الاصل ولد ببلاد النمسا سنة ١٨٥٨ وشب على محبة الاسفار والاقدام على الاخطار فقدم بلاد السودان سنة ١٨٧٤ سائحا وهو فى الثامنة عشرة من عمره فبلغ دارفور وفى تلك الاثناء حدثت فى انحائها ثورة فمنع حكمدار الخرطوم الاجانب من الدخول الى السودان خوفا على حياتهم فعاد سلاتين الى الخرطوم والتقى هناك بأمين باشا (الدكتور شنتزلر) الذى تولى مديرية خط الاستواء بعد ذلك وكان الجنرال غوردون اذ ذاك حكمدار المديريات خط الاستواء فاستأذناه بالقدوم عليه فأذن لهما فسارا اليه فى لادو مركز الحكمدارية المذكورة ثم بعد ذلك عاد سلاتين باشا الى بلاده بدعوة من أهله وتعين ملازما فى الجيش النمساوى ثم لما عاد غوردون باشا الى السودان وصار فيها حكمدارا عاما كتب الى صاحب الترجمة سنة ١٨٧٨ يستقدمه الى الخرطوم فسافر اليها مسرعا فعينه مفتشا ماليا يجول فى السودان ينظر فى شكوى الناس ثم رقاه حتى صار مديرا على دارفور كما ذكرنا فى بابه ولما انكسر جيش هكس باشا وتحقق قرب سقوط مديرية كردفان بعث الى المهدى وسلم له البلاد فاستقدمه الى الابيض وقابله فى الزهد بالصورة السابق ذكرها ثم ضمه الى التعايشى فصار من ملازميه ثم رافقهم فى مسيرهم على الخرطوم وحصارها فلما سقطت الخرطوم وقتل غوردون وتوفى المهدى وخلفه التعايشى بقى سلاتين فى جملة الملازمين له وقال عنه صاحب كتاب السودان المصرى والانكليز انه كان يقضى أوقاته فى رفع صوته بكلمة الشهادتين بطريق لم يعرفها الدراويش من

للحكومة بدارفور وأسره الدراويش سنة ١٨٨٤ تمكن من الفرار من قبضة التعايشي من أم درمان بمساعدة ونجت بك مدير قلم المخابرات والبارون هدلر (Heidler) قنصل جنرال النمسا في القطر المصري

ولما كانت دواعي الارتباط تزداد وثوقا بين مصر والاستانة من يوم تولى مصر أفندينا عباس باشا الثاني عزم حفظه الله على التشرف بمقابلة الحضرة السلطانية في هذه السنة أيضا فسافر الى الاستانة في ١٥ يوليو على يخته المحروسة ولما وصلها احتفل به مولانا أمير المؤمنين احتفالا عظيما وقلده نيشان خاندان آل عثمان وهو أكبر نياشين الدولة ولم يتقلده الا امبراطور المانيا من الملوك وأعضاء العائلة السلطانية فقط وقد قابل أهالي القطر المصري ذلك بالسرور وعظيم الارتياح لميلهم عموما التوثيق روابط الائتلاف بين مصر ودار الخلافة

وزارة مصطفى فهمي باشا الثانية — لما عاد نوبار باشا من أوروبا (٦ نوفبر ١٨٩٥) رفع الى الجناب العالي استعفاءه لسبب انحراف صحته فقبل سموه ذلك وعهد الى مصطفى فهمي باشا تشكيل وزارة جديدة فقام بما عهد اليه (١٢ نوفبر) وكان هو رئيسها وناظر الداخلية وتعين حسين فخري باشا للاشغال العمومية والمعارف وبطرس باشا غالي للخارجية وأحمد مظلوم باشا للمالية وابراهيم فؤاد باشا للحقانية ومحمد عباني باشا للحربية والبحرية ومن أشهر الحوادث في عهد هذه الوزارة ان عقدت الدولة الانجليزية مع مصر معاهدة جديدة لابطال بيع الرقيق وسبب ذلك نقص مواد وشروط ضروريه لم توجد في المعاهدة القديمة وقد أدرجنا صورتها بأسفل الصحيفة اتماما للفائدة (١) وعلى ذلك صدر في ٢١ يناير سنة ١٨٩٦ أمر عال بمنع الاسترقاق

قبل وهي تشبه ترتيل الانغام اللاتينية من مد الصوت وخفضه ورفعه وكان كوتشي الايطالي ينتقد عليه في ذلك ويقول يلزم لسلاطين ارغن كي يتمم به رونق الصلاة التي يقيمها ليلا ونهارا على باب التعايشي اهـ وكان لابسا ثياب الدراويش وهي المرقعة والعمامة يقضي نهاره واقفا عند باب التعايشي يقرأ القرآن وينتظر أمره واذا ركب مشى في ركابه والتعايشي تارة يرضى عنه وطورا يغضب عليه فان رضي خلع عليه الخلع وأهدى اليه الهدايا واذا غضب ضايقه وبقي كذلك حتى بلغت أخباره أقاربه في بلاد النمسا وكاتبوه وأخذوا يسعون في تخليصه فوضعوا مبلغا من النقود في قنصلية النمسا بمصر فتعاونت القنصلية مع قلم المخابرات المصريه وكانت تعلم به وبأحواله فاعتنى مديرها ونجت بك بأمر انقاذه وانفذ اليه بعض العرب المعلومين لديه والعارفين بدخائل السودان وبذلك تخلص سلاتين من أسر المهدي يوم ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٥ قاطعا صحراء بيوضة ثم عبر النيل الى بر رومنها الى أبو حمد وسار في عطمورها الى أن وصل أسوان في صباح ١٦ مارس سنة ١٨٩٥ وقطع هو والعربان المسافة من أم درمان الى أسوان براً في ٢٥ يوما ولما عاد ألف كتابا سماه النار والسيف في السودان وصف فيه أحوال المهدي والتعايشي وما يعرفه من تلك البلاد اهـ

(١) حيث ان النصوص العمومية من المعاهدة المعقودة بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ بين الحكومتين الانكليزية والمصرية بشأن منع الاسترقاق والنخاسة والاوامر العالية المختصة بها جعلت محلا للشك فيما اذا كان من الممكن معاقبة مشتري الرقيق بصفته فاعلا أصليا أو شريكا للمتجر به لتسببه في هذا الاتجار وتشويقه له * وحيث من المقتضى اتخاذ كافة الطرق اللازمة للوصول الى ابطال الاسترقاق والنخاسة * وحيث انه قد حان الوقت الذي يمكن فيه تخويل قضاة المحاكم الاهلية حق النظر والحكم في مواد الجنح والجنايات المتعلقة بالاسترقاق والنخاسة الجاري نظرها الآن أمام المجالس العسكرية * وحيث من الضروري جمع كافة النصوص المتعلقة بالاسترقاق والنخاسة * فقد قررت حكومة جلالة ملكة بريطانيا العظمى من جهة وحكومة الحضرة الفخيمة الخديوية المصرية من جهة أخرى تحوير المعاهدة المذكورة المؤرخة ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ بادخال التعديلات

والعقاب

والعقاب عليه ولائحة لملاحظة السفن المصرية المارة فى البحر الاحمر لتعاطى التجارة المذكورة وكان بعض الاعيان التفت الى مايرقى أمر الزراعة بمصر اذ عليها مدار المعيشة فشكل واجمعية

والاضافات اللازمة فيها وكذلك اتفق الموقعان على هذه المعاهدة بما لهما من الرخصة فى ذلك على ابدال المعاهدة القديمة المعقودة فى ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ بالمعاهدة الآتية

(المادة الاولى) تتعهد حكومة الحضرة الفخيمة الخديوية بأن تمنع كلية ادخال الرقيق الابيض أو الاسود أو الحبشى المعد للبيع فى الاراضى المصرية وملحقاتها ومروره منها بطريق البر أو البحر وتتعهد كذلك بمنع اخراج الرقيق المذكورين من الاراضى المصرية أو من ملحقاتها منعا كليا الا اذا ثبت لديها قطعيا انهم احرار أو معتقون ويتوضح بأوراق العتق أو الجوازات التى تعطيها اليهم الحكومة المصرية قبل سفرهم ان لهم حق التصرف فى أنفسهم تصرفا مطلقا بغير تقييد وصار الاسترقاق والنخاسة ممنوعين فى الحال والاستقبال فى كافة الاراضى المصرية وملحقاتها

(المادة الثانية) تتعهد الحكومة المصرية بنشر قانون يشتمل على كافة مايقع مخالفا لنصوص المعاهدات والاوامر العالية المختصة بمنع الاسترقاق والنخاسة وعلى العموم كافة الجنح والجنايات المتعلقة بها والعقوبات التى يلزم تطبيقها وينص فى هذا القانون على معاقبة مشترى الرقيق ويقتضى نشره فى بحر الستة أشهر التالية لتاريخ التوقيع على هذه المعاهدة التى تعتبر جزأ متمما لها

(المادة الثالثه) كل مايقع مخالفا لنصوص القانون المنوه عنه فى المادة الثانية يحال الحكم فيه بصفة انتهائية اذا كان المتهم تابعا للمحاكم الاهلية على محكمة تشكل من خمسة قضاة من محكمة الاستئناف الاهلية يكون اثنان منهم على الاقل من الاجانب ويستمر الحكم فى الجنح والجنايات التى تقع فى الثغور وسواحل البحر الاحمر والمنطقة البحرية المبينة فى المادة السابعة والاراضى المصرية فى جنوب اسوان بمعرفة المجالس العسكرية وتتعهد الحكومة المصرية بأن تنشر فى ظرف ستة أشهر من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة أمرا عاليا ببيان الاجراآت التى تتبعها المحكمة المخصصة والمجلس العسكرى فى تحقيق تلك الدعاوى والحكم فيها

(المادة الرابعة) اذا لم يكن المتهم من رعايا الحكومة المصرية فيسلم فى الحال لاجل محاكمته الى المحاكم المختصة بذلك مع المحاضر التى تقدم من السلطة العليا المصرية التابعة اليها الجهة التى ضبطت فيها المخالفة وكافة المستندات الاخرى والاشياء المثبتة للجريمة

(المادة الخامسة) لكل رقيق موجود فى الاراضى المصرية حق فى حريته التامة المطلقة وله أن يطلب أوراق عتقه متى أراد ذلك

(المادة السادسة) على الحكومة المصرية أن تستعمل كل مايكون لها من النفوذ على قبائل أفريقيا الوسطى لمنع المحاربات التى تحصل بينهم للحصول على الرقيق وبيعه

(المادة السابعة) تقبل الحكومة المصرية رغبة فى الوصول الى ابطال الاسترقاق والنخاسة بالكلية بأن كل مركب مصرية تتاجر فى الرقيق وتكون حمولتها أقل من خمسمائة طونولاته يمكن تفتيشها والبحث عنها وضبطها اذا اقتضى الحال بمعرفة الطرادات الانكليزية وكذلك كل مركب مصرية حمولتها بهذا القدر يشتبه فيها بوجه حق بانها معدة لهذه التجارة أو اتجرت فى الرقيق أثناء السفر الذى قوبلت فيه ويمكن حصول التفتيش أو الضبط فى المنطقة الممتدة مابين شطوط المحيط الهندى (بما فى ذلك شطوط خليج العجم والبحر الاحمر) من بيلوجستان لغاية رأس تانجلان (كليمان) وبين خط وهمى يتبع أولا خط زوال تانجلان الى النقطة المقابلة للدرجة السادسة والعشرين من العرض الجنوبى ثم يختلط بهذا العرض ويحيط بجزيرة مدغشقر من الشرق على مسافة عشرين ميلا من جهتيها الشرقية والشمالية الى أن يقطع خط زوال رأس العنبر ومن هذه النقطة تحد المنطقة بخط منحرف يتصل بشاطئ بيلوجستان بعد أن يمر فى البحر على مسافة عشرين ميلا من رأس الحد * كل ماتضبطه الطرادات الانكليزية من الرقيق فى مركب مصرية يبقى تحت تصرف الحكومة الانكليزية التى تتعهد باتخاذ الطرق الفعالة بضمانة حريتهم وتسلم المراكب بما فيها من البضائع والملاحين الى الاقرب أو الاوفق من جهات الادارة المصرية للمحاكمة بها

للمفاوضة فى ذلك فأقرت على انشاء معرض سنوى للازهار والنباتات والخضراوات وعرضوا ذلك على الحكومة فأقرت عليه وساعدته مساعدة مالية وفى ٢٥ يناير ١٨٩٦ افتتحه

امام المجلس العسكرى المنصوص عنه فى المادة الثالثة ومع ذلك ففى كل الاحوال التى يرى فيها قومندان الطراد الذى ضبط المركب المتاجرة فى الرقيق انه يستحيل عليه ايداع الارقاء المقبوض عليهم فى محل انكليزى أو رأى بسبب ظروف أخرى انه من الاوفق ومن صالح هؤلاء الارقاء أن يسلموا الجهات الادارة المصرية فتتعهد الحكومة المصرية بناء على الطلب الذى يقدم لها من قومندان الطراد أو من الضابط الذى انتدبه لذلك بأن تقوم بشؤون الارقاء المضبوطة وتضمن لهم حريتهم وكافة الامتيازات الاخرى الممنوحة للارقاء الذين تضبطهم الحكومة المصرية وتقبل الحكومة الانكليزية من جهة أخرى بأن كل سفينة حاملة العلم الانكليزى وجدت متجرة بالرقيق فى المنطقة البحرية المذكورة يمكن تفتيشها وضبطها أو حجزها بمعرفة جهات الادارة المصرية ولكن يشترط تسليم السفينة بما فيها من البضائع والملاحين الى أقرب سلطة انكليزية للمحاكمة بها وتحرر الحكومة المصرية الارقاء المضبوطين ويبقون تحت تصرفاتها وإذا رأت المحكمة المختصة بالنظر فى دعوى الرقيق انه لم يكن محل للقبض على السفينة وحجزها واقامة الدعوى على المتهمين فتلزم الحكومة التابعة لها الطراد بأن تدفع للحكومة التابعة لها المركب المقبوض عليها تعويضا ملائما للظروف

(المادة الثامنة) يسرى مفعول هذه المعاهدة من تاريخ اليوم الذى يصير فيه واجب التنفيذ كل من القانون المتعلق بالجنايات والجنح المختصة بالرقيق وقانون الاجراآت التى تتبع امام المحاكم المختصة بالنظر فيها اللذين تعهدت الحكومة المصرية كما تقدم بنشرهما فى بحر ستة أشهر من تاريخ عقد هذه المعاهدة وتبطل المعاهدة المعقودة فى ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ والاوامر العالية المختصة بها من يوم العمل بهذه المعاهدة ولكن يستمر سريان المعاهدة الاولى والاوامر العالية المختصة بها لحين حلول الميعاد المذكور وبناء على ماذكر أمضى الواضعان امضاءهما على هذه المعاهدة ووقع كل منهما عليها بختمه اهـ عمل بمصر فى ٢١ نوفمبر ١٨٩٥

المعتمد السياسى لدولة بريطانيا العظمى ووكيلها وقنصلها الجنرال بمصر
كرومر

ناظر خارجية حكومة الحضرة الفخيمة الخديوية
بطرس غالى

ملحق حرف (أ) وهو جزء متمم للمعاهدة المعقودة بين حكومتى مصر وانكلترة فى الحادى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٨٩٥ * تستمر الحكومة كما فى السابق على ابقاء ادارة مخصوصة لمنع النخاسة وتكلف هذه الادارة بكافة ما يتعلق بالارقاء وبمعتقهم وتبقى لها مراقبة أقلام الرقيق المشكلة بالمديريات والمحافظات وتقوم هذه الاقلام بكافة ما يتعلق بالارقاء وبمعتقهم ويمكن انشاء أقلام جديدة لاعتاق الرقيق اذا اقتضى الحال ذلك ويكون تحت تصرف ادارة منع الرقيق قوة مخصوصة للمحافظة على طرق الصحراء وسواحل البحر الاحمر وعلى العموم كافة المواقع التى يمر منها الرقيق الى القطر المصرى اما لجلبه اليه أو لمروره منه وعلى ادارة منع الرقيق أن تلاحظ مراعاة الدقة فى تطبيق القوانين واللوائح بالاسترقاق والنخاسة وأن تبحث عن الجانين وتستحضرهم امام المحكمة المختصة مع تقديم الادلة المثبتة للجريمة

ملحق حرف (ب) مصر فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٩٥ الى سعادة بطرس باشا غالى ناظر الخارجية تعهدت الحكومة المصرية بأن تقوم باحتياجات الارقاء والمعتقين بمقتضى ملحق حرف (أ) المتمم للمعاهدة المعقودة فى ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ بين حكومتى مصر وانكلترا بشأن منع النخاسة وقد اتفقنا على أن الحكومة البريطانية تعدل عن الاشتراط فى المعاهدة الجديدة اذا تعهدت الحكومة المصرية من جهتها بأن تدفع لمأوى الرقيقات المعتقات اعانة سنوية قدرها ثلثمائة جنيه مصرى ومن المعلوم أن الحكومة المصرية لا تدفع هذا المبلغ اذا اتفقت الحكومتان على أنه لا لزوم لهذا المأوى وانى أرجو سعادتكم التفضل باخبارى اذا كانت الحكومة المصرية تقبل هذا الحل وأنتهز هذه الفرصة لتبليغ سعادتكم فائق احترامى

الامضاء
كرومر

الجناب

الجناب العالى بذاته وكان أقيم فى حديقة الازبكية ورأس لجنته دولة البرنس حسين كامل باشا عم الجناب الخديوى فكان أول معرض أقيم لذلك فى الديار المصرية وتقرر ان يكون هذا المعرض سنويا

اعادة فتح السودان - بينما كان الناس فى أواخر شهر رمضان المعظم يستقبلون عيد الفطر (١٣١٤) وردت على مصر اشارة برقية من انجلتره بتجهيز حملة لاعادة فتح السودان لمناسبة الاحوال لهذا الفتح وأشيع ان الغرض من التجريدة المذكورة مساعدة الطليانيين الذين أصبح مركزهم حرجا امام الدراويش بعد هزيمة الاحباش لجيوشهم وأشاع البعض ان القصد من التجريدة منع الفرنسويين من التقدم الى جهات النيل وعلى ذلك صدر قرار وزارى بعد أخذ رأى الحضرة الخديوية (١٣ مارس ١٨٩٦) بارسال الجنود المصرية للاقطار السودانية فسافرت اليها تباعا عن طريق النيل وألحقت حاميات سواكن بعساكر الحملة وخلفتها هناك عساكر هندية وانجليزية وطلبت الحكومة من صندوق الدين مبلغ ٥٠٠,٠٠٠ ليرة مصرية من المبالغ الاحتياطية المودعة لها فيه للقيام بهذا العمل الجسيم فقبل أعضاء الصندوق جميعهم الا العضوين الفرنسوى والروسى فلم يثن ذلك من عزم الحكومة وأخذت المبلغ غير ملتفتة الى معارضة العضوين المذكورين اللذين أقاما الحجة على الحكومة يخطئانها فى عملها وبأن لاحق لها فى أخذ أى مبلغ كان الا بمصادقة جميع أعضاء الصندوق لان كل واحد منهم ينوب عن جميع أصحاب الدين ورفع بعض أصحاب الديون دعوى على صندوق الدين والحكومة معا امام المحاكم المختلطة يطلبان فيها ان يسترد الصندوق ما أخذ منه ولما كانت الحملة المصرية فى احتياج الى بواخر نيلية حربية ابتاعت مصر من انجلتره عدة منها وحملت قطعها الى وادى حلفا وهناك صار تركيبها ولما تجهزت الذخائر والمعدات قاد السردار السير كتشنر باشا الجيش وكان كلما تقدم مد الطريق الحديدى لتسهل عليه المواصلات ونقل الجنود والذخائر وجعل لحراسته بعض فرق الفرسان والهجانة والبدو كما عين حراسا لحماية الآبار التى بالصحراء الشرقية ولما وصل الخط الى بلدة الكرمة (مايو) استولى الجيش على عكاشة (٢٠ منه) وأخذ يتقدم منها رويدا رويدا وأوصل السكة الحديدية الى آبار أم البقول (أول يونيو) ولما كان عسس الدراويش يجتهد فى قطع المواصلات ومنع عمال السكة الحديدية من العمل تقدم السردار بالجيش الى بلدة فركة وهزمهم وغنمت العساكر منهم كثيرا من الاسلحة والطبول والجمال والخيل وغنمت أيضا نحو ٥٠٠ رأس من الماشية

ملحق حرف (ث) نظارة الخارجية نمرة ٣٧٨ مصرفى ١٠ نوفبر سنه ١٨٩٥ الى جناب اللورد كرومر الوكيل السياسى لجلالة ملكة بريطانيا العظمى

بخطابكم المؤرخ ٢٨ أكتوبر سنة ٩٥ تفضلتم بتذكرى أن الحكومة المصرية قد تعهدت بمقتضى نصوص ملحق حرف (أ) المتمم للمعاهدة المعقودة فى ٨ أغسطس سنة ١٨٧٧ بين حكومتى انكلتره ومصر بشأن منع الاتجار بالرقيق بأن تقوم باحتياجات الارقاء المعتقين وانما تفقنا فيما على أن تعدل حكومة جلالة الملكة عن هذا الاشتراط فى المعاهدة الجديدة اذا تعهدت الحكومة المصرية من جهتها على دفع اعانة سنوية قدرها ثلثمائة جنيه مصرى الى مأوى الرقيقات المعتقات وانكم تريدون جنابكم أن يضاف على ذلك انه اذا اتفقت الحكومتان على أن لا لزوم لبقاء هذا المأوى لا تدفع الحكومة المصرية هذا المبلغ تعليه أحيط علم جنابكم بوصول محرركم وأتشرف بابلاغ جنابكم بأن الحكومة المصرية تقبل دفع مبلغ ثلثمائة جنيه مصرى على الشروط المتقدم ذكرها وأرجو من جنابكم قبول فائق احترامى

الامضا
بطرس غالى

وعدة مراكب شراعية ووجدت فى بيت مالهم نحو ١٦٠ اردبا من الذرة وأسرت ١٣٠ نفسا بين رجال ونساء وتقدمت السوارى الى بلدة سوارده فاحتلوها وبعد ذلك شرع الجيش فى مد السكة الحديدية الى كوشه واشتغل بنقل الوابورات من الشلالات وكان مرض الهيضة الاسيوية الذى انتشر بمصر فى تلك السنة وصل الى الجيش فأمات منه قدرا كبيرا لكنه لم يمكث الا أياما قليلة ولما بلغت السكة الحديدية كوشه أرسلت الحضرة الخديوية تلغرافا الى السردار تمدحه على نشاطه وتطلب اليه ان يعلن أسفها لعموم الجيش على ما حل به من الموت والتعب وكان ذلك قبل سفرها الى أوروبا وقد أدرجنا صورة هذا التلغراف بأسفل الصحيفة ليطلع عليه من شاء (١) وأرسل السردار لسموه يشكره على ذلك ويبلغه شكره وسرور جميع الجنود ثم اجتازت السفن الحربية الشلالات وقد نال الجيش من ذلك ومن انشاء الطريق الحديدى من التعب والنصب ما لا يمكن وصفه وكانت العواصف المحرقة والامطار الغزيرة لا تنقطع حتى ان السيل جرف الطريق الحديدى على مسافة ٢٠ ميلا بين سرس والمرات فاجتهد السردار فى اصلاحها ثم عاد الجيش الى الزحف واجتازت البواخر شلال حنك وهو الشلال الثالث وتقدم السردار بالجيش الى الكرمة فى البر الشرقى فوجدها خالية من الدراويش لانهم لجؤا الى الحفير وتحصنوا فيه بجيوشهم وسفنهم الشراعية وكان معهم وابور بخارى فبعث المدرعات عليهم وأخذت تطلق قنابلها وساعدتها المدفعية البرية حتى أغرقوا باخرة الدراويش فانتهز الدراويش ظلام الليل وهربوا الى دنقله وعند ذلك احتل السردار بجيوشه المكان المذكور (٢٠ سبتمبر) وغنمت العساكر المصرية منها كثيرا من الذخائر والحبوب ووجدوا بها ٢٧ مركبا مشحونة بالحبوب ثم زحف الجيش الى بلدة الزورة فوصلها فى ٢٢ سبتمبر وكان معسكر الدراويش بمكان يعرف بالديم يبعد عنها بستة أميال وكانت المدرعات المصرية قد وصلت فى سيرها الى دنقله فوجدتها خالية فغنمت منها عدة مراكب وعادت الى الحفير ثم سيرها السردار ثانية الى دنقله لاستطلاع مراكز الدراويش فوجدتهم مجتمعين فى الديم فتقدم الجيش اليهم فى ٢٣ سبتمبر والمدرعات أمامه فلما وصلت أطلقت عليهم المدافع ولما قرب الجيش تقهقر الدراويش الى التلال الواقعة غربى الديم فهاجمهم السوارى والهجانة والطوبجية السوارى فاضطروا الى الهروب قاصدين أم درمان وبربر ودخل باقى الجيش الديم وهى بلدة متسعة كان شيدها الدراويش فغنم الجيش منها كل ما وجده من الذخائر ومن ضمنها ثلاثة مدافع وعدة بنادق وسيوف وحراب ووصلت المدرعات دنقله واحتلتها ورفعت العلم المصرى عليها ودخلها الجيش ظافرا (آخر سبتمبر سنة ١٨٩٦) ولما ورد تلغراف احتلالها

(١) رأس التين فى ٦ أغسطس سنة ١٨٩٦

سعادة السردار بكوشه — انى آسف على وفاة الملازم ثانى جمعة أفندى زاهر وتجدد ظهور الهيضة الوبائية وأهنئكم أنتم وجميع ذوى الشأن على اتمام السكة الحديد الى كوشه والامل ان تبلغوا الجميع أنى أقدر المشقات التى تحملوها حق قدرها وكذلك النشاط الذى أبدوه أثناء الحر الشديد والوباء وسأسر عندما يبلغنى أن الوابورات اجتازت الشلالات سالمة وقبل سفرى الى أوروبا فانى أرغب ان أعرب لكم ولاركان حربكم وللجنود على اختلاف أسلحتهم عن ارتياحى الى النشاط والبسالة اللذين أظهروهما فى مقابلة العدو والحر والوباء وأود كذلكم مداومة اشتراكى بالحاسيات معكم وستكون أفكارى دائما عندكم وانى أطلب منه تعالى ان يمنحكم كل نجاح وفوز على العدو ويهبكم السلامة من الكوليرا والمرض

عباس

أطلقت

أطلقت المدافع من قلعة العاصمة تبشيرا بفتحها ومن الغنائم التى غنمها الجيش درع من الزرد وخوذ من الفولاذ من أسلحة الصليبيين وسيف عليه كتابة بالقلم الفرنساوى القديم وآخر عليه شعار ملوك الانكليز القدماء وفى ١٣ اكتوبر عاد السردار مع أركان حربه الى القاهرة فاستقبل فى محطتها باحتفال عظيم وأولمه الجناب الخديوى وليمة فاخرة فى اليوم الثانى بسراى رأس التين باسكندرية وأنعم عليه بالنشان العثمانى الاول وعلى قواد الحملة بنياشين أخرى مكافأة لهم على عملهم ومدح السردار الجيش المصرى فى تقريره بقوله جربت هذه التجريدة فى الجيش المصرى فوجدته متصفا بصفات البسالة والاقدام والصبر على الشدائد والاتعاب مع تمام المحافظة على النظام وقد أظهر رجاله من الهمة والنشاط فى كثير من الاعمال الشاقة والاحوال الصعبة ما يؤهله لكل مدح حتى كان بعض العساكر المصرية يخفون ما بهم من المرض والتعب ولا يبالون بتقرح أقدامهم من المشى ليلحقوا باخوانهم الذين سبقوهم الى ساحة القتال اﻫ وكتب المستر هيليارد اتروج (A Hilliard Atteridge) مكاتب جريدة الديلى كرونكل الانجليزية وكان مرافقا للحملة كتابا مطولا اسماه (Forwards Khartoum) أى الزحف على الخرطوم شرح فيه حوادث هذه الحملة وأكثر من المدح فى السردار وأركان حربه وقواد الفرق وأثنى على العساكر المصرية ثناء كثيرا وقال لورد كرومر قنصل انجلترة العام بمصر فى تقريره الذى رفعه الى مركيز سلسبرى عن أحوال مصر انه لما فتحت مديرية دنقلة قسمت اداريا الى أحد عشر قسما يرأس كل قسم مأمور عسكرى أو مفتش من الضباط برتبة يوزباشى ويعاونه ضابط من البوليس برتبة ملازم وبعض من نخبة رجال البوليس وسمى قائد الجيش العام حاكما للمديرية وعين معه بعض الموظفين الاداريين ليعاونوه على اتمام واجباته الرسمية ثم قسمت أيضا عسكريا الى أربعة أقسام يرأس كلا منها قائد عسكرى مسؤل عن ادارة الاقسام التى تقع ضمن دائرة اختصاصه امام حاكم المديرية وأهم ما تحتاج اليه مديرية دنقلة الآن هو ان يكون فيها سكان فقد كان عدد سكانها ٥٨,٠٠٠ نفس فى يناير سنة ١٨٩٧ منهم ٤٠,٠٠٠ من الاناث والاطفال فزادوا فى السنة الماضية ١٩,٠٠٠ نفس منهم ٦٠٠٠ من بالغى الرشد مع ان الحرب كانت قائمة على ساق وقدم والمديرية عرضة لغارات الدراويش وتبلغ مساحة الاراضى التى تصلح للزراعة فيها ٧٩,٠٠٠ فدان والذى يزرع منها أقل من ٢٠,٠٠٠ فدان اﻫ وبعد فتح دنقلة صدرت الاوامر الخديوية بعمل مداليات من الفضة لتوزيعها على الجنود تذكارا للانتصار المذكور وسميت بمدالية السودان ونقش على أحد وجهيها نقش كتب فى أسفله لفظ استرجاع السودان والوجه الآخر اسم سمو الخديو عباس حلمى الثانى وتاريخ عملها وهو ١٣١٤ ﻫ وجعل لتعليقها شريط من الحرير الاصفر فى وسطه خط أزرق علامة على نهر النيل المار فى أرض مصر الصفراء وجعلت لها مشابك عليها أسماء الوقائع تعطى لكل فرد حضرها وهذا الوسام هو ثانى وسام عمل فى الديار المصرية فى عهد العائلة الخديوية لان الاول صنع فى عهد الخديو السابق المرحوم محمد توفيق باشا عقب الحوادث العرابية وهو على شكل نجمة من البرونز منقوش على ظهرها حرفين بالافرنجية هما (.M. T) وهما الحرفان الاولان من اسم الخديو محمد توفيق باشا وعلى الوجه الآخر صورة أبى الهول والهرم محاطة بدائرة منقوش عليها بالعربى والانكليزى لفظة الخديوية المصرية والسنة التى عملت فيها وهى ١٨٨٢ م

وفى أواخر شهر يونيه من سنة ٩٧ قاد السر كتشنر باشا السردار الجيش المصرى وتقدم به من دنقله الى الامام عن طريق النيل واستولى اللواهنتر باشا بفرقته على أبى حمد فى ٧ أغسطس بعد سفر شاق قطع فيه نحو ١٣٢ ميلا وفى هذه الموقعة قتل الكولونيل سدنى بك (Sidney) قائد الاورطة العاشرة السودانية والبكباشى فتز كلارنس (Fitz Claronce) من الاورطة المذكورة ونحو ٢٧ نفرا من عساكرها وجرح ٦١ نفرا ولما فتحت أبو حمد أخلى الدراويش بربر من تلقاء أنفسهم على غير انتظار ولجؤا الى شندى والمتمة وكانت المتمة الى عهد قريب عاصمة قبيلة الجعليين الموالين للحكومة فاستفادت الحملة من ذلك . وفى ١٩ نوفمبر تم اتصال خط السكة الحديد الممتدة من حلفا الى أبى حمد فى العطمور وعمل فى هذا الخط سبع محطات سميت نمرة ١ ونمرة ٢ الخ واحتلت بعض الفرق بربر فى ١٢ سبتمبر وبعد ان عبرت المدفعيات الشلال الخامس بعث السردار اثنين منها الى المتمة للاستكشاف فلما وصلتا الى قرب الشلال السادس أطلق عليهما الدراويش النار من حصونهم التى شيدوها بجهات المتمة فعادتا بعد الوقوف على مراكز العدو . وبعد قليل فتح الطريق بين سواكن وبربر وسارت فيها القوافل على عادتها القديمة وابتدأ السردار فى مد السكة الحديدية من أبى حمد الى بربر وبعد احتلال بربر بأشهر اقتنع التعايشى بأن الجنود المصرية ستوالى الزحف الى عاصمته فاعتمد على الدفاع وجمع معظم جيشه فى أم درمان وحشد بعض فرق من الدراويش فى شندى والمتمة والاماكن التى على ضفتى النيل عند شلالات سبلوكه

وفى ٢٥ دسمبر سنة ١٨٩٧ استلمت الاورطة السادسة عشرة المصرية وبطارية من الطوبجية بحضور برسوز باشا محافظ سواحل البحر الاحمر وسواكن مدينة كسلا من الجيش الايطالى الذى كان احتلها احتلالا وقتيا كما سبق بحسب منطوق الاتفاقية التى عقدت فى ١٥ ابريل سنة ١٨٩١ بين الحكومة الانجليزية والطليانية (لم نعثر على نصوصها) فسر أهالى كسلا بالجنود المصريين سرورا شديدا ثم بعث السردار بعض الفرق الى الدامر على رأس نهر عطبره واسترد عدة أماكن حربية من يد الدراويش بمساعدة العساكر الوطنيين هنالك الذين كانوا قبلا فى خدمة الطليانيين وأوصى السردار برسوز باشا بالمحافظة على حدود الحبشة

ثم بلغ السردار ان التعايشى جهز جيشا من دراويشه تحت قيادة الامير محمود للتعرض له أثناء تقدمه على أم درمان فعزم على مهاجمته وجمع معظم الجنود المصرية فى بربر ثم تقدم بها الى نقطة كنوز ثم الى رأس الهودى وطلب النجدة من الجنود الانجليزية فاستقر الرأى على امداده ببعض أورط وبعد قليل سافر اليه أربع أورط وهى كامرون هايلندرس وسيفورث هيلندرس ولنكلوشير وو روكستر تحت قيادة الجنرال جتاكر (Generale Gatacre) وقال لورد كرومر فى تقريره عن ذلك هذا واذا مست الحاجة الى نجدات أخرى أمكن ارسالها على جناح السرعة ولكن لا استصوب ارسال جنود انجليزية الى السودان أكثر مما يحتاج اليه منها نظرا الى رداءة الهواء وصعوبة نقل الزاد والمهمات فيما وراء السكة الحديدية . ومن الغريب ان معظم نجاح الاعمال الحربية فى السودان يتوقف على وسائط السرعة والنقل أكثر مما يتوقف عليها فى أكثر البلدان اهـ

واقعة العطبرة — لما عزم التعايشى على الهجوم وساق قوة من دراويشه تحت قيادة

الامير محمود الى المتمة كما قلنا تقدم السردار بالجيش المصرى والانجليزى الى رأس نهر عطبره وعسكر به فى أم ضبيعه ثم أخذ يستعد للحرب وبعث بالطلائع براً وبحراً لاستطلاع حركات الدراويش فبلغه ان الامير محمود اعبر النيل بجيشه الى شندى وتقدم به نحو نهر عطبرة وعسكر على ضفته على بعد ٣٠ ميلا شرقى أم دابيـة وانه أقام زريبة كبيرة وشيد بداخلها الحصون والحفر للمدافعة وذلك باشارة عثمان دقنـه الذى أرسله التعايشى لمساعدة الامير محمود وان جيشه يبلغ ١٦٠٠٠ مقاتل منه نحو ٣٠٠٠ فارس مسلحين بقربينات رامنتون (وهـذه أول مرة حملت فيها سوارى الدراويش أسلحة نارية) ونحو ٨٠٠٠ مسلحين بالبنادق والباقى بالسيوف والحراب وان معهم عشرة مدافع وفى يوم الخميس ٧ ابريل سنة ١٨٩٨ تقدم السردار بالجيش الى أبى غدار وفى اليوم التالى صباحا هاجم معسكر الامـير محمود المذكور و بعد قتال شـديد فازت عساكرنا على الدراويش فوزا مبينا وأسرت الامير محمودا وقد أوضح كثير من الضباط الذين شهدوا الموقعـة ان الجيش سار مساء يوم الخميس المذكور من أم دابية و بعد ساعتين استراح الى الساعة الواحدة صباحا ثم ابتـدأ فى الهجوم على الزريبة المتحصن فيها الدراويش وكان الجيش يتألف من أربع بطاريات طوبجية و ١٢ مدفعا من نوع مكسيم و بعض السوارى الحربية وثلاثة لوا آت بياده عدا الملحقات التى كان بها السوارى والامداد وكانت الطوبجية تحت قيادة الاميرالاى لونغ بك (E. J. Long) وموجودة فى الجناح الايمن أما مدافع مكسيم فقد توزعت على الجناحين والوسط وكان اللواء الانجليزى تحت قيادة الجنرال جتاكر وموجود فى الجناح الايسر وكان يـتركب من ثـلاث أورط وكان اللوا آن السودانيان تحت قيادة مكدونلد بك (H. .A.Macdonald) ومكسويل بك (J.G.Maxwells) وموجودان أحـدهما على اليسار تعضده عساكر لويس بك (D. J. Lewis) الاحتياطية والآخر عن يساره أما السردار وأركان حربه فكانوا بين اللواءين المهاجـين والامـداد فى النقـط الاخرى وبهذه الصورة تقـدم الجيش ولما صار على مسافة قريبة وقف وأصدر السردار أوامره بالاستعداد للهجوم فخطبت قواد الفرق على العساكر بالتشجيع وفى الساعة السادسـة وربع أطلقت الطوبجيـة القنابل على زريبـة الدراويش فـدمرتها تدمـيرا وقتلت منهم عـددا عظيما ثم ظهرت فرسان الدراويش عن يسار الاجمة مولـية الادبار من نيران المدافع و بعد نصف ساعـة كان فيها الدراويش ساكنـين سمع منهـم دوى الرصاص ثم انقطع وفى الساعـة السابعـة كفت السوارى عن اطلاق النار ونفخ فى البوق بالزحف الى الامام واشتغلت العساكر فى اطلاق البنادق تمهيـدا للطريق ولم يمض الا القليـل حتى دمرت أورطـة كرون هيلندرس والاورطة التاسعة السـودانيـة الزريبة تماما ومهـدتا الطريق وكان على بعد نحو ثلاثين ياردة فقط من الزريبة سور حصين وعنـدها حصـل الالتحام والاصطدام وصار الحرب بالسلاح الابيض فكان منظرا هائلا وقد نكلت عساكرنا بالدراويش تنكيلا شديدا فكثر جرحاهم وقتلاهم ومن سلم منهم تشتت فى الفيافى الى ما وراء النهر وفى الصحراء الجنوبيـة وفى مقـدمتهم عثمان دقنـه الذى هرب مع جموع خيالة الدراويش فاقتفى أثرهم لواء لويس بك والسوارى والطوبجية الراكبة وأسر من الدراويش نحو أربعـة آلاف أسير بينهم الامـير محمود الذى وجـد مختبئا وكادت العساكر تقتـله ولكنه قال أنا الامير محمود فقبضوا عليه وكان لاسره ضجة فرح بين الجنود الانجليزية والمصرية وهـذه الواقعة

من أهم الوقائع السودانية بل لم يحصل مثلها من تاريخ الحوادث السودانية قال أحد أفاضل الضباط ان معسكر الامير محمود كان عبارة عن حفر مركبة من ثلاثة خطوط خلف بعضها جعلت الاتربة الخارجة منها دروة لها وكسيت بقطع من أخشاب الدوم بحيث كان عمق الحفرة مع ارتفاع الدروة يسمح للمقاتل خلفها أن يضرب النار مرتكزا وخلف تلك الخطوط مكان لسكنى الامير محمود وهو محاط بثلاثة خطوط أخرى بها الدراويش المخصوصون لحراسته وكانت حيواناتهم موضوعة بداخل حفر أيضا وكان جميع المعسكر محاطا بزريبة على شكل بيضوى مصنوعة من قطع الاشجار وقدرت قتلى الدراويش بنحو أربعة آلاف قتيل

وقد اوضح السردار مجمل هذه الواقعة فى تلغرافه الذى أرسله الى الجناب الخديوى وفيه يقول حصل الهجوم على مراكز الامير محمود المحصنة بنجاح تام وتوضيح ذلك انى زحفت الليلة الماضية من أم دابية فوصلت مع الفجر الى مسافة ميل واحد من تلك المراكز ثم تقدمت الى مسافة خمسمائة ياردة منها وعندئذ ابتدأنا فى اطلاق المدافع عليها وكان اطلاق أول مدفع فى منتصف الساعة السابعة من الصباح وفى الساعة ٧ وخمس وأربعين دقيقة أخذ الجيش اهبته للقتال ووقف موقف الهجوم وكان الجناح الايسر من الجيش المهاجم مؤلفا من ثلاث فرق انجليزية ثم زحف مجموع الجيش بشدة عظيمة وساق امامه الدراويش الذين كانوا متحصنين فى الزرائب والاستحكامات الى جهة النيل وكانت خسائر الدراويش جسيمة جدا لانهم ثبتوا فى مواقف الدفاع ولبثوا يضربون الرصاص حتى وصلنا قريبا من حصونهم وقد أخذ محمود أسيرا وفى هذه اللحظة تقتفى البطارية الرابعة بمدافع مكسيم اثر الفارين أما خسائرنا فقاصرة على قتل اليوزباشى أوركهاوت من أورطة كامرون هلينـدرس والملازم جيوم من بطارية سيفورت وجرح الماجور رنابيير واليوزباشى فندلى من فرقة هلينـدرس والكولونيل مارى (وجرحه خفيف) واليوزباشى مالك لاجلند واليوزباشى بيلى والملازم طومسن والملازم فندلر من فرقة سيفورت والكولونيل فرنر والملازم بوكسر من فرقة لنكولسن والملازم جريمر من فرقة واروديك وهذا ما حصل تقريبا بالنسبة لضباط الفرق الانجليزية أما خسائر الصفوف فسيرسل شرحها بعد ولم يقتل ضابط انجليزى من الجيش المصرى ولكن جرح منهم اليوزباشى والتى جرحا بليغا والملازم هارلى والبكباشى شكلتى ووالتر بجروح خفيفة والعناية بالجرحى زائدة وسأرسل لكم رسالة أخرى فائقة الشرح حينما أقف على بقية الاخبار وفى اليوم الثانى ورد التفصيل بأن جملة من قتل من الجيش المصرى ٥١ ومن جرح ٣٣٥ ومن اللواء الانجليزى ثلاثة قتلى من الضباط وعشرة من العساكر وتسعة جرحى من الضباط وتسعين من العساكر وأما قتلى الدراويش فبلغت ثلاثة آلاف بينهم كثيرون من الامراء وكانت غنائم الجيش عشرة مدافع وكمية وافرة من البنادق ونحو مائة راية وعدد عظيم من طبول الحرب والاسلحة البيضاء والماشية وما شاكل ذلك ووجد المصريون بين الغنائم تاجا للامير محمود مصنوعا من الجلد ومزينا بريش نفيس فعلم من ذلك ان قواد التعايشى كان لهم تيجان يلبسونها وقت اللزوم وقد بعث مولانا الخديو وملكة الانجليز وامبراطور المانيا يهنئون السردار على انتصاره وقرئت تهانيهم على الجيش فقابلها بالدعوات ثم عاد السردار بالجيش الى بربر واشتغل بمد الطرق الحديدية وباتمام بناء الثلاث بواخر الحربية الجديدة وهى السلطان والشيخ والملك التى جلبها من انجلترا

وفى

وفى خلال ذلك عرض السير ميخائيل هكس بيتش ناظر مالية انكلتره (٧ يونيه ١٨٩٨) على مجلس نوابها صورة قرار بتنازل انكلتره لحكومة مصر عن مبلغ الثمانمائة ألف جنيه التى كانت اقرضتها اياها لحملة السودان فى عام ١٨٩٧ حينما امتنع صندوق الدين عن التصريح لمصر بأخذ ما يلزمها من النقود للحملة المذكورة وأشار الى نجاح تلك الحملة نجاحا عظيما والى تجديد تجارة السودان حيث المديريات السودانية تعود الى الحياة شيأ فشيأ قال ولا جرم ان الزحف على الخرطوم سيكون أعظم مشقة من كل ما جرى حتى الآن ولكن القوات التى يقودها سعادة السردار السير هربرت كتشنر باشا مستعدة لجميع الطوارئ وسيكون عدد الجنود الانكليزية هذه المرة أكثر عدد رآه أهل السودان فيها حتى الآن ثم ان الجيش المصرى قد تحسن تحسينا عظيما وفارق الدراويش اقدامهم ولكنه لا ينتظر أن تبقى فى الخرطوم حامية عظيمة من الانكليز زمنا طويلا هذا والحكومة الانكليزية لا تنوى مباشرة أعمال أخرى بعد فتح الخرطوم تستغرق نفقات عظيمة لفتح المديريات الواقعة قبلى الخرطوم ولكن أسطول المدفعيات يسير فى حملات لازالة كل حائل فى سبيل التجارة فى النيل كله ورأيه انه اذا حسنت علائق الوداد مع القبائل الساكنة غربى الخرطوم أمكن فتح بلادها للتجارة وجنت مصر و بريطانيه العظمى المنافع العظيمة من تجارتها وقد حسب نفقات الزحف على الخرطوم بمبلغ ٧٥٠,٠٠٠ جنيه وهى نفقات يعسر على مصر دفعها فصادق المجلس على هذا القرار باتفاق ١٥٥ صوتا ضد ٨١ اه وقررت بعد ذلك نظارة حربية انجلتره ارسال ثمان أورط انجليزية و بطاريتى مدافع وأورطتى سوارى و بلوك من المهندسين الى السودان لمساعدة الجيش المصرى فى فتح أم درمان وجعلت لقيادة هذه القوة كلا من الجنرال ووكب (Wauchope) والجنرال ليتلتون (Lyttelton) وأخذ السردار يستعد للسير و بعث لورد سالسبرى رسالة برقية الى لورد كرومر بمصر فى ٢ أغسطس من سنة ١٨٩٨ بين له فيها ما يفعله السردار بعد فتح الخرطوم فقال ان حكومة جلالة الملكة لا تقصد بعد احتلال الخرطوم أن تعمل الاعمال الحربية العظيمة التى تستغرق النفقات الكثيرة لاحتلال المديريات السودانية القبلية بل تأمر السردار بارسال حملتين احداهما فى النيل الابيض والاخرى فى النيل الازرق وقد سمحت لك بأن تؤلف فوق هاتين الحملتين على ما ترى بمشاورة السردار ثم يقود السردار هربرت كتشنر حملة البحر الابيض بنفسه الى حد فشوده و يأخذ معه عددا قليلا من العساكر الانكليزية اذا اتفقت أنت واياه على مناسبة ذلك وأما الضابط الذى يقود حملة البحر الازرق فيسير الى حد الشلال الذى يبتدئ عند روسيرس على ما يظن ولكن لا يجوز له أن ينزل جنودا لتسير فى البر الى ما وراء المكان الذى تصل اليه البواخر فى البحر الازرق فاذا التقى فى طريقه نقط الاحباش قبل وصوله الى روسيرس وجب عليه أن يكف عن المسير عندها و يخبر بما يرى و ينتظر الاوامر واذا لقيت حملة من الحملتين مأمورين فرنسويين أو حبشا فلتجتنب كل قول أو فعل يفيد اعتراف الحكومة الانكليزية لفرنسا أو للحبشة بحق امتلاك جزء من وادى النيل اه

هزيمة التعايشى ودخول الجيش أم درمان — اعلم انه لما وصلت هذه الاوامر للسردار كان الطريق الحديدى بلغ جهات عطبرة وتم بناء البواخر الحربية الثلاث ولهذا أمر السردار بسرعة تجهيز المعدات وامتداد الخطوط التلغرافية الى الامام مصاحبة لطلائع الجيش ثم أخذوا

فى ارسال الآلات والادوات الحربية والمؤن والذخائر الى النقط الامامية بكل سرعة وأتت الاورطة الخامسة المصرية من سواكن الى بربر بطريق البر وأتت أيضا الاورطة الثامنة عشرة من مصر وشرعت الجنود الانكليزية تتقدم من بلادها وتسافر رأسا الى معسكر العطبرة على السكك الحديدية والتحق بأركان حرب السردار كل من البرنس أوف تك والبرنس كرستيان وعدة ضباط انكليز والتحق بالحملة أيضا عدة مكاتبين للجرائد الانكليزية فقط ثم أمر السردار بتقدم السرايا المصرية بر اتحت قيادة الجنرال هنتر باشا الى النقط الامامية وكان يقودها كل من مكدونلد بك ولويس بك ومسكويل بك ثم تبعتها الالوية الانجليزية بحرا وعسكرت فى مكان يدعى مغاتيا ثم ركب السردار مع أركان حربه احدى البواخر النيلية وقصد سبلوكه فوجد فيها حصون الدراويش الا انها خالية ليس بها أحد ووجدان البواخر تستطيع عبور شلالاتها بسهولة فأمر عدة مدفعيات من أسطول الحملة بالعبور والتقدم لعمل الاكتشافات وكان الجيش بأجمعه وصل الى جهة تدعى ولاجد (٢٣ اغسطس) ثم حشد السردار جميع الجيش على ضفة النيل الغربية وكان عدده ٢٢٠٠٠ مقاتل وهناك استعرضه وكان بينه وبين أم درمان يومئذ أربعون ميلا ثم أمر بتقدم السرية الاولى تحت قيادة هنتر باشا وساق بعدها باقى السرايا يتبع بعضها بعضا

قال مكاتب روتر فى أخباره انه صعد فى اليوم المذكور على ذروة صخر ونظر الى البلاد المحيطة بسبلوكه فرأى وادى النيل ممتدا امامه ومغطى بالنباتات الزاهرة الرائعة ونظر غربا فرأى الصحراء على بعد صفراء اللون تلمع من نور الشمس وتمكن بواسطة المنظار من رؤية سرية هنتر باشا تزحف الى الامام والمطر ينهمل عليها وفى الجهة الشمالية رأى جبال الرويان تناطح السماء وهى سلسلة جبال صخرية يخترقها النيل عند سبلوكه وفى خلالها جماغفيرا من الهاربين من أم درمان بجمالهم وقطعان أغنامهم وحالهم تمثل الهلع والجزع ثم فى يوم ٢٦ أغسطس احتلت البواخر الحربية جزيرة صغيرة امام جبل الرويان وكانت كتائب العرب الموالية لمصر تسير على ضفة النيل اليمنى ولما وصل الجيش بلدة الهجير عسكر فيها امام جبل الرويان والتحق به هناك السردار وأركان حربه وكان الجنرال رندل باشا قادما على احدى المدفعيات وبينما هو سائر قرب شندى أصيبت باخرته بخرق فى جانبها فنفذ الى داخلها الماء ولما مالت على جانبها طلب وابها البر ولكنهم قبل الوصول اليه غرقت منهم ولم يظهر منها سوى مدخنتها وساريتها ونجا رندل باشا هو ومن معه وخرجوا الى البر حتى مرت باخرة الظافر فركبوها الى المعسكر ثم تقدم الجيش وعسكر فى وادى عبيد محل كان معسكر الدراويش من قبل ومن هناك أخذ السردار يستطلع حالة الاراضى المجاورة برا وبحرا ثم تقدم وجعل جزيرة بالنيل مستودعا للذخائر والمؤن واقامة المستشفيات ولذلك استغنى عن حفظ خط المواصلة ثم رتب كيفية الزحف على أم درمان فجعله على شكل خط مؤلف من الالوية وعين لكل لواء مركزه وأمر بالتقدم الى الجنوب وأمر قائد الاسطول بالتقدم فأقلع بسفنه ملك والفاتح والناصر ووصف مكاتب روتر صورة ذلك الزحف قال انه فى يوم الثلاثاء ٢٩ أغسطس زحف الجيش بعد الظهر بألوية مزدوجة وكان الليل مطيرا جدا فسار اللواء المصرى بقيادة لويس بك فى طريق الصحراء واللواء الانكليزى الذى يقوده الجنرال ووكوب عن يساره حذاء النيل وكانت المدفعيات تحمى ميسرة الجيش والفرسان والطوبجية تحمى ميمنته وكان منظره مؤثرا جدا

والمشاة

والمشاة وعددهم ١٥ ألفا زحفون فصيلة فصيلة مستعدين أن يصطفوا للحرب لدى أول اشارة والمدفعيات تجارى الجيش فى سيره مجاراة عجيبة وفرسان الانكليز والهجانة فى طليعة الجيش وبعد مسيرة عشرة أميال وقف الجيش ليستريح ولكن فرسان الانكليز ظلوا سائرين واحتلوا هضبة الشيخ الطيب وكان الاعداء قد جعلوها مركزا للاستطلاع لان الواقف عليها يرى ضواحى الخرطوم وأم درمان والنيل على مداه والناظر بالمنظار يرى محل التقاء البحر الابيض بالبحر الازرق وهو محل ذو شأن فى التاريخ وفى صباح الاربعاء استطلع الفرسان مدينة أم درمان نفسها استطلاعا تاما واكتشف الاسطول الحربى الخنادق التى تحصن الاعداء فيها ولكونها فى منخفض من الارض كما يفعل الدراويش عادة لم يتمكن الاسطول من معرفة قوتهم بالضبط ثم أصدر السردار أمرا الى الاسطول بمباشرة اطلاق القنابل على مكان العدو فابتدأت سفنه فى الضرب وظهر من الاخبار الرسمية الواردة من السردار على رئاسة جيش الاحتلال انه أرسل المدفعيات المصرية فسارت فى النيل حتى صارت بازاء حصون الاعداء المقامة على ضفة النيل اليمنى المواجهة لحصون أم درمان فأطلقت قنابلها عليها حتى دمرتها تدميرا وغنمت مدافعها كلها ومازالت تنسفها حصنا بعد حصن حتى غادرتها اطلالا بالية وكذلك الحصون المقامة فى جزيرة توتى الواقعة بين أم درمان والخرطوم كل ذلك ولم تصب مدفعية من المدفعيات بعطب ولم يلحق بأحد ممن عليها ضرر وكان لمدافع هاوتزر فعل شديد وفتك ذريع وقال أيضا انى وصلت يوم الخميس المذكور الى ميل ونصف عن كررى وكانت نقط الدراويش الامامية قد تقهقرت واجتمعت على بعد ثلاثة أميال الى الجنوب الغربى أما جيشنا المحارب فكان ينتظر نتيجة اطلاق المدفعيات للقنابل على جزيرة توتى فى الضفة اليمنى من النيل ولما وصل السردار الى كررى المذكورة أرسل الى عبدالله التعايشى كتابا يدعوه فيه الى التسليم ويقول له فيه ان سلمت عاملناك معاملة العدل وان أبيت وأصررت على القتال فندعوك الى الخروج من أم درمان لتكون الواقعة خارجا عنها لاننا لانريد بالنساء والاطفال والشيوخ الطاعنين سوأ ولانحب أن يلحقهم الضرر فلذلك نسألك أن تجعلهم خارج السور فى مكان لاتصل اليه قنابلنا أو رصاص البنادق اذلابد لنا من الاستيلاء عليها فقبل التعايشى أن يخرج جيشه من المدينة وعسكر فيما بين أسوارها بين التلول القريبة منها وراء الجهة المعروفة هناك بخور شبات ثم لحق التعايشى بجيشه ليلة الجمعة وبات معهم بعد أن بشرهم بالنصر وأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بهزيمة الكفار والرجوع الى صلاة الجمعة فى وقتها بمسجد المهدى وكان السردار فى هذه الليلة نفسها قد وصل بجيشه الى قرية عجيجة التى تبعد عن أم درمان بأربعة أميال وكان الظلام حالكا وتلك الجهة تكثر فيها الربوات والغابات بحيث يظن الخبيرون أنه لو كان التعايشى هجم فى تلك الليلة على معسكر السردار لاوقع به ولكن الله قدر النصر والسلامة لمصر فبات الجيشان ولاعلم لهما بمكان بعضهما ولكن السردار كان يعلم بمكان جيش العدو وقوته وفى صباح يوم الجمعة لم يشعر الجيش المصرى والانجليزى الا والدراويش يتقدمون نحوه فرقة بعد أخرى على هيئة منتظمة حتى تمكن السردار من تقدير عددهم من نظامهم بخمسة وثلاثين ألفا وكان معسكر المصريين على هيئة هلال نقطته الوسطى قرية عجيجة التى جعلها السردار مركزاله ولاركان حربه وفى طرف الهلال من جهة أم درمان

العساكر الانجليزية وآخره مما يلي عجيجة العساكر المصرية وبينهما جميع العساكر السودانية ثم الطوبجية ومعهم ٦٥ مدفعا منها ٢٣ من طرز مكسيم الجميع على خط واحد ثم دخلت السوارى فى مواضعها وذكر مستر استيفنس (G. W. Steevens) مكاتب جريدة الديلى ميل فى كتابه المسمى مع كتشنر الى الخرطوم (With Kitchener to Khartoum) ان الجيش عند ما عسكر حول قرية عجيجة الواقعة على بعد ميل الى جنوب مرتفعات كررى ليلة أول سبتمبر كان يتألف من ٢٢٠٠٠ مقاتل تقريبا وكان على شكل زاوية منفرجة وفرقة الماجور جنرال جتاكر (Gatacre) الانجليزية فى الجناح الايسر ولواؤها الثانى ليتلتون (Lyttelton) على رأس الجناح وبجانبه بطارية مدافع الميدان وكان يتألف هذا اللواء من أربع اورط وهى رايفل بريجيد ولانكشير فوزيلير ونورثمبرلند فوزيلير وغرنادير غارد وعلى يمينه قائد لوائها الاول وشوب (Wauchopé's) ويتألف لواؤه من أورط وروبك وسيفورث وكمرون ولانكولوس وخلفهما الفرقة الرماحة الحادية والعشرين وعلى يمينهما اللواء الثانى المصرى وبقوده مكسويل بك ويتألف من ثلاث اورط سودانية وهى ١٤ و١٢ و١٣ وواحدة مصرية وهى الثامنة التى كانت على رأس الزاوية وعلى يمينه اللواء الاول قيادة مكدونلد بك ويتألف من ثلاث أورط سودانية وهى ١١ و١٠ و٩ وأورطة مصرية وهى الثانية وعلى يمينه فى رأس الجناح اليمين اللواء الثالث المصرى قيادة لويس بك ويتألف من أربع اورط مصرية هى ٤ و١٥ و٣ و٧ واللواء الرابع المصرى أيضا قيادة كولينسون بك (Collinson's) ويتألف من أربع اورط أيضا هى ١ و٥ و١٧ و١٨ وكان هذا اللواء بصفة احتياط فى سط المثلث على شمال القرية وكانت المدفعيات جميعها تشغل مراكزها على خط مستقيم وأورط السوارى والهجانة على مرتفعات كررى والجناح الايمن كان معززا بثلاث مدفعيات حربية فى النيل كما ان الجناح الايسر كان معززا بمدفعيتين أيضا فى النيل هذا أما جيش الخليفة فكانوا يقدرونه بين أربعين وخمسين ألف مقاتل مقسما الى ثلاث فرق كانت الاولى منها تحت قيادة عثمان الازرق ووجهتها مهاجمة قرية عجيجة المعسكر فيها الجيش المصرى والانجليزى وكانت الثانية تحت قيادة على ولد حلو ومعه الراية الزرقاء وبرفقته ولد التعايشى الاكبر عبد الله شيخ الدين ووجهتها الصعود فوق مرتفعات كررى لتحدق بجناح الجيش الايمن والثالثة تحت قيادة الخليفة عبد الله نفسه وأخيه يعقوب وكانت واقفة خلف جبل سرجهام وعلى ذلك كان يزحف جيش المهدى اهـ

ولما وصل جيش التعايشى الى آخر مرمى المدافع المصرية أخذت تطلق قنابلها عليه ولم يزل الدراويش يتقدمون على جيش السردار حتى التحم جناحهم الايمن بجناح الجيش المصرى الايسر الذى يشغله السوارى الانكليزية فكاد الدراويش يفتكون بهم واستمر جناح الدراويش الايسر سائرا يتقدم نحو الجناح الايمن من الجيش المصرى الذى هو مركز السوارى المصرية فلم يلتحم به الا بعد ساعة وربع كانت العساكر الانكليزية انتصرت فيها على جناح الدراويش الايمن واستمر القتال بعد ذلك بين الفريقين خمس ساعات ولما انكسر جناح الدراويش الايمن سار الجيش الانكليزى حتى قطع عليه خط الرجعة الى أم درمان فانحصر الدراويش بين نارين ولذلك لم يسلم منهم الا القليل الذى التجأ الى الصحراء والذى دفع بالدراويش الى هذا التهور فى الهجوم حتى انحصروا بين النيران انهم

كانوا

كانوا يحاولون الالتحام الكلى بجيش السردار لاستعمال السلاح الابيض الذى تعودوا الانتصار به فى وقائعهم ولما خلت الطريق من الدراويش بين عجيجة وأم درمان تقدم السردار حتى وصل الى خورشبات ونزل للاستراحة وكان التعايشى فى هذه الاثناء قد رجع الى أم درمان فدخل منزله وضرب النفير المسمى عنده (بالبيعة) فلم يجبه أحد من حزبه ولما استبطأهم سار راجلا من أحد أبواب منزله مسافة ميل ونصف الى أن خرج من باب ام درمان الجنوبى ثم ركب فرسه وأمر نائبه واتباعه بأن يلحقوه فلحق به من لحق وبقى من بقى وممن لحق به ابنه عثمان الملقب بشيخ الدين وعثمان دقنه ويونس الدقن وغيرهم ويقال انه قد فر معه من جنوده نحو العشرة آلاف بأسلحتهم وعددهم

أما السردار فانه لم يهجم على أم درمان فى الحال لان الجيش كان ظمآن متعبا ولما استراحوا دخل السردار بجيشه أم درمان وذهب الى بيت التعايشى وسأل عنه فقيل له انه موجود فيه لانهم لم يعلموا بهروبه فأمر السردار بحصار البيت فحاصروه وبعد قليل تحقق الجيش ان التعايشى فرهاربا فى أثناء استراحة السردار وقال أحد من شاهد حرب اليوم المذكور انه لما دخل الجيش المدينة فعلت الاورطة التاسعة السودانية والعرب الموالون للحكومة من الافعال ما يحمر له وجه التمدن خجلا ويقال ان أغلب جنودها كانوا من اتباع الامير محمود ولهم معرفة تامة بأم درمان فانطلقوا فى أنحاء المدينة يعيثون فيها الفساد ينهبون ويسلبون ويفتكون ولما علم السردار بذلك أمر مشددا بمنعهم وبمراقبتهم وقد كان بيت مال التعايشى محط آمال السردار فانه أمر عند دخوله المدينة الاورطة السابعة تحت قيادة الميرالاى ابراهيم بك فتحى بالمحافظة عليه ويقول أهل أم درمان ان التعايشى لم يأخذ معه من أمواله شيأ ويقولون ان بينها كثيرا من الفضة والذهب وريش النعام وقرن الخرتيت وسن الفيل ولكن تداول على الالسنة فيما بعد أن التعايشى كان نقل أمواله ونفائسه من أم درمان الى مكان مجهول قبل ذلك بسنة من الزمان وبعد ان تفقد السردار أبنية المدينة ومعاملها أمر بجمع الاسلحة وقسمتها على جنود الجيش لتكون عندهم بمنزلة التذكار وأرسل الاخبار البرقية بانتصاره هذا الى رئاسة مجلس النظار بمصر قال انه فى فجر يوم ٢ سبتمبر هجم جيش الدراويش بأكمله تحت قيادة الخليفة بنفسه على القوة التى تحت قيادتى ولكن الدراويش اضطروا للتقهقر بعد أن تكبدوا خسائر جمة ثم بدأت بالزحف على أم درمان وعلى مسافة أميال منها هجم العدو علينا هجمة شديدة وفى هذه المرة تشتت شمل جيشه وتمزق كل ممزق واحتللنا أم درمان بعد الظهر بلا مقاومة تذكر وأما الخليفة فقد ولى الادبار وفرسانا فى إثره مطاردته هم والمدفعيات ونيوفلد وابراهيم فوزى و ١٥٠ أسيرا مصريا قد خلصوا كلهم من الاسر وهم بغاية السلامة معنا وكان سلوك الجميع جديرا بالمدح والثناء وفى مساء يوم السبت سلمت بقية قوات الخليفة والاسرى كثيرون وأما خسائر الجيش فالجارح من الضباط المصريين تسعة توفى منهم واحد وقتل من العساكر المصرية ٣٥ والمجروح منهم ٢٧٩ وخسائر الجيش الانكليزى ثلاثة منهم الضابط غرنفيل ابن أخى الجنرال غرنفل باشا قومندان جيش الاحتلال الحالى والمستر واردمكاتب جريدة نيويورك هرالد وجرح سبعة ضباط وقتل ٢٤ عسكريا وجرح ١٠٣ اما خسائر الدراويش فقدرت القتلى بنحو ١٠,٤٠٠ والجرحى بنحو ١٦,٨٠٠ والاسرى بنحو أربعة آلاف

فيكون مجموع ما قتل وجرح وأسر منهم نحو ٢٠٢٠٠ نفر وشرح مكاتب جريدة الدالى تلغراف الانكليزية هذه الواقعة فى رسالة بعث بها الى جريدته قال أصبحت وفى استطاعتى ان أبعث لكم شرحا وافيا عن اليوم الثانى من واقعة أم درمان ولا يخفاكم انه لم يكن فى الامكان ارسال ذلك فى يوم الواقعة نفسها بسبب الخطر الشديد على المراسلات فاضطررت حينئذ أن أضبط الواقعة فى مذكرتى واليكم الشرح الوافى عن حملة الدراويش الذين هاجمونا أول يوم فأصدر السردار أوامره للالوية الانكليزية بعد أن سارت الجنود المصرية والسودانية تمهد الطريق قبل ذلك والجاء العدو للتقهقر ولم يحصل فى اليوم الاول غير هذه الحركات وفى اليوم الثانى كان التعايشى برجاله مستعدا للقتال على تل عال ثم استأنف الحملة على الجنود المصرية وحينئذ اندفع كالسيل الجارف الى الامام غير أن المصريين والسودانيين قابلوهم بشجاعة وثبات يمدح عليهما أعظم الجيوش المدربة على القتال السنين الطوال وقد اصطفت الجنود المصرية على خط واحد معها لواء مكدونلد السودانى الذى كان جناحه الايمن مرتكزا على النهر والجناح الايسر واصلا الى سفح الاكمة العالية كأنهم جميعا واقفون للتمرين أو الاستعراض لا يبالون بالموت الزؤام ولم تظهر عليهم علامة ما للاضطراب والقلق حتى فى النقط التى كان الهجوم عليها قويا شديدا بل استمرت الجنود على اطلاق نيرانها بثبات غريب ومهارة فائقة ينصب رصاصها فيفتك بالعدو الذى بلغ عدده خمسة عشر ألفا وأكثر فتكا ذريعا ولما كان السردار فى هذا الحين يبتدئ بالزحف على أم درمان حيث الساعة ٨ صباحا وقد رأى ما هو واقع أمامه فى الجناح الايمن اضطر أن يوقف سير الجنود ويحول وجهها للاخذ بناصر الجنرال مكدونلد وقد كان الا أنه بقيت الجنود المصرية والسودانية على ما كانت عليه ثباتا وشجاعة حتى ان الجندى الواحد أفرغ فى هذه المعركة ساعتئذ ١٢٠ خرطوشا وفى الواقع ونفس الامر ان الانتصار الباهر اكتسب فى تلك الساعة وانه لم يأت لنصرة الجنود المصرية والسودانية فى هذه المعركة الهائلة من الجنود الانكليزية سوى أورطتى (سيفورت) و (الكمرون هاليندرس) ويمكننا أن نقول بعد ذلك بكل ارتياح ان الفضل فى رد الدراويش على الاعقاب والقضاء عليهم فى ذلك اليوم هو للجنود الخديوية المصرية والسودانية وفى ذلك الوقت عملت بطارية مكسيم وأورطة الميدان الثانية والثلاثون عملا يذكر وقد كانت بالقرب من الواقعة ذروة عالية كانت عليها فئة من الدراويش تطلق الرصاص فسار اليها السردار بالجنود الانكليزية وطردها من مكانها ثم سحبت المدافع بسرعة عجيبة الى أعلى الذروة التى كانت تجاوز السهل المنبطح الذى كان ميدان القتال بين الجنود المصرية والدراويش ولما وضعت المدافع فى ذلك المكان أرسلت الى البقارة نارا حامية أصلتهم وأضرت بهم فاضطروا الى التقهقر ولكنه لم ينته القتال وقتئذ فقد حاول الدراويش أن يندفعوا مرة ثانية عن جهة الوادى غير ان الجنرال مكدونلد أميرالاى الاورطة السودانية أدار مقدمة جنوده بتحويل وجهها جنوبا وناهيك بهذا العمل الصعب فى موقعة هائلة لا كما يكون مثله وقت الاستعراض والتمرين غير أن الجنود انتظمت بسرعة غريبة مدهشة وبعد بضع دقائق كانت نيران بنادقها تنصب على الدراويش حتى اضطرتهم وهم أشجع البقارة وأقدرهم على القتال الى القهقرى فخفت بذلك وطأة هجومهم الشديدة عما كانت عليه فى أول الواقعة وكانت الجنود الانكليزية فى ساعة هذه الواقعة واقفة تشاهد القتال اذ كان العمل كله للجنود الخديوية ثم مدح شجاعة الدراويش وقال

كل

كل ما مضى لم يثن من عزيمة رجال التعايشى الراجلين بل هو قد زادهم حماسة واقداما وكانما نيران حب الانتقام اتقدت فى صدورهم فساروا الى الامام آخذين السهل عرض وجوههم مطالبين بثار أولئك الفرسان البواسل وقد ظلوا هكذا لا يلوون على شئ ويطلقون بنادقهم آنافا آناوهم زاحفون على جنودنا حتى صار الجو أقتم مغبرا بسهامهم ولكن لحسن حظنا كانت مراميهم عالية فكان رصاصهم يتطاير فوق رؤسنا بغير جدوى وكانت هذه حملة الخليفة الاخيرة تخفق فى وسطها رايته السوداء وقد أخذت مدافعنا وبنادقنا تصب عليهم نيرانا حامية حتى قطعت صفوفهم ولاسيما المدافع التى كانت على مرتفع مطل على الوادى فانها عملت عملا يذكر الى أن قال وكانت الراية السوداء المنقوشة ببعض الكلمات الدينية تخفق وحولها يسقط الدراويش زرافات ووحدانا صرعى بقنابل مدافعنا ورصاص بنادقنا الى أن فر الخليفة التعايشى وبقيت الراية بين رجلين لا يفارقانها حتى سقطا الى أن قال ولقد استمر بعد ذلك المنظر المؤثر اطلاق النيران من جنودنا بضع دقائق حتى خلا الجو من رائحة الدراويش وكان بعضهم قد طلب الفرار وبعضهم ألقى سلاحه الى الارض كدرا وحزنا وصار يمشى الهوينا غير مكترث بالرصاص الذى يتبعه ولم يسلم اليناغير النزر اليسير وبذلك تم القضاء على قوة التعايشى الى أن قال وأما نحن فحولنا وجوهنا نحو أم درمان حيث انتهت الواقعة وتم الانتصار الباهر وكانت الطريق الموصلة الى تلك المدينة فى سهل مغطى بالجثث الملتحفة بالمرقعات البيضاء وكان من ضمن القتلى أخو الخليفة ومشيره محمد يعقوب شيخ الدين والامير عثمان الازرق وقائد آخر من أعظم قواده وبعض الامراء المختلفين وأما التعايشى فقد فر كما ذكرنا آنفا واقتفت الفرسان والطوبجية أثره ولكنها لم تظفر به اه هذا ويقال ان التعايشى أرسل قسما عظيما من جنوده قبل واقعة أم درمان الى كردفان ليكونوا له نصراء فيما بعد وذلك حينما افتكر فى قوة الجيش المهاجم وعلم مقدرته وجودة أسلحته ونظامه فان صدقت هذه الرواية كانت الجنود المذكورة غير الجنود التى فرت معه يوم الواقعة قالت جريدة بولتيش كرسبندانس الالمانية يظهر ان الخليفة حارب الجنود الانكليزية والمصرية مقتنعا ان لا أمل له بالنجاح امامها وعليه لاقاها بقسم من جنوده وأبقى قسما كبيرا ليجدد به الحملة ويعيد الكرة متى سنحت له الفرصة أو ليقيم العراقيل على الاقل فى سبيل تأييد الحكم الانكليزى المصرى فاذا صح ذلك كان على جيش السردار مهمة عظيمة بعد ولم تكن معركة أم درمان وما سبقها غير بدء الحرب السودانية الحقيقية لان الحملة حاربت الى الآن على ضفاف النيل وكانت المواصلات ووسائط النقل متيسرة برا وبحرا أما الآن فلا بد لها من اختراق الصحراء بعيدة عن قاعدة أعمالها ومن احتلال كردوفان ودارفور ليبقى خط النيل فى يدها طبقا لما كان خديو مصر السابقون يفكرون فيه ويسعون فى تحقيقه وختم المكاتب رسالته بقوله انه لا يبعد من ثم أن تقوم الحملة الانجليزية المصرية بأعمال جديدة فى الشتاء القادم اه واتخذ السردار منزل الامير يعقوب أخى التعايشى الذى قتل فى الواقعة مسكنا له ورفع عليه العلم المصرى والعلم الانكليزى ثم جعل مكسويل بك قومندانا لام درمان والبكباشى بتر الذى كان حكمدار بوليس مديرية الجيزة سابقا حكمدارا للبوليس فيها وبعد ذلك قصد خرائب الخرطوم وتفقد رسومها الدارسة ودار صناعتها وما بها من المهمات والذخائر والادوات والاسلحة وأمر بالمحافظة عليها ثم أطلق سراح جميع المسجونين بين مصريين وغيرهم وأصدر نشرة يهنئ فيها الجنود

الانكليزية والمصرية على فوزهم العظيم و يثنى على آدابهم وحسن سلوكهم فى الموقعة الفاصلة التى قضت على قوة الدراويش وأخذت بثار غوردون ثم رفعت الراية الانكليزية والراية المصرية على الخرطوم أيضا ولما وصلت أخبار هذه الانتصارات الى مصر وأوروبا وردت الرسائل التلغرافية بالتهانى الى السردار من جلالة ملكة الانكليز ومن سمو مولانا الخديو ومن جلالة امبراطور المانيا ومن كثيرين من عظماء الرجال ورقت الحكومة الانكليزية السردار كتشنر باشا الى رتبة بارون وأنعمت عليه بمبلغ عظيم قدره ٢٥٠٠٠ ليرة وأنعمت الحكومة المصرية على رجال الحملة بمرتب شهرين مكافأة لهم على أعمالهم ولما كانت القبة المقامة على قبر المهدى فى أم درمان تهدمت بمقذوفات البواخر قبل الواقعة بيوم اجتمع غوردون بك ابن أخى غوردون باشا ومكسويل بك وبعض من ضباط الجيش الانكليزى أثناء سفر السردار الى فاشوده وهدموا ما بقى من القبة بالديناميت لمحو آثار المهدى بالكلية ونبشوا قبره وأخرجوا جثته ولم تكن بليت بعد ووجدوا جلد رأسه ناشفا على الجمجمة و برأسه ولحيته بقية من الشعر ووجدوا تحت رأسه هلالا من الفضة فى وسطه نجمة من الذهب وفى عنقه سبحة وهو راقد على فروة فأخذ غوردون بك رأسه ليرسلها الى لندن لتعرض فى معرض الجماجم أما جثته فنثرت فى جوانب الصحراء و بذلك تم الانتقام لغوردون وورد فى الكتاب الازرق الانكليزى الرسمى انه لما فتحت الخرطوم قابل سفير انجلتره الموسيو دلكاسى ناظر خارجية فرنسا (٧ سبتمبر سنة ١٨٩٨) فهنأه هذا بالفوز ثم قال له وأظن ان الاسطول الانجليزى يسير فى النيل حالا الى الجنوب فاذا أصاب ظنى فلا بد أن يلتقى عما قليل بالكبتن مرشان ولذلك يحسن أن تعلم الحكومة الانجليزية انه أعطى أصرح الاوامر وأوضحها فأخبر صريحا انه انما هو رسول للتمدن ولا سلطة له أن يحكم فى مسئلة من مسائل الحقوق الخاصة بالحكومتين الانكليزية والفرنساوية وحدهما دون سواهما وحذر أن يأتى أمرا يفضى الى المنازعات المحلية ثم سأل السفير أن يخبر لورد سالسبرى بذلك وأعرب عن أمله بان يصدر الاوامر الى قائد قوات المملكة المصرية فى النيل بان لا يأتى أمرا يفضى الى منازعات محلية فيما يتعلق بمسائل الحقوق فشكر السفير الناظر على تهنئته وسأله هل جاء الحكومة الفرنساوية أخبار عن الكبتن مرشان حديثا وأين محله الآن فأجابه انه وصلنا أخبار منذ ٤٨ ساعة عن الكبتن مرشان ولكننا لا نعلم محله الآن لان تلك الاخبار وصلتنا بعد زمان طويل والارجح ان الكبتن مرشان وصل الى النيل بعد ذلك ولذلك تخشى الحكومة الفرنسوية من وقوع النزاع عند التقائه بالاسطول الانجليزى فأرسل السفير فى ذلك اليوم أى فى ٧ سبتمبر يخبر لورد سالسبرى بذلك وفى ذلك اليوم عينه أرسل المستر رنل رود (Rennell Rodd) سكرتير قنصلية انجلتره بمصر تلغرافا الى لورد سالسبرى يقول فيه ان السردار علم بعد البحث ان فى فشودة ثمانية ضباط فرنسويين وثمانين عسكريا من أهل السنغال وان الراية الفرنسوية مرفوعة عليها و يظهر ان ليس فيها أحباش ولا فى سوبات مع انه كان قد بلغنا منذ مدة انهم كانوا فى تلك الجهات وكان الخليفة قد أرسل باخرتين الى فشودة فأطلقوا النار عليها وبقيت احداهما جنوبا ورجعت الاخرى الى الخرطوم لتخبر الخليفة بما كان اهـ وكان السردار لما سمع من باخرة الدراويش المذكورة ان حملة فرنسوية تحت رئاسة ضابط يدعى مرشان (Marchand) احتلت فشوده خابر الوكالة البريطانية بمصر فصدرت الاوامر بما يلزم فركب فى يوم ١٠ سبتمبر

١٨٩٨ ثلاث بوارج حربية وهي الفاتح والناصر والملك وأخذ معه الاورطة الحادية عشرة والاورطة الثانية عشرة المصريتين ونحو مائة عسكرى من الانجليز وبعض مدافع وسار فى النيل حتى وصل مقابل فاشوده يوم ٢١ ستمبر المذكور فرسا هناك ولم يمض الا القليل حتى جاء بعض الفرنسويين فى صندل من الحديد يسألونه من أنتم فقال لهم ثم سألهم ومن أنتم قالوا انا من رجال مرشان فلاطفهم السردار وأكرمهم وطلب منهم أن يخبروا مرشان بمجيئه وأنه يروم الاجتماع به فاما أن يأتى اليه أو يذهب هو اليه فرجعوا وكان مرشان قد بنى حصنا له على خور على ضفة النيل ورفع عليه الراية الفرنسوية وأقام فيه برجاله وعددهم احد عشر أوروباويا غيره و ١٥٠ سنغاليا وغيرهم وهم يلبسون الطرابيش ومعهم خمسة صنادل من الصاج فلما عاد اليه رجاله وأخبروه بكلام السردار ركب صندلا مع بعض رجاله وجاء لزيارة السردار فأحسن السردار ملتقاه ونزل كلاهما الى السفينة المصرية حيث اختليا مدة ثلاث ساعات ثم خرج مرشان فودعه السردار الى سلم بارجته وركب بعد قليل هو والميرالاى ونجت بك لرد الزيارة له وفى صباح اليوم التالى اختار السردار بقعة على ضفة النيل تبعد نحو مائتى ياردة عن الراية الفرنسوية شمالا ونصب عليها الراية المصرية ونادت الجنود حينئذ افندعز چوق يشا ثلاثا ثم وضع أربعة مدافع بجانبها وترك الاورطة الحادية عشرة هناك وسار ظهر يوم ٢٢ ستمبر جنوبا مسافة ستين ميلا الى نهر صوبات فرفع الراية المصرية عليها أيضا بحفلة كالحفلة التى تمت فى فاشوده وترك فيها نصف الاورطة الثانية عشرة وقفل راجعا ويقال انه طلب من مرشان وجماعته ان يأتوا معه فأبوا الا بأمر دولتهم وكان السردار اقتصر كثيرا فى محادثة مرشان واقتصر على ابلاغه البلاغات الرسمية فقط ثم عاد الى الخرطوم وبعث عن ذلك رسالتين الى الوكالة البرطانية بمصر فأرسل مستر رود عنهما تلغرافين الى لورد سالسبرى أحدهما فى ٢٢ ستمبر والثانى فى ٢٥ منه وهما

(الاول) وصلنى من السردار خبر من رنغ قبلى الخرطوم بنحو ٣١٠ أميال يقول فيه لاريب ان الجنود التى هى فى فاشوده حملة مرشان وانه ليس للحبش أثر فى جهات صوبات ولا النيل الابيض وان قبائل دنكا والشلك ساعدت الحملة ظنا منها ان رجالها انكليز ينصرون الحكومة المصرية فلما علمت انهم ليسوا كذلك قالت انها تحت عنهم وقد طلب السردار من قبائل الشلك ان تقابله وهو يؤمل ان يصل الى فاشوده بعد ثلاثة أيام وقد فاجأ الدراويش وهم ينتظرون وصول المدد من الخرطوم للهجوم على الفرنساويين فشتت شملهم بعد ما قاوموه مقاومة شديدة وغنم باخرتهم واحد عشر زورقا وهو يقول انه يفرغ الجهد فى المجىء بمرشان ورجاله معه وقد اتصل به انهم أقاموا الحصون وحفروا الخنادق فى فاشوده (والثانى) قال فيه رجعت الآن من فاشوده وقد لقيت فيها الموسيو مرشان وثمانية ضباط و ١٢٠ عسكريا وكانوا قد رفعوا الراية الفرنساوية على دار الحكومة القديمة وسكنوا فيها فكتبت اليه كتابا قبل وصولى بيوم أخبره فيه انى قادم الى فاشوده فى الصباح التالى أى فى ١٩ ستمبر جاءنى زورق صغير رافع الراية الفرنساوية بجواب من مرشان وفيه يقول انه وصل الى فاشوده فى ١٠ يوليو بعدما أمرته حكومته باحتلال بحر الغزال حتى ملتقاه ببحر الجبل وأيضا بلاد الشلك على الضفة اليسرى فى البحر الابيض الى فاشوده وانه عقد معاهدة مع مشايخ الشلك مقتضاها بسط حماية فرنسا على بلادهم وأرسل المعاهدة الى

حكومته لتصادق عليها عن طريق الحبشة وطريق بحر الغزال أيضا ثم وصف القتال الذى جرى بينه وبين الدراويش فى ٢٥ أغسطس وقال انه كان ينتظر هجومهم عليه هجمة أعظم من الاولى فتدارك ذلك أرسل باخرته جنو بافى طلب المدد ولكن وصولنا منعهم من اعادة الكرة عليه فلما وصلنا الى فاشوده جاء الموسيو مرشان والموسيو جرمان الى باخرتنا فأخبرتهما من فورى ان وجود قوم من الفرنساويين فى فاشوده ووادى النيل يعد تعديا على حقوق مصر والحكومة الانكليزية واعترضت على احتلالهم لفشوده ورفعهم الراية الفرنسوية على أملاك سمو الخديوى أشد الاعتراض فأجابنى الموسيو مرشان ان الاوامر صدرت اليه صريحة باحتلال تلك البلاد ورفع الراية الفرنساوية على دار الحكومة فى فاشوده وانه يستحيل عليه الخروج من ذلك المكان الا بأوامر حكومته وهو ينتظر ان أوامرها لا تبطئ فسألته عما اذا كان يقاوم منافى رفع الراية المصرية على فاشوده وهو يعلم ان معى قوة أعظم من قوته فتردد ثم قال انه لا يستطيع المقاومة فرفعت الراية المصرية حينئذ قبلى الراية الفرنساوية بنحو خمسمائة ياردة على ركن منهدم من أركان الحصون المصرية القديمة المشرفة على الطريق الوحيد بين مكان الفرنساويين وبين داخلية البلاد لان المستنقعات تحيط بمكان الفرنساويين من الشمال وهى سباخ لا تعبر وقبل سفرى من فاشوده جنو بادفعت الى الموسيو مرشان كتابا اعترضت فيه اعتراضا رسميا بالنيابة عن الحكومة الانكليزية والحكومة المصرية على احتلال فرنسا لجزء من وادى النيل لان ذلك يكون تعديا على حقوق الحكومتين وقلت انى لا أعترف باحتلال فرنسا لجزء من وادى النيل وتركت فى فاشوده حامية وهى عبارة عن أورطة سودانية وأربعة مدافع وباخرة مدفعية تحت أمر الماجور جكسن وعينته قومندانا لمركز فاشوده ثم سرت الى صوبات ورفعت الراية عليها وأقمت نقطة فيها فى ٢٠ سبتمبر ولم أر للاحباش أثرا على نهر صوبات ولكنى أنبئت ان أقرب نقطة لهم تبعد ٣٥٠ ميلا عن ذلك النهر ووجدت بحر الجبل غاصا بالطحالب والاعشاب فأمرت مدفعية ان تسير فى بحر الغزال للاستطلاع متوجهة جهة مشرع الرق وعدت فلما مررت بفاشوده فى وجوعى سلمت أرسلت الى الموسيو مرشان كتابا أقول فيه ان نقل المواد الحربية ممنوع لان البلاد موضوعة تحت الاحكام العرفية وجاء شيخ قبيلة الشلك وكثيرون من رجاله الى معسكر الماجور جكسن وأنكر انه عقد معاهدة مع الفرنساويين وقد أبدت القبيلة كلها مزيد السرور بالرجوع الى طاعتنا هذا والموسيو مرشان تعوزه الذخيرة والمؤنة وكل ما يرسل اليه لا يصله الا بعد أشهر ثم انه منقطع عن داخلية البلاد ووسائط النقل فى الماء عنده لا تفى بالمراد وليس له اتباع فى البلاد ولو تأخرنا أسبوعين عن قطع دابر الخليفة للاشى الدراويش حملته ولم ينج منها أحد من أيديهم انتهى عن الكتاب الازرق

واعلم ان مرشان هذا هو ضابط فرنساوى تحت امرة مسيو ليوتارد (Liotard) حاكم عموم الكونغو الفرنسوى وكان ليوتارد بفرنسا فى هذا الوقت ولما علم به مكاتب احدى الجرائد ذهب اليه وقابله ولما سأله عن مرشان وحملته قال أقوالا استنسبنا درجها فى أسفل الصحيفة(١) لتمام الفائدة ولما عاد السردار الى الخرطوم أخذ ينظر فى أحوال البلاد التى تم له فتحها وأرسل

(١) قال الموسيو ليوتارد لادو وبحر الغزال كانتا تابعتين للحكومة المصرية من سنة ١٨٦٨ الى سنة ١٨٨٣ أي الى ما بعد واقعة هيكس باشا وتسليم سلاطين باشا. لاد دارفور وانسحاب لبتون بك من مديرية بحر الغزال المذكورة

بعض

بعض السرايا فى البحر الازرق على البواخر المصرية لاتمام فتح بلاد سنار وجهات القلابات وسار برسوز باشا فاستولى على القضارف بعدان فرق جموع الدراويش المجتمعة هناك تحت رئاسة ولد الفضل أحد قواد جيوش التعايشى ثم عاد السردار الى مصر فى يوم الخميس ٦ اكتوبر سنة ١٨٩٨ فاحتفلت الحكومة وادارة جيش الاحتلال باستقباله احتفالا باهرا وباتمام هذا الفتح العظيم عاد السودان المصرى الى مصر ولم يبق خارجا عن أملاكها القديمة بالسودان المصرى سوى كردفان ودارفور ومقاطعات خط الاستواء ومديرية بحر الغزال

ودخل احتلال الفرنسويين لفاشوده فى دور سياسى عظيم وكان مسيو هانوتو (Hanotaux) وزير خارجية فرنسا السابق كتب عن تقسيم افريقية رسالة فى مجلة باريس سنة ١٨٩٦ قال فيها انه يجب على كل فرد من الجمهور ان يعرف أنه اذا احتلت حملة مرشان مدينة فشوده فالفضل فى ذلك للرجال الحكومية الفرنسوية الذين وضعوا هذا المشروع منذ زمن مديد قاموا بتنفيذه بناء على الخطة التى رسموها له وكل من نزع منهم الى القول بانحطاط فرنسا وهبوط نفوذها الاستعمارى فما عليه الآن يطرح نظره على خريطتى أفريقية وآسيا ليدرك مقدار خطئه فيما ذهب اليه من النظر والاعتقاد اه

اذ أنها سقطت فى يد المهدى ولم تفتكر انكلترة بشأنها مطلقا فى ذلك الوقت حتى سنة ١٨٨٨ أى عند تأسيس ولاية الكونغو الحرة ولما كانت هذه الولاية مجاورة لاملاك فرنسا فى شرقى افريقية ابتدأت المخابرات معها فى أمر تسوية الحدود التى انتهت بتحديد حكومة الكونغو الى مركزها الحالى فى الاوبنجى وماوالاها شرقا الى النيل فلذلك سارت حملتا بحيرة تشاد تحت رئاسة الموسيو بونشامب (Bonchamps) وحملة بحر الغزال تحت رئاسة مارشان وكان خروج مرشان من فرانسا فى سنة ١٨٩٦ يرافقه ثلاثة يوزباشية وهم جرمان (Germain) وباراتيه (Baratier) ومانجان (Mangin) والملازم لارغو (Largau) والترجمان لاندروان (Landeroin) والحكيم البحرى ايميلى (Emily) واثنى عشر صف ضابط فرنسوى والملازم البحرى ديه (Dyé) وأنيط هذا الاخير بنقل مدفعية فى الاوبانجى الى بحر الغزال وبعد أن تجهزوا بجميع المعدات خرجوا فى أول مارس سنة ١٨٩٧ وبرفقتهم مائة نفر سنغالى من مدينة برازافيل (Brazzaville) بالكونغو ثم انقطعت الاخبار عن مارشان الى ١٧ سبتمبر وفى يونيو سنة ١٨٩٨ عرفتنا الاخبار الواردة ان حملة مرشان وصلت مشرع الرق وهى نقطة تقابل بحر الغزال ببحر الحمر وبعد ذلك اتجه مرشان الى فاشوده بعد ان عمل الاكتشافات اللازمة وظهر له منها ان مقاطعة بحر الغزال واسعة الاطراف وانها كثيرة المستنقعات وسكانها قلائل ومناخها غير صحى تتولد فيها الحميات ولكنه على أى حال تمكن من الوصول الى هناك بعد أن قطع الغابات الضخمة مرة على الاقدام ومرة على القوارب التى كانت معه ولم يصادف فى طريقه مقاومة من القبائل أو غيرها بل بالعكس كانوا يمدون اليه يد المساعدة ويأخذ منهم جمالا وقد حملوا له القوارب المذكورة والمؤن والذخائر وانه كان عنده ثلاثة آلاف رجل يحملون المعدات وهم راضون عنه ومن معاملته قال ولو أردنا عشرين ألف رجل لوجدناها ذلك ميسورا وأهل بحر الغزال أقل من السنغاليين شجاعة وثباتا الا انهم مطيعون ما داموا يعاملون بالحسنى وقد مدح مرشان بقوله انه ضابط باسل قوى الارادة حر الفكر شجاع القلب لطيف المعاشرة وهو شديد الوطنية الى درجة عظيمة وان الضباط الذين تحت امرته هم خلاصة رجالنا وأفضل جنودنا شجاعة وثباتا ولا يعرف مرشان غير وظيفته ومركزه ولا يتحرك من مكانه بل يبقى فى فاشوده حتى تصدر له الاوامر من حكومته وانه تمم هذا العمل بكل نجاح باهر ومودة غريبة اه وقال مكاتب الديلى تلغراف ان الميرالاى ونجت بك مدير قلم المخابرات المصرية تعهد جنود مارشان المائة وخمسة عشر نفرا فقال انهم ليسوا من السنغال بل هم من أهالى تمبكتو ويقول الضباط الانكليز ان هؤلاء الجنود الذين أحضرهم مرشان من تمبكتو هم من أجمل الجنود التى رأوها فى افريقية اه

وقد ورد فى الكتاب الازرق انه لما اطلع لورد سالسبرى على تلغرافى السيرأدوارد مونسون (Sir E. Monson) سفير انجلترة بباريس وتلغراف المستر رنل رود سكرتير الوكالة البريطانية بمصر أرسل تلغرافا الى سفير انجلترة بباريس فى ٩ سبتمبر ١٨٩٨ يقول له فيه اذا عاد الموسيو دلكاسى (ناظر الخارجية الفرنسوية) الى هذا الموضوع فقل له انه بعد الحوادث الحربية التى حدثت فى الاسبوع الماضى أصبحت كل الاراضى التى كانت خاضعة للخليفة ملكا للحكومة الانجليزية والحكومة المصرية بحق الفتح وان الحكومة الانجليزية ترى ان هذا الحق لا يقبل المناقشة ولكنها مستعدة ان تحل سائر المشاكل المتعلقة بالاراضى التى لا دخل لها فيما تقدم حلا حبيا يبحث فيه الفريقان بتمام الحرية كما يروم سعادته فلخص السفير كلام لورد سالسبرى هذا بالفرنسوية وقابل ناظر الخارجية وأطلعه عليه فقرأه وراجعه مثلا ثم أجاب ان عبارة الاراضى التى كانت خاضعة للخليفة عبارة مبهمة وانه لا يعلم الى أين تمتد تلك الاراضى مع انه بذل العناية فى درس مسائل الاراضى الافريقية لما كان ناظر المستعمرات الفرنسوية ثم عاد السفير فقابله فى ١٨ سبتمبر فقال الموسيو دلكاسى انى أعلم بمكان الموسيو مرشان الآن ولكن هب انه فى فاشوده كما تقول الجرائد الانجليزية فهل مراد الحكومة الانجليزية ان تفهم الحكومة الفرنسوية انه لا يحق له ان يكون هناك فأجابه السفير لا ريب عندى قط ان الحكومة الانجليزية تروم ان تكون على غاية الود والصداقة مع فرنسا ولكنها تعد فشوده من البلاد التى كانت تابعة للخليفة وصارت الآن ملكا للبرطانيه العظمى ومصر وأما من جهة حق الموسيو مرشان ان يكون حيث هو الآن فتعلمون كما أعلم أنا ان الحكومة الانجليزية أفهمت فرنسا صريحا انها تعد دخولها الى وادى النيل الاعلى عداوة فلماذا أرسلتم هذه الحملة وأنتم تعلمون سوء العواقب التى لا بد منها اذا بلغت الحملة المكان الذى بلغته فأجابه الموسيو دلكاسى ان فرنسا لم تعترف بمنطقة النفوذ الانجليزى فى وادى النيل الاعلى بل ان الموسيو هانوتو اعترض عليها جهارا فى مجلس الشيوخ وكذلك الموسيو كورسل سفيرنا كتب الى لورد كمبرلى يعترض على ما قال السرادوارد جراى ما قاله فى ٢٩ مارس سنة ١٨٩٥ على انه ليس هناك حملة تسمى حملة مرشان بل مرشان من الضباط التابعين للموسيو ليوتار فان فرنسا عينت الموسيو ليوتار مندوبا على نهر الاوبنجى الأعلى سنة ١٨٩٢ وأمرته أن يحافظ على مصالحها فى الشمال الشرقى ولما كان مرشان تابعا فقد تلقى كل أوامره منه وأعاد الموسيو دلكاسى قوله للسفير مرارا انه ليس هناك حملة لمرشان ورجاله حتى رسخ فى ذهن السفير من كلامه ان مراده هو ان الموسيو ليوتار أرسل مرشان ففعل ما فعل لان فرنسا فعلت فعل الاعداء فسأله السفير عن الزمان الذى أرسله ليوتار فيه فأجابه ان ذلك كان منذ سنتين فقال السفير ولكن الحكومة الانجليزية أبانت لفرنسا وبين قبل ذلك بزمان طويل انها تعد دخولهم الى وادى النيل عداوة لها فأجابه ناظر الخارجية ان مصر كانت قد فقدت السودان سنة ١٨٩٣ وان فرنسا حذت فى سيرها الى النيل حذو انجلترة فى فتح مديرية خط الاستواء ثم ذكر أسبابا أخرى من هذا القبيل وعاد فاستدرك عليها قائلا ولكن لا محل للمناقشة بينى وبينك قال السفير فوافقته على ذلك ثم أبنت له بصريح العبارة انه اذا كان الموسيو مرشان قد احتل فشوده فقد أمست الحال محفوفة بالاخطار لان الحكومة الانكليزية لا توافق البتة على بقائه فيها ولا ترضى ان تتنازل مصر عن

حقها

حقها فى استرجاع كل البلاد التى كانت خاضعة للخليفة وأصلها من أملاكها ثم قلت له والواجب يقضى على أن أتكلم بتمام الحرية وانه لايمكن ان يكون الاتفاق على هذه المسئلة بالاخذ والعطاء فصغى الى بمزيد الانتباه ثم أجابنى جوابا فحواه انه اذا كانت الحكومتان تتناقشان فى هذه المسئلة بالسكينة وكانتا ترغبان عن اخلاص فى اجتناب النزاع فلا ريب انهما يحلانها حلا سلميا مرضيا أما فرنسا فانى أعلم على يقين انها لاتريد الخصام بل كل رفاقى النظار يتمنون مثلى دوام حسن العلائق بيننا وبين انجلتره فاذا كان هذا مانرومونه أنتم أيضا (وأنا مرتاب فيه لما ظهر لى من كلام الجرائد الانجليزية) فلا خطر فأجبته ان الحكومة الانجليزية لاتريد مخاصمة فرنسا ولكن لاأرى فائدة من اخفاء الحقيقة عنه وعدم اظهار اخطارها له وان الحكومة الانجليزية قد عزمت عزما ثابتا أن لاترجع عن الحصول على حقوقها وقد تحاميت ذكر كل عبارة تشم منها رائحة التهديد وأما فى سوى ذلك فانى أفرغت جهدى حتى أظهرت له باجلى بيان وأصرح عبارة انه يستحيل علينا أن نسمح ببقاء الفرنسويين فى فاشوده اهـ ومن أمعن النظر الى هذه الاقوال والى لهجة الجرائد فى هذه المسئلة والى أقوال الموسيو ليوتا ر يظهر له ان مسئلة أعالى النيل وفاشوده طويلة المباحث وربما استغرقت زمنا طويلا حتى يتم الاتفاق عليها بين الدولتين فلهذا استنسبنا ختام هذا الفصل بأمل العودة اليه ان شاء الله فى تاريخى فرنسا وانجلتره اذا حدث بينهما مايقتضى العودة لاستيفاء مايتم فى هذه المسئلة التى أخذت أهمية عظيمة فى الوقت الحاضر

هذا ومما يجب التنبيه عليه انه لما أشار ناظر خارجية فرنسا أثناء كلامه مع سفير انكلترة الى أن فاشوده ليست من الاملاك الانكليزية بل هى كانت تابعة لمصر وأنه ليس مع انكلتره توكيل رسمى عن مصر للمطالبة بحقوقها فى هذه المسئلة عند ذلك أرسل ناظر خارجية مصر الى وكيل دولة انكلتره السياسى بمصر محررا يرجو فيه ان تنوب حكومته عنها فى المطالبة بحقوق مصر على فشوده وقد أدرجنا صورة هذا المحرر ليقف عليه القراء (١) أما ملخص ماحصل فى مسئلة فشوده بعد ذلك فهو ان الحكومة الفرنساوية عادت بالخيبة والخذلان وتنازلت عن مدعياتها فى مسئلة فشوده وأمرت مرشان باخلائها على غير شرط

الكوليرا فى القطر المصرى — ورد فى الفصل السابع من تقرير مصلحة الصحة العمومية عن الكوليره التى تفشت فى القطر المصرى فى سنتى ١٨٩٥ و ١٨٩٦ انها ظهرت أولا فى طرسوس من بلاد آسيا الصغرى فى ٢٤ مايو سنة ١٨٩٥ ثم أخذت تنتقل فى تلك البلاد الى أن دخلت الحجاز ثم مصر أخيرا اما الحكومة المصرية فقد اتخذت لذلك الاحتياطات اللازمة كعادتها فأقامت عدة مراكز للحجر الصحى منها مركز الطور وهو لجميع الحجاج على الاطلاق ومنها مركز رأس ملعب وجعلته للحجر الثانى على الحجاج المصريين فقط وفى نخل للحجاج القادمين بطريق البر وفى عيون موسى وغيرها وعلم من التقارير الرسمية التى وردت من الطبيب المرافق للمحمل المصرى فى تلك

(١) ان حكومة مولاى الخديو لم تغفل قط أمر استرجاع السودان كما تعلمون جنابكم لان السودان مصدر حياة القطر المصرى ولم تنسحب الحكومة المصرية من تلك البلاد الامكرهة بحكم الضرورة والغاية المقصودة من فتح الخرطوم تضييع فائدتها اذا لم تسترد وادى النيل الذى ضحت لاجله مصر ضحايا عظيمة ولعلم الحكومة المصرية ان بريطانيه العظمى وفرنسا تتفاوضان الآن فى مسألة فاشوده فوضت الى ان أكلف جنابكم مساعدة دولة اللورد سالسبرى حتى يعترف لمصر بحقوقها التى تتنازع فيها وترد اليها جميع المديريات التى كانت محتلة لها قبل ثورة محمد أحمد المتمهدى ٩ بطرس غالى

السنة ان الكوليرة ظهرت فى ٢٦ يونيه أثناء السير بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وانها كانت شديدة الفتك ولما وصلوا المدينة توفى بها أمير الحج محمد خسرو باشا فى يوم ٢ يوليو سنة ١٨٩٥

وكان أول ظهور هذا الوباء بثغر دمياط ثم سرى كعادته إلى أغلب بلاد مصر واهتمت الحكومة باتخاذ الاحتياطات الصحية لمنع انتشاره واتفق ان أصيب به اول شهر يونيو أحد مجاورى رواق الشوام بالجامع الازهر ولما بلغ خبره قسم الضابطة توجه طبيب القسم ومعاون البوليس الى الجامع وطلبوا انقل المصاب الى المستشفى ليعالج فيه فأبى رفاقه ذلك وقاوموا رجال الحكومة ورجوهم بالطوب عند ما استعملوا القوة لاخذه قهرا وكان محافظ مصر محمد ماهر باشا وحكمدار البوليس كولس باشا حاضرا هنالك فاضطرا أن يأمرا العساكر باطلاق الرصاص على الطلبة ارهابا لهم فأصيب به خمسة مات منهم ثلاثة وقبضوا على كثير من الطلبة وساقوهم الى السجون ثم أصدرت الحكومة قرارا أبعدت به منهم ستين طالبا كلهم من رواق الشوام لانهم هم الذين قاوموا رجال الحكومة وحاكمت منهم ١٣ واقفلت رواق الشوام لمدة سنة وكافأت المحافظ بالنشان العثمانى الثانى اعترافا منها بحسن صنيعه هذا ومازال الوباء بمصر يحصد الاعمار حتى شهر سبتمبر وكان عدد من مات به بحسب التقدير الرسمى ١٧١٣٢ نفسا وفى شهر أغسطس سافر الجناب الخديوى الى أوربا قصد تغيير الهواء بعد ان أناب عنه رئيس النظار عطوفتلو مصطفى فهمى باشا ثم عاد باليمن والاقبال إلى ثغر الاسكندرية فى أول اكتوبر

ولما كانت الحكومة ترى اختلالا ونقصا فى أعمال مصالح بيت المال وصممت على ايجاد نظام يصلح من أمرها صدر أمر عال (١٩ نوفمبر) بأن لا يكون لبيت المال فيما بعد تداخل فى أمر التركات وان تلغى أقلامه وكل الرسوم التى كانت مقررة له وان تشكل مجالس حسبية فى القطر المصرى لتنصيب الاوصياء والوكلاء على الورثة القصر او الغائبين وغير ذلك ومن الحوادث أيضا وقوع خلاف كبير بين مجلس شورى القوانين والحكومة بخصوص الميزانية وذلك بان اعترض مجلس الشورى على بعض فصول الميزانية فقامت بينه وبين الحكومة ضجة كان الفوز له فيها لوساعده قانونه الاساسى ومنها أيضا ان الحكومة رأت بعد المسافة بين دار التحف المصرية وبين المدينة مما يصعب معه الامر على الزوار والمتفرجين سيما وان السراى التى بها المتحف يخشى عليها من الحريق وغير ذلك مما يقولونه فأقرت على بناء دار تحف جديدة احتفلت بشق أساسها على الارض الواقعة بحرى قصر النيل فى يوم ٧ يناير وأقامت لذلك حفلة كبيرة ولما أتى يوم طلعة المحمل احتفل به رسميا كالعادة يوم ١٠ القعدة من سنة ١٣١٣ (٢٣ ابريل ١٨٩٦) فى ميدان محمد على وحضر الاحتفال مولانا الخديو وسلم زمام المحمل الشريف الى أمير الحج الفريق عبد الحليم عاصم باشا السرياور وكان ذلك بحضور النظار والامراء والعلماء وجمهور الاهلين ثم فى يوم الاثنين تفضل مولانا الخديو فتوجه الى محطة العباسية لتوديع ركب المحمل وأميره وهى أول مرة ودع فيها خديو مصر ركب الحج الشريف بنفسه يوم سفره ولذلك ابتهج الناس بما حصل من مولانا الخديو

الاعانة العسكرية العثمانية — لما قام الخلاف بين دولتنا العثمانية وحكومة اليونان بخصوص مسئلة جزيرة كريد وبلغ التشاخ من حكومة اليونان ان أرسلت بفرقة من عساكرها الى كريد مع الكولونيل فاسوس (Vassos) وغير ذلك مما يخالف ما يدعونه حقوق الدول وقواعد

الملل

الملل وتداخلت دول أوربا فى أمر الخلاف واضطرت الدولة العلية الى القيام بالاستعدادات العسكرية وحشد الجيوش على الحدود اليونانية مما هو معلوم ومفصل فى الكتب التى وضعت فى هذا الحرب وانقطعت العلائق بين الحكومتين قام اليونان العديدون الذين بالبلاد المصرية وأخذوا فى جمع الاعانة مساعدة لحكومتهم فعند ذلك ثارت الحمية فى نفوس المصريين فألفوا فى القاهرة لجنة كبرى تحت رياسة صاحب الدولة مصطفى رياض باشا لجمع الاعانة للعساكر الشاهانية وجعلت لها لجانا فرعية فى سائر بلاد القطر فتبرع الاهالى على اختلاف طبقاتهم ومللهم بقدر عظيم من المال مما دل على تعلق أهل مصر بالسلطنة العثمانية تعلقا شديدا وكان كلما تجمع لدى اللجنة الكبرى قدر من المال أرسلته الى دار الخلافة للجنة الاعانة العسكرية هناك وبلغ ما تبرع به المصريون وأميرهم زهاء الثمانين ألف ليره عثمانية

ردم خليج القاهرة — خليج القاهرة هو خليج ضيق يخترق القاهرة من الجنوب الى الشمال تقريبا اوله عند الحنايا المعروفة بالعيون امام جزيرة الروضة وآخره خلف العباسية شمالا وكانت العادة انه متى بلغ النيل فى فيضانه ستة عشر ذراعا كسر واسدا على فمه فجرى الماء فيه وكان ذلك باحتفال كبير ومهرجان عظيم يحضره رسميا بعض رجال الحكومة ويجرى فيه من الالعاب النارية والقصف والخلاعة بالسفن شئ كثير وقد اختلف المؤرخون فى الذى احتفر هذا الخليج أولا قال المقريزى ان الذى حفر الخليج هوطوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذى قدم ابراهيم الخليل صلوات الله عليه الى مصر فى أيامه وبعده جدده اندرومانوس الذى يعرف بايليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن فلبش المجدونى وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف وأربعمائة سنة وبعده جدده عمرو بن العاص لما فتح مصر فى عام الرمادة وأقام فى حفره ستة أشهر وجرت فيه السفن تحمل الميرة الى الحجاز فسمى خليج أمير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يبين مبدأه ولا اتجاهه ولا البلاد التى مر عليها ثم ذكر فى ظواهر القاهرة أنه فى سنة مائة وخمسين هجرية أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بردمه فردم وانقطع السير فيه وقال فى موضع آخر وفم هذا الخليج لم يكن هو الموجود الآن ولم أدر اين كان فى الجاهلية وأظن أن اوله كان عند مدينة عين شمس أو بحريها اه وقد تكلم المرحوم على باشا مبارك فى صحيفة ١١٤ من الجزء الثامن عشر من كتابه الخطط الجديدة عن الخليج وروى أقوال استرابون وهيرودوط وكثير من المؤرخين ثم قال وقد بعد النيل عن مدينة عين شمس فبالضرورة انتقل فم الخليج الى حيث كان النيل ولا مانع من أنه بعد ان ظهرت الارض التى بنيت فوقها القاهرة وقريه أم دنين امتد الخليج الى نحو هذه الجهات حسبما اقتضاه الحال ثم لما أخذت العرب بلاد مصر اشتغل عمرو بن العاص بتعديل الخليج وجعله صالحا للملاحة ولا يبعد أنه جعل فمه قريبا من الفسطاط من بحريها اه وقال لورد كرومر فى تقريره الاخير عن ردم الخليج ما يأتى أفضى مد الترمواى الكهربائى فى شوارع القاهرة الى ردم الخليج وهو ترعة قديمة كانت تمر سابقا فى قسم من القاهرة وكان يحتفل بفتحها كل سنة عند ارتفاع النيل احتفالا يظن ان أصله يعتد الى أيام فتوحات العرب الاولى غير ان هذه الترعة أهملت منذ سنوات بسبب الاصلاحات التى تمت فى الرى فصار الاحتفال بفتح الخليج مجرد صورة فقط ثم ان مصلحة الصحة ألحت على الحكومة مرارا فى وجوب ردم الخليج ولما فشت

الكوليرا سنة ١٨٩٦ لم يفتح وقتياً وكان يظن ان الاهالى يستنكرون ردمه وابطال الاحتفال به فلذلك لم يشدد فى الامر كما يقتضى غير انه ظهر على مر الايام ان اهتمام الاهالى ببقائه مبالغ فيه وعليه قر القرار فى السنة الماضية على ردمه وشرع فى ذلك حتى امتلأ وأصبح الآن سكة عمومية ولم يبال أهالى القاهرة بردمه أقل مبالاة بل ان أصحاب المنازل المبنية على جانبيه ربحوا كثيراً بزيادة أثمان أملاكهم اه هذا وصدر أمر عال بردم الخليج فى أول فبراير سنة ١٨٩٧ واعتبر مكانه من المنافع العمومية مع نزع ملكية العقارات أو أجزاء العقارات المقامة فوقه بالطريقة القانونية ومنحت الحكومة امتيازاً جديداً الى شركة الترامواى الكهربائية بالعاصمة بأن تمد خطوطها الى الاهرام بشرط ان تردم الخليج المذكور على مصر وفمها وتمد فوقه خطوطاً توصلها بباقى خطوطها المارة بمصر العتيقة الى العتبة الخضراء والسيدة زينب والقلعة وبولاق والعباسية وقررت الحكومة ابقاء الاحتفال الذى كان يصنع لفتح الخليج لانه انما يفعل فى الحقيقة لوفاء النيل ولانه مرتبط باعياد المصريين وفرحهم بوفاء النيل الذى بوفائه يجب ربط الخراج على أطيان مصر كما يخرج بذلك اعلام شرعى من المحكمة الكبرى وقد احتفل بذلك فى السنة التى ردم فيها كالعادة وناب عن الحضرة الخديوية فيه صاحب السعادة مصطفى فهمى باشا رئيس النظار وفى هذه السنة (١٨٩٧ م) أحصت الحكومة سكان القطر المصرى واتضح منه انهم يبلغون ٩,٧٣٤,٤٠٥ نسمة على التفصيل المذكور بأسفل الصحيفة (١)

بيع بواخر البوستة الخديوية - فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٨ باعت الحكومة المصرية الى شركة الخواجات آلن والدرسن (Allen Alderson) وفرنكو (Franco) بواخر البوستة الخديوية وكان البيع المذكور فجأة لم يعلم به أحد من قبل ولم تساوم بها الحكومة شركة من شركات الملاحة ولم تعلنه فى جرائدها وعلم من الشروط التى عقدتها المالية مع المشترين ان المباع لهما هو جميع البواخر الخديوية (٢) وما يتبعها بالاسكندرية والسويس فبالاسكندرية الحوض العوام والحوض الجرى المعروف بالحوض الخديرى وملحقاته من الماكنات والآلات ومستودع الفحم وفاوريقة السفن السابق الكلام عليها والمخازن والجسور المعروفة بالموالص وسقائف التصليحات وملحقاتها ومحلات ادارة المصلحة وتوابعها وكل الادوات المتعلقة بها من زوارق بخارية وغير بخارية كالمواعين والصنادل والروافع وغير ذلك وبالسويس الحوض الجرى وملحقاته وآلاته ومسكن المدير الذى هو ديوان قومندانية السويس والمكاتب والمخازن المشيدة بجانبه والمعامل

(١) ظهر من التقرير الابتدائى عن تعداد الانفس الذى عمل فى سنة ١٨٩٧ أن سكان القطر المصرى هم ٩,٧٣٤,٤٠٥ منهم ٨,٩٧٨,٧٧٥ مسلمون و ٦٠٨٤٤٦ أقباط منهم طوائف مختلفة وارثوذكس ٥٣٤٧٩ وكاثوليك ٥٦٣٤٣ وبروتستانت ١١٨٩٤ ويهود ٢٥,٢٠٠ وأديان أخرى ٢٦٨ واما بحسب الجنس فبلغ الذكور ٤,٩٤٧٨٥٠ والاناث ٤,٧٨٦٥٥٥ وبحسب الجنسية فالمصريون الاصليون ٩,٠٠٧٧٥٥ والعربان المتحضرون ٤٨٥,٣٠٣ والعربان الرحل ٨٨٦٧١ والاجانب والنزلاء ٢١٢٥٢٦ والسوريون ونحوهم ٤٠٢٥٠ وبحسب التابعية اليونانيون ٣٨١٧٥ والطليانيون ٢٤٤٦٧ والانكليز ١٩٥٥٧ والفرنساويون ١٤١٥٥ والنمساويون ٧٢١٧ والباقون عثمانيون وهم ٩,٦٣٠,٩٣٤

المجاورة له والسقائف المعروفة بالبواكى وكذا الاراضى والبنايات الموجودة فيها ادارة توكيل السويس والمساكن التابعة لها والمخازن العمومية المتعلقة بها وميناء البواخر الصغيرة وبالجملة كل ماهو موجود ومتعلق بالمكان المسمى بالانصارى فى مدينة السويس ومايتبع ذلك من زوارق بخارية وشراعية وصنادل وآلات رافعة وغيرها كل ذلك بمبلغ لايتجاوز المائة وخمسين ألف ليرة مصرية وذكر فى تلك الشروط أيضا ان هذه الشركة تتعهد بأن تبنى فى ظرف أربع سنوات من تاريخ هذا البيع حوضا جديدا يسع أكبر البواخر وحددت فى الشروط مقدار الرسم الذى تأخذه الشركة من البواخر التى تدخل فى الحوض المذكور وغيره لاصلاحها وتعهدت الحكومة للشركة بأن تعطيها مبلغ ستة آلاف جنيه فى كل عام بمثابة مساعدة لها لمدة خمسة عشرة سنة من تاريخ عقد البيع نظير تعهد الشركة للحكومة باستمرار سفر بواخرها أسبوعيا بين الاسكندرية والاستانة وموانى سورية وسواكن تحت راية البوستة المصرية الحالية المستعملة فى البواخر حالا وتتعهد أيضا بنقل البريد المصرى بدون مقابل فى كل الخطوط التى تذهب اليها بواخر الشركة وقد لهج الناس بهذا البيع وتكلموا فيه طويلا لما فيه من الغبن على الحكومة وقد اعترض الباب العالى رسميا على هذا البيع

الخزان — لايخفى ان مسئلة خزن مياه النيل فى زمن الفيضان للانتفاع بها فى زمن التحاريق من المسائل المهمة جدا ولذلك اشتغل بأمرها كثير من الدول التى حكمت مصر ومنهم قدماء المصريين الذين كانوا يبذلون الجهد فى منع جريانه وحجزه كما هو معروف باقامة السدود والرصف فى مجراه ومن ذلك ان امنمحعت أول ملوك الدولة الثانية عشرة أنشأ بحيرة كبيرة فى الفيوم دعاها اليونان بحيرة موريس وتكلم عنها هيرودت وديودور الصقلى واسترابون وغيرهم وقال المستر كوب ويت هوس الامريكانى (Cope white House) فى مقالة له مترجمة عن نسخة عربية قديمة كانت عند الكاردينال

تابع لعلامة ٢ الموجودة بصحيفة ٥٥٨

أسماء البواخر	حمولة بالطونيلاطة	قوة آلاتها بالحصان البخارى	أسماء البواخر	حمولة بالطونيلاطة	قوة آلاتها بالحصان البخارى
برنس عباس	٢٠٢٧ ٣٤/١٠٠	٧٥٠	الفيوم	١٠٧٠	٣٠٠
توفيق ربانى	٢٠٢٧ ٣٤/١٠٠	٧٥٠	المحله	٨٦٤ ٣٤/١٠٠	٢٠٠
القاهرة	٢٠٢٧ ٣٤/١٠٠	٧٥٠	شبين	٦٧٧ ٦٧/١٠٠	١٦٠
الشرقية	١١٦٠	٣٠٠	منير	٦٢٦ ٦٦/١٠٠	١٣٠
الدقهلية	١١٠٨	٣٠٠	النجيله	٦٢٩ ٦٦/١٠٠	١٢٠
الرحمانية	١٣٠٠	٢٠٠	—	—	—

مازارين (Mazarin) (وزير فرنساوى) لما كان يوسف عليه السلام وزيرا أولا بمصر وفى قبول
لدى سيده الملك الريان بعد أن بلغ (أى يوسف) من العمر ما ينوف عن المائة سنة غار منه ندماء الملك
وأمراء المملكة بتنفيس نظار الصولته ومحبة سيده الملك له فقالوا للملك أيها الملك العظيم ان يوسف قد
صار الآن كهلا ومعارفه قد قلت وجاله قد اضمحل وأحكامه قد اختلت وآراؤه قد اعتلت فقال الملك
اقترحوا عليه عملا على قبول التجربة ولما كان الفيوم فى ذلك الزمان يسمى بالهون أى البركة وكان
مستعملا لقبول وصرف مياه الصعيد بدون انتظام تشاور الندماء فيما بينهم واقترحوا على يوسف أن
يحول مصب النيل عن البركة ويصفى ماءها ليتكون محلها اقليم يزيد فى ايرادات المملكة فوافق الملك
على اقتراحهم وطلب يوسف أمامه وقال له أنت تعرف مقدار حبى لابنتى وان الوقت الذى يجب
على فيه أن أهديها اقليما من المملكة لتكون سيدة عليه قد حان وحيث لم يكن عندى أرض تفى
بالمقصود سوى أرض الهون المغمورة بالمياه لقربها من تخت مملكتى واحاطة الصحراء بها من جميع
الجهات حيث تكون ابنتى مستقلة مصونة فأريد أن أهديها اياها فهل لك أن تصلحها فقال يوسف اى
نعم أيها الملك المعظم ومتى تريد أن يتم ذلك لانه سيتم بعون الله القادر على كل شئ فقال له الملك خير
البر عاجله فاذ ذاك أوحى الله الى يوسف بحفر ثلاث ترع الاولى من الصعيد والثانية من الشرق
والثالثة من الغرب فجمع يوسف العملة وحفر ترعة المهنا من الاشمونين الى اللاهون ثم حفر
ترعة الفيوم والترعة الشرقية مع ترعة أخرى بالقرب منها تسمى ترعة بنى حامد كانت غربيها
وبهذه الكيفية تصرفت المياه من الهون وحينئذ جمع جيشا من العملة فقطعوا شجيرات الطرفاء
وخلافها التى كانت نابتة هناك ونقلوها بعيدا ولم يأت وقت صعود النيل الا والبركة صارت أرضا
صالحة للزراعة فلما زاد النيل دخل الماء من فم ترعة المهنا وسار فيها بطول وادى النيل لحد اللاهون
ثم اتجه نحو ترعة الفيوم ودخلها بمقدار عظيم حتى ملأها وبهذه الكيفية تحولت البركة الى أرض
تروى من النيل وعلى هذا احضر الملك الريان وبمعيته ندماؤه الذين كانوا أشاروا عليه بان يقترح
على يوسف هذا العمل فلما رأوا نتيجة عمله تعجبوا من مهارته وقوته الاختراعية وصاحوا قائلين أى شئ
يستوجب العجب أصرف البركة واتلاف النباتات المضرة أو تحويل سطحها الى غياض نضرة
وحينئذ قال الملك ليوسف فى كم من الزمن صيرت هذا الاقليم فى الحالة العظيمة التى أراها فأجاب
يوسف فى سبعين يوما ولما سمع الملك هذا التفت الى ندمائه وقال أظن ان انسانا آخر لا يقدر أن يعمل
هذا العمل فى ألف يوم ومن هذا الوقت تغير اسم الهون أى البركة بالفيوم اهـ وقال آخرون ان
لفظة فيوم مشتقة من الكلمة القبطية فيوم التى معناها بحرا وبركة وهو الاصح وقد تحسنت
أراضى الفيوم بكثرة ما نباتها حتى امتدحها الفراعنة والبطالسة والرومان وخلفاء الاسلام رضى الله
عنهم ثم أصابها التقهقر والانحطاط بسبب الاهمال ووجد بعضهم فى أحد التواريخ العربية
بخصوص الخزان ما يأتى انه فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله العلوى بلغه خبر أبى على محمد بن الحسن
ابن الهيثم البصرى وما هو عليه من الاتقان فى فن الهندسة فتاقت نفسه الى رؤيته ثم نقل له عنه
انه قال لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص
فقد بلغنى انه ينحدر من موضع عال هو فى طرف الاقليم المصرى فازداد الحاكم اليه شوقا وسير اليه
سرا جملة من المال ورغبه فى الحضور فسار نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتقيا

بقربة على باب القاهرة المعزية تعرف بالخندق وأمر بانزاله واكرامه واحترامه وأقام ريثما استراح وطالبه بما وعد به من أمر النيل فسار ومعه جماعة من الصناع المتولين للعمارة ليستعين بهم على هندسته التى خطرت له ولما سار الاقليم بطوله ورأى آثار من تقدم من ساكنيه من الامم الخالية وهى على غاية من احكام الصنعة وجودة الهندسة وما اشتملت عليه من أشكال سماوية ومثالات هندسية وتصوير معجب تحقق ان الذى يقصده ليس بممكن فان من تقدموا فى العصور الخالية لم يعزب عنهم علم ما علمه ولو أمكن لفعلوه ففترت همته ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل قبلى مدينة أسوان وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل فعاينه وباشره واختبره من جانبيه فوجد أمره لايمشى على موافقة مراده وتحقق الخطأ والغلبة عما وعد به وعاد خجلا ومنخذلا واعتذر بما قبل الحاكم ظاهره ووافقه عليه ثم ان الحاكم ولاه بعض الدواوين فتولاها رهبة لارغبة وتحقق الخلط فى الولاية فان الحاكم كان كثير الاستحالة مريقا للدماء بغير سبب أو باضعف سبب فأجال ابن الهيثم فكرته فى أمر يتخلص به فلم يجد طريقا الى ذلك الا اظهار الجنون والخبال فاعتمد ذلك وشاع وذاع ولم يزل على ذلك الى ان تحقق وفاة الحاكم وبعد ذلك بيسير أظهر العقل وعاد الى ما كان عليه واستوطن قبة على باب الجامع الازهر أحد جوامع القاهرة وأقام بها متنسكا واشتغل بالتثقيف والنسخ والافادة اه

وفى زمن ولاية ساكن الجنان محمد على باشا وجه عنايته فى أمر البحث عن أحسن الطرق لتوفير مياه النيل وأمر باشمهندسه الشهير لينان باشا بان يتخذ التدابير اللازمة لجعل بحيرة موريس خزانا كما استعملها القدماء فاكتشف المهندس المذكور هذه البحيرة وعين بنفسه موقعها القديم وعمل مقايسة تقريبية عن الاشغال التى تلزم لها ونظرا لكثرة المصاريف رجع محمد على باشا عن فكرة استعمالها ثانية كخزان وأمر بتشييد القناطر الخيرية (١٨٥١) وبعد ذلك التفت لينان باشا الى جبل السلسلة حيث ظهر له أنه مناسب لان يبنى فيه قنطرة أخرى للموازنة ويعمل بجوارها أيضا قنطرة فم لترعة جانبية ولكن نظرا لجسامة المصاريف عدل العزيز عن هذا العمل أيضا ثم ان الخديو الاسبق المرحوم اسمعيل باشا كلف بهجت باشا باعادة البحث فى مشروع لينان باشا فلم يستحسن أفكاره ونظرياته فى هذا الامر فسأل اسمعيل باشا السير جون فاولر (Sir John Fowler) المهندس الانجليزى وكان مستشار المد الطرق الحديدية المصرية عن رأيه فى مسئلة خزن مياه النيل فقال له السير المذكور يامولاى ان النيل يأتيك اليوم بوجهه فلا تعمل فيه عملا يوجب أن يعطيك به ظهره فصرف الخديو من يومئذ النظر عن هذا المشروع ثم انه فى عهد المرحوم الخديو السابق محمد توفيق باشا زار الموسيو دولاموت (de la Motte) الفرنسوى بلاد النوبة (١٨٨٠) مع المهندس كوتريل (Cotterill) واشتغل بمسئلة الخزان وافتكر أنه ينشئ سدا على النيل فى جبل السلسلة وان تكون المنطقة التى قبلى جبل السلسلة خزانا تخزن فيها مياه النيل وقدرت المصاريف اللازمة لذلك بمبلغ أربعة ملايين ليرة مصرية ويسع الخزان المذكور من الماء سبعة آلاف مليون متر مكعب ثم اشتغل بذلك أيضا مسيو جاكيه (Jacquet) الفرنسوى باشمفتش القناطر والسدود سنة ١٨٨٢ وكتب تقريرا عدد فيه مزايا الخزان وحصرها فى خمس مزايا رئيسية وهى (أولا) تخفيف غائلة فيضان النيل (ثانيا) تخفيف مضار الفيضانات الواطية وذلك

انه اذا علم من الاخبار الواردة من الخرطوم مثلا ان النيل سيكون ضعيفا فى السنة المقبلة فانه يجتهد فى تخزين مياه كثيرة فى أوائل زمن الفيضان ثم يصرف جزء منها عند قرب انتهائه وبهذه الكيفية يمكن زيادة الفيضان زيادة صناعية كما هو حاصل الآن بصرف أحواض الوجه القبلى حيث انه فى حين الصرف يراعى ان ذلك الصرف يرفع سطح ماء النيل لاتمام الرى اللازم فى بعض مناطق الوجه البحرى (ثالثا) زيادة المسطحات التى تزرع صيفيا فان المانع من توسيع نطاق تلك الزراعة التى عليها مدار ثروة القطر المصرى التجارية هو قلة الماء فى زمن الصيف خصوصا زراعة الارز الذى هو أنفع واسطة لاصلاح الارض التالفة (رابعا) احياء أراض كثيرة بغسلها أولا بالماء لتطهيرها من الاملاح بعض التطهير ثم زرعها بالارز ثم بغيره من المزروعات (خامسا) تغريق شلال أسوان حتى يمكن للراكب أن تعبره فى أى وقت شاءت بلا خطر وهى مزية عظمى لانه بواسطتها يمكن أن تكون الملاحة حرة سهلة بين مصر وشلال وادى حلفا

وفى هذه السنة قام المستر كوب ويتهوس الامريكانى المذكور واشتغل بخزان وادى الريان وأشار بتجديده وخابر الحكومة فى ذلك مظهرا لها الفائدة التى تعود عليها وقد اجمعت أفكار الكثيرين من المهندسين باستحسان هذا المشروع ولكن الحكومة لم ترض يومئذ أن تشتغل بهذا الامر للعسر المالى ومع ذلك فان السير اسكوت منكريف كاف الكولونيل وسترن (Western) مدير الاعمال الصناعية اذ ذاك بأن يفحص مشروع المستر كوب ويتهوس فنظر فيها وعمل عنها مقايسة تقريبية ولكن لاختلاف وتباين آراء المهندسين وللصعوبة المالية أجلت الحكومة النظر فى المشروع المذكور وأخذت نظارة الاشغال تتم اصلاحات الرى المنوية وكان مسيو روسو باشا (Rousseau) كتب تقريرا (٢٤ ابريل ١٨٨٣) عن الرى اعتمده المرحوم على مبارك باشا ناظر الاشغال يومئذ ومما ورد فى هذا التقرير ان نظارة الاشغال تستخدم الآن مياه النيل بحسب سيرها الذى تتبعه والحالة هذه عند دخولها فى نفس أرض مصر بعد أن تجاوز شلال اسوان وقد كانت هذه النظارة تود لاصلاح شؤن الزراعة بالوجه القبلى أن تتكلم عن بعض مسائل قديمة العهد فيما يتعلق بانشاء حياض كبيرة بجهة كوم امبو وفى نقط آخرى متعددة امام تلك الجهة لتكون تلك الحياض منظمة لحركة مياه النيل الا انه نظرا لعدم استيفاء الاكتشافات الاولية وعدم الوثوق حينئذ بنتائج هذا المشروع رؤى انه لا يناسب ابرازه من القوة الى الفعل اه واشتغل بعد ذلك بأمر الخزانات مسيو باروا (Barois) ومسيو برونت (Prompt) العضو الفرنسوى فى السكة الحديدية الذى أشار بعمل عدة سدود فوق الشلالات لتخزين المياه لتكون المقاومة متساوية وتمتنع كل خطر يتصور حدوثه لو اختل احد السدود وكتب أيضا مسيو شارل كوتارد (C. Cotard) رسالة فى الطرق التى بحثت فيها جمعية المهندسين الفرنسويين فى باريس (١٥ فبراير ١٨٨٤) ثم لما تم معظم الاصلاحات المنوية منذ زمن طويل نظرت الحكومة (١٨٨٩) الى مسئلة الخزانات فكلفت مستر ولكوكس مع جماعة من أفاضل المهندسين الوطنيين ببحث مشروع مسيو دولاموت المتعلق بانشاء خزان فى بلاد النوبة وغيره فقام أولئك المهندسون بما عهد اليهم وبحثوا بحثا نشر نتيجته مستر ولكوكس فى تقرير انكليزى طبع فى أوائل سنة ١٨٩٤ اشتمل على نتائج أبحاث أربع سنوات وقد ألحقه مستر جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية بتقرير وصف فيه عموم

النقط

النقط التى تليق لذلك وتكلم عن مزايا كل طريقة وعيوبها وما يتكلفه كل سد من المصروفات وما يعود على الحكومة وأرباب الاطيان من المكاسب وقال ان أصلحها عنده هو سد يبنى فى شلال أسوان ويكون منسوب ارتفاع الماء فوقه ١١٤ مترا ويتلوه فى المناسبة والمنفعة سد فى بلدة كلبشة ويكون منسوب الماء امامه ١١٨ مترا ثم سد فى جبل السلسلة حيث يكون منسوب الماء فيه ١٠١ مترا ثم خزان وادى الريان حيث يكون منسوب الماء فيه ٢٧ مترا وغير ذلك من الايضاحات الهندسية وتكلم عما يتصوره البعض من الاخطار العديدة التى تحدث من عمل السدود مثل تعرض القطر المصرى للهجمات العسكرية الاجنبية التى ربما تجعل زمام السد فى قبضة الهاجم فيضر ذلك بالقطر المصرى ضررا عظيما وتتعطل فيه الزراعة ومثل حدوث الزلازل أوان بناء السد ربما يكون رديئا فينكسر السد دفعة واحدة فيحدث منه طوفان عظيم يتلف كل أراضى القطر المصرى من أسوان الى القاهرة ومثل ان مياه الخزان ستكون راكدة وربما يتسبب عن ذلك تعفن فيها فيحصل منها تسمم مياه القطر المصرى وتصبح غير صالحة للاستعمال وبعد ان أتى على كل هذه الاخطار فندها واحدة فواحدة ثم عينت الحكومة لجنة من مشاهير المهندسين الاوروباويين للنظر فى مشروع الخزان أحدهم انجليزى وهو السير بنيامين بيكر (Sir Benjamin Baker) مهندس ترعة مانشستر وثانيهم فرنسوى وهو مسيو بولى (Polet) المفتش العام للمرافئ والسدود فى فرانسا وثالثهم طليانى وهو السنيور طوريشلى (Torricelli) استاذ الهندسة الزراعية فى ايتاليا وأطلقت لهم حرية البحث فى كل الجهات وبحثوا أيضا فى الاحوال التى بها يمكن تأسيس سد شمالى وادى حلفا صالح لان يكون خزانا والاحوال التى يمكن بها عمل خزان فى وادى الريان وفحصوا التصميمات والرسوم والمقايسات التى عملت لكل تصميم من التصميمات المختلفة وفى مسائل الصحة العمومية بعد تخزين كمية عظيمة من المياه كل ذلك لانتخاب تصميم من التصميمات المذكورة وبعد البحث اختلفوا رأيا وبذلك عادوا الى بلادهم ثم أقرت الحكومة على بناء الخزان فى أسوان وأن يجعل ارتفاعه أقل مما قدر له قبلا لكى لا يتلف هيكل انس الوجود وعينت السير بنيامين بيكر مستشارا لنظارة الاشغال العمومية مدة انشاء الخزان وجعلت مرتبه ألفى جنيه فى السنة (١٨٩٧) ثم عقدت الحكومة مع المستر جوداير د (J. Aird) وشركائه (٢٤ فبراير ١٨٩٨) مقاولة بناء الخزان بمبلغ مليونى جنيه انكليزى فيبنى فى جهات أسوان قناطر وكذا فى أسيوط على حسب الرسوم التى اختارتها نظارة الاشغال العمومية وتقرر أن يتم هذا العمل فى مدة خمس سنوات ثم يسلم للحكومة وتدفع الحكومة المصرية للشركة ٧٨,٠٠٠ جنيه مصرى كل ستة أشهر مدة ثلاثين سنة فيكون كل ما تدفعه الحكومة فى تلك المدة ٤,٧٠٠,٠٠٠ جنيه وروى ان الجناب العالى الخديو شكر السير الن بالمر المستشار المالى والمستر جارستون وكيل نظارة الاشغال على سعيهما فى انفاذ هذا العمل المفيد لرى أراضى البلاد المصرية

بيع اطيان الدائرة السنية — من أهم الحوادث التى حصلت فى شهر ابريل من سنة ١٨٩٨ اتفاقية حصلت بين شركة انكليزية فرنسوية مصرية وبين الحكومة المصرية على شراء جميع أملاك الدائرة السنية صفقة واحدة بمبلغ ٦,٤٣١,٥٠٠ جنيه مصرى ولما كانت أطيان هذه الدائرة من أهم منابع الثروة التى تركها الخديو الاسبق المرحوم اسمعيل باشا للحكومة فى زمن

الارتباكات المالية كما سبق فى أبواب هذا الكتاب بموجب كشوف مرفقة بمشارطة ٢٠ يوليو سنة ١٨٧٧ رأينا من المهم ذكر صورة اتفاقية البيع التى حصل التوقيع عليها بين الطرفين المتعاقدين فى يوم ٢١ يونيه من سنة ١٨٩٨ باسفل الصحيفة (١) ولما كانت المادة ٥٥

(١) رياسة مجلس النظار (شروط بيع الدائرة السنية) بين جناب السر ألوين بالمر المستشار المالى لحكومة الجناب العالى الخديوى المصرح له بقرار من رئاسة مجلس النظار من جهة وبين كل من مستر كاسل بلوندره ومسيو قطاوى بباريس ومسيو كرونيه بباريس أيضا ومسيو سوارس بمصر القاهرة باعتبار أن هؤلاء الاربعة المتعاقدين يطلق عليهم فى هذا العقد اسم المشترين من جهة أخرى انه من حيث بلغ دين الدائرة السنية فى ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٧ مبلغ ٦٫٤٣١٫٥٠٠ جنيه ومن حيث ان الحكومة المصرية ترغب بيع الاطيان التى يتكون منها الرهن المخصص لذلك الدين بكل مافيها من المعامل والسكك الحديدية الزراعية والادوات والمخازن والورش والبيوت والمبانى من جميع الانواع والآلات الثابتة والمتحركة والمزروعات والمواشى والنقود الموجودة فى الخزينة والديون المقتضى تسديدها وعلى العموم كل ما يأتى توضيحه باعتبار أنه ملك للدائرة السنية وحيث ان الحكومة المصرية تعهدت من جهة أخرى بعدم تسديد دين الدائرة السنية قبل يوم ١٥ اكتوبر من سنة ١٩٠٥ ولكنها تستطيع استعمال زيادة الايرادات السنوية فى استهلاك السندات وكذلك المبالغ المتحصلة من مبيع الاراضى الى ماقيمته ٣٠٠٠٠٠ جنيه سنويا قد تم الاتفاق على ما يأتى أدناه

(المادة الاولى) — يتعهد المشترون بواسطة هذا العقد وعلى مقتضى الشروط الموضحة بعد بشراء جميع أملاك الدائرة السنية بمبلغ ٦٤٣١٥٠٠ جنيه يخصم منه قيمة السندات التى تكون قد دفعت اما بالشراء أو بالاقتراع أو بأية وسيلة أخرى من ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٧ الى اليوم الذى يصير فيه البيع نهائيا ومن جهة ثانية تضاف على المبلغ المشترى به المبالغ التى تكون الحكومة المصرية قد اضطرت الى دفعها للدائرة السنية بسبب العجز (اذا حصل عجز) الذى يحتمل وقوعه فى المبلغ الضرورى لدفع أرباح دين الدائرة السنية منذ ٣١ دسمبر سنة ١٨٩٧

(المادة الثانية) — ان الثمن المشترى به سيدفع بمقتضى القانون الى الحكومة المصرية أو الى ادارة الدائرة السنية يوم ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٥ تلقاء استلام المشترين أو الشركة التى يؤلفونها فى مقابلة الاستيلاء نهائيا على جميع أملاك الدائرة السنية بشرط أن تكون خالية طبقا للقانون المصرى من كل أمر مثل رهن أو غيره بحيث يكون للمشترين أو للشركة التى تتألف منهم حق الملكية النهائية المطلقة التى لا منازع فيها

(المادة الثالثة) — يوضع دفتر معاينة تثمن فيه كل قطعة من الاراضى التى تتكون من مجموعها أطيان الدائرة السنية بحيث يكون التثمين مناسبا لمجموع القطع وهى القيمة المعتبرة كأنها مبلغ دين الدائرة السنية المستلزم دفعه فى ذلك الوقت وبعد وضع دفتر الشروط والمعاينة السالفة الذكر أى بعد أول يوليو سنة ١٨٩٩ تستطيع الحكومة المصرية بمقتضى الشروط الآتية الزام المشترين أو الشركة التى تتألف منهم باستلام جملة قطع من أطيان الدائرة السنية تنتخبها الحكومة بنفسها الى ماتوازى قيمته ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ جنيه تدفع على المثال الآتى ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزى فى ٢ ينايرسنة ١٩٠١ ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزى فى ٢ ينايرسنة ١٩٠٢ ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزى فى ٢ ينايرسنة ١٩٠٣ ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزى فى ٢ ينايرسنة ١٩٠٤ ٣١٠٠٠٠ جنيه انكليزى فى ٢ ينايرسنة ١٩٠٥ وبعد دفع النصف الاول من كل هذه الدفعات يمكن باختيار المشترين أو الشركة التى تتألف منهم دفع النصف الباقى على أقساط سنوية متساوية لايجوز أن يحل ميعاد الاخير منها عقب ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٥ وأما باقى أملاك الدائرة السنية فسيدفع ثمنه بالمقدار والشروط المحددة فى المادة الاولى بعد خصم الدفعات التى تم تسديدها وفى حالة ما اذا لم تكن الحكومة قد دعت المشترين قبل أول ينايرسنة ١٩٠٠ الى دفع أثمان بعض قطع من أطيان الدائرة السنية كما هو مبين فيما سبق فلا يجوز اجبارهم على دفع أى شئ قبل ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٥ كما جاء فى المادة الاولى فيما عدا مبلغ الخمسمائة ألف جنيه الذى سيرد ذكره بعد

من قانون التصفية تقضى بان مايحصل من البيوع والاجارات المشترط تصديق مجلس الدائرة الاعلى

وللمشترين أو الشركة التى تتألف منهم الحق فى رفض استلام قطع من أطيان الدائرة السنية التى تدلهم عليها الحكومة مقابل دفع قيمتها وفى هذه الحالة يجوز للحكومة أن تبيع فى المزاد العمومى قطع الاراضى التى يكون المشترون رفضوا شراءها على المثال المتقدم ولكن على شرط أن يكون ثمن هذه الاراضى مساويا على الاقل للتقدير المبين فى دفتر الشروط والمعاينات وأن يخصم هذا الثمن من مبلغ الشراء العمومى المحدد فى المادة الاولى

(المادة الرابعة) — اذا وجد مجلس ادارة الدائرة السنية فى كل وقت سابق على يوم ١٥ اكتوبر سنة ١٩٠٥ فرصة لبيع قطع من أراضى الدائرة للغير فلا يجوز للحكومة الرضا بهذا البيع والموافقة عليه الا بشروط يتفق عليها بالاتحاد مع المشترين أو الشركة التى تتألف منهم

(المادة الخامسة) — ان المشترين أو الشركة التى تتألف منهم يتعهدون بان يبيعوا فى ظرف سبع سنوات من تاريخ استيلائهم على الاراضى قطعا من أراضى الدائرة أو الاراضى كلها بحيث يتم التراضى فى البيع على وجه يضمن لهم ربحا صافيا قدره ٢٠ فى المائة على الاقل من المبلغ الذى دفعوه ثمنا لتلك القطع أو لاملاك الدائرة كلها

(المادة السادسة) — للحكومة الحق فى نصف الارباح الصافية التى يكتسبها المشترون أو الشركة التى تتألف منهم كما هو مبين بعد دفع جميع مصاريف فوائد سندات الدين وبقية المصاريف المدفوعة عا فيها الفوائد لغاية ٥ فى المائة على المبالغ التى دفعت ليتكون منها رأس المال المنقسم الى أسهم أو غيره ويمسك حساب تفصيلى كامل يمكن لنظارة المالية أن تفتش عليه وتراجعه بواسطة مندوبيها فى كل وقت لائق

(المادة السابعة) — يودع المشترون أو الشركة التى تتألف منهم فى أول أغسطس سنة ١٨٩٨ على سبيل الامانة فى نظارة المالية مبلغ ٥٠٠,٠٠٠ جنيه انكليزى ضمانة تنفيذ مواد هذا العقد بالدقة ويبقى هذا المبلغ مودعا فى نظارة المالية ويأتى بفائدة قدرها ٣ فى المائة سنويا تدفع فى ٣١ ديسمبر و ٣٠ يونيو من كل سنة الى سنة ١٩٠٥ واذا لم يدفع المشترون هذا المبلغ فى الميعاد المبين يعتبر هذا العقد لاغيا ولا معول عليه

(المادة الثامنة) — اذا لم يقم المشترون أو الشركة التى تتألف منهم بشراء الذى هو موضوع هذا العقد تماما فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٥ أو اذا لم يدفعوا المبالغ التى يحق للحكومة الحصول عليها منهم مقابل تسليمهم بعض قطع من الاراضى كما هو مبين فى المادة الثالثة من هذا العقد يكون لها الحق فى أخذ مبلغ ٥٠,٠٠٠ جنيه من المبلغ المودع لديها ولا يجوز للحكومة أن تطالب تعويضا غير هذا عن عدم القيام بتنفيذ مواد هذا العقد لا من المشترين ولا من الشركة التى تتألف منهم أما مبلغ ٤٥٠,٠٠٠ جنيه الباقى بعد ذلك فلا بد أن يعاد اليهم بتمامه ومع ذلك فى استطاعة الحكومة بدلا من هذا الدفع أن تتنازل للمشترين أو للشركة التى تتألف منهم عن قطع منفصلة من أطيان الدائرة بقيمة ٤٥٠٠٠٠ بحيث يكون هذا الثمن موافقا لتقدير دفتر الشروط والمعاينة المذكور فى المادة ٣ وهذا التنازل يعمل على وجه يضمن للمشترين أو للشركة التى تتألف منهم ملكيتها ملكية نهائية مطلقة خالية من التعهدات كالرهونات وما أشبه فاذا تم الشراء طبقا لمواد هذا العقد بالتمام فعلى الحكومة أن تدفع للمشترين أو الشركة التى تتألف منهم مبلغ التأمين وهو ٥٠٠٠٠٠ جنيه من حصتها فى الارباح التى تخصها كما هو مبين فيما سبق

(المادة التاسعة) — رسوم نقل التكليف فى مبيع أملاك الدائرة السنية للمشترين أو للشركة التى تتألف منهم تعتبر تحت الحساب كالعادة المتبعة فى نقل تكليف أملاك الدومين

(المادة العاشرة) — يمكن للمشترين أن يشكلوا بمقتضى القانون الانكليزى شركة تأذن لها الحكومة المصرية بالانتفاع من الاملاك التى هى موضوع البيع وجميع ما يتعلق بها من الاشغال والمشروعات ولهذه الشركة أن تشتغل بالاشغال أو المشروعات المماثلة لما تقدم سواء كانت هاته المشروعات عبارة عن توسيع نطاق الموجود منها أو عن أشغال جديدة ترتبط بتلك الاملاك ولها أن تقترض النقود اللازمة لها وتصدر السندات الضرورية لمصلحة المشروع وتشكيل شركات أخرى منفصلة من الاولى اذا رأت فائدة فى ذلك لاجل جميع المشروعات المختلفة أو جزء منها ونقل كل أو جزء من الاشغال أو المشروعات المشار اليها أو جزء من أملاك الدائرة السنية أو كل أملاك غيرها تحصل عليها فيما بعد الى الشركة أو الشركات التى تشكل على المثال المتقدم ويجب أن يكون رأس مال الشركة فى كل حال ٥٠٠٠٠٠ جنيه على الاقل يشترك فى دفعها أناس مقتدرون وبتشكيل شركة على هذا المنوال ونقل هذا العقد باسمها يكون المشترون خالين من كل مسؤلية تنشأ عن مواد هذا العقد

عليها الا يصح ولا ينفذ الا اذا اتحد المراقبان رأيا على موافقتها وكان المراقب الفرنسوى أظهر التوقف
فى تنفيذ البيع ذكرت المالية فى اتفاقية البيع ان تسليم أملاك الدائرة الى الشركة لا يكون الا فى
سنة ١٩٠٥ حيث تنتهى مدة المراقبة المقررة على الدائرة السنية ويظن الكثيرون من المشتغلين
باعمال الدائرة السنية المذكورة انه عند انقضاء هذه المدة لو حصلت حوادث أفضت لتجديد المراقبة
كالمنصوص عليه فى المادة ٥٤ من قانون التصفية ربما حصل تأجيل أو تأخير فى مسئلة التسليم
ولا يعلم الا الله ماذا يكون اذ ذاك

البنك الوطنى — من الحوادث الشهيرة التى حصلت فى هذه المدة أيضا أن أصدرت الحكومة
المصرية فى ٢٥ يونيه من سنة ١٨٩٨ أمرا خديويا بتشكيل شركة مساهمة مصرية برأس
مالها مليون جنيه انجليزى بقصد انشاء بنك مصرى اتفقت على كيفية انشائه من قبل فقامت
عقب ذلك عدة لجان لبيع الاسهم ببلاد انكلترة وفرنسا والقطر المصرى فأقبل الناس على الاكتتاب
أيما اقبال لثقتهم بهذا البنك لان الحكومة معضدة له ولم يأت يوم الثلاثاء الموافق ١٢ يوليو حتى
زاد المبلغ الذى اكتتب به سكان مصر بين أهالى وأجانب عن خمسمائة وعشرين ألف ليرة كان منها
بالاسكندرية ٣٦٠,٠٠٠ وبالقاهرة ١٦٠,٠٠٠ ومن أسباب اقبال الناس على شراء أسهم
هذا البنك غير ما ذكر علمهم بانه سيكون مع الحكومة أوسع نطاقا فى المستقبل عن باقى البنوك اذ
يصبح ارتباطه بالحكومة أشبه بارتباط البنك العثمانى فى الممالك المحروسة الشاهانية مع الحكومة
بل ربما فاقه فى الاهمية المالية وتعين لادارة هذا البنك السير بالمر المستشار المالى فى الحكومة
المصرية وهو ممن اشتهر بالبراعة فى الاعمال المالية وعلى اثر انتقال السير بالمر الى البنك الوطنى
حصل تغيير كبير فى هيئة الموظفين فتعين المستر غورست مستشار الداخلية مستشارا للمالية وجعل
متشل بك مدير خفر السواحل مستشارا للداخلية

(الفصل العشرون)

البواخر المصرية والملاحة فى الوقت الحاضر

سبق الكلام على البحرية المصرية وما وصلت اليه من التقهقر ثم العدم فلم يبق لها من سفنها بعد ان
باعت بواخر البوستة الخديوية سوى سفن وبواخر مصلحة خفر السواحل ويخت المحروسة والركائب
الخديوية بالنيل وباخرتى البحيرة ومخبرا التابعتين لنظارة الحربية بالبحر الاحمر وأسطول النيل الحربى
الذى أوجده الجنرال كتشنر باشا سردار الجيش المصرى لفتح السودان وسبع بواخر أخرى بالنيل
تابعة لنظارة الاشغال والبواخر التابعة للفنارات وادارة البوستة المصرية فى النيل أما سفن مصلحة
خفر السواحل فانها أخذت تكثر من عهد مديرها السابق مدلماس بك (A. E. Middlemass)
وهو الذى سعى فى جعل من يستخدمون فى هذه المصلحة من ضباط البحرية والحربية على صفتهم العسكرية

(المادة الحادية عشرة) — يكون للحكومة المصرية الحق فى تعيين مدير فى مجلس ادارة الشركة التى يكونها
المشترون والتى يمكن نقل هذا العقد اليها اسمها وفى حالة وفاة أو استعفاء المدير الذى تعينه الحكومة يكون لهذه الاخيرة الحق
فى كل وقت أن تعين من يخلفه وقد تم توقيع الطرفين المتعاقدين على هذا العقد فى ٢١ يونيو سنة ١٨٩٨ اهـ

وصدر

وصدر أمر خديوى بذلك (٢١ يناير ١٨٩٢) وبجواز نقل صف الضباط والعساكر البحرية
الى مصلحة خفر السواحل و بان الضباط البحرية والبرية الذين ينقلون اليها يكونون تحت طلب
الحربيــة والبحرية مع حفظ رتبهم العسكرية وان تكون ترقياتهم بحسب القوانين العسكرية
بمعرفة نظارة الحربية والبحرية وخدماتهم تحسب كخدمة عسكرية وتصرح فى هذا الامر أيضا
لمفتش عموم خفر السواحل بأن يسن اللوائح التى يرى لزوم سنها بعد الاقرار عليها من ناظر البحرية
والحربية وغير ذلك مما جعل المصلحة المذكورة على شكل بحرية عسكرية تقريبا ثم لما تعين متشل بك
مديرا لها بعد استعفاء مدلماس بك (١٨٩٦) أحالت الحكومة على تلك المصلحة كثيرا من الاعمال
فاتسع نطاقها وزادت أهميتها فى البر والبحر وصدر أمر خديوى ١٣ يناير (١٨٩٧) باعتبار مفتشى
المصلحة المذكورة الذين من الدرجة الاولى والثانيــة من مأمورى الضبطية القضائية أثناء تأدية
وظائفهم المتعلقة بأمر التهريب واعتنى هذا المدير بأمر تقدم بحريته حتى انه لما وجد أن عدد تلامذة
المدرســة البحرية التى بوابور المحروسة غير كاف سعى فى ايجاد مدرسة بحرية لمصلحته خصوصا وأن
الاعمال الملاحية سواء كانت فى البحر الابيض أو الاحمر أو فى النيل تحتاج الى معارف وفنون بحرية
وأن سفن الحكومة المصرية سيما بواخر مصلحة خفر السواحل الآخذة فى الزيادة تحتاج دائما
الى عمال كثيرين خبيرين بتلك الاعمال على اختلافها وان التجارة المصرية كلما اتسعت احتاجت
الى توسيع نطاق المواصلات البحرية وكل ذلك محتاج بالطبع الى زيادة الملاحة هذا وان سفن
الحكومة التى فى البحر الابيض والاحمر والنيل هى أيضا تعد واسعة العمل كثيرة العمال وهى بالطبع
تفتقر الى وجود منبع مخصوص يخرج منه البحريون الذين يقومون بخدمة السفن ولا منبع
الا المدرسة البحرية فلهذا التمس المدير المذكور من سمو الخديو المعظم التصريح له بانشاء مدرسة
بحرية فى مصلحته بدلا عن المدرسة الموجودة فى وابور المحروسة ولما كان مولانا الخديو يميل الى كل
ما يرقى شأن البلاد حسا ومعنى أجاب ملتمسه بكل ارتياح وعليه انشأ فى احدى بواخر مصلحته
المسماة ديب البحر مدرسة بحرية انتخب لها ستة تلامذة ممن حازوا المعارف الابتدائية وتعين
اليوزباشى محمود بهجت افندى قبودان مدرسا لفن الملاحة والعلوم الرياضية بها وآخر انكليزى
لتعليم اللغة الانكليزية والفنون البحرية الاخرى (أوائل سنة ١٨٩٧) وقبل عودة مولانا
الخديو من ثغر الاسكندرية زار المدرسة المذكورة وأظهر سروره الى متشل بك و يقال انه حفظه الله
أشار عليه بان يضيف اليها قسما آخر لتعليم الملاحة النيلية لشدة لزوم ذلك كما لا يخفى ونطلب
من الله أن تكون هذه المدرسة على صغرها وقلة علومها أساسا يبنى عليه فى المستقبل ما كان اصر
من الرفعة البحرية فى ظل مولانا الخديو عباس باشا الثانى انه سميع مجيب

﴿البواخر الحربية وغير الحربية التابعة للحكومة المصرية وهي التي تتألف منها البحرية المصرية لغاية سنة ١٨٩٨﴾

﴿بواخر المعية السنية بالبحر الابيض المتوسط وبالنيل﴾

	لوا	قائمقام	كاتبي	صاغقول أغاسي	يوزباشي	ملازم أول	ملازمين ثاني (كلكان)	مهندسين	تلامذة مهندسين (ميكانيكية)	خوجات (كتبه)	خوجه جورنال وجزجي وأنبارجي	امام	تلامذة	قلفاط وغرجي ومرنقوز	صف ضباط وبحرية
باخرة المحروسه (١)	١	١	٢	٢	٤	٣	٣	٤	٦	٢	٣	١	٥	٣	١٩٤
طوائف بواخر النيل	٠	٢	٢	٢	٢	٢	١	٣	٢	٣	١	٠	٠	٦	١٦٢

(سفن الركائب الخديوية بنهر النيل ومقاديرها)

أسماء البواخر	قوة الماكينه	عرض		طول		أسماء قبوداناتها
	حصان	بوصه	قدم	بوصه	قدم	
فيض ظفر	١٢٠	٦	٢٠	٦	٢٣٥	حسين بك لطفي
فيض رباني	١٤٠	٣	٢٠	١٠	٢٠٣	
فيروز	١٢٠	٨	٢١	١٠	٢٠٠	محمد قبودان صبحي
زينة البحرين	٩٠	٥	١٦	٦	١٧٢	عثمان قبودان هنو
هيهيا	١٠٠	٣	٢٠	٢	١٩٧	سليمان قبودان مكي
ذهبية ضياء البحر	(شراع)	٧	١٩		٠٤٤	
نسيم النيل	٣٠	٦	١٢		٨٠	(أي بمصلحة الركائب سنة ١٨٩٢)

(طوائف بواخر نظارة الحربية بالبحر الاحمر)

	قائمقام	صاغقول أغاسي	يوزباشي	ملازم أول	ملازم ثاني	مهندس درجة أولى	مهندس درجة ثانية	مهندس درجة ثالثة	مهندس درجة رابعة	صف ضباط وعساكر
باخرة البحيرة	١	٠	١	١	٢	١	١	١	١	٤٣
باخرة مخبر	٠	١	١	١	٠	٠	١	١	١	٢٠

(١) ويتبع باخرة المحروسة باخرة جديدة أخرى لركوب الحضرة الخديوية تدعى صفاء البحر

بواخر

بواخر أسطول النيل المستجد

أسماء البراخر	نوعها	طول بالقدم	عرض بالقدم	مقدار غاطسها من الماء	الطائفة	السلاح
				قدم	نفر	
الظافر	ذات عجلات خلفية	١٤٠	٢٤	٢	٤٨	بكل باخرة من هذه الثلاث مدفع واحد سريع الضرب من عيار ١٢ رطل ومدفع من نوع هاوتزر وثلاثة مدافع من نوع مكسيم وفنار كهربائي للاكتشاف وساروخ حربي
الناصر		١٤٠	٢٤	٢	٤٨	
الفاتح		١٤٠	٢٤	٢	٤٨	
الملك	ذات عجلات برعية	١٤٠	٢٣	٢	٤٧	بكل باخرة من هذه الثلاث مدفع من نوع هاوتزر ومدفعان قطر الواحد منهما ٧٥ ملليمترا وأربعة مدافع مكسيم وفنار كهربائي للاكتشاف وساروخ حربي
السلطان		١٤٠	٢٣	٢	٤٧	
الشيخ		١٤٠	٢٣	٢	٤٧	

ويتبع هذا الاسطول خمس بواخر كمدفعيات أيضا وهى أبوطليح والمتمه وطماى والتيب والبرنس عباس وبكل واحدة منها مدفع كروب من قطر ٩ سنتيمترات ومدفعان من نوع نوردنفلد وساروخ حربى وبكل باخرة تسعة عمال لادارتها

ولخدمة البريد بالنيل ١٣ باخرة أخرى منها عشر فوق الشلالات وهى عبكة وعكاشة وسمنه وحنك وامبيجول وكيبار ودال وتنجور ونجمة النوبة والطاهرة وثلاث تحت الشلالات وهى ابزيس والكسندره ووترلى وعدد خدمة السفن المذكورة نحو ١٢٠ نفرا

باخرة مصلحة الفنارات

اسم الباخرة	قومندان أول	قومندان ثانى	مهندس أول	مهندس ثانى	ضابط درجة ثانية	ضابط درجة ثالثة	رؤساء وملاحين
عايده	١	١	١	١	١	١	٣٦

الفنارات المصرية بالبحر الابيض المتوسط

أسماء الفنارات	الموقع	عروض شمالية	أطوال شرقية	سنة بناء الفنار	عدد الخدمة	ملحوظات
		° ′ ″	° ′ ″			
اسكندرية	رأس التين	٣١ ١١ ٤٣	٢٩ر٥١ر٤٠	١٨٤٨	٤	
البرلس	فى طرف الجسر من الجنوب الغربى	٣١ر١٠ر١٠	٢٩ ٥٠ ٣٠	١٨٧٦	٣	
القبارى	فى طرف المولص	٠٠٠٠٠٠٠	٠٠٠٠٠٠٠	١٨٧٧	٣	
العجمى	بقرب برج العرب	٣٠ر٥١ر٠٠	٢٩ر١ر١٠	١٨٧٣	٨	
رشيد	عند مصب النيل	٣١ر٢٩ر٣٠	٣٠ر١٩ر١٠	١٨٦٨	٥	
البرلس	رأس البرلس	٣١ر٣٥ر٢٠	٣١ر٩٠ر٠٠	١٨٦٨	٥	
دمياط	عند مصب النيل	٣١ر٣١ر٤٠	٣١ر٥١ر٠٠	١٨٦٨	٥	
بورسعيد	على ساحل البحر فى غربى جسر البرلام	٣١ر١٥ر٤١	٣٢ر١٨ر٤٥	١٨٦٩	٦	

الفنارات المصرية بالبحر الاحمر

أسماء الفنارات	الموقع	عروض شماليه	أطوال شرقيه	سنة بناء الفنار	عدد الخدمة	ملحوظات
فنار السويس الاعلى	على الساحل الشمالى من خليج السويس	٢٩,٥٧,٢٠	٣٢,٣٢,٤٥	١٨٨٠	٣	
الكريك	على مصب السويس	٢٩,٥٧,٠٠	٣٢,٣٤,٢٠	١٨٨٥	٣	
زينوبيا العوام	على مينا ولك الجديدة	٢٩,٥٣,٣٠	٣٢,٣٢,٤٥	١٨٥٦	٩	
زعفران	على رأس زعفران	٢٩٦ ٣٠	٣٢,٣٩,٤٠	١٨٦٠	٩	
رأس الغريب	على رأس الغريب	٢٨,٢٠,٤٠	٣٣,٠٦,٠٠	١٨٧١	٩	
الاشرفى	على بوغاز جوبال	٢٧,٤٨,٠٠	٣٣,٤٣,٠٠	١٨٦٢	٤	
شدوان	فى جنوب جزيرة شدوان	٢٧,٢٦,٥٣	٣٤,٠٢,٢٢	١٨٨٩	٤	
الاخوين	صخور الاخوين الشمالية	٢٦,١٨,٥٠	٣٤,٥٠,٣٤	١٨٨٣	٤	
أبو الكيزان	على رصيف الكيزان	٢٤,٥٦,٠٠	٣٥,٥١,٠٠	١٨٦٣	٤	
نار مدخل البوغاز	»	»	»	١٨٨٨	٧	

بواخر وسفائن مصلحة خفر السواحل

أسماء السفن	حموله	[illegible]	طول القرينة	عرض الوسط	عمق من الكوكرته الى القرينة	تاريخ البناء	صنف السفينة	ملحوظات
	طونيلاطه	ميل	بوصه قدم	بوصه قدم	بوصه قدم	سنة		
نور البحر	١٢٨,٩٣	١٤	١٨٠, ٠	٢٣, ٣	١٣, ٣	١٨٨٤	بخارى	
عباس	١٣٢,٤٥	١٣	١٨٢, ٦	٢٢, ٠	١٤, ٩	١٨٩١	»	
ظريف	٢١,١٠	١١	٩٧, ٦	١٦, ٠	١٢,	١٨٨٥	»	
ورده	٢٩,٠٠	١١	١٠٠,	١٦, ٠	٩,	١٨٨٦	»	
سريع	٠٧, ٦٣/١٠٠	١٠	٦٨,	١١, ٨	٧, ٢	١٨٨٦	»	
نسيم	٣٩, ٥٣/١٠٠	١٠	٦٩,	١٣, ٨	٧, ٢	١٨٨٥	شراع	
النيل	١٧,	٠٩	٥٩, ٦	٩, ٨	٤, ٦	١٨٩٠	بخارى	
مخبر سرور	١٧,	٠٩	٥٦, ٩	٩, ٨	٤, ٦	١٨٩٠	»	
رفاس	٠٣,٤٨	٠٠	....	....	....	١٨٩٥	»	
قطيرة نمرة ١	٤٤, ١/٢	١٠	٥٩	١٥, ٦	٨, ٠	١٨٧٧	شراع	
بسيل	٢١, ١/٢	٠٧	٥٠, ٣	١٢, ٦	٣, ٩	١٨٨٥	»	
مبروكه	٢٠, ١/٢	٠٧	٦٠, ٠	١٤, ١٠	٤,	١٨٩٠	»	
غزاله	٢١,	٠٧	٥١, ٠	١٣, ٦	٤,	١٨٩٠	»	سير السفن الشراعية يقدر بقوة الريح
النمر	٢١,	٠٧	٥١,	١٣, ٦	٤,	١٨٩٠	»	
طير البحر	٢١,	٠٧	٥١,	١٣, ٦	٤,	١٨٩٠	»	
سولا	١٠,	١٢	٠٠,	٠٠,	٠,	١٨٩٥	»	

طوائف

طوائف سفن مصلحة خفر السواحل كالوارد بميزانيتها فى سنة ١٨٩٨

اسماء السفن	بكباشى	صاغ	يوزباشى	ملازم اول	ملازم ثانى	مهندس اول	مهندس ثانى	مهندس ثالث	مهندس صول	تلميذ مهندس	تلميذ	صول	باش ريس بحرية	ريس بحرية	ربيع بحرية	بحرية	انفار ادارية	انفار خصوصى	جملة
نورالبحر	١	٠	١	١	١	١	١	١	٠	١	١	٠	١	١	٢	١٢	٢	٥	٣١
عباس	١	٠	١	١	١	١	١	١	٠	١	١	٠	٠	١	٢	١٢	٢	٦	٣٢
ظريف	٠	١	٠	١	٠	٠	١	١	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٥	١	٣	١٤
ورده	٠	١	٠	١	٠	٠	١	١	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٥	١	٣	١٤
سريع	٠	٠	٠	١	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٣	١	٢	٩
نسيم	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	١	٠	٧	٠	٠	١٠
النيل	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٢	٠	٢	٨
مخبرسرور	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٢	١	٢	٨
استيم لنش غرة ١	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	١	١	١	٢	٧
« غرة ٢	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	١	١	١	٢	٦
طيرالبحر	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٥	٠	٠	٧
القمر	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٥	٠	٠	٧
غزاله	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٥	٠	٠	٧
مبروكه	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٦	٠	٠	٨
بسيل	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٥	٠	٠	٧
زولا	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	١	٥	٠	٠	٧
طائفة أشغال الفلايك																			
اسكندرية	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	١	١٠	٨	١٠٥	٠	٠	١٣٠
بورسعيد	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٥	١٠	٥٠	٠	٠	٦٦
السويس	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	١	٢٠	٠	٠	٢٥
رشيد	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٤	٠	٠	٥
البرلس	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٥	٠	٠	٦
المنزله	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٤	٧	٣٧	٠	٠	٤٩
دمياط	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٤	١	٢٤	٠	٠	٣٠
الاسماعيلية	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	١	٤	٠	٠	٦
القصير	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٤	٠	٠	٥
قطيرة غرة ٢	٠	٠	٠	١	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٠	٥	٠	٠	٧
الجملة	٢	٣	٤	٩	١١	٢	٥	٦	٢	٢	٢	٣	٤	٤٣	٣٦	٣٣٩	١١	٢٧	٥١١

ويتبع هذه المصلحة بالمدرسة البحرية يوزباشى واحد وستة تلامذة بباخرة ديب البحر كماسبق أما سفن النيل التابعة لنظارة الاشغال فانها سبع بواخر كبيرة وهى المسعودية ومسير والنصرتية وطواف والرقيب والقاهرة وطهطا وخمسة رفاسات صغيرة تعرف بنمرلها

الفصل الحادى والعشرون

القوة البرية بالديار المصرية

طريقة الدفاع عن القطر المصرى

كان بودنا أن نكتب شيأ عن طريقة الدفاع فى القطر المصرى مدة دول الفراعنة ولكننا لم نعثر فى كل ما وقفنا عليه من الكتب الا على شذرات لا تفى بالمراد وقد استنسبنا منها ذكر ما يأتى وهو ما رواه مؤرخو العرب عن ذلك قال المقريزى قال ابن عبد الحكم لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة بنت ذبا كان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت فى شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة وستين سنة فخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أكابرنا وأشرافنا وقد ذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبنى حصنا أحدق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة فيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت على كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا بالاجراس فاذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فيأتيهم الخبر من أى وجه كان فى ساعة واحدة فتنظر وافى ذلك فمنعت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه فى ستة أشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة فملكتهم ثلاثين سنة اه وقال صاحب العقد الثمين فى صحيفة ٢١٢ عند ذكره حوادث نقطانب الاول أول ملوك العائلة السمنودية المتممة للثلاثين ان مدته كانت هيجانا واضطرابا لان دولة الفرس كانت متعلقة الآمال مشتغلة البال باسترجاع مصر اليها الى أن قال فجهز التجهيزات الحربية الهائلة واستعد للدفاع فكانت العساكر المصرية تحت قيادة (خابرياس) اليونانى وكان معسكرا بها على ساحل بحر الطينة بعد ان حصنه بالمتاريس والاستحكامات والخنادق التى سميت باسمه بعد الحرب اه فيتضح مما تقدم على ما فيه ان الدفاع عن القطر المصرى قديم وقد اعتنت به كل الدول التى حكمت مصر بعد قدماء المصريين الى ان كان حكم المرحوم محمد على باشا الاكبر ومن أتى بعده من سلالته فأقاموا بها من الاستحكامات والقلاع ما يأتى ذكره

اعلم ان أهم نقطة الدفاع المعتنى بها من القديم فى هذه الديار هى النقط الواقعة على حدودها الثلاثة الشمالية والجنوبية والشرقية وكانت الخطوط الشمالية أهمها لوقوعها على سواحل القطر الممتدة على البحر الابيض المتوسط ولقربها من الدول البحرية المشهورة منذ القدم بقوة الاساطيل

واما

وأما الخطوط الواقعة على الحدود الجنوبية فأهمها النقطة القريبة من شرقى شاطئ النيل وغربيه وكذا النقط التى على سواحل البحر الاحمر التى يخشى عليها من أساطيل العدو ولكونها سهلة المواصلة مع داخل القطر فكان أهم نقطة الدفاع هى المقامة على ثغور مصر كما سبق فى الكلام على الثغور المصرية اما التى بالحدود الشرقية فأهمها ما كان مقاما منها على دروب التجارة التى تطرقها القوافل بين القطر والبلاد الآسيوية هذا أما الحدود الغربية فلا يخشى عليها لأنها تعد من القديم كاستحكامات طبيعية لوجود صحراء ليبية القديمة العديمة الماء المشابهة لبحر من الرمال وقد كانت الدول التى حكمت مصر من القديم بين فراعنة وفرس ويونان ورومان وعرب واكراد ومماليك وجراكسة تعتنى بأمر هذه الخطوط لاهميتها العسكرية فشيدوا على نقطها المهمة كثيرا من المعاقل والحصون والقلاع التى يشاهد آثارها واطلالها للآن وكانوا يعلونها بالآلات الحربية وبالجنود ولم يكن هذا الاعتناء قاصرا على القوة البرية فقط بل كان يشمل البحرية ولذلك اهتموا أيضا بصناعة السفن الحربية كما سبق فى المقدمة وما ذلك الا ليمنعوا بها العدو بحرا من الدنو الى السواحل المصرية من جهة وللمحافظة على التجارة البحرية المصرية المنتشرة فى سائر البلاد المتاخمة للقطر من الاخرى واستمر الحال على ذلك حتى ارتقى المرحوم محمد على باشا كرسى الولاية المصرية فوجه عنايته لامر الدفاع عن البلاد وشيد فى نقط كثيرة من تلك الخطوط عدة حصون وقلاع واستقدم من فرنسا مهندسين لذلك مثل جليس بك الذى عهد اليه عمل الاستحكامات والنظر فى اتخاذ طرق الدفاع وبناء اللازم من الحصون على الحدود المصرية وبعد ان نظر هذا الرجل فى الامر مع رجال العسكرية المصرية قدم تقريرا وافيا بما رآه ذكر فيه آراءه على خطوط الدفاع المذكورة وما يلزم لها من الحصون والقلاع لتكون وافية بالمراد فقال ان أهم خطوط الدفاع عن الحدود الشمالية ثلاثة الاول خط الساحل ويحتاج الى اقامة حصون قوية يمكن بها المدافعة عنه وصد هجمات الاساطيل التى تقصد البلاد بسوء والثانى لا يحتاج لشئ لانه معزز طبيعة بالمستنقعات والبحيرات الموجودة فيه وهى بحيرات المنزلة والبراس وادكو ورشيد وأبو قير ومريوط واما الخط الثالث فيمكن الدفاع عنه عند اللزوم باقامة بعض استحكامات خفيفة على المسالك الواقعة بين البحيرات المذكورة وهذه المسالك هى التى توصل خط الساحل بالوجه البحرى وداخل القطر ومنها يمكن صد العدو اذا تغلب على خط الساحل وقصد دخول القطر وقال أيضا بلزوم اقامة بعض الحصون على الحدود الشرقية بجهات الصالحية لوقوعها على طريق سوريه المعتاد وجهات الاسماعيلية لوقوعها على طريق وادى التيه الذى يوصل مصر ببلاد العرب وجهات السويس لأنها فرضة مصر على البحر الاحمر وبجهات أخرى على البحر الاحمر كالطور والقصير وغيره من ساحل عيذاب والعقبة التى اتخذ فيها القدماء الحصون ولم يذكر شيأ مهما عن الحدود الجنوبية لان السودان كان تم اذ ذاك فتحه وضمه الى مصر ولما صدق العزيز على رأى المهندس المذكور أخذ فى عمل الاستحكامات اللازمة واصلاح القديم منها وبقى العمل بها جاريا الى عهد المرحوم عباس باشا الاول كما ذكرناه فى فصول هذا التاريخ فأصلحت قلعة الجبل وأقيمت بعض مواقع عسكرية أخرى فى جهات العباسية من ضواحى مصر ولما تولى سعيد باشا سار فى طريق والده أبى الفتوحات فانتخب بنظره الصائب امام جزيرة روضة البحرين موقعا من أهم المواقع الدفاعية لانه أعظم نقطة للتحصين ولانه يمكن أن يصل المدد منها الى كافة الثغور بالسهولة واستصوب أن يشغله بالحصون

الحصينة والقلاع المتينة بحيث لوطمع طامع فى الدنو من هذه المواضع صده عنها بالقوة بواسطة المياه المنصرفة من عيون القناطر لما أنه يترتب على ذلك فى زمن التحريق اندفاع الماء الى ما حول القلاع من المجارى والخنادق وانتشاره منها الى أبعد مسافة يشغلها عسكر العدو ثم عززها بالمدافع والاسلحة والجنود وهى المعروفة بالقلعة السعيدية وقد وصفها المرحوم الفاضل صالح بك مجدى وكان وكيلا لاشغال الطوابى بها فى قصيدة لطيفة حوت كل اصطلاحات فنون الاستحكامات هذا وبقيت كل الحصون المذكورة على حالتها التى كانت عليها سنة ١٨٧٢ حين أمر الخديو الاسبق المرحوم اسمعيل باشا باصلاح ما كان منها على السواحل المصرية الشمالية لتكون صالحة لوضع المدافع الضخمة فأصلحت اصلاحا سطحيا (١٢٨٧ ﻫ) ثم ركب بها مدافع من نوع ارمسترنغ من عيار عشر بوصات وتسع بوصات وسبع بوصات وكانت العناية بها يومئذ زائدة بالنسبة لمنوياته السياسية فجعل لها ادارة خاصة عرفت بقلم الاستحكامات عهد برئاستها المرحوم محمد باشا المرعشلى ولما قصد إقامة بعض الحصون على برزخ وخليج السويس حرضت الدول وفى مقدمتهم فرانسا الباب العالى وخوفته من ذلك لمنافعها الذاتية فصدر فرمان بمنعه فامتنع وذكر الكولونيل بيشر (Becher) حالة الدفاع فى القطر المصرى فى ذلك الوقت فى رسالة طبعت فى باريس سنة ١٨٧٣ تسمى بما ترجمته طريقة الدفاع العسكرى عن القطر المصرى وهى موجودة فى مكتبة نظارة الحربية بمصر

وذكر كثير من الكتاب خطوط الدفاع التى كانت فى حدود القطر الشمالية قبل تدمير حصون الاسكندرية (١١ يوليو سنة ١٨٨٢) فقالوا انها كانت تحتوى على عدة حصون وقلاع وطوابى منها ما هو على بعد ٣٠,٠٠٠ متر الى الغرب من العجمى وكانت ثلاث قلاع وهى الجبوس وبرج أبوصير وقلعة ابوصير و بعد الواحدة عن الاخرى ١٦٠٠ متر أما الدفاع عن ثغر الاسكندرية بحرا فكان يومئذ يمتد على مسافة ١٧١٧٠ مترا من قلعة قايتباى الى العجمى ومن حصونه حصن المرابط بالجهة الغربية ازاء البوغاز المنسوب اليه وهو على الجزيرة المسماة به فكان به أربعة مدافع ضخمة من طراز ارمسترنغ من عيار ثمان بوصات واثنان من عيار تسع بوصات وثلاثون من النوع المسمى أوبوس قديمة وخمسة هوانات وخلف هذا الحصن حصن آخر على الرأس الغربى من الفرضة يعرف بحصن العجمى وهو قليل الاهمية لقدم بنائه والى الغرب من هذا الحصن طابية الدخيلة تبعد عنه ٣٦٠٠ متر ثم طابية باب العرب وهى على بعد ٢٨٠٠ متر الى شرق الدخيلة وعلى بعد ٢٠٠ متر من طابية المكس الجديدة والى الشرق منها بنحو ألفى متر طابية المكس القديم وهى على مرتفع من الارض وعلى الساحل فى المكان المعروف بمرسى القناطر وهذه الطوابى الثلاث معدة للدفاع عن مدخل البوغاز الغربى المعروف ببوغاز المرابط والبوغاز العمومى وكان بطابية المكس المذكورة ٣١ مدفعا من المدافع القديمة منها أربعة من ذوات العيار الكبير وعلى طول المرفأ القديم حتى البحيرة الداخلة عدة متاريس واستحكامات منها طابية القمرية المعروفة أيضا بالطابية اليسرى الكبرى وتبعد عن المكس القديم بنحو ٥٢٠ مترا الى الشرق وبها خمسة مدافع وطابية ام قبيبة وهى الى الشرق على بعد ١٤٠٠ متر وبها ١٨ مدفعا وبرج مستدير فيه مدفعان وقلعة صالح أغا القديمة وهى على بعد ٤٠٠ متر الى شرق أم قبيبة والطوابى المذكورة كلها

مسلطة

مسلطة على المرسى ومسلحة بستة وخمسين مدفعا معظمها من النوع القديم المسمى اوبوس
وفى الجهة الاخرى من المرفأ عند منتهى شبه جزيرة فاروس بالقرب من رأس اونستوس المعروف برأس التين قلعة الفنار وهى مشرفة على الميناء الداخلة وعلى البوغاز من جهة الشرق ومحتوية على مساكن خشبية تسع ألفى جندى ومعززة باربعة وعشرين مدفعا قديمة منها خمسة من نوع ارمسترنغ أحدها قطره عشر بوصات ويزن ١٨ طنا وأربعة قطر الواحد منها تسع بوصات ويزن ١٢ طنا وعلى الشاطئ الشمالى من رأس التين المذكورة عدة بطاريات أخرى مسلحة بسبعة عشر مدفعا بعضها من ذوات العيار الكبير وعند منتهى خط هذه البطاريات مدفع واحد من نوع ارمسترنغ قطره ثمان بوصات وفى الجهة الشرقية من هذا الخط طابية تعرف بالاطة وهى تبعد ٢٣٠٠ متر عن الفنار الى الشرق واستحكام قائم على رصيف متصل باليابسة بخندق ضيق تدخله مياه البحر وبه بعض مدافع قديمة ومدفع واحد ارمسترنغ من قطر عشر بوصات وعند منتهى خط الشبه جزيرة المذكورة برج يعرف ببرج قايتباى وبقلعة فاروس أيضا وهو مبنى بالحجر يسع اثنى عشر مدفعا ويشرف على متسع البحر ومعد لحماية مدخل الميناء الشرقية ويشترك معه فى ذلك الحصن المعروف بطابية قاريلبون وهو على رأس شبه جزيرة ضيقة فى الجهة الاخرى من الفرضة شمالى محطة الرمل ويمتد الى داخل البحر يحميه برج آخر هنالك يعرف بطابية السلسلة المسماة قديما رأس لوشياس

هذا أما الدفاع عن ثغر الاسكندرية برا فكان بواسطة سورها العربى القديم الباقى بعضه للآن جهة باب رشيد وباب سدره وباب السورى ويحميه عدة متاريس أو استحكامات قائمة على مرتفعات مطلة على بحيرة مريوط وترعة المحمودية والطريق الحديدية وعليها أبنية هى بقايا الحصون التى أنشأها الفرنساويون حول المدينة مدة حملة بونابارت (١٧٩٨ - ١٨٠١م) وكانت معززة من الخارج بطابيتين تعرف احداهما بطابية كافاريللى المعروفة اليوم بحصن نابليون أو كوم الناظورة والثانية بطابية كرتيين أو كوم الدكة ومتراس كليوباتره المعروف بقلعة باودا أما اليوم فالطابيتان الاولتان وهما كوم الناظورة وكوم الدكة قائمتان فى قلب المدينة لقيام البناء من حولهما وأهميتهما الحربية مفقودة لعدم الاهتمام بهما وعدم وجود أسلحة جيدة فيهما على سعتهما والاولى منهما مطلة على داخل المرفأ القديم حاكمة عليه لارتفاعها وعند باب العرب استحكامات تعادل طوابى المكس ارتفاعا وتسد لسان الارض الواقع بين الملاحة وبحيرة مريوط وهى واقعة الى ماوراء المقطع القديم الذى خرقه الانكليز سنة ١٨٠١ عند محاصرة الجنرال منوليدخلوا به مياه البحر الى البحيرة فغرقت يومئذ قرى كثيرة وتحولت الى صحراء واسعة يابسة والى مستنقع مضر بالصحة أما خط الدفاع الذى على الساحل بين طابية السلسلة وأبوقير فانه فى غاية المناعة بالطوابى المشيدة عليه وهى طابية المنظرة الواقعة الى شرقى طابية السلسلة بنحو ٢٩٤٢٨ مترا والى شرقيها بعد ٣٩٠٠ متر طابية تسمى التوفيقية والى شرقيها بعد ١٨٠٠ متر طابية تعرف باسم كوسه باشى والى الشرق منها بعد ٨٦٤ مترا قلعة أبوقير والى الجنوب الشرقى منها بعد ٢٤٥٠ مترا طابية الرمل وفى جهة الشرق من هذه الطوابى سد أبوقير وهو معزز باربعة أبراج لحمايته ويعرف الاول ببرنجى برج وهى تبعد عن الرمل ٢١٠٠ متر ثم الى شرقيها بعد ٨٠٠ مترا يكنجى برج ومنه الى الشرق بعد ١٩٠٠ متر

٣ جي برج والى شرقيه بعد ١٢٠٠ متر ٤ جي برج وعلى آخر السد من جهة الشرق ببعد ٣٠٠٠ متر توجد طابية تعرف بالكوم الاحمر وبعد ٣٢٠٠ متر عنها الى الشرق طابية المعدية هذا وغير ما ذكر فان ساحل ادكو حتى رأس رشيد معزز بتسع طواب تسمى الاولى هلالية الكلخ وهي على بعد ٢٨٠٠ متر الى شرقي بحيرة المعدية والثانية المعدية ثم طابية الكلخ وهي تبعد ٢٥٠٠ من شرقي الاولى والرابعة هلالية ادكو والخامسة طابية ادكو والسادسة هلالية العلائم والسابعة طابية العلائم والثامنة هلالية النفر والتاسعة طابية النفر وكل واحدة منها تبعد عن الاخرى بنحو أربعة آلاف متر والى غربي هذه الطوابي بنحو أربعة آلاف متر بوغاز رشيد وعليه من الغرب طابية غرب البوغاز ومن الشرق طابية شرق البوغاز وبيعدان عن بعضهما بنحو ثمانمائة متر وهناك استحكام آخر يعرف بقلعة قايتباى واقع على منتصف المسافة بين مدينة رشيد وطابيتي البوغاز السابقتين وطابية أخرى في أبي مندور وهي قائمة على تل عال جنوبي رشيد ولما كانت المسافة بين رشيد والبرلس البالغ طولها ٥٧٠٠٠ متر كلها مستنقعات وتعد من الموانع الطبيعية لم تبن عليها استحكامات وعلى رأس بحيرة البرلس طابيتان الاولى تسمى طابية غرب البرلس وهي تبعد ٥٦٢٠٠ متر من شرقي رشيد والى الشرق ببعد ٨٠٠ متر طابية شرق البرلس وهي على بعد ١١٢٥ متر الى الشرق من طابية فنار البرلس وفي المسافة التي بين الفنار المذكور وبوغاز جمصه طابيتان الاولى تعرف بالعباس وهي على بعد ١٩٨٠٠ متر الى الشرق من فنار البرلس والى الشرق منها بنحو ١٤١٧٥ متر طابية القرعة ثم الى شرقي بوغاز جمصه المذكور بنحو ١١٨٠٠ متر طابية جمصه والى شرقيها بنحو ١٢٤٠٠ متر برج يعرف باوجنجي برج والى الشرق بنحو ٤٠٠٠ متر برج يعرف بايكنجي برج والى شرقيه بنحو ٤٢٠٠ متر البرج الاول

أما بوغاز دمياط فيحميه طابيتان عظيمتان هما طابية غرب البوغاز وطابية شرقيه والمسافة بينهما لا تزيد عن ٥٩٠ مترا وهناك طابية أخرى تعرف بالعزبة وهي قديمة على الشكل المعروف في فن الاستحكامات بالبستيون أي كثير الاضلاع أقامها الفرنسويون وبداخلها جامع وقشلاق ومخازن وفي المسافة التي بين دمياط وبورسعيد وطولها ٦١١١٠ أمتار طابيتان الاولى تعرف بطابية الدبية وتبعد عن شرقي طابية شرقي بوغاز دمياط بنحو ٣٢٥٥٠ مترا والى شرقيها بنحو ١٣٢٧٠ مترا طابية تعرف بالجميل وهي على أشتوم الجميل وأغلب هذه الطوابي هلالية الشكل قليل منها رباعي وكانت كل واحدة منها مسلحة بثلاثة مدافع من نوع ارمسترنغ وستة مدافع من النوع القديم المسمى أوبوس مختلفة العيار الا قلعتي قايتباى وأبو مندور برشيد فكانت مدافعهما قديمة وقد أهملت هذه الاستحكامات بأجمعها تقريبا بعد وقائع سنة ١٨٨٢ حتى تخربت الآن

أما خط الدفاع بالحدود الشرقية فهو عبارة عن قلعة قديمة بالعريش وأخرى مثلها بالعقبة ولم يقم استحكامات في حدود القنال سوى الطوابي الترابية التي شيدها العرابيون في حوادث سنة ١٨٨٢ بجهات التل الكبير والصالحية وآثارها ظاهرة للآن ولما أخرجت الحكومة المصرية جنودها من السودان في سنة ١٨٨٥ شيدت بعض نقط حربية في وادي حلفا للدفاع عن حدود القطر من هجمات الدراويش فشيد السردار غرنفيل باشا معسكرا كبيرا اعتمد على ساحل النيل

الشرقي

الشرقى طوله ألفى متر وأقام حوله خمس طواب منها فى جهة الجنوب بقرب ساحل النيل طابية سميت طابية نمرة واحد والى الشمال طابية أخرى عرفت بطابية نمرة خمسة وعلى شرقى المعسكر على كيلومتر واحد ثلاث طواب عرفت بنمرة ٢ و ٣ و ٤ وبعدها عن بعضها واحد وكلها على شكل مضلع وأقاموا على بعد ربع ساعة من طابية نمرة خمسة الى الجنوب طابية التوفيقية والى الجنوب منها ببعد ساعة طابية أخرى عرفت بطابية الخور والى الجنوب منها طابية جمس وعلى نحو ٣٣ كيلومترا من حلفا الى الجنوب طابية سرس ولما فتح السردار كتشنر باشا دنقله وبربر أقام فى الحدود الجديدة بجهات دنقله وكورتى ومروى وأبو حمد وبربر والدامر بعض الحصون وخصص لحفارة آبار جكدول التى فى عطمور بيوضة قبائل الجعليين الخاضعين للحكومة الخديوية

الطرق الحديدية — اعلم ان السكك الحديدية أصبحت فى الوقت الحاضر من أهم طرق المواصلات وانفع أسباب تقريب المسافات كما لا يخفى فكلما اتسع نطاقها فى بلاد ازداد رواج سلعها التجارية وهى فضلا عما لها من المنافع التجارية والانتقالية وايجاد الامن والعمارية بالبلاد التى تمر بها فائدة رئيسية فى نقل الجيوش ومعداتهم الى الاماكن البعيدة فى أقصر زمن لهذا رأينا من الضرورى ذكر السكك الحديدية المصرية فى باب الكلام عن قوة مصر العسكرية فنقول جميع السكك الحديدية التى بمصر تابعة للحكومة المصرية ما عدا بعض خطوط شيدتها الشركات على السكك الزراعية وهى المعروفة بالسكك الضيقة وأول هذه الخطوط الخط الممتد من القاهرة الى اسكندرية ويعرف بالخط الطوالى وطوله ٢٠٨ كيلومترات و ٧٤٠ مترا ويمر بقليوب وبنها وطنطا وكفر الزيات ودمنهور وكفر الدوار وسيدى جابر ويتفرع منه عدة فروع منها خط من بنها الى الزقازيق وطوله ٣٤ كيلومترا و ٩٨٣ مترا ويمر على شبلنجه وميت القمح والزنكلون وخط من بنها الى ميت بره وطوله ١١ كيلومترا و ٢٦٥ مترا وخط من طنطا الى دسوق ويمر بمحلة روح وقطور وقلين وشباس وخط من طنطا الى زفتى وطوله ٤٤ كيلومترا ويمر بمحلة روح والسنطه وخط من طنطا الى المنصوره ومنها الى دمياط ويمر بمحلة روح والمحلة الكبرى وسمنود وطلخا والمنصورة وشربين وفارسكور وكفر البطيخ وخط من شربين الى بيله وطوله ٢٩ كيلومترا ويمر بسنديله وبلقاس وخط من طنطا الى اشمون وطوله ٦٢ كيلومترا ويمر بتلا وشبين الكوم وشنوان ومنوف وسمادون وخط من ايتاى البارود الى مصر وطوله ١٢١ كيلومترا ونصف ويمر بكوم حماده وكفر داود والخطاطبه ووردان وأوسيم وامبابه وخط من دمنهور الى الرحمانية وطوله ٢٠ كيلومترا ويمر بسنهور وخط من المرابعين الى قلين ويمر بسخا ومحلة موسى وقلين وخط من الصالحية وفاقوس الى أبو كبير ويمر على فاقوس والغابه وأبو كبير وخط من المنصوره الى مصر عن طريق الزقازيق وبلبيس ويمر على السنبلاوين وأبو الشقوق وأبو كبير والزقازيق وبلبيس وشبين القناطر وقليوب وشبرا ثم مصر وخط من الزقازيق الى السويس ويمر على التل الكبير والقصاصين والمحسمة والاسماعيلية وجنيفة والسويس ومنها الى الحوض وخط ضيق من الاسماعيلية الى بورسعيد ويمر بالقنطرة ورأس العش وهو تابع لشركة القنال وخط من كوبرى الليمون بمصر الى المطرية والمرج وطوله ١٤ كيلومترا ويمر بسراى القبة والمطرية وعين شمس والخطوط المذكورة كلها بالوجه البحرى

خطوط الوجه القبلى — بالاقاليم القبلية خط واحد عظيم ممتد من القاهرة الى بلدة نجع حمادى وفى النية مده الى أسوان وهو يمر بامبابه والجيزة والبدرشين والعياط وبوش وبنى سويف وببا

والفشن ومغاغه وبنى مزار وقلوصنا وسمالوط والمنية والروضة وملوى وديروط ومنفلوط وأسيوط وأبوتيج وطهطا وطهطاوسوهاج وجرجاو برديس وفرشوط ونجع حمادى وطوله ٥٥٦ كيلومترا و ٢٨٤ مترا ويتفرع منه عند الواسطة خط الى مدينة الفيوم وأبوكساه ويمر بالعدوة والفيوم وابشواى وطوله ٦١ كيلومترا وأربعة أمتار ويخرج خط آخر من الفيوم الى سنورس وطوله ١١ كيلومترا و ٧٦٨ مترا

الخطوط الحديدية بالسودان — كان الشروع فى مد الخطوط السودانية بالسودان سنة ١٨٧٧ م فى عهد الخديو الأسبق اسمعيل باشا بقصد توصيلها الى الخرطوم وكانوا يريدون مد الخط الاول منها من حلفا الى بلدة كوه مارا على الشاطئ الشرقى من النيل وقدروا طوله وقتئذ بنحو ٢٥٧ كيلومترا وكان التصميم انه متى وصل الى كوه يعبر على قنطرة حديدية حتى يصل الى بلدة أم البقول بعد ان يمر على ثمان محطات منها حنك ودنقلة الجديدة ودنقلة العجوز وطوله ٣٤٩ كيلومترا ثم يمد من أم البقول الى شندى عن طريق صحراء بيوضة مارا بخمس محطات منها أبوحلفا وجبل النوس ومن هناك يمتد الى البحر الاحمر عن طريق كسله ومصوع وشرع العمال فى العمل وصرف عليه نحو ألفى الف ليرة مصرية ومع ذلك لم يتم منه شىء يذكر فاضطر الخديو لايقاف هذا المشروع الجليل لسبب ارتباك المالية المصرية ثم لما قامت ثورة المهدى وساقت انكلترا الجيوش لاستخلاص الجنرال غوردون باشا مدت الحكومة خطا حديديا من وادى حلفا الى عكاشه طوله ٨٠ كيلومترا (١٨٨٤ م) ولما عادت الجيوش واتخذت الحكومة فى وادى حلفا خطوط الدفاع أهمل خط عكاشه المذكور ثم لما تقرر اعادة فتح السودان وابتدأ الجيش فى الزحف على دنقله (١٨ مارس سنة ١٨٩٦) أخذ السردار الجنرال كتشنر باشا فى مد السكك الحديدية لسهولة المواصلات فوصلت الى آبار المرات (٥ مايو ١٨٩٦) ثم الى آبار أم البقول أو امبجول ثم الى عكاشه (٢٦ يونيه) ثم الى كوشه (٤ أغسطس) وفى ٢٩ أغسطس هطلت الامطار فخربت منها نحو ١٢ ميلا فاعيد اصلاحها ثم وصلت الى بلدة الكرمة وتبعد عن حلفا جنوبا بنحو ٢٠٥ أميال تقريبا (أول مايو سنة ١٨٩٧) ثم بعد فتح دنقله مد السردار طريقا آخر من حلفا الى أبوحمد وتم عمله فى ١٩ نوفمبر من السنة المذكورة ومن أبى حمد الى بربر وتم فى أوائل مارث من سنة ١٨٩٨ ومنها الى بلدة الدامر على نهر عطبره

القوة العسكرية المصرية

اعلم ان القوة العسكرية بالديار المصرية كان معتنى بها من عهد دول الفراعنة كما يعلمه كل من طالع التاريخ فكانت القوة العسكرية تعد عندهم من أول مراتب الامة وأعظم فرقة من فرق الملة اذ كانت عليها حراسة المملكة ولهذا كانت الحكومة تهب الجنود قسما كبيرا من الاراضى يستغلونها ليصدق دفاعهم عنها والذود عن حياضها وكانت الاراضى العسكرية معفاة من سائر المطالب الميرية وكان لكل جندى نحو ستة افدنة هذا خلاف ما كان يصرف له من الغذاء والعدة وقد بلغت الجيوش المصرية فى زمن هيرودوت ٤٢٠,٠٠٠ مقاتل وقد أجمع المؤرخون على أن الجيوش المصرية بلغت فى مدة العائلة الثامنة عشرة وهو زمن ارتفاع شأن مصر ٦٠٠,٠٠٠ من المشاة ونحو ٢٤,٠٠٠ من الفرسان و ٢٧,٠٠٠ من العربان المسلحة بالحراب وقد زادت هذه القوة مدة سيزوستريس الاكبر الذى اشتهر بالفتوحات وادخل تحت طاعته بلاد النوبة والحبشة وسنار وبلاد العرب والشام وبابل ونينوى وقطعة كبيرة من آسيا الصغرى وبلاد فارس وجزيرة قبرس وعدة من جزائر الارخبيل

وكان

وكان الملوك هم القادة للجيوش فى ميادين الحرب ثم أخذت قوة مصر بعد ذلك فى الانحطاط فالغيت الجيوش الاهلية واستبدلت قوانينها العسكرية وصار جنودها من الشعوب الاجنبية فى مدة حكم الفرس واليونان والرومان والعرب والاكراد والمماليك فلم يكن المصريون يحملون السلاح للمحاماة عن وطنهم بل كانت جيوش هؤلاء الفاتحين هم الذين يؤدون الخدمة العسكرية فى الديار المصرية حتى زمن ولاية ساكن الجنان محمد على باشا لانه رحمه الله من يوم ان جلس على كرسى الولاية المصرية أوجد فيها جيشا عظيما منتظما من الاهالى كما ذكرناه فى تاريخه ثم اقتدى به بنوه من بعده الى يومنا الحاضر كما ذكرناه فى تاريخ كل منهم

نظام الجيش المصرى — كان أول من أدخل النظام الجديد فى الجيش المصرى هو افندينا المرحوم محمد على باشا الاكبر صاحب المآثر الجميلة الكثيرة كما تقدم وكان من حسن نظره فى العواقب وجودة سياسته أنه لما عزم على ذلك خاف من ثورة تكون بين الجند الاتراك والالبانيين وغيرهم المشكل منهم الجيش المصرى حسدا منهم وتمردا على إدخال نظام يمقتونه لانه يخالف ادراكهم الكاسدة الفاسدة سيما وأنه يعلم جيدا ان الدولة العثمانية اعتراها الفشل وثارت عليها جنودها مرارا حينما همت بادخال النظام الجديد فى جنديتها كما ذكرناه فى تاريخها بالجزء الاول فلذلك رأى من الصواب ان يكون تنظيم الجيش الجديد وتدريبه فى مكان بعيد عن قاعدة الديار المصرية حتى لا يعلم به أولئك الجنود فاختار مدينة اسوان لبعدها عن الانظار حتى اذا تم له ما أراد أمكنه بالجيش الجديد قمع كل عصيان من الجند القديم وقد وفقه الله لما أراد لحسن نيته وطيب سريرته وقد وقفنا على كلام فى هذا المعنى جدير بالاعتبار دال على ما حصل للمصريين اذ ذاك من الفرح بهذا الجيش الجديد وهو وان كان غير جامع لكل ما يجب أن يقال فى هذا الشأن الا أنه مع ذلك مفيد لكل من يريد الوقوف على افكار الناس فى ذلك الوقت والكلام للمرحوم الشيخ خليل بن أحمد الرجبى الشافعى فى تاريخه الذى ألفه عن المرحوم محمد باشا الكبير وهو محفوظ بالكتبخانة الخديوية قال فى مقالته السابعة

اعلم أيها الناظر فى هذا المرقوم العارف بقضايا المنطوق والمفهوم ان الملة المحمدية اشرف الملل قد شرفها الله وصانها عن مواطن الزلل لا يضاهى شعارها ولا يضطرب منارها ولا يطفأ نورها ولا تغرب شموسها ولا تأفل بدورها ومن المعلوم ان لها قوانين وشروطا ولكل شرط وقانون حدا مضبوطا ولها أركان معلومة مقررة مفهومة ولكل ذلك أساس كبير وأصل محقق بغير نكير لا بد لها من وجوده مستديما إما بالفعل وإما بالقوة تنويها برفعة قدرها وتكريما واجب أن يدوم إحكامه ومتحتم شرعا ان تتبين للعيان أحكامه وحكامه وهو الجهاد فى الطغاة من البغاة والفجار وفرق الخوارج الضالين وجميع المفسدين فى الارض من الفاسقين لا بد من اقامة هذا الامر والا تسلط زيد على عمرو ولا يمكن اهماله فى سائر الاوقات تارة بالفعل وتارة بوجود الاستعدادات قال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده أمر بهذا محمدا وكافة القادرين من عباده وقال تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال جل وعز ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الى أن قال فى وصف الوزير محمد على باشا الكبير انه أمعن نظره فى أهل هذا الوادى فوجدهم لا يجيبون فى مواطن الحرب من ينادى لا يمنعون عدوا يفاجئهم ولا يصدون مغتظا يفجعهم لا يدرون ما الشجاعة ولا يقدرون على الصبر لحظة من ساعة لا يمكنهم صيانة أماكنهم ولا يدفعون من رام خراب مساكنهم مع أن القطر مشحون بالعدد الكثير ومملوء بمئين من الالوف فهم الجماء الغفير فى عدد الرمل والحصى لا يحصرون

بطريق الاستقصا فلما رآهم أفندينا بهذه الشؤن وعلى صفات لا يقبلها ذو والهمم المؤمنون
تدارك فسادهم وطلب ان يروج كسادهم وأحب انقاذهم من الجبن ومذمته واخراجهم من ذل
الهون بعلى همته فأرسل الى القرى والبلاد وجمع الشبان أولى القوة الشداد وأمر أن يجيؤا من
كل جهة بعدد ليجتمع منهم ما يكون صالحا للمدد وقصد أن يعلمهم طرائق الحرب ويوقفهم على
ادراك كيفيات الطعن والضرب وصمم على هذا الامر الجسيم وجزم بأن يجعل لهم من قمع
الاعداء أوفى قسيم وأحضر رؤس أهل التعاليم والرجال العارفين بهندسة الفراسة والتفهيم
وأمرهم بتعليم أولئك الشبان أنواع الحروب وكيفية تفاصيل ضرب مكاحل النيران وأرسل
الى عظيم أتباعه من لا ينفك عن اغراضه واتباع أوضاعه المستديم على حبه العاكف على
وده وقربه محمد بيك كتخداى حضرة أفندينا سابقا دام علاه فخاطبه أفندينا فى تنجيز هذا المعنى
وان يكون متوليا اقامة وتشييد ذلك المبنى وأمره أن يصقل سيف عزيمته وينتضى حسام رأيه
وسورة شهامته وأكد عليه وأبرم وفوض اليه الحكم فيما يلزم فاشتهر ذلك عند العالم وحمدته
عليه عقلاء بنى آدم وظهر للخاص والعام أن ذلك اذا تم من أكبر الانعام وتأملت الاذكياء فى
ثمراته وفوائده ومحاسن فنونه وفرائد عوائده فالتزم ذلك حضرة الامير الجليل وقام بكل اللوازم من
كثير وقليل وذهبت الرسل الى البلاد والقرى لاحضار الشبان وحثوا المسير وأحسنوا السرى
وتوجه حضرة محمد بيك الى ثغر أسوان فأقام به متفردا فى العصر والاوان وأحضر عنده كبار المعلمين
وأرباب المعارف الذين باتقان النظام عالمين وحضرة الصدر العلى ذى العز والفخر الجلى يرسل اليه
كل ما لزم له الحال وجمع ما يحتاجه بتلك الجهات والمحال وفى كل حين يرسل له الاوامر ويحضه
على تنجيز ذلك الشأن فيمتثل ويبادر ووالى عليه ارسال الشبان أنواعا وأجناسا متواصلين اناسا
يتلون اناسا فوسموا باسم العساكر الجهادية واشتهروا بذلك بهذا الاسم ونمت الشهرة السنية
وجعلهم فى مكان رحيب فسيح خصيب وأقام لهم المؤنة وأكثر لهم أنواع المعونة وأعطى كل رجل
مكحلة بارود محكمة القوام حتى استعد للحرب أولئك الاقوام ولازمتهم الرؤساء للتعليم وساستهم بالتدرب
على هذا الامر الجسيم وشددوا عليهم فى اتقان تلك المعانى والمدارك ليكونوا من أرباب الحروب
والمعارك وجعلوهم صفوفا صفوفا وعلموهم الضرب أشكالا وصنوفا واستداموا معهم مجتهدين
وبتفهيمهم الدقائق مجدين تارة صفوفا وتارة دوائر والحرب لا يزال على تلك الصفات دائر
والصفوف اشكال مختلفة والدوائر كذلك وكلها منسجمة مؤتلفة صناعات فى أشكال الحروب عجيبة
ونكات فى فنون الفراسة غريبة بحيث اذا وقف منهم صف وهو مائة انسان وحاربوا بتلك الصناعة
فلا يلاقيهم الالف من الفرسان واذا سار منهم ألف رجل للحرب لا يثبت تجاههم من الآلاف
الكثيرة أحد كان من الشرق أو من الغرب لانهم على قوانين معلومة موصوفة مركوزة وراسخة
فيهم ومعروفة لا تختل صفوفهم ولا تضطرب صنوفهم ولا يتأخر رجل عن رجل يفعل القليل
منهم ذلك والجل ولا زال يجاهد فى تدربهم وتخلقهم بصناعة الحروب وبحربهم كل يوم صباحا ومسا
مستروحا بشأنهم ومستأنسا حتى حصل الغرض الاكمل بقدوم حضرة السيد الافضل صاحب
السيف والقلم وأمير البنود والعلم الشجاع الغضنفر والهزبر القسور مولانا وسيدنا ابراهيم باشا
نجل الصدر العلى ذى العز والفخر الجلى فلما قدم تمت بقدومه الامور وساسهم بتدبيره المأثور
ولازم ادمان تعليمهم وأكثر عنايته بتدبيرهم حتى اتقنوا هذه الصناعه وربحت تجارة تلك

البضاعة

البضاعة وأحكموا المقصود والغرض وتحققوا بعرفان ما أوجبه عليهم وافترض وبقى لهم ذلك طباعا واخلاقا حتى ألفوه بل أثمر بواجبه كأساد هاقا وأقاموا اشعار الشجاعة وانضموا عليه به وفاقا وساد البيض والسمر على كل من سواهم وزادوا وفاقا وكثر جمعهم والتأم مع السياسة والحماسة شملهم ومازال حضرة افندينا ابراهيم باشا يسوسهم بتدبيره ويجمعهم على التعليم بحقائق فنونه وتحريره ضابطا لهم الضبط الكامل حتى انتظم الامر بالعرفان الشامل فقد قام بذلك أتم القيام ولازم تعريفهم تلك القوانين وأكد لهم الالزام فهو ابقاه الله أكبر عضد لهم وأعظم من أعانهم على ذلك ودلهم وهذه الحالة من أعظم الاحكام وأكبر المفاخر ولله القائل كم ترك الاول للآخر اه

وذكر مسيو ادوارد غوين (Edouard Gouin) فى تاريخه العسكرى المطبوع فى باريس سنة ١٨٤٧ المسمى مصر فى القرن التاسع عشر كلاما طويلا عن عسكرية محمد على باشا وبحاربا ته شرح فيه ادوارها وترقياتها وهو موجود بالمكتبة الخديوية فمن شاء فليراجعه هذا وجعل المرحوم المشار اليه حق الرياسة العليا على الجيوش المصرية برية كانت أو بحرية لنفسه وجعل أنجاله قوادا للجيوش فكان المرحوم طوسون باشا قائدها فى حرب الوهابيين وقادها ابراهيم باشا فى حرب مورة والشام وقادها اسمعيل باشا فى السودان وكان ناظر الجهادية ينوب عنه فى الادارة العمومية العسكرية ثم قاد الجيوش المصرية المرحوم سعيد باشا كما ذكر فى تاريخه وجعل المرحوم اسمعيل باشا قيادة الجيوش المصرية لانجاله الامراء فكان الامير حسين كامل باشا ناظر الجهادية وقادها الامير حسن باشا فى حروب الحبشة والروسيا كما تقدم ثم جعل اسمعيل باشا قيادة الجيش قائدا عاما يعرف بالسردار وبقى الامر على ذلك حتى الغاء الجيش القديم وتشكيل الجيش المصرى الجديد (١٨٨٣) الذى أدخلت عليه النظامات العسكرية الانكليزية فأفادته نظاما واتقانا بعد الخلل الذى أصابه فى الحوادث العرابية وأصبح ناظر الحربية رئيسا عاما على الادارة العمومية الحربية والسردار هو القائد العام للجيش تحت اذن القائد الاعظم وهو الحضرة الفخيمة الخديوية مباشرة ويلى السردار فى قيادة الجيش الادجوتانت جنرال وهو وكيل السردار ورئيس أركان حرب عموم الجيش ويتبعه أركان حرب السردار وهم الضباط العظام المترئسين على أقلام الادارة العسكرية بسردارية الجيش وهم كمساعدين للادجوتانت جنرال فى الاقلام العسكرية

طريقة جمع العساكر – تؤخذ العساكر اللازمة للجيش المصرى بحسب قانون القرعة الصادر بتاريخ ٩ جمادى الثانية من سنة ١٣٠٢ هـ (٢٦ مارس ١٨٨٥م) وجعل هذا القانون كل مصرى تابع للحكومة المصرية مكلفا شخصيا بالخدمة العسكرية بلا تمييز بين حالته وديانته ومدة هذه الخدمة كما ورد فى الامر العالى الصادر فى ١٤ شوال سنة ١٣٠٦ هـ (١٢ يونيه ١٨٨٩م) خمس عشرة سنة الا من أعفاهم القانون المذكور من أداء الخدمة العسكرية والمدة المذكورة موزعة كما يأتى ست سنوات فى الجيش العامل وخمس سنوات فى البوليس وأربع سنوات فى الرديف وبالقانون أيضا ان كل من قضى خدمة العسكرية بالجيش أو البوليس ودعت الضرورة لابقائه فى الخدمة المدة الثالثة يزاد مرتبه مكافأة له على ذلك وان الذين يعضون المدة الاولى اذا زاد عددهم عن القدر اللازم للبوليس يبقى الزائد منهم فى الجيش العامل مدة الخدمة المقررة لهم فى

البوليس وورد فى المادة الخامسة من قانون القرعة انه عند الحاجة لجمع كافة عساكر الرديف للخدمة فى الجيش فلا يكون ذلك الا بأمر الحضرة لفخيمة الخديوية

تركيب الجيش – يتألف الجيش المصرى الآن من ١٨ أورطة من البيادة منها ١٢ من المصريين وست من السودانيين ومن عشر أورط من السوارى ومن بطارية واحدة من السوارى ومن أربع بطاريات جبلية ومن ثلاثة بلوكات من الطوبجية المحافظين ومن ثمانية بلوكات من الهجانة نصفهم من السودانيين وأورطتين من البيادة لاشغال السكة الحديدية السودانية ومن قسم طبى وآخر للعملة ولكل أورطة من البيادة ثلاثة ضباط بكباشية وضابط واحد برتبة صاغقول أغاسى وستة يوز باشية وستة برتبة ملازم أول واحد عشر برتبة ملازم ثان و ٧٢٩ بين صف ضابط وعساكر هذا فى الاورط المصرية أما السودانية فعدد ضباطها كما فى الاورط المصرية الأن صف ضباطها وعساكرها يبلغون ٨٠٢ ولكل أورطة من الجنسين قائد برتبة قائمقام ولها تسعة موظفين ملكيين وست عربات و ١٨ بغلا للعملة أما البنادق المسلحة بها الاورط المذكورة جميعها من صنف هنرى مرتينى

أما جيش الاسلحة الراكبة فيقوده ضابطان كل منهما برتبة قائمقام وهو يتركب من عشر أورط من السوارى لكل أورطة قائد فى رتبة بكباشى معه يوزباشى واحد واثنان برتبة ملازم أول ومثلهما برتبة ملازم ثان و ١٤٨ بين صف ضابط وجندى ويتبع كل أورطة أربعة موظفين ملكيين و ١٤٢ حصانا وأربع عربات لنقل ذخائرها وقسم الهجانة من الاسلحة الراكبة يقوده ضابط برتبة قائمقام معه أربعة بكباشية واثنان برتبة صاغقول اغاسى وهو يتألف من ثمانية بلوكات أربعة عساكرها مصرية ومثلها عساكرها سودانية فللمصرية منها أربعة يوزباشية وأربعة ملازمين اول وخمسة ملازمين ثوانى معهم ٤٠٠ بين صف ضابط وجندى ولهم ٤١٢ هجينا وللسودانية أربعة يوزباشية وأربعة ملازمين أول وخمسة ملازمين ثوانى معهم ٢٠٠ بين صف ضابط وجندى ولهم ٢٠٦ جمال وسلاح هذا القسم هو السيف والمزراق والقربينة من صنف هنرى مرتينى اما الطوبجية أى المدفعية فيقودها ضابط برتبة ميرالاى وتتألف البطارية السوارى منها من ستة مدافع وقائدها برتبة قائمقام معه ستة ضباط و ١٥٤ بين صف ضباط وجندى ولها ١٣٣ حصانا اما بطاريات الميدان فلكل بطارية منها قائد وستة ضباط وتتركب من ١٦٠ بين صف ضابط وجندى ولها ٣٢ حصانا و ٣٢ بغلا و ٢١ جملا وبلوكا طوبجية المحافظة عليهما قائد برتبة قائمقام معه بكباشى واحد وصاغقول اغاسى واحد وأربعة يوزباشية وثمانية ملازمين أول وثمانية ملازمين ثوان وتتألف من نحو ٤٩٥ بين صف ضابط وجندى وبلوكاتها قابلة للزيادة والنقصان بحسب الظروف ويتبعهم ١٥ موظفا ملكيا والمدافع التى معهم هى من صنف كروب وجتلن السريعة الاطلاق هذا اما قسم أركان حرب عموم الجيش فعليه ثلاثة كل منهم برتبة أميرلواء وسبعة كل منهم برتبة أميرالاى وأربعة كل منهم برتبة قائمقام وأربعة بكباشية واثنان كل منهم برتبة صاغقول أغاسى وخمسة يوزباشية ويتألف هذا القسم من ٣٧٧ بين صف ضابط وجندى ومعهم ٣٥ حصانا أما العساكر المخصصة للمحافظة ببلاد النوبة فيقودها ضابط برتبة ميرالاى معه قائمقام واحد وبكباشى واحد وثلاثة يوزباشية وقسم دنقلة عليه قائد برتبة أميرلواء واثنان برتبة ميرالاى وثلاثة برتبة قائمقام وخمسة بكباشية وواحد برتبة صاغ وثلاثة

يوزباشية

يوز باشية ويتألف من ٩٠٠ بين صف ضابط وجندى ومعه من الخيول ٢٥ وقسم سواكن عليه قائد برتبة لواء معه ثلاثة بكباشية واثنان برتبة صاغ و يوز باشي واحد وملازم اول واحد وملازم ثان واحد و يتبعه قسم كسله

أما طو بجية القلاع ومهندسوا الحرب فتابعان لقسم الحوض المرصود المعروف أيضا بقسم الاشغال الحربية وهو تحت رئاسة ضابط برتبة قائمقام معه ثلاثة بكباشية وخمسة ضباط و يتألف من ٢١ بين صف ضابط وجندى ونحو ٧٥ موظفا ملكيا وهذا خلاف حاميات شبه جزيرة طور سينا وهى مقيمة بقلعة نخل وقلعة التو يبع ومحطة الطور برأسهم ضابط برتبة قائمقام معه عشرون موظفا وثلاثون عسكريا

وللجيش قسم طبى تحت رئاسة طبيب برتبة ميرالاى معه أربعة بكباشية ونحو ٤٢ طبيبا عسكريا وقسم طبى بيطرى تحت رئاسة طبيب برتبة قائمقام معه بكباشى واحد وستة أطباء بيطرية

واما الموسيقات العسكرية فهى تابعة لقسم عسكرية المحروسة وتتألف من خمس موسيقات اثنتان منها للبيادة وواحدة للاسلحة الراكبة و واحدة للحدود و واحدة لسواكن وعلى الجميع مفتش برتبة بكباشى وعلى كل موسيقى رئيس وتتألف موسيقى البيادة من أربعين شخصا وموسيقى السوارى من أربعة وثلاثين شخصا وأما موسيقى سواكن والحدود فتتألف كل واحدة منهما من واحد وعشرين شخصا

جدول بيان الجيش المصرى النظامى كما هو الآن أى فى سنة ١٣١٦ (١٨٩٨)

ضباط	صف ضباط وعساكر	توابع وموظفين ملكية	خيول و بغال وجمال	مدافع	عربات للنقل	أصناف العسكرية
٢٥	٣٧٧	٠	٣٥	»	»	قسم أركان حرب عموم الجيش
٦	١٠٠	٠	٥	»	»	قسم النوبة
١٦	٩٠٠	٠	٢٠	»	»	قسم دنقله
٨	١٥٠	٠	١٠	»	»	قسم سواكن
٣٢٢	٩٥٠٤	١٠٤	٢٠٤	٠	٧٢	أوست عشرة أورطة بيادة مصرية
١٦٨	٤٨١٢	٥٩	١٠٨	»	٣٦	٦ أورط بيادة سودانية
٦٢	١٥٠٣	٤٤	١٤٣٨	٠	٤٠	١٠ أورط سوارى
١٧	٤٠٠	٠	٤١٦	٠	٠	٤ بلوكات هجانه مصرية
١٦	٢٠٠	٠	٢٠٦	٠	٠	٤ بلوكات هجانه سودانية
٦	١٥٣	٠	١٣٠	٦	٠	١ بطارية سوارى
٢٨	٧٣٢	٠	٣١٤	٣٢	٠	٤ بطاريات طوبجية
١٢	٤٩٢	٠	١٢	١٨٢	٠	٣ بلوكات طوبجية المحافظة
١٨	٧٠٩	٠	١٢	٠	٠	١ أورطه لاشغال السكك الحديدية السودانية
٦٦	١٦٥٠	٠	٤٥٠٠	٠	٠	أقسام الحملة ومأمورى المراكز والادارة وتوابعهم
٥٦	٢٨٨	»	»	»	»	القسم الطبى
٧	٣٠	»	»	»	»	القسم البيطرى
٨٣٣	٢٢٠٠٠	٢٠٧	٧٤١٠	٢٢٠	١٤٨	الجملة

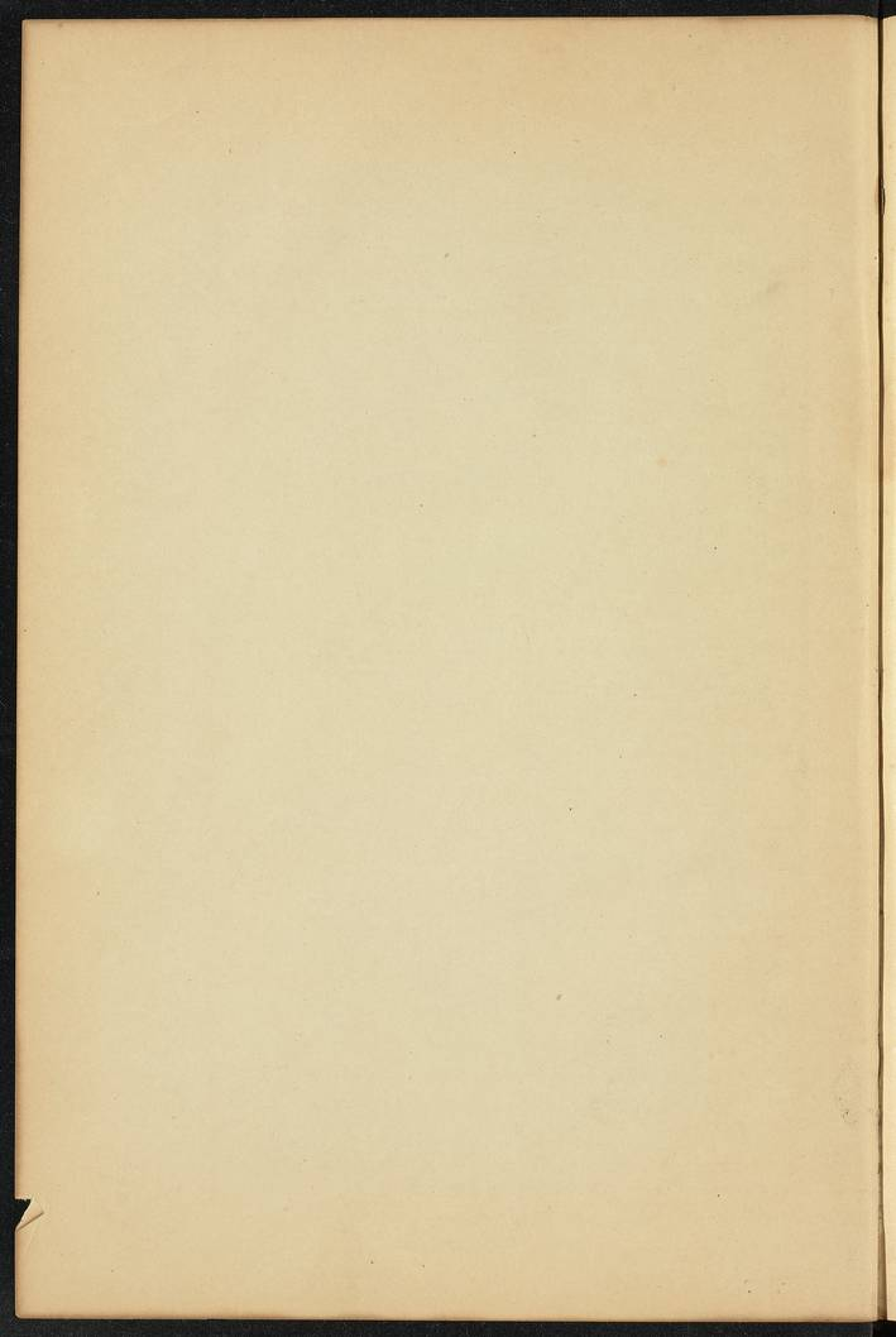
ويتبع هذه القوة فرق العربان الغير المنظمين وهي تتألف من نحو ١٥٢١ نفر عليهم واحد وعشرون رئيسا أما أسلحة الجنود النظامية فجميعها من بنادق هنري مرتيني أما جنود الحملة واورطة السكة الحديدية وكذا العربان فأسلحتهم من بنادق رامنطون والطوبجية مسلحة بمدافع كروب ومدافع سريعة الضرب ومدافع مكسيم وأنابيب الساروخ الحربي هذا خلاف الملحقات الموجودة في مصر وقسم المحروسة والمدرسة الحربية وتوابع المهمات والتعينات وبلوكي البيادة وأورطة السواري التابعين للعرس الخديوي وأورطة الخفر الثانية لقسم الضبط أي البوليس واذا اضيف الى هذا العدد جميع عساكر الامدادية القديمة الذين فرزتهم مجالس القرعة بعموم مديريات القطر في سنة ١٨٨٩ و ١٨٩٠ و ١٨٩١ وسجلتهم في قوائم العسكرية القديمة في سن يختلف بين خمسين وأربعين سنة وعساكر قسم النظام أي قسم البوليس وخفر السواحل فيكون الموجود بالقطر المصري من الجنود كالآتي بيانه

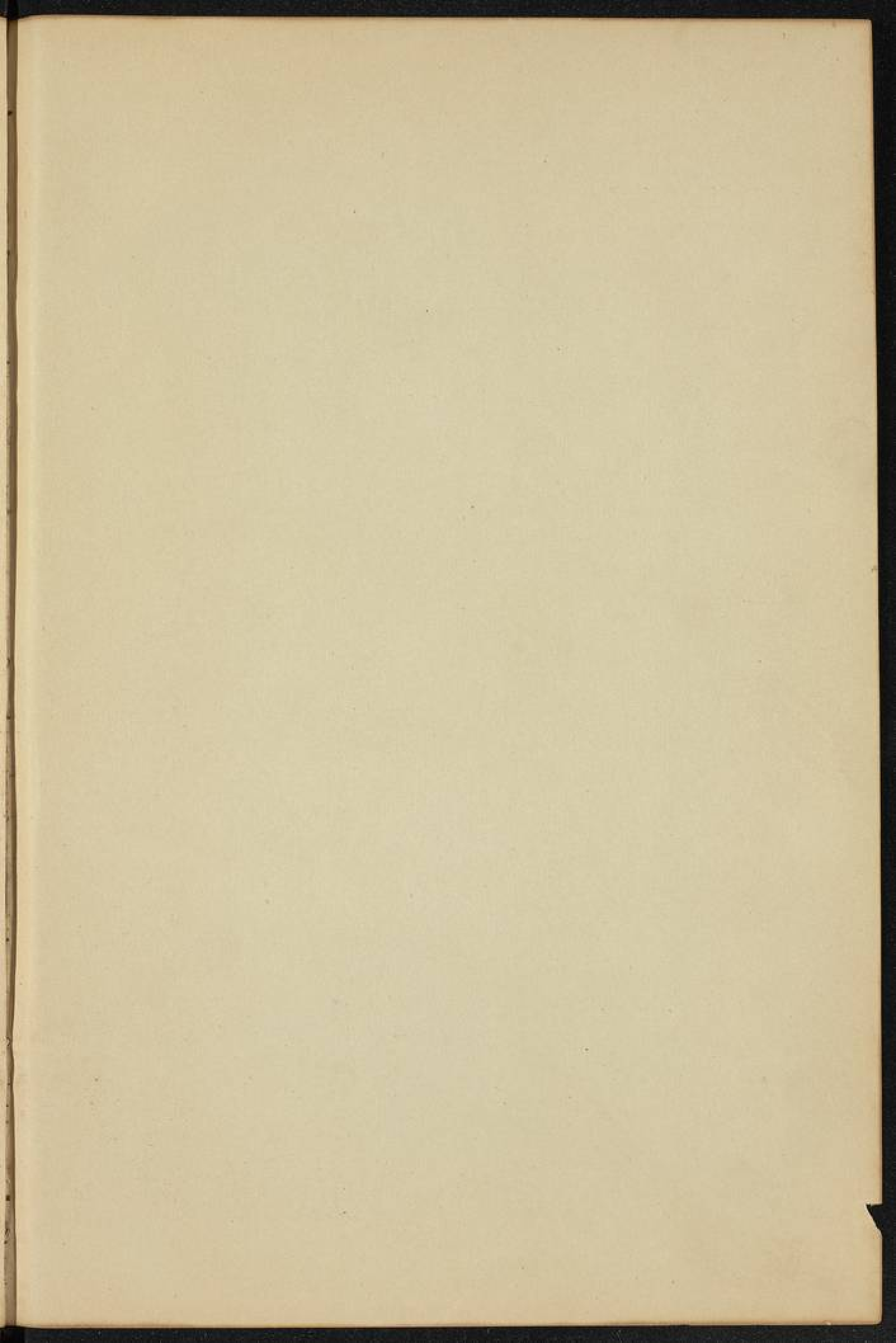
ضباط		صف ضباط وعساكر	
٨٣٣		٢٢٠٠٠	الجيش العامل
٢٤٣		٥٣٣٦	البوليس بعموم المدن والمديريات ماخلا العساكر الاجانب منهم
١٣٦		١١٥٥	جنود خفر السواحل لغاية سنة ١٨٩٨
١٢١٢		٢٨٤٩١	الموجود تحت السلاح
٢٥٠	بالاستيداع	١٩٧٥٠	عساكر الامدادية القديمة الموجودين تحت الطلب وهم بين سن خمسين واربعين
١٤٦٢		٤٨٢٤١	المجموع الكلي

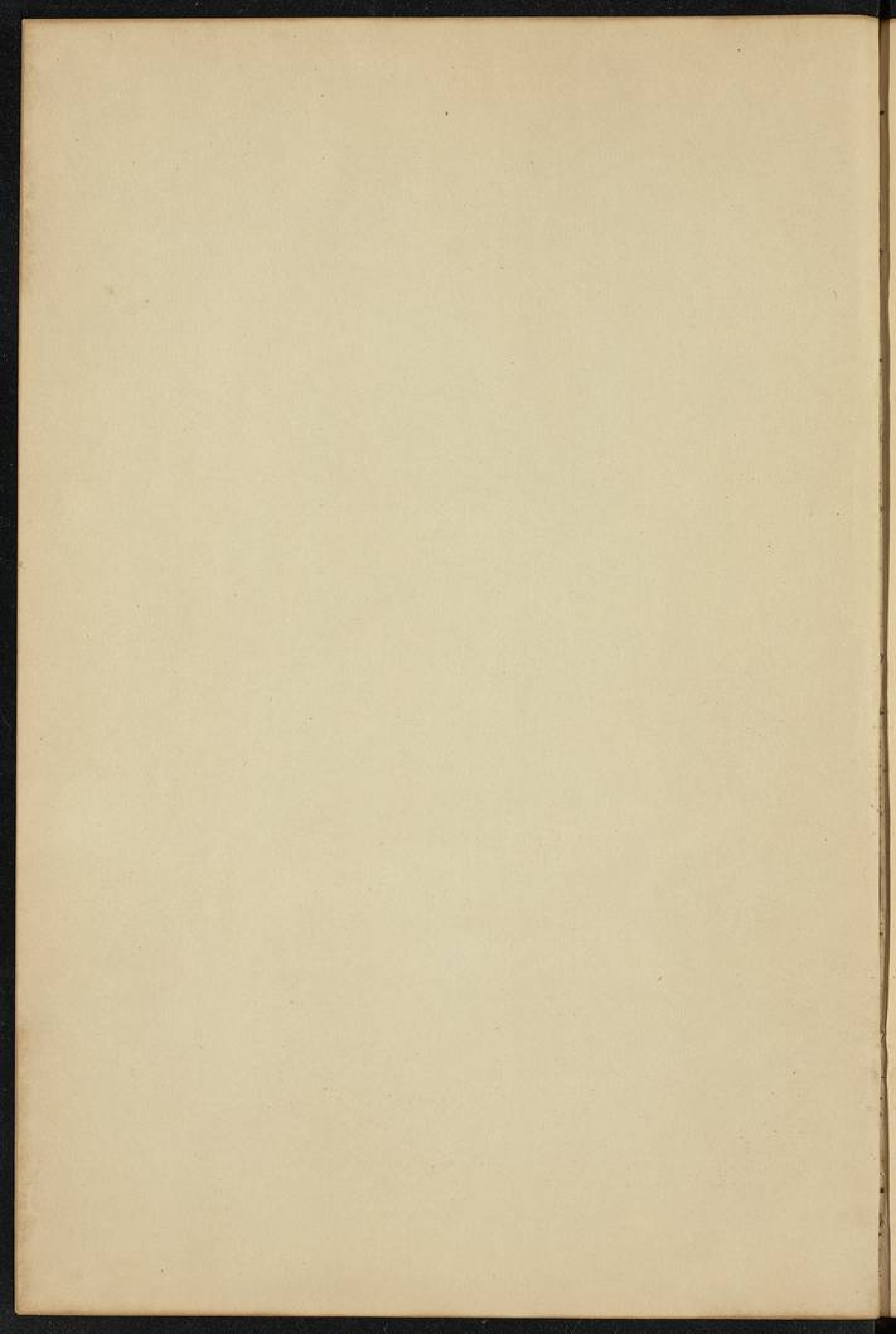
يقول المتوسل بجاه المصطفى الفقير اليه تعالى محمود مصطفى خادم التصحيح بالمطبعة العامرة ببولاق مصر القاهرة

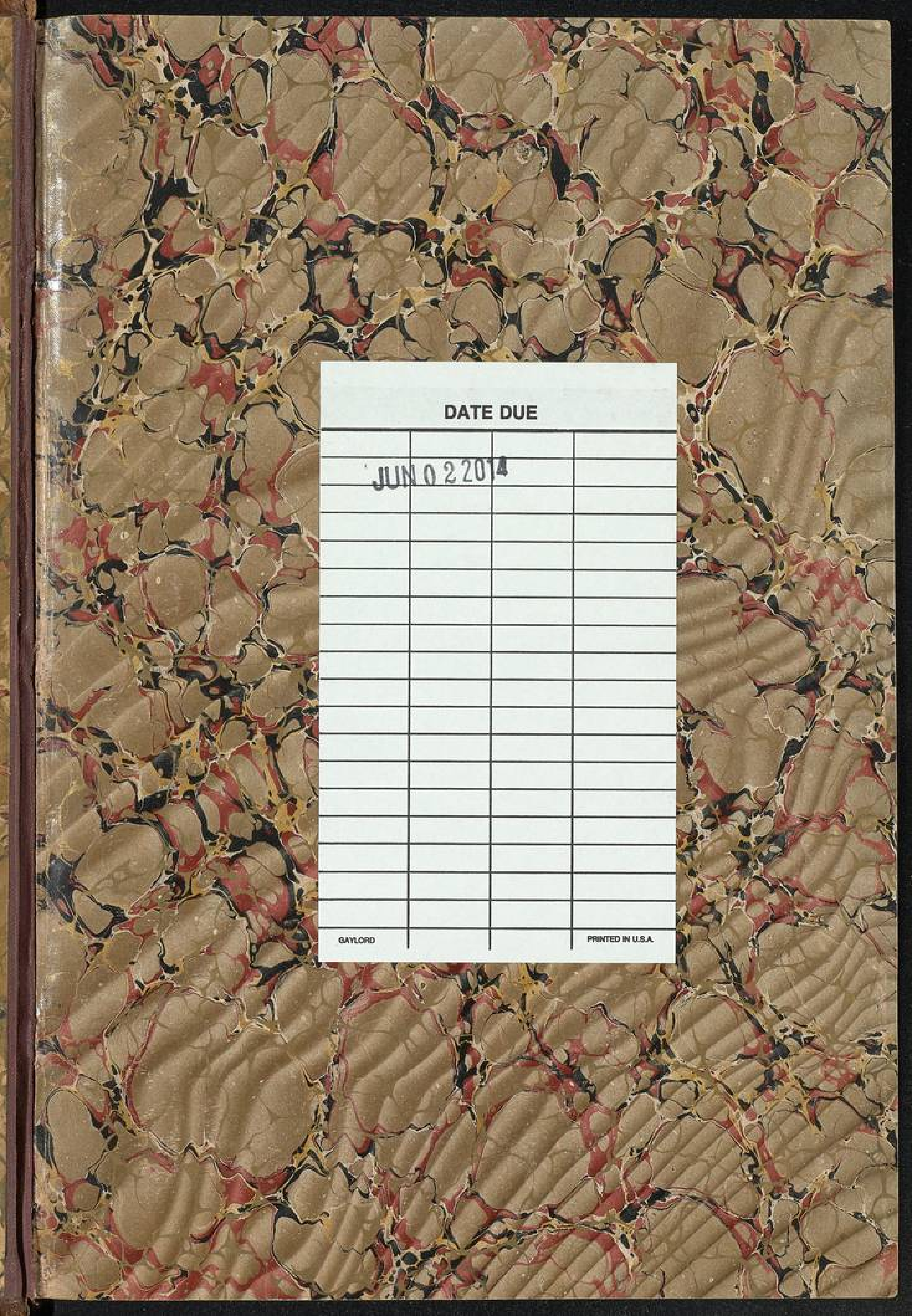
تم الجزء الثاني من حقائق الاخبار عن دول البحار تأليف صاحب الشمائل المرضية والمدارك السامية العلية سعادة اسمعيل بك سرهنك ناظر المدارس الحربية بلغه الله كل امنية ولعمري إنه لكتاب طابق اسمه معناه وجمع من المحاسن واللطائف فوق ما المرء يتمناه في عهد الطلعة الداورية الخديوية العباسية أيد الله ملك دولته ووالى إنعامه على رعيته ملحوظا بنظر من عليه جميل أخلاقه يثني سعادة وكيل المطبعه الاهلية محمد بك حسني في أوائل شعبان المعظم سنة ١٣١٦ من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم

تم الجزء الثاني ويتلوه الجزء الثالث وأوله تاريخ فرنسا








DATE DUE
JUN 0 2 2014
GAYLORD
PRINTED IN U.S.A.



